

تحت شعار
البحث العلمي ركيزة لحل المشكلات

المؤتمر الدولي الثالث
ومؤتمر الرابطة الأكاديمية الأول للبحث العلمي
لمركز البحوث والاستشارات الاجتماعية (لندن)
حول موضوعات العلوم الاجتماعية والإنسانية
(أبحاث مُحكمة)

معهد الكويت للأبحاث العلمية
الكويت؛ ١٠ - ١٢ فبراير ٢٠١٤

The Third International

Conference of the London Centre for Research and Consultancy
The First Academic Association Conference

On Topics of Social and Human Sciences
R e s e a r c h

10-12 February 2014 - Kuwait Institute for Scientific Research Hosts

LONDON
Research London



المؤتمر الدولي الثالث

ومؤتمر الرابطة الأكاديمية الأول للبحث العلمي

لمركز البحوث والاستشارات الاجتماعية (لندن)

حول موضوعات العلوم الاجتماعية والإنسانية

(أبحاث محكمة)

مفوق الطبع محفوظ
الطبعة الأولى
٢٠١٤م

رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠١٤/١/٤٣٠)

٣٠٠،٠٧٢

البحث العلمي ركيزة لحل المشكلات (٢٠١٤ : الثالث : لندن)
المؤتمر الدولي الثالث ، مؤتمر الرابطة الأكاديمية الأول للبحث العلمي /
مركز البحوث والاستشارات الاجتماعية ، لندن - عمان : دار عمار للنشر
والتوزيع ، ٢٠١٤

() ص

ر.إ. : ٢٠١٤/١/٤٣٠

الواصفات: البحث العلمي // العلوم الاجتماعية // العلوم الإنسانية /

❖ يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف
عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى

Social consultancy & Research LTD

ISBN: 978-9957-481-29-2 دمك



دار عمار للنشر والتوزيع

عمان - ساحة الخمار الحسيني - سوق البتره - عمادة المحفزي
للفاكس ٤٦٥٢٤٣٧ - ص.ب ٩٢١٦٩١ عمان ١١١٩٢ الأردن

تحت شعار البحث العلمي ركيزة لحل المشكلات
المؤتمر الدولي الثالث
ومؤتمر الرابطة الأكاديمية الأول للبحث العلمي
لمركز البحوث والاستشارات الاجتماعية (لندن)
حول موضوعات العلوم الاجتماعية والإنسانية

(أبحاث مُحكمة)

معهد الكويت للأبحاث العلمية
الكويت؛ ١٠ - ١٢ فبراير ٢٠١٤

The Third International Conference of the London Centre for
Research and Consultancy

The First Academic Association Conference
On Topics of Social and Human Sciences

10-12 February 2014

أبحاث اجتماعية
أبحاث إسلامية وقانون
أبحاث إنسانية



S.C.R. London is an organization that deals with social issues in the communities, our services are mainly to rise awareness regarding the problems at hand, this goes from as small as on personal level, Businesses to Government services.

The services we provide are:

- Mental Health Care on the personal level, and as a group.
- We provide Training for employees in all sectors of all ranks.
- Some of the programs we provide are: stress constancy, problem solving skills, client approach, care after burnout ...
- Our consultancy leads to Research and a solution as a result.

We also organize International Academic Conferences around the globe. To bring together the researchers that can brainstorm and search for solutions regarding issues at hand.

Social Consultancy & Research LTD.

London, United Kingdom

[Http://scrlondon.com](http://scrlondon.com)

Emails: info@scrlondon.com

Dr. Naser Elfadhly

Clinical Psychologist Diagnostic Assessment & Treatment

- Stress Management, Social Phobia, Agoraphobia & Panic Attacks Depression, Obsessive Compulsive Disorder, Sexual Dysfunction, Eating Disorders.
- Anorexia-Dulimia, Psychosomatic Illnesses, Schizophrenia, Family Problems.
- Marital Problems, Sleep Disorder, Anxiety, Post-Traumatic Stress Disorder.
- Alcohol And Drug Dependence, Disorders Evident In Childhood.

Emails: Info@scrlondon.com - elfadhly@scrlondon.com

أبحاث اجتماعية (دولي)

١. مِنْ جَنَاتِ جِرْمَانَةِ إِلَى جَنَاتِ الْبَطِّ دراسة في الانسجام النصي / أة.د. إسراء شمس الدين ١٩
٢. رؤية مستقبلية مقترحة لتطوير البحث العلمي... / دة. يسرى محمد المقادمة ٢٧
٣. مفهوم المجتمع في الجزائر إشكالية النفي والإثبات / دة. محمد الخالدي ٤٥
٤. نظرة المدرسين لمهنتهم والصعوبات المعترضة في الميدان التعليمي.. / دة. زولبخة طوطاوي .. ٥٥
٥. القبول الاجتماعي للعلوم الاجتماعية في المجتمع العربي السعودي / دة. سليمان عبد الله العقيل .. ٦٥
٦. تنمية القدرات العقلية والبحثية لدى طلاب التعليم العالي... / دة. فضل عبد الله الربيعي ٨٩
٧. مساهمة إدارة الجودة الشاملة في تميز المؤسسة... / أة. جمال الدين غولام ١١١
٨. تفويض السلطة في الأقسام الأكاديمية.. / أة. عائشة صفرائي - أة. عائشة بوقليمينة ١٣١
٩. المقاربة بالكفاءات، من أجل أي محتوى؟ / دة. محمد رضا بلمختار..... ١٤٣
١٠. تكنولوجيا التعليم الإلكتروني وتحقيق جودة التعليم العالي / دة. أمينة إبراهيم مران السرحاني ١٦٥
١١. دور البحث الأكاديمي في تنمية المؤسسة الصناعية / أة. عبد الكريم زرقاوي ١٧٩
١٢. التواصل كأسلوب في التدريس ودوره في الاستيعاب والدافعية / دة. لويضة فرشان..... ١٨٧
١٣. الأساليب التنشيطية للأسرة في .. / أة. دة. الفضيل رتيمي - دة. لطيفة طبال - أة. أسماء رتيمي .. ٢٠٣
١٤. المسؤولية الاجتماعية للمؤسسة والموارد البشرية / دة. عائشة هديبل ٢٢١
١٥. دراسة مدى نجاح استحداث شعب تخصصية لقسم الجغرافيا... / دة. معتوق علي عون ٢٣١
١٦. دور الخرائط البحثية في تطوير مستقبل البحث التربوي... / دة. مها عبد الجبار اليماني ٢٤١
١٧. العوامل الاجتماعية للفرط ودورها في اختيار المهنة... / أة. سرور بشير الطويل..... ٢٥٥
١٨. سوسيولوجية المقاومة في الجزائر... / أة. سفيان بدرأوي أة. ليندة لطيفة أة. محمد بوريش ٢٦٧
١٩. تأثير التباين القيمي على التنمية في مجال العمل... / دة. محمود أحمد عمر الكبير..... ٢٧٩
٢٠. معوقات عمل المرأة في مجال العمل الخيري... / أة. نبهه محمود طربوش ٢٩١
٢١. دور تكنولوجيا المعلومات والاتصال في تنمية الأداء... / أة. أسماء بركان - أة. فضيلة لعقاقة ٢٩٩
٢٢. التنمر في مدارس دولة الإمارات: المظاهر، الأسباب، الآثار... / دة. مهرة حمير آل مالك ٣١٥
٢٣. دور القيادة الإدارية في البناء الأخلاقي للمنظمة... / دة. ره نج محمد نوري داودة ٣٣١

٢٤. تأخير وسائل الاتصال التكنولوجية والمعلومات... / دة. للونة تيلو - زينب حميدة بقيادة ٣٤٣
٢٥. العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة الجزائرية... / أة. نادية سماش - أة. نوال سعدي ٣٥١
٢٦. دور الأسرة السعودية في حماية أبنائها من مخاطر الإنترنت... / د. نايف محمود الزيود ٣٦١
٢٧. العوامل المؤدية لظهور أطفال الشوارع / دة. خديجة عجابي ٣٧٣
٢٨. إدارة البحوث العلمية في المؤسسات التعليمية... / أة. غالية بنت عامر بن علي المقرشية ٣٩٩
٢٩. معالجة أخطاء التلاميذ وتأهيل المعلمين في الرياضيات / أ. محمد المحمود ٤٠٧
٣٠. الفلسفة التربوية للشبكات الاجتماعية.. / دة. داليا محمد السيد المنهراوي ٤١٥
٣١. المشهد الرقمي في جامعة حائل (الواقع - والمأمول) / د. عبدالعزيز بن رشيد العمرو ٤٣١
٣٢. اتجاهات الشباب الجامعي الليبي نحو مستقبل المرأة المهني / دة. انتصار جمعة الجطلابي ٤٤٩
٣٣. درجة امتلاك أعضاء هيئة التدريس لمهارات استخدام الإنترنت... / دة. أسماء ربحي العرب ٤٥٩
٣٤. محاولة لمقاربة دور العلوم الاجتماعية... / أة. رشيدة سردوك - أة. بتول قاسمي ٤٦٩
٣٥. الحداثة ومستقبل الأمن الصحي للبشر ... / دة. علا عبد المنعم الزيات - د. ناصر الفضلي ٤٧٩
٣٦. متطلبات تفعيل مساهمات التعليم الجامعي العربي في بناء مجتمع المعرفة / أة. سهير عويضة ٥٠٣
٣٧. أثر التميز الإداري على الإبداع دراسة ميدانية على البنوك... / دة. أنفت إبراهيم عطا ٥١٧
٣٨. التمييز على أساس النوع الاجتماعي وأثره على مشاركة المرأة في التنمية / أة. سعاد مولود المريمي ٥٤٣
٣٩. دور الأسرة في تدعيم الأمن الفكري داخل المجتمع الجزائري / أ. سمير جوهاري ٥٥٣
٤٠. النحت في أصل الجبل.. نحت حي على الحجر (نماذج مختارة) / أ.د. محمود عجمي الكلاي ٥٧٩
٤١. العلوم الاجتماعية بين الفكر والواقع الاجتماعي / أة. رفيقة يخلف ٥٩٥
٤٢. الاعتبارات الأخلاقية للبحث العلمي في العلوم الاجتماعية والإنسانية ٦٠٣
- دة. قجة رضا - دة. فضيلة عاقل - دة. صليحة مقاوسي - أة. عائشة شبيلة
٤٣. العاملون في المهن المختلفة موقع الفئات الدنيا في البيئة الحضرية ٦١٣
- دة. قجة رضا - دة. فضيلة عاقل - دة. صليحة مقاوسي - أة. عائشة شبيلة
٤٤. النزعة الاستهلاكية من منظور بيئي وأخلاقي / د. سيف بن علي الحجري ٦٢٥

أبحاث اجتماعية (رابعة)

٤٥. دور الإعلام في التنمية البشرية والاجتماعية / أ. د. إبراهيم البيضاني - دة. ناهدة علي ٦٣١
٤٦. دراسة تحليلية لأشكال وزخارف المسارج الفخارية والخزفية ... / دة. إيمان أبوالنور ٦٥١
٤٧. دور المسؤولية الاجتماعية للشركات متعددة الجنسيات ... / أة. إيناس إبراهيم ٦٦٣
٤٨. الشباب والتحديات المعاصرة (مقارنة قرآنية ثقافية) / دة. حبيبة شهرة ٦٨٩
٤٩. الاستفادة من القيم الفنية والتعبيرية للخامات المستهلكة ... / أة. لبنى عبد العزيز محمد بيومي ٧٠٧
٥٠. السياسات العامة للبحث العلمي والتطوير التكنولوجي ... / دة. داليا محمد نبيل المنهراوي ٧١٧
٥١. دور مخاير البحث الجزائرية .. / أ. عبد الرحمان بن محمد بعثمان - د. امحمد مولاي ٧٢٩
٥٢. مقترح لاستحداث مقررات دراسية جديدة لمرحلة التعليم الأساسي والثانوي ... / د. معتوق علي عون ... ٧٤٣
٥٣. التصميم السكني ومدى ملائحته للمسنين بمدينة جدة / دة. نهى بنت سعيد بن أسعد نقيطي ٧٥١
٥٤. أخلاقيات البحث العلمي ودورها في ترقية البحوث العلمية ... / دة. ريم محمد موسى ٧٦٥
٥٥. دور التخطيط الاستراتيجي والبرمجة في مجال البحث التربوي .. / دة. ذهب نايف الشمري ٧٧٩
٥٦. معالم حياة المرأة في معجم لسان العرب لآين منظور ... / أ. د. حميد سراج جابر ٧٨٥
٥٧. إدارة مجتمع المعرفة / أ. أمسلم أحمد علي الجعباري ٧٩٧
٥٨. أهمية دور المسنين وحياتهم الاجتماعية في المجتمع / أ. محمد أحمد الدوماني ٨١٩
٥٩. رصد وتحليل التطور السياسي الدولي وتأثيره على القضايا البحثية ... / دة. نادية عبد الفتاح .. ٨٣٣
٦٠. التحول بمؤسساتنا لمنظمات متعلمة ... / أة. عائشة صفرائي - أة. عائشة بوقليمينة ٨٥٥
٦١. الأعشاب الطبية ممارسات وتصورات مقارنة أنثروبولوجية بقسنطينة ... / أة. يمينة لطرش ٨٦٧

أبحاث إسلامية وقانون (دولي)

٦٢. النسق التئولوجي للتيار السلفي / **أ. بلعيد بن جبار** ٨٨٥
٦٣. ملامح تحديد الخطاب الاسلامي في مرحلة ما بعد الحداثة / **د. عاشور مزليخ** ٩٠١
٦٤. الصيرفة الإلكترونية كحتمية... / **د. نورالدين جليد - أة. أمينة بركان** ٩١٩
٦٥. موقف الملك فيصل من إحراق المسجد الأقصى / **د. نوف الروضان** ٩٣٧
٦٦. دور التربية الإسلامية في تحقيق الأمن الفكري النقيب: نايف بن راشد الرحيلي ٩٥٥
٦٧. حماية أفعال المكلفين في الفقه الإسلامي / **أ. مراد بلعباس** ٩٦٧
٦٨. دور التجارة البينية في دعم التكامل الاقتصادي... / **د. مصطفى البلعزي** ٩٨٥
٦٩. أي بحث علمي في ظل غياب الحرية الأكاديمية؟ / **د. نجوى بوزيد** ٩٩٩
٧٠. رعاية المسنين في الإسلام / **د. حبيبة شهرة** ١٠٠٩
٧١. القضايا البحثية في مجالات السياسة الواقع والطموح / **أ. د. أحمد زايد** ١٠١٩
٧٢. الأثر الإيجابي للاستشراق في الحفاظ على / **أ. د. محمد عبد مرزوق** ١٠٣١
٧٣. حول الحجج والجدل في الخطاب الإعلامي الفرنسي / **د. سعاد موزير مطر** ١٠٤٥
٧٤. التلوث النفطي لمياه البحر وأثره على الأحياء .. / **د. عمر إبراهيم المنشاز** ١٠٥٩
٧٥. الإعجاز البلاغي في السلوك الإيجابي .. / **د. شومه محمد البلوي** ١٠٧٣
٧٦. ابن سينا ونموذج الحكيم المسلم / **د. هاني بن عبد الله آل ملحم** ١٠٨٥
٧٧. نظم المركزية واللامركزية في ظل السياسات التربوية.. / **د. ذهب الشمري** ١١٠١
٧٨. التربية المتكاملة للطفل المسلم / **د. علي محمد الشتيوي** ١١١٣
٧٩. رعاية الفقه الإسلامي حقوق المسجون... / **أ. عشير جيلالي** ١١٢٩
٨٠. دور هيئة حقوق الإنسان في التعامل مع قضايا المرأة / **أ. سليم عبد الله السلمي** ١١٤٧
٨١. ضمانات مراقبة مشروعية المكالمات الهاتفية... / **أ. علي محمد علي عنيبة** ١١٦١
٨٢. العقائد الدينية الليبية القديمة وفق... / **د. محمد علي حسين الدراوي** ١١٧١
٨٣. علاقة الماء بباب المعاملات الفقهية / **أ. سيد علي غبريد** ١١٨٥
٨٤. حقيقة الروح والنفس في القرآن الكريم / **د. منال خضر العبيدي** ١٢٠١
٨٥. تجربة واقعية لشباب الكويت في العمل الخيري العالمي / **أة. سمية محمد الميمني** ١٢١٩
٨٦. الإسلام و تأصيل حقوق الإنسان / **أ. د. علي الطاهر عريبي** ١٢٣٥
٨٧. أثر العلم الشرعي في حماية الفكر من الغلو / **د. عثمان بن محمد الصديقي** ١٢٤٧

أبحاث إسلامية وقانون (رابطه)

٨٨. تمكين المرأة والأداء البرلماني .. / أة. غادة يونس ١٢٦١
٨٩. دور مراكز البحوث والدراسات السياسية .. / د. محمد صادق اسماعيل ١٢٨٧
٩٠. معوقات تطبيق نتائج البحوث .. / د. تامر إبراهيم كامل هاشم ١٣٢٧
٩١. الحماية القانونية للمرأة العاملة في فترتي الحمل والوضع / دة. نسرين منصور ١٣٤٩



أبحاث إنسانية (دولي)

٩٢. دراسة تقييمية لتصميم دور رعاية المسنين .. / دة. نهى نقيطي ١٣٦٧
٩٣. الضغط النفسي المدرك والتوافق الزوجي للنساء / دة. يمينة هديبل ١٣٨١
٩٤. واقع المسنين بمراكز العجزة ... / آة. ذهبية أوموسى - آة. سميرة بداوي ١٣٩١
٩٥. النضج المهني لدى طلبة الجامعة .. / دة. رغد الموسوي ١٣٩٧
٩٦. رد الاعتبار للإنسان العامل.. / د. الجودي صاطوري - أ. شوقي جدي ١٤٢٩
٩٧. دواعي تعاطي المخدرات لدى الطلبة الجامعيين... / دة. فاطيمة الزهراء أغلال ١٤٣٧
٩٨. اتجاهات الطالبات نحو العمل التطوعي.. / دة. فاطمة عثمان ١٤٥٣
٩٩. تشخيص وعلاج اضطراب عجز الانتباه .. / دة. مسعودة الحسيني ١٤٦٣
١٠٠. السلوك الوسطي لدى طلبة الدراسات الاجتماعية.. / د. سعود النبهاني ١٤٧١
١٠١. اتجاهات القارئ العربي نحو الكتب الإلكترونية .. / آة. حياة إبراهيم الياقوت ١٤٩٣
١٠٢. الأمل وعلاقته بالألم النفسي الناتج عن انخفاض مشاعر المواطنة .. / آة. جيهان خالد ١٥٠٣
١٠٣. الشباب والمفارقة التنشؤية .. / دة. فتيحة حرات ١٥١٥
١٠٤. فاعلية استخدام بعض أساليب التدريس.. / أ. طالب الشريف ١٥٢٩
١٠٥. بعض سمات الشخصية والأعراض الإكلينيكية .. / دة. وفاء العرادي ١٥٤١
١٠٦. الضغوط النفسية لدى طلبة المدرسة العليا للأساتذة .. / دة. نصيرة بن نابي ١٥٥٧
١٠٧. المشكلات النفسية والاجتماعية لمجهولي الأبوين / د. عبد الله الجميل ١٥٦٩
١٠٨. علاقة بعض الوسائل الإعلامية على السلوك العنيف عند الطفل.. / دة. سهير البيلي - أ. د. يعقوب الكندري ١٥٧٥
١٠٩. نشوز الزوجة، الظاهرة والعلاج / د. مسعود يخلف ١٦٠١
١١٠. الضغوط النفسية المرتبطة ببعض سمات الشخصية .. / دة. سميرة محمد ميلاد بريك ١٦١١
١١١. علاقة العلاقات الإنسانية بالدوافع / د. أحمد المسعودي ١٦٢٣
١١٢. بعض الحاجات الاجتماعية .. / دة. ربيعة محمد أحمد الشاوش ١٦٤٩
١١٣. الكفايات التدريبية اللازمة لمعلمات الأشخاص ذوي الإعاقة الذهنية .. / د. عيسى غلام - دة. نجاتي القاضي ١٦٥٩
١١٤. دراسة مقارنة بين مرضى السرطان والأسوياء في درجة الشعور بالاكئاب .. / د. علاء زهير الرواشدة ١٦٧١
١١٥. الإساءة للأطفال عبر شبكات الإنترنت... / آة. عائشة سعيد المسافري ١٦٨٥

أبحاث إنسانية (رابطة)

١١٦. التواصل الاجتماعي وضعف العلاقات الأسرية / دة. بدرية بنت محمد العتيبي ١٧٢٧
١١٧. التواصل طريق للتوافق الزوجي / دة. يمينة هديبل ١٧٤١

أهداف المؤتمر

- إتاحة الفرصة للباحثين من مختلف دول العالم للتواصل فيما بينهم لطرح أبحاثهم لتعزيز العلاقة بين البحث العلمي والواقع في العالم الإسلامي.
- تبادل الأفكار والخبرات للتوصل إلى تأسيس شراكة فكرية فعالة تعمل على توحيد الأهداف وتحقيقها في مجالات البحث العلمي لخدمة الطالب والباحث.
- تفعيل الدور المشترك للدراسات العليا التي تخدم البحث العلمي.
- تحديد مجالات البحث العلمي الأكثر أهمية لسد الفجوة الرقمية الهائلة التي تفصلنا عن الدول المتقدمة.
- طرح برامج علمية ومقررات دراسية، قادرة على المنافسة عالمياً.
- الإسهام في وضع إطار عام لخطط استراتيجية منهجية للبحث العلمي على مستوى الجامعات العربية والعالمية.

Social Consultancy & Research LTD.

London, United Kingdom

[Http://scrlondon.com](http://scrlondon.com)

Emails: info@scrlondon.com

الموقع الإلكتروني

المركز: scrlondon.com

المؤتمر: lcrsharijah.com

بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين
سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين



انطلاقاً من شعار المؤتمر (البحث العلمي ركيزة لحل المشكلات) وتعزيزاً لدور البحث العلمي في عالمنا الحالي الذي يستند بأهدافه ومنهجيته لأساليب تعتمد على تقصي الحقائق ونقلها من عالم التنظير إلى عالم التطبيق، وتقصي تلك الحقائق والمعلومات يهدف إلى إحداث إضافات وتعديلات في ميادين العلوم التي تسهم في تطوير المجتمع وتنميته، ونحن بدورنا ومن خلال مؤتمراتنا العلمية نولي اهتماماً كبيراً للبحث العلمي بهدف تنمية الطاقات العلمية والبحثية والإنتاجية والإبداعية لدى الباحث. فعظمة الأمم تكمن في قدرات أبنائها العلمية والفكرية والسلوكية والبحث العلمي ميدان خصب ودعامة أساسية لاقتصاد الدول وتطورها وبالتالي تحقيق رفاهية شعوبها والمحافظة على مكانتها الدولية. حيث أن منهجية البحث العلمي وأساليب القيام به من الأمور المسلم بها في المؤسسات الأكاديمية ومراكز البحوث، بالإضافة إلى انتشار استخدامها في معالجة المشكلات التي تواجه المجتمع بصفة عامة، حيث لم يعد البحث العلمي قاصراً على ميادين العلوم الطبيعية وحدها بل شملت جميع العلوم الاجتماعية والإنسانية في عالمنا الحالي. وما أحوجنا إلى إجراء مراجعة ونقد ذاتي لمعرفة الأسباب التي أدت إلى تراجعنا سعيًا إلى مواجهة التحديات والمخاطر.

وفقكم الله وسدد خطاكم،،

د. ناصر الفضلي

رئيس مركز البحوث
والاستشارات الاجتماعية لندن

كلمة رئيس مجلس الإدارة الشيخة ميسون القاسمي

أكثر ما يسعدني في الحياة لحظات استثمار الفكر، وأفضل استثمار لفكرنا في وقتنا الحالي هو البحث العلمي فالإنجاز العلمي ركيزة أساسية في حياتنا العلمية والعملية ونحن نسعى من خلال مراكزنا إلى تعزيز دور البحث العلمي للوصول بهذا الإنجاز إلى التميز من حيث الهدف والتطبيق العملي لمجالات العلوم لتحقيق رؤية علمية تعزز أواصر التعاون بين الباحثين وتسهم في تحقيق الاستراتيجية التنموية لتأسيس شراكة فكرية تسهم في خدمة المجتمع.

شكراً لله تعالى أولاً .. شكراً لراعي المؤتمر .. شكراً لمعهد الكويت للأبحاث العلمية.. شكراً لضيوفنا والحضور.. شكراً للمساهمين الكرام.. شكراً للجهات المشاركة .. شكراً للباحثين.. شكراً لرؤساء المؤتمر ولجان التحكيم.. شكراً للجهات المنظمة.. شكراً لفريق العمل.. شكراً لكل من ساهم في انجاح المؤتمر الدولي الثالث ومؤتمر الرابطة الأول لمركز لندن للبحوث والاستشارات ومركز البحوث والاستشارات الاجتماعية لندن.

تحت شعار
البحث العلمي ركيزة لحل المشكلات
المؤتمر الدولي الثالث
لمركز البحوث والاستشارات الاجتماعية (لندن)
حول موضوعات العلوم الاجتماعية والإنسانية

أبحاث اجتماعية
(دولي)

معهد الكويت للأبحاث العلمية

١٠ - ١٢ فبراير ٢٠١٤

مِنْ جَنَاتِ جَرْمَانَةٍ إِلَى جَنَاتِ الْبِطِّ^(١) دراسة في الانسجام النصي

أ.د. دة. إسراء عامر شمس الدين



هجرة الأوطان ظاهرة استشرت في مجتمعنا العراقي إثر اضطراب وعصف سياسي منذ ذلك اليوم التموزي الخمسيني، لتزداد وطأته بحروب غير منتهية، تبعثها حرب أهلية، كانت لها أثر كبير في هجرة جماعية، مؤثرين أصحابها الذات ثم الذات على الوطن^(٢).

ولما للوطن من ركنة في نفس أبنائه، ونحن نحيا في وطننا (أزمة المواطنة)، ارتأيت اختيار قصة بارت هذه الظاهرة لدراستها دراسة نصية عبر مظهر من مظاهره (الانسجام أو التماسك) ويظهر في المستوى العميق للنص الذي يوضح طرق الترابط بين التراكيب التي ربما لا تظهر على السطح^(٣)، والقائم على مباحث (الربط، والإحالة، والاستبدال، والحذف، والتكرار والتضام)، وسنتناولها تباعاً في البحث بعد الوقوف أمام بورتين تغريصيتين للنص هُما:

• أستاذ مساعد تخصص اللغة والصرف، كلية الآداب، جامعة بغداد/العراق.
drisraa29@yahoo.com

١- (العنوان) الذي يُعدُّ «وسيلةً خاصةً قويةً للتغريض»^(٤)، تُتميَّ ثيمته عبْرَ السرد القصصيّ القائمة على جدلية تقابلية هي (المثال الموهوم/ الواقع المعيش)، فأمام تلك الجنان التي يعجُّ بها أزماّت من حيٍّ في ريف دمشق الجنوبي (جرمانة) إلى موطن البط البريِّ في النصف الشمالي من كرتنا الأرضية، ليسوقنا الاستدلال إلى مسرحية الكاتب النرويجي (هنريك إبسن) البط البريِّ الذي أثارَ فيها جدلية الصراع بين عالمي (المثُل/ الواقع)، المثل أو اليوتوبيا المُنهشمَة على واقع تتأكله الصراعات والرغائب والأكاذيب.

٢- (مُسميات الشخصيات) المُكرّرة في النصّ (انتصار) اسمٌ في بنيته المصدرية دلالة قوّة وصف الفعل لكونه منّ المزيد^(٥)، (منصّور) اسم المفعول من الثلاثي (نصر) دالٌّ على الحدث والحدوث والذات الواقع عليها حدث الفعل^(٦)، أي أنها فعلت معنى النصر، لتتعالقان مع (منتصر) اسم فاعل من الفعل المزيد (انتصر- افتعل) والذي في إحدى دلالاته السعي والاجتهاد في طلب المعنى المراد، وهنا معنى السعي من أجل الانتصار^(٧)، وهو أكثرُ ثبوتًا ودوامًا من الفعل وبدرجة أقل من الصفة المُشبهة^(٨)، فأمام كلِّ هذه الانتصارات على الذات، والعوائق الاجتماعية، أو القوانين الدوليّة تقابلية الانهزام، وتساقط الفكر المثالي، والانحناء للواقع بأزماته.

أ- الربط: علاقة نحويّة «بين أجزاء الجملة أو بين الجمل، وهذه العلاقة تكون بواسطة لفظية وبدون واسطة لفظية»^(٩)، وما يهْمنا الروابط بين الجمل المكوّنة للنصّ، فالصورة المنطقية تتأتى من الروابط المُحدّدة للعواقب المنطقية للجملة هذه^(١٠)، لكون وظائفها مختلفة في المتواليات المُشكلة للنصّ، إذ قد تزوّد بمعلومات إضافية مُغايرة عمّا سبق، أو بمعلومات مترتبة على أخرى، فضلاً عن معانٍ آخر تمنح النصّ انسجامًا وتماسكًا^(١١).

ربطت القاصّة مُتتالياتها الجمليّة بنوعين من الأدوات، أحدهما ضمن أساليب الربط العربية، والآخر ضمن أساليب ربط الجملة الإنكليزية، ما يخصّ الأول منها (الواو العاطفة) بمعاني مُطلق الجمع، أو الترتيب التتابعي للحدث، و(أو) التي للتخيير أو الإضراب، و(ثم) الدالة على الترتيب بمهلة، وأدوات الشرط (إذا) وما حُمِلَ على معناه (عندما وأما)، و(فأما) التي للتعقيب بمهلة، و(لكن، ولكن) وهما للاستدراك.

أمّا ما ورد ضمن سياق ربط الجملة الإنكليزية والواردة إلينا عبْر الترجمة فهو (على أنها، ومع ذلك... فإنها، وبدلاً من، وبالرغم من أن، ولأن، وأيضاً).

ب- الإحالة: علاقة معنوية دلالية تُوجِبُ التطابق الذاتي بين عُنْصُرِي المُحِيلِ والمُحَالِ إليه، والإحالة النصّية المُسَهِّمة في اتِّسَافِهِ مُنْحَسَرَةٌ في داخله، ولها نوعان (قبلية وبعديّة)^(١٢).

انمازَتِ القِصَّةُ بكثرةِ الإحالةِ القبليّةِ بضمائرِ الغيبةِ إنماءً للحدثِ، لذا ارتأيتُ الوقوفَ على ما أُحِيلَ على الشخصياتِ لكونِ جُلِّ الأحداثِ نُسِبَتْ إليهم، كالضميرِ (هي) المُحَالِ على (انتصار) في (وصلتُ، وترفع، لتري، أحنّت، لتحمل)، وما الحَقُّ مِنْ وصفِ سبيلِ وصولها إلى (كندا) أُحِيلَ بالضميرِ (ها / رأسها، سبقها، حقيبتها)، لتحوّلَ وجهَةُ الخطابِ في ظلِّ تداعياتِ الذاتِ إلى ضميرِ الخطابِ (أنتِ وأنتِ) ضمنَ سياقِ مُناداتها الراغِبِينَ في الهجرة، ولمْ تُكُنْ هذه الأسماءُ حصراً بشخوصٍ معينة بل إرادةٌ تبثّرُ ظاهرةَ الهجرةِ الجماعيةِ، لِيُستَبَدَلَ وجهَةُ الخطابِ نحوها (أنتِ) تأكيداً في أولِ عتبةِ انكسارِ لها (تعالِ أنتِ يا انتصارِ مِنْ أَجلِ التفتيشِ الحساسِ) (م/١) *.

وأُحِيلَ في (م/٢) على الشخصيةِ نفسها ضميرِ الغيبةِ (هي / فقالت، تتوقع، بكت، تُعيدُ) بيانا لأفعالها المُمَسَّرحةَ، وضميرِ (ها / مؤخرتها، بها، أظفرها، إنَّها، قولها) وصفاً لإدعاءاتها سبيلاً للحصولِ على مأربِها، لِيُستَبَدَلَ الضميرِ بـ (ياء) المُلكيةِ في (تعمى عيوني).

وفي (م/٣) تداخلتْ شخصيتان إحداهما (الطبيب/ المترجم) إذ أُحِيلَ ضميرُ (هو) عليه في (يحمل، يُترجم، طُلبَ)، و(هـ/شهادته، لمْ تُسَعِّفه، إنَّه)، والأخرى (انتصار) بضميرِ (هي/ مادامت، قالت) و(ها/إظفرها، تطبيبها، عليها، كتفها، طمأنها، تأمينها، لها) ضمنَ سياقِ تحقُّقِ إدعائها بـ (عمى العيون)، وإحجامِ (الطبيب/ المترجم) عن مساعدتها لسلبه مؤهله العلمي في كندا.

أمّا (م/٤) فضمُّ (انتصار) الشخصية المحورية في القِصَّةِ، المُتَخَطِية للعقباتِ الاجتماعية والدولية بإصرارها على الهجرة واستبدالِ الوطنِ بآخر، إذ أُحِيلَ ضميرُ الغيبةِ عليها (حصلت، لَمْتُ) و(ها/ شملها، زوجها)، وضميرِ (هو) على (منصور/ زوجها) في (كان، يقضي، يلتقي، يسأل)، و(هـ/إنَّه، أذانه، فراره، رجله، سنامه، تخدمه، له، كرشه، تدفعه، بلدته)، ليوَجِّهَ الخطابُ بكلا الضميرين إلى إجابة كلِّ واحدٍ مِنَ العشرةِ الذين يسألهم عن سببِ هجرتهم «إنَّه تعبان ويُرِيدُ أَنْ يَرتاحَ».

أَنَحَسَرَ (م/٥) بالأسباب الفعلية المُقنعة لتخلي (الطبيب/ المترجم) عن مكانته الحقيقية في وطنه مُرغمًا، ولجوئه إلى كندا، إِذْ أُحِيلَ عليه ضمير (هو/ جاء، كان، يُحِبُّ، بيتسم، يُعَدِّل، يمسح)، و(هـ/ لأنه، زميله، فمه).

وصف (م/٦) نمطية حياة الزوجين، الزوج فرحًا وسعادة أُحِيلَ عليه ضمير (هو/ كان، يُرسل، يمتلئ، بدا)، و(هـ/ مُلحقة بـ) (نظره)، الزوجة تردّيًا وسوءًا أُحِيلَ عليها ضمير (هي/ استيقظت، لتجد)، و(ها/ شعرها، مفاصلها، عيونها، عينيها)، لُتُسْتَبَدَلَ هذه الضمائر في سياق خطابها الزوج بـ (أنا / لا أرى)، و(أنت/ أطلب، تعال)، لبيان الكارثة التي أَلَمَّتْ بها (فَقَدَ البصر بعد فَقْدِ البصيرة).

عرض (م/٧) حالة الإرباك لدى (انتصار) وهي تغادرُ إلى المشفى ليُحالَ عليها ضمير الغيبة (هي) في (حملت، تركت، تاهت، تتلمس، نسيّت)، و(ها) مُلحقة بـ (أخذتها، خلفها، طريقها)، و(هـ) فيما يخصُّ الزوج (كرسيه، أمامه)، لتتحوّل وجهة الخطاب مِنَ الْمُتَكَلِّمِ إِلَى الْمُخَاطَبِ بضميري (أنت/ ك) في سياق إرادة أَنْ بداياتِ الخَطَوَاتِ غير الدقيقة أو صغارها قَدْ تَوَلَّدَ كارثة، (إِنَّكَ لا تتسى النافذة مفتوحة وحسب ولكنك تتسى أيضًا أَنْ تحزنَ على الكارثة التي يُسببُها...). وفي (م/٨) تكثيفٌ زمنيٌّ فيه مقابلة (دخول المشفى والخروج منه / دخول عالم الغربة والخروج منه)، انتصار (هي / دخلت، خرجت)، (ها/ منها)، منصور (هو/ يصرخ، انتقل، سقط، يحاول)، (هـ/ بصوته، غمره، رأسه، رجله، كرسيه، لكنّه).

ت- الاستبدال: علاقةٌ نحويةٌ- مُعجميةٌ تُسهمُ في اتساقِ النصِّ لكونها تقعُ عملياً في داخله، ضمنَ كلمات أو عبارات، يَغْلِبُ عليها إحالةٌ عُنصرٌ مُتأخّر على مُتقدّم، هذانِ العُنصرانِ (المُسْتَبَدَل والمُسْتَبَدَل) ذوا علاقةٍ تقابليةٍ خاضعةٍ للاستبعاد^(١٣).

تمظهرت العملية الاستبدالية في القصة بالعبارات ذات السمة الاسمية، ففي (م/١) (غرفة الضوء البهية X غرفة التفتيش الحساس)، الأولى ضمنَ مُحَاكاةِ الذاتِ عن عالم مثاليّ ينتظرُها، الثانية ضمنَ واقع كونها لاجئة، ويُعدُّ أولُ امتهانٍ لكرامتها، ربطتِ القاصّة بمسألة الامتحان هذه المقطعين (٢٠١) معنوياً، فالأولُ امتهانُ الآخر، والثاني امتهانُها نفسها ووطنها، (حروق التئور X آثار تعذيب) و(موضع وحمة خضراء X موضع إبرة تخدير) و(ظفر قلع بقبقاب X ظفر قلع إثر تعذيب) و(قلع ظفر في أقبية المخبرات الجهنمية X توقّع نموه في جزيرة فانكوفر الساحرة)، هذه الادعاءاتِ عدتها سبيلاً لنيلِ مأربها، واستبدالِ وطنها، وهي تقابلاتٌ نم عنها العنوان.

وصوّرتِ القاصّةُ القصورَ الفكريّ، والتّحجيمَ المعلوماتي لدى شخصيّة (انتصار)، إرادةً منها لبيان أنّ المهاجرين من الكفاءات وما دونهم كلاهما مسلوبا الحقوق، في أثناء محاورتها (الطبيب/ المترجم) ضمن تقابلية (التأمين الصحيّ X التأمين الصحي) في (م/٢).

ث - الحذف: علاقةً اتساقيةً قبليةً تتّم داخل النصّ ينشأ عنها فراغٌ بنيويٌّ يَهْتَدَى إليه من خلال سياقِ الجملة التي تسبقها، ولا أثرَ له بعدها، ومعنى هذا أنّ الحذف الذي يخصّ مسألة الانسجام ليس في البنية نفسها بل بعلاقة البنى مع بعضها^(١٤)، وهناك نوعان من الحذف، أحدهما غير المُخبر به، والذي يتفرّع عنه حذف لفظة أو تركيب، والآخر حذفٌ مُخبرٌ به ينشأ عن وعي دلالتي لدى المُخاطَب، إيما لفضاءات تأويلية ينمّ عنه السياق، ويبدو بشكلٍ نقاطٍ (...) ^(١٥).

١- الحذف غير المُخبر به: وورد في القصّة بقلّة، وبمقصديتين، الأولى إرادة الاختصار بحذف اسم (م/١) وذات (الجمال الأخاذ)، غرفة (التفتيش الحساس) و(م/٥) وزميله (الثالث) أو فعل (م/٦) وبدأت (مفاصلها...) وبدأت (عيونها...)، أو جملة (م/١ تعالي يا هيفاء) وتعالي يا (ظمياء) وتعالي يا (شهباء) و(م/٢) وعرضت انتصاراً وحمّة خضراء)، أمّا الثانية فكانت بقصد التّكثيف الزمنيّ وتسريعه ليؤهل المتلقي إلى الخاتمة الكارثية ذات التأويلات المتعددة أو الاحتياطية^(١٦) (م/٨) وفي الساعة (...) إذ حُذِفَتْ أربع مرات.

٢- الحذف المُخبر به: إذ زخرت القصّة به، والرأي أنّ ما ذُكِرَ من وقائع وأسباب ونتائج ما هي إلّا قطرة في بحر أو ومضة ضوء في لُجّة ظلام، (م/١) (بجواز مزور...)، إشارة إلى أكاذيب لاحقة، وجراتها في تجاوز الضوابط التي تتّم عن إصرارٍ داخلي في ذاتها على الهجرة، ويُعزّز الأمر أنّها حين وصلت إلى كندا (لَمْ ترفع رأسها إلى السماء لترى سرب البط البري الذي سبقها إلى الغابات المحيطة بمدينة فكتوريا ذات الطقس المعتدل، والجمال الأخاذ، ولكنها أحنت رأسها إلى الأرض لتحمل حقيبتها من أرض المطار إلى كتفها...) فضلاً عن تجاهلها تلك النبوءة، سبق سرب البط البري لها/عالم المثال الموهوم الذي سيكون دافعاً إلى انحناءاتها، (ويوم السبت يجب أن يأتي وهي خارج هذا الميناء...)، متطلبات سعيها إلى الاغتراب، (تعالي يا صالح تعال.. تعالي يا فالح تعال.. ويا سامح تعال.. تعالي يا هيفاء وظمياء وشهباء...) أنّ المهاجرين كُثِرَ وليس الأسماء حصراً لهم، (غرفة الضوء البهية...)، انشغال ذاتي عن عالم تأمله وتأمّله.

وفي (م/٢) كرّرت هذه الإشارات بقولها (أقبية المُخابراتِ الجهنمية..) و(وتحوّل إلى اللون الأسود..) و(إذا كُنْتُ أَكْذَبُ...)، وفي مُجملها دلالةُ الإدعاء والكذب، التي ما لَبِثَتْ أَنْ تَحَقَّقَتْ (عندما بدأ نظراً انتصار يُضَعِّفُ شيئاً فشيئاً بدلاً مِنْ أَنْ يَنْمُو إظفرها مِنْ جَدِيدٍ فِي جَنَاتِ البطل..) (م/٣)، وهي تهشيمٌ آخِرٌ لِمَا كَانَتْ تُمْنِي نَفْسُهَا بِهِ، فَالعَالَمُ الفِكْرِيُّ الرَّحْبُ أَخَذَ بِالضِّيقِ وَاقِعاً، لَكُونِ الْوَقْتِ يُقْضَى جُلُوساً، وَالكَرْشُ يَتَهَدَّلُ لِيُصْبِحَ (مُتَحَرِّكاً بَيْنَ رِجْلِهِ الْمَقْطُوعَةِ وَرِجْلِهِ الْمُحْتَرَمَةِ..) (م/٤)، وَالسَّوَالُ الَّذِي يُوجِّهُ إِلَى الْمَهَاجِرِينَ ذُو إِجَابَةٍ يَتِمَّةٍ هِيَ الْآخَرَى (فَيَقُولُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ..)، فَكَأَنَّ الْأَمْرَ ضَغْطَ نَفْسِيٍّ وَلَيْسَ انْتِهَاكاً حَقِيقِيّاً، (هَلْ كُنْتُمْ فِي خَطَرٍ؟... لا.. كُنَّا فِي الْبَحْرَيْنِ)، إِذْ الْإِجَابَةُ مَزْدُوجَةٌ، تَنْغِيْمٌ مَزْحَةٌ (قَطَرُ/ الْبَحْرَيْنِ)، وَأَنَّ الْخَطَرَ الْحَقِيقِيَّ فِي مَا تَمُورُ النَّفْسُ بِهِ، رُبَّمَا مِنْ جَرَاءِ مَا تَسْمَعُ وَتَرَى.

وَيَبَيِّنُ (م/٥) أَنَّ مَا يُقَدَّمُ مِنْ مِلَذَاتٍ حَيَاتِيَّةٍ فِي (مَطَاعِمِ الْكِي إِف سي..) هِيَ لَا شَيْءَ أَمَامَ قَتْلِ (بِكَاتِمِ صَوْتِ..) أَوْ خُطْفِ وَاخْتِفَاءِ (بِلَا أَثَرِ..) أَوْ اعْتِقَالِ (بِتَهْمَةِ التَّأْمِرِ عَلَى النِّظَامِ الْجَدِيدِ..)، وَالْمُتَحَدِّثُ بِهَا (الطَّبِيبُ/ الْمَتْرَجِمُ) يَتَأَسَّى مَا سَحَا عَنْ نِظَارَتِهِ (الْغُبَارُ..)، غُبَارَ الذِّكْرِيَّاتِ الْمُؤَلِّمَةِ، أَوْ (الْبَخَارِ..)، أَجْوَاءُ كُنْدَا الْمُضْبِيبَةِ، أَوْ (الدَّمُوعِ..)، لِكُلِيهِمَا وَمَا آلَتْ إِلَيْهِ النَّفُوسُ.

(عَلَى كُلِّ..) (م/٦) فَالْحَدِيثُ يَطُولُ، لِأَنَّ الْأَسَى لَيْسَ فِي الْوَطَنِ وَحَسْبُ، بَلْ فِي (هَذَا الْمَكَانِ الْجَمِيلِ..)/ كُنْدَا أَوْ مَا شَابَهُهُ أَيْضاً، وَنَبِوءَةُ الْعَمَى تَتَحَقَّقُ تَدْرِيجِيّاً، إِذَّ الْعَيُونُ (تَضَعُفُ بِشَكْلِ كَبِيرِ..)، وَتُحَوَّلُ الرُّؤْيَا (إِلَى غَمَامَةٍ..)، لِتَجْدَ (اِنتِصَارَ) الدُّنْيَا الَّتِي سَعَتْ حَيْثُهَا إِلَيْهَا (قَدْ اخْتَفَتْ..)، أَمَامَ هَذَا الْاِخْتِفَاءِ تَنْهَضُ بِالْمَنَادَاةِ، مِنْ هَذَا الْمَكَانِ الَّذِي كَانَتْ تُنَادِي إِلَيْهِ، لِكُلِّ مَنْ حَوْلَهَا (لَا أَرَى شَيْئاً.... هَلِ الْمَوْبَايِلُ مَعَكُمْ؟.. اطْلُبْ لِي مُنْتَصِرَ الْمَتْرَجِمِ..).

وَتَتَسَارَعُ الْأَحْدَاثُ (م/٧)، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا سِوَى (نِقَالَةٍ مَرِيحَةٍ لِلْغَايَةِ..)، وَكَأَنَّ فِيهَا إِشَارَةً إِلَى الرَّاحَةِ الْأَبَدِيَّةِ الَّتِي أَرَادَهَا الْمُغْتَرِبُونَ فِي قَوْلِهِمْ أَنْفَاءً، جَزْءٌ مِنْهَا (الرَّقَائِقُ الْمَهْرُوسَةُ بِالْحَلِيبِ..)، إِرَادَةً بَيَانِ تَخْلِيهِمْ عَنْ تَقَالِيدِهِمُ الْغِذَائِيَّةِ، لِتُغَادَرَ هَذَا الْمَكَانَ وَقَدْ (نَسِيَتْ) النَّافِذَةَ الَّتِي تَطُلُّ عَلَى الْمَتْنَزَةِ الْعَامِ مُفْتُوحَةٍ..، هَذِهِ النَّافِذَةُ مُغْلَقَةٌ أَبَدًا، وَمَا فَتَحَتْ إِلَّا لِهَا لِكِهِمْ.

إِنَّ مَا وَرَدَ مِنْ حَذُوفَاتٍ فِي (م/٨) تَكْثِيفُ زَمْنِيٍّ يَدُلُّ عَلَى انْسِرَابِ الْأُمُورِ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ، وَلَا حَوْلَ لَهُمْ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا قَوْلُ (.. خَطِيئَةُ مَنْصُورِ..) تَأْسٍ عَلَى مُصِيرِهِ، إِذْ غَطَّاهُ

الثج، ساقطاً من دون عون الآخرين / الغربية، من أجل نافذة مُطلّة على مقبرة كلاب، وهي بعد ذاتها قابلة لتأويلات عدّة.

ج- التكرار والتضام: وهما مظهران من مظاهر الانسجام المعجمي في داخل النص، والأول منهما ينماز بإعادة عنصر معجمي أو مرادف له أو شبه مرادف، أو عنصر مطلق أو اسم عام، أمّا الثاني فقائم على زوج من الكلمات فعلاً أو قوةً بعلاقات يحددها السياق كالتعارض أو الكلّ/الجزء أو الجزء/الجزء أو عناصر تنتمي إلى قسم ما عام، وقد يتجاوز القارئ هذه العلاقات بخلفه أخرى تنسجم مع سياق ورودها، فالمسألة ليست مقياساً صارماً محدداً^(١٧).

ورد النوعان في القصة، إذ كرّرت القاصّة (في فصل الخريف) (م/٢، ٤)، ضمن موقفين: أحدهما تساقط الذات عند عرضها مشاهد من جسدها، ادّعاءً وكذباً من أجل استبدال الوطن، والآخر عند حصولها على جواز كنديّ بعد عشر سنوات يؤشر تنازلها عن مواطنتها، وفي كلا الأمرين بدايةً لنهاية ترتقبها. وكرّرت النافذة (م/٤، ٦، ٧) في سياقين (مغلقة) إرادة قصور النظر، وضيق الحال، و(مفتوحة) لتعني أن رحلتهم التي نفذوا إليها مألهم الأخير.

أمّا التضام فأجد فيه علاقة الجزء بالكلّ، لكون الإشارات المدرجة وصفاً تنتمي إلى علاقة (الظلمة)، وهي إشارة إلى مسلك تحفه الأزمات وليس خلاصاً منها، (م/١ - اللون الأسود، العمى)، (م/٤ - اللون القاتم)، (م/٦ - ذبابة سوداء، الدنيا اختفت)، (م/٧ - الدرج المظلم، الحقيبة الرمادية)، و(م/٨ - مساء)، انتهى كل شيء.

Jaramana Paradise To Ducks Paradise

Assistant Prof. Dr. Israa Amer Shamsulddin

University of Baghdad - College of Arts Arabic Language Dept

Abstract

From (*Jaramana Paradise To Ducks Paradise*) Story talked about the phenomenon of Iraqies migration and their suffering. The story from the until the describes the idealistic world which destroyed on realistic world by the appearance of harmony or coherence, in the axes, the link between sentences, substitution, elimination, repetition and collocation.

الهوامش والمصادر

- (١) (مِنْ جَنَاتٍ جِرْمَانَةٍ إِلَى جَنَاتٍ الْبِطِ)، للقاصّة والروائيّة العراقيّة ميسلون هادي، جريدة الزمان الدوليّة، ع (٤٢٨٨)، بتاريخ ٢٨/٨/٢٠١٢م، ٩.
- (٢) يُنظر: ظاهرة مغادرة الوطن قصصياً.. قراءة نقدية لقصة (من جنات جرمانة إلى جنات البيط) للمبدعة ميسلون هادي، لشكيب كاظم، مجلة الصوت الآخر، العراق - أربيل، ع ٤٣٥، السنة ٢٠١٣م.
- (٣) يُنظر: لسانيات الخطاب.. مباحث في التأسيس والإجراء، أ. د. نعمان بوقرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٢م، ٥٧.
- (٤) لسانيات النصّ.. مدخل إلى انسجام الخطاب، لمحمّد خطّابي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط٢، ٢٠١٢م، ٦٠.
- (٥) يُنظر: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، د. محمود عكاشة، دار النشر للجامعات، القاهرة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ٦٨.
- (٦) يُنظر: المصدر نفسه، ٧٤.
- (٧) يُنظر: أبنية الأفعال.. دراسة لغوية قرآنية، د. نجاة عبد العظيم الكوفي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ٥٩.
- (٨) يُنظر: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، ٧٤.
- (٩) نظام الربط في النصّ العربي، د. جمعة عوض الخبّاص، دار كنوز المعرفة العلمية، عمّان، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م، ٢٠. والقصد من (بدون واسطة لفظية) الترابط المعنوي.
- (١٠) يُنظر: المنطق في اللسانيات، ل. (ينس ألوود ولارس أندرسون وأوستن دال)، ترجمة: عبد المجيد جحفة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠١٣م، ٤٨.
- (١١) يُنظر: لسانيات النصّ.. مدخل إلى انسجام الخطاب، ٢٤.
- (١٢) يُنظر: المصدر نفسه، ١٧، ولسانيات الخطاب.. مباحث في التأسيس والإجراء، ٤٥-٤٦.
- * رُمِزَت للمقطع بـ (م)، إشارة إلى فقرات القصة وعددها ثمان فقرات.
- (١٣) يُنظر: لسانيات النصّ.. مدخل إلى انسجام الخطاب، ١٩، ٢١، ولسانيات الخطاب.. مباحث في التأسيس والإجراء، ٤٨-٤٩.
- (١٤) يُنظر: المصدران السابقان، ٢١-٢٢، ٤٤-٤٥.
- (١٥) يُنظر: لسانيات النصّ.. نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، د. أحمد مداس، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط٢، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٩م، ٢٥٢-٢٥٦.
- (١٦) ما تخفيه القراءة.. دراسات في الرواية والقصة القصيرة، لياسين النصير، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ٤٦٥.
- (١٧) يُنظر: لسانيات النصّ.. مدخل إلى انسجام الخطاب، ٢٤-٢٥، ولسانيات الخطاب.. مباحث في التأسيس والإجراء، ٣٩-٤٠.

رؤية مستقبلية مقترحة لتطوير البحث العلمي في الجامعات العربية الجامعات الفلسطينية نموذجاً

د. يسرى محمد حنفي المقادمة



future vision for the development of scientific research in The Arab Universities Universities in Palestine as a Model

Dr. Yosra. M. Hanafi El mqadma

Abstract

This study tried focus on the importance of scientific research; as one of the most important functions of the university, and an indicator of technological progress by drawing a future vision for the development of scientific research in universities in Palestine like Arab Universities, like the universities of the developed countries, in the hope of achieving scientific progress and technological development, and overall development era of the scientific and technological progress are constantly moving, what is new and modern now become a new past for the present quickly and permanently, there is no definitive scientific knowledge. We can't take advantage of scientific research if it remains scattered; therefore has to be the vision and the plan in general and specialized research centers run by universities and institutions of higher education and scientific research, and is working on linking basic research and applied development projects and the production sector, the study revealed some of the negatives in the performance of the Palestinian universities, which prevented the achievement of objectives in the development of scientific research, the study pointed out the foundations and the stages and objectives and perspectives building proposed vision, and some obstacles that can be encountered, and ways to overcome them.

• دكتورة في فلسفة التربية، جامعة القاهرة، غزة/ فلسطين.
Yosramqa@gmail.cpm - timaa66@hotmail.com

الرؤية المقترحة

«جامعات فلسطين مراكز علمية جذابة للبحث العلمي، وورش عمل دائمة لمعالجة مشكلات المجتمع الفلسطيني وتطوير حلول للأزمات الحالية والمستقبلية، بما يتواءم مع تحقيق التنمية المستدامة».

تقديم

بات جلياً أن مسؤولية تطوير البحث العلمي هي مسؤولية الجامعات، فهي الصانعة للتغيير والتطوير، لذا على الجامعات في الوطن العربي وفي فلسطين تبني عملية تطوير البحث العلمي، لأن الحاجة له حيوية، ونظراً لأهميته لكل بني البشر على مر العصور، ولضرورته لسد الفجوة بين ما هو كائن وما يجب أن يكون، وإحداث نقلة نوعية في البحث العلمي من بحث فردي تقليدي متواضع، ونادر الحدوث وذا مستوى جودة منخفض إلى بحث علمي عصري يرتقي بالشعوب العربية إلى المستوى العالمي من حيث استغلال وتوظيف التكنولوجيا وإمداده بموارد بشرية وقيادات بحثية، وقد أولت كثير من الدول المتقدمة هذا الموضوع اهتماماً خاصاً من أجل تحقيق التقدم العلمي والتطور التكنولوجي، والتنمية الشاملة، ولكن هناك بعض السلبيات في الجامعات العربية حالت دون تحقيق أهدافها في تطوير البحث العلمي مثل: عزوف الطلاب عن البحث العلمي، وقلة الاهتمام بالبحث العلمي من قبل إدارة الجامعة، وقلة عدد المراكز البحثية أو انعدامها حيث بلغ عدد المراكز البحثية التابعة للجامعة في الوطن العربي حوالي عشرون مركزاً بحثياً في أحسن أحوالها، بينما بلغ عدد مراكز البحث العلمي التابعة لإحدى الجامعات الإسرائيلية أكثر من ٤٠٠ مركز بحثي، ومثلها أو أكثر في جامعات الدول المتقدمة.

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة إلى رسم رؤية مستقبلية لتطوير البحث العلمي في الجامعات العربية، جامعات فلسطين نموذجاً.

إشكالية الدراسة: تبرز إشكالية الدراسة في التعرف على أسس بناء الرؤية المقترحة، والمنطلقات النظرية والعملية اللازمة لبناء الرؤية، ومقومات نجاحها، والمعوقات التي يمكن أن تواجهها

منهج الدراسة: ستستخدم الدراسة المنهج الوصفي، والمنهج الاستشراقي.

البحث العلمي في الجامعات الفلسطينية، كنموذج عن الجامعات العربية

- لم تعط الجامعة الفلسطينية، كباقي الجامعات العربية، الاهتمام المناسب للبحث العلمي، فهي تهتم أكثر بتخريج عدد أكبر من الطلاب تضخمهم في المجتمع وليس بترقية وتخريج علماء فعالين للحاضر والمستقبل.
- لا يوجد علاقة جيدة تربط بين الجامعات ومراكز البحث وصناع القرار في مناطق السلطة الوطنية في فلسطين.
- تعاني مسيرة البحث العلمي في الجامعات الفلسطينية من ضعف التمويل، وعدم توفر قاعدة بيانات، وبنوك معلومات يستفيد منها المهتمين بالبحث العلمي. وعدم تقدير الجهود البحثية كما يجب.
- التعاون والشاركة بين الباحثين من أعضاء هيئة التدريس في الجامعات الفلسطينية، ونظرائهم خارج فلسطين حالات فردية، وليست منظمة، ولا ترعاها مؤسسات ومراكز بحث علمي.

الرؤية المقترحة

أولاً- أسس الرؤية المقترحة: تقوم الرؤية على أسس من أهمها:

- توفير مجموعة من برامج البحث العلمي لكي تتناسب مع الظروف التي تعيشها فلسطين، وتواكب المستجدات العالمية في هذا المجال. وتوفير مصادر متنوعة ومتجددة لتمويل ودعم البحث العلمي.
- تعديل نظم اختيار الباحثين وأعضاء هيئة التدريس بمقاييس تقيس قدراتهم البحثية، كي يتناسب العاملون في مجال البحث العلمي مع تطلعات العصر الحديث ومستجداته.
- وجود برامج مستمرة لتنمية مهارات وقدرات الباحثين طبقاً للمستوى العالمي.
- توفير مراكز بحث علمي، ومؤسسات وهيئات وأكاديميات ومعاهد بحث علمي متخصصة، كل في مجاله تابعة للجامعات أو مستقلة مع استمرار عملية تقويم الأداء البحثي في ضوء معايير فعالة ومحددة.
- توفير هيكل تنظيمي يتم على أساسه التنسيق والتفاعل بين كافة مراكز ومؤسسات البحث العلمي في الجامعات الفلسطينية وخارجها.

ثانياً- منطلقات الرؤية المقترحة : يعتمد بناء الرؤية المقترحة على عدة منطلقات وهي:

أ- المنطلقات النظرية: مثل:

- ١- التوسع في إنشاء مراكز بحث علمي، وتوفير بنية تحتية من شأنها الارتقاء بمستوى البحث العلمي، ومواكبة التغيرات والتحديات المعاصرة، والاهتمام براحة الباحثين وحريتهم.
- ٢- تشجيع مؤسسات المجتمع المدني والشركات والمصانع على تمويل مراكز بحثية تابعة للجامعات وتبني تنفيذ وتطبيق نتائج البحث العلمي، وإنتاج المعرفة المحفزة، والمساهمة في عملية التنمية.
- ٣- الاهتمام بضرورة تبني وتطبيق نتائج البحث العلمي لما يحققه من تنمية، فبدون تطبيق نتائج البحث العلمي تبقى معدلات التنمية متدنية.
- ٤- تزايد أهمية البحث العلمي في إحداث التطور العلمي والتكنولوجي وكافة مجالات حياة الإنسان.
- ٥- اعتماد البحث العلمي على نظم معلومات حديثة وأرشفتها إلكترونياً
- ٦- وجود العديد من التحديات التي يشهدها العالم المعاصر، والتي فرضت على الجامعات الاهتمام بالبحث العلمي.
- ٧- الربط بين مراكز ووحدات البحث العلمي في الجامعات وبين مؤسسات المجتمع، وقطاعات المعرفة والإنتاج

ب- المنطلقات العملية، مثل:

- ١- السياسات والتشريعات على المستوى المحلي، وهذه تحدد أهداف البحث العلمي.
- ٢- الرؤية المستقبلية للتعليم الجامعي الفلسطيني والبحث العلمي، وهذه الرؤية تُشتق من رؤية وفلسفة المجتمع.
- ٣- نتائج الدراسات والأبحاث والمؤتمرات والندوات المحلية والدولية والإقليمية.

ثالثاً- أهداف الرؤية المقترحة : تسعى إلى تحقيق مجموعة من الأهداف أهمها:

- وضع أهداف واضحة ومحددة للبحث العلمي باعتباره أحد الوظائف المهمة للجامعة والتي تتوافق مع سياسة وطنية للبحث العلمي والتطوير.
- معالجة أوجه القصور في البحث العلمي في الجامعات الفلسطينية.

- المساهمة في إعادة هيكلة مجالس أو مؤسسات البحث العلمي في كليات جامعات فلسطين.
- المساهمة في تحقيق هدف وزارة التعليم العالي الفلسطينية من البحث العلمي.
- المساهمة في إنشاء بنية تحتية قوية لمشاريع البحث العلمي، ووضع خطط تمويل البحث العلمي في الجامعات.
- تقديم الدعم اللازم لتنفيذ خطط وزارة التعليم العالي في تنمية البحث العلمي.
- زيادة وعي الطلاب وأعضاء هيئة التدريس والأكاديميين بأهمية البحث العلمي في دفع عجلة التقدم.
- تطوير قيادات بحثية، وتفعيل المجموعات البحثية وفرق البحث.
- ربط مشروعات التخرج ذات القيمة العالية ومشروعات الماجستير والدكتوراة بقطاع الأعمال.

رابعاً- مقومات نجاح الرؤية المقترحة : من المتوقع أن تعمل هذه الرؤية المقترحة

على حث الجهات المعنية، وصناع القرار على صياغة فلسفة للبحث العلمي، ووضع الأهداف البعيدة المدى والمتوسطة، ولذا اقتضى التركيز على المقومات التالية:

- تنسيق وتنظيم أهداف البحث العلمي مع أهداف الجامعات والتعليم العالي في فلسطين، والأهداف التنموية في الوطن.
- تحقيق الترابط والانسجام بين مخرجات البحث العلمي ومتطلبات المجتمع الفلسطيني، وليس البحث لمجرد الترف العلمي، أو التباهي بأن لدينا بحثاً علمياً.
- ربط المراكز البحثية لكل جامعة بشبكة حاسوب للإفادة من نتائج الأبحاث وعدم التكرار والتكامل والتكافل بينها.
- الاهتمام بعلم إدارة البحث العلمي والتدريب عليها، وتنمية الوسائل التي تحقق التنسيق والتكامل بين البحوث الجارية في الجهات البحثية المتعددة، وتأكيد أسلوب الفريق البحثي المتكامل، وإذكاء روح التنافس بين الفرق البحثية المختلفة وبين أفراد الفريق الواحد.

- إقامة مؤتمرات وندوات وتجديد الإعلام لمناقشة القضايا التي تحتاج لبحث علمي، ولإثارة دافعية الباحثين والمبدعين للاهتمام بالبحث العلمي هذا من ناحية، وتشجيع الطرف الآخر على تطبيق نتائج البحوث. من ناحية أخرى.

- تعزيز التعاون بين مراكز البحث العلمي في فلسطين ومراكز خارجية تتوفر لها إمكانيات أكثر تقدمًا، أو أجهزة لا يسمح الاحتلال بدخولها لمناطق السلطة الفلسطينية.

- تعاون الصناعة مع الجامعات، حيث تعمل الصناعة على تقديم موضوعات مستمدة من الواقع، وتفتح آفاقًا للبحث العلمي الواقعي، بحيث يساعد البحث العلمي على تطوير خطط التعليم الجامعي وخصوصًا الدراسات العليا وفق احتياجات المجتمع، وتوظيف الإمكانيات العلمية البشرية التوظيف الصحيح، وبالتالي زيادة الثقة بين الطرفين.

خامسًا- مراحل بناء الرؤية المقترحة: انطلاقًا من رسالة التعليم الجامعي والبحث العلمي وأهدافه تُوضع مجموعة من الإجراءات المقترحة التي تهدف إلى تحقيق أهداف التعليم الجامعي والبحث العلمي والارتقاء بمستوى البحث العلمي، وتطوير آلياته، وهذه الإجراءات يمكن تصنيفها إلى:

أ- مرحلة الإعداد والتخطيط والدعم:

وتهدف إلى توفير وتجهيز الإمكانيات المادية والبشرية وإعداد الخطط اللازمة لتطوير البحث العلمي ونشر الوعي والدعم على مستوى الكليات والأقسام بعملية تطوير البحث العلمي وصياغة رؤية مستقبلية مشتركة وهذا يشمل:

- تشكيل لجنة عليا لقيادة مشروع خطة قومية لتطوير البحث العلمي، تتولى هذه اللجنة تطبيق الخطة من حيث الإعداد والتنفيذ والإشراف والمتابعة، والتعريف برسالة البحث العلمي، ورسم السياسات العامة المرتبطة برسالة البحث العلمي والتي تحدد دوره وأهميته.

- تهيئة الموارد المادية والبشرية والجهود والمختبرات المناسبة لتنفيذ البحوث العلمية، والمكتبات المتخصصة، وشبكة إلكترونية لربط الجامعات والمراكز البحثية ببعضها.

- سن اللوائح والأنظمة والقوانين التي تُشرع وتدعم التعليم الجامعي والبحث العلمي، وتأمين جميع لوازم إجراء البحوث ومقوماتها، ودعم المنتجات الوطنية ونتائج الأبحاث.

- إعداد ميزانية للبحث العلمي تؤمنها السلطة الوطنية ووزارة التعليم العالي، والقطاع الخاص، والتبرعات والهيئات، وغيرها من مصادر التمويل، وتوجيه حركة التبرعات والهبات لدعم البحث العلمي في جامعات فلسطين.

- متابعة عمليات التنفيذ والتي تمثل جوهر الرؤية المقترحة، وذلك لضمان تحقيق الأهداف عملياً.
- متابعة وقياس النتائج (المخرجات) ومطابقة النتائج الفعلية بالنتائج المستهدفة، وتحديد مدى فعالية مراكز البحث العلمي، وكتابة تقرير ختامي واستخلاص التوصيات.
- العمل على تأسيس قاعدة نظرية ممنهجة لإدارة مشروعات البحوث وفتح البحث، يقوم على أساس أن المعرفة تساهم في تطوير الفكر الإنساني فلسطينياً وعالمياً، والإشراف على فرق ومجموعات بحثية مثل:

١- فريق التخطيط: تكون مهماته:

- إعداد خطط زمنية للبحث العلمي سنوية أو خمسية أو لمدة عشر سنوات أو أكثر، بالاطلاع على تجارب جامعات ناجحة في مجال البحث العلمي، وإعداد خطط تنفيذية بالاطلاع على الأدبيات ومستجدات العصر الحديث.
- الإشراف على تنفيذ الخطط حسب مدها الزمنية، وتوفير الموارد البشرية، والمادية.
- التنسيق بين الجامعات ومراكزها البحثية داخل فلسطين، ومع جامعات ومراكز خارجية.

٢- فريق التدريب: ومن مهماته:

- وضع خطط سنوية للتدريب لكل المستويات الأكاديمية والإدارية.
- تحديد الاحتياجات التدريبية، حول آلية تنفيذ وتطبيق البحث العلمي، وترجمة هذه الاحتياجات إلى برامج تدريبية.
- إعداد مادة علمية للتدريب، وأدلة تدريبية، وقاعدة بيانات تدريبية.
- تنفيذ ورش عمل وندوات ومؤتمرات بالتنسيق مع مؤسسات المجتمع المدني، والمهتمين بالبحث العلمي.
- المشاركة في مؤتمرات دولية للبحث العلمي.
- إنشاء منتديات علمية متخصصة، تُعقد بصفة دورية وعن طريق هذه المنتديات يمكن اكتشاف الطاقات الشابة، والقدرات الجديدة، وتعمل هذه المنتديات أيضاً على تسهيل تعاون أعضاء الفرق البحثية.
- إرسال بعثات من الباحثين لإجراء بحوث في مختبرات ومعامل خارجية إن لم تستطع جامعات فلسطين توفير الأجهزة والمعدات اللازمة.

٣- فريق الإعلام والتوعية: ومن مهماته:

- تزويد الباحثين بالمعارف والمعلومات الضرورية لبناء شخصيته العلمية المُدرَكة لأهمية التطور العلمي والتقدم التكنولوجي، وتوثيق تلك المعارف وأرشفتها.
- إصدار النشرات والمجلات والدوريات، والصفحات الإلكترونية، وغيرها من الوسائل التكنولوجية.

ب- مرحلة تشخيص الواقع: تهدف هذه المرحلة إلى قياس مدى استعداد الجامعة لتطوير البحث العلمي فيها، وتحديد جوانب القوة والضعف ومصادر التهديد، والفرص المتاحة، وستقوم الباحثة بالاستعانة بمصفوفة SWOT^(١) لتحليل وتشخيص واقع البحث العلمي في جامعات فلسطين، وتحديد اتجاهات الرؤية المقترحة من خلالها، وهي على النحو التالي:

١- نقاط القوة: Strengths

- هجرة وتشريد الشعب الفلسطيني إلى مختلف بلدان العالم أدى إلى زيادة خبرات الشباب المتعلم في مجال البحث العلمي، وعند اجتذابهم وعودتهم إلى فلسطين تأتي خبراتهم معهم، وبذلك تتعدد وتنوع الخبرات.
- القدرات والاستعدادات الكامنة لدى أعضاء هيئة التدريس في جامعات فلسطين وكذلك الطلاب المبدعين، حيث هناك اجتهادات وقصص نجاح لطلاب متفوقين في جامعات فلسطين، ولكن بشكل فردي.^(٢)
- الشهادات والكفاءات العلمية، حيث تعتبر فلسطين من أعلى نسب الحصول على الشهادات العلمية الجامعية مقارنةً بالدول العربية.
- نمط الحياة الصعبة جدًا تحت الاحتلال والقصف المتواصل والحصار والقهر وشح المصادر، يمكن أن يكون له أثر إيجابي وخلق نوع من الدافعية، ويفجر الطاقات الكامنة لتحدي تلك الظروف والتغلب أو التصدي لها بالعلم والبحث.

(1) Lawrence G Fine: The SWOT analysis, using your strength to over come weaknesses, using opportunities to overcome threats, oct, 2009.

(٢) محمد جميل دويكات: أوقاف الجامعات الغربية، حالة دراسية بعنوان دور الجامعات الفلسطينية في العمل الاستشاري الهندسي، مؤتمر العمل الهندسي الاستشاري الثالث في فلسطين ٢٠٠٩م، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، ص ١١.

٢- نقاط الضعف: Weaknesses وتتمثل فيما يلي:

- عدم وجود هيئة مركزية للبحث العلمي تقوم بوضع خطة مركزية شاملة للبحث العلمي.
- نقص التمويل، حيث يعاني البحث العلمي في جامعات فلسطين من نقص حاد في التمويل، سواء المخصصة من الوزارة أو من ميزانية الجامعة أو من التبرعات.
- غياب التخطيط، حيث لا يوجد خطة قومية للبحث العلمي في فلسطين تلتزم بها الجامعات، وتسعى لتنفيذها.
- الفجوة بين النظرية والتطبيق في مجال البحث العلمي، حيث يسعى المعنيون بالأمر بالمناداة بالاهتمام بالبحث العلمي سنوياً في افتتاح العام الدراسي الجديد، ولكن لا يوجد تطبيق وتبقى في عداد الأماني.
- لا يوجد استمرارية في التوريدات للمواد اللازمة بسبب منع الاحتلال لدخول المواد الخام اللازمة للبحث العلمي، والحصار المُشدّد على كافة المعابر والحدود، وكذلك عمليات الهدم المستمرة (القصف بالطائرات) لمختبرات ومعامل الجامعات مثل ما حدث ويحدث للجامعة الإسلامية بغزة.
- الأنظمة واللوائح في وزارة التعليم العالي والجامعات فيما يتعلق بالبحث العلمي غير عملية، ولا تشجع البحث ولا تدعمه كما يجب.
- ثقافة البحث العلمي غير موجودة في المجتمع الفلسطيني، حيث لا ينظر المجتمع الفلسطيني للباحث أنه ذو مكانة علمية عالية، وأهم عنصر بشري يساهم في تقدم وتطور البلد.
- عزوف شركات الإنتاج والمصانع عن التعاون مع الجامعات واستخدام البحوث الصادرة عنها في تطوير منتجاتها.

٣- الفرص: Opportunities

- مثل تطور التكنولوجيا وسهولة استخدام وسائل الاتصالات الحديثة يتيح فرصة للجامعات والباحثين والطلاب الاطلاع على نماذج ناجحة ومحاكاتها.

٤- التهديدات: Threats وتتمثل فيما يلي:

- التأثيرات السياسية، وغياب الرؤية الاستراتيجية لدى صناع القرار، وطفغان الحزبية السياسية على القرارات الإدارية سواء في الجامعات أو خارجها.
- العروض المغرية في الخارج تساعد على هجرة المبدعين (هجرة الأدمغة).

ج- مرحلة التطوير: انطلاقاً من دراسة واقع البحث العلمي، وما أفرزته الدراسة من جوانب ضعف اتضح أنه يجب العمل على:

- ١- نشر ثقافة البحث العلمي لدى النشء في المجتمع الفلسطيني لبناء شخصية الباحث.
- ٢- تطوير استراتيجيات لدعم البحث العلمي على كافة المستويات والكرليات الجامعية.
- ٣- تدعيم بيئة تشجع البحث والتقصي وتحفيز القدرات البحثية لأصحاب الكفاءات العلمية، ورفع معنوياتهم، واستشارتهم فيما يتعلق بتطوير المجتمع أو إدارة الدولة.
- ٤- بناء أنظمة تسعى للاستفادة من القدرات البشرية وتهيئة الظروف الملائمة للبحث والتقصي والتجربة.
- ٥- تنمية مهارة التفكير العليا لدى المتعلمين بكافة مستوياتهم، وتطوير القيادة البحثية في المراكز والمؤسسات البحثية.

د- مرحلة التقويم والمتابعة: في تقييم أي منظومة بحثية لا بد من الاعتماد على^(١):

- ١- عدد ونسبة وكفاية الباحثين من مجموع المؤهلين للقيام ببحوث من حاملي الشهادات العليا.
- ٢- نسبة الإنفاق على البحث والتجديد والتطوير وتمويله.
- ٣- العلاقة الموجودة بين منظومة التعليم الجامعي والعالي والمنظومة البحثية ونوعيتها: تواصل- تبادل- عقود تعاون- اتفاقيات شراكة.
- ٤- وجود سياسة واستراتيجية للعلم والتقانة والبحث بجميع أنواعه البحث النظري، والتطبيقي، وأبحاث التطوير والتقانة.
- ٥- مدى التكامل بين منظومة التعليم الجامعي والعالي والمنظومة البحثية من جهة، والقطاعات الإنتاجية والخدمات داخل المجتمع من جهة أخرى.
- ٦- قيمة الناتج العلمي والتقاني (نشر علمي وبراءات اختراع وجوائز علمية) للمؤسسات البحثية على اختلاف أنواعها.
- ٧- قدرة ونوعية وسائل الاتصال والتعاون بين الباحثين محلياً وإقليمياً ودولياً، وبين القطاعين العام والخاص والجامعات.
- ٨- مدى التعاون بين القطاع العام والقطاع الخاص والجامعات بخصوص البحث العلمي.
- ٩- مدى الاندماج في المجموعة العلمية والبحثية العالمية.

١٠- متوسط عدد المشروعات المدعومة محلياً وعالمياً، ونسبة مساهمة القطاع الخاص في دعم البحث العلمي.

بناءً على ذلك توصلت الدراسة إلى:

- قصور خطط الجامعات في عمليات المتابعة والتقييم لخطط البحث العلمي التي تضعها الجامعة في بداية كل عام
- الباحثون المفرغون عددهم قليل جداً، قياساً بعدد الكوادر العاملة في الجامعات الفلسطينية.
- قصور المقررات الدراسية الجامعية في تدريس قيم البحث وأنماط التفكير الاستباقي، أو قصور طريقة تنفيذها من قبل الأكاديميين عن تنمية قيمة البحث العلمي.
- افتقار خطط الجامعة لتقويم برامج تطوير الأكاديميين من أعضاء هيئة التدريس والبحث العلمي في الجامعات.
- لا يوجد قياس للناتج العلمي والتقني، لأنه لا يوجد براءات اختراع حسب تقرير اليونسكو.
- البنية التحتية لمراكز البحث العلمي على قلتها لا تخضع لعمليات التقويم والصيانة المستمرة.
- التعاون بين القطاع العام والخاص والجامعات في مجال البحث العلمي ضعيف ولا يكاد يُذكر.

سادساً: الرؤية المقترحة وآليات تنفيذها: يستند بناء الرؤية المقترحة على:

- أ- الاتجاهات العالمية المعاصرة منها: العولمة- ثورة المعلومات - التغيرات التكنولوجية - اقتصاد المعرفة، وغيرها من متغيرات العصر.
- ب- المجتمع الفلسطيني، ومتطلباته منها: الحاجة إلى التكنولوجيا - الاهتمام بالتنمية البشرية - تنمية الاستعداد التكنولوجي لدى النشء.
- ج- خصائص الجامعات الفلسطينية مثل: المستوى البحثي - التشوق للبحث والاستقصاء والمعرفة.

ومن هنا كانت الرؤية المقترحة للبحث العلمي في جامعات فلسطين هي:

«جامعات فلسطين مراكز علمية جذابة للبحث العلمي، وورش عمل دائمة لمعالجة مشكلات المجتمع الفلسطيني، وتطوير حلول للأزمات الحالية والمستقبلية، بما يتواءم مع تحقيق التنمية المستدامة».

محاور الرؤية: يمكن بناء تلك الرؤية المقترحة لتطوير البحث العلمي في جامعات فلسطين في مناطق السلطة الفلسطينية من خلال المحاور التالية:

- المحور الأول: من حيث الأهداف.
- المحور الثاني: نظام التفريغ العلمي.
- المحور الثالث: من حيث هيئة التدريس.
- المحور الرابع: من تطور وتوسع التعليم الجامعي.
- المحور الخامس: نظام التعيين والترقيات.
- المحور السادس: النشر العلمي.
- المحور السابع: الإدارة.
- المحور الثامن: التمويل.
- المحور التاسع: من حيث تسويق البحث العلمي.
- المحور العاشر: من حيث دور البحث العلمي في خدمة المجتمع.
- المحور الحادي عشر: المؤسسات الواجب توفرها لتنفيذ الرؤية المقترحة.

المحور الأول: من حيث الأهداف، تتحدد أهداف الرؤية المقترحة بما يلي:

- تحديد أهداف واقعية واضحة محددة للبحث العلمي تتناسب مع متطلبات الشعب الفلسطيني ومتغيرات العصر.
- وضع هيكل تنظيمي لمراكز ومؤسسات بحثية جامعية بأقسامها وأفرعها ومهامها وواجباتها، لكل مركز قاعدة علمية، ومعلوماتية، وتضم تلك المراكز باحثين متمرسين، وبها فرق بحثية مُتمرسَة
- تحديد آليات عمل مراكز البحث الجامعية وربطها بقطاعات الإنتاج، والقطاع الخاص، وكافة المجالات الحيوية.
- تحديد مقومات البنية التحتية والموارد المادية والبشرية والمباني والتجهيزات وغيرها من الأمور الفنية واللوجستية.
- تحديد آلية تقويم الباحثين ومدى التزامهم وتعاونهم من خلال الفرق البحثية.
- وضع منهج مناسب لكل فريق بحثي ليحدد له المسار الصحيح للعمل والإنتاج البحثي.
- تحديد الأولويات البحثية، وحبذا لو وُجد مركز متخصص بتحديد الأولويات البحثية حسب دراسة حاجات المجتمع الفلسطيني، ولتجنب التكرار، ويتكون من مستشارين، ومدققين ومراجعين.

- الاهتمام بالنشر العلمي، سواءً نشر نتائج الأبحاث، وإصدار مجلات علمية محكمة دولياً بنتائج الأبحاث، وكتب، ومنشورات ودوريات تتضمن ملخصات أبحاث، وتقارير توضح أنشطة وأعمال كل مركز بحثي بشكل دوري.
 - الاهتمام بعقد مؤتمرات وندوات ودعوة علماء من الخارج لإحيائها، ومنح جوائز وإجازات علمية لتشجيع الباحثين والبحث العلمي.
 - تفعيل دور وسائل الإعلام للترويج لأهمية البحث العلمي، وأعمال الباحثين، وتعظيم دورهم، ونشر ثقافة البحث العلمي.
- المحور الثاني: نظام التفرغ العلمي:** ويشمل وضع قواعد منظمة وفعالة لإجازة التفرغ العلمي.

المحور الثالث: أعضاء هيئة التدريس بالجامعات: ويشمل:

- تحسين القدرات المهنية وتحديث وتنمية المهارات الأكاديمية لأعضاء هيئة التدريس وعمداء الكليات ووكلائهم ورؤساء الأقسام والإداريين.
- تطوير سبل قيادة الموارد البشرية ليتمكنوا من تحسين جودة مخرجات التعليم الجامعي والبحث العلمي.
- تطوير الخبرات الذاتية التي تحقق استمرار عملية التطوير.
- صيانة المكانة المهنية (الكفاية المهنية) لأساتذة الجامعات، نظراً لارتفاع نسق التغيير العلمي والتقني المعتمد على البحث العلمي، وهذا التغيير سريع بحيث أن الأساتذة الذين لا يقومون بعمل بحثي لا يستطيعون تزويد طلابهم بمحتوى تعليمي ملائم، وكذلك تتقادم معارفه في أقل من سبع سنوات بعد حصوله على درجة الدكتوراه^(٢).

المحور الرابع: من حيث تطور وتوسع التعليم الجامعي: كمثال التحديث والتغيير في المقررات الدراسية الجامعية بحيث تتضمن جميعها مناهج البحث العلمي وفلسفة البحث العلمي وطريقة التفكير العلمي والقدرة على النقد البناء والاستقراء والتخطيط وآلية حل المشكلة بأسس علمية.

(٢) تم الرجوع إلى: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة التربية، محمد بن أحمد، دور التعليم العالي العربي ومنظومة البحث والابتكار في تشييد مجتمع المعرفة، المجلة العربية للتربية، مجلد ٢٥، العدد الثاني، ديسمبر ٢٠٠٥م، ص ٨٨.

- سعيد بن حمد الربيعي، التعليم العالي في عصر المعرفة، التغيرات والتحديات وآفاق المستقبل، الأردن - عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م، ص ٥٣٥-٥٣٦.

المحور الخامس: نظام التعيين والترقيات:

- ضرورة تواجد مهنة باحث في الجامعات الفلسطينية، وأن تكون لها مواصفات عالية، وأن يكون لها كيان اجتماعي، ومعنوي، ومادي عالي.
- اعتماد مبدأ التنافس في تعيين وترقية أساتذة الجامعة حسب نشاطهم البحثي وخططهم البحثية التي ينوون تنفيذها.

المحور السادس: النشر العلمي: حيث يُعد النشر العلمي والمؤتمرات والندوات والورش والحلقات الدراسية من مؤشرات قياس كيف وكم النشاط البحثي.

المحور السابع: الإدارة: يُقترح في هذا المحور تبني مبدأ استقلال الجامعات وإعطائها الحرية الكاملة في إدارة وتصريف شؤونها الأكاديمية والبحثية والإدارية والمالية، وتفعيل دور مجالس الجامعة ومجالس البحث العلمي وعمداء الكليات ورؤساء الأقسام في عملية صنع القرارات الخاصة بتطوير البحث العلمي، وإتاحة الفرصة لممثلين عن قطاع الصناعة ومؤسسات المجتمع المدني والقطاع الخاص، وممثلين عن الباحثين وأعضاء هيئة التدريس والطلاب في الاشتراك في مجالس إدارة الجامعة ومجالس إدارة البحث العلمي.

المحور الثامن: التمويل: التأكيد على دور السلطة الوطنية في الإنفاق على البحث العلمي لكونه استثماراً هاماً في تكوين القاعدة العلمية للبحث والتكنولوجيا، والبحث عن مصادر تمويل متجددة باستمرار، وعدم تبديد الموارد المالية الموجودة واستغلالها الاستغلال الأمثل، والتوعية المجتمعية لتمويل البحث العلمي من خلال الجامعات أو من خلال الهيئات والمراكز العلمية المستقلة، مثل التوعية لإقامة وقفيات وأصول وصناديق ومحافظ استثمارية لتمويل البحث العلمي والتعليم الجامعي، مثل وقفيات الجامعة العبرية وجامعة تل أبيب والتي تزيد مساهماتها عن المليار دولار سنوياً، ووقفيات جامعة هارفارد التي بلغت قيمتها نحو ٢٧ مليار دولار للعام ٢٠٠٨م^(٤).

المحور التاسع: من حيث تسويق البحث العلمي:

• تشكيل بعثات ترويجية متخصصة لتسويق الأبحاث العلمية المتاحة للجامعة، والمشروعات البحثية، والتعريف بأنشطة الجامعة البحثية لجميع وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة.

• إنشاء وحدات تسويق لمخرجات البحوث العلمية في جميع الكليات الجامعية، وإقامة متاحف للعلوم، ومعارض للأنشطة الابتكارية، والاختراعات الجامعية.

(٤) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة التربية، محمد بن أحمد، دور التعليم العالي العربي ومنظومة البحث والابتكار في تشييد مجتمع المعرفة، المجلة العربية للتربية، مرجع سابق، ص ٨٧.

المحور العاشر: من حيث دور البحث العلمي في خدمة المجتمع:

- الربط بين الأبحاث العلمية الأساسية والأبحاث التطبيقية ليشكلا معاً رافداً من روافد التنمية المجتمعية؛ التي تتمثل في النهضة الصناعية، والزراعية، والتجارية مما يؤدي إلى انتعاش اقتصادي يعطي لفلسطين قوة ومكانة دولية.
- التعاون والتشارك بين مراكز البحث العلمي والشركات الاستثمارية المحلية في تطوير نتائج البحث العلمي، وهذا يعمل على خلق وتطوير الإبداع في البحث العلمي، وتحسين أداء الشركات المحلية الصناعية، وتنمية قدرتها التنافسية في الأسواق العالمية، وبهذا يقوم البحث العلمي بأداء الدور المنوط به لخدمة المجتمع.

المحور الحادي عشر: المؤسسات الواجب توفرها لتنفيذ الرؤية المقترحة للبحث العلمي:

- ومن آليات تنفيذ الرؤية المقترحة توفر موارد مادية وبنى تحتية ملائمة مثل:
- بالنسبة للجامعات عليها توفير مبنى ملائم كمركز بحثي كبير له أفرع وأقسام، وإعادة هيكلة وصيانة المراكز القائمة وتوسيعها.
- إنشاء مركز بحثي كبير لكل كلية من كليات الجامعة يتبع له مراكز أخرى متعددة المجالات وفق خطة عمل شاملة لتشغيلها، وخطة عمل لكل كلية، ولكل مركز بحثي. وهيئة بحثية أو مركز وطني لربط جميع مؤسسات البحث والتنسيق فيما بينها.
- إنشاء مختبرات بحثية مجهزة بالمواد والموارد البشرية اللازمة. وإنشاء مؤسسات بحث مستقلة غير ربحية.
- إنشاء أكاديميات علمية ومعاهد بحث مرتبطة بالجامعات ومؤسسات التعليم العالي.
- إنشاء مراكز بحث في المصانع ومختلف قطاعات الإنتاج الخاص والعام.
- إنشاء هيئات خاصة بالطاقة بكافة أنواعها والتي نحن بحاجة ماسة لها، لتحكم الاحتلال بها تحديداً.
- إنشاء قناة فضائية فلسطينية خاصة بالبحث العلمي تعرض أفلاماً وبرامج علمية، وبحوثاً علمية، ولقاءات مع علماء، وندوات وهذه أسرع وسيلة للنشر العلمي والدعاية والإعلام المعرفي والعلمي.
- إنشاء مكتبة إلكترونية لنشر النتائج العلمية على الشبكة الإلكترونية.
- إنشاء بنك معلومات وأرشيف للوثائق والمعلومات المهمة سواء العلمية أو الجغرافية والجيولوجية أو التاريخية أو الاجتماعية أو الإحصاءات أو السياسية أو غيرها.

سابعاً : المعوقات المحتملة لنجاح الرؤية وسبل التغلب عليها؛ ومنها :

- قلة اهتمام الإدارة السياسية وصناع القرار بآلية تنفيذ وتطبيق تلك الرؤية.
- قصور في سياسات وتشريعات ولوائح الجامعات الخاصة بالبحث العلمي.
- المشكلات والصعوبات التي يعاني منها نظام التعليم الجامعي في فلسطين، وتحول دون تحقيق تنمية، ودون الدخول في عملية الاقتصاد القائم على البحث العلمي.
- نقص المختبرات أو الأدوات البحثية في المختبرات الموجودة، ومعامل الأبحاث، وضعف قواعد البيانات،.
- العقوبات الإدارية والبيروقراطية التي تواجه افتتاح أي مؤسسة أو مركز أو مشروع بحثي.
- عدم ربط الجهود البحثية بأهداف التنمية.
- تشتت الجهود البحثية لضعف التنسيق بينها، أو لضعف أداء الفرق البحثية، أو لضعف الإدارة المسؤولة عن أداء عملها بإتقان.
- عدم تبني القطاع الخاص لفكرة تمويل تجربة وإنتاج وتطبيق البحوث العلمية، أو تجهيز مختبرات علمية ومراكز بحوث داخل المصانع والشركات.
- ضعف تسويق البحوث العلمية وعدم إقبال المنتجين على شراء الأبحاث وبراءات الاختراع والخدمات الاستشارية.

وللتغلب على تلك المعوقات يمكن:

- الاهتمام بتنمية التفكير العلمي القائم على النقد البناء وحل المشكلات لجميع مراحل التعليم في فلسطين بشكل عام، وفي مرحلة التعليم الجامعي بشكل خاص، وتنمية مهارات البحث اللازمة لإنتاج العلم والتكنولوجيا وتوظيفها التوظيف المناسب.
- البحث العلمي يجب أن يكون موجه وهادف الاهتمام بالبحوث التطبيقية (التي تعالج المشكلات وتعمل على تحسين الإنتاج)، وضرورة ربط سياسة البحث العلمي بعملية التنمية في فلسطين.
- الاهتمام بزرع وإشاعة ثقافة الاستقلال الاقتصادي والتحرر من التبعية الاقتصادية، وذلك باستهلاك المنتج المحلي والاستغناء عن المنتج الإسرائيلي أو الخارجي، حيث يتطور مستوى المنتج المحلي ويقل سعره عند

- زيادة استهلاكه، وهذا يُساهم في تمويل البحث العلمي في فلسطين، بينما العكس (ما هو حاصل) يساهم في التبعية والاستبعاد، ومردود إيجابي ومالي للبحث العلمي في إسرائيل ويصبح الشعب الفلسطيني ممولاً للبحث العلمي في إسرائيل من حيث لا يدري.
- الاهتمام بالمبدعين من الطلاب، فهم ثروة الوطن الحقيقية، وذلك للاستفادة من إبداعاتهم، والحيلولة دون هجرتهم لدول أخرى.
- توفير البيئة البحثية المناسبة وتأمين مستلزمات البحث العلمي، والأجهزة البحثية اللازمة.
- ضرورة الشراكة بين السلطة الوطنية الفلسطينية ووزارة التربية والتعليم العالي ووزارة الاقتصاد والشركات، وشركات مجتمعية للاهتمام بتطوير خطة قومية للنهوض بالبحث العلمي في جامعات فلسطين.
- ضرورة التواصل مع الباحثين المهاجرين من فلسطين، والبحث عن أجدى الأساليب لاستقطابهم وجذبهم للعمل في جامعات فلسطين، وهذا يساهم في توطين الشعب الفلسطيني في أرضه المحتلة.
- ضرورة توجيه البحث العلمي لأبحاث الصناعة لسد الفجوة الموجودة بين الطرفين، ورفع جودة المنتج الوطني.
- ضرورة اطلاع مراكز الأبحاث الجامعية على الإنتاج المحلي أولاً بأول كل حسب تخصصه، بنية التعاون على حل مشكلاته، وتطويره للمنافسة العالمية، وليس الإقليمية فقط.
- تخصيص أماكن في الجامعات ومؤسسات التعليم العالي لشركات ومؤسسات صناعية كمقار دائمة تتفاعل من خلالها مع الطلبة والباحثين والأكاديميين والمختبرات وغيرها للبحث ووضع الخطط لاستشراف المستقبل.
- العمل على تغيير الوضع في فلسطين من دولة مُستخدمة للتكنولوجيا فقط إلى دولة مُصنعة ومُوظفة لها، ولن يتأتى ذلك إلا عن طريق الاهتمام بالبحث العلمي وتطبيق نتائجه.
- بالنسبة لتمويل البحث العلمي، يجب تخصيص نسبة من الضرائب للبحث العلمي، وتسخير جزء من مال الزكاة للبحث العلمي، والبحث عن مصادر غير تقليدية لتمويل البحث العلمي.
- يمكن الاستثمار في أبحاث التكنولوجيا البسيطة التي تتعلق بالخدمات، والتي تعمل على حل مشكلات محلية تواجه مجتمعنا الفلسطيني، مثل توفير مصادر

بديلة للطاقة من كهرباء وغاز ووقود، والتي يتحكم بها الاحتلال، ونتيجة هذا التحكم يعيش قطاع غزة تحديداً بدون كهرباء معظم ساعات اليوم، ويعاني من ارتفاع أسعار الغاز والوقود بدرجة كبيرة جداً تفوق قدرة المواطنين، وتسبب مشاكل جمة.

- العناية بالتخصصات الفنية والتكنولوجية المستحدثة كالهندسة الوراثية والإلكترونيات الدقيقة، والهندسة الطبية.
- ضرورة الاهتمام بقطاع الزراعة وفتح مراكز أبحاث لتطوير وتحسين المنتجات الزراعية لتحقيق الاكتفاء الذاتي وعدم الاستيراد من منتجات الاحتلال.
- لدى الجامعات الفلسطينية العديد من طلاب الماجستير، وهؤلاء يجب توجيه أبحاثهم نحو الاحتياجات التنموية، وأن تتحول لبحوث تطبيقية، وأن تتم في مراكز خاصة ويكون المركز طرف في الإشراف عليها.
- توجيه البحوث نحو استغلال الشمس كأحد موارد الطاقة المتجددة لتوفير طاقة بديلة وحل المشكلات التي يعانيها المجتمع الفلسطيني من تحكم الاحتلال في عملية بيع الطاقة لنا.
- تشجيع عملية الترجمة بكافة أنواعها من كتب وأبحاث علمية ومنشورات ولقاءات إلى اللغة العربية، وبالعكس.

مفهوم المجتمع في الجزائر إشكالية النفي والإثبات

أ. محمد الخالدي

تمهيد

أولاً: إنهاء سلطة الكنيسة على المجتمع.
ثانياً: القضاء على تبعية الفرد للدولة
الإمبراطورية.
ثالثاً: القضاء على النظام الأسري
التقليدي (السلطة الأبوية).

هذا ويلعب مفهوم المجتمع
المدني دوراً محورياً في كنف ظاهرة
أخرى عرفها الغرب هي الحداثة والتي
بموجبها انصهر المجتمع التقليدي مع كل
تنظيماته الأسرية والدينية والعرقية...
وبالتالي ظهور تنظيمات المجتمع المدني.

إن دراسة ظاهرة المجتمع المدني
في الجزائر تستدعي حضور العقل العلمي
بقوة لسبب معروف وهو محاصرة النزعة
الذاتية، وكبح جماح الطموح المبني
على أسس مثالية في قيام هذا المجتمع
بنفس الطريقة التي قام بها في الغرب.
إن معالجة هذه الظاهرة لا بد أن تستند
إلى تفسير وفهم عميق لظروف قيامها
وظروف التطوير حولها، بالإضافة إلى
إدراك السياق التاريخي الاجتماعي
السياسي والحضاري الذي تبلورت فيه.
فالمجتمع المدني في الغرب جاء ليحقق
ثلاثة أهداف:

-
- أستاذ مساعد، مؤسسة الارتباط، المدرسة التحضيرية في العلوم الاقتصادية، تلمسان/الجزائر.
massinica132003@yahoo.fr

إنّ ربط هذا الأخير بالحدّثة يفرض علينا الحديث على مفاهيم متزامنة النشأة مثل الديمقراطية المواطنة والفرديّة الحرّية المساواة... والتي تتفاعل مع المجتمع المدني بشكل مباشر وغير مباشر.

إنّ تحليل مفهوم المجتمع المدني في الواقع الجزائري يفرض علينا أن نثير تساؤلات جوهرية:

- هل يستطيع المجتمع المدني باعتباره أحد ظواهر الحدّثة أن يقاوم في الجزائر ظواهر مثل علاقات القرابة والعلاقات الدينية التي ربّما تخترق بشكل أو بآخر بنيات هذا المجتمع؟

- هل يساهم المجتمع المدني في نشر قيم الحدّثة مثل المواطنة والديمقراطية أم أنّ هناك عوائق تقف كحاجز في وجهه؟

المجتمع المدني مسيرة التكوين والتنظير

قبل التّطرق إلى إعطاء مفهوم للمجتمع المدني ومختلف المعاني التي ينعت بها في العصر الحالي، لا بد من الوقوف على الأسس التاريخية والنظرية التي ساهمت في ظهوره وربطها بمختلف التطورات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي عرفتها أوروبا.

ابتداءً من القرن السادس عشر بدأ الانتقال من أوروبا التقليدية إلى أوروبا الحديثة أو من الإقطاعية إلى الرأسمالية. فهو قرن الانتقال التدريجي من المجتمع التقليدي نحو المجتمع الحديث هذا من جهة، ومن جهة أخرى نقلة الإنسان الأوروبي من الشخص التابع المقيّد إلى الفرد الحر. (مزوار، ٢٠٠٦: ٢)

تزامناً مع هذا العصر تطوّر وظهور بعض المفاهيم والقيم التي بدأت تتناقض مع طبيعة المجتمع القروسطي، ولعلّ أهم حدث في هذه الفترة هو تراجع هيمنة الدين على الحياة الاجتماعية والسياسية، ويرجع أصل ذلك إلى مبادرة الإصلاح الديني التي قام بها مارتن لوتر.

إنّ ظهور النزعة الفرديّة في الفلسفة الاجتماعية والتي أدّت فيما بعد إلى تحطيم أسس المجتمع الإقطاعي وبالتالي انهيار التنظيمات التقليدية الأثنية والدينية والعائلية. ومن القيم التي لعبت دوراً في التّغير الجذري للمجتمع القديم مفهوم العقلانية التي طبعت الفكر الغربي فيما بعد. إضافةً إلى مفهوم المصلحة التي كانت دافعاً للبرجوازية وللرأسمالية الاقتصادية. كل هذه القيم والتحوّلات كان من شأنها أن تقضي على التنظيمات الطبيعية للمجتمع التقليدي، وتؤسس لظهور المجتمع المدني. (علي ليلة، ٢٠٠٧: ٢٣)

من دون شك أن التطورات السياسية في القرن الثامن عشر ساهمت بقوة في تأسيس المجتمع المدني، فالثورات السياسية في بعض دول أوروبا - هولندا، بريطانيا، ثم فرنسا - كان لها الدور الأساسي في ترسيخ قيم الحكم الجديدة، ففي هذه المرحلة انتقلت أوروبا من مصدر الحق الإلهي الثابت إلى حكم الدولة الديمقراطي النسبي. كل ذلك يجبرنا على القول بأن علاقة سوف تنشأ بين الدولة والمجتمع المدني وهذا ما نلمسه على مستوى التنظير خاصة لدى مؤسسي نظرية العقد الاجتماعي.

فما دام أن سلطة العقل تحررت من قبضة الكنيسة واجتازت الممنوع (التاريخ والمجتمع) فقد أصبح التفكير حول الحياة الاجتماعية بكل أبعادها سمة بارزة في الفكر والفلسفة الاجتماعية في هذه المرحلة.

إن فكرة المجتمع المدني التي كانت لها ركائز اجتماعية وسياسية واقتصادية دعمت برקائز وأسس فكرية تزامنت مع كل تلك الوقائع التاريخية. فيعتبر الفكر التنويري المرجعية والانطلاقة المحورية لكل مقومات الحداثة بما فيها المجتمع المدني. فإذا أخذنا مثلاً مدرسة العقد الاجتماعي أكدت على التداخل والعلاقة بين الدولة والمجتمع المدني.

فيرى هوبز أن المجتمع المدني ارتبط بميلاد الدولة ويعتبرهما مجالان متداخلان فهما وجهان لعملة واحدة فالدولة هي الإطار والحيز الطبيعي لنشوء المجتمع المدني وهي التي تضمن حمايته واستمراره. (علي ليلة، ٢٠٠٧: ٢٦)

إذا كان هوبز قد أعطى السلطة المطلقة للدولة فضمن نفس الاتجاه يرى جون لوك أن المجتمع المدني هو مصدر لشرعية الدولة فإنه قادر على مراقبتها وتغييرها وهذا نقيض لفكرة هوبز الذي يقر بسلطانها المطلقة، لكن لوك يفضل تغيير الدولة بواسطة الطرق الديمقراطية مثل الانتخاب وليس عن طريق العنف. وختم الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو نظرية مدرسة العقد الاجتماعي إلى المجتمع المدني بفكرة المساواة كأساس يقوم عليه وهذه الفكرة هي نواة مفهوم آخر يرعاه المجتمع المدني هو المواطنة. (علي ليلة، ٢٠٠٧: ٣١)

يوصل فلاسفة الأنوار طرح أفكارهم ذات الصلة بقيام المجتمع المدني فهما هو منتسكيو يميز بين المجتمع المدني والدولة حيث يرى أن كل منهما قائم لذاته، كما يضيف أن الدولة هي نتاج المجتمع المدني وإن هذا الأخير ينتج دولته المتميزة، وهذا يجبرنا على القول بأن تعدد وتنوع أنظمة الحكم أو الدول يؤدي إلى تنوع المجتمعات المدنية.

يكمل الفيلسوف الألماني هيغل مسيرة بناء مفهوم المجتمع المدني بحيث يركز على فكرة إقامة التوازن بين الأنانية الفردية والملكية الخاصة التي يقوم عليها المجتمع المدني، فيرى هيغل في الدولة واقع ممارسة الحرية، وتتمثل هذه الأخيرة في الاعتراف بالمصلحة الخاصة للأفراد وبالتالي يتم الجمع بين مصلحة الأفراد داخل الأسرة والمجتمع المدني وتحقيق الغاية الوجودية للدولة (الخطابي، ٢٠٠٤: ٩٨). فالمجتمع المدني حسب هيغل ينتمي إلى المجتمع الحديث، الذي تمثل فيه الدولة اتحاداً بين مختلف الأشخاص اتحاد يقوم على المشاركة وتلك خاصية المجتمع المدني. يرى هيغل أن حقيقة الدولة تتمثل في حماية حقوق الأفراد كأعضاء منتسبين إلى المجتمع المدني. (الخطابي، ٢٠٠٤: ٩٧-٩٨)

إن الفلسفة الهيجلية صادفت معارضة شديدة من نظيرتها الماركسية فيما بعد. فقد رفض ماركس فكرة صراع الأفراد داخل المجتمع المدني، بحيث اعتبر فكرة هيغل الساعية إلى الترابط الاجتماعي فكرة محافظة معادية للتقدم. ماركس يرفض الفصل بين الدولة والمجتمع المدني بحيث يعتبر ذلك دليلاً على اغتراب الإنسان. (عزمي بشار، ١٩٩٨: ١٥٧)

نستنتج من هذا النقد أن فكرة المجتمع المدني لا تخرج عن الإطار النظري الماركسي، فالمفهوم الماركسي للمجتمع المدني يتموقع في فكرة الصراع وبهذا يصبح مفهومه للمجتمع المدني كالتالي: هو بناء إيديولوجي يخفي جزءاً ويظهر جزءاً من واقع المجتمع البرجوازي وذلك ما تخفيه بعض التيارات الفكرية في الغرب عندما تدرس المجتمع المدني. (عزمي بشار، ١٩٩٨: ١٦٨)

يعتبر التيار الماركسي أحد أقطاب الصراع الفكري الغربي في تلك الفترة، بحيث كان ينسج تصورات ومفاهيمه الاجتماعية والسياسية الخاصة به من بينها مفهوم المجتمع المدني كما رأيناه. وكانت الماركسية مناقضة للتيار اللبرالي، فقد تزعم هذا التيار أليكسيس دو توكفيل الذي كانت له مساهمة كبيرة في تثبيت مفهوم المجتمع المدني وذلك يتجسد جلياً في كتابه الديمقراطية في أمريكا في الحقيقة هذا الكتاب هو بحث نظري وميداني لمفهوم الديمقراطية في الضفة الأخرى من الغرب وأعني أمريكا. ففي الجزء الثاني من الكتاب يقر توكفيل بأن المجتمع المدني حاجز في وجه مركزية السلطة وهو يتكون من الحلقات العلمية والأدبية والمدارس ودور النشر والمؤسسات الترفيهية... ذات المصلحة العامة إلا أن هدفها هو ترسيخ القيم الجمهورية وقيم المواطنة هذا من جهة ومن جهة أخرى يرى توكفيل أن هناك علاقة تفاعلية بين التنظيمات المدنية والسياسية حيث يقول: «الجمعيات المدنية تسهل الجمعيات السياسية لكن من جهة أخرى الجمعيات السياسية تطور الجمعيات المدنية». (Alexis De Tocqueville, 1991: 151)

يرى توكفيل أن المفتاح الأهم لفهم الديمقراطية هو المجتمع المدني وفهم مختلف الأدوار التي تمارسها التنظيمات التي تكوّنه. هكذا وضع توكفيل بصمته المميزة في التأصيل لمفهوم المجتمع المدني في بداية القرن التاسع عشر ليعتبر حلقة وصل بين عصر التنوير والقرن العشرين أين اكتملت الحداثة بكل أبعادها.

اكتملت الحداثة في القرن العشرين واكتمل معها نمو المجتمع المدني وذلك نتيجة ثلاثة أسباب:

أولاً: التحرر الديني المتمثل في المذهب البروتستانتي الذي ساعد على نشر منظومة قيم ساهمت في تطور النظام الرأسمالي.

ثانياً ظهور الطبقة الوسطى في المدن والمناطق الحضرية الكبرى هذه الطبقة هي التي كانت أكثر اتصالاً بالمجتمع المدني وذلك يساهم في تعزيز الروح الفردانية ويمحي الانتماءات الجماعية والدينية والعائلية. (علي ليلة، ٢٠٠٧: ٤٨)

ثالثاً: تآكل الطبقة الوسطى التي لعبت دوراً مهماً في بلورة المجتمع المدني، مما يتيح الفرصة لتنامي الروح البرجوازية وتنامي الفجوة بين الأغنياء والفقراء وهذا يشكل تهديداً حقيقياً على المجتمع المدني.

في هذه المرحلة أصبح المجتمع المدني قائماً بذاته منفصلاً عن المجتمع الطبيعي وعن المجتمع السياسي - أي الدولة - ومن أبرز المساهمات الفكرية في هذا القرن ٢٠ محاولات انطونيو غرامشي ذات الأصول الماركسية حيث يرى أن المجتمع المدني وما يتصل به من أحزاب ونقابات وجمعيات ووسائل إعلام... هي آليات لتحقيق سيطرة البرجوازية وبالتالي لا يمكن تحقيق الهيمنة على الدولة إلا عن طريق الهيمنة على المجتمع ولا يتم ذلك إلا من خلال تنظيمات المجتمع المدني في بعدها الثقافي. (علي ليلة، ٢٠٠٧: ٥٠)

من الآراء والتوجهات النظرية المعاصرة والهامة والتي أدلت بدلوها في تثبيت مفهوم المجتمع المدني نذكر محاولة الفيلسوف الألماني المعاصر هابرماس الذي يدرج مكونات المجتمع المدني تحت مفهوم المجال العام المتداخل مع مجالات أخرى هي مجال الدولة والمجال الخاص.

هكذا بعد عرض هذا التراكم التاريخي والنظري لمفهوم المجتمع المدني سننتقل إلى نقطة مهمة ذات بعد منهجي وابستمولوجي هي إشكالية تكييف مفهوم المجتمع المدني.

مفهوم المجتمع المدني وأزمة تكييفه

لا يمكن فهم بروز استخدام مفاهيم المجتمع المدني والديمقراطية والمواطنة وغيرها في البلدان العربية إلا إذا فهمنا اهتمامات هذه الدول الحديثة الاستقلال في فترات الستينات والسبعينات. ويمكن إرجاع ذلك إلى سببين أساسيين هما:

أولاً: لقد برزت مفاهيم الحداثة والديمقراطية في القاموس السياسي العربي بعد أن تراجع عهد الفكر القومي في مشاريع الدولة العربية وبالتالي غاب التفكير حول تلك المفاهيم وفي هذا الباب يرى خالد لحروب أن هذا الغياب جاء نتيجة اهتمامات أخرى تصب في جوهر الفكر القومي وهي:

- الاهتمام بمواضيع مثل دور الدم واللغة والتاريخ في تشكيل الوعي القومي العربي.
- حتميات التخلص من الاستعمار والتبعية إلى الخارج ومواجهة الخطر الصهيوني.
- الشك في قيام ديمقراطية عربية لأنها بمثابة الخطر على الوحدة العربية. (خالد لحروب، ٢٠٠١: ١٠٠)

للإشارة هذه الأسباب نلخصها خاصة عند مثقفي الفكر القومي مثل ساطع الحصري، قسطنطين زريق، .. وغيرهم.

ثانياً: سقوط القطبية الثنائية من الصراع العالمي وبقاء الأحادية الغربية الرأسمالية وتجلي مؤشرات العولمة متأصلة في نموذج واحد ومهددة كل الثقافات الأخرى خاصة الثقافات السياسية وظهور ما نسميه بعولمة المفاهيم. زيادة على ذلك مساعدة التطور التكنولوجي في مجال الإعلام وكثرة الارتباطات الاقتصادية والسياسية بين الدول والمعاهدات الدولية وغيرها كل ذلك أدى إلى تبني الكثير من المفاهيم في الخطابات العربية سواءً بالنسبة للنخب السياسية أو المثقفة. هذا يجبرنا على طرح السؤال التالي:

هل التغيرات العالمية التي ذكرناها أثرت على تركيبة المجتمع العربي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية أدت بشكل منطقي إلى الحديث على مفاهيم مثل المجتمع المدني أم أن هذه المفاهيم هي عبارة عن مشاريع تحملها نخب معينة في المجتمع.

رغم كل ما قلناه يبقى الحديث عن المجتمع المدني في العالم العربي واقعاً لا يمكن إنكاره ما دام أن مؤشرات كثيرة تدل على وجوده إذاً فهل وجوده يدل على مفهومه.

فكما تحدثنا سابقاً المجتمع المدني في الغرب بمثابة الوسيط بين المجتمع بمختلف شرائحه وبين الدولة، ورأى بعض المفكرين الغربيين أن للمجتمع عيناً فاحصةً ومستقلةً،

وهذه العين هي مجموعة واسعة من الجمعيات المدنية اليقظة المنظمة ذاتياً. وهي ضرورة لازمة لدعم الديمقراطية وتحقيق أهدافها عن طريق إشراك نسبة من المجتمع في مراقبة الدولة. أي أن الأمر لا يقتصر على الأحزاب السياسية بل يشمل بالإضافة إليها على مؤسسات اجتماعية ومهنية وتعليمية ونقابات ومواد ثقافية واجتماعية تمثل طيفاً واسعاً من السكان المثقفين والناشطين وليس هدفها الوصول إلى السلطة.

من هذا المنطلق لا بد أن ننبه إلى أمر مهم هو مسألة توظيف المفاهيم في الدراسات الاجتماعية فقد شاع استخدام مفاهيم مثل حقوق الإنسان أو المواطنة أو الديمقراطية دون ربطها بظروف نشأتها لأننا عندما نقول مفهوم يعني تجريد لمعطيات واقع معين أي هناك بيئة اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية بني عليها المفهوم وتختلف عن البيئة التي نفل إليها. لهذا ينادي الفيلسوف العربي المعاصر محمد عابد الجابري بما يسميه تبيئة المفاهيم أي ربطها بالحقل الذي تنقل إليه ربطاً عضوياً، وذلك يتطلب بناء مرجعية تعطي المفهوم سلطة وشرعية. وعملية بناء المرجعية للمفهوم في الحقل المنقول إليه تتطلب الاطلاع على مرجعيته الأصلية وظروف تشكله ومراحل تطوره أي استحضار تاريخية المفهوم. هذا يتيح لنا فهم معطيات المفهوم في بيئته الأصلية وتكييفها مع معطيات بيئته الفرعية مع الاحتفاظ دائماً بالفارق لا بوصفه حاجزاً بل بوصفه جسراً. (الجابري، ٢٠٠٠: ١٤)

السؤال الذي يطرح نفسه الآن كيف نعرف المجتمع المدني في ظل هذا التجاذب بين تداولاته من مكان لآخر. فكما رأينا سابقاً مفهوم المجتمع المدني لم يتحدد دفعة واحدة بل تم بناؤه تدريجياً تاريخياً وفكرياً.

إذا أردنا أن نعطي تعريفاً أولياً للمجتمع المدني فيمكن القول أنه مجموعة من التنظيمات المتعددة الأهداف ذات الغاية المشتركة وهي نشر الحس المدني هذه التنظيمات تحتل موقعاً وسطاً بين العائلة التي هي نواة البناء الاجتماعي والنسق القيمي في المجتمع من جهة والدولة ومؤسساتها ذات الطابع الرسمي من جهة أخرى.

لكن إذا أردنا أن نقف على تعريف دقيق للمجتمع المدني فلا بد أن يتّصف بما يلي:

- تنظيمات المجتمع المدني تطورت تاريخياً نتيجة تغيرات موضوعية وفكرية.
- هذه التنظيمات لا تسعى إلى ممارسة السلطة ولا هي هدف لها لكن من جهة أخرى تعمل على الضغط عليها وذلك لحماية حقوق المجتمع.
- إن تنظيمات المجتمع المدني هدفها إشباع حاجات الأفراد خارج إطار العائلة

وتطلب ذلك من الدولة، والحاجات المراد تحقيقها متنوعة ثقافية واجتماعية واقتصادية وسياسية... (علي ليلة، ٢٠٠٧: ١٩)

يخلص المفكر العربي عزمي بشارة إلى أن المجتمع المدني جاء ليحل التناقض بين الإنسان والمواطن الذي يتخذ شكل التناقض بين الدولة والمجتمع. (عزمي بشارة، ١٩٩٨: ٧٢)

إن المجتمع المدني يعبر عن تطور مجتمعي تصبح فيه العلاقات الرابطة بين العناصر الفردية تراعي مصالح كل هذه العناصر بدون استثناء، بل وتسمح لها بالمساهمة في فحص هذه العلاقات وتطويرها وتغييرها. إذ يمكن لكل تشكيلة اجتماعية أو فئة أو جهة، المساهمة في تسيير وسطها، فتتعدد بذلك مراكز القول والفكر والفعل. الشيء الذي يسمح بالحديث عن المساواة داخل المجتمع المدني. وربما كانت هذه المساواة هي العنصر الأساسي المكون له.

المجتمع المدني في الجزائر

لا يمكن الحديث عن المجتمع المدني في الجزائر دون التذكير بخصوصيات المجتمع على الأقل من الناحية التاريخية. فالجزائر تعرضت للاستعمار مدة قرن ونصف وأخذت استقلالها حديثاً وانتهجت بعد الاستقلال النموذج الاشتراكي في تسيير مؤسسات الدولة والمجتمع وعرفت تراكمات سياسية واجتماعية واقتصادية أدت في الأخير إلى سقوط تلك التجربة التي خاضتها بعد الاستقلال إلى أن دخلت مرحلة التعددية حيث خاضت تجربة ديمقراطية خاصة. ضمن هذه التجربة الجديدة لا يمكن لأي أحد أن ينكر وجود تحولات في المجتمع على مستوى التمثلات أو السلوكيات.

تعتبر سنة ١٩٨٨ منطلقاً رئيسياً لتحليل التحول الاجتماعي، ونحن نركز على التحول أكثر من التغير نظراً للفرق الشاسع بين المفهومين. فظهرت الأحزاب السياسية استناداً لمواد دستورية وظهرت الجمعيات والتنظيمات الاجتماعية والاقتصادية وغيرها بمقتضى القانون رقم ٣١-٩٠ المؤرخ في ١٤/١٢/١٩٩٠. (أحمد بوكابوس، ٢٠٠٥: ٧٥)

هذا لا يعني أنه من قبل لم تكن هناك جمعيات بل قد وجدت جمعيات حتى أثناء الاستعمار لكن الانفجار الجمعي كان ملفتاً للانتباه بعد سنة ١٩٨٨ من حيث الإطار القانوني والكمي والنوعي.

لكن السؤال الجوهرى المطروح هنا: هل تشكل هذه التنظيمات التي تستند على أساس قانوني- يعني أن الدولة هي التي وفرت الإطار القانوني لظهورها - مفهوم المجتمع

المدني الذي كما رأينا يلعب دور الوساطة بين المجتمع والدولة وإشباع حاجات الأفراد، وغيرها من المهام؟

في نفس هذا الاتجاه يتساءل الجابري عن نقطة مهمة: إذا كنا نعني بـ«المجتمع المدني» التنظيمات المستقلة عن الدولة، والتي تقوم بنوع من الخدمة للمجتمع ككل، فأين سنضع الجمعيات الإسلامية الخيرية المستقلة التي تقوم بخدمة المجتمع أثناء الكوارث الطبيعية...؟

هذا يحيلنا على قضية جوهرية تثيرها طبيعة المفهوم، فانتفاء الأفراد إلى المجتمع المدني لا يتم وفق مرجعية دينية أو عائلية أو هوية وعرقية كما رأينا وإن تم ذلك فسينفي قيمة الحداثة التي تصبغ المفهوم. الحل يراه الجابري أن نتجه إلى دراسة الواقع في حد ذاته لنلتمس محددات مفهوم المجتمع المدني، والاستعانة بالظروف التي أثارت إمكانية الحديث عنه في الوقت الراهن ويجب أن هنالك مؤشرات واقعية تدل على قيام مجتمع مدني.

نفهم من هذه الرؤى أنه لا بد من فهم مكونات الواقع في المجتمع الجزائري فلا يمكن الجزم بقيام مجتمع مدني بالمفهوم الغربي كما يتصوره البعض، بحيث لا يمكن انتقاء من الواقع ما نريد أو كما يقال نخضع الواقع للفكر بل العكس هو الذي لا بد أن يحدث.

نستطيع القول أن الجزائر ومنذ تاريخ ٨٨ مرت وتمرّ بتحوّلاتٍ أو قد نسمّيها مرحلة انتقال من فترة معروفة إلى فترة مازالت معالمها لم تتحدد بعد.

يرى السوسيولوجيان الجزائريان - علي الكنز وعبد الناصر جابي - إنّ هنالك مجتمعان في الجزائر مجتمع العصرية الذي هو مجتمع يغلب عليه الطابع النخبوي ذو الثقافة المفرنسة والذي يرفع شعارات الديمقراطية الحداثة... يتجسد هذا المجتمع تقريباً في المجتمع المدني الذي يعبر عن الكثير من المؤسسات والجمعيات والهياكل (الكنز، جابي، ١٩٩٩: ٢٦٥)... والمجتمع الآخر الذي يعاني من التهميش وقد يضم عدت فئات حتى من الطبقة الوسطى قد يتبنى معظم أفرادهم أفكاراً دينية.

يمكن اختصار الفكرة في أنه يوجد في الجزائر نموذجين من الحياة الاجتماعية واحدة تستند على الحداثة وأخرى تستند على التقاليد مع أنّهما في الواقع متداخلان على مستوى الفرد والجماعة. أي يمكن للعلاقات الدينية والقرباة أن تخترق نشاطات تنظيمات المجتمع المدني وهذا ما يعبر عن ازدواجية لها دلالاتها السوسيو - تاريخية وأعني الاستعمار والعولمة.

يقول الجابري «إنَّ المشكل الذي نعانيه هو مشكل الازدواجية التي تطبع كل مرافق حياتنا المادية والفكرية» يتوصل إلى فكرة واقعية وجوهرية مفادها أننا نقبل الازدواجية ونرفضها في نفس الوقت.

نقبلها من حيث أننا نمول القطاعات والمرافق الخاصة بالعصرنة والمرافق الخاصة بالأصالة ونرفضها على صعيد الفكر، فالبعض يدعو إلى تبني القيم العصرية والبعض الآخر يدعو إلى التمسك بقيم التراث. (الجابري، ٢٠٠٦: ٥٨)

قد يبدو للقارئ أو المستمع أننا خرجنا عن موضوع المجتمع المدني في الجزائر هذا للوهلة الأولى لكننا نرى في هذه القضايا أنها الجوهر في فهم ظاهرة المجتمع المدني كظاهرة سوسيولوجية تحتاج إلى تحليل وتحقيق.

وما نخلص إليه من خلال كل ما عرضناه هو أن المجتمع المدني في الجزائر موجود كواقع مادي من خلال بنيته التنظيمية الاجتماعية والثقافية لكنه يتأثر بمحيطه الاجتماعي والسياسي والاقتصادي وخصوصيات المجتمع الثقافية. هذا من جهة ومن جهة أخرى ندعوا الباحثين في مجال العلوم الاجتماعية إلى الاهتمام بمثل هذه الدراسات التي تعطي دفعا قويا في تدعيم الوعي بالأدوار التي يقوم بها المجتمع المدني وخاصة نشر قيم المواطنة والحس المدني وثقافة التسامح عن طرق التنشئة الاجتماعية التي تقدمها مختلف مؤسساته.

قائمة المراجع

- ١- مزوار بلخضر، الظروف الموضوعية لظهور المواطنة في أوروبا، الندوة الفلسفية الثامنة عشر، القاهرة، ١٦-١٨ ديسمبر ٢٠٠٦.
- ٢- علي ليلة، المجتمع المدني العربي، مكتبة الانجلو- المصرية، القاهرة ٢٠٠٧.
- ٣- عزمي بشارة: المجتمع المدني دراسة نقدية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٨.
- ٤- خليفة الكواري، المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠١.
- ٥- محمد عابد الجابري، المثقفون في الحضارة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، بيروت، ٢٠٠٠.
- ٦- محمد عابد الجابري، المسألة الثقافية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٦.
- ٧- مجموعة مؤلفين، في الأزمة الجزائرية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٩ ان ط٢.
- ٨- مجلة عالم التربية، منشورات عالم التربية، ١٥٤، الجديدة، ٢٠٠٤.
- ٩- مجلة دفاتر المركز، في الحركة الجمعوية في الجزائر، منشورات المركز الوطني للبحث الأنثروبولوجي والاجتماعي، وهران، ٢٠٠٥.

10- Alexis de TOCQUEVILLE, de la démocratie en Amérique, ENAG Editions, T2, 2E, Alger, 1991.

١١- موقع الدكتور محمد عابد الجابري www.fikrwanakd.aljabriabed.net

نظرة المدرسين لمهنتهم والصعوبات المعترضة في الميدان التعليمي دراسة ميدانية في مؤسسات التعليم الإلزامي

د. زوليكخة طوطاوي



مقدمة

يعتبر الكثير من الباحثين أنّ التوافق النفسي للفرد يعبر عن صحته النفسية، والتوافق النفسي للعامل له صلة وثيقة بكفائته الإنتاجية وعلاقاته الاجتماعية بزملائه في العمل ورؤسائه ومرؤوسيه، فهو يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمثابرته على عمله، وتحمسه له واستقراره فيه. ويحدث في بعض الحالات عند الفرد العامل عدم تحقيق هذا التوافق المهني نتيجة لعوامل اقتصادية وتطورات تكنولوجية وإدارية لتنظيم العمل، مما يشعره بأعباء مهنية كبيرة عليه تحقيقها وانجازها في مدة قصيرة، ومن خلال مصادر محدودة وفرض أنظمة صارمة تحد من حرية تصرفه واتخاذ الإجراءات

المناسبة. وتكثر الشكاوي فيتحول جو العمل إلى جو مشحون بالقلق *anxiété* والضغط *stress* والذي يتطور ويتسبب في أمراض نفسية مهنية. منها مثلاً الضغط المهني والذي يعرف بأنه عبارة عن مجموعة من العوامل البيئية التي تؤثر سلباً على أداء الفرد في العمل، وتسبب له الإجهاد الفيزيولوجي والنفسي ومنها غموض الدور، صراع الدور، ظروف العمل البيئية، عبء العمل، العلاقات الشخصية في العمل.

فكلما كانت هذه الضغوط حادة

• دكتورة في علم النفس التربوي، أستاذة محاضرة، بالمدرسة الوطنية التحضيرية لدراسات مهندس بروفية/ الجزائر.

ztoutaoui@yahoo.fr

ومزمنة أدت إلى الإنهاك المهني، وتترتب بعض الآثار على مستوى المنظمة أو المؤسسة ككثرة الغياب والتأخر عن العمل ونقص مشاعر الولاء وضعف الاتصالات بين الأفراد واضطراب العلاقات. وعلى مستوى الفرد تظهر عند البعض آثار نفسية، كالشعور بالحزن والكآبة والقلق وغياب القدرة على التركيز والتردد واللامبالاة.

فميدان العمل والجو العام السائد فيه والظروف التي يعيشها الفرد العامل لها تأثير على الفرد وعلى أدائه، انطلاقاً من هذا أجرينا دراسة ميدانية حول المدرسين في مؤسسات التعليم الابتدائي ومؤسسات التعليم المتوسط، للتعرف عن جو العمل والظروف التي يعيشونها، حيث طرحنا عدة تساؤلات لاكتشاف نظرة هؤلاء لمهنتهم، واكتشاف تغيب المدرس وأسبابه، وهل يتمتع هؤلاء بحرية التصرف في مهنتهم. فهل يتمكن المدرس من تحقيق توافقه المهني للوصول إلى حب مهنته والنجاح والاستقرار فيها؟

من هنا جاءت الفكرة لإجراء هذه الدراسة على عينة من معلمي وأساتذة مؤسسات التعليم الابتدائي والتعليم المتوسط على مستوى كل الدوائر الإدارية لولاية الجزائر، بتطبيق أداة الاستبيان.

أداة الدراسة

الاستبيان: هدفه جمع معطيات من واقع مؤسسات التعليم الإلزامي (الابتدائي والمتوسط) حول واقعهم المهني. وتمثلت محاور هذا الاستبيان في:

- نظرة المدرس لمهنته: نظرة المعلم والأستاذ لوضعية مهنته مقارنة بالمهنة الأخرى، لو كان له الاختيار من جديد هل يختار مهنة أخرى، الرغبة في تغيير المؤسسة التربوية.

- تغيب المدرسين: عدد غياب المدرسين (حسب إجابات المدرسين والمديرين)، رأي المديرين والمفتشين في تغيب المدرسين وأسبابه.

- الصعوبات المعترضة في العمل: آراء المعلمين والأساتذة في العوامل المؤثرة على السير الحسن لعملهم في القسم، مدى حرية التصرف في العمل.

عينة الدراسة

أجريت المعاينة على مستوى كل الدوائر الإدارية لولاية الجزائر للتمثيل الجغرافي لها من مناطق حضرية وريفية وشبه ريفية. وهي ١٢ دائرة إدارية، وكان مجموع عدد البلديات المختارة يقدر بـ ٢٢ بلدية موزعة على مستوى مختلف المناطق. حيث تم اختيار ٢٦ مؤسسة

للتعليم الابتدائي ومنها استطلعنا الحصول على الإجابات الكاملة للاستبيان لـ ٣٧٢ معلماً، كما اخترنا ٢٠ مؤسسة للتعليم المتوسط ومنها تم الحصول على إجابات ٢٩٤ أستاذاً.

نتائج الدراسة

نتطرق هنا للنتائج المحصل عليها من خلال إجابات أفراد العينة للأسئلة المطروحة حول نظرتهم لمهنتهم ووسط العمل والجو السائد فيه والصعوبات المعترضة.

نظرة المدرس لمهنته ووسط عمله

للتعرف على نظرة معلمي التعليم الابتدائي وأساتذة التعليم المتوسط لمهنتهم وللوسط المهني الذي يعملون فيه، طرح سؤال حول وضعية مهنة التعليم مقارنة بالتصنيفات المهنية الأخرى في الجزائر، وسؤال حول إمكانية اختيار مهنة أخرى لو سنحت لهم الفرصة. كانت إجاباتهم كالتالي:

الجدول رقم (١)

وضعية مهنة التعليم مقارنة بالتصنيفات المهنية الأخرى في الجزائر

معلم التعليم الابتدائي %	أستاذ التعليم المتوسط %	
٠١	٠١	عالية
٠٣	٠٠	فوق المتوسط
١١	٠٤	متوسطة
١٧	٢١	تحت المتوسط
٦٥	٧٣	منخفضة
٠٤	٠١	دون إجابة
١٠٠	١٠٠	المجموع

من خلال الإجابات يتبين أن أكبر نسبة من معلمي التعليم الابتدائي (٦٥٪) ومن أساتذة التعليم المتوسط (٧٣٪)، لديهم نظرة سلبية لمهنتهم، حيث يصنفون مهنة التعليم في الوضعية المنخفضة مقارنة بالتصنيفات المهنية الأخرى الموجودة في الجزائر. وهناك أيضاً نسبة ١٧٪ من المعلمين ونسبة ٢١٪ من الأساتذة يصنفون مهنتهم في الوضعية تحت المتوسط.

وفي السؤال الثاني عن نظرة المدرسين لمهنة التعليم، إن كان بإمكانهم اختيار المهنة من جديد هل يختارون نفس المهنة أم يختارون مهنة أخرى في مجالات متنوعة، وكانت إجاباتهم كالتالي:

الجدول رقم (٢)

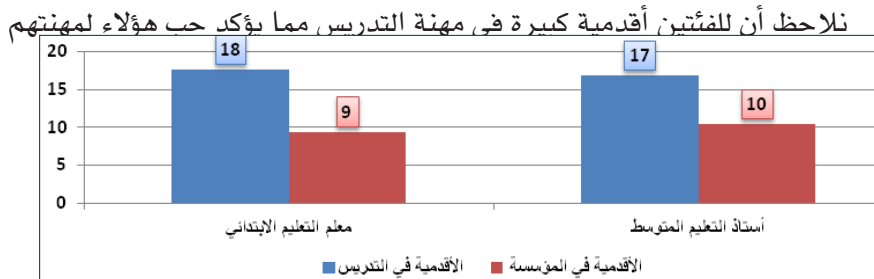
إمكانية اختيار من جديد نفس المهنة أو مهنة أخرى

المجال	معلم التعليم الابتدائي %	أستاذ التعليم المتوسط %
المجال الطبي	٠٧	١٠
المجال القانوني	٠٩	١٢
المجال الزراعي	٠٣	٠٣
المجال الإداري	١٧	١٥
المجال التقني	٠٢	٠٥
المجال التجاري	١٨	١٨
نفس المهنة	٣٩	٣١
دون إجابة	٠٥	٠٦
المجموع	١٠٠	١٠٠

نلاحظ أن أكبر نسبة من معلمي التعليم الابتدائي (٣٩٪) وأساتذة التعليم المتوسط (٣١٪) يفضلون اختيار نفس المهنة أي البقاء في المجال التعليمي، رغم أن لديهم نظرة سلبية نحو مهنتهم إذ يصنفون مهنة التعليم في الوضعية المنخفضة مقارنة بالتصنيفات المهنية الأخرى الموجودة في الجزائر. مما يبين أن معظم أفراد العينة يحبون مهنتهم رغم النظرة السلبية لها مقارنة بالمهن الأخرى. كما نجد نسباً معتبرة من المعلمين والأساتذة الذين يختارون مهناً أخرى في المجال الإداري والمجال التجاري.

لنتضح لنا النظرة أكثر عن رغبة المدرسين في مهنتهم، حاولنا التعرف على أقدميتهم المهنية في مجال التدريس وأقدمية العمل في نفس المؤسسة التربوية، ولخصنا هذه المعطيات في الرسم البياني التالي:

الرسم البياني: متوسط عدد سنوات الأقدمية المهنية عند المدرسين



رغم التصنيف السلبي الذي يقدمونه لهذه المهنة ضمن المهن الأخرى. ونفس الملاحظة نستخلصها من الرسم وهي أقدمية العمل في نفس المؤسسة، حيث تقدر في المتوسط

ب ٩ سنوات أقدمية لمعلم التعليم الابتدائي و١٠ سنوات أقدمية لأستاذ التعليم المتوسط.

الصعوبات المهنية المعترضة للمدرس

بعد التعرف على نظرة المدرسين لمهنة التعليم، طرحنا سؤالاً للمعلمين والأساتذة للتعرف على بعض العوامل التي تعرقلهم وتزيد من صعوبة سير عملهم وممارساتهم البيداغوجية داخل القسم. ولخصنا إجاباتهم في الجدول التالي:

الجدول رقم (٣)

آراء المعلمين والأساتذة في العوامل التي تزيد من صعوبة سير العمل في القسم

العوامل	المعلمون %				الأساتذة %			
	كثيراً	نوعاً ما	قليلاً	أبداً	دون إجابة	كثيراً	نوعاً ما	أبداً
نقص انضباط بعض التلاميذ	١٨	٣٣	٣٠	١٢	١٨	٣٨	٣١	١٠
نقص التأطير البيداغوجي للمدرس	٧	٢٢	١٩	٣٥	١٨	٤	٢٤	٤١
التحضير الصعب للدروس	١٢	٢٣	١٧	٢٩	١٩	٤	١٩	٥٤
نقص في التكوين الدائم للمدرس	١٧	٢٣	١٦	٢٨	١٦	٧	٢٤	٤٢
نقص عدد الكتب المدرسية	١٩	١٨	٢١	٢٨	١٥	٢٤	٢٦	٣١
عدم تكيف محتويات الكتب للتلاميذ	٢٢	٢٢	١٩	١٥	١٢	٣٣	٢٧	٢٤
اكتظاظ الأقسام	٥٩	١٦	٦	١٢	٧	٧٤	١٧	٥
عدد المعيدين في القسم	٢٣	٢٠	٢٦	١٩	١٢	٤٢	٣٦	١١
عدم اهتمام الأولياء	٥٥	٢٣	١٤	٤	٥	٦٧	٢٢	٧
غياب التلاميذ	١٥	٢٢	٤١	١٣	٩	١٤	٣٦	١٤
غياب المدرس	٨	٥	١٩	٥٤	١٤	٣	٧	٦٥
نقص وثائق المدرس	٢٣	٢٤	١٦	٢٥	١٢	١١	١٨	٥٠
فساد السبورة	٢٣	١٩	١٦	٣١	١٢	١٣	٢٥	٤١
عدم نظافة المكان	٢٤	١٩	٢٢	٢٦	٩	١٢	١٩	٤٣

من خلال مجموع الاقتراحات المقدمة للمعلمين والأساتذة، والتي تحدد العوامل المختلفة التي تزيد من صعوبة سير العمل في القسم، تبين أن هناك بعض العوامل التي لا تؤثر في سير الدروس في الأقسام وذلك في المستويين التعليميين. حيث يصرح معظم

المعلمين وأكبر عدد من الأساتذة بأن نقص التأطير البيداغوجي للمدرس، وتحضير الدروس، والنقص في التكوين الدائم للأساتذة، ونقص عدد الكتب المدرسية، لا تؤثر أبداً على سير العمل في القسم.

كما تصرّح أكبر النسب من عدد الأساتذة والمعلمين بأن غياب المدرسين ونقص وثائق المدرس وفساد السبورة وعدم نظافة المكان لا يؤثر أبداً على سير العمل في القسم، مع الإشارة بأن في أقسام التعليم الابتدائي هناك نسبة معتبرة من المعلمين والمقدرة بـ ٢٤٪ ترى بأن نقص وثائق المعلم تؤثر نوعاً ما على سير القسم، ونسبة ٢٤٪ ترى بأن نظافة المكان تزيد من صعوبة سير القسم وتؤثر كثيراً.

يتبين من إجابات الأساتذة أن نقص انضباط بعض التلاميذ يؤثر كثيراً على سير العمل في أقسام التعليم المتوسط، حيث تذكر نسبة ٢٨٪ بأن ذلك يؤثر كثيراً وتذكر نسبة ٢١٪ منهم بأن ذلك يؤثر نوعاً ما على سير الأقسام. بينما في أقسام التعليم الابتدائي تصرّح نسبة ٢٣٪ من المعلمين بأن نقص انضباط بعض التلاميذ يؤثر نوعاً ما على سير العمل في الأقسام ونسبة أخرى، مقدرة بـ ٢٠٪ ترى بأن ذلك يؤثر قليلاً على سيرها.

من بين العوامل التي لها الأثر الكبير على سير أقسام التعليم الابتدائي وأقسام التعليم المتوسط، لدينا عامل اكتظاظ الأقسام إذ تؤكد نسبة ٥٩٪ من المعلمين ونسبة ٧٤٪ من الأساتذة، بأن اكتظاظ الأقسام يؤثر كثيراً على سير العمل فيه. ونشير بأن متوسط عدد التلاميذ في القسم الواحد في الابتدائي يقدر بـ ٢٤ تلميذاً، ويتراوح هذا العدد ما بين ١٨ و ٤٥ تلميذاً في القسم الواحد. بينما متوسط عدد التلاميذ في القسم الواحد في التعليم المتوسط يقدر بـ ٢٧ تلميذاً، ويتراوح هذا العدد ما بين ٢١ و ٤٨ تلميذاً في القسم الواحد.

كما لدينا عامل عدم اهتمام الأولياء الذي يؤثر كثيراً على سير الأقسام، حيث تصرّح بذلك نسبة ٥٥٪ من المعلمين ونسبة ٦٧٪ الأساتذة.

أما بالنسبة لعامل عدم تكييف محتويات الكتب للتلاميذ فنجد نسبة ٢٢٪ من المعلمين ترى بأن هذا العامل يؤثر نوعاً ما على سير أقسام التعليم الابتدائي ونسبة ٣٣٪ من الأساتذة ترى بأن ذلك يؤثر كثيراً على سير أقسام التعليم المتوسط. نلاحظ من خلال الجدول أن عدد المعهدين في القسم له تأثير كبير على أقسام التعليم المتوسط، حيث تؤكد نسبة ٤٢٪ من الأساتذة بأنه يؤثر كثيراً ونسبة ٣٦٪ بأنه يؤثر نوعاً ما على سير الأقسام، علماً بأن متوسط عدد المعهدين في التعليم المتوسط يقدر بـ ١٠ معهدين، ويتراوح

عدد المعيددين في القسم الواحد ما بين ٠١ و ٣٢ معيداً. بينما تذكر نسبة ٢٦٪ من المعلمين بأن عدد المعيددين في القسم يؤثر قليلاً على سيره، ونسبة ٢٣٪ ترى بأن ذلك يؤثر كثيراً على سير القسم، حيث متوسط عدد المعيددين في التعليم الابتدائي يقدر بـ ٠٤ معيددين في القسم، وعلى العموم يتراوح عدد المعيددين في القسم الواحد ما بين ٠٠ و ١٥ معيداً.

ترى نسبة ٤١٪ من المعلمين بأن غياب تلاميذ الابتدائي يؤثر قليلاً على سير العمل في القسم، وترى نسبة ٣٦٪ من الأساتذة بأن غياب تلاميذ المتوسط يؤثر نوعاً ما على سير القسم ونسبة ٣٦٪ منهم أيضاً، ترى بأن ذلك يؤثر قليلاً على سير العمل في القسم.

تغيب المدرسين وأسبابه

التغيب من المؤشرات الخاصة برضا العامل ومدى راحته في مهنته ووسط عمله، لذا خصصنا سؤالين للتعرف على عدد غياب المدرسين خلال الثلاثة أشهر الأخيرة، ووجه سؤال للمدرسين وسؤال آخر لمديري المؤسسات التربوية في المستويين الابتدائي والمتوسط. كما طرحنا سؤالين للمديرين والمفتشين حول غياب المدرسين إن كان يشكل مشكلاً أم لا، وعن آرائهم حول أسباب غياب المدرسين، ولخصنا إجاباتهم في الجدولين التاليين:

الجدول رقم (٤)

غياب المعلمين والأساتذة

المؤشر	التعليم الابتدائي		التعليم المتوسط	
	إجابة المعلم	إجابة المدير	إجابة الأستاذ	إجابة المدير
متوسط الغياب	٠٢	٤٨	٠٣	١٠٢
أدنى غياب	٠٠	٠٠	٠٠	١٥
أعلى غياب	٤٥	٢١٧	٨٥	٣٥١

نلاحظ من خلال إجابات المدرسين أن متوسط عدد غياب معلم التعليم الابتدائي يقدر بـ (٠٢) تغيبين للمعلم الواحد خلال ثلاثة أشهر، بينما يقدر عدد غياب أستاذ التعليم المتوسط بـ (٠٣) غياب للأستاذ الواحد لنفس الفترة، وأعلى عدد غياب المعلم الواحد يصل إلى (٤٥) غياباً، بينما أعلى غياب لأستاذ التعليم المتوسط يصل إلى (٨٥) غياباً خلال ثلاثة أشهر.

أما إجابات المديرين فكانت بالنسبة لعدد غياب مدرسي كل المؤسسة، ففي المتوسط يصل هذا العدد إلى ٤٨ غياباً لمجمل معلمي التعليم الابتدائي ويصل إلى ٨٥ غياباً لمجمل أساتذة التعليم المتوسط. ويتراوح عدد غياب المعلمين ما بين ٠٠ و ٢١٧ غياباً، وعدد غياب الأساتذة ما بين ١٥ و ٣٥١ غياب.

للتعمق أكثر في مشكل غياب المدرسين طرح سؤال على المديرين والمفتشين إن كانوا يعتقدون أن ذلك يشكل مشكلاً بالنسبة للتلاميذ وللمؤسسة، فكانت إجاباتهم كالتالي:

الجدول رقم (٥)

رأي المديرين والمفتشين حول غياب المعلمين والأساتذة

	التعليم الابتدائي		التعليم المتوسط	
	المدير %	المفتش %	المدير %	المفتش %
نعم	٨٩	٩٤	١٠٠	١٠٠
لا	١١	٠٣	٠٠	٠٠
دون إجابة	٠٠	٠٣	٠٠	٠٠
المجموع	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

رداً على السؤال المطروح، تبين أن غياب المدرسين يشكل فعلاً مشكلاً. ففي التعليم الابتدائي تؤكد نسبة ٨٩٪ من المديرين ونسبة ٩٤٪ من المفتشين أن غياب المعلمين يشكل مشكلاً. وفي التعليم المتوسط يؤكد كل أفراد عينة المديرين وكل أفراد عينة المفتشين أن غياب المعلمين والأساتذة يشكل مشكلاً.

فما هي الأسباب الأساسية لتغيب المعلمين والأساتذة؟ وهذا السؤال طرح على المديرين والمفتشين بتقديم مجموعة اقتراحات لهذه الأسباب وكانت الإجابات كالتالي:

الجدول رقم (٦)

أسباب غياب المدرسين حسب رأي المديرين والمفتشين

الأسباب	التعليم الابتدائي		التعليم المتوسط	
	المدير		المفتش	
	نعم %	لا %	نعم %	لا %
المشاكل الصحية	٩٦	٠٤	٦٧	٣٣
النشاط المهني الثاني للمدرس	١٥	٨٥	١٥	٨٥
نقص دافعية المدرسين	١٥	٨٥	٦١	٣٩
المسافة الكبيرة بين المدرسة والمنزل	١٩	٨١	١٥	٨٥
نقص الاعتبار من طرف العائلات	٠٨	٩٢	٢٤	٧٦
ظروف التعليم الصعبة بسبب عدد التلاميذ	١٩	٨١	٣٩	٦١
ظروف التعليم الصعبة بسبب نقص الوسائل التعليمية	٠٨	٩٢	٤٢	٥٨

يتبين من الجدول أن السبب الرئيسي لغياب المدرسين يعود إلى المشاكل الصحية التي يعاني منها المعلمون والأساتذة، وذلك حسب رأي مديري مؤسسات الابتدائي بنسبة ٩٦٪ ورأي مفتشي التعليم الابتدائي بنسبة ٦٧٪. ونفس الملاحظة في التعليم المتوسط، حيث تمثل رأي المديرين بنسبة ٦٣٪ ورأي المفتشين بنسبة ٨٢٪ في التأكيد على أن السبب

الرئيسي هو المشاكل الصحية.

السبب الثاني لغياب المعلمين والأساتذة يعود إلى نقص دافعية المدرسين، حيث تؤكد على ذلك نسبة ٦١٪ من مفتشي التعليم الابتدائي و٥٥٪ من مفتشي التعليم المتوسط. كما نلاحظ نسب معتبرة من المفتشين والمديرين، ترى أن ظروف التعليم الصعبة بسبب عدد التلاميذ سبباً لغياب المدرسين خاصة في التعليم المتوسط، وتؤكد على ذلك نسبة ٧٢٪ من مفتشي التعليم المتوسط، ونسبة ٤٢٪ من مديري مؤسسات التعليم المتوسط.

نلاحظ أيضاً أن ظروف التعليم الصعبة بسبب نقص الوسائل التعليمية سبباً لغياب المدرسين، وهذا ما أكدته نسبة ٤٢٪ من مفتشي التعليم الابتدائي ونسبة ٣٦٪ من مفتشي التعليم المتوسط، بينما عامل المسافة الكبيرة بين المدرسة والمنزل، فقد أشارت إليه نسبة ٤٢٪ من مفتشي التعليم المتوسط.

حرية التصرف لهيئة التدريس

طرح السؤال على المدرسين للتعرف على مدى استقلاليتهم في مهامهم، والمتمثل في حرية التصرف في الدروس وفي المؤسسة التربوية، وكانت إجاباتهم كما يلي:

الجدول (٧)

مدى حرية التصرف في مهام المدرسين

أستاذ التعليم المتوسط	معلم التعليم الابتدائي	
٦	١١	حرية مطلقة
٤١	٥٥	حرية كافية نوعاً ما
٣٤	٢٧	أقل مما ينبغي من الحرية
١٩	٤	لا وجود لها إطلاقاً
٠	٥	دون إجابة
١٠٠	١٠٠	المجموع

كانت إجابات المدرسين حول مدى استقلاليتهم في مهامهم، أي حرية التصرف في مهامهم التربوي في القسم الدراسي، تدل على أن عموماً معظم أفراد العينة في المستويين التعليميين يعتقدون أن البرامج والنصوص الرسمية تترك لهم حرية كافية نوعاً ما للتصرف في مهامهم. مع وجود نسب معتبرة أقل من ٣٥٪ من المعلمين والأساتذة تعتقد بأن لديها أقل مما ينبغي من حرية التصرف في مهامها. كما تعتقد نسبة ١٩٪ من الأساتذة بأنه لا وجود لها إطلاقاً.

ومن بين الدراسات التي ركزت على شعور المدرس بالحرية ومشاركته في اتخاذ القرارات المتعلقة بمهامه، الدراسة التي أجراها كل من أوتو وبلاصو Alutto et

Belasso (١٩٧٢)، وتوصلا إلى أن مشاركة المدرسين في اتخاذ القرارات لها عدة آثار إيجابية تتمثل في انخفاض الصراعات الشخصية، وجعل الحياة داخل المنظمة أحسن وتساهم في الرضا عن العمل، تسهل عملية المراقبة الإدارية الجيدة لنشاطات المنظمة، وتزيد من ثقة الموظفين مع ارتفاع الروح المعنوية وفعالية المنظمة. (ذكر في بوشر Boucher، ١٩٨٦، ص ١٦٠)

وفي دراسة أخرى قام بها بوشر Boucher (١٩٨٦) للتعرف على مدى تأثير نمط التسيير المطبق في المؤسسة الثانوية على نوعية المعاش داخل المدرسة وفعالية سيرها، وذلك حسب وجهة نظر كل من التلاميذ والمدرسين والأولياء للواقع المدرسي، ومن جهة أخرى درس تأثير ذلك على مردود التلاميذ. واختار عينة تتكون من ٩٤٩٥ تلميذاً، و٦١٩ مدرساً، و٢٧٨٥ ولياً. ومن خلال دراسته توصل إلى أن هناك علاقة بين نمط التسيير والمعاش المدرسي، مع اختلاف قوة هذه العلاقة من فئة لأخرى ومن بينها النتائج التي أظهرت تأثير حقيقي على نوعية معاش المدرسين. فكلما كان نمط التسيير مركزاً على المشاركة كلما انخفض شعور المدرسين بالتهميش، وكلما كانت اتجاهاتهم إيجابية نحو العمل.

خلاصة المداخلة

من خلال النتائج المتوصل إليها في هذه الدراسة الميدانية يتبين بأن هيئة التدريس في التعليم الإلزامي يعانون مصاعب في مهنتهم، مما يجعل بعض المدرسين يصنفون مهنتهم في أدنى التصنيفات مع حبهم ورغبتهم فيها، وظهور عامل التغيب بكثرة عند هذه الفئة، ومن أبرز أسباب ذلك هي المشاكل الصحية ونقص دافعية المدرسين وكذلك الظروف المهنية الصعبة لاكتظاظ الأقسام ونقص الوسائل التعليمية. كما أشار المدرسون إلى عدة عراقيل في تسيير أقسامهم على أحسن ما يرام.

ونلاحظ أن شعور البعض بعدم وجود الحرية الكافية للتصرف واتخاذ الإجراءات المناسبة، قد تزيد من الضغوطات عليهم.

فكل هذه الاستنتاجات تبين معاناة المدرسين مما يؤدي إلى الإنهاك المهني، فميدان العمل والجو العام السائد فيه والظروف التي يعيشها هؤلاء لها تأثير عليهم وعلى دائهم، فلا يتمكن المدرس من تحقيق توافقه المهني للوصول إلى النجاح والاستقرار في مهنته.

القبول الاجتماعي للعلوم الاجتماعية في المجتمع العربي السعودي

د. سليمان عبد الله العقيل*



الثقافية وعلاقته بالثقافات الأخرى لمجتمعات خارجية وصلت إليه بعض منتجاتها الثقافية والاجتماعية والدينية وغيرها. وفي المقابل نجد أن المجتمع التقليدي مجتمعاً آلياً أو ميكانيكياً في علاقته بأجزائه، بالإضافة إلى الصفات الأخرى التي تميزه عن المجتمع العضوي أو الحضري، مثل نوع وشكل العلاقات ودرجتها والتخصصات وحاجة المجتمع إليها وغير ذلك من الكم الهائل الذي

المقدمة

يعد المجتمع العربي السعودي مجتمعاً حديثاً في تكوينه البيروقراطي والتنظيمي، والتعامل مع المعطيات الحضرية بالشكل المطلوب، ذلك أن النقلة الحضارية والتحول الاجتماعي والثقافي في المجتمع سببت نوعاً من الفجوة الثقافية بين المدخلات وبين واقع المجتمع وتراثه وثقافته وهنا يكمن دور العلوم الاجتماعية لمعالجة وردم تلك الفجوة وتقويم الاختلالات.

من المعلوم أن المجتمع المدني مجتمعاً عضوياً تعتمد أجزاؤه على بعضها البعض في حركة الحياة اليومية، فالكل في تخصصات يفرزها المجتمع لحاجته إليها عبر تفاعله مع المدخلات

* أستاذ علم الاجتماع، قسم الدراسات الاجتماعية، كلية الداب، جامعة الملك سعود، الرياض/السعودية.

alakeels@hotmail.com

يحتويه المجتمع التقليدي. وبالنظر إلى المجتمع السعودي نجد أنه لا يزال في بعض تطلعاته وطروحاته وآماله وواقعه يأخذ بطرف من الجديد ويعتمد على القيم بكل أديباته، هذا رغم الخطط التنموية الطموحة والنقلات الجبارة التي شهدتها المجتمع في جميع نواحي الحياة. ونتيجة لتلاقي القديم بالجديد فقد حدثت تغيرات كثيرة لا تزال الكثير من الجوانب الاجتماعية والثقافية تحتاج إلى معالجة.

ومن النظرات غير المتوازنة لكثير من المدخلات الثقافية، تلك النظرة الاجتماعية التي تعتري العلوم الاجتماعية بشكل عام وعلم الاجتماع والخدمة الاجتماعية بشكل خاص.

موضوع الدراسة

إن المجتمع العربي السعودي وهو في مرحلة من التحول الاجتماعي في بنائه ووظائفه، والهجرة بأنواعها المختلفة، والانفتاح المجتمعي، والتصاعد في معدلات النمو المختلفة وغير ذلك من عوامل التحديث، قد أوجد تغييراً اجتماعياً حقيقياً يجدر التعامل معه على أسس علمية وعملية توازي حجم التغير.

ومن خلال دراسة المجتمع السعودي نجد أنه يزال في المراحل المبكرة من التحول في الجوانب المعنوية لثقافته، فالمجتمع العربي السعودي يحمل في ذاكرته كما كبيراً من المخزون الثقافي والتاريخي والديني الذي كانت الحياة الاجتماعية في مرحلة من مراحلها التاريخية السابقة تعتمد عليها، اعتماداً كلياً من خلال الوصايا التي يقدمها التراث الشعبي، أو الخبرة الشعبية التي استقاها من الواقع الاجتماعي أو من تجارب الآخرين أو من معطيات البيئة الطبيعية. وبعد التحول الذي يشهده المجتمع نجده يعيش في حالة من الحيرة أو الشك أو التناقض أو الإزدواجية، أو غير ذلك من حالة عدم الثقة في الكثير من المعطيات التي تقدمها المجتمعات الأخرى بثقافتها المتنوعة في مجال الحياة الاجتماعية وما تحويه الحياة المدنية من مشكلات كثيرة ومتعددة. إن المجتمع السعودي وبعد هذه الفترة من التحول والتغير الاجتماعي في حالة من الحاجة الشديدة والملحة للتعامل مع المعطيات والظواهر الاجتماعية، والوعي بدور العلوم الاجتماعية لدراسة الظواهر الاجتماعية الجديد، وتحديد حجمها، والبحث عن أسباب التخللات الثقافية والاجتماعية والنفسية وغيرها، ومن ثم معالجتها وفق المنهج العلمي المعروف. يضاف إلى ذلك التوعية بالمرحلة التي يمر بها المجتمع، ومحاولة إقناع بضرورة التعامل مع الأحداث الاجتماعية بعقلية تختلف عن ما كان سائداً في السابق، وبذلك يتجاوز المجتمع مرحلة التردد والمقارنة بين القديم والجديد.

هدف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى البحث في قبول المجتمع للعلوم الاجتماعية وفق معطيات التاريخ الاجتماعي والديني والثقافي له، وحاجته الحالية والمستقبلية لمثل هذه العلوم الاجتماعية الحديثة، في رصد ومعالجة القضايا الاجتماعية والمشكلات التي تواجه المجتمع وهو في حالة من التغير السريع المستمر، من خلال التحليل العلمي.

كما تهدف الدراسة إلى كيفية تكوين هذا القبول الاجتماعي كسلوك جمعي لأفراد المجتمع. كما أنها سوف تستعرض مجموعة من القضايا التي تسببت في عدم القبول الاجتماعي للعلوم الاجتماعية في المجتمع العربي السعودي مع تحليل اجتماعي لهذه الأسباب. وذلك من خلال استعراض القضايا التالية:

- (١) التفسير الخاطئ لدور العلوم الاجتماعية في المجتمع العربي السعودي.
- (٢) القناعة بكفاية التفسير الديني لمناحي الحياة الاجتماعية.
- (٣) القناعة بأنها علوم مستوردة وكافرة.
- (٤) الاعتماد على التراث الشعبي في معالجة المشكلات بدلاً من العلوم الاجتماعية.
- (٥) النماذج الاجتماعية والتنظيمية الخاطئة المقدمة لدور العلوم الاجتماعية.
- (٦) ضعف مخرج التعليم العالي الممثل للعلوم الاجتماعية.
- (٧) ضعف النموذج العامل والممارس في مجال العلوم الاجتماعية.
- (٨) عدم فهم التنظيم الإداري لدور مخرج العلوم الاجتماعية.
- (٩) الرؤية الحقيقية والصحيحة للعلوم الاجتماعية من الوجهة الدينية.
- (١٠) دور العلوم الاجتماعية في المجتمعات الحديثة والتقليدية.

الخلفية الموضوعية والتاريخية للدراسة

من المعلوم أن العلوم الاجتماعية جميعاً وفدت إلى المجتمع العربي والإسلامي من العالم الغربي، وحتوت في مضمونها وشكلها بعضاً من الثقافة الوافدة. ويزعم الغرب أنهم أرباب هذه العلوم، رغم أنهم يعدون أنفسهم مقلدون ومقتبسون لها من ثقافات المجتمعات الأخرى فهذه اليونانية والرومانية والفارسية والهندية والصينية وأخيراً الإسلامية التي كان لها عظيم الأثر في صنع الثقافة والحضارة الغربية. والعلوم الاجتماعية بشكلها الحالي لا يجادل أحداً أنها غريبة الشكل، غير أن هذا لا يمنع من الاستفادة منها وتطويرها لمقتضى الحال في المجتمع العربي والإسلامي حتى تعين في فهم المجتمع الجديد ومعرفة حركته.

وقد تعالت الأصوات من كل مكان مطالبة بإعادة النظر في محتوى العلم وفي إجراءاته، بل أن البعض أغرق في التطرف ورفضه جملة وتفصيلاً بحجج مختلفة منها مخالفة العقيدة ومنها أنه صنع اليهود ومنها أنه أداة استعمارية وغير ذلك، لكن المتفق عليه أن العلوم الاجتماعية بشكلها الحالي لا تعبر سوى عن المجتمع الغربي وثقافته، فالتطبيق المباشر له كما هو في المجتمعات غير الغربية قد يسبب بعض المشكلات. وتتلخص البعض على أن المتخصصين في العلوم الاجتماعية استعاروا ثم تبينوا الصياغات والنماذج النظرية التي طوّرت في الدول الغربية باعتبارها إنتاجاً اجتماعياً وشكلاً من أشكال المساعدة ومداخل صادقة يمكن الاعتماد عليها وقبولها على اعتبار أنها وافدة من مجتمعات متقدمة وهذا يكفي كمبرر لقبولها بصرف النظر عن مدى ملاءمتها لواقع المجتمعات العربية والإسلامية أو انحيازها إلى أيديولوجية مخالفة. وهذا الموقف من المتخصصين الاجتماعيين في مرحلة معين من مراحل التنمية والتطور الاجتماعي في المجتمعات العربية شكل نوعاً من التبعية الفكرية والثقافية وكان له أثراً سلبياً على مسيرة العلوم الاجتماعية.^(١) كما يمكن القول أن هذا الموقف قد خلق نوعاً من العزلة للعلوم الاجتماعية وعلى وجه الخصوص علم الاجتماع والأنثروبولوجيا والخدمة الاجتماعية وعلم النفس. وبذلك أصبحت هذه العلوم تتحدث عن قضايا معينة مربوطة بفرضيات تعلمها المتخصصين في مجتمعات مغايرة دون البحث في محتوى ثقافة المجتمع العربي والإسلامي، وقد تكون هناك أسباب ومبررات لعدم البحث منها ما يختص بانغلاق المجتمع على ثقافته وما يتعلق بالسلطة السياسية وعدم سماحها لدراسة المجتمع دراسة علمية أو غير ذلك من الأسباب. وفي الجانب الآخر نجد أنها بهذا الأسلوب تكون قد استعدت المؤسسة الدينية في المجتمعات العربية والإسلامية بتبنيها طروحات قد تكون في ظاهرها مخالفة لها من حيث الفكرة والطرح والأسلوب والتعامل وحتى سلوك العاملين فيها.

وذكر (هيشوشي Hsuch)، وهو أحد المتخصصين في العلوم الاجتماعية في جنوب وجنوب شرق آسيا من عدم ارتياحه من تدريس العلوم الاجتماعية بمناهجها المستوردة في مجتمعات تغيرها في الثقافة والتاريخ والديانة، وذكر أن ذلك قد يؤثر على الشخصية القومية أو يغيها من خلال التعليم ونقل المعرفة دون ملاءمتها لثقافة المجتمع.^(٢) أمّا عبد الباسط عبد المعطي فيرى أن الفكر الاجتماعي الذي كان سائد عبارة عن نوع من الفكر التحديتي المنقول الذي يدعو للتبعية بأشكالها المختلفة. غير أن هناك تياراً من الفكر الجديد الذي مصدره ثقافة المجتمع يعد في مجمله مناهضاً للفكر التحديتي براوفده المختلفة.^(٣) ويذكر عالم آخر من قارة أمريكا الجنوبية (رودريكز B. N. Rodriques) أن تطبيق العلوم الاجتماعية الغربية الوافدة بمناهجها على مجريات

الحياة الاجتماعية في تلك المجتمعات لا تؤدي سوى لنتائج محدودة جداً، وقد يكون السبب في ذلك الاختلاف في محتوى الثقافة وطريقة المعالجة والمقدمات النظرية والمسلمات الفكرية التي ينطلق منها المتخصصين في العلوم الاجتماعية في تلك المجتمعات نتيجة التعليم وتبني هذا الفكر وتلك المقدمات النظرية.^(٤) ونتيجة لهذه النتائج اتخذ بعض المتخصصين موقفاً مناهضاً من تلك العلوم وتجلى ذلك في المواجهة لوجهة نظر المراكز الكولونيالية في قضايا التخلف والتنمية، كما ذكر (دوس سانتوس T. Dos Santos). إنتاج وتبني نظرية مغايرة تتفق وفكر المجتمع. والتي تسمى باسم «نظرية التبعية»، والتي موقفها مخالف لتيار التحديث بمفهومه الغربي.^(٥) أما ما يدور في أذهان الكثير من العرب المسلمين حول علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية أو الإنسانية الأخرى، فقد لخصه أحمد خضر في قوله لقد ضاعت سني حياتنا في شعوذة أطلق عليها علماً ليس في حقيقته إلا صياغة دينية لمعتوه فرنسي وملحد يهودي وشرذمة من الماركسيين واللا دينيين أرادوا له أن يكون ديناً جديداً وأرادوا لأنفسهم أن يكونوا أنبياء هذا الدين الجديد. وهذا القول يعكس وجهة نظر البعض وخصوصاً ممن له توجهات سياسية بطابع ديني.^(٦) ويقول محمد عزت حجازي إننا لا ننتج علماً حقيقياً، إنما نستورد ونستهلك دون تبصر، ونخلط بين ما يمكن أن يفيد وما لا غناء فيه. وأن الكثير من المشتغلين بالعلوم الاجتماعية يعيشون في بلادنا بأجسادهم بينما يعيشون في الخارج بأفكارهم وفهمهم وتطلعاتهم ونظرتهم للحياة وغير ذلك، وبلغ بهم الحال إلى حد التوحد معه.^(٧)

الأساس النظري

يرى الباحث أن القبول الاجتماعي للعلوم الاجتماعية سلوكاً اجتماعي يتبناه أفراد المجتمع، وبذلك يصبح جزءاً من التنظيم الاجتماعي. والمجتمع السعودي، قبل الانفتاح والتغير الاجتماعي، كان لديه سلوكاً اجتماعياً يرفض المدخلات الثقافية، لرفض ثقافته بمحتواها لهذه المدخلات، ولكن بعد التغير والتحديث أصبح القبول الاجتماعي للعلوم الاجتماعية لدى البعض نوعاً من السلوك الجديد الذي تبناه ويسعى إليه بقية أفراد المجتمع، وبالتالي يصبح جزءاً من التنظيم الاجتماعي للمجتمع السعودي.

وتنظيم الحياة الاجتماعية بجميع أشكاله في طريقه للاتجاه نحو الجديد، يكون الطريق نحو التحريك والتنوع في السلوك والتنظيمات الاجتماعية، بينما كان في الماضي يبدو على أنه يسير بموازاة توجيه أحوال السلوك جهة التجانس.^(٨) يرى (كزنوف) أن التنظيم الاجتماعي عبارة عن جملة من أوضاع وأدوار قائمة في ظل مؤسسات لا يستطيع الاستمرار إلا بقدر الرضى الاجتماعي وقبول القواعد الناجمة عنه.^(٩) فالقبول الاجتماعي

للعلم الاجتماعي يمكن أن يتحول إلى جزء من التنظيم الاجتماعي، حيث أنه يمكن أن يكون له دور في حياة المجتمع في ظل مؤسسات اجتماعية لا يمكن أن تستمر إلا بقدر من الرضى الاجتماعي، وقبول التنظيمات والقوانين والقواعد الناتجة عن هذا التنظيم.

في المقابل، فقد اعتبر الباحث أن القبول الاجتماعي للعلوم الاجتماعية نوعاً من السلوك الاجتماعي الجديد الذي يحتاج إليه المجتمع السعودي، حيث أن السلوك عبارة عن استجابة أورد فعل للفرد أو الجماعة، لا يتضمن فقط الاستجابات والحركات الجسمية، بل يشتمل على العبارات اللفظية، والخبرات الذاتية. هذا السلوك هو ما يمارس من قبل أفراد المجتمع تجاه التعامل مع المؤسسات الاجتماعية الجديدة في حياتنا الاجتماعية.

فالسلك المطلوب لهذا الفعل الاجتماعي هو السلوك الاجتماعي، لأن السلوك الفردي لوحده قد لا يكون ذا فائدة كبيرة بالنسبة للقبول الاجتماعي لقضية اجتماعية معينة، فنحن نجد أن هناك الكثير من الممارسات الفردية التي لا تعكس بالضرورة فعلاً اجتماعياً مقبولاً من أغلبية أفراد وفئات المجتمع. السلوك الاجتماعي إذاً هو سلوك شخص أو مجموعة من الأشخاص يحدث استجابة لسلوك أشخاص آخرين، دون أن يكون لهؤلاء الأشخاص وجود فيزيقي وهذا يعني أن الشخص يستجيب في ضوء توقعه لسلوك الآخرين. لذلك فالسلوك الاجتماعي قد لا يشتمل على الوجود الفيزيقي لأكثر من شخص واحد.^(١٠) فالسلوك الاجتماعي الذي نبحث عنه ليكون جزءاً من الفعل الاجتماعي العام في المجتمع هو ذلك القبول الاجتماعي للعلوم الاجتماعية والاعتراف بدورها وفعاليتها في معالجة المشكلات الاجتماعية والتعريف بمستجدات الحياة الاجتماعية ومن ثم محاولة البحث في طرق التكيف الاجتماعي مع معطيات التحديث يضاف إلى ذلك قبولها كجزء من الثقافة العامة للمجتمع ومزجها بها.

لذلك فهو يتطلب نوعاً من السلوك الجمعي الذي يعد الأساس النظري للفعل الاجتماعي، حيث يعرف على أنه التهيئة على ضوء معتقد عام لإعادة صياغة الفعل الاجتماعي.^(١١) والفعل الاجتماعي هو أي نشاط منظم وموجه نحو هدف ما يصدر عن شخص أو مجموعة أشخاص. وهناك ثلاثة عناصر رئيسية للفعل وهي:

١- توقع الاتجاهات.

٢- النشاط المنظم والموجه وفقاً لتعريف الدور، ومن خلال المعايير الاجتماعية وتوقعات الآخرين.

٣- الإنجاز الرمزي للهدف.^(١٢)

ونقصد في هذه الدراسة بالفعل الاجتماعي الوعي والتفاعل الاجتماعي مع أحد القضايا المهمة والمخلات التي يجب الاستفادة منها لفهم ومراجعة أحوال المجتمع الجديد. وهذا ما تدور حوله الدراسة وهو القبول الاجتماعي للعلوم الاجتماعي.

وعند مناقشة الفعل الاجتماعي ومستوياته، نستعين بتحليل سملزر لها، حتى ندرك حجم العمل المطلوب لإدماج العلوم الاجتماعية في ثقافة المجتمع العربي والمجتمع السعودي بشكل خاص، لا سيما ونحن نعرف أن المجتمع العربي السعودي مجتمع تقليدي يعيش وفق معايير ونظم معينة يحكمها التراث، والدين، والبيئة الطبيعية التي شكلت الكثير من اتجاهات، وأنشطة الأفراد فيه.

وحين مناقشة هذه المصنوفة نجدها تتحدث عن المجتمع في حالة التوازن والتكامل البنائي بكل مستوياته وقيمه ومعاييره والحوافز الدفعية نحو النمو والاستمرار وماذا تقدم لأفراده من تسهيلات في شكلها المادي والمعنوي وذلك بغية النمو والتكامل والاستمرار والمحافظة.

وبتطبيق هذه المصنوفة على الفعل الاجتماعي في المجتمع السعودي، نجده لا يشذ عن هذا التقسيم المذكور، سوى باختلاف الرؤى ومستوى التحليل لفاعلية النظم والمعايير ومحتوى الثقافة بشقيها التي يحملها عبر مراحلها التاريخية ومعطياتها المادية.

مصنوفة مستويات مكونات الفعل الاجتماعي لسملزر

المستوى	القيم	المعايير	التعبئة المنظمة	التسهيلات
المجتمع	قيم مجتمعية	الامتثال العام	الدافعية المروضة	تصورات عن البيئة
القطاع	شرعية القيم للقطاعات	تحديد معايير للقطاعات	العطاء العام	تقعيد المعرفة
المؤسسة	شرعية المكافآت	تحديد معايير للمؤسسات	القدرة المدربة	التكنولوجيا المناسبة لظرف معين
الفرد	شرعية الالتزام الفردي	تحديد ضوابط للسلوك الفردي	الامتثال إلى عالم الكبار	الحصول على الثروة والصيت للاستشهاد بها
القطاعات المنافسة	شرعية القيم المنافسة	تحديد معايير للقطاعات المنافسة	توجيه الفرد للقطاعات	توجيه التكنولوجيا إلى القطاعات
الهدف	شرعية القيم لتحقيق الأهداف	معايير للتعاون والتنسيق	توجيه الفرد للمؤسسات	توجيه التكنولوجيا إلى المؤسسات
الأداء	شرعية القيم للجهد المبذول	برامج لتوجيه النشاط وجداوله	توجيه الفرد إلى أدوار محددة في المؤسسة	استعمال الإمكانيات في المؤسسة لنيل الهدف

وكما يذكر بعض المتخصصين في علم الاجتماع من أن المجتمع يحتاج إلى وجود نوع من التوتر في المحيط الاجتماعي لقبول سلوك اجتماعي جديد يتحول فيما بعد إلى

سلوك اجتماعي عام، من خلال الفعل الاجتماعي الذي يفترض وجوده لتكون السلوك الجمعي المطلوب.

وقد حدد سملزر (smelser) جملة من المحددات لهذا السلوك الجمعي:

(١) التيسير البنائي (Structural Conduciveness) ويعني أن السمات البنائية للمجتمع تشجع على حدوث نوع من السلوك القيمي الجديد الذي يناسب المرحلة التي يمر بها. ^(١٣) وإذا نظرنا إلى المجتمع السعودي بعد فترة من العمليات التنموية والانفتاح المجتمعي على ثقافات المجتمعات الأخرى وجدنا أنه مؤهل لدخول مرحلة جديدة من التغير في السلوك الاجتماعي العام والذي هو عبارة عن تلاقي المنتجات الثقافية من المجتمعات الأخرى مع المنتج الثقافي المحلي ليشكل نوعاً من السلوك الجديد الذي أفرز جواً من الإحساس العام بالتغير والاتجاه العام نحو التهيؤ للتغير، مما يتوجب على المتخصصين في العلوم الاجتماعية ملاحظته ودراسة حجم هذه التغيرات ومعرفة اتجاهات المجتمع، وهذا لا يمكن أن يحدث دون القبول الاجتماعي بهذا العلم والقناعة بقدرته على إيجاد مخارج وحلول للمشكلات الاجتماعية في شكل برامج ومؤسسات وأفراد عاملون في الحقل الاجتماعي من قبل المؤسسات الرسمية ومن قبل أفراد المجتمع.

(٢) التوتر البنائي (Structural Strain) ويعني التوتر البنائي تمايز المجتمع إلى فئات مختلفة تبني كل منها معايير اجتماعية تختلف عن لمعايير السائدة في المجتمع. ونتيجة لهذا الاختلاف فإن الحكم على الأمور الاجتماعية يختلف تبعاً. وينتج عن هذا الاختلاف شعور بعض الفئات الاجتماعية بالحرمان النسبي، بمعنى أن بعض لفئات لا تشعر بحصولها على ما تعتقد أنها تستحقه من منافع. قد يكون هذا الشعور بالحرمان حقيقياً أو متصوراً، كما قد يكون متعلقاً بأمور مادية أو بأمور معنوية. وفي المجمل فإن الفئات التي تشعر بالحرمان النسبي تتعرض لنوع من الغبن من الترتيبات الاجتماعية السائدة. ^(١٤) وإذا نظرنا إلى حجم التغيرات الاجتماعية التي حدثت في البناء الاجتماعي للمجتمع السعودي نتيجة للعمليات التنموية الكبيرة والسريعة، وللهجرة شبه الجماعية من الريف والقرية والبادية يمكن القول أن هناك شعوراً سائداً لدى البعض من الفئات الاجتماعية أنها فقدت الكثير من معاييرها الاجتماعية ومكتسباتها عبر سنوات لصالح هذه التغيرات الاجتماعية الجذرية وبذلك أصبح هذه الفئات تشعر في بعض الأحيان بالغبن أو بعدم العدالة أو بالحرمان من الكثير من المكتسبات الاجتماعية المادية والمعنوية حتى أصبح البعض منها يشعر بالعيش على هامش الحياة الاجتماعية، هذا ما ذكرته بعض الدراسات حول الفقر الحضري. ^(١٥) كل ذلك يستوجب الفهم الاجتماعي

لمثل هذه الظواهر الاجتماعية ومناقشتها بنوع من التجرد والشفافة، وذلك في إطارها الاجتماعي ومن خلال فهمنا لثقافتنا وتراثنا العربي والإسلامي، دون التطبيق المبرمج لنظريات وأفكار وتجارب اجتماعية من مجتمعات أو جماعات اجتماعية مغايرة أو مخالفة لمعتقد وثقافة وتاريخ المجتمع، أو إرثه الاجتماعي والنفسي والعاطفي والوجداني. ثم بعد ذلك البحث في القبول الاجتماعي لهذه التفسيرات والأحكام الصادرة تجاه المجتمع.

(٣) نمو معتقد عام وانتشاره (Groth and Spread of Generalized Belief)

وهذا يعني ظهور تعبير موجز ومقبول لتفسير التوترات الموجودة في المجتمع وتحديد مصادرها وأسبابها وبالتالي معالجتها.^(١٦) وهذا ملاحظ على مستوى المجتمع بفئات الاجتماعية، وإذا نظرنا إلى نسبة الذين يذهبون إلى الأطباء الشعبيين أو السحرة والمشعوذين ندرك حجم الاشكالات الاجتماعية التي تتطلب من المتخصصين في العلوم الاجتماعية التدخل لتكون الحل الأمثل وفق المعايير العلمية والمنطقية معتمدة على تراث ومعتقد وفكر المجتمع. فانتشار المعتقد بأن المشكلات الاجتماعية لا يستطيع أن يحلها سوى المتخصصين في العلوم الشرعية أو من تشبه بهم يؤكد على عدم فاعلية وقيمة العلوم الاجتماعية في المجتمع، كما يؤكد على أن العلوم الاجتماعية تحتاج إلى إصلاح ذاتها والبحث عن القبول الاجتماعي لها على المستوى الشعبي والمستوى الرسمي.

(٤) العوامل المسرعة (Precipitating Factors) وتعني إخراج المعتقد العام

من حيز الوجدان إلى ميدان السلوك.^(١٧) وهذا ما يعني الإحساس بالمشكلة، فحين الشعور بأن هناك مشكلة حقيقة تواجه المجتمع أو الفرد، فإن جزء كبير من حلها هو إخراجها والبحث عن طرق ووسائل لمعرفتها وتحديد حجمها وبالتالي إيجاد سبل حلها. ويمكن القول أن هناك الكثير من الندوات على مستوى العالم العربي والإسلامي للبحث في مشكلة العلوم الاجتماعية بفهمها وتوطيئها وأسلمتها - لدى البعض - والتأصيل الإسلامي لها أو القبول الاجتماعي لها والحديث عنها على مستوى واسع في وسائل الإعلام كل ذلك نوعاً من العوامل المسرعة بالقبول الاجتماعي لها، وبالتالي تكون الثقة بها وبما تحمل من فكر ومنهج عمل وتبنيها نوعاً من السلوك الاجتماعي الاعتيادي، إذا توافرت الشروط الاجتماعية والنفسية والوجدانية والثقافية لها.

(٥) التعبئة والتنظيم (Mobilization of Motivation inot Organized Action)

وتعني إبراز سلبيات الترتيبات الحالية والتحفيز على قبول المعتقد العام وإيجابيات ما تدعو التعبئة. وتهدف هذه الخطوة إلى الشحن الاجتماعي لمناصرة الفكرة المراد طرحها

أو تكوين سلوكاً اجتماعياً حولها.^(١٨) أما التنظيم فيني تجميع الإمكانيات الاجتماعية والتنسيق بينها حتى تستطيع الحركة للقبول الاجتماعي وبالتالي تكوين سلوكا اجتماعيا حولها. وهذا ما نجده في عالم البحث إثبات الذات لدى المتخصصين في العلوم الاجتماعية، فالندوات والعمل الجاد في سبيل القبول الاجتماعي.

مناقشة قضايا الدراسة

هذه الدراسة عبارة عن مناقشة تحليلية لمجموعة من القضايا التي وضعها الباحث من خلال خبرته العلمية والعملية الطويلة في مجال دراسة وتدرّيس مادة علم الاجتماع والاحتكاك المباشر بالكثير من المعطيات في مجال هذا التخصص وعلاقته بحركة المجتمع على المستوى الرسمي وغير الرسمي، لذلك فإن معظم المناقشة عبارة عن رؤية شخصية تحتاج إلى المزيد من الإفادة والرصد.

القضية الأولى

التفسير الخاطئ لدور العلوم الاجتماعية في المجتمع العربي السعودي

حين مناقشة هذه القضية، لا بد من استحضار الكثير من العناصر الثقافية المؤثرة في المجتمع، حتى يمكن فهم هذا التفسير الخاطئ لدور العلوم الاجتماعية الحديثة في المجتمع. فبالنظر للمجتمع العربي السعودي نجده مجتمعاً حوى في ثقافته: (١) التراث الإسلامي بكل أدبياته عبر سلسلة تاريخية وفكرية منتقاة. (٢) التراث العربي عبر سلسلة من المراحل التاريخية التي نقل من خلالها الفعل العربي وارتبط ارتباطاً وثيقاً بمعطيات التفسير الديني والبيئي لحركة الحياة الاجتماعية ومؤثراتها المختلفة (٣) التراث الشعبي الذي يعد فعلاً اجتماعياً متراكماً، وتصويراً لحركة الحياة الاجتماعية اليومية، مرتبطاً بمؤثرات البيئة الثقافية والطبيعية. (٤) البيئة المكانية والزمانية ومؤثراتها، مثل العزلة الجغرافية والثقافية والبعد عن المراكز الحضارية لفترات طويلة من الزمن، وغير ذلك من المؤثرات. (٥) الانفتاح الحضاري الزماني والمكاني ومن ثم التغيرات الجذرية في حياة المجتمع، التي يمكن القول أنها كانت أحد العوامل المساعدة في عملية التفسير الخاطئ لدور العلوم الاجتماعية حيث تتوافر فيها عناصر الجدة والمفاجئة، والاختلاف، والتنوع، والأسلوب وغير ذلك.

هذه المعطيات السابقة الذكر وغيرها تعكس شيئاً قليلاً من وجهة نظر المجتمع في تعاملها مع المدخلات الثقافية وطريقة تفاعلها وتعاطيلها مع الثقافات المغايرة. يضاف إلى ذلك أن هناك من يعين المجتمع على هذا التصور والممارسة من قبل بعض

المتخصصين في هذا العلم الاجتماعي فتجد (خضر)، ومن يتبنى فكره يؤكد على أن لرجال الاجتماع نشاط ملحوظ ومسموع وهم ينقلون أفكار علم الاجتماع ويعرفون أن دورهم هو دور النادل الذي يقدم الطعام دون أن تكون له أية مسؤولية في ظهوره. فهم لم يشاركوا في صياغة النظريات التي تبناها ويرددونها بشكل آلي.^(١٩) إن هذا الاتهام على إطلاقه من شأنه أن يؤثر في مدى القبول الاجتماعي للعلوم الاجتماعية في ظل المعطيات السياسية التي يواجهها العام الثالث والوطن العربي ضمنه، ومن ثم يحرم المجتمع من أحد المنتجات الثقافية الإنسانية. ثم يفسر على أنه علم استعماري هدفه التبعية ومسح الهوية. إن هذه الأحكام وتعميمها فيها شيء من التخلف والتأكيد عليه واستمرار بقاء المجتمع في الزوايا المظلمة من التاريخ، لأننا إذا نظرنا إلى الدين الإسلامي بكل معطياته، وسيرة المصطفى ﷺ، نجده في قمة التحديث والبحث عن الجديد. ولكن الفهم الخاطئ للدين والعلوم المساعدة على تيسير مسار الحياة الاجتماعية يجعل من البعض يتطرف في إطلاق الأحكام المضللة. ثم نجد أن الكاتب يزيد على ذلك ويذكر: أننا لسنا بحاجة إلى علم الاجتماع لا في شكله العام ولا فيما يسمى بعلم الاجتماع الإسلامي أو أسلمة وتأسيس علم الاجتماع.^(٢٠) ومن هنا يمكننا أن نقول أن الفهم الخاطئ للعلوم الاجتماعية ودورها في المجتمع من قبل المتخصصين يسهم في الرفض الاجتماعي لها، أو على الأقل عدم القبول العام أو القبول من قبل بعض الفئات الاجتماعية قبولاً مشوباً بالحذر لما قلناه بعض المتخصصين فيها عنها، ولما يدور حولها من أقاويل، وبذلك يمكن أن يفسر دور العلوم الاجتماعية في الوطن العربي والإسلامي والمجتمع العربي السعودي تفسيراً خاطئاً يحتاج إلى الكثير من الجهد والوقت لإزالته.

القضية الثانية

القناعة بكفاية التفسير الديني لمناحي الحياة الاجتماعية

من خلال الإرث التاريخي والاجتماعي للمجتمع العربي السعودي، ومن خلال اعتماد الدين الإسلامي الجذر التاريخي والفكري والديني والاجتماعي والمفسر لجميع المعطيات الثقافية والاجتماعية والحياتية بل والنفسية والعاطفية وكل مظهر من مظاهر الحياة اليومية للمجتمع والفرد السعودي، نجد هناك قناعة كبيرة ومتأصلة لدى الكثير من أفراد المجتمع السعودي بكفاية التفسير الديني لمناحي الحياة، بل ويذهب الكثير منها على أن الدين الإسلامي لم يترك صغيرة ولا كبيرة ولا حركة ولا سكنة في الحياة إلا ولها تفسير وأهل الدين لهم معرفة بها ولديهم مبرر وتفسير قوي ومقنع، بل وأن لديهم القدرة على معرفة بعض الأشياء التي فوق استطاعة عقل الإنسان العادي مثل تفسير الأحلام وشفاء

الأمراض المستعصية والبسيطة وكشف السحر والمسحورين وغير ذلك من القضايا والمشكلات ومجريات الحياة.

وبهذا نجد أن القبول الاجتماعي للعلوم الاجتماعية في المجتمع ضعيف جداً، والشك كبير في قدرة العلوم الاجتماعية على حل المشكلات الاجتماعية أو حتى تشخيصها، وبذلك نجد أنها علوم ليست على مستوى ثقة المجتمع. ويتساوى في ذلك الفرد السعودي العادي وكذلك المسؤول. ذلك أن المسؤول جزء من المجتمع ويتأثر بمعطياته وثقافته. يضاف إلى ذلك أن المجتمع يعتمد الدين الإسلامي كجذر لثقافته، وبالتالي ليس غريباً أن نجد هذا التصور لدى عامة الأفراد في المجتمع. والذي يفترض أن يكون هو أن الدين الإسلامي دين متجدد يصلح لكل زمان ومكان ولا يعارض التغيرات التي تطرأ على بنية وثقافة المجتمع، بل لديه القدرة على استيعابها والتعامل معها بشكل يثريها ويجعلها أكثر فاعلية في حياة المجتمع وأفراده.

غير أن عدم القدرة على استيعاب المستجدات الكثيرة التي حدثت في المجتمع السعودي، من قبل فراد المؤسسة الدينية، والخوف على مستقبل الدين الإسلامي وتفسيره الاجتماعي، بالإضافة إلى سهولة القديم من المعطيات التفسيرية لواقع الحياة الاجتماعية وصعوبة التفسير الديني الاجتماعي لمعطيات المجتمع الجديد تجعل أعضاء المؤسسة الدينية ومن ورائهم المسؤول عن العمل الاجتماعي ومن ثم بقية أفراد المجتمع يقتنعون بكفاية التفسير الديني لمناحي الحياة الاجتماعية.

وهنا يمكن القول أن الحياة الاجتماعية في المجتمع العربي السعودي ومن مثله المجتمع الخليج وكذا المجتمع العربي والإسلامي، هي حياة اجتماعية متغيرة تستحق البحث فيها وسبر غور مشكلاتها وبالتالي استخدام الوسائل المفيدة والناجحة لتقصي هذه الظواهر الاجتماعية وإيجاد المؤسسات الاجتماعية التي تعين مساعدة المجتمع على حل المشكلات الجديدة أو المتجدد. وقد يكون الحل في استخدام الوسائل والطرق والتنظيمات والمؤسسات الاجتماعية من المجتمعات المغايرة ومن ثم توظيفها بما يتناسب وثقافة المجتمع وبالتالي يمكن أن يوجد القبول الاجتماعي لها من خلال التعرف على دورها والتعريف بها من قبل بقية أفراد المجتمع بفئاته المختلفة سواء كانوا من المسؤولين أو من بقية أفراد المجتمع. كما يمكن أن يمزج دور هذه المؤسسات أو السلوك الاجتماعي الجديد بالمهام الرئيسية التي يهدف إليها الدين الإسلامي من سعادة وطيب عيش للمسلمين. وهنا يمكن أن تتغير نظرة أفراد المجتمع ويصبح للعلوم الاجتماعية دور مهم في الحياة الاجتماعية.

القضية الثالثة

القناعة بأنها علوم مستوردة وكافرة

هناك قناعة كبيرة لدى الكثير من أبناء المجتمع العربي والإسلامي، من أن بعض المنتجات الفكرية والثقافية والاجتماعية للمجتمعات الأوروبية والأمريكية لا تحمل الاعتقاد الصحيح بل مخالفة للدين، ومخالفة لتراث المجتمع الثقافي والاجتماعي والشعبي، وهناك من يحمل هذه الفكرة ويروجها بقوة على أساس أن كل ما يأتي من الغرب مخالف للدين وليس في مصلحة المجتمع وأفراده. وعلى هذا بقي أفراد المجتمع حذرون من كل المنتجات الثقافية والفكرية، رغم ممارستها بشكل أو بآخر. كما أن هناك من يؤكد على هذا التباعد ويسخن له، ويرفض قبول العلوم الاجتماعية في المجتمع ولا توطئتها أو الاستفادة منها.

ويذكر (خضر) أن هناك مجموعة من الحقائق حول علم الاجتماع على اعتبار أنه علم اجتماعي ليس من ثقافتنا الإسلامية بل أنه مناهض لها، وهذا التفكير والسلوك من متخصص في علم الاجتماع عبارة عن انعكاس لبعض المعطيات الثقافية والنفسية لمجموعة من أفراد المجتمع الذين يجدون نوعاً من الصدود والضعف في مواجهة المتغيرات الاجتماعية والاحتكاك بالثقافات المجتمعية لمجتمعات مغايرة. والحقائق التي يتحدث عنها هي: (١) أن علم الاجتماع شعوزة الأزمنة الحديثة. (٢) أن تدريس علم الاجتماع في بلاد العرب والمسلمين، لا يعد ضرورة من ضرورات المعرفة والواقع، وأنه ألغى هذا التخصص من جامعاتنا فإن غيابه لن يكون نقصاً ولا تخلفاً معرفياً. (٣) إن النزعة العلمية في علم الاجتماع نزعة مزيفة، وأن الشروط العلمية لا تتوفر في علم الاجتماع (٤) أن علم الاجتماع علم عقائدي ليس بالمحايد، وأنه استعماري بطبيعته، وذو صلة بأعمال المخابرات، وهدفه الأول ضرب الدين والعقيدة بصفة عامة، والإسلام وشريعته بصفة خاصة. (٥) أن رجال علم الاجتماع في بلاد المسلمين لا ينتجون علماً حقيقياً، وإنما يستوردون ويستهلكون الأفكار والسلوك.^(٢١) ويزعم (خضر) أن المتخصصين في العلوم الاجتماعية في البلاد العربية والإسلامية قد أقروا بما ذكره من حقائق. غير أن الإقرار الذي كان ولا يزال موجوداً هو أن تبني العلم الاجتماعي بشكله الحالي لا يخدم المجتمع لأنه قد فُصل لمجتمع آخر ومن خلال الكثير من معطيات ذلك المجتمع، كالبحوث والدراسات والمعطيات الاجتماعية والسياسية وغيرها، والتي جعلت العلم الاجتماعي في الدول الغربية يظهر بهذا الشكل الذي لا يقره الكثير من المتخصصين في العلوم الاجتماعية في البلاد العربية والإسلامية. غير أن المؤكد هو أن الاختلاف مع

من يتبنى هذا الطرح هو إغلاقه لعقله وعدم فهمه لحركة المجتمع الإنساني ثم بعد ذلك الدعوة القوية والصراخ باسم الدين على أن هذا العلم كافراً، أو ملحداً أو غريباً أو غير ذلك من أدوات الإثارة.

من المعلوم أن العلم ليس له هوية أو موطن وأن الحكمة ضالة المؤمن وأن أصول العلم الاجتماعي كان إسلامياً ومن الرواد ابن خلدون والمسعودي والبيروني وابن خلكان، ومن قبلهم ومن بعدهم. كل ذلك وغيره يجعلنا ننظر للعلم الاجتماعي على أنه من صنع المجتمع الإسلامي الأول، كما فعل النبي ﷺ (المؤاخاة) والمزج الثقافي بين المهاجرين والأنصار وإعادة التنظيم الاجتماعي للمجتمع العربي الإسلامي في المدينة المنورة، دون التصادم مع ما يحمل أفراد المجتمع من بعض القضايا الثقافية قبل الإسلام (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق). من هذه المعطيات وغيرها يمكن القول أن المجتمع العربي الإسلامي أشد حاجة من غيره لتوطين هذا العلوم والبحث في خباياه لمصلحة المجتمع واستمراريته. وأن هذه العلوم ليس كلها كفر، إنما من جهل شيء عاداه.

القضية الرابعة

الاعتماد على التراث الشعبي في معالجة المشكلات بدلاً من العلوم الاجتماعية

من خلال استعراض التاريخ الاجتماعي للمجتمع العربي السعودي، يمكن القول أنه ورغم المخزون الهائل والتراكمات الثقافية والتراث الإنساني الذي يحمله المجتمع في ذاكرته، نجده ميالاً للاستمسك بما فوق العقل والاعتماد على ما في الذاكرة من الخيال وغالباً ما ينتقص من الحلول العملية والواقعية. ونستشهد في هذا المقام بمثلين الأول: الاعتماد الشديد على التفسير الديني لبعض القضايا الاجتماعية التي لا تحتاج إلى التفسير الغيبي، بل أن الدين الإسلامي والنبي محمد ﷺ أمر بالبحث في خبايا الحياة لإيجاد الحلول الشافية، وذلك مثل قوله ﷺ (أنتم أدرى بشؤون دنياكم) أو (تداووا عباد الله) وغير ذلك من الأمور التي لا تحتاج سوى البحث عن المسبب ومعالجة المشكل. غير أن عقلية أفراد المجتمع اتسمت بالبحث عن الحل في أماكن لبست بيد الناس الذين تعرفهم وتتعامل معهم، بل في يد من يزنون أن لديه حلولاً سحرية لجميع المشكلات والقضايا التي تواجههم في حركة الحياة اليومية. أما المثال الثاني فهو الاعتماد الكبير على الموروث الشعبي بما يحمل من خبرات وتوجهات ومكتسبات وغير ذلك، ثم يوظف هذا الموروث كقاعدة للتعامل مع معطيات الحياة اليومية والحركة المتجددة في مجتمع يسعى للتجديد، لذا نجد بعض أفراد المجتمع ينزع للذهاب إلى المقرئين والمشعوذين وغيرهم طلباً للشفاء من أمراض بدنية ونفسية واجتماعية. يضاف إلى ذلك البحث عن الحلول للمشكلات التي تعترض مسيرة

الحياة اليومية في التراث الشعبي على أساس أنه الملاذ الآمن والركن الذي يعتمد عليه في الخروج من المآزق وذلك بناء على المقولة المشهورة «الأول ما خلى للتالي شيء». وأن الأمثال الشعبية عبارة عن الصدى الحقيقي لثقافة الشعوب ونتاج المحتوى الاجتماعي بتفاعلاته عبر فترة من الزمن. ورغم أن هذه الفكرة صحيحة، غير أنها لا تؤخذ على إطلاقها، ذلك أن الحياة الاجتماعية غير ثابتة وحاجاتها متغيرة ومتعددة وفق المعطيات الأنوية والظروف الموضوعية. لذلك فإن الحاجة للعلم الجديد الذي يساير الواقع الجديد ويسهم في حل مشكلاته يوازي أو يزيد في حاجة المجتمع لتراثه الشعبي، لأن الجديد اليوم هو تراث شعبي أو اجتماعي غداً، لذلك يمكن القول أنه من المفيد حث المجتمع بفعالياته المختلفة وبطرق وأساليب كثيرة ومتعددة على الاتجاه نحو الأخذ بالأساليب العلمية في حل المشكلات بدلاً من الاعتماد على التراث الشعبي في حل المشكلات الاجتماعية أو أنها تكون إطاراً مرجعياً لها، وبذلك يصبح لدينا وعياً وفهماً ثم قبولاً اجتماعياً للعلوم الاجتماعية وفي قدرتها على رصد وبحث القضايا الاجتماعية ثم حلها أو إيجاد السبل الكفيلة بمعالجتها. وبذا يصبح التنظيم الإداري للمجتمع لديه القناعة بما سبق من عرض، ومن ثم يبدأ في تمكين هذا العلم ومن يحمله في الوظائف والمؤسسات العامة ويوصي بها للمؤسسات الخاصة وذلك لأهمية العلم الاجتماعي ودوره في تحديد ومعالجة الظواهر الاجتماعية الكثيرة والمختلفة. وبذا تتكون الثقة لدى المجتمع في العلوم الاجتماعية من الحلول الكثيرة والمفيدة، والتي محتواها العقل والعلم والتجربة.

القضية الخامسة

النماذج الاجتماعية والتنظيمية الخاطئة المقدمة لدور العلوم الاجتماعية

من المعلوم أن العلوم الاجتماعية والإنسانية أخذت شكلها العلمي والمنهجي وتطورت تطوراً كبيراً في المجتمعات الغربية، وذلك بعد أن نقلت أصولها من مجتمعات كثيرة ومنها المجتمع الإسلامي، بما تحمله من ثقافات مختلفة، وبعد ذلك عكف عليها الغربيين وأنتجوا علوماً اجتماعية وإنسانية توازي حجم المدخلات والتأثيرات التي بصموها بها، وبذلك أصبح هناك علماء ومؤسسات وتنظيمات اجتماعية تحمل الطابع الغربي والأمريكي. ولضعف هذه العلوم في المجتمعات الأخرى، بدأ الكثير من المجتمعات ومنها المجتمع الإسلامي إرسال الوفود من طلبة العلم للحصول الدراسي وتحقيق ما يمكن أن يسهم في رفعة وتقديم شعوبها. وفي الجانب الآخر أدرك البعض أهمية نقل الهياكل التنظيمية من قوانين ونظم ومؤسسات ومناهج دراسية ووسائل وطرق العمل في العمليات التنموية التي تسعى لتغيير وتحديث المجتمع بعد التخلف والفقر والجهل لذي لفها لفترات طويلة. إن

هذا النقل والاستعارة والتقليد في الوسائل المختلفة، ومنها النماذج الفكرية أنتجت تبعية في اللاوعي لدى الكثير من القيادات الفكرية والثقافية بحيث نجد، وفي بعض الوطن العربي والإسلامي من يدعو بصراحة إلى تتبع خطوات المجتمع الأوروبي في حالة التغير الأولى له حيث الصدام مع الكنيسة ومن ثم نبذها والتخلي عن كل ما يمس الدين بصلة وإطلاق العنان للفكر والحرية والعبث. كما أنها نقلت الكثير من المؤسسات والتنظيمات بشكل مندفع وسريع دون التريث والتفكير في العواقب، وذلك رغبة في تغيير المجتمع نحو الأفضل. وبذلك خزن المجتمع العربي والإسلامي الكثير من المدخلات المتناقضة من المفكرين والمؤسسات والتنظيمات الاجتماعية التي تمس الفرد والتي في أصلها مستوردة، ثم بعد ذلك سعى الكثير نحو أقلمة أفراد المجتمع ونظامه مع هذه المعطيات بالطرق المعروفة في التكيف الاجتماعي، ولم يبع هؤلاء أنهم خالفوا ثقافة المجتمع ودينه وتاريخه وتراثه. وتكيف المجتمع مع هذه المعطيات في بعض مظاهرها تكيفاً ظاهراً لم يف بحاجة الخطط أو ناقل هذه المعطيات من فكر وثقافة أو تنظيمات قانونية أو غيرها، والسبب في ذلك أنها تخالف ثقافته. وبقي الوضع هكذا في الكثير من البلدان العربية والإسلامية. ثم تساءل البعض عن الانفصام بين معطيات تغير المجتمع المادية وضعف التكيف أو التأقلم، وجاءت الإجابات متفاوتة. غير أن الإجابة تكمن في أن هذه المعطيات لم تحز على القبول الاجتماعي وبذلك لم تجد مكاناً لها في واقع المجتمع سوى بالشكل الظاهري. والسبب يكمن في: (١) الاختلاف الظاهر والباطن بين المدخلات الجديدة وبين معطيات المجتمع الثقافية والتاريخية، مهما كانت المدخلات جيدة في نظر المخطط. (٢) الأفكار وبعض لسلوكيات التي كان يحملها المجددون تخالف فكر وثقافة وسلوك أبناء المجتمع صاحب الإرث التاريخي والديني العريق والطويل والصحيح. (٣) الهياكل والتنظيمات التي استوردوها المجددون تحتاج إلى فترة طويلة من التكيف والتأقلم معها، والمجددون يبحثون عن نتائج سريعة ونقلة قوية نحو مجتمع غربي أو يحاكي الغربية في كل شيء، وهذا سبب ردة اجتماعية. (٤) في حالة النقل والاستعارة من المجتمعات الغربية أو الشرقية والتغير كان أفراد المجتمع في حالة من الجهل بكل أنواعه، وكان الناقلون هم النخبة، وهذا كان سبباً في عدم القبول الاجتماعي. (٥) في حالة التغير والنقل والاستعارة الثقافية من المجتمعات الأخرى، غابت المؤسسة الدينية بكل محتوياتها من الفكر، ومن الرجال، ومن التفسيرات الدينية والاجتماعية لهذه التغيرات، وطلب المساعدة منهم للحصول على الاعتراف المجتمعي بمحتويات المجتمع الجديد، بل الذي حدث هو افتعال العداوة وإشعال فتيلها والاستمرار في الحرب ضدها، وفي المقابل الهجوم المضاد مما سبب خسارة المجتمع وعدم الاستفادة من المعطيات الجديدة.

إن النماذج الاجتماعية المتمثلة في بعض المفكرين والممارسين للعمل الاجتماعي مثل التدريس في الجامعات أو العاملين في بعض القطاعات العامة في المجتمع ذات الطابع الاجتماعي لها دور مهم وبارز في رفض المجتمع لهم، ذلك أن أفراد المجتمع يقارنون بينهم وبين أفراد المؤسسة الدينية اللصيقة بهم وبحياتهم اليومية من حيث السلوك والالتزام والبساطة وحسن الخلق والفائدة المرجوة من هذا العمل، فإذا لم يصل العامل في القطاع الاجتماعي إلى مستوى الشيخ العالم الشرعي، فإن ذلك مدعاة للاستهتار وعدم القبول الاجتماعي للعلم ولا لصاحبه. وفي الجانب الآخر فإن الفرد يقارن بين المؤسسة الاجتماعية أو التنظيم الاجتماعي وبين المسجد، أو المؤسسة الدينية وما يقدم فيهما، وبذلك يجد الفرد أن المؤسسة أو التنظيمات الاجتماعية الحديثة لا يفي بالمطلوب معتمداً في ذلك على الخلفية التاريخية والثقافية له، وهنا لا يحقق العلم الاجتماعي القبول الذي يريد أن يحظى به. وهذا ما يؤكد (خضر) «عادي رجال الاجتماع في بلادنا الدين والصحة الإسلامية، هذا (سمير أمين) يشن حملة شعواء ضد هذه الصحة، ويراهما صحة مزعومة لا تستحق تسميها ويرها موجة رجعية تتخبط في استمرار تسلط ما يسميه بفكر عصور الانحطاط. وذلك (سمير نعيم) يشن حملته ضد شباب الجماعات الإسلامية، ويرميهم بالتطرف والجمود العقائدي والانغلاق الفكري، ويصفهم بأنهم مرضى عقليين لديهم أوهام حيوانية الرجل وشهوانية تجاه المرأة. وبين (سمير أمين) و(سمير نعيم) تتعدد الرؤى وتختلف الطروحات عن الدين والصحة الإسلامية، لكنها تنطلق وتصب في نفس النهر المعادي لهما»^(٢٢).

القضية السادسة

ضعف مخرج التعليم العالي الممثل للعلوم الاجتماعية

ينظر المجتمع لمخرج التعليم العام والعالي على أساس أنه يحقق بعض المكاسب الدينية والدنيوية، وبهذا يقاس. وحين ننظر إلى مخرجات التعليم العالي ونجد أنها (١) ذات بنية ضعيفة في التكوين العلمي والنفسي. (٢) عدم الوضوح في الهدف والوسيلة. (٣) الرؤية القاتمة للمستقبل. (٤) عدم الثقة بالتخصص. (٤) عدم الاعتراف المجتمعي والوظيفي لهذا المخرج من التعليم. (٥) الضعف في مناهج التعليم وانفصالها عن الواقع الاجتماعي وثقافة المجتمع. كل تلك المعطيات وغيرها الكثير تزيد من غربة هذا العلم ومن ثم تؤخر القبول الاجتماعي له في المجتمع. إن النماذج الاجتماعية والهيكل التنظيمية للعلوم الاجتماعية في الوطن العربي والمجتمع السعودي بشكلها الحالي لا تخدم استمراريته ولا تعينه على القبول به، فقد رأينا في القضية السابقة أن هناك

نماذج اجتماعية وعلمية وأكاديمية كانت على النقيض من دين وتراث وثقافة المجتمع، بل وحاربت المؤسسة الدينية في فكرها ورجالها ورموزها. وفي الجانب الآخر نجد أن المؤسسات الاجتماعية فيها من معطيات عدم الرضا المجتمعي والمخالفات الشرعية والاجتماعية والنفسية كطرق المعالجة وطرح المشكلات وأسلوب التعامل، والعاملون فيها ما يؤهلها لأن تعزل عن بنية وثقافة المجتمع. كل ذلك كان سبباً في عدم القبول الاجتماعي وحتى الوظيفي، فنجد الخريج من هذه التخصصات لا يجد عملاً لأن المؤسسة الإدارية لا تعترف به، لأنه غير معترف به من قبل المجتمع.

القضية السابعة

ضعف النموذج العامل والممارس في مجال العلوم الاجتماعية

بالإضافة إلى ما ذكر في القضية الخامسة حول النماذج الاجتماعية الخاطئة، وما تحمله من أفكار مغايرة وتبني رؤى ليست من منتجات المجتمع الثقافية، خصوصاً فيما يتعلق بالفعل الاجتماعي والفكرة الدينية، وما ذكر في القضية السادسة حول ضعف مخرج التعليم العالي وضعف التكوين العلمي والنفسي للطالب وعدم القناعة بما يدرس من مناهج، حيث يعتبرها نوعاً من المنتجات الغربية أو أنها ليست ذات قبول اجتماعي أو إداري، وفي نهاية المطاف أن هذا الطالب لن يجد عملاً جراء اختياره لهذا التخصص أو إرغامه على الالتحاق به. من هنا يمكن القول أن هذه النماذج والتنظيمات الخاطئة، ومخرجات التعليم العالي تصيب العامل والممارس بنوع من الوهن، والضعف، وعدم المبالاة، وعدم الاكتراث لما يدور حوله من معطيات اجتماعية متغيرة، بالإضافة إلى ما قد يتبنى العامل أو الممارس من أفكار مخالفة أو تطبيقات لا تتفق وثقافة المجتمع. كما أن عدم اعتراف التنظيم الإداري، من قبل الجهات القائمة على توظيف الخريجين يضعف حماس العاملين في مجال العلوم الاجتماعية أثناء العملية التعليمية والتدريب وبعد التخرج وأثناء وجودهم على رأس العمل لأن مكاتب توظيف لا تكثر كثيراً بما ينتج التعليم العالي من هذه التخصصات، وذلك لعدم الاعتراف الاجتماعي والإداري بها. وهنا يمكن القول أن القبول الاجتماعي هو الدلالة على القبول والاعتراف الإداري، ومن ثم يمكن أن يتحسن المخرج التعليمي والتدريب ومن ثم يجد الممارس والعامل في مجال العلوم الاجتماعية ذاته ويقبل على فهم ومعالجة الواقع الاجتماعي ويسهم في بناء المجتمع الجديد.

القضية الثامنة

عدم فهم التنظيم الإداري لدور مخرج العلوم الاجتماعية

المعلوم أن التنظيم الإداري انعكاس لما يدور في الواقع الاجتماعي، ففهم التنظيم الإداري لدور مخرج العلوم الاجتماعية مرتبط بالفهم العام للقبول الاجتماعي لدور لهذه العلوم الاجتماعية ومدى فاعليتها وجدواها في المجتمع. فإذا نظرنا إلى دور العلوم الشرعية في المجتمع نجدها جذر المجتمع بل وعموده الفقري، وهذا الأمر صحيح في المجتمع العربي السعودي، ولكن ليس بالضرورة أن المتخصص في العلوم الشرعية يستطيع أن يفتي في القضايا الاجتماعية سوى بما يعرفه من معطيات عامة ومن خلال خبرته كأحد أفراد المجتمع ولكن ليس كمختص في العلوم الاجتماعية. ولغياب الفهم الإداري والاجتماعي لدور العلوم الاجتماعية، ومن خلال الإرث التاريخي والشعبي، وجد المجتمع وتنظيمه الإداري أن المتخصص في العلوم الشرعية لديه القدرة على معالجة، وسبر غور، والتنظير لقضايا المجتمع. ودون الأساس المعرفي مشابهاً بنوع من الغرور، قبل المتخصص في العلوم الشرعية هذا الدور على أساس أنه لا فرق هناك بين العلوم الاجتماعية والشرعية. ثم بدأ بمحاربة المتخصصين في العلوم الاجتماعية على أساس أنها علوم غريبة تخالف الدين والعقيدة والثقافة والإرث التاريخي والشعبي للمجتمع، وأن من يحملها ويدرسها ليس سوى ناقل للكفر ولا يفيد المجتمع وغير ذلك من التهم. من هذه النتيجة يمكن القول أن سوء الفهم الإداري لدور العلوم الاجتماعية مرتبط بالفهم الاجتماعي لها وعلى الخصوص القيادات الفكرية والثقافية والدينية التي لها دور في تغيير المفاهيم الاجتماعية.

القضية التاسعة

الرؤية الصحيحة للعلوم الاجتماعية من الوجهة الدينية

يعالج الدين الإسلامي الكثير من الأفعال الاجتماعية الصادرة من الناس بحكم أنهم بشر يخطئون ويصيبون، ويعطي حلول مثلى للمسلمين لاستمرار حياتهم الاجتماعية على أفضل حال ودون حدوث مشكلات تتعب الفرد وتشل حركته. لذلك جاء التوجيه الرباني في كتابه ﷻ (القرآن الكريم) وجاء في سنة المصطفى ﷺ بما يكفل الحد الأدنى من الاستقامة. ثم بعد ذلك حث الإسلام على البحث في كل شيء للتعرف على قوانين وأسرار الكون، قال الله تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾. وغير ذلك من الآيات الدالة على شؤون الحياة الاجتماعية في جميع المجالات مثل الإرث، الرضاة، النسب، العلاقات الاجتماعية، الإصلاح بين الناس، التدخل بين الأخوين وتقويم حالهما سواء كانا فردين

أو فئتين من الفئات الاجتماعية. وكتاب الله مليء بالكثير من عرض القضايا الاجتماعية وتوجيه المجتمع والفئة الحاكمة فيه بتبني الطرح الأكثر ملائمة لحياة الناس، وتبني سنة النبي ﷺ لأن فيها الكثير من الحلول لمشكلات المجتمع. وباستعراض سنة المصطفى نجد فيها الكثير من المعالجات لكثير من القضايا المطروحة في الحياة الاجتماعية، كما أن فيها الكثير من الإشارات إلى تبني الأفضل فيما يتناسب مع واقع الحال، ومثال ذلك «قضية تأبير النخل» و«الحرب الخدعة والمكيدة». كما فتح المجال لمعالجة المشكلات في المجتمعات لمدينة ذات التنظيم العضوي والعلاقات الثانوية والمتشابكة وذات المصالح المعقدة والمتداخلة، فتح المجال للتنظيمات الاجتماعية والمفكرين الاجتماعيين ليكون لهم رأي فيما يدور في مجتمعهم. ومن ذلك ما نجده فيما سمي فيما بعد أسلمة العلوم الاجتماعية أو التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية، أو علم الاجتماعي الإسلامي أو غير ذلك من المصطلحات التي مؤداها أن هناك من المسلمين ممن هو مقتنع بدور العلوم الاجتماعية المطورة في المجتمعات الغربية ويريد الخروج من عباءتها لتكون رؤية اجتماعية مقبولة اجتماعياً تعتمد في المجتمعات العربية والإسلامية وتأخذ مكانها بين العلوم المقبولة في المجتمع. لذلك نجد أن يؤكد (رجب) على أنه قد ثبت صدق حقائق علمية وتعميمات امبريقية للعلوم الاجتماعية، لأنها استخدمت مناهج وأدوات صحيحة في التوصل إلى هذه الحقائق والتعميمات. وهذه المناهج والأدوات لا يمكن التقرير فيها.^(٢٣) ويضيف إن في العلوم الاجتماعية خيراً، وذلك في أسس بناء النظرية التقليدية، فيه خيراً كثيراً.^(٢٤)

ويقول (عبد الهادي) «بدون التأصيل والتوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية، فإن المهنة لن تضرب بجذورها في المجتمع الإسلامي وستظل كعهد بها في تلك المجتمعات مهنة هامشية ليس لها الدور الإيجابي الذي يتوقع منها، وستظل مستهلكة لأدبيات المهن بدون وعي بطبيعة الاختلافات الأيديولوجية والثقافية بين المجتمعات الغربية والمجتمعات الإسلامية، مما يجعل نمو المهنة وتقدمها أمراً مستحيلاً».^(٢٥) وتتزايد المطالبات في هذا الاتجاه ومردّه أن القبول الاجتماعي للعلوم الاجتماعية لا يأتي سوى بالتعريف الصحيح لها ثم العمل على إيجاد نماذج مقبولة من المفكرين، العاملين، والهيئات، والمؤسسات، حتى يتم الاعتراف الاجتماعي بالعلوم الاجتماعية. ويؤكد (عجوبة) على أن دمج العلوم الإسلامية في العلوم الدينية، ليخرجوا منها بنسق علمي موحد، لم تتعد مرحلة الدعوة إلى التنفيذ العلمي. ويمكن أن تكون من خلال الإبداعات على مستوى التنظير والتطبيق.^(٢٦)

القضية العاشرة

دور العلوم الاجتماعية في المجتمعات الحديثة والتقليدية

إن الفهم الاجتماعي لقضايا المجتمع سواء كان ذلك في الماضي البعيد أو في الحاضر والمستقبل من القضايا المهمة لاستمرار الحياة الاجتماعية بشكل متوازن يحفظها من التدهور والضياع. وقد كانت المجتمعات التقليدية والبدائية تنيط هذه المهمة بالكهان والحكماء ورجال الدين في كل المجتمعات. وقد رأينا من خلال سنة النبي ﷺ فعله في بناء الجماعة الإسلامية من الداخل والعمل على وحدتها وتماسكها وتفهم مشكلاتها، وقد كان ﷺ الملجأ والملاذ لهم حينما تصيبهم معرة وكان ذلك في مكة المكرمة قبل الهجرة. ثم رأينا كيف كان البناء في المدينة المنورة بعد الهجرة واللبنة الأولى للدولة الإسلامية وقد كان ﷺ الدوحة الآمنة لصحابة رضوان الله عليهم. لأنه ﷺ بالإضافة لكونه نبياً مرسلًا، فقد كان عالماً بأحوال المجتمع، فقد كان يوجه ويحذر وينصح ويعطي إشارات لما سوف يكون من مشكلات اجتماعية وفق بعض المعطيات المجتمعية فيما بعد. واستمر الحال على مستويات مختلفة من صغر حجم المجتمع وتقليدية وشعبية إلى كبر حجمه وتعدد مشكلاته وكثرة مطالبه وحاجاته. واعتمد بعض المجتمعات المنهج النبوي في تسيير أمور المجتمع بحدوده وظاهر مفاهيمه مضافاً إليه بعض المنتجات الثقافية المحلية. واعتمد البعض الآخر من المجتمعات المنهج بشكل أوسع من الاستفادة من المنتجات الثقافية والاجتماعية لمجتمعات أخرى، تطبيقاً لمبدأ الحكمة ضالة المؤمن، واطلبوا العلم ولو في الصين. من ذلك استفادوا من العلوم الإنسانية وبكل معطياتها. ثم بحثوا فيما يناسب وما لا يناسب قريباً وبعداً من العقيدة والشريعة الفكر الإسلامي.، لذلك نجد أن (رجب) يؤكد على أنه قد ثبت صدق حقائق علمية وتعميمات امبريقية للعلوم الاجتماعية، لأنها استخدمت مناهج وأدوات صحيحة في التوصل إلى هذه الحقائق والتعميمات. وهذه المناهج والأدوات لا يمكن التفريط فيها. ^(٢٧) ويضيف أن في العلوم الاجتماعية خيراً، وذلك في أسس بناء النظرية التقليدية، فيه خيراً كثيراً. ^(٢٨) ومن هذا المنطلق نجد أن (ماكس فيبر) يؤكد على أن العلوم الإنسانية وهي تسعى إلى الفهم أن تقيم أنماطاً مثالية بحسب حاجة البحث، ولا يكون ذلك بمزج كواشف مستمدة من الواقع، بل بالبحث عن الحد الأقصى من الاتساق المنطقي بالنسبة لكل نمط. ولا يرجع النمط المثالي إلى وصف ظاهرة اجتماعية معينة راهنة. ثم يردف قائلاً إن المتخصص في العلوم الاجتماعية لا يقيم النمط المثالي لكي يختزل ما يشاهد في الواقع المشخص بل ليتخذ دليلاً في الملاحظة اللاحقة. ^(٢٩) لذلك يتبين أن دور العلوم الاجتماعية في المجتمعات التقليدية والحديثة السعي الحثيث على فهم الحركة الاجتماعية وتكوينها ومن ثم محاولة وضع قوانين أو أنماط مثالية لهذه

الحركة. ويمكن القول أن الفرق بين المجتمعات الحديثة والتقليدية فيا حركتها يرجع إلى مجموعة من العوامل الذاتية والموضوعية في المجتمع نفسه. لذلك فإن دور العلوم الاجتماعية في المجتمعات الحديثة أكثر وأهم منه في المجتمعات التقليدية، وذلك يرجع إلى التنوع الثقافي وطبيعة المجتمع العضوية حيث الاعتماد على بعضه في شكل غير ملحوظ لحركته واستمراره. كما أن يحتاج إلى الكثير من المؤسسات المجتمعية المساندة للمؤسسات الاجتماعية التقليدية في استمرار حركته، لذلك نجد في بعض المجتمعات الأكثر أخذاً بالعلوم الاجتماعية والتي طورت فيها، أن مؤسسة الأسرة مثلاً لا تقوم بكل المهام الاجتماعية لأبنائها ولكن هناك مؤسسات مجتمعية أخرى مفعلة تقوم بدور وهم ومساند ولا يقل أهمية عن دور الأسرة، مثل نادي الأصدقاء والنادي العام والمدرسة وغيره من المؤسسات المجتمعية الأخرى.

الهوامش

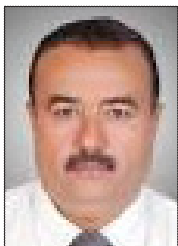
- (١) أبو العينين، فتحي. الاتجاهات النظرية في دراسة التخلف والتنمية والمشكلات الاجتماعية في بلدان العالم الثالث، مجلة البحث، السنة الثانية عشرة، العدد الأول والثاني، ص ١٠٧-٧٧.
- (٢) فريدريك غارو، العلوم الاجتماعية: شكل آخر من أشكال التبعية في العالم الثالث، ترجمة حسين حجاج، الثقافية العالمية، السنة الثامنة، العدد ٢٤ (نوفمبر ١٩٨٨م) ص ٢٢-٢٣.
- (٣) عبد الباسط عبد المعطي، ندوة التنمية في مصر والوطن العربي، مجلة فكر السنة الثانية، العدد السابع، أكتوبر ١٩٨٥م، ص ٣٢٧-٣٤٠.
- (٤) فريدريك غارو. المصدر السابق، ص ٣٣.
- (٥) أبو العينين، فتحي. الاتجاهات النظرية في دراسة التخلف والتنمية والمشكلات الاجتماعية في بلدان العالم الثالث، مجلة البحث، السنة الثانية عشرة، العدد الأول والثاني، ص ٩٢-٩١.
- (٦) أحمد خضر، اعترافات علماء الاجتماع: عقم النظرية وقصور المنهج في علم الاجتماع، ٢٠٠٠م المنتدى الإسلامي لندن، ص ٥.
- (٧) محمد عزت حجازي، الأزمة الراهنة لعلم الاجتماع في الوطن العربي، ندوة نحو علم اجتماع عربي - أبو ظبي ٢٤-٢٨ إبريل ١٩٨٣م، ص ١٥-٢٥.
- (٨) كزنوف، جان. دعائم علم الاجتماع. ترجمة عادل العوا. (١٩٨٩م) طلاس للدراسات والترجمة والنشر دمشق، ص ٤٢.
- (٩) كزنوف، جان. دعائم علم الاجتماع. ترجمة عادل العوا. (١٩٨٩م) طلاس للدراسات والترجمة والنشر دمشق، ص ٣٢.
- (١٠) محمد علي مجمد وزملائه، المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية (١٩٨٥م) دار المعرفة الجامعية، مصر، ص ٣٦.
- (١١) محمد علي مجمد وزملائه، المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية، (١٩٨٥م)، دار المعرفة الجامعية، مصر، ص ٤١٠.
- (١٢) الفيصل، عبد الله. مقومات الحركات القيمية كما بينها سملزر، جامعة الملك سعود، م ٥ الآداب (٢)، ص ٣٤٧-٧٩٠.
- (١٣) المصدر السابق: الفيصل: ٧٤٣.
- (١٤) المصدر السابق: الفيصل: ٧٤٣.
- (١٥) عزيزة النعيم، الفقر الحضري: دراسة ميدانية في مدينة الرياض (١٩٩٨م)، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الدراسات الاجتماعية، جامعة الملك سعود.
- (١٦) الفيصل، عبد الله. مقومات الحركات القيمية كما بينها سملزر، جامعة الملك سعود، م ٥ الآداب (٢)، ص ٧٤٤.
- (١٧) المرجع السابق: الفيصل ٧٤٥.
- (١٨) المرجع السابق: الفيصل ٧٤٦.
- (١٩) أحمد خضر، اعترافات علماء الاجتماع: عقم النظرية وقصور المنهج في علم الاجتماع. (٢٠٠٠م) المنتدى الإسلامي، لندن، ص ٧.

- (٢٠) المرجع السابق، أجمد خضر، ص: ٢١
- (٢١) أحمد خضر، اعترافات علماء الاجتماع: عقم النظرية وقصور المنهج في علم الاجتماع. (٢٠٠٠م) المنتدى الإسلامي، لندن، ص ١٣-٢٠.
- (٢٢) أحمد خضر، اعترافات علماء الاجتماع: عقم النظرية وقصور المنهج في علم الاجتماع. (٢٠٠٠م) المنتدى الإسلامي لندن، ص ٨.
- (٢٣) إبراهيم رجب، المنهج العلمي للبحث من وجهة إسلامية في نطاق العلوم الاجتماعية ومهن المساعدة الإنسانية. ندوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالتعاون مع جامعة الأزهر ١٠-١٣، أغسطس ١٩٩١، القاهرة، ص ٥.
- (٢٤) إبراهيم رجب، منهج التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية، المؤتمر الثاني للتوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالتعاون مع جامعة الأزهر، ٧-١٠ أغسطس ١٩٩٣ القاهرة، ص ٤٣-٤٤.
- (٢٥) محمد أحمد عبد الهادي، الخدمة الاجتماعية الإسلامية في القوات المسلحة، المحور الثالث، المؤتمر الثاني للتوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالتعاون مع جامعة الأزهر، ٧-١٠ أغسطس ١٩٩٣ القاهرة، ص ٣٢٩-٣٣٠.
- (٢٦) مختار إبراهيم عجوبة، منهجية التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية وتطبيقاتها المعاصرة. مجلة العلوم الاجتماعية، مجلد (٢٥)، العدد (١)، ربيع ١٩٩٧، ص ٢٠٥.
- (٢٧) إبراهيم رجب، المنهج العلمي للبحث من وجهة إسلامية في نطاق العلوم الاجتماعية ومهن المساعدة الإنسانية. ندوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالتعاون مع جامعة الأزهر، ١٠-١٣ أغسطس ١٩٩١، القاهرة، ص ٥.
- (٢٨) إبراهيم رجب، منهج التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية، المؤتمر الثاني للتوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالتعاون مع جامعة الأزهر، ٧-١٠ أغسطس ١٩٩٣ القاهرة، ص ٤٣-٤٤.
- (٢٩) جان كزنوف، دعائم علم الاجتماع. ترجمة: عادل العوا. دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق ١٩٨٩م ص ١٢٧.

تنمية القدرات العقلية والبحثية لدى طلاب التعليم العالي بين تحديات الواقع وطموح المستقبل

دراسة سوسيولوجية في المجتمع اليمني

أ. د. فضل عبد الله الربيعي*



من أن تكون أداة فاعلة في حل مشكلات
المجتمع المتعددة والمعقدة.

وفي ضوء الدراسة والتمحيص
في تلك المشكلات وبالاستناد إلى عدد
من المصادر والمراجع ذات الصلة
والارتباط الوثيق بموضوع الدراسة
والمتنوعة الموضوعات واهتمامات
مشكلات التعليم العالي من تجارب كثير
من البلدان العربية والعالمية التي تعتبر
تجاربها ودروس نهضتها محل اهتمام
وتمحيص ليتم الاستفادة منها مثل نهضة
أوروبا واليابان وغيرها.

وبعد الدراسة والتحليل والمناقشة
لموضوع الدراسة والمفاهيم العلمية

ملخص الدراسة

تتمحور هذه الدراسة حول هدف
عام يرمي إلى تسليط الأضواء على
معوقات تنمية القدرات العقلية والبحثية
لدى طلاب التعليم العالي وبين تحديات
الواقع وطموح المستقبل، والكشف عن
أبعاد هذه المشكلة من خلال تحليل بعض
أوجه القصور التي تأثر فيها ومن ثم وضع
تصور لمعالجتها.

وفي هذه الدراسة سيتم استعراض
ومناقشة القصور، بمؤسسات التعليم
العالي التي لا تشجع على تنمية وتطوير
القدرات العقلية والبحثية لدى الطلاب
في الجامعات اليمنية. محاولين وضع
تصور عن كيفية الاهتمام بالمبدعين
وتنمية قدراتهم العلمية لتكون قادرة
على مواجهة تحديات التنمية حتى تتمكن

• أستاذ علم الاجتماع الحضري والعائلي/اليمن.

rabee2012@hotmail.com

وبنظرة سوسيولوجية فاحصة توصلت الدراسة إلى معالجات يراها الباحث كموضوع اهتمام من قبل مؤسسات التعليم الجامعي والمجتمع بشكل عام.

لقد توصلت الدراسة إلى وضع تصور عملي يحقق الأهداف والفرضيات التي وضعتها الدراسة وهي:

- إن تقدم الأمم وخروجها من حلقات التخلف والتبعية يمكن بالتخطيط الهادف لتنمية مواردها البشرية والمادية، لذا فإن اكتشاف القدرات العقلية العالية وتنميتها عبر المراحل التعليمية المختلفة، يتم من خلال الاهتمام وتنميتها وتطويرها.

- وعليه يوصي الباحث بضرورة إعادة النظر ببرامج التعليم العالي حتى يمكنها من أداء دورها في المجتمع، وأحداث تطور بهذه القدرات لدى الطلاب ومحفزة لإبداعهم وقدراتهم العقلية والبحثية وتنميتها دائماً بوصفها مطلباً استراتيجياً على مستوى الدولة لمواجهة التحديات المعاصرة.

- إن مواجهة التحديات المعرفية والتكنولوجية المعاصرة وتحقيق التنمية الشاملة يطلب تحسين نوعية التعليم وتوجيه الدراسات الجامعية البحثية نحو بناء روابط قوية مع المجتمع وبحث مشكلات مختلفة من منظور العلوم الإنسانية والطبيعية على السواء، وإزالة الاغتراب بين مؤسسات التعليم العالي والدوائر التنفيذية والتطبيقية في المؤسسات العامة والخاصة وإيجاد علاقة متينة بين المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية في المجتمع، وبين المؤسسات الأكاديمية البحثية، والاهتمام الخاص بتسويق البحوث والدراسات العلمية المختلفة التي جاءت بنتائج إيجابية يستفاد منها في وضع الحلول والمعالجات للمشكلات التي يواجهها المجتمع ومؤسساته المختلفة وذلك من أجل إحداث نهضة وتطور شامل في المجتمع بشكل عام.

المقدمة

تولي المؤسسات التعليمية أهمية خاصة في تنمية القدرات البشرية وإعدادها واستثمارها في المجالات الفكرية والإنتاجية، ويحظى موضوع تنمية القدرات العقلية والبحثية باهتمام كبير في الوقت الراهن الحافل بالكثير من المتغيرات والتطورات العلمية التي تستدعي الاهتمام في تطوير هذه القدرات وحسن التعامل معها. وقد أثبتت تجارب الحياة البشرية أهمية الابتكارات العقلية والبحثية في إزهار التنمية البشرية بوصفها أكثر نفعاً وفائدة على المجتمعات.

وعليه فقد لاحظنا أن عدداً كبيراً من دول العالم التي اهتمت بإعداد وتنمية القدرات العقلية واهتمت في البحث العلمي قد وصلت إلى درجة عالية من الرقي والتقدم والنماء.

إذ أصبحت تعيش في وضع أفضل من تلك الدول التي تمتلك الموارد الطبيعية، بدون تنمية علمية- ولنا باليابان مثال على ذلك -.

ويمتد تاريخ التعليم العالي في اليمن إلى سنة ١٩٧٠م، بتأسيس أول كلية في جامعة عدن هي كلية التربية العليا، وفي عام ١٩٧٥م، تم تأسيس كلية التربية بجامعة صنعاء. ثم تواصل استمرار تطوير التعليم العالي في السنوات اللاحقة. وقد بذلت جهود كثيرة وصرفت نفقات ضخمة لتوسيع المشاركة التعليمية والتحصيل العلمي والإنتاج البحثي ورغم هذه الجهود مازال التعليم العالي يواجه كثير من التحديات.

وفي هذه الدراسة تم استعراض ومناقشة بعض أوجه القصور بمؤسسات التعليم العالي التي لا تشجع على تنمية وتطوير التعليم العالي وبناء القدرات العقلية والبحثية لدى الطلاب في الجامعة. محاولين وضع تصور عن كيفية الاهتمام بالمبدعين والموهوبين ورعايتهما وتنمية قدراتهم العقلية والبحثية لتكون قادرة على مواجهة تحديات التنمية ومدهم بالمعارف والمهارات العلمية والعملية التي تمكنهم من أن تكون أداة فاعلة في حل مشكلات المجتمع المتعددة والمعقدة، ولا تقتصر على تخريج أعداد كبيرة من الموظفين الذين يتكدسون في أسواق البطالة، دون أن يعوا مشاكل المجتمع أو يتمكنوا من تقديم حلول لها.

أهمية الدراسة

تُعد مرحلة التعليم الجامعي من أهم المراحل المهمة التي يتم فيها اكتشاف القدرات العقلية والبحثية لدى الطلاب، من خلال توفير الظروف المناسبة التي تمكنهم في هذه المرحلة المهمة - من حياتهم - من إطلاق طاقاتهم الإبداعية وقدراتهم العقلية عبر نشاطاتهم العلمية والعملية. إذ توفر أساساً لتوجه الطلاب المتميزين نحو الدراسات العليا لزيادة كفاءاتهم العلمية وتراكم معارفهم وإنتاجهم المعرفي مما يسهل إعدادهم والارتقاء بهم ليصبحوا كفاءات علمية عالية تسهم في تعزيز وتطوير التعليم والبحث العلمي والمعرفي وتنمية المجتمع بعامه.

إن إعداد هذه الكوادر يؤدي بالضرورة إلى رفع مستوى التعليم الجامعي وينمي قدرات الطلاب العقلية التي ستسهم إيجابياً في رفع مستوى الحياة العلمية والعملية في المجتمع.

وعليه فإن التعامل مع القدرات العقلية واكتشافها في الوسط الجامعي تظل مسألة مرهونة بجوانب عدة كالمعلم والمناهج والخطط الدراسية والبحث العلمي ونظم التعليم الجامعي، التي توفر جميعها مناخات تساعد على تحفيز القدرات العقلية والإبداعية لدى

الطلاب ومن ثم تقديم إضافات جديدة ونوعية تسهم في البحث العلمي وتنمية الفكر وازدهار المجتمع.

إن المجتمعات التي لا تعمل على استهداف تلك القدرات في مشاريعها ونظمها التعليمية تبقى في دائرة التخلف والركود؛ بيد أن إطلاق قدرات الطلاب ورعايتها يتطلب الخروج بالضرورة من النظم التقليدية المتبعة في التعليم الجامعي، وإيجاد نظم حديثة تتفاعل مع القدرات العقلية وتحفز على الابتكارات العلمية والبحث العلمي، ووجود إدارة وطنية مخصصة، فضلاً عن توفير كافة الوسائل الملائمة التي تساعد على اكتشاف الموهوبين ورعايتهم وتنمية قدراتهم العلمية، وفقاً للتخطيط السليم في إعداد برامج إثرائية ونوعية متميزة تلبي احتياجات التنمية. والتي تكاد معدومة في الجامعات اليمنية.

وقد أوضح علماء الاجتماع على التفاعل الاجتماعي ومظاهره داخل المؤسسات الاجتماعية التي تدفع في تحقيق أهدافها أو إعاقتها.

لذا جاء اهتمامنا في تناول هذه المشكلة ذات الأهمية العلمية، وسوف نحاول في هذه الدراسة تسليط الأضواء على هذه المشكلة من خلال بحث أوجه القصور التي حالت دون تنمية تلك القدرات العقلية والبحثية في الجامعات اليمنية.

هدف الدراسة

تتمحور هذه الدراسة حول هدف عام يرمي إلى تسليط الأضواء على معوقات تنمية القدرات العقلية والبحثية لدى طلاب التعليم العالي «بين تحديات الواقع وطموح المستقبل». والكشف عن أبعاد هذه المشكلة وتشخيصها من خلال تحليل لبعض أوجه القصور التي تتحكم فيها ومن ثم وضع تصور لمعالجتها.

منهج الدراسة

استخدمنا في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، بوصفه من أكثر المناهج العلمية التي تتمثل فيه معالم الطريقة العلمية بصورة واضحة، إذ يبدأ بملاحظة الوقائع وتحليل الدراسات والنظريات السابقة التي تناولت موضوع الدراسة ووضع الفروض والتحقق من صحتها، ثم الوصول إلى القوانين التي تكشف عن العلاقة القائمة بين الظواهر، وعليه فقد تتبع الباحث في دراسته الحالية تحليل وضع التعليم العالي في اليمن ومعوقات تنمية القدرات العقلية عند الطلاب في الجامعة من خلال استعراض بعض الجوانب المتعلقة بالتعليم العالي. ومعرفة مدى فاعلية التعليم العالي على تنمية القدرات العقلية ومهارات التفكير الإبداعي لدى الطلاب في الجامعة.

إجراءات الدراسة

- يمكن القول أن الدراسة الحالية قد سارت وفقاً للخطوات التالية:
- الإطلاع على الأدبيات التي أجريت في مجال الدراسة الحالية، ومتابعة ذلك من خلال معرفة دور مؤسسات التعليم العالي في تنمية القدرات العقلية والبحثية، والتحديات التي تواجهها للاستفادة منها في إجراءات الدراسة الحالية.
 - تحليل واقع التعليم العالي في الجامعات اليمنية من خلال الملاحظة والمعايشة لواقع التعليم العالي ومعوقات تنمية القدرات العقلية، بين تحديات الواقع والطموح المنشود.

فرضية الدراسة

- تعتمد فرضية الدراسة الراهنة على فرضية أساسية عامة وهي:
- توجد علاقة تكاملية بين برامج ونظم التعليم الجامعي وتنمية القدرات العقلية والبحثية لدى الطلاب في الجامعة.

المفاهيم المستخدمة في الدراسة

القدرات العقلية: تُعد تنمية القدرات العقلية الابتكار في وقتنا الحاضر ضرورة ملحةً وأساسيةً ليصبح المجتمع بما فيه من أفراد ومؤسسات قادراً على مواكبة التطورات والتغيرات المعاصرة التي تتسم بطابع التقدم العلمي والتراكم المعرفي.

وقد جاء تعريف التفكير لغوياً في معجم الوافي وفي قاموس الوسيط بأنه: «إن التفكير هو إعمال العقل في الشيء والنظر وتأمله».^(١)

ويشير أحمد زكي بدوي في تعريفه للتفكير بأنه «إعمال العقل في أمر لحله وإدراكه وترتيب بعض ما يعلم ليصل للمجهول في أعماله في مشكلة للتوصل إليها».^(٢)

ويمكن تعريف القدرات العقلية أو التفكير الابتكاري بأنه «العملية التي ينتج عنها حلول أو أفكار تخرج عن الإطار المعرفي للفرد سواء بالنسبة للمعلومات التي يفكر فيها، أم للمعلومات السائدة في بيئته، ذلك بهدف الأفكار الجديدة».^(٣)

في حين يعرف تورانس التفكير الإبداعي بأنه عملية الإحساس بالمشكلات والثغرات في المعلومات والعناصر المفقودة، التي تؤدي إلى إنتاج أكبر قدر من الأفكار الحرة حولها وتقييمها، ومن ثم اختيار أكثرها ملائمة، ووضع الفكرة الرئيسية موضع التنفيذ وعرضها على الآخرين.^(٤)

إذ يمكن تعريف التفكير الابتكاري بأنه «تفكير جديد غير المألوف، ينتج عنه أفكار مستجدة تخرج عن الإطار المعرفي للفرد المفكر والبيئة التي يعيش فيها وهو التفكير الذي نصل به إلى أفكار ونتائج لم يسبقنا إليها أحد»^(٥).

ومن خلال النظر في تعريفات الابتكار المختلفة يمكن القول بأن التفكير الابتكاري هو قدرات ونشاطات عقلية يبذلها الأفراد تظهر بشكل مجموعة من الأفكار والاستنتاجات والآراء الجديدة، التي تتصف بعدم النمطية وبالخروج عن مسار التفكير المعتاد تجاه مشكلة معينة تساهم في معالجتها بطريقة منطقية تتميز بالمرونة والأصالة والإبداع.

فالتفكير العقلي هنا يعني ممارسة المهارات العقلية وتنميتها مثل الحكم على الأشياء واستنباط الأدلة والتوصل إلى الأحكام، وصياغة الآراء للمهارات العقلية، والتي تتم تنميتها من خلال برامج التعليم الجامعي.

الإبداع: يُعرف الإبداع بأنه قدرة الفعل على إدراك العلاقات بين شيئين بطريقة ينتج عنها شيء ثالث. ويرى سبيرمان أن الإبداع يتضمن عدداً كبيراً من العناصر وهذا يتفق مع ما جاء به جيلفورد في تعريفه للإبداع الذي ركز فيه على الذهنية وأهمها الاكتشاف والتفكير التباعدي^(٦).

البحث العلمي: لقد تعددت التعريفات التي أطلقت على مفهوم البحث العلمي، وتنوعت تبعاً لأهدافه ومجالاته ومناهجه؛ إلا أن معظم تلك التعريفات تجمع حول التأكيد على دراسة مشكلة ما، بقصد حلها؛ وفقاً للقواعد العلمية.

وقد تناول العديد من الباحثين مفهوم البحث العلمي، من بصور مختلفة، إذ اختلفت مداخلهم وتباينت اتجاهاتهم حول هذا المفهوم، فكل واحد منهم نظر إليه من زاويته الخاصة وحسب ميوله أو قناعاته العلمية.

وعليه سوف نختار بعض من تلك التعاريف التي تتناسب وموضوع الدراسة الحالية. فيعرّف البحث العلمي بأنه «وسيلة للاستعلام والاستقصاء المنظم والدقيق، الذي يقوم به الباحث، بغرض اكتشاف معلومات أو علاقات جديدة، بالإضافة إلى تطوير أو تصحيح أو تحقيق للمعلومات المعطاة، على أن يتبع في هذا الفحص والاستعلام الدقيق، خطوات المنهج العلمي»^(٧).

أما فاخر عاقل فقد عرّف البحث العلمي بأنه «البحث النظامي والمضبوط الخبري التجريبي، في المقولات الافتراضية عن العلاقات المتصورة بين الحوادث الطبيعية»^(٨). وتجدر الإشارة إلى أن مفهوم (البحث العلمي) يتكون من كلمتين هما (البحث) و(العلمي). فالبحث لغوياً هو مصدر الفعل الماضي (بَحَثَ) ومعناه «تتبع، سأل، تحرّى، تقصّى، حاول، طلب» وبهذا يكون معنى البحث هو طلب وتقصي حقيقة من الحقائق أو أمر من الأمور، وهو يتطلب التنقيب والتفكير والتأمل؛ وصولاً إلى شيء يريد الباحث الوصول إليه.^(٩)

أما المفهوم العلمي، فهي كلمة منسوبة إلى العلم، والعلم (Science) يعني المعرفة والدراية وإدراك الحقائق. إن العلم في طبيعته هو «طريقة تفكير وطريقة بحث أكثر مما هو طائفة من القوانين الثابتة». وهو منهج أكثر مما هو مادة للبحث فهو «منهج لبحث كل العالم الأمبريقي المتأثر بتجربة الإنسان وخبرته».^(١٠)

أما العلم في منهجه هو: «المعرفة المنسقة التي تنشأ من الملاحظة والتجريب، هدفه تحديد طبيعة وأصول الظواهر التي تخضع للملاحظة والدراسة؛ بهدف صياغة القوانين لأنه ليس بحثاً يجد في طلب الحقيقة العظمى النهائية؛ وإنما هو فقط أسلوب في التحليل يسمح للعالم بالوصول إلى قضايا مصاغة بإسلوب دقيق».^(١١)

ويذكر (رشوان، ١٩٨٩) بأن العلم لا يصلح أن نطلق عليه علماً إلا إذا توفرت فيه الشروط الأساسية التالية:

- وجود طائفة متميزة من الظواهر يتخذها العلم موضوعاً للدراسة والبحث.
 - خضوع هذه المجموعة من الظواهر لمنهج البحث العلمي.
 - الوصول في ضوء مناهج البحث إلى مجموعة من القوانين العلمية.
- ويضيف (كورمانوف، ١٩٨٣) إن «العلم إما أن يكون نظرياً أو تطبيقياً فالنظري يتوجه إلى شرح للواقع، والتطبيقي يتوجه إلى التأثير في الواقع ولا غاية نفعية للعلم النظري، أما التطبيقي فينظر إلى اعتبارات المردود المادي والربح».^(١٢)

وعبارة البحث العلمي مصطلح مترجم عن اللغة الإنجليزية "Scientific Research"، فالبحث العلمي يعتمد على الطريقة العلمية، والطريقة العلمية تعتمد على الأساليب المنظمة الموضوعية في الملاحظة وتسجيل المعلومات ووصف الأحداث وتكوين الفرضيات.^(١٣)

التعليم العالي فضاءً رحباً لنضوج قدرات الطلاب

تتولى المؤسسات التعليمية الرعاية والاهتمام بتنمية القدرات العقلية والبحثية لدى الطلاب وتوجيههم التوجيه الصحيح منذ المراحل التعليمية الأولى بما يمكنها من مواصلة توجهاتهم القادرة على الإبداع والتجديد، واكتساب المعارف التخصصية في التعليم الجامعي التي تلبي حاجة المجتمع من الكفاءات العلمية العالية والتي تعمل على تنمية المجتمع وازدهاره.

حيث تمثل المؤسسات التعليمية الناجحة مكاناً خصباً لاكتشاف وتنمية القدرات البشرية والطاقات العقلية العلمية لدى الطلاب فالمعلمون هم أول من يلاحظون ويكتشفون تلك المهارات والقدرات العلمية الخلاقة وهم أول من يتفاعل ويتعامل معها ويمدوها بالمعارف والنصح والإرشاد ويعملون على تطويرها.

وتعد مؤسسات التعليم العالي الفضاء الرحب لصقل ونضوج المواهب الفطرية والإبداع العقلي والبحثي الذي يتفاعل مع محتويات البرامج التعليمية التخصصية الشاملة وما تحتويه من مواد علمية وأنشطة ثقافية وطلابية موازية للبرامج التعليمية، والجاذبة لتلك القدرات وتطلعاتها العقلية والتعليمية والابتعاد عن تلك الأجواء التقليدية الجامدة في النظام التعليمي التقليدي.

وعليه فقد سعت معظم دول العالم إلى تحديد نظم تعليمية وفلسفية يسترشد بها في رعاية الموهوبين وتنمية القدرات العقلية لدى التلاميذ والطلاب.

ويؤدي الأستاذ الجامعي دوراً كبيراً ومميزاً في تكوين شخصية الطالب المعرفية وتنمية مواهبه العلمية والثقافية. فالطالب في هذه المرحلة يكون متأثراً كثيراً بشخصية الأستاذ الجامعي الذي ينهل منه المعلومات العلمية. ويجعله القدوة الحسنة الذي يقتدي بها ويهتم بما يتلقى من معارف ونصح وإرشاد من قبل أستاذه كما أن نجاح الطالب أو فشله إنما يعود إلى معاملة المعلم لطلابه ومدى تفاعله معهم والتي لها أثرها على تقدير الطالب لذاته. وتقويمه لقدراته وطموحاته المستقلة فالمعلم يلعب الدور الأساسي في ترسيخ الفكرة في ذهن الطالب عن نفسه^(١٤).

وعليه فإن تحقيق ذلك لا يتم إلا بوجود نظم تعليمية متكاملة وإرادة وطنية متجردة من رواسب الماضي المتخلف وتعقيدات الحاضر ومنفتحة على المستقبل وعبر برامج تعليمية وتخطيطية شاملة تستهدف النهوض بعملية التنمية المستدامة، مستوعبة تحديات الواقع ومتجاوزة سلبات الماضي وحلقات التخلف والتبعية، وتعتمد على الكفاءات العلمية القادرة على العطاء وليس تلك التي تتم بناءً على الضغوط والتدخلات الخارجية كالحزبية

والمحسوبة والمحابة والعلاقات الزبونية والأسرية والمصالح الشخصية والتي أضرت بالتجربة وإعاقة القدرات الإبداعية والكفاءات العلمية من ممارسة نشاطها والاستفادة من إمكانياتها، في المواقع التي تتناسب ومؤهلاتها القيادية والعقلية والمبنية على المعايير والكفاءات العلمية، وبهذا الصدد يقول أفلاطون: إن من الأسباب المؤدية إلى الفساد بالمدينة، والمضرة بأهلها أشد الضرر أن يتولى فيها من الأعمال من كان غير معد له بالطبع^(١٥).

لقد دأبت الجامعات ومؤسسات التعليم العالي على إعداد أعضاء هيئة التدريس بطرق علمية ويتم اختيارهم بناءً على أسس الكفاءة والتفوق الذهني، وفقاً لقواعد المنافسة بين الخريجين ويلحظ أن هذه المعايير قد انتهت وفتحت الأبواب أمام أعداد كبيرة للنفوذ إلى هذه المؤسسة، الأمر الذي انعكس سلباً على وظيفة المؤسسة العلمية.

إن بناء القدرات هو بناء نخبة المجتمع الحقيقية القادرة على إدارة المجتمع والتي يجب أن تتكون من ذوي الكفاءات العقلية والعلمية العالية، القادرة على العطاء الأمثل في سبيل البحث عن حلول عملية لمشكلات التنمية والنهوض بالمجتمع نحو الأفضل، بوصفة الخيار المتاح للخروج من دائرة الأزمات والاحتقانات المتكررة، وتقع على المؤسسات التعليمية ولا سيما التعليم العالي مسؤولية بناء هذه القدرات والطاقات المتميزة، ومدّهم بالمعارف العلمية التي تساعدهم على الإلمام بوسائل البحث والدراسة والقدرة على التفكير والتدبير والتحليل وتزويدهم بالإمكانيات اللازمة التي تتناسب مع طاقاتهم وقدراتهم العالية، وإحساسهم بمكانتهم القادمة في المجتمع والاعتزاز بمواهبهم الخارقة، وفتح أبواب الحرية والعطاء أمامهم بعيدة عن كوابح التعقيدات السياسية والعقائد الأيدلوجية والاجتماعية. والاستفادة من التجارب الناجحة التي اهتمت بالقدرات الشابة وفتحو أمامهم المجال لممارسة حرية إبداعهم العلمي ومدّهم بالدعم والرعاية الكاملة التي مكنتهم من النجاح حتى أصبح إنتاجهم ملكاً ومفخرة للمجتمع بأسره، وقد حظت إنجازاتهم بالاهتمام الكبير من قبل الدولة والمجتمع معاً، والتي عملت على ازدهار وتقدم مجتمعاتهم.

أهمية التعليم العالي في بناء القدرات العقلية

ليس العقل فكرة تامة، وإنما هو تركيب اجتماعي يتضمن توازنات بين مجالات الحقيقة ومستوياتها المختلفة ويسهر على قيامها بوظائفها المتباينة، فما يسعى إليه العقل العلمي من كشف قوانين الظاهرة التي تحدد كيفية الاستفادة من المعارف العلمية وتقوم بتوظيفها لتحقيق أهداف اجتماعية معينة يشارك في بلورتها النظام القيمي والنظام الرمزي^(١٦).

ويمثل التعليم العالي أو الجامعي المدخل الحقيقي لبناء الأمم وتقدمها الحضاري، وقد أولت الدول المتقدمة اهتمامها كبيراً بشؤون التعليم بكل مراحلها، ليس فقط لأجل تربية العقول السليمة ولكن من أجل تهيئتها وإعدادها لمواكبة منجزات العلوم الحديثة.

وتحرص مؤسسات التعليم العالي على تحقيق المستوى الأفضل من الجودة في التعليم والمتمثل في مدى مواكبتها للجديد والمناسب للبيئة، وما تحققه من نهوض معرفي وأبحاث علمية ترتقي بالفكر والتقدم العلمي والتي من خلالها يزود الإنسان بأصول المعرفة وطرائق البحث المتقدمة^(١٧).

وتتمثل جوهر الجودة بقدرات مؤسسات التعليم العالي على تلبية الاحتياجات المتغيرة للمجتمع وترتبط بالأدوار المتغيرة التي يتوقعها المجتمع من التعليم العالي^(١٨).

إن الجودة الفعالة في حالة التعليم العالي، تتمثل في المنتج المتولد بواسطة مؤسسات التعليم العالي الذي يلعب دوراً هاماً ورئيسياً في عملية التنمية ورفي الشعوب وتطورها، ويعد من أهم الاستثمارات المستدامة الذي لا يمكن أن يتحقق إلا بتضافر جهود الجامعة وأساتذتها والمشاركة الفاعلة من جانب الطلبة وسوق العمل من أجل تحقيق معادلة فاعلية وجودة التعليم العالي، ولهذا وصلت الإدارة الجامعية في الدول المتقدمة إلى مراحل متقدمة في التأطير المفاهيمي للفاعلية والجودة وتحقيق تطبيقات ناجحة وفاعلة لهذا التأطير المفاهيمي.

وقد لعبت الجامعات وتفعيل آليات البحث العلمي فيها وتطويره دوراً مباشراً في عملية النهوض بمستوى التطور الصناعي وازدهار المجتمعات المستندة على بناء القدرات العالية التي تمثل طاقة المجتمع وثروته الكبرى التي يستحسن استنباتها واستثمارها وتوجيهها والعناية بها، لخدمة المجتمع^(١٩).

واهتمت جميع الدول في تنمية مواردها البشرية عن طريق رفع مستوى التعليم العالي من خلال استحداث أقسام وفروع جديدة تلبي احتياجات الدول من الكوادر العلمية والتكنولوجية وتؤمن مسار التطور والتنمية.

وعليه فإن الهدف الأساسي من التعليم هو تنمية العناصر البشرية، من خلال إدخال برامج لتطوير المهارات التقنية التخصصية، بالتركيز على بناء القدرات التحليلية لدى الطلاب وتدريبهم على رفع قدراتهم العقلية وبناء مهاراتهم الابتكارية وقدراتهم الفنية والتحليلية القادرة على معالجة مشكلات الواقع وتحدياته المختلفة برؤى علمية ناضجة، تعتمد على تطوير مهارات التفكير العقلي لدى الطلاب، بوصفها عمليات إدراكية معرفية تشكل لبنات أساسية في بنية التفكير.

إن اكتشاف تلك القدرات وبنائها في المراحل التعليمية المتقدمة تعد من المراحل التعليمية الهامة في التعامل مع قدرات الطلاب حيث تمدهم بالمعارف العملية بمنهجية أكبر من المراحل التعليمية السابقة لها، إذ تثير فيهم روح الإبداع والمغامرة والإقبال الممنهج على المعارف العلمية التخصصية، وترسخ فيهم المفاهيم التي تساعدهم على التمرين على الإبداع وحرية التفكير، وتتولى الجامعات مسؤولية بناء تلك القدرات والاهتمام بها، وسقل مواهبهم وإبداعاتهم ورعايتها وذلك من خلال التخطيط السليم والهادف للبرامج العلمية والثقافية والتعليمية والأنشطة الهادفة التي تفتح أمامهم أفق الحرية الفكرية وتهتم بإنتاجهم وإبداعهم العلمي، والمستندة على ميولهم التخصصية وتهيئة الظروف الملائمة التي تمكنهم من الاطلاع على أحدث المنجزات العلمية في العلوم التخصصية وتقديم المساعدات اللازمة لمواصلة تعليمهم وإكسابهم المهارات العالية وتشجيعهم على الإبداع في ضوء احتياجات المجتمع وضرورتها.

وعليه فإن هذا التوجه لا يمكن أن يتم إلا من خلال المراجعة الجذرية والشاملة لوضع التعليم في الجامعات اليمنية والتي تعاني من أوجه قصور متعددة، تتعلق بالسياسات التعليمية والقائمين على تلك المؤسسات من ناحية، وواقع التحدي التكنولوجي والمعرفي الذي تواجهه مجتمعاتنا النامية من ناحية أخرى.

إذ تشير الوقائع إلى أن مؤسسات التعليم الجامعي في بلادنا لم تكن قادرة عن أعداد الكفاءات العلمية اللازمة لتطوير وتنمية المجتمع وإيجاد الحلول الناجعة لمشكلاته المختلفة والمتزايدة.

لذا فقد أصبح مطلب التحديث والتطوير والتجديد للمناهج والبرامج العلمية والبحث العلمي أمراً ملحاً في ظل المتغيرات العالمية، التي تستدعي حاجتنا إلى المعارف الحديثة والعلوم البحتة التي ترفع من قدرات المعلمين والمتعلمين على حد سواء، وتوجيه التعليم والبحث العلمي نحو الاستفادة من موارد المجتمع المختلفة وتوظيفها في خدمة المجتمع وتميمته؛ وتجدر الإشارة إلى أن أوار المجتمع ما زالت في معظمها بكر لم تستغل بعد.

مناقشة معوقات بناء وتنمية القدرات العقلية والبحثية

في مؤسسات التعليم العالي: عندما نضع التعليم العالي في اهتماماتنا وهو يدخل التحديث والتطوير والتغير فإنه يجب أن لا يغيب عن أبصارنا أن هناك تحديات ضخمة تواجه التعليم العالي، وسوف نناقش في هذه الدراسة جزئية من تلك التحديات، والمتمثلة ببعض المؤشرات المعيقة في تنمية القدرات العقلية والبحثية لدى الطلاب في مؤسسات التعليم العالي في اليمن، والمحددة في المجالات الآتي:

تخلف المناهج وطرق التدريس: تعد المناهج الدراسية من أهم العناصر التي تعمل على تنمية القدرات العقلية والإبداعية بعامة والبحثية بخاصة لدى الدارسين وذلك من حيث ما تتضمنه من مواد علمية هادفة ومحفزة على الابتكار والإبداع. ويرى لانغر يهر أن تعليم مهارات التفكير ضمن المنهج الدراسي تتم من خلال أن المعلم يأخذ على عاتقه البحث الدائم عن الفرص المناسبة لتطبيق مهارات التفكير على المواد الدراسية المناسبة، وربط ما يقوم في تدريسه بالواقع الاجتماعي لذا تصبح المهارات جزء من التفكير المستقبلي للطلاب^(٢٠).

إذ يتطلب من الأستاذ الجامعي أن يأخذ بيد طلابه من حيث المستوى الذي وصل إليه محاولاً أن يصل إلى الهدف المنشود، ويعتمد أسلوب التدريس الجامعي الحديث على ذلك الأسلوب الذي يحرك الدافع الباطن ويولد الاهتمام الذي يدفع بالطلاب إلى بذل جهوده الإبداعية ليصل إلى ما ينشده من أهداف، وقد تعدد طرق تحريك هذا الدافع.

ويتصف التعليم في الوقت الراهن بأنه يستند إلى الوسائل التكنولوجية المتطورة التي تساعد في الاتجاه نحو التغيير السريع والبحث عن التنافس والعمل والاستعداد لتلبية متطلبات المستقبل، وهذا لا يتم إلا من خلال تنمية قدرات الطلبة على إنجاز عمليات التحليل وتقييم المعلومات التي يتعرضون لها والعمل على نقدها^(٢١).

إن التطور التقني وتوسع مصادر المعرفة قد قلص دور المؤسسة التعليمية في تزويد الطلاب بالمعارف والخبرات الكاملة، لذا فإن أهمية المهارات التي يمكن أن يتدرب الطلاب عليها لتمكينهم من أن يتعلمون بمفردهم وبمساعدة يسييرة من المعلم.

وعليه فإن تبني استراتيجيات حديثة تثير التفكير وتشجع العمل الذاتي تعد من الأهداف الأساسية في التعليم الحديث وتنمية التفكير الناقد وإكسابهم مهارات حل المشكلات^(٢٢).

وعليه فإذا تابعنا ذلك في مناهج وطرق التدريس في جامعاتنا سوف نجد أن غالبية طرق التدريس ما زالت تعتمد على أساليب التلقين والتحفيز واعتبار المعلم والمقرر- الملزمة- هما المصدر الأساس بل الوحيد للحصول على المادة المعرفية وهذا الأسلوب والمنهج العتيق يتناقض جوهرياً مع مقتضيات نمو الطاقات الإبداعية والمواهب العقلية والقدرات البحثية ولا يساعد على تنمية روح الابتكار والإبداع لدى الطلاب.

ويقوم المعلم بدور بالغ الأهمية في تنمية التفكير لدى الطلاب إذ أن العمل على توفير الفرص الكافية للطلبة ليصفوا بصوت عالٍ أمام أقرانهم ما يدور في عقولهم في أثناء التفكير لإنجاز مهمة ما فذلك يعتبر من عوامل النجاح لهذا النوع من التفكير إذ

يصبح بإمكان المعلم أن يقرر إن كان طلبته قد أصبحوا أكثر إدراكاً وسيطرة على مستوى تفكيرهم.^(٢٣)

حيث لم تقتصر مهمة التعليم في الوقت الراهن على تحصيل المادة التعليمية فحسب، بل هي تنمية مهارات الحصول على المادة العلمية وتوظيفها في خدمة الإنسان وإنتاج معارف جديدة وربطها بما سبقها، ولا نعني بذلك إهمال المادة التعليمية؛ بل نقصد به ضرورة التركيز على الأفكار الرئيسة والمفاهيم الأساسية للمادة التعليمية ومفاتيحها، وقد أثبتت التجربة أن الحشو والتفاصيل الزائدة لم تساعد على تنمية القدرات العلمية والبحثية وتشجيع روح الابتكار والاكتشاف لدى الطلاب الذي يمكنهم استقبال المعارف الحديثة والتعامل معها بأفق ابتكارية منفتحة على المستقبل قادرة على استيعاب التحديات المعاصرة، التي تزداد تعقيداً وتتداخل مع بعضها فدراساتها تتطلب توافر المعلومات الكافية لبحث جوانبها المتعددة والمتداخلة، بحسب رأي دووركهايم في تحديده لدراسة الظاهرة الاجتماعية التي تتطلب دراستها من جميع الجوانب ومن خلال علاقتها بالظواهر الأخرى.

ويرتبط التعليم الجامعي في اليمن بأنه يستند إلى مناهج ضيقة النطاق وجامدة الفكر وموغلة في القدم في معظمها، بل ومرتبطة بوجهة نظر وحيدة يقدمها الأستاذ الجامعي الذي تشكل مذاكرته محتوى البرنامج الذي يتخذ أساساً للتقييم ويهيمن التركيز على حفظ المحتوى الوارد في «الملزمة» المعدة من قبله، لا على تنمية التفكير الناقد ومهارات التحليل والإطلاع المعرفي الواسع، إذ يعتمد التقييم على استرجاع المحتوى بدلاً من البرهنة التي تعتمد على رفع مستوى مهارات التفكير الإبداعي والعقلي لدى الطلاب.^(٢٤)

يشير ستيفن آر كوفي: إلى أن الدراسة الأكاديمية قد انفصلت عن مُثلها، حيث تركز كثيراً في الوقت الراهن على مسارات شغل الوظائف وسياسات الترويج للذات، فالجامعة قد فقدت اهتمامها بطلبتها، ذلك يؤدي إلى تشويه الهدف الحقيقي للتعليم العالي والتركيز على الصورة الثانوية للنجاح المتمثلة في كيف يكتسبون أقوات يومهم، بينما الهدف الأساسي هو التعليم الذي يمكن الطلاب من اكتساب المعارف ومن ثم التفكير الإبداعي كما أسماه ستيفن كوفي بالبعد الثالث بوصفه طريقة في حل أصعب مشاكل الحياة.^(٢٥)

ومن أجل مواجهة هذه التحديات وجب التفكير في إعادة النظر في منهجية وطرق التعليم التي تعتمد على مجرد الحفظ والتلقين والمعرفة بدون الإدراك والفهم التي تستند إلى ترسيخ مفاهيم البحث والتحليل عن طريق الاهتمام بالأنشطة المنهجية التي تعطي إحساساً بالتعليم وانعكاساً للخبرة العلمية للأساتذة وتنمية لغة «التعليم الحواري» أي إيجاد نوعاً من التفاعل الإيجابي بين الطلاب والمعلمين، ويؤكد علماء الاجتماع على أهمية التفاعل الاجتماعي الذي يحدث داخل المؤسسات الاجتماعية ويؤدي إلى نجاحها.

وعليه نرى أهمية تحديث المناهج العلمية الهادفة إلى إعداد جيلاً قادراً على مواجهة المشاكل والتحديات التي تواجهها مجتمعاتنا المعاصرة. تفكيراً إبداعياً يساهم في معالجتها من تفاعل الطلاب مع الأساتذة والمادة العلمية.

الفجوة بين مخرجات التعليم العالي واحتياجات التنمية

يلاحظ أن التعليم العالي في مجتمعنا يعاني من إشكال كبير يتمثل في عدم الارتباط بين المخرجات التعليمية ومتطلبات المجتمع والتحدي الذي تواجهه عملية التنمية، وهذا يعكس غياب التنسيق بين التخطيط للتعليم وإعداد القدرات العلمية، وبين ما تتطلبه مشاريع التنمية الاجتماعية والاقتصادية.

حيث شهد قطاع التعليم العالي في اليمن توسعاً أفقياً خلال الفترة القصيرة الماضية، ولم يكن هذا التوسع مدروس ومتدرج وهذا الخلل الهيكلي التي تنصده مؤسسات التعليم العالي هو الذي أدى إلى اتساع الفجوة الهائلة بين مخرجات التعليم العالي وحاجة السوق.

ومن ثم بقية المؤسسات التعليمية عاجزة لم تلبي احتياجات مجتمعاتها من تخصصات التعليم العالي حيث تظهر البطالة بشكل واضح بين خريجي الجامعات في البلدان النامية وعدم ربطها بسوق العمل.^(٢٦)

كما أن بنية سوق العمل في هذه الدول لم تكن محفزة لتحديث النظم التعليمية وهي مسألة ناتجة عن تخلف عملية التنمية التي تعيشها مجتمعاتنا النامية والتابعة للنظام الرأسمالي العالمي، إذ أصبحت عملية التعليم لا تخرج عن هذا الإطار لا تخدم سوى القوى المستفيدة من عملية التنمية المشوهة في الداخل ودول المركز في الخارج.^(٢٧)

وتبقى مخرجات التعليم العالي في اليمن دون المستوى المطلوب الذي يلبي احتياجات المجتمع وحل مشكلاته المختلفة، والسعي للخروج من حالة التبعية والانجرار، والتوجه نحو اللحاق بعجلة التقدم الذي سارت عليه البلدان الصناعية المتطورة.

فواقع الحياة العصرية يتطلب من مؤسسات التعليم بمختلفة مراحلها المراجعة الشاملة لبرامجها ومناهجها وإعادة تخطيطها لتواكب عصر العولمة المعلوماتية والتكنولوجية وبما يؤدي إلى زيادة التفاعل الإيجابي بين مؤسسات التعليم ومؤسسات العمل الإنتاجية والخدمية بصورة تسويق وتبادل الخبرات والتجارب العلمية والعملية. وذلك من خلال تحديث الجامعات بما يواكب تطور العلوم الحديثة، سواء باستحداث التخصصات الجديدة في الكليات الحالية أو بإنشاء كليات متخصصة تركز على التعليم والبحث العلمي المرتبط باحتياجات التنمية في المجتمع.

إشكالية الإنفاق المادي على التعليم

يحتل موضوع الإنفاق على التعليم أهمية كبيرة في تطوير التعليم، ويعدّ الإنفاق المادي على التعليم في الوقت الراهن استثماراً مربحاً من منظور التنمية الشاملة، فإذا كان حجم الإنتاج المادي في الاقتصادي يعتمد على كفاءة استخدام رأس المال المادي، فإن النتائج التي تسفر عن الاستثمار في مجال التعليم تتجلى في كيفية تفاعل التعليم مع متطلبات التنمية^(٢٨). وإن فاعلية التعليم لا تقتصر على تخرج أعداد كبيرة من حملة الشهادات العليا ليصبحوا في تعداد البطالة دون أن يعوا مشكلات المجتمع والمساهمة في بحثها وتقديم الحلول الناجعة لها.

لقد غلبت مهمات التدريس على حملة الشهادات العالية (ماجستير ودكتوراة) في الدول العربية، وانعكس على المستوى المنخفض للدعم المالي للبحث العلمي في موازنات الجامعات العربية على إنتاج البحوث، التي لم تستنفد سوى ٣١٪ من مجموع وقت عمل الباحثين كافة. علماً أن الجامعات تستخدم ما يزيد عن ١٩٪ من مجموع الاختصاصيين وحملة الشهادات العليا في الدول العربية. فمتطلبات الإنفاق المادي على مؤسسات التعليم بصفة عامة ومنه التعليم الجامعي تتزايد باستمرار، حيث يواجه التعليم الجامعي في المجتمع العربي بعامة تحدي واضح يتعلق بمستوى تدني الإنفاق عليه ويعدّ القطاع الحكومي الممول الرئيس لنظم البحث العلمي في الدول العربية، حيث يبلغ حوالي ٨٠٪ من مجموع التمويل المخصص للبحوث والتطوير مقارنة بـ ٣٪ للقطاع الخاص و٨٪ من مصادر مختلفة، وذلك على عكس الدول المتقدمة، حيث تراوح حصة القطاع الخاص في تمويل البحث العلمي ٧٠٪ في (اليابان) و٥٢٪ في (إسرائيل) والولايات المتحدة والدول الأخرى^(٢٩).

إن مستوى الإنفاق على التعليم في اليمن ما زال متدني بالمقارنة من الدول الأخرى إذ لم يكن بمقدور الدولة على تلبية الطلب المتزايد في الإنفاق على التعليم ويعدّ ذلك عائقاً أمام تنمية القدرات البشرية والذي لا بد أن يحظى بالقدر الكافي من الموارد المادية ودعم الدولة والمجتمع الذي لا غنى عن ذلك الإنفاق في إحداث التجديد في التعليم.

وتشير الإحصائيات إلى أن نسبة الإنفاق على التعليم العالي والبحث العلمي في اليمن بحسب مؤشرات عام ٢٠٠٤م قد وصلت إلى (٢٠,٧١٣) مليون ريال وتمثل نسبة (١٨,٧٪) من إجمالي الموارد المالية المخصصة لقطاع التعليم (٢٠) على مستوى الدولة بصورة عامة وينعكس ذلك على الاعتمادات المالية المخصصة للبحث العلمي في الجامعات اليمنية، وذلك يدل على الكيفية التي تنعكس بها إدارة الفائض الاجتماعي على البحث والتطوير، وهو أحد الدعائم الأساسية لتطوير قوى الإنتاج هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يلاحظ أن ما ينفق على مؤسسات التعليم لا يتناسب مع مخرجاته وأن كثيراً من ما ينفق يهدر دون فائدة، ومظاهر هذا التبديد عديدة، التي لا تذهب إلى تحسين جودة

التعليم حيث أن كثيراً من الخريجين لا يجدون عملاً، أو يعملون خارج إطار تخصصهم ويذهب الإنفاق العام على التعليم لسنوات طوال هدرًا كأنه لم يدرس شيئاً، ولم يستفاد منه عدد كبير من الخريجين في مجال تخصصاتهم، حيث تلعب المحسوبة والمحاباة دوراً سلبياً في ذلك ولا سيما في واقع تزداد مشاكله تعقيداً في الواقع ويتراجع فيه روح الانتماء الوطني فتغطي روح الأنانية الفردية على الروح الجماعية الوطنية، حيث يقل الشعور بالمسؤولية تجاه الوطن والمجتمع وتتجه صوب المصالح الذاتية في تحسن أوضاعهم المالية والشخصية.

إشكالية البحث العلمي

يتصل هذا الإشكال بما ينجز من بحوث علمية في أروقة الجامعات والمؤسسات البحثية حيث نجد أن كثيراً من تلك البحوث العلمية لا ترتبط بالمشكلات الواقعية في المجتمع، ولا تبحث المشكلات التي يعاني منها المجتمع ومحاولة إيجاد حلول علمية، ففي كثير من الحالات يقتصر هدف الباحث منه إعداد بحثه هو الحصول على الترقية العلمية أولاً وأخيراً دون أن يساهم جدياً في عرض المشكلة التي تمس واقع المجتمع وتحليل البدائل واقتراح الحلول لها. كما أن بعض الرسائل العلمية في الدراسات العليا لا تهتم بقضايا المجتمع المعاصرة، حيث أن كثيراً منها تناقش وتبحث مسائل نظرية عامة مثل التاريخ أو اللغة أو الجغرافيا أو التربية أو العلوم الدينية والتي لا علاقة لها بمعالجة الأزمات الموجودة في الواقع الاجتماعي وفي المعارف التعليمية الحديثة والتعامل معها، وأحياناً نجد بعض البحوث والدراسات تساهم في تصعيد الأزمات الاجتماعية بدلاً من أن تساهم في علاجها، فتجدها تحيي معارك الماضي وتعيد إنتاج ثقافته وتعمق الخلافات وتخلق التجزئة بدلاً من السعي للوحدة والبحث عن القواسم المشتركة المتوجه نحو التحديث.

فضلاً عن تلك الأبحاث المقدمة إلى الندوات والمؤتمرات التي تتعقد في رحاب مؤسسات البحث العلمي، وتحت مسميات براقة نجدها هي الأخرى عديمة الفائدة وإن وجدت بعض البحوث العلمية الجادة لم يستفاد من نتائجها وتوصياتها، وترمى على أرفف المكتبات، دون أن تجد طريقها للتجارب والاستفادة منها في مواقع القرار، وفي مؤسسات التخطيط والتنفيذ في القطاعات العامة والخاصة، وذلك يعكس لنا مدى التباعد بين المؤسسات التعليمية التي تناقش وتبحث تلك المشكلات والمؤسسات الإنتاجية والخدمية التي تعاني من تلك المشكلات.

وعليه تتجلى أهمية التنسيق في هذا الاتجاه بين مؤسسات البحث العلمي والمؤسسات الإنتاجية والخدمية وتمويلها للبحوث العلمية، ثم الاستفادة من حصيلتها في التطوير والمواكبة والتجديد.

يمكن القول أن التعليم البحثي في اليمن لا يرتبط بالمشكلات الاجتماعية الواقعية التي يعاني منها المجتمع، في معظم الحالات يتجه البحث العلمي إلى القضايا النظرية، كما أنه لا يساعد على تنمية القدرات الابتكار المتوافرة لدى صفوة الدارسين والذين لا بد أن توفر لهم الظروف الملائمة لهذا النوع من التعليم وتأتي في مقدمتها الحرية الأكاديمية في البحث العلمي حتى وإن كانت تلك الأفكار لا تطابق أفكار مجتمعاتها^(٢١).

ومما سبق تتجلى لنا معوقات البحث العلمي في ضعف التعاون والتنسيق البحثي، حيث يتم اختيار البحوث بصورة فردية ولأعراض ذاتية على مستوى الأفراد أو المؤسسات والمراكز البحثية، إذ لا توجد استراتيجيات أو سياسات معلومة وواضح في هذا المجال على نطاق الدول أو الجامعات، فضلاً عن ضعف المخصصات المرصودة في موازنات الجامعات أو الدولة ككل. بالإضافة إلى ضعف قاعدة المعلومات في المؤسسات والمختبرات والمرافق الإنتاجية التي يستند إليه الباحث في عمله، كل هذا نتج عنه تلك المؤشرات المخيفة التي تظهر في ضعف المادة التي تقدمها بعض البحوث ومستوى البحث العلمي في تناول بعض الظواهر، وعدم إسهام البحوث في عملية التنمية.

الدراسات العليا «التعليم البحثي»

الدراسات العليا هي استمرار لعملية التعليم الجامعي لمرحلة البكالوريوس تهدف إلى تطوير القدرات الابتكارية لدى الطلاب المتفوقين في دراستهم الأولية، وفسح المجال أمامهم لمواصلة تخصصاتهم العلمية، وعادة ما تكون الدراسات العليا (الماجستير والدكتوراة) تنحصر على الطلاب المتفوقين والتميزين بقدراتهم العقلية والإبداعية والبحثية وتقدم الجامعات في البلدان الصناعية المساعدة للطلاب القادرين على إكمال تعليمهم العالي سواء كانت هذه الجامعات حكومية أو أهلية^(٢٢). وهذه المرحلة من التعليم البحثي تركز على بناء القدرة على الابتكار والتي تعتمد على قدرات وكفاءات الطلاب في الطرح والتحليل المعمق الذي يرفع من مستواهم العلمي من خلال ما يقومون به من أبحاث أثناء الدراسة في هذه المرحلة من التعليم العالي.

وتعد الدراسات العليا أرقى أنواع الاستثمارات طويلة الأمد فتخلق رأسمال بشري قادر على استغلال الإمكانيات والموارد الاقتصادية المتاحة للمساهمة في دفع عجلة التنمية.

بذلك يلعب التعليم العالي البحثي دوراً مهماً وجوهرياً من الناحية العقلية تحفز على المنافسة ومواكبة التطور العلمي وزيادة المهارات في المجالات التخصصية من خلال فسح المجال للطلاب بالبحث والمناقشة دون قيود ولا تعتمد سياسية القبول في التعليم العالي في اليمن على تلك المؤشرات حيث يلاحظ تزايد الملحقين في برامج الدراسات العليا بأعداد كبيرة من الدارسين والطلاب خريجي الجامعات ومن القادرين على الحصول

على فرص المنح الدراسية للملتحقين في مؤسسات الدولة والتي في أغلب الأحيان تكون نتيجة المحاباة والفساد أو الانتماءات الحزبية أو القبلية، دون التأكد من القدرات العلمية والعقلية لدى هؤلاء الدارسين والباحثين الملتحقين في برامج الدراسات العليا. ففي كثير من جامعات العالم يتم تزكية المتقدمين للدراسة العليا من قبل مدرسيهم السابقين والتي تستند على الطلاب المتميزين، فالاهتمام بالموهوبين في التعليم الجامعي يشكل حجر الزاوية في اكتشاف الطاقات الإبداعية لدى الطلاب وتوجيههم نحو الاستمرار في الدراسات العليا وتفوقهم العلمي.

إن فتح المجال للدراسات العليا بهذه الصورة قد يؤثر سلباً على العملية التعليمية ويؤدي إلى ضعف مخرجاتها البحثية التي تكون دون المستوى المطلوب من هذه الدرجة العلمية ونتائجها، كما أن أغلب هذه الدراسات البحثية لا تتوجه إلى المشكلات التي يعاني منها المجتمع بل في أكثر الأحيان تكون مواضيع هذه الدراسات مكررة وفي الأشياء الشكلية ولا تمس جوهر المشكلات في شيء، وفي تخصصات محدودة كالبحث في قضايا التاريخ القديم أو الدراسات الإسلامية، ولم تتوجه تلك الدراسات إلى بحث القضايا والمشكلات العصرية التي يعاني منها المجتمع في مجالات الحياة المختلفة بهدف وضع حلول ناجعة لها أو الحد منها، وذلك لعدم وضوح الأهداف من برامج الدراسات العليا التي تقتصر على تحسين الأوضاع المادية من خلال رفع الدرجات الوظيفية لحملة تلك الشهادات أو المخصصات المالية لأعضاء هيئة التدريس القائمين على برامج الدراسات العليا، كبذل الإشراف والمناقشة، حيث أصبح الحصول على الدرجات العلمية بغرض الترقية الوظيفية والوجاهة الاجتماعية فقط، كما عبر عنها كثير من الحاصلين على تلك الشهادات^(٣٣).

وتتسابق الجامعات اليمنية على فتح برامج الدراسات العليا (ماجستير ودكتوراة) حيث تم فتح هذه المسابقات في وقت قريب في معظم الكليات والجامعات اليمنية، دون توفر المتطلبات الأكاديمية والتجهيزات الفنية والعلمية اللازمة لهذه البرامج، فضلاً عن غياب الرؤية الواضحة التي تبين حاجة البلد إلى تلك البرامج والتخصصات العالية، إذ لا تستطيع الجامعات أن تمد المجتمع بالكوادر العلمية ذات الكفاءات العلمية العالية إلا إذا امتلكت هذه الجامعات نخبة من تلك الكفاءات القادرة على إعداد وتدريب وبناء القدرات العلمية للملتحقين فيها.

حيث يلحظ عدم الاستفادة من بعض الخريجين المتميزين من الجامعات في الداخل أو الخارج في مجال تطوير البحث العلمي وذلك بسبب عدم وجود رؤية علمية وآلية واضحة في متابعة هؤلاء المتفوقين واستقطابهم إلى هذا الحقل، وغياب المعايير العلمية التي تعتمد عليها سياسة التوظيف أو القبول في برامج الدراسات العليا، وقد يضطر البعض منهم للهجرة إلى خارج الوطن أو العمل في مجالات أخرى بعيدة عن تخصصاتهم وعدم الاستفادة من قدراتهم ومهاراتهم العلمية في مجال البحث العلمي، وتمثل هذه الحالة

إهداراً للإمكانات العلمية التي يمكن الاستفادة منها في مجال تطوير برامج التعليم العالي ومخرجاته العلمية.

ومن هنا تظهر أهمية اكتشاف المواهب والقدرات العقلية والبحثية العالية والاعتناء بتميمتها بصورة جدية وعلى وجه الخصوص تنمية طاقاتهم الابتكارية والاستفادة منها في عمليات البحث والتطوير في إطار شامل للخروج من حلقات التبعية والتخلف التي تعانيها مجتمعاتنا، وتطلعا تجربة البلدان المتقدمة في هذا المجال عن كيفية الاستفادة من برامج التعليم العالي والبحث العلمي فبعض الدول اعتبرت التعليم البحثي حردون التقيد بمقتضيات المؤسسات التنفيذية في الدولة، يعني استقلالية المؤسسات التعليمية عن التأثير في النواحي التنفيذية المختلفة في المجتمع، فالنظام البحثي التكنولوجي هو مجرد القيام بمشروع متكامل يتم بعد الحصول على درجة الدكتوراة (كما هو الشأن في فرنسا وألمانيا) أو مشروع صغير للحصول على درجة الماجستير يليه مشروع أكبر في الحصول على درجة الدكتوراة.

(كما هو متبع في بريطانيا). أو النظام البحثي المقيد بمقتضيات ومتطلبات المؤسسات التنفيذية التطبيقية في المجتمع وفي أغلب الأحيان يتم تمويل المشروعات البحثية عن طريق هذه المؤسسات التطبيقية سواء في القطاع العام مثل الجيش أو وزارة الخارجية أو القطاع الخاص كالمصانع والمؤسسات التجارية والصناعية (كما في الولايات المتحدة الأمريكية واليابان)، وفي هذا النظام بجانب القيام بمشاريع بحثية يستمر تدريس المواد الأساسية على مستوى رفيع، ففي الولايات المتحدة واليابان يعتمد التعليم البحثي على التعاون الوثيق بين الجامعات وأماكن التطبيق المختلفة كالجيش أو الصناعة أو الزراعة وغيرها، وتعد هذه هي نقطة القوة في النظام التعليمي في الولايات المتحدة واليابان^(٢٤)، وتقوم تلك الجهات التطبيقية المؤسسات الإنتاجية والصناعية والعسكرية بتمويل الأبحاث العلمية التي يتم اختيارها بالتنسيق بين مؤسسات التعليم العالي والجهات التطبيقية بغرض تطوير جوانب معينة أو ابتكار حلول لمشكلات واقعية تعاني منها. مما يؤدي إلى تفاعل المشروعات البحثية مع مشكلات الواقع، وبالتالي التوجه الحقيقي نحو مواجهة التحديات ومعالجة المشكلات بالأساليب البحثية المعمقة، وعليه فإن البحث العلمي يبقى وثيق الصلة بالواقع ويساعد على معالجة مشاكل المجتمع، حيث لم تقتصر فوائد التعليم العالي على إيجاد المقترحات والنصريات العلمية لمعالجة مشكلات الواقع فحسب؛ بل تؤهل قيادات إدارية فعالة ملمة بالمعارف العلمية التخصصية ولديها القدرة على ربط هذه المعارف بالمتطلبات الاستراتيجية في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، هذا ما يجعلها قادرة على صنع القرار، ويبقى الهدف من هذه الآلية هو القدرة على الربط بين المدخلات الاستراتيجية المختلفة وتحليلها بغرض الوصول إلى

تخطيط سليم من أجل تحقيق الأهداف المرجوة من الدراسات العليا والتمثلة في إعداد النخب العلمية القادرة على النهوض بالمجتمع وتطوره العلمي والحضاري، بوصفها صمام أمان للتطوير والتقدم، كما هو تأمين لحفظ مستقبل البلاد وشهوه وصناعته للتاريخ.

الاستخلاصات العامة

مما تقدم من عرض وتحليل لأهمية اكتشاف القدرات العقلية والبحثية وتمييزها في مؤسسات التعليم العالي والمعوقات التي تعترض تنميتها. وعليه فقد توصلت هذه الدراسة إلى وضع تصور عملي يحقق الأهداف المرجوة منها، والتمثلة بالنتائج والاستخلاصات الآتية:

- إن تقدم الأمم وخروجها من حلقات التخلف والتبعية يكمن في التخطيط الهادف لتنمية مواردها البشرية والمادية، لذا فإن اكتشاف القدرات العقلية والبحثية العالية وتمييزها عبر المراحل التعليمية المختلفة، يتم من خلال التخطيط السليم لتجاذب تلك القدرات القادرة على البحث والتحليل والإبداع ولا سيما في مراحل التعليم المختلفة بعامة، وعلى وجه الخصوص مرحلة التعليم العالي.

- وعليه يوصي الباحث الجهات والمؤسسات القائمة على التعليم العالي في اليمن أن تتجه نحو إعادة النظر في برامج التعليم العالي بحيث تكون هذه البرامج مستوعبة لاكتشاف هذه القدرات لدى الطلاب ومحفزة لإبداعاتهم وقدراتهم البحثية والاهتمام بها والاستفادة منها في المواقع القيادية التخطيطية لمستقبل التعليم بوصفه مطلباً استراتيجياً حيوياً، لا بد أن يتصدر أوليات السياسة الاستراتيجية على مستوى الدولة لمواجهة التحديات المعاصرة في هذا المجال، وذلك من خلال وجود آلية جديدة وواضحة تتولى متابعة المؤسسات التعليمية المختلفة في الكشف عن الطلاب المتميزين والموهوبين، من ذوي القدرات العقلية والمتفتحة ووضع مناهج تعليمية تشجعهم على ذلك، ومتابعة تنمية قدراتهم العقلية «الإبداعية والبحثية» وتوفير كافة الوسائل البحثية والمعارف المطلوبة لذلك.

- إن استشراف المستقبل الواعد لتحقيق التنمية الشاملة في المجتمع يكمن في إصلاح النظام التعليمي وعلى وجه الخصوص التعليم الجامعي الذي يقدم للمجتمع ليس موظفاً يستطيع التعامل مع التكنولوجيا الحديثة فحسب بل يكون مبدعاً في معالجة المشاكل التي تنشأ في مجال تخصصه، وهذا يتطلب إعادة النظر في المناهج التعليمية والتحول من الاعتماد على التلقين والتحفيز إلى منح المشاركة البحثية والتعليم الذاتي الذي يعتمد أكثر على البحث والتجريب والتحليل والمقارنة والاستنتاج أكثر من الحفظ والتلقين.

- إن مواجهة التحديات المعرفية والتكنولوجية المعاصرة وتحقيق التنمية الشاملة تتطلب تحسين نوعية التعليم وتوجيه الدراسات الجامعية والبحثية نحو بناء روابط قوية مع المجتمع وبحث مشكلاته المختلفة من منظور العلوم الإنسانية والتجريبية على السواء، وإزالة الانفصال بين مؤسسات التعليم العالي والدوائر التنفيذية والتطبيقية في المؤسسات

العامة والخاصة، وذلك يستدعي المساهمة الفعالة من قبل المؤسسات ذات الصلة في تمويل وتوجيه عمليات البحث العلمي والمساهمة في تطوير المؤسسات الأكاديمية ودعمها، وإيجاد علاقة متينة بين المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية في المجتمع، وبين المؤسسات الأكاديمية والبحثية، والاهتمام الخاص بتسويق البحوث والدراسات العلمية المختلفة التي جاءت بنتائج إيجابية يستفاد منها في وضع الحلول والمعالجات للمشكلات التي يواجهها المجتمع ومؤسساته، وذلك من خلال استحداث آلية واضحة تتولى المتابعة والتحقق من مدى الاستفادة من توصيات ونتائج البحوث والدراسات العملية المختلفة التي يقدمها الطلاب ضمن مشاريعهم الدراسية أو تلك التي يقدمها الباحثون ضمن أنشطتهم العلمية وأبحاثهم العلمية المقدمة في الفاعليات العلمية المختلفة «المؤتمرات والندوات».

المراجع

- ١- انظر الشيخ عبد الله البستاني، معجم الوسيط في اللغة العربية، مكتبة لبنان، ١٩٩٠ م، ص ٤٧١، ود، مجد الدين محمد يعقوب، معجم الناقد الوسيط، ١٩٩٠ م، بيروت، ص ٤١.
- ٢- د. أحمد زكي بدوي، المعجم الميسر، ط ١، دار الكتاب الجامعي، بيروت، لبنان، ١٩٩١ م، ص ٦٠.
- ٣- د. مجدي عزيز إبراهيم، التفكير من منظور تربوي (سلسلة التفكير والتعليم والتعلم)، عالم المكتبات، القاهرة، ٢٠٠٥ م، ص ٢٠.
- ٤- وفاء بنت حاج المهري، أثر برنامج (كوت) في تنمية قدرات التفكير الابتكاري لدى طالبات الصف العاشر بسلطنة عمان، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة السلطان قابوس، ٢٠٠٥ م، ص ١.
- ٥- وداد بنت عبد الله البهران، قدرات التفكير الابتكاري لدى تلاميذ التعليم الاساسي والتعليم العام في سلطنة عمان. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة السلطان قابوس، ص ٣.
- ٦- صالح محمد أبو جادو، ود. محمد بكر نوفل، تعليم التفكير، النظرية والتطبيق، دار المسيرة، ط ١، ٢٠١٠ م، ص ١٣.
- ٧- د. أحمد بدر، أصول البحث العلمي ومناهجه، الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٧٣ م، ص ١.
- ٨- د. فاخر عاقل، أسس البحث العلمي في العلوم السلوكية، ط ٢، بيروت، دارالعلم للملإين، ١٩٨٢ م، ص ٧.
- ٩- ابن منظور: لسان العرب (مجلد ١٥)، ط ١، دار صادر، بيروت، ص ١١٤.
- ١٠- د. محمد مسعد ياقوت، البحث العلمي العربي... معوقات وتحديات. منشور على شبكة الانترنت الربط الاتي:
<http://www.kl2com/pro/pafiledb.php?action=file&id=988>.

- ١١- المصدر السابق.
- ١٢- المصدر السابق.
- ١٣- المصدر السابق.
- ١٤- د. محمد عبد الرحيم عدس، المعلم الفاعل والتدريس الفعال، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان، الاردن، ١٩٩٦ م، ص ٦.
- ١٥- د. أحمد شحلان، الضروري في السياسة. مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، مركز دراسات الوحدة العربية، سبتمبر ١٩٩٨ م، ص ١٠.
- ١٦- د. برهان غليون، اغتيال العقل ط ٢، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٤ م، ص ١٩.
- ١٧- أ. د. صالحة محي الدين سنقر، الفعاليات العلمية للمرأة عضو هيئة التدريس في جامعة دمشق، بحث مقدم إلى مؤتمر المرأة والعلوم والتنمية، جامعة عدن المنعقدة في فبراير ٢٠٠٦ م، وثائق المؤتمر، الجزء الأول منشورات جامعة عدن، ٢٠٠٧ م، ص ٣٧.
- ١٨- د. حسن حسين البيلالي، الجودة الشاملة في التعليم «بين مؤشرات التميز ومعايير الاعتماد الأسس والتطبيقات»، ط ٣، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الأردن، عمان، ٢٠١٠ م، ص ٣.

- ١٩- د. أحمد حسن حسين، أثر الجامعة في تنمية المجتمع، رسالة ماجستير في علم الاجتماع «غير منشورة» كلية الآداب، قسم الاجتماع، جامعة بغداد، ١٩٩٦م، ص ١٧.
- ٢٠- د. حبيب مجدي، تعليم التفكير استراتيجيات مستقبلية للألفية الجديدة، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ٢٠٠٣م، ص ١١.
- ٢١- د. حبيب مجدي، تعليم التفكير استراتيجيات مستقبلية للألفية الجديدة، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ٢٠٠٣م، مصدر سبق ذكره، ص ٢٩٠.
- ٢٢- مصدر سابق.
- ٢٣- د. صالح محمد أبو جادو، ود. محمد بكر نوفل، تعليم التفكير «النظرية والتطبيق»، ط ٢، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الأردن، عمان، ٢٠١٠م، ص ٣٥.
- ٢٤- مطبوعات البنك الدولي، منظمة التعاون والتنمية في الميدان الاقتصادي، مراجعات لسياسات التعليم العالي في مصر، ٢٠١١م، منشور على شبكة الإنترنت الربط الآتي:
www.sourceoecd.org/education/9789264077232.
- ٢٥- سفين ار كوفي، البعد الثالث، حل أصعب مشاكل الحياة، ط ١، مكتبة جرير، المملكة العربية السعودية، الرياض، ٢٠١٢م، ص ٢٥.
- ٢٦- د. عبدالرحمن بن محمد أبوعمه، التعليم العالي في بريطانيا، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ٢٠٠٠م، ص ٣٠.
- ٢٧- د. حسن البيلالي، الإصلاح التربوي في العالم الثالث، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨٨م ص ١٥، ود. سعيد إسماعيل علي، فلسفات تربوية معاصرة، عالم المعرفة، العدد رقم ١٩٨ يونيو ١٩٩٥م، دار المعرفة، الكويت، ص ١.
- ٢٨- د. ثريا عبد الرحيم الخزرجي، دور المرأة العراقية في التنمية بين تحديات الواقع وطموح المستقبل، بحث مقدم إلى مؤتمر المرأة والعلوم والتنمية، جامعة عدن المنعقدة في فبراير ٢٠٠٦م، وثائق المؤتمر، الجزء الأول منشورات جامعة عدن، ٢٠٠٧م، ص ١٦.
- ٢٩- د. محمد مسعد ياقوت، البحث العلمي العربي: معوقات وتحديات، السنة الثالثة، العدد ٢٤، أيلول (سبتمبر) ٢٠٠٥م.
- ٣٠- المركز الوطني للمعلومات، الجمهورية اليمنية، ٢٠٠٦م، على الربط الآتي:
<http://www.yemen-nic.info/contents/education/studies/2pdf>.
- ٣١- د. عبد الرحمن بن محمد أبوعمه، التعليم العالي في بريطانيا، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، السعودية، ٢٠٠٠م، ص ٢٥.
- ٣٢- د. عبد الرحمن بن محمد أبوعمه، التعليم العالي في بريطانيا، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، السعودية، ٢٠٠٠م، ص ٣٠.
- ٣٣- مركز DW الدراسات العليا في مصر. تابع الربط التالي:
<http://www.dw.de/dw/article/0,16217012,0html>.
- ٣٤- د. عبد الرحمن بن محمد أبوعمه، التعليم العالي في بريطانيا، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، السعودية، ٢٠٠٠م، ص ٢٣.

مساهمة إدارة الجودة الشاملة في تميز المؤسسة والمحافظة على مكانتها

أ. جمال الدين غولام

ملخص المداخلة

للمؤسسة والمحافظة على استمراريته واستقرار مكانتها في ظل منافسة شديدة محلية، دولية، قارية، عالمية، مما يحتم على المؤسسات تبني سياسة واضحة وانتهاج استراتيجية مخططة طويلة الأمد لتستطيع تحقيق توازنها وأهم من ذلك المحافظة على متعاملها لضمان التفرد والتميز، ونهدف من خلال هذه المداخلة إلى توضيح مساهمة إدارة الجودة الشاملة في تميز المؤسسة والمحافظة على مكانتها في السوق، أي دورها في دعم هذا التميز والتفوق من خلال مجموعة من الاستراتيجيات والآليات.

لإدارة الجودة دوراً مهماً وأساسياً في دعم تميز المؤسسة والمحافظة على مكانتها، وهذا من خلال سعيها إلى التطوير والتحسين المستمرين للمنتج أو الخدمة، لتتمكن من كسب العميل الذي يعتبر طرفاً رئيسياً في الدورة الاستهلاكية أو الاقتصادية، حيث أصبح الرهان اليوم على كسب ثقته وبالتالي المحافظة على أكبر حصة في السوق، وهذا بتميز نوعية الخدمات، إضافة إلى المعاملة التي تمنحها المؤسسة للمتعاملين معها، وبذلك تعتبر إدارة الجودة الشاملة أحد النماذج الإدارية القادرة على صنع التفوق والتميز

• أستاذ في قسم علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة سعد دحلب البليدة/الجزائر.
jimy.benj@yahoo.fr

Abstract

Total quality management plays an important and essential role in consolidating company's distinction and preserve its position, by constantly trying to develop and improve the product or provided service to the consumer t be able to gain agent's loyalty, as he is considered as an essential part of consumption or economical process. The challenge today is how to gain agent's confidence and preserve the biggest part in market, by improving services quality and the way the company deal's with its operators. Total quality management is hens considered as a modern administrative model, able to grant distinction and superiority of the company, enabling it to maintain their position by means of rude local, international, continental and worldwide competitiveness. This forces companies to adopt a clear policy and adopt a long-term planned strategy to be able to maintain its equilibrium and the loyalty of its operators to conserve its uniqueness. We are trying by mean of this paper to clarify the role played by Total quality management in company's distinction and predominance in the market, by means of a set of strategies and mechanisms.

مقدمة

بالنظر إلى التغيرات العلمية والتكنولوجية وخاصة ما تعلق منها بتكنولوجيا المعلومات والاتصال والاتجاهات الاقتصادية المبنية على المعرفة وجدت تحولات في المفاهيم الإدارية واستراتيجيات المؤسسة، حيث ومع بداية القرن الـ ٢١ م، وجدت المؤسسات نفسها محاطة بتلك التغيرات وتأثيراتها الهادفة التي مست كل جوانب العمل، وساهمت في إعداد وتشكيل المناخ المحيط بشكل غير مسبوق، ووجدت ظروف تتضمن العديد من الفرص الواعدة بالنمو والانتشار والربحية، كما تضمنت الكثير من المخاطر والتهديدات التي تهدد ليس فقط إمكانات المؤسسة في العمل والنمو، بل الأهم تهدد فرصها في البقاء، مما حتمّ على المؤسسات إعادة هيكلة وإعمال مداخل وآليات للتطوير والتحديث لمواجهة التحديات ومواكبة التغيرات.

وفي ظل هذه التحولات المعرفية والتكنولوجية برز اهتمام كبير في المؤسسات بالنموذج الإداري الذي يضمن لها الاستمرارية والبقاء بالمحافظة على مكانتها في سوق شديدة التغير والمنافسة، وتعد إدارة الجودة الشاملة أحد هذه النماذج الإدارية القادرة على دعم إمكانيات المؤسسة.

مشكلة البحث

نظراً للضغوط والتحديات التي تواجه المؤسسات في العصر الحالي والتي تؤثر على بقائها واستمراريتها، فإن الحاجة إلى تحسين وتطوير المنتج أو الخدمة وزيادة قدرة المؤسسة على التميز والمحافظة على مكانتها، كلها أمور تتطلب تغييرات في جميع النواحي وإعادة تصميم الأساليب الإدارية، انطلاقاً من تبني إدارة الجودة الشاملة التي تعمل على تحسين مستمر للخدمات والمنتجات وانطلاقاً من إرضاء العميل وإشباع رغباته بتميز نوعية الخدمات، وتحقيق توافق بين ما تنتجه المؤسسة وما يسعى المستهلك للحصول عليه وهذا من خلال قبول التغير واستحداث أساليب للتعامل مع المحيط لضمان استقرار وتوازن المؤسسة حفاظاً على مكانتها وتميز منتجاتها وخدماتها.

ومن هنا تبرز أهمية إدارة الجودة الشاملة في تميز المؤسسة والمحافظة على مكانتها انطلاقاً من السؤال الذي مثل محور اهتمامنا في هذه المداخلة:

كيف يمكن لإدارة الجودة الشاملة أن تساهم في تميز المؤسسة والمحافظة على مكانتها؟

وللإجابة على هذا التساؤل نقترح الخطة التالية:

المحور الأول: ماهية إدارة الجودة الشاملة

١- مفاهيم الدراسة.

أ- الجودة.

ب- الجودة الشاملة.

ج- إدارة الجودة الشاملة.

٢- خصائص وسمات إدارة الجودة الشاملة.

٣- الافتراضات النظرية لإدارة الجودة الشاملة.

٤- عناصر إدارة الجودة الشاملة.

المحور الثاني: أساسيات حول إدارة الجودة الشاملة

١- مبادئ إدارة الجودة الشاملة.

٢- المتطلبات الرئيسية لتطبيق إدارة الجودة الشاملة.

٣- أهمية إدارة الجودة الشاملة.

٤- أهداف.

المحور الثالث: إدارة الجودة الشاملة وتميز المؤسسة

١- مبررات تطبيق المؤسسة لإدارة الجودة الشاملة.

٢- فوائد تطبيق إدارة الجودة الشاملة في المؤسسة.

٣- ما تحققه إدارة الجودة الشاملة لتمييز المؤسسة.

٤- مزايا الاعتماد على مدخل إدارة الجودة الشاملة.

نتائج الدراسة

التوصيات والمقترحات

خاتمة

المراجع

المحور الأول: ماهية إدارة الجودة الشاملة

١ - مفاهيم الدراسة

الجودة: يرجع مفهوم الجودة إلى الكلمة اللاتينية Qualites والتي تعني طبيعة الشخص أو طبيعة الشيء ودرجة الصلابة، وقديماً كانت تعني الدقة والإتقان.

الجودة حالة ديناميكية مرتبطة بالمنتجات المادية والخدمات، وبالأفراد والعمليات والبيئة بحيث تتطابق هذه الحالة مع التوقعات.

وقد أشار «محمد الصيرفي» في كتابه «الجودة الشاملة وطريقة الحصول على شهادة الأيزو» إلى أن مفهوم الجودة يحمل معنيين أحدهما تقليدي وآخر حديث:

المفهوم التقليدي للجودة: مجموعة من الصفات والخصائص التي يجب أن تتوفر في المنتج بما يتطابق مع صفات وخصائص وضعت لهذا المنتج سابقاً.

المفهوم الحديث: مجموع من الصفات والخصائص التي يجب أن تتوفر في المنتج وبما يتطابق مع ولبى رغبات وتفضيلات المستهلك.

الجودة الشاملة: يعرفها «معهد الجودة الفيديرالي» القيام بالعمل بشكل ومن أول خطوة مع ضرورة الاعتماد على تقييم العمل في معرفة مدى تحسين الأداء.

هي نهج متكامل لخدمة العميل تشمل كلفة العناصر والعمليات على كافة الأصعدة والمستويات وذلك بهدف إرضاء المستهلك من خلال التحسين المستمر لجودة السلع والخدمات المقدمة.

تحسين شامل ومستمر للمنتجات والخدمات التي تقدمها المؤسسة بهدف تحقيق أرباح تمكنها من التوسع والإستمرار وكسب رضا المستهلك أو العميل.

إدارة الجودة الشاملة

■ JAMES RILEY: تحول في الطريقة التي تدار بها المنظمة وتتضمن تركيز طاقات المنظمة على التحسينات المستمرة لكل العمليات والوظائف وقبل كل شيء المراحل المختلفة للعمل.

■ BAH RAT WAKHBR: التفوق في الأداء لإسعاد المستهلكين عن طريق عمل المديرين والموظفين مع بعضهم البعض من أجل تزويد المستهلكين بجودة ذات قيمة من خلال تأدية العمل الصحيح وبالشكل الصحيح ومن المرة الأولى وفي كل وقت.

■ آرثر AR THER: ثورة ثقافية في الطريقة التي تعمل وتفكر بها الإدارة حول تحسين الجودة، ومدخل يعبر عن المزيد من الإحساس المشترك في ممارسات الإدارة.^(١)

■ جابلوسكي JABLOSKI: مظهر تعاوني لتأدية الأعمال باستخدام مواهب وقدرات العاملين العملية والإدارية، من خلال التحسين المستمر للجودة والإنتاجية.

التعريف الإجرائي لإدارة الجودة الشاملة

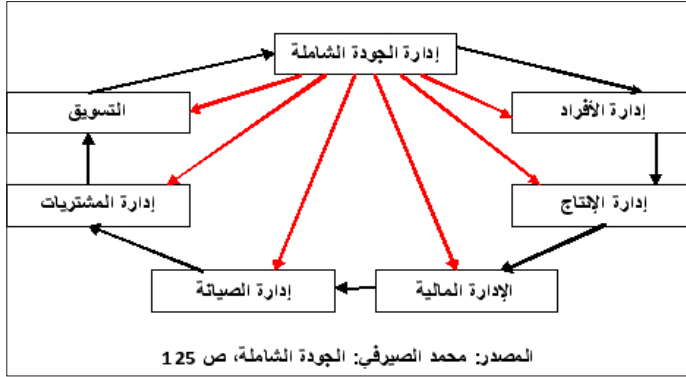
مشاركة كل الأطراف داخل المؤسسة والإدارة بمستوياتها (عليا، وسطى، تنفيذ) للوصول إلى إنتاج أو تقديم خدمة ذات نوعية عالية.

■ تعني إدارة الجودة الشاملة جمع الجهود وتضافرها لاستغلال أمثل لإمكانيات المؤسسة من أجل التحسين والتطوير المستمرين انطلاقاً من رغبات العميل وتحقيق تطابق بين ما ينشده هذا الطرف وما تتجه المؤسسة.

■ تربط إدارة الجودة الشاملة جميع الأنشطة والإدارات على هيئة سلسلة كاملة وفق الشكل التالي:

(١) فريد كورتل وآخرون: الجودة والتميز في منظمات الأعمال، الجزء ٢، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، ط١، عمان، ٢٠٠٩م، ص٢٠.

شكل رقم ١: ترابط إدارة الجودة الشاملة مع الأنشطة والإدارات في المؤسسة



خصائص وسمات إدارة الجودة الشاملة

- فلسفة إدارية حديثة أو معاصرة فإدارة الجودة الشاملة تعتبر أحد النماذج الإدارية التي ظهرت في العصر الحديث وتزايد الاهتمام بها مع مرور الوقت.
- استمدت جذورها من النظريات والكتابات الإدارية السابقة واستفادت بأحسن ما فيها: أي أن إدارة الجودة الشاملة النموذج الإداري المحسن الذي توصل إليه الباحثون والدارسون للنماذج الإدارية التقليدية.
- تركز على جودة المنتج أو الخدمة وعدم التوقف عند حد معين بل الإستمرار بالتحسين طالما هناك من يستفيد منه باعتبار إدارة الجودة تعمل على إرضاء العميل وتحقيق رغباته فإنها تركز دائماً على تقديم الأفضل وجودة عالية عن طريق التحسين المستمر.
- تعتمد على مبدأ مشاركة جميع العاملين في تحقيق الجودة ويتحمل الجميع مسؤولية ذلك: فالوصول إلى جودة ترضي المستهلكين لا يتحقق إلا بتضافر الجهود وتعاون جميع الأطراف داخل المنظمة.
- تأخذ بعين الاعتبار حاجات المستهلك أو الزبون وتحاول تحقيقها أو أبعد مما يتوقعه الزبون: فالمستهلك أو الزبون هو الهدف الأساسي لإدارة الجودة الشاملة التي تعمل على تقديم الأفضل له أي تحقيق ما ينشده وفق المعايير والشروط التي يريدها أو أبعد من ذلك.
- أنها ثقافة تعتمد على إشاعة قيم التعاون والتآزر من أجل إنجاح العمل وتحقيقها أهداف المؤسسة: فإدارة الجودة الشاملة قبل كل شيء هي ثقافة مؤسسية

تعتمد على التعاون وتضافر الجهود لتحقيق أهداف المؤسسة وإنجاح العمل وتحقيقه بالطريقة المطلوبة.

■ تسمح بظهور الأفكار الخلاقة والمبدعة وتعمل على تحقيقها: من خلال سعي إدارة الجودة الشاملة إلى التحسين المستمر وتقديم الأفضل تخلق بيئة خاصة للإبداع والابتكار.

■ تسعى إلى تحقيق الميزة التنافسية في الأسواق: إن إدارة الجودة الشاملة تعتمد إلى تقديم خدمة أو منتج ذات نوعية رفيعة وجودة عالية بما يضمن للمؤسسة التميز وكسب ميزة تنافسية في السوق^(٢).

الافتراضات النظرية لإدارة الجودة الشاملة

تقوم إدارة الجودة الشاملة على مجموعة من الافتراضات تعكس فلسفتها:

■ قبول التغيير والتعامل مع المتغيرات: حيث أن إدارة الجودة الشاملة تعمل أو تهدف إلى التكيف مع المتغيرات المختلفة لتمكن المؤسسة من التأقلم مع المحيط والتعامل معه.

■ استحداث أساليب للتعامل مع المحيط: فتأقلم المؤسسة مع محيطها الداخلي والخارجي لا يكون إلا باستحداث آليات وأساليب تمكنها من التواصل والتعامل معه وهذا أحد افتراضات إدارة الجودة الشاملة.

■ استيعاب التكنولوجيا الجديدة وإعادة تصميم الأساليب الإدارية: فهذا النموذج الإداري المعاصر - إدارة الجودة الشاملة - يعمل وفق المتغيرات المعرفية والتغيرات التكنولوجية من خلال تصميم الأساليب الإدارية القادرة على استيعاب التكنولوجيا الحديثة واستثمارها خدمة للزبون أو المستهلك.

■ إدراك أهمية الاستثمار الأمثل لكل الموارد المتاحة: فتحقيق جودة شاملة لا يكون إلا من خلال الاستثمار الأمثل لكل الإمكانيات المادية والبشرية واستغلال الموارد المتاحة الموجودة في المؤسسة أو المحيط.

■ إدراك أهمية الوقت كمورد رئيسي للإدارة: فالعصر اليوم هو عصر السرعة مما يحتم وجود طريقة ملائمة للتعامل مع الوقت واعتباره مورد مهم في الإدارة.

■ إدراك أهمية العميل وضرورة الإقتراب منه واتخاذ معيار أساسياً في الاختيارات

(٢) مهدي السامرائي: إدارة الجودة الشاملة في القطاعين الإنتاجي والخدمي، دار جرير للنشر والتوزيع، ط١،

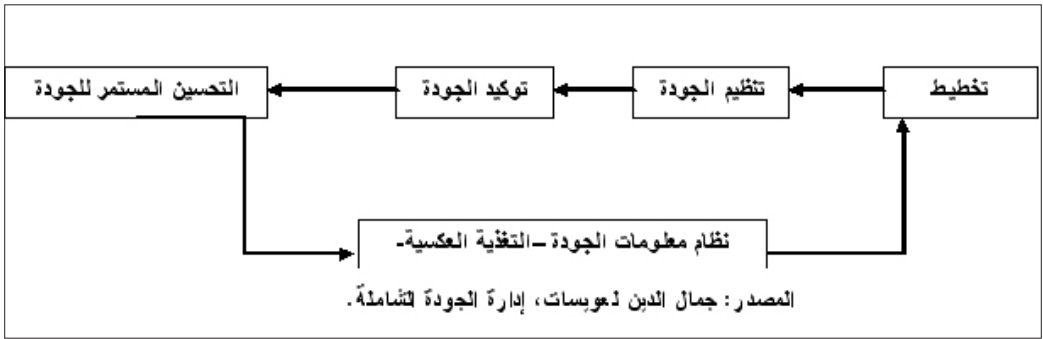
عمان، الأردن، ٢٠٠٧م، ص٥٣.

الإدارية: فجودة المنتجات والخدمات لا يمكن الحكم عليها إلا من خلال مستهلكها.

■ الأخذ بمفهوم العمل الجماعي وإدراك أهمية التخطيط الإستراتيجي في الإدارة فالتعاون وتضافر الجهود بوجود تخطيط استراتيجي يمكن المؤسسة من الإستمرارية وكسب العميل.

■ من خلال هذه الافتراضات نستنتج أن لإدارة الجودة الشاملة دورة متكاملة.

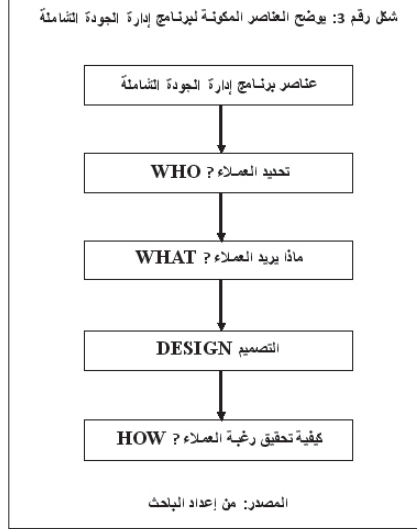
شكل رقم ٢ : يوضح الدورة المتكاملة لإدارة الجودة الشاملة



عناصر برنامج إدارة الجودة الشاملة:

- (١) تحديد العملاء المستهدفين (WHO).
- (٢) تحديد ماذا يريد العملاء (WHAT).
 - مواصفات الخدمة التي يريدها العميل.
 - درجة الاعتمادية المرغوبة (RELIABILITY).
 - طريقة التوصيل (DELIVERY).
 - درجة القابلية للتطوير (FLEXIBILITY).
 - توقيت التوصيل (TIMING).
- (٣) القدرة على تحقيق رغبات العميل تبدأ من بداية العمل لإنتاج الخدمة، أي من نقطة التصميم (DESIGN).
- (٤) تحديد كيف يتم تحقيق رغبات العملاء (HOW):

- قدرات ومهارات تصميمية.
- قدرات ومهارات تنفيذية.
- طاقات إنتاجية بشرية.
- طاقات إنتاجية مادية.^(٣)



المحور الثاني: أساسيات حول إدارة الجودة الشاملة

١ - مبادئ إدارة الجودة الشاملة

- تمثل إدارة الجودة الشاملة مبادئ الإدارة التي تركز على تحسين الجودة كقوة محفزة في كافة المجالات الوظيفية وعلى كل المستويات في المؤسسة، وتتمثل هذه المبادئ في:
- المستهلك هو من يعرف الجودة ورضا الزبائن: فكل خدمة أو منتج تسهر المؤسسة على تحسينه يكون بهدف إرضاء المستهلك وبذلك هو يمثل مبدأً أساسياً من مبادئ إدارة الجودة الشاملة.
 - الإدارة العليا يجب أن تقدم القيادة للجودة: فالقيادة قادرة على خلق روح الإبداع والابتكار مما يمكن من تحقيق جودة المنتجات والخدمات.
 - الجودة عبارة عن موضوع استراتيجي وتتطلب خطة استراتيجية: أي أن الجودة

(٣) جمال الدين لعويسات: إدارة الجودة الشاملة، دار هومة للنشر والتوزيع، د ط، الجزائر، ٢٠٠٥م، ص ١٣، ١٤، ١٥.

كهدف ترغب المؤسسة في تحقيقه إرضاء لمستهلكيها هي هدف حيوي إستراتيجي يتطلب تخطيط بعيد أو طويل المدى إنطلاقاً من دراسة المتغيرات والتركيز على تغير الأنماط الإستهلاكية للزبائن.

- الجودة هي مسؤولية كل الموظفين ضمن كل المستويات في المنظمة: فشمولية الجودة تتحقق من خلال إشراك جميع الأطراف المكونين للمؤسسة بدءاً من المناصب العليا وحتى المناصب الدنيا، فالجودة لا تتحقق بجهد واحد بل بتضافر الجهود وتعاون الجميع.
- كل وظائف المؤسسة يجب أن تتركز على تحسين الجودة المستمرة من أجل تحقيق الأهداف الاستراتيجية: إن تحسين الجودة وتطويرها المستمر يكون في سلسلة مترابطة ومتكاملة بدءاً من الخطة العامة للإدارة العليا وصولاً إلى خط الإنتاج أي جهاز التنفيذ المسؤول والمكلف بالإنتاج.
- مشاكل الجودة تحل من خلال التعاون ما بين الموظفين والإدارة: فباعتبار أن الجودة مسؤولية الجميع ولا تتحقق إلا من خلال التعاون فإن المشاكل المتعلقة بها تكون أيضاً عن طريق مشاركة جماعية وتكاملية بين الإدارة والعمال.
- التدريب والتعليم لكل الموظفين هو قاعدة لتحسين الجودة المستمر: فمن خلال التدريب يتمكن الموظفون من اكتساب ثقافة الجودة ومحاولة تجسيدها^(٤).

٢- المتطلبات الرئيسية لتطبيق إدارة الجودة الشاملة

إن تطبيق مفهوم إدارة الجودة الشاملة في المؤسسة يستلزم بعض المتطلبات التي تسبق البدء بتطبيق هذا البرنامج في المؤسسة حتى يمكن إعداد العاملين على قبول الفكرة ومن ثم السعي نحو تحقيقها بفاعلية وحصر نتائجها المرغوبة وتمثل هذه المتطلبات في:

٢-١ إعادة تشكيل ثقافة المؤسسة: إن إدخال أي مبدأ جديد في المؤسسة يتطلب إعادة تشكيل لثقافة تلك المؤسسة حيث أن قبول أو رفض أي مبدأ يعتمد على ثقافة ومعتقدات الموظفين في المؤسسة.

(٤) محمد عبد العال النعيمي وآخرون: إدارة الجودة المعاصرة - مقدمة في إدارة الجودة الشاملة للإنتاج والعمليات والخدمات، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، دط، عمان، الأردن، ٢٠٠٩م، ص ٥٤، ٥٣.

إن ثقافة الجودة تختلف اختلافاً جذرياً عن الثقافة الإدارية التقليدية وبالتالي يلزم إيجاد هذه الثقافة الملائمة لتطبيق مفهوم إدارة الجودة الشاملة وذلك بتغيير الأساليب الإدارية وتهيئة البيئة الملائمة لتطبيق هذا المفهوم الجديد بما فيه من ثقافات جديدة.

٢-٢ الترويج وتسويق البرنامج: إن نشر مفاهيم ومبادئ إدارة الجودة الشاملة لجميع العاملين في المؤسسة أمر ضروري قبل اتخاذ قرار التطبيق.

إن تسويق البرنامج يساعد كثيراً في التقليل من المعارضة للتغيير والتعرف على المخاطر المتوقعة بسبب التطبيق حتى يمكن مراجعتها. ويتم الترويج للبرنامج عن طريق تنظيم المحاضرات أو المؤتمرات أو الدورات التدريبية للتعريف بمفهوم الجودة وفوائدها على المؤسسة.

٢-٣ التعليم والتدريب: حتى يتم تطبيق مفهوم إدارة الجودة الشاملة بالشكل الصحيح فإنه يجب تدريب وتعليم المشاركين بأساليب وأدوات هذا المفهوم الجديد حتى يمكن أن يقوم على أساس سليم وصلب وبالتالي يؤدي إلى النتائج المرغوبة من تطبيقه، حيث أن تطبيق هذا البرنامج بدون أي وعي أو فهم لمبادئه ومتطلباته قد يؤدي إلى فشل ذريع، فالوعي الكامل يمكن تحقيقه عن طريق برامج التدريب الفعالة، والهدف من التدريب هو نشر الوعي وتمكين المشاركين من التعرف على أساليب التطوير، وهذا التدريب يجب أن يكون موجهاً لجميع فئات ومستويات الإدارة (الهيئة التنفيذية، المدراء، المشرفين، العاملين) ويجب أن تلبى متطلبات كل فئة حسب التحديات التي تواجهها^(٥).

٢-٤ الاستعانة بالاستشاريين: الهدف من الاستعانة بالخبرات الخارجية من مستشارين ومؤسسات متخصصة عند تطبيق البرنامج هو تدعيم خبرة المؤسسة ومساعدتها في حل المشاكل التي ستنشأ وخاصة في المراحل الأولى.

٢-٥ تشكيل فرق العمل: يتم تأليف فرق العمل بحيث تضم كل واحدة منها ما بين خمسة إلى ثمانية أعضاء من الأقسام المعنية مباشرة أو ممن يؤدون فعلاً العمل المراد تطويره والذي سيتأثر بنتائج المشروع، وحيث أن هذه الفرق ستقوم بتحسين فيجب أن يكونوا من الأشخاص الموثوق بهم ولديهم الإستعداد للعمل والتطوير وكذا يجب أن يعطوا الصلاحية المراجعة وتقييم المهام التي تتضمنها العملية وتقديم المقترحات لتحسينها.

(٥) سمير محمد عبد العزيز: جودة المنتج بين إدارة الجودة الشاملة والأيزو ٩٠٠٠-١٠١١، مكتبة الإشعاع للنشر والتوزيع، ط١، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ١٢٩.

٦-٢ التشجيع والحفز: إن تقدير الأفراد نظير قيامهم بعمل عظيم سيؤدي حتماً إلى تشجيعهم وزرع الثقة، وتدعيم هذا الأداء المرغوب، وهذا التشجيع والتحفيز له دور كبير في تطوير برنامج إدارة الجودة الشاملة في المؤسسة واستمراريتها، وحيث أن استمرارية البرنامج في المؤسسة يعتمد اعتماداً كلياً على حماس المشاركين في التحسين، لذا ينبغي تعزيز هذا الحماس من خلال الحوافز المناسبة وهذا يتفاوت من المكافأة المالية إلى التشجيع المعنوي.

والخلاصة أن على المؤسسة تبني برنامج حوافز فعالة ومرنة تخلق جواً من الثقة والتشجيع والشعور بالانتماء للمؤسسة وبأهمية الدور الموكل إليهم في تطبيق البرنامج.

٧-٢ الإشراف والمتابعة: من ضروريات تطبيق برنامج الجودة هو الإشراف على فرق العمل بتعديل أي مسار خاطئ ومتابعة إنجازاتهم وتقويمها إذا تطلب الأمر وكذلك فإن من مستلزمات الإشراف والمتابعة هو التنسيق بين مختلف الأفراد والإدارات في المؤسسة وتذليل الصعوبات التي تعترض فرق العمل مع الأخذ في الاعتبار المصلحة العامة.

٨-٢ استراتيجية التطبيق: إن استراتيجية تطوير وإدخال إدارة الجودة الشاملة إلى حيز التطبيق يمر بعدة خطوات أو مراحل بدءاً من الإعداد لهذا البرنامج حتى تحقيق النتائج وتقييمها، وتتمثل هذه المراحل في:

٨-٢-١ الإعداد: هي مرحلة تبادل المعرفة ونشر الخبرات وتحديد مدى الحاجة للتحسين بإجراء مراجعة شاملة لنتائج تطبيق هذا المفهوم في المؤسسات الأخرى ويتم في هذه المرحلة وضع الأهداف المرغوبة.

٨-٢-٢ التخطيط: ويتم فيها وضع خطة وكيفية التطبيق وتحديد الموارد اللازمة لخطة التطبيق.

٨-٢-٣ التقييم: وذلك باستخدام الطرق الإحصائية للتطوير المستمر وقياس مستوى الأداء وتحسينها.^(٦)

٣- أهمية إدارة الجودة الشاملة

تتلخص أهمية إدارة الجودة الشاملة في النقاط التالية:

■ منهجية قابلة للتغيير أكثر من كونها نظام تقليدي يتبع إجراءات وقرارات: فإدارة

(٦) محمد ماجد خشبة: الجودة الشاملة وتنافسية المشروعات سلسلة اجتماعات الخبراء، المعهد العربي

للتخطيط بالكويت، العدد ١٥، ٢٠٠٥م، ص ٢٠.

الجودة الشاملة تعمل وفق التغيرات الحاصلة في المحيط باعتبارها تتعامل مع مستهلكين متغيري الأذواق في الزمان والمكان وهذا ما يجعلها آلية مرنة قادرة على التغيير.

■ **إلتزام المؤسسة** يعني قابليتها على تغيير سلوك أفرادها لمفهوم الجودة: أي أن إلتزام المؤسسة بإدارة الجودة الشاملة يعني قابليتها لتغيير ثقافتها التنظيمية التقليدية وبالتالي القدرة على تغيير سلوك أفرادها وتعاملهم مع مفهوم الجودة بما يحقق أهدافها بالطريقة المرغوبة.

■ **تطبيقه** يعني أن المؤسسة تهتم لأنشطتها ككل وليس بالمستهلكين فقط: فإدارة الجودة الشاملة تساهم في تشكيل وتكوين سمعة جيدة للمؤسسة باهتمامها بمستهلكيها عموماً وأنشطتها خصوصاً.

■ **متكامل** وبالتالي فالجودة محصلة تعاون هؤلاء العملاء الداخليين والخارجيين: فأنشطة إدارة الجودة الشاملة في علاقتها الترابطية والتكاملية مع الأنشطة المختلفة تشجع إلى وجود اعتماد متبادل وتعاون بين موظفيها ومتعاملها داخلياً وخارجياً.

■ **أهميته** لا تنعكس على تحسين العلاقات المتبادلة بين الموردين والمنتجين فحسب وإنما تحسين سمعة المؤسسة والروح المعنوية بين العاملين وتنمية روح الفريق: فإدارة الجودة الشاملة تعمل على تنمية الروح المعنوية للعاملين من خلال إشراكهم وأخذ مقترحاتهم مما يمكن من كسب سمعة طيبة للمؤسسة وتميزها عن غيرها^(٧).

٤- أهداف إدارة الجودة الشاملة

■ **الإهتمام الدائم والمستمر** بجودة الإنتاجية والأداء التنظيمي: فإدارة الجودة الأولى تهدف إلى تحسين مستمر لجودة ما تنتجه المؤسسة من خلال الإهتمام بالأداء التنظيمي الذي يساهم في صنع الجودة.

(٧) محمد النعيمي وآخرون: مرجع سبق ذكره، ص ٤٥-٤٦.

■ فهم التحديات الإقتصادية المحلية والعالمية: يمثل فهم التحديات الحاصلة في البيئة الخارجية أحد أهم أهداف إدارة الجودة الشاملة التي تسعى إلى إستيعاب التغيرات والتعامل معها بما يضمن للمؤسسة تكيف أكثر.

■ الحصول والمحافظة على ميزة التنافسية: فإدارة الجودة الشاملة تسيير بالمؤسسة إلى طريق التميز والريادة بما يضمن لها الحصول على ميزة تنافسية وأبعد من ذلك المحافظة على هذه الميزة.

■ قبول الفرد أو المشارك لأداء المبادرات الجديدة: فإدارة الجودة الشاملة تعمل على خلق بيئة مشجعة وحاضنة للإبداع والابتكار مما يجعل الفرد أو المشارك قاب ل للإبداع والقيام بالمبادرات الجديدة للوصول إلى جودة عالية.

■ منح حق التصرف واتخاذ القرارات للفرد والفريق في المسائل المتعلقة بالجودة: بإعتبار إدارة الجودة الشاملة تعمل وفق تظافر الجهود وتعاون بين المشاركين فهي تهدف إلى منح حق تصرف الفرد والفرق واتخاذ القرارات فيما يتعلق بالجودة وأساليبها.

■ شحذ عملية التركيز على العملاء الداخليين والخارجيين لتحسين مجالات العمل المشترك: فالعمل عنصر مهم وأحد المبادئ الرئيسية لإدارة الجودة الشاملة لذلك فهي تعمل على إرضائه وتحقيق رغباته وبذلك فهدفها شحذ عملية تركيز الموظفين على العملاء لتحسين مجالات العمل المختلفة.

■ تطوير جودة المنتجات أو الخدمات مع تخفيض التكاليف مما يحسن خدمة العملاء وتلبية حاجاتهم: تهدف إدارة الجودة الشاملة إلى تطوير وتحسين جودة المنتجات أو الخدمات مع تخفيض التكاليف بما يلبي حاجات العملاء وتحسين خدمتهم لضمان ثقتهم ورضاهم.

■ تحقيق الجودة وزيادة العوائد والأرباح: فهدف المؤسسة من خلال تطبيقها لبرنامج إدارة الجودة الشاملة هو تحقيق أكبر عائد وزيادة أرباح المؤسسة من خلال تحقيق جودة الخدمات والمنتجات.^(٨)

(٨) فريد كورتل وآخرون: مرجع سبق ذكره، ص ٢٧٩.

المحور الثالث: إدارة الجودة الشاملة وتميز المؤسسة

١- مبررات تطبيق المؤسسة لإدارة الجودة الشاملة

- تعد إدارة الجودة الشاملة الأساس الذي تركز عليه الكثير من النشاطات:
- تحقيق متطلبات العميل وهذا لا يكون إلا من خلال تقديم منتجات وخدمات ذات نوعية تلبي رغبات العميل.
- خفض الدورة الزمنية لتطوير المنتجات: ذلك أن إدارة الجودة الشاملة تعمل على إنجاز العمل بالشكل الصحيح ومن المرة الأولى.
- التحكم في فترات الإنتاج حسب الطلب وهذا من خلال تحديد المعايير والشروط الواجب توافرها في المنتج وتكون معدة مسبقا حسب حاجات العميل.
- تحسين أداء فرق العمل من خلال تدريبهم وتعليمهم التعامل مع مفهوم برنامج إدارة الجودة الشاملة.
- خفض تكلفة المنتجات والخدمات وهذا من خلال تقليل الفاقد والإستغلال الأمثل للموارد والإمكانات.

٢- فوائد تطبيق إدارة الجودة الشاملة في المؤسسة

- تحصل المؤسسة التي تتبع نظام إدارة الجودة الشاملة على طائفة واسعة من المكاسب وفوائد مختلفة تتمثل في:
- تقوية الوضع التنافسي للمؤسسة من خلال الانتظام على جودة المنتجات والخدمات والإستمرار في تحسينها وهذا يؤدي إلى الثقة فيها.
- قدرة المؤسسة في التعامل مع المتغيرات من حولها فإدارة الجودة الشاملة تمنح المؤسسة مرونة في التعامل مع المحيط.
- تحقيق إنتاجية عالية والتخلص من الإهدار من خلال تحسين نظام الإنتاج والعمليات وطرق حل المشكلات وسبل تقويم الأداء وتحسين إدارة الوقت والتخلص من الأساليب الروتينية في إدارة المؤسسة.
- تعزيز ثقة العملاء بالمؤسسة والانتظام في التعامل معها: وهذا من خلال ما تمنحه إدارة الجودة الشاملة من تميز المنتج أو الخدمة المقدمة.
- زيادة عوائد وأرباح المساهمين في تأسيس المؤسسة وهذا بالمحافظة على تميز منتجات المؤسسة وكسب ثقة المستهلكين.
- التوسع في فتح فروع أو أقسام إنتاجية جديدة نتيجة الأرباح والعوائد المتحققة

فالمؤسسة بتميزها وكسب عملاء كثر تتمكن من التوسع وفتح فروع جديدة في المجال الذي تنشط فيه.^(٩)

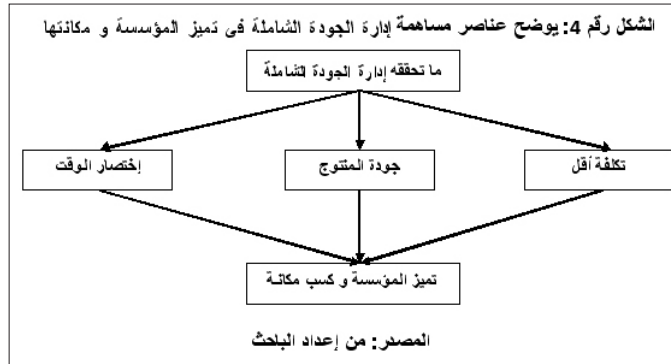
٣- ما تحققه إدارة الجودة الشاملة

تحقق إدارة الجودة الشاملة ثلاث عناصر مهمة تعكس تميز المؤسسة والمحافظة على مكانتها في السوق عموماً وفي النشاط الذي تمارسه خصوصاً.

■ **التكلفة الأقل:** وهذا من خلال قدرة المؤسسة على تصميم، تصنيع وتسويق منتجات بأقل تكلفة ممكنة مقارنة مع منافسيها مما يمكنها من تحقيق أرباح، وتهيئ فرص البيع بأسعار تنافسية ويعمل على جذب أكبر عدد من المستهلكين.

■ **تميز المنتجات:** تمكن إدارة الجودة الشاملة من تقديم منتجات أو خدمات متميزة أو فريدة من نوعها (جودة عالية) إضافة إلى خدمات ما بعد البيع، وتمكن المؤسسة من تحليل مصادر التميز واستغلال الكفاءات والمهارات والتقنيات التكنولوجية العالية، وبذلك تمكنها من زيادة الحصة السوقية لها.

■ **اختصار الوقت:** هذا من خلال تخفيض عنصر الزمن لصالح الزبون فالمستهلك يريد التعامل مع المؤسسة التي تكون ضابطة لعنصر الوقت وقادرة على استغلاله أفضل استغلال.^(١٠)



(٩) مهدي السامرائي: مرجع سبق ذكره، ص ٥٤.

(١٠) نبيل مرسى خليل: الميزة التنافسية في مجال الأعمال، الدار الجامعية للنشر والتوزيع، د ط، الإسكندرية،

مصر، ١٩٩٦م، ص ٨١.

٤- مزايا الاعتماد على مدخل إدارة الجودة الشاملة

تتمتع المؤسسات الأكثر نجاحا في تنفيذ برامج تحسين الجودة بمقومات النجاح الأربع التالية:

- التخطيط والتنفيذ الجيد للأنشطة المختلفة.
- مشاركة الإدارة الوسطى.
- استهداف تحقيق نتائج ملموسة وسريعة.

هذا وقد استطاعت تلك المؤسسات التي اعتمدت على أسلوب إدارة الجودة الشاملة تحقيق نتائج بارزة واكتسبت مركزا قويا بين المؤسسات الرائدة في العالم، ويمكن إبراز المزايا المحققة من خلال الظواهر الإيجابية التالية:

- انخفاض شكاوى العملاء، وانخفاض التكاليف (زيادة الكفاءة).
- زيادة حصة المؤسسة في السوق.
- انخفاض معدلات الحوادث وإصابات العاملين.
- انخفاض العيوب، مما يؤدي على زيادة رضا العملاء.
- تخفيض الوقت المستغرق في دورة التصنيع.
- زيادة العائد على الاستثمار.^(١١)

تعقيب

تعتبر مبررات تحول المؤسسة من ثقافة تنظيمية كلاسيكية إلى ثقافة إدارية تركز على الجودة وخدمة العميل بمثابة قاعدة تأسيس لمكانة المؤسسة وتميزها عن غيرها وهذا من خلال الفوائد التي تعود على المؤسسة من خلال تطبيق إدارة الجودة الشاملة باعتبارها صانعة لتمييز المؤسسة، وخلق قدرة تنافسية من خلال الثلاثية (تكلفة أقل، جودة ونوعية عالية، اختصار الوقت) التي تمثل مفتاح تميز المؤسسة وبالتالي المحافظة على مكانتها وهذا ما تعكسه الآثار أو مزايا الاعتماد على ثقافة الجودة هذه الثقافة الإدارية هي النموذج الإداري الداعم للمؤسسة من خلال الاستغلال الأمثل والأنجح لإمكاناتها البشرية، المادية، المالية...

(١١) محمد محمد إبراهيم: إدارة الجودة الشاملة من المنظور الإداري- مدخل إداري متكامل، الدار الجامعية للنشر والتوزيع، د ط، الإسكندرية، ٢٠٠٩م، ص ١٤٠-١٤١،

نتائج الدراسة

توصلنا من خلال هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج تمثلت في:

- ١- يمثل تميز المؤسسة هدفاً تسعى إلى تحقيقه وفي المقابل هو وسيلة للمحافظة على مكانتها في السوق.
- ٢- تمثل إدارة الجودة الشاملة مجموعة من الاستراتيجيات والسياسات الهادفة إلى التحسين والتطوير بما يضمن للمؤسسة مكانة وتميز خاص.
- ٣- تعتبر إدارة الجودة الشاملة أحد أنجح الطرق التي تمكن المؤسسة من كسب العميل وبالتالي المحافظة على حصته في السوق.
- ٤- هدف المؤسسة المحافظة على مكانتها وتميزها عن غيرها، هو أحد أساسيات ومبادئ إدارة الجودة الشاملة.
- ٥- تميز المؤسسة وقدرتها على التكيف مع المنافسة مرهون بجودة منتجاتها وخدماتها وهذا من خلال تطبيق استراتيجية إدارة الجودة الشاملة.
- ٦- التطور العلمي والتكنولوجي يفرض على المؤسسات الأخذ بمبادئ إدارة الجودة الشاملة لكسب ثقة العميل والمحافظة على مكانتها في سوق شديدة التغير والمنافسة.
- ٧- استخدام مدخل إدارة الجودة الشاملة لغرض التحسين يحقق فاعلية للمؤسسة.
- ٨- جوهر إدارة الجودة الشاملة السعي لتحسين الجودة وزيادة الإنتاجية وتقليل الفاقد الإنتاج مما يساعد على توازن المؤسسة وإستمراريتها.
- ٩- كسب رضا العميل وثقته يكون بالبحث المستمر عن الجودة العالية والسعي لتجسيدها في المنتج أو الخدمة المقدمة بما يمكن المؤسسة من الريادة والتوسع في السوق.
- ١٠- إدارة الجودة الشاملة هي استراتيجية وتقنية تستخدمها المؤسسة كوسيلة لتمييز منتجاتها وخدماتها وبالتالي مواجهة المنافسة المحلية، القارية، الدولية، وحتى العالمية في ظل عولمة الاقتصاد وتقارب المسافات نتيجة التطور التكنولوجي.

التوصيات والمقترحات

- ١- إيجاد قسم متخصص بالجودة ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب.
- ٢- ضرورة تبني منهج الجودة الشاملة في كل المؤسسات بإختلاف نوعها (خدمانية، تجارية، صناعية، إنتاجية...).

- ٣- إشراك العاملين في قديم مقترحاتهم بإعتبار إدارة الجودة الشاملة تعتمد على التعاون وتضافر الجهود.
- ٤- ضرورة المزاجية بين ما تنتجه المؤسسة وبين رغبات المستهلكين لضمان التميز وكسب مكانة في السوق.
- ٥- تنظيم دورات تدريبية دورية لترسيخ مبادئ وأفكار إدارة الجودة الشاملة.
- ٦- تعرف المؤسسة الجزائرية تهميش للعميل مما جعلها تعاني تراجعاً في ظل منافسة أجنبية مما يحتم عليها إدخال مناهج إدارية حديثة لتنمية نفسها داخلياً وكسب رضا العميل وهذا يكون باستخدام إدارة الجودة الشاملة.
- ٧- اليوم تميز المؤسسة ومكانتها مرهون بجودة خدماتها وكذا منتجاتها ولحسب هذا الرهان لا بد من تطبيق سياسة الجودة الشاملة.
- ٨- وضع حوافز مادية ومعنوية للعاملين الذين يطبقون التعليمات المحددة التي تقود إلى الجودة.
- ٩- تنظيم محاضرات خاصة للعمال والإداريين لشرح المفاهيم الإدارية والتسويقية الخاصة بإدارة الجودة الشاملة بحيث تكون هذه المفاهيم واضحة وبالتالي العمل على تطبيقها.
- ١٠- الاستفادة من النماذج المطبقة لإدارة الجودة الشاملة كالنموذج الياباني الذي تحقق مؤسساته ميزة تنافسية يصعب تقليدها.

خاتمة

في الأخير نقول أن إدارة الجودة الشاملة هي نموذج إداري قادر على صنع جودة متفوقة من خلال ما تحققه المؤسسة من قبول العملاء ومستوى أداء المنتجات والجودة العالية من شأنها أن تساعد على تكوين إسم تجاري وسمعة جيدة، وتقلل الجهد والوقت الذي يستغرق في إصلاح العيوب وهذا بالتركيز على احتياجات العملاء وإدراكها، وبهذا تساهم إدارة الجودة الشاملة بشكل كبير في تميز المؤسسة واستقرار مكانتها من خلال الدور الإيجابي الذي تلعبه انطلاقاً من تميز المنتج أو الخدمة والمعاملة مع العميل وصولاً إلى استقرار المؤسسة وبالتالي المحافظة على مكانتها.

كما أن إدارة الجودة الشاملة قبل كل شيء هي ثقافة إدارية مكونة من مجموعة قيم تتجسد في تعاون جميع الأطراف لتحقيق هدف المؤسسة في التوازن والاستمرارية بالمحافظة على مركزها التجاري وحصتها في السوق وبالتالي فهي تطلب كوادراً كفؤاً وقادرة على إحداث التغيير.

قائمة المراجع

- ١- مأمون سليمان الداردكة: إدارة الجودة الشاملة وخدمة العملاء، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط١، عمان، الأردن، ٢٠٠٨، ص١٧.
- ٢- محمد الصيرفي: الجودة الشاملة طريقك للحصول على شهادة الإيزو، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، ط١، الإسكندرية، ٢٠٠٦م، ص١٧.
- ٣- فريد كورتل وآخرون: الجودة والتميز في منظمات الأعمال، الجزء ٢، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، ط١، عمان، ٢٠٠٩م، ص٢٠.
- ٤- مهدي السامرائي: إدارة الجودة الشاملة في القطاعين الإنتاجي والخدمي، دار جرير للنشر والتوزيع، ط١، عمان، الأردن، ٢٠٠٧م، ص٥٣.
- ٥- جمال الدين لعويسات: إدارة الجودة الشاملة، دار هومة للنشر والتوزيع، د ط، الجزائر، ٢٠٠٥م، ص١٣، ١٤، ١٥.
- ٦- محمد عبد العال النعيمي وآخرون: إدارة الجودة المعاصرة - مقدمة في إدارة الجودة الشاملة للإنتاج والعمليات والخدمات، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، د ط، عمان، الأردن، ٢٠٠٩م، ص٥٣، ٥٤.
- ٧- سمير محمد عبد العزيز: جودة المنتج بين إدارة الجودة الشاملة والإيزو ٩٠٠٠-١٠٠١١، مكتبة الإشعاع للنشر والتوزيع، ط١، القاهرة، ١٩٩٩م، ص١٣٩.
- ٨- محمد ماجد خشبة: الجودة الشاملة وتنافسية المشروعات سلسلة اجتماعات الخبراء، المعهد العربي للتخطيط بالكويت، العدد ١٥، ٢٠٠٥م، ص٢٠.
- ٩- محمد النعيمي وآخرون: مرجع سبق ذكره، ص٤٥-٤٦.
- ١٠- فريد كورتل وآخرون: مرجع سبق ذكره، ص٢٧٩.
- ١١- مهدي السامرائي: مرجع سبق ذكره، ص٥٤.
- ١٢- نبيل مرسى خليل: الميزة التنافسية في مجال الأعمال، الدار الجامعية للنشر والتوزيع، د ط، الإسكندرية، مصر، ١٩٩٦م، ص٨١.
- ١٣- محمد محمد إبراهيم: إدارة الجودة الشاملة من المنظور الإداري- مدخل إداري متكامل، الدار الجامعية للنشر والتوزيع، د ط، الإسكندرية، ٢٠٠٩م، ص١٤٠-١٤١.

تفويض السلطة في الأقسام الأكاديمية

من وجهة نظر أعضاء الهيئة التدريسية في المؤسسات الجامعية الجزائرية

ملخص البحث

أ.ة عائشة صفرائي - أ.ة عائشة بوقليمينة



السلطة في جامعة غرداية كانت كبيرة جداً، وتميل إلى اللامركزية في تسيير شؤونها، واعتماد رؤساء أقسام ذات نمط إداري ديمقراطي، ودلالة ذلك حصول مجالات: (المكانة (المنصب)، وفعالية الذات، والأثر، والنمو المهني، واتخاذ القرار) على درجة كبيرة جداً ومتقاربة كأبعاد لمفهوم تفويض السلطة.

الكلمات المفتاحية: السلطة، تفويض السلطة، المسؤولية، أعضاء الهيئة التدريسية.

تفويض السلطة إلى تمكين التنظيم من تحقيق الأهداف بكفاءة وفعالية، فإنه مع تضخم العمل الإداري واتساعه يصبح من الصعب على شخص واحد ممارسة سلطة اتخاذ القرار في التنظيم. لذلك يتم إيجاد مراكز في التنظيم تفوض لها السلطة لاتخاذ القرارات حتى تتمكن من القيام بواجباتها. تتميز مؤسسات التعليم العالي في أن العملية الإدارية والأكاديمية بها تدار بطريقة جماعية، فللأقسام الأكاديمية أهمية كبيرة نظراً لخبرتها المباشرة بالقرارات التي تتخذها الإدارة العليا للجامعة، كما أنها الوسيلة التي من خلالها تؤثر أعضاء الهيئة التدريسية في القرارات التي تتخذها مؤسسات التعليم العالي. لذلك هدفت دراستنا إلى التعرف على درجة تفويض السلطة في الأقسام الأكاديمية من وجهة نظر الهيئة التدريسية في الأقسام الأكاديمية، وقد خلصت دراستنا إلى أن درجة تفويض

• أ.ة عائشة صفرائي: أستاذة مساعدة بجامعة عمار ثلجي بالأغواط قسم علوم التسيير. aicha_alg2008@yahoo.fr

• أ.ة عائشة بوقليمينة: أستاذة مساعدة قسم علوم التسيير. Aicha_doct@yahoo.fr

مقدمة

تنشأ السلطة في أية منشأة من ملاك المنظمة وهؤلاء يقومون بتفويض السلطة الضرورية لإدارة المنشأة إلى مجلس الإدارة ورئيس المنظمة وهم بدورهم يقومون بتفويض السلطة إلى أسفل أكثر وأكثر وتصبح أقل في مجالها في كل مستوى أقل، ومن هنا فإن المدير والملاك يملكان جزء من السلطة.

والسلطة لا تفوض إلى أشخاص وإنما تفوض إلى المراكز التي يشملها البناء التنظيمي ثم تؤول إلى الأفراد شاغلي هذه المراكز، فعملية تفويض السلطة تمكن التنظيم من تحقيق الأهداف بكفاءة وفعالية، فإنه مع تضخم وزيادة المسؤوليات والواجبات يصبح من الصعب على شخص واحد ممارسة سلطة اتخاذ القرار في التنظيم. لذلك يتم إيجاد مراكز في التنظيم تفوض لها السلطة حتى يمكنها القيام بواجباتها، وبما أن مؤسسات التعليم العالي جزء من هذه المؤسسات وتسودها هذه العملية جاءت دراستنا للإجابة على التساؤل الجوهرى التالي:

ما درجة تفويض السلطة في الأقسام الأكاديمية من وجهة نظر الهيئة التدريسية؟ وما مدى فعاليتها؟

لقد قمنا بصياغة الفرضية الرئيسية التالية:

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجة تفويض السلطة في الأقسام الأكاديمية من وجهة نظر الهيئة التدريسية.

بناءً على ذلك قسمنا البحث للعناصر التالية:

أولاً: ماهية تفويض السلطة؛

ثانياً: العلاقة بين تفويض السلطة والمركزية واللامركزية؛

ثالثاً: أنواع تفويض السلطة؛

رابعاً: أسباب وعناصر تفويض السلطة؛

خامساً: الدراسة الميدانية (واقع تفويض السلطة في جامعة غرداية / الجزائر)؛

سادساً: التوصيات.

أولاً: ماهية تفويض السلطة

١-١- مفهوم السلطة

قبل التطرق لمفهوم تفويض السلطة لا بد من معرفة مفهوم السلطة أولاً فتعني بالسلطة الحق القانوني في اتخاذ القرارات وإعطاء الأوامر للآخرين ووجوب من توجه لهم الأوامر بالطاعة تحت طائلة المسؤولية ويعرفها سيمون (Simon) على أنها: «القوة على اتخاذ القرارات التي تهدد تصرفات طرف آخر». كما يمكن أن تعرف السلطة بأنها: «الحق في التصرف أو في توجيه تصرفات الآخرين لتحقيق أهداف التنظيم».

وتقسم السلطة إلى:

- **السلطة الرسمية:** وهي السلطة التي يحصل عليها الفرد بمقتضى الأنظمة، أو التي تفوض له في إطار المنظمة.
- **السلطة الوظيفية:** وهي السلطة التي تعتمد على المعرفة والخبرة التي يستمدّها الفرد من تخصصه في مجال معين.
- **السلطة الشخصية:** وهي السلطة التي يستمدّها الفرد من جراء أقدميته في المنظمة، وتتبع من الصفات والتصرفات التي يتميز بها الفرد.

١-٢- مفهوم تفويض السلطة (Delegation of Authority):

يرى الشنواني أنّ عملية تفويض السلطة هي تكليف المساعد بأعمال معينة، وتفويض السلطة اللازمة له بقيامه بهذه الأعمال، باعتباره مسؤولاً عن هذه الأعمال. ولكن لا تفوض كل السلطات إلى المساعد إلا إذا تنازل المدير كلياً عن مركزه.

١-٣- أهمية وأهداف تفويض السلطة: تتمثل فيما يلي:

- **إعطاء الفرصة الكاملة للرئيس الأعلى للقيام بمهامه الأساسية:** إن تفويض الرئيس الأعلى لجزء من السلطة الممنوحة له إلى المرؤوسين الأكفاء يساعد على مراقبة ورصد كل ما يدور من أنشطة وعمليات تنظيمية، إضافة إلى توفير الجهد والوقت الذي يمكن توظيفه في دراسة العمليات الأساسية للتنظيم المتعلقة بالتطوير والتنمية والإشراف والتوجيه والتنسيق ورسم السياسات ومتابعة تنفيذ أهداف التنظيم الإداري بدلاً من إهدار وقته بالقيام بنفسه بالأعمال التي يمكن لمرؤوسيه من إنجازها.

- **إتاحة الفرصة للإبداع والابتكار:** يؤدي تفويض الصلاحيات لبعض المرؤوسين إلى تنمية مهارات وقدرات الأفراد الإبداعية والابتكار، واكتشاف هذه القدرات وتمييزها

وتطويرها، فمن خلال ممارستهم لبعض الأعمال والوظائف الإدارية وخاصة (التخطيط، والتنظيم، والتنسيق والرقابة) يؤدي إلى خلق طبقة من الموظفين في الخط الثاني مؤهلين ليكونوا مديرين في المستقبل. فالتفويض إذن مدرسة للمدراء على مختلف مستوياتهم وموقعهم في السلم الإداري.

• تنمية الشعور بالثقة لدى المرؤوسين وإعدادهم لتحمل المسؤولية: إنّ عملية تفويض السلطة للمرؤوسين، من خلال مشاركتهم في اتخاذ ورسم السياسات اللازمة لاستمرارية نشاط التنظيم، من شأنه أن يخلق الشعور بالرضا والحماس، ومن ثم الولاء والانتماء للتنظيم، ويعني ذلك إعدادهم لتحمل مسؤولية ما هم مقدمون على القيام به.

• تخفيض التكاليف: تساهم عملية التفويض في اتخاذ القرارات في تخفيض التكاليف المادية وتساعد على الإسراع في الإنجاز، وتقلل من الإجراءات الروتينية وبالتالي خفض قيمة المواد المستهلكة والتقليل من الاستهلاك في الآلات وكذلك الأفراد والأجور، كل ذلك يؤدي إلى ترشيد الأداء وتحقيق أهداف المؤسسة بأعلى كمية ونوعية، وبأقل كلفة ووقت وجهد، عما هو متبع في الطريقة العادية.

• تقوية العلاقات الإنسانية بين أعضاء التنظيم: إن التفويض يعني الثقة في قدرة المرؤوسين على تحمل المسؤولية والقيام بالواجبات، وهو يعني تعبير عن حاجة يسعى الأفراد إلى إشباعها عن طريق اعتراف الآخرين بقدراتهم لهم، الأمر الذي ينعكس على هؤلاء الأفراد بصورة إيجابية تتمثل في زيادة الأداء والانتماء للتنظيم، وبالتالي فإنه سيقدم كل الاحترام والتقدير لرئيسه الأعلى ولإدارته، ويسود روح الفريق والولاء والاعتزاز بالانتماء لمثل ذلك التنظيم.

ثانياً: العلاقة بين تفويض السلطة والمركزية واللامركزية

المركزية واللامركزية من المفاهيم التنظيمية الهامة والمرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمسألة تفويض السلطة، ويعكس مفهوم المركزية تركيز السلطة، بينما يعبر مفهوم اللامركزية عن تشتت السلطة وتوزيعها، فتركيز السلطة يتوقف كلياً على درجة أو حجم السلطة المفوضة لا على نوع السلطة.

والمشكلة الأساسية في التنظيم والتي تتطلب علاجاً مستمراً هي درجة تركيز أو عدم تركيز السلطة، ولا يقتصر الأمر فقط على نوع السلطة المفوضة بل يتعلق الأمر بمقدار أو حجم السلطة المفوضة إلى المستويات الإدارية. فالتفويض يدفع حركة العمل

في المؤسسة إلى الأمام ويخفف من أعباء المديرين، كما يكشف عن قدرات العاملين في المنشأة وينميها ويرفع من روحهم المعنوية.

ويوجد في كل تنظيم تقريباً مركزية ولا مركزية في نفس الوقت، وهنا لا بد من وجود قدر من لامركزية السلطة في كل هيكل تنظيمي، وإلا ما وجد هذا الهيكل أصلاً، حقاً أنه من غير الممكن أن تكون هناك مركزية بحتة للسلطة في يد شخص واحد - هو المالك أو الرئيس الأعلى للمنشأة-.

ولكن في هذه الحالة أن يكون هناك مديرون مرؤوسين له، ومن ثم فليس هناك هيكل للتنظيم أيضاً، ولذا يمكن القول بأن من خصائص جميع التنظيمات وجود قدر من اللامركزية في هياكلها. ومن الناحية الأخرى، لا يمكن أن توجد مركزية مطلقة، لأن قيام المدير بتفويض كل سلطته يعني تلاشي مركزه ومكانته كمدير، ومرة أخرى لن يكون هناك تنظيم أو هيكل حقيقة الأمر مسألة نسبية تعبر عن مدى أو درجة تفويض السلطة. وعادة تكون درجة اللامركزية كبيرة في الحالات الآتية :

- عندما يزداد عدد القرارات التي تتخذ في المستويات الإدارية الأقل.
- عندما تزداد أهمية القرارات التي تتخذ في أسفل التسلسلات الإدارية.
- عندما تزداد الوظائف التي تتأثر بالقرارات التي تتخذ في المستويات الأدنى.
- عندما تقل عمليات مراجعة القرارات.
- وتختلف المنظمات والمديرين في أوجه تفويض السلطة، فكلما اتجهت المنظمة ناحية اللامركزية زادت درجة التفويض، أما في حالة المركزية فإن عملية التفويض تنقلص.

ثالثاً: أنواع تفويض السلطة

تتعدد صور وأنواع تفويض السلطة وفقاً للجهات التي كتبت عنه ووفقاً لوجهات النظر التي ركز عليها والجوانب التي تناولها والأهداف المراد تحقيقها في علم الإدارة لذلك تتعدد أنواع التفويض لتشمل العناصر التالية:

- التفويض إلى أسفل والتفويض الجانبي:

ويكون إلى أسفل إذا كان التفويض إلى مستوى أدنى في الهرم التنظيمي، والتفويض الجانبي يقصد به الواجبات من مديرين مثلاً إلى زملاء آخرين لهم يقعون في نفس مستواهم في الهرم التنظيمي.

- التفويض الجزئي الكامل والتفويض الجزئي الناقص:

يكون التفويض الجزئي كاملاً عندما يفوض إليه سلطة كاملة لإنجاز المهمة كاملة دون الرجوع للرئيس الذي فوض الصلاحيات، ويكون التفويض جزئياً ناقصاً عندما يطلب المفوض من المفوض إليه أداء جزء من المهمة ولا تكون المهمة إلا بالتفاهم مع الرئيس.

- التفويض المشروط والتفويض غير المشروط:

يكون التفويض مشروطاً عندما يتطلب من المفوض إليه أخذ موافقة الرئيس الإداري على العمل قبل أدائه، ويكون غير مشروط عندما يكون المفوض إليه حراً في أداء العمل دون تحفظات.

- التفويض الرسمي والتفويض غير الرسمي:

يكون التفويض رسمياً عندما يعتمد على قوانين وأوامر مكتوبة، كما يكون غير رسمي عندما يكون قائماً على العدالة والإنفاقيات الشخصية والمفاهيم.

- التفويض المباشر والتفويض غير المباشر:

التفويض غير المباشر هو التفويض الذي يصدر من سلطة أعلى من صاحب الإختصاص (المفوض) بتفويض بعض من اختصاصات الأخير إلى موظف آخر، أما التفويض المباشر وهو التفويض الذي يصدر من المفوض بتفويض جزء من اختصاصاته إلى أحد مرؤوسيه وإلى موظف آخر.

- التفويض الإلزامي والتفويض الاختياري:

التفويض يصدر في هذين النوعين بقرار من المفوض نفسه والفرق بينهما أن المفوض في التفويض الاختياري حر في أن يفوض جزء من اختصاصه أو لا يفوض وفقاً لتقريره وما يراه مناسباً بطرؤف العمل أما في الإلزامي فإنه يكون ملزماً بتفويض جزء من اختصاصه إذا طلب منه ذلك وبالتالي لا يكون له حرية التقدير والاختيار.

- التفويض البسيط والتفويض المركب:

التفويض البسيط يتم عندما يفوض المفوض جزءاً من اختصاصاته إلى أحد مرؤوسيه، أما التفويض المركب فيتم عندما يفوض المفوض جزءاً كبيراً من اختصاصاته إلى عدد من المرؤوسين ليقوموا بتنفيذه أثناء غيابه مثلاً.

يلاحظ مما سبق التنوع والاختلاف في التفويض حسب احتياجات العمل ولكن الذي يجمع بين هذه الأنواع هو تحقيقها الأهداف المنشودة وهي تنفيذ الأعمال بكفاءة وفعالية وتخفيض ضغط العمل على كاهل المدير.

رابعاً : أسباب وعناصر تفويض السلطة

٤-١- أسباب تفويض السلطة:

ترجع أسباب التفويض في كثير من المنظمات إلى التطور الذي صاحب نمو المنظمات وإلى فلسفة الإدارة اتجاه مركزية أو لامركزية السلطة، وبذلك يعتبر تفويض السلطة من الأمور الضرورية في عملية التنظيم، ويجب على المدير القيام بالتفويض لأسباب عديدة وهي :

- إن المهام المسندة إلى المدير قد تفوق بكثير تلك التي تمكنه القيام بها شخصياً، ويقود هذا السبب إلى أسئلة تتعلق بدرجة حجم تفويض السلطة التي ينبغي على المدير القيام بها.
- إن تفويض السلطة هو العنصر الأساسي والخطوة الجوهرية في أي برنامج لتنمية المرؤوسين. فكل مكاسب وفوائد وبرامج التدريب بأشكالها المختلفة تذهب هباءً إذا تجاهل المدير عملية تفويض السلطة.
- إن كل مؤسسة من المؤسسات تحتاج بالضرورة إلى عمق في تنظيمها، ففي لحظة قد تخلو بعض المناصب الإدارية بسبب وفاة شاغليها أو ترقيتهم أو نقلهم أو مرضهم أو تقاعدهم، في هذه الحالة يجب على غيرهم شغل هذه المناصب لكي يستمر التنظيم في سيره.

٤-٢- عناصر تفويض السلطة:

تدور عملية التفويض حول ثلاثة عناصر تشكل الوظيفة الإدارية لهذه العملية، ويمكن النظر إلى هذه العناصر، كما ذكر نترز وزملاؤه بأنها الاستخدام الإجرائي لعملية التفويض وهي كالآتي:

- **منح السلطة:** والتي تعود في أصلها (Ownership) إن المصدر الأساسي للسلطة يعزى إلى حق الملكية إلى الله عز وجل. فالله سبحانه وتعالى هو المالك لكل شيء وهو الذي يمنح الإنسان حق الوجود على هذه الأرض والتصرف بثرواتها، وقد أرسل الله الأنبياء والرسل عليهم السلام ليكونوا ممثلين على هذه الأرض، وعلى هذا النمط من حق الملكية نشأت كل السلطات العامة المتعلقة بتسيير أمور الدولة التي تتعلق بتنظيم العلاقات والجماعات. فالمساهمون هم أصحاب الحق في تسيير أمور الجامعات ويفوض هذا الحق إلى ممثليهم المعروفين بمجلس الأمناء ثم تفوض السلطة إلى رئيس الجامعة ثم

إلى مجلس العمداء، وهكذا إلى أن تفوض السلطة إلى عضو هيئة التدريس. فالسلطة هي الحق الذي يتمتع به الفرد لإنجاز ما يوكل إليه من أعمال، وبقاء حياة أي منظمة مرهون بمدى قدرتها على الاحتفاظ بهيكل السلطة.

• تحديد المسؤولية أو إسناد المسؤولية أو الواجبات أو الاختصاصات التي أنشئت إلى الوظيفة لتحمل أعبائها أو تعيين الوظائف أو تعيين العمل. والأصل لهذه المسميات هي الأهداف التي تسعى الجامعات إلى تحقيقها فعندما تفوض سلطة من قبل إدارة الجامعة إلى مجالس الأقسام الأكاديمية يمكن النظر إلى هذه المهام أو الوظائف التي أسندت من زاويتين:

الأولى: وتتمثل بالمدير الذي يفوض النتائج المرغوبة ولا يفوض الوسائل لتحقيقها، حيث أن تفويض النتائج يمكن من تكون صفتان من القياديين الأكفاء، بينما نجد أن تفويض الوسائل لا يخلق سوى طبقة من المراسلين.

الثانية: وتتمثل بالتفويض على أساس النتائج التي تريد الجامعة تحقيقها، وهذا يعني أن الأهداف قد حددت والخطط وضعت، وأن الأهداف والخطط تم إيصالها للمعنيين بتحقيقها وأنهم قد فهموها، وأن المهام والأعمال التي تكفل تحقيق هذه الخطط قد حددت، وأن السلطات اللازمة لتنفيذ هذه المهام وتحقيق النتائج المتوقعة.

• **المساءلة أو المسؤولية:** وهي التزام شاغل الوظيفة بإنجاز مهام وظيفته، وهي بمثابة التزام أخلاقي لمن فوض للقيام بالأعمال المفوضة إليه على أحسن وجه.

خامساً: الدراسة الميدانية (واقع تفويض السلطة في جامعة غرداية / الجزائر)

تكون مجتمع الدراسة من جميع أعضاء الهيئة التدريسية في جامعة غرداية، ممن يحملون شهادة الدكتوراة أو شهادة الماجستير ويبلغ عددهم ٢٨٠ فرداً.

تكونت عينة الدراسة من ٣٠ عضو من أعضاء هيئة التدريس في جامعة غرداية، وتمثل عينة الدراسة نسبة ١٠,٧١٪ من مجتمع الدراسة.

٥-١- أداة الدراسة:

الأداة التي استخدمت في الدراسة هي استبانة مكونة من ٣١ سؤال منها مايلي:

الرقم	الفقرات	أوافق بشدة	أوافق	محايد	أعارض	أعارض بشدة
١	امنح السلطة للتحكم في البرامج الدراسية					
٢	أشارك مجلس القسم في اتخاذ القرارات المتعلقة بتنفيذ برامج جديدة في القسم					
٣	أشارك مجلس القسم في القرارات المتعلقة في اختيار أعضاء الهيئة التدريسية الجدد					
٤	استطيع تحديد جدولي الدراسي					
٥	يأخذ رئيس القسم رأيي الخاص بشؤون القسم					
٦	زملائي في القسم يطلبون نصائحي					

وقد تم اعتماد مقياس ليكرت الخماسي بحيث أخذت العبارات التالية القيم التالية كما هو موضح:

أوافق بشدة: ١، أوافق: ٢، محايد: ٣، أعارض: ٤، أعارض بشدة: ٥.

٥-٢- ثبات الاستبيان:

للتحقق من ثبات الاستبيان استخدمنا معامل كرونباخ ألفا والجدول التالي يبين ذلك: معاملات الثبات كرونباخ ألفا للمجالات الخمس لتفويض السلطة

المجالات	الثبات
مجال اتخاذ القرار	٠,٧٤
مجال النمو المهني	٠,٧٣١
مجال المنصب	٠,٦٩٤
مجال فعالية الذات	٠,٧٢
مجال الأثر	٠,٧٣٤
الدرجة الكلية لتفويض السلطة	٠,٧٦٧

يتضح من الجدول أن معاملات الثبات لتفويض السلطة ٠,٧٦٧ وتفي بأغراض الدراسة.

٣-٥- النتائج المتعلقة بفرضية درجة تفويض السلطة في الأقسام الأكاديمية:

لتحديد ذلك استخدمت المتوسطات الحسابية والنسب المئوية لكل مجال، والدرجة الكلية وخلاصة النتائج موضحة في الجدول التالي نتائج درجة تفويض السلطة:

المجالات	المتوسط	النسبة المئوية
مجال اتخاذ القرار	٢,١٠٦	٩٦,٨٪
مجال النمو المهني	١,٩٦	٩٦,٨٪
مجال المنصب	٣,٤٥	٩٦,٨٪
مجال فعالية الذات	١,٩٣٠٧	٩٦,٨٪
مجال الأثر	٢,١٠٨٣	٩٦,٨٪

نلاحظ أن درجة تفويض السلطة من وجهة نظر الهيئة التدريسية كانت كبيرة، حيث وصلت نسبة الاستجابة ٩٦,٨٪.

٤-٥- مناقشة النتائج المتعلقة بدرجة تفويض السلطة في الأقسام الأكاديمية من وجهة نظر أعضاء الهيئة التدريسية في المؤسسات الجامعية (جامعة غرداية):

دلت النتائج أن درجة تفويض السلطة في الأقسام الأكاديمية من وجهة نظر أعضاء الهيئة التدريسية في جامعة غرداية كانت كبيرة جداً حيث وصلت النسبة المئوية للاستجابة إلى ٩٦,٨٪ ويمكن تفسير النتائج التي أشارت إلى أن درجة تفويض السلطة في كافة المجالات كانت كبيرة جداً، إلى أن جامعة غرداية تميل إلى اللامركزية في تسيير شؤونها، واعتماد رؤساء أقسام ذات نمط إداري ديمقراطي على مستوى التفاعلات البشرية وديناميكية الجماعة والتطوير التنظيمي في تحقيق التكاتف والتعاقد لإنجاز أهداف مشتركة، ودلالة ذلك حصول مجالات: (المكانة (المنصب)، وفعالية الذات، والأثر، والنمو المهني، واتخاذ القرار) على درجة كبيرة جداً ومقاربة كأبعاد لمفهوم تفويض السلطة.

سادساً: التوصيات

على ضوء نتائج الدراسة ومناقشتها توصي الباحثين:

- الاهتمام بمشروعات البحوث العلمية لأعضاء الهيئة التدريسية كونه وظيفة أساسية من وظائف الجامعة وخاصة الأقسام الأكاديمية من خلال وضع خطة استراتيجية شاملة على مستوى الجامعات الجزائرية ووزارة التعليم العالي.

- ربط مشاريع الأبحاث العلمية وأطروحات الماجستير والدكتوراة بقضايا المجتمع، والعمل على توظيف نتائج البحوث العلمية في ميادين الحياة الاجتماعية المتعددة.
- ضرورة إثراء المكتبة في الجامعات الجزائرية والعربية بأحدث الكتب والدوريات والمراجع والبحوث والمؤتمرات المتعلقة بالإدارة التربوية وبخاصة فيما يتعلق بأحدث النماذج العالمية المعاصرة في القيادة وبأحدث الوسائل والأساليب الحديثة في اتخاذ القرارات الفاعلة.
- توسيع نطاق تفويض الصلاحيات لمجالس الأقسام الأكاديمية من خلال المشاركة في موضوع ميزانية الأقسام.
- الاهتمام من قبل الأقسام الأكاديمية بدراسة نتائج الاختبارات وتحليلها وتقديم تقرير لمجلس الكلية والعمداء ورؤيس الجامعة عن كل فصل دراسي من أجل رفع مستوى مهنة التدريس والعاملين وإتاحة الفرصة لها بالتجديد ومراجعة مناهجها وطرقها وأساليبها.
- منح مجالس الأقسام مزيدا من الصلاحيات، وخاصة في اتخاذ القرارات في النواحي التعليمية.
- ضرورة إعطاء مجالس الأقسام صلاحيات ترشيح أعضاء الهيئة التدريسية لإكمال دراستهم وتطويرهم المهني وطلبات الإجازات العلمية.
- ضرورة منح مجالس الأقسام الأكاديمية صلاحية ترشيح أعضاء الهيئة التدريسية لحضور المؤتمرات والندوات العلمية خارج الجزائر لما في ذلك من تحفيز أعضاء الهيئة التدريسية للإطلاع على ما يستجد من معلومات وعلى خبرات جديدة تفيدهم في التدريس والبحث العلمي وتطوير عمل وأداء الأقسام ومجالسها.
- على رؤساء الأقسام مراعاة توزيع الوقت على الموضوعات المراد مناقشتها واتخاذ قرارات أو توصيات بشأنها بشكل مناسب لكل موضوع.

قائمة المراجع

١. توفيق، جميل أحمد، إدارة الأعمال - مدخل وظيفي-، الدار الجامعية، الإسكندرية/ مصر، ١٩٩٩.
٢. الصيرفي، محمد عبد الفتاح- مفاهيم إدارية حديثة- ط(١)، الدار العلمية الدولية للنشر والتوزيع، عمان/الأردن، ٢٠٠٣.
٣. بربر، كامل، الإدارة عملية ونظام، ط(١)، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت/ لبنان، ١٩٩٦.
٤. الطويل، هاني عبد الرحمن، الإدارة التربوية والسلوك المنظمي - سلوك الأفراد والجماعات في النظم، ط(٢)، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان/ الأردن.
٥. الشنواني، صلاح، التنظيم، الدار الجامعية للطباعة والنشر، الإسكندرية، (د ت).
٦. عبد الفتاح حسن، التفويض في القانون الإداري والإدارة العامة، دار النهضة العربية، القاهرة/ مصر، ١٩٧٠.
٧. سالم، فؤاد الشيخ رمضان وآخرون، المفاهيم الإدارية الحديثة، ط(٦)، مركز الكتب الأردني، شركة الشرق الأوسط للطباعة، عمان/الأردن، ١٩٩٨.
٨. حريم حسين، إدارة المنظمات منظور كلي، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ٢٠٠٣.
٩. أبووظة سامر مرزوق، تفويض السلطة لدى مديري المدارس الثانوية بفاعلية الإدارة من وجهة نظر معلميه، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، ٢٠٠٩.
١٠. المغربي وآخرون، أساسيات في الإدارة، ط(١)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان/الأردن. ١٩٩٥.

الهوامش

- ١- بربر، كامل. الإدارة عملية ونظام، ط(١)، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٩٦.
- ٢- الطويل، هاني عبد الرحمن، الإدارة التربوية والسلوك المنظمي: سلوك الأفراد والجماعات في النظم، ط(٢)، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، بتصرف.
- ٣- عبد الفتاح حسن، التفويض في القانون الإداري والإدارة العامة، دار النهضة العربية بالقاهرة، ١٩٧٠، ص١٨٢.
- ٤- توفيق، جميل أحمد، إدارة الأعمال - مدخل وظيفي-، الدار الجامعية، الإسكندرية، مصر، ١٩٩٩، ص٩٣.
- ٥- سالم، فؤاد الشيخ رمضان وآخرون، «المفاهيم الإدارية الحديثة»، ط(٦)، مركز الكتب الأردني، شركة الشرق الأوسط للطباعة، عمان، الأردن، ١٩٩٨.
- ٦- الصيرفي، محمد عبد الفتاح، مفاهيم إدارية حديثة، ط(١)، الدار العلمية الدولية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠٠٣، ص٣٥٠.
- ٧- أبووظة سامر مرزوق، تفويض السلطة لدى مديري المدارس الثانوية بفاعلية الإدارة من وجهة نظر معلميه، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، ٢٠٠٩.
- ٨- توفيق، جميل أحمد، مرجع سبق ذكره، ص٣٢٠.
- ٩- المغربي وآخرون، أساسيات في الإدارة، ط(١)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان/الأردن. ١٩٩٥.
- ١٠- حريم حسين، إدارة المنظمات منظور كلي، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ٢٠٠٣، ص٢١٨.

المقاربة بالكفاءات، من أجل أي محتوى؟

د. محمد رضا بلمختار*

الملخص

ولكن تلك المتصلة بعمقه الحضاري. ليست ثقافة المجتمعات هي مجرد كل مركب من المعاني والمفاهيم والتجارب بل هي التوظيف النوعي لهذا التراث الذي يسجله التاريخ لحساب الأجيال لا عليها. فإذا كانت المؤسسة التربوية وثيقة الارتباط بالمجتمع الذي ينتجها ليس فقط فيما يخص إعداد وتكوين الأجيال ولكن وبشكل أساسي فيما يخص المرجعية الحضارية والعنصرية التاريخية التي ميزت وتميز هذا المجتمع عن سواه بما تتيح له من دفع نوعي مكنه من فرض بقائه والحفاظ على ديناميكيته. ما هو إذن حظ هذه المناهج التعليمية أو ما يسمى اليوم بالمقاربة بالكفاءات في دعم هذا البعث؟

المقاربة بالكفاءات، بيداغوجية الكفاءات، التعليم بالكفاءات كلها تعاريف فضفاضة لم تتجاوز الطرح الفلسفي لموضوع التعليم والتعلم. هل هو التربية، هل هو الأداء، هل هو المعرفة، هل هو المعرفة من أجل الأداء، هل هو الأداء من أجل المعرفة... إلخ؟ نظراً لكون المؤسسة التربوية هي من صنع المجتمع ولأجل بقائه وتطوره وجدت، فهو يحدد لها المفاهيم وأهداف التي لأجلها وجدت والأساليب والطرق والوسائل التي تعمل وفقها لتحقيق ذلك. نحاول هنا تصور العلاقة الممكنة بين هذا التصور للتربية والتعليم وتوجهات المجتمع الجزائري ليس فقط المستقبلية

* أستاذ محاضر، قسم علم الاجتماع والديموغرافيا، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة البليدة/الجزائر.

dr.bmbm@hotmail.com

مقدمة

لم تعد الدول اليوم في ظل توسع اقتصاد السوق تتعامل مع النظام التربوي كموضوع استهلاكي ولكن كحقل للاستثمار يرتبط بتنمية وتطوير مواردها البشرية، حيث أصبح دعم الاقتصاد بالموارد ذات الكفاءة يشكل اليوم أحد أهم مقاصد النظام التربوي. «ينظر اليوم إلى خريجي المعاهد والمدارس والجامعات على حد تعبير (حامد، ع) كنتاج نهائي لنظام التعليم ويعتبر عائد العمل لهؤلاء الخريجين وقيمهم المضافة في النشاط الاقتصادي والاجتماعي هو أحد المعايير الرئيسية لتقييم أثار التحكم في التنمية» (حامد، ع، ١٩٨٥، ص ٣٩٠)^(١)، نتج عن توسع الطلب على التعليم بعد الحرب العالمية الثانية، بفعل النمو الديموغرافي والإقبال الاجتماعي المتزايد (سياسات التعليم المجاني والإلزامي)، إرهاب النظام الاقتصادي الذي لم يصل رغم ذلك إلى تحقيق النمو الاجتماعي المرجو. دفع ذلك بالعديد من الدول الأوروبية إلى إجراء إصلاحات بهذا القطاع الحيوي من أجل تجاوز ما لحقت به من اختلالات والتي أدت تراكمها إلى عرقلت نمو مواردها البشرية ونهضتها الاجتماعية. فظهرت في سياق ذلك فكرة «الكفاءات» كتصور جديد للتعليم وطرقه يحمل في طياته معاني الحداثة والنمو معاً، وعرضه الداعين إليه على أنه الحل الأنجع للخروج من الأزمة ولتجاوز ما عجزت عن تحقيقه الدول من رقي. لم ينبع مصطلح «الكفاءات» ولا البيدغوجية التي يدعو إليها عن البحث التربوي كما هو شائع، بل جاء ناتجاً لأوضاع السوق الليبرالية المتأزمة وحاجات مؤسساتها الاقتصادية خاصة إلى يد عاملة من طراز جديد يتميز بالمرونة والقدرة على التكيف مع تقلبات السوق المتكررة وحالات عدم الاستقرار التي أصبحت تميز الاقتصاد الليبرالي.

الإطار التاريخي

يمكن القول أن فكرة التدريس بالكفاءات انبثقت عن التحولات الاقتصادية التي تعيشها المجتمعات الليبرالية منذ أكثر من ثلاثة عقود وظهور الحاجة لدى أرباب المصانع إلى ربط التكوين بحاجات السوق على نحو يسمح بالحراك المهني ويمكن العامل من التكيف المستمر ضمن أوضاع اقتصادية تنافسية شديدة التقلب. كذلك الوعي بأعباء التكوين المستمر وبصعوبة إيجاد يد عاملة تتوفر فيها شروط الكفاءة التي تحتاجها مؤسساتهم - القدرة على التكيف مع الأوضاع المتغيرة - مما جعلهم يضغطون على مؤسسات التكوين المهني لتتولى ذلك بدلاً منهم وفقاً للمعايير التي يحدونها. يمكن القول في إيجاز بأن المقاربة بالكفاءات جاءت ناتجاً لحاجتين اجتماعيتين تميزت بهما المجتمعات ذات الاقتصاد الليبرالي: - عالم المؤسسة الذي يبحث عن يد عاملة مكونة

بشكل مناسب وبشكل يحد عليها من أعباء وتكاليف التكوين - تصورات تتمحور حول الأداء الفردي بدلا من المعرفة النظرية (التأهيل سابقاً). فليس المهم أن يتحكم الفرد في المعرفة النظرية التي يتلقاها بل المهم هو أن يكون وظيفيا وأن يستطيع مثلاً قراءة الوصفة التقنية التي تشرح له كيف يستخدم الجهاز أو أن يفكك أو يركب المنشب الكهربائي بدلاً من أن يفهم ذلك ويحفظه نظرياً. وهي تمكن الفرد من التكيف أمام التحولات التكنولوجية والاقتصادية السريعة، بحيث يستطيع تبديل مناصب وأدوار العمل والتكيف مع المهام الموكولة إليه إذا ما واجهت المؤسسة المستخدمة أزمة أو عرف سوق العمل تقلبات (الحراك الداخلي والخارجي). لذلك فإننا نرى بأنه لفهم الكيفية التي تبلورت من خلالها فكرة الكفاءات وعرفت الرواج العالمي الذي تبدو عليه اليوم «كبيداغوجية الحداثة» ينبغي الرجوع إلى ما تميز به السياق الاقتصادي وسوق العمل الذي طبع البلدان الرأسمالية منذ ثمانينات القرن العشرين سواء الأوروبية منها أو الأمريكية. حيث ظهور ما سمي بـ «مجتمع المعرفة» في الفترة بين ١٩٨٠-١٩٩٠ كتوجه جديد للاقتصاد الليبرالي في مجتمع ما بعد الحداثة بقصد تجاوز الوضعية المتأزمة التي يعيشها - من جهة أزمة فائض الإنتاج ومن جهة أخرى التحديث التكنولوجي المتسارع. أو بمعنى آخر تفاقم التناقض بين تراكم رأس المال وتطور وسائل الإنتاج ما أدى إلى صعوبة إيجاد منفذ للمنتجات ومنه قلة المبيعات والاستثمار وبالتالي نمو البطالة، ما جعل الاستثمارات تتجه نحو تطوير التكنولوجية لرفع مستوى التنافسية قصد خلق أسواق جديدة لبيع المنتجات والذي سيؤدي في مرحلة قادمة إلى نفس المشكلة وهكذا دواليك (Forester's).^(٢)

يمكن ملاحظة ذلك من تتبعنا لأشكال الأزمات المختلفة التي يعرفها الاقتصاد العالمي منذ ستينيات القرن العشرين وبالضبط بعد تحرر الكثير من بلدان الجنوب من سطوة الاستعمار الفاشم، كأزمة النفط ١٩٧٣-١٩٧٩ والأزمة المالية في أوروبا والمكسيك وآسيا وروسيا بين ٢٠٠٠-٢٠٠١ والأزمة المالية في الولايات المتحدة الأمريكية منذ ٢٠٠٨، واليوم الأزمة الاقتصادية العالمية التي تعاني منها دول منطقة اليورو بشكل خاص (اليونان، إسبانيا، البرتغال، قبرص، إيطاليا...). هذا الاتجاه إلى التجديد التكنولوجي والبحث عن الأسواق والوضعية المتأزمة للاقتصاد العالمي يضاعفان أزمة الأسواق العالمية وسوق العمل بالدرجة الأولى، إلى حد لا يمكن فيه لأي خبير اقتصادي اليوم أن يتوقع أي من القطاعات الاقتصادية ستحتل الصدارة في السنوات العشرة القادمة أو أي منها ستزول وبالتالي أن يتوقع أي الكفاءات المهنية سيرتفع الطلب عليها كي تتجه النظم التربوية إلى الاستثمار فيها على المدىين المتوسط والبعيد؟ هذه الأوضاع

الاقتصادية أدت إلى إعادة النظر في أشكال تنظيم العمل القائمة، وضرورة تجاوز تقسيم العملية الإنتاجية إلى عمليات جزئية متكررة يشرف على كل منها عامل، إلى عملية يقوم فيها كل عامل بعدة مهام تستوجب أن يتحكم في عدة كفاءات في آن واحد. أي «تنظيم العمل لا يقوم على أداء مهام منفصلة عن بعضها ولكن مدمجة ضمن نسق كلي أين يتحول العامل من عنصر مستقل ضمن السلسلة الإنتاجية إلى نسق من المهارات والأساليب في خدمة الهدف المشترك للتنظيم»، (BOSMAN, 2000, P78)^(٢). اليوم أصبح رب العمل يفضل استخدام عامل يتقن أداء عدة مهام بدلاً من عامل لا يتقن إلا واحدة، كما يقول (فلور): «اليوم في عالم الشغل وفي سوق العمل (...) لا نبحث عن عمال يعرفون ويستطيعون ولكن عن عمال أكفاء ويصلون كذلك - قابلون للتكيف - في مواجهة التجديد والعمليات المعقدة» (Hirtt, 2009, P 10)^(٤). أصبحت وتيرة التجديد التكنولوجي وإعادة هيكلة المؤسسات الاقتصادية وتقلبات سوق العمل خصائص تميز البيئة الاقتصادية العالمية إلى حد جعل استقرار الوظائف مؤشراً على ضعف التنافسية. بمعنى أنه إذا كانت الأقدمية في السابق تعبر على مستوى من التأهيل وتراكم الخبرة ومن وفاء العامل للمؤسسة فإنها اليوم أصبحت تدل على جمود ما وانعدام الطموح وعلى وجود حواجز تمنع العامل من الحراك. كما يعبر الشاعر المتداول في أوروبا اليوم «اقتصاد المعرفة» من جهة، على المساحة التي أصبح يحتلها الاقتصاد في مختلف مستويات الحياة الاجتماعية بما في ذلك المدرسة والتكوين حيث أصبحت قيمة الأفكار والأفعال تقاس بمحك السوق (الطلب)، ومن جهة أخرى توجه التكوين وتركيزه المتزايد على بناء الكفاءات بدلاً من المؤهلات (منح الشهادات).

ولكن ماذا عن معطيات الواقع التي تتبؤنا بغير ذلك أو على الأقل تجعلنا نتصور عدة فرضيات، حيث جاء في تقرير المركز الأوروبي لترقية التكوين المهني (CEDEFOP)^(٥) بناءً على نتائج دراسات أجريت حول أوضاع السوق في ٢٥ دولة أوروبية أن طلب اليد العاملة يتجه نحو ثنائية قطبية؛ من جهة وظائف التسيير والاحتراف والوظائف التقنية ذات المستوى العالي ومن جهة أخرى الوظائف الخدماتية التي تتطلب تكويناً متوسطاً أو بسيطاً، حيث توقع التقرير ارتفاع الطلب على هذه الأخيرة في ١٥، ٢ إلى ٨، ١١٪ بعد أن بلغ ذلك في ٢٠٠٨، ٩، ١٠٪. أليست إذن الدعوة إلى ترقية دور المدرسة (التكوين) في اتجاه معين أمر لا يخرج عن مجال الارتياح قد يهدف إلى تأجيل نهاية الاقتصاد المريض؟

نحو نظام تربوي عالمي جديد^(٧)

تدرج التحولات التي تعيشها الأنظمة التربوية في البلدان النامية ضمن حركية عالمية واسعة انطلقت من الدول الليبرالية الأوروبية والأمريكية التي روجت لها عبر المؤتمرات العالمية وعروض الشراكة والدعم المالي واللوجستي. وهو مشروع عالمي يهدف إلى بسط نمط تربوي متجانس بين مختلف الدول يسير بوتيرة يحددها الاتحاد الأوروبي (بالدرجة الأولى) لا تراعي الخصوصيات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لمجتمعات العالم النامي، بقصد بسط منطق السوق إلى مختلف مستويات الحياة الاجتماعية (تربية، صحة، سياسة، ثقافة، إعلام، دين، سياسة... إلخ) (LAVAL, cET WEBER, I, 2002)^(٧).

ولفهم ذلك يمكننا طرح الأسئلة التالية:

أين تصنع القيم الجديدة ومن ينتجها وكيف لها أن تنتقل وتفرض نفسها في الحقل الحضاري عبر العالم؟ أمام ما تسجله البلاد النامية من ضعف في سياساتها التربوية ومن صعوبات متفاوتة في تحقيق النهضة المرجوة (الرسوب، التسرب، ضعف التأهيل، البطالة بمختلف أشكالها...) تغتم التنظيمات* الدولية الوضع لاقتراح وعرض دعمها لها ولمساعدتها فيما تخوضه من إصلاحات في هذا القطاع الحيوي سواء من حيث التمويل أو الإدارة أو التخطيط وبشكل ضمنى تقترح عليها البرامج التعليمية والمناهج المرافقة. حيث أصبح مفهوم الشراكة الذي لطالما تداولته مجالات التعاون الاقتصادي منذ الستينات، يستخدم اليوم في المجال التربوي وكأن هذا القطاع بدوره يعيش أزمة ويحتاج إلى المساعدة الخارجية لتحقيق أهداف تعجز البلدان النامية على بلوغها بمفردها كما أشار إلى ذلك مؤتمر «جومتييه» بتيلندا (JOMTIER, THAILANDE, 1990). وهو المؤتمر الذي لم يحدد بقصد من هي الأطراف المشاركة في هذه العملية الإصلاحية بل اكتفى بالإشارة إلى الطلب على التعليم بناءً على الفرضية التي مفادها أنه إذا كان العرض ملائماً من الناحيتين الكمية والنوعية فإن الأفراد كباراً وصغاراً سيذهبون إلى المدرسة وسيحقق مشروع التعليم للجميع. غير أن عدم إشراك الأطراف الاجتماعية المعنية بالإصلاح طرح إشكالية تتعلق بدورها في تحقيق ذلك أو عدمه؟

وهو ما يضيف على تلك البرامج طابعاً مفروضاً من حيث هي على حد قول «لافال وفبير»: «مشاريع تهدف إلى بسط نظام تربوي عالمي جديد» (LAVAL ET WEBER, 2002, P 65)^(٨).

يظهر هذا التجاهل للفروق الاجتماعية - التاريخية أيضاً من خلال عدم تطرق المؤتمرات التي تنظمها التنظيمات العالمية إلى القضايا المتعلقة بتحديد نوع التربية التي يفترض

أن تخصص لكل مجتمع بما يتوافق ومشروعه الحضاري المرتبط بشروطه المتميزة وبتطلعاته النوعية.

بعد عشر سنوات من مؤتمر «جومتييه» انتهى الفوروم العالمي للتعليم المنعقد في ٢٠٠٠ بديكار إلى أنه رغم التقدم الذي حققته بعض الدول النامية في مجال التعليم إلا أن النتائج المرجوة لا تزال بعيدة المنال وقدم كحل لتجاوز العقبات المزيد من التمويل لتغطية الطلب على التمدرس بينما ظل صامتاً كسابقيه فيما يتعلق بكيفية نمو التعليم بين فئات وجهات المجتمع المختلفة.

الأسرة ذلك الشريك الغائب

تجد الأسر اليوم صعوبات في تأطير أبنائها وفهم البيداغوجية الجديدة المتبعة في المدارس مما يضطر بعضها من ميسوري الحال إلى استخدام الدروس الخصوصية لتجاوز ذلك بينما تبقى غالبية الأسر عاجزة، ينعكس ذلك في هجرانها لمجالس الأولياء المعبر على تراجع ثقافتها فيها وفي قدرتها على تحسين أوضاع أبنائها. ولعل من باب الموضوعية يجب الإشارة كذلك إلى كون تلك صعوبات ترجع إلى الشروط التي تتم فيها وبواسطتها عملية التعلم داخل المؤسسة التربوية والتي لا توافق دائماً متطلبات بيداغوجية الكفاءات (اكتظاظ الأقسام، الحجم الزمني الذي لا يسمح للتلميذ بالاستراحة من أجل الاسترجاع، وجود مفاهيم تفوق مدركات المتعلم، استمرار أساليب الحشو، عدم التوافق بين ما هو نظري وما هو عملي، ضعف كفاءة المعلم وقلة تكوين المكونين، ضعف الوسائل البيداغوجية، نمطية التقويم، الطابع الرقابي للإدارة على حساب دور المرافقة) *، إلى جانب الأزمات الدورية التي يتخبط فيها القطاع التعليم العمومي بسبب النشاط النقابي وظروف المعلم المهنية والاجتماعية. ويؤدي غياب ناطق حقيقي باسم أولياء التلاميذ إلى عرقلة الحوار بين الوزارة والجماعات المحلية وأولياء التلاميذ. فالأسرة من حيث هي مؤسسة للتنشئة الاجتماعية يفترض أن تكون المعني الأول بقضايا تعليم الأبناء والأكثر تفكيراً في المدرسة إلا أنه واقع الممارسة يجعلها الشريك الأقل استشارة من قبل السياسات التعليمية (سواء منها الوطنية أو العالمية). وهذا من شأنه أن يعمق لدى هيأت التخطيط الجهل بالتصورات الاجتماعية للمدرسة والتعليم وعلاقة الفئات الاجتماعية مع المعرفة. فعلى سبيل المثال لا توجد دراسات تعرفنا بتصور شرائح المجتمع المختلفة لمفهوم «حق الجميع في التعليم» الذي أكدت عليه منظمة اليونسكو في مؤتمر دكار سنة ٢٠٠٠- وكيف يتم فصل ذلك مع الحقوق الاجتماعية الأخرى كالصحة والشغل والسكن... إلخ.

كما يعبر تجاهل الفروق الاجتماعية والثقافية بين المجتمعات من قبل التنظيمات العالمية على غلبة تصور يضعف من ثقل الاستراتيجيات الجماعية لحساب الاستراتيجيات الفردية وذلك بناءً من منطلقها النظري الذي يعتبر الفاعل الاجتماعي «مستهلك مدرسي». بينما تشير الدراسات الميدانية إلى أن واقع الكثير من البلدان النامية مغاير لذلك تماماً، حيث يرتبط تعليم الأبناء باستراتيجية جماعية أكثر مما هي فردية. (HERBAUT. C, P 40)^(٩) كما أن الاستراتيجيات التربوية تدخل ضمن مشروع اجتماعي ولا تستجيب فقط لحاجات اقتصادية بل تلعب دور في إعادة الإنتاج الاجتماعي والثقافي. (رأس مال. ع، ١٩٩٣، ص ٣٢)^(١٠)

والأسر ليست متكافئة أمام «العرض المدرسي» (عدد المقاعد المتاحة، الاختيارات المتاحة) بين المناطق المختلفة في البلد وبين الفئات الاجتماعية المختلفة. وتشير العديد من الدراسات أجريت على البلدان النامية إلى أن مشروع فرض المعايير الأوروبية على المدرسة والتعليم بقصد بسط «نظام تعليم عالمي جديد» يتم بشكل لا يتوافق والديناميكيات الاجتماعية التي تقاوم ذلك وتحاول باستمرار إبداع السبل واتخاذ الأعداء لتفاديه وهذا من شأنه التأثير على بلوغ هدف «التعليم للجميع» وبالتالي الوقوع في الحلقة المفرغة والاستمرار في تمويل برامج الإصلاح، ولكن إلى متى ستظل المنظمات العالمية قادرة على ذلك؟ (Marie-France Lange, 2003)^(١١)

كفاءة أم براغماتية

تقوم الفكرة الأساسية لبيداغوجية الكفاءات على تجاوز مفهوم التعليم والتعلم القائمين على نقل المعرفة إلى المتعلم نحو تصور آخر يستخدم الأساليب الفاعلة لجعل المتعلم يبني المعارف والمهارات التي تمكنه من الأداء الفعال. وهذا لكي يستطيع تجنيد تعلماته في مواجهة وضعيات مختلفة ومستجدة طوال الحياة سواء كان ذلك داخل أو خارج المدرسة. فهي بيداغوجية تمحور التعليم وتربطه بالواقع وبالفرد على نحو يجعله يقبل على التعلم ليس لأجل النقطة أو الشهادة ولكن لأنه يستفيد منه داخل وخارج المدرسة، أو كما يقول «فلور»: «لأبد لمحتويات برامج التعليم أن تبني على أسئلة مرتبطة بالحياة والواقع»^(١٢). ويعرف «دي ميرلر» الكفاءة: «بأنها القدرة الفعلية على تجنيد المعارف (النظرية والعملية) من أجل القيام بنشاط معين بناءً على وضعية عمل ملموسة ومتغيرة وبناءً على نشاط شخصي واجتماعي» (DEMEERLER, 2006)^(١٣). بمعنى أنها «تقاس بمدى قدرة التلميذ أو العامل على مواجهة الوضعيات الجديدة الغير المتوقعة بشكل فعال دون أن يكون مقلداً في ذلك» (GERARD. f, AL1993)^(١٤). لذلك هي بيداغوجية تقوم

على ربط التعلّيمات بالوضعيات الملموسة والمشاريع على نحو يجعلها تكتسي معنا وفائدة بالنسبة للمتعلم، وأن تكون وظيفية بالنسبة للوضعيات التربوية التي يلاقيها.* فهي تهتم أكثر بالفرد من حيث الدوافع والقدرات مقارنة بيداغوجية الأهداف، يمكن ملاحظة ذلك من خلال المفاهيم التي تستند إليها كالمرونة والأهداف والاستراتيجيات والوتيرة والتنوع والتجديد... إلخ.

وتنظر إلى المتعلم كطرف مشارك في العلاقة التربوية متعددة بذلك الأساليب التقنية (المدرسية) القائمة على الحفظ والاسترجاع الشرطي ضمن الوضعيات النمطية، وتستبدلها بأسلوب يعتمد على دافعية المتعلم وحاجته إلى الاكتشاف والاكتساب لمواجهة وضعيات الحياة. وهي بذلك مشروع يسعى إلى تجاوز العلاقة بين الذات والمعرفة التي تنظر إلى التلميذ كوعاء يقوم المعلم بملئه بمعلومات ليس من الضروري أن يفهمها - مجردة عن سياقاتها - ولا أن يشارك في بناءها. (TANGUY, I 2003 و ROPE. f) (١٥)

ربط المعارف بسياقاتها التي أنتجتها يعني جعلها في مستوى المتعلم وذات دلالة ولها معنا بالنسبة له والابتعاد عن الأساليب اللفظية التي تركز الحفظ على حساب الإبداع.* والمدرسة بتبنيها لهذه البيداغوجية تصبح كما يراه «دنيير»: «تقلص من حجم المعرفة الميتة وتوسع من مجال المعرفة الحية». (DENEYER et AL, 2004) (١٦)

وظيفة المدرسة

لا تهدف المدرسة وبرامجها في ظل هذه البيداغوجية إلى إيصال جميع التلاميذ إلى مستويات التكوين العالية، بل هي «محطة للانتخاب الاجتماعي تعمل على توجيههم ليس وفق ميولهم ولكن بمقتضى ما تحتاج إليه - سوق العمل - المؤسسات الاقتصادية» (BOURDIEU, p ET PASSERON, j, 1966 163). (١٧) حيث أن دور المنظومة التربوية هو خدمة عالم الشغل بالدرجة الأولى ومنه الاقتصاد الذي هو مصدر بقاءه، وهي تتجه تدريجياً نحو توفير الحد الأدنى المشترك بين أفراد المجتمع، المتمثل فيما يسمى بالكفاءات القاعدية - كالكتابة والقراءة والحساب والتواصل - التي تهيئهم لمهن التنفيذ، بينما تصل الأقلية المتفوقة إلى مهن الإدارة والهندسة والتخطيط. بمعنى أن دور المدرسة هو تحقيق التجانس الثقافي بين التلاميذ من خلال عمليات التطبيع الاجتماعية التي تمارسها بتوفير الحد الأدنى المشترك بينهم من التنشئة الفكرية والإيديولوجية لضمان تلاحم المجتمع وتكامله من جهة، وهو تكريس للتباين والاختلاف بينهم لخدمة تنوع الوظائف الاجتماعية التي ينتجها تقسيم العمل الاجتماعي من جهة

أخرى. (DURKHEIM, e, 1992).^(١٨) وهي تؤدي هذه الوظيفة المزروجة بوصفها وسطاً اجتماعياً أخلاقياً منظماً دورها إنتاج النظام الاجتماعي وإعادة إنتاجه والعمل على بناء الأفراد وفقاً للصورة التي يحددها المجتمع. يعني هذا بشكل آخر أن المدرسة في المراحل الأولى (الابتدائية والمتوسطة والثانوي) يفترض أن تمارس دور وحدوي يؤكد أهمية التجانس الاجتماعي بالدرجة الأولى بينما في المراحل العليا يؤكد وظيفة -التباين- التقسيم الاجتماعي. وهي على حد ما يراه «جاك هالاك» (نائب المدير العام لليونسكو ٢٠٠٠) تقوم بوظيفتين أساسيتين هما تلبية احتياجات النظام الاقتصادي لليد العاملة، وإضفاء الشرعية على النظام الاجتماعي. (HALLAK, j 1974, P120)^(١٩)

وقد جاء تصريح المنظمة العالمية للتنمية الاقتصادية في هذا الصدد أنه: «يتعذر بناء برامج مدرسية تسمح لجميع التلاميذ بمواصلة تكوينهم إلى أبعد حد ممكن لأن ذلك يعد تبذيراً، حيث أنهم لن يلتحقوا جميعاً بقطاع «الاقتصاد الجديد» ولن يرتقوا فيه إلى مراتب القيادة والتخطيط» (OCDE, 2001)^(٢٠). جاء ذلك بعد أن حدد أصحاب القرار في الدول الشمال الكبرى برامج وطرق التعليم في مراحل التكوين الأساسية - سنوات التمدرس المشتركة - على نحو يوافق توجهات وحاجات سوق العمل في ظل الاقتصاد الليبرالي، حيث يتم توظيف المقاربة بالكفاءات كأداة تسمح بتحقيق الأهداف التي سطرها:

(أ) التقريب بين التعليم والمؤسسة، بشكل يوفر لغة وإطار تصوري مشترك بين المدرسة وعالم المؤسسة.

(ب) محورة التعليم من الابتدائي إلى الجامعة حول متطلبات سوق العمل الأساسية، القابلية للتكيف والحراك. بمعنى أن هذه البيداغوجية يجب أن تجعل التلميذ يتعلم كيف «يتدبر أمره» في الوضعيات المستجدة بدلاً من تحكمه في المفاهيم والنظريات، فهي تهدف إلى جعل التلميذ مثله مثل العامل في المؤسسة يستطيع التكيف مع التحولات التكنولوجية ومع تغير الوظائف والمهام التي يواجهها طوال حياته. وبهذا الكفاءة لا تعني معرفة الأداء ولكن معرفة الفعل ورد الفعل ضمن سياقات خاصة غير معروفة ولا متوقعة (LE BOTERF, 1997, P61)^(٢١). لذلك هي بيداغوجية تنتج القابلية للتكيف، المرونة، التعددية، وهي تهتم بتكوين قاعدي تعددي ومن شأنها أن تجعل الفرد قادر على الأداء الفعال ضمن سياقات متغيرة، وذلك يشترط على عمليات التعلم أن تنطلق من

الواقع ومن مشاريع ملموسة. أما تلك المعارف الأدبية والإنسانية (كالتاريخ والأدب والفلك والنظريات الفيزيائية والرياضية...) فهي ليست ضرورية ما دام السوق ليس بحاجة إليها (تأثيرها غير مباشر) وهذا على المدى البعيد من شأنه التأثير على التلاحم الاجتماعي.

(ج) حل التناقض بين تعليم مشترك (التعليم الأساسي) من ٥ إلى ١٤ سنة وسوق العمل يتجه نحو المزيد من القطبية. يعني هذا أن يتولى التعليم مهمة منح الأفراد تكوين مشترك يمكنهم من التوزع في السوق على مهن ووظائف متباينة قد تبعد المسافة بينها كالمهندس وبائع الأكل الخفيف. هذا المقام المشترك تمثله الكفاءات القاعدية التي حددتها منظمات التمويل العالمي (UE, OCDE) كمايلي:

- القدرة على التواصل باللغة الأم.
- القدرة على التواصل بلغة أو عدة لغات أجنبية.
- ثقافة علمية، تكنولوجية، رياضية.
- القدرة على استخدام الإعلام الآلي.
- المرونة والقدرة على التكيف.
- روح المبادرة.

لا بد لهذه الكفاءات أن تتوفر لذا العامل مهما كان مستواً، فالعامل البسيط الذي لا تتطلب المهام التي يقوم بها مؤهلات يجب أن يعرف على الأقل الكتابة، القراءة، الحساب، استخدام جهاز الإعلام الآلي والبحث في الانترنت وأن يعرف كيف يتعامل مع الزبون برفق وتكون لديه روح المبادرة ويستطيع العمل مع الجماعة والالتزام بالانضباط الذي يستدعيه التنظيم.. إلخ (j, CHEKIR)*. أما من استطاع مواصلة التعليم فهو يستمر في اكتساب الكفاءات بما يمكنه من أداء المهام المعقدة (التسيير والهندسة). وتبقى المجالات الإنسانية من شأن النخب الاجتماعية التي تسهر على منح أطفالها تكويناً فيها في مدارس خاصة.

الإصلاح التربوي في الجزائر

هل الهدف من تنمية الكفاءات هو منح التلميذ تكوين أفضل يجعله أكثر فعالية في حياته وبالذات في عالم الشغل في ظل اقتصاد مفتوح على المنافسة والتقلب، أم أنها وسيلة لترقية التعليم بشكل يجعله أكثر ديناميكية وعناية من قبل المتعلم (بناء نموذج من المواطنة).

هل الهدف من الإصلاحات هو جعل الأساتذة يندمجون ضمن مقارنة للفعالية تطابق النموذج الصناعي، أو مقارنة للنشاط البيداغوجي هدفها بناء الشخصية من منظور متعدد الأبعاد؟

شرع العمل بمنهج المقاربة بالكفاءات في التعليم الأساسي في السنة الدراسية ٢٠٠٢-٢٠٠٤ وهي الفترة التي صادق فيها البرلمان الأوروبي ٢٠٠٠-٢٠٠٦ على الوثيقة الخاصة بالإطار المرجعي «للكفاءات-الأساسية للتربية والتكوين طول الحياة»^(٢٢)، كتمة لمبادرة منظمة التعاون والنمو الاقتصادي OCDE في ٢٠٠٢ المتعلقة بتعريف «الكفاءات القاعدية اللازمة للدخول في اقتصاد المعرفة»^(٢٣). حيث تم تحديد الأطر المرجعية للكفاءات القاعدية decompétences socles التي يجب أن يكتسبها التلميذ خلال مرحلة التعليم الأساسي (الإجبارية) نظراً لأهمية ذلك بالنسبة لاندماجه الاجتماعي ولمواصلة تعليمه بعد هذه المرحلة إن اقتضى الأمر ذلك. لم تثر الجزائر عن الفترة الكولونيالية منظومة تربوية وطنية موجهة لخدمة وترقية المواطن الجزائري بصفة عامة مراعية لخصوصياته واحتياجاته بل نظاماً تعليمياً أوروبياً ذا طابع طبقي. لذا كان لزاماً على الدولة الوطنية بعد الاستقلال أن تركز جهودها كاملة لتجاوز هذا النقص وتغطية حاجيات كافة شرائح المجتمع في المجالات الاستراتيجية بما في ذلك خدمات التعليم والتكوين. تطلب ذلك نفقات وجهود مستمرة أدت إلى تحسن في الأوضاع بشكل واسع مقارنة بما كانت عليه، غير أن ذلك لم يخلو عن نقائص وعجز في تحقيق بعض الأهداف الاستراتيجية على حد تعبير (ي، جباري): إن محدودية هذه الجهود يمكن التماسها في مظاهر عدة أبرزها التسرب المدرسي الذي مس أكثر من ١١ مليون تلميذ جزائري منذ ١٩٦٢ إلى غاية مستهل الألفية الثالثة وذلك من بين ٢١ مليون تلميذ تم تسجيله خلال هذه الفترة (DJEBAI, y, 2002, P 65)^(٢٤). يعني هذا أن نصف المنتسبين إلى النظام التعليمي الجزائري يتم طردهم أو يتركون مقاعد الدراسة قبل حصولهم على شهادة معينة في أحد مراحل التعليم المسجلين فيها، ويمثل ذلك كذلك من حيث الاستثمار في التعليم أكثر من ٥٠٪ من العائد التعليمي وما يقابله من نفقات دون تحقيق العوائد المنتظرة منها. فرغم أن ميزانية وزارة التربية ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي ظلت تمثل نسبة معتبرة ضمن ميزانية الدولة ككل إلا أن العائد الاقتصادي لخريجي هذا النظام بقي ضعيف بكثير مقارنة بحجم التمويل، لا يقابله ارتفاع في نسبة المداخل الفردية ولا الدخل القومي يمكن ملاحظة ذلك مثلاً في نسبة الراسبين والمتأخرين دراسياً والبطالة المقنعة التي كان ولا يزال يعاني منها المتخرجون والتي في الواقع ليست إلا طاقة اقتصادية معطلة (مستخدمة في مجال خارج كفاءتها)، هذا بغض النظر عن الذين دخلوا سوق العمل والذين يسجل

على مستواهم من قبل مستخدميهم - المدراء وأرباب العمل - ضعف الأداء والتأهيل. يعني هذا أن خريجو المنظومة التربوية الجزائرية لم يكونوا يشكلون قوة دفع للاقتصاد الوطني وهو ما يطرح في ظل تصورات الفعالية ومتطلبات التغيير الشامل مشكلة مصداقية النظام التربوي وإمكان جعله قادر على القيام بدوره. لا يرتبط الأمر بمستوى ونوعية التكوين فقط بل بما تنتجه المنظومة التربوية من دراسات وبحوث ما تنظمه من ملتقيات ومؤتمرات نوعية تعكس تفتحها على العالمين الداخلي والخارجي وما هي الأهمية التي يوليها إزاء ذلك المتعاملون الاجتماعيون. ماذا عن وضع الجامعات ومعاهد التكوين العالي عندنا التي لا تزال منطوية على نفسها؟ ما علاقتها بمجريات الحراك الاقتصادي والاجتماعي الوطني والعالمي؟

من بيداغوجية المضمون إلى بيداغوجية الأداء

يقول بيرينو في نقده للمقاربة بالأهداف: «إن أغلب التلاميذ الراسبون لا يفهمون المعارف التي تقدم لهم لأنها مجردة عن الأطر التي أنتجتها وعن كل ممارسة، هذه معارف لا معنى لها وتضل كذلك ما دامت منفصلة عن مصادرها واستخداماتها الاجتماعية» (Bosman, 2000)^(٢٥). يمكن لفهم مضمون التغيير بين البيداغوجيتين، تلك التي جاء بها الإصلاح (الكفاءات) والتي كانت سائدة قبله (الأهداف) تسليط بعض الضوء على الفروق التي نراها أساسية بينهما من خلال الجدول التالي:

- المقاربة بالأهداف المقاربة بالكفاءات

- منطق التعليم والتعلم.

- مبدأ الاكتساب والأداء البسيط.

- الاعتماد على كل الوضعيات البعيدة.

- الاهتمام بالنتيجة.

- الاهتمام بالفعل الفردي أولاً ثم الجماعي ثانياً.

- ربط آلي وتراكمي.

- أولية الجزء.

- الخطأ عيب يترتب عنه جزاء.

- غياب الربط وإن كان فهو شكلي.

- الانطلاق من الغير.

- الاهتمام بالمعرفة.
- الاعتماد على المعيار كمرجع.
- استراتيجية عامة تهتم الجميع.
- نتعلم لنعرف وننجز.
- منطق التعليم والتكوين.
- من أجل المشكلات.
- الاعتماد على وضعيات ذات دلالة.
- أهمية المسار تسبق أهمية النتيجة.
- الاهتمام بالعمل الفردي والجماعي معاً.
- الإدماج الفعلي الأفقي والعمودي المتواصل.
- النظرة الشمولية والكلية.
- الخطأ مؤشر لتعديل المسار وبناء التعليمات.
- ربط الحياة بالواقع.
- الانطلاق من الذات.
- الاهتمام بالمعرفة الفعلية.
- الاعتماد المحك كمرجع.
- استراتيجية التعليم الخاص بكل فرد.
- نتعلم لنتصرف.

من المعرفة الاشتراكية إلى اللا معرفة؟

تجعل بيداغوجية الكفاءات من المعرفة أداة لها بدلاً من أن تكون هدف وحتى وإن كانت المعرفة ضرورية للكفاءة على حد قول بيرينو: «إلا أنه إذا أردنا تنمية الكفاءات وجب التقليل من تعليم المعرفة» (Perrenoud, 2000, p 34).^(٢٦) فالتلميذ لا يتعلم اللغة العربية ولكن كيف يتواصل وفي درس العلوم لا يبحث عن فهم العالم الطبيعي الذي يحيط به بل كيف يسجل على البطاقة المعلومات التي يقتبسها من المراجع كالإنترنت ولا يتعلم التاريخ بل كيف يقرأ وثيقة أو يجمع معلومات لعرضها أمام السياح وفي الإعلام الآلي لا يتعلم المنطق الصوري وتحليل الإجراءات بل كيف يدبر حاله في بيئة إعلامية التي يتعامل معها. نجد كذلك بالنسبة

للكفاءات الأفقية تصور «للقدرة على تجنيد الموارد لإنجاز مهمة معينة» وكأنها مستقلة عن المعارف والمهارات، يقول «لبوترف» في ذلك: «لا تكمن الكفاءة في الموارد - معارف نظرية، معارف أدائية... - التي ينبغي تجنيدها ولكن في التجنيد ذاته (...) الكفاءة هي معرفة التجنيد» (BOTERF, p LE 1994 34)^(٢٧). وكأن ذلك يعني أن يقدر المتعلم على حل المشكلات الرياضية بشكل مستقل عن تحكمه في الأدوات الرياضية أو أن يستطيع تحليل مرجع تاريخي دون معرفته بالتاريخ أو أن يقدر على التواصل الشفوي دون أن يكون ملماً باللغة. يظهر التصور المثالي للكفاءة كذلك من خلال تأكيد دعائها إلى أن تكون الوضعيات التي يتم فيها تنمية أو تقييم الكفاءات جديدة بالنسبة للمتعلم ومستحدثة ويعني ذلك كما يراه «جراهي»: «عزل الشيء عن كل تأثير مباشر للتعليم والتعلم وهذا من شأنه أن يحول الكفاءة إلى شيء مجرد يطفو فوق سطح المعرفة» (CRAHAY, 2007, p 12)، (كذلك يرى «بيلرجان» بأن: «الكفاءات الأفقية ليست مرتبطة بميدان معرفي محدد، يمكن أن ينمى بداخلها الإبداع والقدرة على حل المشاكل (...) وكأننا نطلب من المدرسة أن تعلم الطفل اللعب دون أن تحدد له أي نوع من اللعب تقصد، الشطرنج، الكرة، الغميضة، التسلق (Baillargeon, 2006, p140)^(٢٨).

في نفس الاتجاه نجد بالنسبة لتخصص العلوم الطبيعية في التعليم الثانوي مثلاً أن الهدف لم يعد يتمثل في تعلم الفيزياء والكيمياء والبيولوجية ولكنه انحصر في تحقيق كفاءتين شاملتين:

أولاً) معرفة اتخاذ الإجراءات اللازمة لمواجهة وضعية ملموسة بواسطة التفكير في النتائج المحصل عليها وانعكاساتها على المجتمع.

ثانياً) تصور وإنجاز مشروع تكنولوجي يراعي المظاهر الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. يضيف إلى ذلك «راي»: «أن الوضع يتطلب اليوم ضرورة تحديد مضمون الكفاءات بشكل أكثر دقة - وضوح - لأن معرفة حل معادلة من الدرجة الثانية تعد كفاءة أما معرفة «مواجهة مشكلة»، فليست كفاءة بل مجرد كلام بدون محتوى ملموس، أو مضاربة نظرية» (REY, b, 1996) (p32)^(٢٩).

صعوبات تواجه المدرسة الجزائرية*

في الوقت الذي تثير فيه ثقافة الطفل في البلاد النامية ومستواه المعرفي والتربوي إشكالية معقدة وتواجه العديد من التحديات ونظراً للمجهودات التي تبذلها الجزائر لتفعيل منظومتها التربوية على نحو يجعلها أكثر مرونة وطواعية ومواجهة للتحويلات الحاصلة في

مستويات الحياة الأخرى إلى جانب ضرورة تقييم النتائج المحصل عليها والوقوف على ظروف تدرس التلميذ. يمكن الملاحظة إلى جانب تحسن ظروف التمدرس وتمكن نسبة كبيرة من الأطفال من الالتحاق بالمدارس والوسائل المتاحة وسعي الدولة الدؤوب لتقريب المدرسة من الطفل عبر مختلف أرجاء الوطن، وجود عجز مستمر فيما يتعلق بالمرودود السنوي للمؤسسة التعليمية الجزائرية التي لا زالت تهتم بالكم على حساب الكيف وتسعى لتحقيق مشروع المدرسة الوطنية. ولعل من أهم مظاهر هذا الضعف:

- عدم خضوع بيداغوجية الكفاءات لعملية تجريب وطنية لإثبات صلاحيتها قبل تعميمها على المنظومة التربوية ككل (عادل ف، ٢٠٠١).

- نقص التمفصل بين الوحدات التعليمية (عدم التوافق بين التدرج وكتاب التلميذ والأنشطة التربوية).

- وجود مفاهيم تفوق مدركات المتعلم إلى جانب قلة الوسائل البيداغوجية وكثرة الأنشطة المقترحة على التلميذ ما يترتب عنه صعوبات في الإنجاز والمتابعة والتقويم.

- الحجم الساعي للأنشطة التعليمية لا يتماشى وقدرات المتعلم على تلقي المعارف وتجسيدها لان ذلك يقيد ويثقل كاهله ويجعله لا يجد وقت فراغ للاستراحة الأسبوعية ما يجعله يمل الدراسة ويعزف عنها (رغم محاولات التخفيف الأخيرة). يرجع ذلك إلى غياب الدراسات الموضوعية للبرامج الدراسية والتصور الأحادي للعملية التربوية التي لا تراعي.

- الأبعاد النفسية والبيولوجية.

- راحة الطفل ووتيرته البيو-فيزيولوجية كشرط أساسي للتعلم، وإلى عدم توافق الزمن المدرسي مع الزمن الاجتماعي للتلميذ وكمية المعلومات التي يتلقاها في مختلف المواد (TESTU, François. 2008) (٢١).

- عدم مراعاة الفروق الفردية في تخطيط الدروس وأسلوب تقديمها وعدم وضع شبكات التقويم على أساس ذلك، حيث أن التلميذ الذي يعاني صعوبات في التعلم يحتاج إلى وقت وجهد وطريقة تختلف عما يحتاجه التلميذ المتوسط أو المتفوق. ناهيك عن أثر بيئة التلميذ الأسرية على بناء تعلماته وتشكيل علاقته مع المدرسة ومن خلال ذلك مع المعرفة بمساندته وتوفير الجو المناسب له وتجنبيه الاضطرابات النفسية-الاجتماعية.

- مستوى تكوين المعلم لا يسمح له بتشخيص صعوبات التلميذ وتصنيفها (بيداغوجية، طبية، لغوية، عقلية، وجدانية...) إلى جانب اعتياده على نمطية التقييم الذي يبعده عن ذهنية المعالجة البداغوجية لمشاكل التلاميذ.
- صعوبة تطبيق الأساليب التقييمية المتعلقة بالوضعية الإدماجية ووضعية المشكلة.
- انعدام التشجيع والتحفيز للمعلم إلى جانب سياسة الإقصاء المتبعة في الارتقاء والتصنيف ما جعله يتقاعس عن واجبه ويعزف عن البحث لتحسين مستواه المعرفي والأدائي (بشكل خاص في المتوسط والثانوي).
- وتراجع مستوى المعلم ينعكس مباشرة على مستوى المتعلم وإمكانية اكتسابه الكفاءة المرجوة.
- أوضاع المعلم المهنية والاجتماعية تجعلانه يعرض خدماته كتجارة مربحة (دروس الدعم) على حساب دوره الأساسي في المدرسة. كيف يمكن في ظل هذه الأوضاع أن يحقق الإصلاح التربوي هدفه المتمثل في جعل المعلم يغير دوره ليصبح يهتم بترقية كفاءات تلاميذه المعرفية والمنهجية ويكون قادر على تطوير أساليبه وهو لا يجد الوقت ولا الحافز لذلك ولا يتحكم في المنهجية ولا يشارك في توجيه التلاميذ...؟
- أليست مواقف المعلم وأدواره ضمن المقاربة الجديدة ترتبط بتصوراته لنفسه ولمكانته التي تشكلها علاقته مع الإدارة من جهة ومع أسر التلاميذ من جهة أخرى، والذي يفترض أن يتحول من النمط الإداري والامتثالي إلى النمط التربوي المبدع. ماذا في واقع الممارسة؟ لا يزال مدير المدرسة مجرد عون يسهر على تطبيق القرارات التي تصدرها الوصاية (مناشير، مراسيم...) دون حرية الاختيار أو التصرف بمبادرات شخصية؟
- نمطية التقييم في جميع المستويات تحول دون تحديد مستويات المعلمين، حيث يخضع التقييم لسياسة فوقية وما تقررته الوزارة من نسب النجاح والرسوب وهذا من شأنه إلغاء دور المعلم في تحديد كفاءات تلاميذه.
- تأخر النظام الإداري بالنسبة لمتطلبات البيداغوجية الكفاءات رغم محاولات إعادة تنظيم الهياكل الإدارية لوزارة التربية، (إعادة توزيع الكفاءات وتجزئة المراتب الإدارية، مراجعة القوانين، التوجه نحو المزيد من اللامركزية) رغم

هذا لا زالت تتعامل مع الوحدات المشكلة للمنظومة التربوية بشكل عمودي، دون استشارة المعلمين ولا أولياء التلاميذ، حيث الاهتمام بالجانب التوجيهي أكثر من العنصر البشري. فالسلطة التربوية تكمن في أعلى الهرم وتبقى الإدارة المركزية هي وحدها القادرة على وضع الاستراتيجيات وأخذ التدابير وما على مدراء المدارس إلا التنفيذ دون حرية تصرف.

- ترتبط صعوبة تحقق الكفاءة كذلك بنقص الشروط الهيكلية والمادية والبشرية في المدارس إلى جانب اكتفاء التلميذ بما يتلقاه داخل القسم وتعذر قيامه بنشاطات البحث والاطلاع الذي قد يرجع أحد أهم أسبابه إلى قلة المكتبات الملحقة بالمدارس والإرهاق الذي يعاني منه بسبب الزمن المدرسي.

- عدم تماشي المقررات والواقع المعاش للمتعلم بما في ذلك بيئته وشروط الهياكل التعليمية وهو ما من شأنه توسيع الفارق بين التعليم والممارسة ويفسح المجال أمام استمرار الطرق اللفظية في التكوين وابتعاد محتويات التعليم عن واقع المتعلم مما يجعل مدرسته غير واضحة لا يجد لها دلالة في بيئته وواقعه المعاش.

- ضعف الحوار التربوي بين المعلم والمتعلم بشكل يؤثر على استمرارية العملية التعليمية/التعلمية ولا يساعد على تدليل الصعوبات في التعلم لدى المتعلم.

- صعوبة إيصال المعلومة التربوية في بعض المدارس نظراً لانعدام الوسائل البيداغوجية فيها يضاف إلى ذلك تجريدية التعليم وقلة الطرائق النشطة بل واستمرار الكثير من المعلمين تقديم الدروس وفق بيداغوجية الأهداف فلا يزال المعلم يتعامل مع التلميذ بمنطق التعليم لا التعلم إلى جانب كون البرامج في غالبها لا تزال مبنية على أساس المحتويات.

- تهميش دور جمعية أولياء التلاميذ وحصره في جمع الاشتراكات السنوية بدلا من إسهامها الفعال في تسيير المدرسة ومناقشة البرامج والطرق التربوية.

- عدم توفر الشروط البيداغوجية اللازمة لبناء الكفاءات حيث صعوبة تحقيق الحد الأدنى من المتابعة النوعية والاتجاه نحو أساليب الإلقاء العام وهو ما لا يتيح للمعلم المتابعة النوعية لكل تلميذ ولا يتيح أيضا للتلميذ أن يتعلم التفكير المنطقي الذي يمكنه من التوافق مع الوضعيات الاجتماعية المختلفة. كيف له أن يبني ذلك وهو الذي ظل لعدة سنوات يتعلم بشكل اشتراطي (بافلوف) يحفظ ما يلحق ليعيد استحضاره يوم الامتحان، ولم يتعلم كيف يفكر ولا كيف ينتقد ولم ينتج شيئا، «كيف له بعد تخرجه أن يبادر ويبتكر أو ينتج ويطور وهو الذي عاش سنين في المدرسة معطل الإمكانات؟». (الحطاح، ز، ٢٠٠٨)

أليس السبيل إلى مجتمع المعرفة والنهوض الاقتصادي - أساسه تنمية المورد البشري - يمر عبر توسيع التفكير العقلاني والإبداعي للمواطن؟ ما جدوى تمويل المنظومة التربوية اليوم إذا كان سوق العمل في القطاعات الاستراتيجية تتجه إلى العمالة الأجنبية الفنية وغير الفنية (مؤسسات البناء، البتروكيماويات، المحروقات، المؤسسات الصناعية والخدماتية...)؟ بيداغوجية الشكل أم الوسيلة؟ تعرف المقاربة بالكفاءات اليوم انتقادات لاذعة من قبل علماء التربية على أساس أن «السلطات العمومية توظف التربية لصالح إيديولوجية تؤسسها المردودية والفعالية على حساب تكوين الشخصية والتنشئة الثقافية للفرد» (HIRT, p 2001)^(٢٢). وهي عملية من شأنها تفكير التعليم وحصره في مجموعة من الكفاءات القاعدية، بحيث يصبح كل تكوين في مواد لا علاقة لها بعالم الشغل غير مجد ومكلف (ثقافة ميتة). أما التكوين في المجالات الإنسانية فيمكن أن يتم خارج المدرسة أو في مدارس من نوع خاص بالنسبة للأسر التي ترغب في ذلك وتستطيع تحمل تكاليفها. تبقى (المعرفة الحية) هي تلك التي يستخدمها التلميذ فعلاً وفي الحال لأداء مهمة، ولكن ونظراً لكون الزمن المدرسي لا يتيح الوقت الكافي لتعلم المهام الأصلية والجديدة والمجندة التي يستطيع التلاميذ القيام بها فإن ذلك يؤدي مع الوقت إلى إفقار التعليم والمعرفة معه. خلفية ذلك أن المعرفة ليست إلا وسيلة وليس بهم أن يفهم الفرد ما يتعلم ولكن المهم هو أن يعرف كيف يفعل، فتوظيف المعرفة بالنسبة لبداغوجية الكفاءات أهم من المعرفة في حد ذاتها وهي بذلك بيداغوجية لا تنظر إلى الخطأ كفرصة للتعلم بل كانهيار في الأداء يعيق الانجاز وهي بذلك تصور أكثر قرباً من بيئة الإنتاج عن بيئة المدرسة والتكوين التي تهدف إلى المعرفة والفهم (LETOR ET 2003)^(٢٣). يجعل هذا المدرسة الأساسية تتحول إلى مؤسسة تهتم بتلبية حاجات تطبيقية قريبة على حساب الوظيفة التكوينية البعيدة المدى وبالتالي تبتعد عن طابعها الديمقراطي إلى تكريس الفوارق الاجتماعية. لا تخلو الكفاءة كقيمة اجتماعية من المضمون الحضاري الذي يعطيها دلالتها ويصنفها ضمن الحاجات التي يفهمها المجتمع ويطلبها، إن تشخيصها وتحديد معالمها وكذلك أسلوب بناءها وتقييمها لا يطرح فقط مشكلة المسافة الثقافية - الغير متكافئة - بالنسبة للفئات الاجتماعية داخل المجتمع الواحد بل يطرحها على المستوى العالمي كذلك حيث البون بين المجتمعات «المسماة متقدمة» وتلك التي هي في طريق النمو. ماذا عن الأطفال الذين يذهبون إلى مدارس ليست متكافئة من حيث إمكانياتها المادية والبشرية؟ بالتأكيد سيحصلون على تكوين مختلف هو الآخر كما ونوعاً وسيتدربون على مهام تختلف من حيث مستوى تعقيدها وهذه ستنج لديهم كفاءات متباينة. إن مشروع عولمة طرق معينة للفعل والتفكير والشعور ليس إلا أسلوب لبسط نمط حضاري يلغي الحضارات الأخرى ويفقر العالم من ثرواته الإنسانية. أضف إلى ذلك تباين قدرات مجتمعات العالم تبعاً لبيئتها الثقافية ومستوى تحكمها في الأداة التواصلية، وهو الوضع الذي

يؤهل البعض قبل الآخر على التفوق (عدم تكافؤ الشروط)، وهذا من شأنه تكريس الفروق بينهم لأنه في آخر المطاف ليست وتيرة التلميذ إلا وتيرة الوسط الاجتماعي-الثقافي الذي ينتمي إليه. وليست المشاكل التي يعاني منها بعض التلاميذ، كعدم القدرة على الاستيعاب أو مستوى النتائج التي يحصلون عليها أو أسلوب التوجيه المدرسي المفروض عليهم إلا مظاهر من ذلك (BOUDON, r, 1985, p, 13).^(٢٤) يعني هذا أن بيداغوجية الكفاءات لا تقصد إلى تعليم الأفراد بقدر ما تهتم بتكوين اليد العاملة المنتجة وتوزيعها سلميا بين شرائح المجتمع، ما يجعل ثنائية النتائج المدرسية لا تنفصل عن الثنائية الاجتماعية المنتجة لها. (OUKACI. L 2005)^(٢٥). السؤال الذي نطرحه هنا هو مدى إمكان توقع أي المهن التي ستشكل محل طلب في المستقبل وأي الوظائف ستشكل نذره في المجتمع، وأي المعارف العامة والتقنية والمهنية سيحتاج إليها العمال غدا؟ بالإضافة إلى غموض المفهوم حسب «كراهاي» الذي يرى أن: «المكانة العلمية لمفهوم الكفاءات ليست مؤكدة ولجوء العديد من المؤلفين إلى النظرية البنائية لتبرير ذلك غير مقنع، إلا أنه يمكننا الاعتراف له بمزية واحدة وهي إثارتها لمشكلة تجنيد الموارد المعرفية في مواجهة المشاكل ولكن الحل الذي يقدمه مفهوم الكفاءة لذلك يضل غير ملائم» (CRAHAY 2006)^(٢٦). ويستمر في نقده بتأكيده على أهمية الأفعال الروتينية بالنسبة للكفاءة (...) حيث أن الإنسان في حياته الاجتماعية لا يواجه وضعيات متجددة باستمرار فلماذا يشترط تقييم الكفاءات أن يكون في الوضعيات الغير مألوفا؟ لماذا جعل الاستثناء هو المعيار الحقيقي للكفاءة؟ لماذا يقيم التلاميذ في وضعيات لن تتكرر؟ يمكن أن نلاحظ ذلك في الوسط المهني حيث أهمية الإجراءات النمطية في تقليص مجال الارتياح والعشوائية في الأداء فالجراح أو قائد الطائرة لا بد لهما من القيام بأفعال نمطية تعودوا عليها لأداء مهامهما سبق وأن تبنت فعاليتها كما لا بد لهما إلى جانب ذلك من قدرات فعلية لمواجهة الطوارئ والأوضاع الغير متوقعة (...) ولكم لا بد لهما قبل ذلك أن يتعلما تسيير الوضعيات العادية». هذا يجعلنا كباحثين في الحقل التربوي نطرح السؤال: هل حل المشكلة وإنجاز المهام يدل على الكفاءة؟ أم هي مجرد مقارنة معيارية للممارسات؟ (CRAHAY, m, 2007). وبالنسبة للكفاءات المرجعية ليس هناك إشارة لكيفية إكسابها أو اكتسابها من طرف المتعلم، ولا كلام عن العمليات النفسية والعقلية التي تتدخل في إنجاز المهام الخاصة بها. كما لا يمكن تعميم الكفاءات العامة التي لا ترتبط بمجال محدد: أن يعرف التلميذ الملاحظة، تشخيص مشكلة، صياغة فرضية، علاج معلومة، هل يمكن على سبيل المثال القول بأن تعلم التلميذ كيفية معالجة المعلومات التي يجدها في كتب التاريخ أو الجغرافيا تجعله يستطيع معالجة المعلومات التي سيحصل عليها من استخدام المجهر؟ كذلك بالنسبة

لتشخيص المشكلة يختلف معناه في الرياضيات وفي الحياة اليومية مثل المشاكل الصحية أو المالية أو الميكانيكية التي يواجهها المرء؛ كذلك بالنسبة لصياغة فرضية في آخر النص ليس هو نفسه صياغة الفرضية التي تشكل خطوة أساسية في البحث التجريبي. يعني هذا أن تكوين التلاميذ في كفاءة عامة لا يمكن أن يتم إلا على موضوع محدد وليس هناك ما يؤكد بأن تحكم التلميذ في ميدان معين يجعله قادر على تحويل ذلك إلى ميدان آخر. (REY, b, 2012) §(٢٧)

تبين الدراسات في علم النفس المعرفي بأن القيام بإجراء معين لإنجاز مهمة محددة ليس يمنح بالضرورة القدرة على ذلك في وضعيات أخرى، وأن ما يسمى بـ «التحويل» في بيداغوجية الكفاءات تضل عملية غامضة ولا تسمح بأي استنتاج موضوعي. لا توجد إشارة على مستوى الكفاءات المرجعية إلى المشكلة المتصلة بكيفية إكتساب أو اكتساب المتعلم الفعالية في توظيف التعليمات وتحويل الكفاءة الملائمة لأداء المهمة وحل المشكلة. لوحظ كذلك بالنسبة لبعض التلاميذ الذين استطاعوا اجتياز الطور المتوسط أن سبب ذلك راجع إلى كونهم تمكنوا من كفاءات إجرائية ولكنهم لما وصلوا إلى الثانوية وقعوا في صعوبات لأن هذه المرحلة التكوينية على خلاف سابقتها تتطلب تجنيد تلك المعارف والمهارات في وضعيات مستجدة. فلا يكفي أن يعرف التلميذ في أي نوع من المهام يستخدم تلك الإجراءات ليكون قادر على تحويلها إلى ميدان مشابه. لا يكفي مثلاً كما يقول «برنارد راي» أن يعرف التلميذ استخدام نظرية فيثاغورس في الهندسة ليكون قادراً على فهم مجمل الوضعيات التي يمكن أن يستخدم فيها هذا الإجراء وبشكل خاص لما لا تشير معطيات المشكلة أننا بصدد مثلاً قائم. هناك صعوبات كذلك ترتبط بالضرورة التعليمية كذلك التي تتعلق بفهم المتعلم للمهمة أو الوضعية التربوية المتصلة بعائلة (مجال) من المهام وتتطلب إجراء معين. فقد تطلب المدرسة من التلميذ أن يفهم الوضعيات التعليمية وفق منطقها، وهو ما نجده في غالب الأحيان غير وارد لأن التلاميذ يفهمون ما يطلب منهم من خلال أطرهم المرجعية (PIAGET. J, 1969, p 224) (٢٨) وليس بمنطق السياق المدرسي لا سيما أولئك الذين ينتمون إلى أوساط ثقافية مختلفة عن المدرسة.

* تقرير اللجنة البيداغوجية لتقويم التعليم الإلزامي، المنشور رقم ٦٢ المؤرخ في المؤرخ في ٢٠١٣-٢٠١٢ (٢٩) عادل فريد، ٢٠٠١، لماذا إصلاح المناهج؟ ولماذا؟ مداخلات المنتدى حول الكفاءات والمعارف، وزارة التربية الوطنية.

الهوامش

- (١) حامد، ع. (١٨٨٥)، دراسات في التنمية والتكامل الاقتصادي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت الطبعة الثالثة.
- (2) Forester, S, (2012), La Theorie Kynesienne Est-Elle La Solution Pour Sortir De La Crise? Lecercle. Lesechos. Fr.
- (3) Bosman, C, Gérard, F. & Roegiers, X, (2000), Quel Avenir Pour Les Competences? 1Er Éd., Bruxelles: De Boeck Université.
- (4) Hirtt, N, (Septembre 2009), Nico. Hirtt@Ecoledemocratique. Org-Www. Ecoledemocratique. Org. In: L'école Démocratique, N°39.
- (5) Centre Europeen Pour Le Developpement De La Formation Professionnelle (2009), Publication De L'office De L'union Européenne, Luxembourg.
- (6) Declaration Mondiale Sur L'éducation Pour Tous Et Cadre D'action Pour Repondre Aux Besoins Educatifs Fondamentaux, Unesco, Secretariat Du Forum Consultatif International Sur L'éducation Pour Tous, Jomtier, Thaïlande 5-9 Mars 1990.
- (7) Laval, C Et Weber, L, (2002), Le Nouvel Ordre Educatif Mondial, Omc, Commission Europeen, Edition Nouveaux Regards Syllepse, Paris.
- * البنك العالمي، منظمة التنمية الاقتصادية Ocd، صندوق الأمم المتحدة للطفولة Unicef، برنامج الأمم المتحدة للتنمية Pnud، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة Unesco... إلخ.
- (8) Laval Et Weber, (2002), Op Cit.
- * وزارة التربية الوطنية، المنشور رقم ٦٢ المؤرخ في ٢١ جانفي ٢٠١٣، المتعلق بموضوع: تنظيم عملية التقويم التربوي للتعليم الإلزامي.
- (9) Herbaut. C Et Wallet. J. W, 1996, Des Societes Des Enfants - Le Regard Surl'enfant Dans Divers Culture, Villes Plurielles, L'harmattan.
- (١٠) رأس مال. ع. كيف يتحرك المجتمع الجزائري، د. م. ج. الجزائر ١٩٩٣.
- (11) Lange Marie-France, 2003, "Ecole Et Mondialisation, Vers Un Nouvel Ordre Scolaire", Cahiers D'études Africaines, 1-2003 (N°169-170), P. 143-166.
- (12) Hirtt Nico, 2010, Pourquoi L'école Est Reduite Aux Competences De Bases, Www. Lejim. Info.
- (13) De Meerler, (2006), L'approche Par Compétences: Une Mystificationpédagogiquearticle De [www. Skolo. Org](http://www.Skolo.Org), Publier Le 25/01/2011.
- (14) Gerard. F Et Al (1993), Concevoir Et Evaluer Des Manuels Scolaires, Bruxelles, De Boeck
- * Depuich Et Rabasset, (2008), Management Et Gestion Des Competences, Edit L'harmattan. Paris.
- (15) Rop. F Et Tanguy. L, (2003), Savoir Et Competences, L'harmattan, Paris.
- * الحطاح. ز. (٢٠٠٨)، تنمية التفكير الإبداعي لدى أطفال التحضيري (دراسة وصفية ميدانية)، دار ابن مرابط، الجزائر.
- (16) Terrail, J, (2005), Inegalite A L'école, Doit-On S'y Resigner? Ababord, N° 9, Article Juillet 2009, Http: Ababord. Org/Spip, Php?
- (17) Bourdieu, P Et Passeron, J, C, (1966), Les Heritiers. Les Etudiants Et La Culture, Paris, Edit De Minuit.
- (18) Durkheim, E, (1992), L'éducation Morale, Puf, Paris, Reed.
- (19) Hallak, J, (1974), A Qui Profite L'école? Puf, Paris.

- (20) Oede, 2001. Quel Avenir Pour Nos Écoles? Paris: Oecd Publishing.
- (21) Le Boterf. G, Competences Et Navigation Professionnelle, Les Editions D'organisation, Paris 1997.
- * Pr. Chekir Jamel, (2008), "Le Paradigme De La Gestion Par Les Compétences": Application Au Cas Tunisien, In, Revue Economie Et Management, Ecole Supérieure De Commerce, Sous (Tunisie)-Université A. Belkaid, Tlemcen, N°07, Avril. "Le Paradigme De La Gestion Par Les Compétences: Application Au Cas Tunisien", In, Revue Economie Et Management, Ecole Supérieure De Commerce, Sous (Tunisie)-Université A. Belkaid, Tlemcen, N°07, Avril.
- (22) Recommandation Du Parlement Européen Et Du Conseil Du 18 Décembre 2006 Sur Les Compétences Clés Pour L'Éducation Et La Formation Tout Au Long De La Vie.
- (23) L'Élaboration Du Cadre Conceptuel, Selon Une Approche Multidisciplinaire Et Axée Sur La Collaboration Au Sein De L'Oede. À La Fin De L'Année 2005 (24) Djebbari, Y, (2002), Deperdition Scolaire En Algerie, Analyse Quantitative, Unicef/Inre, Algerie. (25) Bosman, C, Gérard, F. & Roegiers, X, (2000), Op. Cit
- (26) Perrenoud, P, 2000. Construire Des Compétences Dès L'École, Issy-Les-Moulineaux: Éd, Esf, Paris.
- (27) Le Boterf, G (1994), De La Competence, Essai Sur Un Attracteur Étrange, Les Éditions D'organisations, Paris.
- (28) Crahay, M, (2007), Peut-On Lutter Contre L'echec Scolaire, Coll, Pédagogie En Développement, De Boeck Supérieur, Bruxelles (29) Baillargeon, N., 2006. La Réforme Québécoise De L'Éducation: Une Faillite Philosophique. La Revue Possibles, Vol. 30 (N° 1).
- 30) Bernard Rey,) 1996 (L Es Compétences Transversales En Question, Éditions Esf, France.
- (31) Testu François. (2008), Rythmes De Vie Et Rythmes Scolaires: Aspects Chronobiologiques Et Chronopsychologiques. Issy-Les-Moulineaux: Elsevier Masson. Chronopsychologiques. Issy-Les-Moulineaux: Elsevier Masson, 2008, 192 P.
- (32) Hirtt. P, (2001), Avons-Nous Besoins De Travailleurs Competents Ou De Citoyenscritiques? L'ecole Democratique.
- (33) Letor Et Vendembergh, 2003.
- (34) Boudon, R, (1985), L'inegalite Des Chances. La Mobilité Sociale Dans Les Sociétés Industrielles, Paris, Hachette.
- (35) Oukaci. L, (2005), L'approche Par Compétences: Une Mystification Pédagogique, In, L'école Démocratique, [Http://www.Skolo.org](http://www.Skolo.org).
- (37) Rey. B, (2012), Les Competences, Oui Mais ..., www.Cafepedagogique.Net.
- (38) Piaget. J, (1969), Psychologie Et Pédagogie, Denoel-Gonthier, Paris.

تكنولوجيا التعليم الإلكتروني وتحقيق جودة التعليم العالي

د. أمينة إبراهيم مران السرحاني

الملخص

وبما أن التعليم الجامعي أحد المكونات الأساسية والريادية للنظام التعليمي في جميع البلدان وبالتالي من المفروض لها القابلية على التعامل مع المستجدات الحديثة واستيعابها بدرجة أكبر من المؤسسات التعليمية الأخرى، لذا فإن هذه الدراسة تنادي بضرورة توظيف تكنولوجيا التعليم الإلكتروني لتحقيق جودة التعليم العالي حيث تناولت هذه الورقة تكنولوجيا التعلم الإلكتروني وتعريفاته المختلفة وقد اتفق على أنه أسلوب من أساليب التعليم يسخر التقنيات الحديثة في العملية التعليمية بأسلوب متزامن أو غير متزامن لتحقيق

ساهمت الاتجاهات الحديثة لتكنولوجيا التعليم في ظهور أنظمة جديدة ومتطورة للتعليم والتعلم والتي كان لها أكبر الأثر في إحداث تغيرات وتطورات إيجابية للتعليم ومن النظم التي أفرزتها الاتجاهات الحديثة لتكنولوجيا التعليم الإلكتروني بوسائله التفاعلية المتعددة الذي اعتمدت على التقنيات الحديثة في تقديم المحتوى التعليمي بطريقة كفوءة وفاعلة من خلال الخصائص الإيجابية التي يتميز بها كاختصار الوقت والجهد والكلفة الاقتصادية إضافة إلى توفير بيئة تعليمية مشوقة ومثيرة.

• دكتورة أحياء دقيقة، أستاذة الأحياء الدقيقة المساعد بجامعة الجوف/السعودية.

amina.almoran@ju.du.sa

أهدافها المنشودة بجودة عالية، كما أشارت الدراسة إلى الأسباب المؤدية إلى إتباع أسلوب الجودة للتعليم العالي والتي من أهمها ثورة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات والحاجة إلى تحقيق أداء عال في العملية التعليمية وتزايد أعداد الطلاب.

ولتحقيق الجودة في مداخلات ومخرجات التعليم العالي قدمت الورقة عدة مقترحات من أبرزها وضع أهداف استراتيجية معلنة تشمل تطبيق مفاهيم الجودة وتطبيقات تكنولوجيا المعلومات وتناولت هذه الورقة أيضاً دور تكنولوجيا التعليم الإلكتروني ومزايا وفوائد التعليم الإلكتروني التي تؤدي إلى تحقيق جودة التعليم العالي والتي من أهمها زيادة فاعليه الاتصال وسهولة الوصول إلى المعلم، عدم ارتباطها بزمان أو مكان، توسيع فرص القبول وحيث إن نجاح النظام يعتمد على التزامه بمعايير جودة متفق عليها فقد تم توضيح متطلبات وشروط تطبيق التعلم الإلكتروني حتى نحقق الجودة المنشودة من خلال التخطيط الصحيح لتوظيف التعلم الإلكتروني ورصد التمويل اللازم، توفير الكفاءات البشرية والتدريب، التعبئة الاجتماعية للتفاعل مع هذا النوع من التعليم، والتعليم الإلكتروني كغيره من طرق التعليم الأخرى لديه معوقات تتعوق تنفيذه ومن هذه المعوقات التي تناولتها الورقة تطوير المعايير والأنظمة، الأمية التكنولوجية ونقص التمويل والقوى البشرية وتم تقديم بعض المقترحات التي تساهم في التغلب على بعض المعوقات.

مقدمة

لم يشهد عصر من العصور التقدم التقني الذي شهده هذا العصر في مناحات متعددة، من أهمها الثورة الهائلة التي حدثت في تقنيه الاتصالات والمعلومات، والتي توجت أخيراً بشبكة المعلومات الدولية (إنترنت)، وقد استثمر التعليم هذا التقدم بطريقة موازية في وسائله فظهرت الاستفادة من هذه التقنيات في المؤسسات التعليمية، إلا أن الأمر الأكثر تأثيراً هو تأسيس تعليم معتمد على هذه التقنيات وهو ما سمي بالتعليم الإلكتروني وقد تزايد الاهتمام بهذا النوع من التعليم في السنوات الأخيرة (المحيسن، ١٤٢٣)، وشهد هذا النوع من التعليم تطوراً كبيراً وانتشاراً واسعاً في معظم دول العالم وأصبح أدوات فعالة أدت إلى تطوير الأساليب التعليمية الجامعية للاستجابة والمواءمة مع هذه المستجدات، والتي منها: استخدام الكمبيوتر ومستحدثاته والأقمار الصناعية والقنوات الفضائية وشبكة المعلومات الدولية، لتقديم برامج تعليمية وتدريبية للمتعلمين والمعلمين في أي زمان ومكان، لغرض توفير بيئة تعليمية تفاعلية متعددة المصادر مشوقة ومثيرة متميزة باختصار الوقت والجهد والكلفة الاقتصادية بما يحقق جودة التعليم.

(العبيدي، ٢٠٠٨)

إن التطور التكنولوجي الحاصل يتطلب التحرك السريع نحو إيجاد بيئة تعليمية قادرة على تحقيق متطلبات الجودة والتميز وملائمة مع متطلباته ومستجداته، وهذا يتم من خلال تحويل المؤسسات التعليمية وخاصة الجامعية والعليا منها إلى وسائل إبداعية إنتاجية، من خلال إدخال أساليب وطرائق جديدة في التعليم من خلال تطبيق التعليم الإلكتروني وتقنياته المتعددة حيث اعتبر الاهتمام به والاستفادة منه مظهراً أساسياً وفاعلاً من مظاهر الاهتمام بجودة العملية التعليمية في المؤسسات الجامعية، حيث يعد التعليم الجامعي أحد المكونات الأساسية والريادية للنظام التعليمي في جميع البلدان وهو الأكثر نمواً وتطوراً فيها؛ وبالتالي له القابلية على التعامل مع التغيرات والمستجدات الحديثة واستيعابها بدرجة أكبر وبصورة أنضج من المؤسسات التعليمية الأخرى الأدنى منها، ومن أهم هذه المستجدات التعليم الإلكتروني التي يؤدي استثماره في التعليم الجامعي إلى إحداث تغير نوعي وجذري في الأنظمة التعليمية بجميع أهدافها ومدخلاتها وعملياتها ومخرجاتها،

إن جودة التعليم الإلكتروني تعتمد بدرجة كبيرة على طبيعة الممارسات التدريسية التي يتم استخدامها وتوظيف تطبيقاته من خلالها؛ وليس من خلال التركيز فقط على تطوير الوسائل التقنية والتي يمكنها فقط إتاحة فرص واسعة لتطوير وتحسين أساليب التعليم والتعلم، الحسناوي (٢٠٠٩)، والتعليم الجامعي إذا لم يهيئ نفسه وإمكانياته للتعامل مع هذا التطورات التكنولوجية والعلمية الحديثة بما فيها التعليم الإلكتروني الذي يتسارع بصورة كبيرة بحيث لا يمكن التخلف عنها، فإن هذا سوف يؤدي بالتعليم الجامعي إلى أن يجد نفسه متخلفاً ومتأخراً عن ركب الحضارة والتقدم العلمي والتكنولوجي؛ وبالتالي غير قادر على تخريج الأفراد القادرين على التعامل معها بكفاءة وفاعلية لغرض تطوير المجتمع.

ورقة العمل هذه تناقش التعلم الإلكتروني ودوره في تحقيق جودة التعليم العالي من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية:

- ١- ما تكنولوجيا التعليم الإلكتروني؟
- ٢- ما المقصود بجودة التعليم العالي؟ كيف يتم تحقيقها؟
- ٣- لماذا تكون تكنولوجيا التعليم الإلكتروني ضرورة في التعليم العالي؟
- ٤- ما هي متطلبات التعلم الإلكتروني في التعليم العالي؟
- ٥- ما التحديات التي تواجه تطبيق تكنولوجيا التعلم الإلكتروني في التعليم العالي؟

تكنولوجيا التعليم الإلكتروني E-Learning Technology

تكنولوجيا التعليم هي منحى نظامي لتصميم العملية التعليمية وتنفيذها وتقويمها كلها تبعاً لأهداف محددة نابعة من نتائج الأبحاث في مجال التعليم والاتصال البشري مستخدمة الموارد البشرية وغير البشرية من أجل إكساب التعليم مزيداً من الفعالية أو الوصول إلى تعلم أفضل وأكثر فعالية (الحيلة، ٢٠٠٤) وتكنولوجيا التعليم عملية متكاملة (مركبة) تشمل الأفراد والأشخاص والأساليب والأفكار والأدوات والتنظيمات اللازمة لتحليل المشكلات التي تدخل في جميع جوانب التعليم وابتكار الحلول المناسبة لها وتنفيذها وتقويمها وإدارتها في مواقف يكون فيها التعليم هادفاً وموجهاً يمكن التحكم فيه وبالتالي فهي إدارة مكونات النظام التعليمي وتطويرها، وتعرف جمعية الاتصال الأمريكية تكنولوجيا التربية بأنها عملية متشابكة ومتداخلة تشمل الأفراد والأشخاص والأساليب والأفكار والأدوات والتنظيمات اللازمة لتحليل المشكلات التي تدخل في جميع جوانب التعليم الإنساني وابتكار الحلول المناسبة لهذه المشكلات وتنفيذها وتقويم نتائجها وإدارة العملية المتصلة بذلك. (الفرأ، ١٩٩٩)

إن التطور الحاصل في مجال تكنولوجيا التعليم أدى إلى ظهور كثير من المستحدثات التكنولوجية والتي أصبحت وجودها ضرورة في العملية التعليمية للاستفادة منها في رفع كفاءة العملية التعليمية ومن بين تلك المستخدمات التعليم الإلكتروني (Electronic learning) ونتيجة للإنتشار الواسع لتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات تمكنت الجامعات من إطلاق برامجها عبر الإنترنت ولما تعددت تعريفات التعلم الإلكتروني في أدبيات تكنولوجيا التعليم (الزامل، ١٤٢٥ والعويد والحامد، ١٤٢٤ والراشد، ٢٠٠٣ والموسى، ١٤٢٣) فقد تم اختيار مجموعة متميزة ومن تعريفات التعلم الإلكتروني ما يلي:

- عبارة عن نظام تعليمي يستخدم تقنيات المعلومات وشبكات الإنترنت في تدعيم وتوسيع نطاق العملية التعليمية.
- تعليم يعتمد على استخدام الوسائط الإلكترونية في الاتصال بين المعلمين والمتعلمين والمؤسسة التعليمية.
- نظام تعليمي يتم تخطيطه وإعداده وتنفيذه وتقييمه بشكل الكتروني ويتم نقله عبر تقنية المعلومات والاتصالات وتكون الإدارة والخدمات التعليمية إلكترونية أيضاً.
- التعليم الذي يهدف إلى إيجاد بيئة تفاعلية غنية بالتطبيقات المعتمدة على تقنيات الحاسب الآلي والإنترنت وتمكن الطالب من الوصول إلى مصادر التعليم في أي وقت ومن أي مكان.

- توسيع مفهوم عمليه التعليم والتعلم لتتجاوز حدود جدران الفصول التقليديه والانطلاق لبيئة غنية متعددة المصادر يكون لتقنيات التعليم التفاعلي دوراً أساسياً فيها بحيث تعاد صياغة دور كل من المعلم والمتعلم أي إن التعليم الإلكتروني ليس بديلاً للمعلم بل يعزز دوره.
- طريقة للتعليم باستخدام آليات الاتصال الحديثه من حاسب وشبكاته ووسائطه المتعدده من صوت وصورة ورسومات وآليات بحث ومكتبات إلكترونية وكذلك بوابات الإنترنت سواءً كان عن بعد أو في الفصل الدراسي المقصود هو استخدام التقنية بجميع أنواعها في إيصال المعلومة للمعلم بأقصر وقت وأقل جهد وأكبر فائدة.
- نظام تعليم يستخدم تقنيات المعلومات وشبكات الحاسب في تدعيم وتوسيع نطاق العملية التعليمية من خلال مجموعة وسائل معدة إما من قبل المختصين في الوزارة أو الشركات.

مما سبق يمكن تعريف التعليم الإلكتروني بأنه: أسلوب من أساليب التعليم يسخر التقنيات الحديثه للحاسب وشبكاته ووسائطها المتعدده وتكنولوجيا الاتصال ومستحدثاتها وشبكة المعلومات كلياً أو جزئياً في العملية التعليمية بأسلوب متزامن أو غير متزامن في الفصل أو عن بعد لتحقيق أهدافها المنشودة بجودة عالية.

جودة التعليم instruction quality وكيفية تحقيقها في التعليم العالي

يشير مفهوم الجودة (Quality) بشكل عام إلى ثقافة التعامل مع المؤسسات التطبيقية ليس فقط لضمان جودة المخرجات بل أيضاً لضمان جودة كافة عناصر المدخلات لتحقيق الأهداف المحددة بأعلى كفاءة ممكنة، بينما يشير نصر (٢٠٠٥، ص ٢٢) إلى إن الجودة الشاملة للتعليم الحصول على منتج تعليمي جيد بالمؤسسة التربوية والتعليمية يتمثل في خريجها بالإضافة إلى إسهامها في خدمة المجتمع وتنمية البيئة ويرى كلاً من الخريجي ومهران (د. ت) الجودة في التعليم العالي على أنها القابلية على التكيف مع التغيرات الهيكلية في سوق العمل وفي الاقتصاد فضلاً عن مواكبة التطورات العلمية والتكنولوجية لتحقيق التغيير المستمر نحو الأفضل.

والجودة في التعليم العالي يعني: التطوير المستمر والأداء الكفاء لمؤسسات التعليم العالي لكسب ثقة المجتمع في خريجها على أساس آلية تقييم معترف بها عالمياً، غلوم (٢٠٠٢).

وحيث إن مدخلات منظومة العملية التعليمية في التعليم العالي متعددة تشمل البنية الأساسية (المباني- المرافق- الأثاث- الأجهزة- الأدوات- بيئات التعلم ووسائل التعليم المعامل وتطويرها) المقررات والأهداف والخطط الدراسية والمتعلمين أنفسهم والبرامج التعليمية وأدوات التقويم والقوى البشرية من أعضاء هيئة تدريس وإداريين وفنيين وهيئات والعمليات الفنية والإدارية والدعم الفني والمالي والإداري بالجامعة وغيرهم ممن لهم صلة مباشرة أو غير مباشرة بالعملية التعليمية فإن تحقيق جوده المخرجات يتطلب مراعاة شروط جميع العناصر والمدخلات وفق معايير دولية متفق عليها، منصور (١٩٩٩).

والتعليم العالي بحاجة إلى اتباع أسلوب الجودة لعدة أسباب منها الزيادة المتتالية في أعداد الطلاب الملتحقين بالتعليم العالي والحاجة إلى تحقيق أداء عال في العملية التعليمية، ثورة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وما يترتب عليها من تأثير على العملية التعليمية، المنافسة الشديدة بين المؤسسات التعليمية، الحاجة للاستمرار في التعليم والتحصيل إلى مبادئ التخرج، المسؤولية الاجتماعية للجامعات تجاه المجتمع، ضعف مستوى المعايير الأكاديمية المطبقة نتيجة للتوسع الكبير فيه وعدم قدرته على توفير مخرجات يتطلبها سوق العمل، نصر (٢٠٠٥).

ولتحقيق الجودة في التعليم العالي أشار كل من (خميس، ٢٠٠٣؛ الربيعي، ٢٠٠٨؛ الجودة الشاملة في التعليم العالي، ١٤٢٩) إلى عدة مقترحات يمكن تلخيصها:

١- أن تقوم كل جامعة بتحديد فلسفة تربوية ووطنية منسجمة مع فلسفة المجتمع والأمة التي ينتمي إليها وإعطاء الاستقلالية الكاملة للجامعات بوضع سياسات خاصة بها.

٢- أن تعي الهيئة الأكاديمية والإدارية أهداف الجامعة وقدرتهم على المساهمة في تحقيقها.

٣- تحديد حاجة المجتمع للتخصصات الأكاديمية التي توفرها الجامعة.

٤- إعداد أعضاء هيئة التدريس إعداداً تربوياً وتشجيعهم على حضور المؤتمرات وتنظيم ورش عمل وندوات.

٥- وضع أهداف استراتيجية معلنة لنظام التعليم تشمل تطبيق مفاهيم الجودة الشاملة وتطبيقات تكنولوجيا المعلومات والاهتمام بالبيئة والأنشطة الاقتصادية والاجتماعية.

٦- الإسراع بتعديل وتطوير المناهج الدراسية لتشمل موضوعات الجودة وأدوات وتقنيات تحسين الجودة وامتياز الأداء.

- ٧- الارتقاء بالإمكانات المادية في المؤسسة الجامعية مثل: مختبرات الحاسب - المعامل - الورش.. إلخ، لما في ذلك من أهمية في تحقيق جودة الأداء.
 - ٨- التأكيد على ضرورة توافر شروط محددة قبل إنشاء جامعات حكومية جديدة أو الترخيص لجامعات خاصة تضمن توافر مواصفات الجودة التعليمية فيها وبرامجها التي تقدمها.
 - ٩- العمل على وضع برامج تدريبية خاصة بعمداء الكليات ورؤساء الأقسام والدوائر الإدارية في الجامعة لتنمية مهاراتهم وقدراتهم الإدارية.
 - ١٠- القيام بتقييم ذاتي لكل برنامج أكاديمي في المؤسسات الجامعية بشكل دوري كل ٢-٥ سنوات.
 - ١١- ضرورة توظيف تكنولوجيا التعليم ومستحدثاتها لخدمة المتعلم والمعلم.
- وبمراجعة مفهوم تكنولوجيا التعليم يتضح أنها تساهم بدور كبير في تحقيق جودة العملية التعليمية من خلال مايلي:
- تقديم التصميم المناسب للمواقف التعليمية بجميع مكوناتها بما يحقق جودة التعليم الناتج من خلالها.
 - تقديم تصميم المباني الجامعية وتطويرها لتراعي جميع الشروط والمعايير التي تتيح التعلم الفعال.
 - دراسة كثير من المشكلات التعليمية التي تعوق تحقيق جودة التعليم وتقديم البرامج والخطط والحلول للتغلب عليها.
 - تقديم برامج لإعداد القوى البشرية في تكنولوجيا التعليم وتدريبهم.
 - إعداد الدراسات والأبحاث التي يتم من خلالها التوصل إلى طرائق وأساليب تعليمية جديدة ونظريات وممارسات تؤدي إلى تحقيق جودة التعليم عند تطبيقها.
 - توظيف المستحدثات التكنولوجية بشكل فعال في العملية التعليمية.
 - تصميم المواد والبرامج التعليمية وإنتاجها واستخدامها وتقييمها ومتابعتها.
 - التعرف على الجديد في مجال تكنولوجيا التعليم ومستحدثاتها وكيفية الاستفادة منه وتوظيفه في العملية التعليمية، العدني (٢٠٠٨).

تكنولوجيا التعليم الإلكتروني وأهميته في التعليم العالي

لقد شهدت تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الإلكترونية تطوراً كبيراً وانتشاراً واسعاً في معظم دول العالم وأصبحت أداة فعالة في نقل وإيصال المعلومات العلمية وقد أشار (هول، ١٤٣٠) إلى أن عدد الذين استخدموا التعليم عن بعد تجاوز ٢٥ مليوناً ويؤكد التربويون بأن مجتمع المعرفة والتقدم الذي نحن فيه الآن يتطلب التحرك السريع نحو إيجاد بيئة تعليمية قادرة على تحقيق متطلبات الجودة الشاملة والتميز الملائمة مع متطلبات العصر الراهن ومستجداته، وهذا يتم من خلال تحويل المؤسسات التعليمية وخاصة الجامعية والعليا منها إلى وسائل إنتاجية، من خلال إدخال أساليب وطرائق جديدة في التعليم، يتم من خلالها إعطاء فرص أوسع ومساحة أكبر للأساتذة والطلبة من خلال التعليم الإلكتروني، وبذلك أصبح التعليم الإلكتروني وتقنياته المتعددة ضرورة من ضرورات التعليم الجامعي حيث اعتبر الاهتمام به والاستفادة من إمكانياته مظهراً أساسياً وفاعلاً من مظاهر الاهتمام بتعزيز العملية التعليمية في المؤسسات الجامعية، إن التعليم الإلكتروني ليس بديلاً عن التعليم الجامعي النظامي الاعتيادي ولكنه يعتبر إضافة نوعية حديثة له لمواجهة المواقف الجديدة وأسلوباً تعزيزياً نافعا لم يدرسه الطلبة في المحاضرات الاعتيادية، الحسناوي (٢٠٠٩).

إن التطور العلمي والتكنولوجي أدى إلى ظهور تغير في دور المعلم وتطوير فلسفة التعليم حيث لم يعد دوره تقليدياً وإنما أصبحت وظائفه تتميز بالتجديد والتغيير مستوعباً ومتفاعلاً مع التطورات العلمية التكنولوجية متميزاً بقدرته على تصميم مجالات التعليم وتوظيف ما يتوفر له من تقنيات تربوية لصالح الموقف التعليمي.

والتعليم الإلكتروني أصبح أسلوباً للتبادل المعرفي بين مختلف المؤسسات التعليمية في العالم واستطاع إيجاد تغييرات جذرية في أنظمتها التعليمية وبرامجها.

كما توجد مجموعة من المتطلبات التي فرضها علينا العصر الحالي والتي تجعل التعليم الإلكتروني الخيار الاستراتيجي الذي لا بديل عنه ومن هذه الحاجات الحاجة إلى التعليم المستمر، الحاجة إلى التعليم المرن، الحاجة إلى التواصل والانفتاح على الآخرين والحاجة إلى تعليم مبني على الاهتمامات والحاجة إلى التعلم الذاتي كما إن النقلة النوعية في التعليم وتطبيق النظريات الحديثة في تطوير التعليم وتحسين أداء المعلم والمتعلم جعل للتعلم الإلكتروني دوراً كبيراً فيها لأنه يساعد على تنمية المهارات و يتيح سرعة تطوير وتغيير المناهج والبرامج على الإنترنت متخطياً جميع العقبات التي تحول دون وصول المادة العلمية من وإلى الطلاب في الأماكن النائية بل يتجاوز ذلك إلى خارج حدود الدول، العبيدي (٢٠٠٨).

مما سبق يمكن توضيح الأسباب التي تجعل تكنولوجيا التعلم الإلكتروني ضرورة في التعليم الجامعي فيما يلي:

أولاً: مزايا وفوائد التعليم الإلكتروني التي تؤدي إلى تحقيق جودة التعليم العالي

١- زيادة فاعلية الاتصال بين المتعلمين فيما بينهم وبين المتعلمين والمعلمين وذلك من خلال سهولة الاتصال ما بين هذه الأطراف في عدة اتجاهات مثل مجالس النقاش، البريد الإلكتروني، غرف الحوار.

٢- سهولة الوصول إلى المعلم فأتاح التعليم الإلكتروني سهولة كبيرة في الحصول على المعلم والوصول إليه في أسرع وقت.

٣- الإحساس بالمساواة في هذا النوع من التعليم يكون له فائدة كبيرة بالنسبة للطلاب الذي يشعرون بالخوف والقلق أو الخجل عند المناقشة فهذا الأسلوب في التعليم يجعل الطلاب يتمتعون بجراءة أكبر.

٤- نشر ثقافة التعلم والتدريب الذاتيين في المجتمع والتي تمكن من تحسين وتنمية قدرات المتعلمين والمتدربين بأقل تكلفة وبأدنى جهد.

٥- ارتباط التعليم الإلكتروني بحاجات الأفراد التطبيقية والمهنية والشخصية والاجتماعية.

٦- توفير المناهج طوال اليوم وفي كل أيام الأسبوع.

٧- إمكانية تحويل طريقة التدريس فمن الممكن تلقي المادة العلمية بالطريقة التي تناسب الطالب سواء كانت مرئية أو مسموعة أو مقروءة.

٨- سهولة وتعدد طرق تقييم الطالب.

(غلوب، ٢٠٠٣؛ الحيلة، ٢٠٠٤؛ جمال الدين، ١٩٩٩؛ الناجم، ٢٠٠٤).

ثانياً: مزايا أساليب التعليم الإلكتروني بالمقارنة بالأساليب التقليدية للتعليم

١- تجاوز قيود الزمان والمكان في العملية التعليمية.

٢- توسيع فرص القبول في التعليم العالي وتجاوز عقبات محدودية الأماكن وتمكين مؤسسات التعليم العالي من تحقيق التوزيع الأمثل لمواردها المحدودة.

٣- يتغلب هذا النمط على الكثير من العوائق التي تحد من إمكانية الالتحاق بالتعليم التقليدي مثل الانتظام، التوقيت، المكان، ظروف العمل، متطلبات القبول، العمر، نظم التقويم، الشهادات.

٤- سهولة الوصول إلى المعلم من خارج أوقات العمل الرسمية.

٥- مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين وتمكينهم من إتقان عمليات التعلم في بيئات مناسبة لهم والتقدم حسب قدراتهم الذاتية.

٦- تخفيض الأعباء الإدارية للمقررات الدراسية من خلال استغلال الوسائل والأدوات الإلكترونية في إيصال المعلومات والواجبات للمتعلمين وتقييم أدائهم

٧- هذا النمط ييسر فرصة الالتحاق لفئات عمرية أوسع من الفئة العمرية التي تحددها المؤسسات التقليدية مثل: الكبار والعمال وربات البيوت وفي تقرير صادر عن الجمعية الأمريكية للجامعة النسائية تبين أن ٦٠٪ من الطلبة الحاصلين على شهادات جامعية عن طريق المراسلة من النساء وغالبيتهم تتجاوز أعمارهن الخامسة والعشرين.

٨- تطوير القطاع الخاص من خلال الاعتماد عليه في تقديم الأجهزة والمعدات والوسائل المتعددة والدعم الفني مما يغذي الاقتصاد الوطني بالشركات المتخصصة وبالتالي إيجاد فرص عمل جديدة في ظل هذا المشروع القومي. (دروزة، ١٩٩٩؛ الجرف، ٢٠٠٣؛ تركستاني، ١٩٩٨؛ المرأة والتعليم الإلكتروني، ٢٠٠٦)

متطلبات التعليم الإلكتروني في التعليم العالي

من المؤكد أن نجاح أي نظام يعتمد بشكل كبير على التزامه بمعايير جودة متفق عليها عالمياً وفي مجال التعليم الإلكتروني فإن هذا الأمر يأخذ أهمية خاصة وللتعلم الإلكتروني متطلبات عديدة أشار (الريبي، ٢٠٠٨؛ الحسنوي، ٢٠٠٩؛ غلوم، ٢٠٠٣؛ الحيلة، ٢٠٠٤، ص ٤١٨-٤١٩؛ خميس، ٢٠٠٣، ص ٢٥٣-٢٥٥) إلى عدة متطلبات منها:

١- دراسة مواصفات التعلم الإلكتروني وتحديد خصائصه وإمكاناته وفوائده وأهدافه والمشكلات التي يسهم في حلها وحدوده ومعوقاته والجدوى من التعليم الإلكتروني والعائد الاقتصادي والتعليمي له.

٢- التخطيط الصحيح لتوظيف التعلم الإلكتروني بحيث يكون شاملاً لجميع العوامل التي تؤثر في التعليم الإلكتروني ووضع خطة لتطبيقه على مراحل متدرجة وأن تدريس الواقع كما هو وتحدد مشكلاته ومدى توافر الإمكانيات المادية والبشرية اللازمة لتطبيق التعلم الإلكتروني.

٣- توفير المناخ لتوظيف التعلم الإلكتروني بمعنى تهيئة النظام التعليمي القائم لقبول التعلم الإلكتروني.

٤- رصد التمويل اللازم لتوظيف التعلم الإلكتروني بتحديد مصدر التمويل والتأكد من توفره كاملاً قبل البدء في التطبيق.

- ٥- توفير الكفاءات البشرية التي يحتاجها توظيف التعلم الإلكتروني وهم الأفراد الذين لديهم الخبرات والمهارات اللازمة لتطبيق المشروع وتشمل المدراء والخبراء والمستشارين والموظفين.
- ٦- توفير المتطلبات المادية اللازمة التي تشمل البنية التحتية من أماكن وتجهيزات وأثاث وكل الأجهزة اللازمة.
- ٧- تجرب التعلم الإلكتروني قبل تطبيقه وتنفيذه ويتم ذلك على مراحل متعددة تبدأ بالتجريب المصغر على عينة ثم التجريب الموسع وإجراء التعديل والتطوير.
- ٨- التدريب ويشمل تدريب أفراد فريق تطبيق التعلم الإلكتروني والقائمين على إدارته والمعلمين وذلك قبل التطبيق وأثناءه من خلال برامج الإعداد والدورات التدريبية على أن تتضمن موضوعات نظرية وعلمية.
- ٩- التعبئة الاجتماعية لدى أفراد المجتمع للتفاعل مع هذا النوع من التعليم.
- ١٠- دراسة تجارب الدول الأخرى المشابهة لنفس ظروفها والاستعانة بخبراء منها.
- ١١- على الاتحاد العربي للاتصالات أن يقدم الدعم الفني والاستشارات للدول التي ترغب في استخدام التعلم الإلكتروني وبناء مواقع عربية وخوادم ومحركات بحث عربية.
- ١٢- على الاتحاد العربي للبرمجيات احتضان الجهود الرامية إلى إنتاج برمجيات عربية ونظم تشغيل عربية تتناسب مع البيئة العربية.

التحديات التي تواجه تطبيق تكنولوجيا التعليم الإلكتروني وبعض الحلول المقترحة للتغلب عليها

التعليم الإلكتروني كغيره من طرق التعليم الأخرى لديه معوقات تعوق تنفيذه وتحديات تواجه تطبيقه وذكر (المحيسن، ٢٠٠٧؛ الخميس، ٢٠٠٣، ص ٢٥٦-٢٥٧؛ الموسى، ١٤٢٣) عدة معوقات منها:

- ١- تطوير المعايير، يواجه التعليم الإلكتروني مصاعب قد تطفئ بريقه وتعيق انتشاره بسرعة وأهم هذه العوائق قضية المعايير المعتمدة فنلاحظ إن المناهج والمقررات التعليمية بحاجة لإجراء تعديل وتحديث نتيجة التطورات فالجامعة تكون قد استثمرت في شراء مواد تعليمية نجد أنها عاجزة عن تعديل أي شيء فيها وحتى إذا كان التعديل ممكن فهو معقد ولضمان ذلك لا بد من حل قابل للتخصيص أو التعديل بسهولة.

٢- الأنظمة والحوافز التعويضية، من المتطلبات التي تحفز وتشجع الطلاب على التعليم الإلكتروني حيث لا زال التعليم الإلكتروني يعاني من عدم وضوح في الأنظمة والطرق والأساليب التي يتم فيها التعليم بشكل واضح كما أن عدم البت في قضية الحوافز التشجيعية لبيئة التعليم هي إحدى العقبات التي تعوق فعالية التعليم الإلكتروني.

٣- علم المنهج، غالباً ما تؤخذ القرارات التقنية من قبل التقنيين المعتمدين على استخداماتهم أو تجاربهم الشخصية وهذا يعني أن معظم القائمين في التعليم الإلكتروني هم من المتخصصين في مجال التقنية أو على الأقل أكثرهم أما المتخصصين في مجال المناهج والتربية والتعليم ليسوا من صناع القرار في العملية التعليمية ولذا فإنه من الأهمية بمكان ضم التربويين والمدرسين في عملية اتخاذ القرار.

٤- الخصوصية السرية، إن حدوث هجمات على المواقع الرئيسية في الإنترنت أثرت على المعلمين والتربويين ووضعت في أذهانهم العديد من الأسئلة حول تأثير ذلك على التعليم الإلكتروني مستقبلاً ولذا فإن اختراق المحتوى والامتحانات من معوقات التعليم الإلكتروني.

٥- الأمية التكنولوجية في المجتمع ونقص الوعي في التعليم الإلكتروني، إن المتعلمين والمعلمين يقاومون تطبيق أو توظيف المستحدث ولا يستجيبون للنمط الجديد ويتفاعلون معه وهذا يرجع إلى عدم وضوح المستحدث وعدم درايتهم بأهميته وضرورته وفوائده وعدم وجود الوقت الكافي لديهم للتجريب والتدريب وعدم تمكنهم من مهارات توظيف المستحدث وخوفهم من الفشل عند التنفيذ وعدم وجود حوافز مادية أو معنوية وكل هذا يتطلب جهداً مكثفاً لتدريب وتأهيل المعلمين والمتعلمين بشكل خاص استعداداً للتجربة.

٦- تكييف المتعلمين وتعلم التكيف، من أهم المعوقات التي تقابل مستقبل التعليم الإلكتروني هي عدم علم أغلب الطلاب بمفهوم التعليم الإلكتروني فكيف للتعلم الإلكتروني مستقبل وطلائع المستقبل لم يمكن لديهم فكرة فيجب تدريس التعلم الإلكتروني ضمن مادة الحاسوب كما يتعين أن تغير الأفكار الراسخة في أفكار الجميع حول عملية التعليم الإلكتروني.

٧- وجود شح بالمعلم الذي يجيد، (فن التعليم الإلكتروني) وإنه من الخطأ التفكير بأن جميع أعضاء التدريس في الجامعات يستطيعوا أن يساهموا في هذا النوع من التعليم.

٨- نقص التمويل وعدم تنوع مصادره اللازمة للتعلم الإلكتروني، ويتمثل ذلك في عدم توفر الميزانية والأجهزة والأثاث والتجهيزات وجميع متطلبات التعلم الإلكتروني

بالكم والكيف الذي يتناسب مع أعداد الطلاب والمعلمين في المؤسسة التعليمية وكذلك قد يكون تأسيس البنية التحتية من الأجهزة وملحقاتها من الأجهزة ذات المواصفات التقليدية التي لا تساعد في متابعة متطلبات المقررات الإلكترونية والوسائط المتعددة لذا يجب أن يتم التخطيط الجيد وتحديد المتطلبات السابقة لعملية التطبيق وإشراك المؤسسات والقطاع الخاص والأفراد من خلال مساهماتهم في المشروع وتخصيص جزء من الميزانية لتطبيقه.

٩- نقص القوى البشرية المدربة، وتتمثل في نقص الفنيين والخبراء المتخصصين اللازمين لتطبيق مشروع التعليم الإلكتروني ويمكن التغلب على ذلك بعقد دورات تدريبية مكثفة وإرسالهم بعثات تدريبية إلى الدول المتقدمة.

١٠- المفهوم الخاطئ السائد أن التعلم الإلكتروني يلغي دور المعلم، ويتطلب ذلك زيادة التركيز على المعلم وإشعاره بأهميته بالنسبة للمؤسسة التعليمية وأيضاً توضيح الإدارة الجديدة للمعلم في التعليم الإلكتروني والتي أصبحت أكثر فاعلية وإيجابية عن قبل.

١١- ارتباط التعليم الإلكتروني بعوامل تكنولوجية أخرى، مثل كفاءة شبكات الاتصال توافر الأجهزة والبرامج مدى القدرة على التصميم وإنتاج المحتوى التعليمي وهذا يتطلب رفع جودة شبكات الاتصال بالإنترنت وأن تقوم وزارتي التربية والتعليم والتعليم العالي بتسهيل الاتصال السريع بالشبكة العالمية للمعلومات للمدارس والجامعات للطلاب وأعضاء هيئة التدريس.

المراجع

- ١- تركستاني، عبد الحفيظ محمد. (١٩٩٨). تعليم المستقبل: إنجازات مذهلة. مجلة المعرفة. ٣٨.
- ٢- الجرف، ربما سعد. (٢٠٠٢، ٢٩-٣٠ إبريل). التعليم الإلكتروني ومستقبل التعليم الجامعي بالمملكة. بحث مقدم لندوة التربية ومستقبل التعليم في المملكة العربية السعودية.
- ٣- جمال الدين، نجوى. (١٩٩٩). التعليم عن بعد. مجلة التربية والتعليم. ج٥ (١٥).
- ٤- الجودة الشاملة في التعليم العالي. (١٤٢٩) برنامج الجودة الشاملة، استرجعت في تاريخ ٢٥ شعبان ١٤٣١هـ. www.kau.edu.sa/tqm/hiedu.htm
- ٥- الحسناوي، موفق عبد العزيز. (٢٠٠٩، ١٤ إبريل). دور التعليم الإلكتروني في تعزيز التعليم الجامعي، استرجعت بتاريخ ١٢ شعبان ١٤٣١ من: www.ao-academy.org/wesima-articles/index-20090414-1980.html
- ٦- الحيلة، محمد محمود. (٢٠٠٤). تكنولوجيا التعليم بين النظرية والتطبيق. دار المسيرة، الأردن.
- ٧- خميس، محمد عطية. (٢٠٠٣). منتوجات تكنولوجيا التعليم (ط ١). القاهرة. دار الكلمة.
- ٨- دروزة، أفنان نظير. (١٩٩٩). دور المعلم في عصر الإنترنت. المجلة العربية للتربية. ج ١٩ (٢).

- ٩- الراشد، فارس إبراهيم. (٢٠٠٣، ٢١-٢٣ إبريل). التعليم الإلكتروني واقع وطموح. شركه الدوالج للتقنية، ورقه عمل مقدمة إلى ندوة التعليم الإلكتروني، التي عقدت في مدارس الملك فيصل بالمملكة العربية السعودية.
- ١٠- الربيعي، فلاح خلف. (٢٠٠٨). الجودة الشاملة في التعليم الجامعي وإمكانية تطبيقها في العراق، الحوار المتمدن.
- ١١- الزامل، زكريا بن عبدالله. (١٤٢٥). تقييم تجربة التعليم الإلكتروني في بعض مؤسسات التعليم العالي بالمملكة العربية السعودية من وجهة نظر الطالب. مجلة المؤتمر التقني السعودي الثالث/الرياض.
- ١٢- العبيدي، هديل. (٢٠٠٨، ١١ يونيو). التعليم الإلكتروني. الوسط البحرينية، ٢١٠٥.
- ١٣- العدني، عبد الغني محمد. (٢٠٠٨). معايير اعتماد وضمان جودة التعليم الجامعي في الجمهورية اليمنية في ضوء بعض التجارب التربوية المعاصرة. رسالة ماجستير، جامعة أسبوط/ مصر.
- ١٤- العويد، محمد صالح والحامد، احمد بن عبدالله. (١٤٢٤). التعليم الإلكتروني في كليه الاتصالات والمعلومات بالرياض، دراسة حالة، ورقة عمل مقدمة لندوة التعليم المفتوح في مدارس الملك فيصل بالرياض.
- ١٥- غلوم، منصور. (٢٠٠٣، ٢١-٢٣ ديسمبر). التعليم الإلكتروني في مدارس وزارة التربية دولة الكويت. ورقه عمل مقدمه في الندوة الدولية الأولى للتعليم الإلكتروني مدارس الملك فيصل المملكة العربية السعودية.
- ١٦- الفراء، عبدالله عمر. (١٩٩٩). المدخل إلى تكنولوجيا التعليم. مكتبه دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان/الأردن.
- ١٧- المحيسن، ابراهيم بن عبدالله. (١٤٢٣، ١٦-١٧ رجب). التعليم الإلكتروني.. ترف أم ضرورة. ورقة عمل مقدمة لندوة: مدرسة المستقبل جامعه الملك سعود.
- ١٨- المحيسن، ابراهيم عبدالله. (٢٠٠٧). بين معوقات ومستقبل.. التعليم الإلكتروني في الوطن العربي.. استرجعت في ١٢ شعبان ١٤٢١هـ من الموقع الرسمي للدكتور ابراهيم المحيسن.
- ١٩- المرأة والتعليم الإلكتروني. (٢٠٠٢)، مجلة الجزيرة الإلكترونية ٦، استرجعت في تاريخ ٢٠ شعبان ١٤٢١ من: <http://search.suhuf.net.sa/magazine/22102002/index.html>
- ٢٠- منصور، أحمد حامد. (١٩٩٩-٢٢ إبريل). تكنولوجيا التعليم وجودة التعليم في القرن الحادي والعشرين. ورقة عمل مقدمة إلى: ندوة تكنولوجيا التعليم والمعلومات- حلول لمشكلات تعليمية وتدريبية ملحة. كلية التربية. جامعة الملك سعود.
- ٢١- موسى، عبدالله بن عبد العزيز. (١٤٢٣، ١٦-١٧ شعبان). التعليم الإلكتروني - مفهومه.. خصائصه.. فوائده عواقبه. ورقه عمل مقدمه إلى ندوة مدرسة المستقبل في جامعة الملك سعود.
- ٢٢- الناجم. صلاح. (٢٠٠٤). التعليم الإلكتروني: مزاياه ومقاييسه وأثره في منظومة الحكومة الإلكترونية. مجلة آفاق الاتصالات والتكنولوجيا ٦٦.
- ٢٣- نصر، محمد علي. (٢٠٠٥، ١٢-١٣ نوفمبر). دور كليات التربية في تحقيق الجودة الشاملة في التعليم في مصر. بحث مقدم إلى مؤتمر «دور كليات التربية في إصلاح التعليم»، المؤتمر العلمي السابع لكلية التربية بدمياط، ص ١١١-١٧٤.
- ٢٤- هول، براندون. (١٤٢٠، ١٩-٢١ ربيع الأول). الإبداع وتطبيق التعلم الإلكتروني. محاضرة قدمت في المؤتمر الإلكتروني والتعليم عن بعد. الرياض استرجعت في تاريخ ٧ شعبان ١٤٢١ من: <http://www.alriyadh.com/2009/03/18/article416681.html>.

دور البحث الأكاديمي في تنمية المؤسسة الصناعية

البحث السوسيو اقتصادي كنموذج

دراسة ميدانية بمؤسسة مناجم الفوسفات - الجزائر

أ. عبد الكريم زرفاوي



ملخص المداخلة

فيما يبدو ولما توفره البحوث الأكاديمية في ميدان الصناعة من مساعدة للمسؤولين بالاستفادة منها، بوضع أيديهم على مواطن المشاكل المتنوعة، يواجه الصناعيون في الجزائر مشاكل ومسائل صعبة كما يواجهها علماء الاجتماع والباحثين باختلاف مستوياتهم، وتتعلق هذه المسائل أساساً بالتنظيم الاجتماعي للمصنع المستورد كما تتعلق بتأمين صيانة الآلات التي ينشأ عنها حالة من التبعية للأخصائيين الأجانب، أمام هذه الظواهر المرضية فإن الممارسات البحثية في الجزائر والتي تدخل ضمن علم الاجتماع الأكاديمي اقتصر دورها على أن تكون محطات وساطة للنظريات الغربية، وهذا من خلال إصلاح التعليم

العالي سنة ١٩٧١، فالبرنامج في النظام القديم كان غير مطلع على المشاكل الحقيقية للمجتمع، تلك المشاكل التي لم تجد مكاناً لها في محتواه مما أضفى عليه عدم الفاعلية، الأمر الذي دفع بالمسؤولين إلى الإعلان عن الفصل المأساوي لخريجي الجامعات بين المهمة الواجب تحقيقها والقدرات المهنية لهؤلاء المتخرجين.

• أستاذ باحث بكلية الاقتصاد، جامعة تبسة/الجزائر.

azerfaoui@yahoo.fr

Recapitulation

What provided academic research in the field of industry assistance to officials to take advantage of them, put their hands on the citizen diverse problems, facing industrialists in Algeria problems and issues as difficult as facing social scientists and researchers in different levels, and relate these issues mainly social organization of the factory imported as of securing maintenance machines that arises in a state of dependency specialists foreigners, before this pathological phenomena, the research practices in Algeria and which fall within the sociology academic confined its role to be stations mediation theories Bank, and this through the reform of higher education in 1971, the program in the old system was not familiar with the real problems of society, those problems that you do not find a place in the content, which gave him a lack of efficacy, which prompted officials to declare tragic chapter for university graduates between the task to be achieved and the professional capacity of these graduates.

مقدمة

يشير علماء الاجتماع إلى أن البحث السوسيولوجي يدرس أساساً المجتمع متخذاً منه الوحدة الأساسية في التحليل بنظرة تكون أكثر شمولاً وذلك بتركيزه على دراسة الحياة الاجتماعية في عموميتها وكليتها، ويهتم كذلك في هذا الصدد بدراسة أوجه الاختلاف والتوافق بين المجتمعات على الرغم من الاختلافات الثقافية كما يحاول شرح أهم جوانب الخلاف بينهما، وعلى خلاف ما يهتم به علماء الاجتماع في القرن ١٩ حيث اتخذوا من فلسفة التاريخ اتجاهاً لهم أحجم علماء اليوم عن الأخذ بهذا النموذج التطوري في التفسير السوسيولوجي وتبنوا اتجاهاً آخر يركز على دراسة البناء الداخلي للمجتمع بكافة نظمته وتنظيماته وجماعاته وطبقاته، كذلك التركيز على العلاقات بين مختلف العناصر التي يتكون منها.

في هذا الإطار تتزايد الاهتمامات يوماً بعد يوم وفي معظم الدول النامية بالصناعة والتكنولوجيا ودراسة العمل... إلخ، من أجل رفع الكفاءة الإنتاجية وتدريب العمالة بقصد زيادة حجم الإنتاج وتحقيق الرفاه باستخدام أنسب الطرق والبرامج العلمية للكشف عن أهم المشاكل الصناعية وإعطاء بدائل لاختيار المهنة التي تهدف في مجملها إلى حل مشاكل الإنتاج والتشغيل في مجال الصناعة وذلك بالاستفادة من البحوث السوسيولوجية والاقتصادية.

وعليه تم تقسيم بحثنا إلى المحاور التالية:

- **مرحلة التصور:** مدى التوافق بين التصورات السوسيواقتصادية للباحثين وحاجات المؤسسة الصناعية.
- **مرحلة التنفيذ:** ويتم خلالها دراسة التوجيه الأيديولوجي كآلية تقيد البحوث، وتمثيلات المبحوثين بالمؤسسة الصناعية للبحث السوسيواقتصادي.
- **مرحلة ما بعد الإنجاز:** ويتم خلالها دراسة مدى اطلاع المؤسسة الصناعية على نتائج البحوث السوسيوولوجية والاقتصادية وفي الأخير موقفها من تلك البحوث.
- **خاتمة كخلاصة عامة للدراسة.**

١ - منهج الدراسة الميدانية

واعتمد هذا البحث على تحليل مضمون عينة من مذكرات التخرج لمرحلتى الليسانس والماستر بقسم العلوم الاجتماعية وقسم الاقتصاد والتي كان ميدان دراستها مؤسسة انتاج الفوسفات «صوميفوس».

كما تم إجراء مقابلات باستعمال دليل مقابلة مع مجموعة من المبحوثين الذي بلغ عددهم ٢٤ مفردة بمؤسسة صوميفوس «من بينهم ٠٦ رؤساء مصالح» وباعتبارهم الوسيط الأساسي فيما بين الباحث والعامل، وهذا بغرض توجيه البحث بأكثر دقة وعلمية.

٢ - الإشكالية

عندما يتعلق الأمر بالبحوث السوسيواقتصادية فإن محتواه يعبر علانية عن الإيديولوجيا كنسق فكري، اجتماعي، سياسي، عقائدي واقتصادي، وكيفية تأثيرها في توجيه الباحثين فكرا وممارسة، أمام هذا الأمر وفي الجانب الآخر فإن المؤسسة الصناعية بكل الفاعلين الاجتماعيين الموجودين بها يحاولون تضيق أو توثيق العلاقة بهذا النوع من البحوث، وعليه يمكننا طرح التساؤل التالي:

ما مدى التوافق بين تصورات الباحث السوسيوولوجي ورغبات المؤسسة الصناعية؟

هل تستفيد المؤسسة الصناعية التي تشكل ميداناً للبحوث السوسيوولوجية من نتائج هذه الأخيرة؟

وما هو موقفها تجاه البحوث التي تجرى بها؟

٣- التوجيه الأيديولوجي كآلية تقييد البحث

لقد تميز مجال البحث العلمي عموماً وفي البحث السوسيواقتصادي تخصيصاً بتبعية واضحة ومؤكدة للتصورات والانشغالات التي عبرت عنها السلطة السياسية وقد تحققت تلك التبعية من خلال آليات عديدة، لعل أهمها التوجيه الأيديولوجي^(١).

ويقصد به أن معظم الأبحاث التي جرت في علم الاجتماع أو الاقتصاد سواء كانت لتلبية طلب اجتماعي مباشر وصريح من قبل مؤسسات رسمية أو اندرجت في إطار الدراسات الجامعية لتحصيل شهادات ودرجات علمية، هذه البحوث خضعت في معظمها لتصورات الإيديولوجيا المسيطرة في الفترة التاريخية التي جرى فيها البحث^(٢).

لقد أبرز الباحثون (١٧) مفردة من بين (٢٤) على أن العوائق الإدارية والتخوفات من موضوعات معينة إنما مردها يكمن في إهمال عدة موضوعات كان من الأجدر دراستها كموضوع الأجور، ظروف العمل، مسألة الحفاظ على مناصب العمل حينما تكون الحالة المالية للمؤسسة متدهورة، في المقابل يركز بعض الباحثين على موضوعات حساسة بالنسبة للإدارة ويدلل هؤلاء آراءهم بأنهم ليسوا بحاجة إلى مثل هذه الدراسات، ومحاولة منهم لإقناع أنفسهم بالدرجة الأولى كما هو ملاحظ فإن المواضيع التي يرونها تمس الإدارة إنما محددة ومكيفة بقوانين معمول بها.

فالحديث عن الإطار الصناعي أو عن تهميش فئات عمالية لحساب أخرى، كل هذا من شأنه أن يخلق توترات فيما بين الأطراف، فرد فعل القوى الاجتماعية التي لها علاقة بهذه المواضيع تجاه الدراسة العلمية يتسم بالرّفْض أحياناً والعداء الصريح أحياناً أخرى، إن هذه الآراء المعبر عنها بالمواضيع الحساسة، كذلك التصورات كما يجب أن يكون من طرف المبحوثين والرغبات التي حبذا تكون في البحث السوسيواقتصادي والتي يجب أن توجّه لها الدراسة إنما تعبر عن انفلاق المجتمع الصناعي ورفضه بأي شكل من الأشكال موضوعات الدراسة هذه، ولا يقف الحد عند هذا بل يتعدى إلى الباحث في حد ذاته، وإلى طبيعة البحوث المنجزة خلال الفترة الزمنية التي تعيشها المؤسسة.

يُبين هذا التحليل المبسط أن ما يقوم به الباحث والمؤسسة الصناعية من ضرب حصار على البحث السوسيواقتصادي البحث إنما يقود إلى دور خدمي حيث تكمن مهمته في تقديم بيانات اجتماعية جزئية مكملّة لمشاريع ذات طابع تقني، وهي محدودة العدد والوسائل المادية والعلمية.

إنّ هيمنة التصور التقنوي والنزعة الاقتصادية وغلبة النظرة التجزيئية والذرية لمشكلات المجتمع، والاعتقاد في قوة وفاعلية أسلوب المعالجة القائم على ميكانيكا

الهندسة الاجتماعية، كل هذا يُنقص من أهمية علم الاجتماع والبحث الاقتصادي^(٢)، ويكفي أنّ السوسيولوجيا علم يزعج على حد تعبير بيار بورديو حين يقول: «إنّ المعرفة التي تكشف النقاب على الصراعات والمصالح والرهانات، وهي ليست فقط مصالح الحاكمين، بل أيضاً مصالح ومكانات رجال المعرفة أنفسهم. بمعنى آخر معرفة تكشف عن الخفي وعن اللامعقول، إنه علم نقدي، علم يُزعج»^(٤).

بعد العرض المبسط لآلية التوجيه الأيديولوجي التي تقيد وتوجه البحوث السوسيواقتصادية، وبعد تحليل آراء المبحوثين (١٧) مفردة من (٢٤) الذين أكدوا وبصفة واضحة على أنّ هناك مواضيع حساسة تدخل في المحظورات حيث يتعامل معها برفض إجراء التحقيق الميداني أو استبدال الموضوع بآخر، إذ يعكس هذا حقيقة عدم التنسيق والاتصال فيما بين الباحث والمؤسسة بل يعكس أيضاً الإيديولوجية التي يسير بها الإداريون من جهة والباحث من جهة أخرى، إنّ هذا التقييد في دراسة موضوعات ودون مراعاة العلمية التي لا تفترض التمييز فإن أقلية من المبحوثين (٧) مفردات من (٢٤) ويعتبرون من خريجي علم الاجتماع والاقتصاد أكدوا على أنّ الهدف الرئيسي والأسمى للبحث يتعدى الأطر والقيود والموجهات التي تضعها المؤسسة الصناعية والباحث على حد سواء.

لعلّ المهمة الرئيسية للباحث هي محاولة إقناع ذاته قبل غيره وذلك بعدم التقيد بهذه الآلية التي من شأنها أن تقتل المواهب، إنّ وفي خضم هذه الهيمنة (هيمنة السياسي على العلمي) غاب الحوار والنقد بين المثقفين^(٥) الأمر الذي أدى إلى قتل مواهب الإنلجنسيا، وهذا بدوره سمح بسيطرة أشخاص لا علاقة لهم بالثقافة على ميادين مختلفة خاصة الصناعة. وأصبح الفكر الاستهلاكي هو الفكر السائد والمسيطر يحارب بأسلحته المادية الفكر المبدع الخلاق.

٤- تمثلات المبحوثين للبحوث السوسيواقتصادية

إن تمثلات المبحوثين داخل المؤسسات للبحث، أكدت أغلبية المفردات المستجوبة (١٨) مفردة من بين (٢٤) على أنّهم يقدمون كل التسهيلات لإتمام الطالب لعمله، حيث أنّ المقابلات أو ملء الاستمارات تتم أثناء العمل، أبرز المبحوثين أنّ علم الاجتماع بخلاف العلوم الأخرى يحسس العامل بوجوده وكيانه كفرد منتج وله أهمية في المؤسسة الصناعية، فهناك مشاكل حقيقية تنتج من الأطارات المسيرة التي لا تولي له العناية الكافية لذلك فالعامل له ملجأ وحيد وهي النقابة، وهذا لعدم وجود ثقة بالمسيرين، الأمر الذي يدفعه لتمثله للبحث السوسيولوجي من خلال تزويد الباحث بالمعلومات المطلوبة واللازمة للدراسة.

وبالنظر إلى عدم اطلاع المسؤولين والمعنيين بالمؤسسات الصناعية على نتائج البحوث بحجة عدم حصولهم على نسخ من المذكرات، يعكس حقيقة عدم الاهتمام واللامبالاة وتظهر جلياً من خلال التقصير الذي يتمثل أساساً في المطالبة بنسخ وعدم السعي وراء ذلك استناداً للاتفاقية وإن كانت هذه الأخيرة تحتاج إلى تجديد وتغيير، ومحاولة منا معرفة ذلك من خلال الاستجواب عبر عنه (١٠) مفردات من بين (٢٤) تبين لنا من خلال مبررات غير مقنعة في حقيقة الأمر نجلها في ما يلي:

- ليس من واجب المؤسسة الاتصال بالقسم للحصول على نسخة من المذكرات وإنما من واجب الجامعة تقديم ذلك.
- ضف إلى ذلك أنه من باب الإنسانية مراعاة الظروف الاجتماعية والمالية للباحث المتربص ومساعدته من أجل إتمام تربصه وتجنباً لخلق مشاكل له هو في غنى عنها.
- بالإضافة إلى ذلك تحول اهتمام المؤسسة الصناعية الجزائرية عموماً من الاهتمام بالطابع الاجتماعي إلى الاهتمام بالجانب الاقتصادي.
- وهذا تفرضه طبيعة النسق التنظيمي كحتمية للتوجيه.
- هناك عامل آخر هو أن لكل مؤسسة صناعية هيئة بحثية تقوم ببحوث في عدة مجالات تلبي حاجات المؤسسة وتغطي متطلباتها أما الجانب الاجتماعي فتكفل به مديرية الموارد البشرية التي بها أخصائيون وإطارات تغطي حاجة المؤسسة من هذا الجانب.

٥- موقف المؤسسة الصناعية من البحث السوسيواقتصادي

حاولنا من خلال التحقيق الميداني التوصل إلى الإجابة عن هذا التساؤل حيث لاحظنا جهل طبيعة البحوث ودورها من قبل قطاع عريض من الذين لهم تأثير مباشر أو غير مباشر على اتخاذ القرار في المؤسسة الصناعية (مسيرون، مسؤولون، رؤساء مصالح.. إلخ) ونلمس ذلك من خلال مبرراتهم غير المقنعة في عدم اطلاعهم على نتائج هذه البحوث، بحيث وجدنا البعض منهم يخلط بين البحوث ولا يستطيع حتى التمييز بينها.

فإحجام بعض الإداريين عن تقديم يد المساعدة للمتربصين وتشكرهم للبحث يُعبر عن العداء الصريح له وهذا الصنف يرفض التعامل معه إطلاقاً، بدعوى أنه يدعو إلى الشغب والفوضى ويهدد النظام والاستقرار أينما حلّ، ويدل هذا التصور على الذهنية السائدة المتحجرة لمثل هذه البحوث وهو ما أكده بيار بورديو في كتابه أسئلة علم الاجتماع بقوله: «السوسولوجيا هي آخر العلوم في المجيء، علم نقدي ينقد نفسه وينقد العلوم

الأخرى وينقد السلطات بما فيها سلطات العلم، إنها علم يعمل على معرفة قوانين إنتاج العمل وهو لا يزودنا بوسائل السيطرة بل ربما يزودنا بوسائل السيطرة على السيطرة»^(٦).

كذلك نلاحظ إجماع بعض العمال ورؤساء مصالح وورشات عن تقديم معلومات وحقائق للمتربصين خوفاً من فقدان مناصب عملهم حيث اعتبر بعض المسؤولين أنّ التربص كمساعدة لا كمساهمة في البحث، وإنّ هذا إن عبر إنّما يُعبر عن صورة الرفض للبحث وهؤلاء صنف يتحاشاه لتعزيز موقعه والحفاظ عليه.

وهذان الصنفان من القطاع العريض للمؤسسة يدركون أهمية ودور البحث السوسيواقتصادي، حيث أنّ هذا الرّفص الذي يتبناه الصنف الأول والمعارضة التي يُبديها الصنف الثاني يشكلان صفتان مميزتان لمواقف جماعات مختلفة ذات مصالح متعارضة داخل المجتمع الصناعي، فالعمال ورؤساء المصالح يخشونه لأنّه يُبرز مدى تخوفهم من فقدان مناصبهم، أما الإداريون فيحاصرونه حتى لا يكشف طبيعة مشاريعهم المقنعة بالعقلانية والعلمية وممارستهم البيروقراطية الزائدة والزائفة في آن واحد وهذا ما يفسر إنكار تحصلهم على نسخ رغم وجود بعضها لديهم.

إنّ هذا الموقف العدائي الذي يمثل حاجزاً أمام البحث السوسيواقتصادي في أشكاله المختلفة كما سبق ذكرها (رفض، معارضة، انغلاق، إنكار وحتى احتقار)^(٧) كل هذه غلقت عدة مجالات أمام هذا البحث لأنّه يكشف النقاب على مظاهر الخداع والتمويه والأمثلة عن ذلك عديدة منها: البيروقراطية، طرق التوظيف، الترقية، نظام التقويم ومنظومة الحوافز، النزاعات الجماعية، التسريح... إلخ.

لهذا فمن الضروري على البحث السوسيواقتصادي التغلب على كل هذه الآليات خاصة انغلاق مجتمع المصنع وكسر الطوق الذي يضربه حول نفسه على حد تعبير أحد المبحوثين الذي يرى «أنّ الأبحاث التي تجرى في المؤسسة في إطار تحضير شهادات جامعية، تدور حول المواضيع نفسها في المؤسسات نفسها وبفلسف الصّينغ، لذلك لم تستطع أن تأتي بجديد كما يعرفه المسيررون بالمؤسسة الصناعية، ومنه لم تتغير نظرة هؤلاء عن هذا البحث»، ولأنّ المهم لديهم (المسؤولون) ليس الوصول إلى مؤسسة تنافسية ذات مردودية واهتمام بالعلم، بقدر ما هو الوصول إلى منصب معزز في السلم الاجتماعي بالمؤسسة وهو مبرر النظام القائم^(٨).

٦- خاتمة البحث ونتائجه

يمكننا القول بأن البحث السوسيولوجي والاقتصادي باعتبارهما حجرا الأساس في الممارسة المعرفية مهمش ومن بين الاستنتاجات التي يمكننا تقديمها:

- هي أنّ هذه البحوث التي تُجرى في المؤسسة بعيدة كل البعد عن فهم الرهانات والصراعات وبالتالي أصبحت عبارة عن جمع للأحداث وتقديم وصفات، وهذا على حد تعبير نذير معروف، على أنّ دور البحث أصبح خدمي، حيث تكمن مهمته في تقديم بيانات اجتماعية جزئية مكملّة لمشاريع ذات طابع اجتماعي، لكن تطفئ عليه الإشكالية الاقتصادية.

- يمكن القول أنّ المواضيع الاجتماعية والاقتصادية هي نتاج المجتمع وهذا النتاج محل رهان شاركت فيه عدة أطراف وكما يقول عبد الرزاق جلالى يمكن أن نأخذ المواضيع الاجتماعية كما هي لأننا سنسقط في لعبة المجتمع، في حين نجد أنّ الموضوع السوسيولوجي هو نتاج تحليلي كما يقول بورديو: «يجب أن نستعمل الحذر الإستمولوجي وإلا سنسقط في التفكير البهلواني»، لذا يجب غريبة كل ما هو اجتماعي أو ما هو موجود في المجتمع.

- لا بد من إحداث قطيعة مسبقة إستمولوجية بين ما يحمله الباحث من أحكام مسبقة وبين الموضوع وذلك من خلال تحديد الذات بالنسبة للموضوع وكذا تحديد الموضوع في حد ذاته، وهذا لا يكون إلا عن طريق التعمق فيه أكثر من خلال الاطلاع على واقع المؤسسة المعنية للتعرف على انشغالاتها وهذا لا يتم إلا عن طريق الاتصال بين الجامعة والمؤسسة لإنتاج معرفة ذات قيمة علمية وعملية، بالاتصال بالمؤسسة لمعرفة انشغالاتها ومشاكلها وبالتالي معرفة واقعها وهذا الأخير يساعد الباحث على تحقيق درجة من الموضوعية بتقليص الهوة بين الجانب النظري والجانب الميداني الذي تعاني منه أغلب البحوث.

الهوامش

- ١- علي الكنز: المسألة النظرية والسياسية لعلم الاجتماع العربي. ٢- نحو علم اجتماع عربي. ٣- ط ٢.
- ٤- مركز دراسات الوحدة العربية. ٥- ١٩٨٩. ٦- ص ١٠٠.
- 2- Ouanassa siari-tengour: "sciences sociales et marginalisation" en: L'Université aujourd'hui, édition crasc, 1998, p 82.
- ٣- محمد بشير: مدخل لدراسة علم الاجتماع في الجزائر ما بين (١٩٨٢-١٩٧٢). ٩- د م ج. ١٠- الجزائر.
- ١١- ١٩٩٤. ١٢- ص ١٩-٢٠. ١٣- فضيل دليو وآخرون: أسس المنهجية في العلوم الاجتماعية.
- ١٤- منشورات جامعة قسنطينة. ١٥- الجزائر. ١٦- ١٩٩٩. ١٧- ص ٣٢.
- 4- Jean Claude rouveyron: mémoires et thèses, l'Art et la méthodes, maison neuve et la rose, paris, 1989, p 26.
- 5- Alouche Jannette: sens et rationalité dans l'entreprise algérienne: place des sciences sociales dans management, INS de communication 2005, p 63.
- ٦- العياشي عنصر: «أي غد لعلم الاجتماع؟» الجامعة اليوم «أعمال ندوة»: منشورات crasc، ٢١- وهران، ٢٢- الجزائر، ٢٣- ١٩٩٨، ٢٤- ص ٢٣.
- ٧- عبد الرزاق جلالى: «علم الاجتماع بين الالتزام والأداة».
- ٨- مجلة المستقبل العربي، ٢٧- السنة ١٣. ٢٨- العدد ١٤٦. ٢٩- أفريل ١٩٩١ ص ٨٤.

التواصل كأسلوب في التدريس ودوره في الاستيعاب والدافعية بحث ميداني مع طلبة الجامعة

د. لويزة فرشان*



مقدمة

يعتبر التواصل La Communication من بين العمليات الأساسية في بناء التفاعلات الاجتماعية بمفهومها الواسع، فعن طريقه تصل الأفكار وتوضح المقاصد وتفسر المشاعر بين الأشخاص وحتى الحيوانات. فهو المشاركة في الحديث والرأي واتخاذ القرارات وأيضاً تبادل المشاعر والاتجاهات (فتحي، محمد، ٢٠٠٨، ص ٧٣). وتتسع وظائفه لتجمع أفراد ومجموعات من ثقافات مختلفة. رغم أهميته البالغة، غير أننا نجد أن هناك خللاً في استعماله وعدم إعطائه أهمية في العديد من المجتمعات،

فالتواصل كوسيلة تفاعلية اجتماعية، نفسية ووجدانية وعلائقية، له أهمية كبيرة وضرورية أثناء تبادل الأفراد كل ما يريدون إيصاله من أفكار عملية كانت أو وجدانية، أو أخبار أو أوامر. وفي هذا الصدد يرى ليلاند Leland Brown أن التواصل هو نقل والحصول على الحقائق والآراء والشعور.

* أستاذة محاضرة، دكتورة في علم النفس الاجتماعي قسم علم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية/ جامعة الجزائر. f_louiza@yahoo.fr

والاتجاهات والأحاسيس وكذا سبل الأداء والأفكار عن طريق الرموز من فرد لآخر (Leland Brown, j, 1976, p50). كما يعمل الاتصال على تقرب الأفراد من بعضهم البعض والمساهمة في تفادي المشاكل ذات البعد العلائقي، من سوء الفهم أو الأحكام المسبقة Les préjugés التي تؤثر على العلاقات والتعاملات بين الأفراد مهما كان سنهم ومكانتهم الاجتماعية والمهنية، وفي أي مكان يتواجدون فيه.

إن أهمية وظائف الاتصال لا تقتصر فقط على تبادل الحديث والأفكار بين الأفراد في الأماكن العامة، أو في البيئة الأسرية بحكم التواجد المستمر لأعضاء هذه الأسرة، بل يجد التواصل له مكانة وأهمية مرموقة في المؤسسات الاجتماعية المختلفة، ويتوقف نجاح المؤسسات في تحقيق أهدافها على مدى نجاح عمليات الاتصال، سواء في اكتشاف الحاجات أو توفير الخدمات أو تقويم تلك الخدمات (محمد سيد فهمي، ٢٠٠٦، ص ٢٦٩)، والمدرسة والجامعة كمؤسسات تعليمية بحاجة لطرق وسبل تواصل سليمة لأداء المهام المنوطة والمنظرة منها، وهذا لإنتاج رجال ونساء المستقبل لخدمة الوطن والرقى به، حيث تعتبر الجامعة معقل الفكر الإنساني في أرفع صورته ومستوياته (ضياء الدين زاهر، ٢٠٠٧، ص ٣٩٢)، وعليه، يعتبر الاتصال حجر الأساس الذي تبنى عليه العملية التعليمية في كل المهام التي تسعى المؤسسة للقيام بها، حيث يقدم المدرس المهارات والخبرات والمعلومات بالاستعانة بواسطة التواصل، والذي يأخذ تشعباً عديداً. تعمل بعضها على المساهمة في التلقين، كما تهدف الأخرى منها إلى المساهمة في خلق دافعية للتعليم والتعليم. وفي هذا الصدد وجد جلمان Gelman, 1996 أن نوع مستوى أداء الطلبة وانخفاض التوترات في القسم، ترتبط بنوع الجو العلائقي الذي يتصف به القسم من تفاعل وتبادل في الاتصالات اللفظية. وفي هذا الصدد تبين لبايلي Bailley, 1988 أن ثلثي عينة بحثه كانت تهتم بالتواصل داخل القسم أكثر من العوامل الأخرى.

إشكالية البحث

يعتبر القسم الذي يتلقى فيه التلاميذ أو الطلبة بمختلف مستوياتهم التعليمية من أهم الأماكن التي يتحصل فيها المتعلم على العلوم والمعرفة الواسعة. ونظراً لصعوبة بعض المواد المدرسة وتشعب بعضها، يصبح من الضرورة الملحة العمل على التأكد من إيصال المعلومة لهذا المتعلم حتى يتسنى له الفهم والاستيعاب الجيد للدروس. إذ يعتبر الاتصال من أهم الطرق لتمرير الرسائل التي تصدر عن المدرس، كأداة لتبادل الأفكار والحديث بين طرفي العملية التعليمية، إذ يتم من خلالها حسن التخاطب مع الآخر وكذا التأثير عليه وشده نحو الموضوع، والعمل على تشويقه وجلب انتباهه بدرجة كبيرة وفعالة.

وقد توصل محمد السيد فهمي في ٢٠٠٦ إلى أن الطلبة الأكثر اجتهداً هم الذين يتمتعون بشبكة اتصال أكثر ملائمة من تلك التي يقيمها الطلبة الأقل اجتهداً.

وأمام هذه الآراء المختلفة، يهدف البحث الحالي إلى التعرف على نوع الاتصال الجيد الذي يساعد على الأداء السليم للعملية التعليمية؟ وما هي الطرق الأكثر نجاعة في تقديم الدروس؟ وما هي العوامل التي بإمكانها التأثير سلباً على العملية التعليمية؟

تحديد المصطلحات

نتطرق لبعض التعريفات حتى يتسنى لنا فهم متغيرات البحث، وهي كما يلي:

- المفهوم النظري

- **الاتصال:** هو المشاركة في الحديث والرأي واتخاذ القرار وإيضاح وتبادل المشاعر والاتجاهات. (فتحي محمد أبو ناصر، ٢٠٠٨، ص ٧٣)
- **العملية التعليمية:** يقصد بها كل المهام التي يقوم بها المدرس داخل قاعة الدراسة لأداء عمليات التدريس بكل فروعها.

- المفهوم الإجرائي

أ- **التواصل:** يقصد به في هذا البحث، كل الطرق والأساليب التي يلجأ إليها المدرس أو الأستاذ أثناء تأدية مهامه في القسم من إلقاء الدروس وإعطاء المعلومة، وطريقة شرحه للدرس وأسلوب حديثه مع الطلبة ومدى اهتمامه بكل ما يجري في القسم من تفاعلات وردود أفعال... إلخ

ب - **العملية التعليمية:** وهي مهنة التدريس التي يقوم بها الأستاذ، والتي تشمل كل من التدريس والتعامل مع الطلبة، وطريقة التقييم والتشجيع... إلخ.

ج- **العملية التعليمية:** يدل المفهوم في هذا البحث على طريقة الأستاذ في إلقاء الدرس وتقديم المعلومة، وأسلوبه في الحديث مع الطلبة، وكذا طريقته في التعامل في كل ما يخص الرد عليهم وردود أفعالهم أسلوبه في النقد.

١ - مكونات التواصل

لا تتم عملية التواصل مهما كان نوعها أو المكان الذي تجرى فيه، إلا عن طريق تداخل بعض العناصر الأساسية، والضرورية، متمثلة في المرسل Emeteur والمستقبل Récepteur والرسالة Message والقناة Canal وكذلك التغذية الراجعة Feed-back. إن كثيراً من العاملين بحقل التعليم يجهلون الأهمية الكبيرة والضرورية لفائدة هذه العناصر

في التدريس، ويعود أصل هذا التجاهل أو الإهمال إلى القرن الفارط، حيث كان ينظر للتلاميذ بأنهم ليسوا طرفاً في العملية التعليمية، إذ كان ينظر لهم على أنهم يبصرون ويشاهدون فقط ما يجري داخل القسم أثناء التمدرس إذ لم تعطى له أهمية مع الرغم أنه هو الذي يتلقى ما يقدم من معلومة. ونظراً لأهمية هذا العنصر، نجد أحد التصنيفات التي ركزت على عامل القناة، حيث صنفها كما يلي:

قناة الأستاذ وقناة الطالب وقناة المحيط الدراسي

وهي تتمثل في العناصر المحركة للعملية التعليمية، في الواقع توجد عملية الإدراك التي تدخل في سيرورة التعلم والتعليم، وتلعب دوراً في عملية التلقي، وهنا تتدخل عدة أعضاء في الطالب المتلقي للرسالة كالحواس والتي تجمعها من المدرس ومن المحيط الخارجي وهي مرتبطة بعوامل فيزيقية ونفسية متداخلة فيما بينها لتقوم بترجمة الرسالة (Bloom, 1963, p25). فالتعليم يتطلب تداخل واشتراك عدة عناصر ذات صلة بكل من المدرس والطالب والظروف التي تتدخل في العملية التعليمية من أساليب التعلم والجاذبية للمادة والمدرس، وكذلك أساليب الأستاذ في التعامل مع الطلبة وردود أفعال هؤلاء. فالتواصل عملية ديناميكية، فهو ليس فقط تقديم الدرس، بل هناك آليات نفسية وتوجيهية وإرشادية وتفاعلية بين طرفي العملية التعليمية.

٢ - التواصل في العملية التعليمية

أنواع الاتصال: يتفرع الاتصال إلى عدة أنواع في التعليم كما هو عليه في باقي الميادين الأخرى، حيث يتميز كل نوع بخصائصه الوظيفية أثناء تأدية المدرس لمهامه التعليمية، إذ تختلف هذه الأنواع في أدائها كما هو آتي:

من حيث الأساليب: عند قيام المدرس بأداء مهامه، لا يستطيع التقيد بأسلوب واحد من الاتصال، ولهذا، يتوجب عليه الاختيار بين بعض الأنواع تبعاً للغرض التعليمي، وقد يلجأ إلى:

• **الاتصال المباشر:** يقصد بهذا النوع من الاتصال، السيولة في إرسال المعلومة وبطريقة موجهة نحو المستقبل مباشرة، حيث يلجأ الأستاذ لهذا النوع من الاتصال باتخاذ أساليب وطرق مباشرة، حيث يتم الاتصال والاحتكاك مع طلبته وجها لوجه، ويشترط عند القيام بهذه الطريقة أن يرافق المرسل حديثه بتعبير الوجه والإيماءات المختلفة، وكذلك حركات الأيدي. ويأتي الغرض من هذا النوع من الاتصال للتأكيد على المعلومة وكذلك العمل على تسهيل عملية الفهم والانتباه والاستيعاب. كما يتم من خلال هذه العملية الاحتكاك الإنساني أو الوجداني بين الطرفين، وهي من أكثر السبل تأثيراً على الفرد مهما كان سنه أو مركزه.

• **الاتصال غير المباشر:** يتمثل الاتصال غير المباشر في طرق الإيضاح التي يلجأ إليها المدرس، وتتمثل في الصور، الخرائط، الملصقات والمطبوعات. يلجأ المدرس إلى هذا الأسلوب حتى يكمل الطريقة الأولى ويضيف على الدرس روح حيوية، كما يساعد على الفهم الجيد للمعلومة المقدمة، هدف آخر تلعبه هذه الوسائل يتمثل في تبسيط الرسالة وإعطاء معنى ملموس للمعلومة المقدمة، حيث لا يتم النجاح في القيام بالعملية التعليمية، وخاصة في بعض المواد إلا إذا رافق المدرس رسالته بنماذج إيضاح منظمة ومفيدة لاستقبال المعلومة وفهمها بمستوى عالي.

• **الاتصال العمودي:** La Communication Verticale: تكون المعلومات والرسائل في هذا النوع في الشق الأول صادرة من الأعلى نحو الأسفل، حيث يقوم الأستاذ بإصدار المعلومة أو الأوامر أو التحذيرات إلى الطلبة، كما يطلب منهم بعض الأعمال دون أن يترك لهم وقت للأسئلة، ونجد هذا النوع في العديد من المواقف التعليمية، مما تدفع بالتفاعل إلى الرتبة والضغطات، حيث يشعر الطالب بأنه في حالة سيطرة وهيمنة من طرف الأستاذ. أما النوع الثاني، فهو الذي ينطلق من الطلبة نحو الأستاذ، ويتعلق الأمر بالاستفسارات والحوار البناء بينهم وبين الأستاذ، فيما يخص الدروس وأشياء أخرى تهمهم، فيشعر الطالب هنا باهتمام الأستاذ به وتقديره وكذا إعطائهم فرصة التعلم بطرق لينة.

• **الاتصال الأفقي:** La Communication Horizontale: يتميز هذا النوع بأنه يسير في اتجاه ذو مستوى واحد بين نفس الخصائص التي تجمع بعض الأفراد، ويتعلق الأمر في الميدان الدراسي، بالطلبة، حيث يتحدد الاتصال هنا بأنه ينظم الطلبة المتواجدين في نفس القسم، فيتقاسمون الاتصال فيما بينهم وبطريقة مستمرة، ويتمثل هذا الاتصال في الحديث العادي والاستفسارات وكذلك في بعض الفعال كالسلوك المشوش أو العنيف أو الاحتجاجي ضد الأستاذ، ويتميز هذا النوع بأنه يجمع مصلحة الطلبة المشتركة ويلتقي فيه في كل ما يخص اهتماماتهم وأهدافهم الخاصة. ويعتبر المدرس بصفة عامة أن هذا النوع من الاتصال كعنصر مشوش ومضاد لنظم المؤسسة التعليمية.

٣- من حيث الاتجاه

- **اتصال في اتجاه واحد:** هو أسلوب من التواصل يقوم به المدرس بهدف التمرکز في عملية الكلام واتخاذ القرارات وكذلك المنافسة وإعطاء الأوامر، حيث لا يسمح لطلبته بالمناقشة أو الاستفسار عن بعض الأمور داخل القسم، ويؤكد من خلال الطريقة على عدم

السماح للآخرين بالاعتراض، ويطلب منهم الإصغاء لا غير. إذ تثبت البحوث أن هذا النوع من الاتصال يعكر الجو الذي يتواجد فيه الطلبة، وبالتالي يتولد عنه التوترات والاختناق وكره المادة والمدرس الذي يقدم هذه المادة، كما يتبين أن مستوى الأداء لا يتطور وتعدم الدافعية للتمدرس والمشاركة في الدرس.

- **اتصال في اتجاهين:** يتم هذا النوع من الاتصال بين الطرفين في اتجاهين مختلفين من العملية التواصلية، حيث لا يقوم على تبادل المعلومة من المرسل إلى المستقبل، وفي نفس الوقت تعطى فرصة للمستقبل من المبادرة في الكلام وإبداء الآراء وما شابه ذلك، فالتواصل هنا عبارة عن نزول الآراء والأوامر، ومن جهة أخرى يكون صاعداً متمثلاً في طلب الاستفسارات وما شابه ذلك في القسم، حيث يعتبر كاملاً لكونه يتوفر على إيجابيات، يتم من خلاله التعبير عن الآراء والمناقشات، وبالتالي الحصول على التغذية الراجعة، وعليه، يعزز التفاعل بين كل الأطراف مما يولد جواً من التبادل المنظم والراحة النفسية واحترام الغير وأرائه. وفي هذا الصدد توصلنا سنة ٢٠٠٩ إلى أن القسم الذي يتسم الاتصال المتبادل بين طرفي العملية التعليمية ينخفض فيه العنف داخل المدرسة. وعليه، يدفع هذا النوع من الاتصال الطالب إلى الشعور بالانتماء إلى المدرسة ويبتعد عن الشعور بالاغتراب عن هذا المحيط المدرسي، ولهذا، إنه من الضروري مساعدة الطالب على الشعور بأنه ينتمي لمكان تجري فيه التفاعلات دون أدنى خوف أو شعور بالدونية. (Anne Van, 1992, p229).

٤- العلاقة التواصلية في التدريس

أما فيما يخص واقع العلاقة التواصلية القائمة بين المرسل والمستقبل في الوضعية التعليمية، فهي تتكون كما يلي:

- **مرسل إيجابي-مستقبل إيجابي:** يكون تبادل بينهما حيث يصبح المرسل مستقبل، والمستقبل مرسل. إذ يتسم الاتصال بالمحادثة المتبادلة، وفي مستوى واحد. فنجد أن الطالب متحفزاً للدرس والمناقشة.
- **مرسل إيجابي-مستقبل سلبي:** تتميز هذه الحالة لما يكون الطالب لا يهتم بالدروس، أو تكون لديه دافعية منخفضة، حيث يكون الاتصال هنا ذو اتجاه واحد، مما يؤدي بالمرسل إلى بذل مجهود أكثر للتأثير على المستقبل.
- **مرسل سلبي-مستقبل إيجابي:** نلاحظ في هذه الوضعية أن دور الأستاذ ينحصر فقط في طرح الأسئلة ولا يوجه، بينما يكون المستقبل (الطالب) يبحث عن المعلومات.

• **مرسل سلبي-مستقبل سلبي:** يكون التواصل هنا بدون أي هدف مسطر، ويتمثل الموقف في هذه الحالة في تدخل الطالب أثناء الدرس بشكل غير منظم حيث يتكلم ولا يكون في حديثه منطق أو ترابط مع الحوار القائم أو المقام. كما يتبين في هذا النوع من الاتصال، الأفكار المتضاربة التي يكون أحد أطراف العملية التعليمية التواصلية عن الآخر، فتميز التفاعلات بينهما بالفوضى وسوء التنظيم.

٥- الرسالة

تعتبر الرسالة من بين أهم مكونات الاتصال، حيث يتوقف عليها الفهم والتأويل وكل ما يتبعهما من عمليات فكرية وجدانية ونفسية من طرف المستقبل (الطالب)، وتعتبر المعلومة التي يقدمها الأستاذ، والمتمثلة في الدرس وكل ما يرتبط به من شرح وتقييم وعقاب ولوم، من أساسيات مهام الأستاذ. ويحدث أن يخطأ الأستاذ في استخدامه لهذه الرسالة، فينتج عنها توتر وفوضى وسوء فهم من طرف الطلبة، ويعتبر عامل كثافة الرسالة La Densité من بين العمليات التي تعيق سير عملية التواصل والعملية التعليمية بطريقة جيدة. قد يقدم المدرس أو الأستاذ معلومات كثيفة لكن بطريقة غير منظمة، مما ينتج عنها شعور الطالب بغموض وصعوبة، وبالتالي ينفر من هذا الدرس أو القيام بالفوضى، وفي هذا الصدد توصلت العديد من البحوث إلى النتائج السلبية التي تؤدي بالتلاميذ للعنف داخل الأقسام والمدارس، ونذكر من بينها بحوث كل من Paillet, 2005 وSarda التي توصلنا من خلالها إلى أنه بإمكان المدرس أن يضفي على الدرس طابع مشوق، يجلب من خلاله الطلبة ويتحكم في سلوكياتهم. فالتواصل في القسم يتأثر بطبيعة الرسالة وبشخصية الأستاذ، ومواقفه واتجاهاته نحو الطالب، والمدرسة والمهنة التي يقوم بها، وكذا طبيعة جماعة القسم وتكوين هذه الجماعة. فمردود العملية التعليمية تتوقف على العامل الكيفي والكمي للمعلومة، وقد اهتم وايتور Wittwer بهذا الموضوع حيث اتضح له أنه كلما اهتم المدرس بنوعية وكيفية استخدامه للتواصل، ساعد هذا على ارتفاع مستوى أداء التلاميذ وكذا حدد سلوكياتهم داخل القسم.

إن بمجرد التبسيط في إعطاء المعلومة والتحكم في كيفية إيصالها للطلاب، وجودة إيصالها والإفصاح عن انتظارات المدرس، لها دوراً هاماً في استقرار العملية التعليمية. (Marie Duru, 1992, p133). إذ يعتبر القسم بمثابة البيت، يتعايش فيه كل الطلبة باختلاف شخصياتهم وطباعهم، مما تدفع بالأستاذ للتعامل مع العديد من الوضعيات، حيث يعتبر المنشط L animateur لكل الأحداث التي بإمكانها أن تطرأ على جو القسم، وكل ما يتعلق به من اتصال وحوار وطرق بيداغوجية، من إعطاء الكلمة لطالب معين

والإصغاء بنوع من التبصر. فمن غير اتصال جيد يشعر الناس بأنهم وحيدون ومنعزلون، إذ بالاتصال الجيد يزداد تماسك الناس وتفاعلهم وتحقق أهدافهم. (عبد الباقي في ختام العناتي وآخرون، ٢٠٠٧، ص ١١).

٦ - فك الرموز Le Décodage

لا يستطيع التواصل مهما كان نوعه، الوصول إلى أهدافه ما لم تكن هناك عملية فك الرموز أو التشفير حيث تعتبر هذه المرحلة كقاموس للمستقبل، أي يتم من خلالها تفسير المعلومة وإعطائها المعنى الخاص بها ومدلول. لهذه المرحلة أهمية كبرى أثناء التواصل بين الأفراد، ففي القسم إذا ما أخطأ المدرس أو أحد أطراف العملية التعليمية في تفسير الرسالة، تترتب عنها مشاكل داخل القسم، وسوء التفاهم وصراعات وتوترات علائقية بين الأستاذ والطالب. أن الأسباب متعددة فقد يخطئ المدرس في إصدار حكم أو يسيئ استخدام لفظ ما، يقوم الطالب بتأويلها حسب أفكار أو خبرة سابقة قد كونها عن أستاذه، كما يحدث أن يفسر الطالب المعلومة بطريقة خاطئة لأنه لم يفهم المعنى أو اللفظ.

فالتشفير أو فك الرموز تتدخل فيها عمليات وآليات سيكولوجية ومعرفية مما تؤثر لا محالة على نظرة الطالب للآخر وتعمل على تدني انتباهه للدرس وانخفاض دافعيته للدراسة وخاصة إذا تعلق الأمر بطالب في الثانوية أو في الجامعة. فك الرموز إذا ما لم تكن في محلها أدت إلى تكوين صورة خاطئة عن الآخر (Owens, robert, 1981, p75). ولا تؤدي رسالة الدرس بطريقة جيدة إلا في حالة توفر مستويات متقاربة بين الأستاذ والطلبة. كما نجد في الوضعيات الميدانية في الأقسام مشكلة الترجمة التي يلجأ إليها الأستاذ في بعض الأحيان، فيضطر لإعطاء معنى للكلمة أو الفكرة، فيمنحها معنى لا يؤدي وظيفته، مما يخلق بعض التوترات داخل القسم لأن هنا يجد الطلبة صعوبة في عملية فك الرموز، كذلك يتولد عن سوء فك الرموز لصراعات وسلوكات سلبية من طرف الطلبة اتجاه الأستاذ، ويتعلق الأمر خاصة عند إصدار تعليق أو نقد من طرف الأستاذ في حق الطالب الذي قام بسلوك خاطئ أو الذي أعطى إجابة خاطئة، فيقوم هذا الطالب أو كل الطلبة بالتأويل L interprétation، والتي تدخل فيها عوامل تعليمية وفكرية وإدراكية وسيكولوجية وأحكام مسبقة Les Préjugés التي كان قد رسمها عن الأستاذ أو نظرة الأستاذ له أو اتجاه القسم الذي ينتمي إليه. وهذا ما يؤدي إلى ردود أفعال تنطلق من طبيعة هذا التأويل والتحريف، وقد تكون هذه الاستجابات سلبية سواء تعلق الأمر بالأستاذ أو المشاكل البيداغوجية، ومن هنا يصبح لزاماً ألا نفصل بين عملية إلقاء الدرس وسيرورة عملية التواصل في العملية التعليمية. وفي هذا الصدد تشير نتائج أبحاث كل من فاغو 1981 Fagot وكاهيل Cahill وأدمز 1997 Adams أن التلاميذ الذين يتعرضون لمشكلة الأحكام المسبقة من طرف أساتذتهم، يعبرون عن معتقداتهم من خلال صور

بينوها عن مؤسستهم التعليمية وعن مدرسيهم بشكل سلبي ويتميزون بتدني في دافعتهم للتعليم ويقومون بالتغيب المتكرر عن المدرسة وخاصة في حصة المدرس الذي يجدون معه صعوبة في التعامل.

٧- دور الاتصال في العملية التعليمية

لا نستطيع تصور قيام المدرس بمهامه البيداغوجية دون اللجوء للتواصل مع طلبته، حيث يجد الأستاذ نفسه بأشد الحاجة لاستخدام عدة أساليب من تقنية الاتصال.

- **التواصل من حيث هو تبادل:** بمجرد تواجد الأستاذ داخل قاعة التدريس تتطلب هذه الوضعية سلسلة من الحركات والحديث مع طلبته، مهما كانت طبيعة هذا الحديث، فعند إرسال الأستاذ (المرسل) المعلومة، فإنه يحدث أثراً في الطالب (المستقبل)، ويعتبر هذا الأثر كمنبه للطلاب، والذي سيتحول هو بدوره إلى مرسل، يترك فرصة أخرى للأستاذ ليصبح بدوره مستقبلاً لما يصدر من طرف الطالب.

إن هذا التناوب فيما يخص الحديث والحركات وردود الأفعال تكون تبادل وتفاعل بين الأطراف المكونة للقسم، وبالتالي تتكون عدة عمليات بينهم إذ يعدل الأستاذ بعض الأخطاء أو الهفوات، كما يوجه بعض السلوكات، ومن جهة أخرى تظهر بعض الاستجابات من طرف الطلبة فقد يرفض الطالب بعض تصرفات المدرس، كما قد يقتنع ببعض الآخر. و من هنا تتكون الاتجاهات والأفكار من كل الأطراف المتفاعلة، وعليه، تتحدد الحالة أو الوضعية التي تكتسي وتعطي صبغة خاصة للعملية التعليمية. إذ يرى هنس Luet أن آثار التواصل تتوقف على اتجاهات المتخاطبين نحو بعضهم مثل ما تتوقف على المعلومة والدلالة نفسها، حيث تتعلق هذه الاتجاهات بمستوى المتكلم والمخاطب على كل الأصعدة، علماً بأن عملية التعلم تشارك فيها العديد من العمليات والاستعدادات الفكرية، الوجدانية والشخصية والبيئية. كما تعكس طريقة التواصل شخصية واتجاهات الفرد نحو المستقبل، فالأستاذ الذي يستخدم أسلوب الليونة في تواصله مع طلبته يعمل على تشجيعهم للاهتمام بالدرس والتعاون معه في السير الحسن للتدريس، وقد تبين لكوبر Cooper 1987 أن التلاميذ يتفوقون أكثر، وتصدر عنهم سلوكات خالية من العنف عندما يتلقون الدروس من طرف مدرسات، عكس ما انضج له عندما يقوم المدرس (الذكر) بتدريسهم، كما تشير دراسته إلى أن السبب يرجع إلى طريقة كلام المدرسة، وتعاملها مع التلاميذ وأسلوبها في إعطاء المعلومة، فوجد أن هذا الأسلوب يدفع التلاميذ إلى المشاركة وكسب الثقة في النفس والتحرر من القيود والضغوطات فالتعامل الذي يضع الطالب في

وضعية الراحة النفسية والاطمئنان يخلق فيه دافعية للعمل وإثبات الذات وحب المنافسة. وقد تبين للباحث غروسمان Grossman, 1995 أن الطلبة الذين يتمتعون بطرق تواصل أثناء الدرس، يتمتعون بروح المنافسة والطاعة وإثبات الذات.

- **التواصل من حيث هو مكان للتفاعل الاجتماعي:** إن المؤسسة التعليمية، وبالأخص المكان الذي يجري فيه الدرس هو بمثابة خلية واحدة تشمل مجموعة من الأفراد تجمعهم أهداف واحدة وتنظمهم قوانين لخدمة كل الأطراف، ويتميزون بأنهم يحتلون نفس المكانة الاجتماعية بحكم المهمة التي أتوا من أجلها إلى هذا المكان. حيث يقضي أعضاء هذه الجماعة بمعية الأستاذ فترات طويلة لتحقيق غاية التمدرس. ولا تتم هذه الأخيرة إلا بتوفر بعض الشروط والآليات، فأثناء إلقاء الدرس يضطر الأستاذ للحديث مطولاً للشرح وتوضيح بعض الأمور التي يطلبها الطلبة، كما يتعين على الأستاذ توجيه طلبته والقيام بعملية التقويم، سواءً كان ذلك لفترات متقاربة أو أثناء الامتحانات فقط. وأثناء كل هذه العمليات والمهام التي يقوم بها الأستاذ، يلجأ إلى عملية التواصل، والذي يرافق بدوره بعملية التفاعلات الاجتماعية بدءاً بالتأثير المتبادل بين كل من المرسل، والمتمثل في الأستاذ، ثم المستقبل، والذي يتمثل في الطالب، حيث لا يمر يوم إلا وتظهر تفاعلات عديدة ومختلفة بين طرفي العملية التعليمية، وقد تكون هذه التفاعلات سلبية ومتوترة، كما قد يكون البعض منها سلبي والآخر إيجابي.

إن طبيعة هذه التفاعلات هي التي تحدد جو القسم، كما تساهم بدرجة كبيرة في الأداء التعليمي الخاص بكل من الطالب والأستاذ، كما قد تكون سبباً في الاحترام المتبادل بينهم أو في خلق جو من التوترات والصراعات، من جهة أخرى يدفع تذبذب العلاقات إلى كره الطالب للمادة المدرسة والأستاذ، فإذا شعر الطالب بأنه في جو ومكان يميزهما الاطمئنان والاحترام والاهتمام، أثر هذا على إدراكه ثم على اتجاهاته وعلى سلوكه نحو الأستاذ، وقد اهتم هارولد Harold Leavitt بعملية تأثير مختلف شبكات التواصل على أداء الجماعة، فوجد أن الوضعية التي يكون فيها الطالب تؤثر في سلوكاته ودرجة رضاه، وأدائه. فالتفاعلات والتبادل بين الأطراف تتأثر بالدلالات، فيستجيب لها الطلبة بدورهم من خلال عملية الإيحاء وما يدركونه من معاني وحركات (Subert, 2001, p36). كما توصل سكالفيك Skalvik 1990 إلى أن الطلاب الذين يتواجدون في قسم يتسم بالدينامكية والحيوية مع المدرس، كان لهم ميل كبير للتمدرس، وكانت لهم صورة إيجابية نحو مؤسساتهم التعليمية، حيث تكمن وظيفة الأستاذ في التخلي عن مكانه وعدم التحكم في النقاش بتصحيح الخطأ، وفي ترك التعليقات ومحاولات التأويل تتمحور وتتطور

(جاك فيجالوف، ٢٠٠٧، ص ٥٥). فكل كلمة أو معنى يصدر من طرف الأستاذ تترك آثاراً في نفس الطالب، سواءً كان ذلك إيجابياً يخدم الطالب، أو سلباً مؤثراً فيه. فإن نجاح الطالب ودافعيته لا ترتبط فقط بمجهوده، لكن يتأثر بإدراكه لنظرة المدرس له وطريقة تواصله معه والحكم على سلوكه واستجابته من طرف الأستاذ. (Marie. Duru, 1992, p132)

٨- معوقات التواصل

لا تخلو أية عملية من الاتصال من بعض العوامل التي تعيق السير الحسن لإرسال المعلومة وإعاققتها، وعدم إيضاح الرسالة، وتشويهاها، وبالتالي تمنع من الوصول إلى تحقيق الهدف من إرسال المعلومة. أما فيما يخص العملية التعليمية، هناك بعض العناصر التي تؤثر سلباً في الاتصال، ومنها من تتعلق بالمرسل - الأستاذ - ويتعلق الأمر بأساليبه في التحدث مع الغير كعدم استخدام معاني مفهومة لدى طلبته، أو عدم تفسيره وإيضاحه لما يقوله للطلبة، كما قد ترجع المعوقات إلى شخص الأستاذ، فإذا كان صعب المزاج أو يتصرف تبعاً للصورة التي كونها عن طلبته، وخاصة إذا كانت سلبية. كذلك إذا أهمل الأستاذ الطرف الآخر من العملية التعليمية، فهذا يلعب دوراً سلبياً في تحقيق أهدافه كأن يهمل طريقة الإدراك وكيفية تفسيرهم للأحداث والرسائل التي تصل إليهم، واللغة التي يتكلم بها المدرس وكل ما يرافقها من إشارات وإيماءات يؤثر سوء استخدامها على استجابة الطلبة ودافعتهم للتعلم والتعامل مع هذا الأستاذ. وينتهي الأمر في حالة عدم الاهتمام بهذه العناصر إلى انعدام توفر وظهور التغذية الراجعة، والتي تعتبر التقييم الذاتي الذي يقوم به الأستاذ نحو طريقته في التدريس والتعامل مع طلبته.

تلعب عوامل أخرى دوراً في التأثير السلبي على السير الجيد للتواصل، ومن بينها الظروف التي يمضي عليها الدرس، ومنها التوقيت الخاص بالدرس ودافعية المدرس للعمل واتسام العلاقات بين الطرفين بالتوتر والتباعد الوجداني، وكذلك عدم وجود الرجل المناسب في المكان المناسب.

وسنخلص بصفة عامة إن عملية التواصل تتأثر بشدة بالعراقيل التي تعترضها، ومما ينتج عنها مشاكل تعليمية وعلائقية وسلوكية، وقد يؤثر عدم الإقناع بالتصرف الصادر عن المدرس في طريقة التقييم على سبيل المثال أحد هذه العراقيل التي تعمل على التأثير السلبي على التواصل داخل الأقسام.

٩- شروط التواصل الجيد

إن القسم كمكان للتدريس، تجمع شبكة من العلاقات قائمة بين الأستاذ والطلبة، ليحدث التفاعل الاجتماعي L interaction Sociale، حيث تحدث فيه تبادلات فكرية،

وجدانية وسلوكية تعمل على تحفيز الطالب وتوجيهه، فالاتصال لا يقتصر على إيصال المعلومة بطريقة آلية، بل يتوقف على الاستخدام المتقن لعناصره بدءاً باختيار القناة ونوع الرسالة والتركيز على مسار التغذية الراجعة. حيث تكمن فائدة الاتصال الجيد في جعل المستقبل في وضعية مريحة ومندفعة للإصغاء والتشويق، إذ تتحكم بعض العوامل في هذا التشويق والجاذبية، فعل المربي أن يعي كل التغيرات الصوتية التي قد تصدر عنه بكيفية غير إرادية، لأن بعض الصعوبات التي تعترض فهم التلاميذ ترتبط بعدم إدراكه لتلك التغيرات، أو لأنه أضفى عليها دلالات خاصة مويرس، في (عبد الكريم، غريب، ٢٠٠٥، ص١٥٤). وعليه، يستحسن عند قيام الأستاذ بالدرس تقديم إيضاحات حول الفكرة التي ينوي من خلالها إرسال المعلومة، والتفكير في الأسلوب الذي يتخذه في التفاعل مع الطلبة، كالتساؤل هل يتكلم دون أن يترك الطلبة يتدخلون من خلال المقاطعة؟ أم هل يعطي لهم فرصة بعد أن ينتهي من الحديث؟ .. إلخ، وعليه أن يقدم الفكرة التي يقصد من خلالها ما يقوله، وأن يغير من الأسلوب إذا شعر بأن الطلبة لم يفهموا الفكرة، وقد وجد بان Jacques Pain ٢٠٠٥ أن سوء الاستخدام الأمثل للتواصل من طرف المدرس أدى في كثير من الحالات إلى نفور التلاميذ من المدرسة والقيام بسلوكات عنيفة في المدرسة. فأدنى حركة أو لفظ سيء استخدامه يؤثر على الطالب بشكل خطير مؤثر في ذلك على العملية التعليمية. فالصمت أو الإشارات وتعبيرات الوجه والإيماءات كلها يستخدمها المدرس أثناء تأديتهم لمهامه في القسم، ولها آثار قد تكون وخيمة على الطالب بالدرجة الأولى. حيث يرى كل من حنفي وأبو قحف ٢٠٠٢ أن الاتصال الجيد هو الذي يكون على شكل شبكة ترابط لكل أعضاء المنظمة يعظمهم ببعض، فبالتواصل يتحقق التماسك والتفاهم والاحترام والتعاون.

فالتواصل الجيد يتطلب التفكير في ما الذي سنقوله؟ ومن الشخص الذي سوف نتكلم معه؟ وكيف لنا أن نصله المعلومة؟ وبأي أثر؟ ولهذا الغرض، وصفت جمعية إدارة الأعمال الأمريكية AMA بعض الشروط للتواصل الجيد الخاصة بالعملية في كل الحالات، وهي تهتم الأساليب التي على المرسل التقيد بها. نذكرها فيما يلي باختصار:

١- حاول توضيح آرائك قبل الاتصال: ويقابلها، تهيئة الطلبة للدرس الجديد وحثهم على التحدث فيه قبل بداية الدرس، وهي طريقة تشويق تدفع الطلبة للمشاركة والفهم وحب التطلع على ما هو جديد،

٢- تحقق من هدفك الحقيقي في الاتصال: يجب على المدرس أن يحدد هدف ما يقوم به في اليوم ذاته، من درس؟ أو بحث؟ أو إيضاح؟ أو إعطاء عموميات،

٣- على المرسل اغتنام الفرصة للقيام بنقل شيء له فائدة أو قيمة للمستقبل: على المدرس أن يفيد الطلبة، سواء تعلق الأمر بدرس باحة أو بخبرة في الميدان يرى أنها ستفيد الطلبة في القسم أو خارجه.

٤- علينا أن نتعلم كيف ننصت: يتبين في هذه النقطة أن للإصغاء دوراً هاماً في التعليم، حيث عن طريقه يفهم المدرس الطلبة ويعترف على انشغالاتهم واهتماماتهم والنقاط التي يعانون منها،

٥- خلال الاتصال تذكر دوماً الظروف الطبيعية والإنسانية: على المدرس أن يتصل بالطلبة بطرق تتماشى مع الخصائص التي تتماشى معهم، دون أن يؤثر فيهم عن طريق حركات تقلقهم،

٦- احرص على نبرات صوتك خلال الاتصال كما تحرص على موضوع الاتصال: إن الأسلوب الذي يتحدث عن طريقه المدرس ونبرات الصوت والشدة هي مؤشرات تعطي معنى للنظرة أو الصورة التي يكونها المدرس اتجاه الطالب، وتؤكد مدى محبة أو ابتعاد المدرس عن الطالب.

يجب على القائم بالعملية التعليمية التمسك بهذه العناصر حتى يتحكم في مهامه، ويسير أفراد قسمه دون أن يتسبب في مشاكل تعليمي أو شخصية أو إدراكية، فأدنى خطأ يصدر عنه قد يؤدي إلى كره المادة أو الأستاذ أو المؤسسة التعليمية كلها، أو يلجأ الطالب لسلوكات عنيفة ضد الأستاذ. وقد لا يجادل أحد في أن ما يحدث داخل القسم من تبليغ للمعارف وغرس القيم والاتجاهات، وتثبيت للمهارات أو اكتسابها ليس سوى عمليات اتصالية (محمد ايت موحى، ٢٠٠٥، ص ١٤٦). إذ يشمل الاتصال كل ما يصدر من القائم بهذه العملية، حتى أفكاره تظهر من خلال ما ينطق به.. فالتواصل لا يمر فقط عبر الكلمات الملفوظة أو المنطوقة، وإنما ينبغي الانتباه إلى ما يحس به كل طرف من أطراف العملية التواصلية. (العربي، سليمان، ٢٠٠٥، ص ٣٧)

الجانب الميداني

طبقاً لخصائص الموضوع، لجأنا للكشف عن تساؤلات البحث على عينة من الطلبة في العلوم الإنسانية في الجامعة، وقد بلغ عددهم ٥٠ طالباً وطالبة. حيث استخدمت أداة الاستبيان لجمع المعطيات، وطبقت النسب المئوية لهذا الغرض.

كان السؤال كما يلي: أثناء تدرّسك -في قاعة التدريس-، ما هي الطرق والأساليب التي ترى أنها ضرورية ولا تجدها لدى الأستاذ عند قيامه بالتدريس. رتبها حسب الأهمية.

• بعد تفريغ الإجابات، كانت النتائج كالآتي:

- ١- ترك فرصة للطلاب للحديث ولإبداء آرائه.
- ٢- التقيد بفكرة واحدة أثناء الدرس، ثم لما ينتهي منها يقدم أفكار أخرى دون الخلط بينها.

- ٣- تقبل آراء الطالب وخاصة عندما يتعلق الأمر بالتنقيط في الامتحان.
- ٤- يجب على الأستاذ ألا يضيع الوقت في التحدث عن أشياء شخصية في حصة الدرس،
- ٥- على الأستاذ أن يواصل في التدريس لما يزعجه أحد أو يطلب منه استفساراً عن سوء تفاهم،
- ٦- على الأستاذ أن يقدم الدروس بمفاهيم ومعان مفهومة، غير غامضة عن الطلبة،
- ٧- ألا يستخدم التسلط في طريقة الحديث معنا أثناء الدرس.
- نظراً لطبيعة السؤال، الموجه لفئة الطلبة والذي تحدده التعليم، يتوجب علينا تحليل ومناقشة الأجوبة المستقاة من خلال محتوى أجوبة الاستبيان.

مناقشة النتائج

يتضح لنا من خلال إجابات الطلبة أن هناك بعض النقاط التي يرون أنها هامة، ولكن يفتقدونها الأستاذ أثناء قيامه بمهمته التعليمية. حيث تبين الإجابات أن عنصر حرية الآراء، لا تعطى لها أهمية هنا، وهو مرتبط بالاتصال ذو الاتجاه الواحد، إذ يركز عليها الأستاذ الجامعي ويهتم بتطبيقها كعنصر أساسي من مهامه التعليمية، فيحرم الطالب من الإدلاء بآرائه أو نقد ما يراه غير صائب فأصبح هذا السلوك كأنه موروث ثقافي أو معيار مكتسب توارثه معلم التعليم الابتدائي وكل المراحل الدراسية، فأضحى المدرس هو سيد الموقف ينتظر الطاعة المطلقة فقط من تلميذه.

من جهة أخرى يهتم الطلبة بمشكل عملية تشتت الأفكار لدى المدرس، ويعانون من هذا الفراغ والابتعاد عن صلب الموضوع، والذي يؤدي بدوره إلى عدة آليات سلبية، إذ يرجع السبب إما إلى عدم تحكم المدرس في المادة أو نقص في الدافعية للعمل، كما قد يرجع السبب إلى ضعف الضمير المهني واللامبالاة، مما يتولد عنها نقص في الجاذبية التي بإمكانها أن تحدث بين المدرس والتلاميذ أثناء أدائه لمهامه. وهذا يدل على عدم التحكم في طبيعة الرسالة، وهو مشكل كثافة الرسالة، أو نقص في كفاءة المدرس التعليمية، كما قد يرجع السبب إلى عدم تمكن المعلم من التحكم في المادة المدرسة أو افتقاده لأساليب تواصلية مشوقة. ففي بعض الأحيان لا يتقن المدرس طريقة إيصال المعلومة وكيفية ترتيبها وترتيبها حسب الأهمية والموقع، فيضطرب وبالتالي يرسلها دون ترتيب. كذلك يشكو الطلبة من مشكل اللغة والمصطلحات، حيث يرى أن الأستاذ لا يتقيد بطريقة منظمة يقدم من خلالها المفاهيم أو المصطلحات بأسلوب واضح ومتدرج من حيث الصعوبة، كأن لا يتفق معهم على قاعدة واحدة ومستمرة لتقديم الدرس من

حيث طبيعة وخاصة الوحدة المدرسة، ويعتبر هذا من أهم العراقيل المؤثرة على عملية التواصل، حيث لا يستطيع الطالب فهم المعلومة إن لم تكن لديه معاني ومفاهيم واضحة ومحددة متفق عليها مسبقاً. إذ يتعلق الأمر بأحد أسس العملية التعليمية مهما كانت طبيعة الدرس أو المستوى الدراسي أو التخصص. من بين المشاكل التي تواجه الطالبة، مشكل التقويم، إذ يعاني مجمل الطلبة من عدم حصولهم على العلامة التي كانوا ينتظرونها أثناء الامتحانات، إذ يعبر أغلبهم على أن الأستاذ غير عادل في التقطيط. إن المشكل قد يكمن في المستوى التعليمي الذي وصل إليه التلاميذ الجدد في العشرية الأخيرة والذين يتحصلون على شهادة البكالوريا بمستوى أدنى من مستويات التلاميذ من قبل. إذ يطمحون في نقاط على أساس تقطيط معلمو التعليم الثانوي أكثر تسامحاً معهم. كما قد يرجع السبب إلى ضعف دافعية الطلبة وعدم بذلهم للجهود المعتبرة أثناء الدراسة مما ينتج عنه ضعف في الإجابة، كما قد يعود السبب إلى طريقة سلوك الطلبة في حجرة الدرس، والتي قد تتسم بعدم احترام الأستاذ في الجامعة، مما يؤدي إلى مشاكل علائقية بين الأستاذ والطالب، وبالتالي ضعف الدافعية إلى التدريس والتدريس.

الخاتمة

يتبين لنا مما سبق ذكره ومن خلال نتائج الميدان، أن للتواصل أهمية كبيرة في العملية التعليمية، وأن هناك بعض العناصر قد تبدو بسيطة لكنها ذات أهمية ووظيفة كبيرة في التدريس مع كل المستويات التعليمية، كما يتضح أن التدريس لا يقتصر فقط على إعطاء المعلومة العلمية، لكن تتحكم فيه بعض العناصر التي تتحكم في نجاعة التواصل من التغذية الراجعة وطبيعة الرسالة وكذلك طريقة فك الرموز من طرف الطلبة، وأن هناك ارتباطاً واضحاً بين طريقة الأساليب الحركية والإيماءات التي يستعين بها الأستاذ خلال قيامه بمهامه في القسم. فقد يكون الأستاذ أو المدرس متحكماً في المادة المدرسة، لكنه إذا ما فشل في إيصال المعلومة أو في إقناع الطلبة أو بعث فيهم روح المشاركة والدافعية، عمل هذا على نقص في التمسك بما يقدم لهم من معلومات، كما يعمل التحكم في طرق الاتصال الجيد على تفادي الوقوع في التوترات والصراعات وكذا اللجوء إلى السلوكات السلبية من طرف الطلبة. لأن التدريس مهما كان سن أو مستوى التلاميذ، هو فن تظهر آثاره من خلال ما يحكم عليه المتلقي من آراء وردود أفعال أو استجابات، فطبيعة المتعلم وتكوينه الشخصي والفكري يتطلب من المدرس التفطن لهذه العناصر المكونة للتلميذ، ومن هنا يتوجب على الوسيلة التواصلية المستخدمة أثناء إلقاء الدرس أو التفاعل مع المتعلم، أن تشمل قواعد اتصالية متينة تحترم عوامل شخصية ووجدانية واتجاهات وأماني المتعلم. دون أن ننسى أثر طبيعة المادة المدرسة على حب أو نفور التلميذ منها ومن المدرس الذي يقوم بتدريسها، وخاصة إذا لم يحسن استخدام الأساليب التواصلية الجذابة والمقنعة.

إن سوء استخدام التواصل في الصف يؤدي إلى العديد من السلوكيات السلبية من طرف التلاميذ، وفي هذا الصدد، توصلت فرشان لويضة ٢٠٠٩ في بحث لها في الجزائر، حول أسباب العنف في المدارس، إلى أنه من بين العوامل الرئيسة التي تدفع بالتلميذ إلى التصرف بعنف، تمثلت في التفاعل السلبي بين المدرس والتلميذ، والتي تركزت كثيراً في الأسلوب الخشن المستخدم من طرف المدرس. نفس الحقائق توصلت إليها مجموعة من الأبحاث التي قام بها كل من بورديو وجاك لوبان في فرنسا حول العلاقة مدرس- تلميذ. إذ يلجأ الطالب لمثل هذا السلوك أو ردود الأفعال كنتيجة وتغذية راجعة لأسلوب وطريقة المدرس اتجاه طلبته، وهي رسالة له تعبر عن عدم رضاهم وسخطهم لما قدم إليهم أثناء الدرس من معلومات أو أسلوب خاطئ.

المراجع

أولاً: المراجع باللغة العربية

- ١ - العربي، سليمان، رشيد، الخديمي، (٢٠٠٥)، قضايا تربوية، ورهان جودة التربية والتكوين، مقاربات سيكويديداغوجية وديداكتيكية، منشورات عالم التربية، الدار البيضاء/ المغرب.
- ٢ - جاك، فيجالوف، تيريز نولت، (ب، ت)، ترجمة غريب، عبد الكريم، مفتاح، عبد الهادي، (٢٠٠٧)، تدبير الفصل الدراسي، مقاربات بيديداغوجية وديداكتيكية في بناء الكفايات، منشورات عالم التربية، الدار البيضاء/ المغرب.
- ٣- ختام، الغناتي، علي، العياصرة، (٢٠٠٧)، الاتصال المؤسساتي في الفكر التربوي، بين النظرية والتطبيق، ط١، دار الحامد للنشر والتوزيع/الأردن.
- ٤ - فتحي، محمد، أبو ناصر، (٢٠٠٨)، مدخل إلى الإدارة التربوية، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة/الأردن.
- ٥- محمد، آيت موحى، (٢٠٠٥)، ديناميكية الجماعة التربوية، دراسة في التواصل والأداء والقيادة والمعايير داخل جماعة القسم، منشورات عالم التربية، الدار البيضاء/المغرب.
- ٦- محمد، سيد، فهمي، (٢٠٠٦)، فن الاتصال في الخدمة الاجتماعية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر/ مصر.
- ٧ - موريس، دوبيس، كاستون، ميلاري، علم النفس التربوي، ترجمة: غريب عبد الكريم، (٢٠٠٥)، منشورات عالم التربية، الدار البيضاء/ المغرب.
- ٨- ضياء الدين، زاهر، (٢٠٠٧)، مستقبل التعليم الجامعي العربي، رؤى تنموية، الجزء الأول، دار الضيافة. القاهرة/ مصر.

ثانياً: المراجع باللغة الأجنبية

- 9- Anne Van Haeht. (1992). L'école à L'épreuve De La Sociologie, Question à La Sociologie De L'éducation. De Boeck Université.
- 10- Bloom ;S. (1963). Testing cognitive and achievement. In: Gage. Hand book of research on teaching. Chicago. Rand N C Nelly.
- 11- Leland. Brown, J. (1976). Educational Management. Prentice-Hall. I. N. C.
- 12- Marie-Duru Bellat. (1992). Sociologie De L'école. Armand Colin. Editeur. Paris. France.
- 13- Owens, Robert, K. (1981). Organizational Behaviour In Education. Prentice-Hall. Inc. N. J.
- 14 - Subert. G. (2001). La Violence Dans Les Ecoles. Edition Odile. Jacob.

الأساليب التنشئية للأسرة في ظل الأمثال الشعبية

أ.د. الفضيل رتيمي* - دة. لطيفة طبال
أة. أسماء رتيمي



التنشئة والعلاقات الأسرية

إن التنشئة الاجتماعية عملية يخضع لها الفرد بغرض الاندماج في جماعة اجتماعية وتكيفه حسب قيم ومعايير مجتمعه، وباعتبار أن الأسرة هي الوسط الأول الذي يعيش فيه الفرد فيوكل إليها الدور الوظيفي لعملية التنشئة فتعمل على غرس قيم الجماعة ومعايير المجتمع لأفرادها، فهي كذلك (أي الأسرة)

الأسرة هي أهم وسط للتنشئة الاجتماعية باعتبارها مؤسسة اجتماعية هامة حيث تلعب الدور الأساسي في تعليم الطفل القيم والاتجاهات وأنماط السلوك المرغوبة كما تقوم بنقل التراث الثقافي إلى الطفل والخبرة التعليمية من خلال التفاعل بين الآباء والأبناء وتوزيع مكانات وأدوار الأفراد داخل الأسرة، والجدير بالذكر أن كل أسرة يمكن أن تستمد تنشئة أبنائها من مجموعة القواعد والأحكام الاجتماعية التي تتماشى مع ثقافة المجتمع، كما تحتاج الأسرة للقيام بتنشئة أبنائها تنشئة سليمة إلى كثير من المقومات التي تساعد على توفير بيئة خالية من التوتر والاضطراب

وهناك عوامل عديدة يمكن أن تؤثر بشكل أو بآخر على حياة الأفراد تفاعلاتهم اليومية وعلى التنشئة داخل الأسرة الجزائية.

* أستاذ التعليم العالي بجامعة البليدة، قسم علم الاجتماع والديموغرافيا، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ولاية البليدة/ الجزائر. retimi59@yahoo.fr

تتكيف حسب المرحلة الزمنية التي تكون فيها وهذا ما يتضح بالنسبة للأسرة الجزائرية التي عاشت الفترة الاستعمارية فقد اختلف نموذج تنشئتها لأفرادها مقارنة مع دورها في فترة الاستقلال وما بعده.

فالشكل الأسري الذي كان سائداً هو العائلة المسماة بالتقليدية، ويمكن أن نعتبرها عائلة متسلطة مركزية ومبنية على وحدة المصالح الاقتصادية والتضامن والتكامل⁽¹⁾ ويعتبر الفرد فاقداً لاستقلاله نظراً للنظام الذي تخضع له، أضف إلى تحمله مسؤولية الأفراد الآخرين وهذا بحكم الثقافة السائدة في المجتمع.

وتعمل الأسرة على توزيع الأدوار وتوفير كل احتياجات الفرد منذ صغره للعب الدور الذي سيؤدي به في المجتمع.

وتعلمه على الحفاظ على النظام القائم، فالفرد لا يستطيع تحقيق ذاته بإرادته الخاصة وإنما بإرادة المجتمع الذي هو عضو فيه⁽²⁾ فهو عضو في جماعة أكثر منه فرداً مستقلاً عن إطار العائلة وهذا حفاظاً على المصالح الاقتصادية والقيم العائلية بصفة خاصة.

فكانت التنشئة في الأسرة الجزائرية تمتاز بالصرامة والهدف منها تكوين حسب أعراف وقواعد ومبادئ إسلامية حتى يكتمل نموه ليقوم بالدور المنوط به وترسيخ القيم الاجتماعية مثل المروءة والكرامة والرجولة والاحترام وتلقيه أصول اللغة والدين وحب الوطن وكراهية المستعمر وعدم الخضوع له مهما كانت الظروف⁽³⁾، وباندلاع الثورة التحريرية سنة ١٩٥٤ ترسخت قيم مثل الأخوة والتضامن والحرية والحركة والخونة والاستقلال كلها قيم أريد لها أن تكون منذ البداية في نفوس الأفراد من خلال التنشئة حتى يدركوا خطورة المرحلة والوجه البشع للاستعمار والعمل على تحرير الوطن والاستقلال ونلاحظ أن قيم التعاون والتضامن والأخوة والوطن برزت بقوة في الفترة الاستعمارية عن الأسرة الجزائرية.

(1) Boutefnouchet (M) la famille Algérienne son évolution et ses caractéristiques récentes Alger sned 1982 pp 36-37.

(2) رابع درواش. العائلة الجزائرية وآليات تكيفها مع التغير الاجتماعي: دراسة ميدانية لعينة من ولايات الجزائر، رسالة دكتوراة الدولة، ٢٠٠٤-٢٠٠٥، ص ٤٢٦.

(3) Bennabi (M) le problème des idées dans le monde musulman el bayyinate Alger 1990. p29.

بينت بعض الدراسات أن بنية المجتمع الأبوي يشكل منطق الوجود الاجتماعي ونسيجه وذلك بما تنطوي عليه هذه البنية الأبوية من تسلط العقل الواحد، والرأي الواحد في إطار المجتمع والدولة والأسرة^(٤).

التسلط التربوي

تشير أغلب الدراسات العربية الجارية في ميدان التنشئة الاجتماعية إلى شيوع أنماط التنشئة المتسلطة المحافظة والتي تسعى إلى بناء شخصيات مطوعة تميل إلى الإذعان والتبعية ينعدم فيها الحوار والنقد والمناقشة والإبداع.

فالتسلط يؤدي إلى ضعف الثقة بالنفس وفقدان القدرة على ممارسة الأدوار الإيجابية وميل كبير إلى الخضوع والاستكانة لكل أشكال السلطة وفقد المبادرة الذاتية والعمل التلقائي^(٥) فالقمع والتسلط يسود ثقافة المجتمع الجزائري كما يذهب محمد فنبر فالصفح والضرب أسلوب اجتماعي شائع ومألوف في حياتنا مما يؤدي إلى مظاهر الإحساس بالدونية وفقدان مشاعر احترام الذات. فالحاكم يضرب المحكوم والغني يضرب الفقير، والقوي يضرب الضعيف والكبير يضرب الصغير، والرجل يضرب المرأة والمعلم يضرب التلميذ والأب يضرب الابن وهكذا نضرب أنفسنا بأنفسنا ونستمر في الضرب فنتربى عليه^(٦).

العوامل المؤثرة في التنشئة الاجتماعية

يمكن تحديد العوامل الأسرية المؤثرة في التنشئة الاجتماعية للفرد على النحو التالي:

أولاً: اتجاهات الوالدين

تتأثر عملية التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة باتجاهات الوالدين والأساليب التي يتبعها في تقويم سلوكيات أبنائهم منها ما يلي:

(٤) عبد الرزاق عرابي، المثقف العربي المحنة الدائمة، دراسة في نشأة المثقف العربي وسوسيولوجية المستقبل العربي، عدد ١٩٦، يوليو ١٩٩٥، ص ٤٢.

(٥) كافيّة رمضان، أنماط التنشئة الأسرية في المجتمع العربي، حوليات كلية التربية في جامعة قطر، العدد السابع، ١٩٩٠، ص ٦٨.

(٦) محمد قنبر، التربية وترقية المجتمع مركز ابن خلدون، دار سعاد الصباح الكويت، ١٩٩٢، ص ١٣٦.

١- الحماية الزائدة: وهذا الأسلوب نجده كثيراً داخل الأسرة الجزائرية، فنجد كثير من الآباء يسلكون هذا الأسلوب فيقومون بالحماية الزائدة للطفل وتدليله بصورة مبالغ فيها وتوفير له كل طلباته بعقلانية أو دون عقلانية والخوف عليه من العلاقات الخارجية، كلها تسلب رغبة الطفل في التحرر والاستقلال حيث يتدخل الوالدين في شؤونه باستمرار ويقومون نيابة عنه بالواجبات، ومن ثم لا تتاح له فرصة اختيار أنشطته المختلفة بنفسه وبالتالي يجد صعوبة في تحمله المسؤولية في مستقبل حياته مما يؤثر في مركز الضبط لديه^(٧).

كما نجد بعض الأمهات يبالغن في هذه الحماية لحد إظهار الطفل بمظهر المتمفوق فإذا سئل عن شيء ما تجيب الأم بالنيابة عنه لشعورها بإبرازه بمظهر الذكي^(٨) وهذا يعود بالسلب على الطفل فيجعل منه فاقداً لروح المبادرة كما ينشأ في الغالب كثير الاعتماد على الغير قليل الاعتماد على نفسه ويتسم بالغيرة والعناد والتحدي للكبار وللصغار^(٩) وهذا الأسلوب يؤدي إلى إعاقة النمو الاجتماعي للطفل فالأم مثلاً لا تريد لابنها أن ينمو ويتجاوز مرحلة الطفولة ويستقل عنها^(١٠) فيؤثر هذا النمط على سلوك الأطفال والذي يتمثل في ضبط ذاتي ضعيف^(١١) كما تؤدي الحماية الزائدة إلى الإضرار بعلاقة الطفل بأصدقائه وتؤدي إلى تعويد الطفل على التفكير مكانه في إيجاد الحلول لمشاكله وقضاياها فيتعلم التواكل. فحب الأم لأبنائها بكل ما يتميز من حرارة عاطفية يغلب عليه الطابع التملكي حيث تفرض الأم هيمنتها العاطفية على أطفالها فتشل في نفوسهم كل رغبات الاستقلال وتحيطهم بعالم من الخرافات والغيبيات والمخاوف فينشأ الطفل انفعالياً جزافياً عاجزاً عن التصدي للواقع من خلال الحس النقدي والتفكير العقلاني^(١٢).

فتعمل التنشئة في غالب الأحيان في المجتمع الجزائري على غرس فكرة الإتكالية التي تتحول مستقبلاً إلى مبدأ يتعامل به الناس في شكل المحسوبة، الزبونية، المحاباة... والتي تظهر بوضوح في بعض القيم الاجتماعية التي تشر بها الأفراد وتظهر باستمرار في

(٧) لطيفة طبال، مرجع سبق ذكره، ص ٩٩.

(٨) محمد أيوب شحيمي، مرجع سبق ذكره، ص ١٠٧.

(٩) نفس المرجع، ص ١٠٤.

(١٠) محمود حسن، الأسرة ومشكلاتها، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٦، ص ٢٧٧.

(١١) الريماوي محمد عودة في علم النفس الطفل، دار زهران للنشر والتوزيع ط ٢، عمان، ١٩٩٢، ص ٢٦.

(١٢) مصطفى مجازي، التخلف الاجتماعي، بسلوكولوجية الإنسان المقهور، معهد الإنماء العربي، ط ٥، بيروت، ١٩٨٧، ص ٨٢.

سلوكهم اليومي^(١٣)، والواقع خير شاهد على كثير من السلوكيات والقيم التي أصبحت شائعة، وفي هذا المجال يقول (ابن مسكويه) ... إبعاد الأطفال من حين إلى حين عن محيط الأسرة أي المحيط الذي يجدون فيه عادة كثيرا من العطف والتزعم إلى محيط آخر يشعرون فيه بشيء من الجفاء والخشونة وعدم التوكل والاعتماد على الأهل...^(١٤).

٢- الإهمال: ويتمثل في اللامبالاة بنظافة الطفل أو عدم إشباع حاجاته الضرورية والفيزيولوجية والنفسية وعدم إثابته وتشجيعه عندما ينجز عملاً، وقد بينت العديد من الدراسات خاصة في علم الاجتماع التربوي أن الابن الذي يتحصل على نتائج جيدة وتقابل هذه النتائج من طرف الأولياء بنوع من اللامبالاة دون شكر أو تشجيع تولد لديه نوع من السخط والغضب وتدفعه إلى إهمال دروسه وتكون النتائج عكسية وتقهقر في تحصيله ونفس الشيء عندما يتحصل الابن على نتائج ضعيفة والأولياء لا يعطونها أدنى ملاحظة، فهذا يزيد في تدهور تحصيل الابن فهو يشعر بأن الدراسة غير مهمة وأنها لو كانت كذلك لما قابل الأولياء نتائجها بتلك الكيفية^(١٥).

فتمثل الإهمال إذن من عدم التوجيه والضبط والإشراف لذا يلقي في البيت سوء انتباه وعناية قليلة ومثل هذا الإهمال منتشر بكثرة داخل الأسرة الجزائرية والذي يفقد الطفل الإحساس بمكانته عند أسرته ويفقد الإحساس بحبهم له وانتمائه إليهم، كما ينعكس سلباً على شخصيته وعلى تكيفه وعلى نموه النفسي والاجتماعي، فغالبا ما يترتب على هذا الاتجاه شخصية قلقة مترددة، تتخبط في سلوكها بلا قواعد أو حدود فاصلة واضحة وغالبا ما يحاول أن ينضم إلى جماعة يجد فيها مكانته ويجد فيها العطاء والحب والذي حرم منه في أسرته فيلقى التشجيع من طرف جماعته على أي عمل يقوم به حتى ولو كان مخرباً.

لأنه لم يعرف في صغره الحدود الفاصلة بين حقوقه وواجباته بالإضافة إلى أنه متسبب في عمله ولا يحترم حقوق الغير، فاقدر للحساسية الاجتماعية فيسهل عليه الاعتداء والسرقة والتشرد والكذب والقسوة ومخالفة القوانين والنظم التي يجب أن تحكم الفرد الذي ينتمي لمجتمع له أنظمة وقوانين يجب أن يحترمها لكنه لا يستطيع ذلك^(١٦).

(١٣) الفضيل رتيمي، التنشئة الاجتماعية وإشكالية العقلانية داخل المنظمة الصناعية، دراسة ميدانية بمجمع صيدال المدينة، أطروحة دكتوراة الدولة جامعة الجزائر ٢٠٠٤-٢٠٠٥، ص ٧٢.

(١٤) جمال معتوق، صفحات مشرقة من الفكر التربوي عند المسلمين، الكتاب الأول، ط١، الجزائر، ٢٠٠٤، ص ٨٠.

(١٥) جمال معتوق، صفحات مشرقة من الفكر التربوي عند المسلمين، مرجع سبق ذكره، ص ٩٣.

(١٦) هدى محمد قناوي، الطفل تنشئته وحاجاته، مكتبة انجلو مصرية، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ٨٠.

٣- أسلوب القسوة والتسلط: ويعني المنع والرفض لرغبات الطفل ومنعه القيام بما يرغب فيه والصرامة والقسوة في معاملة الأطفال وتحميلهم مهام ومسؤوليات فوق طاقتهم وتحديد طريقة أكلهم ونومهم ودراساتهم ومعاقبتهم عند قيام الطفل بسلوكات خاطئة لا ترضي الآباء وتشعرهم بالاستياء وعدم الرضا والضرب البدني والتعبير اللفظي كالشتم والإهانة والحرمان العاطفي والمادي وأحيانا الطرد من البيت، وهذا الأسلوب متداول كثيرا داخل الأسرة الجزائرية حيث يميل الوالدان للسيطرة وفرض معايير السلوك التقليدية باستخدام السلطة^(١٧).

وعندما يخطأ الطفل لأول مرة يواجه بالسب واللعن والضرب وغيرها من الممارسات الأخرى وهذا ما يزيد من إصرار الطفل الذي أخطأ على السلوك المنحرف، وهناك بعض الآباء يسعون لنفض أبنائهم أمام الملأ لارتكابهم أدنى خطأ ولو كان للمرة الأولى^(١٨).

وإن كانت المعاقبة تعمل على تقليص سلوك غير مرغوب فيه فإنها في حد ذاتها لا تحفز الطفل على تحسين سلوكه^(١٩).

فالشتم أو إثارة الألم النفسي يؤدي بالأطفال بالشعور بالذنب، وتأنيبهم وتحفيزهم والتقليل من شأنهم باستعمال ألفاظا تؤثر فيهم وقد يسلكون نفس الأسلوب الذي شتموا به، كما يؤدي كثرة العقاب البدني والضرب إلى عدم الثقة بالنفس وينشأ الطفل في جو مشحون بالعنف كما يؤثر على شخصيته مستقبلا ويؤثر على تحصيله الدراسي.

كما يؤدي كثرة العقاب إلى الشعور بالنقص والارتباك وهذا ما نلاحظه مثلا في مدارسنا لما المعلم بضرب التلاميذ أمام الآخرين فيحس بشعور النقص ويخجل أمام أصدقائه ويرتبك أمام المعلم إذا طلب منه الإجابة على الأسئلة. كما يسهل انقياد الطفل من قبل رفاق السوء، كما يوجد بين منحرفي الأحداث كثير من الأطفال الذين جاؤوا من أسر مستبدة^(٢٠)، وقد أكدت كثير من الدراسات على آثار الأسلوب التسلطي على الأبناء وقد توصلت دراسة (بلودين) «أن الأطفال الذين يأتون من بيوت متسلطة ميالون لأن يكون هادئين، غير هجوميين اجتماعيا محدودي الفضول، قليلي الأصالة وضعاف الخيال»^(٢١).

(١٧) خيري خليل الجميلي، الإتصال ووسائله في المجتمع الحديث، المكتب العلمي للكمبيوتر والنشر والتوزيع، مصر، ١٩٩٦، ص ٤٥.

(١٨) جمال معتوق، صفحات مشرقة، مرجع سبق ذكره، ص ٩٣.

(19) Fitz Huch Dedson, aimer sans tout permettre, Marabout, paris, 1983, p47.

(٢٠) محمد مصطفى زيدان، النمو النفسي للطفل والمراهق ونظريات الشخصية، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، جدة، ٣، ١٩٩٠، ص ١١٧.

(٢١) محي الدين مختار، محاضرات في علم النفس الاجتماعي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٢، ص ١٥١.

فالتسلط يؤدي إلى عدم القدرة على ممارسة الأدوار الإيجابية وميل كبير إلى الخضوع والاستكانة لكل أشكال السلطة ومن فقدان المبادرة الذاتية والعمل التلقائي^(٢٣)، وهنا نشهد أن الثقافة السائدة في المجتمع تتسم بالطابع القمعي والتحكم، وحتى أن القهر أصبح سمة سياسية سلوكية في المجتمع، وحتى في نظام الحكم والإدارة وفي الحياة الاجتماعية والأسرة والمدرسة^(٢٤).

وبينت بعض الدراسات أن بنية المجتمع الجزائري هي بنية أبوية (بطرياقية) وما ينطوي عليها من تسلط العقل الواحد والرأي الواحد في إطار المجتمع والدولة والأسرة^(٢٥).

٤- أسلوب التفرقة: كثيراً ما يلجأ الآباء إلى التفرقة بين الأبناء في المعاملة وعدم المساواة بينهم بسبب الجنس أو السن أو ترتيب الولد أو لأي سبب آخر وهذه التفرقة قد تترتب عليها تكوين شخصيات مليئة بالغيرة، فترتيب الولد في أسرته عامل مهم في التنشئة بحيث يظهر الولد الأول بأكثر نسبة من الاهتمام والتشجيع من طرف الآباء وتحفيز طموحه ويليه في ذلك الابن الأصغر، أما الذين يتوزعون في غير ذلك فهم يتأرجحون بين الاعتدال والإحباط في إثارة الأهل^(٢٥).

فيمنح الابن الأكبر امتيازات أكبر من إخوته خاصة بعد عجز الوالد أو حدوث مكروه أو موته، فالسلطة الثانية هي الابن الأكبر ونجد هذا داخل الأسرة الجزائرية وتظل هذه النظرة قائمة حتى بعد ولادة أطفال آخرين، بالأخص بالنسبة للأم حيث يقول في هذا هشام شرابي: «هو عالم أمه الأكبر ودليل قيمتها كأمراة وضمان لحياتها المستقبلية...»⁽²⁶⁾، فالطفل الأكبر يتلقى اهتمام الوالدين وهذا ما يدفعه إلى أن يحتل مكانة عالية، وقد يتحمل المسؤولية من الصغر، وأما فيما يخص الابن الأوسط يحتل المرتبة الثانية وهي معاملة والديه لأنه يأتي خلفه حتى في ارتداء الملابس حيث نجده غالباً ما يرتدي ملابس أخيه القديمة كما يتلقى عدة موانع هي مسموحة بالنسبة للأخ الأكبر، فالابن الأوسط كثيراً

(٢٢) كافي رمضان، أنماط التنشئة الأسرية في المجتمع العربي، حويليات كلية التربية في جامعة قطر، العدد السابع، ١٩٩٠، ص ٦٨.

(٢٣) محمد نبيل نوفل، دراسات في الفكر التربوي المعاصر، مكتبة الأبلو مصرية، القاهرة، ١٩٨٦، ص ٥٢.

(٢٤) عبد الرزاق عرابي، المثقف العربي المحنة الدائمة، دراسة في نشأة المثقف العربي وسوسولوجية المستقبل العربي عدد ١٩٦، ص ٨٦.

(٢٥) جليل وديع شكور، تأثير الأهل في مستقبل أبنائهم على صعيد التوجيه المهني، دراسة ميدانية، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت-لبنان دون سنة، ص ٩٥.

(٢٦) هشام شرابي، مقدمات لدراسة المجتمع العربي، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٣، ١٩٨٤، ص ٣٠.

ما يؤدي به إلى اللامبالاة، فينصرف نحو إقامة العديد من العلاقات الاجتماعية بعيداً عن العلاقات الأسرية، بحيث يرى... (بنجامين سيروك) أنه قد يميل الأوسط إلى إقامة علاقة اجتماعية خارج نطاق الأسري وبيتعد عن الصراع والمنافسة والغيرة^(٢٧).

أما مركز الابن الأخير يولي اهتماماً خاصاً اتجاه والديه وتنشئة تختلف عن بقية الإخوة لأن علاقته هنا يغلب عليها عاطفة الخوف فلا يسمح له القيام بمعظم الأعمال، فهم بهذا ينظرون إليه أنه دائماً صغير ويعملون على إطالة مدة طفولته وهذا يجعل منه في مرحلة المراهقة شخصية اتكالية مدللة، صعبة التكيف مع الواقع الاجتماعي، أنانية تعودت أن تأخذ دون أن تعطي، تحب أن تستحوذ على كل شيء لنفسها شخصية تعرف حقوقها ولا تعرف واجباتها^(٢٨) كما تعتبر التنشئة في الأسرة الجزائرية من ناحية تخصيص أدوار للذكور وأخرى للإناث واحدة من أهم التجارب التعليمية للطفل الصغير.

اتجاه التذبذب: ونجده كثيراً داخل الأسرة الجزائرية والذي يتضمن التقلب في معاملة الطفل بين اللين والشدّة وهذا يعني أن سلوكاً معيناً يثاب عليه الطفل مرة ويعاقب عليه مرة أخرى كذلك قد يتضمن هذا الاتجاه حيرة الأم نفسها إزاء بعض ما يمكن أن يصدر عن الطفل من سلوك، بحيث لا تدري متى تثيب الطفل ومتى تعاقبه. كما يتضمن هذا الاتجاه التباعد بين اتجاه كل من الأب والأم في تنشئة الطفل وتطبيعته اجتماعياً.^(٢٩)

فالوالدين قد يمدحان سلوك الطفل في موقف ويذمان السلوك نفسه في موقف آخر بحيث لا يستطيع الطفل التمييز لما امتدح على هذا السلوك مرة وعوقب على السلوك نفسه مرة أخرى وقد يكون هذا التذبذب نتيجة اختلاف الأب والأم في معاملة الطفل فالأم تعامل طفلها بحنان والأب يعامله بالقسوة والشدّة، والعقاب دون مراعاة الآثار السيئة لمثل هذا الاختلاف في المعاملة من الأم والأب على شخصية الطفل فتصبح دائم القلق غير مستقر، ويترتب على شخصية متقلبة ومتذبذبة^(٣٠) كما يترتب على هذا الاتجاه شخصية ازدواجية منقسمة على نفسها وقد يكون مع أسرته بخيلاً، دائم الغضب ولكنه مع أصدقائه شخص آخر كريم متسامح، ضاحك مبتسم... إلخ. وهو مع رئيسه في العمل متملق وناعم

(٢٧) سيروك بنجامين، حديث إلى الأمهات، مشاكل الآباء في تربية الأبناء المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، بدون تاريخ، ص ٤٥٩.

(٢٨) هدى محمد قناوي، الطفل تنشئته وحاجاته، مكتبة انجلو مصرية، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ٨٦.

(٢٩) هدى محمد قناوي، نفس المرجع، ص ٢٥٠.

(٣٠) هدى محمد قناوي، مرجع سبق ذكره، ص ٨٤.

في حين أنه مع مرؤوسه قاسي وخشن وقد يكون مع أبنائه يفضل جنساً على جنس وغالباً ما يكون هذا التفضيل في جانب الجنس الذي منحه الحب والحنان في طفولته (الأب، أم الأم)، ثم هو على النقيض من ذلك مع أبنائه من الجنس الذي حرمة الحب والحنان... إلخ. وهكذا يظل التذبذب والازدواجية سمة مميزة لهذه الشخصية^(٢١).

٥- الأسلوب الديمقراطي: هذا الأسلوب وإن كان متداولاً إلا أنه قليل وهو أسلوب الحوار بين الوالدين وبين الأبناء وبين الأبناء أنفسهم يتمثل هذا في مناقشة قضايا تهم الأسرة وقضايا تهم الأبناء حسب السن ومرحلة النمو والتسامح الذي يبرز بين أفراد الأسرة وتجاوز أخطاء الأبناء والاهتمام بكل ما يتعلق بقضايا أفراد الأسرة والابتعاد عن أسلوب العنف والردع والمعاقبة لأنفه الأسباب وانتشار جو الحرية في إطار القيم الاجتماعية المحفزة على اتخاذ هذا الأسلوب والذي يؤثر على التكيف الاجتماعي للطفل ويصبح أكثر إيجابية خارج البيت ومع الآخرين وعلى الأنشطة الاجتماعية وتشير الدراسات إلى أن استخدام الأسلوب الديمقراطي في التنشئة يؤدي إلى زيادة إنتاجية الأبناء ويكونوا الأقل اعتداءً على ممتلكات الغير وأكثر مواظبة وأكثر اعتماداً على النفس. وميلاً إلى الاستقلال متحلياً بروح المبادرة أكثر قدرة على الإنهماك في نشاط عقلي تحت ظروف صحية، أكثر اتصافاً بالود وهناك دراسة أجريت في جامعة واشنطن^(٢٢) عن العلاقة بين أنماط السلطة الأبوية وتوقعات المراهقين حيث تبين أن الأبناء في الأسرة التي تسودها العلاقات الديمقراطية يكونون أقل قلقاً وأقل رغبة في هجر منزله والديهم من هؤلاء الذين ينتمون إلى أسر غير ديمقراطية يكرهون أسرهم وقد ينعكس كرههم هذا على المجتمع أيضاً.

وعلى هذا فإن هذا الاتجاه يعد الأمثل حيث يترتب عليه غالباً شخصية متزنة سوية، تستمتع بحظ كبير من متطلبات الصحة النفسية السليمة.^(٢٣)

(٢١) صالح محمد أبوجادو، سيكلوجية التنشئة الاجتماعية، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط١، ١٩٩٨، ص ٢٥٠.

(٢٢) صالح محمد علي أبو جادو، مرجع نفسه، ص ٢٥١.

(٢٣) هدى محمد قتاري، مرجع سبق ذكره، ص ٨٦.

التنشئة بالقيم من خلال الأمثال الشعبية

تمتاز الأمثال الشعبية بإيجاز اللفظ وحسن المعنى ولطف التشبيه، ومزية الأمثال أنها تتبع من طرف طبقات الشعب^(٢٤) يستطيعون من خلالها أن يطلعوا على كثير من القيم والعادات الاجتماعية والمثل هو: «قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة ليبين أحدهما الآخر ويصوره»^(٢٥) وهو قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول والأصل فيه التشبيه^(٢٦) والمثل الشعبي نتاج ثقافي واجتماعي يرتبط ارتباطاً عضوياً بوجود الجماعة الإنسانية نفسها...^(٢٧) والجماعة هي التي أنتجت وتناقلت جيلاً بعد جيل، والمثل هو: «جملة من القول تشتهر فتنتقل كما وردت فيه إلى كل ما يصح قصده بها من غير تغيير يلحقها...»^(٢٨).

ويستعمل المثل لوصف الوقائع ومحاكاته في مراحل متعاقبة ومنها أمثال لها صلة بالعادات والتقاليد وأخرى تعكس القيم والحكمة والتربية والتوجيه والسخرية والتهكم والنكتة والعضة والعبرة والحب والكره والاضطراب والاطمئنان، الخوف، الأمن، السعادة، الشقاء، الخصب، الجذب، الحرب السلم والحياة والموت، الرجل والمرأة.. إلخ^(٢٩)، إنه يتصل بكل مناحي الحياة الإنسانية^(٣٠).

بالنسبة للأمثال الخاصة بالتنشئة

«النار تولد الرماد»^(٣١) أي أن الوالدين الجيدين قد ينجبان أبناء سيئين مثل النار الملتهبة التي تحب الرماد، هذا المثل يناقض المثل الفرنسي «tel père tel fils» حيث يكون الأب قدوة لابنه سواءً في الإيجابيات أو في السلبيات.

(٢٤) أمين احمد، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، مطبعة نخبة التألف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٣، ص ٦١.

(٢٥) بن شريف محمود، الأمثال في القرآن، دار مكتبة الهلال، بيروت، بدون سنة، ص ١٤٤.

(٢٦) الميداني أبو الفضل، مجمع الأمثال تحقيق محمد أبو الفضل، إبراهيم، دار الجيل، لبنان، ١٩٨٧، ص ٧.

(٢٧) قطماش عبد الحميد، الأمثال العربية، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٥، ص ٢٧.

(٢٨) الشيخ الطاهر الجزائري، أشهر الأمثال، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٥، ص ٤٧.

(٢٩) مرتاوي عبد المالك، العامية الجزائرية وعلاقتها بالقصص، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

(٤٠) الفضيل ريتمي، مرجع سبق ذكره، ص ٢٧٨.

(٤١) رابع خدوسي، موسوعة الأمثال الجزائرية، دار الحضارة، الجزائر، بدون سنة، ص ١٥.

أما المثل الجزائري يدل على أن التنشئة الاجتماعية للأبناء تشارك فيها عدة مؤسسات اجتماعية أخرى وهذا ما يجعل في بعض الأحيان أن الآباء يوجهون أبنائهم لكن قد يلتقي الطفل برفقاء السوء فيجروه إلى الانحراف، أيضاً ما يمكن أن يتلقاه من خلال وسائل الإعلام.

وهذا كان موجود حتى في الأزمان الغابرة مثل النبي نوح الذي كان هو نبي صالح وابنه سيء مشترك بالله.

ومثل ثاني يقول: «الأب يربي والأم تخبي»^(٤٢).

أي أن الأب يقوم بتربية أبنائه بواسطة المكافئة والعقاب، أما الأم فتستر على سلوكياتهم السيئة لحنانها ويضرب هذا المثل في تربية الأبناء ودور الوالدين في التنشئة الاجتماعية للأبناء وهنا نلاحظ أن دور الأب ضروري في تنشئة الأبناء لصرامته في التربية وحنان الأم يجعل توازن في التنشئة لكن إذا زادت هذه الحماية تعود بالسلب على الأبناء وتنعكس على شخصيتهم المستقبلية، مما يدل على أن الأم أكثر عاطفاً وتسامحاً في التربية مقارنة مع الأب الذي يتميز بالشدة والقسوة وعدم التسامح في العملية التربوية.

والمثل الموالي يؤكد هذا المعنى «الذكر لا تدللو والمهر لا تجللو»^(٤٣) وهو يشير إلى تجنب التساهل في التربية والتدليل لأن هذا يجعله لا يثق بنفسه ويفسد طباعه.

ودائماً في باب التنشئة الاجتماعية ندرج المثل القائل: «دير القدرة على فهمها، البنت تشبه أمها»^(٤٤) ويقال في مشابهة البنت أمها خلقاً وسلوكاً، أي أن الأم تنشئ بناتها بنفس التنشئة التي نشأت بها هي كما أن الأم قدوة لبناتها في السلوك والأخلاق، وإن ساءت خلق البنت اللوم كله يرجع إلى الأم.

مع الإشارة أن كثيراً من الأمثال هي من إنتاج الرجال ولهذا فهي تعمل على تشويه صورة المرأة والعمل على إلصاق بها كل المظاهر الفاسدة والمنحرفة في العملية التربوية كما رأينا في الأمثال السابقة.

(٤٢) نفس المرجع، ص ١٥.

(٤٣) عبد الحميد بن هذوقة، أمثال جزائرية، أمثال متداولة في قرية الحمراء ولاية برج بوعريج، الجمعية الجزائرية للطفولة وعائلات الإقبال المجاني، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغبة، الجزائر، ١٩٩٣، ص ٨٢.

(٤٤) عبد الحميد بن هذوقة، مرجع سبق ذكره، ص ٧٨.

مثل آخر فيما يخص التنشئة: «الجوع يعلم السقاطة والعري يعلم الخياطة»^(٤٥).

أي أن الجوع يذل الإنسان ويبعده عن قيمه (كاد الفقر أن يكون كفراً) (حديث شريف) والعري يعلم الخياطة بمعنى الحاجة أم الاختراع.

فالعوامل الاقتصادية لها دور في التنشئة الاجتماعية للأفراد كما أن من خلال هذه التنشئة يكتسب الفرد قيمة فإذا كان يعاني الجوع والحرمان والعري فإن قيمه تتغير بفعل الظرف الذي يعيشه وهذا ما حصل لكثير من قيم المجتمع التي كانت سائدة في وقت من الأوقات وبتغير تلك العوامل والظروف تغيرت تلك القيم.

وهذا المثل يبين أن دور الوالدين في التنشئة ليس بالسهل يحتاج إلى صبر كبير حتى نجد الأبناء في كثير من الأحيان يتمردون على أوامر آبائهم ولا يأخذون بنصائحهم وحتى وإن كانت في مصلحتهم لذلك جاء هذا المثل القائل: «خذ الرأي اللي يبكيك وما تاخذش الرأي اللي يضحكك»^(٤٦).

• قيمة الاعتماد على النفس من خلال الأمثال الشعبية

إن قيمة الاعتماد على النفس يكتسبها الفرد الذي له شخصية قوية وهي علامات صحة المجتمع وسلامته وهذا ما ذكر في كثير من مواطن التي دعمتها الأمثال الشعبية مثل: «لا يضحكك إلا ظفرك وما يبكيك إلا شفرك»^(٤٧) ويقال في عدم الإتكال على الغير، وهذا يشبه المثل القائل: «لا يحك جلدك مثل ظفر يدك»^(٤٨).

بمعنى أن الفرد إذا اعتمد على نفسه حقق أهدافه وإذا اعتمد على الغير في شؤونه الخاصة فإنه لا يفلح دائماً، ومثل آخر يقول: «اللي حضر لمعزتو جابت جدية وجدي، واللي ما حضرش جابت جدي ومات»^(٤٩) ويقال في عدم الاتكال على الغير أيضاً مثل آخر: «اللي اتكل على جارو يبات بلا عشا واللي اتكل على بيت العرس يبات برة».

(٤٥) نفس المرجع ص ٤٧.

(٤٦) عبد الحميد بن هدوقة، مرجع سبق ذكره، ص ٢٣.

(٤٧) عبد الحميد بن هدوقة، مرجع سبق ذكره، ص ٢٠٦.

(٤٨) الفضيل رتيمي، مرجع سبق ذكره، ص ٢٨٣.

(٤٩) عبد الحميد بن هدوقة، مرجع سابق، ص ١٨٦.

كذلك أمثال أخرى كلها تصب في هذا المعنى مثل: اللي اتكل على الله، وذراعوا، أولادو ماجاعو»^(٥٠) واللي غاب غاب حقه كذلك «الخوما ينفع الخويا ويح من خانو ذراعو»^(٥١)

أيضا: «اللي مايشبع ذاتو موتو خير من حياتو» «تسبب يا عبدي وأنا نعينك»^(٥٢)

والمعنى لهذه الأمثال كلها تبين قيمة الاعتماد على النفس وأن أحسن الأعمال وأفيدها هي التي يقوم بها الفرد بنفسه ويحققها بيده ولا يعتمد على الغير ولو كانوا أشقاء والبحث على العمل وعدم التواكل والكسل. لكن الواقع يتناقض مع ما جاء في هذه الأمثال وهذا نتيجة لعوامل كثيرة تربى الأفراد على الاعتماد على الغير وأصبح ذلك من الأساليب الأكثر شيوعاً بين الناس حتى في أبسط الأمور يعتمد على الآخر وعلى الأهل والأصدقاء والمعارف وهذا ما نجده في بعض الأمثال.

• قيمة الكرم من خلال الأمثال الشعبية

نلاحظ أن هذه القيمة متأصلة في المجتمع الجزائري خاصة نجدها في الصحراء وفي الريف أكثر من المدينة، كما أشار إلى ذلك ابن خلدون حينما ميز بين أهل الحضر وأهل البدو، فقيمة الكرم خاصية من خصائص أهل البادية وأهل الصحراء وهذا يرجع إلى طبيعة الحياة في كل من البادية أو الصحراء أو المدينة، فالحياة في المدينة صعبة تتطلب من الإمكانيات ما لا تتطلبه الحياة في البوادي والأرياف.

ونرى قيمة الكرم من خلال الأمثال الشعبية في عدة أمثال كالمثل القائل الجود ولو كان بشق تمره^(٥٣) أي الكرم بالشيء القليل خير من عدمه وقد جاء في الحديث الشريف «اتق النار ولو بشق تمره»^(٥٤) وأيضاً الكلمة الطيبة صدقة، فالكرم يتمثل في أي شيء سواء كان مادياً أو معنوياً.

(٥٠) رابع خدوسي، مرجع سبق ذكره، ص ١٤٢.

(٥١) الفضيل رتيمي، مرجع سبق ذكره، ص ٢٧٤.

(٥٢) عبد الحميد بن هدوقة، مرجع سبق ذكره، ص ٩٥.

(٥٣) رابع خدوسي، مرجع سبق ذكره، ص ٤٧.

(٥٤) حديث شريف.

وقيمة الكرم هي قيمة يؤمن بها صاحبها أشد الإيمان ويظهر هذا في المثل القائل: «اصرف ما في الجيب يأتيك ما في الغيب»^(٥٥) وهو مثل يضرب في الجود والكرم والصدقات ونبذ الشح والبخل والكرم خاصية من خصوصيات المجتمع الجزائري وهذا المثل يؤكد ذلك «الجود من بعد الحرب بدعة»^(٥٦) ويضرب هذا المثل للدلالة على كثرة الكرم الذي اشتهر به العرب بين الأقوام والأجناس وقصة حاتم الطائي شاهدة على ذلك والمجتمع الجزائري مجتمع عربي.

كما نجد أمثلة تحت على قيمة العمل والإتقان فيها مثل: «إذا فاتوك بالكثرة فوتهم بالبكرة»^(٥٧) واحرث بكرى وروح تكري»^(٥٨)، كلما تحث على الجد والمثابرة والإتقان وأخرى تقول «الراجل من الفحم يجيب القفة واللحم»^(٥٩) ويضرب في كسب الرزق من أي عمل ولو كان صعب مثل جلب الفحم، ومثل آخر «العود ولد كراعه والراجل ولد ذراعه» فالجواد براهنه قوائمه ساعة الجري والرجل برهانه ذراعه ساعة العمل والجد، والذي يحاول ويعمل لن يخيب فإذا لم يحقق الكثير فإنه يحصل على القليل كما يقول المثل: «يدي في الشكوة إذا ما جابت الزبدة تجيب اللبن»^(٦٠).

من خلال هذه الأمثال الشعبية نستنتج أن قيمة العمل هي من صميم المجتمع الجزائري وهي تعبر عن الشخصية العامة لهذا المجتمع والذي يحب العمل ينبذ الكسل ويحث عليه ويربي أبنائه على هذه القيمة فتلمس من خلالها السورة الإيجابية التي وضعها المجتمع للعمل.

الخاتمة

تعتبر الأسرة النظام الإنساني الأول الذي يعمل على استمرار النوع البشري والملاحظ عليه وكانت ولا زالت محل دراسات العديد من العلماء خاصة علماء الاجتماع، وهي تقوم على رعاية الفرد من جميع النواحي الصحية والأخلاقية والتربوية والاجتماعية

(٥٥) رابع خندوسي، مرجع سبق ذكره، ص ٩.

(٥٦) نفس المرجع، ص ٤٨.

(٥٧) نفس المرجع، ص ٢٣.

(٥٨) نفس المرجع، ص ٢٦.

(٥٩) نفس المرجع، ص ٨٠.

(٦٠) نفس المرجع، ص ١٩٤.

والاقتصادية، ونتيجة لعوامل التغير الاجتماعي فقدت الأسرة كثير من الوظائف التي كانت تقوم بها فحدث تعديل جوهري في الأدوار والمكانات، وحدث اختلاف في الأبعاد والمسؤوليات، وتغير النسق القيمي داخل كثير من الأسر وأثرت هذه التغيرات بدورها على العلاقات ونحو مختلف الحياة، كما تراجعت وتغيرت القيم الأصيلة في الأسرة لتحل محلها قيم ذات صبغة نفعية برجماتية كما تغيرت التنشئة الاجتماعية للأبناء وتدخلت فيها عدة مؤسسات أخرى وتغيرت الأهداف والمعايير والرؤى، فأفرزت أفراداً لا ينتمون إلى الخصوصية الثقافية الواحدة للمجتمع رغم ما كان لكثير من الأمثال الشعبية من دور في غرس كثير من القيم، وفيما يخص دراستنا فقد ركزنا على بعض من الأمثال الشعبية الجزائية بناءً على الآليات المراد تحقيقها في هذا العمل، والتي تعكس قيم المجتمع وعاداته، وإن أصبحت في كثير من الأحيان تعد من التراث الشعبي يستدل بها كثير من الأفراد في مواقف متعددة لاستحضار بعض القيم التي كانت سائدة في وقت من الأوقات لكنها تغيرت هي الأخرى نتيجة لعوامل كثيرة أفرزها التغير الاجتماعي.

المراجع باللغة العربية

- ١- أحمد بن نعمان، سيمات الشخصية من منظور الأنثروبولوجيا النفسية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٨.
- ٢- الجمعية الجزائرية للطفولة وعائلات الاستقبال المجاني، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، ١٩٩٣.
- ٣- الريماوي محمد عودة، في علم النفس الطفل، دار زهران للنشر والتوزيع ط٢، عمان، ١٩٩٣.
- ٤- الشيخ الطاهر الجزائري، أشهر الأمثال، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٥.
- ٥- الميداني أبو الفضل، مجمع الأمثال تحقيق محمد أبو الفضل، إبراهيم، دار الجيل، لبنان، ١٩٨٧.
- ٦- أمين أحمد، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، مطبعة نخبة التألف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٣.
- ٧- الفضيل ريتمي، التنشئة الاجتماعية وإشكالية العقلانية داخل المنظمة الصناعية، دراسة ميدانية بجمع صيدال المدينة، أطروحة دكتوراة الدولة جامعة الجزائر ٢٠٠٤-٢٠٠٥.
- ٨- بركلت حليم، النظام الأبوي وإشكالية المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، أفريل، ١٩٨٢.
- ٩- بن شريف محمود، الأمثال في القرآن، دار مكتبة الهلال، بيروت، بدون سنة.
- ١٠- بن فرحات فتحة، صورة المرأة من خلال الأمثال الشعبية الجزائرية، تحليل محتوى الأمثال الشعبية الخاصة بالمرأة، رسالة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع الثقافي، جامعة الجزائر، ٢٠٠٣-٢٠٠٤، غير منشورة.
- ١١- بوتقنوش مصطفى، العائلة الجزائرية التطور والخصائص الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٤.
- ١٢- حمراوي محمد، وضعية المرأة والعنف داخل الأسرة في المجتمع الجزائري، مجلة إنسانيات وهران، CRASL، العدد ١٠ جانفي، أفريل ٢٠٠٠.
- ١٣- جليل وديع شكور، تأثير الأهل في مستقبل أبنائهم على صعيد التوجيه المهني، دراسة ميدانية، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت لبنان دون سنة.
- ١٤- جمال معتوق، صفحات مشرقة من الفكر التربوي عند المسلمين، الكتاب الأول، ط١، الجزائر، ٢٠٠٤.
- ١٥- خيري خليل الجميلي، الاتصال ووسائله في المجتمع الحديث، المكتب العلمي للكمبيوتر والنشر والتوزيع، مصر، ١٩٩٦.
- ١٦- رابع خدوسي، موسوعة الأمثال الجزائرية، دار الحضارة، الجزائر، بدون سنة.
- ١٧- رابع درواش، العائلة الجزائرية وآليات تكيفها مع التغير الاجتماعي: دراسة ميدانية لعينة من ولايات الجزائر، رسالة دكتوراة الدولة، ٢٠٠٤-٢٠٠٥.
- ١٨- رسام أمل، نحو إطار عمل نظري لدراسة المرأة في العالم العربي الدراسات الاجتماعية عن المرأة في العالم العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، اليونسكو، بيروت، ١٩٨٤.
- ١٩- سيروك بنجامين، حديث إلى الأمهات، مشاكل الآباء في تربية الأبناء المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، بدون تاريخ.
- ٢٠- صالح محمد أبوجادو، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط١، ١٩٩٨.
- ٢١- عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، أمثال متداولة في قرية الحمراء ولاية برج بوعريج.

- ٢٢- عبد الرزاق عرابي، المثقف العربي المحنة الدائمة، دراسة في نشأة المثقف العربي وسوسولوجية المستقبل العربي، عدد ١٩٦، يوليو ١٩٩٥.
- ٢٣- عبد العزيز محي الدين، الحالة الاقتصادية للأسرة وأثرها في التحصيل الدراسي لتلميذ في المرحلة الابتدائية، رسالة لنيل دبلوم الدراسات المعمقة في علم نفس الطفل والمراهق، معهد علم النفس، جامعة الجزائر، ١٩٨٣، غير منشورة.
- ٢٤- كافية رمضان، أنماط التنشئة الأسرية في المجتمع العربي، حوليات كلية التربية في جامعة قطر، العدد السابع، ١٩٩٠.
- ٢٥- لطيفة طبال، التنشئة الأسرية والتحصيل الدراسي للأبناء: دراسة ميدانية بثانويات مليانة، رسالة ماجستير، جامعة البليدة ٢٠٠٤.
- ٢٦- محمد أيوب شحيمي، دور علم النفس في الحياة المدرسية مكتبة الطفل النفسية والتربوية، ط ١ بيروت ١٩٩٤.
- ٢٧- محمد قنبر، التربية وترقية المجتمع مركز ابن خلدون، دار سعاد الصباح الكويت، ١٩٩٢
- ٢٨- محمد مصطفى زيدان، النمو النفسي للطفل والمراهق ونظريات الشخصية، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، جدة، ط ٢، ١٩٩٠.
- ٢٩- محمد نبيل نوفل، دراسات في الفكر التربوي المعاصر، مكتبة الأبلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٦.
- ٣٠- محمود حسن، الأسرة ومشكلاتها، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٦.
- ٣١- محي الدين مختار، محاضرات في علم النفس الاجتماعي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٢.
- ٣٢- مرتاهي عبد المالك، العامية الجزائرية وعلاقتها بالقصص، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- ٣٣- مصطفى مجازي، التخلف الاجتماعي، بسلوكولوجية الإنسان المقهور، معهد الإنماء العربي، ط ٥، بيروت، ١٩٨٧.
- ٣٤- هدى محمد قناوي، الطفل تنشئته وحاجاته، مكتبة انجلو مصرية، القاهرة، ٢٠٠٥.
- ٣٥- هشام شرابي، مقدمات لدراسة المجتمع العربي، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢، ١٩٨٤.
- ٣٦- هشام شرابي، النظام الأبوي وإشكالية المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٢.
- ٣٧- عبد الرزاق عرابي، المثقف العربي المحنة الدائمة، دراسة في نشأة المثقف العربي وسوسولوجية المستقبل العربي، عدد ١٩٦.
- ٣٨- قطماش عبد الحميد، الأمثال العربية، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٥.

المراجع باللغة الأجنبية

- 1- André (Michel), sociologie de la famille. p. u. f, 1972.
- 2- Bennabi (M) le problème des idées dans le monde musulman el bayyinate Alger 1990.
- 3-Boutefnouchet (M) la famille Algérienne son évolution et ses caractéristiques récentes Alger sned 1982.
- 4- Camille, Lacoste du jardin des mères contre les femmes, marternite et patriarcal au Maghreb, éditions la découverte Bouchéne, Alger, 1990.
- 5- Delacroix (catherine) espoirs et réalité de la femme arabe (Egypte- Alger), histoire et respective méditerranéennes, l'arnatton, paris, 1986.
- 6- fanon (F), sociologie d'une révolution l'an de révolution petite collection, Maspero.
- 7- Megherbi (A), culture et personnalité de Massinissa a nos jours.
- 8- Tualbi - radia, les attitudes et les représentation du mariage chez la jeune fille algérienne.
- 9- Zerdouni (Naffissa) l'enfant d'hier, paris, édition maspero, 1982. -Guandio (Ahilio), la révolution des femmes en Islam, Juliard, paris, 1975.
- 10- guessous Naamane (soumaya) au-delà de toute pudeur de la sexualité féminine au Maroc, ed Casablanca 1985.
- 11- Fitz Huch Dedson, aimer sans tout permettre, Marebout, paris, 1983.
- 12- M'rabet (fadella), la femme Algérienne, paris librairie française Maspero, 1964.
- 13- LACOSTE Dujardin DES MERES CONTRE LES FEMMES ALGER. EDITION. BOUCHEN. 1990.

المسؤولية الاجتماعية للمؤسسة والموارد البشرية

د. عائشة هديبل



ملخص

الاجتماعية للمؤسسات في مجال الموارد البشرية، حيث سنحاول في هذا البحث أن نقوم بتوضيح مفهوم المسؤولية الاجتماعية والبيئية للمؤسسات وبعض الجذور التاريخية والاتجاهات الحديثة وأنماط المسؤولية الاجتماعية والبيئية، مع التطرق إلى الموارد البشرية وكيفية تنفيذ استراتيجية المسؤولية الاجتماعية والبيئية فيها.

أفضت التغيرات السريعة والمنافسة الشديدة في السوق إلى ضرورة تكيف المؤسسات مع بيئتها الداخلية والخارجية من خلال استجابتها لهذه الأخيرة، وتحملها لمسؤوليتها الاجتماعية من خلال تبني نظم واستراتيجيات توفر متطلبات حماية البيئة الطبيعية والاجتماعية من جهة، والموارد البشرية من جهة أخرى، الشيء الذي دفعنا إلى التطرق إلى استراتيجية المسؤولية

• أستاذة مساعدة، جامعة الجزائر، المدرسة الوطنية التحضيرية لدراسات مهندس بالروبية/الجزائر.

aichahedibel@yahoo.fr

The social responsibility of the company and the human resources

Summary

The rapid changes and intense competition in the market led to the need the adoption of the institutions with their internal and external environment through its response to the latter, and had a social responsibility through the adoption of systems and strategies that provide the requirements of the protection of the natural environment and social development on the one hand, and human resources on the other hand, are things that led us to go trough the strategy of companies' social responsibilities in the field of human resources, where we will try in this research to clarify the concept of social responsibility and environmental of cpmpanies and some historical roots and modern trends and patterns of social and environmental responsibility, with going throught the human resources and how to apply a strategy of social responsibility and environmental in it.

مقدمة

تسعى المؤسسات الاقتصادية على اختلاف طبيعتها نشاطها إلى تحقيق الأداء الاقتصادي الذي يهدف إلى تعظيم أرباحها، إلا أنها تحدث خلال نشاطها مجموعة من الآثار السلبية على البيئة (التلوث، استنزاف الموارد الطبيعية) وعلى المجتمع بالإستغلال غير العقلاني لليد العاملة خاصة من قبل الشركات الكبرى بإهمال آثارها السلبية على العمال (الأمن، الصحة، التدريب، السكن) وهو ما أدّى إلى الحديث على الأداء البيئي والاجتماعي علاوة على الأداء الاقتصادي.

يشير الأداء الاجتماعي إلى النشاط الذي يهدف إلى تعظيم المساهمة الاجتماعية للمؤسسة (تلك المساهمة التي يجب أن يتحقق العائد منها للمجتمع) باعتبار أن المؤسسة جزء من المجتمع الذي تزاوّل فيه نشاطها وبيئتها لترويج منتجاتها ومصدر مدخلاتها ومخرجاتها. أمّا الأداء البيئي فيقصد به تحمل المؤسسات جزءاً من المبادرات أحادية الجانب أو التعاون مع السلطات العمومية لتلتزم من خلالها باتخاذ التدابير اللازمة لتخفيف الأضرار التي تلحقها بالبيئة بعد ما كانت تتخذ موقفاً دفاعياً تجاه هذه الأضرار في السابق.

مع تزايد المنافسة بين المؤسسات، يكون الضغط أعلى على مهنيي إدارة الموارد البشرية. فمن الواضح أن عمليات الدمج وإعادة الهيكلة والتغييرات الأخرى التي تواجهها المؤسسات سببت تحدياً عميقاً لإدارة الموارد البشرية، وقد نجد أن هذه الأخيرة تعتبر ركناً أساسياً في غالبية المؤسسات حيث تهدف إلى تعزيز القدرات التنظيمية للفرد

وتمكين المؤسسات من استقطاب وتأهيل الكفاءات اللازمة والقادرة على مواكبة التحديات الحالية والمستقبلية. فالموارد البشرية يمكن أن تساهم وبقوة في تحقيق أهداف وأرباح المؤسسات. إن إدارة الموارد البشرية تعني باختصار الاستخدام الأمثل للعنصر البشري المتوفر والمتوقع. على مدى كفاءة وقدرات وخبرات هذا العنصر البشري وحماسه للعمل تتوقف كفاءة المؤسسة ونجاحها في الوصول إلى تحقيق أهدافها. ولما كانت المتغيرات المحيطة بالعنصر البشري ذات تأثير على ايجابية العمل كان لا بد من تفعيل دور العنصر البشري عن طريق زيادة مهاراته وتطوير كفاءاته بطريقة غير تقليدية حيث زيادة المواهب والخيال والإبداع الفكري والتنظيم السلوكي الذي سوف ينعكس فيما بعد على أدائه في العمل بطريقة ايجابية، لذلك أظهرت الأبحاث السلوكية الحاجة إلى معاملة الأفراد كموارد بدلاً من اعتبارهم عامل إنتاج. والسؤال الذي يدور في الذهن، ما هي العناصر البيئية المحيطة بالفرد وماذا ينجم عنها وكيف يمكن تنفيذها في مجال الموارد البشرية؟

سنحاول في هذا البحث أن نقوم بتوضيح مفهوم المسؤولية الاجتماعية والبيئية للمؤسسات وبعض الجذور التاريخية والاتجاهات الحديثة وأنماط المسؤولية الاجتماعية والبيئية، مع التطرق إلى الموارد البشرية وكيفية تنفيذ استراتيجية المسؤولية الاجتماعية والبيئية فيها.

المسؤولية الاجتماعية للمؤسسة الاقتصادية

تجاوزت المسؤولية الاجتماعية للمؤسسة صفة العطاء العشوائي الغير منظم وغير المحدد الهدف، وإنما أصبح للمؤسسات الاقتصادية دوراً تنموياً أساسياً وأصبح العطاء للتنمية جزءاً لا يتجزأ من نشاطات هذه المؤسسات.

١- نشأة المسؤولية الاجتماعية للمؤسسات

شهدت أوائل سنوات الخمسينات من القرن السابق تحولاً ملحوظاً في توقعات ومتطلبات المجتمعات من المؤسسات، حيث لم يعد المجتمع مقتنعاً بدورها الاقتصادي التقليدي المحدود، بل أصبح ينظر إليها على أساس أنها أداة من أدوات المجتمع باعتبارها جزءاً منه، تستمد منه مواردها الضرورية لبقائها ونموها وبالتالي فهي تؤثر وتتأثر به، وقد برزت بعض الموضوعات التي تتناول علاقتها بالمجتمع فأصبح يقال بان المؤسسة في خدمة المجتمع من حيث الإنتاج السليم والجودة العالية مع تخصيص جزء من مالها لخدمة البرامج الاجتماعية.

وأصبح ينظر لمهمة الإدارة من منظور اجتماعي في الاستخدام الأمثل للموارد المادية والبشرية

المتاحة وإشباع الحاجات والرغبات الإنسانية، من ثم برز مصطلح المسؤولية الاجتماعية للمؤسسات التي تعني الوصول إلى التوازن بين مصالح مختلف العناصر ذات المصلحة المرتبطة بها وتم إضافة الوظيفة الاجتماعية لوظائف المؤسسة، وأصبحت من الوظائف الأساسية تعمل على منع الانحرافات في الأعمال والأهداف والخطط مع مراعاة السلوك الاجتماعي.

وعليه فإن النظرة التقليدية لوظيفة المؤسسة ووظيفة الإدارة بدأت تتغير وأصبحت أهداف المؤسسة مزيجاً من الأهداف الاقتصادية والاجتماعية. فرغم أنه لا يمكن إنكار أهمية الربح كهدف أساسي وضروري للمؤسسات، فإن الظروف الاجتماعية والسياسية المحيطة أضافت أهدافاً اجتماعية كمراعاة مصالح المجتمع بمفهومه الواسع وتدعيم دور المؤسسة في بنائه باعتبارها إحدى مكوناته فهذه الأنشطة هي جوهر اصطلاح المسؤولية الاجتماعية للمؤسسات في مفهومها المعاصر.

سنحاول استعراض أهم المراحل الزمنية لتطور مفهوم المسؤولية الاجتماعية للمنظمات ملخصة في أربعة مراحل أساسية:

أ. الثورة الصناعية والإدارة العلمية: تمثل الثورة الصناعية حدثاً بارزاً في تاريخ الإنسانية حيث بدأ استخدام المخترعات العلمية في المؤسسات، وكانت هذه الأخيرة تركز جهودها فقط على تحسين الأداء الاقتصادي من خلال الاهتمام بالبيئة الداخلية لتحقيق الأرباح لإعادة استثمارها دون الاهتمام بالعاملين والمجتمع، ففي هذه الفترة تم استغلال جهود العاملين وتشغيل الأطفال والنساء لساعات طويلة في ظل ظروف عمل قاسية وأجور متدنية هذا من جهة، ومن جهة ثانية لم يكن هناك أي وعي بيئي لأن الثورة الصناعية كانت في بدايتها، وأن وفرة المياه والمساحات الشاسعة والخضراء غير المستغلة تم إستيرافها بشكل يحقق أعلى العوائد والأرباح، لم تثر انتباه المجتمع إلى خطورة التلوث البيئي. وأمام هذه الوضعية، نستطيع القول أن إدارات المنظمات قد وعت جانباً بسيطاً من المسؤولية الاجتماعية تجسد في تحسين أجور العاملين لكن مقابل جهد كبير يبذلونه للإعطاء إنتاج أكبر.

ب. مرحلة ظهور خطوط الإنتاج وتجارب هورثون: إن تزايد استغلال العاملين وإصابات العمل الكثيرة، بالإضافة إلى الوفيات الناتجة عن تشغيل الأطفال والنساء، أدى بالمدراء إلى التفكير في تحسين ظروف العمل، وقد تزامن هذا مع ابتكار هنري

فورد لخطوط الإنتاج، والذي ترتب عليه إنتاج كميات كبيرة من السيارات ما أدى إلى زيادة الغازات المنبعثة ونسب التلوث في الهواء، كما أن التجارب الشهيرة التي أجريت في مصانع هوثورن وهي باختصار محاولة لدراسة تأثير الاهتمام بالعمالين وبظروف العمل على الإنتاج والإنتاجية، وقد مثل هذاقفزة نوعية في تطور مفهوم المسؤولية الاجتماعية حيث بدأ الاهتمام بشؤون العمال، لقد تبارت كثير من المنظمات الرائدة في ذلك الوقت في إجراء دراسات مشابهة وأبدت اهتماما بالعناصر المادية للعمل من أجل توفير ظروف عمل مادية أفضل للعمالين، بغرض زيادة الإنتاج وبذلك زيادة أرباح المالكين.

ج. مرحلة الكساد الاقتصادي الكبير والنظرية الكيترية: إن إهمال المؤسسات الصناعية لمسؤوليتها اتجاه بعض الأطراف المتعددة جعلها في تضاد مع مصالح هؤلاء، حيث كان هدفها تسويق أكبر كمية من المنتجات دون الأخذ بعين الاعتبار رغبات وميول المستهلكين ومصالحهم المتعددة، ما أدى إلى كساد عالمي كبير أفرز أنهيار كبير للشركات بالتالي تسريح آلاف العاملين، وفي هذه الفترة كانت المسؤولية الاجتماعية للشركات في أدنى مستوياتها ما نجم عنها ظهور دعوات مهمة لتدخل الدولة لحماية مصالح العاملين، ومع ظهور نظرية كيتر التي دعت بوجوب تدخل الدولة بحد معقول لإعادة التوازن الاقتصادي، أدى إلى بناء أرضية لتأصيل أفكار وتحديد عناصر المسؤولية الاجتماعية من خلال تعزيز دور النقابات، وتعالى الأصوات بالمطالبة بتحسين ظروف العمل، وسن قوانين جديدة، وتحديد الحد الأدنى للأجور، وإشراك العاملين بالإدارة، وقد ظهر هذا جليا بعد الحرب العالمية الثانية والتوسع الصناعي، وهنا بدأت المسؤولية الاجتماعية تأخذ مكانة هامة في استراتيجية المؤسسة.

د. مرحلة المواجهات الواسعة بين الإدارة والنقابات: تميزت هذه المرحلة بتعاظم قوة النقابات وزيادة تأثيرها في قرارات المنظمة بشكل عام، وزيادة توعية الناس بالمخاطر البيئية، وتعالى الأصوات تطالب بتحسين نوعية الوقود، كما تميزت هذه الفترة كذلك بزيادة القضايا المرفوعة أمام المحاكم لأسباب تتعلق بجوانب مهمة من الانتهاكات البيئية المختلفة، ما أدى بهذه المؤسسات إلى زيادة الاهتمام بالجوانب الاجتماعية، البيئية، وكذا الأخلاقية للعاملين من خلال تبنيتها لمفهوم محاسبة المسؤولية الاجتماعية وعملت على تطوير مقاييس الأداء الاجتماعي.

٢. تعريف المسؤولية الاجتماعية للمؤسسات

إن المسؤولية الاجتماعية قد أضحت حقيقة واضحة من الصعب على إدارة المؤسسة أن تتجاهلها، إلا أنه ليس هناك اتفاق حول تحديد مفهوم واحد لها، فيرى كل من Blomstrom et Davis

«أن فكرة المسؤولية الاجتماعية هي التزام صانعي القرار بحماية وتحسين رفاهية المجتمع ككل بجانب المصلحة الخاصة».^(١)

ويعرفها Stiener et Corson على أنها «تلك الأعمال الاجتماعية التي تقوم بها المؤسسة تؤثر على رفاهية المجتمع كتشغيل المعاقين، توفير فرص العمل للأقليات، المساهمة في حل مشكلات المجتمع الحاضرة وتدعيم مختلف المؤسسات ذات الطابع الاجتماعي والتعليمي والصحي» غير أن هذا التعريف يحدد الهدف والمجالات دون التعرض إلى الدوافع من وراء ذلك.

ويرى البعض «أن المسؤولية الاجتماعية تتمثل في مجموعة الأنشطة التي تضطلع بها إدارة المؤسسة التي تقي بالاحتياجات الاجتماعية التي قد لا تعود عليها بفائدة مباشرة سواء كان الاضطلاع بهذه الأنشطة اختيارياً أو إلزامياً وسواء كانت المجموعات المستفيدة منها من داخل المؤسسة أو من خارجها». هذا التعريف يحدد الهدف من المسؤولية الاجتماعية ومجالات الاستفادة منها داخلية أو خارجية للمؤسسة ودوافعها إلزامية أو اختيارية.

ويمكن أن نميز بين اتجاهين رئيسيين لتحديد مفهومها وهما:^(٢)

الاتجاه الأول: يرى بأن معيار التفرقة بين الأنشطة الاجتماعية والأنشطة الاقتصادية هو - مدى وجود إلزام قانوني للقيام بالنشاط، وطبقاً لذلك فإن الأنشطة الاجتماعية هي التي تقوم بها المؤسسة اختيارياً، أي أن النشاط الاجتماعي يبدأ عندما ينتهي الإلزام القانوني.

الاتجاه الثاني: يرى بأن الأنشطة الاجتماعية لا تقتصر على تلك الأنشطة الاختيارية لكن - تشمل كل الأنشطة ذات الطابع الاجتماعي بغض النظر ما إذا كانت المؤسسة ملزمة قانونياً بها أم لا. كما عرفت الجمعية الأوروبية المشتركة المسؤولية الاجتماعية للمؤسسات على أنها «الدمج الإرادي للانشغالات الاجتماعية والبيئية للمؤسسات مع الأهداف التجارية ومع العلاقات لكل الأطراف ذات المصلحة الداخلية والخارجية من أجل تلبية الالتزامات القانونية السارية المفعول والاستثمار في مجال الرأس المال البشري والبيئة». من بين

(١) محمد حسني عبد الجليل صبحي، رسالة دكتوراة بعنوان الإطار العلمي للمراجعة الاجتماعية، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ١٩٩٠، ص ١٥.

(٢) د. صادق حسني، «تدقيق الأداء الاجتماعي للمنشآت في ضوء معايير المراجعة الدولية الأمريكية»، مجلة الإداري، ص ٩-١، معهد الإدارة العامة مسقط سلطنة عمان، العدد ٩٣ جوان ٢٠٠٣.

هذه الانشغالات والاهتمامات الاجتماعية يمكن أن نجد على سبيل المثال توفير مناصب شغل، التنمية البشرية، احترام حقوق الإنسان، الارتقاء بمستوى معيشة الأفراد، المساهمة في البرامج الصحية والتعليمية والترفيهية للأفراد... الخ.

استراتيجية المسؤولية الاجتماعية للمؤسسات في مجال الموارد البشرية

مسألة مساهمة إدارة الموارد البشرية في المسؤولية الاجتماعية للمؤسسات حساسة. ويعتقد البعض أن إدارة الموارد البشرية هي الآن حقا في اختبار من المسؤولية الاجتماعية للمؤسسات فحسب Igalens في سنة ٢٠١١ اعتبر: «تنمية الموارد البشرية هي في مفترق الطرق، وأنها في نفس الحالة كما كانت عليه في السبعينات، عندما كانت لا تزال فقط إدارة شؤون الموظفين: إما أن تقبل التحدي المتمثل في المسؤولية الاجتماعية للشركات أو أنها سوف تركد وتتراجع في سلم المسؤوليات، لا سيما في المجموعات الكبيرة».

هدف استراتيجية المسؤولية الاجتماعية للمؤسسات في مجال الموارد البشرية (أو المسؤولية الاجتماعية الداخلية) هو الحفاظ على وتطوير الوظائف ورأس المال البشري للمؤسسة على المدى الطويل. حيث يفترض أن إدارة الموارد البشرية ليس فقط إجراءات إلزامية إدارية، مثل تسيير عقود الإدارة، ولكن تحتضن المفاهيم والمهام المتعلقة بالتوظيف والتدريب والتحفيز والاحتفاظ بهم وإدارة المهارات.

تحديد استراتيجية متكاملة بشأن الموارد البشرية تدور حول مبدأ المنفعة للجميع: الموظفين الراضين على ظروف عملهم، والذين تتراء لهم توقعات ارتقاءهم في المؤسسة، هم أكثر كفاءة وأكثر استجابة وقدرة على التكيف مع التغيير.

لتحديدها هناك عدة طرق ممكنة اعتماداً على هيكل واحتياجات المؤسسة:

- خلق بيئة عمل ملائمة للموظفين (مكان العمل، جو العمل... الخ).
- تشجيع التماسك داخل المؤسسة بمكافحة جميع أشكال التمييز في التوظيف والتعويض والتنمية.
- التوفيق بين العمل والحياة الخاصة (على سبيل المثال العمل بدوام جزئي، مرونة وقت العمل المكيف مع الاحتياجات الفردية للموظفين...).
- الاهتمام بظروف العمل (الصحة الأمن في العمل).
- الاستثمار في التدريب أو التكوين.
- أخذ بعين الاعتبار الاحتياجات الفردية للموظفين (مثل المسار المهني، الدعم الوظيفي، التحفيز وفقاً لشخصية الفرد).
- إدخال نماذج عمل مبتكرة لتعزيز تحفيز الموظفين (على سبيل المثال العمل عن بعد).

إضافة إلى ذلك، الموظفين هم أول الفاعلين في تنفيذ استراتيجية الشركة، سواء كانت تجارية أو بيئية أو أنها تسعى لتحسين العلاقات بين الشركة وأصحاب المصالح فيها. وبالتالي فإنه من الضروري إعلامهم وضمهم للمشروع حتى يتمكنوا من إدماجه في مهامهم اليومية والمساهمة في نجاحه.

١- كيفية تنفيذ استراتيجية المسؤولية الاجتماعية للمؤسسات في مجال الموارد البشرية؟
وفقاً لاحتياجات الشركة، عدة عوامل قد تشكل استراتيجية متكاملة للمسؤولية الاجتماعية للمؤسسات في المسائل الاجتماعية:

- تحفيز الموظفين.
- التكيف من مهارات الموظفين لاحتياجات الشركة.
- تعزيز التنوع.

أ- وضع سياسة لتحفيز الموظفين

اتخاذ إجراءات محددة الأهداف للموظفين هو المحرك الرئيسي للأداء الاقتصادية. في الواقع، موظف راضٍ عن وظيفته وظروف عمله هو:

- أكثر قوة وأكثر انخراطاً في عمله.
- أكثر حماساً للدخول في مشاريع جديدة.
- أقل غالباً ما يكون غائباً إلا بسبب المرض على وجه الخصوص.
- أكثر ولاء للمؤسسة.
- أكثر قدرة على التكيف مع التغيرات (التغيرات في أساليب الإنتاج، إعادة تنظيم الشركة.. إلخ).
- أكثر حذر للحفاظ على أجواء عمل جيدة.

قبل الشروع في مناقشة لتحسين ظروف تحفيز الموظفين، يجب إطلاعهم بذلك، حيث أن مجرد الاهتمام الخاص باحتياجاتهم وتوقعاتهم هو حافز، مع العلم أن الإعلان عن مثل هذا النهج يمكن أن يولد توقعات عالية بين الموظفين، وبالتالي فإنه من الضروري إبلاغ الموظفين منذ البداية أن التصرفات التي سوف تقوم بها المؤسسة سوف تكون واقعية ومعقولة بالنسبة لها.

ب. مطابقة مهارات الموظفين لاحتياجات المؤسسة

تبني منهجية للموارد البشرية تستند على تسيير المهارات لتعزيز القدرة التنافسية للمؤسسة والبحث عن أفضل معادلة ممكنة بين المهارات اللازمة للمؤسسات والمهارات المتاحة. فهي تسمح بالتصدي للتحديات التي تواجه قادة الأعمال في توظيف الموظفين المؤهلين وتوقع النتائج المترتبة على القوى العاملة كالشيخوخة. أيضاً يعتبر تسيير المهارات

كأداة فعالة لإدارة التطوير الوظيفي لموظفيها وتحفيزهم، ويتمثل في مرافقة الموظفين طوال مساهمهم المهني بفضل التدريب المهني وإظهار مدى اهتمام الشركة بتطورهم.

ج. تبني مقاربة التنوع في مكان العمل

تعزيز التنوع في المؤسسة ووضع سياسات للتوظيف وإدارة الحياة الوظيفية مفتوحة أمام أي شخص، اعتماداً على مهاراتهم، ودون تمييز بسبب السن أو الإعاقة أو الجنس، الأصل العرقي والدين والمعتقدات، أو التوجه الجنسي.

ويمكن تحقيق مثل هذا النهج كما يلي:

- توسيع مصادر التوظيف (الجمعيات التوظيف)،
- ترشيد التوظيف من خلال وضع وصف محدد للمنصب وإجراءات الانتقاء المعينة والمحددة مسبقاً.
- يتم ذلك باستغلال الفرص التي يتيحها سوق العمل والنظر في خصوصيات الموظفين (بما في ذلك الثقافية) كمصادر للابتكار والأداء.
- في الواقع، مثل هذا النهج يسمح بـ:
- تحسين كفاءة وابتكار قدرات رجال الأعمال من خلال توفير الموظفين من أفق متنوعة،
- توظيف الأشخاص الذين تناسب المهارات مع المنصب،
- أن تكون على بينة لاحتياجات فئات محددة من الناس، وبالتالي توجيه أعمال المؤسسة للعملاء المحتملين الجدد،
- تحسين صورة المؤسسة.

٢. القيمة المضافة لاستراتيجية المسؤولية الاجتماعية للمؤسسات في مجال الموارد البشرية

الاهتمام الخاص بالموظفين يعطي الفوائد التالية:

- زيادة القدرة التنافسية للشركة،
- تقليل نسبة الغياب،
- الحفاظ على الموظفين والحد من دوران،
- توقع التغيرات في سوق العمل،
- تطوير القدرة على التكيف خلال فترات التغير و/أو الصعوبات
- إنشاء أفضل تماسك اجتماعي.

الخاتمة

على الرغم من تعقيد إدماج مبادئ المسؤولية الاجتماعية في استراتيجية المؤسسات، وهذا هو الاتجاه للتنمية الاقتصادية في المستقبل.. إدارة الموارد البشرية تلعب دوراً رئيسياً في تطورها.

تساعد المسؤولية الاجتماعية للمؤسسات في مجال إدارة الموارد البشرية، في تحفيز الموظفين، وتحسين صورة المؤسسة، وزيادة ولاء الموظف وحسن نيته.

كذلك الشركة التي تهتم بظروف عمل موظفيها، وتوفر لهم عوامل الرضا والتحفيز يكون لها صورة إيجابية تسمح لها يجذب المهارات والإمكانات العالية هذا ينبغي أن يقود وظيفة الموارد البشرية لاعتبار الموظف كعميل داخلي، يكون رضاه وتحفيزه دافع ضروري لنجاح المؤسسة.

وعلاوة على ذلك، دمج مبادئ المسؤولية الاجتماعية للمؤسسة في سياسة إدارة مواردها البشرية، هو مسألة بالغة الأهمية في تكتيكات المستقبل لهذا التطور.

المراجع

مراجع اللغة العربية

١. حسين مصطفى هلال، الإبداع المحاسبي في الإفصاح عن المعلومات البيئية في التقارير المالية، القاهرة ٢٠٠٥.
٢. صادق حسني، «تدقيق الأداء الاجتماعي للمنشآت في ضوء معايير المراجعة الدولية الأمريكية»، مجلة الإداري، معهد الإدارة العامة مسقط سلطنة عمان، العدد ٣ جوان ٩٣.
٣. طاهر محسن منصور الغالبي وصالح مهدي محسن العامري، المسؤولية الاجتماعية وأخلاقيات الأعمال، دار وائل للنشر، عمان ٢٠٠٥.
٤. محمد حسني عبد الجليل صبحي، رسالة دكتوراة بعنوان الإطار العلمي للمراجعة الاجتماعية، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ١٩٩٠.

مراجع اللغات الأجنبية

6. Chauveau A., Rosé J.J. L'entreprise Responsable, Éditions d'Organisation, Paris 2003.
5. Coulon R., Responsabilité Sociale de l'Entreprise et pratiques de gestion des Ressources Humaines, Cahier du FARGO n° 1060902, LEG – FARGO (Centre de recherche en Finance).
7. Fraisse A.-S., Guerfel-Henda S. (2005), La Responsabilité Sociale de l'Entreprise (RSE): instrument de management des ressources humaines? 16e Conférence de l'AGRH – Paris Dauphine – 15 & 16 septembre 2005.
8. Godelier E. (1998), La place de la fonction GRH au sein de la structure de l'entreprise: un dilemme entre l'efficacité et la reconnaissance? Dans.
9. Ressources humaines; Une gestion éclatée, J. Allouche et B. Sire (dir.), Paris, Économica.
10. Igalens J. & Joras M., 2002, La Responsabilité Sociale De L'entreprise. Comprendre, Rédiger Le Rapport Annuel, Coll ANDCP, Editions d'Organisation, Paris.

دراسة مدى نجاح استحداث شعب تخصصية لقسم الجغرافيا بالجامعات الليبية (مع عرض مقترح كلية الآداب والعلوم بزلتين)

د. معنوق علي عون*

أولاً: مقدمة



جهة أخرى يتطلب منا وضع استراتيجية عملية للإصلاح تركز على صنع توافق متوازن ومستمر بين المتغيرات التالية:

- ١- الوضع الراهن للتعليم في ليبيا وتحديد أوجه القصور فيه.
- ٢- التغيرات العالمية في مجال المعرفة بجميع فروعها وفي مجالات الحياة المختلفة.
- ٣- حاجة سوق العمل المحلي والتي يحددها شكل الهيكل الاقتصادي المستقبلي للبلاد.
- ٤- ملامح وسمات ومتطلبات البيئة المحلية بجميع مجالاتها.

تعتبر مؤسسات التعليم العالي إحدى المصادر والعوامل الأساسية لبناء المجتمع في دول العالم المتقدم وذلك من خلال ما تقوم به من تزويد الطلبة بالمهارات المتنوعة التي يحتاجها المجتمع تحقيقاً لمبدأ تكامل مخرجات التعليم مع سوق العمل ووفقاً لذلك فإن التعليم في تلك الدول دائماً ما يتعرض إلى عمليات إصلاح من حين لآخر (Reform Process) لغرض التحديث وإدخال كل ما هو جديد ودمجه في المنهج الدراسي حتى يواكب كل ما هو جديد وتكون مخرجاته قادرة على المساهمة في عملية التنمية والتطوير. إن الوضع الراهن للتعليم بشكل عام والعالي بشكل خاص في ليبيا وما يعاني منه سلبات وعراقيل ومصاعب من جهة وما يشهده العالم اليوم من تطور سريع في جميع المجالات الحياتية والثورة العلمية المستمرة من

* عميد كلية الآداب والعلوم بزلتين، عضو الجمعية الجغرافية الليبية، عضو هيئة تحرير مجلة العلوم الإنسانية والتطبيقية - كلية الآداب والعلوم بزلتين/ ليبيا.

matogali@yahoo.com - matokaoon@googlemail.com

وعلى الرغم من أن فرع الجغرافيا أحد التخصصات الرئيسية والهامة في مجال العلوم الإنسانية في جامعاتنا الليبية، والذي يطمح متخرجيه الدخول لسوق العمل عبر قنواته المتنوعة، إلا أن عدم تطوير هذا الفرع منذ تأسيسه إلى الوقت الحاضر جعله غير قادر على تلبية رغبات دارسيه من ناحية وعلى مسايرة متطلبات سوق العمل التي تتغير وتتطور يوماً بعد يوم من ناحية أخرى إضافة إلى تأخره عن ركب تطور نظيره في جامعات العالم المتقدم.

ثانياً: مشكلة البحث

تنبثق مشكلة البحث من عدة حقائق مفادها ما يلي:

- ١- عدم تفرع وانبثاق شعب متعددة الاختصاصات (طبيعية وبشرية وبيئية) لأقسام الجغرافيا بالجامعات الليبية على غرار ما هو موجود في جامعات دول العالم المتقدم وبعض الجامعات العربية كنتيجة حتمية للتغيرات العالمية سواء في المجالات الطبيعية والبشرية والبيئية والتي أجبرت جامعات العالم على تطوير هذا الفرع واستحداثها شعب متعددة تكون قادرة على استيعاب ذلك الكم الهائل من التغيرات.
- ٢- إن اعتماد القسم نظام تدريس الجغرافيا في الجامعات الليبية من خلال فرع واحد شامل لجميع التخصصات جعله يتصف بعدم المرونة من حيث عدم قدرته على إدراج وتبني الكثير من المقررات الجغرافية الحديثة التي استحدثت مؤخراً في الكثير من الجامعات العالمية والخاصة البيئية منها،
- ٣- إن عدم وجود شعب تخصصية للجغرافيا يحد بدرجة كبيرة من عملية جذب الطالب لدراسة هذا الفرع لمعرفة الطالب مسبقاً بمحدودية طلب سوق العمل المحلي لخريجي هذا التخصص واقتصار فرص الوظيفة بعد التخرج على مهنة التدريس فقط والتي تكاد فرص الحصول عليها منعدمة لكثرة مدرسي المواد الإنسانية في المدارس الثانوية وانعدام فرص تعيين مدرسين جدد.

ثالثاً: فرضية البحث

بناء على ما يشهده نظام تدريس الجغرافيا في جامعات العالم المتقدم، وإمام الكثير من الطلبة وأعضاء هيئة التدريس المحليين بالتطور الذي طرأ على أقسام الجغرافيا بتلك الجامعات من ناحية، إضافة إلى بروز الكثير من القضايا الطبيعية والبيئية والبشرية الجديدة في السنوات الأخيرة والتي تعتبر من صلب التخصص الجغرافي والمفترض إدراجها بشكل موسع ومستفيض في المنهج الجغرافي من ناحية ثانية، فضلاً عن المشاكل التي عانى منها التعليم الجامعي بشكل عام في ليبيا في ظل النظام السابق والتي أدت

لتأخره عن ركب تطور الجامعات العالمية من ناحية ثالثة، فإن الباحث يفترض أن قسم الجغرافية بالجامعات الليبية إذا ما شرع في تغيير سياسته التعليمية القديمة التي تعتمد على تدريس الجغرافيا في إطار تخصص إلزامي واحد فقط، وتتبع نمط جديد يشمل عدة تخصصات جغرافية وبيئية بأن هذا التغير سيلقى إقبالا وتجاوبا جيدا من طلبة وأساتذة الجغرافيا، مما سيضفي صفة المرونة والقدرة على تبني كل هو جديد في المجالات المختلفة وإمكانية إدراج التغيرات بشكل مستمر، هذا فضلا إلى إمكانية توفيره لكوادر عمل أكثر تخصصا والتي يحتاجها سوق العمل مستقبلا في مجال البيئة والتخطيط والتنمية ونظم المعلومات الجغرافية وغيرها.

رابعاً: أهمية البحث

تكمن أهمية هذا البحث في فتحه المجال والفرصة والتشجيع لأعضاء هيئة التدريس المحليين في جميع التخصصات للمساهمة في عرض أفكارهم ومقترحاتهم كل في مجال تخصصه للكشف عن مشاكل وعوائق العملية التعليمية المتعلقة بكل تخصص لرسم سياسة تعليمية حديثة تتفق مع تلك المتبعة في الدول المتقدمة والتي تحقق أهداف ورسالة الجامعة من ناحية وتشبع رغبة الطالب من ناحية ثانية وتحقق متطلبات سوق العمل وخدمة المجتمع من ناحية ثالثة، هذا إضافة إلى تتبع كل ما هو جديد في حقل المعرفة لإدراجه بشكل دوري ومستمر في المناهج الدراسية.

خامساً: منهجية البحث

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي المسحي باستخدام الاستبيان، إضافة إلى المنهج الإحصائي الذي أستخدم في تحليل بيانات الاستبيان (١)، وقد تمثل الاستبيان في شقين، الأول تم توزيعه على عينة من طلبة أقسام الجغرافية في عدد ٨ كليات بالجامعات الليبية، والآخر على أعضاء هيئة التدريس بنفس الكليات للعام الجامعي ٢٠٠٩-٢٠١٠، وقد شمل الاستبيان ما يلي:

١- سؤال تحديد رغبة اتجاهات الطلبة التعليمية

يتمثل الهدف من هذا السؤال في معرفة ميول الطالب العلمية وذلك من خلال الصياغة التالية:

س- من فضلك ضع إشارة أمام الفرع المفضل لديك من الفروع الآتي ذكرها؟

١- العلوم البيئية. ٢- الجغرافيا الطبيعية.

٣- الجغرافيا البشرية. ٤- جميع التخصصات السابقة.

وكان الهدف من هذا السؤال هو معرفة مدى وجود تنوع في الرغبة والميول العلمي لدى طلبة الجغرافيا والذي على أساسه يمكن معرفة مدى نجاح استحداث شعب جغرافية وبيئية من عدمه.

٢- سؤال معرفة رأى الطلبة والأساتذة حول استحداث شعب جغرافية وبيئية جديدة: يتمثل الهدف في معرفة مدى إمكانية نجاح فكرة استحداث شعب جغرافية ليتم تبنيها في العملية التعليمية لأقسام الجغرافيا بالجامعات الليبية وذلك من خلال الصياغة التالية:

س- من فضلك ضع علامة أمام الشعبة التي ترغب في دراستها والتخصص فيها إذا ما كانت معروضة سلفاً؟

- ١- جغرافية طبيعية وبيئية. ٢- الإدارة البيئية.
- ٣- علوم بيئية. ٤- جغرافيا بشرية. جغرافيا عامة.

٣- إضافة أي تعليقات أو تحليل لإجابة معينة

تم تخصيص فراغات في نهاية الاستبانة وإعطاء الحرية للطلبة والأساتذة للتعبير عن آرائهم وتعليق إجاباتهم حسب ما يرونه مناسب في خدمة المقترح، وقد تمت الاستعانة بهذه التعليقات عند تحليل بيانات السؤالين السابقين.

سادساً: حصر سلبيات السياسة التعليمية بقسم الجغرافيا في الجامعات الليبية

تتمثل أهم سلبيات المتعلقة بذلك فيما يلي:

١- تتبع جميع الجامعات سياسة التخصص العام الإجباري دون وجود شعب فرعية وفق المتبع في معظم جامعات العالم.

٢- الاعتماد الكبير على الأسلوب النظري في التدريس وإهمال الجانب العملي ويرجع ذلك لعدة أسباب من أهمها نقص الإمكانيات اللازمة لذلك.

٣- الاعتماد على الأسلوب التقليدي في التدريس المعتمد بشكل كبير على المحاضرة وعدم إعطاء الأساليب الأخرى أي أهمية.

٤- إهمال الدراسة الحقلية في السنوات الدراسية الثلاثة الأولى واقتصارها على السنة الأخيرة وبشكل غير منتظم في الكثير من الجامعات بل وانعدامها في جامعات.

٥- عدم وجود معامل جغرافية في الكثير من الكليات وعدم صلاحية الموجود منها لتأدية الدور المطلوب في العملية التعليمية.

- ٦- عدم مسايرة التغيرات والتطورات العالمية في جميع المجالات عن طريق إدراج مقررات جغرافية وبيئية جديدة تتبنى تلك التغيرات، والاحتفاظ بالمقررات التقليدية القديمة التي تعالج المشاكل البيئية والجغرافية بشكل مختصر.
- ٧- عدم الاستفادة من مشاريع التخرج والتي في الغالب تعالج قضايا محلية هامة وذلك بسبب إهمال الجهات المسؤولة عن هذا الجانب.
- ٨- عدم مساهمة أقسام الجغرافية بالجامعات الليبية بوضع سياسة تساهم في تنفيذ ولو جزئياً قرار اليونسكو رقم ٢٥٤/١٥ المتمثل في عقد التنمية المستدامة (٢٠٠٥-٢٠١٤) وذلك بحكم أن الجغرافيا أحد أهم فروع التعليم العالي الذي يقع على عاتقها المساهمة في تحقيق مبدأ التنمية المستدامة عن طريق النهوض بتحسين جودة التعليم من أجل التنمية المستدامة بحيث يمكن الطلبة الدارسين من اكتساب ما يلزم من تقنيات ومهارات وقيم ومعارف لضمان تنمية مستدامة (٢).

سابعاً: الخطة المقترحة لتطوير السياسة التعليمية الحالية بقسم الجغرافيا

استناداً إلى أن تطوير الجامعات الليبية يحتاج إلى اتخاذ عدة خطوات رئيسية أهمها وضوح رؤية وأهداف الجامعة وتوفير الإمكانيات من أجل تحقيقها وأن تتفق مخرجات العملية التعليمية مع أهداف الجامعة من ناحية وتكون قادرة على توفير متطلبات سوق العمل إضافة إلى ضرورة تتبع الجامعة أسلوب التغير النوعي من خلال إنتاج البحوث والرقى بمستوى المناهج وأساليب التدريس إضافة إلى تفعيل دورها في المجتمع والمشاركة الفعلية في مشاريع التنمية وبرامجها، هذا فضلاً عن الاهتمام بالطالب والرقى بمستواه من جميع الجوانب والتواصل مع الجامعات العالمية لتتبع كل المتغيرات العالمية في مجال العلم والمعرفة وإدراجها في العملية التعليمية، تفعيل دور التعليم في تطبيق مبدأ التنمية المستدامة لخدمة البيئة المحلية والمجتمع (٣) (٤)، فإن هذا المقترح يخدم جزئياً ما سبق الإشارة إليه آنفاً من آليات تطوير الجامعات الليبية، ويستمد هذا المقترح فكرته من حقيقة التطور الذي طرأ على سياسة التدريس بأقسام الجغرافيا بجامعات العالم من تعدد الشعب العلمية بداخلها والتي يمكن تطبيقها في جامعات ليبيا ويمكن التأكد من مدى نجاح تبني وتطبيق هذه الفكرة من عدمها عن طريق نتائج الدراسة الميدانية التالية:

١- معرفة الميول والرغبة العلمية للطلبة

يتضح من خلال الجدول (١) بأن نسبة ٣٦,٣% من الطلبة يفضلون المواضيع البيئية، وقد كان هذا الميول هو الغالب على الطلبة في جميع الكليات، ويرجع ذلك إلى

إحساس الطلبة بمدى خطورة المشاكل البيئية على الحياة وتفاقمها عاماً بعد عام مما يشكل تهديداً واضحاً على مستقبل الاجيال القادمة، كما علل البعض موافقتهم إلى رغبتهم في دراسة فروع معينة وعدم رغبتهم في دراسة أخرى وإن هذا المقترح يساعدهم في تحقيق رغبتهم، بينما يرى البعض بأن التخصص من المرحلة الجامعية يعطى فرصة للطلاب في مواصلة دراسته العليا في نفس المجال. بينما احتلت الجوانب الطبيعية المرتبة الثانية بنسبة ٢٤٪، والمواضيع البشرية المرتبة الثالثة على ميول الطلبة بنسبة ٢٠,٥٪، بينما أوضح ١٩٪ من الطلبة ميولهم لكل المواضيع الجغرافية والبيئية الموضحة في الجدول، كما يتضح من النتائج المعروضة بأن نسبة ميول الطلبة في جميع المواضيع متقاربة مع بعضها البعض وعدم وجود تفاوت كبير بينها مما يدعم نجاح فكرة استحداث شعب متعددة لوجود الرغبة مسبقاً لدى الغالبية العظمى من الطلبة.

جدول (١) الميول العلمية لطلبة الجغرافيا

البيان	كلية أ %	ب	ج	د	هـ	و	ز	المعدل العام %
المواضيع البيئية	٣٤,٤	٣٤,٦	٣١	٣٥,٨	٤٠,٩	٤٤,١	٣٣,٣	٣٦,٣
الجغرافية الطبيعية	٢٨,١	٢٦,٩	٢٧,٦	٢٢,٢	٢٢,٧	١٧,٦	٢٤,٢	٢٤,٢
الجغرافية البشرية	٢١,٩	١٩,٢	١٧,٢	٢٢,٢	١٨,٢	٢٠,٦	٢٤,٢	٢٠,٥
كل الفروع السابقة	١٥,٦	١٩,٢	٢٤,١	١٩,٨	١٨,٢	١٧,٦	١٨,٢	١٩
المجموع	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠
عدد الطلبة	٣١	٢٦	٢٩	٨١	٢٢	٣٤	٣٣	١٠٠

٢- الشعب المقترحة ومدى استجابة الطلبة وأعضاء هيئة التدريس إليها

يتضح من الجدول (٢) أن شعبة الجغرافية الطبيعية والبيئية احتلت المرتبة الأولى بشكل عام من حيث قبول الاستحداث بنسبة ٢٧,٨٪، ولكنها لم تكن كذلك في جميع الكليات، وجاءت في المرتبة الثانية من حيث الموافقة شعبة الإدارة الجغرافية والبيئية بنسبة ٢٧٪، علماً بأن هذه الشعبة احتلت المرتبة الأولى في عدد كليتان، واحتلت شعبة العلوم البيئية نسبة ٢١,٣٪، تلتها شعبة الجغرافية البشرية بنسبة ١٢,٢٪، وأخيراً شعبة الجغرافية العامة بنسبة ١١,٧٪، وربما يعنى ذلك عدم رغبة الطلبة في التخصص الإجباري العام المتبع حالياً.

جدول (٢) النسبة المئوية لموافقة الطلبة حول استحداث شعب جغرافية وبيئية جديدة بأقسام الجغرافيا بكليات ليبيا، ونسبة كل شعبة على حدا

البيان	أ. %	ب	ج	د	هـ	و	ز	المعدل %
الجغرافية الطبيعية والبيئية	٣٢,١	٢٦,١	٢٥,٩	٣٠	٣٥	٢٥	٢٠	٢٧,٨
جغرافية وإدارة بيئية	٣٥,٧	٢٦,١	٢٢,٢	٢٤,٣	٢٥	٢٨,١	٣٠	٢٧
العلوم البيئية	٧,١	٢١,٧	٢٢,٢	٢٧,١	٢٠	٢٥	١٦,٧	٢١,٣
الجغرافيا البشرية	١٠,٧	١٧,٤	١٤,٨	٧,٤	١٠	١٥,٦	١٣,٣	١٢,٢
ليسانس جغرافيا عامة	١٤,٣	٨,٧	١٤,٨	١٠	١٠	٦,٢	٢٠	١١,٧
المجموع	٢٨	٢٣	٢٧	٧٠	٢٠	٣٢	٣٠	٢٣٠
عدد الطلبة	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

ويتضح من الجدول (٢) بأن نسبة ٨٨,٦ % من أعضاء هيئة التدريس يؤيدون فكرة استحداث شعب جغرافية وبيئية جديدة بدلاً من فرع جغرافي مع تقارب نسبة الموافقة بين جميع الكليات تقريباً، فيما أبدى ١١,٤ % منهم عدم موافقتهم على هذا المقترح والإبقاء على النظام التعليمي السابق، وقد علل أصحاب الرأي الأول بضرورة وضع المقترح قيد الدراسة والتنقيح وإظهاره بصورته النهائية مع إعطاء الحرية للأقسام في إضافة أي شعبة أخرى تتماشى مع تطور فرع الجغرافيا وعللوا سبب تأييدهم لهذه الفكرة إلى التطور السريع والتنوع الواضح لاهتمامات فرع الجغرافيا وخاصة في السنوات الأخيرة بحيث أصبحت السياسة الحالية للتدريس غير قادرة على تبني كل ما هو جديد وتدرسه للطلبة بشكل مفصل وبالتالي فإن تعدد الشعب يضمن صفة المرونة على عملية تدريس المقررات الدراسية، كما أن الشعب المتعددة تضي على الفرع عامل التحفيز والإثارة وبالتالي جذب طلبة الثانويات لدراسة الجغرافيا والتخصص في مجال محدد منها. بينما علل أصحاب الرأي الراض للفرصة سبب عدم موافقتهم بأن هذا البرنامج يحتاج إلى إمكانيات كبيرة هي غير متوفرة حالياً ومن أهمها المعامل الجغرافية واتباع تطبيق برنامج الدراسة الحقلية مند السنوات الدراسية الأولى هذا إضافة إلى احتمالية عدم قدرة الطلبة المتخرجين من الثانويات الأدبية من دراسة العلوم البيئية مما يؤدي إلى عزوف البعض منهم على الدراسة إذا فرض عليهم دراسة مثل هذه الشعبة مثلاً.

جدول (٣) النسبة المئوية لمدى استجابة أعضاء هيئة التدريس بأقسام الجغرافيا بكليات ليبيا فيما يتعلق باستحداث شعب جغرافية وبيئية جديدة

البيان	أ. %	ب	ج	د	هـ	و	ز	المعدل %
نعم	١٠٠	١٠٠	١٠٠	٧٥	٧١	١٠٠	٨٥,٧	٨٨,٦
لا	٠,٠	٠,٠	٠,٠	٢٥	٢٨,٦	٠,٠	١٤,٣	١١,٤
المجموع	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠
العدد	٦	٧	٣	٨	٧	٦	٧	٤٤

سابعاً: أمثلة من تجارب جامعات بريطانيا

يهدف هذا الجزء إلى تسليط على تجارب أقسام الجغرافيا ببعض الجامعات البريطانية لمعرفة مدى التطور الذي طرأ على السياسة التعليمية بها ودراسة مدى إمكانية الاستفادة منها في استحداث شعب جديدة يمكن أن تخدم البيئة والمجتمع المحلي. وفيما يلي عرض لهذه التجارب:

١- قسم الجغرافيا جامعة (Bradford) ومن بين الشعب المعروضة ما يلي:

أ- شعبة الجغرافية والإدارة البيئية. ب- شعبة العلوم البيئية.

٢- قسم الجغرافيا بجامعة كوفنتري (Coventry University) ومن بين الشعب

المعروضة ما يلي: أ- شعبة التغير المناخي. ب- شعبة الجغرافية والكوارث الطبيعية.

٣- قسم الجغرافيا جامعة مانشستر ميتروبولتن (Manchester Metropolitan

University) ومن بين الشعب المعروضة ما يلي:

أ- شعبة الاستدامة والإدارة البيئية. ب- شعبة التغير المناخي.

٤- جامعة الملكة كوين (Queen Mary University) ومن بين الشعب

المعروضة ما يلي: أ- شعبة الجغرافية البيئية. ب- الجغرافية والاقتصاديات.

ثامناً: التجربة الجديدة لقسم الجغرافية لكلية الآداب والعلوم بزلتين

شرع قسم الجغرافيا بكلية الآداب والعلوم بزلتين مع بداية العام الجامعي ٢٠١١-٢٠١٢ في تبني مقترح استحداث شعب جغرافية (٥)، ويتمثل في دراسة الطالب لمواد جغرافية إلزامية خلال الأربع فصول الدراسية الأولى وبعدها يتم التخصص في شعبة معينة وفقاً لعدد الطلبة وهذه الشعب هي:

- ١- شعبة الجغرافيا البيئية.
 - ٢- شعبة السكان وال عمران.
 - ٣- شعبة التخطيط والتنمية.
 - ٤- شعبة نظم المعلومات الجغرافية والخرائط.
- وقد بدأ فعلاً تطبيق هذا المقترح وسوف يتم التخصص مع بداية فصل الربيع ٢٠١٤.

النتائج: يتضح من خلال العرض السابق ما يلي:

- ١- إن السياسة التعليمية لأقسام الجغرافيا لم يطرأ عليها أي تجديد جعلها تسير ما يحدث في جامعات العالم.
- ٢- يتميز طلبة أقسام الجغرافية بتنوع ميولهم واتجاهاتهم العلمية الجغرافية والبيئية مما يعني أن فكرة استحداث شعب متعددة سيلقى نجاحاً جيداً.
- ٣- إن المقترح الذى عرضته الدراسة لاقى إقبالاً كبيراً من الطلبة وأساتذة الجغرافيا بالجامعات الليبية مما يعطى دليلاً قاطعاً بأن السياسة التعليمية القديمة يجب أن تتغير وتستبدل بما يتماشى مع رغبات الطلبة العلمية.
- ٤- من خلال عرض تجارب الجامعات البريطانية اتضح اهتمامها الكبير بسياسة التنوع الجغرافي والبيئي.

التوصيات: توصي الدراسة بما يلي:

- ١- إن عملية إصلاح التعليم لا بد أن تتم من خلال الدراسة الميدانية وملازمة أرض الواقع للمؤسسات التعليمية ومعرفة رغبات وآراء الطلبة وأعضاء هيئة التدريس.
- ٢- يجب على أقسام الجغرافيا بالجامعات الليبية دراسة تجارب جامعات الدول المتقدمة فيما يتعلق باستحداث شعب متعددة فيما يتماشى مع خدمة البيئة المحلية والمجتمع.

المراجع

- (١) عامر إبراهيم قنديلجي، البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات التقليدية والإلكترونية، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٨.
- (٢) اليونسكو، عقد الأمم المتحدة للتعليم من أجل التنمية المستدامة ٢٠٠٥-٢٠١٤، مشروع خطة التنفيذ الدولية، ٢٠٠٥.
- (٣) سلمان الزبيدي، مشكلات التعليم العالي في الوطن العربي (دراسة تحليلية نقدية)، ط١، مطبعة مارس، طرابلس، ٢٠٠٠.
- (٤) عائدة باكير، تطور دور الجامعة في خدمة المجتمع في ضوء المسؤولية المجتمعية والاتجاهات العالمية الحديثة، ٢٠٠٨.
- (٥) جامعة المرقب، كلية الآداب والعلوم بزلتين، قسم الجغرافيا، محضر اجتماع لقسم الجغرافيا للعام الجامعي ٢٠١١-٢٠١٢.

دور الخرائط البحثية في تطوير مستقبل البحث التربوي في العالم العربي

د. مها عبد الجبار اليماني*



مقدمة

احتياجاته وتطلق من مشكلاته الراهنة. والحديث عن البحث العلمي بصفة عامة ينطبق على البحث التربوي إلا أن الأخير مرتبط بمجال التربية. إن المعرفة بأولويات البحث التربوي والوقوف على اتجاهاته الحديثة يتطلب نوعاً من التنسيق بين الجهات المشغلة به. ويساعد هذا التنسيق على إجراء الأبحاث التربوية والإفادة منها وتطبيق نتائجها؛ لتجنب التكرار وشمولية المعلومات حول الموضوع أو المجال.

يعيش العالم اليوم في عصر التطور السريع، الذي يركز على البحث العلمي كأداة للتطور والتقدم. والبحث العلمي عبارة عن نشاط أكاديمي يسير وفق طريقة علمية منظمة. وتعمل الأبحاث على توسيع نطاق المعرفة وتطويرها على المستوى الفردي والمحلي والعالمي. كما تلعب دوراً أساسياً في حل مشكلات المجتمع، وفي النمو المهني والمعرفي للأستاذ الجامعي. ولتكون هذه الأبحاث قابلة للتطبيق وذات فاعلية ينبغي أن تتوافق مع متطلبات المجتمع وتسد

* دكتورة فلسفة، أستاذ مساعد مناهج وطرق تدريس العلوم، كلية التربية، جامعة طيبة، المدينة المنورة/السعودية.

dr_mahayamani@hotmail.com - www.maha-alyamani.com

فهناك حلقة مفقودة بين نتائج الأبحاث التربوية وبين المنفذين، ولسد هذه الفجوة ينبغي إنشاء تنظيمات مركزية من المتخصصين لمتابعة نتائج البحوث التربوية وجمعها وتصنيفها وتبويبها، ودراسة إمكانية تطبيقها والاستفادة منها (مرسي: ١٩٩٤)؛ وذلك سعياً لتحقيق الرصانة في الأبحاث التربوية. وهو ما يطلق عليه الخرائط البحثية. في ضوء ذلك تناولت ورقة العمل دور الخريطة البحثية للمجال التربوي في تطوير مستقبل البحوث التربوية، وتصميم نموذج مقترح للخريطة البحثية للتمكن من الاستفادة من تطبيقها عملياً. ولتوضيح هذا الدور تم عرض النقاط التالية:

- البحث التربوي ودوره في التطوير.
- أهمية الخريطة البحثية وأهدافها.
- معايير بناء الخريطة البحثية التربوية.
- الخرائط البحثية ومسؤولية الجامعة.
- دور عضو هيئة التدريس في صناعة الخريطة البحثية التربوية.
- واقع الخرائط البحثية في الجامعات العربية.
- بناء الخرائط البحثية التربوية في ضوء التوجهات العالمية.

البحث التربوي ودوره في التطوير

يعد المجال التربوي أحد المجالات الحيوية في البحث العلمي، والذي بدوره يمثل أساس تطور المجتمع مهما اختلفت ثوابته ومقتضياته البشرية والمادية. فمجال التعليم هو اللبنة الأولى لإعداد الباحثين، وتطوير المشاريع التعليمية يتم عبر رسم استراتيجيات بحثية تتناول جوانب العملية التعليمية (المناهج- الطالب- المعلم- الإدارة) مما يساهم في التنمية المستدامة. وتلعب المنظمات التربوية والتعليمية دوراً رئيساً في قيادة وتوجيه عمليات التطوير، فالمنظومة التربوية هي السبيل لاستثمار الموارد البشرية، ويوصي (سعيد: ٢٠١١) بأن يُبنى تغيير نوعية التعليم على قرارات سياسية تربوية أكاديمية مشتركة تدرك طبيعة التحدي وماهية التغيير، وتسرع في وضع السياسات الملائمة وتطبيقها للحاق بركب الألفية الثالثة.

إن الاستراتيجيات البحثية يمكن تمثيلها بخرائط بحثية، من شأنها نقل البحث التربوي من كونه وسيلة للحصول على درجة علمية للباحث إلى أدوات تشخيصية علاجية

تطويرية لواقع التربية. يتم توظيفها في علاج مشكلات التربية، والاحتكام لها كنتائج علمية تمثل سلطة قرارية لمراجعة المناهج والبرامج الدراسية والإدارية. وتجنب المسؤولين في المجال التربوي مصادفة مشكلات في الكفايات التعليمية والإدارية (تاج: ٢٠٠٨).

أهمية الخريطة البحثية

- ١- إن الحكم على المجتمع يكون من خلال الدور الذي يؤديه على الصعيد العالمي، ويبرز التقدم التربوي للمجتمع في ارتباط إنتاجه البحثي التربوي بالإنتاج العالمي، وأي تراجع في الأداء البحثي للمجتمع يسبب انحسار دور المجتمع عالمياً.
- ٢- الحاجة إلى استخدام الخريطة البحثية في المجال التربوي للتعرف على الميدان ومشكلاته، وتوظيف الكوادر فيما يخدم المجتمع، مع تحقيق الدرجة العلمية التي يطمح إليها الباحث.
- ٣- مواءمة أفضل الممارسات العالمية للأنشطة البحثية المحلية يوثق ارتباط المجتمع بالمنظومة البحثية العالمية.
- ٤- تتغير مسارات البحوث تبعاً لطبيعة العصر وطبيعة المجتمع، وتساعد الخريطة البحثية العاملين في المجال على مواكبة العصر في تناولهم للموضوعات التربوية الحديثة.
- ٥- يعد نتاج التراكم البحثي المنظم لأي مجتمع أساساً لتكوين الخرائط البحثية والتي بدورها تكون رؤية واضحة محددة المعالم للتربية (الطريي: ١٩٩٦).
- ٦- تعمل الخريطة البحثية على تحويل التراكم البحثي إلى تطبيقات عملية يُستفاد منها في المجال التربوي، ومن ثم يتم توثيقها لجعلها متاحة على الصعيد العالمي.

أهداف الخريطة البحثية

تهدف الخرائط البحثية إلى:

- الاستجابة لما ينادي به المسؤولون-في إطار الاهتمام المتزايد بالتربية- من ضرورة البحث في ما يضيف إلى التربية والمجتمع بدون تكرار.
- التعرف على المشكلات الميدانية في المجال التربوي وتصنيفها وتبويبها.
- التعرف على مدى الحاجة إلى دراسة المشكلات الميدانية وأولوياتها.

- تحديد الطرق والبرامج التي يمكن تطبيقها في الميدان للحكم على فاعليتها.
- الاستفادة من تعارض نتائج البحوث السابقة في اشتقاق موضوعات مقترحة.
- تفعيل دور أبناء المجتمع من الكوادر البحثية للوصول بالمجتمع إلى مستوى متقدم من الوعي الذي يجعله قادراً على مواجهة التحديات في مجال البحث (الطريري: ١٩٩٦).
- مساعدة الباحثين على اختيار نقطة بحثية جديدة لها أهميتها بالنسبة للمجال التربوي.

معايير بناء الخريطة البحثية التربوية

- تحديد الهدف من الخريطة والمتطلبات والزمن اللازم لتحقيقه.
- ارتباطها بالميدان أو بمجال تربوي محدد (المدارس - المدرّسون - الطلاب - المناهج - طرق التدريس - الوسائل التعليمية والتقنيات - الإدارة) (الطريري: ١٩٩٦).
- تحدد أسباب ومصادر المشكلات التربوية في الميدان وقابليتها للبحث وعمقها العلمي (مرسي: ١٩٩٤).
- إعدادها من قبل الأساتذة في التخصص أو الممارسين التربويين في الميدان.
- تحدد إمكانية دراسة البحوث في الوقت الراهن وفق الإمكانيات المتاحة.
- تتضمن الجوانب التالية: (محاوّر بحث - خطة زمنية - أنشطة بحثية - ميزانية - كوادر بحثية - تقرير لما تم إنجازه يمثل قاعدة بيانات للخريطة البحثية).

الخرائط البحثية ومسؤولية الجامعة

- تعد الجامعة المحضن الأكاديمي للبحث العلمي، كما أنه أحد وظائفها الأساسية. وفي معرض الحديث عن الخرائط البحثية لا بد من التنويه بدور الجامعة ومسؤوليتها تجاهها. وتضطلع الجامعة بالأدوار التالية:
- توثيق الجهود المبذولة في البحث وجعلها متاحة للهيئات الخارجية.
- تدعيم فكرة الأبحاث المشتركة في القسم الواحد (أبو مغلي: ١٩٩٧) أو في الأقسام المختلفة التي قد ترتبط في فكرة معينة.

- إتاحة الفرصة للاستفادة من مؤسسات المجتمع لدعم البحوث وتوفير التسهيلات للبحث العلمي؛ من خلال عرض خريطة بحثية لمشروع يهم المؤسسة.
- إيجاد قنوات اتصال لتبادل المعلومات والمطبوعات من خلال نشر قوائم أسماء وعناوين الهيئات المعنية بالبحث التربوي.
- إيجاد هيئة مهمتها ربط الجامعة بالجهات المختلفة خارجها بنشر بيانات عن الجهات العاملة في المجال التربوي، والخرائط البحثية لهذه الجهات، مما يساعد على تضافر الجهود واستثمار الوقت والإمكانات وتلافي التكرار في البحوث.
- تضمين مشكلات البحث ضمن برنامج للبحوث في الكلية أو الجامعة للحصول على الدرجات العلمية. ليعمل الباحثون في مشروع واحد يثير حماسهم ويناقشون مشكلاتهم المشتركة ويتبادلون الخبرات.

دور عضو هيئة التدريس في صناعة الخريطة البحثية التربوية

ينشغل أساتذة الجامعات أحياناً بمتطلبات التدريس فتجذبهم بعيداً عن مجال البحث؛ مما يسبب وجود فجوة بين البحث والتطبيق في الميدان، كما يسبب بعثرة الجهود المبذولة لدعم البحوث والافتقار إلى التسهيلات البحثية. ولتحقيق الاستفادة من الكوادر البحثية لا بد من قيام عضو هيئة التدريس بما يلي:

- دراسة الواقع التربوي واستخلاص أهم المحاور التي تحتاج إلى دراسة.
- تحديد البحوث التي تستعصي على الدراسة والبحوث التي يمكن دراستها في الوقت الراهن وفقاً للإمكانات البشرية والمادية المتاحة.
- إعداد الخرائط البحثية بالتنسيق مع أعضاء التخصص.
- توزيع موضوعات الأبحاث على الكوادر البحثية وفق احتياج المجتمع وإمكاناته وإدراجها ضمن خريطة بحثية.
- التواصل للاستفادة من الاتجاهات العالمية، من خلال الاطلاع المستمر على الجديد في مجال التربية، وربطه بما وصل إليه التخصص الذي يحمله.
- توجيه الطلبة إلى الاطلاع على خرائط في عدة مجالات. وتقديم الدعم الاستشاري للباحثين.

واقع الخرائط البحثية في الجامعات العربية

وجد من توضيح دور الخرائط البحثية، واستقراء واقعها في الجامعات العربية، ما يلي:

١- أن الأبحاث التي يتم تسجيلها بطريقة عرضية قد لا تجد طريقها إلى الجهات التنفيذية لتطبيقها؛ بسبب عدم إدراجها ضمن خريطة بحثية تبرز أهميتها وإمكانية تطبيقها.

٢- الحاجة إلى إيجاد خريطة بحثية للدول العربية من واقع الميادين التربوية، يكون من شأنها تحديد الأولويات في القضايا والمشكلات التربوية، مع التنسيق بين مؤسسات وجامعات المنطقة لإنجاز أبحاث في هذا المجال (الطيري: ١٩٩٦). وقد نادت الأمانة العامة لاتحاد مجالس البحث العلمي العربية بضرورة وجود استراتيجية للبحث العلمي العربي، تقوم على إلمام الباحثين بما تم تنفيذه والانطلاق منها في الأبحاث المزمع إعدادها (المجذوب وآخرون: ٢٠١١).

٣- توجد فجوة بين ما تسعى إليه الجهات البحثية وبين ما هو منفذ فعلاً. ففي حين ترغب هذه الجهات التجديد والتطبيق؛ إلا أنه لا توجد خريطة بحثية تسهم في إبراز المجالات التي لم يتم تناولها، وأيها يتطلب سرعة تطبيقه في الميدان. وكان ذلك أحد التحديات التي أشار إليها المجذوب بضعف التنسيق بين مراكز البحث العلمي وقطاعات الإنتاج والخدمات.

٤- توجد بعض الصعوبات في اختيار نقطة بحث للباحث المبتدئ، فأداء الأبحاث التربوية يخضع للفردية وينبع من اهتمامات الباحث الخاصة (أحمد: ٢٠٠٩)، كما أن تسجيل موضوعات لم يسبق تناولها يعد من الصعوبات التي ينبغي النظر فيها، بأن يتم التنسيق بين أعضاء التخصص الواحد في الدول العربية أو في العالم، بحيث تجمع الأبحاث التربوية تحت مظلة واحدة تشكل قاعدة معلومات يسهل على الباحث الرجوع إليها عند اختيار نقطة بحثه.

بناء الخرائط البحثية التربوية في ضوء التوجهات العالمية

يشهد الحراك التربوي العالمي العديد من الأعمال التربوية التي تتصف بالعمق والشمول سعياً لإقامة المجتمع المنتج وتحقيق التنمية المستدامة، وفي سبيل ذلك يتواصل

أصحاب المجال الواحد لمعرفة المستجدات. ويفتقر العالم العربي إلى رؤية شمولية لطبيعة العمل التربوي العربي، إذ يندر وجود هيئات تربوية تحتضن برامج البحوث التربوية. فافتقرت إلى التجانس والانسجام اللازم لتلك البحوث، مما أدى إلى قطرية البحث التربوي الذي يمثل صورة لواقع التربية في كل مجتمع. ولكي يسهم البحث التربوي في تطوير واقع التربية في العالم العربي ينبغي تضمينه في خريطة تتسم بخصائص الشمولية العلمية تكون منطلقاً لنظام تربوي عربي جديد، وتستجيب للتحديات المعاصرة التي يتعرض لها العالم العربي.

وتتضمن الخريطة البحثية ما يلي:

- المشكلات الميدانية في المجال التربوي والقضايا المعاصرة.
- مدى إسهام الأبحاث العلمية في حل هذه المشكلات والتغلب على الصعوبات.
- مدى توافر الإمكانيات المادية والعلمية للبحث والدراسة.

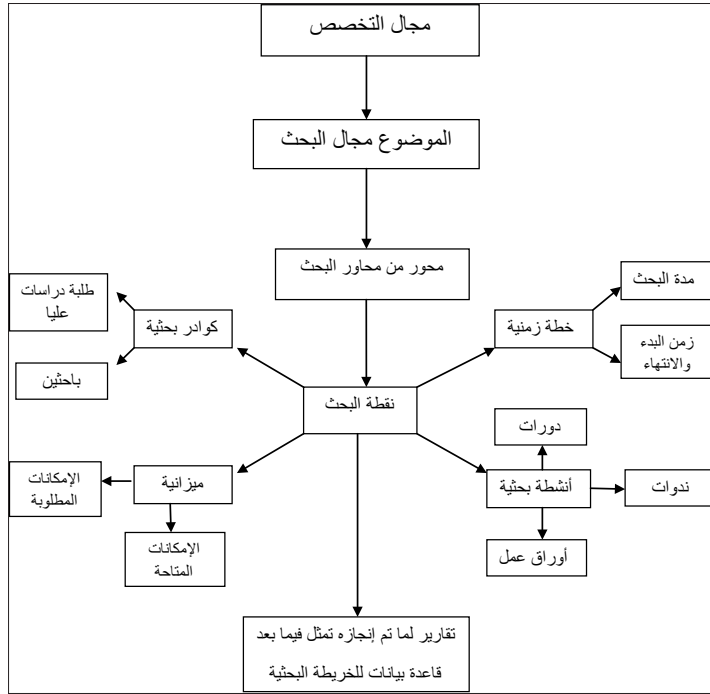
التصميم المقترح لنموذج خريطة بحثية

بالاعتماد على الأدب التربوي السابق تم اقتراح هيكل للخرائط البحثية في المجالات التربوية. حيث تُحصر هذه المجالات، وفي نفس الوقت يتم الربط بينها في صورة خريطة متكاملة في قضايا كل مجال. ويتم ذلك في خطوات كالتالي:

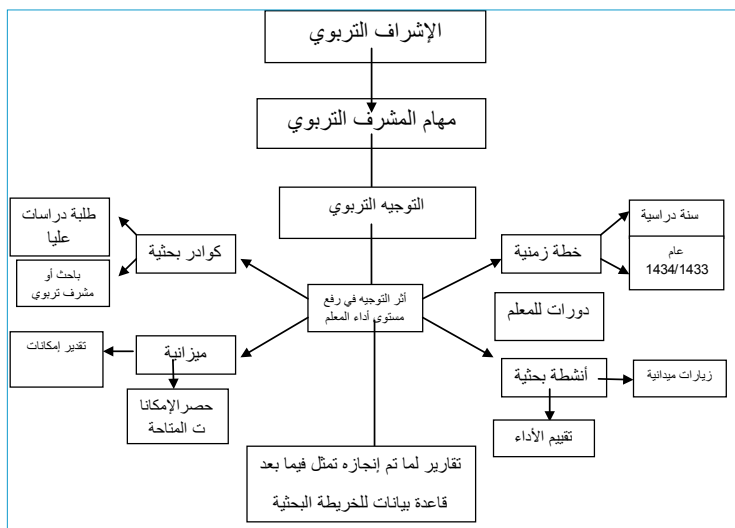
- اختيار مجال البحث وتحديد الهدف من الخريطة البحثية.
- تحديد المحاور الأساسية المرتبطة بمجال البحث وتتطلب دراستها.
- تحديد الفترة الزمنية لإنجاز البحث، وزمن بدء وانتهاء البحث.
- تسجيل ما يتطلبه البحث من أنشطة بحثية، كالدورات والندوات وأوراق العمل.
- تحديد المتطلبات المادية (ميزانية البحث) والكوادر البشرية التي يتطلبها إنجاز البحث ضمن الخريطة.
- يتم إعداد تقارير بما يتم إنجازه من الخريطة البحثية لكل مجال في محاوره المختلفة، تمثل فيما بعد قاعدة بيانات في المجال.

فيما يلي (شكل ١) نموذج خريطة بحثية، يمكن إدراج أي مجال بحثي ومحاوره فيها

شكل (١) نموذج خريطة بحثية



وفيما يلي (شكل ٢) مثال لخريطة بحثية من المجال التربوي:



التوصيات

بناء على العرض السابق يمكن تقديم التوصيات التالية:

- ١- تفعيل الخرائط البحثية للجامعات في المجال التربوي، وتوحيدها بين دول الخليج، وصناعة ما يعرف ببنك الأفكار البحثية المشترك.
- ٢- دعوة كليات التربية إلى تكوين قاعدة معلومات عن الأبحاث المنجزة والمطلوبة، وعن الكفاءات البحثية في المجال التربوي.
- ٣- إنشاء كليات تعليمية بحثية تعتمد على إعداد خرائط بحثية لمختلف التخصصات.
- ٤- اعتماد معايير قياسية في خريطة البحث العلمي التربوي لكلية التربية تتسجم مع المعايير العالمية.
- ٥- تعزيز دور المؤسسات في المجتمع في دعم الأبحاث التربوية من خلال الكراسي العلمية، على أن تكون هذه الكراسي تحت مظلة خريطة بحثية مرتبطة بالدول العربية.
- ٦- الاهتمام بالتنسيق بين الجهات التي تتبنى خرائط بحثية كالجامعات ومراكز الأبحاث مع أفراد أو جهات تنفيذية وإيجاد آلية للتعاون في إنجاز الأبحاث.
- ٧- إنشاء نقابات للتربويين بكل بلد عربي، تكون مرجعيتها كلها مجلس البحث العلمي في جامعة الدول العربية.
- ٨- اقترحت الباحثة استبياناً يسعى لتحقيق هدفين: الأول تقصي أهمية الخرائط البحثية في تطوير مستقبل البحث التربوي من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس، والثاني رصد واقع الخرائط البحثية بكلية التربية.

ملحق (١)

استبيان لتقصي أهمية الخريطة البحثية في تطوير مستقبل البحث التربوي
من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس

سعادة عضو هيئة التدريس بكلية التربية بجامعة طيبة، سلمه الله
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،

إن المعرفة بأولويات البحث التربوي والوقوف على اتجاهاته الحديثة يتطلب نوعاً من التنسيق بين الجهات المشتغلة به. ويساعد هذا التنسيق على إجراء الأبحاث التربوية والإفادة منها وتطبيق نتائجها؛ لتجنب التكرار وشمولية المعلومات حول الموضوع أو المجال. كما يتطلب متابعة نتائج البحوث التربوية وجمعها وتصنيفها وتبويبها، ودراسة إمكانية تطبيقها والاستفادة منها، وهو ما يطلق عليه الخرائط البحثية.

وتعد الباحثة دراسة بهذا الشأن، والاستبيان التالي يهدف إلى تقصي آراء أعضاء هيئة التدريس، للوقوف على درجة أهمية الخرائط البحثية في تطوير مستقبل البحث التربوي؛ من خلال مجموعة من العبارات التي تمثل أهمية الخريطة البحثية ودورها في تطوير مستقبل البحث التربوي.

يرجى من سعادتكم تعبئة الاستبيان بوضع علامة (a) في الخانة التي تعبر عن إجابتك.

شاكرين حسن تعاونكم لدعم وإنجاح البحث العلمي

الباحثة: د. مها اليماني

Dr_mahayamani@hotmail.com

أولاً - البيانات الشخصية

الاسم (اختياري)	
الجنس	☐ ذكر ☐ أنثى
الرتبة العلمية	☐ أستاذ ☐ أستاذ مشارك ☐ أستاذ مساعد ☐ محاضر
سنوات الخبرة	☐ ٥-١٠ سنوات ☐ ١١-١٥ سنة ☐ ١٥ سنة فأكثر

أهمية الخريطة البحثية في تطوير مستقبل البحث التربوي من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس

س.ع	العبارة	درجة الموافقة		
		أوافق	لا أدري	لا أوافق
١	من الضروري وجود رؤية واضحة المعالم بالقسم لاحتياجات التربية في المجتمع			
٢	ينبغي أن يضع القسم خطة أكاديمية علمية لنقاط البحث تقابل الاحتياجات في التخصص			
٣	يجب أن يشترك القسم مع أقسام الكلية في وضع خريطة بحثية			
٤	ينبغي أن تتفق الخطة الأكاديمية التي يضعها القسم مع سياسة الجامعة في البحوث			
٥	من المهم أن ترتبط الخريطة البحثية للقسم بالإنتاج البحثي العالمي			
٦	لا بد من توثيق الأبحاث الخاصة بالقسم لجعلها متاحة عالمياً			
٧	هل ترى أن إعداد الأبحاث في القسم وسيلة للحصول على الدرجة العلمية؟			
٨	من الضروري في الأبحاث الخاصة بالقسم ارتباطها بالواقع التربوي تشخيصاً وتطويراً			
٩	من المهم توظيف أبحاث القسم في علاج مشكلات التربية ومراجعة البرامج الدراسية			
١٠	ينبغي أن تمثل الأبحاث في القسم تطبيقات عملية يستفاد منها في المجال التربوي			
١١	يجب أن تتناول الخريطة البحثية بالقسم تصنيف المشكلات الميدانية في المجال التربوي			
١٢	ينبغي أن تهتم الخريطة البحثية للقسم بدراسة الاحتياجات البحثية الميدانية			
١٣	ينبغي أن يتابع القسم تطبيق الأبحاث في الميدان التربوي في سبيل إعادة الخريطة البحثية			
١٤	من الضروري أن يساعد القسم الباحثين في اختيار نقاط بحثية لها أهميتها في المجال التربوي			
١٥	ينبغي أن تقوم الخريطة البحثية للقسم على أهداف واضحة محددة			
١٦	يجب أن يتم تحديد خطة زمنية لتحقيق الخريطة البحثية للقسم			
١٧	ينبغي أن تُعد الخريطة البحثية للقسم من قبل أساتذة التخصص والممارسين التربويين			

ملحق (٢)

رصد واقع الخريطة البحثية بكلية التربية من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس

سعادة عضو هيئة التدريس بكلية التربية بجامعة طيبة.. سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

إن المعرفة بأولويات البحث التربوي والوقوف على اتجاهاته الحديثة يتطلب نوعاً من التنسيق بين الجهات المشتغلة به. ويساعد هذا التنسيق على إجراء الأبحاث التربوية والإفادة منها وتطبيق نتائجها؛ لتجنب التكرار وشمولية المعلومات حول الموضوع أو المجال. كما يتطلب متابعة نتائج البحوث التربوية وجمعها وتصنيفها وتبويبها، ودراسة إمكانية تطبيقها والاستفادة منها، وهو ما يطلق عليه الخرائط البحثية.

وتُعد الباحثة دراسة بهذا الشأن، والاستبيان التالي يهدف إلى تقصي آراء أعضاء هيئة التدريس، للوقوف على واقع الخرائط البحثية ودورها في تطوير مستقبل البحث التربوي؛ من خلال مجموعة من العبارات التي تمثل أهمية الخريطة البحثية ودورها في تطوير مستقبل البحث التربوي.

يرجى من سعادتكم تعبئة الاستبيان بوضع علامة (a) في الخانة التي تعبر عن إجابتك.

شاكرين حسن تعاونكم لدعم وإنجاح البحث العلمي

الباحثة د. مها اليماني

Dr_mahayamani@hotmail.com

أولاً - البيانات الشخصية

الاسم (اختياري)	
الجنس	☐ ذكر ☐ أنثى
الرتبة العلمية	☐ أستاذ ☐ أستاذ مشارك ☐ أستاذ مساعد ☐ محاضر
سنوات الخبرة	☐ ٥-١٠ سنوات ☐ ١١-١٥ سنة ☐ ١٥ سنة فأكثر

أهمية الخريطة البحثية في تطوير مستقبل البحث التربوي من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس

تسلسل	العبارة	درجة الموافقة			
		أوافق جداً	أوافق	لا أدري	لا أوافق أبداً
١	توجد بالقسم رؤية واضحة المعالم لا احتياجات التربية في المجتمع				
٢	يضع القسم خطة أكاديمية علمية لنقاط البحث تقابل الاحتياجات في التخصص				
٣	يشارك القسم مع أقسام الكلية في وضع خريطة بحثية				
٤	تتفق الخطة الأكاديمية التي يضعها القسم مع سياسة الجامعة في البحوث				
٥	ترتبط الخريطة البحثية للقسم بالإنتاج البحثي العالمي				
٦	يتم توثيق الأبحاث الخاصة بالقسم لجعلها متاحة عالمياً				
٧	إعداد الأبحاث في القسم وسيلة للحصول على الدرجة العلمية				
٨	يشترط في الأبحاث الخاصة بالقسم ارتباطها بالواقع التربوي تشخيصاً وتطويراً				
٩	يتم توظيف أبحاث القسم في علاج مشكلات التربية ومراجعة البرامج الدراسية				
١٠	تمثل الأبحاث في القسم تطبيقات عملية يستفاد منها في المجال التربوي				
١١	تتناول الخريطة البحثية بالقسم تصنيف المشكلات الميدانية في المجال التربوي				
١٢	تهتم الخريطة البحثية للقسم بدراسة الاحتياجات البحثية الميدانية				
١٣	يتابع القسم تطبيق الأبحاث في الميدان التربوي في سبيل إعادة الخريطة البحثية				
١٤	يساعد القسم الباحثين في اختيار نقاط بحثية لها أهميتها في المجال التربوي				
١٥	تقوم الخريطة البحثية للقسم على أهداف واضحة محددة				
١٦	يتم تحديد خطة زمنية لتحقيق الخريطة البحثية للقسم				
١٧	يتم إعداد الخريطة البحثية للقسم من قبل أساتذة التخصص والممارسين التربويين				

قائمة المراجع

- المجذوب، مبارك وآخرون. «قراءة اجتماعية لاستراتيجية البحث العلمي والتقني في الدول العربية»، ورقة عمل مقدمة لمؤتمر تحديات البحث العلمي في العالم العربي، جامعة الزقازيق، ١٨-١٩/مايو/٢٠١١م، ص ص٤٢-٥٦.
- المجذوب، مبارك محمد علي. «استراتيجية البحث العلمي والتقني في الوطن العربي»، ورقة عمل مقدمة لمؤتمر تحديات البحث العلمي في العالم العربي، جامعة الزقازيق، ١٨-١٩/مايو/٢٠١١م، ص ص٣٢-٤٢.
- زياد سعيد. «الأسباب الكامنة وراء تدني مستويات التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي: دراسة تحليلية لتقرير البنك الدولي ونتائج الاختبارات الدولية»، ورقة عمل مقدمة لمؤتمر تحديات البحث العلمي في العالم العربي، جامعة الزقازيق، ١٨-١٩/مايو/٢٠١١م، ص ص٢٧٥-٢٩٤.
- عبدالرحمن الطريري. «مستقبل البحث التربوي في دول الخليج العربي». مجلة التعاون، العدد ٤٤، السنة ١١، ١٩٩٦م، ص ١٢٨.
- عبدالعزيز الغانم. «توظيف البحوث التربوية في مجال الإدارة المدرسية بدولة الكويت». رسالة التربية وعلم النفس، العدد ١٤٢٣، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣.
- سميح أبو مغلي، وآخرون. قواعد التدريس في الجامعة، عمان، دار الفكر، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧.
- محمد منير مرسى. البحث التربوي: وكيف نفهمه، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٩٤.
- مصطفى تاج، البحث التربوي بالمغرب، ٢١ ديسمبر ٢٠٠٨، [/http://mtaj.maktoobblog.com/1547625](http://mtaj.maktoobblog.com/1547625)
- تم الاسترجاع بتاريخ ١٤/٧/١٤٣٢هـ.
- وائل محمد أحمد. «إعداد خريطة للبحث التربوي لمواجهة بعض مشكلات الواقع التعليمي بمحافظة الدقهلية» رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة المنصورة، جمهورية مصر العربية. ٢٠٠٩.
- www.kfupm.edu.sa/conference/erplanning/Final%20Conf/.../105.ppt تم الاسترجاع بتاريخ ١٤/٧/١٤٣٢هـ.

العوامل الاجتماعية للفرد ودورها في اختيار المهنة

أ. سرور بشير الطويل*

الملخص

تساهم وتؤثر على تكوين الأفكار والآراء والتوجهات للفرد اتجاه اختياره لمهنة المستقبل وإبراز أهمية كل عامل من هذه العوامل.

وتم عرض مجموعة من نظريات التوجيه المهني كونها تقوم بدراسة هذه العوامل وتوضح أهمية التوجيه للاختيار الصحيح للمهنة، والتعرف على مساوئ الاختيار الخاطئ للمهنة سواء للفرد أو المجتمع وكيف يمكن إحداث المواءمة بين الفرد ومهنته سواء من حيث المحاولة لتغيير الأفكار وتصحيحها أو عن طريق الإجراءات التي يقوم بها المجتمع.

تناول هذا البحث أهم العوامل الاجتماعية والتي تؤثر في اختيار الفرد لمهنته وتمثلت في (الأسرة، المجتمع، الثقافة، الأصدقاء وتجارب الآخرين، الدين والقيم) كما وردت في أدبيات العلوم التربوية مع إضافات للباحث، وقد تم استخدام المنهج النوعي (أسلوب دراسة الحالة) وتكونت عينة البحث من (٤٠) طالب وعضو هيئة تدريس بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية/مصراتة، وتم طرح ٨ أسئلة على هذه العينة وقام الباحث بتحليلها ليتم توضيح العلاقة بين هذه المتغيرات واختيار المهنة للفرد، وكان التركيز على هذه العوامل كونها

* ماجستير إدارة أعمال، محاضر متعاون بكلية التربية مصراتة / ليبيا.
Altawil_82@yahoo.com

ومن أهم النتائج التي توصل لها البحث أن الأفراد يواجهون موقف الاختيار للمهنة دون مقدمات تؤهلهم لهذا الاختيار، وكثيراً ما يقفون موقفاً سلبياً تجاه عالم العمل والتوجهات المهنية، لنقص المعلومات ذات العلاقة لديهم. ويؤدي ذلك إلى تعاظم المؤثرات الخارجية لديهم كراي المجتمع والأصدقاء، وكلما ازداد حجم المعلومات وتنوع المهارات التي يحصل عليها الفرد يزداد عدد الخيارات وبالتالي فرص العمل المتاحة له، وأيضاً الجو التربوي السائد في العائلة والدين والثقافة وتجارب الآخرين لها تأثير كبير على اختيار المهنة المستقبلية.

Social Factors for Persons and its Role in Vocation Choice

Surour Bashir Altawil

Abstract

this study treated the most important social factors that affect the choice of person of his vocation and appeared in (family, society, culture, friends and experience of others, religion and values) as it is set forth in the literatures of educational sciences with additions of the researcher, the qualitative methods used in this research (case study procedure) and a sample for research is composed by (40) students and members in lecturers staff in economic and political sciences faculty/Misurata, 8 questions was put forth on this sample and the researcher took over the analysis in order to clarifying the relation between these variables and the choice of vocation for person, the focus was on these factors since they take part and affect the formation of ideas, opinions and attitudes of person in regard of his choice of the future vocation and presentation of the importance of each factor from these factors.

A group of vocational guidelines theories was presented since they study these factors and they illustrate the importance of guideline for the correct choice of vocation, and identification of the disadvantages of wrong choice of the vocation even for the person or for the society and how to make harmony between the person and his vocation even for the attempt for making change of ideas and its adjustments or via the procedure away that the society fulfils.

Among the important results given by the two researchers, the persons face the affair of choosing the vocation without introductions

qualifying them to such choice, and in so many cases they are taking a negative attitude toward the work world and the vocational guidelines, because of lack of information in regard that they have. That lead to intensification of the foreign influences to them such as the opinion of the society and friends, the more there is increase in the size of information and diversification of skills that the person gets the more there is an increase of number in choices and then the opportunities of available works to him, also the educational environment prevailing in the family and religion, culture and the experience of others has a big impact on choice of future vocation.

المقدمة

الإنسان في عصرنا الحالي يدور في متاهات اجتماعية وأخلاقية بالإضافة لأساس الوجود النفسي للإنسان داخل المجتمع (تحقيق الذات) وهي عملية هامة حيث يعتبر مدى نجاح الإنسان فيها مقياساً ومؤشراً لمدى نجاحه وتقوفه في الحياة.

إن عملية تحقيق الذات مهمة للفرد وهناك العديد من المجالات التي يمكن للفرد تحقيق ذاته فيها. وهذه المجالات واسعة، ومتنوعة عامة وحاوية لأشياء كثيرة كالمحبة مثلاً، والعلاقات الاجتماعية والمهنة والعمل وغيرها، لقد أكدت أبحاث عديدة على أهمية العمل واختيار المهنة، إذ يساعد العمل الأفراد في استغلال وقتهم، ويمنحهم الهوية والمركز الاجتماعي ويمكنهم من خلق علاقات اجتماعية في نطاق العمل وخارجه ويربطهم بالقيم الاجتماعية للمجتمع بشكل عام. وكذلك تمكن أهمية العمل في أنه يشكل أساساً هاماً في إشباع احتياجات الفرد، ويشكل عاملاً اقتصادياً لإعالتة، ويحافظ على فعاليته وحركته الدائمة، كما أن العلاقة بين العمل وتحقيق الذات تحتاج إلى فترة.

مشكلة البحث

في السنوات الأخيرة أصبح اختيار التخصص الدراسي للطلاب ومن ثم مهنة المستقبل يتم في مرحلة مبكرة من سنواته الدراسية ولأن أغلب الطلبة لا يكون لديهم القدرة على حسم هذا الأمر لذلك يعمل الأشخاص المحيطين بهم داخل البيئة التي يعيشون بها بمساعدتهم والذي قد يؤثر على التوجه المهني لهم وقد يكون التأثير سلبي بعد انتهاء المرحلة التعليمية على اختيارهم للمهنة التي تناسب طموحاتهم ورغباتهم والتي يجدون أنها غير متوافقة مع طموحاتهم وأحلامهم مما يؤدي إلى انخفاض أدائهم وكفاءتهم في العمل أو قد يجعلهم يغيرون مسارتهم المهنية في اتجاه معاكس للتعليم الذي

تحصلوا عليه ومن هنا تنحصر مشكلة الدراسة في الأسئلة التالية :

- ١- ماهي العوامل الاجتماعية التي تؤدي إلى اختيار المهنة للفرد؟
- ٢- ما تأثير هذه العوامل على الاتجاهات المستقبلية المهنية للأفراد؟
- ٣- ما هو دور التوجه المهني في مساعدة الأفراد على الاختيار المناسب للمهنة؟

أهمية البحث

- ١- إن اختيار الفرد للمهنة التي تناسبه والتي تتفق مع ميوله وقدراته الحقيقية يؤدي إلى زيادة التفوق والإبداع مما يسهم في تنمية الدولة كما ينبغي.
- ٢- عند التحاق الأفراد بالمهن التي تناسب قدراتهم ومهاراتهم وطموحهم يجعلهم ذلك يبذلون جهداً أكبر في العمل ويحققون معدلات أكبر في الأداء.
- ٣- عند اختيار المهنة يجعل الفرد يؤدي العمل بطرق إبداعية ويقاوم الضغط والمعاناة النفسية داخل العمل.

أهداف البحث

- ١- التعرف على العوامل الاجتماعية والتي لها تأثير مباشر على تغيير اتجاهات الفرد وتحديد اختياره لمهنة المستقبل.
- ٢- التعرف على التوجيه المهني سواء من خلال المؤسسات التعليمية أو المؤسسات العامة ومدى قدرته على تغيير سلوك الأفراد.
- ٣- معرفة المساوئ التي تنتج من الاختيار الخاطئ لمهنة الفرد سواء للفرد نفسه أو للمجتمع ككل.
- ٤- التعرف على كيفية المواءمة بين رغبات الفرد ومهنة المستقبل.

أولاً: المفاهيم الأساسية للعوامل الاجتماعية

يعتبر اختيار المهنة نتاج عمليات كثيرة من البحث والتدقيق والمتابعة وجمع المعلومات كي تساعد الفرد الطالب في فهم قيمه الاجتماعية وتوضيحها من أجل أن يتسنى له اظهار ميوله، وعندها نعرف ماهي المحفزات التي جعلته يختار مساره التعليمي، مثلاً: هناك عوامل عديدة تؤثر على اختيار المهنة، وهذه العوامل مصنفة حسب تصنيفات نظرية مختلفة، فصنفت مثلاً؛ حسب الذاتية والواقع والشخصيات المؤثرة في حياة الفرد، وصنفت عوامل خارجية وموجهة، أو كمعوامل دالة على الحالة الاجتماعية وسنتناول في هذه الورقة بعض العوامل التي وجد أنها تؤثر تأثيراً مباشراً على الأفراد في اختياراتهم وتحديد ميولهم الشخصي وتتمثل فيما يلي:

١- الأسرة

للأسرة عدة مفاهيم اختلف فيها الأكاديميين فمنهم من حصرها في الأب والأم والاولاد ومنهم من جعل لها نطاق واسع لتشمل أهل الاب والام أيضاً بما في ذلك أيضاً مجموعة التفاعلات والخبرات الواسعة والجوانب المختلفة من المعيشة بين أفرادها.^(١)

وقد كانت الأسرة تكفي نفسها بنفسها في مختلف الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية والدينية والترفيهية وبدأت هذه الأنشطة تنقل شيئاً فشيئاً وينتقل بعضها إلى مؤسسات أخرى كالقبيلة أو الدولة، وصار دور الأسرة الحديثة يتلخص في معظم المجتمعات بوظيفتين هامتين:

أ- الوظيفة البيولوجية (الفطرية).

ب- الوظيفة الثقافية (الأدوار الاجتماعية المكتسبة).^(٢)

٢- المجتمع

المجتمع هو مجموعة من الأشخاص بينهم تفاعل اجتماعي ضمن منطقة جغرافية واحدة وعلاقات انسانية إضافية،^(٣) وهو أيضاً عبارة عن نسق اجتماعي يشتمل على عدد كاف من البناءات الاجتماعية النظامية لأفراد وجماعات وتنظيمات، يستهدف إشباع حاجاتهم من خلال تكوين علاقات دور متبادلة تشمل بناء النسق الكلي، وبالتالي فإن المجتمع يقوم بأدوار معينة لها أهميتها ومغزاها للنسق الاجتماعي فيما يتعلق بالعلاقات التكافلية.^(٤)

٣- الثقافة

ويقصد بها ذلك الكل المركب المعقد من المعرفة والقيم والعادات والتقاليد والاتجاهات والأفكار والأخلاقيات والقوانين التي تسود الناس والمجتمع وتشكل السلوك الإنساني وتنقل من جيل إلى جيل فهي كل شئ يشارك فيه الفرد داخل المجتمع ويشكل سلوكه،^(٥) وهناك سلسلة من العمليات المتضمنة في هذا الكل الثقافي:^(٦)

١- أن إشباع الحاجات العضوية أو الأساسية للإنسان هو المطلب الضروري المفروض على كل ثقافة.

٢- أن المشكلات التي تخلقها حاجات الإنسان إلى التغذية والصحة وتحقيق الذات لا بد أن تُحل ويتم ذلك بواسطة خلق بيئة جديدة أو ثانوية أو اصطناعية (مصنوعة من قبل الإنسان).

٣- أن تلك البيئة التي ليست أكثر أو أقل من الثقافة ذاتها ولا بد من إعادة إنتاجها باستمرار وتعزيزها وإدارتها.

٤- يخلق كل ذلك ما يمكن وصفه بأنه مستوى جديد، ذلك المستوى الذي يتوقف على المستوى الثقافي للمجتمع، والبيئة، وفعالية المجتمع.

٤- الأصدقاء وتجارب الآخرين

للأصدقاء دور تربوي هام إذ أنهم يعملون على إشباع ميول لدى الفرد وتأكيد وجوده ضمن الجماعة، ويقوم الفرد باختيارهم بحيث يكون هناك أشياء مشتركة بينه وبينهم مثل: الميول والرغبات، الطموحات، الأهداف والغايات، فأهمية الرفاق واختيارهم تؤثر في حياة الفرد المستقبلية ويكتسب من خلالهم مجموعة المهارات والقواعد الأخلاقية والإجتماعية والتي تكسبه أنماطاً سلوكية مختلفة.^(٧)

٥- الدين والقيم

يتصل الدين اتصالاً مباشراً مع القيم سواء على مستوى إدراك القيمة أو الفعل الناتج عن هذا التأثير فهو فعال وقوى لدرجة أنه يعتبر الدين مصدر للقيم ويعتبر مؤثر في السلوك الانساني فعن طريق الإعتقاد والشعائر تتصل الغايات العامة والقيم بالموضوعات الثابتة لدى الانسان.^(٨)

في كثير من الأحيان نجد أن الطلبة لا يختارون التخصصات الدراسية وفقاً لأسس علمية وموضوعية أو بناءً على معرفة سابقة بطبيعة هذه التخصصات وموضوعات الدراسة التي يتضمنها ومعرفة سهولتها أو صعوبتها؛ لكننا نجد أن هناك كثير من العادات الخاطئة في اختيار الطالب لتخصصه فهناك من يختار تخصصاً نظراً لما يتمتع به من شهرة وبريق وهناك من يلتحق بتخصص معين بناءً على توجيهات الآباء أو نصائحهم دون أن يأخذ في الحسبان ميوله وقدراته واستعداداته أو قد يلتحق بتخصص لمجرد أنه رأى زملاءً له التحقوا وينجحون فيه وينسى أن هناك فروقاً فردية بين الناس تجعل ما يناسب فرداً ما قد لا يتناسب مع غيره.^(٩)

رابعاً: نظريات التوجيه والإرشاد المهني

يتم عرض مجموعة من النظريات خاصة بالتوجيه المهني كونها قامت على دراسة مجموعة من العوامل الاجتماعية والشخصية الخاصة باختيار المهنة للأفراد وهي على النحو التالي:^(١٠)

١ - نظرية بارسونز

أوضح في نظريته أهمية التوجيه المهني ويقوم على أسس ثلاثة هي:
 أ) فهم الشخص لنفسه وقدراته واتجاهاته وطموحاته.
 ب) معرفة متطلبات وظروف النجاح في المهنة أو العمل الذي يتجه إليه وفرص الترقى في هذا العمل.
 ج) إقامة جسر وعلاقة بين هذين الفرعين من العوامل.

٢- نظرية وليمسون وآخرون

تم من خلالها تحديد سلوك الانسان من خلال مجموعة من السمات مثل:
 الاستعدادات والانجازات والمصالح والخصائص الفردية والشخصية للفرد ومن خلال هذه الصفات يتم التنبؤ بالسلوك المهني للفرد وتوجيهه لإختيار المهنة المناسبة لهذه الصفات.^(١١) هذا وتحتصر الاجراءات التنفيذية للتوجيه بهذا الأسلوب فيما يلي:
 ١- اكتشاف سمات وخصائص الفرد.
 ٢- تحليل متطلبات الوظيفة.

٣ - نظرية هولاند

وهي أحد النظريات التي تهتم بالتوجيه المهني وبدأت سنة ١٩٨٥ وتقوم نظرية هولاند على أساس أن الميول المهنية هي أحد مظاهر الشخصية وأن وصف الميول المهنية والتنبؤ بالسلوك المهني ومدى التفاعل مع البيئة لفرد ما هي في نفس الوقت وصف لشخصيته^(١٢)، كما أن المعلومات التي نصل إليها من تطبيق الاختبارات تدلنا أيضا إلى مفهوم الشخص عن ذاته ولأهدافه في الحياة.

وبهذا يمكن النظر إلى الميول المهنية على أنها تعبر عن شخصية الفرد، وبذلك يمكن أن تكون هناك علاقة تبادلية بين خصائص الشخصية والميول المهنية.

٤ - نظرية سوبر^(١٣)

تأخذ نظرية سوبر في اعتبارها تطور الاهتمامات المهنية بالنسبة للفرد في المستويات الفردية المختلفة، وتشرح هذه النظرية العوامل التي من خلالها تتكون إمكانيات الفرد واهتماماته وهي تقوم على الأسس التالية:

- الفروق الفردية، تعدد إمكانيات الفرد، تعدد نماذج القدرات اللازمة للوظائف، التوحد، استمرارية التوافق، التوافق المهني عبر مراحل الحياة.

٥ - نظرية جينزبيرغ وزملائه: (١٤)

تعد نظرية جينزبيرغ وهو عالم اقتصاد وزملائه (اكسلارد وهو عالم اجتماع وهيرما وهو عالم نفس) من المجالات الأولى لوضع نظرية للنمو المهني أوضحوا أن هناك أربعة عوامل تؤثر في عملية اتخاذ القرار المهني وهي:

- ١ - التوحد الذي يجعل الفرد يستجيب للبيئة عند اتخاذ القرار المهني.
- ٢ - تأثير العوامل التربوية حيث أن كمية التعلم ونوعه يؤثران في اتخاذ القرارات المهنية.
- ٣ - العوامل الوجدانية المتضمنة في استجابات الفرد نحو بيئته.
- ٤ - قيم الفرد.

الجزء العملي

اعتمد الباحث في هذا البحث على المنهج النوعي مستخدماً أسلوب دراسة الحالة حيث قام الباحث بطرح مجموعة من الأسئلة على عدد (٤٠) شخص ذكور وإناث) وهم عبارة عن عدد (٣٠) طالب وعدد (١٠) عضوية تدريس ومعيد بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية لمعرفة دور هذه العوامل في اختيارهم التعليمي والمهني وكانت هذه الأسئلة على النحو التالي:

- ١- ما سبب اختيارك لهذه المهنة أو التخصص التعليمي؟
- ٢- أي العوامل الأتية (الأسرة - المجتمع - الثقافة - الأصدقاء...) كانت أكثر تأثيراً على هذا الخيار؟
- ٣- هل أنت مقتنع وراضي على هذا الخيار؟
- ٤- هل لديك معلومات سابقة عن العمل الذي تقوم به؟
- ٥- هل يوافق المجال الذي اخترته ميولك ورغباتك؟
- ٦- ما مدى تحقيق هذا العمل لطموحاتك؟
- ٧- هل قمت باستشارات لأشخاص ذوي خبرة بالمجال الذي تريده قبل الاختيار؟
- ٨- هل سيفيدك توفر التوجيه المناسب والمبكر للمهنة ومعرفة تفاصيلها؟
- ٩- ما هي العوامل الأخرى التي كان لها تأثير بتحديد توجهك التعليمي أو المهني؟

ومن خلال إجابات المبحوثين وبعد قيام الباحث بالتحليل لهذه الاجابات وجد أن الأسرة وبالأخص الوالدين هما عامل هام جداً ومؤثر في اختيار المهنة من قبل الأفراد وذلك لكون العائلة والوالدين عبارة عن وكلاء للتهيئة الاجتماعية وكون اختيار المهنة جزء

لا يتجزأ من عملية التهيئة الاجتماعية. إن تطلعات العائلة والضغط الاجتماعي تؤثر على التطور المهني لدى المراهقين ولهذا فلأهل تأثير فعال على اتخاذ القرار بالنسبة لاختيار المهنة. ونتيجة ذلك كثيراً ما نجد أن بعض الطلاب أرغموا على دخول مجالات من التعليم بالرغم من أن ذلك لا يناسب قدراتهم العقلية.

وكذلك هناك مصادر أخرى للمعرفة بما يتعلق بإمكانية اختيار المهنة، والتي يعتمد عليها الأفراد وهي: خوض تجربة سابقة في مجال قريب من المهنة المختارة، ومعرفة شخصية لأحد الأشخاص العاملين في المهنة نفسها، ودورات خاصة في المدرسة والكتب ووسائل الإعلام، ومن العوامل التي صنفت كعوامل داخلية وموجهة وتؤثر على المراهقين في اختيار مهنتهم المستقبلية هي تلك العوامل التابعة للفرد نفسه في حال اختياره كالعوامل النفسية والجسدية هذه العوامل توجه الفرد وتحفزه لفعاليات مختلفة كميوله، احتياجاته، تطلعاته، وجهة نظره، سلم أولوياته وتوجهاته للآخرين.

وكان من بين العوامل الإضافية أحلام الطفولة والتي تتطور لتصبح طموح لدى الفرد ويسعى بكل قوته لتحقيقه، مما يحدد مساره التعليمي والمهني من بداية حياته وأيضاً هناك مجموعة من العوامل الأخرى المتعلقة بالإناث كقرب مكان السكن من المؤسسة التعليمية لتخصص ما يجعل من الضروري الدخول في هذا المجال وبالتالي تتحدد المهنة تبعاً لذلك.

إن عمل المستشار التربوي والموجه المهني قد يساهم في مساعدة الطالب أو المقبل على اختيار مهنة المستقبل في تحديد ميوله والتعرف على قدراته من خلال الاختبارات التي يقوم بتمريرها وتحليلها ومناقشة نتائجها مع الطالب وفتح الآفاق أمامه وتعريفه بالمؤسسات والمعاهد والجامعات التي قد تكون عنواناً ملائماً لتلك الميول والقدرات. بالإضافة إلى ذلك على المستشار معرفة الصعوبات التي قد تحول بين الطالب وإخراج قراره إلى حيز الوجود والتعامل مع هذه الصعوبات من خلال تعريف الطالب بها وتوضيحها له، ومن خلال دعمه وإكسابه الأدوات التي تساعد في التعامل مع تلك الصعوبات وتذليلها قدر الإمكان.

سادساً: كيفية المواءمة بين الفرد ومهنته

إن عملية إحداث التوافق بين الفرد والمهنة التي يقوم بمزاومتها أمر لا يتم بالسهولة التي يتوقعها الناس، ولكن يكون عبر سلسلة من العمليات والاجراءات وتكاثف الجهود بين جميع العوامل الاجتماعية المختلفة وذلك لاجداث تغيير في السلوك الموجود حالياً أو المساعدة في حل المشكلات القائمة نتيجة للقرارات السيئة للأفراد، ونعرض مجموعة

- من النقاط التي قد تكون بداية لعملية اتخاذ القرار الصحيح لاختيار المهنة المناسبة:
- ١- مساعدة الفرد على التعرف إلى قدراته وميوله واستعداداته وبالتالي مساعدته على معرفته لذاته.
 - ٢- إكساب الفرد أنماطاً سلوكية تنعكس على قدرته في اتخاذ القرارات المهنية الفعالة، مثل سلوكية البحث عن المعلومات المهنية ووضع البدائل وإجراء عمليات الاختيار على أسس من التقييم الموضوعي المنظم للقدرات والميول والاستعدادات الشخصية، وكذلك لخصائص كل من البدائل الموضوعية.
 - ٣- إحاطة الفرد علماً بالكليات والمؤسسات التعليمية المختلفة التي يمكنه من الالتحاق بالأعمال التي يرغب بها في سن مبكر.
 - ٤- مساعدة الفرد على التعرف على عالم المهن ومتطلبات هذه المهن من تعليم وتدريب والمهارات التي يتطلبها وجميع الفرص المتوافرة من ترقى وتقاعد وعوائد عمل وبعثات وغيرها.
 - ٥- المساهمة في رعاية الطلبة المتفوقين دراسياً ومهنيّاً للحفاظ على تفوقهم وتنظيم البرامج المناسبة لهم.
 - ٦- زيادة قدرة الفرد على تحمل المسؤولية ومقدرته على تقييم ظروفه وأوضاعه المختلفة والتي تناسب المهنة التي يريد الالتحاق بها.

النتائج

- ١- تتبع أهمية العمل من كونه قيمة إنسانية وحاجة اجتماعية وليس مجرد وسيلة لكسب العيش وتؤثر فيها مجموعة عوامل متغيرة.
- ٢- يواجه الأفراد موقف الاختيار للمهنة دون مقدمات تؤهله لهذا الاختيار، وكثيراً ما يقفون موقفاً سلبياً تجاه عالم العمل والتوجهات المهنية، لنقص المعلومات ذات العلاقة لديهم. ويؤدي ذلك إلى تعاظم المؤثرات الخارجية لديهم كراي الأهل والأصدقاء.
- ٣- يزداد عدد الخيارات وبالتالي فرص العمل المتاحة للفرد كلما ازداد حجم المعلومات وتنوع المهارات التي يحصل عليها.
- ٤- إن الجو التربوي السائد في العائلة له تأثير كبير على اختيار المهنة المستقبلية إن التشابه بين مهنة الآباء والأبناء يتأثر بعوامل عديدة، أهمها نوعية المعلومات والفرص التي يؤمنها الآباء لأولادهم المتعلقة بعالم العمل.

- ٥- يسعى المراهق في اختياره لمهنته إلى تأكيد المكانة الاجتماعية للمهنة والمستوى الاجتماعي والاقتصادي الذي يترتب على اختيارها. فدافع التقدير الاجتماعي من الدوافع القوية في اختيار المراهقين لمهنتهم ذكوراً أم إناثاً.
- ٦- لا يعد تحديد القدرات بمفردها أساساً كافياً لاختيار المهنة المناسبة للمراهق، فالمراهق قد يستطيع القيام بأعمال كثيرة، فالعمل الذي يميل إليه هو ذلك العمل الذي يحقق فيه أعلى قدر من الرضا والسعادة والنجاح.
- ٧- مساعدة الأفراد والطلبة على اختيار مجال الدراسة أو العمل، وتسهيل التحاقهم بالمؤسسات التعليمية أو بمجالات العمل والاستخدام تعتبر من الخدمات الأساسية التي يوفرها التوجيه المهني.
- ٨- المهنة ليست قرار يتخذ لمرة واحدة في الحياة إنما هو أحياناً قرار متكرر ويحتاج إلى دراسة مستمرة ليتماشى مع متغيرات العصر والظروف المحيطة بالفرد.

- 1- Ribbens Mccrthy. Jane and Edwrds (2011), Key Concrepts in family Studies, London. p3.
- ٢- حسين عبد الحميد رشوان (٢٠٠٧)، البناء الاجتماعي الأنساق والجماعات، مؤسسة شباب الجامعة، القاهرة، ص ٩١.
- 3 – Helen fulcer (1989) “The Concept of Community of Interes”, Rose Bowey.p5
- ٤ – سامية محمد جابر (٢٠٠٣)، علم الاجتماع العام، دار النهضة العربية، ط ١، ص ٢٣٥
- 5- Engel, J.and Blackwell, R.and Miniard (1995) “Consumer Behavior the Dryden press”, New York, pp 364 – 365.
- ٦ – سامية محمد جابر، مرجع سابق، ص ١٢٩
- ٧ – ابراهيم ناصر (١٩٩٦)، علم الاجتماع التربوي، مكتبة الرائد، بيروت، ط ٢، ص ٩٢
- ٨ – محمد أحمد بيومي، المجتمع والثقافة الشخصية دراسة في علم الاجتماع، الثقافي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص ٢٧٥
- 9- Zhang, W, (2007), Why: is Under standing Undergraduate Student's Intentions to Choose an Information Systems Major. Journal of Information Systems Education, pp 447- 458
- ١٠- www.blogspot.co. فضاء التوجيه المهني، تاريخ الدخول ٢٠١٣/٦/٢، ٣٠:١١م.
- 11- Richard k. James (2003), Trait–Factor Connseling/ person x Environment Fit Allyn and bacon, Boston, pp3-5.
- ١٢- المرجع السابق، ص ٦.
- ١٣- مرجع سابق، فضاء التوجيه المهني.
- ١٤- مرجع سابق، فضاء التوجيه المهني.

سوسيولوجية المقابلة في الجزائر The entrepreneurship sociology in Algeria

أ. محمد بوريش* أ. سفيان بدراوي* أة. ليندة لطيفة*



الملخص

المونوغرافية لفهم ممارسات الأعمال في الجزائر.

الهدف الأساسي من هذه الورقة هو عرض أهم مداخل التحليل السوسيولوجي للمقابلة في الجزائر، هذا بعد التطرق إلى مفهوم المقابلة، المقاول وسوسيولوجية المقابلة.

الكلمات المفتاحية: المقابلة، المقاول، سوسيولوجية المقابلة، الأعمال.

يعد التحليل السوسيولوجي للمقابلة في الجزائر، متعددًا ومتنوعًا من حيث الإشكاليات والمناهج والنتائج، فبين من اتجه إلى تحليل بروز المقاول الجزائري وربط ذلك بالبرجوازية، هناك من بحث في بُعد المسار الاجتماعي للمقاول، وفضّل البعض فهم وتشخيص تفاعل المقابلة مع المجتمع من خلال العلاقة بين الفعالية الاقتصادية والفعالية الرمزية، في حين اتبع بعض الباحثين خيار الدراسة

• أ. سفيان بدراوي، أة. ليندة لطيفة، أ. محمد بوريش، جامعة تلمسان/الجزائر.
mbouriche73@hotmail.com

Abstract

The Sociologic Analysis of Entrepreneurship In Algeria, are Many And Varied In Terms of Problematic, Methods and Results, Between What Privilege the Analysis of the Emergence of Algerian Entrepreneur Correlated with The Bourgeoisie, there are those Looking After The Dimension of The Social History of The Entrepreneur, and Some Chose to Understand and Diagnose the Interaction Between Entrepreneurship and Community, Through the Relationship Between Economic and Symbolic Efficacies, While Some Researchers Following the Monographique Study Option to Understand the Business Praxis In Algeria.

The Main Objective of This Work Paper Is To Present The Main Gates of the Sociological Analysis of Entrepreneurship In Algeria, Having Raised The Concepts of Entrepreneurship, the Entrepreneur and the Sociology of Entrepreneurship.

Key Words: Entrepreneurship, Entrepreneur, Entrepreneurship Sociology, Business.

مقدمة

يشكل كل من المقال والمقالة موضوعا لعدة أبحاث منذ عدة عشرات، هذا الاهتمام يفسر بالأهمية المتزايدة للمقالة في سياق التنمية الاقتصادية للدول والمجتمعات، هذا النمو يتمظهر من خلال ديناميكية خلق المؤسسات التي تتطوي على خلق فرص عمل وبالتالي خلق الثروة.

على مستوى الأدبيات النظرية هناك عدة اتجاهات ومقاربات حاولت تحليل الظاهرة المقاولاتية التي ما هي إلا مظهر من مظاهر خلق المؤسسات، في هذا الإطار أشار Berger معسكرين لكل واحد تفرعاته الخاصة:

- الاقتصاديون الذين يميلون عادة إلى تصور النشاط المقاولاتي كمتغير تابع للعوامل الاقتصادية، أين لا يكون للثقافة أي تأثير يذكر.

- الباحثون من تخصصات أخرى الذين يعتبرون النشاط المقاولاتي كمتغير غير منفصل عن الثقافة، بل ناتج عنها ومنتج لها في نفس الوقت.⁽¹⁾

يتبين أن الظاهرة المقاولاتية هي في قلب نقاش إيستيمولوجي عريق، فلقد أكد Bechard على أن المقاول تم إدراكها من قبل الباحثين بدءاً من فرضية الوضعيين القائلة بأن الواقع الاجتماعي هو خارج عن تحكم الأفراد، وبالتالي يجب دراسة الظواهر الاجتماعية كما ندرس الظواهر الطبيعية، وتفسيرها وشرحها من خلال بحث أسبابها في الوقائع الملموسة السابقة وبنية الظاهرة الخارجية.

١ - في مفهوم المقاول والمقاول

المقاول عبارة عن العملية التي تبدأ بفكرة وتنتهي بعرض منتج جديد ذو قيمة في السوق، وبين الإثنتين المغامرة بالجمع والتنسيق بين مختلف الموارد المتوفرة وخوض كافة المخاطر المترتبة عن هذه العملية، وبما أن ذلك يعني التجديد سواء على مستوى المنتج المادي أو الفكري (الطرق والمناهج...) أو اكتشاف موارد جديدة، فإن المقاول تتطوي على مبدأ الإبداع^(٢)، كذلك فيما يخص مفهوم المقاول، فإنه اليوم يوظف للدلالة على أعمال أشخاص وأفراد في ميادين أخرى غير الأعمال، مثل الميادين العلمية، الثقافية والفنية... الخ، فمثلاً الباحث الذي يملك روح مقاولاتية ليس بالضرورة شخص يسعى لخلق مؤسسة جديدة، لكنه شخص يأخذ بالمخاطر ويبرهن على مبادراته في عمله أو داخل مخبره مثلاً^(٣).

مهما كان المعنى الذي أعطي للمقاول، فإن هذه الأخيرة تجمع بين المفاهيم الثلاث الرئيسية: إنشاء المؤسسة، روح المقاول والمقاول^(٤)، هذا الأخير اعتبر مركز مختلف التحاليل نظراً لتعدد معانيه ولما أحدثه المفهوم من نقاش^(٥)، فالكثير من الباحثين اعتبر المقاول كحل للمقاول، فحتى على مستوى الأطروحات الكلاسيكية اعتبر -أي المقاول- محرك التنمية الاقتصادية والاجتماعية فهو مفتاح العقدة، والفاعل الرئيسي فيها^(٦)، فبالنسبة للكثير من الباحثين أمثال Cantillon, Mill هو مالك للرأس المال وهو المسؤول وصاحب القرارات الأساسية بصفته المعني بالأخطار، هؤلاء الباحثين يعتبرون الأخذ بالمخاطر هي النشاط الرئيسي للمقاول^(٧).

في نفس الخط الذي اتبعه ماكس فيبر، يعتبر Shumpeter Joseph أن المقاول هو شخص ليس مرتبط فقط بحسابات عقلانية بالنسبة للهدف وإنما أيضاً عقلانية بالنسبة للقيم (الأخلاق)، لكن في ظل التغيرات التي شملت الجانب الاجتماعي والتكنولوجي يتعمق رائد الرأسمالية الحديثة Shumpeter في تحديد طبيعة هذا المقاول فهو يتحدث

عن المقاول المبدع في ظل ديناميكية النظام الرأسمالي، فأطروحته تركزت حول التساؤل الرئيسي: ما هو محرك الديناميكية الرأسمالية؟ وما هي العوامل التي جعلت الرأسمالية في حركة؟ إنه المقاول المبدع الذي جعل الاقتصاد ينتقل من حالة ثبات إلى حالة ديناميكية^(٨)، ذلك من خلال المنتجات والخدمات الجديدة التي هي نتاج خلق للمؤسسات والأنشطة الجديدة التي هي عملية مرتبطة بالإبداع^(٩).

٢ - من سوسيولوجيا المنظمات إلى سوسيولوجية المقاول

حاول علم الاجتماع التنظيمات فهم وتحليل علاقة السلطة والتبعية واستراتيجية الفاعلين التي تشكلت على خلفية هذه العلاقات سواء في البنى الرسمية أو غير الرسمية، واعتبرت المؤسسة كياناً اجتماعياً غير منفصل عن المجتمع الأكبر، كما أنه منتج لكيانات اجتماعية تشكل مكاناً للانتماء بالنسبة لأعضائها، حيث يتماهون فيها، هذه النظرة تمثل عكس مسلمات المدرسة الكلاسيكية في التنظيم والتي اعتبرت المنظمة كياناً اقتصادياً محض من خلال نظرتها المادية للإنسان - الإنسان الاقتصادي - والمؤسسة كنظام مغلق.

حسب وجهة نظر التحليل الاستراتيجي، تعد المؤسسة كياناً منتجاً للثقافة، فهذه الأخيرة تعبر عن مدى قدرته على الممارسة والفعل الجماعي وبالتالي تحقيق الأهداف المشتركة والقدرة على مواجهة الأخطار، إذن هذه النظرة تحيل إلى اعتبار المؤسسة كمكان مستقل نسبياً عن المحيط والمجتمع ومنتج لمجموعة من الروابط والضوابط الاجتماعية.

إن علم اجتماع المؤسسة تجاوز هذه الأطروحات سواء تلك التي تعتبر المؤسسة نسقاً اقتصادياً ناتجاً عن درجة تقسيم العمل وتوزيع المهام... الخ كما ترى التaylorية، أو ما تعلق بأطروحة التحليل الاستراتيجي التي تعتبرها - أي المؤسسة - مكان منتج للضوابط الاجتماعية المنظمة لنسق الفعل الاجتماعي، إلى اعتبارها كياناً تتكون وتشكل فيه الهوية والثقافة التي تنشأ بدورها على أساس الحد الأدنى من الثقة بين الأعضاء الناتجة عن الخيال المشترك والتصور الجماعي، إذن التنظيم ارتبط بمستوى التشكيل الاجتماعي بصفته مكاناً للانتماء لا قدرته على تقسيم وتجزئة العمال (Ost).^(١٠)

يعزز هذا الموقف Sainsaulieu Renault الذي اعتبر المؤسسة ليست مجرد هياكل رسمية أو مجموعة نصوص وقواعد قانونية، بل هي تملك تاريخها الخاص الذي يكونه الفاعلون الاجتماعيون في مواجهة مختلف الإشكالات المطروحة، وبالتالي هي تتشكل من مجموعة من الروابط الاجتماعية.

نحو سوسيولوجية المقاومة

إنشاء المؤسسة بالمعنى السوسيولوجي تم تعريفه من قبل Minguet بـ «العملية الديناميكية التي تهدف إلى إنشاء وحدة جديدة اقتصادية وقانونية (...)»، الأسئلة التي طرحت حول ما يسمى بإنشاء المؤسسات هي متعددة وتحمل اهتمامات مختلفة حول المقاوّل في حد ذاته ونشاطاته والجهود الموجهة للتنمية المحلية والوطنية، أو كذلك المجتمع الصناعي وتوجهاته^(١١)، وعليه فإن مجموع البحوث المتعلقة بالمقاوّل بمعنى المتعلقة بإنشاء المؤسسة، المسار التنظيمي، بالمقاوّل صاحب المؤسسة ونشاطاته... الخ، شكلت مادة مهمة وذات وزن، ولقد أثّر علم الاجتماع - إلى جانب حقول معرفية أخرى كالاقتصاد، علوم التسيير، علم النفس والأنثروبولوجيا... الخ - الأبحاث في ما يخص المخلفات السوسيولوجية للمقاوّل ودورها في المجتمع.

الاتجاه السوسيولوجي الأول

هذا الاتجاه اهتم بالشخص المؤسس للمقاوّل، أي من هو المقاوّل؟ ما هي المحددات السوسيولوجية التي أدت به إلى خلق المؤسسة؟ من هم الأفراد الأكثر قدرة على المبادرة والنجاح؟... الخ

الفرضية العامة لهذا التوجه هي: المقاوّلون هم أفراد يتميزون عن باقي المواطنين من خلال سمات مختلفة، إذا استطعنا معرفتها وتحديدها فإنه من الممكن تخمين الفئات الأكثر قدرة على الخلق والإبداع.

لكن هذا الاتجاه الذي ركز على المقاوّل لم يستطع تبرير مقولته القائلة بتميز هذا الأخير عن باقي الأفراد في المجتمع، كما أن التحليل بعوامل تتعلق بالفطرة والاستعدادات النفسية الخاصة ليست مقنعة لأن هذا الفرد في حد ذاته ابن بيئة اجتماعية وثقافية فبقدر فردانية سلوكه لا يمكن أن نفصله عن مستويات الفعل الجمعي.

الاتجاه السوسيولوجي الثاني

يرى هذا الاتجاه أن السياق هو عنصر أساسي، فعندما تتعدد وتتغير عمليات خلق المؤسسات والمشاريع، ما هي العوامل البيئية المؤثرة في ذلك؟ إذن الاهتمام هنا انتقل من المستوى الجزئي إلى المستوى الكلي بمعنى حول البنيات السوسيو-اقتصادية.

الفرضية المركزية لهذا الاتجاه تشير إلى أن الآليات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية هي التي تؤثر على حجم التوجه المقاوّلاتي وحجم إنشاء المؤسسات، إذن الظروف الاقتصادية ودرجة تقدم المجتمع، قوانينه وثقافته... الخ، كل هذه المؤسسات هي

ذات طابع مشجع أو كابح لعمليات خلق وإنشاء المؤسسات، وبالتالي فإن ظهور الاقتصاد المقاوالاتي هو حدث ثقافي وسيكولوجي أكثر منه حدثاً اقتصادياً وتكنولوجياً^(١٢).

يظهر من خلال مسلمات هذا الاتجاه أنه لم يعطى أي تفسير حول دور الفرد ولا حول الأسباب التي تدفع به كي يكون مقاولاً، فكل تركيزه أنصبَّ حول أهمية العوامل الخارجية كقوى وحيدة وسببية للظاهرة.

ضرورة طريق ثالث لكن بأي قطيعة؟

يظهر مما سبق أنه هناك براديفم يركز على الفرد وآخر على البنيات فكل طرح يعتبر مهم لكن هذا يبقى غير كاف لإزالة الغموض عن عملية خلق وإنشاء المؤسسة وبالتالي ما هو البديل؟

هو طريق ثالث يتجاوز هذا التناقض الكلاسيكي بمختلف نقاشاته في علم الاجتماع، هذا التوجه يهدف إلى تفسير مساهمة المقاومة في تجديد وتنمية المجتمعات وأكثر من ذلك هو طريق نظري يحاول أن يجمع بين الفرد والمؤسسة والبيئة، كما أنه يبحث في الشروط الاجتماعية التي تتحكم في تشكل المؤسسة وبالتالي هذه الشروط لديها تأثير على الطريقة التي من خلالها هذه الأخيرة ستتظم وتتهيك وتطور فيما بعد.

الفرضية الرئيسية لهذا النهج هي أنه هناك شروط اجتماعية خاصة بخلق المؤسسات بمعنى آخر المؤسسة الجديدة هي نتيجة تفاعل بين مجموعة عناصر مشتركة في ظهورها سواء تعلق الأمر بالفرد/الجماعة المؤسسة أو البيئة، فالمؤسسة ليست الإنتاج الآلي والعضوي لظروف اقتصادية مشجعة، كما أنها ليست من العمل الوحيد «لخالق بالفطرة»، فكل مؤسسة جديدة تترك الأثر في وظائفها الاجتماعية والتسييرية والاستراتيجية والثقافية^(١٣).

٣- واقع وممارسات الأعمال في الجزائر: عرض لأهم شبكات التحليل

حاولت العديد من الدراسات معالجة والتطرق إلى واقع وممارسات الأعمال في الجزائر، من خلال التعرض إلى إشكالية المقاتل الجزائري، فبين من اهتم بالمؤسسة الصناعية الخاصة وواقعها السوسيو اقتصادي، اهتم البعض ببروز المقاتل الجزائري من خلال بعد المسار الاجتماعي، وهناك من تعرض إلى المنطق الذي تسير من خلاله المقاومة في الجزائر وبالأحرى منطق التسيير الذي يتبناه المقاتل الجزائري، وتطرق البعض الآخر إلى المقاتلون الجدد وبعد التحول.

المؤسسة الصناعية الخاصة والواقع السوسيو- اقتصادي: حول الواقع السوسيو اقتصادي للمؤسسة الصناعية الخاصة، حاول «الجيلالي اليابس» بحث مختلف علاقات

وتأثيرات هذه الأخيرة على مجمل النظام الاقتصادي والاجتماعي الذي تمارس نشاطها فيه، ورأى الباحث أنه لا يمكن إجراء دراسة حول المؤسسة دون اعتبارها كقاعدة مادية لبرجوازية صناعية سلبية البرجوازية التجارية التي نشطت خلال الفترة الاستعمارية، فمن خلال تحليل تاريخي لخطاب الدولة الوطنية حول الملكية والرأسمال الخاص، توصل إلى ما يلي:

- الارتباط القوي للبرجوازية الصناعية بالدولة الوطنية، حيث أن قطاع الدولة يوفر قاعدة التواجد، العيش والاستمرار للقطاع الخاص.

- استعمال المقاولين للسياسة التوافقية في تسيير الموارد البشرية^(١٤) من خلال المزج بين التقليدي والحديث، فمن جهة الحديث ما تعلق بالتكنولوجيات المستعملة في المصنع ومن جهة التقليدي ما تعلق بعلاقات السيطرة التقليدية من جهوية وقبلية والتوظيف الإنتقائي قصد التخفيف من المقاومة العمالية بالإضافة إلى استخدام المقاول للعوامل الدينية كوسائل لإدماج العمال في المصنع.

- «الاستثمار اليومي والمزدوج للاقتصاد والاجتماعي - الرمزي وكذا النظام الاجتماعي والسياسي»^(١٥) من خلال خلق شبكة من العلاقات على أساس المصالح المتبادلة، كما أن وجود رأسمال خاص مرتبط بالوجود النشط للعائلة.

بروز المقاول الجزائري؛ بعد المسار الاجتماعي: في دراسته المعنونة بـ «الصناعيين الجزائريين» حاول من جهته Peneff.J، معرفة الشروط الاجتماعية التي ساهمت في ظهور هذه الفئة، وذلك من خلال اعتماده على بعد المسار الاجتماعي والذي حاول ضبطه من خلال مجموعة من المتغيرات السوسيولوجية منها: الأصل الاجتماعي، الأصل الجغرافي، المستوى التعليمي والمسار المهني.

لقد حاول الباحث الكشف عن مختلف الاستراتيجيات المتبعة من قبل المقاولين الجزائريين المدروسين في خلق مؤسساتهم وإنشاء مشاريعهم الصناعية حيث أعطى تعريفا إجرائيا للمقاول يتمثل في أنه شخص له كافة الصلاحيات في مؤسسته فهو منشؤها ومسيرها على كافة المستويات.

ليتوصل الباحث إلى تحديد الأصول التالية للمقاولين الجزائريين:

المقاولون التجار: هم في غالب الأحيان من أصول ريفية وممن تلقوا تعليمهم بالمدارس العربية الإسلامية (مدرسة ابن باديس)، أغلب نشاطاتهم تتمثل في الاستيراد

والتصدير وتجارة الجملة وهناك منهم من مارس نشاطات اقتصادية خارج الجزائر ومع صدور قانون الاستثمارات عام ١٩٦٦ (وثيقة للبحث) حولوا نشاطهم للصناعة.

من مميزات هذا النوع من المقاولين هو طبيعة التحول في النشاط الذي جاء في ظروف اقتصادية وسياسية معينة، لكن رغم هذا التحول وجد الباحث أن هؤلاء لا يزالون يتصرفون بعقلية ومنطق التاجر وذهنية البيع على حساب عقلانية الإدارة والتسيير والوظائف المرتبطة بها مما يجعلهم مضطرين للاستعانة بأصحاب الاختصاص.

المقاولون غير المسيرين: الذين يוכלون إدارة مصانعهم إلى تقنيين أو مسيرين وإطارات أجنبية بفعل المشاركة في رؤوس الأموال المستثمرة، مقابل اهتمامهم بنشاطات الاستيراد والتصدير والملكية العقارية، هذه الفئة تمثل في أغلبها من كانوا موظفين خلال الفترة الاستعمارية ومن أصحاب المستوى التعليمي الثانوي والجامعي، ومن لم يشاركوا في الثورة، كما أن الباحث وجد صعوبات في التعامل معهم نظراً لأنهم يملكون شخصيات متكئة جداً.

المقاولون العمال: هم من العمال المؤهلين أو الإداريين والإطارات المتوسطة ممن يتشاركون في أعمال حرة لتحسين دخلهم وفي أغلب الأحيان دون ترك وظائفهم الأصلية لأسباب تكتيكية مرتبطة بالدرجة الأولى بصعوبة المحافظة على النشاط الحر مقابل وظائفهم الحكومية، هذه الفئة يمثلها بعض الإطارات السابقة في التسيير الذاتي ومنخرطون ومناضلون في جبهة التحرير وبعض الضباط السابقين في جيش التحرير الوطني، أما عن أصولهم الاجتماعية فأغلبهم من أسر فقيرة ريفية وبعض التجار البسطاء ومن يملكون تعليماً جيداً في المدرسة الابتدائية الفرنسية، لا يملكون شهادات ولكن يملكون تكويناً تطبيقياً ملائماً من خصائصهم احتكاكهم بالوسط الصناعي خاصة أولئك الذين كانت لهم تجارب في المهجر، هذا ما أعطاهم نوعاً من الخبرة الميدانية ومن خصائصهم أنهم يشاركون بأنفسهم في الأعمال كما أنهم ومن خلال خبرتهم واحتكاكهم يملكون القدرة على العمل بآلات وأجهزة قديمة أو معطلة بعد إصلاحها^(١٦)، هذا ما يفسر طبيعة المنتجات لديهم ذات النوعية الرديئة لكنها مستهلكة في السوق خاصة من قبل ذوي الدخل الضعيف، «لكن رغم كون هذه المؤسسات ذات وزن اقتصادي خفيف، تلعب هذه الرأسمالية الصغيرة دوراً غير متجاهل في عرض التشغيل والسوق...»^(١٧)، هذا النوع من المقاولين ذوي الأصل الاجتماعي القادم من الطبقات الشعبية والمتوسطة يعطي حسب رأي الباحث للرأسمال الجزائري طابعاً خاصاً.^(١٨)

المقابلة بين الفعالية الرمزية ومنطق الكفاءة الاقتصادية: هي دراسة مونوغرافية^(١٩) حول مقال كان في بداية تاجراً ليتحول إلى الصناعة سنة ١٩٦٦، جمع فيها «جلوات نورين» ما بين الفعالية الاقتصادية القائمة على تقاليد العمل المنظمة وفق العقلانية الاقتصادية الأوروبية والممارسات المحلية المميزة لمجتمعنا، حيث حاول رصد العلاقة فيما بينها، متسائلاً عن هل من سبيل لتعايشها معاً؟ وتوصل إلى ما يلي:

- عملية التوظيف تتم على أساس الشبكة العلائقية التقليدية ذات المرجعية الكاريزمية (العائلة، الجهة... إلخ).

- التسيير قائم على مدى التحكم في العلاقات الشخصية واستعمال الرمزي.

وكخلاصة أكد الباحث على وجود ثوابت سوسيولوجية تمنح لعلاقات الإنتاج فعالية أكبر، من العلاقات القائمة على العقلانية الاقتصادية المعاد إنتاجها محلياً في الأنماط التقليدية.

وفي نفس الطرح لاحظ «أحمد هني»^(٢٠) أن رب العمل الجزائري والذي يطلق عليه تسمية رب العمل «الشيخ»، يتمثل سعيه في ضمان استمرارية وجود مؤسسة من خلال اعتماده على تكوين شبكة زبائية من جهة ومن جهة أخرى خلق الولاء والوفاء لدى العمال حماية للإنتاج واستمرارية وكذلك حماية لأسرار العمل، وبما أن الرفع من الأجر يؤثر على أرباحه فإن المقاول «الشيخ» يسعى إلى توظيف أفراد العائلة، القبيلة، الجهة... إلخ. وفي نفس الوقت يقوم بمنحهم امتيازات ذات طابع اجتماعي وديني (مصاريف الزواج، الحج، العمرة، التكفل ببعض المشاكل الأخرى كالمرض، التوسط لهم لحل بعض مشاكلهم... إلخ) وبما أنه رجل متدين وسلوكاته جيدة فهذا يجعله «الشيخ».

أما عن الكفاءة والفعالية الخاصة بالمؤسسة فهي ليست اقتصادية، بل قائمة على مدى قدرة رب العمل على توزيع والتحكم في الرمزي وهذا ما أسماه هني بالنمط «الأخوي» والذي يعمل طردياً مع حجم المؤسسة، حيث أن المؤسسات الكبيرة لا يمكنها التحكم في التوظيف القائم على العائلة، القبيلة، الجهة وإنما تستعين بأماكن أخرى وهذا ما يؤدي إلى خلق صراعات للسيطرة داخل المؤسسة، إذن ما يمكن أن نستخلصه من هذا التحليل هو أن النجاح الذي يسعى إليه رب العمل «الشيخ» مستمد من عوامل اجتماعية ورمزية ولا يعتمد على الجانب المادي أي ما هو علمي وفني وفق النموذج الفيبري أي الأسماء لا تهم وإنما الكفاءة والوظيفة وهو إذن عمل «بيروقراطي»^(٢١).

المقاول الجزائري الجديد: بعد التحول: هل بإمكان المقاولين الجدد التحول إلى فاعلين اقتصاديين فاعلين وفئة اجتماعية حاملة لمشروع اقتصادي واجتماعي جديد؟ هو التساؤل الرئيسي الذي انطلق منه «بوعقوب أحمد» لمعرفة خصائص هذه الفئة التي ظهرت وتطورت في ظل آليات سوسيو- اقتصادية متناقضة (مرحلة ما بعد إصلاحات

١٩٨٨) منتمية إلى قواعد الاقتصاد الموجه (اقتصاد وتعاملات لا رسمية، الحماية الجمركية للسوق، وجود الاحتكار) وفي نفس الوقت تلك المتعلقة باقتصاد السوق (تحرير الأسعار، حرية المبادرة، سيولة الأملاك ورؤوس الأموال) وبالتالي ظهور هؤلاء المقاولين الجدد كان في ظروف غير مستقرة ومتناقضة في معظمها^(٢٣).

لقد رأى الباحث أن المقاولون الجدد يتميزون من حيث السن بشبابيتهم نسبياً ومن ذوي المستويات التعليمية الجامعية والحاصلين على شهادات الهندسة أو العلوم الإنسانية والاجتماعية وهذا ما يمثل حسب الباحث أحد عناصر القطيعة مع مقاولي سنوات السبعينيات، أما عن أصولهم الاجتماعية فهي في غالبها قليلة الصلة بالفلاحة، فأغلبهم من عائلات مارست التجارة أو من الحرفيين والصناعيين وولجهم لعالم الأعمال كان بفضل مساعدات عائلية أو تحويل نشاط العائلة أو التشارك في رؤوس الأموال، أما فيما يخص طبيعة النشاط الاقتصادي لاحظ الباحث هيمنة القطاع التجاري، وربط ذلك بتحرر شامل والسريع للتجارة الخارجية بعد إمضاء اتفاقية Stand Bay عام ١٩٩٤^(٢٣)، وتأثيراتها على توسع التجارة في بلاد، وعن الطابع القانوني المهيمن لهذه المؤسسات فإنها في أغلبها مؤسسات ذات مسؤولية محدودة Sarl والتي تتوافق مع الشراكة العائلية لكن يبقى أن هذه المؤسسات عرفت وتعرف تحولات بطيئة نحو العصرية.^(٢٤)

خلاصة

تتميز شبكة التحليل السوسيولوجي للمقولة في الجزائر بالتنوع من حيث إشكالياتها ومناهجها ونتائجها، فبين من اعتمد على المسار الاجتماعي والشخصي لتحديد ومعرفة خصائص المقاولين وبين من حاول ربط المقاولين بالبرجوازية، فضل البعض الاكتفاء بدراسة حالة واحدة، لكن يمكن أن نستخلص أن سوسيولوجية المقولة في الجزائر، من خلال مختلف زوايا التحليل شخصت واقع الأعمال في عدة نقاط نراها مشتركة بين مختلف وجهات النظر، وهي كالآتي:

- الدور المهم والحاسم للعائلة في تراكم رأس المال وإمداد المؤسسة بالموارد البشرية.
- هيمنة منطق الشبكة ورأس المال الاجتماعي والرمزي على المنطق القائم على الفاعلية والكفاءة الاقتصادية.
- أنه يصعب تعايش نمطين متناقضين خاصة ما دامت السيطرة كانت لصالح التسيير والفاعلية الرمزية.

الهوامش

- 1- Berger. B Et Al (1993): Esprit D'entreprise, Culture Et Sociétés, Ed Maxima, Paris, P 04.
- ٢- مراح حياة. «إشكالية المقاوّل الجزائري الجديد» الجزء الأول، مجلة دراسات اجتماعية، عدد ٢، جانفي ٢٠١٠، مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات العلمية، الجزائر، ص ٢٦.
- 3-Julien.P.A, Marchesnay.M (1996), L'entrepreneuriat, Ed: Economica, Paris, Pp 08-09.
- 4-Moraeu.R (2004): "L'émergence Organisationnelle: Le Cas Des Entreprise De Nouvelle Technologie", Thèse De Doctorat En Sociologie, Faculté Des Lettres Et Des Sciences Humaines, France, P 60.
- 5- Marchesnay. M (1995), Management Stratégique, Eyrolles Université, Paris, P153
- 6-Bruno. A (S/D) (2004): Introduction Aux Débat Économique Et Sociaux Contemporain, Collection: Transversale, Edition Ellipses, Paris, P125.
- 7-Gasse.Y (1983), "L'entrepreneur Moderne: Attributs Et Fonctions", Revue Internationale De Gestion, Vol 7, N° 4, P 4.
- 8- Idem, P123.
- 9- Ocde (2001), Encourager Les Jeunes À Entreprendre: Les Défis Politiques, Le Programme Leed (Création D'emplois Et Développement Économique Au Niveau Local), Paris, P09.
- ١٠- بن عيسى محمد المهدي، ثقافة المؤسسة، دراسة ميدانية للمؤسسة للاقتصادية العمومية في الجزائر، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراة في علم الاجتماع، جامعة الجزائر، ٢٠٠٤-٢٠٠٥، ص ٢٢٢-٢٢٣.
- 11- Minguet. G (1995), De L'art D'entreprendre, Une Sociologie De L'initiative Économique, Mémoire De Synthèse Pour Le Diplôme D'habilitation À Diriger Des Recherches, Université De Nante, France, Pp 37- 40.
- 12- Gasse, Y., M. Diochon Et T.V. Menzies (2002), "Les Entrepreneurs Naissants Et La Poursuite De Leur Projet D'entreprise: Une Étude Longitudinale", 6E Congrès International Francophone Sur La Pme - Octobre - Hec – Montréal, P03.
- 13- Moreau. R (2004), Op Cit, P12.
- 14- Liabes Djillali (1984), Capital Privé Et Patrons D'industrie En Algérie (1962-1982), Cread, Alger, P102.
- 15- Ibid, P15.
- 16- Peneff. J (1983), "Les Chefs D'entreprise En Algérie", In Actes Du Colloque: Entreprises Et Entrepreneurs En Afrique, (19 Et 21eme Siècle), Edition L'harmattan, Paris, Tome 2, P577.

- 17- Peneff. J, “Les Chefs D’entreprise En Algérie”, Op Cit, P576.
- 18- Peneff. J, (1981), “Industriels Algériens”, Cnrs, France, P94.
- 19- Voir: Nourine Djelouat, (1987), Efficacité Économique Et Gestion Symbolique, Étude De Cas D’une Entreprise Privé, In Les Cahiers Du Cread, N°11, 3Ème Trimestre, Cread, Alger, Pp43-51.
- 20- Henni Ahmed (1993), Le Sheikh Et Le Patron: Usage De La Modernité Dans La Reproduction De La Tradition, Opu, Alger.
- 21- Henni Ahmed (1993), Op Cit, P29.
- 22- Bouyakoub Ahmed (1997), “Les Nouveaux Entrepreneurs En Algérie En Période De Transition: La Dimension Transnationale”, In Les Cahiers Du Cread, Cread, Alger, N40, 2Eme Trimestre, P16.
- 23- Ibid, P111.
- 24- Ibid, P118.

تأثير التباين القيمي على التنمية في مجال العمل

بحث ميداني مقارنة بين الأجيال بمدينة زليتن - ليبيا

د. محمود أحمد عمر الكبير



للتطور فهي دافعة لعمليات التنمية، أما إذا اتصفت بالجمود أو الانغلاق فتصبح معوقة للتنمية.

حيث ترتبط التنمية الاجتماعية والاقتصادية في كثير من جوانبها بمدى فاعلية الدور الذي تقوم به القوى العاملة في المجتمع، الأمر الذي يتطلب دراسة ذلك الدور وتحديد في السياق الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الذي يجري فيه وذلك بهدف تحديد السلبيات التي تحيط به لعزلها والحد منها أو التعرف على الإيجابيات التي تقترن به لدعمها وتطويرها.

مقدمة

تمثل القيم الاجتماعية في كل مجتمع مجموعة من الأنظمة الثقافية التي تنظم سير الفعل الاجتماعي للأفراد والعلاقات بينهم، وغالباً ما يحدد البناء الاجتماعي والثقافي للمجتمع نمط هذه الأنظمة القيمية، ويمد الأفراد بأسباب تمسكهم وخضوعهم لها، وكذلك درجات الالتزام بهذه القيم والتي تعتبر واضحة الحضور وعالية التأثير في طبيعة مواقف الأفراد المختلفة لا سيما ما يرتبط منها بتوجهاتهم نحو العمل في ضوء مكانته الاجتماعية، وبالتالي يمكن الاستنتاج أن تأثيرات القيم عملياً تتسع لتؤثر بصورة ضمنية على كل من آليات سوق العمل (عرض وطلب)، وعلى سرعة حدوث التنمية فالقيم عندما تكون مرنة وقابلة

• دكتورة علم اجتماع، عضو هيئة تدريس جامعي، كلية الآداب، زليتن، جامعة المرقب/ليبيا.

kabier63@yahoo.com

فالمجتمعات النامية بوجه عام تتميز بمجموعة متماثلة من الخصائص الثقافية التي تجعلها متشابهة مع بعضها البعض إلى حد كبير، ومن تلك الخصائص: التملك بالقديم والقدرية وغياب الرؤية المستقبلية للمشروعات التي تهتم بالتجديد في المجتمع نتيجة للتماسك الاجتماعي الوثيق في إطار العائلة أو جماعة الأصدقاء ولما يحققه هذا التماسك من شعور بالأمن الاجتماعي، ويؤدي ذلك في علاقات العمل في تقسيم غير منتج للعمل بين الأفراد نتيجة نقص المشاركة، وعدم تنوعها في مختلف الأنشطة وخاصة الإنتاجية منها والذي يؤثر في النهاية في العائد المجتمعي من العمل ككل.

أولاً: موضوع البحث

يعتبر محور العمل من المحاور الرئيسية المكونة للنسق الاقتصادي أحد المكونات الأساسية التي يتكون منها البناء الاجتماعي لأي مجتمع من المجتمعات النامية أو المتقدمة على السواء، حيث يترك بصماته على مختلف مناحي الحياة السياسية والعائلية والدينية وغيرها يؤثر فيها ويتأثر بها، كما يتحدد سلوك الفرد داخل إطار هذا النسق من خلال مجموعة معقدة من المحددات السلوكية التي تمثل القيم الاجتماعية إحداها والتي تشكل في كل مجتمع مجموعة من الأنظمة الثقافية التي تنظم سير الفعل الاجتماعي للأفراد والعلاقات الاجتماعية بينهم، وغالباً ما يحدد البناء الاجتماعي والثقافي للمجتمع نمط هذه الأنظمة القيمية، ويمد الأفراد بأسباب تمسكهم وخضوعهم لها، وكذلك درجات الالتزام بهذه القيم التي تدرج من قيم أمره يعاقب مخالفتها إلى قيم تفضيلية يحث على اتباعه، وقيم مثالية يؤمل اتباعها.

وتتعرض المجتمعات لعوامل تغير اجتماعي مختلفة قد تؤدي إلى تغير الأنظمة والأنساق القيمية في المجتمع وبالتالي تغير درجات وشدة التزام الأفراد بالقيم الأصلية في المجتمع، خاصة عند جيل الشباب، مما ينتج عن ذلك حدوث التباين القيمي بين الأجيال، وتلعب التنمية الاجتماعية والاقتصادية دورها في التعجيل في وقوع هذه التغيرات الاجتماعية المتتابعة في المجتمع.

حيث أدركت بلدان العالم الثالث الحاجة الماسة إلى تنمية مجتمعاتها لمحاربة رواسب الجهل والتخلف والفقر ووضع استراتيجية للتنمية الشاملة باتخاذ أساليب وطرق متباينة محاولة الوصول إلى الأهداف الاستراتيجية المبتغاة في الارتقاء بالمستوى الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لمجتمعاتها^(١)، بيد أن غالبية السياسات والخطط التنموية التي نفذت في بلدان العالم الثالث خلال الفترات الزمنية المتلاحقة منذ استقلالها وتحررها

من الدول الاستعمارية لم ترتق إلى تحقيق الأهداف المنشودة التي تسعى إلى تحقيقها، بل أدت إلى ظهور العديد من المشكلات الاقتصادية والاجتماعية المعقدة، نتيجة لعدة عوامل وأسباب أهمها: أن هذه البرامج الإنمائية كانت عبارة عن نماذج تنمية منقولة تشكلت من نظريات وثقافات غربية وافدة مغايرة تماماً لطبيعة ثقافات هذه المجتمعات المراد تنميتها، ولم تتشكل هذه البرامج الإنمائية وفق الإطار الاجتماعي والثقافي لهذه المجتمعات وأهمية هذا الإطار أو البعد الذي يشمل النسق القيمي لهذه المجتمعات، ذلك النسق الذي تتمثل بعض عناصره ومكوناته أحياناً تحدياً للتنمية.

ومن هنا برزت القيم كمتغير جديد أمام الباحثين عند التصدي لمشكلات التنمية ولم يعد الأمر مقتصرًا على دراسة الجوانب الاقتصادية أو الأيكولوجية أو الديمغرافية أو السياسية في التنمية، حيث ظهرت عدة اتجاهات تؤكد على ضرورة إبراز مكانة العوامل الاجتماعية والثقافية في التنمية، ومن بينها القيم.

واهتمت العديد من الدراسات حول تحليل التأثيرات التي تحدثها برامج التنمية والتحديث على القيم، حيث أبرز دانيال ليرنر في دراسته (تحويل المجتمع التقليدي) أن تحديث المجتمع التقليدي يواجه عملية الصراع بين الجديد والقديم، لذا رأى ليرنر ضرورة بذل الجهد للتقليل من شأن هذا الصراع وذلك من خلال الوعي بكافة أبعاد التنمية، وتمثل القيم الجديدة والإيمان بأهميتها في الارتقاء بالحياة الاجتماعية، وفهم تلك العملية التنموية المعقدة فهماً موضوعياً وتوجيهها الوجهة التي نراها أصلح لنا وتتفق مع معاييرنا الاجتماعية^(٢).

كما ربط ديفيد ماكيلاند في دراسته (مجتمع الإنجاز) بين التنمية الاقتصادية والقيم، حيث يذهب إلى أن المجتمع المتخلف إذا أراد البدء في تنمية نفسه اقتصادياً فلا بد له من دعم الشعور بالحاجة إلى الإنجاز لدى الأفراد من خلال التربية والتنشئة الاجتماعية في المدرسة والأسرة والمجتمع وتشجيع المجتهدين المجددين على دخول ساحة العمل الاقتصادي، هذا فضلاً عن تغيير القيم والمعايير التقليدية التي تكون بعضاً منها قيماً سلبية واستبدالها بقيم مستحدثة إيجابية تدفع بشدة عجلة التحديث الاقتصادي^(٣).

ويرى «انكلز» أن التحديث يعبر عن التغير في الأداء الوظيفي للفرد، أي التغير في عناصر البناء الاجتماعي هو الذي يؤدي إلى تغير الشخصية، ويؤكد انكلز أن وجود مجموعة من الاتجاهات والقيم وأنماط السلوك هي التي تكون مجموعة مترابطة من الاتجاهات الفردية وهي: الانفتاح على الخبرات الجديدة، والتنوع في مصادر التعليم

المهني، والقابلية للتغيير الاجتماعي، وتنمية أفكار مختلفة، والتقدير، والاستقلال على السلطة الأسرية، والرغبة في المخاطرة، والاتجاه نحو التخطيط^(٤).

ونتيجة لفاعلية عوامل التغيير التي تحدثه برامج التنمية في شتى المجالات الاقتصادية والاجتماعية بالمجتمع فقد تغير بناء الثقافة والقيم في المجتمع، حيث نجد لجيل الكبار ثقافتهم التقليدية المنحدرة إليهم من الماضي وما يرتبط بها من عادات وتقاليد وقيم، في مقابل ذلك يكون لجيل الشباب قيمة وثقافته التي تميل إلى التجديد والتغيير والابتعاد عن كل ما هو تقليدي، وبذلك يكون هناك تبايناً قيمياً بين جيل الشباب وجيل الكبار فيما يتعلق بقيم العمل، ونتيجة لما تحققه خطط التنمية الشاملة لأفراد المجتمع من تحسن في مستوى الدخل وانتشار الوعي الصحي والاجتماعي، وتحسن مستوى التعليم، فقد ساعد التعليم على كسر قيود المجتمع، وأصبحت هناك متابعة لما حدث داخل المجتمع أو في العالم الخارجي، ومن الطبيعي أن تلعب هذه التغيرات دورها في هز ثوابت الثقافة التقليدية القائمة، خاصة بالنسبة لأجيال الشباب، مما يحدث تبايناً قيمياً مع ثقافة وقيم جيل الكبار، ذلك يعني أن نسق الثقافة في المجتمع يعاني من فجوتين: الأولى هي الفجوة بين الثقافة المادية والثقافة اللامادية، حيث نجد أن واقع الحياة المادية للمجتمع قد تغير إلى حد كبير بينما الاتجاه العام للثقافة المعنوية لم يتغير إلا قليلاً وخاصة تلك القيم والثقافة التي يعتنقها كبار السن، أما الفجوة الثانية فتتمثل في التباين القيمي بين ثقافة الشباب من ناحية وبين ثقافة الكبار وتقاليدهم من ناحية أخرى، الأمر الذي يعني أن لكل منهما قيمة وثقافته الخاصة التي قد تختلف الآن إلا أنها تؤدي إلى حدوث وقيام الصراع بين الأجيال.

فبرامج التنمية والتحديث التي تقوم بها المجتمعات تشير إلى عملية التغيير الاجتماعي والاقتصادي، وما مدى استجابة أفراد المجتمع لهذه التغيرات وتقبلهم لبرامج التنمية والتحديث، حيث يكون هناك تضارب متباين في مدى الاستجابة، وكما هو معروف فإن المجتمع يتكون من أجيال، حيث قد يتقبل جيل الكبار الجوانب الاقتصادية للتنمية ولكن الجوانب الثقافية والاجتماعية قد لا يتقبلونها لأنها تمس قيمهم التقليدية، ولهذا يجب أن يكون التخطيط للتنمية مراعيًا لقيم وثقافة المجتمع.

ومن هنا يكمن موضوع البحث في طبيعة التأثيرات الاجتماعية والاقتصادية على القيم عموماً والمنعكسة على قيم العمل خاصة نتيجة لخطط وبرامج التنمية الشاملة وما تحدثه من تغيرات على قيام التباين القيمي بين الأجيال واحتمالات تحولها إلى صراع بين الأجيال وتحديد قدر هذا التباين في مجال العمل وقيمه المستجدة في السوق والآخذة في

الاتساع ووفقاً لشروط العمل فيه المتجه نحو اعتماد الكفاءة والإنجاز، والتقنية العالية، واحترام الوقت، والرضا عن العمل والاندماج فيه ومدى تأثيرها على شبكة العلاقات الاجتماعية بين العاملين كمعايير للعمل، ومعرفة العوامل الدالة على هذا التباين، والآثار التي يتركها هذا التباين سواء على الأجيال أو على المجتمع ككل، وعلى ذلك تتحدد أهداف وأهمية هذا البحث على النحو التالي:

ثانياً: أهداف البحث

- ١- التعريف على التغيرات الاجتماعية التي طرأت على مجال العمل وقيمه ومجالاته ومعاييرها في مجتمع البحث وتفسير ذلك في ضوء التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي شهدتها المجتمع الليبي نتيجة برامج التنمية وتأثيرها على تغير قيم العمل.
- ٢- رصد وتحليل الاستمرارية والتغير بمنظومة قيم العمل عند الأجيال والمقارنة بينهم بهذه المنظومة.
- ٣- قياس درجة الاتساق أو التباين في منظومة قيم العمل لدى الأجيال والمقارنة بينهم، وتوضيح القيم المركزية عند كل جيل، وتفسير ذلك في ضوء التحولات الاقتصادية والاجتماعية بالمجتمع.
- ٤- تحديد أي أنواع القيم المرتبطة بالعمل المطلوب تطويرها وإنماءها، وأي قيم ينبغي عدم التركيز عليها عند التخطيط للمشاريع التنموية وسوق العمل في المجتمع الليبي.

ثالثاً: أهمية البحث ومبررات اختياره

- ١- أهمية العمل كمؤثر حيوي وفعال في حياة أفراد المجتمع، يمكن من خلاله تشكيل سلوكهم بما يزيد من إنتاجهم والعمل على تنمية المجتمع وتقدمه فهناك العديد من قيم العمل تساعد على إحداث التنمية بالمجتمع.
- ٢- وجود بعض مظاهر الخلل في مجال العمل وقيمه لدى أفراد المجتمع خاصة في الآونة الأخيرة مما أدى إلى شيوع بعض القيم السلبية مثل السمسرة والكسب السريع والاتجاه نحو الحرف الهامشية والابتعاد عن العمل المنتج والحرف المهنية الذي أفصح المجال للعمالة الوافدة للقيام بهذه المهن والحرف المنتجة، فهذا الخلل يحد من تنمية المجتمع وتقدمه.
- ٣- تقديم المقترحات والتوصيات العلمية المدروسة عن الكيفية الأفضل للانتقال في تعديل منظومة قيم العمل بصورة متدرجة نحو الاستمرارية أو التغير، حتى تتلاءم مع

المتطلبات الجديدة للمجتمع وتغييراته مع مستجدات سوق العمل ومتطلبات التنمية.

٤- استفادة المخططين من النتائج الميدانية التي سوف يتوصل إليها البحث عند قيامهم بالتخطيط للمشاريع التنموية المتعلقة بموضوعات العمل والتشغيل وتفعيل دور القوى العاملة وتمييزها.

رابعاً: مجالات البحث

تتمثل في المجال الجغرافي «المكاني»، والمجال البشري «المجتمعي» حيث حدد الباحث مجتمع البحث في مدينة زليتن التي تقع على شاطئ البحر الأبيض المتوسط بطول خمسين كيلومتراً وتبعد عن مدينة طرابلس العاصمة إلى الشرق حوالي (١٥٧) كيلو متراً حيث تمثلت الدراسة في مركز المدينة كمركز حضري ويبلغ عدد سكانه (٦٥٥٤٥) نسمة حسب إحصائية شهر (١٢) لسنة ٢٠٠٦ م فيما تضمن المجال البشري للدراسة على جميع القوى العاملة بمدينة زليتن والعاملة بالقطاعين الخدمي والإنتاجي والبالغ حجمها (١٩٨٩٠) فرداً حسب حصر القوى العاملة لسنة ٢٠٠٦^(٥).

خامساً: مفاهيم البحث

أ- مفهوم القيم: لقد استرعى مفهوم القيمة اهتمام الباحثين والعلماء والمفكرين على اختلاف انتماءاتهم العلمية والفكرية؛ وشمل المفهوم مجالات متنوعة في جميع المجتمعات. ويعرف معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية «القيم الاجتماعية - هي الصفات التي يفضلها أو يرغب فيها الناس في ثقافة معينة وتتخذ صفة العمومية بالنسبة لجميع الأفراد كما تصبح من موجّهات السلوك أو تعتبر أهدافاً له^(٦).

فالقيم هي اهتمام أو اختيار يشعر به الفرد بناء على المعايير التي اكتسبها من الجماعة أو المجتمع، وهي موجّهات للشخص نحو أشياء يختارها أو يفضلها عن غيرها، وهذه الموجّهات تحدث نتيجة تفاعل الشخص مع الواقع الاجتماعي والاقتصادي والثقافي. فالقيم عبارة عن تصورات ومفاهيم ديناميكية صريحة أو ضمنية؛ تميز الفرد أو الجماعة وتحدد ما هو مرغوب فيه اجتماعياً، وتؤثر في اختيار الأهداف والطرق والأساليب والوسائل الخاصة بالفعل، وتتجسد مظاهرها في اتجاهات الأفراد والجماعات وأنماطهم السلوكية ومثلهم تؤثر فيها وتتأثر بها^(٧).

ب- العمل: تعددت التعريفات التي تناولت تعريف العمل استناداً إلى جوانب سواء المعنى الشمولي للعمل أو على أساس قطاعي مجزأ ومن جوانب اقتصادية وثقافية وسياسية.. إلخ.

عرف العمل في معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية «بأنه مجهود إرادي عقلي أو بدني يتضمن التأثير في الأشياء المادية وغير المادية لتحقيق هدف اقتصادي مفيد، كما أنه وظيفة اجتماعية تتحقق فيها شخصية الفرد، وتقدير قيمة العمل من العناصر الهامة في الإيديولوجية التي تسود أي فترة، لأن هذا التقرير يعكس البناء الاجتماعي ودرجة القيم الاجتماعية^(٨).

ويعرف معجم مصطلحات القوى العاملة «العمل» بأنه أحد عناصر الإنتاج المتمثلة في نشاط الإنسان المقترن بالجهد العقلي أو البدني الذي يبذل في سبيل إنتاج السلع أو تقديم الخدمات من أجل الكسب.^(٩)

ج - قيم العمل: نتيجة لصعوبة إيجاد تعريف لقيم العمل من قبل بعض الباحثين والدارسين، مما أدى بهم إلى وضع أبعاد ومؤشرات عامة تسعى لتأطير قيم العمل وتصنيفها وتحديد أهميتها، وما يحيط بها من مشاعر واتجاهات ومعتقدات وأفكار وتفضيلات للعمل.

من المنظور الاقتصادي فإن قيمة العمل هي العائد المادي الذي يجنيه الإنسان بناء على ما يبذله من مجهود، وأيضاً هناك من يعمل بدافع داخلي لإشباع ذاته بغض النظر عن العائد المادي، وهناك من يرى قيمة العمل في مساعدة غيره للتقدم والرقى والنهوض إلى الأمام أكثر من أن تنحصر قيمته في العائد المادي أو ما يعود على التراث فهذه الرؤية هي الأسمى والأفضل.^(١٠)

وتعرف قيم العمل: في أنها المردود المادي والمعنوي الذي يمكن أن يجنيه الفرد العامل مقابل قيامه بنشاط اقتصادي رسمي، خدمي أو إنتاجي ذهني أو عضلي، خلال ساعات محددة قبولاً عالياً أو متديناً وتتأثر هذه القيم بطبيعة التنشئة الاجتماعية التي يلقاها الفرد داخل الأسرة والمؤسسات التنشئية الأخرى والتي تؤهله لإصدار أحكام تفضيلية اجتماعياً ضمن حدود مجتمعه وتنعكس على موافقة وسلوكياته الأخرى والتي تؤهله لإصدار أحكام تفضيلية اجتماعياً ضمن حدود مجتمعه وتنعكس على سلوكياته العملية مرونة أو تصلباً فهذه القيم لا تتلاشى وإنما تتغير أهميتها نتيجة التطورات والمستجدات السائدة ارتقاءً أو هبوطاً لكل من المعيار الرقمي المادي أو المعنوي تقديراً ومكانة اجتماعية للعمل المؤدى.

د- مفهوم التنمية: استحوذت قضية التنمية على اهتمام العلماء والمفكرين وغدت البرامج والخطط الإنمائية هي القاسم المشترك في كل مختلف مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ببلدان العالم منذ الحرب العالمية الثانية، كما تساعد الاهتمام

بها مع تصاعد حركات الاستقلال والتحرر الوطني التي ساعدت على التخلص من نير الاستعمار الذي ساعد دائماً إلى التخلف واستمراره بالبلدان المتخلفة حتى تظل مورداً للمواد الخام وسوقاً رائجاً لتجارته ومجالاً خصباً لاستثماراته، كما اختلف العلماء فيما بينهم حول غايات التنمية وفي ضوء ذلك تعددت وتباينت أنماط التنمية ومفاهيمها ومستوياتها.^(١١)

وتعرف التنمية بأنها «مفهوم شامل ومعقد حيث يشتمل على زيادة في الإنتاج بحيث يؤدي ذلك إلى تلبية المتطلبات الجديدة والعدالة في التوزيع ووفرة في الخدمات لكل مواطن، كما تعني أيضاً دعم العلاقات الإنسانية باعتبار أن التنمية هي تنمية الناس في علاقاتهم المتبادلة لنشر روح التعاون بين الجميع في العمل القائم على الحاجات المتبادلة بين الأفراد كما أنها حركة إدارية تعتمد على مزيد من الخبرة والتجربة والمعرفة والمهارة على أسس علمية ليعم الرخاء والرفاهية للشعوب.^(١٢)

ويعرف الدكتور التابعي التنمية بأنها «عملية ديناميكية متكاملة تحدث في المجتمع من خلال الجهود الأهلية والحكومية المشتركة بأساليب ديمقراطية وفق سياسة اجتماعية محددة وخطة واقعية مرسومة وتتجسد مظاهرها في سلسلة من التغيرات البنائية والوظيفية التي تصيب كافة مكونات البناء الاجتماعي للمجتمع».

وتعتمد هذه العملية على موارد المجتمع المادية والطبيعية والبشرية المتاحة والميسرة للوصول إلى أقصى استغلال ممكن في أقصر وقت مستطاع وذلك بقصد تحقيق الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية لكل أفراد المجتمع.^(١٣)

فالتنمية هي عملية حضارية شاملة لمختلف أوجه النشاط الاقتصادي والاجتماعي في المجتمع بما يحقق رفاهية الإنسان وكرامته وبناء الإنسان وتحريره وتطوير لكفاءاته وإطلاق قدراته للعمل البناء وذلك باكتشاف واستغلال لموارد المجتمع وتمييزها والاستخدام الأمثل لها من أجل بناء الطاقة الإنتاجية القادرة على العطاء المستمر.^(١٤)

سادساً: الإطار النظري للبحث

الدراسة السوسيولوجية المتعمقة لقضية التخلف والتنمية في بلدان العالم الثالث تتطلب مدخلاً شاملاً يضع في اعتباره كافة المكونات والمتغيرات التي تساهم في تشكيل هذه الظاهرة وإبرازها ومن الضروري أن يستند هذا المدخل إلى فهم عميق للعناصر البنائية والتاريخية التي شكلت الظاهرة وألا يقتصر في تحليله لظاهرة التخلف على العوامل الداخلية التي يحتويها البناء والسياسات الاجتماعية، بل ينبغي أن يمتد اهتمامه إلى العوامل الخارجية قدر اهتمامه بالعوامل الداخلية لرسم وخلق تنمية وفق هذا السياق ويتأسس المنظور النظري للبحث على الاتجاه التكاملي في دراسته لعلاقة التنمية بالقيم،

والذي يتأسس على فرضية أساسية أن التنمية عملية متكاملة وتغيير حضاري لها أبعادها المتداخلة، تلك الأبعاد التي تحدد في البعد الاقتصادي، والبعد التكنولوجي، والبعد الاجتماعي الثقافي، والذي ينبغي أن يضعها المخططون في اعتبارهم، وخاصة البعد الاجتماعي الثقافي الذي يتكون من عناصر ومكونات عديدة أهمها العنصر القيمي الذي يساهم في تحديد اتجاهات الأفراد وأنماطهم السلوكية.

سابعاً: الإجراءات المنهجية للبحث

استخدم المنهج الوصفي بالاعتماد على منهج المسح الاجتماعي عن طريق أسلوب المعاينة، باستخدام استمارة الاستبيان، باعتماد مقياس العمل لكل من علام وزايد وفق أبعاد الدراسة الرئيسية هي: (القيمة الاجتماعية للعمل - القيمة الاقتصادية للعمل - قيمة الإدماج في العمل - قيمة الدافعية للإنجاز - قيمة الرضا عن العمل)، وقد تم اختيار عينة قصدية تتمثل في عدد (٤٠٠) من العاملين في القطاع الخدمي والقطاع الإنتاجي بمدينة زليتن حيث شملت المؤسسات القطاع الخدمي في الآتي: (الشركة العامة للكهرباء - قطاع التعليم والتوجيه التربوي - أمانة الصحة والضمان الاجتماعي - الجامعة الأسمرية - مكتب بريد زليتن - كلية الآداب والعلوم زليتن - كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - أمانة العدل والأمن العام - مصرف الوحدة - مصرف الجمهورية).

وتضمنت مؤسسات القطاع الإنتاجي في الآتي: (مصنع إسمنت زليتن - محطة تحلية المياه - مصنع الخبيز والبسكويت بزليتن - مطحن غلال زليتن - مصنع علف زليتن - مصنع تغليب التبن والسردين).

وذلك لمعرفة طبيعة التأثيرات الاجتماعية والاقتصادية على القيم عموماً والمنعكسة على قيم العمل خاصة نتيجة لخطط برامج التنمية الشاملة وما تحدثه من تغيرات على قيام التباين القيمي بين الأجيال في مجال العمل وقيمه المستجدة في السوق والآخذة في الاتساع لمجتمع البحث، وتحديد الخصائص الديموغرافية والاجتماعية والاقتصادية للعاملين في القطاع الخدمي والقطاع الإنتاجي لمجتمع البحث من ناحية وتحديد اتجاهات العاملين وتباينهم حول قيم العمل من خلال الخصائص الديموغرافية (العمر، الحالة الاجتماعية، والمستوى التعليمي، والمهنة، والدخل ونوع القطاع وسنوات الخدمة) للعاملين من ناحية أخرى.

ولتحقق من صدق الفرضيات من عدمها عند مستوى دلالة (٠,٠٥)، تم استخدام مجموعة من الأساليب الإحصائية لتحليل الدراسة، كالجداول التكرارية والنسب المئوية ومقاييس النزعة المركزية والنشتت، فما يتعلق بتحليل بيانات متغير واحد، أما فيما يتعلق ببيانات متغيرين فقد تم استخدام اختبار (ت) لعينتين مستقلتين، واختيار التباين الأحادي (ف)، ومعامل الارتباط البسيط، وأقل فرق معنوي^(١٥).

ثامناً : نتائج البحث

١. أغلب العاملين بمجتمع البحث هم فئة الشباب ومن مستويات جامعية وفنية ومن المتزوجين، ومن أصحاب دخول متوسطها (٢٩٢) دينار وأغلبهم من العاملين في الخدمات والإنتاج والمنتجين غير الزراعيين ومدة خدمتهم من (١-١٢) سنة عمل، كما أنهم من مكانات اجتماعية واقتصادية مختلفة.

٢. كشف الدراسة عن وجود علاقة ارتباطية بين الخصائص الاجتماعية والاقتصادية للعاملين (الحالة الاجتماعية، نوع القطاع، المستوى التعليمي، الدخل، المهنة، مدة الخدمة، الخبرة) والتباين القيمي بين الأجيال في القيمة الاجتماعية للعمل، والقيمة الاقتصادية وقيمة الاندماجية في العمل، وقيمة الدافعية للإنجاز، وقيمة الرضا عن العمل.

٣. توصلت الدراسة على وجود علاقة ارتباطية بين العاملين في القطاع الخدمي والعاملين في القطاع الإنتاجي وفي الاتجاه نحو القيمة الاجتماعية للعمل، وقيمة الاندماجية في العمل، وقيمة الدافعية للإنجاز وقيمة الرضا عن العمل، كما بينت أن العاملين بالقطاع الخدمي يعطون أهمية أكبر في اتجاهاتهم وارتباطهم بهذه القيم من العاملين في القطاع الإنتاجي.

٤. كشفت الدراسة أن الأجيال الثلاثة من العاملين تشترك في قيمتين تمثلان قمة سلم القيم وهي قيمتي الاندماجية في العمل، وقيمة الدافعية للإنجاز.

٥. حدوث تغير واضح في الأهمية النسبية للقيمة الاقتصادية للعمل على سلم القيم عبر الأجيال الثلاثة فبعد أن كانت هذه القيمة تحتل المركز الخامس عند الجيلين الثاني والثالث ارتفعت في أهميتها النسبية لتحتل المركز الثالث على سلم القيم عند الجيل الأول.

٦. كشفت الدراسة عن التباين أجيال العاملين في قيم العمل كما يلي:

١- الجيل الأول: من (١-١٢) سنة عمل فكان ترتيب القيم كالآتي: قيمة الاندماجية في العمل بمتوسط حسابي (٤, ٢٣) وقيمة الدافعية للإنجاز بمتوسط حسابي (٥, ٢٣)، والقيمة الاقتصادية للعمل بمتوسط حسابي (٣, ٢٧)، وقيمة الرضا عن العمل ومتوسطها الحسابي (١, ٢٧) ثم القيمة الاجتماعية ومتوسطها الحسابي (٥, ٢٦).

٢- الجيل الثاني: من (١٣-٢٤) سنة عمل فكان ترتيب القيم كالآتي: قيمة الاندماجية في العمل بمتوسط حسابي (٧, ٢٥) وقيمة الدافعية للإنجاز بمتوسط حسابي (٤, ٢٤)، والقيمة الاجتماعية للعمل بمتوسط حسابي (٣, ٢٨)، وقيمة الرضا عن العمل بمتوسط حسابي (٢, ٢٨) ثم القيمة الاقتصادية بمتوسط حسابي (٤, ٢٧).

٣- الجيل الثالث: والذي يتمثل من (٢٥- فأكثر) سنة عمل فكان ترتيب القيم كالآتي: قيمة الإدماجية في العمل بمتوسط حسابي (٣٦) وقيمة الدافعية للإنجاز بمتوسط حسابي (٣٤,٧)، والقيمة الاجتماعية للعمل بمتوسط حسابي (٢٨,٦)، وقيمة الرضا عن العمل بمتوسط حسابي (٢٨) ثم القيمة الاقتصادية بمتوسط حسابي (٢٦,٦).

تاسعاً: توصيات البحث

في ضوء النتائج التي توصل إليها البحث (التباين القيم بين الأجيال في مجال العمل)، توصي بما يلي:

١- الاهتمام بالربط بين مخرجات التعليم وبين متطلبات سوق العمل وتنشيط الصلة بينهما بشكل يساهم في تنمية الموارد البشرية لخلق تنوع وتوازن في هذه الموارد دون تركيزها في القطاعات الخدمية، والعمل على تخريج المؤهلين علمياً وتقنياً خاصة في المجالات الإنتاجية والتطبيقية للاستفادة من طاقاتهم وسد الكثير من العجز في ميدان العمل الفني والتقني والإنتاجي، لرفع عجلة الإنتاج بالشكل الأمثل نحو تحقيق التنمية.

٢- العمل على تنويع وتنشيط كافة القطاعات الاقتصادية الخاصة والتشاريكات، والجمعيات في القطاع الأهلي مع التركيز على الأنشطة ذات الطابع الإنتاجي لدعم قيم الإنتاج والعمل، بدلاً من التشجيع على السلوك الاستهلاكي واستحداث مواطن وفرص عمل جديدة بمنح التسهيلات والقروض الإنتاجية مع تبسيط الإجراءات بما يتماشى وحركة التنمية التي يشهدها المجتمع من أجل التقليل من حدة مشكلة البطالة.

٣ - ضرورة التوسع في زيادة الدورات التدريبية للعاملين وتكثيفها خاصة في المجالات الفنية والتقنية والتوسع في استخدام المكننة وإدخال التقنيات الحديثة في مختلف مجالات العمل لرفع مستويات الأداء وكفاءة الإنجاز وتطوير الإنتاج وتقديم خدمات أفضل للمواطنين.

٤ - الاهتمام بإعداد وتوفير البيانات الإحصائية المتواصلة للعاملين في قطاعات وأجهزة المجتمع، وتوفير الإحصاءات القطاعية للقوى العاملة في المجالات الصناعية والزراعية والاجتماعية والمواصلات... إلخ وإحصاءات طالبي العمل الجدد سواء منهم طالبي العمل لأول مرة أو العاطلين الذين كانوا يعملون سابقاً وجمع تلك البيانات والإحصاءات من كافة المدن بصورة مستمرة وتصنيفها

وتبويبها للاستفادة منها في تخطيط ورسم سياسات التنمية الاقتصادية والاجتماعية وتتسبب طالبي العمل الجدد والعاطلين لقطاعات الإنتاج.

٥- يوصى الباحث بإجراء بحوث أخرى مستقبلية مماثلة بمختلف قضايا العمل وقطاعاته الخدمية والإنتاجية والقطاع الأهلي والتشاركي وعلى مختلف الشرائح المهنية، وذلك للوقوف على الصعوبات والمشاكل التي تعوق عملية العمل والقوى العاملة في مساهمتها الجادة في قضايا التنمية المختلفة وبناء المجتمع وتقدمه.

مراجع البحث

- ١- كمال التابعي. القيم الاجتماعية والتنمية الريفية، القاهرة، دار نهضة الشرق، ١٩٩٩، ص ١١.
- ٢- كمال التابعي. القيم الاجتماعية والتنمية الريفية، المرجع السابق، ص ١٢.
- ٣- كمال التابعي. الاتجاهات المعاصرة في دراسة القيم والتنمية، القاهرة، دار المعارف، ١٩٩٧، ص ٢٦٦.
- ٤- عبد الله عامر الهاملي. التحديث الاجتماعي معاملة ونماذج من تطبيقاته، مصرانة، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط ٢، ١٩٩٦، ص ١٩.
- ٥- الهيئة العامة للمعلومات، الكتاب الإحصائي ٢٠٠٦، طرابلس.
- ٦- أحمد زكي بدوي. معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بيروت، مكتبة لبنان، ط ٢، ١٩٨٦، ص ٣٩٨.
- ٧- كمال التابعي. الاتجاهات المعاصرة في دراسة القيم والتنمية، مرجع سابق، ص ٤٤.
- ٨- أحمد زكي بدوي. معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مرجع سابق، ص ٢٣٦.
- ٩- محمد كامل مصطفى وآخرون. معجم مصطلحات القوى العاملة، الإسكندرية، موسوعة شباب الجامعة للنشر والتوزيع، ١٩٩٤، ص ١١٧-١١٨.
- ١٠- حسين طه المحاذين. قيم العمل، دراسة سوسيولوجية في المجتمع الأردني، بيروت، دار الكنوز الأدبية، لبنان ط ١، ٢٠٠٢، ص ٣٢.
- ١١- كمال التابعي. الاتجاهات المعاصرة في دراسة القيم والتنمية، مرجع سابق، ص ٤٦.
- ١٢- كمال التابعي. الاتجاهات المعاصرة في دراسة القيم والتنمية، المرجع السابق، ص ٤٨.
- ١٣- صبحي محمد فنوص. أزمة التنمية، مصرانة، الدار الجماهيرية للنشر، ط ٢، ٢٠٠٤، ص ١٥.
- ١٤- حسين إبراهيم بدر. دراسات التنمية الاجتماعية، الإسكندرية، المعرفة الجامعية، ٢٠٠١، ص ١٠٠.
- ١٥- صلاح الدين محمود علام، تحليل البيانات في البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية، القاهرة، دار الفكر العربي، ط ١، ٢٠٠٠، ص ٨٦.

معوقات عمل المرأة في مجال العمل الخيري دراسة ميدانية لمغتربي مدينة النبك السورية بالكويت



مقدمة البحث

أ.ة. نبهة محمود طربوش*



تجربة أبناء مدينة النبك السورية المغتربين مع العمل الخيري

مدينة النبك السورية: تبعد عن العاصمة دمشق ٨٠ كم، وعدد سكانها ٥٠ ألف نسمة، وهي عاصمة (القلمون). ويعتمد أهلها في مصدر رزقهم على السفر إلى دول الخليج ودول أجنبية وعربية وتتجاوز نسبة المغتربين فيها نسبة ٨٠٪ من عدد السكان. وإحصائية عدد المقيمين منهم في دولة الكويت تتجاوز ٢٠٠٠ نسمة ويعملون بمهن

بناءً على تعايشي مع العمل الخيري وممارستي له بشكل واقعي أحببت أن أشارك في هذا المؤتمر بطرح تجربة إنسانية أنقل من خلالها صورة حقيقية لدور المغترب الذي يعيش ولسنوات طويلة خارج أسوار بلده كيف يمكنه أن يبني جسراً للتواصل يترك من خلاله بصمة ونبراساً للأجيال القادمة فالعمل الخيري عمل إنساني تتوجه إليه الخالصة لوجه الله تعالى. وإيماناً منا بدور العمل الخيري والتطوعي في تنمية المجتمع وبناء جيل شبابي قيادي يحمل مسؤولية بناء مجتمعه المعززة بالرسالة الإنسانية نسعى من خلال العمل التطوعي إلى غرس القيم الأخلاقية لدى أبنائنا المجتمع حين نجعله هدفاً لإعداد فرداً سوياً أخلاقياً يخدم نفسه ومجتمعه ووطنه والعالم ويسعى لنشر الخير في كل مكان على مستوى العالم.

*المدير التنفيذي لمركز البحوث والاستشارات الاجتماعية والرابطة الأكاديمية للبحث العلمي (لندن).

nabha-1@hotmail.com

مختلفة وأحوالهم المادية جيدة جداً، بالإضافة إلى وجود عدد كبير منهم ذو كفاءة عالية من العلم والمعرفة، ويحملون مؤهلات علمية عالية وشهادات جامعية (مهندسين وأطباء ومدرسين ورجال أعمال ومهنيين). ومن هذه الزاوية انطلقوا بفكرة تشكيل وتأسيس رابطة تهدف إلى لم الشمل في موطن الاغتراب وتشكل قاعدة لغرس وتعزز مفهوم العمل الخيري في نفوس أبناء البلد المغتربين الذين يعيشون خارج بلدهم في سبيل خدمة أبناء البلد. وبالفعل وعلى أرض الواقع أنشئت الرابطة وسميت (رابطة مغتربي النيك في الكويت) وكان ذلك عام ٢٠٠٨م وضعت الرابطة رسالة وأهدافا سامية لتعزيز مفهوم العمل الإنساني والخيري في نفوس أعضاء الرابطة من خلال إنجاز مشاريع خيرية تساهم في تطوير البلد وتنميته، وتخدم أبناء البلد بشكل خاص والمناطق المجاورة بشكل عام وبكافة المجالات. (الصحية، التعليمية، الترفيهية، الثقافية، العمرانية).

فبلدنا ومجتمعنا جزء منا وقد قدّم لنا الكثير، وابتعدنا عنه بهدف تحقيق طموحاتنا، ولكن انتمائنا وحبنا له توجب علينا أن نساهم في خدمته وتطويره، فقمنا بفكرة تشكيل تلك الرابطة لإعداد وإنشاء المشاريع الخيرية التي تخدم المجتمع وتساهم في تطويره.



مدينة النيك

أهداف الرابطة

- ١- تعزيز التواصل والتعاون بين أبناء البلد (المقيمين والمغتربين) وبناء مشاريع خيرية تساهم في خدمتهم.
- ٢- استكمال مسيرة الأجداد الخيرة والمساهمة في دعم الجمعيات الخيرية داخل البلد.
- ٣- غرس مفهوم العمل الخيري لدى أبنائها وإبراز دورهم في بناء مجتمع إسلامي سليم.
- ٤- توظيف خبرات وإمكانيات المغتربين (العلمية - والمادية - والفكرية) لتحقيق إنجازات تساهم في تنميته وتطويره.



- ٥- تنفيذ مشاريع خيرية تخدم البلد بشكل خاص والقرى المجاورة بشكل عام.
٦- تعزيز دور المرأة في العمل الخيري التطوعي ومنحها فرصة المشاركة في بناء المجتمع.

شعار الرابطة (تطلعاتنا المستقبلية الخيرية تتحقق بسخائكم)



المشروع الخيري الأول للرابطة

مبنى مشروع دار الأشعة (لمغتربي النيك في الكويت)

نظراً لحاجة أهل المنطقة الماسة لهذا المشروع وبالتعاون مع الجهات المعنية الحكومية والخاصة وبجهود حثيثة من أبناء البلد مقيمين ومغتربين أعدوا اللجان (لجمع التبرعات - والبناء - والتجهيزات - وتوفير الأجهزة الطبية - وتدريب الأطباء) وبفضل الله تعالى وجهود أبناء الرابطة المغتربين وأبناء البلد المقيمين رجالاً ونساءً، تم بناء المبنى وشمل ثلاثة أدوار افتتح الدور الأول عام ٢٠١٠ م وخصص مركزاً للأشعة والدور الثاني خصص للأطفال والثالث خصص لأمراض السكري. وذلك خلال فترة زمنية لا تتجاوز العامين.

وقد غرست هذه الفكرة وعززت التنافس الإيجابي لدى أبناء البلد المقيمين في دول أخرى، وأول فئة من المقيمين خارج البلد الذين سعوا إلى التنافس هذا هم فئة مغتربي النيك

في المملكة العربية السعودية، وحذوا حذو المقيمين في الكويت وأعلنوا على بناء مستشفى القلب التخصصي وجمعت مبالغ لها وبدأوا العمل وساروا بنهج فريق العمل وبالتعاون بينهم بين أهل البلد تم إنجاز المبنى وأصبح حالياً على أرض الواقع فهذه الفكرة تحولت إلى قاعدة وسياسة ينطلق منها العمل الخيري الإنساني لجميع أبناء البلد المغتربين.

وكان للمرأة في هذه الرابطة دوراً هاماً بمساهمتها وسعيها لجمع التبرعات لدعم المشروع من خلال إعداد الملتقيات وعرض إنجازات المشروع بهدف التشجيع وتعزيز مفهوم العمل الخيري في قلوبهن وعقولهن والسعي لتحقيقه ضمن فريق عمل تقوده الرسالة السامية للعمل الخيري، إضافة إلى وضعهم خطة إعلامية مميزة ساهمت في إبراز دور المرأة في العمل الخيري (فكرياً ومادياً واجتماعياً) لكن كانت تواجههم صعوبات ومعوقات كبيرة في تأدية هذا العمل مما انعكس سلباً على إنتاجية العمل بشكل عام.

إن قدرة المرأة على القيام بهذا الدور تتوقف على نوعية نظرة المجتمع إليها والاعتراف بقيمتها ودورها في المجتمع، وتمتعها بحقوقها وخاصة ما نالته من تثقيف وتأهيل وعلم ومعرفة لتنمية شخصيتها وتوسيع مداركها ليساعدها ذلك على دخول في ميدان العمل والمشاركة في مجال خدمة المجتمع. فقيام المرأة بالعمل الخيري تقف في طريقه عوائق تأخذ اتجاهات عديدة منها:

أولاً: العوائق النفسية والشخصية

إن العوائق النفسية والشخصية من أكبر الصعوبات التي تواجه المرأة بهذا المجال وقد تقف حاجزاً كبيراً يكون من الصعب تجاوزه، مما يبطئ العمل أو يوقفه ويؤدي ذلك إلى مايلي:

- ١- الكسل والفتور.
- ٢- الرياء فانه يقتل العمل وقد يحبطه.
- ٣- التذمر والتشكي فإن ذلك من أنواع المنة.
- ٤- الانقطاع عن العمل فالكثيرات يأخذهن الحماس لفترة لكنها بعد ذلك تتوقف عن العمل.
- ٥- عدم القدرة الشخصية على التوفيق بين عمل البيت والعمل المهني والعمل التطوعي.
- ٦- عدم فهم معنى العمل الخيري وهدفه، وشعورها أنه تكليفاً وليس إيماناً بأدائه.
- ٧- عدم امتلاكها لأسلوب الحوار مع الآخرين بهدف نشر رسالة العمل الخيري.

ثانياً: المعوقات الاجتماعية والثقافية والصحية

- ١- الظروف والمسؤوليات الأسرية الملحة ومعارضة الزوج وعدم القدرة على التوفيق في المهام والأعمال، بالإضافة إلى عدم اقتناع الأقارب والمحيطين بأهمية هذا النوع من العمل لما تحكمهم من عادات وتقاليد لا يستطيعون تجاوزها وهو ما أدى إلى إحجام بعض النساء عن العمل التطوعي.
- ٢- عدم توفر الثقافة الكافية لدى المرأة لمفهوم العمل التطوعي والتي تساعدهم على التعرف على عادات وتقاليد الأفراد في المجتمعات المختلفة الأخرى، فالثقافات والمفاهيم تختلف من مكان إلى آخرى وهذا يعيق تقبل المرأة لهذا النوع من العمل أو تنفيذه أو المساهمة به.
- ٣- كثيرون يسعون ويجهدون ويضحون بتعبهم وصحتهم وأموالهم للقيام بهذا العمل الإنساني بهدف كسب الأجر لكن الظروف الصحية التي تلم بهم تعيق تنفيذ العمل وتجعل الانتاجية ضعيفة.

ثالثاً: معوقات شرعية

- تتعلق بالشرع وما هو محلل على المرأة أن تنقيد به وما هو محرم عليها ويتوجب تجنبها له أثناء قيامها بمهام العمل الخيري. (الاختلاط، السفر، العمل لساعات وبأوقات متأخرة). ولكن علينا أن لا نكتفي بطرح المشكلة وإنما سعينا جاهدين إلى إيجاد حلول لها لتذليل تلك الصعوبات لنصبح قادرين على الاستمرار في أداء رسالتنا ونحن في موطن الاغتراب.
- وسيتيم طرح كل مشكلة مفصلة مع الحل المقترح الذي يسهم مساهمة فعالة في دعم دور المرأة في هذا المجال ونحن بدورنا نقترح من خلال بحثنا أن تكون لتلك الحلول دوراً لدى المؤسسات والهيئات الحكومية والخاصة والجهات الخيرية والهيئات الشرعية الجانب الأهم في دعم مسيرة المرأة بهذا الجانب من العمل الخيري الإنساني السامي لمساعدة المرأة على أداء عملها بهذا المجال على أكمل وجه وأهم المشكلات التي تواجه المرأة لأداء العمل بهذا المجال الآتي:

أولاً: العادات والتقاليد

- المرأة والأسرة أسست أن الرجل له قيادة الأسرة وليس المشاركة.
- مخاوف الاختلاط بين الجنسين.
- تمييز ضد قيادة المرأة - دورها كقائدة - (رفض القيادة للمرأة) قبل وبعد.
- الممارسات السيئة لبعض النساء في القيادة يجعل هناك ردة فعل.
- لا يوجد نموذج نسائي يحتذى فيه للقيادة أو الإدارة ظاهر في المجتمع.
- تسليط الإعلام على النماذج النسائية السلبية.
- الثقافة الاستهلاكية والترف في بناء شخصية المرأة.

الحل:

- تسليط الضوء على النماذج النسائية الناجحة في المجتمع إعلامياً ورصد إنجازاتها وعرضها في شكل دوري في عدة محافل (تبادل الخبرات).
- توثيق السيرة الذاتية للنساء المتميزات في مؤلفات يستفيد منها الآخرون.

ثانياً: ضعف أسس التربية والتوعية في هذا المجال

إن ضعف تربية بناتنا وأبنائنا على أهمية العمل في هذا المجال من الناحية (الأخلاقية - والإنسانية - والدينية)، شكلت عائقاً كبيراً أمامها، وانعكس سلباً على عدم أدائها له بصورة صحيحة تحقق الهدف المطلوب.

الحل:

- إعادة دراسة المناهج الدينية في ضوء الواقع الجديد للمرأة المسلمة.
- وضع منهج تربوي في المدارس لمفهوم تكامل الأدوار بين الرجل والمرأة.
- إعادة دراسة المناهج الدينية والمواد الأخرى وربطها بمتطلبات الحياة.
- إعداد محاضرات توعية للشباب والشابات من قبل المختصين توضح مفهوم الاختلاط الجائر والشرعي.
- إعداد برنامجي تدريبي يضم الفئات الشبابية يعزز دور المرأة في المجال الخيري والتطوعي ويدعم المنهج التربوي والديني في تكامل الأدوار بين الرجل والمرأة.
- توعية دينية في الأمور الاجتماعية المشوهة كالاختلاط بين الجنسين وخروج المرأة للعمل وغيرها.
- نشر الوعي الاجتماعي الثقافي من خلال التربية والتعليم على أهمية دور المرأة في المجتمع.
- توعية المرأة بأهمية الموازنات داخل الأسرة وخارجها.
- توعية المرأة بأهمية دورها كعضو فعال في التأثير في المجتمع (كونها تمثل نسبة المرأة في المجتمع).

ثالثاً: العوائق الخاصة بالمرجعية الشرعية

- كيفية السفر بدون محرم.
- الخلط بين مفاهيم الدين والعادات والتقاليد.

الحل:

- تسليط الضوء على الفتاوى التي تشجع دور المرأة وبيان مكانتها في المجتمع.
- البحث مع العلماء والفقهاء والمختصين للوصول إلى مخرج شرعي لموضوع اضطراب المرأة للسفر للعمل الخيري للتنموي للعالم الإسلامي بدون محرم.

- تعليم الناس تعاليم دينهم وتسهيلها.
- مراجعة المناهج الدينية التقليدية التي تحجم من دور المرأة.
- التثقيف بفقته الخلاف.
- تسليط الضوء على الفتاوى التي لا تحجم دور المرأة.
- التوعية الاجتماعية بالفصل بين العادات والتقاليد والمفاهيم الشرعية.
- إعادة دراسة المناهج الدينية في ضوء واقع المرأة الجديد.
- ربط المناهج الدينية بالمواد الأخرى.
- تثقيف النساء في العلم الشرعي.

رابعاً: عدم وجود عضوية قيادية للمرأة في المؤسسات الخيرية

الحل:

- تخصيص مقاعد للنساء في عضوية مجالس الإدارات.
- إعداد وحث وتشجيع المرأة على الترشيح في مجالس الإدارة.
- توعية القائمين على العمل الخيري على تقبل شراكة المرأة في اتخاذ القرار.
- سن قوانين وتشريعات لضمان إيصال المرأة ذات الكفاءة إلى مواقع اتخاذ القرار
- تبني وتشجيع المبادرات والنماذج النسائية غير التقليدية في وسائل الإعلام.
- الاجتهاد في التحليل والتطوير من خلال السيرة والقرآن الكريم.

خامساً: تعسف الرجل تجاه المرأة ومنعها من أداء العمل

الحل:

- إعداد منهج إثرائي تتبع المنهج الديني تبرز دوره ومساهمته الفعالة في دعم عمل المرأة في المجال الخيري مع التركيز على الإيجابيات تعزز من مكانته في هذا الدور.
- توثيق قصص واقعية عن النساء المتميزات والرائدات في هذا المجال ودورهم الفعال إلى جانب الرجل في هذا المجال وأثر ذلك على تنمية المجتمع.
- إعداد دورات تدريبية للنساء عن فن الحوار وتقبل الرأي الآخر والوصول إلى الاقتناع عن طريق الحوار السليم.

سادساً: الزواج المبكر تأثيره على عدم القدرة على تنظيم حياة المرأة فيما بين واجباتها الزوجية ومسؤولياتها في العمل.

الحل:

- إيجاد البدائل في المؤسسات التطوعية من خلال المتطوعات لسد الفراغ.
- توعية إعلامية بأهمية دور المرأة وحاجة المجتمع لها.

سابعاً: ترتيب الأولويات

الحل:

- دورات تدريبية للمساعدة في ترتيب الأولويات.
- التعليم والتوعية بفقہ الأولويات.

التوصيات والمقترحات

أوصي في هذا البحث على:

- ١- ضرورة غرس حب العمل التطوعي الاجتماعي في نفوس المجتمع عن طريق المناهج الدراسية.
- ٢- توجيه بحوث التخرج إلى الأعمال التطوعية.
- ٣- أن يكون هناك مفاضلة في ديوان الخدمة الاجتماعية والمدنية للوظائف للخريجة التي يكون لها خدمة إلزامية تطوعية في أي جهة.
- ٤- ضرورة تكثيف الجهود الإعلامية وإبراز العمل التطوعي من الناحية الدينية والإنسانية والوطنية والحث على العمل التطوعي المنظم وإبراز أهمية عمل المرأة في مجال العمل الخيري إعلامياً.
- ٥- ضرورة التوعية بثقافة العمل التطوعي، وزرع الأعمال التطوعية الخيرية في نفوس الأبناء والبنات منذ نعومة أظفارهم لينشئوا عليها شباباً وشيباً ويتعاشوا معها ويتعلموا حبها والسعي إليها.

المقترحات التي تساهم في تطوير عمل المرأة في المجال الخيري

- أولاً: التخطيط الدقيق والسليم لبرامج العمل الخيري.
- ثانياً: تأهيل كوادر المؤسسات الدعوية النسائية.
- ثالثاً: التعاون والتنسيق بين مؤسسات الدعوة.
- رابعاً: دعم المشروعات الدعوية والعملية والتربوية المقامة في اللجان النسائية من خلال:

- الدورات الشرعية
- الدورات التربوية
- المحاضرات والندوات
- لقاء الناشئة.

توصية أخيرة

على كل من يرغب في تعزيز رسالة العمل الخيري والإنساني عليه أن يسعى إلى أدائه متخطياً كل العوائق، وأن يكون عمله خالصاً لوجه الله، وأن يكون هدفه من عمله هذا مرضاة الله والفوز بالجنة.

دور تكنولوجيا المعلومات والاتصال في تنمية الأداء في المؤسسة

أ.ة. أسماء بركان
أ.ة. فضيلة لعقاقة

ملخص

وسهّلت الحصول على المعلومات المتعلقة بالأداء التنظيمي في أي مستوى إداري وفي أي لحظة. حيث تستخدم حالياً الكثير من المنظمات نظام تخطيط موارد المؤسسة، والذي يعتبر أحد الأنظمة التي تحقق الإدماج والتكامل بين جميع الأنشطة اللازمة لممارسة الأعمال من تخطيط، وتمويل، وتصنيع، وبيع، ومن ثم يمكن تحقيق درجة أعلى من التنسيق بين هذه الأنشطة من خلال المشاركة في المعلومات باستخدام شبكات الربط المعلوماتية.

لقد شهد العالم خلال النصف الثاني من القرن الماضي تطورات مذهلة ومتسارعة في وسائل تكنولوجيا الاتصالات، لدرجة أنه أصبح من الصعب على الأفراد والمؤسسات متابعة هذه التطورات والاختراعات الجديدة، فقد دخلنا خلال هذا القرن عصر الأقمار الصناعية وعصر الإنترنت وتحول هذا العالم إلى قرية صغيرة. ولقد أتاحت هذه التكنولوجيات إعادة صياغة أداء العملية التسييرية في المنظمات، حيث وفّرت إمكانيات جديدة لمساعدة المديرين على التخطيط والتنظيم والقيادة والرقابة.

• أستاذة مؤقتة، جامعة خميس مليانة، قسم العلوم الإنسانية والعلوم الاقتصادية وعلوم التسيير/الجزائر.

asmaberkane@yahoo.com

• جامعة سعد دحلب البليدة/الجزائر. fadhilalagaguna@yahoo.fr

إن تنمية تكنولوجيا المعلومات والاتصال تمكّن من تحسين كفاءات المؤسسة، حيث يتعلق الأمر أساساً بتحسين القدرة على التجديد والتوقع والتعامل مع البيئة التي تشكل الديناميكية والاضطراب وعدم الاستقرار فيها أكبر تحدّي بالنسبة للمؤسسات اليوم وإن التفاعل مع التغيرات في البيئة المحيطة بالمؤسسة تعتبر اليوم كفاءة يتم الحكم على المؤسسات من خلالها وتصبح مصدراً للميزة التنافسية. وهذه التفاعلية يمكن تحديدها على الصعيدين التشغيلي والاستراتيجي ؛ فعلى الصعيد الاستراتيجي فإن تكنولوجيا المعلومات والاتصال تمكّن من تحسين القدرات التنبؤية فإن هذه التكنولوجيات تمكّن من مضاعفة وتحسين قدرات الابتكار، من خلال تنمية وتسريع العمليات الداخلية والعمل وفق المنطق التعاوني فهذه التكنولوجيات تمكّن من القياس الآلي وفي الوقت الحقيقي للأداء مما يجعله أكثر دقة ووضوح ويضيف عليه شفافية أكبر ومن هذا المنطلق نطرح الإشكال التالي:

إلى أي مدى يمكن أن يؤثر استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصال في أداء المؤسسة؟

أولاً: ماهية تكنولوجيا المعلومات والاتصال

يعتبر مفهوم تكنولوجيا المعلومات والاتصال من المفاهيم الواسعة الانتشار والتي أصبحت تحتل مكانة مهمة في كثير من ميدان الأعمال إذ تعتبر من محددات أداء المؤسسات ومن خلال هذا المنطق احتاجت مؤسسة اتصالات الجزائر بالبلدية إلى الاستعمال الواسع لأساليب وتقنيات تكنولوجيا المعلومات والاتصال.

١- تعريف تكنولوجيا المعلومات والاتصال

هي كافة الأنشطة التكنولوجية والاقتصادية والأكاديمية والتنظيمية التي تتعلق بالتكنولوجيات الخاصة بتمكين الأفراد والمنظمات من معالجة المعلومات ونقلها في أي وقت ومكان على نحو أسرع وأكثر فعالية^(١).

٢- خصائص تكنولوجيا المعلومات والاتصال^(٢)

- التفاعلية: أي أن المستعمل لهذه التكنولوجيا يمكن أن يكون في نفس الوقت مرسل ومستقبل، فالمعنيين بعملية الاتصال بإمكانهم تبادل الأدوار المهام وهو ما يتمخض عنه نوع من التفاعل بين المؤسسات والأشخاص.

- التزامنية: وتعني بذلك استقبال الرسالة في أي وقت يناسب المستخدم فالمشاركين في الاتصال غير مطالبين باستخدام النظام في الوقت نفسه ففي البريد

الإلكتروني مثلاً نجد أن الرسالة ترسل مباشرة من المرسل إلى المستقبل ودون تواجد هذا الأخير أثناء العملية.

- **اللامركزية:** وهي خاصية تسمح باستقلالية (ICT) مثال فالإنترنت تتمتع باستمرارية عملها على الدوام، فلا يمكن لأي جهة أن تعطل الإنترنت على مستوى العالم بأسره.

- **قابلية التواصل:** ونعني بذلك إمكانية الربط بين أجهزة الاتصال المختلفة.

- **قابلية التحرك:** وهي إمكانية نقل المعلومة من وسط إلى آخر كتحويل الرسالة المسموعة إلى رسالة مطبوعة أو مقروءة.

- **الشيوع والانتشار:** وهو قابلية هذه الشركة للتوسع أكثر فأكثر لتشمل مساحات غير محدودة من العالم.

- **العالمية والكونية:** وهو المحيط الذي تعيش فيه هذه التكنولوجيا حيث تأخذ المعلومات مسارات مختلفة ومعقدة تنتشر عبر مختلف محيط عملها.

٣- **وظائف تكنولوجيا المعلومات والاتصال:** تدر (ICT) فوائد كثيرة على مستوى كافة النشاطات الاقتصادية لا سيما المتعلقة بالمؤسسات الصغيرة والمتوسطة نذكر منها ما يلي^(٢):

- إتاحة المعلومات الدقيقة للمؤسسات بما يسمح باتخاذ القرارات الصائبة.
- جعل الاتصال أكثر سرعة وكفاءة وأقل كلفة بين المؤسسات ومحيطها.
- توفير سبل فعالة لتسيير الموارد البشرية المتوفرة لدى المؤسسات.
- الاقتصاد في الوقت والجهد والموارد.
- زيادة الثروة المعرفية وإعطاء فكرة واضحة حول مستجدات الوضع الخارجي.
- إقامة علاقات جديدة مع شركاء المؤسسة وبناء اتصالات مستمرة.

٤- **فروع تكنولوجيا المعلومات والاتصال:** تشتمل فرعين أساسيين وهما^(٤):

- **تشغيل المعلومات:** يشتمل هذا النوع الوظائف التي تتناول المعالجة والتوزيع الآلي للمعلومات، وتعتبر الأساس في إنجاز عمليات التشغيل في المؤسسات وتدعيم قدرة الإدارة على اتخاذ القرارات، ويتمثل المحور المركزي لهذا الفرع في تطبيقات الإعلام الآلي في أشكاله المختلفة.

- نقل وإيصال المعلومات: يمثل هذا الفرع عملية نقل وإيصال المعلومات التي تم تشغيلها بين المواقع المتباعدة للحواسيب، ووحداتها الطرفية البعيدة وذلك باستخدام تسهيلات الاتصال عن بعد (Télécommunication).

ه- أهم سمات قطاع تكنولوجيا المعلومات والاتصال

يتسم قطاع تكنولوجيا المعلومات والاتصالات بسرعة التغير وعدم الوضوح بل والغموض في كثير من الأحيان، حيث أنه قطاع تحركه قوى مختلفة وتؤثر فيه ضغوط كثيرة ويملك بدائل تكتيكية متعددة، ويرجع ذلك إلى ما يتميز به ذلك القطاع من أوجه الابتكار المستمر والمتواصل على المستوى التكنولوجي وعلى مستوى الأعمال، وهو ما يؤدي إلى الديناميكية والتغير. ويتسم مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات بالتمحور الشديد حول إنتاج المعرفة وتوفيرها ومعالجتها، كما يتسم أيضاً بالمغالة في تقدير المردود المستقبلي للابتكارات، والاضطراب وعدم اليقين فيما يتعلق بالتوقعات المتتالية في مجال التكنولوجيا.

ويمكن تصنيف قطاع تكنولوجيا المعلومات والاتصالات إلى عدة مكونات أساسية هي:

- صناعة المكونات المادية أو الصناعات المتعلقة بالإلكترونيات.
- مزودو البرمجيات.
- مشغل خدمات الاتصالات.
- مشغل خدمات الإعلام.
- الصناعات المغذية للإعلام.
- الخدمات المهنية أو الخدمات المتخصصة.

ومن الملاحظ عدم تضمين الإنترنت في التصنيف السابق بسبب انتشار وتغلغل مجموعة تكنولوجيات الإنترنت في كافة جوانب قطاع (ICT).

٦- الملامح المميزة لقطاع تكنولوجيا المعلومات والاتصالات

✓ النمو السريع في التجارة الإلكترونية، حيث تعتبر من أهم التطبيقات العملية لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

✓ حدوث تطوير كبير في تقديم الخدمات المصرفية إلكترونياً باستخدام أحدث وسائل تكنولوجيا المعلومات مما زاد من سرعة الأداء ومن الدقة في إنجاز العمل.

✓ حدوث معدلات غير مسبقة في تطور التكنولوجيا ذاتها، حيث شهد العالم استخداماً واسع النطاق للعديد من الأجهزة الجديدة التي لم تكن معروفة قبل ١٠ أو ١٥ عاماً، مثل الانتشار الكبير للحواسيب (الكمبيوترات)، وتجهيزات الإنترنت، والهواتف المحمولة، والأجهزة المحمولة باليد.

✓ ظهور نماذج أعمال جديدة في قطاع الاتصالات وتحديداً في مجال الإنترنت.

٧- مؤشرات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات

تختلف الدول من حيث مستوى تقدمها ومستوى استخدامها لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، فمن المؤكد أن احتياجات الدول النامية وتطلعاتها في التحول نحو مجتمع المعلومات تختلف عن احتياجات وتطلعات الدول المتقدمة، وبما أن تكنولوجيا المعلومات والاتصالات هي الركيزة الأساسية في بناء مجتمع المعلومات، من خلال وضع مؤشرات يستند عليها في تقديم صورة واضحة عن الوضع الراهن وتساعد صانعي القرارات على اتخاذ القرارات والإجراءات المناسبة، لتوجيه واستغلال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في تحقيق عملية التنمية. وفي هذا الصدد دعت الأمم المتحدة ومنظمات دولية أخرى إلى إيجاد مؤشرات مشتركة يتم الإعداد لها في قياس مدى استغلالها في بناء مجتمع المعلومات على المستوى العالمي.

بالإضافة إلى وضع المؤشرات الأساسية المشتركة بين جميع الدول، ارتأت العديد من الدول خلال القمة العالمية لمجتمع المعلومات ضرورة وضع مؤشرات خاصة بكل منطقة من العالم تعكس مستواها في استغلال تكنولوجيا المعلومات والاتصال في بناء مجتمع المعلومات. وفي ظل توجه العالم نحو الشراكة في تطوير تكنولوجيا المعلومات التي تضم عدة مؤسسات دولية وإقليمية كالأسكو التي قامت بإعداد دراسات حول مؤشرات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات واستغلالها في بناء مجتمع المعلومات وبالتعاون مع جهات دولية أخرى وضعت قائمة من المؤشرات نوجزها فيما يلي^(٥):

- مؤشرات الكثافة الاتصالية: وتقاس بعدد الهواتف النقالة والثابتة لكل ١٠٠ فرد، وسعة الشبكات الاتصال من حيث معدل تدفق البيانات عبرها^(٦).

- مؤشرات التقدم التكنولوجي: وتقاس بعدد الحواسيب، وعدد مستخدمي الإنترنت، وحياسة الأجهزة الإلكترونية كالفاكس والهواتف من قبل الأفراد والمؤسسات.

- مؤشرات الإنجاز التكنولوجية: سواء المستوردة أو المصدرة.

٨- واقع تكنولوجيا المعلومات والاتصال في الجزائر

تحتل الجزائر المرتبة ١٠٨ عالمياً في الاتصالات، حيث تم تسجيل تراجع كبير في هذا المجال، حيث احتلت المرتبة ٧٨ في أول تقرير سنة ٢٠٠٤، ثم في المرتبة ٨٨ في تصنيف ٢٠٠٨ وبالتالي فقدت الجزائر أكثر من ٢٠ مرتبة في ظرف سنة واحدة، أما في مجال الاستخدام فقد صنفت الجزائر في المرتبة ١١٩ عالمياً، واحتلتها المرتبة ٨١ في الاستخدام الفردي لمختلف التكنولوجيات مثل الهاتف والإنترنت، والمرتبة ١٢٩ في مجال الأعمال، و١٢٢ في مجال الاستخدام الحكومي، بينما الهاتف النقال فقد احتلت المرتبة ٦٤ عالمياً^(٧).

- مؤشرات تكنولوجيا الإعلام والاتصال في الجزائر ويتم قياس التقدم في تشييد مجتمع المعلومات وتقييم وضعية قطاع تكنولوجيا المعلومات والاتصال عموماً من خلال جملة من المؤشرات المقارنة تمكن من تحديد مكانة بلدنا الجزائر على الساحة الدولية، ويتعلق الأمر بما يلي:

- مؤشر الجدوى الرقمية.
- مؤشر النفاذ الرقمي.
- مؤشر التحضير الإلكتروني.
- مؤشر نشر تكنولوجيا الإعلام والاتصال.
- مؤشر التحضير فيما يتعلق بالحكومة الإلكترونية.

شبكة الإنترنت في الجزائر: دخلت خدمة الإنترنت أول مرة في الجزائر عام ١٩٩٣ عن طريق مركز البحث للمعلومات العلمية والتقنية (م ب م ع ت سيرست Cerist) وهو مركز للأبحاث تابع للدولة الجزائرية، في عام ١٩٩٨ صدر المرسوم الوزاري رقم ٢٦٥ لعام ١٩٩٨ الذي بموجبه أنهى احتكار خدمة الإنترنت من الدولة وسمح للشركات الخاصة بتقديم هذه الخدمة، بيد أن هذا المرسوم اشترط على الذين يريدون هذه الخدمة لأغراض تجارية أن يكونوا جزائري الجنسية، ويتم تقديم الطلبات مباشرة إلى وزير الاتصالات، وفي عام ١٩٩٨ ظهرت أولى شركات التزويد الخاصة وارتفعت أعداد الشركات التي تزود الزبائن إلى ١٨ شركة بحلول شهر مارس عام ٢٠٠٠. ورغم تحرير قطاع الاتصالات في الجزائر إلا أن الوضع الحالي بالنسبة لشبكة الإنترنت ما يزال ضعيفاً مقارنة بدول الجوار^(٨).

الجدول رقم ١: عدد مستخدمي الإنترنت في الجزائر ٢٠٠٨-٢٠٠٠

السنة	عدد مستخدمي الإنترنت
٢٠٠٠	٧٠٠,٠٠٠
٢٠٠٤	١,٩ مليون
٢٠٠٦	٣ مليون
٢٠٠٨	٤ مليون

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على معلومات من CERIST

نلاحظ من خلال الجدول أن هناك ارتفاع في عدد مستخدمي الانترنت في الجزائر حيث ارتفع من ٧٠٠ ألف مستخدم سنة ٢٠٠٠ إلى ١,٩ مليون سنة ٢٠٠٤، ليصل ٠٣ مليون مستخدم سنة ٢٠٠٦، ليصل إلى ٠٤ مليون سنة ٢٠٠٨، وهذا الارتفاع راجع إلى تحرير قطاع الإنترنت في الجزائر، وكذا خفض سعر الاشتراك من طرف أكبر الشركات التزويد بالإنترنت التابعة للدولة الجزائرية وهي اتصالات الجزائر، لكن إذا قورن هذا الرقم الحالي لمشتري الإنترنت بدول الجوار نجد لا يزال ضعيفاً. كما عرفت مقاهي الإنترنت تطوراً ملحوظاً، يمكن أن نبينه في الجدول التالي:

الجدول رقم ٢: عدد مقاهي الإنترنت في الجزائر ٢٠٠٨-٢٠٠٠

السنة	عدد مقاهي الإنترنت
٢٠٠٠	١٠٠ مقهى
٢٠٠٤	٤٨٠٠ مقهى
٢٠٠٧	٥٠٠٠ مقهى
٢٠٠٨	٩٣٠٠ مقهى

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على معلومات من CERIST

نلاحظ من خلال الجدول أن هناك ارتفاع ملحوظ في عدد مقاهي الإنترنت إلا أنه بطيء، حيث كان عدد مقاهي الإنترنت في الجزائر ١٠٠ مقهى سنة ٢٠٠٠ لتصبح ٥٠٠٠ مقهى سنة ٢٠٠٧، ليرتفع إلى ٩٣٠٠ مقهى في نهاية سنة ٢٠٠٨. وهذا الارتفاع ناجم عن زيادة الاهتمام باستخدام الإنترنت في الجزائر واعتماد الكثير من المواطنين على مقاهي الإنترنت في الاتصال بالشبكة، إلا أنه تبقى هذه النتائج غير كافية بالمقارنة مع دول أخرى، حيث بلغ عدد مشتري الإنترنت ٣٢٠,٠٠٠ مشترك في نهاية سنة ٢٠٠٨^(٩)، بعدما كان ٧٠,٠٠٠ مشترك في سنة ٢٠٠٣، و١٠,٠٠٠ مشترك سنة ٢٠٠٠، كما أنه لم يتجاوز معدل مستخدمي الإنترنت في الجزائر حدود ١٠,٨٤ بالمئة، بالرغم المشروع الطموح

الذي أطلقته وزارة البريد وتكنولوجيا المعلومات والاتصال «مشروع أسرتك» والقاضي لأن تملك كل أسرة حاسوباً خاصاً، إلا أن الأسر الجزائرية التي تملك حواسيب وخط توصيل بالإنترنت ذي التدفق السريع لم تتجاوز نسبة ٢,٥ بالمائة^(١٠)، مما يعني أن الإنترنت في الجزائر لم تنتشر على نطاق واسع وأنه ما يزال إلى اليوم مجرد بريسيج أو وظيفة تستخدم على نطاق ضيق مثل استخدامها في إرسال الرسائل الإلكترونية E-MAIL، الألعاب، الدردشة، الترفيه، الأخبار وغالباً في البحث عن المعلومات عند الحاجة والضرورة.

- آثار تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في الجزائر

تتبع الأهمية البالغة التي تكتسبها تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في العصر الحالي من الفوائد الجمة والآثار التي يمكن أن تحدثها في مجالات التنمية الاجتماعية والاقتصادية، أين تلعب دوراً رئيسياً في تحقيق ما يسمى بالتنمية المستدامة وفتحت آفاقاً واسعة للشعوب لأن الآثار الناجمة عن انتشار تكنولوجيا المعلومات والاتصال في الجزائر منها^(١١):

- مكافحة الأمية وتأمين التعلم مدى الحياة لكل الأعمار.
- الاتصال السريع والمباشر يزيل كل الحواجز الحدودية والجمركية.
- الاطلاع والحصول على المعارف والمعلومات والأخبار والأحداث وكل المستجدات دون عناء كبير أو صعوبات.
- التكوين المستمر على مستوى الأحداث.

- تحديات ونقائص قطاع تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في الجزائر:

نقائص وتحديات في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات والتي نوجز أهمها فيما يلي:

- نسبة ضئيلة من العائلات تملك الكمبيوتر الشخصي.
- الثمن الباهض للكمبيوتر بالمقارنة مع الدخل المتوسط للأشخاص.
- غياب مصالح عامة تقدم خدمات للحصول على معلومات متخصصة.
- أقل من ٢٠ موزعي خدمات الإنترنت عمليين ضمن ٩٥ موزع معتمد.
- احتكار القطاع العام لتكنولوجيا المعلومات من قبل قطاع الاتصالات.
- العجز الثقافي في مجال استعمال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في النشاطات المهنية وحتى المتعلقة بالحياة الخاصة.

ثانياً: ماهية الأداء

يعتبر الأداء مؤشراً أساسياً للحكم على فعالية المستخدمين في المؤسسة سواءً من الناحية النظرية أو من الناحية التطبيقية قد استقطب العديد من الدراسات والبحوث.

١- تعريف الأداء:

- يعرفه مصطفى عشوي على أنه ذلك النشاط الذي يؤدي إلى نتيجة وخاصة ذلك السلوك الذي يغير المحيط بأي شكل من الأشكال^(١٢).
- كما عرفته راوية محمد حسن على أن الأداء هو درجة تحقيق وإتمام المهام المكونة لوظيفة الفرد وهو يعكس الكيفية التي يحقق أو يشبع بها الفرد متطلبات الوظيفة، وغالباً ما يحدث لبس وتداخل بين الأداء والجهد، فالجهد يشير إلى الطاقة المبذولة أما الأداء فيقاس على أساس النتائج التي حققها الفرد^(١٣).
- أما الأداء على مستوى المؤسسة فيمكن تعريفه على أنه العمل المنجز بهدف ترقية فعالية المؤسسة على المدى القصير والطويل.

٢- أهداف الأداء: تتمثل أهداف الأداء بالنسبة للإدارة في النقاط التالية:

- وضع نظام معلومات على أداء الموارد البشرية وما يطرأ عليها من تغيرات.
- إعطاء الفرصة لتبادل المعلومات والآراء والخبرات بين الموظفين والقادة في المؤسسة.
- تسهيل عملية قيام المشرفين بتوجيه وإرشاد الموارد البشرية.
- التقويم المستمر للأداء الخاطئ قبل أن يتحول إلى جزء من السلوك الدائم للموارد البشرية.
- التركيز على تصحيح الأداء والقضاء على مفهوم تقييم الأداء لمجرد الثواب والعقاب فقط.
- توفير المناخ المناسب للتفاوض حول المشكلات.
- تسهيل عملية اختيار القيادات وتحديد المساعدين.

٣- عناصر الأداء: توجد عدة عناصر هامة تكون في مجملها ما يعرف بالأداء وهي:

- أ- المعرفة بمتطلبات الوظيفة: وتشمل المهارات المهنية والمعرفة الفنية والخلفية العامة عن الوظيفة والمجالات المرتبطة بها^(١٤).
- ب- نوعية العمل: وتشمل الدقة والنظام والإتقان والبراعة والتمكن الفني والقدرة على تنظيم وتنفيذ العمل والتحرر من الأخطاء^(١٥).
- ت- كمية العمل: وتشمل حجم العمل المنجز في الظروف العادية وسرعة إنجاز العمل المطلوب.

٤- مكونات الأداء:

- كمية الجهد: ويقصد به مقدار الطاقة الجسمية والفعلية التي يبذلها العامل لأداء عمله، وعليه نلاحظ أن مكافأة الجهد المبذول قد تكون المقياس الوحيد المستخدم في التمييز بين العوائد الممنوحة^(١٦) لذا يجب على المنظمة أن تحتفظ بهذه القدرات وتقوم بتوجيهها من أجل تحقيق أهدافها، حيث نجد أن في كل عمل حد أدنى ينبغي على كل عامل القيام به.
- نوعية الجهد: نقصد به أن يكون هناك تطابق بين الجهد المبذول ونوع العمل الذي نقوم به، حيث لا يعني الاهتمام بالسرعة في العمل وإنما تكون الأولوية لمدى الجودة، ونوعية الجهد المبذول وهذا يكون وفق مقياس الذي يقيس درجة الإبداع والابتكار في الأداء. وقد يكون الجهد المبذول عقلياً أو جسمياً هذا وفق ما يطلبه العمل. حيث ينبغي على الإدارة تحديد المسؤوليات لكل منصب كما ينبغي على المنظمة تحديد أهدافها من أجل أن يتمكن كل موظف من العمل ضمن القوانين التي تفرضها المنظمة، ومن العوامل التي تساهم في أداء العامل على أحسن وجه هي شغله لمنصب يلاءم مؤهلاته وقدراته.
- نمط الإنجاز: يقصد بها أنشطة العمل والأسلوب الذي يتبعه العامل أثناء أدائه لعمله، فعلى هذا الأساس يمكن مزج هذه الأنشطة إذا كان العمل جسمانياً بالدرجة الأولى، من خلال ذلك يمكن قياس الطريقة التي يتم بها الوصول إلى حل قرار مشكلة ما، أو الطريقة المتبعة في إجراء بحث علمي^(١٧).

٥- معايير الأداء:

إن معيار الأداء هو عبارة عن بيان مختصر يصف من خلاله النتيجة النهائية التي يتوقع أن يصل إليها الموظف الذي يؤدي عمل معين، حيث يعد معيار الأداء القانون الداخلي المتفق عليه بين الرؤساء والمرؤوسين لتحديد الكيفية أو الطريقة التي من خلالها تتوصل بها المؤسسة ككل إلى تحقيق أفضل مستوى للأداء، وفي الوقت نفسه معرفة أوجه القصور والنقصان التي قد تشوب الأداء، فالهدف من وضع معايير للأداء هو مراقبة الأداء بصفة مستمرة للتعرف على أي تذبذب أو تغير في مستواه للتدخل في الوقت المناسب قبل تدني مستوى الأداء وذلك لتصحيح السلبيات وأوجه القصور وإعادة توجيه الأداء لكي تتكرر هذه الأخيرة وتتحول إلى سلوك العاملين يصعب تغييره^(١٨). وتنحصر أهم معايير الأداء فيما يلي:

أ- الجودة: ترتبط الجودة بجميع النشاطات المنشأة، حين تعبر عن مستوى أداء العامل ولذلك فقد عرفها "TENNER" و"DE TORO" بأنها استراتيجية عمل أساسية

تساهم في تقديم سلع وخدمات ترضي بشكل كبير العملاء في الداخل والخارج وذلك خلال تلبية توقعاتهم الضمنية والصريحة^(١٩). فالجودة تحمل عدة معاني، فهي ذات معنى واقعي وآخر حسي، فأما الأول فهو يعني التزام المنظمات باستخدام مؤشرات حقيقية كمعدل الإنتاج، أي استخدام معايير والالتزام بالمنظمات بالمواصفات والمقاييس المتعارف عليها أما المعنى الثاني فإنه يركز على مشاعر وأحاسيس متلقي الخدمة والمستفيد منها.

ب- الكمية: ونقصد بها حجم العمل المنجز، وهذا يجب أن لا يتعدى قدرات وإمكانيات الأفراد وفي الوقت نفسه لا يقل عن قدراتهم وإمكاناتهم، لأن ذلك يعني بطء العمل، مما قد يؤدي العاملين بالتراخي وقد يؤدي مستقبلاً إلى مشكلة عدم زيادة معدلات الأداء، لذلك يفضل الإتفاق على حجم وكمية العمل المنجز كدافع لتحقيق معدل مقبول من النمو في معدلات الأداء بما يتناسب مع ما يكتسبه الفرد من خبرات وتدريب وتسهيلات^(٢٠).

ج- الوقت: ترجع أهمية الوقت إلى كونه من المواد الغير قابلة للتجديد أو التعويض، فهو رأس مال وليس دخلاً، مما يحتم استغلاله استغلالاً صحيحاً، في كل لحظة من حياتنا لأنه يتفاعل على الدوام ويمضي بدون رجعة. فالوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك، ويعد أحد خمس موارد أساسية في مجال إدارة الأعمال وهي: «الموارد، المعلومات والأفراد، الموارد المالية، بالإضافة إلى الوقت الذي سعد أكثرها أهمية».

د- الإجراءات: هي الخطوات التي سير فيها أداء العمل، أو بمعنى آخر هي ذلك البيان التوقعي للخطوات والإجراءات الضرورية الواجب اتباعها لتنفيذ المهام، لذلك وجب على كل مؤسسة الاتفاق مع الموظفين على الطرق والأساليب التي يجب على الموظف اتباعها في إنجاز العمل، فالاتفاق الذي يكون بين الرؤساء والمرؤوسين يهدف إلى توضيح الصورة ومعرفة كل ما يتعلق بإنجاز الإجراءات والمعاملات وطريقة إنجازها وللمن تسلم. فالاتفاق والتفاهم على ما يريد المرؤوس تنفيذه مع رئيسه قبل اعتماده كأسلوب هو مفضل في إنجاز العمل ولضمان اتفاق وعدم مخالفة الموظف أو المرؤوس للنظم والتعليمات واللوائح والقوانين.

٦- تقنيات الاتصال كأداة لتحسين الأداء:

تقنيات الاتصال متعددة ومتنوعة «الرموز، اللغة المنطوقة، اللغة المكتوبة، رسائل غير لفظية، الهاتف، الفاكس.. إلخ. لكل من هذه التقنيات مزاياها وعيوبها، على ذلك كلما توفر عدد من التقنيات سواء كانت قديمة أو حديثة أمام المرسل كلما ازدادت الفرصة

أمامه لاستخدام الوسيلة أو التقنية المناسبة لإيصال رسالته، وكلما كانت الرسالة مفهومة من قبل المستقبل كلما زادت احتمالات تطبيق ما جاء في هذه الرسالة بشكل دقيق وواضح هذا ما يسمح بتحسين الأداء في المؤسسة، كذلك التنوع والاختيار الجيد للتقنيات الاتصالية يساعد على فهم الرسالة وتوصيل المعلومات هذه المعلومات التي تكون تحتوي في معظم الأحيان على تعليمات وأوامر وتوصيات لتطبيق الأعمال داخل المؤسسة لذلك ففهم ما جاءت به هذه الرسالة يؤثر بشكل كبير على تطبيق هذه التعليمات بأكمل وجه، أي أداء الأعمال بشكل صحيح ودقيق وبالتالي تحقيق الأهداف المسطرة من طرف المؤسسة.

فالقائم بالعملية الاتصالية عليه تحديد التقنية المناسبة من أجل نقل أو توصيل ما يريده، فالاختيار الجيد لهذه الأخيرة يعني فهم ما يريد المسؤول أو المرسل إرساله، وعند حدوث خلل في هذه العملية الاتصالية سواء في عدم الاستعمال الجيد للأداة الاتصالية أو عدم فهم الرسالة من خلال عدم احتوائها على المعلومات بشكل واضح ومفهوم، كل هذا يعيق التقدم وتحسين الأداء في المؤسسة، لذلك فإن تقنيات الاتصال تعتبر من الأدوات الأساسية التي تساعد على تحسين الأداء في المؤسسة.

كذلك وجب من أجل تحسين الأداء جمع الموارد المتاحة من أجل تحقيق التكامل بين التكنولوجيا التي تحتاجها المؤسسة والإمكانيات المتاحة، فيتطلب تحسين أداء أي منظمة توازن العناصر الأربع التالية:

- الجودة.
- الإنتاجية لأن توازن هذه العناصر يؤكد أن توقعات واحتياجات المنظمة قد أخذت بالاعتبار.
- التكنولوجيا.
- التكلفة.

ثالثاً: تكنولوجيا المعلومات والاتصال ودورها في تحسين الأداء في المنظمة^(٢١)

إن التطورات التكنولوجية المتزايدة تجعل المنظمات اليوم في موقف حياة أو موت. ويصبح بلوغ مستوى عادي من الأداء غير كافٍ لوحده لمواجهة أعاصير التغيير والمنافسة الشرسة وتلبية متطلبات الزبائن. فلا يمكن لأية منظمة أن تركز إلى ذات الأساليب والاستراتيجيات التقليدية السابقة لعصر «الثورة التكنولوجية» حتى تضمن بقائها، بل عليها أن تتميز في كل شيء، بحيث صار البحث عن التميز في المنظمات الناجحة في العالم. بل هو نظام متكامل يضم كل فعاليات الإدارة وتقنياتها بهدف رفع مستوى الأداء إلى درجات عالية تتفوق بها على المنافسين وترقى إلى المستوى العالمي. والتميز لا يأتي صدفة ولا يتحقق بالتمني، بل من خلال جهود مختلف العاملين وفي كل المستويات.

العلاقة بين تكنولوجيا المعلومات والاتصال والأداء في المنظمة

فالعلاقة بين تكنولوجيا المعلومات والاتصال وأداء المؤسسة تعتبر من المسائل المعقدة التي يجب التعامل معها بحذر شديد، حيث تعتبر هذه المشكلة من المسائل المحورية.

١- مؤشرات الأداء التكنولوجي في المؤسسة: للربط بين الأداء بمفهومه المتطور وعنصر التكنولوجيا في المؤسسة، لا بد أن نشير إلى أهم مؤشرات الأداء المستعملة في تحديد القدرة التكنولوجية وهي كما يلي^(٢٣):

- معدل الابتكار التكنولوجي: وهي اختيار واحد أو أكثر من مقاييس الأداء التكنولوجي للمنتجات والعمليات الرئيسية ورصد تقدمها عبر الزمن.

- إنتاجية البحوث والتطوير: يمكن تحديد أي مقياس للإنتاجية كنسبة التغير في المخرجات إلى التغير في المدخلات، وعلى سبيل المثال التحسن في أداء المنتج والعملية مقسوماً على الاستثمار الإضافي في البحوث والتطوير.

- معدل العائد على الاستثمار في البحوث والتطوير: وهو مقياس الربح المتولد عن قدر معين من الاستثمار في البحوث والتطوير.

- الموارد المخصصة للبحث والتطوير: وهو مقياس لمستوى الإنفاق لمشاريع مختلفة ووحدات النشاط وفي ظل مستوى المؤسسة ككل.

- معدل تقييم منتج جديد: وهو يقاس من خلال عدد المنتجات الجديدة المقدمة سنوياً، عدد براءات الاختراع المتحصل عليها، أو نسبة المبيعات المشتقة من منتجات جديدة.

- التنوع المعتمد على التكنولوجيا: طالما أن استراتيجية التكنولوجيا موجهة جزئياً نحو هدف التنوع، فإنه من المهم قياس درجة النجاح في إنجاز هذا الهدف من خلال نسبة المبيعات الناتجة من المجهودات الخاصة بالتنوع.

- مقاييس أخرى: يمكن استخدام مقاييس أخرى على حسب طبيعة المؤسسة مثل: حقوق الاختراع أو مبيعات التكنولوجيا، زمن تدريب الأفراد على التكنولوجيا الجديدة، زمن دورة تنمية منتج جديد، تكلفة التطوير لكل مرحلة ومستوى التفوق التكنولوجي.

ويمكن اعتبار القدرة التكنولوجية مكونة من أربعة عناصر أساسية؛ تكون في مجملها القدرة التكنولوجية وهي: القدرات الهندسية، القدرات الاستثمارية، القدرات الإنتاجية والقدرات الإبداعية.

٢- أثر تكنولوجيا المعلومات والاتصال على المنظمة: إن لتكنولوجيا المعلومات والاتصال آثار كبيرة على مختلف جوانب المنظمة سنذكر البعض منها (٣٢):

- التأثير على إنتاجية المنظمة: أكدت مختلف الدراسات مؤخراً أن تكنولوجيا المعلومات والاتصال تؤثر تأثيراً أساسياً في نمو المنظمات، خاصة عندما يرافق إدخال هذه الأخيرة إدخال تغييرات تنظيمية وإدارية مرافقة، فقد بينت أن معدل الإنتاجية كان أعلى لدى المنظمات التي استثمرت في تكنولوجيا المعلومات والاتصال

- التأثير على القوى العاملة: لتكنولوجيا المعلومات والاتصال تأثير آخر هو إدخال متطلبات جديدة حول القوى العاملة، من هذه التغيرات زيادة أجور العاملين في مهن هذا القطاع زيادة كبيرة نسبياً، حيث أن معدل الأجر السنوي في الصناعات المنتجة لتكنولوجيا المعلومات والاتصال، إضافة إلى أن إدخال تكنولوجيا المعلومات في القطاعات الأخرى عن طريق استعمال تجهيزات وبرمجيات أكثر تعقيداً وتطوراً من التجهيزات المستعملة سابقاً، يجعل هذه القطاعات بحاجة إلى عمالة أعلى خبرة وتعلماً، كما يحتاج إلى تدريب مستمر لهذه القوى العاملة يتناسب مع تطور التجهيزات والبرمجيات.

- التأثير على تطوير المنتج: اكتشفت المنظمات أن هذه التكنولوجيا يمكن استخدامها لتطوير منتجات وخدمات جديدة، كما يمكن استخدامها لتطوير خطوط الإنتاج وعمليات الإنتاج، بالفعل فقد طورت الكثير من المنظمات منتجات جديدة تتضمن داخلها عناصر وتجهيزات معلوماتية أو برمجيات حاسوبية وقد ساعد ظهور الإنترنت من أجل زيادة مبيعاتها من خلال التحسين التدريجي المستمر للسلعة أو الخدمة من خلال استثمار الخبرات والبحوث المختلفة.

خلاصة

إن عصر المعلومات والتسارع المعرفي قد خلف للمجتمعات ومختلف المؤسسات حاجات ومتطلبات جديدة وفرض عليها أن تغير من سياستها تماشياً مع متطلبات هذا العصر وبات منتظراً من المنظمات والمؤسسات هي الأخرى أن تغير وتعديل من مضامين رسالتها وأساليبها وأهدافها وسياساتها، وهو ما يعني أن تغير من محتوى برامجها، التي يجب أن تتضمن بالدرجة الأولى تطوير استعمال التكنولوجيا الحديثة للإعلام والاتصال وشبكات المعلومات العلمية، كما يتطلب من عمال وموظفي المؤسسات والمنظمات تطوير أدائه بما يمكنه من التحكم في هذه التكنولوجيا الحديثة للمعلومات والاتصالات باعتباره أحد محاور الارتكاز في المنظمة، بوضع خطة تدريب على مهارات استخدام هذه التكنولوجيا الحديثة، لضمان الاستفادة القصوى مما تتيحه هذه التكنولوجيا من إمكانيات

متعددة المتمثلة في سرعة الحصول على المعلومة وقلة تكلفتها وسهولة التواصل من خلال تقريب وتوفير مراكز مصادر المعلومات.. الخ فتحكم المنظمة في هذه التكنولوجيا الجديدة للمعلومات والاتصالات ينعكس على مردود الأداء العلمي والبحثي للموظفين.

إن الاستفادة من تكنولوجيا المعلومات والاتصال مكّنت من إعادة تصميم وتشكيل المنظمات، وتحويل هيكلها التقليدية، وتوسيع نطاق عملياتها، وتغيير الأساليب التي تتبعها في رفع التقارير وفي القيام بوظيفة الرقابة. كما أحدثت هذه التكنولوجيا تغييرات جذرية على ممارساتها، وعلى تدفق المعلومات، وعلى أساليب تصميم المنتجات وتقديم الخدمات، وأدت إلى بروز أساليب إدارية جديدة مرتبطة بها تعرف في أغلب الأحيان «بالإدارة الإلكترونية».

مقترحات الدراسة

من أجل جعل دراستنا عملية أكثر قمنا بتدعيمها بمجموعة من الاقتراحات والتي نوجزها فيما يلي:

- ١- ضرورة قيام المؤسسات الجزائرية باستمرار التعرف على كل ما هو جديد ومطروح من تكنولوجيا الإعلام والاتصال ومحاولة استثماره من قبل أفراد كفؤين بالشكل الذي يسهم في زيادة كفاءة وفعالية أدائها من جانب، ومحاولة المنافسة مع المؤسسات الأجنبية الأخرى بموجب خطوات علمية محددة ومدروسة سيما بعد الانفتاح الذي تشهده الجزائر أمام الاقتصاد العالمي.
- ٢- الحث والتشجيع على نشر مجلات ونشرات داخل المؤسسة على الأقل تعني فيها بنشر الوعي المعلوماتي.
- ٣- الحث والتشجيع على وضع خطط استراتيجية لتقنية المعلومات خصوصاً، والاهتمام بالإنترنت عموماً.

آفاق البحث

لقد تناول هذا البحث موضوع «تكنولوجيا المعلومات والاتصال ودورها في تنمية الأداء داخل المنظمة» وقد حاولت هذه الدراسة تبيان أهمية تكنولوجيا المعلومات والاتصال ودورها في تنمية الأداء، وفي الأخير تبين بأن هناك جوانب مازالت تحتاج إلى بحث ودراسة أعمق، وهذا راجع إما إلى النقص والقصور في تناول الموضوع، لأنه عمل بشري، أو راجع إلى تشعب الموضوع وعدم الإلمام بكل جوانبه، وبالتالي هذا الموضوع يحتاج إلى دراسات وبحوث أخرى لتغطية جوانب القصور فيه، وإثراته أكثر من خلال إشكاليات أخرى.

المراجع

- ١- الأمم المتحدة واللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، أولويات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في غربي آسيا، ص ٦٢.
- ٢- بوقفلول الهادي، سوامس رضوان، «الأداء التنظيمي المتميز في ظل الإدارة الإلكترونية كوسيلة لتأهيل المؤسسات الجزائرية»، المؤتمر الدولي العلمي حول الأداء المتميز للمنظمات والحكومات، جامعة ورقلة، ٩-٨ مارس ٢٠٠٥، ص ٧٣١.
- ٣- يحيى محمد سعيد، ظاهرة العولمة: الأوهام والحقائق، مكتب ومطبعة الاشعاع الفنية، الإسكندرية، ١٩٩٩، ص ٣٥٣.
- ٤- بوقفلول الهادي، مرجع سابق، ص ٢٩٤.
- ٥- الأمم المتحدة، نشرة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات للتنمية في غربي آسيا: العدد ٠٣، ص ٢٣.
- ٦- نبيل علي، نادية حجازي، الفجوة الرقمية فجوة الفجوات، بدون دار النشر، القاهرة، جانفي ٢٠٠٥، ص ٣.
- ٧- المنتدى الاقتصادي العالمي، التقرير السنوي لسنة ٢٠٠٩.
- ٨- الجزائر الإلكترونية ٢٠١٣، من الموقع: www.premier-ministre.gov.dz، بتاريخ ١٤/٠١/٢٠١٠، ١٦: ١٧.
- ٩- CERIST
- ١٠- الجزائر الإلكترونية ٢٠١٣، من الموقع: www.premier-ministre.gov.dz، بتاريخ ١٤/٠١/٢٠١٠، ١٢: ١٥.
- ١١- الأمم المتحدة «نشرة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات للتنمية في غربي آسيا»، العنوان الإلكتروني: www.exwa.org، ١٢/٠٢/٢٠١٠، ١١: ١٤.
- ١٢- من الموقع الإلكتروني: سعيد عيمر، إشكالية إنتاجية تكنولوجيا المعلومات والاتصال في المنشآت، مداخلة مقدمة في إطار الملتقى الوطني حول التطورات التكنولوجية الراهنة والمؤسسة الاقتصادية الجزائرية، جامعة جيجل، يومي ١٤ و ١٥ مارس ٢٠٠٦.
- ١٣- نبيل مرسي خليل، الميزة التنافسية في مجال الأعمال، دار المعرفة الجامعية، مصر، ١٩٩٨، ص ٢٢٠.
- ١٤- القرني عبد الرحمن، «تكنولوجيا المعلومات والاتصال وأثرها على إدارة الموارد البشرية»، رسالة ماجستير، جامعة المسيلة، بدون ذكر السنة، ص ١٠١-١٠٣.
- ١٥- مصطفى عشوي، أسس علم النفس الصناعي التنظيمي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٢، ص ٢٤٤.
- ١٦- راوية محمد حسن، إدارة الموارد البشرية، الدار الجامعية للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٢١٥.
- ١٧- مبارك العنزي نبيه ضامن، التغيير التنظيمي وعلاقته بأداء العاملين، رسالة ماجستير، قسم العلوم الإدارية، تخصص علوم إدارية، جامعة نايف، الرياض، ٢٠٠٤، ص ٣٣.
- ١٨- نفس المرجع، ص ٣٣.
- ١٩- محمد سعيد سلطان، إدارة الموارد البشرية، الدار الجامعية، لبنان، ١٩٩٣، ص ٣٦٨.
- ٢٠- أحمد صقر عاشور، إدارة الموارد البشرية، المكتب الجامعي الحديث، بيروت، ١٩٩٩، ص ٥٠.
- ٢١- هلال محمد عبد الغني حسن، مهارة إدارة الأداء، مركز تطوير الأداء والتنمية، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٩، ص ٩٠.
- ٢٢- محمد بن علي المانع، تقنيات الاتصال ودورها في تحسين الأداء، مذكرة ماجستير، قسم العلوم الإدارية، تخصص علوم الإدارة، جامعة نايف، السعودية، ٢٠٠٦، ص ٧٣.
- ٢٣- نفس المرجع، ص ٧٤.

التممر في مدارس دولة الإمارات: المظاهر، الأسباب، الآثار، وسبل المواجهة

ملخص

أ.ة. مهرة حمير آل مالك*



من ناحية أخرى أشارت نتائج الدراسة إلى أكثر الأشخاص الذين يمارس عليهم التمر هم الطلبة، ومن ثم المدرسين، فالمباني والممتلكات. كما توصلت الدراسة إلى الساحة المدرسية، والصفوف الدراسية أكثر الأماكن التي يمارس بها المتممرين سلوك التمر. وكشفت الدراسة إلى الشخص الذي يلجأ إليه (ضحية المتممرين) تبين أنه لا يلجأ لأحد، من ثم إلى الأخصائي الاجتماعي، ثم الأصدقاء، ثم الوالدين، ثم الشرطة.

تهدف هذه الدراسة إلى بحث التمر المدرسي في مجتمع الإمارات، لأغراض ذلك صممت استبانة خاصة بموضوع الدراسة وطبقت على (٢٠٢) طالباً وطالبة، من خلال استخدام طريقة العينة العشوائية، واستخرجت التكرارات والنسب المئوية، والمتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية، بالإضافة إلى اختبار تحليل التباين (One – Way ANOVA).

ولقد كشفت الدراسة عن أن التمر اللفظي يعد أكثر مظاهر التمر المدرسي انتشاراً، كما توصلت الدراسة عن تأثير العوامل الاجتماعية في سلوكيات المتممرين، كما تبين من الدراسة التأثير السلبي لوسائل الإعلام، والاصدقاء في انتشار سلوك التمر بين الطلبة.

• ماجستير علم اجتماع تطبيقي مسار/الإمارات.

Mahra. almalek@yahoo. com

وتوصلت الدراسة إلى الأعراض النفسية التي تظهر على ضحايا التنمر فكانت: يشعر أنه غير محبوب، من ثم اكتئاب، قلق وخوف، انطواء. كما أشارت نتائج الدراسة إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية في أشكال التنمر والعوامل الاجتماعية وتأثير وسائل الإعلام وتأثير الأقران على الجنس، والدخل الشهري للأسرة. تم مناقشة النتائج في ضوء الدراسات السابقة، واقتراح مجموعة من التوصيات للحد من ظاهرة التنمر في المدارس.

:Bullying in United Arab Emirates schools Manifestations, causes, effects, and control

Mahra Hemyar Almalek
Ministry of Health - UAE

Abstract

This study aims to identify the forms of school bullying in the United Arab Emirates, for the purposes a survey was designed to identify special subject of study, applied to the (303) male and female students through the use of the way the random sample. The study revealed that the manifestations and forms of school bullying ranking came in descending order according to severity as follows: verbal bullying, physical bullying and then followed by bullying social, and emotional .bullying mail

The study found social factors to be of huge impact on bullying. Moreover, results reveals the role of peers (friends) as well as the influence of the media in influencing the behavior of bullies to be high. Students, teachers, and then the buildings and property were found to be the most targeted of bullying behavior at school. In addition, the study found that the arena of school and classrooms are the more places practiced by bullies bullying behavior. The results also demonstrate the person whom the victim ask him for the help and comes as following: nobody, social worker at school, friends, parents, and sometimes the police. Hate, depression, anxiety and fear were found to be the most .psychological symptoms that appear on the victims of bullying

المقدمة

تعد ظاهرة العنف الشديد في المدارس بين الطلاب والذي بلغ حد من التوحش لدرجة أن العالم تعامل معه باسم توصيفي جديد وسماء (ظاهرة التمر) كدلالة على تحول السلوك الإنساني لسلوك مشابه للسلوك الحيواني في التعامل في الغابة حيث البقاء لللاقوى وهي لغة وحشية دون مراعاة الخلق القويم أو السلوك الفاضل ويعد من الظواهر الاجتماعية السلبية التي يعاني من آثارها.

ظاهرة تفاقمت في العالم كله وأصبح الجميع يعاني من آثارها، ويبحث المهتمون في العملية التربوية والاجتماعية والنفسية والأمنية في سبيل علاجها والوقاية منها نظراً لخطورتها، منذ وقت طويل، وتلقى هذه الظاهرة اهتماماً واضحاً من المهتمين بقضايا النشئ، والمشكلات الاجتماعية، والتربوية في جميع أنحاء العالم، حيث أن هذه المشكلة تعتبر سبباً هاماً، ومؤثراً في تعثر الكثير من الطلاب دراسياً، وتدفع بالبعض إلى كره الدراسة، وترك مقاعد الدراسة، وأحياناً قد تؤثر على البعض الآخر فيصاب بالأمراض النفسية مثل الخوف، والقلق، وتدني احترام الذات، والانطواء، ويشعرون أنهم منبوذين ألا وهي ظاهرة العنف الشديد في المدارس بين الطلاب والذي بلغ حد من التوحش لدرجة أن العالم تعامل معه باسم توصيفي جديد وسماء (ظاهرة التمر) كدلالة على تحول السلوك الإنساني لسلوك مشابه للسلوك الحيواني في التعامل في الغابة حيث البقاء لللاقوى وهي لغة وحشية دون مراعاة الخلق القويم أو السلوك الفاضل.

ويعد مجتمعنا بما فيه من انفتاح ليس بمعزل عن العالم في ظل هذا التقارب الشديد بين الأفكار والمشكلات التي سرعان ما تجوب العالم ككل في دقائق معدودة من خلال شبكات التواصل الاجتماعي، وأصبح ما يعانيه المربون من مشكلات تربوية وسلوكية بالضرورة تداعيات يجب الأخذ بها وإيجاد حلول لهذه الظواهر السلبية وما تحمله في طياتها من مخاطر. (Brunson and Miller,) (1990) (Gottfredson and Hirschi, 2009).

مشكلة الدراسة وتساولاتها

يعتبر السلوك العدواني في المدارس أحد المظاهر السلوكية المنتشرة بين الطلاب على اختلاف أعمارهم ومستوياتهم الدراسية، وبشكل أبرز هذه الظواهر باعتباره يستند إلى حقيقة إلحاق بعض الطلبة أذىً معنوياً أو جسدياً بطلبة آخرين، أو سيطرة فرد أو مجموعة على فرد أو مجموعة أخرى به. فممارسة السلطة والسيادة عليه وقد يتضمن

إيذاءً لفظياً كإطلاق لقب عليه سيئاً، للسخرية والاستهزاء، أو جسدياً ويشمل: الضرب، أو الركل. وتشير العديد من الدراسات (Scarpacia, 2006, خوج، ٢٠١٢) يعمل على إشاعة الفوضى ويعرقل سير العملية التعليمية ويهدد مستقبل العديد من الطلبة، لذا تحددت المشكلة بالإجابة عن التساؤلات الآتية:

- ما مدى شيوع ظاهرة التنمر لدى طلبة المدارس في الإمارات؟
- ما أشكال التنمر السائدة لدى طلبة المدارس في الإمارات؟
- هل تختلف أشكال التنمر السائدة لدى طلبة المدارس في الإمارات باختلاف الجنس، التحصيل والمستوى الاقتصادي؟

أهداف الدراسة

تسعى هذه الدراسة إلى التعرف على مظاهر التنمر في دولة الامارات العربية المتحدة، من خلال دراسة اجتماعية تطبيقية، وينبثق من هذا الهدف الأساسي عدة أهداف فرعية، تتمثل فيما يلي:

- التعرف على الخصائص الديموغرافية للأفراد العينة.
- التعرف على النظريات المفسره لظاهرة التنمر.
- الكشف عن أشكال التنمر وأسبابه واتجاه الطلبة للتنمر لدى طلبة المدارس في دولة الإمارات.
- ما دور العوامل الاجتماعية في ظهور التنمر وعلاقته بالخصائص الديموغرافية للأفراد العينة؟
- ما دور الأصدقاء في ظهور التنمر وعلاقته بالخصائص الديموغرافية للأفراد العينة؟
- ما دور وسائل الإعلام في ظهور التنمر وعلاقته بالخصائص الديموغرافية للأفراد العينة؟

أهمية الدراسة

يلاحظ المختص في سوسيولوجيا التنمر المدرسي تنامي الاهتمام بأسباب التنمر المدرسي، وذلك لخطورة هذا المهدد المجتمعي وآثاره السلبية على الأمن الاجتماعي، وتبع أهمية الدراسة من مستوياتها النظرية والتطبيقية، وذلك من خلال:

أولاً: الأهمية النظرية: يتصل البعد النظري بالكشف عن الأطر النظرية المفسرة لظاهرة التنمر بكافة أشكاله وسد النقص في المكتبة العربية إذ أن أغلب الدراسات تناولت

السلوك العدواني بشكل عام إضافةً إلى أنه قلت الدراسات التي تناولت موضوع التنمر.

ثانياً: أما الأهمية التطبيقية: فتتمثل في الدراسة الميدانية التي ستقدم تغذية راجعة للمرشدين في المدارس عن مدى شيوع هذه الظاهرة وأبرز أشكالها تمهيداً من أجل إيجاد الحلول في مجتمع الإمارات الذي يعاني من مشكلات اجتماعية متعددة تتمحور حول مشكلات التنمر والخطورة المدرسية في مجتمع الإمارات.

ثالثاً: القائمين على وزارة التربية والتعليم وفي وزارة الداخلية لوضع بعض الحلول من أجل الحد من هذه الظاهرة وذلك من خلال الاستفادة من التوصيات التي سيتم التوصل إليها هذه الدراسة للحد من ظاهرة التنمر.

الإطار النظري والدراسات السابقة

لا شك أن السلوك الإنساني على درجة عالية من التعقيد وتؤثر في تشكيله وصياغته عوامل عديدة يصعب حصرها، ولعلّ تداخل هذه العوامل بتأثيراتها المتبادلة لا يتيح مجالاً لوضع قوانين عامة تحكم هذا السلوك. مصطلح السلوك متشعب الجوانب باعتباره يشمل جميع أوجه النشاط العقلي والحركي والانفعالي والاجتماعي الذي يقوم به الفرد، إضافةً إلى أن السلوك يتمثل في النشاط المستمر الدائم الذي يقوم به الفرد لكي يتوافق ويتكيف مع بيئته، ويشبع حاجاته ويحل مشكلاته لذا يعرف السلوك على أنه: «سلسلة من الاختيارات Choices يقوم بها الفرد من بين استجابات ممكنة Possible Responses عند تنقل الفرد من موقف Situation إلى آخر. والسلوك هو كل ما يصدر عن الفرد، وهو يتشابه إلى حد كبير مع اتخاذ القرارات (فليه وآخرون، ٢٠٠٥، ص ٢٩)».

ويعرف (حسن، ٢٠٠٤، ص ٨) السلوك على أنه: «ذلك النشاط الذي يقوم به الكائن الحي نتيجة لعلاقته بظروف بيئية معينة، حيث يحاول باستمرار التطوير والتعديل في هذه الظروف، حتى يتحقق له البقاء وإشباع حاجاته، وهو سلسلة من الاختيارات بين مجموعة من الاستجابات الممكنة» (حسن، ٢٠٠٤، ص ٨).

وتعد مشكلات السلوك ولا تزال واحدة من أهم المسائل التي توليها المؤسسات التربوية عناية خاصة، فقد كانت نظرة المعلمين لمشكلات السلوك من الناحية التاريخية، تتمثل في عملية التعلم ذلك الجانب الشائك الذي لا بد من مواجهته بشكل عام. ويعد التنمر المدرسي (School Bullying) بما يحمله من عدوان تجاه الآخرين سواءً أكان بصورة جسدية، أو لفظية، أو نفسية، أو اجتماعية أو إلكترونية من المشكلات التي لها

آثار سلبية سواءً على القائم بالتنمر أو على ضحية التنمر أو على البيئة المدرسية بأكملها. إذ يؤثر التنمر المدرسي في البناء الأمني والنفسي والاجتماعي للمجتمع المدرسي. لذا نجد أن الجسم مع هؤلاء المتنمرين في المدارس يلحق الضرر بالطلاب في أي مستوى تعليمي، كما أنه يشعر الطالب (ضحية التنمر) بأنه مرفوض وغير مرغوب فيه، بالإضافة إلى أنه يشعر بالخوف والقلق وعدم الارتياح، كما أنه قد ينسحب من المشاركة في الأنشطة المدرسية أو يهرب من المدرسة خوفاً من المتنمرين. أما بالنسبة للمتنمر فإنه قد يتعرض للحرمان أو الطرد من المدرسة وكذلك يظهر قصوراً من الاستفادة من البرامج التعليمية المقدمة له كما أنه قد ينخرط مستقبلاً في أعمال إجرامية خطيرة (Quiroz, Arnette&Stephens, 2006).

تشير الدراسات العالمية (العموش، ٢٠١١) إلى تنامي ظاهرة العنف المدرسي على المستوى العالمي، وتمثل ذلك في ظهور أنماط مستحدثة للعنف، وخاصة الإساءة الإلكترونية داخل المدرسة (الموبايل، الفضاء الافتراضي Virtual Space) الأسلحة النارية والتنمر Bullying وهذا دون شك انعكس سلباً على البنية الأسرية والمدرسية من حيث فقدان الأمن الاجتماعي لدى الطلبة وأسراهم.

وقد أشار روبيان (Robyan, 2004) أن سلوك التنمر ما هو إلا وصف لجميع المشكلات التي تحدث بين تلاميذ المدارس، والتي تمارس من قبل أحدهم ضد آخر «الضحية» قليل الحيلة، ولا يقوى على المواجهة أو المجابهة، أو الدفاع عن نفسه، وأن هذا السلوك الذي يوجه من التنمر ضد آخر «الضحية» قد يأخذ أشكالاً متعددة، جسدية أو انفعالية، أو لفظية، مباشرة أو غير مباشرة.

تركز الدراسة الحالية على النظرية العامة للجريمة A General Theory of Crime لجتفردسون وهيرشي (Gottfredson & Hirshi, 1990) في تفسير سلوك التنمر حيث تقوم هذه النظرية على مفهوم ضبط الذات Self Control في تحديد معنى السلوك المنحرف، فيرى جتفردسون وهيرشي أن الأشخاص الذين لديهم ضبط ذات مرتفع يعيشون في بيئة أسرية مستقرة، وهذا يعود بدوره إلى التنشئة الاجتماعية السوية (العموش ٢٠١١).

من ناحية أخرى تركز نظرية التعلم الاجتماعي على دراسة السلوك الظاهر القابل للقياس بالطريقة العلمية التجريبية، فقد قامت على مبدأ رئيس مفاده أن السلوك سواءً كان سلوكاً تكيفياً أو سلوكاً غير تكيفي هو سلوك متعلم، والتعلم يحدث بفعل الظروف

البيئية بخاصة تلك الظروف التي تتبع السلوك ولعل حجر الزاوية في نظرية التعلم: هو أن السلوك الذي تكون نتائجه مرضية هو السلوك الذي يتعلمه الفرد وأن السلوك الذي تكون نتائجه غير مرضية هو السلوك الذي لا يتعلمه الفرد ويحاول التخلص منه حيث أن الإنسان كائن اجتماعي يعيش ضمن مجموعات من الأفراد يتفاعل معهم ويؤثر فيهم. وبناءً على هذه النظرية فإن سلوك التمر يتم تعلمه بالملاحظة من خلال أنماط آليات التنشئة الاجتماعية ومدى تأثير المحيط الاجتماعي على الشخص (العموش، ٢٠٠٨). كما أظهرت بعض الدراسات (باندورا ١٩٧٣، وباترسون وآخرون ١٩٧٥)، أن العدوانية تعتبر سلوكاً متعلماً، فالأطفال يتعلمون كثيراً من السلوكيات العدوانية عن طريق ملاحظتهم لآبائهم وإخوانهم ورفاقهم في اللعب، والنماذج العنيفة في وسائل الاعلام، فهم يقلدون الأفراد الذين يسلكون سلوكاً عدوانياً خاصة إذا كان هؤلاء الأفراد ذوي مركز اجتماعي مرموق أو إذا كان هذا السلوك العدواني يظهرهم بمظهر الأبطال.

أجرى لياشي (Layachi, 2012) دراسة بهدف التعرف على حقيقة السلوك العدواني المتمثل في التمر وطبيعة هذا السلوك والعوامل التي تقف وراءه والآثار التي تقع على الطالب نفسه وعلى من حوله وقد اعتمدت الدراسة على أسلوب المسح بالعينة لمجموعة من طلاب المدارس في دولة قطر في المراحل الثلاث الابتدائية والإعدادية والثانوية من البنين والبنات وقد بلغت ٢٤٠٠ طالب، كما تضمن البحث إجراء مقابلات معمقة مع عينة مستهدفة من الطلاب الذين يمارسون سلوك التمر ومن الطلبة ضحايا التمر وكذلك مقابلات معمقة مع عدد من الأخصائيين العاملين في تلك المدارس. كشفت الدراسة عن مدى انتشار هذا السلوك بين طلاب المدارس حسب عدد من المتغيرات الأساسية مثل النوع والعمر والجنسية والمرحلة التعليمية، كما أشارت النتائج إلى بعض أسباب سلوك التمر والآثار السلبية لهذا السلوك على الضحية.

أجرت خوخ (٢٠١١) دراسة هدفت التعرف إلى الفروق بين مرتفعي ومنخفضي التمر المدرسي في المهارات الاجتماعية بالإضافة إلى التعرف على المهارات الاجتماعية التي يمكن أن تسهم في التنبؤ بالتمر المدرسي لدى عينة الدراسة التي اشتملت على ٢٤٣ تلميذاً وتلميذة من تلاميذ الصف السادس بالمرحلة الابتدائية بالمملكة العربية السعودية. أظهرت النتائج وجود علاقة دالة وسالبة بين التمر المدرسي وبين المهارات الاجتماعية، ووجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي درجات مرتفعي التمر المدرسي ومنخفضي التمر المدرسي في المهارات الاجتماعية لصالح منخفضي التمر

المدرسي وأن عوامل المهارات الاجتماعية التي تسهم في التنبؤ بالتنمر المدرسي كانت على الترتيب: عامل الضبط الاجتماعي، يليه الضبط الانفعالي ثم الحساسية.

قامت (راضي، ٢٠٠١) بدراسة هدفت إلى معرفة الفروق بين التلاميذ ضحايا التنمر في المدرسة والتلاميذ غير الضحايا في متغيرات تقدير الذات، والاكتئاب، والوحدة النفسية. وذلك على مجموعة من التلاميذ (٢٠٥) ذكوراً وإناثاً بالمدارس الابتدائية والمتوسطة. وقد توصلت نتائج هذه الدراسة إلى وجود فروق دالة إحصائية بين درجات التلاميذ ضحايا التنمر ومتوسط نتائج هذه الدراسة إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين درجات التلاميذ ضحايا التنمر ومتوسط درجات نظرائهم غير الضحايا في كل من (تقدير الذات، والاكتئاب، والوحدة النفسية) وذلك لصالح غير الضحايا. (راضي، ٢٠٠١).

في دراسة أخرى (بدر، ٢٠٠٤) سعت الباحثة إلى التعرف إلى طبيعة علاقة إدراك القبول/ الرفض الوالدي بالسلوك العدواني، فضلاً عن التعرف على العلاقة بين مفهوم الذات والسلوك العدواني على عينة بلغت (١٧٤) طالبة في المرحلة الابتدائية في مدينة جدة بالمملكة العربية السعودية، وبعد استخدام المقاييس والوسائل الإحصائية المناسبة أظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية في السلوك العدواني بين التلميذات صغيرات السن والكبار وكانت الفروق لصالح التلميذات الكبار بالسن، فضلاً عن وجود علاقة ارتباطية سالبة بين السلوك العدواني ومفهوم الذات لدى أفراد عينة البحث.

دراسة (حسن، ٢٠٠٠) هدفت التعرف إلى فهم إدراك الأطفال للمواقف العدوانية من خلال نمو القدرة على فهم السلوك العدواني التحويلي عند طلاب المرحلة الابتدائية، حيث تكونت عينة الدراسة من ٧٢ طفلاً من الذكور والإناث من طلاب المرحلة الابتدائية في جمهورية مصر العربية وقد روعي أن يكونوا جميعاً ممن ينتمون إلى مستوى اجتماعي متقارب، وقد أظهرت النتائج أن العمر والجنس لهما تأثير كبير في فهم السلوك العدواني التحويلي لصالح الأكبر سناً وعدم وجود فروق دالة بين الذكور والإناث في فهم السلوك العدواني التحويلي وأن التفاعل بين العمر والجنس يعكس لنا حقيقة عامة هو أن العمر هو المسؤول الأول عن فهم السلوك العدواني أما الجنس فليس له أي تأثير.

وفي دراسة أجراها ماكنيني وآخرون (Mckenny et al., 2006) بهدف التعرف على العلاقة بين التنمر وبين التوافق النفسي الاجتماعي لدى عينة من تلاميذ المدارس الثانوية في سن المراهقة بلغت (٦٠٥) طالباً و(٢٠٨) من طلاب الجامعة. أشارت نتائج

الدراسة إلى أن التلميذ الضحية الذي يتعرض للتنمر بصورة دائمة ومتكررة من قبل الأقران يزداد فقدانه للقوة والثقة بالنفس وعدم القدرة على الدفاع عن نفسه. ومن ثم يكون غير قادر على إخراج نفسه من علاقة التنمر الخاصة بالأقران لأنه يفتقد القدرة على تغيير الديناميات اللازمة لوضع نهاية لهذا السلوك العدواني.

وأجرى كريك ولوربتير (Crick & Iortpetpr, 1995) دراسة بهدف التعرف على طبيعة العلاقة بين التوافق النفسي الاجتماعي والسلوك العدواني، تكونت عينة الدراسة من (٤٩١) من المرحلة الابتدائية ومن الجنسين أظهرت النتائج أن مستوى العدوانية كان مرتفعاً لدى الإناث موازنة بالذكور، كما أوضحت النتائج أن مستوى العدوانية يرتفع لدى الطلبة مع التقدم بالعمر.

التعقيب على الدراسات السابقة

يظهر من خلال استعراض الدراسات السابقة أن بعض الدراسات تناولت ماهية التنمر والعوامل التي تقف وراءه والآثار المترتبة عليه، في حين تناولت بعض الدراسات المهارات الاجتماعية التي يمكن أن تسهم في التنمر والعلاقة بين التنمر والتوافق الاجتماعي والنفسي. من ناحية أخرى استخدمت بعض الدراسات الاستبيانات، وبعضها استخدم المقاييس النفسية الاجتماعية، ودراسات أخرى استخدمت أسلوب المقابلات.

استفادت الدراسة الحالية من نتائج البحوث والدراسات السابقة في إثراء إطاره النظري وبناء أدواته وتفسير نتائجه. من ناحية أخرى تتشابه الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة في الهدف (الكشف عن أشكال التنمر وآثاره وأسبابه بين طلبة المدارس)، إلا أن الدراسة الحالية تتميز عن الدراسات السابقة في أنها تتناول الأبعاد المختلفة لموضوع التنمر لدى طلبة المدارس ومدى تباين أو اختلاف تلك الأبعاد تبعاً لمتغيرات الجنس، والحالة الاقتصادية، والحالة الاجتماعية. كما تختلف عن الدراسات السابقة في زمان ومكان تطبيقها.

إجراءات الدراسة

أداة الدراسة

لأغراض هذه الدراسة تم تصميم استبانة مكونة من خمسة أجزاء منها أسئلة مغلقة وأسئلة مفتوحة كان الجزء الأول منها يتعلق بالبيانات الأولية للطلاب (كالنوع، والجنسية، الإماره، المستوى التعليمي للأب، والمستوى التعليمي، الدخل...) والتي شكلت

المتغيرات المستقلة (Independent Variables) لهذه الدراسة. أما الجزء الثاني فكان يتعلق بمقياس التمر (مقياس البينوي الفتوه)، والجزء الثالث بالعوامل الاجتماعية، وتأثير وسائل الإعلام في تعليم الطلاب سلوكيات تسهم في زيادة ظاهرة التمر، ومدى تأثير الأقران على سلوكيات التمر، والجزء الرابع من الذي يمارس عليه سلوكيات التمر في المدرسة، وأين يقوم بممارسة سلوك التمر، والجزء الخامس والأدوات التي تستخدم عند ممارسة سلوك التمر، والجزء السادس من الشخص الذي قمت بإخباره عندما مورس عليك التمر، أما الأعراض التي تشعر بها عندما يمارس عليك سلوك التمر، والجزء السابع ضم سؤال مفتوح عن ما شعور الطالب عندما يمارس عليه التمر، وقد تم التحقق من صدق وثبات الأداة.

عينة الدراسة

سحبت العينة بالطريقة العشوائية البسيطة بلغ عددها (٢٠٣) طالباً وطالبة من مختلف إمارات الدولة على طلبة الصف التاسع وقد تم اختيار شعبه من الذكور والإناث من كل إمارة وكان عدد الذكور (١٤٢) والإناث (١٦١).

نتائج الدراسة

أولاً: أشكال التمر المدرسي ومظاهره

كشفت الدراسة عن أن مظاهر التمر وأشكاله جاءت مرتبة حسب شدتها:

- التمر اللفظي نحو الزملاء.
- التمر الجسدي.
- التمر الاجتماعي.
- التمر العاطفي.
- التمر الإلكتروني.

بالإضافة إلى ذلك أشارت نتائج الدراسة إلى أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث حول التمر لصالح الإناث. كما تبين من نتائج الدراسة أنه لا يوجد فروق ذات دلالة إحصائية حول التمر راجع لعامل مستوى الدخل أي أن المستوى الاقتصادي لا يؤثر على زيادة سلوك التمر.

ثانياً: العوامل الاجتماعية

كما كشفت الدراسة عن العوامل الاجتماعية التي تؤثر على الطلبة تزيد من سلوكيات التمر لديهم وجاءت مرتبة حسب شدتها على النحو التالي:

- غياب القدوة الحسنة واستخدام الأبوين العنف في معاملة الأبناء.

- استخدام العنف داخل المنزل.
- انفصال الأبوين بالطلاق.
- إهمال الأسرة في متابعة سلوك الأبناء.
- تعاطي أحد الأبوين الكحول أو المخدرات.
- غياب الأب عن البيت لفترات طويلة.
- وجود الأسرة في منطقة تسودها المشاكل والاضطرابات.
- افتقار المحبة والود والترابط داخل الأسرة.
- كثرة الصراعات والخلافات داخل الأسرة.
- التميز والتفرقة داخل المنزل.
- تدني مستوى الدخل.

إضافة إلى ذلك أشارت نتائج الدراسة إلى درجة تأثير العوامل الاجتماعية على سلوكيات الأفراد في هذا المجال، فقد تبين وجود فروق ذات دلالة إحصائية في درجة تأثير العوامل الاجتماعية على سلوكيات الطلاب المتميزين نحو الآخرين سواءً كان على أقرانهم أم على إخوانهم، وهذا يرجع إلى عملية التنشئة الاجتماعية ودور الوالدين وتأثيرهم على سلوكيات المتميزين ف شخصية الطفل تتشكل في الخمس سنوات الأولى وهي أهم مرحلة من مراحل عمر الطفل فإذا لم يتوفر للطفل أب راعي يرفع شأنه فسوف يكون الطفل عرضة لسلوكيات التنمر، فغياب الإشراف الأبوي يؤدي إلى ضبط ذاتي منخفض (النظرية العامة للجريمة) وهذا ما اتضح من النتائج وبالتالي فإنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية على أن العوامل الاجتماعية تختلف باختلاف النوع وهذا ما اتضح من النتائج. من جانب آخر أشارت النتائج أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث في درجة تأثير العوامل الاجتماعية على سلوك التنمر أي أن هذه العوامل تؤثر بدرجة متقاربة على الإناث والذكور. كما كشفت الدراسة عن عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية حول تأثير العوامل الاجتماعية ودخل الأسرة وهذا يدل على أن العوامل الاجتماعية لا تختلف باختلاف الدخل.

ثالثاً: تأثير وسائل الإعلام

كشفت الدراسة عن تأثير وسائل الإعلام على سلوكيات الطلبة المتميزين جاءت مرتبة تنازلياً حسب درجة شدتها على النحو التالي:

- قضاء وقت كبير على الانترنت خاصة المواقع المحظورة.
- ضعف تفاعل وسائل الإعلام المختلفة مع قضايا ومشاكل الشباب.
- نقص البرامج الدينية والتربوية الهادفة على التلفاز.
- تقليد الطلبة للشخصيات التي يشاهدونها في السينما أو التلفاز.
- مشاهدة الطلاب أفلام العنف والجريمة.
- كثرة مطالعة وقراءة أحداث وقصص العنف والجريمة.
- قضاء وقت كبير في لعب الإلكترونيات.

وتوصلت الدراسة إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث حول تأثير الأقران (الأصدقاء). كما تبين وجود فروق ذات دلالة إحصائية على تأثير الدخل للأسرة على الأقران وهذا يرجع إلى أنه كلما زاد دخل الأسره زاد سلوك التمر وهو ما يمكن تفسيره بالقدرة على شراء المقتنيات الثمينة من أجهزة وأدوات إلكترونية والتي تسهم في انخراط الطالب في سلوكيات التمر أو امتلاك الطالب لكافة احتياجاته مما يجعله يتمر على زملاءه من خلال النظر إليهم نظرة دونية. وهذا يرجع إلى أنه كلما زاد دخل الأسره زادت المقتنيات الثمينة من إلكترونيات التي تسهم في انخراط الطالب في سلوكيات التمر التقليد والمحاكاة (نظرية التعلم الاجتماعي). أضيف إلى قضاء الأطفال وقت طويل على الإنترنت وخاصة الأماكن المحظورة تشكل خطورة عليهم، وتبين أغلب الدراسات تأثير أفلام العنف والجريمة وأفلام الكارتون العنيفة والألعاب الإلكترونية التي تجعلهم يقومون بتقليد بعض الشخصيات. كما كشفت الدراسة أيضاً نقص البرامج الدينية والتربوية الهادفة التي تثبت على التلفاز (ضعف الوازع الديني) وهذا يرجع إلى الأسرة ودورها في عملية التنشئة.

رابعاً: تأثير الأقران (الأصدقاء)

كشفت الدراسة عن تأثير التمر بالأصدقاء على النحو التالي:

- ممارسة التمر (العنف) داخل المدرسة لإبهار وتحدي الأصدقاء.
- ممارسة العنف والشغب تقليداً أو تأثراً بالأصدقاء.
- انعدام أو قلة القدوة الحسنة من الطلبة الملتزمة والتي ترفض العنف والشغب.
- ظهور العصابات (شلة) والمجموعات العنيفة والمشغبة داخل المدرسة.
- الطالب الملتزم يتعرض للعديد من المضايقات من الآخرين.

أظهرت الدراسة عن عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث حول تأثير الأقران، في حين تبين وجود فروق ذات دلالة إحصائية حول دخل الأسرة وتأثيره على الأقران فالمتمرين يقومون بممارسة سلوكيات عنيفة لإبراز قوتهم أمام الآخرين من أقرانهم وخاصة من هم أضعف منهم وهذا يرجع إلى تدني ثقته بنفسه وعدم تقديره لذاته ويكون سببها أحياناً إهمال تعرض له فالمنزل إما قسوة زائدة أو دلال زائد (أسلوب خاطئ بالتنشئة). وهذا ما توصلت إليه أغلب الدراسات فالطفل إما أن يبقى صامتاً ولا يبدي أي اهتمام أو تفاعل أو يتمر على الطلاب ويقلد سلوكيات زملائه ويكونون عصابات لإخافة الآخرين. كما يتضح عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية حول تأثير الدخل الشهري للأسرة على الأقران.

خامساً: الأشخاص الذين يمارس عليهم التتمر

كشفت الدراسة عن الأشخاص الذين يمارس عليهم التتمر وجاء مرتب تنازلياً حسب درجة الأهمية:

- الطلبة.
- جميع ما سبق.
- المدرسين.
- الإداريين والعاملين.
- المباني والممتلكات.

كشفت الدراسة أن أكثر الأشخاص الذين يمارس عليهم سلوك التتمر هم الطلبة من ثم المدرسين وهذا ما تؤيده أغلب الدراسات فالمتتمر يقوم باستعراض قوته على زملائه الطلبة ممن هم أقل منه قوة ليقلد ما تعلمه أو ما رآه في المنزل من تصادم وخلافات أسرية ومشاهد متكرره أمام عينيه، وأحياناً يكون هو ضحيته فيتعرض للضرب والمعاملة القاسية من قبل الوالدين فتكون انعكاسات داخلية لما تعرض له فينشأ أحياناً طفل حاقد على المجتمع لما تعرض لقسوة من المنزل. في بعض الأحيان يقوم المتتمر بممارسة هذه السلوكيات على المدرسين عندما يرفضوا الرضوخ لأوامره أو لإثبات شخصيته الضائعة في المنزل أو لفرض قوته في المنزل.

سادساً: الأماكن التي يمارس بها سلوك التتمر

- الساحة المدرسية.
- أخرى.
- في غرف الدراسة.
- في الاستراحة أو الكافيتريا.
- في الباص.
- في دورات المياه (الحمام).

ظهر من الدراسة أن الساحات المدرسية هي أكثر الأماكن التي يمارس فيها وهي نتيجة تتفق مع العديد من نتائج الدراسات السابقة. وقد تظهر أحياناً في أماكن أخرى مثل الغرف الدراسية والباص ودورات المياه.

سابعاً: الشخص الذي يخبره المتتمر عليه (الضحية) عندما يتعرض للعنف (المتتمر)

كشفت الدراسة عن عدة أشخاص يقوم المتتمر عليه (الضحية) بإخبارهم وجاءت مرتبته تنازلياً حسب ثقة الشخص بهم على النحو التالي:

- لا أحد.
- الأخصائي الاجتماعي.
- المدرس.
- الأصدقاء.
- الوالدين.
- الشرطة.

وذلك يرجع لعدم ثقة الضحية بأي أحد وخوفه من التشهير به أو تعرضه للتعليقات الساخرة من قبل الآخرين لذا هو يفضل عدم إخبار أي أحد، وهذا ما يتفق مع أغلب الدراسات. في حين بعض الطلاب يثقون بالأخصائي الاجتماعي والبعض بالمدرس يقومون بإخباره، في حين نجد الوالدين، في المرتبة قبل الأخيرة فهم يخافون من التأنيب والعقاب لذا البعض يفضل اللجوء إلى حلول أخرى وهذا نتاج من عدم التواصل، وعدم تنمية الثقة بالنفس، وتنمية الحب والمودة بالمنزل (لغة الحوار والمصارحة).

ثامناً: الأدوات التي يستخدمها المتمتم لتهديد الآخرين وتخويفهم
كشفت الدراسة عن مجموعة من الأدوات يقوم المتمتم باستخدامها وجاءت مرتبة على حسب الأهمية:

- اليدين.
- العصي.
- السلاح الأبيض (سكين - سيف - خنجر - أخرى).
- مسدس.
- عصى كهربائية.

أظهرت الدراسة أن المتمتمين يستخدمون أيديهم بشكل رئيسي عند ممارسة سلوك التمر المادي ثم يلي ذلك من حيث الترتيب العصي فالأسلحة البيضاء، وهي ظواهر كما تشير بعض الإحصائيات إلى انتشارها في المجتمع في الأعوام الماضية وبدأت تتجاوز سلوك التمر لتصل إلى الإيذاء البليغ والقتل.

تاسعاً: الأعراض النفسية التي تظهر على الضحايا
كشفت الدراسة إلى وجود آثار نفسية سلبية لضحايا التمر وكشفت الدراسة إلى وجود أعراض نفسية تعود على ضحايا التمر وتأتي حسب الأهمية:

- يشعر أنه غير محبوب.
- اكتئاب.
- قلق وخوف.
- خجل.
- انطواء.

وتوصلت الدراسة إلى أن أكثر الأعراض النفسية التي تظهر على ضحية المتنمر هو شعوره أنه غير محبوب (منبوذ) تدني ثقته بنفسه ناتج خلل بالتنشئة الأسرية. وكما يشعر بعض الطلبة بالاكئاب نتيجة للممارسات التي تمارس عليهم والخوف والقلق والإنطواء وإذا أهمل الطالب الذي تعرض للتنمر وكان يشعر بالاكئاب فقد يصل في بعض الأحيان إلى الانتحار، وهذا ما تؤكدته أغلب الدراسات.

الخاتمة والتوصيات

أن نتائج الدراسة الحالية تتفق مع بعض نتائج الدراسات السابقة كما تدعم النظرية العامة للجريمة ونظرية التعلم الاجتماعي. من ناحية أولى، تؤدي التنشئة الاجتماعية غير المستقرة إلى السلوك المنحرف (التمرد المدرسي)، وأشارت نتائج الدراسة أن الغالبية من أفراد العينة يعانون من غياب الإشراف الأبوي الذي يؤثر على سلوكيات الأبناء في عدم وجود قدوة حسنة.

من ناحية أخرى، تبين نتائج الدراسة أنه يمكن تفسير سلوك المتنمرين من جانب نظرية التعلم الاجتماعي، فالطلاب يتعلمون كثيراً من السلوكيات العدوانية عن طريق ملاحظتهم وتقليدهم لرفاقهم في المدرسة، والنماذج العنيفة في وسائل الإعلام. بناءً على نتائج الدراسة الحالية فإننا نوصي بمجموعة من المقترحات التي قد تساهم في الحد من ظاهرة التنمر بين طلبة المدارس وذلك على النحو التالي:

- توفير أنشطة تلقى اهتمام الطلبة مثل (التربية الرياضية، والتكوندوا، وغيرها) التي تجعل الطالب ينفس الطاقة التي بداخله.
- المتابعة المستمرة من قبل أولياء أمور الطلبة (التواصل المستمر بين الأسرة والمدرسة).
- تقوية جانب الثقة بالنفس لدى الطلبة من خلال برامج التربية الأمنية وبرامج أخرى يتم إعدادها لتعزيز النظرة الإيجابية للذات.
- جعل الطالب ينضم إلى جماعات في المدرسة وأن تكون هناك قيادة مسؤولة وواعدة في المدرسة.
- تقوية الجانب الديني من خلال تعزيز الجانب الأخلاقي (قوة الأنا الأعلى) وذلك بتقوية الوازع الديني من خلال البرامج الموجهة بالتعاون بين المدرسة والأسرة ومن ذلك التعاون مع وزارة الأوقاف في نشر الوعي من خلال خطب الجمعة.
- التعاون مع وزارة الأوقاف في نشر الوعي من خلال خطب الجمعة.
- التصدي لوسائل الإعلام للحد من ظاهرة التنمر المدرسي.

- التأكيد على وجود أخصائي نفسي وأخصائي اجتماعي في كل مدرسة وذلك لدراسة مشاكل الطلبة وتعزيز السلوك الإيجابي لديهم مع التأكيد على أهمية التعامل مع حالات التمر وتشجيع الضحايا على التواصل مع الأخصائي في المدرسة وعمل برامج تأهيل لهم.
- تنمية ثقافة الحوار بين الوالدين والطلبة والمعلمين.
- دور المجتمع من خلال صياغة الأنظمة.
- تكوين بيئة آمنة وداعمة وشاملة لتحسين الحياة والحد من ظاهرة التمر.
- زيادة الأنشطة الاجتماعية في المدرسة التي تقوم على التفاعل والعمل الجماعي.

المراجع

- ١- العموش، أحمد (٢٠١١). العنف المدرسي في مجتمع الإمارات، عمادة الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة.
- ٢- العموش، أحمد (٢٠٠٧). تصورات العنف لدى الأطفال في مجتمع الإمارات، دراسة ميدانية مجلة دراسة مجلة دراسات اجتماعية، م ١٢، ٢.
- ٣- بدر، فائقة محمد (٢٠٠٤) أسلوب المعاملة الوالدية ومفهوم الذات وعلاقة كل منهما بالسلوك العدواني لدى عينة من تلميذات المرحلة الابتدائية بجدة، أطروحة دكتوراة غير منشورة، جامعة الملك خالد، المملكة العربية السعودية.
- ٤- حسن، باكيناز (٢٠٠٠). نمو القدرة على فهم السلوك العدواني التحويلي عند تلاميذ المرحلة الابتدائية. أستاذ مساعد علم النفس، كلية الآداب، جامعة الزقازيق. دراسة نفسية، الجزء ١، العدد ٢، ص ٢٦-٣٣.
- ٥- خوخ. حنان (٢٠١١). التمر المدرسي وعلاقته بالمهارات الاجتماعية لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية بمدينة جدة بالمملكة العربية السعودية، مجلة العلوم التربوية والنفسية، المجلد ١٣، العدد ٤.
- ٦- راضي، فوقيه محمد (٢٠٠١). تقدير الذات والاكتئاب والوحدة النفسية لدى التلاميذ ضحايا مشاغبة الأقران في المدرسة. المجلة المصرية للدراسات النفسية، القاهرة، ١١ (٢٩)، ١١٩-١٥١.
- 7- Crick N. R & Jortpetpr (1995) Relation aggression gender and social psychological adjustment. Child development. 66, PP 710-722.
- 8- Hines. H (2011) Trditional Bullying And cyper- ullying: ARE THE IMPACTS ON SELF-CONCEPT THE SAME. A Thesis Submitted to the Faculty of the Graduate School of Western Carolina University.
- 9- Layachi. A (2012) Aggressive Behavior among school student in Qatar. The social Rehabilitation center. Art, behavioral and social science, humanities and Islamic studies.
- 10- Robyn, C. (2004). SMS bullying, (Bullying & Violence). Youth Studies Australia, 23(2), 3-5.

دور القيادة الإدارية في البناء الأخلاقي للمنظمة

دراسة ميدانية لعينة من الجامعات الخاصة في إقليم كردستان العراق

د. رنج محمد نوري داودة*



توصلت الدراسة إلى الخروج ببعض النتائج والتي اجتمعت معظمها على صحة الفرضية المشار إليها، على الرغم من ملاحظة التباين في إجابات العينة، وفي ضوء هذه النتائج تم تقديم مجموعة من المقترحات على نحو أكد على ضرورة اهتمام قادة تلك الجامعات بالتركيز على كافة الجوانب التي من شأنها تعزيز السلوكيات الأخلاقية والبناء الأخلاقي للجامعة.

الكلمات الافتتاحية: الأخلاق، القيادة الجامعية، البناء الأخلاقي للمنظمة.

ملخص البحث

هدفت الدراسة إلى التحقق من مدى مساهمة القيادة الإدارية في البناء الأخلاقي للمنظمة وذلك من خلال وجهة نظر التدريسيين في الجامعة التي افترض الباحث فيها بوجود مستويات التعزيز لدى القادة للسلوكيات الأخلاقية وردع كل ما هو غير أخلاقي بحيث تتجه نحو البناء الأخلاقي للجامعة كمنظمة في المجتمع. وبعد أن أعد الباحث منهجية البحث الملائمة تم تقديم إطار نظري عن مفهوم الأخلاق والبناء الأخلاقي، شرع الباحث بتحليل البيانات التي تم الحصول عليها بموجب استبيان استبيان والبالغة عددها ٨٦ استمارة من أصل ١٠٥ استمارة موزعة على التدريسيين في بعض الجامعات الخاصة في إقليم كردستان العراق والتي تأسست لأكثر من ثلاث سنوات وبلغت عددها سبع جامعات.

* قسم اقتصاد الأعمال، جامعة زاخو/العراق.

m.range79@yahoo.com

المقدمة

تعد أخلاقيات المنظمة أحد عناصر البيئة الداخلية والتي تؤثر وتتأثر بشكل مباشر وغير مباشر بالعديد من الجوانب، إذ إن الأخلاقيات تقع ضمن المسؤوليات الاجتماعية العامة للمنظمة وإن الخطوة الأولى تتجسد في التركيز على بنائها كونها تعد الحجر الأساس لتعزيز أخلاقيات المنظمة ككل وبالتالي تماسك المنظمة ومواجهتها للبيئة الخارجية وضمان النجاح والريادة وتحديدًا في الجامعات الخاصة التي تتنافس فيما بينها فضلاً عن أن الجامعة هي منظمة تقود المجتمع، وتعد القيادة إحدى العناصر الأكثر أهمية في المنظمة كون القيادة الإدارية هي التي ترسم ملامح المستقبلية للمنظمة، إلا أنه ليس هناك ما يضمن التزامهم بالجوانب الأخلاقية، إذ أشار (Thompson et al., 2006: 247) أن غالبية مديري المنظمات لا يؤكدون دائماً على جميع العناصر الأخلاقية في استراتيجية المنظمة. إن عدم الاعتبار للجوانب الأخلاقية لا تضمن نجاح المنظمة، إذ أكد (Karakose & Kocabas, 2009: 505) بأن المنظمات لا يمكن لها البقاء في الأمد الطويل من غير تبني السلوكيات الأخلاقية. ويشير (عبد الله ويونس، ٢٠١٢: ١٤) إلى تزايد عدد الحالات التي اتضح فيها وجود تصرفات غير أخلاقية لدى المنظمات وهي ناتجة من تصرفات أفرادها. ويرى (Steiner & Steiner, 2006: 197-199) بأن انتهاك القائد للمعايير الأخلاقية يعطي الفرصة للعاملين لانتهاكها أيضاً. وقد أكد (Spence & Morland, 2010: 223) بأن القيم الشخصية للمدراء تتوجه أولاً نحو العاملين، ثم إلى الزبائن والمجتمع، ولهذا فإن المسؤولية الاجتماعية اتجاه الزبائن تقودها الدوافع الشخصية للمالك.

واستناد إلى ما سبق وبناء على ملاحظة الباحث نتيجة الاحتكاك المباشر مع قيادات الإدارية في جامعات عينة الدراسة تبين أن هناك ما يشير إلى انخفاض النسبي في توجههم نحو البناء الأخلاقي للجامعة، وعليه فقد اتخذ الباحث موضوعاً جديراً بالاهتمام للدراسة، ويمكن طرح مشكلة البحث من خلال التساؤل التالي: هل القادة في جامعات عينة البحث يركزون على السلوك الأخلاقي بما يضمن البناء الأخلاقي للجامعة، وكيف يعززونها من خلال الممارسة الفعلية لديهم؟

أهمية البحث

تتبع أهمية البحث من أهمية موضوعي القيادة والبناء الأخلاقي للمنظمة، ففي الجانب الميداني يكتسب البحث أهميته من خلال محاولة الكشف عن إحدى أهم العناصر في البيئة الداخلية لدى منظمات عينة البحث ألا وهي توجه قادة تلك المنظمات للبناء الأخلاقي للجامعة كمنظمة تعليمية، إذ أنه يمكن الوصول إلى بعض الاستنتاجات بحيث يحدد الجوانب التي تركز عليها قادة عينة البحث بخصوص الأخلاقيات وبالتالي تقديم

مقترحات لتعزيز الجوانب الضعف في توجههم للبناء الأخلاقي لمنظماتهم. أما من الجانب النظري فإن تقديم الأطر النظرية عن موضوع القيادة والأخلاقيات تعد مساهمة علمية يمكن من خلالها الاطلاع على موضوع القيادة والبناء الأخلاقي للمنظمات وبالاتماد على أهم ما تقدم به الكتاب والباحثين عن الموضوع.

أهداف البحث

تهدف البحث إلى ما يلي:

- ١- تقديم إطار نظري عن موضوع الأخلاقيات لدى القيادة.
- ٢- الكشف عن دور القادة الإداريين في البناء الأخلاقي في منظمات عينة البحث.
- ٣- الوصول إلى أهم الاستنتاجات وتقديم التوصيات بما يعزز بناء منظمات أخلاقية في المجتمع.

فرضية البحث

تستند البحث على الفرضية الرئيسة التالية: تركز القادة الإداريين في منظمات عينة البحث على البناء الأخلاقي للمنظمة.

حدود البحث وأسلوب جمع البيانات

تضمن حدود البحث الزمنية بالفترة ما بين ٢٠١٣/٨/٢٩ ولغاية ٢٠١٣/١١/١٨، أما الحدود المكانية فإنها شملت الجامعات الخاصة في الإقليم البالغة عددها سبعة جامعات، أما بخصوص أساليب جمع البيانات فقد صمم الباحث استمارة استبيان خاصة لقياس مدى مساهمة القادة للبناء الأخلاقي اعتماداً على آراء بعض التدريسيين في تلك الجامعات وتم صياغة الاستمارة بالاعتماد على آرائهم الكتاب والباحثين الذين تناولوا الموضوع لقياس الدور القيادي في البناء الأخلاقي للمنظمة.

مفهوم الأخلاق وأخلاقيات المنظمة

عرف Wheel Wright الأخلاق أنها «ذلك الفرع من الفلسفة التي تركز على دراسة منهجية تعكس الاختيار لمعايير الصح والخطأ والتي تقاد الأشياء الجيدة بها» وقد عرف (ارينز ولوبك، ٢٠٠٢: ١٠٢) بأنها مجموعة من المبادئ والقيم، إنها تعكس فلسفة المبادئ الأخلاقية والممارسات التي تفسر القواعد والمبادئ العامة لما هو صحيح

وخاطئ (Ulrich, 2008: 30). ويعرف قاموس (Longman, 2003: 533) الأخلاقيات (Ethics) بأنها قواعد ومبادئ التصرف الأخلاقي التي تحدد ما هو صحيح وما هو خاطئ، فهي مجموعة من القواعد السلوكية والقيم المبدئية التي تحكم سلوك الفرد والجماعة بشأن الصواب والخطأ. (عبد الله ويونس، ٢٠١٢: ١٣)

إن الأخلاق تميز بين فرد وآخرين قضية الأخلاق هي مسألة نسبية وليست مطلقة، فهناك سلوك أخلاقي وسلوك لا أخلاقي، فالسلوك الأخلاقي هو السلوك الذي نراه ونلمسه بشكل واضح والذي ينسجم عادة مع الخط العام للمعايير المجتمعية المقبولة، في حين السلوك اللا أخلاقي هو الذي لا ينسجم مع تلك المعايير. إن القانون يحدد أنواعاً مختلفة من الأفعال المقبولة والمرفوضة، وفي بعض الأحيان فإن الأخلاق قد تتخطى القانون، بحيث يكون اعتماداً وبشكل كبير على المعايير المجتمعية. لذا أن مسألة تحديد السلوك الأخلاقي يعد أمراً في غاية الصعوبة بحكم اختلاف قيم ومعتقدات ووجهات نظرهم والمنطق الذي يحكمهم وكذلك في أسلوب التعامل مع الأشياء. (Robbins & Cuolter, 2005: 234).

أما بخصوص السلوك الأخلاقي بوصفه سلوك المنظمات فتمثل بتلك التي تراعي القيم والمعايير الأخلاقية كما تبدو في أعراف مجتمعاتها وقوانينها وقد ضمنتها بوصفها جزءاً مما يجب أن يلتزم به أثناء مهام تحقيق أهدافها. أما السلوك الغير الأخلاقي بوصفه سلوك المنظمات التي تعتمد إلى تجاهل معاني تلك المعايير تؤكد عليه مضامينها ولاتأخذها بالحسبان أثناء مهام تحقيق أهدافها. (العدواني والنجفي، ٢٠١٢: ١٤٥)

المقومات الأساسية لبناء المنظمات الأخلاقية

إن عدم الالتزام بأخلاقيات الوظيفة يؤثر على أداء المنظمة وبالتالي فلا بد لها من الحرص على تطبيقها. لذلك فإنه من الضروري تحديد ما هو أخلاقي وما هو غير أخلاقي في عرف المنظمة لكي يلتزم به الجميع. في غياب ذلك فإن كل موظف يكون له مقاييسه الشخصية والتي تختلف من الشخص لآخر. ولكي تصبح منظمات الأعمال في مقدمة المنظمات لا بد أن تركز على ضمان الأبعاد والمعايير الأخلاقية في مختلف جوانب بنائها، إن للثقافة التنظيمية دوراً كبيراً في تفعيل الأخلاق داخل المنظمات، فلها القدرة على تحديث القيم الأخلاقية من خلال التصرفات وسلوكيات الأفراد العاملين فهم يدعمون القيم الجوهرية في ضوء التصرفات التي يمارسونها، إذ تستخدم المنظمة الكثير من الأنظمة التشجيعية وطرق تقييم الأداء، يمكن أن تسهم في تفعيل وتحفيز العاملين على ممارسة السلوك الصحيح وتجنب السلوك غير السوي.

(Robbins & Coulter, 2005: 111) ويركز (Linda & Katherine, 1999: 267) على المتغيرات الهيكلية، إذ يرى بأن الهيكل الذي يقلل من الغموض وعدم التأكد من خلال القواعد الرسمية والتعليمات وإرشاد العاملين بالمتطلبات الأخلاقية فإنه أكثر احتمالاً في أن يشجع السلوك الأخلاقي، أما آليات تقييم الأداء على أساس النتائج فإنها تشجع العاملين على كيفية تحقيق النتائج، وهنا فإن التركيز على النجاح ربما يبرر اعتماد سلوك غير أخلاقي. ويؤكد (Barringer & Ireland, 2008: 193) على أن هناك ضرورة لتبني المتطلبات الأخلاقية والقانونية وخاصة في المراحل المبكرة للمشروع، وإن بناء ثقافة أخلاقية تعد ضرورة، فالثقافة الأخلاقية القوية والبرامج المتعلقة بها كالمدرسة الأخلاقية والتدريب الأخلاقي يؤثران في تقليل تجاوز العاملين للأخلاقيات وبنسبة ٣٦٪ مقارنة بالمنظمات ذات الثقافة الأخلاقية الضعيفة. ويرى (العنزي وداد، ٢٠١٢: ٩) أنه على المدراء أن يلتزموا بالمعايير الأخلاقية واحترام أخلاقية المهنة والأفراد. وعلى الإدارة العليا أن تختار الممارسات الإدارية المتمثلة بـ (نظام المكافآت، والسياسات الإدارية وعملية اتخاذ القرارات) بشكل يشجع على اتباع السلوك الأخلاقي الجيد، وإن إدارة المنظمة لن تعتمد على مدى التزام العاملين بأخلاقيات بناء على قناعاتهم بل هي حاجة لأن تلزمهم بذلك كجزء من متطلبات العمل.

دور القيادة في البناء الأخلاقي للمنظمة

نظراً لدور القائد الحيوي في تعزيز الأخلاقيات، ونظراً لأن العاملين لديهم الوعي بتصرفات القيادة من خلال قراراتها، فإن السبيل الأساسي للإدارة العليا هو التصرف الأخلاقي، فالمستوى الأخلاقي للمنظمة يحدده تصرفات القائد، وغالباً ما يعتمد القائد على أسلوب المكافأة لتعزيز الجوانب الأخلاقية واستخدام الأساليب الرادعة للجوانب الغير أخلاقية، إن للقيادة دور كبير في التأثير على المرؤوسين، وأن العاملين مدركين بشكل حقيقي الأخطاء الأخلاقية لقادتهم، وأن الطريقة الأولى الذي يختاره القائد ليحدد النغمة الأخلاقية للمنظمة يتم من خلال الأفعال والتصرفات التي يقوم به (Daft, 2004: 156). ويرى (الجليلي ووحيد، ٢٠١٢: ١٢٦) أن قواعد وأخلاقيات السلوك المهني التي تركز عليه القادة تمنع العاملين من القيام بأي إجراء من شأنه الخروج عن هذه القواعد وتحتم عليه ان يقوم بأداء عمله المهني بكل نزاهة وموضوعية وأن يكون حيادياً مراعيًا لمصلحة جميع الجهات المستفيدة. ولن تتوقف أخلاقيات القيادة عند حدود تذكير المرؤوسين فيها فحسب، بل لا بد من أن تتجه نحو تبني قادة المنظمة لهذه الأخلاقيات وتنفيذهم لها (قوصيني، ٢٠٠٩: ١). وتسهم أخلاقيات القيادة في تقوية أواصر الثقة داخل المنظمة

والمساهمة في توازن وتماسك ثقافة المنظمة. فالقائد الأخلاقي هو الذي يحرص على فائدة الآخرين حتى لو انعكست النتائج على نحو سلبي عليه (دورادو، ٢٠٠٩: ١٨١-١٨٢). إن ضرورة تبني جميع المرؤوسين لأخلاقيات العمل هو أمر في غاية الأهمية، إلا أن الأهم من ذلك هو ضرورة توافر هذه الأخلاقيات لدى قادة المنظمة وذلك بسبب عظم الدور الذي يمكن أن يؤديه هؤلاء القادة في الارتقاء بمنظمتهم ومستوى أعمالها، ولقد حظيت عوامل أخلاقيات القيادة باهتمام العديد من الكتاب والباحثين، ويرى (Rob- bins & Dudge, 2009: 626) أن دمج المعايير الأخلاقية الصحيحة في السلوك والتصرفات اليومية للعاملين يصبح ضرورياً لتعزيز السلوك الأخلاقي لمنظمات الأعمال، وأن هناك ثلاثة أساليب تمكن المنظمة من الترويج للأخلاقيات وهذه الأساليب هي: أ- دعم الإدارة العليا للمناخ الأخلاقي. ب- البرامج التدريبية للأخلاقيات فضلاً عن المدونة الأخلاقية. ج- استخدام المكافأة للسلوك الأخلاقي وحماية هؤلاء الذين يفصحون عن السلوك غير الأخلاقي للأطراف الأخرى (Kinicki & Williams, 2008: 87).

ونظراً لدور القيادة الحيوي في البناء الأخلاقي للمنظمة فقد ركز الباحث على الممارسات التي اتفقت عليها غالبية الكتاب والباحثين بكونها سلوكيات تعزز البناء الأخلاقي للمنظمة وعلى ضوءها تمت صياغة الجانب الميداني للدراسة بغرض تحقيق أهداف الدراسة.

تحليل النتائج

يتناول هذا الجزء من البحث التكرارات والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، ويبين الجدول (١) مدى اتفاق عينة البحث على فقرات استمارة الاستبيان والتي تقيس دور قيادات عينة الدراسة في البناء الأخلاقي للمنظمة والتي هي الجامعات وتعزيزهم لها. وبالرغم من أن إجابات أفراد العينة كانت مع الاتجاه الإيجابي، إلا أن النتائج بخصوص الفقرات التي تقيس دور القيادة الإدارية في البناء الأخلاقي للمنظمة جاءت لتظهر الانخفاض النسبي لبعض الجوانب مقارنة بالجوانب الأخرى، ويتبين من الجدول (١) أن ٧١٪ يتفقون على أن قيادة الجامعة تناقش الجوانب الأخلاقية مع التدريسيين، منهم ٤٦,٥٪ يتفقون بشدة، وأن أكثر من ٥٨٪ يتفقون على أن القيادة الجامعية تضع نموذجاً أخلاقياً للتصرفات، وتقوم حوالي ٧٩٪ من قادة منظمات عينة البحث بتوجيه العاملين الذين يتجاوزون الأخلاقيات، وأن أكثر من ٤٠٪ يؤكدون بأن قادة منظماتهم يتصرفون بأسلوب أخلاقي تجاههم، بينما يؤكد ٥٠٪ بأن القيادة لا تتصرف بأسلوب أخلاقي تجاههم وهذه النسبة عالية إذا ما اعتبرنا أن القيادة هي العنصر الحيوي في

البناء الأخلاقي للمنظمات، ويظهر أن أكثر من ٥٠٪ من العينة يرون بأن القيادة تركز على كيفية إنجاز العمل وليس النتائج وهي نسبة جيدة أيضاً. ويظهر من الفقرة السادسة أن القيادة لا تتطلب من الأقسام مشاركتها في تحديد الطرق الصحيحة في العمل، إذ أن ٧٠٪ وهي نسبة عالية لا يتفقون على أن القيادة تشاركهم في ذلك، وأن هناك اتفاق نسبي لدى العينة بخصوص إيمان قيادة منظمات عينة البحث بتبني قواعد سلوكية خاصة بأخلاقيات العمل. وبخصوص الفقرة الثامنة فإن ٦٠٪ من أفراد عينة البحث يتفقون على أن المنظمة تمتلك قواعد معمول بها بشكل رسمي وواضح لتوجيه السلوك.

الجدول (١)

مستويات اتفاق التدريسيين بخصوص دور القيادة في البناء الأخلاقي
في جامعات عينة الدراسة

SD.	MEAN	FI (%)			العبارات
		لا اتفاق	اتفاق جزئي	اتفاق كلي	
١,١	٢,١٧	٢٥ (٢٩)	٢١ (٢٤,٥)	٤٠ (٤٦,٥)	١ تناقش قيادة الجامعة الجوانب المتعلقة بأخلاقيات مع التدريسيين
١,٠	١,٩٥	٣٠ (٣٤,٨)	١٥ (١٧,٥)	٣٦ (٤١,٨)	٢ تضع قيادة الجامعة انموذجاً أخلاقياً للتصرفات
٠,٩	٢,١٥	١٨ (٢٠)	٣٧ (٤٣)	٣١ (٣٦)	٣ تقوم قيادة الجامعة بتوجيه الكوادر الذين يتجاوزون الأخلاقيات
١,٢	١,٥٩	٥٠ (٥٨)	٢١ (٢٤,٥)	١٥ (١٧,٥)	٤ تتصرف قيادة الجامعة بأسلوب أخلاقي تجاه موظفيها
١,١	١,٦٦	٤٢ (٤٩)	٣١ (٣٦)	١٣ (١٥)	٥ تركز قيادة الجامعة على كيفية إنجاز العمل وليس النتائج فقط
١,٢	١,٣٠	٦٠ (٧٠)	١٧ (١٩,٥)	٩ (١٠,٥)	٦ تطلب القيادة من الأقسام مشاركتها لتحديد الطرق الصحيحة للعمل
١,١	١,٧٣	٤٢ (٤٩)	٢٥ (٢٩)	١٩ (٢٢)	٧ تؤمن قيادة الجامعة بتبني قواعد سلوكية خاصة بأخلاقيات العمل
١,٢	١,٨٢	٣٢ (٣٧,٥)	٣٧ (٤٣)	١٧ (١٩,٥)	٨ تمتلك المنظمة قواعد معمول بها بشكل رسمي وواضح لتوجيه السلوك
١,٣	١,٣٩	٥٨ (٦٧,٥)	٢٢ (٢٥,٥)	٦ (٧)	٩ يأخذ القيادة التصرف الأخلاقي نظر الاعتبار عند مكافئة أفرادها
٠,٩	٢,٠	٢٧ (٣١,٥)	٢٥ (٢٩)	٣٤ (٣٩,٥)	١٠ تهتم قيادة الجامعة بتدريب العاملين على الجوانب السلوكية الصحيحة

ويلاحظ أن ٦٧٪ من أفراد عينة البحث وهم التدريسيين لا يتفقون على أن القيادة تأخذ بنظر الاعتبار التصرفات الأخلاقية عند مكافئتهم، بينما يتفق حوالي ٦٨٪ على أن القيادة تهتم بتدريب العاملين على الجوانب السلوكية الصحيحة. ومن متابعة قيم المتوسطات الحسابية يظهر أن الفقرة المتعلقة دور القيادة الجامعة في البناء الأخلاقي من خلال مناقشة قيادة الجامعة الجوانب المتعلقة بأخلاقيات مع التدريسيين وبمتوسط حسابي بلغ ١٧, ٢، وأن قيام قيادة الجامعة بتوجيه الكوادر الذين يتجاوزون الأخلاقيات جاءت بالمرتبة الثانية وبمتوسط حسابي مقداره ١٥, ٢ ويلاحظ أن القيادة جامعات عينة البحث تهتم بتدريب العاملين على الجوانب السلوكية الصحيحة والتي جاء الاتفاق عليها بالمرتبة الثالثة إذ بلغ المتوسط الحسابي ٢٠, ٢، ويلاحظ من قيم الانحرافات المعيارية تجانس الإجابات والتي كانت جميعها قريبة من الواحد الصحيح مما يدل على دقة الإجابات.

ومن جانب آخر فإن هناك تدني في بعض الأدوار القيادية للبناء الأخلاقي عند جامعات عينة البحث، إذ تبين أن هناك انخفاض نسبي في مستوى اتفاق أفراد عينة البحث بخصوص طلب القيادة الجامعية من الأقسام مشاركتها لتحديد الطرق الصحيحة للعمل إذ ظهر بأدنى مستويات مقارنة بالفقرات الأخرى، حيث لم تبلغ سوى ٣, ١ وهي أقل من مستوى مساحة المقياس البالغ ٣ درجات وكذلك فإنه يمكن القول بأن قيادات عينة البحث ربما لا يأخذون التصرف الأخلاقي نظر الاعتبار عند مكافئة أفرادها إذ بلغ المتوسط الحسابي لمستوى اتفاق أفراد العينة لهذه الفقرة ٣٩, ١ وهي أيضاً أقل من متوسط مساحة المقياس. ويلاحظ الباحث بأن هذه القيمة على الرغم من تباينها من حيث الإجابات إلا أنها جاءت بمتوسطات عالية نسبياً، كما يلاحظ من الفقرتين أن هناك ارتفاع نسبي في الانحرافات المعيارية مقارنة بالفقرات الأخرى مما يدل على انخفاض في تجانس الإجابات بخصوص الفقرتين مقارنة بالفقرات الأخرى.

الاستنتاجات والتوصيات

نستعرض في هذا الجزء أهم الاستنتاجات والتوصيات التي توصل إليها البحث وهي كالآتي:

١- تبين من الأدبيات الخاصة بموضوع الأخلاقيات بأنها من إحدى العناصر الضرورية توفرها لدى الأفراد العاملين في المنظمة، وخاصة في بيئة التعليم الجامعي كونها منظمة تعليمية لها تأثيرات من خلال سعيها لتطوير المجتمع وتحقيق الازدهار.

٢- تعد القيادة الإدارية العنصر الحيوي التي تؤثر في الكثير من الجوانب منها الأخلاقيات، إذ أن سلوك المنظمة يحددها توجهات القيادة الإدارية فأخلاقيات أفرادها تعد انعكاساً لأخلاقيات قادتها.

٣- أوضحت نتائج التحليل الوصفي بأن هناك اتفاقاً في إجابات عينة البحث على مساهمة قادة جامعات عينة البحث في البناء الأخلاقي للجامعة وخاصة المتعلقة بناقشة القادة للجوانب الأخلاقية مع التدريسيين وتوجيه الكوادر فيها فضلاً عن تدريب عاملها على السلوكيات الأخلاقية.

٤- أشارت نتائج التحليل الوصفي بأن هناك ضعف نسبي في بعض الفقرات التي تساهم من خلالها قادة جامعات عينة البحث للبناء الأخلاقي للجامعة كمنظمة، منها ما يلاحظ التدني النسبي في مدى مشاركتهم للأقسام في تحديد الطرق الصحيحة للعمل، وأن قرار مكافئة الأفراد لا يأخذ الجوانب الأخلاقية بعين الاعتبار عند إقرارها.

استناداً إلى نتائج البحث يوصي الباحث ما يلي:-

١- ضرورة دراسة مضامين الفكر القيمي فيما يتعلق بالأخلاقيات وشملها ضمن المفاهيم الإدارية في الممارسات اليومية للأفراد العاملين في المنظمات وتعزيزها، وأخذ التوجه للبناء الأخلاقي بمحمل الجد وخاصة في ظل المنافسة بين المنظمات وتحديداً في الجامعات الخاصة لضمان البقاء والنمو والنجاح في منافستها.

٢- يتطلب من جامعات عينة البحث الاستفادة من نقاط القوة التي ظهرت لديهم في هذا البحث وتعزيزها بشكل أكثر لكونها تساهم في البناء الأخلاقي لمنظمتهم.

٣- من الضروري الوقوف على نقاط الضعف التي أشارت إليه نتائج البحث والمتعلقة بضرورة مشاركة كافة الأطراف في الجامعة لتحديد الطرق الصحيحة في العمل وأخذ السلوك الأخلاقي للعاملين بجدية واعتبارها عنصراً لتقييم الأفراد عند إصدار قرارات مكافئة العاملين.

٤- يوصي الباحث في دراسات مستقبلية بالتطرق إلى الجوانب التي لم يشملها البحث الحالي منها ما يتعلق بأخلاقيات الأعمال وتوجهات الجامعات الخاصة، السلوك الأخلاقي لدى الكوادر التدريسية ومدى مساهمتها في بعض الجوانب كالاندماج والالتزام والرضا الوظيفي.

المصادر

- ١- أرينز، الفين وجيمس لويك، ٢٠٠٢، المراجعة مدخل متكامل، دار المريخ للنشر، مملكة العربية السعودية.
- ٢- الجليلي، مقداد أحمد ورمو، وحيد محمود، ٢٠١٢، أخلاقيات مهنة المحاسب والمراجعة ودورها في استراتيجيات الحد من الفساد الإداري، مجلة تنمية الرافدين، العراق، العدد ١٠٦، المجلد ٣٤.
- ٢- دورادو، فيل، ٢٠٠٩، دروس سريعة في قيادة الأعمال، أكاديميا انترناشيونال، بيروت، لبنان.
- ٤- عبد الله، عادل محمد ويونس، عبد الله جار الله، ٢٠١٢، أخلاقيات القيادة وإسهامها في صوت الموظفين: تحليل واقع وتقديم أنموذج في قسم إدارة الأعمال كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة الموصل، مجلة تنمية الرافدين، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة الموصل، العدد ١٠٦، المجلد ٣٤.
- ٥- العدواني، عبد الستار محمد، والتجيفي، زياد عبد العزيز، العلاقة المتكافئة بين مداخل البناء الأخلاقي للمنظمات وبين أوجه صياغة استراتيجيتها، تحليل لآراء المديرين في عدد من منظمات مدينة الموصل، مجلة تنمية الرافدين، جامعة الموصل، المجلد ٣٤، العدد ١٠٩.
- ٦- العنزي، سعد علي ودادود، فضيلة سلمان، تأثير الحاكمية في تعزيز أخلاقيات الأعمال، دراسة استطلاعية في عينة من المصارف الخاصة، مجلة العلوم الاقتصادية والإدارية، جامعة بغداد، المجلد ١٨، العدد ٦٦.
- ٧- قوصيني، ٢٠٠٩، القيادة الفاعلة، [www://hrdiscussion.com](http://hrdiscussion.com)
- 8- Thompson, Jr. Arthur A., John E. Gamble & A. J. Strickland, 2006, Strategy, Winning in the Marketplace, 2d ed, McGraw-Hill, USA.
- 9- Longman Dictionary, 2003, 4th ed, pearson education limited, Edinburgh Gate, England.
- 10- Karakose, Targut & Ibrahim Kocabas, 2009, An Investigation of Ethical Culture in educational Organizations, African Journal of Business Management, Vol 3, No 10.
- 11- Steiner. George. A., John. F. Steiner, 2006, Business, Government & Society, A managerial perspective, Text & Cases, 11th ed, McGraw-Hill, New York, USA.
- 12- Spence. Loura J. & Mollie Morland, 2010, Ethics in small & Medium Sized enterprises, Vol: 2, Springer, USA (www.springer.com).
- 13- Ulrich, P., 2008, Integrative economic ethics: Foundations of a civilized market economy. Cambridge University Press.
- 14- Robbins, S. & Coulter. Mary, 2005, Management, 8th ed, Prentice-Hall, India.

- 15- Linda Klebe & Katherine A. Nelson, 1999, Managing Business Ethics: Straight Talk about how to do it right, 2nd ed., John Wiley & Sons, New York.
- 16- Barringer, Bruce & Ireland Duane, 2008, Entrepreneurship: Successfully Launching New Ventures, 2/E, Prentice – Hall, person international edition, USA
- 17- Daft, R. L., 2004, Organization Theory and Design, 7ed., West pub, San Francisco.
- 18- Robbins Stephen p. & Judge Timothy A., 2009, organizational behavior, 13ed, Pearson international edition, Prentice hall, NJ. USA.
- 19- Kinicki, Angelo & Williams, Brian K., 2008, Management, A Practical Introduction, 3rd ed, McGraw-Hill, USA.

The role of Administrative leadership in ethical construct of Organization
A field study of a sample of private universities in the
Kurdistan region of Iraq

by: Dr. Range M. Nori Dawoda

Department of Business Economics /
University of Zakho

Research Summary

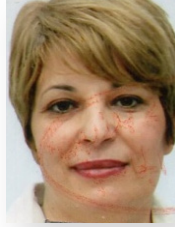
The study aimed to find out the University's leadership contribution levels in ethical construction of the organization through the perspective of lecturer staff, the Researcher assume the existence of reinforcement levels among the leaders of ethical behavior and deter all that is unethical, so moving toward building the moral of the university as an organization in the community. After preparing the formulation of the methodology, the researcher provided a theoretical framework included the concept of ethics and ethical construction, he began analyzing the data that have been obtained by questionnaire tool. he collected 86 out of the 105 form that have distributed in some of private universities in the Kurdistan region of Iraq, which were established for more than three years that were seven universities.

The study concluded with some results, although there are some variation in sample answers, the results met with the hypothesis. Based on the results a set of proposals presented which concentrate on The importance to these universities leaders to focus on all aspects that would reinforce ethical behaviors and ethical construction of the University.

The key words: Ethics, University leadership, Ethical construction of the Organization.

تأثير وسائل الاتصال التكنولوجية والمعلومات في مجال التربية والتعليم

د. للونة تيلو* أة. زينب حميدة بقادة



ملخص

إن الانتعاش والتطور الاقتصادي أصبح أمراً ضرورياً في عصرنا الراهن يرتكز على العلم والمعرفة باكتساب المهارات عن طريق استعمال والتحكم في وسائل الاتصال والتكنولوجيا لهذا يعتبر هذا الموضوع من المواضيع ذات الأهمية الشديدة في الدول السائرة في طريق النمو وبالضبط في دول العالم الثالث وبالأخص في الدول العربية لما تشهده الثورة التكنولوجية من سرعة مذهلة في النمو حتى بات يطلق على عالمنا الحاضر تسمية عالم المعلوماتية.

ولقد قامت بعض الدول العربية في نشر ثقافة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في المجالات المتعلقة بالتنمية بما في ذلك ما يتعلق بإصلاح التعليم وتطويره. غير أنها تبقى محدودة

نسبياً لتأخرها عن التطبيق الشامل ما يجعلها متأخرة مقارنة بالدول النامية.

إن واقع مجال التربية والتعليم بأطواره وأنواعه من تعليم عام وتعليم جامعي وتعليم مهني يفرض حالياً على جميع المنظومات التربوية الالتحاق ومسيرة الركب الحضاري المعلوماتي بممارسة والتحكم في تكنولوجيا وسائل المعلومات والاتصال حتى يتسنى

• دكتورة علم النفس الاجتماعي، أستاذة بجامعة مولود معمري بتيزي وزو، وباحثة بجامعة الجزائر، ومنتدبة دائمة بالمدرسة الوطنية التحضيرية لدراسات مهندس/الجزائر. tilloulallouna@yahoo.fr

للمتعلمين اكتساب معارف وقدرات ومهارات علمية ومهنية تقنية وتكنولوجية تعدهم لإتقان مختلف الأعمال والأنشطة وتطوير قدراتهم وكفاءتهم باستعمال التقنيات الحديثة من أجل إنتاج ذو جودة وقيمة عالمية.

وفي هذا الإطار أكدت العديد من المؤتمرات أن توظيف تكنولوجيا التعليم في العملية التعليمية وتدريب أعضاء هيئة التدريس عليها يكسبهم الكفاية اللازمة من أجل ازدهار وتفتح اقتصادي.

فقد أكد مؤتمر تكنولوجيا المعلومات والمعلم ٢٠٠١ لجمعية تكنولوجيا المعلومات بفلوريدا على أهمية التعامل مع التكنولوجيا لخدمة العملية التعليمية والموقف التعليمي وضرورة تدريب المربين معلمين وأعضاء هيئة تدريس ومن يعاونهم على استخدام تكنولوجيا المعلومات الحديثة والوسائط التعليمية لبناء بيئة التعليم والتعلم لخلق مجتمعات تعلم حقيقة (Boger, 2001).

يقول الخبير جان ايريك اوبير العالمي «إن المعايير الدولية لبناء اقتصاد فعال هو التركيز على تكوين أكفاء في مجالات تكنولوجيايات الإعلام والاتصال في جميع نهج المستويات الابتدائي والثانوي والمهني والعالي والتدريب أثناء الخدمة لتبدو انعكاساتها على مختلف جهات التعليم المعنية. «الاتجاه السائد هو توظيف العقول أكثر من العضلات لتوفير القيمة المضافة».

ومما لا شك فيه أن مجال العمل يعتبر من أهم المجالات التي يتوقع أن يحقق فيها الفرد أكبر قدر من التوافق بحيث يقضي هذا الأخير نسبة كبيرة من وقته في ميدان العمل ولا يتم ذلك إلا عن طريق عملية التعلم فالفرد يستجيب لأي موقف تعليمي بعقله وجسمه وانفعالاته لأنه وحدة واحدة يقابل الموقف التعليمي كوحدة تشمل كل جوانب شخصيته ومن ثم تتأثر هذه الأخيرة بالمواقف التعليمية المختلفة، فالتعلم عنصر أساسي في نمو الفرد وشكل من أشكال سلوكه المميزة لشخصيته كما أن ميوله واتجاهاته وقيمه ودوافعه المختلفة ومجال تذوقه للحياة وللأشياء يتوقف على مدى خبرته وتدريبه.

إن عملية التعلم تراعي الربط بين نواحي النشاط المتفرقة بحيث ترتبط هذه النواحي بمقومات شخصية المتعلم المختلفة فالتعلم كما يعرفه جيتس هو «عملية اكتساب الوسائل المساعدة على إشباع الحاجات والدوافع وتحقيق الأهداف وهو كثيراً ما يتخذ صورة حل المشكلات أي أن الشخص يتعلم فقط لتحقيق هدف واضح يسعى له وذلك باكتساب وتعلم وسائل وطرق تساعد للوصول إلى هدفه أي أن الإنسان لا يتعلم إلا إذا كان لديه هدف واضح ومشكلة توفقه لعملية التعلم». (فوزي محمد جبل ٢٠٠١)

يبدل الفرد عند تعلمه مجموعة من الأنشطة استجابةً للموقف التعليمي فتكون هذه الاستجابات في بادئ الأمر غير مميزة وخاصّة ولكن باستمرار التدريب وبذل المجهود تقل الأخطاء وتميل الاستجابات للتمييز والوضوح ويصير الشخص أكثر قدرة على التحكم وإدراك العلاقات بين عناصر الموضوع المتعلم. (فوزي محمد جبل ٢٠٠١)

لهذا فعملية التعلم تؤدي إلى تغيير في سلوك الكائن نتيجة اكتسابه العديد من الخبرات والحقائق والمفاهيم التي يكتسبها أثناء تعرضه للمثيرات المختلفة التي تثيرها المواقف البيئية أو الظروف الخارجية التي تتيح له استخدام العديد من الوسائل والطرق للاستجابة لهذه المواقف وتحقيق أهدافها ومن بين هذه الوسائل نجد وسائل تكنولوجيا التعلم والاتصال.

تعريف التكنولوجيا

يعرف جلبرت (Galbraith 1976) التكنولوجيا بأنها «التطبيق النظامي للمعرفة العلمية أو معرفة منظمة من أجل أغراض علمية». ويعرفها دونالد بيل (Donald Bell 1973) بأنها «التنظيم الفعال لخبرة الإنسان من خلال وسائل منطقية ذات كفاءة عالية وتوجيه القوى الكامنة في البيئة المحيطة بنا للاستفادة منها في الربح المادي».

أما تكنولوجيا التعلم فهي «عملية متكاملة تقوم على تطبيق هيكل من العلوم والمعرفة عن التعلم الإنساني واستخدام مصادر تعلم بشرية تؤكد نشاط المتعلم وفرديته بمنهجية أسلوب المنظومات لتحقيق الأهداف التعليمية والتوصل لتعلم أكثر فعالية، أما منظمة اليونسكو فتعرفها بأنها» منحنى نظامي لتصميم العملية التعليمية وتنفيذها وتقويمها كلها تبعاً لأهداف محددة نابعة من نتائج الأبحاث في مجال التعليم والاتصال البشري مستخدمة الموارد البشرية وغير البشرية من أجل إكساب التعليم مزيداً من الفعالية».

وتعرف لجنة تكنولوجيا التعليم الأمريكية تكنولوجيا التعليم بأنها منحنى نظامي لتصميم العملية التعليمية وتنفيذها وتقويمها ككل تبعاً لأهداف محددة نابعة من نتائج الأبحاث في مجال التعليم والاتصال البشري مستخدمة الموارد البشرية وغير البشرية من أجل إكساب التعليم مزيداً من الفعالية أو الوصول إلى تعلم أفضل وأكثر فعالية. (مصطفى نمر دعمس ٢٠٠٧).

تعريف التعليم الإلكتروني

هو طريقة للتعليم باستخدام آليات الاتصال الحديثة من حاسب وشبكات ووسائله المتعددة من صوت وصورة ورسومات وآليات بحث ومكتبات إلكترونية

وإنترنت سواء أكان عن بعد أو في فصل دراسي وهو يهدف إلى استخدام التقنية بجميع أنواعها في إيصال المعلومة إلى المتعلم بأقصر وقت وأقل جهد وأكبر فائدة ممكنة (Edwards & Fritz, 1997).

ويعرف (الموسى والمبارك، ٢٠٠٥) التعليم الإلكتروني بأنه: «طريقة للتعليم باستخدام آليات الاتصال الحديثة من حاسب وشبكاته ووسائطه المتعددة من صوت وصورة، ورسومات، وآليات بحث، ومكتبات إلكترونية، وكذلك بوابات الإنترنت». ويعرفه (زيتون، ٢٠٠٥، ٢٤) بأنه: «تقديم محتوى تعليمي إلكتروني عبر الوسائط المعتمدة على الكمبيوتر وشبكاته إلى المتعلم بشكل يتيح له إمكانية التفاعل النشط مع هذا المحتوى ومع المعلم ومع أقرانه بصورة متزامنة أم غير متزامنة، وفي المكان والوقت وبالسرية التي تناسب ظروفه وقدراته»، ويمكن تعريف التعليم الإلكتروني إجرائياً: بأنه طريقة استخدام آليات الاتصال الحديثة من حاسب وشبكات ووسائط متعددة من صوت وصورة، ورسومات، وآليات... الخ، ومكتبات إلكترونية.

إن عملية التعلم باستعمال وسائل تكنولوجيا التعلم والاتصال تعزز لدى الطالب تنمية قدراته المعرفية التي تتماشى ومستواه الدراسي ومن ثم التحكم في أدوات العمل المهنية التكنولوجية إذ من خلال التكوين الذي يتلقاه يتدرب على اكتساب خبرات وقدرات جديدة مضافة إلى الخبرات القديمة بالتحكم في مختلف التقنيات العلمية. فوجود دافع عند المتعلم يوجه السلوك نحو الهدف المعين لأنه المحرك الرئيسي لأي نشاط يكتسب من خلاله الفرد أشياء جديدة ويعدل عن طريقه سلوكه بعبارة أخرى هو المحرك الرئيسي وراء عملية التعلم وزيادة الدافع كما ينمي لديه ميول جديدة بمباعدة في اكتساب المعارف والمهارات والاتجاهات المناسبة.

وغالباً ما يعتمد التعليم بوسائل تكنولوجيا التعلم والاتصال على قدرة التفكير والتذكر والإدراك والاستدلال فأبراهيم عصمت يوضح أن هذه العملية «لا تقتصر على مجرد استخدام الآلات والأجهزة الحديثة ولكنها تعني أساساً منهجية في التفكير لوضع منظومة تعليمية أي اتباع منهج وأسلوب وطريقة في العمل تسير وفق خطوات منظمة ومستعملة كافة الإمكانيات التي تقدمها التكنولوجيا وفق نظريات التعليم والتعلم الحديثة». (مصطفى نمر دمس ٢٠٠٧).

اكتساب المفاهيم النظرية العلمية وتحقيق التوافق الدراسي لدى الطلاب يتوقف على الاستعداد الاستدلالي وعلى الإدراك المكاني وهو الاستعداد المرتبط بالعلاقات المكانية وترتيب الأشياء الذي سينعكس على توافق الطالب مع محيطه ومع المشرف عليه ومع زملائه، كذلك توافقه مع مطالب العمل نفسه وتوافقه مع قدراته الخاصة ومع ميوله ومزاجه مما يحقق توافق الطالب وعلاقته مع كل من مكونات بيئته.

إن اكتساب المفاهيم من الناحية النظرية تعبير عن إطار معرفي وبنية معرفية من حيث مكوناتها وما بين هذه المكونات من علاقات بشكل يساعد الفرد على تنظيم مادة التعلم والتعليم وحسن استخدامها والربط الواعي بينها وهنا تبرز أهمية الوسائل التكنولوجية في تدعيم العملية التعليمية وتنمية كفايات التعلم والتحكم الإلكتروني.

تكنولوجيا الاتصالات وتنمية كفايات التعلم الإلكتروني في عملية التعليم

يتم دمج التعليم الإلكتروني في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات التي تساعد المتعلم على توضيح المفاهيم المجردة باستخدام الصور والأصوات والحركة والرسوم، فإن فهم تكنولوجيا المعلومات له تأثير بالغ على العمل المعرفي للطلبة بصورة أفضل لهذا يجب دمج المعارف والمهارات والقيم المرتبطة باستخدام الحاسوب في جميع المواضيع لأن التعليم الموجه لمهارات الحاسوب ضروري للتحكم في جميع المواد المدروسة بحيث يرى كل من (نشوان، والشعوان، ١٩٩٠) أن تنمية كفايات التعليم الإلكتروني هو الأخذ بمدخل «أن تحديد الكفايات التعليمية اللازمة يصبح أمراً بالغ الأهمية»، وبالتالي تعد الكفايات شرطاً أساسياً لتحسين أداء الطلاب وتطوير مهاراتهم ومساعدتهم للقيام بأعمالهم بكفاءة عالية، بعد تخرجهم في ظل التطورات الحديثة في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الحديثة.

مكونات تكنولوجيا المعلومات والاتصال

في دراسة الحيلة، محمد محمود (١٩٩٨) حول موضوع تكنولوجيا التعليم بين النظرية والتطبيق حدد مكونات تكنولوجيا المعلومات والاتصال فيما يلي:

- الآلات: تتميز الآلات بقدرات سريعة في التنفيذ وتكلفة أقل مع إمكانيات فنية أعلى من قدرات الإنسان ونقصد هنا في حديثنا عن الآلات الخاصة بتكنولوجيا المعلومات والاتصال جميع أنواع الحواسيب الموجودة سواء كانت ذات الحجم الكبير أو الحواسيب الصغيرة أو الحواسيب الشخصية.
- البرمجيات وهي اللغة والوسيلة التي يتم من خلالها تعامل المستفيدين مع البيانات المخزنة وبالآلات كما يتم من خلالها تخزين هذه البيانات واستدعاءها وتشغيلها وقد شهدت لغة البرمجة تطورات كبيرة وهذا ما يفسر تنوعها وكثرتها.
- الشبكات: تسمح هذه الشبكات باستغلال قدرات الاتصال عن بعد وهذا ما يسمح بتبادل المعلومات بكل سهولة ويسر كما يوفر للمستفيدين إمكانية الاتصال مع مختلف الأطراف.

• الآلية: كاستعمال الرجل الآلي مثلاً في بعض المجالات عوض عن الإنسان ولا يعني ذلك إمكانية الاستغناء عن الإنسان ١٠٠٪، فمهما تم إحلال العمل الآلي مكان العمل

الإنساني يبقى دور الإنسان ضروريا للتحكم بالآلات وتشغيلها والتنبيه بأخطارها واختراع الجديد منها.

تكنولوجيا التعليم محفز للمعرفة وتطوير للمهارات

إن تكنولوجيا التعليم والاتصالات هي عملية إجرائية وتطبيقية اعتمادها على الوسائل والأجهزة التقنية الحديثة والمتنوعة يحفز ويعزز دافعية الطلبة لإنجاز وتحقيق أهدافهم التعليمية كونها تساهم في:

- سرعة التذكر: الوسائل البصرية والحسية (الوسائل الحسية) تعتبر بديلاً عن جميع الجمل والعبارات التي ينطق بها المعلم ويسمعها الطالب والتي يحاول أن يفهمها ويكون لها صورة عقلية في ذهنه ليتمكن من تذكرها.

- تنمية الإدراك الحسي: إن الوسائل الإيضاحية تسهل تثبيت الصورة الحقيقية للمعلومة جلية تماماً.

- الفهم: الفهم هو قدرة الفرد على تمييز المدركات الحسية وتصنيفها وبترتيبها، فإن الفرد يتصل بالأشياء والمظاهر المختلفة عن طريق حواسه وبالطبع لا يستطيع هذا الفرد أن يفهم المسميات أو الأشياء إلا إذا تم فهمها والتعرف عليها.

- أسلوب حل المشكلات: حينما يشاهد الطالب تقنية تعليمية، فإنها في الغالب تثير فيه بعض التساؤلات والتي قد لا تكون مرتبطة مباشرة بموضوع الدرس. وقد تلمي هذه التساؤلات أو التي تتبع من حب الاستطلاع أسلوب حل المشكلات لدى هذا الطالب إذ في العادة ما يسير هذا الأسلوب.

- المهارات: تقوم التقنيات التعليمية بتقديم توضيحات علمية للمهارات المطلوب تعلمها.

- وضوح الألفاظ عدم معرفة الطالب أحياناً لبعض الجمل أو الكلمات، مما يتسبب بخلط المعنى لديه ولكن بالصورة توضح المعنى لها.

- أسلوب التشويق تشوق المتعلم وتجذبه نحو الدرس.

أهمية تكنولوجيا المعلومات والاتصال

لقد تميزت تكنولوجيا المعلومات والاتصال عن غيرها من التكنولوجيات الأخرى بمجموعة من الخصائص أهمها:

- تقليص الوقت فالتكنولوجيا جعلت كل الأماكن - إلكترونياً - متجاوزة؛

- تقليص المكان: تتيح وسائل التخزين التي تستوعب حجماً هائلاً من المعلومات المخزنة والتي يمكن الوصول إليها بسهولة؛

- **اقتسام المهام الفكرية مع الآلة:** نتيجة للتفاعل بين الباحث والنظام.
- **النمنمة:** بمعنى آخر أسرع أرخص...، وتلك هي وتيرة تطور منتجات تكنولوجيا المعلومات؛
- **الذكاء والاصطناعي:** أهم ما يميز تكنولوجيا المعلومات هو تطوير المعرفة وتقوية فرص تكوين المستخدمين من أجل الشمولية والتحكم في عملية الإنتاج؛
- **تكوين شبكات الاتصال:** تتوحد مجموعة التجهيزات المستندة على تكنولوجيا المعلومات من أجل تشكيل شبكات الاتصال وهذا ما يزيد من تدفق المعلومات بين المستعملين والصناعيين وكذا منتجي الآلات، ويسمح بتبادل المعلومات مع باقي النشاطات الأخرى.
- **التفاعلية أي أن المستعمل لهذه التكنولوجيا يمكن أن يكون مستقبل ومرسل في نفس الوقت فالمشاركين في عملية الاتصال يستطيعون تبادل الأدوار وهو ما يسمح بخلق نوع من التفاعل بين الأنشطة؛**
- **اللا تزامنية:** وتعني إمكانية استقبال الرسالة في أي وقت يناسب المستخدم فالمشاركين غير مطالبين باستخدام النظام في نفس الوقت؛
- **اللا مركزية:** وهي خاصية تسمح باستقلالية تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، فالإنترنت مثلاً تتمتع باستمرارية عملها في كل الأحوال، فلا يمكن لأي جهة أن تعطلها على مستوى العالم.
- **قابلية التوصيل:** وتعني إمكانية الربط بين الأجهزة الاتصالية المتنوعة الصنع، أي بغض النظر عن الشركة أو البلد الذي تم فيه الصنع؛
- **قابلية التحرك والحركية:** أي أنه يمكن للمستخدم أن يستفيد من خدماتها أثناء تنقلاته أي من أي مكان عن طريق وسائل اتصال كثيرة مثل الحاسب الآلي النقال، الهاتف النقال...
- **قابلية التحويل:** وهي إمكانية نقل المعلومات من وسيط إلى آخر كتحويل الرسالة المسموعة إلى رسالة مطبوعة أو مقروءة مع إمكانية التحكم في نظام الاتصال.
- **اللا جماهيرية:** وتعني إمكانية توجيه الرسالة الاتصالية إلى فرد واحد أو جماعة معنية بدل توجيهها إلى جماهير ضخمة وهذا يعني إمكانية التحكم فيها حيث تصل مباشرة من المنتج إلى المستهلك، كما أنها تسمح بالجمع بين الأنواع المختلفة للاتصالات. سواءً من شخص واحد إلى شخص واحد أو من جهة واحدة إلى مجموعات، أو من مجموعة إلى مجموعة؛
- **الشيوع والانتشار:** وهو قابلية هذه الشبكة للتوسع لتشمل أكثر فأكثر مساحات غير محدودة من العالم بحيث تكتسب قوتها من هذا الانتشار المنهجي لنمطها المرن؛

• **العالمية:** وهو المحيط الذي تنشط فيه هذه التكنولوجيات حيث تأخذ المعلومات مسارات مختلفة ومعقدة تنتشر عبر مختلف مناطق العالم، وهي تسمح لرأس المال بأن يتدفق إلكترونياً خاصة بالنظر إلى سهولة المعاملات التجارية التي يحركها رأس المال المعلوماتي فيسمح لها بتخطي عائق المكان والانتقال عبر الحدود الدولية.

خاتمة

أضحى تجسيد وإدماج تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في التعليم بمختلف أنواعه أمراً ضرورياً وشرطاً أساسياً لتحقيق الأهداف التربوية كونها تشكل خياراً استراتيجياً في مشروع مدرسة الغد والتحكم في هذه التكنولوجيات يعد أحد الوسائل الناجعة لتحضير الأجيال.

إن التكنولوجيات الحديثة تكسب المتعلمين مهارات وكفايات وقدرات واتجاهات ودوافع للنجاح في العملية التعليمية في وقت قصير وجهد قليل لمسايرة سرعة التطور في مختلف مجالات الحياة مما يمتد ويؤثر على سياق عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية فمجتمعنا الحالي هو مجتمع العولمة والتطور التكنولوجي وعليه من الضروري الالتحاق بهذا الركب الحضري.

المراجع

- ١- محمد محمود الحيلة (١٩٩٨)، تكنولوجيا التعليم بين النظرية والتطبيق، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.
- ٢- يعقوب نشوان وعبد الرحمان الشعوان، (١٩٩٠)، الكفايات التعليمية لطلبة كلية التربية بالمملكة العربية السعودية، مجلة جامعة الملك سعود مج ٢ العلوم التربوية.
- ٣- عبدالله عبد العزيز الموسى، والمبارك، أحمد عبد العزيز (٢٠٠٥)، التعليم الإلكتروني، الأسس والتطبيقات، مطابع الحميضي، الرياض.
- ٤- أماني الجمل، التعليم الإلكتروني والاستراتيجيات المعرفية، مجلة التعليم الإلكتروني.
- ٥- القانون التوجيهي للتربية الوطنية ٠٨-٠٤ والمؤرخ في ٢٣/٠١/٢٠٠٨
- ٦- مصطفى نمر دمس، (٢٠٠٧)، تكنولوجيا التعليم وحوسبة التعليم دار غيداء، الأردن، عمان.

العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة الجزائرية بين التغير والثبات الأسرة الوهرانية نموذجاً (أسر حي سيدي الهواري)

أ.ة. نادية سماش* - أ.ة. نوال سعدي*



الملخص

تعيش الأسر الحضرية الجزائرية في وسط مجتمع متغير والمجتمع المتغير المحيط بالأسرة لا بد أن يؤثر فيها تأثيراً واضحاً من شأنه أن يغير تركيبها الاجتماعي ووظائفها وعلاقاتها الداخلية والقروية، ونظم زواجها واستقرارها البيتي فضلاً عن الآثار التي يتركها في قيم الأسر وإيديولوجيتها وأساليب حياتها وطرق تفكيرها، ومركز المرأة فيها باعتبار أن المرأة تشغل الدور الأساسي في واقع الأسرة وتوجهاتها.

والاستقرار منها طرق التنشئة الاجتماعية التي تعتمدها في تربية الأبناء وتقويم سلوكهم، والقيم والمبادئ التي تتبناها الأسرة في حياتها العامة والخاصة، والعادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية السائدة، فجميع عوامل التغير والثبات تؤثر في الأسرة وتعطيها سماتها المنفردة وخصوصيتها الثابتة.

لعل أهم عوامل التغير المؤثرة في الأسرة التصنيع والتحضر والتحديث والاتصال الحضاري بالمجتمعات الأخرى لا سيما المجتمعات المتطورة؛ كما أن هناك عوامل تساعد في الثبات

• باحثة دائمة، المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية CRASC، وهران/الجزائر.

nadia3130@hotmail.fr - saadinawel73@yahoo.fr

مقدمة

يعد موضوع السلطة داخل الأسرة من المواضيع الهامة في مجال علم الاجتماع العائلي، حيث تناول كثير من العلماء والدارسين هذه القضية بالدراسة والبحث خاصة فيما يتعلق بالاتجاه التطوري الذي يركز على تطور الأسرة بشكل عام وتطور السلطة داخل الأسرة، ويعد زهير حطب من أهم علماء الاجتماع العرب الذين أعطوا أهمية خاصة لهذا الموضوع، حيث تتبع أصول الأسرة العربية، فأكد «أن الأسرة العربية عبر التاريخ عرفت النظام الأمومي الذي أعطى المرأة الأفضلية في السلطة على الرجل خاصة فيما يتعلق بقانون الانتساب وحرية المرأة ومكانتها ومكان الإقامة»^(١).

ويؤكد حليم بركات على أن الأسرة العربية هي «أسرة أبوية وأنها هرمية على أساس الجنس والعمر وأن الأب لا زال يتمتع بقدر كبير من السلطة رغم بعض التغيرات البسيطة التي قد تنحصر في الأسرة البورجوازية»^(٢)، ويتفق هشام شرابي مع بركات في اعتبار «أن المجتمع العربي هو مجتمع أبوي، ويذهب إلى أبعد من ذلك عندما يؤكد على دونية المرأة والأطفال من خلال كونها عرضة للاضطهاد والظلم في المجتمع العربي»^(٣).

يعتبر المجتمع الجزائري من بين المجتمعات السائرة في طريق النمو التي يحكمها النظام الأبوي على باقي المجتمعات العربية، حيث يربط بعض الباحثين والمفكرين العرب والمفكرين العرب التخلف الحاصل في هذه المجتمعات بهذا النظام نظراً لشموليته لمختلف أنساق المجتمع (سياسي، ثقافي، اقتصادي، أسري....)

والذي يتميز بالتخلف والتبعية، كما يتميز إضافة إلى ذلك بذهنية أبوية تتمثل في نزعتها السلطوية الشاملة التي ترفض النقد ولا تقبل بالحوار إلا أسلوباً لفرض رأيها، كما يغيب التفاعل والحوار المفضي إلى التفاهم أو الاتفاق بين الأفراد والجماعات.

من أهم سمات هذا النوع من المجتمعات سواء كان قديماً أو حديثاً، هي النزعة الأبوية - البطركية - التي تظهر في سيطرة الأب على العائلة، فالأب هو المحور الذي تنتظم حوله العائلة، وهورب البيت وعموده إذ أن العلاقة بين الأب وأبنائه علاقة هرمية،

(١) زهير حطب، تطور بنى الأسرة العربية، تطور بنى الأسرة العربية والجذور التاريخية والاجتماعية لقضاياها المعاصرة، معهد الإنماء العربي، ١٩٨٠، ص ١٧.

(٢) حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر، بحث استطلاعي اجتماعي، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٨٥، ص ص ١٧٩-١٨٢.

(٣) هشام شرابين مقدمات لدراسة المجتمع العربي، منشورات صلاح الدين، القدس، ١٩٧٥، ص ١١٢.

فإرادته مطلقة ويتم التعبير عنها بـ «الإجماع القسري» الذي يقوم على التسلط من جهة، والخضوع والطاعة من جهة أخرى التي تظهر على مستوى العائلة في القيم والتقاليد وفي وسائل التربية والتنشئة الاجتماعية التي تعمل على تشكيل نمط الثقافة والشخصية، من خلال ترسيخ القيم والعلاقات الاجتماعية التي يحتاج إليها المجتمع الأبوي.

فالنظام الأبوي هو بنية سيكولوجية واجتماعية وثقافية ناتجة عن شروط تاريخية وحضارية نوعية تكونت من مجموعة من القيم وأنماط من السلوك ترتبط بنظام اقتصادي تقليدي له خصوصيته، وبشكل واقعا اجتماعيا حيا يتميز بسيطرة مزدوجة: سيطرة الاب على العائلة، وسيطرة الرجل على المرأة بحيث يبقى الخطاب المهيمن هو خطاب الاب وأمره وقراراته.

إن كل ما يميز المجتمع الأبوي من خصائص يمكن إسقاطها على الأسرة فالمرأة تبقى تعاني التمييز، الأمر الذي كرس عبر التاريخ العداء العميق والمستمر في لا وعي هذا المجتمع هذا المجتمع للمرأة ونفي وجودها الاجتماعي كإنسان، فالأب يمثل مركز السلطة الذي تلتف حوله العائلة وتكون العلاقات الاجتماعية فيها عمودية وإرادة الأب فيها تكون مطلقة وترتكز على العادة والإكراه، وفي ظل هذا النظام تعاني المرأة تأثيرا مضاعفا لظاهرة التمييز داخل الأسرة مقارنة بالرجل في حد ذاته، فهي وإضافة لما تعانيه غيرها من الأبناء الذكور من السلطة القمعية للأب فإنها تعاني لوحدها من سيطرة سلطة الذكر عليها سواء كان أب، أخ، أو زوج.. إلخ

هناك عدة عوامل أدت إلى تغير نظام السلطة الأبوية داخل الأسرة الجزائية ويأتي عادة في شكل خفيف لكنه يكون أحيانا جذريا، ومن هذه العوامل نذكر:

- خروج العديد من وظائف العائلة عن نطاقها وقيام مؤسسات أخرى بها: نزع المؤسسات الحديثة من الأسرة الكثير من وظائفها، فأصبح التعليم من اختصاص المدارس والمعاهد وأصبح الأمن والحماية الاجتماعية من اختصاص مؤسسة الشرطة والضمان الاجتماعي ودور الرعاية الاجتماعية، وأصبحت الوظيفة الاقتصادية من اختصاص مصانع ومقاولات ضخمة تقوم بعملية الإنتاج وتقدم الخدمات.

- تفكك العائلات إلى أسر نووية: إن تفكك العوائل إلى أسر صغيرة نووية تقتصر على الزوج والزوجة وأولادهما، وتسكن في منزل مستقل خاص بها، يعني الإخلال بإحدى القواعد الهامة التي تعتمد عليها العائلة في تشكيلها، ونعني بها قاعدة السكن مع أهل الزوج أي أن المرأة عندما تتزوج وتغادر بيت أهلها تستقر في بيت أهل زوجها، مما يعني جملة من

العلاقات المتبادلة بين الابن المتزوج وأهل البيت، وكذلك مجموعة من الواجبات يجب على الزوجة أدائها لأهل الزوج وخاصة لأبويه، فسكن الزوجين وأطفالهما تحت سقف بيت مستقل عن إقامة أهلها يشكل عاملاً من عوامل ضعف سلطة ونفوذ العائلة الأبوية.

- خروج المرأة إلى العمل: مكن العمل التعليم المرأة من اكتساب المهارات والخبرات اللازمة لولوج عالم الشغل والتمتع بدخل وظيفي مستقل، وسواء جاء خروج المرأة إلى ميدان العمل كنتيجة لعدم كفاية مرتب الزوج، أو غير ذلك من الأسباب فإنه يسمح لها بالمشاركة في نفقات الأسرة ويدعم حظوظها في صنع القرار.

- تأثير النموذج الغربي: تعمل عادة وسائل الإعلام والدعاية على تقديم هذا النموذج كنموذج مثالي يختلف عما هو سائد في البلدان الأخرى (غير الغربية)، فتحرص على إبراز طبيعة الحريات التي تتمتع بها المرأة ويتمتع بها الأبناء، وتعمل بعض الحركات النسائية المحلية على الضغط والمطالبة بمزيد من الحقوق والحريات للمرأة، اقتداء بالنمط الغربي واستناداً إلى حقوق الإنسان وحقوق المرأة.

من هذا المنطلق فإن مشكلة البحث الذي سنحاول دراسته تكمن في رصد وتحليل مجموعة التغيرات التي طرأت على ممارس السلطة داخل الأسرة الجزائرية في ظل التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي شهدتها المجتمع الجزائري، وفي ضوء هذه الإشكالية تسعى هذه الدراسة إلى الإجابة عن التساؤلات الآتية:

هل تغير النظام السلطوي داخل الأسرة الجزائرية وكيف تم ذلك وما هي أكثر العوامل فاعلية في هذا التغير؟ إلى أي حد ارتبطت تغيرات الأسرة الجزائرية بقوى وعوامل التحديث - التحضر والتصنيع - في المجتمع الجزائري؟

للإجابة عن هذه التساؤلات حاولنا طرح الفرضيات الآتية:

- إن التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي عرفها المجتمع الجزائري تركت آثارها الواضحة في تغير بنية الأسرة الجزائرية ووظائفها ونظام زواجها، كما ساهمت في تحرر المرأة وخروجها للعمل وكذا تحررها من سلطة الرجل (الأب، الأخ، ...) وأحدثت تغيرات على مستوى العلاقات الأسرية وأدت إلى ضعف العلاقات الاجتماعية القرابية والجوارية أيضاً.

- أثرت عوامل التغير الاجتماعي على منظومة القيم للأسرة الجزائرية بحيث عدلت في درجة الاستجابة لهذه القيم وفي طريقة تمثيلها مما أدى إلى تغير دور السلطة ومن يمارسها.

فيما يخص المنهجية المتبعة فإنه لا يمكن لأي دراسة أن تكتسب صفة علمية إن لم تستند على قواعد منهجية وبناء على ذلك سنعمد إلى عرض الأسس المنهجية التي تبنتها دراستنا الميدانية عن طريق تحديد مجالاتها الثلاثة: المجال الجغرافي، المجال البشري، والمجال الزمني ثم المناهج والأدوات التي استندنا عليها.

١- **المجال الجغرافي:** تمت الدراسة في مدينة وهران وبالضبط في حي سيدي الهواري حيث يعتبر هذا الحي من أقدم أحياء مدينة وهران كما أنه يحتل مكاناً استراتيجياً وحيوياً كونه يتوسط المدينة، هذا الموقع جعل منه مجالاً مفتوحاً على الحركة في جميع الاتجاهات، وبالتالي يجعله أكثر ديناميكية من الأحياء الأخرى، كما أن أهميته داخل البيئة الحضرية للمدينة تجعله مجالاً متعدد الوظائف؛ لذلك فإن المدينة ليست بمعزل عن التغيرات السوسيو-ثقافية والاقتصادية التي أثرت في كافة الأنساق الاجتماعية، ولما كان نسق الأسرة أحد هذه الأنساق الاجتماعية فمن الطبيعي أن تتأثر بهذه التغيرات^(٤)

٢- **المجال البشري:** لقد تم العمل مع ٢٠ أسرة من هذا الحي وقد تم هذا على هامش إجراء عمل ميداني آخر في إطار مشروع المؤسسة المعلنون بالتغيير الاجتماعي: القيم والأجيال تحت إشراف أ. مولاي الحاج مراد داخل المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية والذي مس أكثر من ٥٠٠ أسرة استعملت معها تقنية الاستمارة.

٣- **المجال الزمني:** تحددت فترة إجراء البحث في المدة الزمنية ما بين السابع من شهر جوان إلى غاية الثلاثين من نفس الشهر.

فيما يخص التقنيات المعتمدة فقد اعتمدنا على تقنية المقابلة النصف موجهة والتي احتوت على ٢٢ سؤال اهتمت بتبيان العناصر التالية سلطة الأب، سلطة الأم، سلطة الأجداد، امتثال الأولاد لهذه السلطات، عمل المرأة وتأثيرها في تغيير العلاقات السلطوية داخل الأسرة، اختيار الزوجة أو الزوج من المسؤول عنه؛ فيما يتعلق بالمنهج فقد اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي الذي رأينا أنه الأنسب لرصد وتحليل مجموعة التغيرات التي طرأت على الأسرة الجزائرية الوهرانية القاطنة بحي سيدي الهواري في ظل التحولات والتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي شهدتها المجتمع الجزائري المعاصر.

(٤) مراد مولاي الحاج، الغزوات: مدينة التحولات السوسيو-ثقافية، مجلة إنسانيات، مركز البحث في العلوم الاجتماعية والثقافية، العدد الخامس، ماي، أوت، ١٩٩٨، وهران.

مفهوم الأسرة: هي البيئة الاجتماعية الأولى التي يبدأ فيها الطفل بتكوين ذاته والتعرف على نفسه عن طريق عملية الأخذ والعطاء والتعامل بينه وبين أعضائها^(٥)، حيث أن الأسرة في طبيعتها اتحاد تلقائي تؤدي إليه الاستعدادات والقدرات الكامنة في الطبيعة البشرية النازعة إلى الاجتماع، وهي بأوضاعها ومراسيمها عبارة عن مؤسسة اجتماعية تنبعث عن ظروف الحياة الطبيعية التلقائية للنظم والأوضاع الاجتماعية وضرورة حتمية لبقاء الجنس البشري ودوام الوجود الاجتماعي.

أودعت الطبيعة في الإنسان هذه الضرورة بصفة فطرية ويتحقق ذلك بفضل اجتماع كائنين لا غنى لأحدهما عن الآخر وهما الرجل والمرأة والاتحاد الدائم المستقر بين هذين الكائنين بصورة يقرها المجتمع هو الأسرة ويرى بعض العلماء أن الحصول على ثمرات لهذا الاتحاد شرط ضروري لاستكمال الأسرة مقوماتها الذاتية غير أن هذا الاعتبار خاطئ إذ نلاحظ أن عدداً كبيراً من الأسر عقيم ولا تقلل هذه الظاهرة من شأنها^(٦).

تعريف العائلة: إن العائلة هي نتاج اجتماعي يعكس صورة المجتمع الذي توجد فيه وتتطور فيه، ففي مجتمع سكوني تبقى البنية العائلية مطابقة له، وفي مجتمع تطوري أو ثوري فإن العائلة تتحول حسب إيقاع وظروف التطور^(٧).

العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة

عايشت الأسرة الحضرية بالجزائر عامة وبمدينة وهران خاصة في العقود القليلة الماضية ولا تزال تعيش تغيرات هامة في خصائص بنيتها الاجتماعية بفعل التغيرات الاقتصادية والاتصالات الثقافية والتحولات الاجتماعية التي يعيشها المجتمع الجزائري، فنجد أن من أهم هذه التغيرات التي طرأت على بيئة الأسرة حسب ملاحظتنا الميدانية إلا في حالات قليلة جداً أولاً التغير في حجم الأسرة ونمط بنائها، ثانياً تغير الخصائص الاجتماعية لأعضائها، ثالثاً التغير في الأدوار الاجتماعية لهؤلاء الأعضاء على مستوى الأسرة وعلى مستوى المجتمع، تغيرات طرأت على علاقات السلطة داخل الأسرة واتخاذ القرارات.

(٥) لبيب النجيجي محمد، الأسس الاجتماعية للتربية، دار النهضة العربية بيروت، ١٩٨١، ص ٨٢
(٦) عفاف بد العليم ابراهيم ناصر، التنمية الثقافية والتعبير النظامي للأسرة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٥، ص ٤٢
(٧) مصطفى بوتقنوشنت، العائلة الجزائرية: التطور والخصائص الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٤، ص ١٤.

كما نجد ظاهرة التحول من الأسرة المركبة إلى الأسرة النووية أو البسيطة ومن بين أسباب هذا التحول حسب مجتمع البحث نجد ظروف السكن والتي كان لها دور كبير في خروج الأبناء المتزوجين من عند آبائهم لترك الفرصة للإخوان العزاب للزواج والبحث عن منزل للكراء أو الشراء بتمن رخيص خاصة في هذا الحي الذي تعتبر المساكن أو الشقق التي يقطنها معظم سكانه صغيرة جداً، الأمر الذي يحتم على الأبناء إما البحث عن بيت آخر حتى لو احتوى على غرفة واحدة مخصصة لجميع الأمور من نوم وطهي وجلس وإما الدخول في صراع خاصة بين الكنة والحماة، الأمر الذي ساهم في إحداث تغير كبير في العلاقات بين أفراد الأسرة الواحدة من أبناء وأزواج وأحفاد وتغير سلطة من يتحكم فيمن وماهي العوامل التي أثرت في سلطة الأولياء على الأبناء.

نتيجة لخصائص العينة التي قمنا بدراستها والتي مست في غالبيتها ربات البيوت نظراً لتعذر وجود الأزواج بحكم العمل طيلة اليوم وحسب ما أكدته معظم المقابلات فإننا لاحظنا حسب التصريحات أن النظام الأبوي بدأ يتعرض حالياً لتحولات بسبب التغيرات البيئية في الأوساط الحضرية، وقيام الأسرة النووية وخروج المرأة للعمل وتعميم التعليم، وانتشار قيم الحداثة والعصرنة التي تشدد على حقوق الفرد.

ومن أجل رصد هذه التحولات سنحاول التعرض إلى العناصر التالية:

أ- **العلاقة الاجتماعية بين الزوج والزوجة:** من خلال البحث الميداني فقد ارتأينا التحدث مع عينة البحث عن عنصر في غاية الأهمية يتمثل في مساعدة الزوج لزوجته داخل البيت الأمر الذي أكد أن المجتمع الجزائري قد أصبح يشهد عدة تحولات حيث حصل تغيير في المواقف الاجتماعية للزوج اتجاه زوجته، إذ بدأ يمكث في بيته بعد انتهاء ساعات العمل وأخذ يركز اهتمامه على العناية ببيته وزوجته وأولاده، ومثل هذا التغير الذي طرأ على الزوج اتجاه البيت والزوجة لعب دور في تقوية العلاقات الاجتماعية المشتركة بين أعضاء العائلة النووية، فالزوج حال تفرغه من العمل يقضي معظم وقته مع عائلته وزوجته ويميل نحو مشاركتها في كل شيء خاصة الأعمال المنزلية وهذا يعود حسبنا إلى سبب رئيسي مهم وهو ابتعاد هذا الزوج عن أنظار المراقبة الاجتماعية التقليدية التي تحرم مساعدة الزوج لزوجته بل وتجعل منها عاراً وخزياً لا يجب السكوت عليه بإهانة الزوجة ووصفها بالمرأة المتكاسلة وغير النظيفة.

هذا ما أكدته جميع المبحوثات اللواتي أقررن بمساعدة أزواجهن لهن خاصة وأن هؤلاء النسوة لا يتجاوز عمرهن الأربعين سنة مبينات في نفس الوقت أن سلوك أزواجهن تغير بمجرد انتقالهن والعيش ببيت منفرد رفقة الأولاد الذين لا يفوق عددهم الثلاث أطفال على الأكثر.

إلى جانب هذا التحول نجد أمر آخر وهو طلب الزوجة من الزوج الإذن للخروج من المنزل حيث أن هذا الأمر أصبح شيئاً عادياً تقريباً أي أن المرأة وبحكم عملها من جهة وبحكم انتشار التكنولوجيا والرقمنة وزيادة التعليم من جهة أخرى أصبحت تخرج من المنزل دون إعلام الزوج من قبل أو بأيام، حيث تكتفي بالاتصال به هاتفياً وتعلمه بخروجها خاصة أن معظم الأسر المبحوثة تعاني من ضيق في المسكن الأمر الذي يحتم على المرأة الخروج دائماً لمتابعة إما ملف سكن مودع عند الجهات المسؤولة أو القيام باحتجاجات رفقة الأخريات أمام مقر الدائرة وذلك لحصول على مسكن لائق، يرجع هذا الأمر إلى عدم وجود الرجل بحكم عمله الأمر الذي ساهم في تنازله عن بعض الأمور من بينها خروج زوجته لقضاء بعض المتطلبات التي تتعذر عليه، مما جعل المرأة تنفتح أكثر على المجتمع بالاحتكاك بأفراد آخرين الأمر الذي ساهم في انتشار الوعي لديها ودخولها في جدال مع الزوج كانت في السابق في غنى عنه وذلك في جميع الأمور المتعلقة بالحياة المنزلية والزوجية.

ب- العلاقات الاجتماعية بين الآباء والأبناء: من خلال تصريحات ربات البيوت نلاحظ أن العلاقة بين الأبوين والأبناء قد تغيرت وأصبحت علاقة مبنية على أسس ديموقراطية ولكنها في الوقت نفسه يصيبها بعض الجفاء والضعف والاضمحلال على الرغم من أن الجيلين يعيشان في البيت نفسه، علماً بأن الضعف الذي يعتري العلاقة الإنسانية في مقدمتها اختلاف الأعمال التي يمارسها الجيلان، فالأب يمارس مهنة تختلف عن مهنة الابن فضلاً عن الاستقلال الاقتصادي الذي يتمتع به الابن، وأن المستويات الثقافية والميول والاتجاهات والقيم والمقاييس للجيلين تختلف عن بعضها البعض لأن طبيعة الحياة التي عاشها الأب تختلف عن طبيعة الحياة التي يحياها الابن في الوقت الحاضر.

أفضل مثال عن ذلك اختيار الزوجات للأبناء والسكن في بيت منفرد وبحكم - مثلاً ذكرنا آنفاً - ضيق المسكن العائلي وانتشار الوعي الديني الذي يحتم على زوجة الأخ التحجب من أخ زوجته طيلة الوقت، أصبح من الضروري الاستقلال ببيت منفرد بالرغم من عدم رغبة الآباء الكبار في انفصال ابنهم عنهم إلا أن هذا الأخير أصبح لديه رأي وشخصية أقوى بين قوسين في التحدي وفرض رأيه الأمر الذي تثبته عينة بحثنا التي شكلت فيها نسبة ٩٠٪، أسرة نووية تتكون من أب شاب وأم وطفل حتى ثلاثة أطفال همما الوحيد هو الحصول على منزل لائق بالرغم من توفر الغرفة أو المسكن الذي يقطنونه على مختلف الأجهزة المنزلية المتطورة، والتي تعبر في رأي علم الاجتماع بحياة الرفاهية إن صح القول.

فاختيار الزوجات أصبح أمراً عادياً بالنسبة للأسر الوهرانية إلا في حالات قليلة تربطها أعراف وتقاليد العروش والقبائل، أي أن سلطة الأب أو الأم لم تبقى مثلاً كانت عليه في السابق وذلك بالتدخل وأخذ كامل الصلاحيات في اختيار الأزواج لأبنائهم وأبنائهم،

ما يمكننا من القول أن الوضع الحالي قد تغير بصفة انتقالية كبيرة، حيث أصبح للفتى وللغاتة الوهرانية حرية الاختيار، كما لهم حرية الرفض والقبول مع وضع للفتى وللغاتة حرية الاختيار والرفض بأخذ بعين الاعتبار مقاييس أخرى مهمة، مثل التقارب في المستوى العلمي والثقافي والأخلاقي، إضافة إلى الصفات الجسدية الأمر الذي يؤكد حسب عينة البحث مبدأ التكافؤ لمعظم المبحوثات أكد أنهن تعرضن على أزواجهن قبل الزواج دون تدخل الأولياء.

من أسباب ظهور هذا الأسلوب الشخصي في الاختيار هو ذلك التغير الذي يطرأ على حياة الجماعة، فتغيرت وظائف الأسرة التي كانت تؤديها في الماضي غير العلاقات الاجتماعية بين الآباء والأبناء، بحيث أصبحت أقل رسمية وتحددا من ذي قبل، فكلما أصبح المجتمع أكثر تعقدا اتجه مؤشر الاختيار في الزواج إلى الأسلوب الشخصي^(٨).

ج- العلاقة الاجتماعية بين الأبناء: حاولنا في هذا العنصر تبيان ما إذا كان للابن الأكبر أفضلية عند الآباء عن باقي الأخوة، فوجدنا حسب مجتمع البحث أن هذه المكانة أو الأفضلية بدأت تندثر حيث وبحكم التحولات الكبيرة التي يشهدها المجتمع من دخول تكنولوجيا جديدة ومتطورة من إنترنت وفضائيات عالجت مثل هذه الظواهر، حيث لم يعد يحظى الابن الأكبر بتلك المكانة المميزة داخل الأسرة التقليدية الجزائرية، فعادة كان يفضل الآباء الأبناء الأبناء ويمنحونهم حقوقا وامتيازات على حساب باقي الإخوة، أما الآن فقد خفت هذه النزعة حيث أكدت عينة البحث أن الابن الأكبر أصبح يعامل مثله مثل باقيه الإخوة بنات أو أولاد، أين سلطة الابن الأكبر على باقي أفراد العائلة بعد الأب مباشرة لم تعد كالسابق، وإنما دخلت أمور وعوامل أخرى أعطت الأولوية للابن أو البنت الذين يحتكون أكثر بأولياهم سواء بالاحترام المعنوي أو المساعدة المادية؛ الأمر الذي يعالج فكرة المجتمع التقليدي الجزائري الذي كان في السابق يفرق بين الجنسين «ذكر-أنثى»، وكما هو معلوم فإن التحسن في الأحوال الاجتماعية وصولا إلى علاقة ديموقراطية مبنية على أسس إنسانية قد أعطت فرصة للمرأة في توسيع شبكة علاقاتها في نطاق العلاقات العامة أو المجتمع، أو في نطاق العلاقات الخاصة بالأفراد.

في ظل هذه الأوضاع لم يعد بمقدور الأخ فرض إرادته على أخته وحملها على القيام بأعمال أو واجبات ليست رغبة فيها، ولا سيما بعد أن خرجت من البيت إلى المدرسة بعد إجبارية ومجانية التعليم في الجزائر، إذ أن دخول البنت المدرسة وصولا إلى إكمال دراستها في الجامعة هيا لها اختيار أصدقائها من كلا الجنسين على العكس مما كان عليه الحال

(٨) سامية حسن الساعاتي، الاختيار للزواج والتغير الاجتماعي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر،

بيروت، ١٩٨١، ص ٥٢.

في السابق إذ أن علاقة البنت بالعالم الخارجي لم تكن تتعدى حدود الإطار العائلي كما أن تفوقها الدراسي وتبوؤها المراكز العلمية التي كانت حكرًا على الرجل جعل البنت مصدر فخر للعائلة ولم تعد المرأة ذلك العبء الثقيل على العائلة.

على الرغم من اتساع شبكة العلاقات الاجتماعية للبنت الذي يعد مؤشراً على يدل على قوة العلاقة بين الأولاد والبنات وكذلك يعكس الأجواء الديمقراطية في ظل العائلة الحضرية إلا أن هذه العلاقة لا تخلو من مشاكل ومنغصات وذلك بسبب اختلاف الظروف والمعطيات التي يمر بها كل من الأبناء والبنات واختلاف المهن والخبرات والتجارب والميول والاتجاهات، هذا كله بسبب تنوع الثقافات والبيئات والمعطيات المحيطة بالأبناء والبنات على الرغم من كونهم يعيشون في بيت واحد.

خاتمة

إن طبيعة الحياة العائلية وسط العائلة الجزائرية المعاصرة يختلف كل الاختلاف عن طبيعة حياة العائلة التقليدية، فصغر حجم الأسرة النووية وضعف علاقاتها الاجتماعية مع أقاربها قد سبب زيادة الاتصالات والتفاعلات بين أعضائها أي بين الزوج والزوجة والأبناء، وبدأ الزواج يستند على قواعد الديمقراطية والمساواة ويعقد بين شخصين متساويين في المركز والسمعة الاجتماعية وهذه الحقائق ساهمت مساهمة واضحة في تبديل الجو الاجتماعي الذي تعيشه الأسرة.

فمع انتشار معالم التحضر والتصنيع وشيوع الأفكار الحديثة التي دخلت إلى المجتمع الجزائري من الخارج وانتشار الثقافة والتعليم تغيرت معالم المنزل الاجتماعية للمرأة وتحسنت سمعتها وأصبحت تتساوى مع الرجل، وخرجت إلى العمل وأصبح لها مدخولاً شهرياً تساعد به زوجها ولا ينفق هذا الدخل على الأقارب والجيران بشكل هدايا ومساعدات مالية وإنما ينفق بحرص وعقلانية على متطلبات البيت والأطفال.

إلا أن الفوارق الاجتماعية والسيكولوجية بين الآباء والأبناء قد تضعف الروابط الاجتماعية في الأسرة الحديثة خصوصاً إذا كان هناك اختلاف جيلي بين الآباء والأبناء.

لقد تغيرت العديد من الوظائف التي كانت تؤديها الأسرة التقليدية الجزائرية خاصة الأسرة الوهرانية بحكم موقع المدينة الجغرافي (وهران) ذلك أن الدولة وأجهزة المجتمع الاختصاصية الاقتصادية منها والصحية والدينية والتربوية راحت تساعد الأسرة في منحها الوظائف الاختصاصية التي كانت تؤديها الأسرة لأبنائها، كانتشار مثلاً روضة الأطفال، محلات غسل الملابس، المطاعم، الفنادق... إلخ.

دور الأسرة السعودية في حماية أبنائها من مخاطر الإنترنت (دراسة ميدانية في منطقة بقيق)

د. نايف محمود الزيود*



الملخص

هدفت الدراسة للتعرف على دور الأسرة السعودية في حماية أبنائها من مخاطر الإنترنت (دراسة ميدانية في منطقة بقيق)، واستخدم الباحثون المنهج المسحي، طبقت على عينة عشوائية قوامها (١٥٠) أسرة سعودية، وتم تطبيق استبانة (داوود: ٢٠١٢) مكونة من (٢٢) فقرة، وأظهرت الدراسة بأن المتوسطات الحسابية لإجابات أفراد العينة عن فقرات أداة الدراسة تراوحت بين (٢٧، ٣-٤٦، ٤)، حيث كان أعلاها للفقرة (١)، بينما كان أدناها للفقرة (٢٢)، وبلغ المتوسط الحسابي للأداة ككل (٤، ٠١) بدرجة تقييم مرتفعة، وهناك فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha=0,05$) في دور الأسرة السعودية في حماية أبنائها من جرائم الإنترنت تبعاً لمتغير الجنس، حيث تبين أن الفروق لصالح الإناث، وعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية

عند مستوى الدلالة ($\alpha=0,05$) في دور الأسرة السعودية في حماية أبنائها من جرائم الإنترنت تبعاً لمتغير المستوى التعليمي، وأوصت الدراسة بعدة توصيات منها غرس ثقافة الحوار في نفوس الأبناء منذ الصغر وتوعيدهم على الحوار مما سينعكس إيجاباً على اتجاهاتهم وسلوكهم في تعاملهم مع الآخرين في المجتمع، وكذلك مع الاستخدام الإيجابي لوسائل التقنية الحديثة.

الكلمات المفتاحية: جرائم الإنترنت، الأسرة السعودية.

* دكتوراة في الفلسفة، أستاذ مساعد في جامعة الملك فيصل، كلية الآداب. قسم علم الاجتماع في السعودية /الأردن.
alzyoud7@yahoo.com

The role of the Saudi family to protect their children from the dangers of the Internet

(A field study in the Abqaiq area)

Abstract

The study aimed to identify the role of the Saudi family to protect their children from internet dangers “(a field study in the Abqaiq), and the researchers used a method survey, applied on a random sample of (150) family of Saudi Arabia, was applied questionnaire (David: 2012) consisting of (22) paragraph, the study showed that averages arithmetic answers respondents for paragraphs tool study ranged between (3.27-4.67), where he was the highest of paragraph (1)”, while the lowest of paragraph(22), and reached the arithmetic average of the instrument as a whole (4.01) degree Ratings are high, and there were statistically significant differences at the level of significance ($\alpha=0.05$) in the role of the Saudi family to protect their children from cyber crimes depending on the sex variable, it was found that the differences in favor of females, and the absence of statistically significant differences at the level of significance ($\alpha=0.05$) in the role of the Saudi family to protect their children from cyber crimes according to the variable level of education, the study recommended a number of recommendations, including instilling a culture of dialogue in the hearts of children from an early age and get them used to the dialogue, which will reflect positively on their attitudes and behavior in their dealings with others in the community, as well as with the positive use of the means of modern technology.

Keywords: Internet crimes, Saudi family.

تلب شبكة الإنترنت دوراً هاماً في جزء كبير من حياتنا اليومية على الصعيدين الشخصي والمهني، سواء في المنزل، أو المدرسة، أو الجامعة، أو العمل (Longman roup), (Limited, 1994) وصارت تؤثر في حياتنا إلى حد الالعودة في الاعتماد عليها في أغلب مجالات النشاط الإنساني بالنسبة لجميع أفراد المجتمع وعلى الأخص جيل الشباب. (Long, 1991)

وعلى الرغم من اختلاف العلماء في تقديم تعريفات تقنية للإنترنت، إلا أن المتفق عليه أن المعلومات المنقولة عبرها غير محدودة، وأنواعها كثيرة، وترتبط بالناس وحياتهم واهتماماتهم (عبد الوهاب والعامري، ١٩٩٨). فالإعلام الجديد كما يطلق عليه يوفر وسائل وقنوات جديدة للاتصال والتواصل، ويتيح منابر جديدة للنقاش والحوار، مما فتح المجال أمام أفراد المجتمع لممارسة مختلف أنواع الاتصالات بواسطة شبكة الإنترنت (مثل الفيس بوك، تويتر، يوتيوب، بلوتوث.. وغيرها)، للخروج من وضعية عدم التواصل وعدم الحوار، إلى التواصل والحوار، ومن الإعلام والاتصال الذي يتم في اتجاه واحد، إلى الإعلام الأفقي والاتصال في جميع الاتجاهات (كمال، ٢٠٠٩: ص ٤٣-٤٤).

ويشير (البسيوني، ٢٠٠٩، ص ١٠-١٢) و(Sean P. Hagerty), (P93: 2008) أن الأفراد يلجأوا للتواصل مع الأهل والأقارب والأصدقاء من خلال ما يسمى بمواقع الشبكات الاجتماعية، التي تعد وسيلة جديدة لتبادل الآراء والأفكار، وحشد المناصرة والتأييد لقضية من القضايا، وتكوين الوعي حول القضايا المختلفة.

وعلى الرغم من أهمية هذه الوسائل في إيصال المعلومة إلى أبعد نقطة ممكنة في أقرب وقت ممكن، لكن لا يمكن نسيان من جهة أخرى أن لهذه الوسائل التكنولوجية، جانباً سلبياً يعود على منظومة القيم الاجتماعية وعلى العلاقات سواء كانت في الأسرة أو في المجتمع.

وكما يشير وازي وخوجة (٢٠١٣) أن الإنسان منذ وجوده على وجه الأرض وهو يتحرك بمحركات تحركه، منها محرك القيم، حيث يحدد علاقاته مع غيره، وقد يكتسب الطفل قيمه من الأسرة، ثم المدرسة، ثم المجتمع في الماضي، وأصبحت هناك بدائل لهذه المؤسسات الاجتماعية، بل وتراجعت هذه المؤسسات بدرجة كبيرة، وحل محلها أجهزة التكنولوجيا في تربية الأبناء.

والأسرة في العصر الحديث كما يشير كل من (داوود: ٢٠١٢) و(سلمان، ص ١٥٨ - ١٥٩: ٢٠٠٦). تميل إلى استخدام ثمار الثورة التقنية والمعلوماتية الهائلة من وسائل اتصال ومعلومات

مثل برامج الحاسبات وشبكات الإنترنت الدولية وغير ذلك من تقنيات سمعية وبصرية ومن المتوقع إن تشغل هذه المستجدات حيزاً كبيراً من اهتمامات أفراد الأسرة، فضلاً عن التغيرات في بناء الأسرة لتصبح نووية صغيرة الحجم فكلما زادت مشاركة الأبناء في الحيز الاجتماعي داخل الأسرة أثر ذلك إيجابياً على اكتساب القيم والمعتقدات والعادات والاتجاهات ومن خلال التفاعل داخل الأسرة تحدث كثير من العمليات التي تؤدي إلى قبول الكثير من القيم والاتجاهات والسلوك. بعد تعديلها وتوجيهها الوجهة الصحيحة من قبل الوالدين ومتابعة تنفيذها لهم بالشكل المقبول به اجتماعياً وقد نلجأ أحياناً الأسرة إلى رفض بعضها لعدم تناسبها مع واقع المجتمع وطبيعة نظامه الاجتماعي فيظهر هنا دور الأسرة في التأثير على الأبناء من خلال التوجيه والإرشاد والتذكير بقيم المجتمع والالتزام بمعايير الأساسية في طريقة التفكير والسلوك والعمل التي تمثل انعكاس لمستوى الأسرة الاجتماعي في المجتمع في طريقة تربيتها وتنشئتها لأبنائها من حيث الالتزام والطاعة واحترام القوانين الاجتماعية والدينية التي ينص عليها مجتمع ما.

أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة في محاولة متواضعة للكشف عن دور الأسرة السعودية في حماية أبنائها من مخاطر الإنترنت، ويرى الباحث أن هذه الدراسة ستسهم في إلقاء الضوء على كيفية وقاية أبنائنا من مخاطر الإنترنت واستخداماته السلبية، وكذلك قد تساعد هذه الدراسة في الحد من انحرافات الشباب العربي عن القيم والأخلاق السوية، ومن خلال هذه الدراسة يمكن إثراء المكتبات العربية بموضوعها، وتستفيد منها الجهات البحثية العلمية في الدراسات الاجتماعية، كالجامعات، ووزارة التنمية الاجتماعية، والمهتمون بشكل عام بعالم الإنترنت.

مشكلة الدراسة

من منطلق أن الأسرة هي النواة الأساسية في بناء المجتمع من خلال تأثيرها في تربية الأبناء ومصدر الأخلاق والقيم والدعامة الأولى لضبط السلوك السوي للأفراد، ونتيجة لملاحظة الباحث ومعايشته للعديد من الآثار التي أحدثتها عالم الإنترنت على قيم وأخلاق أبنائنا الشباب والمراهقين منهم الذين يقضون الكثير من الوقت فيما يعرف بالدردشة وفتح المواقع الإباحية الجنسية، والتعرف على أبرز الفضائح لبعض الشخصيات الاجتماعية والثقافية وغيرها، وإرسالها وتناقلها فيما بينهم، وجد الباحث الضرورة للوقوف على هذه الظاهرة ودراساتها في مساهمة متواضعة للمساهمة في منع أبنائنا من الانحرافات نتيجة الاستخدام السلبي للإنترنت.

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة إلى ما يلي:

- التعرف على دور الأسرة السعودية في حماية أبنائها من مخاطر الإنترنت؟
- الكشف عن فروق إحصائية لدور الأسرة السعودية في حماية أبنائها من مخاطر الإنترنت تبعاً لمتغيري، الجنس، المستوى التعليمي.

تساؤلات الدراسة

- ما دور الأسرة السعودية في حماية أبنائها من مخاطر الإنترنت؟
- هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية دور الأسرة السعودية في حماية أبنائها من مخاطر الإنترنت تبعاً لمتغيري، الجنس، والمستوى التعليمي؟

محددات الدراسة

- الحد البشري: أولياء أمور الأسر السعودية (أنموذجاً منطقة بقيق).
- الحد الزمني: ١ / ١٠ / إلى ٣٠ / ١٠ / ٢٠١٣.
- الحد المكاني: منطقة بقيق بالمملكة العربية السعودية.

منهج الدراسة

تم الاعتماد في هذه الدراسة على المنهج المسحي نظراً لملائمته مع طبيعة وأهداف الدراسة الحالية.

مجتمع الدراسة

يتكون مجتمع الدراسة من أولياء أمور الأسر السعودية في المنطقة الشرقية للمملكة العربية السعودية.

عينة الدراسة

تم اختيار عينة الدراسة بالطريقة العشوائية الطبيعية والمتمثلة بأولياء أمور الأسر السعودية في منطقة بقيق بالمملكة العربية السعودية (المنطقة الشرقية)، حيث بلغت العينة (١٥٠) ولي أمر.

أداة الدراسة

تم الاعتماد على دراسة داؤد (٢٠١٢)، وقد تكونت أداة الدراسة في صورته النهائية من (٢٢) فقرة ملحق رقم (١) يوضح ذلك، وذلك بعد أن تم عرضها على مجموعة من المحكمين في علم الاجتماع وبعد إجراء التعديلات والمقترحات التي وردت من قبل المحكمين بحيث تتناسب الأداة مع طبيعة وأهداف الدراسة الحالية، تم الاعتماد عليها.

ثبات الأداة

للتحقق من ثبات أداة الدراسة تم تطبيق معادلة (كرونباخ ألفا) على جميع فقرات أداة الدراسة، حيث بلغت قيمة معامل الثبات (٠,٧٣) وهي قيمة مرتفعة ومقبولة لأغراض التطبيق.

عينة الدراسة

تكونت عينة الدراسة من (١٥٠) أسرة سعودية تم اختيارهم بطريقة عشوائية من مجتمع الدراسة، جدول (١) يوضح توزيع أفراد العينة تبعاً للمتغيرات الشخصية.

جدول (١): توزيع أفراد عينة الدراسة تبعاً للمتغيرات الشخصية (ن=١٥٠)

المتغير	المستوى	التكرار	النسبة المئوية
الجنس:	ذكر	١٣١	٨٧,٣
	أنثى	١٩	١٢,٧
	المجموع	١٥٠	١٠٠,٠
المستوى التعليمي	ابتدائي	٧	٧,٤
	إعدادي	١٥	١٠,٠
	ثانوية	٤٥	٣٠,٠
	جامعي	٧٧	٥١,٣
	دراسات عليا	٦	٤,٠
	المجموع	١٥٠	١٠٠,٠
	المجموع	١٥٠	١٠٠,٠

يظهر من الجدول السابق ما يلي:

١- بلغ عدد الذكور في العينة (١٣١) بنسبة مئوية (٨٧,٣)٪، بينما بلغ عدد الإناث (١٩) بنسبة مئوية (١٢,٧)٪.

٢- بلغت أعلى نسبة مئوية لتوزيع أفراد العينة تبعاً لمتغير المستوى التعليمي (٥١,٣)٪ للمستوى التعليمي (جامعي)، بينما بلغت أدنى نسبة مئوية (٤,٠)٪ للمستوى التعليمي (دراسات عليا).

عرض ومناقشة النتائج

فيما يلي عرض نتائج الدراسة التي تهدف إلى التعرف على دور الأسرة السعودية في حماية أبنائها من مخاطر الإنترنت، وسيتم عرض النتائج بالاعتماد على أسئلة الدراسة:

السؤال الأول: ما دور الأسرة السعودية في حماية أبنائها من مخاطر الإنترنت؟

للإجابة عن هذا السؤال تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات أفراد العينة عن جميع فقرات أداة الدراسة، كما تم تطبيق اختبار (One Sample T-test) على الأداة ككل.

جدول (٢): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات أفراد العينة عن جميع فقرات أداة الدراسة (ن=١٥٠)

الترتبة	الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
١	١	أقوم بإلغاء المواقع التي تظهر فيها الصور والأفلام الفاجرة المنشورة على الإنترنت.	٤,٦٧	٠,٦٩
٢	٨	تذكر أبنائك أن هناك من يقوم بانتحال الشخصية في استخدام هوية شخصية بطريقة غير شرعية.	٤,٤٣	٠,٨٤
٣	١١	تبين لأبنائك المخاطر الاجتماعية الناجمة عن نشر بعض الحفلات الخاصة في الموبايلات.	٤,٣٩	٠,٨٩
٤	١٧	توضح لأبنائك طبيعة عاداتنا وتقاليدينا الاجتماعية وأهمية الالتزام بها.	٤,٣٧	٠,٨٦
٤	٢٠	تشعر بأنك تؤثر إيجابياً في سلوك الأبناء من خلال الحديث معهم.	٤,٣٧	٠,٧٨
٦	٤	أشجع السلطات المسؤولة في وضع نظام للرقابة في حالات الإنترنت التي تفتح للشباب لما دون (١٨) سنة.	٤,٣١	٠,٨٢
٧	١٢	عند جلوس أبنائك لمدة طويلة على خطوط الإنترنت هل تسألهم عن سبب جلوسهم مدة طويلة.	٤,١٤	١,٠٨
٨	٩	تنبه أبنائك عن جرائم الاحتيال والنصب الموجودة في الإنترنت.	٤,١٢	١,١٧
٩	١٠	اتفق مع الرأي الذي يوجب متابعة الأبناء في كل وقت.	٤,١٠	٠,٩٢
١٠	١٨	اعلم أبنائي أن أول شيء يقوم به عند استخدامه الإنترنت لأول مرة هو فتح موقع نصائح السلامة في كيفية التعامل مع التكنولوجيا المتطورة.	٤,٠٦	١,١١
١١	٧	تصح أبنائك بعدم تصديق كل ما موجود على الإنترنت من معلومات	٤,٠٤	٠,٧٩
١٢	٥	توعز أحد وأهم الأسباب الرئيسة في تغير سلوك هذا الجيل من الأبناء إلى التقنية الحديثة.	٣,٩٦	٠,٩١
١٣	٣	أمنع أبنائي في مرحلة المراهقة من الذهاب إلى صالات ومقاهي الإنترنت.	٣,٩٢	١,١٠
١٤	١٤	تناقش أبنائك عن الآثار النفسية والاجتماعية للإنترنت على الفرد والمجتمع.	٣,٨٦	٠,٩٤
١٤	١٦	تحاول أن تضبط سلوك أبنائك من خلال استخدام القوة إذا لزم الأمر.	٣,٨٦	١,١٠

الرتبة	الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
١٦	١٩	تقوم بالإجابة على جميع الأسئلة التي يطرحها الأبناء عليك حول الإنترنت والموبايل	٣,٨٤	١,١٨
١٧	٢	التقنية الحديثة لها أضرار على الأبناء من الناحية الأخلاقية.	٣,٨٢	٠,٩٩
١٧	١٥	يثير اهتمام أبنائك الحديث الذي يدور عن سلبيات التقنية الحديثة.	٣,٨٢	١,٠٣
١٩	٦	تنبيه الأبناء إلى عدم استلام رسائل البريد الإلكتروني التي لم يطلبها.	٣,٧١	١,٠٤
٢٠	١٣	تحاول معرفة المواقع التي دخل إليها أبنائك أثناء استخدامه للإنترنت	٣,٦٣	١,٢٩
٢١	٢١	تمنع أبنائك من القيام بالردشة مع مجموعات لا يعرفها.	٣,٥١	١,٢١
٢٢	٢٢	تعرف من هم أصدقاء أبنائك على Chat (غرفة الدردشة).	٣,٢٧	١,٢٤
الأداة ككل / دور الأسرة السعودية في حماية أبنائها من جرائم الإنترنت				
			٤,٠١	٠,٣٩

يظهر من الجدول السابق أن المتوسطات الحسابية لإجابات أفراد العينة عن فقرات أداة الدراسة تراوحت بين (٢٧،٣-٤،٦٧)، حيث كان أعلاها للفقرة (١) «أقوم بإلغاء المواقع التي تظهر فيها الصور والأفلام الإباحية المنشورة على الإنترنت» بدرجة تقييم مرتفعة، بينما كان أدناها للفقرة (٢٢) «تعرف من هم أصدقاء أبنائك على Chat (غرفة الدردشة)» بدرجة تقييم متوسطة، وبلغ المتوسط الحسابي للأداة ككل (٤،٠١) بدرجة تقييم مرتفعة.

جدول (٣): نتائج تطبيق اختبار (One Sample T-test) على الأداة ككل /

دور الأسرة السعودية في حماية أبنائها من مخاطر الإنترنت (ن=١٥٠)

الأداة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجات الحرية	الدالة الإحصائية
دور الأسرة السعودية في حماية أبنائها من جرائم الإنترنت	٤,٠١	٠,٣٩	٤٨	٠,٠٠

يظهر من الجدول السابق أن قيمة (T) للأداة ككل/ دور الأسرة السعودية في حماية أبنائها من مخاطر الإنترنت بلغت (٣١,٤٤) وهي قيمة موجبة ودالة إحصائياً عند مستوى الدلالة (٠,٠٥ α)، وهذا يدل على وجود دور إيجابي وهام للأسرة السعودية في حماية أبنائها من مخاطر الإنترنت.

ويرى الباحث أن الإنترنت ووسائل الاتصال والتواصل أثرت بدورها على الأسرة والمجتمع بشكل كبير، حيث تلعب الأسرة دوراً هاماً ورئيساً في وقاية أبنائها من مظاهر الانحراف، وذلك من خلال محاربتها ومحاولة الحد من مخاطرها على أفرادها، من

خلال المتابعة والتوجيه والإرشاد للأبناء، ولما للأسرة من دور في عملية التنشئة الاجتماعية السوية كالتوجيه والإرشاد والحوار والتعليم وما إلى ذلك من أساليب التنشئة الاجتماعية التي تلعب دوراً إيجابياً في الالتزام الديني والاجتماعي والأخلاقي النابعة من قيمنا وعاداتنا تقاليدنا الاجتماعية. وهذه النتائج اتفقت مع ما خلصت إليه نتائج دراسة الساري (٢٠٠٩) ونتائج دراسة حسن (٢٠٠٩) وكذلك نتائج دراسة (٢٠٠٧) Lenhart & Madden التي أظهرت بعض التأثيرات السلبية على استخدامات الإنترنت كأعراض الإدمان، وخلق بعض الصدمات العاطفي، وانعكاساتها السلبية على علاقاتهم الأسرية والعائلية.

السؤال الثاني: هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha = 0,05$) في دور الأسرة السعودية في حماية أبنائها من مخاطر الإنترنت تبعاً لمتغير الجنس؟

للإجابة عن هذا السؤال تم تطبيق اختبار (Independent Samples T-Test) على الأداة ككل تبعاً لمتغير الجنس، جدول (٤) يوضح ذلك.

جدول (٤): تطبيق اختبار (Independent Samples T-Test) على الأداة ككل تبعاً لمتغير الجنس (ن=١٥٠)

الجنس	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	T	درجات الحرية	الدلالة الإحصائية
ذكر	٣,٩٨	٠,٤١	-٠,٢٠	١٤٨	٠,٠٤
انثى	٤,١٧	٠,١٨	٠,٠٧		

يظهر من الجدول السابق أن هناك فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha = 0,05$) في دور الأسرة السعودية في حماية أبنائها من مخاطر الإنترنت تبعاً لمتغير الجنس، حيث بلغت قيمة (T) (٢,٠٧) وهي قيمة دالة إحصائية، حيث تبين أن الفروق لصالح الإناث بمتوسط حسابي (٤,١٧).

ويعزى الباحث السبب في ذلك لما تولية الأسرة العربية من حماية وحرص على مكانة الفتاة خصوصاً في عصر الإنترنت وما تتعرض له الفتيات من معاكسات ومضايقات قد تؤدي إلى نتائج لا تحمد عقباها، وبالتالي نجد أن الزوجة ولكونها هي المسؤولة عن حماية تربية الأبناء تكون أكثر حرصاً على الأبناء (الإناث) وهذا يعود لأسباب اجتماعية ودينية تتداخل مع عادات وتقاليدها مجتمعاتنا المحافظة وأعرافها من جهة، ومع ديننا الإسلامي الحنيف. ويتفق حسن (٢٠٠٤) مع ما تم ذكره إذا يبين بعض

الجرائم الإلكترونية التي قد يتعرض لها الأبناء ومن هذه الجرائم: انتحال الشخصية، المضايقة والملاحقة، الإغراء والاستدراج. واتفقت نتائج الدراسة الحالية مع نتائج دراسة داوود (٢٠١٢) و (٢٠١١) Al-Saggaf و (٢٠٠٧) Lenhart & Madden، حول مدى قلق الفتيات على خصوصيتهن، والتأثيرات الجانبية للتقنيات الحديثة.

السؤال الثالث: هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha = 0,05$) في دور الأسرة السعودية في حماية أبنائها من مخاطر الإنترنت تبعاً لمتغير المستوى التعليمي؟

للإجابة عن هذا السؤال تم تطبيق تحليل التباين الأحادي (ANOVA) على الأداة ككل تبعاً لمتغير المستوى التعليمي، جدول (٥) يوضح ذلك.

جدول (٥): تطبيق تحليل التباين الأحادي (ANOVA)

على الأداة ككل تبعاً لمتغير المستوى التعليمي (ن=١٥٠)

الدلالة الإحصائية	F	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	المستوى التعليمي
٠,٣٤	١,١٤	٠,٢٢	٣,٧٠	ابتدائي
		٠,٥٤	٣,٨٥	إعدادي
		٠,٤٠	٤,٠٦	ثانوية
		٠,٣٦	٤,٠٦	جامعي
		٠,٣٩	٣,٦٤	دراسات عليا

يظهر من الجدول السابق عدم فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha = 0,05$) في دور الأسرة السعودية في حماية أبنائها من مخاطر الإنترنت تبعاً لمتغير المستوى التعليمي، حيث بلغت قيمة (F) (١,١٤) وهي قيمة غير دالة إحصائياً.

ويرى الباحث ان انتشار التعليم بين كافة فئات المجتمع على اختلاف جنسهم أو اعمارهم ساهم في وجود وعي ثقافي بالمستجدات التي طرأت على حياة الناس وخصوصاً تلك المتعلقة بالتقنيات الحديثة، وعليه فأننا نجد ان الزوجين يتفقان حول ضرورة مراقبة أو متابعة سلوكيات ابناءهم في تعاملهم مع الإنترنت ووسائل الاتصال والتواصل الحديثة. واتفقت نتائج هذه الدراسة مع ما توصلت إليه نتائج دراسة (٢٠٠٧) Lenhart & Madden إلى ضرورة متابعة ومراقبة أحد الوالدين أبنائهم أثناء استخدامهم للإنترنت.

الاستنتاجات

- في ضوء هذه النتائج فإن الدراسة الحالية توصلت إلى الاستنتاجات التالية:
- أن المتوسطات الحسابية لإجابات أفراد العينة عن فقرات أداة الدراسة تراوحت بين (٢٧، ٣-٦٧، ٤)، حيث كان أعلاها للفقرة (١)، بينما كان أدناها للفقرة (٢٢)، وبلغ المتوسط الحسابي للأداة ككل (٤، ٠١) بدرجة تقييم مرتفعة.
 - هناك فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha = ٠,٠٥$) في دور الأسرة السعودية في حماية أبنائها من جرائم الإنترنت تبعاً لمتغير الجنس، حيث تبين أن الفروق لصالح الإناث.
 - عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha = ٠,٠٥$) في دور الأسرة السعودية في حماية أبنائها من جرائم الإنترنت تبعاً لمتغير المستوى التعليمي.

التوصيات

- في ضوء هذه النتائج فإن الدراسة الحالية تقدم التوصيات التالية:
- استغلال وسائل الاعلام لتوضيح إيجابيات وسلبيات وسائل التقنيات الحديثة على أبنائنا.
 - غرس ثقافة الحوار في نفوس الأبناء منذ الصغر وتوعيدهم على الحوار مما سينعكس إيجاباً على اتجاهاتهم وسلوكهم في تعاملهم مع الآخرين في المجتمع، وكذلك مع الاستخدام الإيجابي لوسائل التقنية الحديثة.
 - إزالة الحواجز بين الآباء والأبناء، مما يساعد الأبناء من تجارب آبائهم في الحياة وتوجيهاتهم، مثلما لا يفوت على الآباء فرصة مراقبة أبنائهم ومساعدتهم تذليلاً لما قد يعترضهم من صعاب.
 - ترسيخ كل معاني الإنسانية وطرق الحفاظ على حرارة العلاقات الاجتماعية والأسرية.
 - إجراء دراسات مشابهة لإثراء المكتبات وتوسيع مفهوم ثقافة الاستخدام الآمن للإنترنت.

المراجع

- البسيوني، محمد علي، (٢٠٠٩) دولة الـ Face Book، دار الشروق، القاهرة.
- داؤد سفانة احمد (٢٠١٢) «دور الأسرة الموصلية في الحد من جرائم التقنية الحديثة»، دراسة ميدانية في مدينة الموصل، دراسة علمية غير منشور، قسم التربية الخاصة، كلية التربية الأساسية / جامعة الموصل تاريخ الاستلام ٢٠١٢/٤/٢ تاريخ القبول ٢٠١٢/٦/٧.
- سليمان محمود (٢٠٠٦)، الطفل العراقي بين إشكالية التنشئة الاجتماعية والتعبير الاجتماعي، بحث مقدم ضمن محاضرات الموسم الثقافي الأول لمركز أبحاث الطفولة والأمومة، مطبعة العين، بغداد.
- عبد الوهاب، مصطفى رضا والعامري، خالد (١٩٩٨) الإنترنت، ط١، سلسلة الفاروق المتطورة، دار الفاروق للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.

-سلمان، محمود محمد (٢٠٠٦)، **الطفل العراقي بين إشكالية التنشئة الاجتماعية والتغيير الاجتماعي**، بحث مقدم ضمن محاضرات الموسم الثقافي الأول لمركز أبحاث الطفولة والأمومة، مطبعة القيس، بغداد، ٢٠٠٦، ص ١٥٨-١٥٩.

-كمال، هناء (٢٠٠٩)، **الآثار النفسية والاجتماعية لتعرض الجمهور المصري لشبكة الإنترنت**، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الإعلام، جامعة القاهرة.

-المنصور، محمد (٢٠١٢) «تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على جمهور المتلقين، دراسة مقارنة للمواقع الاجتماعية والمواقع الإلكترونية، العربية أنموذجاً» رسالة ماجستير غير منشورة، مجلس كلية الآداب والتربية /الأكاديمية العربية في الدنمارك.

-وازي، طاموس وخوجة، عادل يوسف (٢٠١٢) وسائل التكنولوجيا الحديثة وتأثيرها على الاتصال بين الآباء والأبناء (الإنترنت والهاتف النقال نموذجاً). ضمن وقائع الملتقى الوطني الثاني حول: **الاتصال وجودة الحياة في الأسرة**، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، أيام ١٠/٠٩ أفريل.

-حسن محمد صديق محمد (٢٠٠٤)، **الإنترنت في خدمة العملية التربوية**، لنشا المزاي والسلبات، مجلة التربية، ع ٥٩، اللجنة الوطنية القطرية.

-حسن، أشرف جلال. (٢٠٠٩). أثر شبكات العلاقات الاجتماعية والتفاعلية بالإنترنت ورسائل الفصائيات على العلاقات الاجتماعية والاتصالية للأسرة المصرية والقطرية: دراسة تشخيصية مقارنة على الشباب وأولياء الأمور في ضوء مدخل الإعلام البديل. مقدمة إلى أعمال مؤتمر كلية الإعلام، جامعة القاهرة وهو بعنوان: **«الأسرة والإعلام وتحديات العصر»**، والذي عقد في الفترة ما بين ١٥-١٧ فبراير ٢٠٠٩م.

-الساري، حلمي خضر. (٢٠٠٩). **ثقافة الإنترنت.. دراسة في التواصل الاجتماعي**. منشورات وزارة الثقافة، عمان، الأردن.

-خضر، نرمين زكريا. (٢٠٠٩). **الآثار النفسية والاجتماعية لاستخدام الشباب المصري لمواقع الشبكات الاجتماعية: دراسة على موقع الفيسبوك**. مقدمة إلى مؤتمر كلية الإعلام، جامعة القاهرة، بعنوان **«الأسرة والإعلام وتحديات العصر»**، والذي عُقد في الفترة ما بين ١٥-١٧ فبراير ٢٠٠٩م.

-Sean P. Hagerty (2008), an examination of uses and gratiations of YOUTUBE, Unpublished Master thesis, Depatment of Communication, Villanova universety, P. 93.

- Limited, <<http://www.managementfirst.com.resorces/studies/elearning>>. php, Accessed Date: 11/2/2007. 2013\10\1 آخر دخول للشبكة العنكبوتية

- Long, Larry, (1991) Introduction to Computer and Information Processing, 3rd Edition, Prentice-Hall Inc., Englewood, Cliffs, New Jersey, USA.

- Al-Saggaf, yeslam. (2011). Saudi Females on Facebook: An Ethnographic Study. International Journal of Emerging Technologies & Society. Vol. 9, No. 1, 2011, pp: 1-19.

- Muise, Amy. Christofides, Emily & Desmarais, Serge. (2009). More Information than you Ever Wanted: Does Facebook Bring out the Green-Eyed Monster of Jealousy.?, Cybersychology & Behavior. Vol. 12, No. 4, 2009, pp. 441-444.

- Lenhart, Amanda & Madden, Mary. (2007). Teens, privacy & online social networks: How teens manage their online identities and personal information in the age of Myspace. Pew Internet & American life project. www.pewinttent.org/. Viewed Feb. 10th. 2012.

العوامل المؤدية لظهور أطفال الشوارع

د. خديجة عجابي

الملخص

الواقع الاجتماعي يطرح عدة تناقضات نلمسها من خلال ظواهر اجتماعية تظهر على عدة مستويات فيعيق التطور والسير الطبيعي للمجتمع من خلال مؤسساته الرئيسية (الأسرة والمدرسة) والتي تساهم في إعادة إنتاج المجتمع عن طريق قيم العصرية والتطور، فإن هي ذاتها تعاني من مشاكل تظهر من خلال تدني المستوى المعيشي واكتظاظ المساكن بالأفراد وضيق الغرف كثيراً ما يحاول علماء الاجتماع إظهار تأثيرها على التوازن البيولوجي للفرد... هنا تبدأ الصراعات الحادة وكل ما سبق يقود لجملة من ردود الأفعال مثل التشرد والانحراف.

تعد الأنماط التربوية التي نغرسها في نفس الطفل الأساس في بناء العلاقات الاجتماعية المستقبلية، فالأسرة تقوم بعمليات التنشئة الاجتماعية الأولى له وتتميته خلقياً وعقلياً ونفسياً، وفي ظل التغيرات التي حدثت على مستوى البنية الفكرية للمجتمع التي أدت إلى اختلال في سلم القيم والمعايير الاجتماعية الذي ترك أثراً واضحاً في بعض سلوكيات الأفراد التي خرجت عن الوضع المألوف وكنتيجة حتمية لهذا الاختلال ظهرت الكثير من المشكلات الاجتماعية أظهرت صراعاً حاداً.

• أستاذة جامعية / الجزائر. ajabikh@yahoo.fr

مقدمة

الأسرة مهد الشخصية وهي مصدر لتكوين خبرة الطفل في الحياة، وهي الجسر الذي يوصل الطفل إلى المجتمع وإلى حياته الجمعية، وهي المدرسة التي يتعلم من خلالها أسس معرفته الأولى ومبادئ ثقافته، وهي الجماعة الأولية الجوهرية التي ينتمي إليها الفرد دون اختياره.

ومما سبق تظهر مقومات الأسرة ووظائفها فبالإضافة إلى دورها في استمرار الجنس البشري، تضمن إلى جانب ذلك تقويم سلوكيات أفرادها وتوجيههم ووقايتهم من مختلف المؤثرات التي تؤدي إلى تشردهم انحرافهم ولا يتأتى ذلك إلا إذا ضمنت الأسرة استمرارها ولم تتعرض للتشتت والتفكك والعائلة في تركيبها المعاصرة فقدت الكثير من وظائفها التقليدية التي عرفت بها خلال عصور طويلة فقد تعرضت إلى تغيرات تناولت كيانه ووظائفها على حد سواء فهي لم تعد ذلك المركز الثقافي الذي يستقطب حوله كافة نشاطات الفرد وأدواره الاجتماعية المتعددة كما لم تعد العائلة اليوم تلك الوحدة الاقتصادية المتكاملة التي يعمل جميع أفرادها في إطار التعاون الكامل في سبيل الحفاظ عليها وديمومتها؛ لقد تفرق شمل العائلة المعاصرة وتبعثرت نشاطات أفرادها وحل بينهم التنافس والتناحر بدل من الاتفاق والتعاون، لقد صارت عائلة اليوم جماعة صغيرة متغيرة لا تعرف الثبات فهي لم تعد مركز إقامة دائم يأوي أفرادها مدة طويلة من الزمن، لقد فقدت العائلة المعاصرة غالبية وظائفها الاقتصادية والاجتماعية والتربوية والدينية.

لقد عرفت الجزائر هذا التحول خاصة بعد الاستقلال وبعد انتهاز سياسة التنمية المعتمدة على الصناعة وما صاحبها من هجرة ريفية نحو المدن لطلب العمل، وبفعل هذا الانتقال بدأت العائلات الموسعة تتناقص بنسبة ١٠ في المئة كل ٣٠ سنة^١، بينما العائلات النووية تتزايد بنفس النسبة وخلال نفس الفترة، وفي هذا السياق أصبحت العائلات النووية في المجتمعات المعاصرة محرومة من دعم العائلات الموسعة فإن مشاكل العائلة النووية تظهر في ضعف الرقابة على الأطفال وعليه يبدو منطقياً في كون أطفال العائلات المنحلة وخاصة المهاجرة من مناطق فقيرة أكثر عرضة للتشرد والانحراف.

يمثل الأطفال مستقبل المجتمع، فهم رجاله وصانعو مستقبله لذا كان لا بد من حمايتهم من مختلف المشاكل التي تواجههم وتؤثر على حياتهم ومن بين هذه المشاكل نجد البروز الخطير لظاهرة عمالة الأطفال على نطاق واسع في كثير من المناطق الجزائرية ولم تستثن منها المدن ولا الأرياف، ووسط الظروف المعيشية الصعبة التي

تعيشها شرائح واسعة والتي أدت إلى العيش في الفقر والحرمان، اضطرت الكثير من الأسر إلى أن تستعين بأطفالها لتوفير الحاجات الضرورية للعيش باستحداث مناصب عمل لهم بواسطة طاولات السجائر أو العمل في الحقول المجاورة للمدن أو كباعة متجولين بدل أن تقوم برعايتهم وتنمية ملكاتهم الذهنية والمعرفية بالإضافة إلى سلامة نموهم الجسمي والنفسي والاجتماعي وليس أن يتم انتهاك عالمهم الطفولي بإدماجهم في العمل، وقد كشفت آخر الإحصائيات الخاصة بالمنظمة الدولية للعمل ومنظمة اليونسيف أن هناك حوالي ٢٥٠ مليون طفل يتواجدون في سوق العمل في العالم ومن بين هؤلاء ٥٠٠ ألف إلى ٦٠٠ ألف طفل جزائري تتراوح أعمارهم ما بين ٧ إلى ١٧ سنة موجودون في سوق العمل (١) إن هذه الأرقام ليست نهائية وليست دقيقة لحجم الظاهرة سواء على المستوى المحلي أو الدولي. رغم توقيع الجزائر على مختلف الاتفاقيات الدولية التي تمنع تشغيل الأطفال، إلا أنها لم تكن بمنأى عن استغلال فئات منهم وبهذا أصبح الطفل بمثابة المتكفل بأسرته بدلاً من أن تتكفل به وتهتم بمستقبله.

لاشك أن الطفل الصغير يتأثر كثيراً بما يتعرض إليه داخل أسرته، ثم بزملائه، ثم بما يجري في المدرسة التي توفر برنامجاً تعليمياً لجميع الأطفال. لاشك أن ظروف الأسر في أي مجتمع ليست واحدة بالنظر لمختلف المؤشرات التي لها علاقة بطبيعة ونوع الحياة، توجد فروقات هامة بين أحوال أسر الريف وأحوال أسر المدينة. وكلما كبر حجم المدينة تنوع ظروف الأسر. تنقسم المدينة إلى عدد كبير من الأحياء السكنية وتوجد في كل مدينة عصرية أحياء ظروفها صعبة يسكنها الفقراء، وأخرى يسكنها أسر طبقات الاجتماعية الوسطى، وأحياء يشار إليها بالراقية ويسكنها أعضاء المجتمع الذين يحتلون مراكز اجتماعية عالية ودخولهم عالية، ظروف الحياة في هذه الأحياء مختلفة وفي بعض المدن.

درجة التباين في مستويات المعيشة كبيرة جداً في نفس الوقت يتعرف جميع سكان المدينة الكبيرة المختلفين اقتصادياً على ما يوجد في المجتمع من سلع ومواد بمستويات مختلفة، هذه جميعها معروضة في المتاجر وبشكل يغري المتفرج على الرغبة في الاقتناء، كما تساهم برامج الآلام في تضخيم صورة السلع والمواد غالية الثمن مما يساعد على ارتفاع درجة التطلعات عند الجميع الذين يملكون والذين لا يملكون، وبعبارة أخرى يتساوى جميع أعضاء المجتمع في التطلع نحو النجاح المادي بغض النظر عن ظروفهم التي ستجعل من هذا النجاح أمراً ممكناً أو أمراً مستحيلًا.

مقدمة

المحور الأول: مدخل منهجي والدراسات السابقة

- ١ - المدخل المنهجي
- الإشكالية وفرضيات الدراسة
- منهج الدراسة وأدواته
- تحديد لبعض المتغيرات
- ٢ - الدراسات السابقة

المحور الثاني: حقوق الطفل

- ١ - في الشريعة الإسلامية
- ٢ - المجتمع الدولي
- ٣ - الميثاق العربي لحقوق الطفل

المحور الثالث: العوامل المؤدية لظهور أطفال الشوارع

- ١ العوامل الأسرية (التفكك الأسري)
 - ٢ عامل الفقر (اشتغال الأطفال)
 - ٣ العلاقات الجنسية المنحرفة (الأمهات العازبات)
 - ٤ تحديات العولمة والإعلام
- ### المحور الرابع: سبل المعالجة

المحور الأول: مدخل منهجي والدراسات السابقة

١ - المدخل المنهجي

- أهمية الموضوع

يستمد هذا البحث أهميته من أهمية الفئة التي يتناولها بالدراسة ألا وهي الطفولة وما تلعبه هذه الشريحة في مستقبل الأفراد والمجتمعات من أدوار فعالة في شتى مجالات الحياة وكذا بالنظر إلى انتشار ظاهرة عمل الأطفال بالشارع وما ينجر عنها من انزلاقات ومخاطر قد تفتك بأطفالنا إن لم نعر هذه الظاهرة الدراسة والاهتمام اللازمين ومحاولة القضاء عليه قبل فوات الأوان، وفي هذا السياق جاءت هذه الدراسة للكشف عن إحدى أهم المشكلات التي تدفع بالطفل للخروج للشارع.

- الإشكالية

الواقع الاجتماعي يطرح عدة تناقضات نلمسها من خلال ظواهر اجتماعية تظهر على عدة مستويات فيعيق التطور والسير الطبيعي للمجتمع من خلال مؤسساته الرئيسية (الأسرة والمدرسة) والتي تساهم في إعادة إنتاج المجتمع عن طريق قيم العصرية

والتطور، فإن هي ذاتها تعاني من مشاكل تظهر من خلال تدني المستوى المعيشي واكتظاظ المساكن بالأفراد وضيق الغرف والمساكن الهشة كثيراً ما يحاول علماء الاجتماع إظهار تأثيرها على التوازن البيولوجي للفرد.. هنا تبدأ الصراعات الحادة وكل ما سبق يقود لجملة من ردود الأفعال مثل التشرد، الانحراف.. إلخ

تعتبر ظاهرة الأطفال الشوارع من أخطر الظواهر التي شهدت توسع خلال العقدتين الأخيرين، وهي نفس الفترة التي تناما معها النظام الرأسمالي القائم على العولمة، فهذا الوضع الاقتصادي الجديد قد خلف العديد من الأزمات الاقتصادية والاجتماعية على مستوى العالم وبشكل مضاعف على البلدان النامية، فكان تطبيق العديد من سياسات الإصلاح الهيكلي للنهوض باقتصاديات هذه الدول ولمواكبة الوضع الراهن برزت الكثير من الآثار السلبية خاصة على الطبقات الفقيرة بتدني القدرة الشرائية زيادة البطالة وبإلتهام وإقصاء الاجتماعي للفقراء وبتضخم هذا الوضع، كان الارتقاء التدريجي للعلاقات الأسرية وللقيم خاصة بعد زيادة معدلات النمو الحضري بفعل الهجرة هروباً من العمليات الإرهابية المسلحة. تاركين وراءهم كل ما يملكونه فأمام هذه المعاناة الشديدة، أصبحت الأسرة عاجزة عن أداء وظيفتها التربوية سواء من الناحية الاقتصادية أو من ناحية صعوبات البيئة أو من الناحية صعوبات الحياة اليومية، فإن الكثير من الأسر تمضي معظم وقتها بحثاً عن سبيل الحياة، ولا تستطيع التغلب على ضغوط المحيط الصعب أو إيجاد سبل أمامها لأداء وظيفتها التربوية بكل فعالية، مما يؤدي إلى إهمالها لواجباتها التربوية وتحرر الطفل إلى حد كبير في بيئته الحضرية، إذ أصبح الشارع يحمل العبء الأكبر في عملية التنشئة الاجتماعية، الملاحظ أنه بالرغم من وجود ترسانة من المواد الخاصة بالطفل إلا أن واقع الطفولة ببلادنا لا يزال متدهوراً بل لا يختلف كثيراً عما هو عليه في الكثير من البلدان خاصة العالم الثالث، ولعل المرأة الحقيقية العاكسة لهذا الوضع تقشي ظاهرة عمالة الطفولة واستغلال هذه الشريحة في بعض الأنشطة الاقتصادية والتجنيد في الحروب والمتاجرة في المخدرات وممارسة الجنس.

- الفرضيات

١- توجد علاقة بين التفكك الأسري والعلاقات الجنسية المنحرفة وظهور أطفال الشوارع.

٢- انخفاض المستوى الاقتصادي للأسرة يزيد في دخول الأطفال إلى سوق العمل ومنه إلى الشارع.

- منهجية الدراسة

لكل بحث علمي مناهج يعتمد عليها للوصول إلى الحقائق بكل موضوعية وأمانة علمية، وتكمن فاعليته في تصميم البحث وتحليل الجداول واستنتاج النتائج، واستخدمت هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي حيث يركز على طبيعة معينة لمجتمع معين، وكما يعتمد على رصد ووصف وتحليل الظاهرة موضع حجمها ودرجات ارتباطها مع الظواهر المختلفة الأخرى، ومن الأدوات المستعملة في هذه الدراسة المقابلة شبه الموجهة أداة للبحث والتي نعتبر أنها الأنسب في مثل هذه الأعمال الميدانية المتجهة إلى فئة الأطفال. كما قمنا بدراسة بعض ملفات الذين مروا بمؤسسات الدفاع والإدماج الاجتماعي.

ويرجع سبب اختيارنا لهذا المنهج هو قدرته في تجلية دقائق الواقع المركب للظاهرة الاجتماعية عموماً وظواهر الطفولة على وجه الخصوص. وتيسّر لنا بذلك الحصول على نتائج نعتبر أنها هامة وتفيد في فهم ظاهرة أطفال الشوارع.

- المفاهيم

تعريف التربية: هي عملية شاملة تتناول في الإنسان جسده، نفسه، عقله، عاطفته، سلوكه، مواقفه، شخصيته، مفاهيمه، وطريقة حياته وطرق تفكيره وتتناوله في البيت والمدرسة وفي الشارع النادي... الخ، في الوطن وفي العالم الواسع فالتربية تعين الفرد على تحقيق دوافعه وغاياته، وكذلك تزويد الأجيال الناشئة بخبرات المجتمع السابقة وبالطرق التي ابتدعها المجتمع لمواجهة الحياة وقضاء الحاجيات والتعامل بين الناس»^(٢).

تعريف الرعاية: الرعاية لغة تعني مراعاة الأمر والحفظ والمراقبة، ورعاية الطفولة بمعناها الواسع تلك النشاطات والجهود المتجددة التي تتصل بإشباع حاجات الطفل في نوعها وتجدها وشموليتها وفق مجالاتها الجسمية والصحية والاجتماعية لتكون في إطار من التوازن والتكامل»^(٣).

تعريف التنشئة الاجتماعية: تعتبر التنشئة الاجتماعية في رأي عالم «الإنثربولوجيا الأمريكي» «هيرسكوفيتس» «هي مجموعة من التكاليفات يقوم بها الفرد اتجاه زملائه من أفراد جماعته ابتداءً من الأسرة حتى يشمل سائر المجتمعات الأخرى وحتى يصبح ذا وظيفة كاملة»^(٤).

ويمكن تعريف التنشئة الاجتماعية بأنها «عملية تعلم وتعليم وتربية تقوم على التفاعل الاجتماعي، وتهدف إلى إكساب الفرد سلوكاً ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة تمكنه من مسايرة جماعته والتوافق الاجتماعي معها وتكسبه الطابع الاجتماعي».

تعريف الطفل غير الشرعي: هو الطفل الذي يولد في ظروف شاذة من أم عازبة أو من رجل وامرأة غير متزوجين، اللقيط في الشرع هو الوليد الذي لا يعرف له أب ولا أم أو الطفل الذي لا يعرف نسبه.^(٥)

تعريف أطفال الشوارع: هم الأطفال الذين يخرجون أو يفرون من أسرهم لعوامل متنوعة كذلك الأطفال الغير شرعيين فيعيش هؤلاء حياة التشرد، ويصف علماء الاجتماع هؤلاء بأنهم ضحايا ظروف تتميز بالاضطراب فتقذف بهم إلى الشارع، وقد تؤدي بهم إلى الانحراف ومن ثم الجريمة.

تعريف العنف: لقد أسهب الباحثون في تحديد مفهوم العنف كل من زاويته فيعرفه جميل صليبا في معجمه الشهير «المعجم الفلسفي» بكونه فعل مضاد للرفق ومرادف للشدة والقسوة، أما في معجم «قاموس علم الاجتماع» فإن العنف يظهر عندما يكون ثمة فقدان للوعي لدى أفراد معينين أو في جماعات ناقصة المجتمعية وبهذه الصفة يمكن وصفه بالسلوك اللاعقلاني، في حين يرى بول فولكي في قاموسه التربوي أن العنف هو اللجوء غير المشروع إلى القوة سواءً للدفاع عن حقوق الفرد أو عن حقوق الغير، أما أندري لالاند فقد ركز على تحديد مفهوم العنف بأنه عبارة عن فعل أو عن كلمة عنيفة وهذا ما يدخل في إطار العنف الرمزي، فأول سلوك عنيف هو يبتدئ بالكلام ثم ينتهي بالفعل، وهكذا فتحددات العنف وإن اختلفت إلا أن الجميع يقر على أنه سلوك لاعقلاني مؤذي غير متسامح.

٢ - الدراسات السابقة

- دراسة لمياء مجادي (٢٠٠٢)؛ بعنوان العوامل المؤدية إلى تشغيل الأطفال: دراسة لنيل شهادة الماجستير، انطلقت الدراسة من إشكالية رفض الأطفال للمستوى الاقتصادي المتدني للأسر والذي ساهم في اشتغالهم لمساعدة أسرته، وكانت أهم نتائج الدراسة:
 - ارتفاع نسبة الأطفال المشتغلين ترتبط بنوع المعاملة من طرف الأولياء، كما أن الأم لها تأثير كبير في دفع الأطفال إلى ممارسة نشاط اقتصادي لجلب المال.
 - كما أن ارتفاع نسبة الأطفال المشتغلين في المجتمع تزداد كلما ازدادت نسبة التسرب المدرسي.

- دراسة حمير الراس عبد القادر ١٩٩٣؛ وكانت تدور حول أثر الوسط الأسري في تعاطي المخدرات في البليدة، وقد خلصت الدراسة إلى النتائج التالية:

- أكثر من ٦٠ ٪ من الآباء والأمهات يعاملون أبناءهم بقسوة باستعمال الضرب.
- كما أن التدليل الزائد والتسامح المفرد هما سبب الانحراف.

- ٦٠٪ من المخالفات هي مخالفات احتياج من أبرزها السرقة.
- يوجد ٥٠ ٪ من أباء المبحوثين ارتكبوا جرائم، ١٠، ٩ ٪ من أمهاتهم ارتكبن جرائم.

• دراسة الباحث ناصر ثابت في دولة الإمارات العربية المتحدة وشملت الدراسة الأفراد المواطنين أو الوافدين الذين يستعملون مادة الغراء والغازات قصد استنشاقها كبديل عن المخدرات، وكانت نتائج هذه الدراسة استنشاق الغراء والغازات يتم أساساً في الأماكن المهجورة والبعيدة ثم الأماكن العامة، أغلب الممارسين لعادة استنشاق الغازات بدأ مع الأصدقاء، أكثر المواد استعمالاً بين المتعاطين هي مادة الغراء، واكتساب هذه الظاهرة تعود حسب ترتيبها مخالطة الأصدقاء الممارسين لهذه الظاهرة، زيادة وقت الفراغ، كثرة المشاكل الأسرية، محاولة الهروب من الواقع المعانات من الغربة.

- دراسة إيزيدور ستاشين Isidor Chein حول مدمني المخدرات بالولايات المتحدة الأمريكية في نيويورك، وقد اهتمت بتحليل أسباب تعاطي المخدرات وعلى الوضع العام للمتعاطي من الجانب الاجتماعي والاقتصادي من حيث المنطقة السكنية والمستوى التعليمي وانخفاض الدخل بالإضافة إلى التفكك الأسري وتوصل الباحث إلى ما يلي:
 - المناطق السكنية التي ينتشر فيها تعاطي المخدرات هي أكثر حرماناً وفقراً وازدحاماً، وحتى داخل هذه المناطق السيئة فإن المخدرات تنتشر أكثر في الأجزاء التي يكون الدخل فيها شديد الانخفاض والمستوى التعليمي منخفض ويسودها التفكك الأسري،
 - الحرمان الاقتصادي للأسر والبطالة والمسكن السيئ من العوامل التي ترتبط بجنوح الأحداث، كما أن هناك تشابه في الظروف السيئة لكل من الأحداث الجانحين ومدمني المخدرات.

المحور الثاني: حقوق الطفل

يرتبط موضوع حقوق الطفل بحاجات الطفولة ومطالب النمو في أبعادها الجسمية والاجتماعية والأخلاقية والقانونية، وضمان هذه الحقوق تعد من المسائل الجوهرية في رعايته، خاصة وأن الطفولة عموماً تتميز بالضعف والعجز عن إشباع الحاجات وتقدير المسؤوليات وحاجاتها المطلقة لمن يأخذ بيدها ويشبع حاجاتها ويقوم بحقوقها ويضمن تطبيقها.^(١)

لقد حظيت حقوق الطفل باهتمام المجتمع الدولي، ويعود هذا الاهتمام بشكل محدد منذ إعلان جنيف عام ١٩٢٤ إذ تبنت عصبة الأمم آنذاك نصاً للإعلان الدولي مكوناً من خمسة بنود اقترحه الاتحاد الدولي لصندوق دعم الطفل، وقد طور هذا الإعلان فيما بعد ليصبح الأساس والمرجع الذي يستمد منه الإعلان العالمي لحقوق الطفل عام ١٩٥٩ جذوره، وليكون دليلاً دولياً عاماً يهتدى به في ترسيخ حقوق الطفل، وتأسيس رعايته على مبادئ عامة كما أشار الإعلان العالمي لحقوق الطفل أن الأطفال المحرومين (الأطفال غير الشرعيين) يتمتعون بالحقوق نفسها التي يتمتع بها الأطفال العاديين، وهذا في بنده السادس الصادر في ٢٠/١١/١٩٥٩^(٧) وعلى العموم يمكن تتبع أهم حقوق الطفل في الشريعة الإسلامية والمجتمع الدولي إضافة إلى الجهود العربية المبذولة في مجال حقوقه.

حق الطفل في النفقة: وهو حق ارتبط بعجز الطفل عن تسيير المال اللازم لنفقته مع احتياجه إليه، وعليه رتب الشرع الشريف حقوق الأطفال في أن يقوم آبائهم أو من له حق الولاية عليهم قال تعالى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعَتِهِ وَمَن قَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ (الطلاق: ٧)

الحق في النسب: لقد أثبت الإسلام حق المولود في النسب لأبيه أو إلى أمه إن كانت حملته من سفح أو من اغتصاب، وفيما يلي الأحكام الشرعية المتعلقة بإثبات النسب، قد تلد الزوجة ولداً حال قيام الزواج أو حال عدتها من الطلاق وقد ينفي الزوج نسب هذا المولود منه فيلعبن زوجته أمام القاضي فيشهد بالله أربعة شهادات أن هذا المولود ليس منه قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * وَالْخَامِسَةَ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ * وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (النور: ٦-٩)، ويرتبط النسب الحقيقي في الإسلام بالزواج الشرعي وحرم الإسلام الزنا، لما يجره من اختلاط في النسب وفساد العلاقات الاجتماعية، ومثلما أعطى للطفل الحق في الحياة، فقد منحه الحق في الانتساب إلى أصوله.

الحق في الرعاية والمساواة: يعتبر حق الطفل في الحياة طبيعياً ومن نعم الخالق سبحانه وتعالى ففي العصور القديمة كان الناس لا يقيمون وزناً لهذا الحق، فيزهقوا أرواح الأطفال خشية الفقر والعار، فجاء القرآن الكريم ينهى عن القتل، وأعطى حق الحياة لكل

طفل، وتوعد الله المخالفين بأشد العقاب قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ﴾ (الأنعام: ١٥١).

وهكذا نجد الإسلام حفظ حق الطفل في الحياة وحرم قتله أو بيعه أو انتهاك كرامته، كما كفل للأطفال حق النفقة والرعاية من طعام وشراب وملبس، وإذا كان للأب الأجر والمثوبة في التوسعة على الأهل والإنفاق على العيال فإنه عليه بالتالي الوزر والإثم إذا أمسك عن الإنفاق على الأهل والأولاد وهو يستطيع، كما يسعى الإسلام لتربية الطفل وإعداده ليكون إنساناً صالحاً يتسلح بالإيمان ويتزود بالفضيلة ويعتاد أقوم العادات وأصحها في كل شأن من شؤون حياته، وإحاطته بالحب والحنان وتوفير الأمن والاستقرار للأولاد وتأديب الأطفال بأداب الإسلام والتساوي في الحقوق والواجبات. كما يعتبر الإسلام دين الحرية فأعطى للطفل حقه في الحرية الواعية المستتيرة المتمثلة في حرية الرأي وحرية القول والتصرف والحرية الاجتماعية. وهكذا نجد أن الحرية التي منحنا إياها الإسلام هي حرية منضبطة ومقيدة تستهدف إلى تقويم النشء وحمايته في هذه الفترة من العمر، وهي فترة التكوين بحيث ينشأ فيها الابن والبنت في محيط توجد فيه نوع من الرعاية حتى إذا ما بلغوا رشدهم أعطيت لهم الحرية في الاختيار والتفضيل لما يرونه صالحاً لهم على ضوء ذلك التكوين الواعي الدقيق المجتمع الدولي وحقوق الطفل: إن المؤتمر العالمي للطفولة المنعقد في ٣٠ سبتمبر عام ١٩٩٠ بنيويورك فقد جعل الطفل هدف هذا المؤتمر وركز على العمل والنهوض بهذه الفئة وذلك بحل المشاكل التي تعترض سبلها ودفعها إلى الرقي الاجتماعي والرفع من المستوى المعيشي في جو من الراحة والطمأنينة. كما أن اليونيسيف كغيرها من المنظمات وضعت أولى أهدافها أو بالأحرى من أبرز محاورها المركزية في اهتماماتها؛ ففي الإعلان العالمي لحقوق الطفل جاءت هذه المواد التي تنص على حماية الطفولة كما يلي:

+ تحترم الدول الأطراف الحقوق الموضحة في هذه الاتفاقية وتضمنها لكل طفل يخضع لولايتها دون أي نوع من التمييز، بغض النظر عن عنصر الطفل أو والديه أو الوصي القانوني عليه.

+ تتعهد الدول الأطراف بأن تضمن للطفل الحماية والرعاية اللازمين لرفاهية الطفل مراعية حقوق وواجبات والديه أو أوصيائه أو غيرهم من الأفراد المسؤولين عنه قانونياً.

+ تعترف الدول الأطراف بأن لكل طفل حقاً أصلياً في الحياة.

+ يسجل الطفل بعد ولادته فوراً ويكون له الحق منذ ولادته في الاسم واكتساب الجنسية ويكون له الحق في معرفة والديه وينشأ تحت رعايتها.^(٨)

- وثالثاً الميثاق العربي لحقوق الطفل: يشمل ميثاق حقوق الطفل العربي مجموعة من الحقوق الأساسية وهي كالتالي:
- + تأكيد كفالة حق الطفل العربي في الأمن الاجتماعي والنشأة في الصحة والعافية بما فيه التغذية والعلاج.
 - + تأكيد وكفالة الطفل العربي في أن يعرف باسم وجنسية معينة منذ ولادته.
 - + تأكيد وكفالة حق الطفل في التعليم المجاني والتربية في مرحلة ما قبل التمدرس والتعليم الأساسي كحد أدنى.
 - + تأكيد وكفالة حقه في الخدمة الاجتماعية والمؤسسية المتكاملة والمتوازنة الموجهة لكل قطاعات الطفولة.
 - + تأكيد وكفالة حق الطفل العربي في رعاية الدولة وحمايته من الاستغلال والإهمال الجسدي والروحي والاجتماعي.

المحور الثالث: العوامل المؤدية لظهور أطفال الشوارع

إن ظاهرة أطفال الشوارع كأى ظاهرة اجتماعية أخرى تساهم فيها عدة عوامل متداخلة ومتفاعلة ولا يمكن فصل أي منها عن الأخرى، بغض النظر عن مدى تأثير كل منها، وتجمع أغلب البحوث والدراسات التي تناولت هذه الظاهرة وما ارتبط منها بانحرافات الأطفال، إن الظاهرة تتحكم فيها عدة عوامل منها ما هو ذاتي ومنها ما هو بيئي.

١ - العوامل الاجتماعية

تتعدد هذه العوامل بتعدد نواحي الحياة، منها العوامل الأسرية ومنها الثقافية وغيرها ويمكن إدراج أهمها في الآتي:

- **عوامل البيئة الأسرية:** تلعب الأسرة الدور الرئيسي في تشكيل اتجاهات الطفل وتحديد ملامح شخصيته، فالطفل يكتسب سلوكه، وطريقة تفكيره وعاداته من خلال عملية التنشئة الاجتماعية التي يحظى بها داخل هذه المؤسسة الاجتماعية، فالطفل الذي يعيش في جو أسري سليم ومتوازن، ويتحقق له فيه الإشباع لحاجاته الانفعالية والعاطفية وبالتالي الاستقرار النفسي فإن ذلك يمكنه من القدرة على ضبط انفعالاته، وتمسكه بالحياة في الأسرة، على النقيض من ذلك فإن الطفل الذي يحى في جو انفعالي مضطرب فتتشكل شخصيته وفقاً لهذه الظروف، شخصية مضطربة وغير مستقرة، شخصية عاجزة عن التحكم في سلوكياتها وعلى تحمل الآخرين والتعامل معهم وتلعب العلاقة بين الوالدين

دوراً في هذا المجال، فإذا كانت هذه العلاقة سيئة وخالية من المحبة فهي تؤدي إلى تفكك الأسرة الذي اختلفت تسمياته فبعضهم يدعوه التفكك الأسري ويتم بفقد أحد الوالدين أو كليهما، أو الهجر أو غياب رب الأسرة مدةً طويلةً عن أسرته. والبعض الآخر يدعوه تصدع الأسرة، ويحدث في حالة وفاة أحد الوالدين أو كليهما أو الطلاق أو تعدد الزوجات وفريق ثالث يطلق عليه الأسرة المحطمة بسبب كثرة المشاجرات المستمرة أو الوفاة أو السجن لأحد الوالدين أو غيابه بصورة مؤبدة، وإذا جمعنا هذه التسميات نخرج بنتيجة واحدة وهي أن التفكك الأسري عبارة عن تصدع في العلاقات الأسرية بين الزوجين تارةً وبين الأبناء والآباء والأمهات تارةً أخرى فتتفكك الوحدة الأسرية وتتحلل أو يتمزق نسيجها الاجتماعي^(٩)، والتفكك الأسري يغيب نمو المسؤولية الاجتماعية لدى الأسرة رغم أن المسؤولية الاجتماعية تصبح ذاتية حيث يتكون لدى الطفل استعداداً لتحمل المسؤولية الاجتماعية واكتسابها ولأن للوالدين الدور الفاعل في تعزيز هذا الاستعداد وتهئية الظروف التي تشبع حاجته لهذه المسؤولية فإن غياب الرعاية الأبوية نتيجة التفكك الأسري لا يمكن الطفل من تحقيق المسؤولية الاجتماعية بصورتها المثالية التي تركز على تفتح الاستعداد الأخلاقي فتكون النتيجة سلبية على الأبناء.

- **عوامل التفكك الأسري:** ترجع مظاهر التفكك الأسري إلى عوامل متعددة ومتشابكة يصعب حصرها، وقد أشارت الدراسات العلمية التي قامت برصد الأسباب والبواعث التي تؤدي بالأسرة إلى التفكك إلى:

- **عوامل اجتماعية:** قد تتدخل الحياة الأسرية مشكلات تؤدي إلى اضطراب العلاقات بين الزوجين مما يهدد استقرار الجو الأسري والصحة النفسية لكل أفراد الأسرة، ويعد النزاع والشجار المتكرر بين الزوجين عاملاً رئيسياً للتفكك الأسري، ولا شك أن حالات النزاع والخصومة التي تجري على مرأى من الأبناء تترك بصماتها على شخصياتهم، فتجدهم يهربون من جو الأسرة المضطرب المشحون بالخوف وعدم الاستقرار باحثين عن بديل يتقبلهم وفي أغلب الأحيان يكون هذا البديل هو الشارع ومن ثم العادات السيئة والسلوكيات المنحرفة وتصبح الشوارع مأوى لهم. كما أن الأسر التي يسودها الخلق الساقط وتنعدم فيها القيم الروحية (الانقياد الخلق) تصبح فيها الجريمة وسوء الخلق أمراً عادياً فإذا أدرك الابن أباه سارق أو تاجر مخدرات أو أمه خائنة قد تتحطم فيه المقومات الأخلاقية وتضعف فيه القوى الرادعة فينتج بأفكاره نحو الرذيلة ويتجه لمحاكاة أفعال والديه بصورة شعورية أو غير شعورية. كما يرى الباحثون أن هناك صلة وثيقة بين الانهيار المادي للأسرة واشتغال الأطفال وانحرافهم ومن ثم انتقالهم إلى الشارع، ففي دراسة قام بها (Caller) في

المدرسة التدريبية بإنجلترا لـ ١٢١ فتاةً جانحةً تتراوح أعمارهم (١٦-١٨) سنة وقارنهن بمجموعة غير جانحة من نفس المجتمع ومن نفس الطبقة والسن والحالة الاقتصادية فوجد أكثر من ٦١ في المائة منهن تعرضن لفقدان أحد الوالدين و٢٢ في المائة إلى فراق طويل من الأبوين وأن ٨٠ في المائة تعرضن للحرمان بسبب الطلاق أو عجز الوالدين عن إعالتهم.^(١٠)

إن آثار التفكك الأسري يتناسب حجمها وخطورتها مع حجم وخطورة موقع الأسرة من المجتمع باعتبارها النواة الرئيسية والشريان الحيوي للامتداد الحضاري للبشرية، فبقدر ما تكون عليه من التآلف والعطاء فيكون حظ المجتمع من القوة والنمو المتوازن الذي يضمن سلامة الأفراد النفسية وتوازنهم الاجتماعي، وبقدر ما تكون الصورة معكوسة فيكون حظ المجتمع بجميع هياكله من التأزم والاضطراب، وإن تداعيات التفكك الأسري في حالة العجز عن مقاومته قادراً على الامتداد بآثاره إلى مكتسبات الحضارة الإنسانية والجهاز عليها وعليه فإن التفكك الأسري يكون في الأشكال التالية:

« التفكك الكلي: ويكون بالطلاق، يعتبر الطلاق من أهم العوامل المسببة لبواث التشرذ، حيث تواجه البشرية المعاصرة مخاطر انحلال الأسرة بشكل لم تشهده البشرية في أي عصر من العصور، إن الأطفال الذين عرفوا هذا الانفصال بين الوالدين معرضون للتشرذ والانحراف، لأن الطفل في هذه الحالة ليست له قدرات التحكم وفهم نوعية العلاقات الزوجية بين والديه لأنه أولاً يتصور أن سلوك والديه سلوكاً مثالياً قبل أن تبدأ النزاعات بينهما وفجأةً يلاحظ الطفل سلوكيات مخالفة تماماً لما تعود عليها من معاملة بين والديه وفي مثل هذه الوضعية يبدأ الطفل في التساؤلات حول ما يحدث في وسطه العائلي والخطر في ذلك هو عدم وجود أي شخص ليفسر له أسباب هذه التوترات الزوجية وحتى إذا كان هناك استفسارات فهو غير ممكن له فهم ذلك^(١١)، لذا يرجع ذلك الطفل إلى محيطه الخارجي ليس للاستفسار ولكن لشكاوي وتعزيز غضبه من طرف جماعته وهنا يبدأ التفكير في الهروب من المنزل والبحث عن ملاذ آمن كما يتصور، فيلتقطه الشارع وهنا يبدأ الانحراف والجنوح. كما أن الخيانة الزوجية التي بدأت تنفّس في مجتمعاتنا الإسلامية قد تظهر من خلال السلوكيات الانحرافية عند أطفال هذه الفئة من الأزواج حيث أن الطفل الذي يرى من سلوك أبيه وأمه معلماً وقُدوةً حسنةً ومثاليةً تنهار هذه الصورة الذهنية النفسية الاجتماعية لوالديه عند اكتشافه لخيانة أحد أوليائه وبالأخص إذا لم يتمكن من الحديث عن هذا السلوك مع أحدهم فيلجئ حتماً إلى الهروب من البيت وفي الأخير ينغمس في الانحراف والجريمة طلباً.

« التفكك الجزئي: ويكون في حالات الخلافات والإهمال والهجر: إن أي أسرة لا تخلوا من المشاجرات التي يستعمل فيها الزوجين التجريح والقذف ومن ثم يشحن الجو الأسري بالانفعالات السلبية، أما الإهمال فيرجع للإدمان على المخدرات والمسكرات والانشغال كثيراً عن البيت وعدم الاهتمام بمشاعر الأبناء وتربيتهم أو استعمال أساليب خاطئة في التربية. أما بالنسبة للهجر فيكون جراء النزاع والخلاف بين الزوجين ويخلف أثراً سلبية تنعكس على تشتت الأبناء وضياهم وتشردهم وانحرافهم وبالتالي تفكك الأسرة وانتقال الأبناء من دفى الأسرة إلى الشارع الذي لا يرحم نعمة أظفارهم ونحافة أجسادهم وصغر سنهم فيستغلون ويمتهنون بكل ما تحمل الكلمات من معاني.

« العلاقات الجنسية المنحرفة: (الأمهات العازبات) يقصد بها الأم التي تلد خارج رابطة الزواج، والكثير من النساء اللواتي يلدن طفل غير شرعي يصلن إلى هذا عن جهل أو عن غير قصد وفي هذه الحالة غالباً ما يبقى الأب مجهولاً أو يرفض الاعتراف بنتائج فعلته فتبقى الأم هي المسؤولة أمام الصعاب المادية مع الشعور بالذنب وغالباً ما تلقي به في الحداثق أو في أماكن معزولة.

عرف المجتمع الجزائري تحولات عديدة أظهرت صراعاً حاداً وتناقضات اجتماعية وأخلاقية، أفرزت العديد من المشاكل والظواهر الاجتماعية كالمخدرات، الأمهات العازبات والأطفال غير الشرعيين. وغيرها من الظواهر، يزداد حجم ظاهرة الطفولة غير الشرعية باستمرار لتصبح حقيقة سوسولوجية لها بذورها التاريخية التي تحتم وجودها رغم تناقضاتها مع سلم القيم الاجتماعية التي يغلب عليها طابع التقليد والعادات الإسلامية التي ترفض الظاهرة وتعتبرها من المواضيع التبوهاوية التي تخل بحياء المجتمع، فهناك أطفال يخرجون للحياة خارج إطار الأسرة فيحتضنهم الشارع فتكون الحداثق والساحات العامة والأرصفة والأبنية المهجورة أو التي هي في طور الإنجاز مأوى لهم، هذه الشريحة يزداد عددها من سنة لأخرى في الوقت الذي لا يبالي المجتمع بذلك، والمختصون يؤكدون أن أوضاع هذه الطفولة المهمشة (أطفال الشوارع) ستزداد تفاقمًا مع مرور الزمن ويتنبئون مستقبلاً بما قد لا تستطيع الجزائر مجابهته، والمتمثل في شبكات الجريمة المنظمة التي سيكون أطفال الشوارع اليوم عناصرها مستقبلاً^(١٢)، بالإضافة إلى الاعتداءات الجنسية التي يتعرض لها أطفال الشوارع لكن التطرق إليها سواءً من طرف المختصين أو من قبل وسائل الإعلام كان من الطابوهات، إذا ما علمنا أن

الأسر المتضررة نفسها كانت تستحي من الإفصاح عن ذلك وتفضل التكتّم عليه خاصة إذا ما تعلق الأمر بزنى المحارم. إن موقف المجتمع السلبي ووضعيته كمتفرج على مسرحية أبطالها صغار منحرفون سيصعب من مهمة إصلاح الاعوجاج الاجتماعي.

إن الطفل غير الشرعي جاء إلى العالم وتربى في ظروف تعاكس الظروف التي يفرضها الشرع والتطور النفسي والعاطفي ووجوده خارج نظام الزواج في مجتمع محافظ أكبر مشكلة يواجهها هذا الطفل.

فهو ضحية أخطائهم التي جعلته محروما من أدنى حقوقه، فلا اسم له ولا مأوى يحميه ولا حتى حياً يشعر به كأى طفل عادي، إن تفشي هذه الظاهرة في المجتمع الجزائري في الآونة الأخيرة بالشكل الملفت للانتباه جعلها تأخذ بعدها المقلق، فكل يوم يولد أطفال ليهملوا وكل سنة تستقبل دور الحضانة ومراكز الطفولة المسعفة عدداً هائلاً من الأطفال غير الشرعيين، فمصيرهم يكون مؤسسات تقوم برعايتهم أو الأسر البديلة للتكفل بهم وهذه الفئة هي المحظوظة منهم أما البقية فمصيرهم الشارع أي يفرشون الغبراء ويلتحفون الزرقاء أما معيشتهم فتكون صدقات المحسنين وفضلات الأغنياء.

إن ظاهرة الأطفال غير الشرعيين ظاهرة مجتمعية يقتضي وضعها في سياق الأبعاد المؤثرة عليها من أسباب اقتصادية واجتماعية وتعليمية، ولقد ساهمت العديد من العوامل على تضخم المشكلة نظراً لاعتمادها على مجموعة من المكونات الاجتماعية والاقتصادية التي تضافرت معاً وأدت إلى زيادة مشكلة أطفال معرضين للتشرد والانحراف.^(١٣)

وبالرجوع إلى أهم الأسباب التي أدت إلى انتشار ظاهرة الأطفال غير الشرعيين هي التنشئة الاجتماعية التي هي التربية الجنسية ونقص الوازع الديني والاختلاط بين الجنسين في جميع المجالات وكل هذا مرتبط بدور الأسرة التي فقدت دورها الأساسي في التربية وتقلصت مسؤولياتها وفقدت أهم رابط يجمع بين أفرادها وهو الحوار الذي أصبح منعزلاً في أغلب الأسر الجزائرية.

٢- العوامل الاقتصادية

عامل الفقر: عاشت ولا زالت العديد من المدن الكبرى تعيش ما يسمى بظاهرة النزوح من الأرياف، خاصة من المراهقين الذين فشلوا في دراستهم فينتقلون إلى المدن حيث سيعيشون ظاهرة التمدن والتكيف مع محيط جديد مليء بالتناقضات والقيم المتصارعة والحرية في السلوك، مما ييسر الانزلاق نتيجة غياب السلطة الأبوية والبطالة والمغريات السهلة في الانحراف وعلى وجه الخصوص السرقة والاعتداء على الأخلاق. وعلى العموم فالفقر والبطالة هما من الأسباب الدافعة إلى حياة التشرد وبانتفاء وجه

البحث عن الرزق الحلال داخل المدن تكون الوجهة البديلة هي السرقة والانحراف، وقد اعتبر المؤتمر العالمي للسكان المنعقد في اسطنبول عام ١٩٩٦، أن الشغل والسكن والتمتع بالمرافق والخدمات داخل المدن خاصة تشكل عناصر مؤثرة بشكل مباشر على تطور ظاهرة أطفال الشوارع بحسب تلبية هذه الحاجات من عدمه.^(١٤)

إن عمالة الأطفال تترك أثراً سلبياً عديدة أهمها على الجانب النفسي والجسدي والاجتماعي. إن الطفل الذي يمارس أعمالاً لا تتناسب مع قدراته الجسدية يكون أكثر عرضة من الكبار للمخاطر الناجمة عن العمل، كما أن إحساس الأطفال بأنهم يتعرضون للاستغلال من طرف مشغليهم يعمق شعورهم بالإحباط والظلم خاصة إذا كانت الأسرة تعاني هي الأخرى من مشاكل متعددة يجعلها تدفع بأطفالها للعمل، وفي مثل هذا الجو المشحون بالاغتراب والغبن لا يتيح للطفل أن يعبر عن رغباته ومواهبه، كما أن انتشار هذا النوع من الأعمال في المدن يمثل مظهراً مشوهاً للتحضر وبالتالي يعطي صورة سيئة عن شكل المدينة وتقاليدها.

المساحات السكنية الضيقة: إن الفضاء الذي تقضي العائلات فيه حياتها يومياً تؤثر على الحالة النفسية للأطفال حيث يعيشون نوع من القهر من طرف الوالدين الذين لا يفهمون ضرورة حرية الأطفال في سلوكياتهم إن ظاهرة اكتظاظ المساكن بالأفراد وضيق الغرف كثيراً ما يحاول علماء الاجتماع إظهار تأثيرها على التوازن البيولوجي للفرد، الذي ينشأ فاقداً لمعاني التنظيم وحرية التحرك وإبداء الرأي، وقد تدفعهم الظروف السيئة التي تمثلها مساكنهم، إضافة إلى انحلال الروابط الموجودة بين القيم الثقافية الخاصة بالمجتمع والمعايير التي تتماشى معها والتي توافقها واختلال القدرات الاجتماعية للأفراد لتفاعلهم مع وسطهم، وهنا تبدأ الصراعات الحادة، وكل ما سبق يقود لجملة من ردود الأفعال مثل التشرد والانحرافات وغالباً ما يكون العنف اللفظي ممهداً للعنف المادي والاعتداءات على الأشخاص والأماكن مثل النشل.. إلخ.

وبصفة عامة يمكن لنا أن نشخص أسباب هذه الظاهرة بالشعور بالإهمال لدى الأطفال حقيقياً كان أو وهمياً. هذا الإحساس يتطلب في أغلب الأحيان من الأولياء إيجاد إجابة فورية ومقنعة. وفي هذه الحالة التي تؤدي إلى تعقيد ثقافي وحضاري في العصر الحديث حيث يصعب على الأطفال إيجاد معالم واضحة لإتمام تنشئتهم الاجتماعية. هذا الشعور بالإهمال يترجم حسب الأشخاص الحالات والثقافات الداخلية للفرد كما قد يضخم بعوامل أخرى مثل الانفعال، الحرمان، القلق والخوف. بالإضافة إلى ذلك الضغوطات الاجتماعية الخارجية التي تأتي من الوسط المعاش وفي الجماعة كما تصاحبها الضغوطات التي تأتي من الداخل أي السلطة والواجبات التي تمارس على الفرد.

٣- العوامل الذاتية أو الشخصية

يرى كثير من العلماء أن الغرائز الأولية والانفعالات المقترنة بها من الدوافع الأساسية في السلوك، ومصدر الطاقة الحيوية للنشاط الإنساني بوجه عام، وهذه الغرائز وأشباهاها كما يذهب إلى ذلك محمد سلامة محمد غباري لا تعبأ بالزواج الخلقية والمحرمات الدينية ولا تهتم بأحكام القانون وقواعد السلوك وأداب الفضيلة، وقد تزج بالفرد في مهاوي الجنوح والانحراف مالم تتهدب بالتربية الصالحة والتوجيه السليم^(١٥) وترجع مدرسة التحليل النفسي فكرة ضعف الذات عند الطفل وفقدانه السيطرة على ضبط حاجاته والتعبير عنها تعبيراً سوياً إلى استعداد فطري لديه وإلى خبرات مؤلمة في حياته واضطراب في علاقاته الاجتماعية في مراحل طفولته الأولى خاصة الخمس سنوات الأولى من حياته، وأن سلوك الطفل لا يرجع إلى ضعف واضطراب الذات فحسب وإنما يرجع كذلك إلى ضعف الضمير الأخلاقي واضطرابه وسوء العلاقة بينه وبين الذات من ناحية أخرى، فالطفل الذي يتخذ من الشارع مأوى له تتطوي نفسه كما يقول محمد محمود مصطفى على ضمير أخلاقي لم ينضج نضجاً كافياً يؤهله للحكم العادل المتزن في علاقة الذات وتصرفاتها، والنمو المريض للذات حيث يأخذ أشكالاً ثلاثة:

- الضمير المتمزمت الشديد القسوة.

- الضمير الهزيل.

- الضمير المتأرجح بين الشدة واللين.^(١٦)

كما تلعب العوامل الأخرى دوراً في هذا المجال ولو بطريقة غير مباشرة حيث أن الطفل الذي لا تسمح له قدراته بمواصلة الدراسة وبضغط من الوالدين يلجأ إلى الشارع، والطفل المعوق ذهنياً أو بدنياً أو المشوه يسهل الزج به في متاهات الشارع كمتسول أو مهرب مخدرات لسهولة السيطرة عليه، وكذا جلبه الاستعطاف، وعدم لفت انتباه رجال الأمن، ويمكن تلخيص هذه العوامل في:

أ- اختلال البناء النفسي للطفل نتيجة للإحباطات والصراعات والتوترات التي يصادفها خاصة في فترة الطفولة المبكرة.

ب- عدم نضج الغدد أو اضطراب في إفرازاتها خاصة الغدد الصماء.

ج - العيوب الجسمية والأمراض المختلفة.

٤- عوامل البيئة المدرسية

المدرسة مؤسسة رسمية أنشأها المجتمع وعهد إليها مسؤولية إعداد الأفراد للحياة الاجتماعية والمدرسة بذلك تكون ذات أهداف متعددة مشتقة من فلسفة المجتمع وثقافته وإمكانياته وخططه المستقبلية، فهي البيئة الثانية للطفل بعد الأسرة حيث يقضي فيها

شطراً كبيراً من طفولته يتلقى فيها علومه، ويطور فيها أساليب تنشئته حيث يجد نفسه في مجتمع جديد لم يألفه سابقاً، فإذا صلح هذا المجتمع صلح أفرادهِ وإذا فسد نتيجة تقاعس القائمين عليه في أداء أدوارهم تجاه الأطفال فإن ذلك سيؤدي إلى نفورهم من المدرسة والتسرب وهي لا تقتصر على جنس دون آخر أو على طبقة اجتماعية أو اقتصادية دون أخرى أو على منطقة دون أخرى أو على مرحلة تعليمية دون أخرى، فهذه الظاهرة أصبحت منتشرة بصورة مخيفة بين جميع أوساط التلاميذ وفي مختلف المراحل التعليمية، فهي بمثابة الوباء التربوي الذي يفتك بالفرد والمجتمع، وله علاقة مع كل جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية، الثقافية بالإضافة إلى أسباب داخلية تتعلق بالمنظومة التربوية ويمكن إجمال هذه الأسباب فيما يلي:

الأسباب الداخلية: ومن أهمها المناهج التربوية والتي تبني على ثلاثة ركائز أساسية وهي (أساسيات المادة الدراسية، متطلبات التلاميذ المتمثلة في حاجاتهم وميولهم، متطلبات المجتمع والعصر) وإذا لم يكن ثمة تكامل بين هذه الأركان الثلاثة كانت المناهج الدراسية قاصرة على تحقيق الأهداف المرسومة للتربية، كما نجد أيضاً أن المنهاج والطرق التدريسية لا تتماشى مع كل الأوساط الاجتماعية مما يؤدي بأبناء الطبقات الدنيا إلى عدم التوافق مع هذه المناهج لأن ثقافة المدرسة تكون انعكاساً لثقافة الطبقة المهيمنة اجتماعياً، كما يؤكد هذا كثير من الباحثين منهم بورديو Bourdieu، برنشتالين Bernstein، وعن هذا تقول بوركي رافلين: إن أطفال البرجوازية يأتون إلى المدرسة وهم مسلحون بمعاييرها وقيمها، أما أبناء الفئات الفقيرة فإنهم يأتون إليها وهم مجردون من هذه الأسلحة بحكم ثقافتهم المرجعية، إن زادهم الثقافي الضئيل وفقاً للمعايير المدرسية لا يسمح لهم بالدخول في منافسة عادلة مع الآخرين على صعيد النجاح والتفوق المدرسيين ولهذا يكون ضعف المردود والتحصيل الدراسي والفشل والتسرب إلى الشوارع يدفع الطفل في رحلة البحث عن بديل يملأ به هذا الفراغ فيكون الشارع ملاذاً له.^(١٧)

إن الخروج من المدرسة في سن مبكرة يوقع الطفل في نوع من الفراغ حيث يجد نفسه في حالة قد تؤدي به إلى انعدام التوافق النفسي والاجتماعي والشعور بالنقص وإهمال الذات ومثل هذه الحالات النفسية قد تؤدي إلى عدم التوافق الاجتماعي فتظهر حالات العدوانية والانطوائية، ومما لاشك فيه أن العنف الذي يحدث في المواقف المدرسية له آثاره المدمرة والطويلة المدى فالعنف أو حتى التهديد بالعنف يقلل من قدرة التلاميذ على التركيز والتعلم، ولقد أظهرت بعض الملاحظات والمقابلات الميدانية التي أجرتها فرقة عام ٢٠٠٨ بحث بجامعة البليدة على بعض المدارس المتواجدة بالأحياء التالية (عين

النعجة، السمار) بالعاصمة قد ذكروا أن أحداث العنف في مدارسهم في تزايد مستمر وهي تفوق بكثير الأحداث التي حدثت قبلها بخمس سنوات.^(١٨)

ومع هذه الحالات النفسية المضطربة وعدم التوافق الاجتماعي سوف يبحث عن جماعة يجد فيها ذاته وهذا ما يجعله عرضةً للجماعات المنحرفة التي ترحب به فيكتسب منها عاداته السيئة والمرفوضة اجتماعياً ودينياً كالتدخين وتعاطي المخدرات والسطو على ممتلكات الغير واستعمال العنف وهذا ما يجعله مرفوضاً اجتماعياً فيصبح من أطفال الشوارع. فترك المدرسة في سن مبكرة تجعل مستواه الثقافي متدني مما يجعل منه شخصية سهلة الانقياد والتأثر.

ويمكن إجمال عناصر البيئة المدرسية فيما يلي:

- سوء العلاقة بالمربين نتيجة لجهلهم بأساليب التربية الحديثة ومناهجها وعدم أهليتهم وقدرتهم وثقتهم بمعلوماتهم مما يجعلهم يلجؤون إلى الأساليب التربوية الخاطئة مثل استخدام القوة، السب والشتم
- والإهانة والتحقير الذي يؤدي حتماً إلى التمرد والنفور اللذان غالباً ما يؤديان إلى هجر الطفل المدرسة الذي يقابل في الأسرة بالرفض والتعنت وبالتالي يختار الطفل الشارع بديلاً ل كليهما.
- سوء علاقة التلميذ بزملاءه نتيجة لعامل من العوامل، بدنية أو نفسية أو اجتماعية أو ثقافية تحول دون تكيفه معهم واختيار الشارع بديلاً عن المدرسة.
- مخالطة رفقاء السوء الذين يتخذون من أطفال المدارس وسيلتهم في ارتكاب السلوكيات الانحرافية.
- بعد المسافة بين البيت والمدرسة وصعوبة الانتقال اليومي.

٥- تحديات العولمة والإعلام

تعد وسائل الإعلام وشبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) من أبرز التحديات أمام تماسك البناء الأسري إذ تكشف الملاحظات الواقعية تهافت الأطفال المراهقين على مشاهدة البرامج المنحلة وهذا ما يزيد تقليد الأطفال للممارسات الغير أخلاقية فتطغى المصالح الفردية على أفراد الأسرة على حساب الاهتمام الجماعي والترابط الأسري وتتسع الهوة بين الآباء والأبناء فيضعف التماسك الأسري ويتقلص دور الأسرة فتفقد السيطرة على مراقبة الأطفال فيتجهون إلى الانحراف والتشرد.

نتائج الاستقصاء الميداني

أجري الاستقصاء الميداني على عشرة حالات أخضعوا للملاحظة مدة ١٥ يوماً كانوا يترددون على محلات الفاستفود ثيابهم متسخة وممزقة يقودهم أكبرهم وعمره لا يتجاوز ١٢ سنة أصغرهم لا يتجاوز ٧ سنوات ترافقهم أنثى تبلغ من العمر ٨ سنوات

بحوزتهم دراهم معدودة يشتررون بها بعض المأكولات الخفيفة، كما يلجأ أكبرهم إلى إجبار بقية الأطفال إلى التسول وطلب المساعدة من المترددين على المحل وحتى المارة.

عوامل تدفع بالطفل إلى الشارع

ينحدر الأطفال مجال البحث (عشرة حالات) من عائلات مهاجرة مفككة وفقيرة وذلك بنسبة (٩٠ ٪) فهي تشكو الفقر إما لوفاة عائلها أو لبطالة قيّمها، وهذه الوضعية نسبتهما ضعيفة مقارنة بباقي الوضعيات أهمها التفكك الأسري الإقامة في الأحياء الهامشية، أو لفراره من البيت أو لقضائه فترة محكوميه في السجن ترتبط في العموم بقضايا انحراف، وهذه الوضعيات الثلاث مجتمعة نسبتهما مرتفعة بين الحالات التي قمنا بدراستها.

يُتسم الوضع الاقتصادي لهذا الصنف من العائلات بالفقر والخصاصة والاحتياج بسبب البطالة وما يولّده ذلك من أثر نفسي سيّئ بسبب هذه الحاجة على توفير المسكن اللائق؛ إذ يبين الاستقصاء الميداني أنّ ما يزيد عن (٨٨ ٪) من الأطفال يفتقرون إلى المسكن الذي يوفر الحد الأدنى من الشروط الصحية الأساسية فهم يقيمون في مساكن هشة بيوت قصديرية أو من الطين. لذلك وصف (٩٣ ٪) منهم الوضعية المادية للعائلة بالمتردة لهذا السبب تقف وراء الصعوبات التي يتعرّض لها الطفل لا سيما الفشل الدراسي ومشاكل التنشئة. ومن هذا التقدير تُعتبر الوضعية الاقتصادية والاجتماعية العامل الرئيس الذي يدفع بالطفل إلى الشارع ويجعل منه فرداً مطاردًا اجتماعياً وقانونياً.

تبيّن لنا أن أغلب الآباء والأمهات إمّا أنّه أمّي أو أنّ له مستوى دراسي ابتدائي، ولقد انعكس هذا الوضع (أي المستوى الثقافي للآباء) على الأطفال الذين سجلنا أنّ (٥٩ ٪) منهم قد انقطع عن الدراسة في المرحلتين الابتدائية أو المتوسطة.

لقد أنتج هذا الوضع الاجتماعي الاقتصادي والتربوي توترات داخل هذا الصنف من العائلات كان من تداعياته تسجيل حالات عنف أو طلاق أو انحراف تشير تفاصيلها إلى حدة المشكلات الزوجية من ناحية وعمق أزمة التنشئة من ناحية ثانية. فإمكانيات الأسرة المادية وأنشطتها المهنية ودرجة اندماجها الثقافي والاجتماعي عوامل تطبع شخصية الطفل وتوجه سلوكه وتحدد مكانته وأدواره.^(١٩)

اتسم المناخ العائلي عموماً لهذه الشريحة من الأطفال بكثرة الشجار بين الزوجين الذي يتطور في أحيان عديدة إلى عنف عادة ما يوجّه نحو الأمّ والأبناء ولا يُعفى من مسؤوليته لا الأب ولا الأمّ.

فأنصاف الممارسات التي يقوم بها الأب لا تختلف لا في الحدة ولا في الخطورة عن تلك التي تقوم بها الأم تجاه الأبناء، إمّا معاملة قاسية أدواتها الضرب والشتم والسب والشك وانعدام الثقة والتهديد بالطرده والتحريض على القيام بأفعال انحرافية أو إجرامية. أو معاملة لا مبالية مضمونها الإهمال وعدم المتابعة والتساهل والتفسخ والانحلال. وهذا ما يجعلنا نؤكد بأن المناخ العائلي لهذه الفئة من الأطفال يتصف بالتوتر والتصدّع في العلاقات والروابط الذي يتجلى بوضوح من خلال تفكك أو اصر التماسك الأسري الذي سببته عوامل اضطراب العلاقات الوالدية والتشويش المعياري القيمي الذي يميّز السلوك داخل هذه العائلات. ولعلنا بهذا نستطيع أن نفهم تزايد عدد الأطفال المهددين بالمخاطر الذي لا ينفك يرتفع رغم إجراءات الحماية المتعددة التي يتم اللجوء إليها في إطار مقاومة الظاهرة.

المعالجة

ولكي نحقق التدخل العلاجي نقترح عدداً من الخطوات والاستراتيجيات والامكانيات التي يمكن أن يستخدمها الآباء والمعلمون والسلطات المعنية من أجل إيقاف العنف والتسرب بالمدارس وكذا عمالة الأطفال هذه الآفات التي تغذي ظاهرة أطفال الشوارع ببلادنا ومن أهمها:

الاهتمام بالأسرة

تعد الأسرة الجماعة الأولى التي ينتمي إليها الطفل وهي البيئة التي ينال فيها الطفل قسطاً من التربية والثقافة بما تحويه من قيم وعادات واتجاهات، ومنها يتعلم الطفل فكرة الصواب والخطأ، وللأسرة تأثير بالغ في عملية التطبيع الاجتماعي، على أن لكل أسرة سلوكها الذي تطبع طفلها بما تنقله إليه من قيم واتجاهات منها يتعلم الطفل المشي والكلام وتناول الأطعمة وتطوير الكثير من الاتجاهات وتوفير الخبرات الحسية المبكرة والمتنوعة التي تلعب دوراً هاماً في النمو بمختلف جوانبه. وترجع أهمية الأسرة في تنشئة الأبناء الى:

عن طريق الأسرة يكتسب الطفل المعايير العامة التي تفرضها الثقافة السائدة في المجتمع ومجمل هذه القيم والمعايير والتقاليد والعادات التي تمر بعملية التنقية من خلال الآباء بمثابة مصفاة تنقي القيم قبل نقلها إلى الطفل

تعتبر الأسرة النموذج الأمثل للجماعة الأولية التي يتفاعل الطفل مع أعضائها وجهاً لوجه ويتوحد مع أعضائها ويعتبر سلوكهم سلوكاً نموذجياً.

الأسرة هي الجماعة المرجعية التي يعتمد عليها الطفل عند تقييمه لسلوكه، ولقد أوضحت معظم الدراسات أهمية الأم في تشكيل السلوك عند الطفل وتطوره، فلقد أشار كل من جولد فارب وبولبي إلى أهمية دور الأم في تطبيع وليدها اجتماعياً، أما دور الأب فيظهر في المراحل المتتالية لنمو الطفل فيلاحظ تأثيراً واضحاً من طرف الأب على تنشئة الأبناء، فإذا كان الأب مسيطراً فإن ذلك يجعل الذكور من الأطفال يتقنسون دور الأب في سلوكهم.

أما فيما يخص العلاقة بين الوالدين وأثرها في عملية التنشئة الاجتماعية، فكلما كانت العلاقة بين الوالدين منسجمة يساعد على نمو الطفل بشخصية متكاملة بخلاف الذي يكون بينهم صراعاً نفسياً يترك آثاراً قد تهدد إشباع حاجة الطفل إلى الحب والأمن النفسي كما أن الإسراف في القسوة كالعقاب الجسدي والضرب المبرح وقد يكون مصحوباً بالتهديد اللفظي أو الحرمان، وهذا ما يؤدي في النهاية إلى السلوكيات المعادية للمجتمع وقيمه.

الاهتمام بالمدرسة: تعتبر المدرسة الوسط الثاني بعد الأسرة حيث ينتقل الطفل من بيئة صغيرة مألوفة مليئة بالحنان والأمن إلى جو كبير واسع غريب عنه، وتعمل المدرسة مشاركة الأسرة مسؤوليتها في تربية أطفالها والمدرسة تعمل على توسيع الدائرة الاجتماعية للطفل، حيث يلتقي بجماعة جديدة تختلف كل الاختلاف عن الجماعة المرجعية، وهنا تتدخل مجموعة من العوامل المختلفة منها ما هو داخل المدرسة ومنها ما هو داخل الحي، ومنها ما يعود إلى التنشئة الاجتماعية لتقرير نموذج السلوك الذي يسلكه، ومدى انسجامه مع القوانين والأنظمة السائدة في المدرسة، ودور المدرسة لا يقتصر على تلقين الطفل جملة من المعارف التي تحتويها الكتب والمواد الدراسية بل تتعداه إلى تلقين الطفل القيم والمبادئ الأخلاقية والاتجاهات الدينية.

يعتبر حق الطفل في الحياة طبيعياً ومن نعم الخالق سبحانه وتعالى ففي العصور القديمة كان الناس لا يقيمون وزناً لهذا الحق، فيزهقوا أرواح الأطفال خشية الفقر والعار، فجاء القرآن الكريم ينهى عن القتل وأعطى حق الحياة لكل طفل، وتوعد الله المخالفين بأشد العقاب قال تعالى: ﴿لَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ (الأنعام: ١٥١).

وهكذا نجد الإسلام حفظ حق الطفل في الحياة وحرّم قتله أو بيعه أو انتهاك كرامته، كما كفل للأطفال حق النفقة والرعاية من طعام وشراب وملبس، وإذا كان للأب الأجر والمثوبة في التوسعة على الأهل والإنفاق على العيال فإنه عليه بالتالي الوزر والإنثم إذا أمسك عن الإنفاق على الأهل والأولاد وهو يستطيع.^(٢٠)

كما يسعى الإسلام لتربية الطفل وإعداده ليكون إنساناً صالحاً يتسلح بالإيمان ويتزود بالفضيلة ويعتاد أقوم العادات وأصحها في كل شأن من شؤون حياته، وإحاطته بالحب والحنان وتوفير الأمن والاستقرار للأولاد وتأديب الأطفال بآداب الإسلام والتساوي في الحقوق والواجبات. كما يعتبر الإسلام دين الحرية، فأعطى للطفل حقه في الحرية الواعية المستتيرة المتمثلة في حرية الرأي وحرية القول والتصرف والحرية الاجتماعية. وهكذا نجد أن الحرية التي منحنا إياها الإسلام هي حرية منضبطة ومقيدة تستهدف إلى تقويم النشء وحمايته في هذه الفترة من العمر، وهي فترة التكوين بحيث ينشأ فيها الابن والبنت في محيط توجد فيه نوع من الرعاية حتى إذا ما بلغوا رشدهم أعطيت لهم الحرية في الاختيار والتفضيل لما يرونه صالحاً لهم على ضوء ذلك التكوين الواعي الدقيق.

الطفل في بيت النبوة^(٢١)

تربية الطفل على الاستقامة وتعليمه طرق الفلاح والصلاح وفتح باب الخير له والاكتشاف والمعرفة مهمة أوكّلها الله تعالى للآباء، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

ولما كان التعاون على الخير أصلاً معتبراً في شرعنا، فقد أجاز الشرع الحنيف أن يوكل الآباء غيرهم ليقوموا بجزء من وظيفتهم في التربية والتعليم، فكان المعلمون بهذا الأصل وكلاء شرعيين لأداء مهمتهم مع الأبناء، ومن هنا جاءت القاعدة التربوية لتنص على أن المعلم ينزل منزلة الأب في التأديب والتعليم.

وعليه فإن مسؤولية المعلم في منهج التربية الإسلامية لا تقتصر على مجرد التلقين ونقل المعلومة بل تتعدى ذلك إلى الرعاية والاهتمام والتهديب.

ولن يكون ذلك كذلك إلا إذا نزل المعلم نفسه منزلة الأب في الحرص على خير الأبناء فغمرهم بالرحمة وشملهم بعطفه وحبه وعنايته.

ولقد منّ الله تعالى على هذه الأمة بأن بعث فيهم رسولاً منهم، وكان بهم رءوفاً رحيماً، فدلهم على الخير والنجاة، وحذرهم من كل الشرور والمهلكات فكان ﷺ بأمرته أحرص من الأب على ابنه، والأم على وليدها، ولذا وجب على المعلمين أن ينهلوا من هديه ﷺ في التربية والتعليم ليسلكوا بتلامذتهم المسلك الصحيح، ويقوموا بمسؤولياتهم أحسن قيام.

وفي الأخير نحاول أن نستعرض سيرة النبي ﷺ في بيته مع الأطفال سواء أكانوا من البنات أم الأحفاد أو رباب أو غيرهم لنتشرف من عقب سيرته ما يضيف على العملية التربوية الفعالية والنجاح: مع ربيبه عمر بن أبي سلمة.

روى البخاري في صحيحه عن عمر بن أبي سلمة قال كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصفحة فقال لي رسول الله ﷺ «يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك» فما زالت تلك طعمتي بعد، وفي رواية أبي داود «ادن بني فسم الله وكل بيمينك وكل مما يليك»، وفي رواية الترمذي ادن يا بني وسم الله وكل بيمينك وكل مما يليك. ففي هذا الحديث مواقف تربوية عظيمة منها:

أولاً: فيه اهتمام النبي ﷺ بسلوك ربيبه عمر بن أبي سلمة أثناء الأكل، والحرص على معالجة خطئه حتى لا يصير ذلك عادةً يصعب مع مرور الأيام تركها، وهذا يدل على أن العملية التعليمية لا تقتصر على تزويد الأطفال بالمعارف بل تقتضي كذلك حل المشكلات ومعالجة الأخطاء السلوكية.

ثانياً: طريقة معالجة النبي ﷺ لخطأ عمر بن أبي سلمة بأسلوب الأب المشفق والمعلم الرحيم، حيث ناداه بعبارة فيها تحن وتلطف وعطف، فقال «يا غلام» وفي رواية أبي داود «ادن بني»، وفي رواية الترمذي «ادن يا بني»، ولا شك أن هذا النداء يشيع في النفس الطمأنينة، ويثير فيها حب الاستجابة وحب التطلع إلى ما يقوله المربي، وفيه دعوة للمعلمين إلى ضرورة الاعتناء بمخاطبة تلامذتهم بما لا يدعوهم إلى النفور والقلق والخوف والتذمر، فليس من اللائق مناداة التلميذ إذا ما أخطأ بأسماء الحيوان، أو بألفاظ نابية تجعله محل سخرية بين أصحابه، وربما أدى ذلك إلى رد فعل سلبي تحول مع مرور الزمن إلى كره المدرسة أصلاً والتسرب، وإقرار مبدأ الرفق والملاطفة في التعامل مع الأطفال مسلوك نبوي مرعي قال ﷺ (إن الله لم يبعثني مُعْتَناً ولا متعنتاً ولكن بعثني معلماً ميسراً).

الثالث: أن النبي ﷺ بادر الطفل بالحل مباشرة قائلاً له: (وكل بيمينك وكل مما يليك)، ليفهمه بطريق غير مباشر أن ما كان يفعله خطأ يجب تركه، وفي هذا تنبيه للمعلمين إلى ضرورة مراعاة نفوس التلاميذ، فلا يعيرونهم بأخطائهم، أو يتوسعون في ذكرها أمام التلاميذ بل يجعلون همهم إصلاح الخطأ بأيسر طريق وأنجع سبيل، وإذا رأى الأستاذ أن هذا الخطأ قد يتكرر عند التلاميذ، فلا بأس من استعمال أسلوب التعريض ليعم التعرف على المشكلة وأسبابها وسبل علاجها.

الرابع: أن تعليمه ﷺ الطفل آداب الأكل والاهتمام به يدل من باب أولى على ضرورة الاعتناء ببعض الأحكام الشرعية الأخرى التي يحتاج إليها الصبي كالوضوء وأحكام الصلاة.

الخامس: أن تعليم النبي ﷺ الصغير البداءة بسم الله في الأكل فيه ربط للصبي بالله تعالى لا شريك له، لذلك يستحق أن يطاع ويشكر، وفي ذلك تنبيه المعلمين على ضرورة الاعتناء بالأصل العقيدي والبداءة به، ليشب الأطفال وقد تعلق نفوسهم بالله تعالى.

السادس: أن هذا المسلك التعليمي دل على فعاليته ونجاحه وأثره الطيب على الأطفال، قول عمر بن أبي سلمة ﷺ في آخر الحديث (فما زالت تلك طعمتي بعد).

قائمة المراجع

- ١- مصطفى بوتقنوشات. العائلة الجزائرية. د م ج. الجزائر، ط ٢، ٥٤.
- ٢- محمد عبد القادر قواسمية. جنوح الأحداث في التشريع الجزائري. المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٩٢، ص ١٠٨-١٠٩.
- ٣- شربل موريس. التربية الجنسية كيف تساعد أولادنا على تخطي فترة المراهقة. دار المتأصل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٥، ص ١٠٥.
- ٤- بكر كمال خالد. الجنس والحياة. دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٢، ص ٢٣٠.
- ٥- العشعاش محمد شريف. الشباب والجنس (الحب والجنس والزواج والسعادة)، ٢٠٠٠-٢٠٠١، ص ١.
- ٦- يمني فرحات. المشاكل الجنسية وعلاجها، ١٩٩٠، بيروت، ص ٩.
- ٧- عبد السلام الدويبي. حقوق الطفل ورعايته، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع، الجماهيرية العربية الليبية، ١٩٩٢، ص ١٤.
- ٨- السيد رمضان. مدخل في رعاية الأسرة (النظرية والتطبيق)، المعهد العالي للخدمة الاجتماعية بالإسكندرية، ب. ت، ص ٢٤٥.
- علي أسعد وظيفة. علم الاجتماع التربوي. جامعة دمشق، مطبعة الاتحاد، ١٩٩٣، ص ١٣٥.
- ٩- محمد صالح جدي. التربية في العالم الثالث المتخلف. المجلة الجزائرية للتربية، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر، العدد ٢، ص ١١.
- ١٠- عدنان السبيعي. من أجل أطفالنا. مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ط ٤، ١٩٨٦، ص ٨٢.
- ١١- منصور عبد الحق. حقوق الطفل الأساسية في ظل الشريعة الإسلامية، دراسة مقارنة، دار قرطبة للنشر والتوزيع المحمدية، الجزائر، ٢٠٠٥، ص ٣١.
- ١٢- عبد العزيز سعد. الجرائم الواقعة على نظام الأسرة. الدوان التربوي للأشغال التربوية، ٢٠٠٢، ص ١٥١.
- ١٣- منظمة الأمم المتحدة للطفولة. اليونيسيف، الأطفال أولاً، الإعلان العلمي لبقاء الطفل وحمايته وخطة العمل، حقوق الإنسان، نيويورك، ١٩٩٠، ص ٩٠.

- ١٤- محمد أديب السلاوي: أطفال الشوارع. بدون طبعة، بدون سنة، ص ٢٧.
- ١٥- علي الكنز: حول الأزمة. دار بوسعادة للنشر، الجزائر، ١٩٩٠، ص ١٧.
- ١٦- فوزي علاوة: مساهمة في دراسة الأساليب السوسيو اقتصادية لظاهرة عمالة الأطفال. دراسة ميدانية على أطفال عاملين بمدينة باتنة، جامعة الجزائر، ٢٠٠٤-٢٠٠٥، ص ٤٤.
- 17- Maurice Cusson délinquants pourquoi Canada 1981 p187.
- ١٨- تصريحات أحد كبار مسؤولي الشرطة بالعاصمة، أفريل، ٢٠٠٨.
- ١٩- محمد سيد فهمي. أطفال الشوارع، مأساة حضارية في الألفية الثالثة، المكتبة الجامعية الإسكندرية، ٢٠٠٠.
- ٢٠- عبد السلام الدويبي. حقوق الطفل ورعايته دار الجماهيرية للنشر والتوزيع، الجماهيرية العربية الليبية، ١٩٩٢، ص ١٤.
- ٢١- من مشكاة السنة. العدد الثاني، ربيع الأول/ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ الموافق مارس/أفريل ٢٠٠٨، ص ص ١٧، ١٨، ١٩.
- ٨- السيد رمضان: مدخل في رعاية الأسرة (النظرية والتطبيق) المعهد العالي للخدمة الاجتماعية بالإسكندرية، ب. ت، ص ٢٤٥.
- علي أسعد وظفة: علم الاجتماع التربوي. جامعة دمشق، مطبعة الاتحاد، ١٩٩٣، ص ١٣٥.

إدارة البحوث العلمية في المؤسسات التعليمية (دراسة مقارنة)

أ. غالية بنت عامر بن علي المقرشية*

المقدمة

وبقدر ما يجد الإنسان تشجيع ودعم وحماية لإبداعاته المادية والمعنوية بقدر ما تنشط لديه القدرة على الإبداع والابتكار والبحث والتأليف.

وتتناول ورقة العمل كيفية إدارة الإنتاج العلمي في المؤسسات التي تعنى برأس المال الفكري، واقتصرت على المؤسسات التعليمية بما فيها (الجامعات والكليات والمعاهد والمراكز والوزارات والمدارس وغيرها من المؤسسات) كون هذه المؤسسات تتعاطى مع المنتجات الفكرية للعاملين بها أو لطلابها.

يقاس تقدم المؤسسات التعليمية في ظل التحولات العالمية القائمة على التحول في طبيعة المعرفة والاقتصاد المبني على المعرفة والتحول نحو التكنولوجيا الدقيقة ؛ بما تنتجه من معارف واختراعات، وتمثل هذه المعارف في البحوث العلمية، والتي تعد جزءاً من الملكية الأدبية المكون الثاني بعد الملكية الصناعية للملكية الفكرية التي أسست لها منظمة عالمية تعنى بحمايتها وتمييزها تُعرف بالمنظمة العالمية لحماية الملكية الفكرية (WIPO)."

حيث أن أسمى ما يملكه الإنسان هو العقل وما يبدعه من أفكار ومخترعات،

* أخصائية تدريب بوزارة التربية والتعليم/سلطنة عمان. g.almqrashi@moe.com
** المنظمة العالمية للملكية الفكرية وكالة متخصصة من وكالات الأمم المتحدة تعنى بتطوير نظام عالمي ودولي متوازن وميسر للملكية الفكرية، تأسست عام ١٩٦٧، ومقرها جنيف وتضم ١٨٣ دولة.

وتحدد أهداف الورقة في التعرف على إدارة البحوث العلمية في بعض الجامعات العالمية والمقارنة بينها، والتوصل لتصور إداري مقترح لتطوير إدارة البحوث العلمية في المؤسسات المختصة، وتناول محتوى الورقة التعريف بإدارة البحوث العلمية، والمنهجية العلمية التي اتبعتها الدراسة، وملخص بالنتائج التي توصلت لها والتصور الإداري المقترح لتطوير إدارة البحوث العلمية في مختلف المؤسسات.

ولتحقيق أهداف الورقة، اتبعت الدراسة المنهج الوصفي؛ حيث تم تحليل الأدبيات المتعلقة بإدارة الملكية الفكرية بما فيها البحوث العلمية، وإعداد أداة الدراسة في صورة بطاقة تحليل محتوى تكونت من (٤٠) بند، وتم التأكد من صدقها وثباتها، وقد صنفت بنود البطاقة إلى أربعة مجالات هي: المجال الأول يتعلق بأهداف الجهة التي تدير الملكية الفكرية في الجامعات المختارة، والمجال الثاني يتعلق بالإجراءات الإدارية المتبعة في إدارة البحوث العلمية بتلك الجهة، والمجال الثالث يتعلق بالتنظيم الإداري والفني لإدارة البحوث العلمية بالجهة، والمجال الرابع يتعلق بحجم الإنتاج العلمي في الجامعات المختارة، فقد تم اختيار خمس جامعات ذات خبرة في المجال، ومقارنة كيفية إدارة الملكية الفكرية فيها، والجامعات هي: جامعة أكسفورد بالمملكة المتحدة وجامعة ستانفورد بالولايات المتحدة وجامعة أديلايد بأستراليا وجامعة كيوتو باليابان وجامعة الملك سعود بالمملكة العربية السعودية وجامعة السلطان قابوس بسلطنة عمان، واختيرت العينة بطريقة قصدية، كما اقتصر البحث على الجامعات دون غيرها من المؤسسات التعليمية كونها الأعلى في الإنتاج العلمي من البحوث، وينظر لها المجتمع على أنها منظمات معرفية تقدم برامج تعليمية وحاضنة للإنتاج العلمي، كما أنها منظمات مجتمعية تقوم على معالجة قضايا المجتمع.

ومن أهم النتائج التي توصلت لها الدراسة: أن الملكية الفكرية بما فيها البحوث العلمية لها دورة حياة تتفاوت من مؤسسة لأخرى، وكلما كان الأداء الإداري لهذه الدورة عالٍ وذا جودة كلما كان الإنتاج العلمي عالٍ وذا جودة فالعلاقة طردية مباشرة تعتمد على رأس المال الفكري والبيئة الداعمة للابتكار والتعاون العلمي الخارجي.

وأوصت الدراسة بضرورة الأخذ بالتصور الإداري المقترح لتطوير إدارة البحوث العلمية في المؤسسات التعليمية والمتمثل بخمس مراحل إدارية هامة سترفع من الإنتاج العلمي للمؤسسة التي تأخذ به.

التعريف بإدارة البحوث العلمية

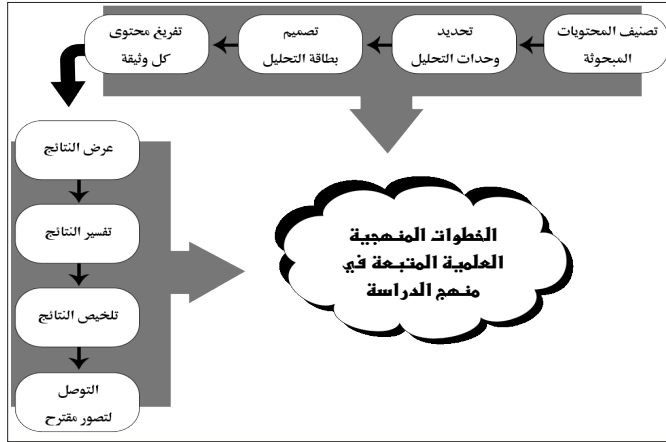
البحوث العلمية هي جزء من الملكية الأدبية ثاني مكونات الملكية الفكرية وتدرج ضمن حقوق المؤلف وفقاً لوثائق المنظمة العالمية لحماية الملكية الفكرية (WIPO, 2013).

وتعرف الباحثة إجرائياً إدارة البحوث العلمية على أنها: العملية التي تعمل على تخطيط الأفكار البحثية وتنظيمها وفحصها؛ لبيان مدى جودتها ومن ثم حمايتها، وتُترجم بالنظر إلى أهداف المنظمة، وإجراءاتها الإدارية، وتنظيمها الفني والإداري، وحجم الإنتاج العلمي فيها.

وقد تستخدم الباحثة أحياناً لفظة إدارة الملكية الفكرية بدلاً من إدارة البحوث العلمية كون الأولى أعم وأشمل.

منهج الدراسة وأداتها

وظفت الباحثة المنهج الوصفي في جمع البيانات وتحليلها عن إدارة الملكية الفكرية بشكل عام وإدارة البحوث العلمية بشكل خاص، بحسب الملخص التالي:



(شكل-٢) الخطوات المنهجية لتحليل المحتوى

صدق أداة الدراسة

تم عرض الصورة الأولية للأداة على مجموعة من الأساتذة المحكمين للتحقق من صدقها، بلغ عددهم ٢٠ محكماً.

ثبات الأداة

للتأكد من ثبات بطاقة التحليل تم إجراء عملية التحليل من قبل الباحثة مرتين ؛ بحيث يفصل بين كل مرة عن الأخرى فترة أسبوعين، وبحساب نسب الاتفاق بين المرتين بمعادلة (كوبر Cooper) حيث يجري استخدام المعادلة الآتية:

نسبة الاتفاق =

(عدد مرات الاتفاق في المرة الأولى + عدد مرات عدم الاتفاق في المرة الثانية) $\times 100$
عدد المرات

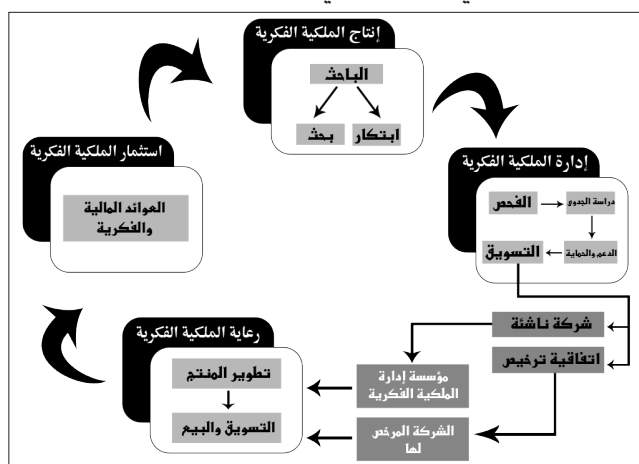
(بدر، ١٩٧٧: ٢٦٣)

$$\text{نسبة الاتفاق} = \frac{100 \times (80 + 85)}{2} = 82,5$$

نسبة الاتفاق = ٨٢٪ وهي نسبة مقبولة وتشير إلى ثبات الأداة.

ملخص نتائج الدراسة

من خلال تحليل الأدبيات المتعلقة بموضوع الدراسة، تم استخلاص مجموعة من النتائج، أهمها: إن إدارة الملكية الفكرية تقوم على دورة معينة يجب على أي مؤسسة اتباعها ؛ لكي تصل إلى أفضل النتائج، وتحقق أعلى العوائد في الإنتاج العلمي، ووضعت الباحثة تصوراً لهذه الدورة في الشكل التالي بناءً على قراءتها:



شكل ٣: دورة إدارة الملكية الفكرية في المؤسسات التعليمية

يوضح الشكل أن دورة إدارة الملكية الفكرية تبدأ بإنتاج ملكية فكرية تتمثل: في ابتكار أو بحث علمي، وإنتاجها لا بد من تشجيع الباحثين على الإبداع والابتكار، وتوفير بيئة مناسبة للإنتاج العلمي، وبمجرد إنتاج الملكية الفكرية تبدأ عمليات إدارتها، وتتمثل

في فحص الإنتاج العلمي، وتحكيمه، ودراسة جدواه العلمية والاقتصادية، ثم توفير الدعم المادي والمعنوي له، والعمل على تسجيله، وحمايته، ثم القيام بتسويقه، ويتم تسويقه إما بعقد اتفاقية ترخيص مع شركة تعمل في نفس مجال الابتكار العلمي؛ فتتولى رعايته من خلال تطويره، وتسويقه وبيعه، وما تحصل عليه المؤسسة من عوائد اتفاقية الترخيص يتم استثماره لإنتاج ملكية فكرية جديدة، وفي حالة أن المؤسسة لم تجد شركة تتبنى الابتكار؛ فإنها تقوم بإنشاء شركة تعمل على رعايته وتطويره وتسويقه وبيعه، وتتولى إدارتها الجهة التي تدير الملكية الفكرية في المؤسسة؛ لتستثمر العوائد بعد ذلك في إنتاج ملكية فكرية جديدة وهكذا تستمر الدورة.

التصور الإداري المقترح لإدارة البحوث العلمية بالمؤسسات التعليمية

يتكون هذا التصور من خمس مراحل وتعتبر كل مرحلة من المراحل الخمس امتداداً للمرحلة التي تسبقها، وتحتاج كل مرحلة لتحديد أهداف لها وفترة زمنية محددة والجهة المنفذة مع ضرورة استشراف التحديات التي قد تعترض تطبيقها وصياغة بدائل لذلك.

والجدول التالي اختصار لهذه المراحل:

المرحلة	البيان	الأهداف
الأولى	نشر ثقافة البحث العلمي	- تشجيع الابتكار والإبداع من قبل إدارة المؤسسة - تحفيز العقول المبدعة على الإنتاج العلمي - نشر الوعي بقوانين وسياسات الملكية الفكرية
الثانية	التخطيط لتطوير وتحسين الجودة في إنتاج البحوث العلمية	- وضع آلية شاملة وواضحة ومحددة لزيادة جودة وحجم الملكية الفكرية في المؤسسة - العمل على المتابعة المستمرة لما يتم تحقيقه في الملكية الفكرية المؤسسية - إيجاد بدائل للتحديات المتوقعة فيما يخص الملكية الفكرية في المؤسسة
الثالثة	توفير المتطلبات اللازمة لتطوير وإنتاج البحوث العلمية	- توزيع المهام والمسؤوليات المتعلقة بإدارة البحوث - تطوير الهيكل التنظيمي في إدارة البحوث - توفير المتطلبات اللازمة لبيئة الإبداع والابتكار
الرابعة	تطبيق الأساليب الإدارية اللازمة لتطوير وإنتاج البحوث العلمية	- تطوير الأساليب الإدارية المتعلقة بإدارة البحوث - زيادة جودة البحوث والابتكارات - زيادة عدد البحوث المنشورة وعدد براءات الاختراع المسجلة - حصول المؤسسة على مراكز متقدمة في التصنيفات العالمية فيما يخص البحث العلمي والابتكار
الخامسة	تقييم النتائج	- التعرف على ما تم وما لم يتم إنجازه من خطة البحوث العلمية وأسباب ذلك - إبراز جوانب القوة في إدارة البحوث العلمية والإعلان عنها لجذب مزيد من الابتكار والإبداع - إيجاد فرص للتعليم من معرفة نقاط الضعف - تحديد متطلبات الخطة القادمة

الخاتمة

تحظى المؤسسات التعليمية الحكومية أو الخاصة بدعم مالي عبر ميزانية سنوية تخصص لها، وهذا الدعم مع استمراريته وثبات مستواه إلا أنه يحتاج إلى مساندة ليضي بمتطلبات التوسع والتطوير ومستلزمات البحث العلمي والابتكارات، الأمر الذي يؤثر على إنتاج الابتكارات التي تحتاج إلى الدعم المالي لإنتاجها وتسجيلها وحمايتها وتجديدها، كما أن النظم واللوائح والإجراءات الخاصة بسياسة التعليم في المؤسسات، ومدى استيعابها لمتغيرات العصر ومستجداته ومدى تركيزها على التميز والإبداع، والشراكة الفاعلة مع المجتمع والتوجه نحو السوق إن لم يتوفر هذا الاستيعاب فسوف تنقيد الابتكارات والاختراعات، ولا يمكن أن نغفل عن الرضا الوظيفي والولاء المهني من قبل أعضاء هيئة التدريس والباحثين والطلاب فأكثر ما يؤثر على الرضا الوظيفي شعور الأستاذ الجامعي أو الباحث أن جهوده لا تحظى بالاهتمام والتثمين الذي تستحقه فبالنالي لن يتقدم بأفكار بحثية ابتكارية البوسعيدى (٢٠٠٢)، هذه هي محددات يجب وضعها في الاعتبار عن وضع خطة طموحة لتطوير إنتاج البحوث العلمية في المؤسسات التعليمية.

المراجع والمصادر

أولاً: المراجع والمصادر العربية

- بدر، أحمد (١٩٧٧). الرأي العام: طبيعته وتكوينه وقياسه، مكتبة غريب/ القاهرة.
- البوسعيدى، نجاح بنت هلال بن سعود (٢٠٠٢). السلوك القيادي لرؤساء أقسام كليات جامعة السلطان قابوس وعلاقته بالرضا الوظيفي لأعضاء هيئة التدريس بها، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة السلطان قابوس/ مسقط.
- جلدة، سليم بطرس وعوي، زيد منير (٢٠٠٦). إدارة الإبداع والابتكار، (ط١)، دار كنوز المعرفة/ الأردن.
- جويتا، برافين (٢٠٠٨). الإبداع الإداري في القرن الحادي والعشرين. ترجمة أحمد المغربي، دار الفجر للنشر والتوزيع.
- الزيادات، محمد عواد أحمد (٢٠٠٨). اتجاهات معاصرة في إدارة المعرفة (ط١). دار صفاء للنشر والتوزيع/ عمان.
- السعيد، هاني محمد (٢٠٠٨). رأس المال الفكري: انطلاقاً إدارية معاصرة (ط١). دار السحاب للنشر والتوزيع/ القاهرة.
- الصرن، رعد حسن (٢٠٠١). إدارة الابتكار والإبداع: كيف تخلق بيئة إبداعية في المنظمات؟ (ط١)، الجزء الثاني، دار رضا للإبداع/ عمان.
- عبدالرزاق، فاطمة زكريا (٢٠٠٨). حماية حقوق الملكية الفكرية في التعليم الجامعي، رسالة دكتوراة منشورة، منشأة المعارف/ الإسكندرية.
- كوك، بيتر (٢٠٠٨). إدارة الإبداع. ترجمة بدار الفاروق؛ خالد العامري، دار الفاروق للاستثمارات الثقافية/ مصر.
- نجم، نجم عبود (٢٠٠٩). الإدارة والمعرفة الإلكترونية. دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع/ الأردن.

ثانياً: المراجع الأجنبية

- Gill, Avninder. (2009). Knowledge management initiatives at a small.
- University. International Journal of Educational Management. 23 (7), 402-420.
- Hoh, John D. (1992). Intellectual property obstacles to university.
- Industry collaboration. Ed. D. Dissertation: United States, Massachusetts: University of Massachusetts Amherst, Publication Number: AAT 9233070.
- Wang, Yi. & Lucy. Lu. (2007). Knowledge transfer through effective.
- University-industry interactions: Empirical experiences from China. Journal of Technology Management in China. 2(2), 308-320.

ثالثاً: المواقع الإلكترونية

- Wipo. int (2013). What is Intellectual Property? <http://www.wipo.int/about-ip/ar/>, Retrieved on 15/2/2013.
- Stanford University (2008-2009). The Stanford office of technology licensing annual report. <http://bondholder-information.stanford.edu/home.html>:Retrieved on 22/4/2013.

معالجة أخطاء التلاميذ وتأهيل المعلمين في الرياضيات

أ. محمد المحمود*



Training in the Mathematics

Abstract

This paper sums up a PhD thesis which deals with didactic of mathematics in general, and with teachers training to tackle learners' errors in specific. This study has a special theoretical framework; the double methodology as proposed by Robert & Rigolski. It aims to shed light on the teaching practices used in teacher training, which have good effects on tackle students' errors. This work tries to answer the following pivotal question: How can we train future teachers to deal their students' errors effectively? It follows an analytical approach where it observes the teacher trainers in the classroom and asks them questions in private interviews and then asks their trainees to fill in questionnaires. The teacher trainees are then observed in the classroom so as to analyze their practices and show how far they are influenced by their trainers'

• طالب دكتوراة في فرنسا، باحث/سورية. Mohamed.m.almahmoud@gmail.com

مقدمة

وفقاً لأبحاث كثيرة في مجال طرائق تدريس الرياضيات التي تؤكد أن الفشل الدراسي بشكل عام وفي الرياضيات على الخصوص مرتبط بالأخطاء التي يرتكبها التلميذ أثناء تعلمه للمفاهيم التي يتم تداولها في الصف الدراسي ويؤكد ذلك (DeBlois & Giroux, 1998) حيث كان مجال بحثهم اللغة الفرنسية فوجدوا أن الإخفاق الدراسي يتناسب طردياً مع ازدياد أخطاء التلميذ.

إذاً هذه مشكلة تستحق الدراسة لمعرفة أسباب القصور لمعالجتها فيما بعد وبما أننا لا نستطيع الإحاطة بالموضوع من كافة جوانبه فعلياً اختيار جانب معين لتمحيصه والتدقيق فيه لذلك وقع اختيارنا على موضوع تأهيل المعلم الذي هو الأساس منبع كل المشاكل فإذا كان هذا المصدر نقي وخالي من الشوائب فمن الضروري أن يكون المصب لا يحتوي على كثير من المعكرات. لقد ركزنا في هذا البحث على كيفية تأهيل المعلم في فرنسا عموماً وعلى تأهيله في معالجة أخطاء التلاميذ خصوصاً. في الحقيقة تقدم هذه الوريقات موجزاً لبحث دكتوراة في مجال طرائق تدريس الرياضيات بشكل عام وفي مجال إعداد معلمي الرياضيات لمعالجة أخطاء التلاميذ بشكل خاص.

تعتمد هذه الدراسة على إطار نظري خاص؛ النهج أو المنهجية المزدوجة، المقترحة من قبل روبير وريجولسكي (Robert et Rigolski). يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على الطرائق والاستراتيجيات المتبعة في تأهيل معلمي الرياضيات التي لها أثر جيد في معالجة أخطاء التلاميذ. يحاول هذا العمل الإجابة على سؤال مفصلي في البحث: كيف ندرب المعلم المستقبلي على معالجة أخطاء تلاميذه بشكل جيد؟ تعتمد هذه الدراسة على منهجية التحليل فهي تراقب المدرسين في دروسهم وتطرح عليهم أسئلة ضمن مقابلات خاصة ثم تطرح استبيانات على طلابهم ومن ثم تراقب الطلاب-المعلمين في صفوفهم وتصورهم من أجل تحليل دقيق لطرائقهم ومدى تأثيرها بطرائق المدرب وذلك بما يخص أخطاء التلاميذ. قمنا أيضاً بإعداد قوائم تحليلية خاصة لتحليل المعطيات التي حصلنا عليها من العينة التي أجريت عليها الدراسة وكانت النتائج الأولية تفيد بأن المدرسين يقدمون للطلاب-المعلمين دروس عامة ويحاولون الابتعاد عن الدخول في التفاصيل فمثلاً هناك ثلاث أنواع من المعارف كان يجب الخوض فيها (تدريسية، رياضية وتربوية)، لكن نتيجة مراقبتنا للمدرسين لوحظ اهتمامهم كثيراً بالجانب التربوي والرياضي وإهمال المعارف التدريسية وأصولها وفنونها فما فائدة التأهيل إذا كان يعود ليكرر بعض المفاهيم الرياضية التي تم تداولها في الجامعة عند دراسة الرياضيات في الليسانس، فمهمة المدرب هي أن يعلم الطالب-المعلم كيف ينقل المفهوم الرياضي إلى التلميذ وليس إفهامه ذلك المفهوم. كذلك لوحظ أن أخطاء التلاميذ لم يتم التطرق لها أو تم التطرق لها بشكل سطحي وغير كافي.

إشكالية البحث

أُشِبت أخطاء التلاميذ في الصف بحثاً على كافة الصُّعد وفي مختلف الاختصاصات وبشكل خاص في مجال طرائق تدريس الرياضيات. فمنها من حدد أصول هذه الأخطاء والمسؤول عنها وكيفية التعامل معها كما فعل (Charnay, 1989). كما أن هناك دراسات نظرية تطرقت لهذا الموضوع بشكل مفصل مثل (Astolfi, 2011). بالمقابل تم التركيز أيضاً على تأهيل المعلم وتدريبه في مادة الرياضيات وتأثيرات هذا التأهيل على طرائق تدريس هذا الطالب-المعلم في المستقبل (Grugeon-Allys, 2008). لكن ما لم يتم التركيز عليه أو لنكن دقيقين أكثر تم تداول هذا الموضوع بشكل ضعيفاً جداً. هذا يعني أن تدريب الطالب-المعلم على معالجة أخطاء التلاميذ بأسلوب جيد وناجح تم تجاهله من قبل كثير من الباحثين في مجال طرائق التدريس لذلك سيتم التركيز على هذا السؤال أو المشكلة بشكل أكبر وخصوصاً في هذه الورقات. يركز هذا البحث بدايةً على الموقع الذي يشغله خطأ التلميذ في دروس التدريب ثم الاستراتيجيات المتبعة (Houdement, 1996 & Kuzniak) من قبل المدرسين لتمرير المفاهيم الضرورية - معارف رياضية، معارف تربوية ومعارف تدريسية (Shulman, 1987) لتعليم الطلاب-المعلمين كيف يتعاملون مع هذه الأخطاء. هنا يمكن طرح العديد من الأسئلة التي تمهد لحل إشكالية هذا البحث. أو يمكن اعتبارها أسئلة البحث.

- ما هي المعارف التي يجب أن يحتويها تدريب وتأهيل المعلمين؟
- ما هي الاستراتيجيات المتبعة؟
- ما هو تأثير هذا التأهيل على طرائق الطالب-المعلم في سنة التدريب؟
- هذه الأسئلة المختلفة تساعد مع الأرضية النظرية والمنهجية المتبعة بالإجابة بشكل مناسب على إشكالية البحث التالية: كيف ندرب أو نوّهل المعلم المستقبلي على معالجة أخطاء التلاميذ؟

الإطار النظري

تُسجل هذه الدراسة ضمن مجال طرائق تدريس الرياضيات بشكل عام وضمن نظرية المنهجية المزدوجة (Robert & Rogalski, 2002). تسهل هذه النظرية دراسة محتويات الدروس في التأهيل بمعارفها المختلفة (رياضية، تربوية وتدرسية). فالاهتمام ينصب على عنصرين رئيسيين من العناصر الخمسة في نظرية النهج المزدوجة (المعرفي، الوسيط، المؤسسي، الاجتماعي والشخصي) سيتم التركيز على العنصر المعرفي الذي

يفترض وجود صلة بينه وبين المعارف المقترحة على الطلاب-المعلمين في برنامج التأهيل بأنواعها الثلاثة المذكورة سابقاً وعلى العنصر الوسيط الذي يتجلى بالعلاقة بين عناصر عملية التدريب أو التأهيل أي بين المدرب والطالب-المعلم. أكثر من ذلك يتم الاهتمام بالأدوار الثلاثة (دور التلميذ، دور الطالب ودور المعلم) (Deblois & Squalli, 1997) التي يضع فيها المدرب الطالب-المعلم حيث أن هذه الأدوار خلال دروس التأهيل ستكون محط أنظار الباحث في هذه الدراسة وبشكل خاص بافتراض وجود علاقة بين الدور الأول ومدى فهم الطالب-المعلم لتفكير التلميذ وكيف يتصرف ولماذا يقوم بهذه الأخطاء، أي أن الطالب المعلم يلعب دور المراقب الداخلي. فعندما يضع الطالب-المعلم نفسه مكان التلميذ يستطيع أحياناً أن يفسر بعض الأخطاء ولكن هذا الدور يحتاج إلى إدارة جيدة وفهم جيد من قبل المدرب كي يستطيع نقل الطالب-المعلم إلى تقمص دور التلميذ لفهم آلية تفكيره وبالتالي حل بعض الأخطاء وتجاوزها بسرعة نوعاً ما. كما أن استراتيجيات التأهيل التي ركز عليها (Houdement & Kuzniak, 1996) في بحثه القائم على ذكر الاستراتيجيات المتبعة في تأهيل الطلاب-المعلمين حيث أنه ميز بين نوعين منها. الأول يتطرق إلى ثلاثة أنواع من الاستراتيجيات غير المهنية وهي الاستراتيجيات الثقافية، البحثية التطبيقية والاستقلالية. ثم عرّج على الاستراتيجيات المهنية بكثير من الدراسة والبحث ولخصها أيضاً بثلاثة أنواع: الإظهار، التمثيل والنقل أو الترجمة.

فرضيات البحث

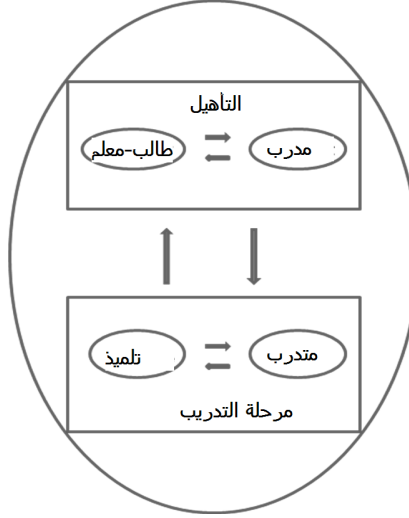
ترتبط قدرة المدرب على معالجة أخطاء التلاميذ بشكل جيد بما تعلمه من معارف تدريسية بشكل خاص في دروس التأهيل.

ترتبط قدرة المدرب على استيعاب أخطاء التلاميذ ومعالجتها بالدور (تلميذ، طالب أو معلم) الذي وضعه فيه المدرب في دروس التأهيل وعلى وجه الخصوص دور التلميذ.

منهجية البحث

في هذه الدراسة سنركز على جانبين مهمين في عملية التأهيل؛ الأول ينحصر بمحتوى دروس التأهيل وماهيتها من استراتيجيات ومعلومات والثاني هو مرحلة التدريب بعد ذاتها فالطالب-المعلم يتلقى الدروس خلال الأسبوع وبنفس الوقت يذهب إلى

المدرسة ليطبق ما تعلمه بشكل عملي في صف يقع تحت مسؤوليته. والشكل ١ يلخص تماماً ما نود دراسته.



شكل ١: مخطط للعناصر الهامة في هذه الدراسة

من خلال هذا المخطط تظهر عناصر العينة المفحوصة التي سيتم تسليط الضوء عليها في هذه الدراسة.

عينة الدراسة

تم مراقبة ثلاثة مدربين من ثلاثة مدن مختلفة خلال عام دراسي كامل، وأجرينا معهم مقابلات شخصية، واقترحنا على ٣٠ متدرب الإجابة على استبيان مخصص لهذا الغرض. ثم تابعنا ثلاثة متدربين في صفوف التدريب وتم تصويرهم في حالات تدريسية بهدف تحليل هذه المعطيات، وطلبنا أيضاً من ٦٠ تلميذ وطالب الإجابة على الاستبيان الخاص بهم.

تحليل المعطيات

لتحليل المعطيات التي تم تجميعها من خلال مراقبة دروس التأهيل وتسجيلها، من خلال المقابلات التي تم عقدها مع المدربين، ثم من خلال الاستبيانات التي طرحت على الطلاب-المعلمين وأخيراً من خلال تصوير الدروس التي يعطيها المتدرب في صفه والاستبيان المطروح على تلاميذه. كل هذه المعطيات تحتاج إلى «قوائم أو شبكات تحليل»

تسهل عملية التحليل ومن ثم الوصول إلى نتائج ملموسة. إذا وبما أن الدراسة تركز على جانبين هما دروس التأهيل وعمل المتدرب في الصف فهناك «شبكة تحليل». تقوم الأولى على تحديد نوعية المعارف المدرسة والمقترحة في دروس التأهيل والاستراتيجيات المتبعة وكيف يتعامل المدرس مع الطالب-المعلم؟ والأدوار الموكلة إلى هذا الأخير. الجدول التالي يمكن أن يلخص بشكل بسيط «شبكة التحليل» الأولى التي تستند عليها الدراسة لتحليل دروس التأهيل الملاحظة طيلة العام الدراسي.

معارف									
	رياضياتية			تربوية			تدريسية		
	استراتيجيات			استراتيجيات			استراتيجيات		
	إظهار	تلقين	انتقال	إظهار	تلقين	انتقال	إظهار	تلقين	انتقال
تلميذ									
طالب									
معلم									

شكل ٢: شبكة تحليل لدروس التأهيل

من جانب آخر، لمعالجة البيانات المتعلقة بالمتدرب داخل صفه، هناك «شبكة تحليل» خاصة بهذا الغرض تهدف إلى معرفة الطرق التي يعتمد عليها المتدرب لمعالجة الأخطاء التي يقع بها التلاميذ وما مدى تأثير هذه الطرق وارتباطها بدروس التأهيل؟

من اكتشف الخطأ؟		مستوى تفسير الخطأ									تعريف			
الصف	0	I	II	III	IV	V	VI	رقم	معلم	تلميذ				
نص الخطأ														
											المعلم	أ	ب	ج
												يبادر بـ	يطلب من الصف أو التلميذ المخطئ	يتركه للصف أو لتلميذ آخر الاعتناء بـ
											1. يغير أو يهمل التصحيح			
											2. يصحح، يعطى الإجابة			
											3. يبحث عن الإجابة الصحيحة ويساعده و يوجهه			
											4. يكرر، يصيّر، يعلق، يعطى رأيه (المعلم لا يقدم معلومات إضافية)			
											5. يعطى معلومة مرتبطة بشيء ما:			
											- قاعدة أو تعريف			
											- مثال أو مثال معاكس			
											- توضيح لمفهوم جزئي			
											- تعليمات إضافية			
											6. إثبات آلية الخطأ وشرحه			
7. يبحث في مستند ما أو يعود إلى خبرة ما أو يحل تمرين آخر من نفس النمط (يقدم المعلم مساعدة غير مباشرة)														

شكل ٣: شبكة «حالة الخطأ» لتحليل دروس المتدرب في الصف

في الحقيقة إن «شبكة التحليل» هذه تم تبنيها بشكل شبه كامل ودون كثير من التحوير ومن باب التذكير فإن (Charnay, 1989) هو من وضع هذه الشبكة.

نتائج

بما أن الدراسة راقبت الطلاب-المعلمين في دروس التأهيل وفي صفوفهم في أوقات التدريب في السنة الأولى والثانية من التأهيل فقد تم ملاحظة عدة نقاط:

في السنة الأولى من التأهيل تنحصر المعلومات المقدمة للطلاب-المعلمين بالجانب الرياضي وبرامج السنوات الدراسية ومناقشتها ويترتب على ذلك ضعف في قدرة المتدرب عندما يدخل صفه على معالجة أخطاء التلاميذ لعدم امتلاكه الأرضية الجيدة في طرائق تدريس الرياضيات حيث جل معارفه تركزت على المفاهيم التي يجب أن يعلمها وليس كيف يعلمها.

في السنة الثانية من التأهيل، يُلاحظ أن المدرب الذي يركز على جانب طرائق تدريس الرياضيات في دروسه ويقل من جانب المعلومات الرياضية المناقشة في دروس التأهيل يقدم أدوات للمتدربين تساعد على التعامل مع أخطاء التلاميذ على عكس المدرب الذي يركز على الجانب الرياضي ويهمل الجانب الطرائقي في تدريس الرياضيات فمتدريه تنقصهم الأدوات اللازمة لمعالجة الأخطاء والتعامل معها بشكل مثمر.

عموماً دروس التأهيل لا تناقش بشكل مباشر أصول الأخطاء وأسبابها وكيفية التعامل معها لذلك تبقى معالجتها من قبل المتدرب في الصف قاصرة على إعادة شرح المفهوم بنفس التعابير السابقة وكأن المشكلة فقط بالمفهوم. أخيراً المدربون يعتمدون بشكل رئيسي على مصادر ذاتية لتحضير دروسهم والمحتويات التي سيطرحونها على طلابهم في برنامج التأهيل، وهم يعتمدون أيضاً على الاستراتيجيات الثقافية والاستقلالية، وهذا ما يعني أن الاستراتيجيات المتبعة بجانب المهنية وخاضعة لشخصية المدرب وليس لدراسات ومقترحات منهجية مدروسة.

توصيات ومقترحات

هناك جملة من المقترحات توصي بها الدراسة بعد تحليل دقيق لدروس التأهيل ولما قام به المتدربون في الصف، ومدى ترابط أو تأثير دروس التأهيل في طريقة تدريس المعلم المتدرب في الصف خلال جلسات التدريب. هذه المقترحات تتجلى في ثلاثة نقاط:

- على دروس التأهيل أن تركز بشكل رئيسي على المعارف التدريسية وأن تترك المعارف الرياضية أو أن تركز عليها بشكل ثانوي لأن الطالب-المعلم يحمل إجازة في الرياضيات وليس بحاجة لتطوير مهاراته الرياضية في برنامج التأهيل وهذه

مهمة المرحلة الجامعية بالأصل وإنما هو بأمس الحاجة ليتعرف على كيفية نقل المعرفة الرياضية إلى التلميذ وليس تعلمها من جديد.

- تخصيص عدد من الحصص ضمن برنامج التأهيل لتعريف الطالب-المعلم بالأخطاء التقليدية التي يرتكبها التلاميذ في الصف على الأقل وأسبابها وكيفية التعامل معها.

- التركيز على تدريب الطالب-المعلم في دروس التأهيل على لعب دور التلميذ والتفكير كما يفكر ليفهم آلية تفكيره فيعرف كيف يتعامل معه بشكل مناسب.

المراجع

- Astolfi, J. -P. (2011). L'erreur, un outil pour enseigner. Issy-les-Moulineaux: ESF éditeur.
- Charnay, R. (1989). Les enseignants de mathématiques et les erreurs de leurs élèves. Grand N, 45, 31-41.
- Corbin, J., & Strauss, A. (1990). Basics of qualitative research: Grounded theory procedures and techniques. Basics of qualitative research: Grounded Theory procedures and techniques, 41.
- Deblois, L., & Squalli, H. (1997). L'analyse des erreurs des élèves en mathématiques par des étudiantes et des étudiants en formation initiale à l'enseignement. In Continuités et ruptures dans la formation des maîtres au Québec (p. 125-143). Presses Université Laval.
- Grugeon-Allys, B. (2008). Quelques apports de l'analyse multidimensionnelle activités des élèves et pratiques des professeurs de mathématiques : vers une modélisation : note de synthèse pour une habilitation à diriger des recherches. Université Paris 7-Denis Diderot, Paris.
- Houdement, C., & Kuzniak, A. (1996). Autour des stratégies utilisées pour former les maîtres du premier degré en mathématiques. Recherches en didactique des mathématiques, 16(3), 289-322.
- Robert, A., & Rogalski, J. (2002). Le système complexe et cohérent des pratiques des enseignants de mathématiques: une double approche. Canadian Journal of Math, Science & Technology Education, 2(4), 505-528.
- Shulman, L. S. (1987). Knowledge and teaching: Foundations of the new reform. Harvard educational review, 57(1), 1-23.

الفلسفة التربوية للشبكات الاجتماعية في مجال التعليم - نموذجاً

د. داليا محمد نبيل توفيق السيد*

مقدمة الدراسة

الاجتماعي ذلك من خلال توظيف تقنيات الويب* للتفاعل الاجتماعي عبر شبكات التواصل الاجتماعي ومنها: المدونات وغوغل بلس والفيسبوك وتويتر وغيرها

تتحد الشبكات الاجتماعية مع البرمجيات الاجتماعية في الفلسفة التربوية التي تركز عليها في كلمة (اجتماعية Socail) التي تحمل أهداف: الاتصالات، البنائية، التعاونية، غير أن الاستخدام المتعدد للشبكات الاجتماعية يجعل لها مزيد زيادة من تحقيق أهداف التعلم على الشكل التالي:

استخدام التقنية بجميع أنواعها في توصيل المعلومة للمتعلم بأقصر وقت وأقل جهد وأكبر فائدة. هو الهدف الذي يسعى له جميع المؤسسات التعليمية، وقد جعل ثورة المعلومات العالم أشبه بشاشة إلكترونية صغيرة في عصر الامتزاج بين تكنولوجيا الإعلام والمعلومات والثقافة والتكنولوجيا، وأصبح الاتصال إلكترونياً وتبادل الأخبار والمعلومات بين شبكات الحاسب الآلي حقيقة ملموسة، مما أتاح سرعة الوصول الى مراكز العلم والمعرفة والمكتبات والاطلاع على الجديد لحظة بلحظة. ومن ذلك شبكات التفاعل

* أستاذ مساعد، قسم وسائل وتكنولوجيا التعليم مشرفة على وحدة التعليم الإلكتروني ووحدة العلاقات العامة، كلية التربية، جامعة حائل/السعودية. Dalia-tec@hotmail.com

- تجمع بين (الفردانية) personalization و(الاجتماعية) socialization في التعلم: من خلال خدمة الصفحات الشخصية التي توفرها الشبكات الاجتماعية فهي أشبه بهويته الفردية على الويب. أما الاجتماعية فهي تبدأ عندما تترابط هذه الصفحات الشخصية للأعضاء في الشبكة حيث يبني كل عضو شبكته الخاصة من العلاقات (الأصدقاء) الذين يضافون على صفحته الشخصية (Catherine, 2008).
- تحقيق (الشفافية Transparency) في الشبكات الاجتماعية: حيث يستطيع الطلاب متابعة أنشطة بعضهم البعض: إن التركيز على الوعي بالأنشطة والأعمال والأفكار التي تتراكم في الشبكات الاجتماعية هو هدف أساس في استخدام الشبكات الاجتماعية في التعلم. ومما يساعد على إبقاء الطلاب على وعي بكل المستجدات على الشبكة، توفير خدمة التنبيه للتحديثات notifications حيث تظهر كل التغييرات الجديدة على الشبكة آلياً.
- تركز على النظرية التربوية: التعلم من خلال الأنشطة والتي تشكل الوصلات التي تربط بين المتعلمين (activities are collective). ويأتي مما توفره الشبكات الاجتماعية من أدوات التفاعل والمشاركة الشخصية.
- تفعل مفهوم المنظور الاجتماعي والثقافي في توجيه التعلم socio-cultural perspective: وتدخل معها نظريات أخرى: students' problem-oriented, self-governed activities, Managed/Virtual Learning Environments حيث تركز على معالجة المشاكل الذاتية وتنظم أنشطة التعلم، هذا النهج الذي يعتبر من وسائله تعميق مفاهيم: البناء والإنتاج والحوار والتعاون.

أنواع مواقع التواصل الاجتماعي

يوجد العديد من أنواع مواقع التواصل الاجتماعي، وفي كل يوم يظهر المزيد منها ولكن لتسهيل عملية الاستيعاب سوف أقوم بتصنيفها.

النوع الأول: يختص بالاتصالات وإيجاد وتبادل المعلومات

من الأمثلة على هذا النوع من التواصل الاجتماع:

- المدونات (Blogs):

هذا الموقع مثال لمدونة شخصية، كما يوجد العديد من أنواع المدونات، بعضها يختص بتناقل معلومات عن الأخبار بكل أنواعها، أما الآخر فيختص بأمور شخصية

وبيومية. ومن أهم برامج المدونات: Blogger, Expression Engine, Live Journal, Open Diary, Type Pad, Word Press, Xanga

• المدونات الجزئية (Micro Blogs)

المدونات الجزئية ما هي إلا أسلوب لبث المعلومات بشكل سريع، وما يميزها عن المدونات العادية هو صغر حجم وكمية المعلومات (نصية، صور، صوتية، ومرئية) المتداولة عليها، مما يساعد الناس على تداول أحجام وكميات أصغر من المعلومات بشكل دائم وسريع. ومن أهم برامج المدونات الجزئية: Jaiku, Plurk, Posterous, Tumblr, Twitter, Qaiku, Google Buzz, Identi. ca

• خدمات تحديد المواقع الجغرافية (Location Based Services):

كما تعرف اختصاراً بـ LBS حيث قمت في السابق بكتابة تعريف بسيط لشرحها. هذا الخدمة تمكن المستخدم من تحديد موقعه الجغرافي وتعريف شبكته من الأصدقاء بما يفعل في ذلك الموقع بالتحديد. ومن الفوائد العديدة لهذه الخدمة هي تعرف شبكتك بالأماكن الجديدة في مدينتك أو أي مدينة أخرى قد تزورها. كما تتميز هذه الخدمة بتقديم معلومات عن الموقع قد تكون مفيدة مثل أرقام الاتصال، عنوان الموقع الإلكتروني، رأي المستخدم الشخصي في الخدمة، أو حتى اقتراح لتجربة شيء مميز في ذلك الموقع. وهناك العديد من برامج ومواقع خدمة تحديد المواقع مثل: Foursquare, Geolqi, Gowalla, Facebook places, The Hotlist

• مواقع الترابط الشبكي الاجتماعي

لعل من أشهر هذه المواقع هو موقع فيس بوك ولينكدين وهي مواقع تمكن المستخدمين من التواصل المباشر ببعضهم ومشاركة الاهتمامات والفعاليات، كما يمكن استخدام تلك المواقع للبحث عن أصدقاء الدراسة أو البحث عن عمل جديد أو حتى التعرف على كل ما هو جديد في حياة من تعرف من دون الحاجة للسؤال المباشر، فهذه المواقع توفر العديد من الفوائد للمستخدمين. ومن أهم مواقع الترابط الاجتماعي: ASmall World, Bebo, Diaspora, Facebook, Hi5, LinkedIn, My Space, Ning, Orkut, Plaxo, Tagged, XING, IRC, Yammer

• مواقع الفعاليات (Events)

هذه نوعية من المواقع لتنظيم الفعاليات والتحكم بعدد الأشخاص المدعوين، كما يمكن هذه المواقع استخدام خدمات تحديد المواقع الجغرافية (LBS)

لتحديد موقع التجمع. مما يميز هذه المواقع الإلكترونية إمكانية التحديث التلقائي، فيمكن الداعي للفعالية تغيير الموقع والزمان وبالتالي سيعرف كل المدعويين بهذا التغيير مباشرة دون الحاجة لإبلاغهم كل على حدة. ومن أشهر مواقع الفعاليات: Tweetvite, Eventful, Meetup

• مواقع تجميع المعلومات (Information Aggregators)

تقوم هذه المواقع والبرامج بتجميع المعلومات التي تهتمك فقط، فما يميز هذا العصر الذي نعيش فيه هو كمية المعلومات المتداولة بشكل سريع عن طريق الإنترنت، حيث تقوم هذه المواقع بتجميع المعلومات في مكان واحد بدلاً من البحث عنها وإضاعة الوقت. وهناك العديد من مواقع جمع المعلومات مثل: Netvibes, evri

• مواقع مشاركة الاهتمامات (Social Interests)

هذه نوعية مختلفة من المواقع تساعدك على نشر ومشاركة شبكتك نوعية الأجهزة التي تستخدمها أو اهتماماتك مثل ما تشاهد الآن أو ما تقرأ في الوقت الحالي. ومن أهم تلك المواقع: Gdgt, GetGlue, GoodReads

• مواقع جمع التبرعات والقضايا المهمة (Online Advocacy and Fundraising):

فكرة هذه النوعية من المواقع ذكية ومفيدة، لتتخيل أنك تود القيام بمشروع لا تملك التمويل اللازم له، كل ما عليك هو تقديم دراسة المشروع لهذه المواقع ومن ثم يقوم القائمين على الموقع بدراسة المشروع وفكرته ثم عرضه على المستخدمين. ومن أشهر تلك المواقع: Causes, Kickstarter

النوع الثاني من مواقع التواصل الاجتماعي والتي تعرف بمواقع التعاون وبناء فرق العمل

• الويكي (Wiki)

وهي مواقع تمكن العديد من الناس من الاشتراك في تكوين معلومات مترابطة بشكل منطقي عن طريق روابط إلكترونية، من أفضل الأمثلة موقع ويكيبيديا الموسوعة العلمية والتي بنيت من قبل مستخدمين عن طريق مشاركة المعلومات. يمكنك إنشاء الويكي الخاصة بك وبأصدقائك عن طريق استخدام هذه المواقع: PBworks, Wetpaint, Wikia, Wikimedia, Wikispaces

• مواقع المرجعيات (Social Bookmarking)

يمكن استخدام هذه المواقع لوضع علامة مرجعية لمواقع تهتمك أو قد تهتم غيرك، مثلاً هو الحال عند حفظك لموقع في برنامج تصفح الإنترنت الخاص بك لكن مع إضافة إمكانية مشاركة الآخرين هذه المواقع المرجعية، كما تتمكنك هذه النوعية

من اكتشاف مواقع جديدة عليك. تعد هذه الخدمة من روائع الإنترنت اللانهائية، تخيل إمكانياتك استكشاف بحور الشبكة وتفرعاتها بالاعتماد على جهود أصدقائك أو حتى مستخدمين آخرين على الشبكة. وللاشتراك في العديد من مواقع المرجعيات مثل:

CiteULike, Delicious, Diigo, Google Reader, StumbleUpon, folkd.

• مواقع الأخبار الاجتماعية (Social News)

بدلاً من الاعتماد على استقاء الأخبار من قنوات الأخبار المتعارف عليها، يمكنك الاعتماد على شبكة واسعة من المستخدمين لإيجاد الأخبار المهمة، حيث يقوم المستخدمون من تقديم الأخبار التي يجدونها مهمة ومن ثم يقوم القراء بتقييمها إن كانت فعلاً مهمة. مما يميز هذه المواقع هو التركيز على ما هو حديث وفي مجال اهتمام العالم، كما تقدم الكثير من مواقع الأخبار الاجتماعية تصنيفات تساعدك على تحديد مجال اهتماماتك مهما كانت. ومن أهم مواقع الأخبار الاجتماعية: Digg, Mixx, NowPublic, Reddit, Newsvine, Technorati

• الملاحة الاجتماعية (Social Navigation)

برامج الملاحة الاجتماعية عبارة عن برمجيات يقوم المستخدم بتثبيتها على جهاز الهاتف الخليوي ومن ثم الاستعانة بالـ GPS لرسم خريطة حركته بالمدينة. الآن تخيل آلاف المستخدمين يقومون بنفس العملية على مدار الساعة، المحصلة هي خريطة دقيقة مرسومة من قبل المستخدمين. كما يمكن هذه البرامج تقديم توجيه دقيق للمستخدم عند رغبته الوصول لمكان محدد، أو التنبيه بوجود مخاطر على الطريق أو حتى تغيير مسارات. فكما يمكنك أن تتخيل سرعة ودقة وتزامن المعلومات بشكل دائم. وللاشتراك عن طريق البرامج التالية: Trapster, Waze

• مواقع إدارة الملفات وتحرير النصوص (Document Management & Editing):

كم يود البعض التعاون في إتمام مذكرة أو نص أو حتى التعاون على تحضير عرض فباستخدام هذه المواقع كل ما عليك هو تحديد الأشخاص الذين تود التعاون معهم والباقي ما هو إلا تفاعل سلس بينكم. فكلما دخل شخص على المذكرة أو النص يمكنه رؤية التحديثات والتعديلات وبالتالي التعاون على إتمام العمل حتى لو فصل بينكم محيطات. بعض هذه المواقع (Drop Box, Box) يساعدك على تبادل الملفات مع الآخرين حيث تمنحك الشركة المقدمة للخدمة سعة تخزين محددة يمكنك استخدامها لإنشاء ملفات ومن ثم مشاركة الملفات مع أصدقاء أو زملاء لتبادل البيانات بشكل فوري وسريع. ومن أشهر مواقع إدارة وتحرير النصوص: Google Docs, Syncplicity, Docs, Dropbox, Box

النوع الثالث من مواقع التواصل الاجتماعي هي مواقع الوسائط المتعددة

• مواقع التصوير والفرن (Photo Sharing)

تقدم هذه المواقع العديد من الفوائد حيث تمنحك مكاناً يمكنك فيه حفظ وتخزين، وعرض أعمالك الفنية سواء كانت صور أو رسومات فنية حيث يتمكن الناس من رؤيتها وإبداء الإعجاب أو النقد لها، كما تفيد في إمكانية بيع أعمالك للغير وإيجاد دخل مالي منها. وبناءً على نوعية الفن هناك العديد من المواقع مثل: deviantArt, Flickr, Photobucket, Picasa, SmugMug, Zoomr

• مواقع مشاركة الفيديو والبث المباشر (Video Sharing & Streaming):

في هذه النوعية من المواقع يمكن إيجاد والبحث عن العديد من مقاطع الفيديو المرئية وتقييمها، كما تقدم معظم هذه المواقع خدمة مشاركتها على المواقع الاجتماعية الأخرى حتى يتمكن أصدقاؤك من التعرف عليها وإعادة نشرها على شبكتهم الخاصة، ويمكنك إضافتها لمدونتك مباشرة. بإمكانك كذلك إنشاء الفيديو الخاص بك عن طريق استخدام كاميرتك الخاصة أو جهازك الخليوي ورفع المقاطع لهذه المواقع مباشرة دون الحاجة لاستخدام جهاز الكمبيوتر. باستخدام مواقع البث المباشر يمكنك البث من جهازك الخليوي في أي وقت، مع إمكانية البث لمدونتك الخاصة أو قناتك، وبعد الانتهاء يمكنك تحميل المقاطع المرئية لمواقع مشاركة الفيديو ومن ثم نشرها. ومما يميز خدمات البث هو إمكانية التفاعل، حيث يمكن للمتفرجين التواصل معك فوراً وفي نفس لحظة البث كما يمكنك الرد عليهم. والاشتراك في العديد من مواقع تخزين وبث الفيديو مثل: sevenload, Viddler, Vimeo, YouTube, Dailymotion, Metacafe, Openfilm, Justin. tv, Livestream, Stickam, Ustream, blip. tv

• مواقع مشاركة المقاطع الصوتية والموسيقى (Music & Audio Sharing)

باستخدام هذه النوعية من المواقع يمكنك مشاركة الآخرين المقاطع الصوتية والموسيقى، كما يمكن للموسيقيين من نشر إبداعاتهم الموسيقية والتعرف على رأي الجمهور فيها، كما تمنحهم فرصة استكشافها من قبل شركات الإنتاج الفني. كما أن بعض هذه المواقع يقدم خدمة راديو على الإنترنت حيث يمكنك تحديد نوعية الموسيقى أو البرامج التي تود الاستماع لها ومن ثم الحصول على ما يناسب ذوقك، يمكنك أيضاً اكتشاف الجديد من التعرف على ما هو حديث وما له شعبية بين المستمعين مثلك. يمكنك اكتشاف المزيد من خلال زيارة هذه المواقع مع العلم أن بعضها يحصر تقديم الخدمة على دول محددة:

ccMixter, Pandora Radio, Spotify, Last. fm, ReverbNation, ShareTheMusic, The Hype Machine, Groove Shark, SoundCloud, Bandcamp, SoundClick.

النوع الرابع: هي مواقع الرأي والاستعراض (Reviews & Opinions)

• استعراضات السلع (Product Reviews)

تخيل أنك تود شراء سيارة جديدة، أو جهاز كمبيوتر حديث يمكنك زيارة مواقع الآراء لمعرفة رأي من اشتروا هذه السلع قبلك وتقييمهم لها، كما يمكنك معرفة جودة المنتج ومدى تحمله لعوامل الزمن والاستخدام اليومي، أما إن أردت فيمكنك زيارة مواقع استعراض مميزات ومواصفات السلع حيث ستحصل على رأي خبراء في المجال، كما أنك ستجد رأي المستهلكين في نهاية التقييم لإعطائك صورة واضحة عن المنتج وعن مميزاته. يمكنك زيارة العديد من مواقع الرأي والاستعراض التالية: epinions, MouthShut

• الأسئلة والأجوبة الاجتماعية (Community Q&A)

كما هو الحال مع استخدام المواقع الاجتماعية لاستعراض السلع أو الحصول على آراء المستهلكين، يمكنك الحصول على إجابات محددة لأسئلة قد تدور بذهنك. تحدثت عن مواقع الويكي حيث يقوم العديد من المستخدمين بعملية إضافة وتنقيح المعلومات المطروحة، بناءً على نفس الفكرة الأساسية فمواقع الأسئلة والأجوبة الاجتماعية تعمل بنفس المنطلق حيث تقوم بتقديم سؤال ويقوم المستخدم بتقديم إجابات، ومن ثم يقوم كل من له دراية بتعديل الإجابة لإعطائك أدق إجابة ممكنة. كما يمكنك الاشتراك في متابعة سؤال طرح من الغير لما للموضوع من أهمية لديك أو حتى متابعة نوعية معينة من المعلومات فبالتالي احتمالات الاستفادة لا نهائية. يمكنك الاشتراك وطرح أسئلتك أو متابعة موضوع أو سؤال بزيارة أحد هذه المواقع: Askville, EHow, Stack Exchange, WikiAnswers, Yahoo! Answers, Quora, ask.com

النوع الخامس: من مواقع التواصل الاجتماعي هي المواقع الترفيهية الاجتماعية

• مواقع العوالم الافتراضية (Virtual Worlds)

قد يعتقد البعض بأن هذه من ضروب الخيال العلمي كما قد نشاهد في بعض أفلام هوليوود، لكن الواقع أن مواقع العوالم الافتراضية كانت ولا زالت متوفرة منذ زمن بعيد، كما أنها في تطور دائم. يمكنك في العالم الافتراضي إنشاء ما يسمى بالشخصية الرمزية (Avatar) الخاصة بك وتفاعلها في عالم تقابل فيه العديد من الشخصيات المختلفة التي قد تعكس أو لا تعكس شخصيات منشئها الحقيقيين في عالم افتراضي. يمكنك أيضاً التواصل والتحدث بالصوت مع أي من الشخصيات المتواجدة في تلك العوالم كما

بإمكانك شراء وبيع سلع وممتلكات على هذه العوالم. بعض ألعاب العوالم الافتراضية تقوم على فكرة الحروب والقتال بينما البعض الآخر يقوم على فكرة إيجاد حياة أو عالم بديل لعالمنا الحقيقي. لتجربة العوالم الافتراضية يمكنك زيارة المواقع التالية: Active Worlds, Second Life, World of Warcraft, RuneScape

• مواقع مشاركة الألعاب الاجتماعية (Game Sharing):

تعتمد فكرة هذه المواقع على مشاركة الآخرين على شبكتك الاجتماعية ألعاب تتطلب العديد من اللاعبين على الشبكة. كما تمكن بعض هذه المواقع المطورين من عرض ألعابهم على المستخدمين للاستمتاع بها. يمكنك اللعب ومشاركة الآخرين المرح بزيارة هذه المواقع: Kongregate, Miniclip, Newgrounds, Armor Games

• الشبكات الاجتماعية الشهيرة

الفيس بوك Facebook:

أكبر مواقع الشبكات الاجتماعية من ناحية سرعة الانتشار والتوسع، قيمته السوقية عالية وتتنافس على ضمه كبريات الشركات، نقطة القوة الأساسية في الفيس بوك هي «التطبيقات» التي أناحت الشبكة فيها للمبرمجين من مختلف أنحاء العالم ببرمجة تطبيقاتهم المختلفة وإضافتها للموقع الأساسي. سهّل العاملين في الفيس بوك المهمة للمبرمجين بإنشاء API - أكواد برمجية مساعدة - تختصر الكثير عليهم وتساعدهم في الوصول لملفك الشخصي وبناء تطبيق تستفيد منه.

السلبيات التي تنشأ عن استخدام الشبكات الاجتماعية

- ١- هدر الوقت نتيجة الفرق في الخدمات الواسعة التي تقدمها هذه الشبكات.
- ٢- التسرع في إبرام العلاقات مع الآخرين دون التحقق من خلفيتهم الفكرية أو الأخلاقية، ومن جهة أخرى لا نجد عمقاً حقيقياً للعلاقات الاجتماعية في الشبكات بقدر ما يكون في الواقع.
- ٣- هناك فرصة كبيرة للسلوكيات المزعجة أو التحايل أو الاستغلال في الشبكات المفتوحة.
- ٤- واحدة من المشكلات الرئيسة في الشبكات الاجتماعية؛ أن قوائم الأعضاء متاحة مما يتيح لبعض الأطراف على توجيه دعوات للانضمام إلى شبكات ومواقع أخرى قد لا تكون مأمونة.

٥- لا يوجد عقد اجتماعي واضح داخل هذه الشبكات وهذا على العكس من العقود الاجتماعية التي تحكم التعامل الواقعي في الحياة، مثل: الصدق، والشرف، والنصيحة ونحوها.

٦- من عيوب الشبكات الاجتماعية أن الملف الشخصي للعضو لا يمكن التخلص منه حتى لو طلب ذلك العضو نفسه، فتظل البيانات الشخصية للعضو منتشرة على النت.

مبررات تطبيق الشبكات الاجتماعية في التعليم

أشار هايكو وباركير - Haytko & Parker, 2012 في دراستهما التي بعنوان «أدوات الشبكات الاجتماعي في البيئة الجامعية من وجهة نظر الطلاب». أنهم بوصفهم أساتذة جامعيين يجدون أنفسهم مدفوعين مع كثرة الطلاب في الجامعات وتعلق الطلاب بالتقنية وخصوصاً وصلات الشبكات الاجتماعية بأن يجعل التعلم عن طريق هذه الشبكات الاجتماعية. وقاموا واستفتوا ١٣٠ طالباً من دولتين مختلفتين ووجدوا أن الطلاب يفضلون بقاء أدوارهم الاجتماعية والأسرية مفصولة عن أدورهم كطلاب.

كما يوضح كل من إيوانك وآخرون - Ewbank, Foulger, & Carter, 2010 في مقالتهم التي بعنوان «الوجه الجديد لمعلم التربية استخدام وسائل الإعلام الجديدة». أنه من خلال بحث قاموا به وجدوا أن معلمي التربية يستخدمون الشبكات الاجتماعية بطريقة تسيء للتعليم ولحياتهم المهنية. وهم في هذا البحث يريدان من المعلم تحويل التعليم إلى الشبكات الاجتماعية وليقود التعليم الشبكات الاجتماعية بدلاً من أن تقوده، بالإضافة إلى صفحات الفيسبوك بصورتها الاجتماعية لم تنمي الانتماء إلى المجتمع بين الطلاب، وجاءت فكرة هذا البحث كيف نبقي التواصل مع الأساتذة. وعندما تكون كمية المواد العلمية أكثر من سبع مواد يومياً يصبح التعلم رتيباً.

ومن مميزات الفيسبوك كسرا الحواجز بين الطلاب الذين في طور الإعداد في كليات التربية والمعلمين الممارسين وكذلك بينهم وبين المشاهير في التخصص. ومن مميزاته تدريب المعلمين في الفيسبوك والتويتر حيث يشاهد المعلم الذي في طور الإعداد تجارب حية على الفيسبوك وتويتر لفيدوهات تدريبية لهم وسيصبحون معلمين ناجحين لمعرفتهم الجيدة بالشبكات الاجتماعية وكيفية توظيفها في التعليم ولا بد من إدخال هذه التقنية على كليات المعلمين والاستفادة من مميزاتها وتلافي عيوبها. بالإضافة أن المعلم قد لا يتعب كثيراً في تعليم الطلاب استعمال التقنية فهم أكثر خبرة منه في هذه التقنية مما يساهم في زيادة المبادرات من التعلم من الطلاب أنفسهم.

من خلال ماسبق يتبادر إلى أذهاننا كيف نوظف الشبكات الاجتماعية في التعليم؟ وبالتالي نحتاج إلى التعرف للأساس النظري للشبكات الاجتماعية مع وصف لبعض الشبكات وتطبيقاتها في التعليم. من خلال مايلي:

• تفعيل استخدام البرمجيات الاجتماعية في بيئة التعلم

جاءت البرمجيات الاجتماعية ثورة تحاول العودة إلى (الإنسانية) في التعليم الإلكتروني حيث كانت أولى خطوات التعليم الإلكتروني تعتمد الجانب التقني من إنشاء وتطوير المحتويات التعليمية عبر معايير وقواعد تقنية فقط، لم يكن يراعى فيها الجانب الإنساني الاجتماعي باعتبار التعلم (هو معرفة ومهارة اجتماعية يتم تحصيلها وتزداد تقدماً، إنه واحد من المهارات للمستقبل). كما أن الجيل الثاني من التعليم الإلكتروني والذي اعتمد البرمجيات الاجتماعية صار الاتجاه إلى تنفيذ المحتوى يتجه فيه: من الأسفل - القاعدة (الطلاب والمتدربين)، إلى الأعلى نحو القمة (المطورين والمعلمين) حيث يتعاون الجميع في إخراج نشاط تعليمي (لأن التعلم هو شبكة تتشكل من العمليات التي يقوم بها كل عضو بعمل من أعمال الترميز.

• التعامل مع المعلومات على أنها حق عام

لم تعد المعرفة وتراكم المعلومات قائمة على الاحتكار الشخصي سواء في إنشائها أو تداولها، بل أصبح المفهوم يقوم على أن المعلومات هي شيء يقصد بها أن تكون مشتركة ابتداءً، ومما ينمي هذا الاعتقاد: طبيعة تصميم البرمجيات الحاسوبية الحديثة مثل البرامج مفتوحة المصدر، والرخص المجانية لعدد من البرامج، والبرمجيات الاجتماعية على الويب، هذا المحتوى الحر أو المفتوح المصدر هو أساس لخلق نوع من التعلم يحقق صفة الشبكة.

• إشراك المتعلم في بناء المحتوى التعليمي

إن كسر الحواجز في عالم النت قاد إلى العديد من القضايا التي نراها اليوم في التعلم، حيث أصبح التعلم نظاماً اجتماعياً يتكون داخل مجتمعات الممارسة؛ حيث يتعلم الأفراد في هذه المجتمعات كيف يقومون به بشكل أفضل لأنها تتفاعل بانتظام. لذلك فإن البرمجيات الاجتماعية لا تقوم على مبدأ المحاكاة الذي قام عليه التعليم الإلكتروني السائد؛ بل إنها تعتبر «المحادثة والتواصل» هي الأساس في عالم هو امتداد للعالم الحقيقي إذ يولي مصمم هذه البرمجيات أهمية لكيف يرتبط المستخدمون ببعضهم البعض وليس كيف تظهر وحدات التعلم على شاشة المتعلم.

مشكلة الدراسة

كما هو الحال مع أي تقنية جديدة، صاحبت ظهور الشبكات الاجتماعية العديد من القضايا الشائكة من بينها، هي المفهوم السائد عند كثير من مستخدمي شبكة الإنترنت أن الشبكات الاجتماعية لا يتم ارتيادها واستخدامها إلا مراقبين ولا تستخدم إلا لأغراض سيئة أو في أفضل الأحوال لتمضية الوقت بدون أي فائدة مرجوة. هذا المفهوم بدأ يتلاشى تدريجياً بعد أن بدأ كثير من مستخدمي الشبكات الاجتماعية استخدام أسمائهم الحقيقية وعندما بدأ ضخ كمية محتويات مفيدة في مواقع الشبكات الاجتماعية واستغلال البعض لها للوصول للخبرات والكفاءات من الأشخاص وتقديم عروض عمل لهم، لكل تقنية جديدة مؤيدون ومعارضين وتبقى الشبكات الاجتماعية تقدم الكثير من الخدمات والمنافع والتي لو استغلت تمام الاستغلال وخاصة في مجال التعليم لتحققت منها فائدة كبيرة لكثير من مستخدمي الإنترنت.

أهمية الدراسة

التأكيد على دور الشبكات الاجتماعية وتأثيرها في تحديد ملامح التدريب والتعليم الحديث والتي يمكن إيجازها على النحو التالي:

- تكوين الوصلات في التعلم الشبكي Types of Connections in Networked
يوجد العديد من العوامل التي تؤثر على تكوين الوصلات الجيدة من أهمها: الانتباه، وملاءمة المعلومات، والإحساس بالجداراة والقناعة كلها عوامل تؤثر على تكوين وصلات جيدة. مع أن الوصلات هي أساس تعلم الشبكات، فإنها ليست متساوية التأثير في بنية الشبكات، ويمكن تقوية الوصلات بالاعتماد على عوامل أخرى من أبرزها:

١- الدافعية Motivation

٢- العواطف والانفعالات Emotions

٣- التعرض Exposure

٤- صياغة أنماط ونماذج مبتكرة Patterning

٥- المنطق Logic

٦- الخبرة Experience

- تكوين متعلم يبنى معرفته من خلال التجربة الذاتية داخل الإطار المجتمعي مع الاستفادة من التطور التقني المتسارع من خلال:

- **تخطي الحواجز الفيزيائية:** إن الأبعاد المكانية والزمانية للمؤسسة التعليمية يمكن تحويلها لتلبية الاحتياجات المتغيرة للأهداف التربوية وتوفير سلسلة واسعة من التفاعلات، والأدوات اللازمة للتدريس، والخبرات المهنية حين يتم إعادة تشكيل هذه الأبعاد في عوالم افتراضية على الويب وتجارب مجتمعية إلكترونية.
- **تشجيع النبوغ الجماعي:** لم تعد النظرة إلى الابتكار والإبداع كأحد ثمار العبقرية الفردية المنفصلة عن تأثيرات المجتمع فحسب؛ بل أصبح العمل الجماعي في اكتساب المعرفة وتطبيقها رافداً أقوى في تنمية المواهب الفردية أيضاً، حيث تظهر التغذية المرتدة في التعليم التعاوني كنشاط إضافي يضاف إلى خبرة المتعلم الفردية.
- **دمج المعرفة الطلابية والتخصصية معاً:** حيث يتمكن المتعلمون من الوصول إلى الفئات المختلفة في المجتمع ذات الصلة بفكرة التعلم وحقل المعرفة كالخبراء التعليميين والمتخصصين في كل علم وصناعة مما يثري المتعلمين بطرق جديدة تشجعهم على الإبداع خارج حدود التعليم الرسمي.
- **الوصول إلى المعرفة والتواصل مع أطراف العملية التعليمية:** باتت اليوم أكثر حيوية وتتجاوز حدود النص المكتوب إلى توظيف الوسائط المتعددة وتسخير التقنيات المحمولة والتي تبشر بمستقبل واعد في إثراء التواصل المجتمعي عامة وحيوية التعلم خاصة.
- **تحول المتعلمين من التلقي إلى المشاركة «المتعلم النشط»:** وتطور الدور التقليدي للمعلم ليصبح داعماً ومرشداً لطرق التعلم المختلفة وفق حاجات المتعلمين وخصائصهم الفكرية والنفسية والإبداعية.

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة للإجابة على الأسئلة التالية:

- ١- ما الشبكات الاجتماعية وما أهميتها؟
- ٢- ما أنواع الشبكات الاجتماعية وما مميزاتها؟
- ٣- ما الإيجابيات والسلبيات للشبكات الاجتماعية؟

منهج البحث

استخدم الباحث المنهج الاستنباطي في تحليل النصوص ذات الصلة بموضوع الدراسة، والمنهج الوصفي الوثائقي في جمع المعلومات من المصادر والمراجع المرتبطة بموضوع الدراسة ووصفها وتوظيفها، وهو منهج يصف الظاهرة كما هي قائمة للتشخيص وكشف جوانبها وتحديد العلاقات بين عناصرها، مع استشراف المستقبل والتنبؤ العلمي بالأحداث المستقبلية.

مصطلحات الدراسة

وبما أن اللفظة (network) غير عربية، وخاصة أنه مصطلح جديد، فلا غرابة أن تختلف الترجمة وتباين فيما بينها، ومن المرادفات لمصطلحات الشبكة:

- الشبكة العالمية.
- شبكة الويب العالمية.
- الإنترنت.
- الشبكة العنكبوتية.
- شبكة الشبكات.

ثانياً: الاجتماع (Social):

وعلم الاجتماع علم يهتم بدراسة المجتمع في ظواهره ونظمه وبنيته، ودراسة العلاقات بين أفراد، دراسة علمية وصفية تحليلية، أو باختصار هو دراسة الحياة المشتركة بين الناس.

والاجتماع له صور شتى منها ما ورد في التعاريف السابقة وهو اجتماع الأجساد، وهو السائد وما تبادر للذهن عند إطلاق لفظ الاجتماع، وهناك اجتماع فكري على فكرة واحدة وقول واحد وهي صور تكثر للاستشهاد في الأمور الاجتهادية كقولك اجتمع قول الفقهاء على كذا، وهناك صورة حديثة هي مناهل الدراسة وهي الاجتماع الافتراضي التقني عبر قنوات الاتصال المختلفة مع تباعد الأجسام واختلاف الأفكار.

ثالثاً: الشبكات الاجتماعية (Social Network):

مصطلح يطلق على مجموعة من المواقع على شبكة الانترنت العالمية (World Wide Web)، تتيح التواصل بين الأفراد في بيئة مجتمع افتراضي، يجمعهم الاهتمام أو الانتماء لبلد أو مدرسة أو فئة معينة، في نظام عالمي لنقل المعلومات.

وجاء تعريف الشبكات الاجتماعية (social networking service) في قاموس (ODLIS): هي خدمة إلكترونية تسمح للمستخدمين بإنشاء وتنظيم ملفات شخصية لهم، كما تسمح لهم بالتواصل مع الآخرين.

أهم النتائج

- ١- الشبكات الاجتماعية شبكات عالمية للتواصل بين أجهزة متعددة في نظام عالمي لنقل المعلومات.
- ٢- تتميز الشبكات الاجتماعية بأنها عالمية خارج حدود الزمان والمكان، وأن المشرف عليها شركات ومؤسسات لا حكومة خاصة أو أفراد معينين.
- ٣- من أنواع الشبكات: شبكات خاصة، وأخرى ثقافية، وثالثة مهنية، وهي إما شبكات داخلية خاصة أو شبكات خارجية عامة.
- ٤- يمكن الاستفادة من الشبكات الاجتماعية في خدمات التواصل الشخصي أو التعليمي، أو الحكومي والدعوي والإخباري.
- ٥- من سلبيات الشبكات الاجتماعية: بث الأفكار الهدامة، وعرض المواد الفاضحة، وهتك الحقوق الخاصة والعامة، وما يحصل فيها من الابتزاز والغش والسرقة.

أهم التوصيات والمقترحات

- ١- الاستفادة الفاعلة من الشبكات الاجتماعية في التواصل مع الجمهور بشكل عام، ومع التعليم بشكل خاص.
- ٢- دراسة عن مدى وعي أولياء الأمور في دولة ما باستخدامات الشبكات الاجتماعية الإيجابية منها والسلبية.

المصادر

المصادر العربية

- ١- العمودي، غادة: القيمة التي يضيفها التعليم المتنقل على العملية التعليمية / ٢٠٠٨، المؤتمر الدولي لتقنيات التعليم - التربية والتكنولوجيا: تطبيقات مبتكرة، جامعة السلطان قابوس، مسقط - سلطنة عمان.
- ٢- ناصف، مصطفى، نظريات التعلم دراسة مقارنة - ١٩٨٢ م، سلسلة عالم المعرفة، من:

<http://d.scribd.com/docs/xy2bkezbeseed9ia4a.pdf>.

المصادر الأجنبية

- 1- Anderson T. (2004), Fathi Elloumi, "Theory and Practice of Online Learning" cde. athabasca. ca/online_book, 2004, from: http://cde.athabasca.ca/online_book/pdf/TPOL_book.pdf.
- 2- Anderson, T. (2005a). Distance learning – social software's killer ap? ODLAA 2005 Conference. [<http://www.unisa.edu.au/odlaaconference/PPDF2s/13%20odlaa%20-%20Anderson.pdf>].
- 3- Anderson Terry, "Educational Social Overlay Networks", November 28, 2005, from: 3- <http://terrya.edublogs.org/2005/11/28/hello-world/>.
- 4- Bram De Wever, Peter Mechant, Pieter Veevaete, Laurence Hauttekeete, "E-Learning 2. 0: social software for educational use", Ninth IEEE International Symposium on Multimedia 2007 – Workshops.
- 5- Bryan Alexander, "Web2. 0: a new wave of innovation for teaching and learning", March/April 2006, EDUCAUSE r e v I e w, from: <http://net.educause.edu/ir/library/pdf/ERM0621.pdf>.
- 6- Berners-Lee, "Berners-Lee on the read/write web", BBC, August 9. 2005. from: <http://news.bbc.co.uk/1/hi/technology/4132752.stm>.
- 7- Catherine Dwyer¹, Starr Roxanne Hiltz², and George Widmeyer, "Understanding Development and Usage of Social Networking Sites: The Social Software Performance 9-9-9-Model", Proceedings of the 41st Hawaii International Conference on System Sciences – 2008, 1530-1605/08 \$25. 00 © 2008 IEEE.
- 8- Christian Dalsgaard, "Social networking sites: Transparency in online education", no-date, from: <http://eunis.dk/papers/p41.pdf>.
- 9- Christian Dalsgaard, "Social software: E-learning beyond learning management systems", 2006, from: http://www.eurodl.org/materials/contrib/2006/Christian_Dalsgaard.htm.
- 10- Christian Safran, Denis Helic, Christian Gütl, "E-Learning practices and Web 2.0", Conference ICL2007 September 26 -28, 2007 Villach, Austria, from: http://www.iicm.tugraz.at/iicm_papers/ICL2007_csafran_final.pdf.
- 11- Catherine McLoughlin, Mark J. W. Lee, "Social software and participatory learning: Pedagogical choices with technology affordances in the Web2. 0 era", Proceedings ascilite Singapore 2007, from: <http://www.ascilite.org.au/conferences/singapore07/procs/mcloughlin.pdf>.

- 12- Catherine McLoughlin and Mark J. W. Lee, (A) “Future Learning Landscapes: Transforming Pedagogy through Social Software”, from <http://www.innovateonline.info/index.php?view=article&id=539> Coates, “An addendum to a definition of Social Software”, January 5, 2005, from: http://www.plasticbag.org/archives/2005/01/an_addendum_to_a_definition_of_social_software/.
- 13- The 2005 conference report:from: www.publish.com/article2/0,1895,1868672,00.asp DOWNES, S. E-learning 2. 0, ACM eLearn Magazine, 2006, [online] [cit. 2006-06-18]. URL: <http://www.elearnmag.org/subpage.cfm?section=articles&article=29-1>.
- 14-Dan Collins, “Social Networking for Learning Communities: Using e-portfolios, blogs, wikis, pod-casts, and other internet based tools in the foundation art studio”, a panel presented at the 11th Biennial FATE conference in Milwaukee, March 28 – 31, 2007, from: www.asu.edu/cfa/art/people/faculty/collins/social_networking_FATEinREVIEW_final.doc.
- 15- Davor Moravek, “Social Networks – The Change of Communication Paradigm”. Noebius. com, 2008, from: <http://noebius.com/wiki/tiki-index.php?page=Social+Networks+%E2%80%93+The+Change+of+Communication+Paradigm>.

المشهد الرقمي في جامعة حائل (الواقع - والمأمول)

د. عبدالعزيز بن رشيد العمرو



ويقابل التحديات والمشكلات التي تواجه العملية التعليمية بشكل خاص.

ولتحقيق هذه المتطلبات أصبحت الحاجة ملحة إلى منظومة تعليمية متطورة، يشترك فيها الأساتذة والطلاب في إدارة طرق تعليم حديثة، ووسائل وأدوات عصريّة، تساعد في تحقيق الأهداف المنشودة.

مقدمة

في ظل العولمة، ومجتمع المعرفة المتسارع، والحاجات المتغيرة للسوق، والأوضاع الاقتصادية التي تعيشها المجتمعات، وتحقيقاً لرؤية عالمية تقوم على الإبداع في الوسائل، والتنوع في الغايات، لم يعد الهدف من التعليم في المرحلة الجامعية يقتصر على التدريس فقط، فالتغيير المتتابع على جميع الصعد، والاكتشافات العلمية المتوالية، والأفكار الاجتماعية المتنامية، تتطلب العمل على إيجاد نظم تعلم متنوعة، والحرص على ترتيب أولويات معرفيّة متجددة، التي تعمل وتركز على التطوير المستمر لسياسات وأهداف التعليم، بشكل يقابل مهمة إعداد الأجيال للتعامل مع التداخل الرقمي، والثقافي الذي يميّز هذا العصر،

• عميد كلية خدمة المجتمع، وأستاذ مساعد بقسم المناهج وطرق التدريس بجامعة حائل/السعودية.

Dr-alamr@live.com

ويلحظ المتأمل ما يشهده عالمنا اليوم من تغيرات متسارعة في شتى المجالات، والتي أحدثت نقلة نوعية في نظم المعلومات، وولدت العديد من المستحدثات التكنولوجية، التي أثرت على العملية التعليمية، حيث استثمرت التكنولوجيا في تسهيل عمليات التعليم والتعلم، فساهمت في إيصال المعرفة بشكل أكثر سهولة ومرونة، بشكل أثر في مجالات تنمية المهارات، وتحسين الإتجاهات، وبرزت الحاجة الملحة إلى التوسع في توظيف وتفعيل التكنولوجيا الرقمية في مؤسسات التعليم عامة، والتعليم العالي بصفة خاصة، سواء داخل المؤسسات التعليمية أو خارجها.

حيث لم يعد خافياً على أحد أن العصر الحالي أصبح يتميز بثورة هائلة في التكنولوجيا الرقمية، وأصبح استخدامها في عمليتي التعليم والتعلم ضرورة، فالعالم اليوم يتسابق في اكتشاف وتوظيف التقنيات الحديثة بما يعود بالنفع على تطوير المجتمع، وفي ضوء ذلك سعت جامعة حائل حثيثاً نحو توظيفها، لتحقيق الأهداف المرجوة، لتصنع الجامعة بالصبغة الرقمية، وتوظف وسائلها التوظيف الأمثل في خدمة البيئة التعليمية التي يتطلبها واقع التعليم الجامعي اليوم.

حيث تبنت جامعة حائل - في هذا الصدد - خطة شاملة ومتكاملة لتوفير بنية تحتية لتوظيف التكنولوجيا الرقمية في كافة العمليات الأكاديمية، والتي تمثلت في توفير شبكة حاسوبية عالية القدرة لربط كلياتها، وعماداتها، ومراكز الأبحاث المتخصصة، وأوعية المعلومات الإلكترونية، والإدارات والأقسام الإدارية المختلفة، هذا بالإضافة إلى توفير بعض المعامل المتخصصة، والأدوات التقنية المتطورة في القاعات الدراسية.

مشكلة الدراسة

وعلى الرغم من حداثة تجربة جامعة حائل التي أنشئت عام ٢٠٠٦م، وجدة تجربتها في هذا المجال، ستحاول هذه الدراسة استعراض المشهد الرقمي لجامعة حائل من وجهة نظر طلابها وطلاباتها بوصفهم الفئة المستهدفة الأولى من عمليات توظيف التكنولوجيا الرقمية، حيث لاحظ الباحث حجم الاتجاه الإيجابي الكبير لاستخدام أدوات التكنولوجيا الرقمية الحديثة لدى أساتذة الجامعة وطلابها، وحرصهم الكبير على تطوير مهاراتهم في العديد من المجالات المتعلقة بهذا الشأن، ومناداتهم المستمرة، وإشاراتهم الدائمة إلى ضرورة تلافي أوجه القصور التي تطل عمليات توظيف التكنولوجيا الرقمية في تقديم الخدمات الأكاديمية، وهو ما أكدته المقابلات الشخصية غير المقننة التي أجراها الباحث مع بعض أعضاء هيئة التدريس والطلاب.

تساؤلات الدراسة

تسعى الدراسة إلى الإجابة عن التساؤلات التالية:

١. ما اتجاهات طلاب جامعة حائل نحو استخدام التكنولوجيا الرقمية؟
٢. ما واقع استخدام التكنولوجيا الرقمية لدى طلاب جامعة حائل؟
٣. ما درجة توافر توظيف الأساليب الحديثة في مجال التكنولوجيا الرقمية في جامعة حائل من وجهة نظر طلابها؟
٤. ما معوقات استخدام الأساليب التكنولوجية الرقمية من وجهة نظر طلاب جامعة حائل؟
٥. ما المأمول في تفعيل استخدام وتوظيف التكنولوجيا الرقمية في جامعة حائل من وجهة نظر طلابها؟

منهج الدراسة

تستند هذه الدراسة الحالية إلى المنهج الوصفي التحليلي.

أهمية الدراسة

- لا يزال الميدان يحتاج للعديد من الدراسات التي تتناول الكشف عن أهمية توظيف التكنولوجيا الرقمية من وجهة نظر الطلاب في مجال التعلم، وفي مجال التعليم العالي في المملكة العربية السعودية، ومن ثم تكمن أهمية الدراسة الحالية في كونها:
- قد تفيد في دراسة واقع التكنولوجيا الرقمية في جامعة حائل.
 - قد تفيد في الكشف عن أهمية التكنولوجيا الرقمية في مجال التعليم، وخاصة التعليم العالي في الجامعات السعودية.
 - قد تفيد في التعرف على مدى أهمية التكنولوجيا الرقمية في مجال التعليم الجامعي حتى يمكن تعميم هذه التكنولوجيا الجديدة في جميع التخصصات العلمية وفي مراحل التعليم المختلفة.
 - قد تفيد في اكتشاف الأسباب التي تحول دون الاستفادة من توظيف وسائل التكنولوجيا الرقمية الحديثة في العملية التعليمية في الجامعات، واقتراح الحلول المناسبة لها.
 - قد تفيد في وضع تصور مستقبلي لتوظيف التقنيات الرقمية في جامعة حائل، وطرق تطوير أساليب توظيف التقنيات الرقمية في منظوماتها التعليمية.

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة الحالية إلى التعرف على:

- واقع استخدام التكنولوجيا الرقمية في جامعة حائل من وجهة نظر طلابها وطالباتها.
- التعرف على مدى توافر الأساليب الحديثة في مجال توظيف التكنولوجيا الرقمية في جامعة حائل.
- مدى استخدام أعضاء هيئة التدريس والطلاب للأساليب التكنولوجية الرقمية في جامعة حائل.
- معوقات استخدام الأساليب التكنولوجية الرقمية في جامعة حائل.
- المأمول في استخدام وتوظيف التكنولوجيا الرقمية في جامعة حائل من وجهة نظر طلابها.

أداة الدراسة

استخدم الباحث استبانة لجمع المعلومات، تكونت من قسمين:

- القسم الأول: واشتمل على المعلومات العامة للطلاب / الطالبة، وهي الجنس، ومجال التخصص.
- القسم الثاني: واشتمل على أربعة محاور:
المحور الأول: الاتجاه نحو استخدام التكنولوجيا الرقمية.
المحور الثاني: واقع استخدام الطلاب والطالبات للتكنولوجيا الرقمية.
المحور الثالث: المعوقات التي تحول دون استخدامهم للتكنولوجيا الرقمية.
المحور الرابع: المأمول من وجهة نظر الطلاب حول توظيف التكنولوجيا الرقمية في جامعة حائل.

مصطلحات الدراسة

اتفقت العديد من المصادر على أن التكنولوجيا الرقمية (النظم الرقمية): هي الأساليب التي تدار فيها الأجهزة والأدوات بالأرقام.

كما يمكن وصفها كذلك بأنها لغة تقنية خاصة باللغة الثنائية المزدوجة (صفر - واحد) التي تستخدم في تحويل أي رسالة إلكترونية إلى الرقمين واحد - صفر، وقد تأخذ هذه الرسالة أشكالاً مختلفة مثل النصوص، أو الأصوات، أو الصور أو غيرها.

عينة الدراسة

تمثلت عينة الدراسة في عينة عشوائية من طلاب وطالبات جامعة حائل بلغ عددها (١٢٩٦)، من إجمالهم البالغ قرابة (٢٨٠٠٠) طالب وطالبة، وتوزعت العينة بين (٨٨٠) طالبة، و(٤١٦) طالب، (٦٤٠) منهم من طلاب وطالبات الكليات العلمية، و(٦٥٦) من طلاب وطالبات الكليات النظرية والإنسانية.

الإطار النظري

لقد ساهمت التكنولوجيا الرقمية في تغيير ملامح النظام التعليمي بعناصره المختلفة، وساهمت أيضاً في تغيير دور المعلم كأحد عناصر النظام التعليمي من مجرد ناقل للمعلومات، إلى معلم قادر على القيام بدور الميسر، والموضح والمقوم والمرشد والمدرّب والقائد، كما ساهمت التكنولوجيا الرقمية في تغيير دور المتعلم من مجرد متلقي للمعارف إلى دور المستقصي والباحث والمكتشف والخبير في بعض الأحيان، كل هذه المؤشرات تؤكد على أن عصر المعلومات الرقمية أدى إلى تغيير في الممارسات والمعتقدات التربوية التي كانت سائدة في الماضي القريب.^(١٨)

ومن هنا لم تعد التقنيات الرقمية بما تتضمنه من مواد وأجهزة تعليمية مجرد معينات للتدريس يستعين بها المعلم وقتما شاء دون أهداف محددة، بل باتت تمثل ضرورة وأمرًا ملحا لا يمكن الاستغناء عنه، بل وتعتبر مكوناً رئيساً من مكونات المنظومة التعليمية.^(١٤)

وعلى الرغم من الاهتمام بالتكنولوجيا الرقمية إلا أن المطلوب من مؤسسات التعليم العالي هو الإسراع في الاستفادة من تطبيقاته، وعدم التأخر في ذلك، لكي لا تجد نفسها في مرحلة ما تطبق تعليمًا أصبح من الماضي بالنسبة لمؤسسات التعليم العالمية، فالتكنولوجيا متسارعة ولا مجال فيها للانتظار، لا بد أن يقوم جميع المهتمين بالتعليم الإلكتروني بالعمل الجماعي ودعم بعضهم البعض لتجنب الإحباط، وأن ينشروا الوعي بين قطاعات المجتمع المختلفة بالخسائر المحتملة والسيناريو القاتم نتيجة التأخر في تبني نشر وتطبيق التعليم الإلكتروني.^(٨)

وتوظيف تكنولوجيا التعليم في النواحي المختلفة للتعليم الجامعي بات من الأمور الهامة، فهي الأداة الأكثر فاعلية في تصميم العمليات، والمصادر، وتطويرها، واستخدامها، وإدارتها، وتقويمها من أجل التعلم^(١٢)، لذا فهي حجر الزاوية في تطوير العملية التعليمية الجامعية، لإسهامها في بناء المواقف التعليمية المختلفة التي تعتمد

على الأنظمة الرقمية، وتصميمها بطريقة تتماشى مع حاجات الطلاب، وحل مشكلاتهم التعليمية، وإعدادهم وتدريبهم والنهوض بمستوى أدائهم، وأن تتجاوز الاستخدام الحالي الذي يأتي في معظم حالاته انصياعاً للنداءات المتكررة لإدخال التكنولوجيا في العملية التعليمية، دون التفكير في الكيفية التي توظف فيها توظيفاً سليماً.

ولقد أوضح ديل سكول De Scool، أن الاتجاهات نحو سلوك ما يمكن أن تتأثر بعدة عوامل منها قدرات الشخص وإمكاناته على القيام بذلك السلوك، وقيم ذلك الشخص، ومعتقداته، وخبراته السابقة، وسهولة أو صعوبة ذلك السلوك. ويمكن أن يتأثر اتجاه الشخص بأمور أخرى أيضاً، منها التشجيع والتعزيز الذي يحظى به الشخص من الآخرين.^(٢٣)

وفي سبيل التغلب على الاتجاهات السلبية ومن أجل تحسين الاتجاه نحو استخدام التكنولوجيا الرقمية، فإنه يجب حل كافة المشكلات التي تعوق استعمالها؛ وإشراك أفراد المنظومة التعليمية الجامعية في اختيار تلك الوسائل وتقويمها، إلا أن هذا الدور في مجتمعاتنا العربية عموماً لا يتعدى الاستخدام التقليدي لبعض الوسائل - إن وجدت - دون التأثير المباشر في عمليتي التعليم والتعلم وافتقاد هذا الاستخدام للأسلوب الاستراتيجي.

وفي هذا الإطار اهتمت الدول المتقدمة والنامية ومن بينها المملكة العربية السعودية بتوظيف التكنولوجيا الرقمية في تطوير مؤسساتها التعليمية ومن بينها الجامعات، وتحسين الناتج التعليمي بشكل عام، وذلك لمواكبة تغيرات العصر السريعة، وملاحقة الانفجار المعرفي والتقدم التكنولوجي المستمرين، بشكل يدعم البيئة التعليمية والمعرفية، وما يستفيد به الإنسان بشكل عام، وكل من المعلم والطالب بشكل خاص.^(١١)

ويأتي هذا في إطار الرغبة في الإسهام بإعداد جيل مفكر ومبدع، قادر على التكيف مع الآخرين، وقادر على مواجهة قضايا المجتمع ومشكلاته وإيجاد الحلول المناسبة لها، وإعداد جيل قادر على توظيف المعلومات بما يعود على الفرد والمجتمع بالنفع، وهذا ليس صعباً، إذا خلصت النوايا وتوفرت الإمكانيات.

وهذا ما أظهرته بعض الدراسات السابقة^(١) التي اهتمت بدراسة الآثار الإيجابية لتوظيف التكنولوجيا الرقمية في ميادين التعليم والمعرفة، وما تتضمنه من أدوات ووسائل إلكترونية، ودراسة واقع استخدامها، ومدى تمكن الطلاب من إنتاج واستخدام الوسائل التقنية لمواكبة تغيرات العصر الرقمي الذي نعيشه.

حيث أكدت هذه الدراسات إلى أن النظم التعليمية المعتمدة على التقنيات الرقمية هي إحدى الوسائل المفيدة في حل المشكلات التعليمية القائمة، كما يتوقع علماء الاتصال التربوي والتكنولوجيا التعليمية مزيداً من الانفتاح التكنولوجي في النظم التعليمية، من خلال تفعيل وسائط التكنولوجيا الرقمية، وتقنيات الإنترنت، والمفكرات الإلكترونية، والكمبيوترات الشخصية، والهواتف الذكية، التي ستشكل نواة حضارة المستقبل، وستصبح الشبكة الإلكترونية جزءاً أساسياً من أي بيئة تعليمية، وسوف ترتبط كافة الأجهزة ببعضها، سلكياً ولاسلكياً في معظم الأحيان، وسوف تحل الشاشات المسطحة الكبيرة، مكان الشاشات التقليدية الحالية، وسيصطحب الطلاب والدارسين والباحثين أجهزة الحاسبات والهواتف الذكية أينما ذهبوا، ليتمكنوا من إنجاز بعض الأعمال، والاتصال بمصادر المعلومات في كل الأوقات والأماكن. (التعبير أدبي أكثر ما هو علمي أفضل تعديلها إلى: وسيصطحب الطلاب والدارسين والباحثين أجهزة الحاسبات والهواتف الذكية معهم دائماً ليتمكنوا من إنجاز.. إلخ)

(١) منها على سبيل المثال لا الحصر:

- إيمان عمار علي قادي (١٤٢٨): واقع استخدام الوسائل التعليمية والتقنيات الحديثة في تدريس اللغة الإنجليزية في المرحلة المتوسطة من وجهة نظر مشرفات اللغة الإنجليزية ومديرات المدارس بمكة المكرمة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية: جامعة أم القرى.
- مفلح دخيل مفلح السعدي الاكلي (١٤٢٤): مدى تمكن طالب التربية الإسلامية المعلم بكتليات المعلمين من إنتاج واستخدام الوسائل وتقنيات التعليم، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية: جامعة أم القرى.
- سمر محمد سعيد الحربي (١٤٣٢): مدى توافر مهارات البحث عن مصادر المعلومات عبر الانترنت لدى طالبات الدراسات العليا بكلية التربية في جامعة أم القرى من وجهة نظرهن، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية: جامعة أم القرى.
- وفاة فاهد سالم السرحاني (١٤٣٤): أثر استخدام الويكي كأحد تطبيقات ويب الجيل الثاني في ضوء تعزيز الانتماء لمجتمع الصف الدراسي في تحسين الأداء الكتابي لدى طالبات اللغة الإنجليزية بجامعة الجوف والاتجاه نحو الكتابة، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية التربية: جامعة أم القرى.
- حسن الباتع (٢٠٠٦): تصميم مقرر عبر الإنترنت من منظورين مختلفين البنائي والموضوعي وقياس فاعليته في تنمية التحصيل والتفكير الناقد والاتجاه نحو التعلم القائم على الإنترنت لدى طلاب كلية التربية جامعة الإسكندرية، رسالة دكتوراة، كلية التربية: جامعة الإسكندرية.
- سميحة بنت عبد الله عباس القاري (١٤٢٦): توظيف التقنية في الارتقاء بالمواطنة، الباحة: اللقاء الثالث عشر لقادة العمل التربوي.

ولعل هذا سيرتبط من جهة أخرى بعدة مجالات أخرى، منها على سبيل المثال ضرورة دراسة وتشخيص وضع قطاعات الاتصالات، والبنى التحتية، ومقابلة احتكار قطاع الاتصالات، وارتفاع أسعار الخدمات التكنولوجية، ودعم نظم وقوانين وتشريعات تنظم العمل في قطاعات الاتصالات، والإسهام في توفير الأجهزة التكنولوجية الحديثة للطلاب والدارسين والباحثين.

ولعل من أبرز الدراسات السابقة المرتبطة بالدراسة الحالية دراسة بدرنادر علي^(٢٠) (٢٠٠٢)، التي هدفت إلى تقديم تصور تحليلي يستهدف إعادة النظر في طبيعة الأدوار والكفايات والأساليب التدريسية التي يجرى توظيفها في تدريب معلم التعلم الإلكتروني (E-learning teacher) على ضوء الواقع العالمي والعربي، وبناء نموذج تصوري للتنمية المهنية التكنولوجية المتعمقة لمعلم التعلم الإلكتروني في ضوء الجودة الشاملة، وقدمت الدراسة نموذجاً مقترحاً يهدف إلى تعزيز العملية التعليمية في مراحل التعليم الثلاث من خلال تفعيل التعليم الإلكتروني، بالإضافة إلى أهداف عامة أخرى منها خلق شبكات تعليمية لتنظيم وإدارة عمل المؤسسات التعليمية، ودعم وسائل الاتصال التعليمي لفتح باب الإبداع والتدريب المبكر على حل المشكلات ودفع الطالب لحب المعرفة، وتقديم تصور ديناميكي لملامح تنمية مهنية تكنولوجية مكثفة لرفع كفاءة إعداد معلم التعلم الإلكتروني بما يضمن الارتقاء بمستويات أدائه المهني

وقام هونج وآخرون (Hong et al., 2003)^(٢٤)، بدراسة استهدفت معرفة اتجاهات طلبة جامعة ماليزيا سارواك نحو استخدام الإنترنت كوسيلة تعليمية، وتكونت عينة الدراسة من (٨٨) طالباً من طلبة السنة الثانية في الجامعة، وقد أظهرت النتائج اتجاهات إيجابية نحو استخدام الإنترنت كأداة للتعلم، وكان لديهم معرفة أساسية كافية بالإنترنت، ورأوا في بيئة الإنترنت بيئة مشجعة ومعززة لاستخدامها في التعليم.

ودراسة إبراهيم شوقي عبد الحميد (٢٠٠٤)^(١٧)، التي هدفت إلى الكشف عن الفروق بين الجنسين في اتجاهات عينة من طلبة جامعة الإمارات العربية المتحدة نحو الإنترنت ومجالات استخدامه وعلاقاتها بالتحصيل الدراسي، وكشفت عن وجود علاقة ارتباطية إيجابية ودالة بين الاتجاه نحو الإنترنت ومعدل استخدامه لدى الطلاب، مع عدم وجود علاقة بين هذين المتغيرين لدى الطالبات، كما أشارت إلى أن هناك ارتباطاً سلبياً بين اتجاه الطلاب نحو الإنترنت والتحصيل الدراسي، أما لدى الطالبات فقد ارتبطت كل من اتجاهاتهن نحو الإنترنت ومعدل استخدامه إيجابياً بالتحصيل الدراسي.

ودراسة مها عبد العزيز العبد الكريم (٢٠٠٦)^(١)، التي هدفت إلى تقييم تجربة التعلم الإلكتروني بمدارس البيان النموذجية للبنات بجدة بالمرحلتين المتوسطة والثانوية، وكانت أهم نتائجها وجود فروق بسيطة نسبياً لصالح استخدام الطريقة الإلكترونية مقارنة بالطريقة التقليدية في زيادة التحصيل الدراسي، كما بينت نتائج الدراسة أن المعلمات مستعدات للاستمرار بالتدريس بالطريقة الإلكترونية، وأنهن لا يواجهن صعوبات في تطبيق طريقة التعلم الإلكتروني، وأنهن يرغبن في تعميم هذه الطريقة في كافة فصول المدرسة، كما أنهن يشجعن زميلاتهن على التدريس بطريقة التعلم الإلكتروني، وأنهن لا يرغبن في العودة إلى التدريس التقليدي، وأنهن يرغبن في مزيد من التأهيل للتدريس بطريقة التعلم الإلكتروني.

ودراسة منى عبد المنعم (٢٠٠٦)^(١٩)، التي هدفت إلى تحديد معوقات الاستفادة من شبكة الإنترنت في تقديم المقررات الدراسية، والتعرف على الواقع الحالي لمشروع التعليم الإلكتروني المقدم من قبل وزارة التربية والتعليم في مصر للمرحلة الإعدادية، تحديد المعايير التربوية لتصميم المواقع التعليمية على شبكة الإنترنت، ووضع قائمة معايير مقترحة لضبط جودة المواقع التعليمية على شبكة الإنترنت في ضوء إدارة الجودة الشاملة، ووضع تصور مقترح لتطوير بنية المواقع التعليمية على شبكة الإنترنت في ضوء إدارة الجودة الشاملة. وأشارت أهم نتائجها إلى استخدام شبكة الإنترنت للأغراض التعليمية أصبح ضرورة يومية، وحددت الدراسة (٢١) معوق يحول دون الاستفادة من شبكة الإنترنت في العملية التعليمية، وتوصلت الدراسة لقائمة مقترحة بمعايير لضبط جودة المواقع التعليمية على شبكة الإنترنت في ضوء إدارة الجودة الشاملة.

ودراسة حاتم جاد الكريم (٢٠٠٦)^(١٣)، التي هدفت إلى التعرف على الواقع الحالي لتكنولوجيا التعليم في الوطن العربي، والتي توصلت لعدد من النتائج، لعل من أهمها تحديد معوقات استخدام تكنولوجيا التعليم في الوطن العربي، كما توصلت الدراسة لوضع تصور مقترح للتعليم العربي في ضوء تكنولوجيا التعليم، وأوصت الدراسة بضرورة إعادة النظر في المناهج الدراسية التقليدية لتواكب عصر التكنولوجيا والمعرفة.

ودراسة فاطمة إبراهيم علي الغدير (٢٠٠٩)^(٩)، التي هدفت إلى معرفة درجة توافر مستحدثات تكنولوجيا التعليم في مدارس المرحلة الثانوية بمدينة الرياض، ودرجة استخدام معلمات الرياضيات لها، ومعوقات استخدامها، ومعرفة درجة توافر مهارات استخدام مستحدثات تكنولوجيا التعليم في التدريس. وقد أظهرت نتائج الدراسة أن درجة توافر مستجدات التكنولوجيا في المدارس الثانوية للبنات كانت منخفضة بشكل عام،

وأن درجة استخدام مستجدات التكنولوجيا في المدارس الثانوية للبنات كانت منخفضة، وأن هناك معوقات بدرجة مرتفعة تراها المعلمات تحول دون استخدامهم لمستحدثات تكنولوجيا التعليم في التدريس، وبينت نتائج الدراسة أن مهارة المعلمات في استخدام مستحدثات تكنولوجيا التعليم كانت منخفضة.

ودراسة مشاعل عبد العزيز العبد الكريم (٢٠٠٨)^(٧)، التي هدف إلى التعرف على مدى استخدام طرق التعليم الإلكتروني في مدارس المملكة، وجاءت أهم نتائج الدراسة فيما يتعلق بمدى استخدام طرق التعليم الإلكتروني في مدارس المملكة وجود موقع للمدرسة على الإنترنت، وتوفر شبكة إنترنت في المعامل وأنه لدى المعلمات معرفة بكيفية استخدام الحاسب الآلي بما في ذلك الإنترنت والبريد الإلكتروني، كما يوجد بالمدرسة شبكة إنترنت متاحة للمعلمات، في حين أنه تبين عدم توافر جهاز حاسب آلي لكل طالب وطالبة وأن المعلم والمعلمة لا يطلبون من الطلاب أو الطالبات تسليم الواجبات على أقراص مدمجة.

ودراسة نايل محمد الحجايا (٢٠١٠)^(٨)، التي هدفت إلى استكشاف واقع التعليم الإلكتروني في الجامعات الحكومية الأردنية، ومعرفة درجة توافر البنية التحتية للتعليم الإلكتروني، ودرجة معرفة أعضاء هيئة التدريس في الجامعات لمتطلبات استخدام التعليم الإلكتروني، وقد أشارت النتائج إلى أن البنية التحتية للتعليم الإلكتروني مازالت في أدنى درجات المتوسط، أما درجة معرفة أعضاء هيئة التدريس بمتطلبات التعليم الإلكتروني فقد كانت بدرجة مرتفعة، أما درجة ممارسة أعضاء هيئة التدريس في الجامعات الأردنية للتعليم الإلكتروني فقد كانت بدرجة متوسطة، كما دلت النتائج على وجود علاقة بين معرفة أعضاء هيئة التدريس بمتطلبات التعلم الإلكتروني ومكان عملهم، وتخصصاتهم، ومؤهلاتهم، وقد أوصت الدراسة بعدد من التوصيات منها زيادة الدعم المقدم للجامعات لرفع مستوى البنية التحتية للتعليم الإلكتروني فيها.

كما أجرى باتي (Bahtti, 2010)^(٩)، دراسة هدفت إلى استكشاف مدى استخدام أعضاء هيئة التدريس في البيئة المتغيرة للتعليم العالي للإنترنت، والوقت الذي يقضيه في استخدام الإنترنت في الأسبوع، وتكونت عينة الدراسة من أعضاء هيئة التدريس في الجامعة الإسلامية في باكستان، وأظهرت النتائج أن أعضاء هيئة التدريس من جميع كليات كانوا متحمسين نحو استخدام الإنترنت لأغراض التدريس والبحث، كما أن أعضاء هيئة التدريس من كلية العلوم كانوا أكثر إيجابية حول استخدام الإنترنت وفي تأثيره على خبراتهم التعليمية وأن أكثر استخداماتهم كانت في البريد الإلكتروني، والمجلات

والموسوعات، والقواميس الإلكترونية، وخدمات الفهرسة، وقواعد البيانات. وأظهرت النتائج أن (٢٢٪) من أعضاء هيئة التدريس يستخدمون الإنترنت للعثور على معلومات من الصحف الإلكترونية.

ودراسة تيسير اندراوس سليم (٢٠١٢)^(١٦)، التي هدفت إلى بناء منظومة معرفية، تتضح فيها ملامح صورة تكنولوجيا التعلم المتنقل وبيئته وخصائصه وميزاته وفوائده، حيث أجمعت الدراسات على أن التعلم المتنقل هو نظام تعليمي تعليمي تجمعه بالتعليم الإلكتروني عناصر متشابهة وأخرى متباينة، يقوم أساساً على الاتصالات السلكية واللاسلكية، بحيث يمكن للمتعلم حرية الوصول إلى المواد التعليمية والمحاضرات والندوات في أي زمان ومكان، خارج الفصول الدراسية، وهذا بدوره يخلق بيئة تعلم جديدة في إطار المواقف التعليمية، تقوم على التعلم التشاركي والتفاعلي، وسهولة تبادل المعلومات بين المتعلمين أنفسهم من جهة والمحاضر من جهة أخرى. وأظهرت نتائج الدراسة بأن التحديات التي تعترض سبل تطبيق التعلم المتنقل في التعليم، تتمحور ما بين تقنيات أمن وحماية المحتوى التعليمي وتوفر الأجهزة وقدرتها التخزينية والترددية ودرجة تحملها، وتحديات تعليمية تتعلق بإعداد المناهج التعليمية، والفروق الفردية بين الطلبة، وتدني مستوى الثقافة والخبرة والمهارة لدى بعض المدرسين والطلبة في التعامل بجدية مع تكنولوجيا العصر، وارتفاع الكلفة المالية لمدخلات هذا النوع من التعلم، وغياب الاستراتيجيات التعليمية المتكاملة التي تضمن السير في خطى التعلم المتنقل، واختتمت الدراسة بالتأكيد على أهمية إعادة النظر في مدخلات العملية التدريسية وإجراءات تنفيذها، من أجل استيعاب مفاهيم الثورة المعرفية والإلكترونية والتكنولوجية، والتعبئة المجتمعية، لتحقيق متطلبات المرحلة الراهنة، والسير بركب الحداثة والتطور والتغيير.

نتائج الدراسة وتفسيرها

بعد أن تم تطبيق الدراسة، وجمع المعلومات، وتحليلها، باستخدام أسلوب التكرار الذي يتناسب مع منهج الدراسة الوصفي، مع توظيف النسبة المئوية، لكل مجال من المجالات التي تناولتها أداة الدراسة للإجابة على أسئلتها، وقد جاءت نتائج الدراسة كمايلي:

السؤال الأول: ما اتجاهات طلاب جامعة حائل نحو استخدام التكنولوجيا الرقمية؟

اتضح من خلال إجابات الطلاب فيما يتعلق بهذا السؤال بأن نسبة (٢٨٪) من الطلاب عينة الدراسة يستخدمون الإنترنت لمدة ٢ ساعات يومياً، و(٣٧،٥٪) يزيد عن خمس ساعات يومياً، فيما تراوحت ما نسبته (٢١،٥٪) منهم بين ٢-٥ ساعات يومياً.

كما أشار الطلاب ونسبة (٥٠ ٪) بأنهم يستخدمون الإنترنت لفترة أطول من الوقت الذي خصصوه لذلك، كما يتشوق ما نسبته (٤٤ ٪) لاستخدام الإنترنت مجدداً بمجرد الانتهاء من استخدامها مباشرة، وحول أن الحياة بدون الإنترنت ستكون مملة أفاد (٦٩ ٪) من الطلاب بصحة ذلك، وأشار (٤٨ ٪) منهم بأنهم يلجأون إلى تغيير أجهزتهم التكنولوجية بمجرد تطور الخدمات بهدف مواكبة التقنيات المتسارعة.

وقد أفاد ما نسبته (٨١,٥ ٪) من طلاب وطالبات الجامعة أنهم اكتسبوا مهارات التعامل مع التقنيات الرقمية من خلال الممارسة الشخصية، ونسبة (٢,٥ ٪) من خلال المدرسة، ونسبة (٥,٥ ٪) من الأهل والأصدقاء، في حين كان دور الجامعة ضعيفاً في هذا الجانب.

ولاشك أن هذه النتائج تدل دلالة واضحة على الاتجاه الإيجابي والكبير نحو استخدام التكنولوجيا الرقمية لدى الطلاب والطالبات في مرحلة التعليم الجامعي، ويتوافق مع ما أوردته العديد من الدراسات ذات العلاقة بهذا الشأن، والذي يدعو استثماره بشكل إيجابي في خدمة العملية التعليمية.

السؤال الثاني: ما واقع استخدام التكنولوجيا الرقمية لدى طلاب جامعة حائل؟

تناول المحور الخاص بالإجابة على هذا السؤال في أداة الدراسة عدة جوانب، ركزت على نوعية الأدوات التكنولوجية التي يستخدمها الطلاب في حياتهم اليومية، وقد أشار (٦١ ٪) منهم إلى الاعتماد على هواتفهم المحمولة، في حين أشار (٨٧ ٪) إلى استخدامها للهواتف الذكية، في حين انخفضت نسبة المستخدمين لأجهزة الحاسب الثابتة إلى (٦ ٪) فقط، في حين أشار (٤٣ ٪) منهم باستخدامهم لأجهزة الحاسوب الشخصي المحمول (Laptop)، وتراوحت نسبة استخدام الطلاب للأجهزة اللوحية بين (٣٦ ٪) بشكل دائم، و(٣٢ ٪) في بعض الأحيان.

ولعل في هذه الاستجابات دليل واضح على تنوع الأدوات التي يستخدمها الطلاب، وحداتها، وهو ما يستلزم السعي لاستثمارها بشكل مثالي.

وحول مواقع استخدام الطلاب للاتصال بشبكة الإنترنت، أشارت النتائج إلى أن (٨١ ٪) منهم يتصلون بها عبر أجهزتهم المتنقلة، وما نسبته (٩١,٩ ٪) في المنزل، ويستثمر ما نسبته (٤٨,٦ ٪) المواقع العامة التي تتيح الخدمة، في حين انخفضت نسبة استخدامهم للاتصال بالإنترنت عن طريق شبكات الجامعة الخاصة إلى نسبة (١٦ ٪).

فقط، والذي يفسره الباحث بضعف عمليات توفير المواقع المناسبة والمتكاملة للاستفادة من خدمات التقنيات الرقمية، والتي توجب البحث حولها، وتفعيل الخدمات المتطورة التي من شأنها تعزيز اتجاه الطلاب نحو استخدام وسائل التكنولوجيا الرقمية بكافة أشكالها في رحاب الجامعة.

وحول نوعية الاستخدامات العامة التي يلجأ إليها الطلاب عند اتصالهم بالإنترنت، والتعامل مع أدوات التكنولوجيا الرقمية، أفاد ما نسبته (٤٩٪) من الطلاب بأنهم يقومون بتحميل ومشاهدة المواد المرئية والمسموعة دائماً، في حين أشار (٤٥٪) إلى أنهم يلجأون إلى ذلك أحياناً، كما أشار (١٢،٣٪) إلى قراءة الصحف والمجلات العامة، ونسبة (٩،٨٪) إلى أنهم يقومون بالحصول على الكتب العلمية وقراءتها، ويتابع ما نسبته (١٣،٥) المواقع المتخصصة في التعليم والتدريب، ويهتم ما نسبته (٧٩،٨٪) من الطلاب بالبحث حول البرمجيات والتطبيقات الجديدة وتحميلها وتنصيبها على أجهزتهم وهواتفهم الذكية، واستخدامها، ويستثمر ما نسبته (٩٧،٥٪) من الطلاب تقنيات التواصل الفوري في حياتهم اليومية، ويمارس ما نسبته (٦١،٧٪) عمليات تحميل الألعاب الإلكترونية واللعب، وانخفضت نسبة زيارة المنتديات العامة والمشاركة فيها إلى نسبة (٩،٨٪) من مجموع الطلاب، كما أفاد ما نسبته (٨٨،٧٪) إلى استخدامهم الدائم واليومي للبريد الشخصي، وارتفعت نسبة الطلاب الذين يستخدمون شبكات التواصل الاجتماعي بمختلف أشكالها إلى (٩٠،١٪).

وفي النتائج أعلاه مؤشرات إيجابية حول التنوع الكبير لإستخدامات التقنيات الرقمية المختلفة من قبل الطلاب والطالبات، وهو ما يدعو لاستثماره في كافة عمليات التعليم الجامعي، هذا بالإضافة إلى المؤشرات السلبية حول عدم استغلال الطلاب لتقنيات الاطلاع على الكتب والأبحاث العلمية المتخصصة، والتي قد تحتاج إلى تكثيف الجهود الأكاديمية حولها، وتزويد الطلاب بالمهارات اللازمة للبحث العلمي على الشبكة العالمية، وزيادة دافعيته في هذا المجال.

السؤال الثالث: ما درجة توافر توظيف الأساليب الحديثة في مجال التكنولوجيا الرقمية في جامعة حائل من وجهة نظر طلابها؟

تناول المحور الخاص بالإجابة على هذا السؤال في أداة الدراسة عدة جوانب، في محاولة لرصد الواقع الحالي لاستثمار التقنيات الرقمية في العملية التعليمية في الجامعة، حيث أفاد (٢،٧٪) من الطلاب بأنهم يقومون بالتواصل مع العمادات والإدارات ذات

العلاقة بدراستهم الأكاديمية، في حين أشار (٢، ٤٣٪) إلى أن ذلك يحدث أحياناً، كما انخفضت هذه النسبة في تواصل الطلاب مع عمادة شؤون الطلاب إلى نسبة (٤٦، ٢٪) فقط، وأشار ما نسبته (٤، ٢٣٪) إلى أن ذلك يحدث في بعض الأحيان، وحول تسجيل المقررات الدراسية وحذفها، ومتابعة السير الأكاديمي أشار (٦، ٨٧٪) من الطلاب أنهم يقومون بهذه العمليات بشكل مستمر، في حين أشار (٧، ١٩٪) بأنهم يتواصلون بشكل مستمر مع عمادة الكلية باستخدام التقنيات الرقمية، وحول تواصل الطلاب مع الأساتذة أشار (٣، ٤٤٪) من الطلاب إلى تواصلهم مع أساتذتهم بشكل متوسط، كما أفاد (٢، ٣٣٪) من الطلاب بأنهم يقومون بإجراء البحث العلمي المتعلق بالمقررات الدراسية.

في حين ارتفعت نسبة التواصل بين الطلاب في ذات التخصص عبر وسائل التواصل والبريد الشخصي إلى نسبة (٧، ٨٢٪) من عدد المشاركين في الاستبيان، وأشار نسبة (٢٢٪) من الطلاب إلى قيامهم بتسليم مهامهم وواجباتهم الأكاديمية باستخدام التواصل الرقمي، وأفاد ما نسبته (٩، ٤١٪) إلى أنهم قاموا بذلك في بعض الأحيان، وقد لقيت عمليات البحث عن البيانات المرئية والمسموعة ذات العلاقة بمجال التخصص نسبة (٣، ٥٤٪)، في حين يهتم (٦، ٨٧٪) من الطلاب بمتابعة أخبار الجامعة والإعلانات والتوجيهات الأكاديمية المنشورة عبر مواقع الجامعة.

ولعل المؤشرات العامة لاستجابات الطلاب في هذا المحور تدل على ضعف في توظيف التكنولوجيا الرقمية في العديد من العمليات الأكاديمية الخاصة بخدمة الطلاب، وهو ما يستدعي تكثيف الجهود على بناء أدوات وأساليب وطرق متطورة لتلبية إحتياجاتهم في هذا المجال، والعمل على تحسين إتجاهاتهم نحو ذلك، وتنمية مهاراتهم في هذه المجالات.

السؤال الرابع: ما معوقات استخدام الأساليب التكنولوجية الرقمية من وجهة نظر طلاب جامعة حائل؟

تناول المحور الخاص بالإجابة على هذا السؤال عدة جوانب، منها ارتفاع تكلفة خدمات الإنترنت، حيث أفاد (٧، ٢٤٪) من الطلاب بأن هذا الأمر يعد من أهم معوقات استخدامهم للتقنيات الرقمية، في حين أشار (٣٢٪) منهم بأن ارتفاع تكلفة الأجهزة التكنولوجية معوق مهم يحول دون توفرها بين أيديهم، وقد أفاد (٨، ٤٪) بأن عدم امتلاكهم بعض المهارات الخاصة بالتعامل مع التقنيات الرقمية الحديثة يعد من استخدامهم لها، وحول خطورة التعامل مع الإنترنت، أشار (٨، ٩٪) إلى أنها ربما تعوقهم عن التعمق في

استخدام التقنيات الرقمية، وأدى عدم توفر خدمات الإنترنت في مواقع الدراسة الجامعية بشكل مناسب إلى إحجام استخدامهم لها بما نسبته (٦, ٧١٪)، كما أدى عدم توفر أغلب الخدمات الجامعية بشكل ميسر على شبكة الإنترنت إلى إحجام استخدامهم لها في المجال الأكاديمي بما نسبته (٣, ٧٠٪)، وأفاد (٩, ٦٢٪) من الطلاب بأن الأساتذة لا يعتمدون التعامل مع الإنترنت في المهام الأكاديمية، وأشار (٧, ١٩٪) من الطلاب إلى عدم رغبتهم الكبيرة في أن تستخدم التكنولوجيا الرقمية في التعليم الجامعي بشكل أساسي، وشكلت مشكلة عدم توفر المصادر العلمية باللغة العربية على شبكة الإنترنت معوقاً لما نسبته (٦, ٢٩٪) من الطلاب، وأوضح ما نسبته (١, ٢٧٪) من الطلاب بأن كثرة المهام الأكاديمية الموكلة لهم لا تتيح لهم الفرصة الكافية للاستفادة من التقنيات الرقمية بشكل إيجابي.

ويتضح من استجابات الطلاب أن المعوقات التي ورد ذكرها غير مؤثرة بشكل كبير على اتجاههم نحو استخدام التكنولوجيا الرقمية، فيما عدا عدم توفر الخدمات الجامعية بشكل ميسر على موقع الجامعة، وعدم اعتماد بعض الأساتذة على التعامل عبر التكنولوجيا الرقمية في عمليات التدريس والتعليم الجامعي.

السؤال الخامس: ما المأمول في تفعيل استخدام وتوظيف التكنولوجيا الرقمية في جامعة حائل من وجهة نظر طلابها؟

تناول المحور الخاص بالإجابة على هذا السؤال عدة جوانب، حيث أشار (٨٤٪) من الطلاب إلى رغبتهم أن توفر الجامعة أماكن مخصصة تتوفر فيها شبكات عالية السرعة للاتصال بالإنترنت، كما أشار ما نسبته (٩٥٪) من الطلاب إلى رغبتهم في توفير مرافق وأندية خاصة تتوافر فيها الأجهزة والتقنيات الرقمية الحديثة، كما رغب (٨, ٧٧٪) من الطلاب في أن تقدم لهم الجامعة عدداً من الدورات المستمرة المتخصصة في مجال التقنيات الرقمية الحديثة، وأكد (٧٨٪) منهم على ضرورة أن يدعم النظام الأكاديمي الاعتماد على استخدام التطبيقات الرقمية الحديثة، ويرغب (٥, ٧٦٪) منهم أن يعتمد الأساتذة على استخدام التطبيقات الرقمية في التعليم الجامعي، ويرى (٥, ٩٢٪) منهم ضرورة أن توفر الجامعة على موقعها الرسمي تطبيقات خاصة تهتم بجماعات التعلم، كما أيد (٨٩٪) منهم سعي الجامعة إلى التعاون مع الشركات المتخصصة لتسهيل حصولهم على أجهزة تكنولوجية متطورة.

إن المؤشرات الناتجة عن رأي الطلاب في المأمول في ميادين تفعيل وتوظيف التكنولوجيا الرقمية في جامعة حائل مشجعة بشكل كبير، فهي تدل على الرغبة الكبيرة، والاتجاه الشديد نحو التعامل والاعتماد على التكنولوجيا الرقمية في العمليات الأكاديمية المختلفة.

وفي ضوء نتائج الدراسة فإن الباحث يوصي بما يلي:

- الحرص على رفع مستوى البنية التحتية لتوفير التقنيات الرقمية.
- تبني توظيف التقنيات الرقمية والعمل على نشرها بشكل أوسع، على أن لا يكون ذلك بديلاً عن التعليم التقليدي بل عاملاً مساعداً لتطوير وتحسين نوعية التعليم واستيعاب الطلاب للمادة العلمية عن طريق التعليم والتفاعل المستمر.
- العمل على توفير كافة الخدمات الأكاديمية عبر التطبيقات الرقمية المختلفة.
- إعداد برامج تدريبية متنوعة، ومتطورة، موجهة إلى أعضاء هيئة التدريس، والطلاب، لتطوير خبراتهم وتدريبهم على الاستفادة من إمكانيات التكنولوجيا الرقمية.
- إجراء البحوث والدراسات التي من شأنها تقييم وضع توظيف التقنيات الرقمية في الجامعات، واقتراح الآليات المناسبة والسبل المؤدية إلى نشر تلك التقنيات الرقمية.
- العمل على نشر الوعي بالتقنيات الرقمية وأهميتها وطرق تطبيقها وكيفية الاستفادة منها لدى أعضاء هيئة التدريس والطلاب من خلال وضع آليات تساعد على ذلك.

المراجع والمصادر

١. الأكلبي، مفلح دخيل مفلح (١٤٢٤): مدى تمكن طالب التربية الإسلامية المعلم بكلليات المعلمين من إنتاج واستخدام الوسائل وتقنيات التعليم، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية: جامعة أم القرى.
٢. الباتح، حسن (٢٠٠٦): تصميم مقرر عبر الإنترنت من منظورين مختلفين البنائي والموضوعي وقياس فاعليته في تنمية التحصيل والتفكير الناقد والاتجاه نحو التعلم القائم على الإنترنت لدى طلاب كلية التربية جامعة الإسكندرية، رسالة دكتوراة، كلية التربية: جامعة الإسكندرية.
٣. الحجايا، نايل محمد (٢٠١٠): واقع التعليم الإلكتروني في الجامعات الأردنية، ورقة علمية مقدمة للمؤتمر الدولي الثالث حول التعلم الإلكتروني بعنوان: «دور التعلم الإلكتروني في تعزيز مجتمعات المعرفة»، الذي نظمه مركز زين للتعلم الإلكتروني في جامعة البحرين في الفترة ٦-٨ إبريل ٢٠١٠م.
٤. الحربي، سمر محمد سعيد (١٤٣٢): مدى توافر مهارات البحث عن مصادر المعلومات عبر الإنترنت لدى طالبات الدراسات العليا بكلية التربية في جامعة أم القرى من وجهة نظرهن، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية: جامعة أم القرى.
٥. السرحاني، وفاء فاهد سالم (١٤٣٤): أثر استخدام الويكي كأحد تطبيقات ويب الجيل الثاني في ضوء تعزيز الانتماء لمجتمع الصف الدراسي في تحسين الأداء الكتابي لدى طالبات اللغة الإنجليزية بجامعة الجوف والاتجاه نحو الكتابة، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية التربية: جامعة أم القرى.
٦. العبدالكريم، مها عبد العزيز (٢٠٠٦): دراسة تقويمية لتجربة التعلم الإلكتروني بمدارس البيان النموذجية للبنات بجدة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية: جامعة الملك سعود.
٧. العبدالكريم، مشاعل عبد العزيز (٢٠٠٨): واقع استخدام التعليم الإلكتروني في مدارس المملكة الأهلية بمدينة الرياض، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية: جامعة الملك سعود.
٨. العقلا، علي (١٤٢٨): سيناريوهات التعليم الإلكتروني في المملكة العربية السعودية، مجلة المعرفة، ١٤٣ ع.
٩. الفدير، فاطمة إبراهيم علي (٢٠٠٩): توظيف الأساليب الحديثة في مجال تكنولوجيا التعليم في التدريس بمدارس المملكة العربية السعودية «دراسة تقويمية»، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة: معهد الدراسات التربوية، ص ٤.
١٠. القاري، سميحة بنت عبد الله عباس (١٤٢٦): توظيف التقنية في الارتقاء بالمواطنة، الباحة: اللقاء الثالث عشر لقادة العمل التربوي.
١١. القاضي، رضا (١٩٩٧): توظيف تكنولوجيا التعليم في التدريس الفعال بمدرسة الإخلاص الأهلية للبنين بجدة، مجلة تكنولوجيا التعليم، المجلد السابع، الكتاب الثالث، ص ٧٥.
١٢. سيلز، باربرا وريتشي، ريتا (١٩٩٨): تكنولوجيا التعليم (التعريف - ومكونات المجال)، ترجمة بدر بن عبد الله صالح الرياض: مكتبة الشقري، ص ٢٩.
١٣. جاد الكريم، حاتم (٢٠٠٦): تكنولوجيا التعليم في الوطن العربي، المعلوماتية ومنظومة التعليم، المؤتمر العلمي للجمعية العربية لتكنولوجيا التربية، جامعة القاهرة: معهد الدراسات التربوية جامعة القاهرة، ٥-٦ يوليو.
١٤. سالم، أحمد (٢٠٠٤): تكنولوجيا التعليم والتعليم الإلكتروني، الرياض: مكتبة الرشد، ص ٥٥.
١٥. سرايا، عادل (٢٠٠٧): تكنولوجيا التعليم ومصادر التعليم، الجزء الثاني، الرياض: مكتبة الرشد، ص ٥٧.
١٦. سليم، تيسير اندراوس (٢٠١٢): تكنولوجيا التعلم المتنقل: دراسة نظرية، Cybrarians Journal، ٢٨٤، (مارس ٢٠١٢) - تاريخ الاطلاع ٢٠١٣/٩/١٥.

١٧. عبد الحميد، إبراهيم شوقي (٢٠٠٤): اتجاهات طلبة الجامعة نحو الإنترنت واستخدامه في علاقتهما بالتحصيل الدراسي: دراسة مقارنة بين الجنسين، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، فرع بني سويف، ٧٤.
١٨. عبد العزيز، حمدي أحمد (٢٠٠٨): التعليم الإلكتروني، الفلسفة، المبادئ، الأدوات، التطبيقات، عمان: دار الفكر، ص١٤.
١٩. عبد المنعم، منى (٢٠٠٦): تطوير بنية المواقع التعليمية على شبكة الإنترنت في ضوء نموذج مقترح لإدارة الجودة الشاملة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية: جامعة حلوان.
٢٠. علي، بدر نادر (٢٠٠٣): نموذج مقترح لإعداد معلم التعلم الإلكتروني في دولة الكويت في ضوء معايير الجودة الشاملة، المؤتمر العالمي السنوي الحادي عشر، جامعة حلوان، كلية التربية، ١٢-١٣ مارس.
٢١. قادي، إيمان عمار علي (١٤٢٨): واقع استخدام الوسائل التعليمية والتقنيات الحديثة في تدريس اللغة الإنجليزية في المرحلة المتوسطة من وجهة نظر مشرفات اللغة الإنجليزية ومديرات المدارس بمكة المكرمة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية: جامعة أم القرى.
22. Bhatti, R. (2010). Internet Use among Faculty Members in the Changing Higher Education Environment at the Islamic University of Bahawalpur, Pakistan, Library Philosophy and Practice, ISSN 1522-022.
23. De Scool, (2005): The Need for Technology Instruction in Teacher Education, Exit Project. Indiana University at south bend P 214.
24. Hong, K. Ridzuan, A. and Kuek, M. (2003). Students' Attitudes Toward the Internet for Learning: A study at a University in Malaysia. Educational Technology & Society, 6(2), 45-49.

اتجاهات الشباب الجامعي الليبي نحو مستقبل المرأة المهني

المقدمة

د. انتصار جمعة الجطلاوي



استحوذ موضوع المرأة في الآونة الأخيرة اهتمام الرأي العام العالمي وأفردت المؤتمرات والدراسات لمناقشة قضاياها وأخذت مساحات واسعة من اهتمامات الباحثين والمهتمين باتخاذ القرارات انطلاقاً من الشعور العام بأن المرأة تشكل طاقة بشرية منتجة لا يستهان بها في القوى العاملة.

ويأتي اهتمام الدراسة الحالية بموضوعات المرأة في المجتمع العربي الليبي انطلاقاً من تعاليم الدين الإسلامي الذي قدس المرأة وأعلى مكانتها ودعا إلى احترامها وتقديرها باعتبارها نواة المجتمع، والركيزة الأساسية في بناؤه وتطوره من خلال ما تقوم به من أدوار هامة في المجتمع، فالاهتمام بها هو اهتمام بمصير الأمة وحاضرها ومستقبلها.

وانطلاقاً من أن المجتمع مكون من رجال ونساء متساوون في الحقوق والواجبات فإن الاهتمام بالمرأة يأتي من منطلق الاهتمام باستثمار كل طاقات المجتمع وتوظيفها في تحقيق التنمية.

ونظراً لأهمية الاتجاهات في تحويل اهتمام الفرد رجلاً أو امرأة نحو

• دكتورة خدمة اجتماعية، وعضو هيئة تدريس في جامعة الزيتونة كلية الآداب قسم الخدمة الاجتماعية/ليبيا.
almuraseel_center@yahoo.com

موضوع معين وتفضيله على موضوعات أخرى، فإنه سيتم التركيز في هذه الدراسة على اتجاهات الشباب الجامعي الليبي (ذكوراً وإناثاً) نحو المستقبل المهني للمرأة ومعرفة الآراء الايجابية والسلبية تجاه المستقبل المهني للمرأة، علماً بأن المجتمع الليبي أصبح يولي أهمية كبيرة للمرأة ومشاركتها في العمل.

إن الشباب الجامعي الليبي بالنسبة للمجتمع يشكل أهم شريحة اجتماعية تشغل وضعاً متميزاً في بنيته الاجتماعية، وهم مصدر الطاقة والتجديد والتغيير الاجتماعي، ولهذا فإن كثيراً من الدول تعنى بتوفير فرص التعليم الجامعي لأبنائها لتعدهم الإعداد المناسب ليكونوا فيما بعد قادرين على تسلم زمام المسؤولية والمشاركة في عملية التنمية، هذا بالإضافة إلى أن الشباب في أي أمه نامية هو الشريحة الواعية والمتعلمة التي أخذت حظها في التعليم والثقافة واكتسبت قيم الحضارة الحديثة، ويفترض أن يكونوا قد عدلوا أو اكتسبوا اتجاهات إيجابية بإزاء خروج المرأة للعمل والتعليم ودخولها في المهن والوظائف التي تناسبها، ويعتبرون عمل المرأة حلاً لبعض المشاكل التي قد تحدث لبعض الأسر وكذلك مشاركتها في خدمة المجتمع هو أمر تفرضه الضرورة الإنسانية والحضارية.

مشكلة الدراسة

إن المجتمع الليبي يعيش مرحلة من التغير الاجتماعي السريع كغيره من المجتمعات الأخرى، وبذلك أصبح المجتمع الليبي مجتمعاً حديثاً ومتغيراً ومتجداً، وليس تقليدياً جامداً، وهذا التغير لا يقتصر على التغيرات الظاهرة الملموسة، بل يمتد إلى أسس العلاقات بين الأفراد ويشتمل على تغير العادات والتقاليد مسايرة للتطور الثقافي والحضاري، كما يشتمل على تغير في المعاملات وتغير في الاتجاهات والقيم، وهو بذلك يشمل كل جوانب الحياة والتغير الاجتماعي ويؤدي إلى صراع بين نمطين من العادات والتقاليد عادات وتقاليد عاشها أفراد المجتمع وتعودوا عليها.

وتتطلب هذه الدراسة من دائرة اهتمام علم الاجتماع بقضايا المرأة من خلال تحليل التغيرات المصاحبة لعملية التنمية والتحديث في المجتمع الليبي، وتأثير هذه التغيرات على فئة النساء في نمط المعيشة السائدة في نموذج معين، ويتم تحليل هذه التغيرات في ضوء ما يجري من تغير اجتماعي وثقافي واقتصادي في المجتمع الليبي وارتفاع تكاليف الحياة والزيادة في متطلبات الأسرة، الأمر الذي دفع بالمرأة إلى العمل والمشاركة في تحمل المسؤولية.

ودراسة دور المرأة وعلاقته بالتغيرات التي حدثت في المجتمع، يعني تحليلاً للأبعاد الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي ساهمت في تشكيل وضع المرأة، والتعرف على حجم مشاركة المرأة في القرارات والمسؤوليات في المجتمع، مما يعكس قيم المجتمع تجاه المرأة في انتقاله من مجتمع تقليدي إلى مجتمع حديث، وفي ضوء التطور الذي شهده المجتمع الليبي في المجالات المختلفة.

وليس من السهل دراسة دور المرأة في المجتمع دون أن ننظر إلى الثقافة السائدة وما تحمله من عادات وتقاليد وقيم واتجاهات تتغير بتغير اتجاهات الأفراد داخل المجتمع. وتتحدد مشكلة الدراسة الحالية في دراسة المستقبل المهني للمرأة من حيث اتجاهات الشباب الجامعي الليبي.

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- ١- التعرف على طبيعة اتجاهات الشباب الجامعي الليبي نحو مستقبل المرأة المهني.
- ٢- التعرف على الآثار والمشكلات المترتبة على عمل المرأة.
- ٣- التعرف على طبيعة المهن التي ستمارسها المرأة مستقبلاً من وجهة نظر أفراد العينة.

تساؤلات الدراسة

تطلق هذه الدراسة من التساؤل الرئيسي الآتي:

- ١- ما طبيعة اتجاهات الشباب الجامعي الليبي نحو مستقبل المرأة المهني؟
- ٢- ما الآثار والمشكلات المترتبة على عمل المرأة؟
- ٤- ما طبيعة المهن التي ستمارسها المرأة مستقبلاً؟

بعض مفاهيم ومصطلحات الدراسة

١- الاتجاهات:

يعرف الاتجاه بأنه نسق أو تنظيم لمشاعر الفرد ومعارفه وسلوكه أو استعداد له للقيام بأفعال معينة وتتمثل في درجات من القبول أو الرفض نحو الموضوع أو القضية موضع الاهتمام.^(١)

(١) عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في علم النفس الاجتماعي، القاهرة، دار قباء، المجلد الأول، ١٩٩٨م، ص ١٧.

٢- الشباب

وتعرف فترة الشباب بأنها «الفترة من العمر التي تتميز بالقابلية للنمو والتي يمر الإنسان فيها بمراحل حيوية من النمو الذهني، والنفسي، والاجتماعي، والبدني».^(٢)

٣- المهنة

وتعرف بأنها مجموعة أنشطة تتركز حول دور اقتصادي تستهدف ضمان توفير الحاجات الأساسية للحياة، ودوراً اجتماعياً يحدده تقسيم العمل في المجتمع، كما أنها تمثل عاملاً هاماً في تحديد هوية الشخص ووضعه الطبقي وأسلوب حياته.^(٣)

٥- المرأة العاملة

هي المرأة التي تعمل في مؤسسة ما وتتقاضى أجراً أو مكافأة مقابل ما تقوم به من عمل مهما كان نوعه.^(٤)

٥- العمل

لقد تغيرت معاني العمل كمفهوم مع مرور المجتمعات بمجموعة التغيرات الكبرى التي صاحبت الثورة الصناعية، فقد ظهرت الرأسمالية التي أدت إلى انتشار المذهب الفردي وانتشار أسلوب التعامل النقدي في التبادل الاقتصادي، وبالتالي فقد افترق العمل ارتباطه بالتعاليم الدينية واكتسب معناه في حد ذاته باعتباره مظهراً عاماً تتميز به الحياة الدنيوية.^(٥)

منهج الدراسة

إن تحديد منهج الدراسة يتوقف على طبيعة مشكلة الدراسة وأهداف الدراسة، وبالإضافة إلى الإمكانيات الفنية والمادية المتاحة للباحث.^(٦)

(٢) محمد بن علي العتيق، بيت الشباب تنظيماً اجتماعياً «دراسة تقييمية لبيت الشباب بالرياض». الرياض: مكتبة العبيكان، ١٩٩٥م، ص ١١.

(٣) محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية ٢٠٠٢م، ص ٤٦٨.

(٤) محمد عاطف غيث، دراسات في علم الاجتماع التطبيقي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٠م، ١١٧.

(٥) اعتماد محمد علام، علم الاجتماع الصناعي «التطور والمجالات»، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٨م، ص ٢٢-٢٥.

(٦) مصطفى عمر التير، مقدمة في مبادئ وأسس البحث الاجتماعي، شركة الجديد للطباعة والنشر، ١٩٩٩م، ص ٤٢.

ويعد المنهج الوصفي منهجاً مناسباً لمثل هذا النوع من الدراسات الوصفية حيث يشير مفهوم المنهج إلى الكيفية التي يتبعها الباحث لدراسة المشكلة موضوع البحث.^(٧) ولتحقيق الأهداف يتم توظيف المنهج الوصفي الذي يهدف إلى وصف وتشخيص الظاهرة موضوع الدراسة للوقوف على جوانبها المختلفة، ودراسة كافة الحقائق والمعلومات المتعلقة بها حول موقف معين، ويهدف الباحث من وراء هذا النوع من الدراسات إلى جمع البيانات عن الظاهرة وكشف المتغيرات التي تؤثر فيها، كما تهدف إلى تحديد العلاقات بين الأشياء واختبار الفروض من أجل إيجاد العلاقات السببية بين المتغيرات.^(٨) واستخدم من أساليب هذا المنهج أسلوب المسح بالعينة وأسلوب المقارنة.

ويقصد بأسلوب المسح بأنه «محاولة منظمة للحصول على معلومات من جمهور معين أو عينة منه، وذلك عن طريق استمارة بحث أو مقابلة، فالوظيفة الأساسية للمسح هي توفير معلومات حول موقف معين أو مجتمع أو جماعة».^(٩)

وكما يقصد بالأسلوب المقارن بأنه «ذلك النوع من البحوث الذي يحاول تحديد أسباب الاختلافات القائمة في حالة أو سلوك مجموعة من الأفراد».^(١٠)

مجتمع الدراسة

يعرف مجتمع الدراسة بأنه «مجموعة وحدات الدراسة التي يراد الحصول على بيانات أو عنها».^(١١)

وعليه فقد تكون مجتمع الدراسة من الأفراد المتمثلين في الطلبة والطالبات في جامعة طرابلس بلياتها الإنسانية والتطبيقية وأقسامها المختلفة، الدارسين بالسنوات الثالثة والرابعة، أو ما يعادلها في الكليات التي تتبع النظام الفصلي بالجامعة الواقعة ضمن نطاق مدينة طرابلس. وبلغ حجم مجتمع الدراسة الكلي (٦٨٩٠) طالباً وطالبة منهم (٢٠٧٦) طالباً وبينما بلغ عدد الطالبات (٣٨١٤).

(٧) عبد الباسط محمد حسن، أصول البحث الاجتماعي، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٨٠م، ص ١٢٤.

(٨) مصطفى عمر التير، مقدمة في مبادئ وأسس البحث الاجتماعي، مصراته، دار ليبيا، ١٩٨٦م، ص ١٠٢.

(٩) عبد الله الهمال، أسلوب البحث الاجتماعي وتقنياته، بنغازي، منشورات الجامعة، ١٩٨٨م، ص ١١٨.

(١٠) صلاح مراد، فوزية هادي، طرائق البحث العلمي وتصميماته وإجراءاته، الكويت، دار الكتاب الحديث، ٢٩٧.

(١١) عبد الله الهمال، أسلوب البحث الاجتماعي وتقنياته، بنغازي، منشورات الجامعة، ١٩٨٨م، ص ١٥٤.

عينة الدراسة

تعرف العينة بأنها «جزء من الكل يختاره الباحث لأجل الحصول على بيانات تتعلق بموضوع بحثه يتعذر الحصول عليها من المجتمع برمته».^(١٢)

وتعد العينة العشوائية الطبقية النسبية أنسب نوع من أنواع العينات التي تتلائم مع هذه الدراسة وما تحويه من متغيرات.

لأن مجتمع الدراسة ينقسم إلى شرائح وفئات، وهذه العينة تستخدم عندما يكون جمهور البحث معروفاً لدى الباحث ولكنه غير متجانس الخصائص التي يود دراستها كأن يكون مقسم إلى ذكور وإناث أو من حيث العمر والتخصص العلمي.

ومن ثم فإن نسبة سحب العينة من مجتمع الدراسة قد بلغت ٠,٠٣ أي ٣٪ وقد استخرجت العينة من مجتمع الدراسة عن طريق ضرب المجتمع الكلي لمجتمع الدراسة (مجموع الطلبة بالجامعة في نسبة التمثيل مقسوماً على

$$\frac{100}{100} \times \text{حجم مجتمع الدراسة} \times \text{نسبة التمثيل}$$

$$\frac{206 = 3 \times 6890}{100} \text{ مفردة}$$

أما بالنسبة لعدد الطلبة في كل كلية «ذكوراً وإناثاً» والسنوات الدراسية والأقسام ثم اختيارها عشوائياً.

ولقد استبعد طلبة السنة الأولى والثانية وكذلك ما يعادلها من فصول دراسة بالنسبة لللكليات التي تتبع نظام الفصل، نظراً لمحدودية خبرة الطلبة الجدد.

ولعل من أهم أسباب أخذ طلبة الجامعة لإجراء الدراسة عليهم هو إمكانية تحديد إطار مجتمع الدراسة وكذلك لأن المرحلة الجامعية تعد آخر المراحل الدراسية ويكونون أقدر من غيرهم من طلاب المراحل الدراسية الأخرى على تكوين اتجاهات وتصورات حول الحقائق التي لديهم بها دراية كما أنهم وصلوا إلى مرحلة نضوج فكري يمكنهم من بلورة صورة واضحة حول موضوع الدراسة، وكذلك تعتبر المرحلة الأخيرة والتي ينطلق بعدها للعمل، فمن المتوقع أنه قادر على الإجابة عن أسئلة الاستمارة، بإجابات تقيد غرض الدراسة.

(١٢) المختار محمد إبراهيم، مراحل البحث الاجتماعي وخطواته الإجرائية، القاهرة، دار الفكر العربي، ٢٠٠٥م، ص ٤٧.

نتائج الدراسة

- ١- توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط عينة الدراسة والمتوسط النظري حيث كانت قيمة المتوسط النظري (٣٤) والمتوسط الحسابي (٤١, ٣) وهذا يشير إلى أن اتجاه الشباب الجامعي نحو المستقبل المهني للمرأة كان إيجابياً فهم يؤيدون خروج المرأة للعمل.
- ٢- يرى أفراد العينة أن المرأة تساهم من خلال عملها في تنمية المجتمع تأتي في المرتبة الأولى في الآثار والمشكلات الاجتماعية بوزن مئوي مرجح (٥٩, %).
- ٣- أن عمل المرأة يساهم في تحسين أوضاع الأسرة عند وزن مئوي مرجح (٥٨, ٣٢) % كما يرى الشباب الجامعي.
- ٤- عمل المرأة يؤدي إلى التعاون والتكامل مابين الزوجين بوزن مئوي مرجح (٥٢, ٦٦) %.
- ٥- أن عمل المرأة يؤدي إلى رفع مكانتها وزيادة نفوذها في المجتمع كما أجاب الشباب الجامعي عند وزن مئوي مرجح (٥١, ٦٦) %.
- ٦- أجاب الشباب الجامعي أن عمل المرأة يؤدي إلى تغيير نظرة الرجل نحو المرأة عند وزن مئوي مرجح (٤٦, ٦٦) %.
- ٧- دخول المرأة مجال العمل يؤدي إلى التنافس بين الزوجين جاءت عند وزن مئوي مرجح (٣٠, ٣٣) %.
- ٨- يرى أفراد العينة أن عمل المرأة لن يقتصر على مزاولة المهن البسيطة أو السهلة عند وزن مئوي مرجح (٤٠, ٣٣) %.
- ٩- بينت نتائج الدراسة عند وزن مئوي مرجح (٣٩, ٣٣) % بأن الشباب الجامعي يرى أنه لن يقتصر توظيف المرأة في مهن معينة دون غيرها.
- ١٠- أجاب أفراد العينة عند وزن مئوي مرجح (٣٥, %) أنه سيصبح من الصعب التمييز بين المهن التي يزاولها الرجل والمهن التي تزاولها المرأة.
- ١١- جاءت بعدها ستختفي أهم الوظائف التقليدية أو الطبيعية للمرأة من حيث كونها ربة منزل مثلاً عند وزن مئوي مرجح (٣٣, ٢٣) % حسب رأى أفراد العينة.
- ١٢- لن يكون للرجال أي تدخل في اختيار المرأة للمهن والوظائف التي ستمارسها كانت عند وزن مئوي مرجح (٢٥, ٣٣) % كما يرى الشباب الجامعي.

التوصيات

في ضوء البيانات والنتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة، فإن الباحثة توصي بما يأتي:

١- زيادة التوجيه المهني للمرأة حول المهن التي يحتاج إليها المجتمع، لأن ضعف مثل هذا التوجيه قد يؤدي بالمرأة إلى الالتحاق بمهن قد لا يكون المجتمع بحاجة إليها، كما أنه يولد اتجاهات سلبية حول العمل ذاته لأنها لم تلتحق بهذه المهنة لتمشيها مع رغبتها وإنما لأنه العمل المتاح والمناسب للمرأة من وجهة نظر العامة.

٢- توعية الناس وتنقيفهم على تقوية اتجاهاتهم نحو عمل المرأة ومستقبلها المهني.

٣- إثارة الوعي الثقافي والاجتماعي عن طريق الندوات والمؤتمرات وتوضيح ما للمرأة من أهمية كبيرة في المجتمع.

٥- المساواة في الحقوق والواجبات في ميدان العمل بين المرأة والرجل بما يتناسب وطبيعة عملهم، والعمل على تغيير العادات والتقاليد المعوقة لعمل المرأة لتؤدي دورها في المجتمع، وأن تقوم بالدفاع عن حقوقها من خلال مشاركتها في الجمعيات والمؤسسات المختلفة.

٦- العمل على مساندة المرأة وتمثيلها في جميع مؤسسات المجتمع المدني ومرافقها التشريعية والتنفيذية وجميع المناصب القضائية والنقابات المهنية.

٧- قيام وسائل الإعلام بالتوعية بأهمية دور المرأة في المجتمع كأُم وعاملة وإبراز هذا الدور في تقدم المجتمع وتنميته.

٨- وضع خطة شاملة لمعالجة مشاكل المرأة في العمل من خلال توفير الإمكانيات التي تساعد وتشجع المرأة على العمل.

٩- إدخال تحسينات على النظام التشريعي وقوانين الأحوال الشخصية لإزالة العوائق أمام المساواة بين الجنسين.

١٠- التركيز على عملية التنشئة الاجتماعية في تغيير نظرة الأجيال اللاحقة حول عمل المرأة وقدرتها على المشاركة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من الموارد البشرية.

١١- أن التعليم الجامعي مطالب بتعزيز قيم العمل في نفوس الشباب «ذكوراً وإناثاً» وتوعيتهم بأهمية المهن المختلفة وحاجة المجتمع لمساهماتهم في العديد من المهن.

المقترحات

- ١- إجراء دراسة مقارنة بين الطلبة في مراحل تعليمية مختلفة كأن تكون المرحلة الثانوية والمرحلة الجامعية لمعرفة مدى تأثير العمر والمرحلة الدراسية في اتجاهات الأفراد نحو المستقبل المهني للمرأة.
- ٢- إجراء دراسة مماثلة للدراسة الحالية في مناطق أخرى في المجتمع الليبي للتأكد من مدى اتساق نتائج هذه الدراسة.
- ٣- تعديل المناهج التربوية بما يخدم قضايا المرأة وتخصيص مادة في المراحل الثانوية والجامعية تهتم بقضايا المرأة.

المراجع

- ١- محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية ٢٠٠٢م.
- ٢- محمد عاطف غيث، دراسات في علم الاجتماع التطبيقي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٠م.
- ٣- عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في علم النفس الاجتماعي، القاهرة، دار قباء، المجلد الأول، ١٩٩٨م.
- ٤- محمد بن علي العتيق، بيت الشباب تنظيماً اجتماعياً «دراسة تقويمية لبيت الشباب بالرياض». الرياض: مكتبة العبيكان، ١٩٩٥م.
- ٥- اعتماد محمد علام، علم الاجتماع الصناعي «التطور والمجالات»، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٨م.
- ٦- مصطفى عمر التير، مقدمة في مبادئ وأسس البحث الاجتماعي، شركة الجديد للطباعة والنشر، ١٩٩٩م.
- ٧- عبد الباسط محمد حسن، أصول البحث الاجتماعي، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٨٠م.
- ٨- مصطفى عمر التير، مقدمة في مبادئ وأسس البحث الاجتماعي، مصراته، دار ليبيا، ١٩٨٦م.
- ٩- صلاح مراد، فوزية هادي، طرائق البحث العلمي وتصميماته وإجراءاته، الكويت، دار الكتاب الحديث، ٢٠٠٢م.
- ١٠- عبد الله الهماشي، أسلوب البحث الاجتماعي وتقنياته، بنغازي، منشورات الجامعة، ١٩٨٨م.
- ١١- المختار محمد إبراهيم، مراحل البحث الاجتماعي وخطواته الإجرائية، القاهرة، دار الفكر العربي، ٢٠٠٥م.

درجة امتلاك أعضاء هيئة التدريس لمهارات استخدام الإنترنت دراسة سوسيولوجية تحليلية

أجري هذا البحث بدعم من جامعة البلقاء التطبيقية خلال إجازة التفرغ العلمي الممنوحة
للباحثة دة. أسماء ربحي خليل العرب خلال العام الدراسي ٢٠١٣ - ٢٠١٤

دة. أسماء ربحي خليل العرب*

الملخص



في حين لم تظهر النتائج فروقاً دالة إحصائياً عند مستوى ($\alpha=0,05$) في مستوى درجة امتلاك مهارات استخدام الإنترنت تعزى لمتغير الرتبة الأكاديمية. وفي ضوء نتائج الدراسة أوصت الدراسة بعمل برامج ودورات تدريبية لأعضاء هيئة التدريس لزيادة امتلاكهم لمهارات استخدام الإنترنت. كما أوصت بإجراء دراسات أخرى في مجال الإنترنت والتعلم الإلكتروني.

الكلمات المفتاحية: الإنترنت، مهارات، عضو هيئة التدريس، الجامعة.

هدفت هذه الدراسة للتعرف على درجة امتلاك أعضاء هيئة التدريس في الجامعة لمهارات استخدام الإنترنت، في ضوء متغيرات الكلية والخبرة والرتبة الأكاديمية. وتكون مجتمع الدراسة من أعضاء هيئة التدريس العاملين في جامعة البلقاء التطبيقية بكلّيات إقليم الشمال، وتكونت عينة الدراسة من (١٩٦) عضو هيئة تدريس تم اختيارهم بالطريقة العشوائية، وتم تطوير أداة لتحقيق أهداف الدراسة، وقد تم التأكد من صدق وثبات الأداة. وتوصلت الدراسة إلى أن مهارات استخدام الإنترنت لدى أعضاء هيئة التدريس متوسطة. وإلى وجود فروق دالة إحصائياً عند مستوى ($\alpha=0,05$) في مستوى درجة امتلاك مهارات استخدام الإنترنت تعزى لمتغيرات الكلية، والخبرة، ولصالح الكليات العلمية وأصحاب الخبرة العالية.

• جامعة البلقاء التطبيقية، كلية عجلون الجامعية، قسم العلوم الاجتماعية، السلط/عمّان.

Alaa_rwashdeh@uahoo.com

The degree of Possessing internet skills among Faculty Members

A sociological analytical study

Abstract

This study aimed at identifying the degree of possessing internet skills by faculty members at University, According to the College, experience and the academic rank variables.

The population of the study who work in the northern colleges of Al balgaAppliedUniversity while the study sample consisted of (196) members of the teaching staff who were selected randomly. A tool was developed to achieve the objectives of the study, and has been to ascertain the Validity.

The results of the study showed that:

- The Internet skills of the members of the teaching staff are moderate.
- The existence of statistical differences at the level of $(0.05 = \alpha)$ with regard the degree of having Internet skills attributed to the College, and experience, variables the difference fewer in favorite of the scientific faculty and highly experienced people.
- The results showed no statistical differences at the level of $(0.05 = \alpha)$ in the degree of having Internet skills attributed to the academic rankvariable.

According to the results of the study the researcher recommended to contact.

Another wider and larger research to build a comprehensive vision for higher educational institutions in Jordan in the fields of internet & electronically teaching. And to held programmes and training courses to faculty members to improve their internet skills

KEYWORD: Internet, Skills, Among, TEACHING STAFF Member, University,

مقدمة

تغطي شبكة الإنترنت كامل مساحة كوكب الأرض من قطبه الشمالي إلى قطبه الجنوبي وتمتد خيوط اتصالاتها عبر عشرات الأقمار الصناعية السابحة في فلكه، فشبكة الإنترنت تبقى مع ذلك إمبراطورية بمقياس الوقع الذي تستغرقه رحلة المعلومات عبرها والتجوال في أرجائها، فانتقال المعلومات في إنترنت الحاسوبية يتم بسرعة الضوء وبصورة شبه فورية (الفار، ٢٠٠٢).

بات واضحاً أن الدول المتقدمة تقفز بوتيرة متسارعة صوب العصر الرقمي من خلال الانخراط الشامل في عصر المعلوماتية وعلى سبيل المثال فإن الجامعة المفتوحة The Open University بلندن تستقطب حلقاتها الدراسية أكثر ٢٠٠٠٠٠ طالباً حيث تقوم الجامعة باستعمال واسع للتكنولوجيات الجديدة: يتم تقديم الدروس الافتراضية، جنباً إلى جنب مع المناقشات الجماعية وتصحيح الواجبات المنزلية عبر الشبكة. ففي ١٩٩٧ استطاع الطلاب أن يقرؤوا، بصورة يومية، حوالي ١٥٠٠٠٠ رسالة إلكترونية خلال أكثر من ٥٠٠٠ محاضرة قدمتها الشبكة. (Peterson, 1996) وبناءً عليه فإن عصر المعلوماتية يحمل بين جوانحه العديد من التحديات، التي تفرض على عضو هيئة التدريس بالجامعة أن يسعى جاهداً ليضاعف جهده بغرض الرفع من قدراته وكفاءته العلمية بما يستجيب لطبيعة التحولات المتسارعة المحيطة بعمله التدريسي والبحثي. فدوره المتجدد في حقل لا يعرف السكون والركون للراحة «يحتّم عليه مواصلة التعلم والنمو المهني والتدريب واكتساب المزيد من الكفاءات التعليمية لمواكبة التغيرات والمستجدات التي تطرأ على مهنة التعليم وكفاءاتها يوماً بعد يوم سواء عن طريق التدريس أو التعلم الذاتي». (Tarpley, 2001) ذلك أن تطوير منظومة التعليم الجامعي، يجب أن يأخذ في الحسبان التوجهات المستقبلية لحركة التطور العلمي المتنامية، فاستخدامات شبكات المعلومات ستحدث تأثيراً جوهرياً في المنظومة التعليمية بأكملها، حيث سيتحول النظام التعليمي التقليدي المغلق إلى النظام التعليمي المفتوح الذي يعتمد على شبكات المعرفة المتطورة، كما سيصبح التعلم الذاتي مدى الحياة من أهم الصيغ التعليمية وذلك لتحقيق فاعلية التعليم بين الأساتذ الجامعي والطالب. (The Arab, dvisors Group, 2003) إن العديد من الجامعات أصبحت تتيح لأساتذتها وطلبتها فرصة استخدام الإنترنت للاستفادة من خدماتها التي يمكن أن تقدمها والتي تتمثل: تساعد على توفير أكثر من طريقة في التدريس فهي مكتبة عالمية تتوفر فيها جميع الكتب والبرامج التعليمية. وتساعد على التعليم عن بعد وعلى إيجاد جامعات بلا جدران. وتمكن من الحصول على

برامج تعليمية متخصصة ومتنوعة. وتقدم خدمات الحوار والبريد الإلكتروني التي توفر إمكانية تكوين قناة حية بين الطلبة والأساتذة في مختلف دول العالم. وتساعد على التعليم التعاوني الجماعي. وتعد مكاناً مثالياً لحل الواجبات وإتمام المشاريع الدراسية وإجراء الأبحاث فهي تضع معظم موارد المكتبات العالية تحت تصرف المستخدم.

من هنا تأتي أهمية التعرف على مدى امتلاك أعضاء هيئة التدريس في الجامعة لمهارات الإنترنت. وتطلق هذه الدراسة بشكل أساسي في التحليل لاستخدام مهارات الإنترنت من خلال المنظور الوظيفي، للوقوف على وظائف الإنترنت، على اعتبار أن النظرية الوظيفية تنكئ على فكرة الأدوار ووظائف الأنساق الفرعية في الحفاظ على تكامل وتوازن النسق الكلي (المجتمع) ضمن رؤية شمولية لكافة عناصر الظاهرة المدروسة. إضافة إلى نظرية الاستخدامات والإشباع.

مشكلة الدراسة

يشهد العالم تغيرات جذرية بسبب ثورة المعلومات والاتصالات مما جعل مؤسسات التعليم العالي تستجيب لهذه التغيرات وتواكب هذه التطورات التكنولوجية نظراً لعظمة الدور الذي تلعبه في خدمة المجتمع وتقدمه. ويعد الأستاذ الجامعي العنصر الأساس في العملية التعليمية في الجامعة، إذ تقع على عاتقه مسؤوليات كبيرة من أجل تحقيق أهداف ووظائف الجامعة ويعد الإنترنت أهم الاختراعات التي يمكن استغلالها واستثمارها في عملية التعليم والبحث العلمي والتدريب بالجامعة، ونظراً لأهمية امتلاك أعضاء هيئة التدريس لمهارات الإنترنت وبناءً على ملاحظات الباحث لواقع التدريس في الجامعة، نجد أن بعض أعضاء هيئة التدريس يفضلون استخدام الأساليب التقليدية في التعليم بدلاً من استخدام الأساليب الحديثة. وعليه تأتي هذه الدراسة للتعرف على درجة امتلاك أعضاء هيئة التدريس في الجامعة لمهارات استخدام الإنترنت في ضوء بعض المتغيرات.

أهداف الدراسة

تهدف إلى الإجابة عن التساؤلات الدراسية:

١. ما درجة امتلاك أعضاء هيئة التدريس في الجامعة لمهارات استخدام الإنترنت؟
٢. هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية ($Q=0,05$) في درجة امتلاك أعضاء هيئة التدريس في الجامعة لمهارات استخدام الإنترنت تعزى إلى متغيرات كل من الكلية والخبرة والرتبة الأكاديمية؟

٢. هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية ($\alpha = 0,05$) في درجة امتلاك أعضاء هيئة التدريس في الجامعة لمهارات استخدام الإنترنت تعزى إلى متغيرات كل من توفر جهاز الحاسوب لعضو هيئة التدريس في مكتبه في الجامعة وامتلاك عضو هيئة التدريس لجهاز حاسوب في منزله وارتباط جهاز حاسوب عضو هيئة التدريس في الإنترنت وتلقي عضو هيئة التدريس للتدريب في مجال الإنترنت؟

أهمية الدراسة

تتمثل الأهمية النظرية والعملية لهذه الدراسة بما يأتي:

- يعد التعليم من مجالات واهتمامات المؤسسات التعليمية التي تسعى جاهدة إلى تطويره، فمن خلال التعليم يستطيع المجتمع مواكبة التطور في المجتمعات المتقدمة لذا لا بد من إدخال التقنيات الحديثة في عملية التعليم من أجل التكيف مع عصر المعلومات نظراً لأهمية هذا التكيف لاستمرار البقاء والتقدم. ويعد استخدام الإنترنت من أهم هذه التقنيات الحديثة التي ينبغي أن تدخل في عملية التعليم باعتباره خطوة كبيرة في سبيل تحقيق أهداف التعليم، ومن الضروري التعرف على مدى امتلاك أعضاء هيئة التدريس لمهارات استخدام الإنترنت، من أجل التعرف على كيفية إدخالها في عملية التعليم وبالتالي وضع برامج لسد النقص في هذا المجال لدى أعضاء هيئة التدريس.

- نظراً لأهمية توظيف الإنترنت في شتى مجالات الحياة، تأتي هذه الدراسة للتعرف على درجة امتلاك أعضاء هيئة التدريس في الجامعة لمهارات استخدام الإنترنت في ضوء متغيرات: الكلية والخبرة والرتبة الأكاديمية. وذلك لما يوفره الانترنت من خدمات وفوائد ومزايا عديدة.

- وانطلاقاً من المستجدات العلمية والتكنولوجية في مجال الاتصال فقد ازدادت أهمية الإنترنت وعم استخدامها في المراكز البحثية والأكاديمية المختلفة ومنها الجامعات حيث يتيح استخدام الإنترنت التعاون بين أعضاء هيئة التدريس في المجالات البحثية على اختلاف بلدانهم ليوفر الوقت والمال ليطور ويحسن نوعية البحوث

- ويعد استخدام الإنترنت إحدى أساليب التربية الحديثة ومطلباً مهماً في مجال البحث العلمي والتعليم والتدريب فهي مصدر للمعلومات يزود الباحثين بالمعلومات المتجددة في عالم سريع التغير والتبدل فالإنترنت يتيح لآلاف

من الباحثين والدارسين الاتصال بالمستودعات الرقمية والاستفادة منها كما تتيح فرصة الاستفادة من الإمكانيات المعرفية التي توفرها الجامعات وقواعد البيانات المختلفة عن طريق كسب المعارف عن بعد.

- وسيُمكن الاستغلال الرشيد للإنترنت - دون شك - من الإسهام فيتحقق الكثير من هذه النتائج الإيجابية ويُتيح للأستاذ الجامعي فرصة الانخراط بشكل فاعل في سيرورة التحول العلمي المتسارع القائم على تفاعلات البحث المتواصل والكشف العلمي، مما يترتب عنه تواصل أفضل يمكن من تطوير كفاءة عضو هيئة التدريس وحسن ممارسته لوظيفته، من خلال إتقان مهارات البحث العلمي والقدرة على التحكم في المعلومات وتسخيرها في خدمة الواقع.

الإطار النظري والدراسات السابقة

- ماهية الإنترنت وخدماته.
- واقع الإنترنت ومعدل ومجالات استخدامه في الوطن العربي.
- الآثار الاجتماعية للإنترنت:
- الآثار الإيجابية للإنترنت.
- الآثار السلبية.
- الإنترنت والتعليم الجامعي.
- الإنترنت والبحث العلمي.
- الدراسات السابقة.

منهجية الدراسة وإجراءاتها

مجتمع الدراسة: بالقرعة تم سحب مجتمع الدراسة من بين الجامعات الأردنية الحكومية، فتمثل بجامعة البلقاء التطبيقية، ومن ثم قسمت الجامعة إلى ثلاثة أقاليم: شمال، ووسط، وجنوب، وبالقرعة تكون مجتمع الدراسة النهائي من أعضاء هيئة التدريس العاملين في جامعة البلقاء التطبيقية للفصل الدراسي الأول للعام الجامعي (٢٠١٢/٢٠١٤م) في كليات إقليم الشمال (عجلون، الحصن، إربد).

عينة الدراسة: تم سحب عينة عشوائية من مجتمع الدراسة النهائي وبواقع ٢١١ مبحوثاً، وتم توزيع الاستمارات عليهم وتكونت عينة الدراسة النهائية من ١٩٦ مبحوث بعدما رفض بعضهم التعاون، واستبعدت الاستمارات غير المكتملة البيانات.

أداة الدراسة: بعد الاطلاع على الدراسة السابقة المتعلقة بموضوع الدراسة وأهدافها تم تطوير استبانة موجهة لأعضاء هيئة التدريس في جامعة البلقاء التطبيقية تكونت من جزئين: الجزء الأول؛ بيانات شخصية والجزء الثاني؛ درجة امتلاك مهارات استخدام الإنترنت، مجتمعة على (٢٦) فقرة وضع أمام كل منها مقياس تقدير مكون من خمس درجات هي (عالية جداً، عالية، متوسطة، منخفضة، منعدمة) وأعطى لها ميزان تقديري (١، ٢، ٣، ٤، ٥) على التوالي.

صدق الأداة: للتأكد من صدق محتوى أداة الدراسة تم عرضها في صورتها الأولية على مجموعة من المحكمين من ذوي الخبرة والاختصاص وبعد دراسة مقترحاتهم وتعديلاتهم تم إجراء التعديلات اللازمة إلى أن خرجت الاستبانة في صورتها النهائية.

ثبات الأداة: لقد تم توزيع الأداة على عينة استطلاعية من مجتمع الدراسة، وتم حساب الثبات عن طريق معادلة كرومباخ ألفا وكانت قيمة معامل الثبات ٠.٩٦٠ وهي مناسبة في مثل هذه الدراسات.

الأساليب الإحصائية: تم استخدام مجموعة من الاختبارات الإحصائية حسب متطلبات سؤال الدراسة، حيث تم استخدام المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمعرفة مستوى المهارات، كما تم استخدام اختبارات لمعرفة أثر الكلية على كل من مهارات الإنترنت. في حين تم استخدام اختبار تحليل تباين الأحادي لمعرفة أثر متغير الخبرة والرتبة الأكاديمية. وقد تم استخدام اختبار توكي لمعرفة الفروق بين مستويات المتغير المستقل الذي له أكثر من مستويين مثل الخبرة والرتبة الأكاديمية.

ملخص النتائج

- في ضوء ما تقدم من عرض وتحليل تخلص الدراسة إلى النتائج الآتية:
- أن مهارات استخدام الإنترنت لدى أعضاء هيئة التدريس كانت متوسطة.
 - توجد فروق بين أعضاء الهيئة التدريسية من الكليات العلمية وأعضاء الهيئة التدريسية من الكليات الإنسانية ولصالح الفئة الأولى.
 - يوجد اختلاف في درجة امتلاك مهارات استخدام الإنترنت تعزى إلى متغير الخبرة، حيث كانت الفروق بين الخبرة العالية وبين كل من الخبرة المتوسطة والخبرة الضعيفة ولصالح الخبرة العالية، كما كانت الفروق بين الخبرة المتوسطة وبين الخبرة الضعيفة ولصالح الخبرة المتوسطة.
 - لا يوجد اختلاف في مستوى درجة امتلاك مهارات استخدام الحاسوب تعزى إلى متغير الرتبة الأكاديمية.

التوصيات

- وفي ضوء نتائج الدراسة يمكن تقديم التوصيات النظرية والعملية التطبيقية التالية:
- نشر وتعميم وتعزيز ثقافة استخدام الإنترنت والحاسوب وتطبيقاته المختلفة في المجتمع بشكل عام وفي المجتمع الجامعي بشكل خاص، بما يعود بالنفع والفائدة ويحقق التنمية المستدامة.
 - عمل برامج ودورات تدريبية لأعضاء هيئة التدريس لزيادة امتلاكهم لمهارات استخدام الإنترنت.
 - تبني تشريعات خاصة باعتماد معيار استخدام الإنترنت والحاسوب وتطبيقاته كشرط للتعيين، والتقييم، والترقية والتثبيت في الجامعة.
 - جعل التواصل بالإنترنت وسيلة من الوسائل التي يستخدمها عضو هيئة التدريس في العملية التعليمية. بحيث يتواصل مع طلبته من خلال هذه التقنية.
 - أن تقوم الجامعة بإنشاء بريد إلكتروني لكل عضو هيئة تدريس، بحيث يتم التواصل والتراسل البريدي، وإنجاز المعاملات والاطلاع على التعاميم من خلاله.
 - أن تعمل الجامعة على توفير جهاز حاسوب وخدمة الربط بالإنترنت في مكتب كل عضو هيئة تدريس.
 - أن تقوم الحكومات بتوفير خدمات الربط بالإنترنت بأسعار رمزية، بحيث يجعلها في متناول يد الغالبية من أبناء المجتمع.
 - التوعية بأهمية الإنترنت والخدمات التي يقدمها، والمزايا التي يوفرها في الوقت والجهد والمال، والحصول على المعلومات المتنوعة.
 - إجراء دراسات أخرى في مجال استخدام الإنترنت والتعلم الإلكتروني بحيث تطبق على مجتمعاته وعينات مغايرة.

المراجع العربية

- أبو عباس، أسامة محمود. (١٩٩٩). رحلة إلى عالم الإنترنت. إربد، الأردن: شركة النجار للكمبيوتر والإلكترونيات.
- أحمد، محمد صالح. (٢٠٠٤). ثقافة مجتمع الشبكة، دمشق، دار الفكر.
- بطرس، أنطوان. (٢٠٠٠). التجارة الإلكترونية، في حضارة الحاسوب والإنترنت، الكويت، وزارة الإعلام.
- جرجس، نادي. (١٩٩٩). الإنترنت والمشروعات المتكاملة - منظومة وتنظيم لتكامل المنهج وتطويره. العين، الإمارات العربية المتحدة، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع.
- حداد، عبد المالك. (٢٠٠٥). واقع قطاع تكنولوجيايات الإعلام والاتصال الحديثة في الجزائر. [http://www.chihab.net/modules.php?na...923\(15/03/2005](http://www.chihab.net/modules.php?na...923(15/03/2005).
- حسن، عماد مكاوي والسيد، ليلي حسين. (٢٠٠٢). الاتصال ونظرياته المعاصرة، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية.
- الحيلة، محمد. (٢٠٠٤). تكنولوجيا التعليم بين النظرية والتطبيق (ط٤). عمان، الأردن، دار المسيرة للنشر والتوزيع.
- الخزاعلة، تيسير وجوارنة، طارق. (٢٠٠٦). معوقات التوظيف الفعال لتكنولوجيا المعلومات في المدارس الأردنية كما يراها المعلمون في الميدان، المجلة الأردنية للعلوم.
- رحومة على محمد. (٢٠٠٥). الإنترنت والمنظومة التكنو.. اجتماعية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
- ريان، أحمد. (١٩٩٩). خدمات الإنترنت. أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، المجمع الثقافي.
- الزعبي، محمد والشرابية، أحمد والقطيشات، منيب. (٢٠٠١). مهارات الحاسوب «الحاسوب والبرمجيات الجاهزة» (ط ٤)، عمان، الأردن، دار وائل للنشر.
- الشريف، عبد الله. (٢٠٠٤). مدى استخدام طلبة الدراسات العليا في الإنترنت في جامعة الملك عبدالعزيز والصعوبات التي تواجهها. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.
- سعادة، جودت والسرطاوي، عادل. (٢٠٠٣). استخدام الحاسوب والإنترنت في ميادين التربية والتعليم. عمان، دار الشروق.
- صالح، أحمد محمد (٢٠٠٢) هوس الإنترنت وتداعياتها، الطبعة الثانية، دار الهلال في القاهرة.
- صالح، الأيهم. (٢٠٠٠). استخدام البريد الإلكتروني للوصول إلى كافة موارد الإنترنت. حلب، سوريا، شعاع للنشر والتوزيع.
- عبد المجيد، سعيد محمد. عبد اللطيف، وجدي شفيق (٢٠٠٣)، الآثار الاجتماعية للإنترنت على الشباب، دراسة ميدانية على عينة من مقاهي الإنترنت، رقم الإيداع بدار الكتب (٢٠٠٣/١٥٧٦٣).
- العمري، محمد. (٢٠٠٥). واقع استخدام شبكة الإنترنت كأداة لجمع البيانات لأغراض البحث العلمي ومعيقات استخدامها لدى أعضاء هيئة التدريس في كلية التربية بجامعة اليرموك. المجلة الأردنية للعلوم التربوية. (١) ٣.
- العنزي، حمود. (٢٠٠٦). درجة استخدام أعضاء هيئة التدريس في كلية المعلمين في منطقة الرياض للحاسوب والإنترنت في ممارساتهم التعليمية. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.
- الفار، إبراهيم. (٢٠٠٢). استخدام الحاسوب في التعليم. ط١، عمان، الأردن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- الفقية، عبد الباسط. (٢٠٠٣)، برنامج مقترح لتنمية بعض الكفاءات في مجال تكنولوجيا التعليم لدى معلمي التعليم الأساسي أثناء الخدمة في الجمهورية اليمنية، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة القاهرة، جمهورية مصر العربية.

- كليب، فضل جميل (٢٠٠٨)، مدى إفادة الإنترنت للباحثين في مجال البحث العلمي
[http://www.arabcin.net/arabic/5nadwe... htm\(13/03/2008](http://www.arabcin.net/arabic/5nadwe...htm(13/03/2008).
- المخلافي، حنان عبده فرحان سيف. (٢٠٠٧). مدى امتلاك أعضاء هيئة التدريس في جامعة تعز لمهارات الإنترنت واتجاهاتهم نحوها. رسالة ماجستير جامعة اليرموك، إربد، الأردن.
- فهمي، محمد سيد، الخدمة الاجتماعية (التطور والطرق والمجالات). ٢٠٠٧، الإسكندرية، دار الوفا لدنيا الطباعة والنشر.
- الموسى، عبدالله والمبارك. (٢٠٠٥). التعليم الإلكتروني الأسس والتطبيقات، الرياض، مؤسسة شبكة البيانات.
- مل، لقين. (٢٠٠٤). لكل عقل موهبة، ترجمة الأيوب سامر عبد المحسن، بيروت، شركة الحوار الثقافي.

المراجع الأجنبية

- AL-Zumaia, A. (2001). Attitudes and Perceptions Regarding Internet- based electronic data Interchange in a public Organization in saudi Arabia (doctoral Dissertation, University of Nothern Iowa, 2001).
- Bruce, H, Internet and academic teaching in Australia, Australia: Education for Information, n°3 (V. 13, 1995).
- Gallo, M and Horton, P, Assessing the effect on higt schoolteachers on direct and unrestricted access to the Internet, (Florida:Educational Technology Research and Development, 42(4), 1994).
- Lee, M. (2002). Faculty Readiness for the Adoption of Web- Enhanced Instructional Technology (Doctoral Dissertation, University Of South Dakota, 2002). Dissertation Abstracts International, AAC3055153, PP:130.
- Tarpley, Todd, "Children, The Internet & other new Technologies" in: Singer, G. Dorthy, & Singer, L. Jerome. (eds.), Hand book of Children & media. (London: Sage Publications, Inc, 2001).
- TheArabdvisorsGroup, www.Arabadvisors.com/Pressers/Presser-230101.htm (05/03/2003).
- Peterson, M. Enhancing Faculty in Evolvment In Instutional Research. Paper Presented At The Annual Forum At The Association For Instutional Research (46th, Albuquerque New Medico, 5- 8 May1996).
- Wang, J. (1999). Effects of the Internet on Education Research of Fuculty (Doctoral Disseration, Northern I1linois University, 1998). Dissertation Abstracts International, AAC9906448, PP: 184.

محاولة لمقاربة دور العلوم الاجتماعية في عملية التنمية التجربة الجزائرية نموذجاً

أ.ة. رشيدة سردوك* - أ.ة. بتول قاسمي*



**Between the plight of investissement and the investissment of plight in Arabic
word Trying to approach the role of social sciences in the development process
Algerian experience Model**

Summary

A lot of the Arabic countries experience today several problems and claims. So the Arabic word is bolling. and the all try to change and send a new life. in all these contries who see the death in him selfs.

The change reach out all the political sociological and economic fields so there is a unanimity for a radical change of the of these sociological categories reality notably the youth category who they came out to the street in egypt ; tunis and Syria demanding for the social justice and the governor removal with his entourage whom they have exploited the country resources and wealth without sharing it with the marginalized groups that have remained

* طالبة دكتوراة سوسيولوجيا التحولات الدينية في المجتمع الجزائري، وأستاذة جامعية بكلية العلوم الاجتماعية -
معسكر/ الجزائر. kasmibatoul@gmail. com - Serdoukrachida@yahoo. fr

without any rights, thus they found only the street to express their reality, which was totally absent from the minimum requirements of a decent life for citizen lives in his free country.

Watching the reality of the Arab world in nowadays we notice that it undergoes the phase of crisis or rather the suffocating crisis which tackle day after day and the question is:

- Until today and more than decades ago, why have not been able for any arab state to achieve or embody any genuine and serious progressive project which ensure a decent life for it citizens?
- And why there is no country Arabic can make aplan really for the indepandance. are we in the face of shump means plans, and projects economics can't realize from behind and befor, or we areface minds don't know the investissment is a opération complicate and general, and the authers economic and matériel who are very importante economic and socioligical and cullural, and also the psychological, and biologhcal inderstand the person.
- The expirments investissemenen't say: the investissement is a opération complicate, and concentrate from the person, into inside and don't inderstand means get or have a impossible opération.
- The société algérien know after the indepandance a programs and investissment projects important but after all that here is no succesful.
- So when our country can regeasse with calments, and are it fiable to make civilization complicate and are these contries and civilization thecnocratique with calments, or projects investissmens really?

مقدمة

تعيش الكثير من الدول العربية اليوم أزمات حادة، لم تعرف لها مثيلاً في تاريخها الحديث، وهي أزمات تهدد بنسف أسس المجتمعات العربية، وتقويض أركان هذه الدول، وقد حدث بالفعل في بعضها بعد سلسلة الثورات التي ظهرت في بعض الدول العربية، فقد عملت هذه الثورات على تغيير الوضع، وبعث الحياة من جديد في أجسام هذه الدول التي يرون أن الموت قد سكن أوصالها.

إن التغيير اليوم يمس كل الميادين سياسية واقتصادية واجتماعية، وبالتالي هناك إجماع على التغيير الراديكالي لواقع هذه الفئات الاجتماعية، فالفئات الشبابية خاصة التي

خرجت للشارع مطالبة في مصر وتونس وسورية... بالعدالة الاجتماعية، ورحيل الحاكم الظالم وحاشيته المقربة التي احتكرت ثروات البلاد وخيراتهما، واستغلتها لصالحها دون إشراك تلك الفئات التي ظلت على الهامش دون أدنى الحقوق، فما وجدت غير الشارع للتعبير عن واقعها الذي غابت عنه أدنى شروط الحياة الكريمة لمواطن يعيش في بلاده المستقلة.

إن المتأمل للواقع العربي اليوم، يرى ببساطة أنه يعيش مرحلة الأزمة، بل الأزمة الخانقة التي تتعد وتكبر يوماً بعد آخر، ولكن السؤال المطروح هو:

لماذا إلى حد اليوم ومنذ أزيد من عقود لم تستطع أي دولة عربية تحقيق أو تجسيد مشروع تنموي جاد وحقيقي لمواطنيها تضمن به لهم الحياة الكريمة؟ وفي ظل كل هذه التغيرات الاجتماعية والسياسية التي يشهدها العالم العربي اليوم تتعاظم أهمية العلم كوسيلة للتقدم وتحقيق التنمية، وإذا كانت العلوم الطبيعية هي السبيل الوحيد للمجتمعات نحو التقدم التقني والتكنولوجي، فإن العلوم الاجتماعية بدورها هي أداة تخطيط للعمليات التنمية البشرية والاجتماعية، والمحرك الأساسي لكافة عمليات التغيير الاجتماعي، وهذا يدل على العلاقة المتبادلة بين الفكر المتمثل في العلم والواقع، فالعلم أعلى شكل للمعرفة يتأثر بالواقع الاجتماعي ويؤثر فيه.

وما هو واقع العلوم الاجتماعية في العالم العربي خاصة في ظل الحراك الكبير الذي يعرفه الشارع العربي وما هي حدود مساهمته وفعاليته في إنجاح عمليات ومشاريع التنمية علماً أن الثروات الطبيعية متوفرة ومتنوعة من الخليج إلى المحيط، وفي المقابل أزمات وفشل اقتصادي، يخلف وراءه تراكبات ثقيلة من البطالة، والفقر، والعنوسة وأزمات السكن والانحرافات والجرائم؟

ومن جانب آخر لماذا لم تصل الدول العربية إلى صياغة سياسات تنموية ناجحة وفاعلة تدفع بعجلة التقدم والاستقلال بدل التخلف والتجزئة والتبعية... هل نحن أمام أزمات تنموية بمعنى: خطط ومشاريع اقتصادية قاصرة وعاجزة على تلبية احتياجات المواطنين - على المدى القريب والبعيد - أم نحن أمام عقليات لم تدرك بعد بأن التنمية عملية معقدة، ومركبة، وشاملة، تضم بالإضافة إلى الجوانب الاقتصادية والمادية جوانب سياسية واجتماعية وثقافية لا تقل أهمية، ولم تدرك بعد الدور القوي للعلوم الاجتماعية في مساندة الواقع الاجتماعي والاقتصادي، كما أنها لم تدرك أهمية الأخذ والاهتمام بها، بتوفير كافة أنواع الإمكانيات وتشجيع الدراسات الاجتماعية واعتمادها في التخطيط للتنمية؟

من دون إهمال للجوانب النفسية والبيولوجية، ليستسنى فهم السلوك الإنساني بالدرجة الأولى، وبالتالي غياب مفهوم مهم جداً لنجاح عملية البناء هو ترسيخ ثقافة التنمية في المجتمع عن طريق مختلف مؤسساته، هذا بعد أن تستوعبها الطبقة التكنوقراطية المسؤولة عن العملية التنموية، بدل استيعابها وامتصاصها.

وعلى أساس ما تقدم نحاول في مداخلتنا هذه الإحاطة النظرية والمفهوماتية لمصطلح التنمية ومقارنته من خلال واقع التجربة الجزائرية من خلال عرض مسار التجربة التنموية وإبراز دور العلوم الاجتماعية بين الحضور والغياب في مسيرة التنمية بين جدلية التقريب والإقصاء، وعرض بعض النظريات التنموية المطبقة في المجتمع الجزائري، الذي عرف بعد الاستقلال برامج ومشاريع تنموية جادة وهامة، لكنها أظهرت فشلاً ذريعاً بعد سنوات من تجسيدها لتعرف على إثرها احتجاجات شبابية كبيرة في سنة ١٩٨٨، والتي يرى البعض أنها لا زالت مستمرة إلى اليوم رغم ما تقدمه الطبقة السياسية الحاكمة من مهدئات، لكنها تبقى مؤقتة وضرورية لا تلبث أن تتحول إلى منشطات لحراك جماهيري يحتضنه الشارع طبعاً. فما هي الأسباب الحقيقية التي حالت دون نجاح مشروع التنمية في التجربة الجزائرية التنموية، وكيف تتحول التنمية إلى مصدر للأزمات الاقتصادية التي تتعقد يوماً بعد آخر؟ ونخلص في الأخير إلى تحليل تلك المفارقة التي رافقت الدول العربية الإسلامية وكيف تؤدي التنمية إلى ظهور الأزمات بدل استيعابها والقضاء عليها، أي دور العلوم الاجتماعية من خلال نموذج التجربة الجزائرية؟

التنمية مفاهيم ودلالات

إن مفهوم التنمية مفهوم متشعب غاية التشعب لدرجة يصعب فيها الوصول إلى اتفاق عام حوله بين المهتمين والمختصين به (سليمان الرياشي وآخرون، ١٩٩٩: ٢٢٣)، فالاختلاف يصيب شمولية التعريف، وما هي حدوده ومتضمناته، ومن ثم جاءت السياسات التنموية لمختلف الدول متباينة، ويتفق معظم الباحثين على أن التنمية: «هي عملية معقدة ومركبة وشاملة، تضم جوانب اقتصادية واجتماعية وثقافية، من دون إهمال للجوانب النفسية والبيولوجية، ليستسنى فهم السلوك الإنساني بالدرجة الأولى والدوافع التي تحرك الأفراد، وما يقوم بينهم من علاقات، وما يترتب على ذلك من أنظمة تتداخل في تفاعلاتها وتأثيراتها في جوانب المجتمع المختلفة»، فهي بهذا المنظور يجب أن تتصف بخاصيتي الشمولية والتكامل، فالتنمية لكي تكون ناجحة يجب أن لا تقتصر على الجانب المادي وحده، لأن ذلك سيؤدي إلى الازدواجية، وبالتالي خلل في البناء الاجتماعي، وتكون بذلك عملية التنمية غير مجدية، إن لم تكن معرقة للسيرورة الطبيعية للمجتمع، فالاستقطاب الفكري الذي خصت به التنمية الاقتصادية من طرف المختصين والمهتمين أدى إلى ظهور

مفاهيم عديدة تعكس بالإضافة إلى الجانب التخصصي الاتجاهات النظرية لأصحابها، وعليه اشترط أن تكون التنمية متكاملة ومركزة على الإنسان وموجهة إلى الداخل وعامة وشاملة، مما يؤدي إلى آثار إيجابية، وكذلك إحداث تغيير في البناء الاجتماعي.

خطاب السوسيولوجيا وسياسة التنمية في التجربة الجزائرية

نحاول في هذا الجزء تتبع مسار العلاقة أو بعبارة أخرى موقف السلطة الجزائرية من العلوم الاجتماعية ومدى اعتمادها في سياستها التنموية.

لقد ورثت الجزائر بعد الاستقلال تركة استعمارية ثقيلة كانت بمثابة نتيجة منطقية لاستعمار مارس كل أنواع الهدم والتفكيك لبُنى الجزائر المحلية، لذلك كانت الدولة الوطنية الناشئة بعد الاستقلال في أمس الحاجة إلى إعادة بنائها - بناء مؤسسات الدولة والمجتمع -، وإعطاء الاستقلال مضمونه الاجتماعي ومساءل التبعية الاقتصادية، عبر هذا دعت الجزائر إلى القطع مع الظاهرة الاستعمارية، ومواصلة تطويقها بالفهم والنقد والاستقصاء على الصعيدين العلمي والعملية، وهو ما يمكن أن يترجم سوسيولوجيا بموقف رفض النقل الآلي لسياقاتها النظرية والمنهجية، ومن دون تمحيص للدور السوسيولوجي الذي يمكن أن يلعبه في برنامج التنمية، إذا ما أخذنا معطيات الواقع الجزائري في الحسبان. لذلك سنركز في هذا الجزء من الدراسة على منجزات الدولة بعد الاستقلال، وما الذي حققته من مطالب شعبية، وردود فعل الفئات الشعبية، وعلاقة انحراف مشروع التنمية عن مساره وعلاقته بظهور الاضطرابات الشعبية، والحركات الاحتجاجية التي أكدت حضورها وجودها مع انتفاضة أكتوبر ١٩٨٨.

توجهات الجزائر الاقتصادية والتنموية بعد الاستقلال

لقد وجدت الدولة الوطنية الناشئة بعد الاستقلال بنية اقتصادية مفككة وهشة خلفتها الآلة الاستعمارية وبداية البناء كانت في سنة ١٩٦٢، فبعد تحقيق الاستقلال وبعد الصراع المرير مع إحدى أقوى الإمبريالية (علي الكنز وعبد الناصر جابي، ١٩٩٩: ٢٥٦)، أصبحت الجزائر تبحث عن كتلة اجتماعية جديدة، حققت الجزائر استقلالها لتدخل في عملية تنمية سريعة وفعالة وأصبحت الدولة الوطنية منهكة في استمرارية الثورة، ثورة البناء والتشييد التي صيغت توجهاتها الأيديولوجية في الوثيقة التاريخية لميثاق طرابلس والذي تم التأكيد من خلال النهج الاشتراكي في ميدان التسيير الاقتصادي، وذلك من أجل إقامة اقتصاد قوي متمركز حول الذات، ففي عهد الحكومة الأولى أعطيت الأولوية لخلق مؤسسات ضرورية لتسيير البلاد، والتأكيد على الإجراءات الأمنية لدولة ذات استقلال حديث، كما سطر إصلاحات اقتصادية مثل: التسيير الذاتي، غير أن النظام السياسي لم يكن قويا في

هاته الفترة إلى درجة وضع سياسة اقتصادية شاملة وواضحة، حتى سنة ١٩٦٥ حين وقع التصحيح الثوري، وهنا أصبحت الاشتراكية، وتحقيق الاستقلال الوطني أهم مبادئ عملية التنمية للجزائر في عهد بومدين (علي مانع، ١٩٩٩: ١٢٠). في هذه الفترة كان انحياز القيادة السياسية واضحاً لمصلحة القطاع العام والتسيير الذاتي الزراعي وتدشين البنية التحتية في مجال الصناعة الثقيلة وتطبيق سياسة التعريب وإقرار الميثاق الوطني عام ١٩٧٦، الذي تبنى استراتيجياً للتنمية في مجال الثقافة والزراعة والصناعة.

وتمثل هذه المرحلة بداية ظهور سوسيولوجيا وطنية ناطقة بالعربية في إطار برنامج الجزائر الذي مس التعليم ومؤسسة الجامعة ومناهجها وتغيير نظمها البيداغوجية وتكوين الاطارات استجابة لمشروع التنمية وانطلاقاً من هذا التاريخ بدأت السوسيولوجيا تحرز نشاطاً ملموساً في الجامعة الجزائرية خصوصاً مع ارتفاع عدد الطلبة، ولم تعد قاصرة على دوائرها الاكاديمية بل امتد تدريس بعض التخصصات منها في معاهد التربية والطب والهندسة المعمارية والقانون والمكتبات كنوع من الإعداد للمهن ذات الطابع الاجتماعي وتناولت أعمالها البحثية عدداً من القضايا المجتمعية يقف على رأسها قضية الهجرة والتنمية، ثم جاء إنشاء مجموعة من المؤسسات تقوم إلى جانب الجامعة بأبحاث ودراسات وتحقيقات ومنها: «الجمعية الجزائرية للبحث الديمغرافي والاقتصادي والاجتماعي»، و«صندوق التنمية وإصلاح القطر»، و«المركز الوطني للبحث في الاقتصاد وعلم الاجتماع» (محمد حافظ دياب، ٢٠٠٢: ٣١٥). وابتداءً من عام ١٩٦٧ استند مشروع التنمية في الجزائر إلى نموذج نظري يستلهم أعمال المفكر الاقتصادي «دي برنيس»، والفكرة الأساسية لهذا النموذج تتمحور حول أن أية محاولة للتخلص من وضعية التخلف لا بد من اعتماد استراتيجية اقتصادية اجتماعية شاملة تصاغ في برنامج تصنيعي مخطط وطويل حتى تتمكن هذه الاستراتيجية من إحداث تحولات في البناء الاجتماعي للتصنيع وتشكل الطبقة العاملة في الجزائر (العايشي عنصر، ١٩٩٩: ٢٧٩)، وعلى هذا الأساس اختارت الطبقة الحاكمة استراتيجية التصنيع السريع، من أجل خلق قاعدة صناعية ثقيلة، فقد جاء في الميثاق الوطني لسنة ١٩٧٦ «يجب على الثورة الصناعية وضع الأسس لصناعة رئيسية قادرة في حد ذاتها على خلق صناعات جديدة تسمح بتنشيط الاقتصاد».

كما استند هذا النموذج أيضاً إلى مجموعة من الإجراءات كالتأمينات، وبناء قطاع عمومي واسع، واعتماد المخططات التنموية الهادفة، في الفترة ما بين ١٩٦٧-١٩٧٧ سطرت ثلاث مخططات وطنية بميزانيات كبيرة، وجهت في الغالب نحو القطاع الصناعي، وبلغت الأرقام تم استثمار نحو ٢٢٠ مليار دينار جزائري كانت حصة الأسد منه للقطاع الصناعي بحوالي ٦٠ بالمائة (عبد القادر جفلول، ٢٠٠٩: ٢٣٣)، أما القطاع الفلاحي الذي تم إهماله فقد عرف تحولات هو الآخر أو ما عرف «بالثورة الزراعية»، حيث أمتت الملكيات

الخاصة الكبيرة الوطنية والأجنبية، لتدمج داخل القطاع التابع للدولة، هذه الثورة أعلن عنها في نوفمبر ١٩٧١، حيث عرفت حملة واسعة في الخطابات الرسمية، تضمنت عدة خطط تنموية، أين تم تجميع المواطنين في قرى جماعية أو ما عرف بسياسة ١٠٠٠ قرية اشتراكية» (Djaff lesbet, 1988: 76)، أما ما خصص للجانب الثقافي في مشروع التنمية، فقد مثل مشروع التعريب أهم مستويات الثورة الثقافية التي كانت تهدف إلى إعادة تركيب البنية الثقافية التي فكها الاستعمار.

في هذه الحركية التنموية الاقتصادية كانت البلاد تتجه نحو الطريق السليم اقتصاديا، في عهد الرئيس هواري بومدين، فقد كانت سياسته التنموية تهدف إلى التغيير الجذري للمجتمع على قاعدة التنظيم الاشتراكي لتأسيس مجتمع جديد رموزه مشاريع ضخمة: مصنع الحجار للحديد والصلب، ١٠٠٠ قرية اشتراكية، والطريق الصحراوي والسد الأخضر، ونماذج أخرى لمشاريع صناعية أقيمت في إطار برنامج التنمية المسطرة» (خميس حزام، ٢٠٠٣: ١٥٨). وقد استفادت هذه الاستراتيجية التنموية في عهد الرئيس بومدين من ظروف مثالية كارتفاع أسعار النفط والحضور القوي للمعسكر الاشتراكي. وقد عمقت هذه الظروف نتائج التجربة التنموية بتصنيع سريع وتعليم جماهيري وثورة زراعية.

لكن في عام ١٩٧٨ توفي الرئيس: «هواري بومدين» تاركاً وراءه مجتمعاً مجنداً حول شخصية الزعيم وحول مهام وطنية واسعة: العمل للجميع، السكن للجميع، في إطار مرجعية قائمة على المساواة والتقدم الاجتماعي والصناعي، ولكن وككل نظام يعيش ظاهرة القائد الكاريزما وشخصنة السلطة فإن الفراغ الذي يتركه وفاة زعيمه يكون من الصعب ملؤه على الرغم من ارتفاع أسعار النفط الذي ضاعف من الموارد المالية، لكن التحالف السياسي الجديد كان أعجز من أن يستمر في عملية التنمية التي دشنت في الستينات»، وتحت تأثير الدخل المالي الكبير، اختارت النخبة الحاكمة الطريق الأسهل بالنسبة للمرحلة: الاستهلاك، ولهذا تحولت من نخبة تنموية إلى نخبة ريعية، ومن نخبة بيروقراطية بالمفهوم الإيجابي للتسيير والإدارة إلى نخبة مرتشية، تزامن هذا التحول مع توقف فجائي في الاستثمارات، وإعادة هيكلة المؤسسات العمومية، وبعبارة أخرى بدأت عملية التصفية الكاملة لمنجزات الفترة البومدينية، وهنا ينطبق طرح ابن خلدون عن نشأة العصبية في منطقة المغرب العربي على الحالة الجزائرية عندما تحدث عن نشأة العصبية، ووصولها إلى الحكم، فهي لا تستمر في مواصلة مسار البناء لما شيدته العصبية المنهارة، ولكنها تفكك بنيات المجتمع لتركيبتها على طريقتها، مما يجعلها تعود إلى البداية لتتطلق من الصفر، وبالتالي العصبية التي تكلم عنها «ابن خلدون» في القرن الرابع عشر لا زال لها صدى في جزائر القرن العشرين.

وابتداءً من سنة ١٩٨٥، وبعد مرحلة استهلاكية بدأت أسعار النفط في الإنخفاض، مما جعل الدخل النفطي عاجزاً أمام تزايد المطالب الاجتماعية، من جراء الزيادة السكانية، وتفكك الآلة الإنتاجية، وتفاقم الفشل الذي تصاعد منذ ١٩٨٦، بعد السقوط الحر لأسعار النفط والبترو، الذي كان يقابله نمط استهلاك غير رشيد الذي شجعه النظام، في إطار برنامج مكافحة الندرة (علي الكنز عبد الناصر جابي، ١٩٩٩: ١٥٨)، ومما عمق الأزمة أكثر توقيف الاستثمارات خصوصاً في القطاع الصناعي، بالإضافة إلى سلبيات إعادة الهيكلة التي زعزعت استقرار القاعدة الاقتصادية، مما ترتب عليه عجز شبه كامل في الجهاز الانتاجي وارتفاعه وفي الفترة بين عام ١٩٧١ - ١٩٨٤، عرفت المرحلة تحولات كثيرة في الدولة الجزائرية والمجتمع بشكل عام حيث توالى العديد من الإصلاحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، والتي مست قطاع التعليم العالي فكانت الممارسة السوسيولوجية التطبيقية في الجزائر جد غنية، وكان لها الأثر البارز والتدخل الفاعل في متابعة حجم التغيرات في المجتمع حيث، تم رد الاعتبار للسوسيولوجيا ضمن خياراتها الاستراتيجية. أما بعد عام ١٩٨٤ إلى يومنا هذا أصبح التوجه الليبرالي الجديد للدولة لا يعنى بالسوسيولوجيا فأصبح علماً منبوذاً فاقداً لكل المكاسب التي حققتها في المراحل الأولى رغم ضآلتها، فتغير الخطاب الرسمي اتجاه العلوم الاجتماعية وخاصة علم الاجتماع وزيادة الاهتمام بالعلوم الطبيعية والتكنولوجية من أجل عملية التنمية، وكما أن وجود تيارين من المعريين والمفرنسين وتقوقع كل طرف ضمن أحاديته اللغوية أدى إلى تعميق الهوة الثقافية ولا يساعد على توحيد الرؤى نحو الكثير من القضايا الوطنية والقومية، كما أن الوضعية التي آلت إليها الجامعة الجزائرية، وفقدانها لدورها الريادي في تشكيل نواة صلبة للنخب المثقفة لم يصبح إلا جهازاً عالياً للتكوين يحاول قدر الامكان تحقيق وظيفة اقتصادية واجتماعية، وبالتالي تعقد وضع الجامعة وعيشها أزمة ذاتية حادة.

تحديث المجتمع ودور العلوم الاجتماعية

يرتبط النمو الاقتصادي إلى حد كبير بمدى النجاح المحقق في مجال تحديث المجتمع، وإرساء قواعد نهضة ثقافية وفكرية حقيقية، وتجاوز العقليات التقليدية والعلاقات البالية المرتبطة بها، ويمر ذلك من خلال تحرير الأفراد والجماعات من قيود القيم والمعايير القديمة والتصورات الجامدة المنحدرة من قرون الانحطاط الفكري والتخلف الاجتماعي، لأن ذلك يفتح الطريق أمام حرية المبادرة والتعبير الحر والتفكير النقدي الجريء، وذلك لا يعني بأي حال دعوة للتكرار للإرث الحضاري للمجتمع والتقليد الأعمى للغرب، لكنها دعوة إلى إطلاق قوة الإبداع الكامنة لمراجعة ذلك الإرث بإخضاعه لفحص ونقد عقلي من أجل تجديده وتجاوزه، إلى صياغة تصورات حديثة ملائمة لمواجهة تحديات العصر بدل الهروب إلى الماضي والانغلاق فيه. إن الدراسات المطلوبة لفهم

الواقع واستشراف المستقبل يستدعي المحاولة الحضرية لآجدة البحث السوسولوجي في السنوات القادمة، وذلك بفهم القاعدة البشرية من حيث حجم وتوزيع ونوعية حركات السكان، مع دراسة القاعدة الإيكولوجية بفهم الأنماط المعيشية والبيئة المادية في الوطن العربي في ظل التحولات.

يمكن القول أن علم الاجتماع مطالب اليوم أكثر من أي وقت مضى قدماً للقيام بدور اجتماعي أكثر أهمية في إطار هذه التحولات حيث يركز على العلاقات الاجتماعية ويسعى لكشف الحقائق في إطار تركيبات اجتماعية اقتصادية ثقافية ودينية... قصد المساهمة في تطوير طرق التفكير وتغيير نوع العلاقات القائمة لمسيرة الوقائع لمحاولة إنتاج معرفة سوسولوجية تجيب عن القضايا الاجتماعية المطروحة في المجتمع. ومن أهم أسباب غياب التنظير وفقره هو ما يترتب على الإمبيريقية المتطرفة من التصور الخاطئ لوظيفة علم الاجتماع الذي لا يزيد عن مجرد تقديم لوصف (موضوعي) أو بإجابة عن سؤال فقط. لا ضير في أن تغيير الفكرة يتطلب منا العمل على المصطلحات و«تبيئة المفاهيم» حسب بنية المجتمع وخصوصيته المحلية بخلق مفاهيم عربية خاصة، بأن نضع المجتمع المعاصر مع أصوله وطموحاته وتحدياته ومتطلباته، على علم اجتماع أن ينتشر بخرق الحس المشترك بالتحليل الذاتي لفهم الأبعاد، لذلك فالمطلوب من المنشغلين بعلم الاجتماع أن يحدثوا ثورة علمية سوسولوجية، وذلك من خلال القيام بدراسات سوسولوجية ميدانية في مختلف الفروع واستدراك ما فاتنا من أحداث سابقة والعودة إليها بالتحليل والتفسير من أجل إعادة الاعتبار لهذا العلم وإثبات الوجود على الساحة الأكاديمية، وكل المقومات موجودة والوسائل متوفرة والتأطير حاضر بوجود أساتذة أكفاء وعلى أعلى مستوى، كما أن الظواهر الاجتماعية منتشرة في كل مكان لم يبق سوى بذل الجهد وغزو كل القطاعات الأخرى بالدراسة والتحليل والمشاركة الفعالة في التنمية الاجتماعية، لا شك أننا لا نستطيع بهذه الصفحات القليلة أن نستوفي دراسة جميع الصعوبات الداخلية والخارجية، التي حالت دون تأسيس واعطاء المكانة لعلم اجتماع كفاعل أساسي في عملية التنمية، وعدم تطوير نظريات خاصة بخصوصية الوطن العربي وأسباب عدم امتلاكه لنظريات ومفاهيم ومصطلحات خاصة به، والتي يمكنه استعمالها وتطبيقها في معالجة القضايا والإشكاليات التي تهتم مجتمعه ومواطنيه. لكن نأمل على الأقل أن نكون قد قدمنا خطوة صغيرة في الاتجاه الصحيح من أجل تسليط الضوء على بعض هذه العقبات، بدون تجاوزها، وبدون تهيئة الأرضية المناسبة لعمل سوسولوجي جاد. ولقد مر علم الاجتماع في الجزائر من بين علم الاجتماع العربي بمراحل مختلفة ومتنوعة من الكولونيالية إلى الإيديولوجية، ثم إلى التهميش والإقصاء، وعلى الرغم من الإصلاحات التي تمت في قطاع التعليم العالي من أجل تطوير البحث العلمي الذي شمل جميع التخصصات بما فيها تخصص علم

الاجتماع، غير أن هذا العلم في الجزائر لم يرق إلى المستوى المطلوب ولم يثبت وجوده على الساحة الأكاديمية من خلال إقامة الدراسات وتوجيه البحوث في خدمة المجتمع، لهذا من واجبنا إعادة الاعتبار لهذا العلم من خلال تكوين أساتذة وطلبة على أعلى مستوى وإنشاء المخابر المتخصصة ونشر البحوث والدراسات الأكاديمية الجادة التي ترقى إلى المستوى الأكاديمي المطلوب، ويبقى على الباحث السوسيولوجي أن يقدم دراسات جادة ترقى إلى المستوى المطلوب لتساهم في التنمية الاجتماعية، إذن كل المؤشرات تدل على أن علم الاجتماع في الجزائر يسير بوتيرة بطيئة إلا أن المستقبل لهذا العلم لم ينبئ عن شيء بعد، ويبقى الأمر مرهون بالمنشغلين بعلم الاجتماع ليثبتوا وجودهم على الساحة الأكاديمية ويدفعوا علم الاجتماع ليوافك العلوم الأخرى، ويساهم في التنمية الاجتماعية، وحتى نبليغ رسالتنا إلى المسؤولين وإلى المجتمع بوجه عام التي تقيد بأنه لا تنمية بدون علم الاجتماع، ولا علم اجتماع بدون تنمية، علينا نحن المنشغلين بهذا العلم أن نؤدي دورنا كباحثين سوسيولوجيين على أكمل وجه.

المراجع والهوامش

- (١) سليمان الرياشي وآخرون، ١٩٩٩، «الأزمة الجزائرية (الخلفيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية)»، ط ٢، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية (سلسلة كتب المستقبل العربي).
- (٢) علي الكنز وعبد الناصر جابي، ١٩٩٩، «الجزائر في البحث عن كتلة إجتماعية جديدة»، المرجع نفسه.
- (٣) علي مانع، ٢٠٠٢، «جنوح الأحداث والتغير الاجتماعي: دراسة في علم الإجرام المقارن»، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- (٤) محمد حافظ دياب، ٢٠٠٦، «علم الاجتماع في الجزائر الهوية والسؤال»، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- (٥) العياشي عنصر، ١٩٩٩، «التصنيع وتشكل الطبقة العاملة في الجزائر»، المرجع السابق.
- (٦) عبد القادر جفلول، ٢٠٠٩، «تاريخ الجزائر الحديث: دراسة سوسيولوجية»، الجزائر: دار الحداثة بالتعاون مع ديوان المطبوعات الجزائرية.
- 7- Djaff lesbet, 1988, "les 1000 villages socialiste en Algérie". Alger: Préface Anatole kop Syros office des publications universitaires.
- (٨) خميس حزام، ٢٠٠٣، «إشكالية الشرعية في الأنظمة السياسية العربية مع إشارة إلى تجربة الجزائر»، ط ١، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
- (٩) علي الكنز عبد الناصر جابي، ١٩٩٩، «الأزمة الجزائرية (الخلفيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية)»، المرجع السابق.

الحداثة ومستقبل الأمن الصحي للبشر بين التجذير وملامح التغيير

د. علا عبد المنعم الزيات - د. ناصر الفضلي



والدعوة هنا ليست لهجر العلم والمعرفة، وإنما الدعوة للتأكيد على ضرورة وجود عالم جديد تتنفي فيه الفردية وتهجر فيه المادة وتعمق فيه القيم والأخلاق والإيديولوجيا، عالم يسوده العلم والمعرفة واستثمار كل عضو من أعضاء جسد الإنسان لا لهجر أعضاء الإنسان ولا أن تحل التكنولوجيا محل الأعضاء التي خلقها الله عز وجل لخدمة البشر.

الكلمات المفتاحية:

الحداثة - الأمن الصحي - التغيير.

ملخص باللغة العربية

كان لارتفاع معدلات الكثير من الأمراض أثر في اختيار موضوع البحث وتحقيق الهدف منه والذي لا يحاول الكشف عن طبيعة الهيمنة الكوكبية على البشر ولا فساد مشروع الحداثة ولا حتى النهي عن استخدام الوسائل التكنولوجية بقدر ما يسعى إلى وصف الآثار السلبية الناتجة عن التوظيف الخاطئ للعلم والتكنولوجيا على الأوضاع الصحية للجسم بصفة عامة، وإفساد حق التمتع بالأمن الصحي للبشر.

وهنا تكمن أصالة البحث الراهن في الإجابة على السؤال (ما دور التقدم الحداثي في سلب البشر التمتع بالأمن الإنساني وبالتحديد بالأمن الصحي؟) وذلك من خلال محاور ثلاثة تتمثل في:

الحداثة في التراث السوسيولوجي
- آثار التقدم الحداثي على الأمن الصحي
للشخص - ملامح التغيير لأجل مستقبل آمن.

• دكتورة في الآداب تخصص اجتماع، أستاذ علم الاجتماع المساعد، كلية الآداب، جامعة المنوفية/مصر.
Safasama19@hotmail.com

• دكتورة في علم النفس والاجتماع رئيس مركز البحوث والاستشارات الاجتماعية (لندن)، استشاري ومعالج نفسي واجتماعي.
Elfadhly@scrllondon.com - Safasama19@hotmail.com

Modernity and the future of health security for human beings

Between rooting and features change

Summary

Had higher rates of many diseases, the impact of the choice of research topic and achieve the goal of it and who does not try to detect the nature of the domination of planetary humans nor corruption project of modernity, not even the prohibition on the use of technological means as much as it seeks to describe the negative effects resulting from the employment of faulty science and technology on the situation the health of the body in general, and spoil the enjoyment of the right to health security for human beings.

Here lies the originality of the current research in answer to the question (What is the role of progress in the modernist robbed humans enjoy human security, health security, specifically?) Through three axes are:

- Modernity in sociological heritage - the effects of modernist progress on health security for humans - the features of the change in order to secure future.

The call here is not to abandon science and knowledge, but call to confirm the need for a new world no longer the individual and abandon the rule and deepening the values, ethics and ideology, a world of science and knowledge and investment of each member of the human body not to abandon human organs not be solved technology replace members created by the Almighty God to serve the people.

Keywords: Modernity - Health Security - Change.

أولاً: إشكالية البحث

مرت البشرية بمراحل كثيرة، يكمل كل منها الآخر، وكان لكل مرحلة آثارها الإيجابية والسلبية على البشر والبيئة التي يعيشون فيها، ولكن تظل هناك حقيقة واحدة أمامنا جميعاً، وهي أن البشر في تقدم مستمر وفي خط مستقيم، فمن يعقد مقارنة بين أشكال الحياة البدائية والزراعية والصناعية والتكنولوجية والمعلوماتية، يلاحظ فروقات جوهرية بين كل مرحلة وأخرى.

ولا أحد ينكر الدور الكبير الذي لعبته الثورة الصناعية في تقدم المجتمعات كلها، وما ترتب على ذلك من تفاقم الإنتاج الاستهلاكي للمنتجات الصناعية، مما كان له عميق الأثر في إنتاج العقول البشرية من جديد، ولتخرج البشرية من عهد الثورة الصناعية وتبدأ عصر التكنولوجيا، حيث إنتاج وسائل وأدوات تكنولوجية ضخمة، غيرت الممارسات اليومية والسلوكيات البشرية على نطاق ملموس. ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل بلغ التقدم البشري ذروته مع عصر المعلوماتية، والذي يتميز بسرعة مذهلة في الإنتاج الصناعي والتكنولوجي والمعرفي للبشرية.

ويطلق على جميع المراحل السابقة منذ الثورة الصناعية وحتى الآن اسم الحداثة Modernity. ويقصد بها العصرية، التحديث، الأحداث، أي البحث عن الجديد في الإنتاج بأشكاله المختلفة. وعموماً قدمت تعريفات كثيرة للحداثة، منها أنها مفهوم يشير إلى العصرية ويدل ضمناً - في العادة - على معارضة لشيء ما وخاصةً معارضة مرحلة تاريخية مرت وانتضت وتجاوزها الناس، لهذا فإن العصرية باعتبار هذه الكلمة مشتقة من الكلمة اللاتينية (Modernus) (ومن كلمة المصطلح على Modo التي تعني مؤخراً أو حديثاً) إنما تدل على الحقبة المسيحية في أوروبا (ابتداءً من القرن الخامس الميلادي وفي كتابات سانت أوغسطين) وذلك في مقابل الماضي الوثني للأوروبيين. (أندرو إدجار وبيتر سيدجويك، ٢٠٠٩، ص ٢٧١) فالحداثة تهتم بتمييز تلك المرحلة من تاريخ العلاقات الاجتماعية، والتي ترجع بدايتها التاريخية إلى نهاية القرن الثامن عشر تقريباً، وتتميز بأنها شهدت الثورتين الديمقراطية والصناعية. (جون سكوت وجوردون مارشال، ٢٠١١، ص ١٤) وقد عرف عالم السيميولوجيا الفرنسي رولان بارت الحداثة بأنها عبارة عن تجميع الرؤى العالمية المستمدة من تطور الطبقات والتكنولوجيا وأساليب الاتصال الجديدة التي كانت تؤلف مجتمعة قوة الدفع في منتصف القرن التاسع عشر. (جون سكوت وجوردون مارشال، ٢٠١١، ص ١١) ومع كل الإنتاج الصناعي والتكنولوجي والمعرفي الذي قدمته الحداثة للبشرية، تظل في الأفق حقيقة تقول بأن البشر هم منتجي المعرفة الصناعية

والتكنولوجية، وأنهم كمنتجين لتلك المعرفة باتوا فاعلين ومطورين لأشكالها. ومع مرور الوقت تبين أن ما قدموه من إنتاج ظهرت له آثار متعددة إيجابية وأخرى سلبية، والإيجابي منها كثير ونلمسه في اللحظة، أما السلبي فعميق، ناجع التأثير، لا يترك ولا يرحل إلا بالسنين. وتحول البشر من فاعلين ومنتجين للحدثة وأدواتها إلى مفعول بهم. حقيقة بات البحث في الأمن الإنساني في عصر الحدثة والتنقيب عن آثار الحدثة على الأمن الإنساني الشغل الشاغل لكثير من الباحثين، بعدما تحولت العلاقة بين البشر والحدثة إلى صراع لأجل البقاء الآمن، فالأمن الإنساني استقرار وحقوق وواجبات وأدوار ثم تهيئة للبناء الآمن للمجتمع، ويجب أن يتمتع كل فرد بأمنه الإنساني وهو في أحسن حال وأفضل صحة، ولكن حالت الحدثة دون ذلك، فلقد انشغل البشر خلال رحلة طويلة بتحقيق الرفاهية، ونسوا أن للجسد حق وهو الصحة، لذا ظهر مصطلح الأمن الصحي، لينبه البشر لأهمية التمتع بصحة جيدة، ويكشف لهم النقاب عن أفعال الحدثة بأجسادهم يدعوهم للحفاظ على ما تبقى منها، وهنا تكمن أصالة البحث الراهن في الإجابة على السؤال:

ما دور التقدم الحداثي في سلب البشر التمتع بالأمن الإنساني

وبالتحديد بالأمن الصحي؟

ومما يجب ذكره أن ارتفاع معدلات الأمراض كان له الأثر في اختيار موضوع البحث، وتحقيق الهدف منه والذي لا يحاول الكشف عن طبيعة الهيمنة الكوكبية على البشر ولا فساد مشروع الحدثة ولا حتى النهي عن استخدام الوسائل التكنولوجية بقدر ما يسعى إلى وصف الآثار السلبية الناتجة عن التوظيف الخاطئ للعلم والتكنولوجيا على الأوضاع الصحية للجسم بصفة عامة، وإفساد حق التمتع بالأمن الصحي للبشر.

ثانياً: أهمية البحث

١ - الأهمية العلمية: وتتجلى في إلقاء مزيد من الضوء على الحدثة وآثارها بإعتبارها ظاهرة اجتماعية وما نتج عنها من مشاكل صحية سلبت الأفراد التمتع بالأمن الإنساني، تمهيدا لتشجيع الباحثين على البحث في المتغيرات المرتبطة بها، وتقديم أطروحات علمية متعمقة بشأن سبل مواجهة آثارها على المجتمع والبيئة والبشر.

٢ - الأهمية العملية: تقدم النتائج التي ستكشف من خلال البحث أول ما تقدم للبشر الذين فعلوا الحدثة، ثم باتوا مفعول بهم، ليعرفوا نتائج ما حصدت أيديهم، وليقرروا في أي طريق يسيروا وليتذكروا أن الوقاية ستبقى أفضل من العلاج.

ثالثاً: محاور الدراسة

- المحور الأول: الحداثة في التراث السوسيولوجي
- المحور الثاني: آثار التقدم الحداثي على الأمن الصحي للبشر
- المحور الثالث: ملامح التغيير لأجل مستقبل آمن.

المحور الأول: الحداثة في التراث السوسيولوجي

لا يوجد اختلاف على أن الحداثة نالت اهتمام واسع النطاق في الأوساط العلمية، وبالأخص بين المشتغلين بعلم الاجتماع، نظراً لأهميتها العلمية والعملية العميقة، فالحداثة ظاهرة اجتماعية تاريخية مرتبطة بالبشرية ارتباطاً جذرياً. ومما تجدر الإشارة إليه أن الحداثة كانت هي المصطلح الأكثر انتشاراً لوصف التغيرات الكاسحة التي وقعت خاصة في الفنون والآداب في الفترة بين أواخر القرن التاسع عشر واشتعال الحرب العالمية (جون سكوت وجوردون مارشال، ٢٠١١، ص ١١) ولكنها لم تكن مجرد حركة مرتبطة بالفنون وحدها وإنما كانت حركة فكرية وثقافية شاملة أثرت - وتأثرت - بالتغيرات التكنولوجية والسياسية والإيديولوجية وما طرأ من ظواهر وتطورات في كل تلك المجالات خلال تلك الفترة، مثل بدايات الإنتاج الضخم للسيارات والتطورات المدمرة في إنتاج الأسلحة ومعدات الحرب، وكلها تطورات بلورت الملامح العامة للأزمة والتفتت والإنكفاء على الذات التي طالت جميع مجالات الثقافة وما زالت أصداؤها في القرن العشرين (جون سكوت وجوردون مارشال، ٢٠١١، ص ١٣) وتقيد أدبيات البحث العلمي بأن الحداثة في بداياتها قدمت كمرادف للعصرية، ويعتمد المعنى الدقيق لمفهوم العصرية أو الحداثة على الظروف التي ظهر فيها وعلى السياق الذي يستعمل فيه، ففي القرنين السابع عشر والثامن عشر أصبحت العصرية مرتبطة بالتنوير وبات العصرية لم تقتصر على ما هو جديد بل أصبحت تدل على ما هو أكثر تقدمية. (أندرو إدجار وبيتر سيدجويك، ٢٠٠٩، ص ٢٧٢)

وفي فلك إثبات الحداثة لوجودها المفاهيمي، استطاع المفكر الاجتماعي (يوجين هابرماس ١٩٨٣) أن يدافع عن مشروع النهضة ويوحي بأن العصرية ليست ذات أهداف تكنولوجية فقط بل لها أهداف سياسية وأخلاقية. وفي هذا السياق استطاعت الحداثة بمعناها المعاصر أن تظهر في أثناء الثورات السياسية التي شهدتها أوروبا عام ١٨٤٨. وفي الفكر السوسيولوجي توضع العصرية في الموقع المضاد من المجتمعات التقليدية. (أندرو إدجار وبيتر سيدجويك، ٢٠٠٩، ص ٢٧٣)

ويمكن القول أن علم الاجتماع تطور كرد فعل لمجيء الحداثة Modernity وتدابيراتها، وبالتحديد يدين علم الاجتماع في وجوده كعلم مستقل للجهود التي بذلت في إطار تنظير الحداثة، وهي موجودة في الأعمال التي يزر بها تراث علم الاجتماع كتلك التي قدمها (دوركايم) حيث المقارنة بين المجتمع الحديث والتقليدي وفي دراسته عن الإنتحار وفي أعمال المفكر (فرديناند تونيز) بشأن المقارنة بين المجتمع المحلي المتجانس والمجتمع قبل الصناعي وبين المجتمع العصري، وأعمال ماكس فيبر الرصينة عن فرص الحياة باعتبارها العامل الأساسي في تحديد مكانة الفرد في التقسيم الطبقي، ودراسته بشأن تزايد الترشيح في جميع أوجه الحياة والإسهامات التي قدمها كارل ماركس ومنها نظرية الغربة (أندرو إدجار وبيتر سيدجويك، ٢٠٠٩، ص ٢٧٣، وكذلك، منصور معدل، ٢٠١٠، ص ٣١٣، وكذلك جون سكوت وجوردون مارشال، ٢٠١١، ص ١٤) ويقول هنري ماركوزة (لم يكن ممكناً حيال مظاهر هذا المجتمع الاستبدادي التحدث عن حياد التكنولوجيا ولم يعد ممكناً عزل التكنولوجيا عن الاستعمال الذي وجدت من أجله، إن المجتمع التكنولوجي نظام سيطر على مستوى التصاميم والإنجازات التقنية نفسها، إن المجتمع الصناعي المتقدم، بوصفه عالماً تكنولوجياً، هو عالم سياسي). (فريق من الاختصاصيين، ١٩٩٣، ص ٤٢)

إن الواقع التكنولوجي ومجموعة الأدوات المستعملة ينزعان على هذا النحو إلى أن يصبحا عالماً موضوعياً يحتوي الأفراد ويعاش كما لو كان العالم الحقيقي الأوحده وبيئة الحياة الوحيدة، وفق الآمال الوحيدة، والقصوى، وهو بالنسبة إلى العلماء والتقنيين، عالم عقلانية منطقية ورياضية وحسابات إجرائية، وفي جوهره عالم القوة، وبالنسبة إلى عالم الناس، فهو عالم العمل والإنتاج واللذة والإستهلاك، وخصوصاً عالم المنفعة. (فريق من الاختصاصيين، ١٩٩٣، ص ٣٦)

ومع ظهور الحداثة رافقتها آثارها، وبدأ البشر يحصدون تلك الآثار الواحدة تلو الأخرى، ومما يجدر الإشارة إليه أن الحداثة بدأت منذ ظهورها تفقد البشر تمتعهم بالأمن الإنساني والهوية وأمكن ملاحظة ذلك على كثير من الممارسات اليومية للبشر، لذا لم يقتصر دور علماء الاجتماع على مجرد وصف الحداثة وإنما عللوها ونقدوها، واعترفوا أن التقدم التكنولوجي الواسع النطاق أسهم وبشكل مباشر في تغيير أسلوب حياة البشر Human life Style وهو الذي ظهر تحت دعوى الحداثة Modernity. فالحداثة بالنسبة لهم تعد عملية عولمية نشأت في القرنين الخامس والسادس عشر في أوروبا، ولكنها أصبحت الآن ظاهرة على مستوى العالم. (ج. تيمونز روبيرتس، أيمى هايت، ٢٠٠٤، ص ٢٢٥) فلقد سلبت البشر حق التمتع بالعقل والثقافة والهوية القومية، لذا نجد البعض يرى الحداثة

Modernism كاتجاه نحو تبني العلم والتكنولوجيا والعقل، وأنها تعد آليات وحيدة للتعامل مع الواقع والتحرر من القيمة Value-Free، وهي من وجهة نظرهم هيمنت على أفكار الشعوب فسادت المادية وهيمنت التكنولوجيا وأصبح الإنسان هو صاحب السيادة الكاملة وبات الهدف من وجوده تحقيق النفع الشخصي وتعظيم المنفعة، وهو إما إنسان اقتصادي أو جسماني أو خليط بينهما. (المعرفة، ٢٠٠٦)، وبعد ما سيطرت ثقافات البحر على ثقافات البر استيقظ البشر على آراء علماء الاجتماع في القرنين التاسع عشر والعشرين والتي تشير إلى أن التصنيع هو البلاء الذي يفسد المنظمة الاجتماعية ويدمر التماسك الثقافي وينتج بشكل منظم ضعف الأخلاق. (ج. تيمونز روبيرتس، أيمى هایت، ٢٠٠٤، ص ٢١٦) وفي هذا الصدد وأضاف كل من Adam Kuper and Jessica Kuper أن الحداثة ولدت العولمة ونفت جميع الثقافات العالمية وأسهمت من خلال وسائل الإعلام والفضاء العالمي National Media Spaces في دعم وتوطيد ثقافة استهلاكية موحدة. (Adam Kuper and Jessica Kuper, 1996, P. 345)

وفي دراسة قام بها إليكس إنجلز E. Angle عام ١٩٦٢ أوضح كيف يكون الناس حداثيين مشيراً إلى أن للحداثة آثاراً تمثلت في تغيير قيم الأفراد وسلوكهم، واتفق معه صاموئيل هنتجتون S. Huntington مؤكداً على الطبيعة المشوشة للحداثة. (ج. تيمونز روبيرتس، أيمى هایت، ٢٠٠٤، ص ٢٠٥) كما اعتبر أ. د. محمد علي محمد أن للحداثة مصالح متناقضة فهناك الإفادة والضرر والتأثير السلبي والتأثير الإيجابي. (محمد علي محمد وآخرون، ١٩٩٦، ص ٦٩) وهو ما يتفق وآراء أ. د. محمد محيى الدين حين أكد أنه في الوقت الذي كانت فيه الحداثة مصحوبة بالتدهور البيئي، فإن أحد مصاحباتها تطور المعرفة البيئية والضغط الاجتماعي والسعي نحو وضع أسس لتحويل مسار الحداثة باتجاه التحديث الإيكولوجي. (محمد محيى الدين، ٢٠٠٢، ص ١٢٤)

وأوضح Surrealism أن ما بعد الحداثة يكشف عن زيف وسلبيات التكنولوجيا ويسعى نحو تأويل هيمنتها الدولية. والكشف عن أبعادها الثقافية في تزييف واقع الإنسان، واتفق معه John Ralston Saul مؤكداً أن ما بعد الحداثة تعيد صياغة الحقائق المتراكمة من المشروع التنويري الكبير وإعادة صياغة الإنتاج العلمي والفكري. (Postmodernism, 2007) وهو ما ترتب عليه ظهور اتجاه ما بعد الحداثة Post modernity والذي يعبر عن مرحلة جديدة في الحضارة الإنسانية تتصف بالشعور بالإحباط من الحداثة والكشف عن آثارها السلبية والمتمثلة في تقديم فلسفة الحداثة بأسلوب إنساني مفهوم وواضح ومرتبطة ببساطة مع هوية الشعوب (ما بعد الحداثة، ويكيبيديا الموسوعة الحرة) وفي وقت أحدث عقدت المقارنة

بين الحادثة وما بعد الحادثة أو بين الحادثة والحادثة المتأخرة والتي يقال عنها أنها تستتبع إحداث تعزيزات جذرية للنزاعات التي تنطوي عليها الحادثة. ففي كتابه (علم اجتماع الحادثة يكتب بيتر واجنر P. Wagner) عن التوتر المستمر داخل الحادثة بين الأبنية والقيم التي شجعت في الحرية من جهة والأبنية والقيم المتعارضة نسبياً مع الحرية والمتمثلة في الإنضباط والنظام. (جون سكوت وجوردون مارشال، ٢٠١١، ص ١٤)

وكتب (ماكس فيبر) عن الطريقة التي بمقتضاها أدت سيطرة التفكير الرشيد على أشكال الفهم والإدراك، والتوسع في البيروقراطية وهو ما أدى إلى نوع من التحرر المضطرب من سحر الحياة الاجتماعية، وأكد زيمل على أهمية دور التبادل النقدي في تعزيز الطبيعة اللاشخصية والعقلانية للعلاقات بين الأفراد في ظروف الحادثة كما أكد على أهمية الدور الذي يقوم به وقت العمل الرسمي في خلق ضغوط تتهدك حرمة الوعي الفردي في الحياة اليومية، كما أكد على ما تتصف به الخبرة في مدن الحادثة من هجوم قاسٍ للمشاعر الغامضة ومن طبيعة مفككة متناثرة بجانب تركيزه على الاتجاهات الفاترة واللامبالاة التي ظهرت كوسيلة مناظرة يحقق بها المرء الحماية الذاتية لنفسه، كما صاغ (بارسونز) صوراً نمطية للتأثيرات التي تحدثها الحادثة على أشكال التفاعل الاجتماعي في نظريته الشهيرة (متغيرات النمط) فقد قيل إن التفاعل داخل الحادثة يتسم بالمعايير العامة (العمومية مقابل الخصوصية) وبمعايير الأداء وما يتصل به من المؤهلات (أي بالخصوصية مقابل الشمولية أو الكلية)، وذهب بعض الماركسيين إلى أن الانبعاثات الجديدة للاهتمامات بالحادثة في ضوء المناقشات الدائرة حول ما بعد الحادثة أو الحادثة المتأخرة يقوم بمهمة إيديولوجية تتمثل في صرف الانتباه عن مركزية الرأسمالية وتوجيه ذلك الاهتمام إلى العلاقات الاجتماعية، ويرفض منظرو الحادثة بدءاً من أولريش بيك مروراً بأنثوني جيدنز (جون سكوت وجوردون مارشال، ٢٠١١، ص ١٥) وانتهاءً بزيجمونت باومان يرفضون هذا الرأي داعين إلى فهم أكثر تعددية تكون فيه الرأسمالية جنباً إلى جنب وبالتمازج مع السمات الأخرى المميزة للحادثة والتي منها النزعة الصناعية والضبط الرقابي والإداري من قبل الدولة ومركزية وسائل العنف ويذهب أولريش بيك إلى أن العواقب الخطيرة غير المقصودة والمتربة على النزعة الصناعية، ابتداءً من مخاطر القوة النووية وانتهاءً بتسمم الطعام لها من الأهمية ما يقل عن أهمية ديناميات الرأسمالية. (جون سكوت وجوردون مارشال، ٢٠١١، ص ١٦)

وقدم أنتوني جيندنز إسهامات بشأن الآثار السلبية للحادثة في إطار حديثه عن الربط بين ما بعد الحادثة والتخلي عن مشروع التنوير عند نيتشه وهایدجر المعني بالنقد العقلي ويقول جيندنز (إن إنجازات ما بعد الحادثة، رغم ذلك ليس لديها شيئاً أفضل من هذا التفكير الجمالي كبديل للمثل التي قدمتها حركة التنوير). (أندرو إدجار وبيتر سيدجويك، ٢٠٠٩، ص ٥٥٩)

من الأعمال النقدية التي عالجت ما بعد الحادثة كتاب (دافيد هارفي) المعنون (ظروف ما بعد الحادثة) ويذهب هارفي إلى أن ما بعد الحادثة تقهم على أنها تشير لمرحلة في تطور السوق تتصف باللامركزية والتنوع يحل فيها محل الأساس المنطقي لنظام الإنتاج الفردي المتمركز في موقع واحد (هو المصنع) شكل من أشكال الصناعة، فهي تمثل عند هارفي توسعاً لتلك العمليات الاجتماعية التي وصفها ماركس بأنها سمة لمنطق المجتمع الرأسمالي، فهي وفقاً لهارفي إعتذار عن الرأسمالية (أندرو إدجار وبيتر سيدجويك، ٢٠٠٩، ص ٥٦٠)

ومن الكتاب الذين يغلب عليهم الارتباط بما بعد الحادثة - جان بورديارد- وجاك دريدا - وميشيل فوكو - ولوسي إيريغاري -، ولعل ثمة شيء واحد مؤكد فيما يخص ما بعد الحادثة وهو أن استعمالاتها تكشف معاني متعددة ولعل أكثرها تماسكاً ما طرحه الفيلسوف (جان فرانسوا ليوتار) في كتابه (وضع ما بعد الحادثة) في الفصل الأخير معرّفاً ما بعد الحادثة على أنها انهيار أنساق التفسيرات الكبرى (مثل أنساق التفسير الماركسية) وإحلال أنساق التفسير الصغرى وذلك أعقاب ظهور التكنولوجيات، ويركز على نظرية المعرفة والخاصة بما بعد الحادثة أو أبستمولوجيا ما بعد الحادثة أي أنها تركز على الشأن ما بعد الحداثي، ويعرف ليوتار ما بعد الحادثة بأنها نمط للتعبير يسعى لتقديم أساليب جديدة للتعبير عن هذا الشعور السامي أو الجليل وبعبارة أخرى تعد ما بعد الحادثة خطاباً جمالياً طليعياً يسعى للتغلب على الأعراف المتوارثة (أندرو إدجار وبيتر سيدجويك، ٢٠٠٩، ص ٥٦١) عن طريق البحث عن استراتيجيات جديدة لمشروع شرح الخبرة وتفسيرها، ومن وجهة نظر ليوتار تتصف الحادثة بأنها استجابة لمجموعة من الاهتمامات التي تعتبر في حد ذاتها اهتمامات ما بعد حداثية، ووفقاً ليوتار تعد الحادثة شكلاً من أشكال الشوق الشديد إلى إحساس مفتقد بالوحدة وتنشأ عقب ذلك شكلاً من أشكال علم الجمال الذي يعنى بالتفتت والتشظي أما ما بعد الحادثة فإنها على العكس من ذلك تبدأ بهذا الافتقاد للوحدة ولكنها بدلاً من التفتت عليه تحتمي به. (أندرو إدجار وبيتر سيدجويك، ٢٠٠٩، ص ٥٦٢)

فالحداثة المتأخرة مصطلح يستعمله الكتاب الذين لا يوافقون على حدوث انتقال إلى مرحلة اجتماعية جديدة تتمثل في ما بعد الحداثة ولكنهم يرغبون فعلاً في الاعتراف بأنه حدث تعزيز جذري لبعض الميول أو النزعات الموجودة في الحداثة، وتختلف نقاط الاهتمام بين هؤلاء الكتاب إلا أن وجهة النظر العامة ترتبط أقوى الارتباط بأعمال أنتوني جينز وفريدريك جيمسون ودافيد هارفي ويوجين هابرماس. فبينما يميل المفكرون الآخرون بما بعد الحداثة إلى التأكيد على التشطي والقوى الطاردة المركزية على المستوى الثقافي، يركز هؤلاء المفكرون الآخرون بمفهوم الحداثة المتأخرة على إبراز وتوسيع نطاق طائفة من السمات المؤسسية التي يقال أنها تشكل الأساس الذي تركز عليه هذه التغيرات الثقافية. (جون سكوت وجوردون مارشال، ٢٠١١، ص ١٦)

لقد فقدت الحداثة بريقها بعدما كشفت عن أضرارها السلبية، وباتت تشكل أزمة وعبة للبشرية أكثر من كونها مصنع لإنتاج الفن والجمال والسياسة والاقتصاد والتكنولوجيا، لذا أشارت الأستاذ الدكتورة/ نادية رضوان أن العبرة ليست بحياسة التكنولوجيا بل بالقدرة على تشغيلها وتطويرها ومدى ملائمتها مع الواقع الجديد وهو ما يعني تغييراً جذرياً لثقافة المجتمع ولقدرات الإنسان الإبداعية. (نادية رضوان، ١٩٩٣، ص ٢١)

ورداً على الحداثة، قدم علماء الاجتماع ما بعد الحداثة Post modernity، كمحاولة تعيد صياغة التقدم البشري بالاعتراف بالخصوصيات الثقافية وبالاستعانة بالأنواع الإيجابية للعلم والمعرفة ونبذ جميع الآثار السلبية للتقدم التكنولوجي على صحة الإنسان والنهي عن توظيف العلم والتقنية في تحقيق السيطرة والهيمنة على العالم.

وفي ضوء هذه النظرية وأفكارها يمكن اعتبار المرض واحداً من النتائج السلبية للتقدم التكنولوجي ونتجاً لتغير طبيعة البناء السوسيوبيئي ووليداً مباشراً لعصر الحداثة، ولذا نجد أ. د. علي المكاوي يرى أن أنماط المرض لا تدل على تغير في نمط البيئة الفيزيائية أو العقلية بقدر ما تجسد تحولات المجتمع وتغير نوعية حياة الأفراد، ولهذا فإن مظاهر الصحة والمرض ترتبط ارتباطاً سببياً بالتغيرات الاجتماعية والثقافية والتحولات الاقتصادية والسياسية التي يشهدها المجتمع. (علي محمد المكاوي، ١٩٩٥، ص ٧٦)

لا ينكر أحد الدور القيم الذي أدته الحداثة لأجل تقدم البشرية ولتحقيق مستويات عليا من الرفاهة، ولكن يظل إجماع السواد الأعظم من العلماء والفلاسفة منذ مطلع القرن العشرين وحتى الآن على أن أثارها السلبية عميقة وغائرة في البناء البشري، وظهرت ملامحه سلب كثير من أوجه الأمن الإنساني مثل الأمن البيئي والذي نجده بوضوح في

ارتفاع معدلات التلوث والإهدار البيئي ومثل انخفاض مؤشرات الأمن الصحي والتي تعبر عنها ارتفاع معدلات الأمراض بكل أنواعها، وغني عن البيان ما ترتب على انتشار التصنيع من فقدان البشر للهوية الثقافية وغلبة الثقافة الواحدة على العالم بما يسمى العولمة، وهيمنة الرأسمالية وصاحبها انتشار اغتراب البشر عن ذواتهم وأسرهم ومجتمعهم، وبهذا فقد البشر الأمن الثقافي والأمن الاقتصادي، ومن المنطقي أن يضيع الشعور بالأمن السياسي في ظل الهيمنة الكوكبية للحداثة والعولمة.

المحور الثاني: آثار الحداثة على الأمن الصحي للبشر

ظهرت العديد من الاتجاهات الفكرية والنظرية التي تُرجع انتشار الأمراض إلى استحداث وسائل تكنولوجية مُضرة بصحتي الإنسان والبيئة، فمنذ بدء الخليقة والإنسان يحاول السيطرة على البيئة، ومع مرور الوقت استطاع أن يحقق الكثير من هذا، إلا أن العلاقة بينهما تحولت من التكيف والاحتواء إلى النفور والصراع وأصبحت أكثر تعقيداً في ظل التقدم الصناعي المذهل. وفشل الإنسان في ترويض بيئته بطريقة صحية وهو ما أسهم في ظهور العديد من الأمراض العصرية والمزمنة وحتى الوبائية واكتسب المرض معاني متعددة ترتبط بما حققه الإنسان، وتحول تعريفه من كونه نتاجاً للخلل البيولوجي في جسم الإنسان إلى أنه أحد مظاهر الخلل الحداثي والسوسيويبيئي في المجتمع والنتائج عن التقدم التكنولوجي في جميع المجالات.

بمرور الوقت اهتمت الدراسات الاجتماعية بشكل متزايد المظاهر المختلفة للحداثة وآثارها على الصحة، وبالتحديد على الجسد وصورته وما يتعرض له من أمراض، فحالة الجسد شكلت أحد فروع المعرفة في علم الاجتماع، ولأجله تأسس علم الاجتماع الطبي وعلم اجتماع الجسد وعلم اجتماع الجينوم.

لذا توثقت العلاقة بين العلوم الاجتماعية وعلم الوبائيات والصحة العامة في سبيل تأويل الأوضاع الصحية في العالم وهذا هو ما دفع علماء الاجتماع الطبي Medical sociologists والوبائيات Epidemiologists مثل Trostle Douglas Ulrich and Beck, Lupton إلى التحالف مع نظريات الحداثة الانعكاسية Theories of Reflexive Modernity والمخاطر Risks والذين اعتبروا أن الأمراض أحد المخاطر الناتجة عن التغيرات الكبرى في الوحدات الاجتماعية والاقتصادية وسيادة النزعة الفردية. (James)

(A. Trostle, 2005, P. 82)

وهذا ما دفع A. Stanford لإجراء أبحاث عن العلاقة بين الأجسام وتحطم العالم وتوصلت منها إلى أن تحطم أجسام البشر يعد انعكاساً حقيقياً لتحطم العالم الذي يعيشون فيه، وأكدت ضرورة بحث العوامل الاجتماعية التي أسهمت في تحطم العالم أولاً وأفضت إلى تحطم أجسادنا ثانياً وتدهور النظام البيئي ثالثاً. (Anne Fdwell Stanford, 2006, p. 222)

وفي هذا الصدد قدم ميشيل فوكو M. Foucault العديد من الأبحاث عن العلاقة بين الحالة الصحية للبشر والبيئة من جانب وطبيعة التطورات السوسيوثقافية من جانب آخر، فقد ذهب في كتابه ميلاد العيادة ١٩٧٣ إلى ضرورة تفسير الوقائع السوسولوجية للصحة والمرض في ظل التطورات المجتمعية الجديدة كما أكد في كتابه التاريخ الجنسي ١٩٩٠ أن اختفاء الصحة أفضى إلى اختفاء السعادة وانهيار الكثير من الإيدولوجيات والقيم والأخلاق بسبب سيادة أفكار الحداثة وهيمنة العولمة. ولهذا دعا إلى ضرورة وجود نماذج طبية سوسولوجية تفسر العلاقة بين الإنسان وجسده من جانب وبيئته ومجتمعه من جانب آخر. (Charles L. Briggs, Communicability, 2005, 14)

لقد بات الحديث عن الأمراض ومدى انتشارها هو الشغل الشاغل للبشر سواء كانوا متخصصين أو مصابين أو أسوياء، بحيث أنساهم الرفاهة التي يعيشون فيها وأسكنهم في هم كبير.

وتعد الإعاقة بصفة عامة والإعاقات التكوينية للأجنة بصفة خاصة من الظواهر السوسيو بيئية والتي يقف العلم عاجزاً أمامها، حيث أكدت كثير من الدراسات الطبية أنه ليس هناك من سبيل حالياً إلى القضاء على أسباب حدوث الإعاقات بشكل نهائي وأن نسبة ٢٥٪ فقط من حالات المواليد بإعاقة معروفة لأسباب غير مؤكدة وتظل نسبة ٧٥٪ منهم مجهولة الأسباب. (رمضان محمد القذافي، ١٩٩٣، ص ٣٥) فإعاقة الأجنة باتت من الهموم المؤرقة للبشر ومن الظواهر الملحة للبحث وللتقريب عن عوامل حدوثها وتفسير أسباب ارتفاع معدلاتها، وفي هذا الشأن أكدت الأبحاث أن نسبة كبيرة من المعاقين ولدوا بتشوهات خلقية أفضت لإعاقتهم وعجزهم. وتزداد المشكلة تعقيداً بالتعرف على الإحصاءات والمعدلات المتعلقة بحجم الإعاقة في العالم والتي بلغت نسبتها حوالي ١٠٪ من جملة سكان العالم، ووصل متوسط نسبتهم ٨٪ من سكان الدول المتقدمة، ونحو ١٣٪ من سكان الدول النامية عام ١٩٨١، وتبلغ نسبة الزيادة السنوية في أعداد المعاقين في الدول النامية نحو ٥٦٪ سنوياً، وفي الدول المتقدمة ٧٥٪ سنوياً. (عبد الله محمد عبد الرحمن، ١٩٩٥، ص ٨٦)

١ - ممارسات الحياة اليومية وسلب الأمن الصحي من البشر

مع سبعينيات القرن العشرين ومع تفاقم الآثار السلبية للتقدم التكنولوجي على صحة الإنسان دعا العلماء إلى ضرورة إيجاد أساليب صحية *Healthy life style*. في العيش، بعد ما تبين لهم أن تغير أنماط وأساليب العيش تبعها تغير في تكيف وظائف جسم الإنسان. يبين تيمونز روبرتس أن الحداثة في الحضرة والتعليم والثقافة ووسائل الإعلام كلها تعرض الإنسان التقليدي إلى أشكال جديدة من الحياة (ج. تيمونز روبرتس، أيمي هايت، ٢٠٠٤، ص ٢٣٧)، لذا تمت صياغة مصطلح التحول الصحي *Healthy Transition* والذي يشير إلى جملة التغيرات الطارئة على صحي الإنسان والمجتمع، والذي يؤكد أن هناك أمراضاً كانت منتشرة بسبب غيبة الوعي الطبي بعوامل حدوثها وسبل علاجها مثل الطاعون والكوليرا وتم القضاء عليها نهائياً بفضل التقدم الطبي. وظهرت الآن العديد من الأمراض العصرية المزمنة والتي أرجعها العلماء إلى سلوك الأفراد وسبل عيشهم الحديثة. (Adam Kuper and Jessica Kuper, 1996, P. 357)

وتتفق معه الأستاذة الدكتورة /نادية رضوان مشيرة إلى أن التقدم التكنولوجي ترتب عليه تغيير تدريجي في ثقافة المجتمع، حيث تفككت الحياة الحضرية التقليدية وهو ما انعكس على الحياة الريفية التقليدية، فالتقدم التكنولوجي أصاب المجتمع بالعديد من المخاطر الصحية وبالتالي فإن هناك مصالح متناقضة في استخدام التقدم التكنولوجي. (نادية رضوان، ١٩٩٣، ص ٢٦)

فمن الملاحظ أن هناك إعادة تكييف حدثت للجسد ليتناسب مع ما تقدمه التكنولوجيا كل يوم من جديد ومع تغير أساليب الحياة اليومية في ظل اختفاء مظاهر الحياة التقليدية وهيمنت مظاهر الحداثة وفي هذا يقول جيرمي سيبيروك إن السوق المستوردة قوضت في الشرق أسلوب الحياة الريفي التقليدي وتجلياته الاجتماعية عبر صيرورة التمدين، بينما قوضت في الغرب تصورنا للطبيعة. (مايكل زيمرمان، ٢٠٠٦، ص ١٦١)

ومن الظواهر الجلية في هذا ارتفاع معدلات الإنجاب القيصري وفقاً لما أقرته منظمة الصحة العالمية WHO حيث بلغت نسبته ١٥٪ من إجمالي الولادات في معظم مناطق العالم وخصوصاً في آسيا وأمريكا اللاتينية، ففي البرازيل ارتفعت معدلات الإنجاب القيصري إلى ٧٠٪ من إجمالي الولادات. وتشير التقارير العالمية إلى أن نسبة الإنجاب القيصري بلغت ٢١٪ في إيطاليا و ٢٠٪ في المكسيك و ٢٣٪ في الولايات المتحدة الأمريكية و ١٩٪ في بريطانيا وتتراوح نسبتها من ١٥ - ٢٥٪ في الدول المتقدمة أما في الدول النامية

فهي من ٧ - ١٥٪ من إجمالي معدل الولادة. (Siri Vangen, 2004, p. 83)، وتتفق تلك الحقائق وما قدمه أ. د. يعقوب الكندري حين صرح بأن طرق الحياة وما تحمله من مشكلات تركت بصماتها على صحة الأم. (يعقوب يوسف الكندري، ٢٠٠٣، ص ٢٠٧)، كما أكد أ. د. محمد علي محمد وآخرون على ارتباط المستوى الصحي بمراحل النمو الاقتصادي وأنه كلما كان المجتمع أكثر تقدماً ازدادت القدرة على معرفة الأمراض والوقاية منها. (محمد علي محمد وآخرون، ١٩٩٦، ص ٦٩).

ولم تترك الحداثة البشر وشأنهم بل امتدت لتؤثر على مهنتهم وآدائها، فيرى علماء الاجتماع الطبي أن المهنة Occupation تعد واحدة من المتغيرات الاجتماعية المؤثرة في صحة الأفراد نظراً لما قد يترتب على بعضها من الأمراض المهنية التي تصيب العامل عند مزاولته لمهنة معينة خلال مدة زمنية قد تطول أو تقصر. وفسر العلماء هذا بأن الأمراض المهنية ترجع إلى عوامل عدة منها البيولوجية والبيئية والطبيعية والنفسية والاجتماعية. (عبد المجيد الشاعر، يوسف أبو الرب، رشدي قطاش، ٢٠٠٠، ص ١٣٩)، وفي هذا الصدد أكد أ. د. يسرى الجوهرى في الدراسة التي أجراها عن أثر التصنيع على خصوبة المرأة في بعض المحلات العمرانية على ارتفاع نسب الزواج بأكثر من امرأة (الزواج المتعدد) بين العمال، وأن التعاملات تتراجع خصوبتهن نتيجة لظروف العمل، بل إن إنجاب المولود الأول جاء بعد ست سنوات من الزواج، وهو ما يشير إلى معاناة العمال من تأخر الإنجاب نظراً لتدهور خصوبتهم بسبب طبيعة عملهم. (يسرى الجوهرى، ١٩٩٧، ص ٢٧٠)

إن الحداثة تركت بصماتها على كل كبيرة وصغيرة في حياة البشر، وهذا ما أكدته أ. د. يعقوب الكندري حين وضع أن توافر وسائل النقل الحديثة والمزودة بالتكييف والتي من شأنها أن تغني عن المشي والحركة والقيام بمجهود عضلي وحركي من العوامل التي أسهمت في انتشار الأمراض العصرية. (يعقوب يوسف الكندري، ٢٠٠٣، ص ٢٠٧) ويتفق معه أ. د. محمد علي محمد حين بين أن القيم الثقافية السائدة في مجتمعاتنا العصرية تتسبب في عدد كبير من المخاطر الصحية فإنه على مستوى السلوك الصحي الشخصي تبين أن ثقافة الإعلان والترفيه تؤدي التدخين واستهلاك المشروبات الكحولية الضارة هذا فضلاً عن عمليات الإنتاج الصناعي التي تفسد البيئة وعلى الرغم من كل هذا فالناس يرفضون التخلي عن المكاسب التي حققوها بالتقدم التكنولوجي. (محمد علي محمد وآخرون، ١٩٩٦، ص ٦٧). كما كشف أ. د. علي المكاوي عن أن العلاقة بين البيئة والصحة والمرض علاقة تزداد وضوحاً في الوقت الراهن حيث كشفت عما يرتكبه الإنسان من أخطاء في علاقته بها فيلونها ويظل يعاني من مخاطر التلوث على صحته على مدى أجيال كاملة. (علي محمد المكاوي، ١٩٩٥، ص ٧٧)

وجاءت آراء ميشيل فوكو عام ١٩٧٣ في كتابه ميلاد العيادة لتتفق مع الجميع على أن الخريطة الجغرافية والبيئية تمثل ظروفاً فعالة في انتشار الأمراض في ظل ما يسلكه الإنسان الآن من سلوكيات خاطئة في حق البيئة وحق ذاته. (Charles L. Briggs, 2005) وكذلك دراسة ماري شو Mary Shaw وزملائه وفيها تبين أن للتغير التكنولوجي أثراً كبيراً في تغير نوعية الحياة البشرية وفي إعادة رسم السلوك البشري وحتى في توزيع السكان في المجتمعات. (Mary Shaw, Danny Dorling and Richard Mitchell, 2001, P. 232).

لهذا فإن توظيف التكنولوجيا في حياتنا اليومية أصبح أمراً لا يستطيع الإنسان العيش من دونه وهو ما ترتب عليه تغيير أساليب عيش الأفراد إلى جانب انتشار العديد من الأمراض ويوضح أ.د. علي المكاوي أن تغير أنماط المرض في المجتمع لا ترجع إلى توفر الخدمات الصحية الرسمية وتقدم الطب وزيادة النفقات على العلاج فحسب وإنما يرجع هذا إلى التغير في أنماط الحياة أو نوعية الحياة. (علي محمد المكاوي، ١٩٩٥، ص ٦٧)

٢- تكنجة المسكن التقليدي وسلب الأمن الصحي من البشر

مما هو معروف أن المسكن التقليدي يعيش حالة من الاندثار تحل فيه الوسائل التكنولوجية الحديثة محل جسد الإنسان ويعبر عن هذا دافيد لوبروتون موضحاً أن المنازل التقليدية كانت تستثمر جميع تجارب الجسد لهذا كان يتمتع جسد الإنسان بالحيوية له وللأسرة، فالمنزل يعد المجال الاجتماعي التقليدي للإنسان في عالم مبني على مستواه فهو توسع ثقافي يعبر لو كورد يزييه عن السكن الحديث بأنه آلات للسكن أكثر مما هو امتداد للجسد البشري أنها مكان للسكن بلا نوعية لإنسان بلا نوعية. وبهذا يعد التحول من المسكن التقليدي إلى المسكن الحديث في البناء والإعداد وحتى في التصميم مظهراً حضارياً، وإن كان ذا آثار سلبية على صحة الفرد والمجتمع. وتؤيد الباحثة الرأي الأول منطلقة في هذا من آراء دافيد لوبروتون والتي تقول أن الأجهزة الصناعية تختزل الجسد في المساكن الحديثة في مجموعة محددة من الحاجات. (دافيد لوبروتون، ١٩٩٧، ص ١٠٧)

ويوجد في المنازل اليوم العديد من الأدوات التكنولوجية الحديثة التي حلت محل الجسد، وأشارت أ.د. سناء الخولي إلى أن التقدم التكنولوجي السريع أسهم في اندثار العديد من السلوكيات الصحية، حيث كانت المرأة تصنع غذاء أسرتها بنفسها وتحيك الملابس وتقوم بعملية التنظيف اليدوي. (سناء الخولي، ١٩٨٤، ص ٣٠٣). واعتبر James A. Trostle أننا نصنع حالتنا الصحية كما نصنع تاريخنا في ضوء المعطيات الثقافية وفرصها الحديثة (James A. Trostle, 2005, P. 82). ففي هذا أوضح أ.د. يعقوب الكندري أن تحول المجتمعات التي كانت تعتمد على الفلاحة اليدوية إلى مجتمعات تستخدم

التكنولوجيا الحديثة أثر على فقد السعرات الحرارية، فالمرأة التي كانت تقوم بغسل الملابس باليد كانت تستهلك ما يقارب ٢٥٠ سعراً حرارياً أما الآن وبعد توفر الغسالات الكهربائية لا تخسر سوى سعرات محدودة جداً، وهو ما ترتب عليه ارتفاع معدلات السمنة وانتشار الأمراض العصرية من مزمنة وغيرها. (يعقوب يوسف الكندري، ٢٠٠٣، ص ٢٠٧)

٣- تكنجة الغذاء وسلب الأمن الصحي من البشر

يعرف أنانيشيف Ananichev التكنولوجيا على أنها العمليات التي تنتقل بها الموضوعات أو الأشياء من شكل إلى آخر عن طريق المعدات أو الأجهزة والآلات بهدف إخضاع البيئة الطبيعية لحاجات الإنسان، وبذلك تصبح عملية متصلة ودائمة التفاعل بين المجتمع الإنساني والبيئة. (نادية رضوان، ١٩٩٣، ص ٣٠). وبهذا أدت التكنولوجيا دوراً فعالاً في هيمنة الإنسان على البيئة وفي استحداث العديد من الأدوات والوسائل التي تسهل عليه العيش وتنقله إلى الرفاهية، كما ازدادت سرعة التقدم التكنولوجي حتى بلغت الطعام وإنتاجه والقضاء على بعض العادات المتعلقة بطهيهِ، ويعد الغذاء عادة ثقافية نسبية، والغذاء علي حد تعبير أ. د. يعقوب الكندري ليس وسيلة لإشباع حاجة غريزية فحسب وإنما يتجاوز ذلك ليشمل إطاراً ثقافياً يميز المجتمعات الإنسانية، وأكدت العديد من الدراسات أن التغير في العادات الغذائية وسلوكيات الغذاء في المجتمع الغربي ولد انتشار العديد من الأمراض منها مرض السكر. (يعقوب يوسف الكندري، ٢٠٠٣، ص ٢٠٣)

ولا يقف تأثير الغذاء المصنّع مسبقاً أو نصف المطهو على الفرد نفسه وإنما يمتد لينال من الأجنة في أرحام الأمهات، تتفق هذه النتائج مع آراء أ. د. فوزي علي جاد الله الذي أوضح أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين صحة الأم وصحة الجنين فالأم التي تتمتع بصحة جيدة لها فرصة في الحمل السليم ففي فترة الحمل يزداد وزن الحامل بمقدار ١٢ كيلو جراماً في المتوسط وإذا ساءت تغذيتها فإن وزنها يزداد بمقدار أقل وأحياناً لا يزيد على الإطلاق وفي هذه الحالة فإن جسم الجنين يتعرض للانخفاض وبتأثير مستواه الصحي. (فوزي علي جاد الله، ١٩٦٨، ص ٢٠٢)

ومما يجب الإشارة إليه أن الأبحاث المهمة بالعادات الغذائية أكدت أن هناك تغيراً في السلوك الغذائي للأفراد مما أسهم في انتشار السمنة المفرطة في المجتمعات الغربية والعربية على السواء وما صاحبها من ارتفاع ضغط الدم والسكر وأمراض القلب مؤكدة أن عوامل التحديث والتغيير الاجتماعي والثقافي تلعب دوراً بارزاً في الهيئة الفيزيائية للإنسان. (يعقوب يوسف الكندري، ٢٠٠٣، ص ٢٠٣)

ومن أكثر مظاهر التحول في السلوكيات الغذائية تخلي الأسرة عن دورها إنتاج الغذاء نظراً لتعاظم ما تقدمه التكنولوجيا في هذا المجال من وجبات سريعة ومعدة مسبقاً، وعلى الرغم من دور التكنولوجيا الغذائية في توفير الوقت والجهد المبذولين في إعداد الطعام إلا أن آثارها السلبية على الصحة تفوق آثارها الإيجابية وفي هذا الصدد تحدث بليمير R. A. Plimmer موضحاً أن المأكولات المحضرة صناعياً تفقد جزءاً كبيراً من الفيتامينات والأملاح المعدنية وأن أجدادنا كانوا يعيشون على الأغذية الطبيعية الطازجة وكانوا يعمرون طويلاً وكانت بنيتهم قوية وأسنانهم سليمة. (عبد الفتاح مصطفى غنيمه، ١٩٩٣، ص ٢٢٧)

وفي هذا الصدد تشير أة. دة. سناء الخولي إلى أن الأسرة كانت تقف موقف المعارض أو المتردد من الأغذية الجاهزة، إلا أن رخص أسعارها دفع الأسرة تدريجياً نحو الإقبال على استخدامها. وبهذا أثرت صناعة الأطعمة المجففة والمجمدة والمعلبة في كثير من المجتمعات. لهذا أكد علماء الاجتماع أن التغير الاجتماعي والتكنولوجي قد فرض على الأسرة مصيراً لا مفر منه وهو الانحلال التدريجي، حيث ينهار نمطها التقليدي وتتحوّل إلى نواة. (سناء الخولي، ١٩٨٤، ص ٣٣١)

ويفسر غاسلر Gussler تلك الطفرة في العادات الغذائية وسلوكياته اليومية بالتغيرات التي حدثت في البناء الاجتماعي للأسرة وخروج الأم للعمل وتوافر الغذاء التجاري في الأسواق. (يعقوب يوسف الكندري، ٢٠٠٣، ص ٢٠٣). ومما لاشك فيه أن التقدم التكنولوجي قوض دور المرأة داخل المنزل وقلص العديد من أدوارها وترك بصماته السلبية على صحة الأم.

وعلى الرغم من كل ما تحدث به العلماء وما توصلت إليه الأبحاث من نتائج عن الآثار السلبية للوجبات الجاهزة، فإن M. Nestle في كتابه عن الطعام الآمن والبكتيريا والتكنولوجيا الحيوية، قدم تصريحاً يؤكد فيه التخلي عن المواد الحافظة والالتزام بمستويات الأمان الصحي في الأغذية المجهزة. نظراً لوجود السياسات الغذائية Food Politics التي تلزم المنتج بشروط الإنتاج ونظراً للانفتاح على العالم في ظل العولمة، كما أن صناعة الطعام الآن تعتمد على العلم الدقيق لتفادي الأمراض الناتجة عن الطعام المحفوظ بالاعتماد على التكنولوجيا الحيوية. (Marion Nestle, 2003, P. 356)

ويؤكد جيمز ماكنزي Sir J. Mackenzie أن الغذاء الجيد المطابق لأصول التغذية الصحيحة أهم من عوامل الرياضة وأهم من أخذ الأدوية الوقائية أو أي عامل آخر في حفظ صحة الجسم ووقايته من الأمراض. (عبد الفتاح مصطفى غنيمه، ١٩٩٣، ص ٦٤)

ويتأكد أن العلاقة بين صحة الأفراد والتكنولوجيا علاقة جدلية نتج عنها موضوعات جديدة تتمثل في المخاطر المترتبة على الاستخدامات الخاطئة للتكنولوجيا الحديثة في عصر غابت فيه الإيديولوجيا وهيمنت المصالح الفردية، ففي رأي Ulrich Beck أن الحديث عن المخاطر التي تهدد صحة الإنسان الآن يعد عاراً، موضحاً أن هناك تأثيراً جارفاً من الوحدات الاقتصادية الكبرى على العمليات الاجتماعية والعادات الثقافية وهو ما أفضى إلى انتشار النزعة الفردية. (James A. Trostle, 2005, P. 81)

٤ - الإنترنت وسلب الأمن الاجتماعي والصحي من البشر

تشير الدراسات إلى أن عدد مستخدمي الإنترنت في العالم تجاوز هذا العام (٢٠١٠) مليار مستخدم أي حوالي ثلث سكان العالم، وبمعنى آخر فإن شخص واحد من كل ثلاث أشخاص في العالم يستخدم الإنترنت. هذا الرقم يمثل زيادة بنسبة ٤٨٠٪ عما كان عليه في عام ٢٠٠٠م. وأن أكبر نسبة نمو خلال هذه الفترة كانت من نصيب أفريقيا والتي نمت استخدام الإنترنت بها بحوالي ٢٥٢٧٪، تليها منطقة الشرق الأوسط بنسبة ١٩٨٧٪. ويوجد في الصين أكبر عدد مستخدمي الإنترنت بحوالي ٣٨٩ مليون مستخدم، تليه الولايات المتحدة الأمريكية بـ ٢٤٥ مليون مستخدم. وتأتي مصر في المرتبة العشرين عالمياً والأول عربياً بعدد مستخدمين يبلغ ١٦٣,٠٠٠ مستخدم، تليه المغرب بعدد مستخدمين حوالي ١٣,٢١٣,٠٠٠، فالمملكة العربية السعودية بحوالي ٩,٧٧٤,٠٠٠ مستخدم. وقد كانت اللغة العربية في عام ٢٠٠٤م في المرتبة الثالثة عشر، ولكنها في عام ٢٠١٠م سجلت تقدماً كبيراً حيث احتلت المركز السابع بتعداد فاق ٦٥ مليون مستخدم تمثل ٣,٢٪ من مجموع مستخدمي الإنترنت في العالم، وبنسبة نمو متسارعة هي الأعلى إذ قدرت بأكثر من ٢٥٠٠٪ خلال الفترة بين عامي ٢٠٠٠م و٢٠١٠م، مما يفسر انفتاح المستخدم العربي على الإنترنت ويبين بوادر جهود إثراء المحتوى العربي وانتشاره. (صالح كاتب، ٢٠١١)

وتعد شبكات التواصل الاجتماعي أحد الخدمات التي يقدمها الإنترنت للمستخدمين، وهي الشبكات التي شهدت هذه نمواً مدهشاً في الآونة الأخيرة حيث تشير الإحصائيات إلى وجود أكثر من ٢٠٠٠ موقع لهذه الشبكات، كما أن عدد التطبيقات المساعدة والمسهلة لاستخدامها يزداد بنسبة ٢٠٠٪ في العام الواحد، وهو ما يوضح أن العالم يتجه للاستقرار في بيت جديد هو شبكات التواصل. (محمد عواد، ٢٠١٠، www.taamolat.com) وفي عام ٢٠٠٩م أشار تقرير الشبكة العربية لحقوق الإنسان إلى أن عدد مستخدمي الإنترنت في العالم العربي وصل إلى ٥٨ مليون مستخدم معظمهم من الشباب، وأن عدد الهواتف الجواله بلغ حوالي ١٧٦ مليوناً، وعدد خطوط الهاتف الأرضي حوالي ٣٤ مليون خط. التقرير أشار أيضاً إلى أن الإنانث يمثلن ٣٤٪ من المدونين العرب. وتوجد أكبر نسبة للإنانث مقارنة

بالذكور المدونين في مصر والسعودية من الفئة العمرية بين ١٨-٢٤ عاماً، حيث تمثل الإناث في مصر ٤٧٪ تليها السعودية بنسبة ٤٦٪ من المدونات الإناث. ومن الواضح أن نسبة عدد مستخدمي فيس بوك الذكور إلى الإناث في العالم العربي هي ١:٢، وذلك بشكل يختلف عن الوضع العالمي الذي تزيد فيه بنسبة الإناث عن الذكور في استخدام الفيسبوك. (سعود صالح كاتب، ٢٠١١). فقد كشفت الدراسة التي قام بها الدكتور أحمد صالح ليري أن أفراد العينة يقضون نحو ١٥ ساعة أسبوعياً وينفقون ما يقارب مائة دينار شهرياً لاستخدام الإنترنت، إن مقاهي الإنترنت تساهم في وجود أمراض اجتماعية ونفسية مختلفة وتزيد المشكلات الاجتماعية الأسرية. (أحمد صالح ليري، ٢٠٠٩)

كشفت إحدى الدراسات العالمية عن الإنترنت أن متوسط أعمار المستخدمين يبلغ ٢٨ سنة، تقل في الدولة النامية إلى حد ٣٧٪، وأن نسبة غير المتزوجين في العالم لا تتعدى ٥٢٪، أما من حيث المستوى التعليمي فقد بلغت نسبة من يحملون الثانوية أو أقل ١١٪ في حين زادت في الدول النامية لما يقارب ١٨٪، أما الجامعيين فلم تزد نسبتهم عالمياً على ٢٢٪ و ٢٩٪ بالدول النامية، وفيما يتعلق بطبيعة الاستخدام فقد تبين أن الاستخدام بغرض الاتصال بالمجتمع حصل على أعلى نسبة عالمياً وأن النسبة الأقل كانت بغرض الترفيه وأن هناك تشابه عالمياً في طبيعة استخدام الإنترنت والخصائص الشخصية للمستخدمين ومن أهمها التعليم والجنس، العمر كونه مستخدم جديد. (متاح على الخط المباشر، socio. montadarabi)

وتبين لإلهام بنت فريخ بن سعيد العويضي في دراستها عن أثر استخدام الإنترنت على العلاقات الأسرية بين أفراد الأسرة السعودية في محافظة جدة، أن استخدام الإنترنت يؤثر على العلاقات الأسرية بين أفراد الأسر في مجتمع الدراسة تأثيراً محدوداً وبسيطاً. نصف المبحوثين تقريباً ينظمون استخدامهم للإنترنت بمستوى متوسط كما أنهم يخضعون لرقابة متوسطة. ارتفاع نسبة أفراد العينة الذين يرون أن الإنترنت ذات تأثير سلبي على المجتمع السعودي دينياً وأخلاقياً. توجد فروق ذات دلالة معنوية بين جنس الزوجين وبين تأثير استخدام الإنترنت على العلاقة بينهما. توجد فروق ذات دلالة معنوية بين مدة استخدام الزوج للإنترنت وبين تأثير ذلك الاستخدام على العلاقة فيما بينه وبين زوجته. اتضح وجود علاقة ارتباطية طردية معنوية بين مدة استخدام الأبناء للإنترنت وبين تأثير ذلك الاستخدام على العلاقة بين الوالدين والأبناء من وجهة نظر الوالدين. (إلهام بنت فريخ بن سعيد العويضي، ٢٠٠٣)

وكشفت دراسة Kraut. Et al عن أن المراهقين أكثر استخداماً من الراشدين، وللإنترنت، الراشدون أكثر إقامة للعلاقات الاجتماعية داخل الأسرة من المراهقين،

وكذلك الحال بالنسبة للإناث، ويؤدي زيادة استخدام الإنترنت إلى تقليل في العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة، والإناث أقل إحساساً بالعزلة عند استخدامهم للإنترنت من الرجال، ويرتبط الإفراط في استخدام الإنترنت بالزيادة في الضغوط النفسية لدى المستخدمين والبعد عن الحياة الواقعية. (Kraut. Et al, 2006)

وفي الدراسة التي أجراها د. عبد المحسن العصيمي وتبين منها أن الأبناء الذين تسكن أسرهم في شقق أكثر استخداماً للإنترنت، وأن الأبناء الذين تعليم آبائهم جامعي أكثر استخداماً، وأن الاستخدامات الترفيهية أكثر ما يقوم بن الأبناء عبر الإنترنت وأكثر هذه الاستخدامات هي زيارة مواقع الألعاب والاطلاع على الأغاني والفيديو كليب، ومتابعة الصور العاطفية، ثم اللعب مع الأصدقاء عبر الشبكة، ومتابعة البرامج الرياضية، أهم الآثار في المجال الثقافي فهي زيادة الاطلاع على أحداث العالم وإتاحة المعلومات بسرعة ومعرفة الجديد في الأمور العلمية وزيادة الاهتمام بالقضايا الإسلامية. وأهم الاستخدامات في المجال التعليمي، فقد كانت الاستخدامات محدودة وتتمثل معظمها في تسهيل إجراء البحوث وتحسين مستوى الحوار والكتابة ثم الاتصال بالزملاء، وأهم الاستخدامات في المجال الاقتصادي هي الحصول على معلومات اقتصادية وزيادة الصرف المالي على الإنترنت والإنفاق على الترفيه أكثر. واتضح أن أكثر العوامل المؤثرة في الاستخدام هو دخل الأسرة ثم تعليم الأب، ثم عمل الأم على معظم علاقات الاستخدام وأثارها المختلفة. كما أن مجتمع بحثه أكثر اعتماداً على أنفسهم بالتعليم بالحاسب الآلي والإنترنت. (عبد المحسن العصيمي، ٢٠٠٣)

كشفت الدراسة التي قام بها د. عبدالله بن أحمد بن علي آل عيسى الغامدي عن تزايد أعداد ونسب المراهقين المستخدمين للإنترنت، وتوجد فروق ذات دلالة إحصائية فيما يتعلق بمشكلات صورة الذات داخل المدرسة الانفعالية ومفهوم الذات والعدوان وسوء التوافق مع الآخرين. (عبدالله بن أحمد بن علي آل عيسى الغامدي، ٢٠٠٩) كما كشفت الدراسة التي قام بها Tsai & Lin في تايوان عن أن عالم شبكة المعلومات أصبح المصدر الأول للمعلومات والمعرفة. كما أنه أصبح مكاناً للتخفيف من حدة الاكتئاب الذي يعاني منه المراهقون. (Tsai & Lin, 2003)

كشفت الدراسة التي قامت بها دة. سامية صابر عن وجود علاقة ارتباطية دالة بين إفراط المراهقين في استخدام الكمبيوتر والإنترنت وبين مشكلة الأعراض الاكتئابية لديهم. وجود علاقة ارتباطية دالة بين إفراط المراهقين في استخدام الكمبيوتر والإنترنت، وبين مشكلة العزلة الاجتماعية لديهم. عدم وجود علاقة دالة بين الإفراط في استخدام الكمبيوتر وبين مشكلة اللامبالاة لدى المراهقين. وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين

الذكور والإناث في مشكلة العزلة الاجتماعية، عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث في مشكلة الاكتئاب واللامبالاه. (سامية صابر الدندراوي، ٢٠٠٥)

وفي الدراسة التي قام بها أ. د. عبد الجواد سعيد توصل منها إلى أن الشباب الذين تقل أعمارهم عن ثلاثين عاماً ويحرصون على الإنترنت يعانون من الإدمان السلبي للإنترنت Negative Addiction، وأن لجوئهم للإنترنت يأتي في كثير من الأحيان بسبب إحساسهم بعدم الأمان في المستقبل كأن لم يجدوا عملاً بعد التخرج، وتأخر سن الزواج بالنسبة للفتيات فيبحثون عن مهرب من ذلك بالجلوس أمام الكمبيوتر واستخدام الإنترنت وظهر ذلك بوضوح بالنسبة لمتغير «الاغتراب» وخاصة بالنسبة للريفيين على السواء للذكور والإناث على السواء حيث اللاهداف واللامعنى والعجز بالنسبة للإناث عن الذكور وشعور الشباب أنه لا حول له ولا قوة وأنه غير فعال وليس له قيمة في ظل التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والنفسية التي يواجهها الفرد بوجه عام، والشباب بوجه خاص. (عبد الجواد سعيد محمد ربيع، ٢٠٠٩)

كما كشفت دراسة دة. عزة الكحكي في الإمارات أن أكثر فئات السن إقبالاً على استخدام الإنترنت هي فئة من ١٩ - ٢١ سنة، وأن أهم أكثر السنوات الدراسية للإنترنت في السنة الأولى، وتراوحت عدد ساعات الاستخدام للإنترنت ما بين ٢ - ٤ ساعات، وأن جلوس الطالب أمام الإنترنت يؤثر على صحته وعلى تحصيله الدراسي وعلى نشاطه اليومي. كما أوضحت الدراسة أن أهم تأثيرات الإنترنت من وجهة نظر العينة أنه يؤدي إلى العزلة عن الأسرة ويليها الإدمان والسعي للسرية والشعور بالقلق. (عزة مصطفى الكحكي، ٢٠٠٩)

بعد ما تقدم عرضه من دراسات في مجال آثار الإنترنت، يحق التذكير بقول سانت جون برس (ثمة مبدأ عنف كاسح يتحكم بأخلاقنا). (فريق من الاختصاصيين، ١٩٩٣، ص ٣٤)

المحور الثالث: ملامح التغيير لأجل مستقبل آمن

يقول مايكل زيمرمان أنه من الممكن تحديد تكلفة مرض ما، ولكن كيف نحدد كلفة حياة ما ؟ ونحن نفكر بقيمة الحياة، وهل يمكن ترجمة هذه القيمة إلى كلفة ؟ إنه لأمر ذميم أن تقدر قيمة الحياة بما يكسبه الشخص مالياً في المستقبل. (Postmodernism. 2007)

وأضيف إليه - إن الجسد كان ضحية التقدم العشوائي في كافة المجالات وليس في هذا رفض التقدم الحضاري برمته، وإنما دعوة للاعتدال في استخدامه بما يحقق للإنسان أهدافه ويحافظ على صحته ويقي بيئته مخاطر التلوث إلى جانب التخلي عن الهيمنة الثقافية السائدة في العالم اليوم والتي كان لها دور كبير في الإخلال بالبيئة وفي تغيير أساليب حياة الأفراد والإضرار بسلوكهم الصحي.

وأوضح حامد عمار بعض ظواهر الهيمنة الفكرية مثل سلع الكوكلة والبسبسة (شراباً) والكفتكة والمكدلة (طعاماً) والجاكسونية (غذاءً) والكليبات (سماعاً) والمحمول (تواصلاً) والدشات والفضائيات (مشاهدةً) والفردية والعنف (سلوكاً) والاستثمار والربح السريع (سوقاً) والقروض والمعونات (تمويلًا) والاستهلاك المستنز وطقوسه (مكانةً). (حامد عمار، ٢٠٠٦، ص ٤٢)

لهذا اندثرت القيم وحلت المادة والذاتية. ويشير أفنيردوشالت إلى أن الحس الاجتماعي مطلوب لأنه في عصر البيئة لامناص من أن تلعب المسؤوليات الاجتماعية والبيئية دوراً أكثر أهمية من حافز جني الأرباح تبعاً للمصلحة الشخصية. (Postmodernism. 2007)

إن الإنسان في رحلته تناسى المعرفة بالآثار المترتبة على التصنيع والتقدم التكنولوجي لهذا ظهرت الأشكال المتباينة من الخلل والذي تمثل في:

الخلل الأول: ويمثله ارتفاع معدلات التلوث البيئي في الهواء والماء والغذاء، وبهذا فقدت البيئة قدرتها على احتواء البشر في سلام وهو ما انعكس على صحة البشر وعلى تكيفهم الفسيوبيئي، فانتشرت الأمراض.

الخلل الثاني: هو تدمير أجهزة جسم الإنسان بعدما أحالها للتقاعد وللکسل وسلب منها وظائفها، لهذا تدمرت عليه ورفضت أن تتكيف مع الخلل الذي أصابها، وأصبح إنسان العصر الحالي هو شبه متكنج، وبدأت تحل الأجهزة الطبية محل بعض أعضائه كالقلب والكلى.

والدعوة هنا ليست لهجر العلم والمعرفة، وإنما الدعوة للتأكيد على ضرورة وجود عالم جديد تتنفي فيه الفردية وتهجر فيه المادة وتعمق فيه القيم والأخلاق والإيديولوجيا، عالم يسوده العلم والمعرفة واستثمار كل عضو من أعضاء جسد الإنسان لا لهجر أعضاء الإنسان ولا أن تحل التكنولوجيا محل الأعضاء التي خلقها الله عز وجل لخدمة البشر.

المراجع

أولاً: المراجع باللغة العربية

- أحمد صالح ليري، أثر المشكلات الاجتماعية والنفسية المصاحبة لمستخدمي الكمبيوتر في مقاهي الإنترنت، وزارة الصحة الكويتية، جريدة الشرق الأوسط، العدد ٨٠٧٤، ٥ يناير ٢٠٠٩.
- المعرفة، وجهات نظر الحداثة المنفصلة عن القيمة: الأخلاق والأزياء والرياضة، على الخط المباشر [www.aljazeera-net / NR / exeres / 066 AF 030 – 23 B1 – 4280 – 8BF 7 – 82 FC 12 BC 7 D 30. htm](http://www.aljazeera-net/NR/exeres/066AF030-23B1-4280-8BF7-82FC12BC7D30.htm). 8/11/2006.
- [http://www.alacademia.org/letter12_1.asp.8/11/1427\(2006\)](http://www.alacademia.org/letter12_1.asp.8/11/1427(2006)).
- الهام بنت فريح بن سعيد العويضي، أثر استخدام الإنترنت على العلاقات الأسرية بين أفراد الأسرة السعودية في محافظة جدة، رسالة ماجستير، كلية التربية للاقتصاد المنزلي والتربية الفنية بجدة، قسم السكن وإدارة المنزل، ٢٠٠٣.
- أندرو إدجار وبيتر سيدجويك، موسوعة النظرية الثقافية، المفاهيم والمصطلحات الأساسية، ترجمة هناء الجوهري، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ١٣٥٧، ٢٠٠٩.
- ج. تيمونز روبيرتس، أيمي هايت، من الحداثة إلى العولمة، رؤى وجهات نظر في قضية التطور والتغيير الاجتماعي، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٣٠٩، الجزء الأول، ٢٠٠٤.
- جون سكوت وجوردون مارشال، موسوعة علم الاجتماع، ترجمة محمد الجوهري وآخرون، المجلد الثاني، القاهرة، المركز القومي للترجمة، عدد ١٨٧٧، الطبعة الثانية، ٢٠١١.
- حامد عمار، مواجهة العولمة في التعليم والثقافة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة مكتبة الأسرة، ٢٠٠٦.
- دافيد لوبروتون، أنثروبولوجيا الجسد والحداثة، ترجمة محمد عرب صاصيلا، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٩٩٧.
- رمضان محمد القذافي، سيكولوجية الإعاقة، ليبيا، الجامعة ليبيا المفتوحة، ١٩٩٣.
- سامية صابر الدندراوي، الإفراط في استخدام كل من الكمبيوتر والإنترنت وعلاقته ببعض المشكلات النفسية لدى المراهقين، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة قناة السويس، كلية التربية، قسم علم النفس، ٢٠٠٥.
- سعود صالح كاتب، الإعلام الجديد وقضايا المجتمع، التحديات والفرص، المؤتمر العالمي الثاني للإعلام الإسلامي، من ١٢-١٥ ديسمبر ٢٠١١.
- سناء الخولي، الأسرة والحياة العائلية، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٤.
- عبد الجواد سعيد محمد ربيع، ٢٠٠٩، متاح على الخط المباشر: socio.montadarabi.com/t1185-topic
- عبد الفتاح مصطفى غنيم، مدخل إلى العلوم البحتة والتطبيقية، القاهرة، دار الفنون العلمية الجزء الأول ١٩٩٣.
- عبد المجيد الشاعر، يوسف أبو الرب، رشدي قطاش، علم الاجتماع الطبي، عمان، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠.
- عبد المحسن العصيمي، ٢٠٠٢، متاح على الخط المباشر: socio.montadarabi.com/t1185-topic
- عبد الله بن أحمد بن علي آل عيسى الفامدي، تردد المراهقين على مقاهي الإنترنت وعلاقته ببعض المشكلات النفسية، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية التربية، مكة المكرمة، ٢٠٠٦.
- عبد الله محمد عبد الرحمن، سياسات الرعاية الاجتماعية للمعوقين في المجتمعات النامية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥.
- socio.montadarabi.com/t1185-topic :رشايد طالح وإله حاتم، ٢٠٠٩، يحكلا يفتطم قزع -
- عصام عبد الوهاب بوب، مدخل إلى مناهج البحث العلمي، يونيو، ٢٠٠٧.

Available at: <http://works.bepress.com/issamawmohamed/44>

- علي محمد المكاوي، البيئة والصحة، دراسة في علم الاجتماع الطبي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥.
- فوزي علي جاد الله، الصحة العامة والرعاية الصحية، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٨، ص ٢٠٢
- فريق من الاختصاصيين، المجتمع والعنف، ترجمة، إلياس زحلاوي، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣.
- ما بعد الحداثة، ويكيبيديا الموسوعة الحرة، على الخط المباشر: <http://Wikipedia.org/w/index.php?title=%D9%85%A7%D8%AB%D8%A9-%28%D9%84%D8%D3%F9%81%D8%A9%29-8-11-1427%20%282006%29>
- مايكل زيمرمان، الفلسفة البيئية، من حقوق الحيوان إلى الإيكولوجيا الحديثة، ترجمة معين شفيق روميه، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد ٤٤، الجزء الثاني، نوفمبر، ٢٠٠٦.
- متاح على الخط المباشر: socio.montadarabi.com/t1185-topic
- محمد علي محمد وآخرون، دراسات في علم الاجتماع الطبي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٦.
- محمد محي الدين، علم الاجتماع البيئي، قضايا ومشكلاته، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد ٦٢، العدد ٤ (الإنسانية والعلوم الاجتماعية)، أكتوبر، ٢٠٠٢.
- منصور معدل، مسح القيم العالمي، القيم كما تدركها جماهير العالم الإسلامي والشرق الأوسط، ترجمة عبد الحميد عبد اللطيف، السيد ياسين، القاهرة، المركز القومي للترجمة، العدد ١٤٥٥، ٢٠١٠.
- محمد عواد، على الخط المباشر: www.taamolat.com/2010/10/blog-post7300.html
- نادية رضوان، الصحة والتنمية، كلية التربية، جامعة قناة السويس، ١٩٩٣.
- يسرى الجوهرى، بحوث في الجغرافيا البشرية، الإسكندرية، مكتبة الإشعاع للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٧.
- يعقوب يوسف الكندري، الثقافة والصحة والمرض، رؤية جديدة في الأنثروبولوجيا المعاصرة، جامعة الكويت، لجنة التأليف والتعريب والنشر، ٢٠٠٣.

ثانياً: المراجع باللغة الإنجليزية

- Adam Kuper and Jessica Kuper, the social science Encyclopedia, second ed., Routledge, London, 1996.
- Anne Fdwell Stanford, Bodies in a Broken world: women Novelists of color and politics of medicine, chape 1, hill, Universty of North Carolina press, 2006.
- Charles L. Briggs. Communicability. Racial Discourse and Disease. the Annual Review of Anthropology is on line at anthro. Annual reviews. org. 2005. June 14.
- Kraut. Et al, 2006, available [online]: socio.montadarabi.com/t1185.
- James A. Trostle. Epidemiology and Culture. Cambridge. Cambridge university press. 2005.
- Mary Shaw. Danny Dorling and Richard Mitchell, Health, Place and Society, Uppet saddle River, New Jersey prentice Hall, 2001.
- Marion Nestle, Safe Food, Bacteria, Biotechnology and Bioterrorism, Berkeley, University of California press, 2003.
- Postmodernism. from wikipedia, available [online], the free Encylopedia: 1: 17, 19 August, 2007, GNU Free Document.
- Siri Vangen, Commentary: Unravelling the mystery of variation in birthweight, IJE Advance Access originally published, online, on international Joutnal of Epidemiology, May 20. vol. 33. No. 4, 2004: 829 – 83; doi: 10. 1093 / ije / dyh.
- Tsai & Lin, 2003, available [online]: socio.montadarabi.com/t1185-topic.

متطلبات تفعيل مساهمات التعليم الجامعي العربي في بناء مجتمع المعرفة

أ.ة. سهير عويضة*

المستخلص

المعرفة وتحويل المجتمعات العربية إلى مجتمعات معرفية.

ومن هنا تسعى الورقة الحالية إلى التعرف على المتطلبات اللازمة لمعالجة الأزمات التي يعاني منها التعليم الجامعي العربي والتي من شأنها تعزيز قدراته وتطوير إمكانياته للمساهمة في بناء مجتمع المعرفة، وذلك من خلال التعرف على متطلبات بناء مجتمع المعرفة وانعكاساتها على وظائف الجامعة الثلاث (البحث العلمي - التدريس - خدمة المجتمع) ومن ثم تقديم التوصيات المساندة والداعمة لتحقيق المتطلبات اللازمة لبناء مجتمع المعرفة في الجامعات.

تطمح شعوب ودول العالم في العقود الأخيرة، إلى التحول نحو مجتمع المعرفة، وتعد مؤسسات التعليم العالي بشكل عام والجامعات منها بشكل خاص، من أهم أدوات الوصول إلى ذلك المجتمع، لكونها مصدر لإنتاج المعرفة من خلال ما يُجرى فيها من أبحاث علمية، ومنبع لنشر المعرفة عن طريق ما يتم فيها من أنشطة التدريس، وأداة لتوظيف المعرفة عبر أنشطتها الخاصة بخدمة المجتمع.

وعلى الرغم من تلك المكانة الحيوية، إلا أن واقع التعليم الجامعي العربي وما ينطوي عليه من تدهور لأحواله وضعف لإمكانياته، ووهن لطاقاته من شأنه أن يحد من قدرته على بناء مجتمع

* ماجستير أصول التربية، معيدة في جامعة طيبة - كلية التربية - قسم أصول التربية/ السعودية.
sohair232@hotmail.com

Requirements of Contribute Activation in Arab University Education to Building a Knowledge Society

Abstract

In recent decades, peoples and nations of the world aspiring to the shift towards a knowledge society. This including institutions of higher education in general and universities in particular as they comprising the most important tools to reach community, being a source for the production of knowledge through what is going on scientific research, the source for the dissemination of knowledge about using what are the activities of teaching, and a tool to recruit its own knowledge through community services.

In spite of those vital status, the reality of Arab university education relies facilities deterioration, weakness of the potential, and a weakening of the energies that would limit its ability to build a knowledge society and transform Arab societies into knowledge societies.

Hence, the present paper seek to identify the requirements needed to address the crisis that has plagued college education Arab and that will enhance its capabilities and develop its potential to contribute to building a knowledge society, and through the identification of the requirements of building a knowledge society and its impact on the functions of the university three (scientific research, teaching and community services) and then suggest recommendations and support to achieve the requirements for building a knowledge society in the universities.

المقدمة

شهد العالم منذ مطلع القرن الحالي توجها كبيرا للتحويل نحو أرقى مراحل التطور المجتمعي، ممثلة فيما اصطلح على تسميته بمجتمع المعرفة، والذي يقوم على أساس إنتاج المعرفة ونشرها وتوظيفها في جميع مجالات النشاط المجتمعي: الاقتصاد، والمجتمع المدني، والسياسة، والحياة الخاصة لتحقيق التنمية الإنسانية (برنامج الأمم المتحدة الإنمائي والصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي، ٢٠٠٢م، ص ٢٩).

ويعد التعليم العالي بشكل عام والجامعي منه بشكل خاص، من أهم أدوات الحكومات والشعوب في بناء مجتمع المعرفة المنشود، باعتباره المصدر الأساس للمعرفة، والجهة المنوطة بتوفير الكفاءات والعقول المفكرة المنتجة للمعرفة، والمصنع الذي تتشكل فيه قدرات ومهارات الأفراد، والمؤسسة المسؤولة عن دفع عجلة التنمية في المجتمع، والمؤشر الذي يستدل منه على تطور ونهضة الأمم، فضلا عن العلاقة الحيوية التي تجمع ما بين وظائف الجامعة من جهة ودورة مجتمع المعرفة من جهة أخرى، حيث أشار كل من كل من (هاشم، ٢٠٠٥م، ص ٣٥، ٣٧ - ٣٨؛ والعمرى، ٢٠٠٦م، ص ١٤؛ ودياب وجمال الدين، ٢٠٠٧م، ص ٢٣ - ٢٤، ٢٨؛ ومحمد، ٢٠٠٨م، ص ٧٥؛ وأبو الشيخ، ٢٠١٠م، ص ٢٤٢) إلى أن هناك علاقة قوية بين وظيفة البحث العلمي ومرحلة توليد المعرفة، وارتباطاً شديداً بين وظيفة التدريس ومرحلة نشر المعرفة، وصلة متينة بين وظيفة خدمة المجتمع ومرحلة توظيف المعرفة.

مشكلة الدراسة

على الرغم من حيوية وأهمية أدوار التعليم الجامعي في تشييد صرح مجتمع المعرفة، إلا أن واقعه يشير إلى تدهور أحواله، وضعف قدرته على المساهمة في بناء مجتمع المعرفة، يشهد على ذلك حالة القلق التي أعربت عنها تقارير المنظمات العالمية، حيث نوه كل من تقرير التنمية الإنسانية للعامين ٢٠٠٢م، ٢٠٠٣م بتدهور أحوال التعليم العالي العربي، فقد صرح التقرير الأول بتدني التحصيل المعرفي لنواتج الأنظمة التعليمية العربية برنامج الأمم المتحدة الإنمائي والصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي، ٢٠٠٢م، ص ٥٠)، في حين أشار الثاني إلى أن التعليم العالي العربي ما زال بعيداً عن المساهمة الفعالة في التمهيد لإقامة مجتمع المعرفة (برنامج الأمم المتحدة الإنمائي والصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي، ٢٠٠٣م، ص ٤٠).

ويؤكد ذلك الضعف تصريح تقرير المعرفة العربي ٢٠٠٩م والذي ينص على « أن الأنظمة التعليمية العربية لا تؤدي إلى تكوين الكتل الحرجة من رأس المال المعرفي النوعي الذي تحتاجه المجتمعات العربية للولوج بثبات في اقتصاد المعرفة والمشاركة الفاعلة في مجتمع المعرفة » (برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ومؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، ٢٠٠٩م، ص ١١١).

وإلى جانب تقارير الهيئات العالمية والمنظمات الدولية، هنالك العديد من الانتقادات الموجهة من قبل المفكرين والمختصين بأوضاع التعليم العالي العربي منها انتقادات بوسينية (٢٠٠٥م، ص ٣١) المتمثلة في تقليدية المناهج وبطء تطورها، وانقطاع الكثير من أعضاء هيئات التدريس عن متابعة الجديد في حقول اختصاصاتهم والجديد في دنيا العلوم، إلى جانب تقليدية البحوث والتي تأتي تكراراً لبحوث سابقة أو تجميعاً للمتناثر والمتفرق من الدراسات والأوراق والتقارير، ويشهد القاسمي (٢٠٠٩م، ص ٢١١) على فشل التعليم العالي في البلاد العربية في مهمته الأساسية من حيث إيجاد مجتمع المعرفة القادر على تحقيق التنمية البشرية من أجل رفاهية الإنسان العربي وترقية حياته.

وبناءً على ما سبق تحاول الباحثة في هذه الدراسة رصد أبرز المتطلبات التي لا بد من توافرها في أنظمة التعليم العالي العربي بشكل عام والجامعي منه بشكل خاص، ليتمكن من تحقيق المساهمات الفعالة في بناء مجتمع المعرفة في البلدان العربية، ويمكن تحديد سؤالي الدراسة بالآتي:

- ١- ما الأركان والمتطلبات اللازمة لبناء مجتمع المعرفة؟
- ٢- ما المتطلبات اللازمة لتفعيل مساهمات التعليم الجامعي العربي في بناء مجتمع المعرفة؟

أهداف الدراسة : تتمثل أهداف الدراسة في:

- ١- التعرف على الأركان والمتطلبات اللازمة لبناء مجتمع المعرفة.
- ٢- تحديد المتطلبات اللازمة لتفعيل مساهمات التعليم الجامعي العربي في بناء مجتمع المعرفة.

أهمية الدراسة : تكتسب الدراسة الحالية أهميتها من:

- ١- أهمية موضوع مجتمع المعرفة ذاته، الذي أصبح واقعاً تتنافس دول العالم وحكوماتها وشعوبها في الوصول إليه، باعتبار أن المعرفة قد باتت المقوم الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والثقافي في حياة الأفراد والمجتمعات.

٢- إن تحديد المتطلبات اللازمة لتفعيل مساهمات التفعيل الجامعي في بناء مجتمع المعرفة، قد يساعد في تقديم آليات عملية للمسؤولين عن أنظمة التعليم الجامعي في البلدان العربية من شأنها إنقاذ أوضاع التعليم الجامعي من السلبات والمشكلات التي تحول دون قيام ذلك التعليم بدوره في بناء مجتمع المعرفة.

منهج الدراسة: اتبعت الدراسة المنهج الوصفي الذي يعتمد على تجميع الحقائق والمعلومات، ومن ثم مقارنتها وتحليلها وتفسيرها للوصول إلى تعميمات مقبولة. (بدر، ١٩٩٦م، ص٢٢٨)

مصطلحات الدراسة: تتبنى الدراسة الحالية المصطلحين التاليين:

المتطلبات: يقصد بها في الدراسة الحالية الشروط والأوضاع التي لا بد من توافرها في وظائف الجامعة الثلاث (البحث العلمي - التدريس - خدمة المجتمع) لتحقيق المساهمة الفاعلة في بناء مجتمع المعرفة.

مجتمع المعرفة: يقصد به في الدراسة الحالية المجتمع القائم على أساس إنتاج وتوليد المعرفة ونشرها وتوظيفها بكفاءة في محتوى وهياكل الأنشطة المجتمعية المختلفة، من خلال مجموعة من الآليات يأتي في مقدمتها تقديم التعليم الجيد المؤدي للإبداع، وتمتية قاعدة البحث العلمي والتكنولوجي، وتوفير البنية الأساسية لتقنية المعلومات والاتصالات، للمساهمة في تطوير إمكانات الفرد وتعزيز الأنشطة المجتمعية، الرامية إلى بناء حياة كريمة للجميع وتحقيق التقدم والازدهار للمجتمع.

أولاً: مجتمع المعرفة

قبيل الخوض في توضيح المتطلبات التي يستوجب توافرها في الجامعات لتتمكن من تشييد صرح مجتمع المعرفة، يستوجب المقام توضيح أركان ومتطلبات مجتمع المعرفة بشكل عام، وذلك على النحو التالي:

أركان ومتطلبات بناء مجتمع المعرفة

يرتكز بناء مجتمع المعرفة، واعتماد المعرفة مبدأً ناظماً للحياة البشرية، وتحقيق نهضة إنسانية في عموم الوطن العربي عبر إنتاج المعرفة والتوظيف الكفء لها، على خمسة أركان حددها تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام ٢٠٠٣م في الأركان التالية (برنامج الأمم المتحدة الإنمائي الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي، ٢٠٠٣م، ص١٦٣):

- ١- إطلاق حريات الرأي والتعبير والتنظيم، وضمانها بالحكم الصالح.
- ٢- النشر الكامل للتعليم راقى النوعية، مع إيلاء عناية خاصة إلى طرفي المتصل التعليمي، وللتعلم المستمر مدى الحياة.
- ٣- توطين العلم وبناء قدرة ذاتية في البحث والتطوير التقاني في جميع الأنشطة المجتمعية.
- ٤- التحول الحثيث إلى نمط إنتاج المعرفة في البنية الاجتماعية والاقتصادية العربية.
- ٥- تأسيس نموذج عربي عام أصيل، منفتح ومستدير.

ولتحقيق تلك الأركان، لا بد من توافر مجموعة من المتطلبات، يمكن تحديدها على النحو التالي:

- ١- المتطلبات الاقتصادية: وتتمثل في:
 - دعم وتشجيع التجارة الالكترونية وما تتضمنه من استخدام الوسائل التكنولوجية الحديثة في إبرام الصفقات وعقد العقود والتسويق وتبادل الخدمات والمعلومات، (علوان، ٢٠٠٦م، ص١٦).
 - العمل على تحديث التشريعات القانونية التي تتلاءم مع التوجهات الحديثة للتجارة الإلكترونية واستيعاب كل الجوانب والإشكالات الناجمة عن تحول المعلومات والخدمات إلى سلعة بما في ذلك اعتماد التوقيع الإلكتروني رسمياً، (عليان، ٢٠٠٦م، ص١٧٧).
 - توفير حزمة من الحريات كحرية الأعمال والاستثمار وتشجيع المنافسة والتجارة العادلة التي تُمارس من خلال إدارة واعية ومسؤولة تفترض الشفافية والمساءلة باعتبارها أحد سمات البيئة الاقتصادية المحفزة لإنتاج ونشر المعرفة، (برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ومؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، ٢٠٠٩م، ص٦٠).
 - تطوير نظم الاستثمار المخاطر في مجال الصناعات الجديدة المبنية على المعرفة والتقانة الحديثة. (الزيادات، ٢٠٠٨م، ص٢٦٢).
 - وضع استراتيجية لإنتاج البرمجيات والمعدات حتى يتمكن أفراد المجتمع من تحديد مصيرهم بأنفسهم والحد من التبعية والاعتماد على الغير، (التركماني، ٢٠٠٤م، ص٥٦).

٢- المتطلبات التكنولوجية: وتتمثل في:

- توفير البنية التحتية الضرورية لموارد ووسائل تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وتطبيقاتها وخدماتها (تركمانى، ٢٠٠٤م، ص ٥٥).
- الاستعداد الرقمي وما يتضمنه من إيصال لخدمات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات لجميع الأفراد (الصاوي، ٢٠٠٧م، ص ٦٥).
- نشر الوعي بأهمية تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في مشاريع التنمية المستدامة وخاصة لفئات المجتمع الأقل حظاً مثل قطاع المرأة والتجمعات الريفية (نصير، ٢٠٠٦م، ص ١٢١).

٣- المتطلبات الاجتماعية: تتمثل في:

- التخلص من الأمية الأبجدية وتخفيض الأمية التكنولوجية إلى مستوى ٢٠٪ على الأقل من مجمل السكان (عبد السلام، ٢٠٠٨م، ص ٤٩).
- إتاحة الحوار الداخلي والخارجي وتشجيعه، بين جميع الطبقات الاجتماعية (حبيب، ٢٠٠٩م، ص ١٢٢).
- تغيير أنماط سلوك أفراد المجتمع بالشكل الذي يتناسب ومتطلبات البيئة الإلكترونية (متولي، ٢٠٠٩م، ص ٢١٣).
- التخلص من النظام الأبوي والذي تتحدد أهم ملامحه في ارتباط مصدر السلطة بالمكانة الاجتماعية، وليس بالإسهام في الجماعة والسعي إلى تطويرها، (مينا، ٢٠٠٩م، ص ٣٠٥) لتحقيق مبدأ المساواة والعدالة الاجتماعية وتجنب احتكار أفراد الطبقات العليا للمعارف وحرمان أفراد الطبقات الدنيا منها، وتقليص الفجوة بين الأغنياء معلوماتياً والفقراء معلوماتياً (Lor & Britz, 2007, p117).
- إقامة شراكة مع منتجي العلم والمعرفة في الشرق والغرب، وفي الشمال والجنوب، وتوظيف حصيلة هذه الشراكة وما تنتجه من معرفة وعلم في خدمة الإنسان في كل مكان (مازن، ٢٠٠٥م، ص ١٤).
- تعزيز وتحسين الوضع الصحي وحماية البيئة من الأمراض والأوبئة باعتبار أن المرض يصرف عن الإبداع (محمد، ٢٠٠٨م، ص ١١٢).

٤- المتطلبات الثقافية: وتتمثل في:

- التأكيد على مبدأ التسامح بين الثقافات، مما يساعد على احترام هذه الثقافات بكل نظمها وأفكارها وقيمها دون أن يعني ذلك بالضرورة تقبل هذه القيم أو محاكاة الأفعال والتصرفات المرتبطة بها (توفيق وموسى، ٢٠٠٧م، ص٣٦).
- العمل على تجاوز الدوغماتية وما تنطوي عليه من التعصب والانغلاق وجمود العقل وثنائية التفكير القطعي والعدوان والتسلط (عيد، ٢٠٠٦م، ص٩٦؛ وتوفيق وموسى، ٢٠٠٧م، ص٢٠).
- احترام الآخر، والتعلم للعيش مع الآخرين، والتخلص من ميراث الشعور بالدونية، (ميناء، ٢٠٠٩م، ص٣٥).
- الحفاظ على اللغات الأصلية، والتصدي لحالات تردي أحوال هذه اللغات بحجج هيمنة اللغات الناقلة الواسعة الانتشار (توفيق وموسى، ٢٠٠٧م، ص٣٦).
- رفض التفكير الخرافي والسلوك التواكلي... وغيرها من مظاهر تحد من فاعلية تقدم وازدهار المجتمع. (ميناء، ٢٠٠٩م، ص٣٥).
- دعم نشاطات وبرامج التعريب وخاصة فيما يتعلق بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات بشكل عام، وتكنولوجيا الإنترنت بشكل خاص، لتسهيل النشر والتعامل مع المحتوى (نصير، ٢٠٠٦م، ص١٢٣).
- المحافظة على التراث الثقافي وجعله في متناول الجميع (Lor & Britz, 2007, p117).

٥- المتطلبات السياسية: وتتمثل في:

- تعزيز القيم الديمقراطية وتمكين المواطنين من الحريات والحقوق العامة (محمد، ٢٠٠٨م، ص١١١).
- التحول نحو نمط الحكومة الإلكترونية (Government of india, 2008, iii) وما تنطوي عليه من نقل المعاملات اليدوية التي تقوم بها الدوائر والمؤسسات الحكومية إلى معاملات مباشرة تستخدم تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، بهدف تحسين الأداء وتيسير وتسريع المعاملات، ورفع مستوى الشفافية والمحاسبة للأعمال الحكومية، وتنظيم العمل وتحسين الرقابة، (نصير، ٢٠٠٦م، ص١٢٥).
- كفالة الحق في الحياة الكريمة والأمنة، ورفع المستوى الاقتصادي والاجتماعي لعموم الناس وخاصتهم، انطلاقاً من حقيقة أن الجائع والخائف لن يتمكن من المساهمة الجادة في إثراء المعرفة (محمد، ٢٠٠٨م، ص١٠١).

ثانياً: متطلبات مساهمة التعليم الجامعي في بناء مجتمع المعرفة

يستوجب قيام الجامعة بدورها في بناء مجتمع المعرفة، توفر مجموعة من المتطلبات، التي من شأنها مساعدة الجامعة في المساهمة بفاعلية في تشييد صرح ذلك المجتمع، وفيما يلي عرض لأبرز متطلبات كل وظيفة من وظائفها وهي البحث العلمي والتدريس وخدمة المجتمع.

١- متطلبات توليد المعرفة (البحث العلمي)

تتراوح تلك المتطلبات ما بين مستلزمات تختص بها السلطات الجامعية وما يرتبط بها من سياسات وإمكانات، وبين مواصفات لا بد أن تتوافر لدى عضو هيئة التدريس أو توفر له، وفيما يلي توضيح لتلك المتطلبات:

أ- المتطلبات على مستوى السياسات والإمكانات الجامعية: وتمثل في:

- توفير وسائل نشر الإنتاج العلمي من الدوريات والمجلات العلمية، واعتماد أساليب النشر الإلكتروني.
- توفير المراكز البحثية الاستشارية التابعة للجامعة.
- توفير الاستراتيجيات البحثية اللازمة لتحديد أولويات موضوعات الأبحاث العلمية.
- توفير الدعم المالي الكاف.
- توفير الاستقرار المادي والنفسي والأسري لأعضاء هيئة التدريس.
- توفير المرونة في الإجراءات الإدارية، والابتعاد عن الروتين والبيروقراطية.
- توفير البنية الأساسية الداعمة للبحث العلمي، كالبنية التحتية التكنولوجية، والمرافق العلمية من مختبرات وورش، ومراكز الترجمة والإحصاء، إلى جانب الكوادر الفنية.
- توفير فرص وتيسير حضور المؤتمرات والندوات العلمية.
- توفير الوقت الكافي للبحث وتقليل الأعمال والأعباء الإدارية.
- الاهتمام بتدريب الطلبة على مهارات البحث العلمي.
- تفعيل مبدأ التعاون الدولي في مجال البحث العلمي، كمشاريع توأمة الجامعات.
- رصد مكافآت وحوافز تشجيعية مادية ومعنوية للأبحاث العلمية المميزة.

ب- المتطلبات على مستوى عضو هيئة التدريس: وتمثل في:

- المواظبة على إجراء البحوث العلمية، وعدم الانقطاع بعد الحصول على الترقية وبلوغ درجة الأستاذية.
- القدرة على إجادة إحدى اللغات الأجنبية، للتحقق الاستفادة الكاملة من الإنتاجية العلمية المكتوبة بأحد تلك اللغات ونشر الإنتاجية العلمية من خلالها.
- امتلاك مهارة استخدام تقنيات الحاسب الآلي والإنترنت، للتمكن من الاستفادة من زخم المعلومات المتوفرة في الإنترنت وبرامج الحاسب الآلي.
- اتقان مهارات البحث العلمي.
- الحرص على المشاركة في بحوث المشروعات، لتحقيق وحدة المعرفة بين التخصصات المختلفة.

٢- متطلبات نشر المعرفة (التدريس الجامعي): يمكن تناول تلك المتطلبات في مجالين، مجال يختص بالسياسات والإمكانات الجامعية، في حين يرتبط الآخر بمواصفات عضو هيئة التدريس ذاته

أ- المتطلبات على مستوى السياسات والإمكانات الجامعية: تتمثل في:

- القيام بمراجعة ومتابعة دورية ومستمرة لسير العملية التعليمية، ومحاسبة المقصر، إلى جانب التطوير المستمر لمفردات المقررات وما يرتبط بها من مراجع علمية وأساليب تعليمية.
- توفير الحرية الأكاديمية في التدريس، في تحديد محتويات المقرر واختيار أساليب التدريس والتقييم، دون المساس بالعقيدة الدينية، والموروث الثقافي للمجتمع.
- تعزيز مفهوم التعاون الدولي، من خلال اعتماد اتفاقيات ومذكرات التفاهم مع مؤسسات التعليم الأجنبية، وما تتضمنه من أنماط التعاون المختلفة، كتأمين البرامج الأكاديمية المشتركة، وتفعيل أساليب تبادل الطلبة والأساتذة والباحثين، وتطبيق نظام الأستاذ الزائر.
- تقديم الجوائز التقديرية لتكريم المتميزين بالتدريس من أعضاء هيئة التدريس.
- توفير البنية التحتية اللازمة لاستخدام استراتيجيات وأدوات التدريس المختلفة.

- تطوير المكتبة الجامعية، وتزويدها بالكتب والمقررات والدوريات الحديثة، واعتماد صيغ المكتبات الحديثة، من المكتبة الإلكترونية، والمكتبة الرقمية، والمكتبة الافتراضية.
- التقليل من الأعمال الإدارية.
- تنوع أساليب تقييم أداء عضو هيئة التدريس لتشمل أساليب تقييم الطلبة والزملاء ورؤيس القسم، مع مراعاة عدم حصر أسلوب تقييم الطلبة على نهاية الفصل الدراسي، والحرص على جعلها عملية مستمرة طوال فترة الدراسة بالفصل.

ب - المتطلبات على مستوى عضو هيئة التدريس: وتتمثل في:

- مواكبة المستجدات في مجال التخصص.
- استخدام طرق التدريس الفعالة، بما يحقق التوافق مع متطلبات مجتمع المعرفة، وبما يعزز قدرات الطلبة على التعلم الذاتي والتفكير الابتكاري والإبداعي، كالمطرق التي تقوم على استراتيجية حل المشكلات، استراتيجية التدريس بالفريق، استراتيجية المناقشة والحوار، استراتيجية العصف الذهني، استراتيجية التعلم الذاتي.
- التنوع في طرق تقييم الطلبة، بما يتماشى مع مستلزمات عصر مجتمع المعرفة، وعدم الاقتصار على أسلوب الاختبارات كطريقة وحيدة في التقييم.
- استخدام التقنيات التعليمية الحديثة.

٣- متطلبات توظيف المعرفة (خدمة المجتمع): تتمثل في توفير مجموعة من المتطلبات على مستوى سياساتها وإمكاناتها الجامعية من جهة، وعلى مستوى عضو هيئة التدريس فيها من جهة أخرى.

أ- المتطلبات على مستوى السياسات والإمكانات الجامعية: وتتمثل في:

- إنشاء قنوات اتصال مفتوحة بين الجامعة ومواقع العمل في المجتمع، من خلال اعتماد مجموعة من الآليات منها:
- O انتداب عدد من الأساتذة المتميزين للعمل في مشاريع بحثية بقطاعات المجتمع.

- O تبني المشاريع الخاصة بتوفير الشراكة المجتمعية كبيوت الخبرة، وحاضنات الأعمال وحدائق التقنية ومراكز التميز والكراسي العلمية.
- O تبني الصيغ الجامعية المساهمة في تحقيق الشراكة المجتمعية، كالجامعة المنتجة، وجامعة الشركات، وجامعة البيئة.
- O توفير دورات تدريبية للعاملين في القطاعات المختلفة.
- O إشراك قطاعات المجتمع في مجالات تصميم الخطط والمقررات الدراسية لأقسام الكليات في الجامعة.
- O تسويق نتائج الأبحاث العلمية والخدمات الاستشارية.
- O تحقيق التوازن في توزيع مهام عضو هيئة التدريس.
- O توفير الحوافز المالية والمادية للمساهمين من أعضاء هيئة التدريس في خدمة المجتمع.

ب- المتطلبات على مستوى عضو هيئة التدريس: تتمثل في:

- الاهتمام بدراسة قضايا المجتمع، وتقديم الحلول الصحيحة التي تعود بالفائدة والنفع على المجتمع.
- القناعة بأهمية الانفتاح على المجتمع المحلي وخدمته، والحرص على المشاركة في أنشطة المجتمع التي تعقد في رحاب الجامعة وخارجها.

التوصيات

- إن مسؤولية الجامعات العربية في بناء مجتمع المعرفة، لا تقل أهمية عن مسؤولية حكوماتها في تشييد ذلك الصرح، وعلى ذلك توصي الباحثة بـ:
- التنسيق بين الجامعات العربية لوضع البرامج المساندة وسن القوانين والأنظمة واللوائح اللازمة لبناء مجتمع المعرفة العربي.
- الاستفادة من خبرات وتجارب الجامعات الأجنبية الرائدة في بناء مجتمع المعرفة.
- اختيار القيادات الأكاديمية الإدارية الكفؤة وذات الخبرة والقادرة على الوفاء والمتابعة لمستلزمات المتطلبات المطروحة واللازمة لبناء مجتمع المعرفة.

المراجع

- بدر، أحمد (١٩٩٦م). أصول البحث العلمي ومناهجه، ط٩، القاهرة، المكتبة الأكاديمية.
- برنامج الأمم المتحدة الإنمائي والصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي (٢٠٠٢م)، تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام ٢٠٠٢: خلق الفرص للأجيال القادمة، ط٢، عمان، المكتب الإقليمي للدول العربية وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي.
- برنامج الأمم المتحدة الإنمائي والصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي (٢٠٠٢م)، تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام ٢٠٠٣: نحو إقامة مجتمع المعرفة، عمان، المكتب الإقليمي للدول العربية وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي.
- برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ومؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم (٢٠٠٩م). تقرير المعرفة العربي للعام ٢٠٠٩: نحو تواصل معرفي منتج، دبي، دار الغرير للطباعة والنشر.
- بوسينية، المنجي (٢٠٠٥م) «مستقبل التعليم العالي في الدول العربية في ظل التحديات الراهنة»، المجلة العربية للتربية، م٢٥ (٢)، ص ٢٢ - ٣٦.
- تركماني، عبد الله (٢٠٠٤م). «مجتمع المعرفة ودور الكتاب في التنمية الثقافية العربية»، في: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دور الكتاب في تركيز مجتمع المعرفة، ص ٣٢ - ٨٢، تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
- توفيق، صلاح الدين محمد؛ وموسى، هاني محمد يونس (٢٠٠٧م). «دور التعلم الالكتروني في بناء مجتمع المعرفة العربي: دراسة استشرافية»، مجلة البحوث النفسية والتربوية - جامعة المنوفية، (٢)، ص ٣ - ٩١.
- حبيب، مجدي عبد الكريم (٢٠٠٩م). مجتمع المعرفة والإبداع في القرن الحادي والعشرين، القاهرة، دار الفكر العربي.
- دياب، مهري أمين؛ وجمال الدين، نجوى يوسف (٢٠٠٧م) «أهداف الجامعات في مصر وقضاياها في مجتمع المعرفة رؤية ميدانية من منظور أعضاء هيئة التدريس بجامعة القاهرة وبها»، العلوم التربوية جامعة القاهرة، (٤)، ص ٢ - ١٠٤.
- الزيادات، محمد عواد أحمد (٢٠٠٨م). اتجاهات معاصرة في إدارة المعرفة، عمان، دار صفاء للنشر والتوزيع.
- أبو الشيخ، عطية إسماعيل (٢٠١٠م). «دور التعليم العالي في بناء مجتمع المعرفة في ظل تحديات العصر»، المؤتمر العربي الثالث (الجامعات العربية: التحديات والآفاق)، شرم الشيخ ٩ - ١١ يناير ٢٠١٠م، ص ٣٢٩ - ٣٦٦.
- الصاوي، ياسر (٢٠٠٧م). إدارة المعرفة وتكنولوجيا المعلومات، القاهرة، دار السحاب للنشر والتوزيع.
- عبدالسلام، عبد السلام مصطفى (٢٠٠٨م). «المناهج الدراسية وإعداد الإنسان العربي لتلبية متطلبات مجتمع المعرفة ومواجهة تحديات عصر العولمة»، المؤتمر السنوي الثالث تطوير التعليم النوعي في مصر والوطن العربي لمواجهة متطلبات سوق العمل في عصر العولمة (رؤى استراتيجية)، المنصورة ٩ - ١٠ إبريل ٢٠٠٨م، ص ٣٧ - ٦٨.
- العمري، خالد (٢٠٠٦م). «التعليم المستمر: مدخل منظومي للتنمية المستدامة»، المؤتمر العربي السادس (المدخل المنظومي في التدريس والتعلم)، القاهرة ١٢ - ١٥ إبريل ٢٠٠٦م، ص ٢٨.
- علوان، رامي (٢٠٠٦م). مراجعة نقدية لمشروع قانوني المبادلات والتجارة الإلكترونية وتنظيم التوقيعات الإلكترونية، القدس، معهد أبحاث السياسات الاقتصادية الفلسطينية (ماس)، استرجع بتاريخ ١٧/١٤٢٢هـ، من موقع: http://www.ohwan.org/attachments/021_Electronic%20Signature%20Law.pdf

- عليان، ربحي مصطفى (٢٠٠٦م). مجتمع المعلومات والواقع العربي، عمان، دار جرير للنشر والتوزيع.

- عيد، محمد إبراهيم (٢٠٠٦م). «مقومات مجتمع المعرفة»، في: عبد الغفار، عبد السلام ؛ وعيد، محمد إبراهيم. أبحاث مؤتمر التربية في مجتمع المعرفة، ص ص ٩٣ - ١٠٤، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة.
- القاسمي، علي (٢٠٠٩م). «أسباب ودواعي إصلاح الجامعات العربية»، المؤتمر العربي الثاني (الجامعات العربية: تحديات وطموح)، مراكش ٢١ - ٢٤ ديسمبر ٢٠٠٨، ص ص ١٩٩ - ٢١٤.
- مازن، حسام محمد (٢٠٠٥م)، «الجامعات الافتراضية وآفاق التعليم عن بعد لبناء مجتمع المعرفة والتكنولوجيا العربي طبقا لمستويات معيارية مقترحة للتعليم»، المؤتمر العلمي السابع عشر مناهج التعليم والمستويات المعيارية، القاهرة ٢٦ - ٢٧ يوليو ٢٠٠٥، م ١، ص ص ١ - ٤٩.
- متولي، ناريمان إسماعيل (٢٠٠٩م). «التأثير المتكامل بين الخطط التنموية السعودية وتقنيات المعلومات والاتصالات للوصول إلى مجتمع المعرفة»، مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، م ١٥ (٢)، ص ص ٣٠٤ - ٣٤١.
- محمد، أشرف السعيد أحمد (٢٠٠٨م). «دور التعليم العالي في مواجهة تحديات تأسيس مجتمع المعرفة في مصر»، مجلة كلية التربية بالمنصورة، (٦٨) ج ١، ص ص ٣ - ١٢١.
- مينا، فايز مراد (٢٠٠٩م)، «التربية في الأمة العربية ومجتمع المعرفة»، في: عيد، محمد إبراهيم (٢٠٠٩م). بحوث في علم الاجتماع المعرفي، ص ص ٢٩٧ - ٣١٦، القاهرة، دار الكتاب الحديث.
- نصير، يوسف (٢٠٠٦م). «التعاون العربي والدولي في بناء مجتمع المعرفة»، وقائع المؤتمر التاسع للوزراء المسؤولين عن التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي (التعليم العالي والبحث العلمي في مجتمع المعرفة)، دمشق ١٥ - ١٨ ديسمبر ٢٠٠٢، ص ص ٦٦ - ١٢٧.
- هاشم، نهلة عبد القادر (٢٠٠٥م). «إدارة المعرفة مدخل للإبداع التنظيمي في الجامعات المصرية»، مستقبل التربية العربية، م ١١ (٢٨)، ص ص ٩ - ٦٨.
- Lor, P. J and Britz, J. J(2007). "Challenges of the Approaching Knowledge Society: Major International Issues Facing LIS Professionals", **Libri**, 57, pp111-122.
- Government of India (2008). **Towards a Knowledge Society Three Years of the National Knowledge Commission**, National Knowledge Commission, Government of India, Dharma Marg, Chanakyapuri, New Delhi.

أثر التميز الإداري على الإبداع دراسة ميدانية على البنوك في مصر

د. ألفت إبراهيم جاد الرب عطا*



١- مقدمة البحث

١/١- أهمية البحث

في إدارة المخاطر ومراجعة الأحكام وقواعد الحوكمة وتم توقيع اتفاقية مع البنك المركزي الأوروبي على تنفيذ ذلك ومساعدة فنية لمصر. (البنك المركزي، ٢٠١٠/٢٠٠٩، ص٧). يوضح الجدول (١) هيكل الجهاز المصرفي والكثافة المصرفية وعدد البنوك وعدد الفروع بمصر والكثافة السكانية. وأثره على الاقتصاد القومي في مصر.

يقوم القطاع المصرفي بدور حيوي في الاقتصاد المصري والأنشطة الاقتصادية التي تحقق دوره في تنشيط الاستثمار والإدخار وتدعيم سوق رأس المال، وإن الثورة التكنولوجية والتوسع في استخدام الإنترنت لتقديم الخدمات المصرفية أوجد ضغطاً ومنافسة بين البنوك الحكومية والأجنبية في الدول النامية. بالإضافة للوفاء بمعايير «بازل» التي تهدف لزيادة قدرة المصارف

* دكتورة في الفلسفة وإدارة الأعمال، أستاذ مساعد بقسم إدارة الأعمال بكلية التجارة جامعة الأزهر، رئيس الرابطة الأكاديمية لمركز البحوث والدراسات الاجتماعية - لندن/مصر. dr.olfat@hotmail.com

جدول (١) هيكل الجهاز المصرفي المصري والكثافة المصرفية في الفترة من ٢٠١١/٢٠٠٥ م

السنوات	عدد البنوك العاملة في مصر	عدد الفروع	الكثافة المصرفية*
٢٠٠٥	٥٢	٢٨٤١	٢٤,٨
٢٠٠٦	٤٣	٢٩٤٤	٢٤
٢٠٠٧	٤١	٣٠٥٦	٢٤,٢
٢٠٠٨	٣٩	٣٢٩٧	٢٢,٩
٢٠٠٩	٣٩	٣٤٤٣	٢٢,٣
٢٠١٠	٣٩	٣٥٠٢	٢٢,٣
٢٠١١	٣٩	٣٥٧٣	٢٢,٣

المصدر: المجلة الاقتصادية، قطاع الإحصاءات والتقارير الاقتصادية، البنك المركزي المصري، ٢٠١١/٢٠١٠ م، ص ١٥٩.
الكثافة المصرفية*: عدد السكان بالألف لكل وحدة مصرفية.

كل هذه التحديات أوجدت الأهمية العلمية والاقتصادية والحاجة لدراسة التميز الإداري وأثره على الإبداع في المصارف بمصر.

٢/١ - أهداف البحث

يستهدف البحث الوصول للأهداف التالية:

- ١- تحديد عوامل التميز الإداري في البنوك محل البحث.
- ٢- توضيح آلية التطبيق للتميز الإداري في البنوك محل البحث.
- ٣- تأثير العلاقة بين التميز الإداري والإبداع في البنوك محل البحث.
- ٤- التوصل إلى المشكلات التي تعوق تطبيق التميز الإداري والاقتراحات.
- ٥- التوصل إلى أبحاث مستقبلية للبحث.

٣/١ - الإطار النظري والدراسات السابقة

١/٣/١ الإطار النظري للبحث

١/٣/١- التميز الإداري: النقاط الأساسية لإدارة التميز والتي ذكرها (السلمي، على (٢٠٠٢)، ص ١٥) هي: الفهم الصحيح لإدارة التميز، الفهم المتجدد لظروف المناخ المحيط، الفهم الشامل لظروف المنظمة الذاتية، تفعيل وبناء استراتيجيات متكاملة، إعادة هيكلة المنظمة، تأكيد التوجه بالسوق، إدارة العلاقات مع العملاء، بناء وتنمية وتفعيل الموارد البشرية، إعادة تصميم وتفعيل وتحديث التقنيات، تنمية الموارد البشرية، تنمية شبكة العلاقات وشبكة الاتصالات، وتقويم الأداء المؤسسي المتكامل، وبناء نظام لإدارة الجودة الشاملة، وبناء وتفعيل مقومات لتطوير المستمر.

أما العوامل التي تنمي التفكير في التميز ذكرها (الحارثي، ابراهيم بن أحمد، (٢٠٠٩)، ص ٢٨٥) هي: البيئة المناسبة للتفكير والتعلم، والمعلم الذي يقوم بدور المسهل والميسر للتعليم والتفكير، والدور الذي يراه المتعلم لنفسه وفكرته وامكانياته وقدراته. والعوامل التي تعوق التفكير السليم هي: عوامل داخلية من الفرد نفسه: كالخوف من الفشل، والضغط النفسي، والتعب، ومشكلات الانتباه، والغموض. والعوامل الخارجية من البيئة كالعوامل الثقافية، وملوثات البيئة، وتشتت المعلومات. وإن استخدام المصادر المبتكرة في جمع البيانات وكيفية تحليلها وتفسيرها، يحتاج إلى قدرة في الابتكار والتحليل بالمنطق، وفن الأساليب المبتكرة في طرق حل المشكلات التي يصعب مواجهتها. وأن استخدام الطرق غير العادية المبتكرة بشكل جماعي مع الزملاء أو بشكل منفرد يجمع بين الأفكار غير المترابطة للوصول لفكرة واحدة بطريقة جديدة. (ميرفي، كريستوفر، ترجمة خالد العامري (٢٠٠٨)، ص ٢٣٧، ٢٤٨)

٢/١/٣/١ - **خصائص الشخص المبدع:** لكي يحقق الإنسان ذاته يكون شخصاً مستقلاً استقلالاً أصيلاً، يتسم بالشجاعة في انفتاحه على الخبرات وله صراحة في معالجة المشكلات والتعبير الصادق. وعدم التزامه بأراء المجتمع ولا يركز على الأشياء الحسية حيث يدركون المعاني العميقة المرتبطة بالأحداث.

ومن أهم عناصر الإبداع هي وجود الفكرة المنتجة، والشخص المبدع، وعملية انتاج الافكار، والبيئة الابداعية. وإن مفهوم الابداعية هي القدرة على انتاج أشياء غير عادية في حل المشكلات بطريقة جديدة، والقدرة على انتاج نظريات جديدة، وبناء أفكار استكشافية، فهي ليست صفات وراثية بل من خلال التنمية والتعلم. فكل انسان يبحث في نفسه يجد لديه شيئاً يمكن أن يبدع فيه، فالتفكير الابداعي هو تفكير غير رسمي ومغامر وغير تقليدي ونوع من الاستكشاف، والمناخ الابداعي يدعم الشخصية المبدعة المتفتحة على الخبرات الجديدة والاطلاع إلى اكتشاف أنماط جديدة يأمل بالنجاح ومشاركة الآخرين أحلامه ومشاعره وتصوراته.

ومن أهم العناصر التي تستخدم في توفير مناخ الابداعي: الفكرة مثيرة والتي تدل على سعة الأفق والخيال والفكرة بدائل أخرى، وعلى المنظمة احترام ذلك وتشجيعه وتبدي استعدادها للمشاركة وطرح النظريات وتتقاسم المخاطرة ولا تحملهم مسؤولية الفشل وحدهم، وتعطيهم فرصة للتعبير عن أفكارهم والتفائل بالنتائج. (الحارثي، ابراهيم بن أحمد، (٢٠٠٩)، المرجع السابق، ص ٦١-٦٥)

من هنا يمكن القول بأن الوصول إلى التميز الإداري هو درجة من درجات التفكير للوصول إلى التفرد واستخدامها للوصول إلى أفضل أداء بالعمل وأن الإبداع هو التغيير المدروس مهما اختلفت المنظمات فضرورة التكيف مع هذا التغيير فالإبداع قدرة تولد داخل الانسان ويمكن رعايتها لاستغلالها. وأهم المهارات لتنفيذ الإبداع بنجاح في المنظمة هي (توفيق، عبد الرحمن (٢٠٠٨)، ص ٢٢٠، ٢٤٧): تجنب الأفكار السلبية، الترحيب بأفكار الآخرين لتقوية الحل، اظهار الاتجاهات الايجابية الجديدة اختيار الحل غير التقليدي، التوصل لأفكار ابتكارية دون خوف من الآخرين، مضاعفة الجهود لتزيد الأفكار الجديدة، تحديد معايير لاختيار أفضل الأفكار. ووضع الاستراتيجيات لمشاركة الآخرين في حل المشكلات تحويل الملكية بتفويض العمل على التحديات وليس تنفيذ الحلول فقط. أن يكون قائد العملية لمتابعة ما تم وليس منفذ فقط، ترسيخ القواعد للتشجيع على الابداع، وتوضيح التوافق بين تحديات الآخرين مع أهداف المنظمة.

٣/١/٣- أنواع الإبداع: اتفقت معظم الدراسات كما ذكره (السويطي، شلبي اسماعيل، ٢٠٠٩) على تقسيم الإبداع إلى: الإبداع الإداري: والمتضمن للبناء التنظيمي والقواعد والأدوات والاجراءات وإعادة تصميم العمل، والسياسات والاستراتيجيات الجديدة بالإضافة إلى نظم رقابة جديدة بجانب النشاطات الابداعية التي تهدف إلى تحسين العلاقات بين الأفراد والتفاعل فيما بينهم لتحقيق الأهداف. الإبداع الفني التقني: ويتضمن ابتكار منتجات أو خدمات جديدة وتطوير المنتجات القديمة واحداث تغييرات بوسائل وأدوات المنظمة. الإبداع المبرمج والإبداع غير المبرمج: يشير الإبداع المبرمج إلى الابداعات المخطط لها سلفاً كتطور الخدمات أو تحسين الاجراءات، أما الإبداع غير المبرمج فيتضمن الابداعات غير المخطط لها سلفاً. إبداع القائم على أساس الوسائل والغايات: الإبداع المتعلق بالوسائل يشير للابداعات الواجب القيام بها لتيسير الوصول للابداع المرغوب أما الإبداع القائم على أساس الغايات إبداع نهائي هدفاً في حد ذاته. الإبداع الفردي: يقوم به الأفراد، ويعتمد على سماتهم والعوامل البيئية المحيطة، فالإبداع هو فكرة جديدة تسهم في حل مشكلة، أو تطوير عمل قائم بطريقة جديدة غير تقليدية. الإبداع الجماعي: تظافر الجهود والعمل بروح الفريق الواحد، وتبني الفكرة الإبداعية للفرد والعمل على تحقيقها، لأن عدم قدرتها الجماعة على تنفيذ الأعمال الناتجة عن الأفكار الإبداعية للأفراد لا يحقق الفائدة المطلوبة.

ومن هنا يمكن القول تشجيع أصحاب التفكير المبدع وإتاحة الفرصة لهم للمشاركة بفاعلية في وضع إجراءات العمل وأساليب تنفيذه، للاستفادة من هذه الأفكار المتطورة

في دفع العمل بأساليب أكثر فعالية وتوفير الوقت والجهد والتكلفة. ولقد ركزت المنظمات على الإبداع التقني أكثر من تركيزها على الإبداع الإداري، ونتج عن ذلك فجوة تنظيمية أثرت بصورة سلبية على أداء المنظمة الفجوة بين الإبداع الإداري والإبداع الفني كان مستوى أدائها أفضل، كما كشفت الأبحاث أن الإبداع الإداري يميل إلى تشجيع إبداعات تقنية لاحقة أكثر.

للإبداع الإداري خمس مستويات تعبر عن مدى قدرة الإداري المبدع وفعاليتها وقدرته على الاستنباط والاستنتاج والتحليل والربط بين العلاقات، فكل مستوى يعبر عن قدرة المبدع ومدى نضج تفكيره الإبداعي وكيفية استغلاله في التطبيق العملي للأفكار المبدعة.

٢/٣/١- الدراسات السابقة

١/٢/٣/١- دراسات خاصة بالتميز الإداري: قدم (الخالدي، صالح عابر بشيت (٢٠١٢)، ص٧١) دراسة لتحديد دور أبعاد جودة الخدمة وقدرات التعليم التنظيمي في تطوير ثقافة التميز، وطبقت في الشركات الصناعية المدرجة في سوق الكويت للأوراق المالية وبلغ عددها (٢٧) شركة، والعينة (١٠٥) من المديرين بالشركات محل الدراسة، وتوصلت النتائج لوجود علاقة بين البعد المادي الملموس وتطوير ثقافة التميز. ومن التوصيات الاهتمام بالقدرات للتعليم التنظيمي لتأثيره على تطوير ثقافة التميز بالشركات.

(Benjamin, Akinyemi, 2012) قدمت دراسة تهدف للتوصل لتأثير المناخ على موظفين البنك وقدرتهم على الالتزام التنظيمي للعمل على تنمية الموارد البشرية بالموظفين في البنوك النيجيرية، وطبقت الدراسة على عينة من الموظفين بالبنك ٣٠٣ مفردة مع قائمة الاستبيان الموزعة عليهم. توصلت إلى وجود علاقة ايجابية بين المناخ وتنمية الموارد البشرية والولاء التنظيمي بالبنوك خاصة الالتزام العاطفي، وأوصت بضرورة استخدام العاملين للنتائج والاستفادة منها بالبنوك النيجيرية، واقترحت تعزيز الالتزام بالثقافة الايجابية والثقة والحكم الذاتي والأصالة والتعاون في الثقافة التنظيمية بالبنوك النيجيرية.

وفي دراسة (المطيري، مبارك مطلق، ٢٠١١) تهدف للتوصل لإدراك العاملين بالبنوك الكويتية باستخدام الأسلوب الوصفي التحليلي معتمداً على استمارة الاستقصاء لجمع البيانات من عينة ١٩٦ مفردة من المديرين بالبنوك الكويتية، وتوصلت الدراسة لإدراك العاملين لاستخدام أسلوب المقارنة المرجعية في الأعمال الالكترونية، وإدراكهم لها هي من أهم الأدوات التي تؤدي للتفوق التنافسي، وأوصت بأهمية تبني أساليب تنفيذ المقارنة

المرجعية لتحقيق التفوق التنافسي. كما في (khan (2011, Rabia Inam) التي تهدف لتحقيق الرضا الوظيفي للعاملين بالقطاع المصرفي بباكستان من خلال وضع استراتيجية، وتوضيح تأثير الرضا الوظيفي للعاملين من خلال الاحتفاظ بالموظفين المؤهلين، وطبقت على عينة من الدراسة ٤٥٠ مفردة لموظفين بالبنك كدراسة حالة على ١٠٠ فرع من فروع البنوك مع المقابلات المتعمقة والاستبيان. وتوصلت الدراسة إلى أن العمل الزائد ونقص المنهجية العلمية اتجاها الخطط التدريبية يحتاج إلى الاهتمام بالإضافة لاتجاه الحوافز للكفاءة وليست الأقدمية من قبل الإدارة للعاملين بالقطاع المصرفي. وأوصت بضرورة نشر ثقافة الشفاء والتقدير والتحفيز في العمل للعاملين، ومراجعة المكافآت الموجهة من الأقدمية إلى الكفاءة والتركيز على رأس المال البشري للتفوق التنافسي.

ودراسة (الشيخ، انجي طاهر عبد الله عرفة الشيخ، (٢٠١١)، ص ٢٥-٦٣) هدفت للمقارنة بين أداء بنوك القطاع العام والخاص كمدخل للإصلاح المصرفي طبقت في الفترة من ٢٠٠٨/٢٠٠٩م ثلاث بالقطاع العام وثلاث من القطاع الخاص، وفقاً للمراكز المالية لكل من البنك الأهلي، بنك مصر، بنك القاهرة، ثم القطاع الخاص البنك التجاري الدولي والبنك الأهلي سوستيه جنرال والبنك العربي الإفريقي الدولي. وتوصلت النتائج إلى استحواذ البنوك التجارية الثلاثة بالقطاع العام على السوق المصرفية المحلية بمصر، ومن نقاط القوة لها كبر حجم البنوك أدى لزيادة العملاء وتقديم الخدمات، ونقاط الضعف لمستوى الأداء للعاملين الأقل من المطلوب وأوصت بالتدريب وتعديل قواعد الترقية المرتبطة بالأقدمية إلى الكفاءة، وباشتراك البنك المركزي في تطوير البنوك ووضع خطة تنفيذية لتطوير الأداء ووضع المعايير اللازمة.

في دراسة (محمد، نبيل عبد المنعم، (٢٠١٠)، ص ١-١٢٣) التي تهدف إلى تحسين القدرة التنافسية للبنوك من خلال وضع إطار مقترح لقياس الأداء وتقييمه في ظل المتغيرات العالمية، وطبقت على ستة بنوك تعمل في مصر اثنتين بالقطاع العام، وأربعة بالقطاع المشترك والخاص، يشمل مجتمع البحث المناصب القيادية بالإدارة المالية، وإدارة خدمة العملاء، وإدارة العمليات التشغيلية، وإدارة البحوث والتطوير، وحجم العينة بالإدارة الوسطى ٤٠٠ مفردة وتوصلت النتائج لوجود علاقة جوهرية بين استخدام بطاقات القياس المتوازن محور العملاء لتؤثر إيجابياً على الاستراتيجية التنافسية بالبنوك، ويوجد علاقة جوهرية بين استخدام محور الابتكار والتعلم لتؤثر إيجابياً على الاستراتيجية المنافسة للبنوك، وأوصت بضرورة اهتمام البنوك بتدريب جميع الموظفين ليساعدهم على استخدام بطاقات الأداء المتوازن وتحسين الأداء.

(Donna M., (2008) Gallo) تهدف الدراسة إلى كيفية استجابة البنوك للتحويلات الخارجية والتغير التنظيمي للبنوك استجابة للتغيير البيئي، وتوصلت لوجود كلا من القوى الداخلية والقوى الخارجية التي تؤثر على التغيير التنظيمي باستخدام أسلوب التحليل العنقودي، وأهمية التغيير التنظيمي في الإدارة الاستراتيجية للبنوك بما يتلائم مع ذلك. كما توصلت إلى التأثير والاستجابة لهذه التغيرات يتوقف على الموارد المادية والبشرية والمهارات الفردية للأفراد بالبنوك، وأوصت بإمكانية عمل الدراسات المستقبلية في مجال القوى الداخلية والقوى الخارجية المؤثرة على صناعة البنوك الأجنبية.

وفي دراسة (دروزة، سوزان صالح، (٢٠٠٨) التي تهدف لتوضيح العلاقة بين متطلبات إدارة المعرفة وأثرها على تميز الأداء المؤسسي والتي طبقت على ٣٠٠ مفردة من الموظفين من حملة الدبلوم المتوسط وتوصلت إلى ضرورة إيجاد التميز الأداء المؤسسي للمنافسة من خلال المعرفة لكي تتفوق المؤسسة التعليمية بالأردن.

ودراسة (صديق، محمد جلال سليمان، (٢٠٠٦)، ص٤٩-٩٤) تهدف إلى تحديد كل عنصر من عناصر الثقافة التنظيمية على مراحل إدارة المعرفة بالبنوك، وطبقت على أربعة بنوك تجارية هي: بنك مصر - البنك الأهلي - بنك الإسكندرية - بنك القاهرة وتم اختيار المراكز الرئيسية دون الفرعية لهذه البنوك، وحجم العينة ٢٨٤ مفردة. توصلت النتائج لوجود علاقة قوية بين كافة مراحل إدارة المعرفة والثقة في الرئيس المباشر مما عدا مرحلة توفير المقومات التي لم يثبت لها ارتباط بالثقة في الرئيس المباشر، مما يعني أن الجهود التي تبذلها المنظمة تزيد من الثقة في الرئيس المباشر، وأوصت الدراسة بضرورة توفير استراتيجية متناسقة مع الثقافة العامة للبنك لتحديد الفجوات المعرفية، والبيئة التنظيمية التي تشتمل على الهيكل الرسمي وغير الرسمي وقواعد العمل والمرونة والمشاركة والتفاعل بين الأفراد والعمليات.

كما قدم (رفاعي، ممدوح عبد العزيز محمد (٢٠٠٦) ص١-٨٦) دراسة تهدف إلى تطبيق كلا من منهجية ستة سيجما لاستبعاد الفاقد في القطاع المصرفي وتحقيق كفاءة وفاعلية من خلال زيادة الانتاجية وزيادة النصيب السوقي والربحية بالبنوك. وطبقت على فروع البنوك بالقاهرة الكبرى وعددها ٥١٢ بنك واختير منها ٢٨٤ بنك خلال الفترة ٢٠٠٢/٢٠٠٤م، وعلى عملاء البنوك وعددهم ٤٠٠ مفردة، وتوصلت النتائج إلى أن كفاءة الأداء للعاملين بالبنوك هي مقياس التطوير ثم المقاييس المالية والتشغيلية ثم المقاييس الخارجية، وأوصت بضرورة تبني القطاع المصرفي لمقاييس أبعاد كفاءة الأداء وهي المقاييس المالية والمقاييس الخارجية من رضا وولاء العميل ومعدلات الاحتفاظ بالعملاء،

ثم المقاييس التشغيلية بالتركيز على المعدات والعاملين الملائمين لحجم العمل اليومي، ومقاييس التطوير والابتكارات لتقديم الخدمة وكسب رضا العميل الخارجي

ودراسة (آل مراد، نجله يونس محمد، أحمد مؤيد عطية الحيايلى (٢٠٠٩) (ص١-٢٥): تهدف لدراسة العلاقة بين نظام المعلومات الإدارية الناجح ودوره في تحقيق الإبداع والتميز، ومن المزايا التنافسية التي يحققها استخدام نظام المعلومات الإدارية الناجح في البنوك العراقية و العلاقة بين مؤشرات نظام المعلومات الإدارية الناجح والإبداع والتميز في تلك البنوك. وطبقت منهجية البحث من خلال الاستمارة وتضمنت (١٧) فقرة بالاستمارة. وتوصلت النتائج لوجود ارتباطات قوية ذات دلالة معنوية بين مؤشرات نجاح نظام المعلومات الإدارية والمتمثلة في استخدام النظام وقناعة المستفيد لكل من الإبداع والتميز. وأن هناك تأثير لمؤشرات نجاح نظام المعلومات الإدارية والمتمثلة في استخدام النظام وقناعة المستفيد في الميزة التنافسية المعبر عنها بالإبداع والتميز. واقترحت ضرورة اهتمام المديرين في البنوك بتحقيق الميزة التنافسية بطرق أكثر حداثة وذلك من خلال تفعيل ما يمتلكه من قدرات مادية وفكرية ومعلوماتية. وعلى الجهات المسؤولة أن تعمل على رفع مستوى كفاءة وتطوير هذه البنوك بما يتلائم مع عمل هذا القطاع، ومن خلال استخدام أساليب حديثة في أداء أعمال هذه البنوك وترك الطرق التقليدية ودعم البنوك العراقية للعمل بالاستثمار الخارجي بشكل يرتقي إلى مستوى البنوك العربية والعالمية واعتماد الخبرات والتخصصات والشهادات العليا الحديثة في إدارة البنوك للنهوض بها.

١/٢/٢- دراسات خاصة بالإبداع: في دراسة (المشوط، محمد سعد فهد، (٢٠١١)، التي تهدف لتوضيح أثر بيئة العمل على الإبداع الإداري دراسة تطبيقية على أكاديمية سعد العبد الله للعلوم الأمنية بدولة الكويت. وطبقت على (٥٢) مفردة كمنهج وصفي تحليلي لأعضاء هيئة التدريس بالأكاديمية. وتوصلت لوجود تأثير معنوي للهيكل التنظيمي على الإبداع الإداري، بالنسبة للسلوك الإبداعي والقدرات الإبداعية، وعدم وجود تأثير معنوي للأنظمة على الإبداع الإداري بالنسبة للسلوك الإبداعي والقدرات الإبداعية، ووجود تأثير معنوي للتدريب على الإبداع الإداري وكذلك الحوافز والمكافآت والتكنولوجيا وظروف العمل، وجود تأثير معنوي للمشاركة على الإبداع الإداري وأوصت على ضرورة نشر روح فريق العمل بين العاملين، وتوفير الأنظمة الرقابية الفعالة في الأكاديمية، فالإبداع الإداري أساسي لأي منظمة يدعمها، وقوة متميزة عن باقي المنظمات. وفي دراسة (shamah, Rania A. M, (2008) pp. 47-67) التي تهدف إلى بناء نموذج المعرفة من

خلال نجاح المنظمات في الإنتاجية، والتركيز على القيمة للمعرفة من خلال دور المعرفة وتقليل تكلفة العمليات وتقديم خدمات متنوعة، وطبقت من خلال استمارة للاستقصاء على البنوك المصرية بالقطاع العام والخاص ٥٠٪ منها، في الفترة من ٢٠٠٣/٢٠٠٧م وطبقت على الإدارة العليا والتشغيلية ورؤساء الأقسام باستخدام التحليلي الإحصائي (ANOVA)، وتوصلت النتائج إلى أن بنوك القطاع الخاص يعطى أعلى إنتاجية في مراحل إدارة المعرفة، ومساهمة أسلوب المعرفة في تحديد العقبات والتعلم عن البنوك بالقطاع العام، كما أن زيادة الأداء يحسن الإنتاجية ويقلل التكلفة ويزيد قيمة الأسهم.

(Mohanbir sawhney, Robert c. wolcott and lingo Arroniz, (2006)

قدمت الدراسة اثني عشر طريقة مختلفة للابتكارية وهي: إعادة التفكير وخلق إضافة للتطوير والتحسين، وتوزيع الحوافز على المسؤوليات والأدوار، والكشف عن مناطق القوة النسبية والضعف في البنوك الرائدة بأمريكا اللاتينية (ماهو العميل؟ ماهي العمليات؟ كيف تتم العمليات؟ أين نصل للعملاء؟ ماهية منهجية الحلول؟ وتدعيم فكرة نجاح الإبداع عن طريق التحفيز، ووضع استراتيجيات لتركز على نقاط القوة ذو التأثير العالي وخلق قيمة مضافة، ووضع إطار للسعي نحو النمو والإبداع، وتمكين الابتكار بعد التطور التكنولوجي.

أيضاً دراسة (الدكروري، منى ابراهيم (٢٠٠٥)، ص. ٢٧) تهدف إلى تطبيق مفهوم تسويق العلاقات في الآجل الطويل بالبنوك التجارية وتحديد أهم الفوائد التي تعود عليه، وطبقت على العاملين بالبنوك ٢٥٦ مفردة ومن العملاء عددهم ١٢٨ مفردة في الفترة ٢٠٠٢/٢٠٠٣م على أربع بنوك بالقطاع العام: بنك مصر وبنك القاهرة والبنك الاهلي وبنك الإسكندرية - قبل تحويله إلى قطاع خاص مع سان باولو - وأربع بنوك بالقطاع الخاص: البنك التجاري الدولي وبنك مصر الدولي وبنك الدلتا والبنك الوطني المصري، من خلال المقابلات وقائمة الاستقصاء، وتوصلت النتائج لوجود فروق معنوية بين آراء العملاء بالبنوك القطاع العام والخاص حول مفهوم تسويق العلاقات وعناصر إدارة توقعات العملاء وتمكين العاملين. وفي دراسة (السويطي، شلبي اسماعيل، (٢٠٠٩) تهدف لمعرفة واقع الإبداع الإداري لادارات المصارف العاملة في الضفة الغربية بوصمم استبان ووزع على (٧٤) مديراً في الإدارة العليا لهذه المصارف باستخدام المنهج. نتائج الدراسة ادارات المصارف العاملة في الضفة الغربية تطبق عناصر وجوانب الإبداع الإداري بدرجة عالية، أهم المعوقات التي تحد من الإبداع الإداري لدى إدارات هذه المصارف ضغوط العمل ونقص الحوافز المقدمة للمبدعين، ولتطبيق الإبداع الإداري بشكل فاعل يتطلب

تدريب الإدارات العليا لاستيعاب التكنولوجيا وتقنيات الاتصال المتطورة، وزيادة منح الحوافز المعنوية والمادية للمبدعين، وتشجيع العمل الجماعي وتطوير عملية صنع القرار الإداري بما يشجع الإبداع الإداري لدى إدارات هذه المصارف.

٣/٢/٣/١ وضع البحث الحالي من الدراسات السابقة: يتفق هذا البحث مع أغلب الدراسات السابقة التي تناولت موضوع البحث، فأجمعت على الفوائد التي تعم على كلاً من العاملين والعملاء والمديرين التي طبقت أساليب الوصول للتميز الإداري، ركز الجزء الأول على التميز الإداري: من خلال ثقافة التميز والمناخ التنظيمي والالتزام وأسلوب المقارنة المرجعية والرضا الوظيفي، والثقافة التنظيمية، والإدارة الاستراتيجية للوصول لنقاط القوة والضعف والفرص والتحديات التي تواجه البنوك في مصر، واستخدام نظم المعلومات ومنهجية ستة سيجما، أما الجزء الثاني ركز على الإبداع: وأثره على بيئة العمل وتسويق العلاقة مع العملاء، وتمكين العاملين، ولكن اختلفت هذه الدراسة في التوصل إلى تأثير التميز الإداري لبعض أبعاده الثلاث المرونة والقيادة الفعالة وتطبيق الجودة الشاملة وآلية التطبيق له وأثره على الإبداع الإداري للبنوك بالقطاع العام والخاص في مصر.

٤/١ - مشكلة البحث

وفقاً لنتائج تحليل الدراسات السابقة في ظل التغييرات السياسية والاقتصادية الحالية وإعادة الهيكلة في القطاع المصرفي لمواجهة التحولات يجعل هناك ضرورة ملحة لبحث التميز الإداري وأثره على الإبداع للبنوك بمصر.

٥/١ - فروض البحث

الفرض الرئيسي «لا يوجد تأثير معنوي بين البنوك التجارية في مصر بالقطاع الحكومي والخاص لتأثير التميز الإداري على الإبداع» والفروض الفرعية التالية:

١- لا توجد فروق معنوية ذات دلالة إحصائية من حيث اتجاهات العاملين بالبنوك محل البحث حول عناصر آلية التطبيق للتميز الإداري والإبداع الإداري وفقاً لنوع القطاع الذي ينتمي إليه.

٢- لا يوجد تأثير معنوي ذات دلالة إحصائية للأبعاد الخاصة بالتميز الإداري (المرونة - القيادة الفعالة - نظام تطبيق الجودة الشاملة) على الإبداع الإداري بالبنوك التجارية العاملة في الاقتصاد المصري محل البحث.

٣- لا يوجد تأثير معنوي ذات دلالة إحصائية لعناصر آلية التطبيق للتميز الإداري على الإبداع الإداري بالبنوك التجارية العاملة في الاقتصاد المصري محل البحث.

٦/١ منهجية البحث

١/٦/١ مجتمع وعينة البحث

مجتمع البحث: هم العاملين بالبنوك التجارية بالقطاع المصرفي المصري، حيث لا يوجد إحصاء واضح ومحدد، ويتميز هذا المجتمع بأن العاملين بجميع البنوك التجارية التي تعمل في المناخ الاقتصادي المصري كبير جداً والذي يعكس تجانس البنوك فيما بينها.

عينة البحث: استخدم الباحث أسلوب المعاينة العشوائية متعددة المراحل (Multi-stag Random sampling) والعينة العنقودية العشوائية (cluster Random sampling) ويتم عرض مراحل عينة البحث على النحو التالي: **المرحلة الأولى:** تتعرض البنوك التجارية المصرية لظروف وأجواء اقتصادية تكاد تكون متماثلة بشكل كبير جداً، فقام الباحث باختيار عدد من البنوك يمثل ٥٠٪ من هذه البنوك بشكل عشوائي. **المرحلة الثانية:** تتناول ثلاث نقاط هي:

الأولى: تحديد حجم عينة البحث: استخدم الباحث جداول المعاينة الإحصائية (عاشور، سمير كامل، سامية أبو الفتوح سالم، (١٩٩٤)، ص ٢٨٤). نظراً لعدم توافر إحصاء دقيق لحجم المجتمع عند مستوى خطأ (D = 5%) تقدير حجم المجتمع أكبر من (٥٠,٠٠٠) يتبين حجم العينة ٤٠٠ مفردة.

الثانية: تخصيص وتوزيع عينة البحث: استخدم الباحث أسلوب التخصيص المتناسب (PROPORTION AL ALLOCATION) كأساس لتوزيع عينة البحث، واعتبر الباحث النصيب السوقي من الودائع هو أساس التخصيص والتوزيع نظراً لوجود درجة عالية من التباينات، فيما بين القيم والمشاهدات الخاصة بقيم الودائع بين البنوك محل البحث، والتي تمثل عينة البحث بعد أخذ التحويلة اللوغارتمية على إجمالي قيم الودائع، وبالتالي تم احتساب الوزن النسبي لتوزيع عينة البحث على النحو التالي: يعرض الجدول (٢) أعداد العاملين بالبنوك حسب كل بنك من البنوك محل البحث، وتم تقدير أعداد العاملين لعدم وجود تعريف محدد ودقيق لأعداد العاملين بين (مؤقت - دائم) ويصعب التوصل لرقم دقيق.

جدول (٢) نتائج توزيع عينة البحث باستخدام أسلوب التخصيص المتناسب

م	اسم البنك	الوزن النسبي*	عينة العاملين	
			العدد	%
١	بنك مصر	٠,٠٨	٣٢	٨,٠
٢	بنك الإسكندرية	٠,١١	٤٤	١١,٠
٣	بنك القاهرة	٠,٠٩	٣٧	٩,٠
٤	البنك الأهلي المصري	٠,٠٧	٢٩	٧,٠
٥	البنك الأهلي سوستيه جنرال (NSGB)	٠,٠١١	٤٢	١١,٠
٦	البنك الوطني المصري	٠,٠٧	٢٨	٧,٠
٧	بنك الاتحاد الوطني	٠,١١	٤٥	١١,٠
٨	بنك الشركة المصرفية الدولية (SAIB)	٠,١٢	٤٦	١٢,٠
٩	البنك التجاري الدولي (CIB)	٠,١٢	٤٩	١٢,٠
١٠	بنك اتش اس بي سي (HSBC)	٠,١٢	٤٨	١٢,٠
	الإجمالي	١,٠	٤٠٠	١٠٠

* تم تقريب الوزن النسبي لأقرب رقمين عشريين

الثالثة: خصائص العينة: يوضح الجدول (٣) توصيف للعينة بالبنوك محل البحث وبلغ عددهم ٤٠٠ مفردة من المستجيبين ١٤٢ مفردة من العاملين بالقطاع الحكومي بنسبة ٣٥,٥٪، ٢٥٨ مفردة من البنوك بالقطاع الخاص بنسبة ٦٤,٥٪. وهم العاملون بالمستويات الإدارية الثلاث (عضو مجلس إدارة، مدير عام، مدير إدارة مساعد، مراقب، مراقب مساعد) مما يعني أن الغالبية من مفردات البحث بالبنوك في القطاع الحكومي من الذكور، وأعمارهم من ٣٤-٤٤ سنة ومستويات التعليم مؤهل فوق المتوسط ومؤهل فوق الجامعي، ومستوى الخبرة لأكثر من ١٥ سنة خبرة. ومفردات البحث بالقطاع الخاص الغالبية من الذكور، وأعمارهم من ٣٤-٤٤ سنة، ومؤهلات جامعية والخبرة من ٥-١٠ سنوات.

جدول (٣) التوزيع التكراري والنسبي لخصائص الديموجرافية للعينة موزعة حسب نوع القطاعي

القطاع الحكومي		القطاع الخاص		الإجمالي		المتغيرات الديموجرافية
ك	%	ك	%	ك	%	
١-النوع:						
٩٥	٦٦,٩	١٧٤	٦٧,٤	٢٦٩	٦٧,٢	ذكر
٤٧	٣٣,١	٨٤	٣٢,٦	١٣١	٣٢,٨	أنثى
٢-الفئات العمرية:						
٢	١,٤	١٠	٣,٩	١٢	٣,٠	- أقل من ٢٥ سنة
٥	٣,٥	١٥	٥,٨	٢٠	٥,٠	- من ٢٥ الى ٣٤ سنة
٦٨	٤٧,٩	١٧٦	٦٨,٢	٢٤٤	٦١,٠	- من ٣٤ الى ٤٤ سنة
٤٥	٣١,٧	٣٥	١٣,٦	٨٠	٢٠,٠	- من ٤٤ الى ٥٥ سنة
٢٢	١٥,٥	٢٢	٨,٥	٤٤	١١,٠	- أكثر من ٥٥ سنة
٣-مستوى التعليم:						
٣٥	٢٤,٦	٣٣	١٢,٨	٦٨	١٧,٠	- مؤهل متوسط
٤٠	٢٨,٢	٨٣	٣٢,٢	١٢٣	٣٠,٨	- مؤهل فوق المتوسط
٢٧	١٩,٠	١٩	٤٢,٢	١٣٦	٣٤,٠	- مؤهل جامعي
٤٠	٢٨,٢	٣٣	١٢,٨	٧٣	١٨,٢	- مؤهل فوق جامعي
٤-مستوى الخبرة:						
١٥	١٠,٦	٣٧	١٤,٣	٥٢	١٣,٠	- أقل من ٥ سنوات
١٨	١٢,٧	٩٢	٣٥,٧	١١٠	٢٧,٥	- من ٥ - ١٠ سنه
٢٦	١٨,٣	٥١	١٩,٧	٧٧	١٩,٢	- من ١٠ - ١٥ سنه
٨٣	٥٨,٤	٧٨	٣٠,٣	١٦١	٤٠,٣	- ١٥ سنة فأكثر

٧/١- حدود البحث

- ١- **الحدود المكانية:** اشتملت البنوك التجارية المصرية بالقطاع العام والخاص.
- ٢- **الحدود البشرية:** تناولت العاملون بالوظائف التالية بالمستويات الإدارية الثلاثة (عضو مجلس إدارة، مدير عام، مدير إدارة مساعد، مراقب، مراقب مساعد).
- ٣- **حدود زمنية:** تمت الدراسة على البيانات لمدة عامين كمؤشرات للبنوك المصرية ٢٠١٠/٢٠٠٩م.
- ٤- **حدود نظرية:** اقتصر على تأثير التميز الإداري على الإبداع الإداري في البنوك التجارية بالقطاع العام (الحكومي) والقطاع الخاص في مصر.

٨/١- التحليل الإحصائي

اعتمد الباحث على الأساليب الإحصائية لتحقيق أهداف البحث واختبار الفروض باستخدام برنامج الإحصائي (spss) وهي كالتالي:

- ١- أسلوب الاتساق الداخلي (inter – consistency) بهدف التأكد من صلاحية الأداة، ومعامل كرونباخ ألفا (Alpha krounpak) للتأكد من درجة ثبات المتغيرات.
- ٢- أسلوب المعاينة العشوائية متعددة المراحل (Multi-stag Random sampling) والعينة العنقودية العشوائية (cluster Random sampling).
- ٣- أسلوب التخصيص المتناسب (Proportion Al Allocation) كأساس لتوزيع عينة.
- ٤- اختبار «ت» لعينتين مستقلتين وذلك على مستوى المؤشرات الأربعة للمقارنة بين المجموعتين بالبنوك بالقطاع الحكومي والقطاع الخاص.
- ٥- الوصف الاحصائي للبيانات والممثل في الوسط الحسابي وكل من الانحراف المعياري ومعامل الاختلاف.
- ٦- اختبار مان - ويتنى (Man-Weatny) بهدف دراسة الفروق والاختلافات بين اتجاهات العاملين بالبنوك بالقطاع الحكومي والخاص لتحقيق الفرض الأول.
- ٧- أسلوب تحليل الانحدار التدريجي المتعدد (Multiple stepwise regression analysis) للتوصل لأفضل توليفة لأبعاد التميز الإداري لتحقيق الفرض الثاني والثالث.

٢- الدراسة الميدانية

١/٢- صلاحية واعتمادية أداة البحث

للتأكد من صلاحية أداة البحث ومدى الاعتماد عليها في قياس متغيرات البحث ودرجة الاعتماد عليها في التحقق من فرضيات البحث، قام الباحث بإجراء دراسة استطلاعية تعتمد على (٤٠) مفردة من أداة البحث المعدة لهذا الغرض، واستخدم الباحث أسلوب الاتساق الداخلي (Inter - consistency) بهدف التأكد من صلاحية الأداة، ومعامل كرونباخ ألفا (Alpha krounpak) للتأكد من ثبات المتغيرات ومدى الاعتماد عليها.

١/١/٢ النتائج الخاصة بأبعاد التميز الإداري

أكدت نتائج الجدول (٤) لنتائج أبعاد التميز الإداري الصلاحية والاعتمادية التي جاءت كالتالي:

النتائج الخاصة بالمرونة: جاءت النتائج معنوية لمعاملات الارتباط عند مستوى معنوية ٠,٠١ مما يعكس أن هذه العناصر على درجة عالية من المصادقية، وأكدت قيمة معامل كرونباخ ألفا (٠,٦٩٧) لجميع العناصر التي يعتمد عليها في قياس البعد والمتغير الخاص بالمرونة.

النتائج الخاصة بالقيادة الفعالة: أكدت النتائج على معنوية معاملات الارتباط عند مستوى معنوية ٠,٠١، مما يعكس أن هذه العناصر على درجة عالية من المصدقية، فيما عدا العنصر الثاني.

الجدول (٤) نتائج الصلاحية والاعتمادية الخاصة بعناصر التميز الإداري بالبنوك محل البحث

معامل كرونباخ الفا	معامل الارتباط لبيرسون	عناصر التميز الإداري
٠,٦٩٧	**٠,٤٧٧	١- المرونة:
		١/١ يشجع العاملين على قبول التغير بالبنك.
	**٠,٧١٣	٢/١ يتوافر لدى البنك التجديد التكنولوجي المستمر.
	**٠,٨٣٥	٣/١ يوجد مرونة في أداء العمل للعاملين في البنك.
٠,٦٣٧	**٠,٨٢٣	٤/١ يحافظ البنك على مرونة التعامل مع عملاء البنك.
		٢- القيادة الفعالة:
	**٠,٥٢٢	٥/١ يوجد فرق عمل ويعمل على تنميتها بالتدريب المستمر.
	٠,٠٢٩	٦/١ يهتم البنك بالانفتاح على العالم الخارجي.
٠,٦٢٨	**٠,٥٤٦	٧/١ يوجد هيكل تنظيمي مناسب مع متطلبات الأداء بالبنك.
	**٠,٧٥٣	٨/١ يحافظ البنك على القيادات الإدارية ذات الخبرات.
	**٠,٧٢٥	٩/١ تلتزم القيادة بقواعد ومعايير لاتخاذ القرارات الإدارية بالبنك.
		٣- نظام تطبيق الجودة الشاملة:
٠,٦٧٠	**٠,٧٤٢	١٠/١ يوجد خطة استراتيجية لها أهداف محددة ومتكاملة لكسب مزايا تنافسية في البنك.
	**٠,٥٥٢	١١/١ يوجد نظام متطور لتطبيق إدارة الجودة الشاملة بالبنك.
	**٠,٨٠٨	١٢/١ يوجد اهتمام من القادة بتطبيق إدارة الجودة الشاملة بالبنك.
		معامل كرونباخ الفا الإجمالية

** تشير لمعنوية معامل الارتباط لبيرسون عند مستوى معنوية ٠,٠١

وهو (٦/١) الذي يهتم البنك بالانفتاح على العالم الخارجي. وبالتالي تم حذفه عند حساب الاعتمادية وعند حساب قيمة معامل كرونباخ الفا (٠,٦٣٧) وله أثر كبير على زيادة القيمة، وانعكس ذلك على درجة عالية من الاعتمادية وقيم المصدقية الخاص بالقيادة الفعالة بشكل عام.

النتائج الخاصة بنظام تطبيق الجودة الشاملة: أكدت النتائج على معنوية معاملات الارتباط عند مستوى معنوية ٠,٠١، مما يعكس أن هذه العناصر على درجة عالية من المصدقية، وانعكس ذلك على درجة عالية من الاعتمادية وقيم المصدقية، وبدراسة ذلك من خلال قيمة معامل كرونباخ الفا تبين أن هذه القيمة جاءت ضعيفة إلى حد ما،

وبين ضعف قيمة الثبات الخاصة بالعنصر الأول وهو (١٠/١) يوجد خطة استراتيجية لها أهداف محددة ومتكاملة لكسب مزايا تنافسية في البنك) ويحذف هذا العنصر وارتفعت قيمة معامل كرونباخ الفا (٠,٦٢٨) مما ينعكس أن هذا البعد أصبح على درجة عالية من الثبات. وبشكل عام درجة الثبات الاجمالية على مستوى أبعاد التميز الإداري، كانت قيمة معامل كرونباخ الفا (٠,٦٧٠) مما يعكس أن جميع العناصر الخاصة بالأبعاد الثلاثة تساهم في قياس الأبعاد الثلاث بشكل مناسب ويعتمد عليها بشكل كبير في القياس.

٢/١/٢- النتائج الخاصة ببعد الإبداع الإداري

يعرض الجدول (٥) نتائج الصلاحية والاعتمادية الخاصة بعناصر الإبداع الإداري

معامل الارتباط لبيرسون	عناصر الإبداع الإداري	
٠,٧٨٦**	١/٣ ترى القيادة أن الإبداع والابتكار شئ عادي لا يستحق التقدير والاهتمام من البنك.	
٠,٦٨٣**	٢/٣ ترى القيادة أنها يمكن القضاء على التنظيمات والجماعات غير الرسمية.	
٠,٧٠٦**	٣/٣ يوجد لديك الجرأة والشجاعة لقيام بتقديم اقتراحات وأساليب جديدة للبنك.	
٠,٦٠١**	٤/٣ يوجد لديك القدرة على اكتشاف أفكار جديدة في أساليب العمل بالبنك	
٠,٦٣١	معامل كرونباخ الفا الإجمالية	

** معنوية معامل الارتباط لبيرسون عند مستوى معنوية ٠,٠١

أكدت النتائج الخاصة ببعد الإبداع الإداري على معنوية معاملات الارتباط عند مستوى معنوية ٠,٠١ وذلك على مستوى كافة جميع العناصر، مما يعكس أن هذه العناصر على درجة عالية من المصدقية، وأكدت قيمة معامل كرونباخ الفا (٠,٦٣١) وأن جميع العناصر يمكن الاعتماد عليها في قياس الإبداع الإداري. مما سبق يتبين أن جميع العناصر تحقق درجة عالية من المصدقية والثبات في قياس أبعاد ومتغيرات البحث فيما عدا العنصرين السابق ذكرهما وبناء على ذلك تم استبعاد كل منهما.

٣/٢- دراسة الأداء السوقي للبنوك محل البحث

قام الباحث باستخدام مجموعة من المؤشرات التي تعكس الأداء السوقي للبنوك محل البحث وفقاً لما ذكره كلاً من: (الشيخ، انجي طاهر عبد الله (٢٠١١) ص ٢٥-٦٣)، (رفاعي، ممدوح عبد العزيز محمد (٢٠٠٦)، ص ٤٥)، (أبو اسماعيل، فؤاد، محمد عبد المحسن الشعراوي، (٢٠٠٥)، ص ٧٣) والموضحة والأربعة مؤشرات هي:

المؤشر الأول: الربحية هي معدل العائد على الأصول أي صافي الربح إلى إجمالي الأصول.

المؤشر الثاني: الربحية هي معدل العائد على حقوق الملكية أي صافي الربح/ حقوق الملكية.

المؤشر الثالث: السيولة هي إجمالي الودائع إلى إجمالي الأصول.

المؤشر الرابع: الأمان هي حقوق الملكية إلى إجمالي الأصول. يعبر المؤشرين الأول والثاني عن الربحية والمؤشر الثالث عن كفاية رأس المال والسيولة، و المؤشر الرابع عن الأمان وفقاً «لاتفاقية بازل» التي لا تقل هذه النسبة عن ٨٪ (Bankers almanac, (2011), p. 48) ولإعادة توصيف عينة البحث استخدم أسلوب التحليل العنقودي (cluster analysis) لتصل إلى مجموعتين مستقلتين بناءً على نتائج التحليل العنقودي. نتائج اختبار «ت» لعينتين مستقلتين على مستوى المؤشرات الأربعة للمقارنة بين المجموعتين بجدول (٦):

جدول (٦) نتائج المقارنة بين مجموعتي البنوك محل البحث
تبعاً للمؤشرات المالية المستخدمة باستخدام اختبار «ت» لعينتين مستقلتين

المؤشرات المالية	مجموعتي البنوك	الوصف الإحصائي		قيمة اختبار «ت» (د.ج)	مستوى الدلالة
		الخطأ المعياري	الوسط الحسابي		
المؤشر الأول: الربحية صافي الربح لإجمالي الأصول	الأولى	٠,٨١٠	١,١٤٣	١,٠١٦	٠,٣٣٩
	الثانية	٠,٥٠٦	٠,٥٠٦	(٨)	غير دالة
المؤشر الثاني: الربحية صافي الربح لحقوق الملكية	الأولى	٠,٩٢٧	١٠,٥٠٦	٥,٠٠٣	٠,٠٠١
	الثانية	٠,٩٢٠	٢,٧١٨	(٨)	عند مستوى ٠,١ دالة
المؤشر الثالث: السيولة إجمالي الودائع لإجمالي لأصول	الأولى	٢,٣٧٣	٨٠,٤٠٧	٠,٦٣٦	٠,٥٤٢
	الثانية	٢,١٣١	٨٢,٧٣٤	(٨)	غير دالة
المؤشر الرابع: الأمان حقوق الملكية لإجمالي الأصول	الأولى	٠,١٦٠	٠,١٩١	١,٣٧١	٠,٢١٢
	الثانية	٠,١٩٥	٠,٥٣٧	(٨)	غير دالة

أكدت النتائج بالجدول السابق على معنوية الفروق بين مجموعتي البنوك من حيث المؤشر الثاني صافي الربح إلى حقوق الملكية، حيث أكد على ذلك قيمة اختبار «ت» لعينتين مستقلتين (ت المحسوبة = ٥,٠٠٣) مما يؤكد على دلالتها الإحصائية عند مستوى معنوية ٠,٠١ بدرجات حرية (٨)، وجاءت الفروق والدلالات الإحصائية لصالح المجموعة الأولى. أما باقي المؤشرات الأخرى أكدت النتائج على عدم وجود فروق دالة إحصائية بين المجموعتين ويمكن القول بأن المجموعة الأولى الأعلى من حيث الأرباح ونجاح مؤشر الربحية الخاص بحقوق الملكية وهو ما أكدت عليه النتائج بالجدول (٦)

بالإضافة إلى وجود زيادة في نسبة مؤشر صافي الربحية إلى الأصول. وبالتالي يمكن القول أن المجموعة الأولى (بنك الإسكندرية، وبنك الشركة المصرفية العربية الدولية، والبنك التجاري الدولي) أكثر ربحية وأقل أمان وسيولة، والمجموعة الثانية (بنك مصر، القاهرة، الأهلي المصري، الأهلي سوستيه جنرال، الوطني المصري، الاتحاد الوطني، بنك HSBC). الأكثر أمان وسيولة وأقل ربحية.

٣- آراء العاملين نحو المشكلات التي تواجه تطبيق التميز الإداري واقتراحات لحلها

تم عرض النتائج بالجدول (٧-٨) من خلال إجاباتهم على الأسئلة المفتوحة:

جدول (٧) آراء العاملين للمشكلات التي تواجه تطبيق التميز الإداري واقتراحات حلها

المشكلات	الاقتراحات لحلها
١- الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تمر بها البلاد تؤثر بدرجة كبيرة على القطاع المصرفي المصري للعاملين بالبنك.	١- تعديل الهيكل التنظيمي مع المهام والمسؤوليات واعادة توزيع الأدوار بما يحقق التطوير والتحسين المستمر بجميع الأقسام بالبنك واتفقت مع نتائج دراسة (د. محمد جلال سليمان صديق، (٢٠٠٦)، ونشر ثقافة المعرفة.
٢- الوساطة والمحسوبية للعمل في البنوك للعاملين بالبنك.	٢- الربط بين تقييم الأداء الدوري الوظيفي والحوافز التشجيعية وتنفيذ برامج التطوير للعاملين بالبنك.
٣- صعوبة الإجراءات والرقابة المالية من البنك المركزي تحد من التميز في الأداء للعاملين بالبنك.	٣- تنفيذ سياسات الثواب والعقاب وتشجيع على التميز والإبداع وعمل نماذج موحدة لتقييم الأداء للعاملين بالبنك.
٤- كبر حجم الأعمال وعدد العملاء بالبنك يؤدي إلى عدم القدرة على تطبيق نظم جديدة أو تطبيق الجودة الشاملة بأقسام البنك.	٤- تحديد المهام والمسؤوليات والرقابة المالية بكفاءة وفعالية للعاملين بالبنك.
٥- عدم تقبل النقد من المديرين للتطوير في الأداء للعاملين بالبنوك.	٥- استخدام الدورات التدريبية التي تطور المهارات لاستغلال الطاقات الفكرية للعاملين ونشر ثقافة التفكير المبدع بالبنك.
٦- قلة وجود الخبرات المؤهلة من العاملين لكي تساعد الإدارة في تطبيق التميز الإداري بالبنوك.	٦- التعاون والتنسيق بين الإدارة والعاملين والمشاركة بينهم في جميع المستويات الإدارية للعاملين بالبنك.

المصدر: إجابات المستقصى منهم للعاملين بالبنوك محل البحث بقائمة الاستقصاء بالملحق (١)

١/٤- آراء العاملين نحو آلية التنفيذ لاقتراحات العاملين نحو تطبيق التميز الإداري

تم عرض النتائج بالجدول (٨) من خلال الأسئلة المفتوحة الموجهة إلى العاملين بالبنوك محل البحث بالمحلق (١).

الجدول (٨) آراء العاملين نحو آلية التنفيذ لاقتراحات تطبيق التميز الإداري بالبنوك

المسؤول عنها	آلية التنفيذ
١- الإدارة العليا وإدارة الموارد البشرية بالبنك.	١- تعديل الهيكل التنظيمي وتحديد المهام والمسؤوليات، وإعادة توزيع الأدوار بما يحقق التطوير والتحسين المستمر، وتوصيف وتحليل الوظائف واختيار العاملين بالبنك.
٢- الإدارة العليا مع إدارة الموارد البشرية.	٢- الربط بين تقييم الأداء الدوري الوظيفي والحوافز التشجيعية وتنفيذ برامج التطوير يتم بالتدريب على جودة الأداء للعاملين بالبنك.
٣- إدارة تسويق العلاقة مع العملاء لتلبية متطلباتهم.	٣- نشر ثقافة العامة لبيئة المعرفة وتسويق العلاقة مع العملاء بالبنك.
٤- إدارة البحوث والتطوير التي توجد الخدمات البنكية المتطورة والمبدعة لتسويق لخدمات بالبنك.	٤- تشجيع العاملين على التميز والإبداع، وعمل نماذج موحدة لتقييم الأداء للعاملين بالبنك.
٥- المديرين في الإدارة العليا والوسطى والمباشرة بالبنك.	٥- تحديد المهام والمسؤوليات للعاملين والرقابة المالية بكفاءة وفعالية بالبنك.
٦- الإدارة العليا وإدارة التدريب وتحديد الاحتياجات التدريبية للعاملين بالبنك.	٦- استخدام الدورات التدريبية التي تطور المهارات لاستغلال الطاقات الفكرية للعاملين ونشر ثقافة التفكير المبدع بالبنك.
٧- المديرين في الإدارة العليا والوسطى والمباشرة بالبنك.	٧- التعاون والتنسيق بين الإدارة والعاملين والمشاركة بينهم في جميع المستويات الإدارية للعاملين بالبنك.

المصدر: إجابات المستقصى منهم للعاملين بالبنوك محل البحث بقائمة الاستقصاء بالمحلق (١)

٥- النتائج والتوصيات

١/٥- نتائج اختبار فروض البحث

يتكون الفرض الرئيسي للبحث من «لا يوجد تأثير معنوي بين البنوك التجارية في مصر بالقطاع العام والخاص حول تأثير التميز الإداري على الإبداع»، وينقسم للفروض الفرعية التالية:

١/٥-١- نتائج اختبار الفرض الأول: «لا توجد فروق معنوية ذات دلالة إحصائية من حيث اتجاهات العاملين بالبنوك محل البحث حول عناصر: آلية التطبيق، التميز الإداري والإبداع الإداري، وفقاً لنوع القطاع الذي ينتمي إليه»، وقد كانت النتائج بالنسبة لعناصر آلية التطبيق التميز الإداري: كما في الجدولين (٧-٨) تؤكد أن هناك ثلاث عناصر لها دلالة إحصائية بين اتجاهات العاملين تبعاً لنوع القطاع ولصالح القطاع الحكومي وهي:

يوجد دوافع للتعبير عن الأفضل لدى العاملين بالبنك، ويتم تطبيق نماذج للتميز الإداري بالبنك، ويوجد مرجعية إرشادية لقياس مدى التقدم بالبنك، أما باقي العناصر أكدت النتائج على عدم وجود فروق معنوية ذات دلالة إحصائية بين اتجاهات العاملين حسب نوع القطاع الذي ينتمي إليه البنك. وبالنسبة للإبداع الإداري أكدت النتائج على عدم وجود فروق دالة إحصائية بين اتجاهات عينة البحث وفقاً لنوع القطاع، وأكد ذلك اتجاهات عينة البحث في القطاعين الحكومي والخاص. يمكننا قبول الفرض الأول للبحث بشكل جزئي يميل اتجاه القبول بشكل كبير.

٢/١/٥- نتائج اختبار الفرض الثاني: «لا يوجد تأثير معنوي ذات دلالة إحصائية للأبعاد الخاصة بالتميز الإداري (المرونة، القيادة الفعالة، نظام تطبيق الجودة الشاملة) على الإبداع الإداري بالبنوك التجارية العاملة بالاقتصاد المصري محل البحث». كما لا يوجد تأثير معنوي ذات دلالة إحصائية للأبعاد الخاصة بالتميز الإداري (المرونة، القيادة الفعالة، نظام تطبيق الجودة الشاملة) على الإبداع الإداري بالبنوك التجارية العاملة بالاقتصاد المصري محل البحث. المرونة لها تأثير طردي كلما زادت المرونة بالبنوك أدى لزيادة الإبداع الإداري. أما نظام تطبيق الجودة الشاملة لها تأثير عكسي كلما طبقت الجودة الشاملة قللت من فرصة الإبداع الإداري للعاملين في البنوك محال البحث يمكن القول بأن البنوك تحتاج إلى المرونة في قبول التغيير والتجديد التكنولوجي والمحافظة على المرونة في أداء العمل ومع التعامل مع عملاء البنك لزيادة الإبداع الإداري. أما نظام تطبيق الجودة الشاملة واهتمام القادة بتطبيقه يعرقل الإبداع للأفراد ويؤثر على الأداء. يمكن رفض صحة الفرض الثاني للبحث بشكل قاطع بالرغم من وجود اختلاف وتباين في النماذج الثلاثة.

٣/١/٥- نتائج اختبار الفرض الثالث: «لا يوجد تأثير معنوي ذات دلالة إحصائية عناصر آلية التطبيق للتميز الإداري على الإبداع الإداري بالبنوك التجارية العاملة في الاقتصاد المصري محل البحث». أكدت النتائج على أن أهم المتغيرات التي تساهم في تصنيف المشاهدات في أي من مجموعتي البحث هم: (الإبداع الإداري، يتم تطبيق نماذج للتميز الإداري بالبنك، يوجد تحسين مستمر لأداء العاملين بالبنك، ويوجد مرجعية إرشادية لقياس مدى التقدم بالبنك). واتفقت مع الدراسة (khan, Rabia inam, 2011) نشر الثقافة بين العاملين بالبنوك ومراجعة المكافآت من الأقدمية إلى الكفاءة، هذا بالإضافة لوجود تباين من حيث عدد المتغيرات المفسرة والتي جاءت نتائج القطاع الحكومي، إلا أنه بالرغم من وجود التباين والاختلاف هناك اتفاق واضح على أهمية العنصر الخاص

(يوجد تحسين مستمر لأداء العاملين بالبنك) وأنه مشترك بالنماذج الثلاث. مما سبق يمكننا رفض صحة الفرض الثالث للبحث بشكل قاطع بالرغم من وجود تباين واختلاف للنتائج الثلاث.

٢/٥- نتائج البحث

- ١- ضرورة الاهتمام بدوافع للتعبير عن الأفضل لدى العاملين لتطبيق عوامل التميز الإداري بالبنوك محل البحث.
- ٢- استخدام وتطبيق نماذج للتميز الإداري ويكون هناك مرجعية إرشادية لقياس مدى تقدم البنك أسوة بالبنوك الأخرى للتفوق التنافسي بالبنوك محل البحث.
- ٣- التركيز على المرونة في قبول التغيير والتجديد التكنولوجي والمحافظة على المرونة في أداء العمل للعاملين وبعضهم وعند التعامل مع عملاء البنك لزيادة الإبداع الإداري.
- ٤- اهتمام القيادة الفعالة بفرق العمل وتدريبها المستمر وتهيئة مناخ البنك بالهيكل التنظيمي المناسب مع متطلبات الأداء بالبنك.
- ٥- إن اهتمام القيادة بتطبيق نظام تطبيق الجودة الشاملة يعرقل الإبداع الإداري للأفراد ويؤثر على أدائهم، والتوصل لتطبيق التميز الإداري والتحسين المستمر لأداء العاملين بالبنك.
- ٦- أهمية وجود مرجعية إرشادية لقياس مدى التقدم بالبنك تؤثر على الإبداع الإداري للبنوك.
- ٧- نشر الثقافة بين العاملين بالبنوك ومراجعة المكافآت من الأقدمية إلى الكفاءة، وتطبيق آراء العاملين للمشكلات التي تواجه تطبيق التميز الإداري واقتراحات حلها وآلية التنفيذ لاقتراحات العاملين لتطبيق التميز الإداري بالبنوك محل البحث.

٣/٥- توصيات البحث

- ١- معالجة المديرين لخوف العاملين من التغيير ومقاومة المنظمات له، وتفضيل حالة الاستقرار وقبول الوضع الراهن، ولا يشغل المديرين بالأعمال اليومية الروتينية، ورفض الأفكار الجديدة واعتبارها مضيعة للوقت للعاملين بالبنوك.
- ٢- على المديرين تحري الدقة وألا يكون الالتزام بحرفية القوانين والتعليمات والتشدد والتركيز على الشكل وليس المضمون، والإيمان بتفويض الأعمال الروتينية البسيطة إلى العاملين والإيمان بأهمية المشاركة من قبل العاملين بالبنوك.

٣- أن يراعي المديرين ألا يكون الإنجاز والتفوق زائد يتجاوز قدرات الزملاء في العمل، ويشعرهم بالخطر والتهديد مما يحفزهم على النيل من الفرد المبدع أو الابتعاد عنه وعزله عن العاملين بالبنوك.

٤- ضعف الحوافز المادية والمعنوية، تجعل العاملين منشغلين بتدبير أمورهم ومصادر رزقهم وتجنبهم العمل الإبداعي والأداء في العمل للعاملين بالبنوك.

٥- الإدارة لها الدور الأساسي في تحفيز العاملين وإشراكهم في وضع وتنفيذ الأهداف التنظيمية والتعاون، وإيجاد البيئة المناسبة داخل البنك، فإذا ضعفت كفاءة الإدارة كانت مؤثرة على الإبداع للعاملين. والاتصال بين العاملين والمسؤولين في الإدارة العليا حتى يتم التوصل لأفكارهم ومقترحاتهم ومناقشتها معهم وتحديد كيفية التوصل لآلية التنفيذ.

٦- اهتمام المديرين بعدم تحديد سلوك العاملين وفق الأدوار الرسمية فقط، لأنه يؤثر على الإبداع فكلما زادت الأدوار تحديداً قل مجال الإبداع فلا يترك مجالاً للأفكار الجديدة.

٧- زيادة الولاء التنظيمي للعاملين بالبنك، مما يؤدي لأعلى إنجاز من المهام، ويعمل بشكل ابتكاري للإبداع، كثيراً ما تكون العادات في التفكير عائقاً أمام الإبداع فالتعامل مع الأفكار دون تعمق، واعتبارها مسلمات غير خاضعة للنقاش يشكل حاجزاً كبيراً للإبداع.

٨- مواجهة المعوقات التي تحد من الإبداع الإداري كزيادة ضغوط العمل المصرفي، والجمود في تنفيذ القوانين، وعدم ملائمة المناخ التنظيمي السائد للإبداع.

٦ - الدراسات المستقبلية

توصي الباحثة بالأفكار التي قد تفتح آفاقاً جديدة للبحوث:

١/٦- أثر ثقافة العاملين بالبنوك وارتباطها بالتميز الإداري للبنوك.

٢/٦- دراسة التميز الإداري وعلاقته برضا العملاء بالإدارات المختلفة للبنوك.

٣/٦- دراسة أثر التميز الإداري على تحقيق المزايا التنافسية في البنوك.

٤/٦- العلاقة بين التميز والإبداع والجودة الشاملة في البنوك.

١/٧- المراجع العربية

- ١- أبو اسماعيل، فؤاد، د. محمد عبد المحسن الشعراوي، (٢٠٠٥)، الإدارة المالية، القاهرة، كلية التجارة الأزهر.
- ٢- آل مراد، نجلة يونس محمد، أحمد مؤيد عطية الحياي، (٢٠٠٩)، «مؤشرات نجاح نظام المعلومات الإدارية ودورها في الإبداع والتميز»، دراسة استطلاعية في المصارف الحكومية والأهلية في مدينة الموصل. قدم في المؤتمر العلمي الثالث لكلية الاقتصاد والعلوم الإدارية جامعة العلوم التطبيقية الخاصة، بالأردن، بعنوان «إدارة منظمات الأعمال التحديات العالمية المعاصرة».
- ٣- الحارثي، إبراهيم بن أحمد (٢٠٠٩)، تعليم التفكير، الطبعة ٤، القاهرة، الرابطة العالمية.
- ٤- السلمي، علي، (٢٠٠٢)، إدارة التميز نماذج وتقنيات الإدارة في عصر المعرفة، القاهرة، دار غريب.
- ٥- الشيخ، انجي طاهر عبد الله (٢٠١١)، «تقييم دور البنوك التجارية العامة في عمليات الاصلاح المصرفي في مصر»، مجلة الاقتصاد والتجارة، جامعة عين شمس، العدد ٣ يوليو.
- ٦- السويطي، شليبي اسماعيل، (٢٠٠٩)، «واقع الإبداع لدى ادارات المصارف العاملة في الضفة الغربية»، جامعة القدس المفتوحة، فلسطين، قدم في المؤتمر العلمي الثالث لكلية الاقتصاد والعلوم الإدارية جامعة العلوم التطبيقية الخاصة، بالأردن، بعنوان «إدارة منظمات الأعمال التحديات العالمية المعاصرة».
- ٧- الخالدي، صالح عابر بشيت، (٢٠١٢) «دور أبعاد جودة الخدمة وقدرات التعليم التنظيمي في تطوير ثقافة التميز» جامعة الشرق الأوسط استكمالاً للحصول على درجة الماجستير في إدارة الأعمال.
- ٨- المشوط، محمد سعد فهد، جامعة الشرق الأوسط، (٢٠١١)، «أثر بيئة العمل على الإبداع الإداري»، استكمالاً للحصول على درجة الماجستير في إدارة الاعمال، دراسة تطبيقية على أكاديمية سعد العبد الله للعلوم الأمنية بدولة الكويت.
- ٩- الهاشمي، محمد الطاهر، (٢٠١٠)، المصادر الإسلامية والمصارف التقليدية ودورها في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية، الطبعة ١، ليبيا، دار الكتب الوطنية.
- ١٠- المطيري، مبارك مطلق، (٢٠١١)، «مدى ادراك المديرين لأسلوب المقارنة المرجعية في الأعمال الإلكترونية وأثره على تحقيق التفوق التنافسي لدى البنوك التجارية الكويتية»، استكمال درجة الماجستير، جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا بالكويت.
- ١١- توفيق، عبد الرحمن، (٢٠٠٢)، هكذا يفكر القادة الأكثر إبداعاً، الطبعة ١، القاهرة، مركز البحوث المهنية للإدارة.
- ١٢- توفيق، عبد الرحمن، (٢٠٠٨)، هكذا يفكر القادة الأكثر إبداعاً، الطبعة ٢، القاهرة، مركز البحوث المهنية للإدارة.
- ١٣- دروزة، سوزان صالح، (٢٠٠٨)، «العلاقة بين متطلبات إدارة المعرفة وعملياتها وأثرها على تميز الأداء المؤسسي»: دراسة تطبيقية في وزارة التعليم العالي بالأردن، جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا، استكمالاً للحصول على درجة الماجستير في إدارة الاعمال.
- ١٤- رفاعي، ممدوح عبد العزيز محمد، (٢٠٠٦)، «تقييم المنهج المتكامل لاستبعاد الفاقد وستة سيجما بالبنوك المصرية» المجلة العلمية لكلية التجارة، جامعة عين شمس.

- ١٥- صديق، محمد جلال سليمان، (٢٠٠٦)، «أثر الثقة التنظيمية على إدراك العاملين لإدارة المعرفة في البنوك التجارية»، المجلة العلمية لتجارة الأزهر، فرع تفهنا الأشراف، العدد ٣.
- ١٦- عاشور، سمير كامل، سامية أبو الفتوح سالم، (١٩٩٤)، مقدمة لنظريات العينات.
- ١٧- محمد، نبيل عبد المنعم، (٢٠١٠)، «إطار مقترح لاستخدام مدخل بطاقات القياس المتوازن لتقييم الأداء بالبنوك المصرية»، المجلة العلمية للاقتصاد والتجارة، كلية التجارة جامعة عين شمس، العدد الأول.
- ١٨- ميرفي، كريستوفر، ترجمة د. خالد العامري، (٢٠٠٨)، فن إدارة التنافس، القاهرة، دار الفاروق للنشر. ٢/٧ النشرات.
- ١٩- دليل المصارف والمؤسسات المالية والعربية، الجزء الثالث، اتحاد المصارف العربية، ٢٠١٠م.
- ٢٠- المجلة الاقتصادية، قطاع الإحصاءات والتقارير الاقتصادية، البنك المركزي المصري، ٢٠١٠/٢٠١١م.
- ٢١- المجلة الاقتصادية، قطاع الإحصاءات والتقارير الاقتصادية، البنك المركزي المصري، ٢٠٠٩/٢٠١٠م.
- ٢٢- النشرة الإحصائية الشهرية، العدد (١٨٥) أغسطس ٢٠١٢، قطاع الإحصاءات والتقارير الاقتصادية، البنك المركزي المصري.
- ٢٣- النشرة الإحصائية الشهرية، العدد (١٨٦) سبتمبر ٢٠١٢، قطاع الإحصاءات والتقارير الاقتصادية، البنك المركزي المصري.
- 24-Bankers almananc (2011), vol. 3, 1. 2, January, p, 48.

٣/٧- المراجع الأجنبية

- 25- Benjamin, Akinyemi, (2012) “human resource development climate and employee commitment in recapitalized nigerian banks”, “International Journal of Business and Management Vol. 7, No. 5; March.
- 26- Donald j. Noone, (2001) “The skills you need to Succeed in the Business world creative problem solving”, (2nd ed, New york, Barrons Educational Series, Inc.
- 27- Cooper, Donald R. & Pamela S. Schindler (2011) “Business Research Methods” (11th, New york, Mcgraw-Hill International edition.
- 28- Gallo Donna M., (2008) “organizational response to change: aresource based view from the commerical banking industry.
- 29- Josephf. Hair, William c. Black, Barry, Rolph e. Andersob, (2009), multivariate data analysis, prentice Hall.
- 30- khan, Rabia inam, (2011), Strategic conduit towards a chieving Employee Retention and job satisfaction in Banking sector of bakistan “Human Resource Management Academic Research Society, vol. 1, no. 1.
- 31- shamah, Rania a. m, (2008) “Afame work for enhancIng productivity through the application for knowledge management “the international journal of knowledge culture &change management, vol8, no3.
- 32- Mohanbir sawhney, Robert c. wolcott and lingo Arroniz, (2006). “the 12 Different ways for companies to innovate “Business performance management, vol47, no. 3.
- للتوسع في نموذج فيشر يمكن الرجوع إلى:
- 33- Barro, Robert j (1997), macroeconomics, uk: Cambridge, the mit press.
- 34- Fisher, irving (1977) the theory of interest, Philadelphia, porcupine press.

٨- الملاحق

ملحق (١)

استمارة الاستقصاء الموجهة إلى العاملين بالبنوك في مصر محل البحث
 إعداد: د. ألفت إبراهيم جاد الرب، أستاذ إدارة الأعمال المساعد بكلية التجارة/ جامعة الأزهر

السيد الفاضل السيدة الفاضلة

تحية طيبة وبعد...

يهدف البحث إلى معرفة ما يتم في البنوك التجارية في مصر باعتبارها ركيزة أساسية للاقتصاد المصري وعنصر من عناصر المزايا التنافسية في الأسواق المالية برجاء التعاون معنا وإبداء الرأي حيث أن آرائكم ستكون محل تقدير، علماً بأنها ستكون سرية من أجل البحث العلمي فقط.

الرجاء وضع علامة صح أو خطأ أمام العبارة التي ترونها مناسبة.

العنصر	مدى التوافر	متوافر تمام	متوافرة	محايد	غير متوافر
أولاً: عوامل التميز الإداري ١- المرونة: ١/١- تشجيع العاملين على قبول التغير بالبنك					
٢/١- يتوافر لدى البنك التجديد التكنولوجي المستمر					
٣/١- يوجد مرونة في أداء العمل للعاملين في البنك					
٤/١- يحافظ البنك على مرونة التعامل مع عملاء البنك					
٢- القيادة الفعالة: ٥/١- يوجد فرق عمل ويعمل على تميمتها بالتدريب المستمر					
٦/١- يهتم البنك بالانفتاح على العالم الخارجي					
٧/١- يحافظ البنك على القيادات الإدارية ذات الخبرات					
٨/١- تلتزم القيادة بقواعد ومعايير لإتخاذ القرارات الإدارية بالبنك					
٣- نظام تطبيق إدارة الجودة الشاملة ٩/١- يوجد نظام متطور لتطبيق إدارة الجودة الشاملة بالبنك					

العنصر	مدى التوافر	متوافر تمام	متوافر	محايد	غير متوافر
١٠/١- يوجد خطة استراتيجية لها أهداف محددة ومتكاملة لكسب مزايا تنافسية في البنك					
١١/١- يوجد هيكل تنظيمي مناسب مع متطلبات الأداء بالبنك					
ثانياً: آلية التطبيق التميز الإداري ١/٢- يوجد دوافع للتعبير عن الأفضل لدى العاملين بالبنك					
٢/٢- يوجد للعاملين بالبنك التعلم مدى الحياة والوصول للأفضل					
٣/٢- يتم تطبيق نماذج للتميز الإداري بالبنك					
٤/٢- يهتم بتطبيق أفضل النتائج بأقل الموارد المتاحة البنك					
٥/٢- يوجد تحسين مستمر لأداء العاملين بالبنك					
٦/٢- يوجد مرجعية إرشادية لقياس مدى التقدم بالبنك					
٧/٢- يتم تقدير العاملين ذو الأعمال المتميزة بالبنك					
ثالثاً: الإبداع الإداري ١/٢- ترى القيادة أن الإبداع والابتكار شيء عادي لا يستحق التقدير والاهتمام من البنك					
٢/٢- ترى القيادة أنها يمكن القضاء على التنظيمات والجماعات غير الرسمية					
٣/٢- يوجد لديك الجرأة والشجاعة لقيام بتقديم اقتراحات وأساليب جديدة للبنك					
٤/٢- يوجد لديك القدرة على اكتشاف أفكار جديدة في أساليب العمل بالبنك					

التمييز على أساس النوع الاجتماعي وأثره على مشاركة المرأة في التنمية

أ.ة. سعاد مولود المريمي



مصطفى حجازي هي أفصح الأمثلة عن وضعية القهر بكل أوجهها ودينامياتها في المجتمع المتخلف، وفي وضعيتها تتجمع كل تناقضات المجتمع فالمرأة وفق للمنظور التقليدي تحتل مكانة أدنى من الرجل، حيث تلعب الأنماط الثقافية السائدة حول (الذكورة والأنوثة) دورها في تهميط أدوار كل من المرأة والرجل ويمتد هذا الوضع منذ الولادة من خلال مايعززها التشكيل الثقافي من تمييز أو مساندة بين الجنسين (النوع).

المقدمة

تعد الثقافة عاملاً أساسياً في تحديد مكانة المرأة والنظرة الاجتماعية لها ولأدوارها، لذلك فإن التوجهات الثقافية السائدة تلعب دوراً هاماً في فهم واقع المرأة، كما أنها تُعد هدفاً للمراجعة والإصلاح وفقاً لمرجعية متفتحة ومستتيرة من حيث كونها أداة للتعبير لهذا الإصلاح، ويعالج البحث بعض المسائل ذات العلاقة بالمرأة العربية بشكل عام، وعلى رأس تلك المسائل تهميش الأدوار التي تقوم بها المرأة، ومن خلال النظرة التمييزية ضد المرأة تؤثر سلباً على مشاركتها في النهوض بالمجتمع من خلال برامج التنمية المستدامة، وي طرح البحث بعض التساؤلات حول هذه العلاقة ومآلها من تأثير على مشاركة المرأة، في التنمية، حيث أن المرأة كما ورد في كتابات

• أستاذة علم الاجتماع في جامعة الزيتونة /ليبيا. dgfdg_ghiol@yahoo.com

مشكلة البحث

تتعدد المظاهر الاجتماعية للقهر النسائي وتبدي في صيغ تتجلى في سياقات ثقافية غير قابلة للاختزال في صورة معطيات إحصائية مثل القيم الثقافية والاجتماعية التي تُكرس للمرأة وضعية القهر المعهودة فالرواسب الثقافية التي تضع المرأة في موقع القصور والدونية. مازالت في أوج قوتها وما زلت تجد ينابيع تاريخية تارة تدفعها إلى النشاط والحيوية في كل مرحلة أو حقبة تاريخية وتضرب هذه الرواسب الثقافية جذورها في عمق الثقافة التقليدية التي تجعل المرأة دائماً في مرتبة أدنى من مرتبة الرجل، فالمرأة تُعد منذ طفولتها لدور سلبي في الحياة الاجتماعية ومع تزايد القلق الدولي عن استمرار ظاهرة التمييز ضد المرأة وتهميش دورها وما يترتب عليه من هدر للطاقة وتعطيل لقوى أساسية في عمليات التنمية الشاملة، حيث يعتبر قطاع المرأة مورد بشري مهم في التنمية الشاملة، ولا بد من حضورها وتواجدها في كافة المجالات لذلك تعمل المجتمعات جاهدة إلى إحداث تغيير جذري في أوضاع المرأة تنهي به التمييز والتهميش ضدها والمرأة اللبيرة كغيرها من النساء لا زالت تعاني التمييز المقنن والإقصاء الاجتماعي الهيمنة الذكورية، حيث تجد نفسها في مرتبة دونية داخل الأسرة والمجتمع ولا تتمتع إلا بالقليل من الحماية في بعض جوانب القانون بينما يعمل بعضها الآخر على تكريس التفوق الذكوري يجعلها تتسم بالخضوع مما أدى إلى تهमيش دورها وإسهاماتها في ميادين التنمية.

أهمية البحث

للمرأة أدوار مهمة في المجتمع وأهم هذه الأدوار هو العناية بالآخرين وخاصة أفراد الأسرة، حيث لا يقتصر دورها داخل الأسرة على الدور الإيجابي والتربوي فقط فحتى الأطفال ذكوراً أو إناثاً تستمر عنايتها بهم حتى بلوغهم سن الشباب، وكذلك العناية بالزوج، وبالنسبة لدورها خارج المنزل وخاصة في مجالات الصحة والتعليم، تؤدي وظائفها في هذين المجالين انطلاقاً من الدور الطبيعي لها، ورغم ذلك هناك فروق واضحة على تهميش هذه الأدوار، حيث ينظر ذلك إلى الممرضة مثلاً أقل قيمة من دور الأطباء في مختلف الثقافات الغربية والعربية على السواء، ولقد كانت للمرأة مكانة بارزة ومميزة ودوراً هاماً في حياة الأسرة، حيث كانت تقوم بكافة الأعباء المنزلية من غسل الملابس وإعداد الطعام وتربية الأطفال وجلب المياه وحلب الحيوانات وصناعة الأطعمة والملبوسات وجمع الحطب، وكانت إلي جانب ذلك تُشارك الرجال في أعمال الزراعة ورعى الحيوانات وتُساهم في الاكتفاء الذاتي من الناحية الاقتصادية مما يُشكل العبء الأكبر من المسؤولية والذي يقع على عاتقها، ووفقاً لهذا المدخل فإن هناك عدداً من

المحددات لمكانة المرأة من خلال الواقع الاجتماعي والثقافي الذي تعيشه ولعل أهمها في هذا الإطار تأثير الثقافة في النظرة الاجتماعية للمرأة والتي تتضح من خلال عدد من المؤشرات، تطرح فيما يُعرف (بالتدرج الاجتماعي على أساس الجنس الذكورة والأنوثة التنشئة الاجتماعية وتقسيم الأدوار).

أهداف البحث

١- معرفة أبرز الصعوبات والمشاكل التنموية التي تواجه المرأة العربية بصفة عامة.

٢- التعرف على الحقوق الإنسانية التي ينبغي أن تتمتع بها المرأة بصفة متساوية مع الرجل والتي تتحقق من خلالها التنمية المستدامة.

٣- التعرف على العوامل التي تؤدي إلى انخفاض مشاركة المرأة في كافة مجالات الحياة ومدى تأثير ذلك على مكانتها الاجتماعية.
يستهدف البحث الاجابة على التساؤلات التالية:

- ماهي أبرز المشاكل والصعوبات التنموية التي تواجهها المرأة العربية.
- ماهي حقوق المرأة الانسانية التي يجب أن تتمتع فيها بصفة متساوية مع الرجل والتي من خلالها تتحقق التنمية بصفة مُستدامة.
- والعوامل التي تؤدي إلى انخفاض مُشاركة النساء في المجالات السياسية والاقتصادية وما أثرها على مكانتها الاجتماعية.

المرأة العربية والثقافة المجتمعية

بالرغم من صدور الوثائق والاتفاقيات الدولية التي تنصص لحقوق الإنسان والمرأة كالإعلان العالمي لحقوق الإنسان ولائحة القضاء على جميع أشكال التمييز ضدها. إلا أن المرأة لا تزال تعاني التمييز والعنف ضدها، حيث انحصرت النظرة التقليدية لعلاقة الرجل بالمرأة من حيث كونها علاقة غير متكافئة، استناداً إلى أن عمل المرأة خارج نطاق المنزل ماهو إلا عمل هامشي وغير مهم لأنه عمل غير منتج ولا يسهم في قطاع الإنتاج المتداول في سوق العمل وبذلك يعتبر المنزل هو المكان الوحيد الذي يجب أن يحتوي نشاط المرأة، وذلك نتيجة لتبعيتها ومكانتها الأدنى من الرجل، وتأسيساً على مفهوم النوع الاجتماعي الذي يعني تحديد الأدوار الاجتماعية للجنسين والذي يتم حسب منظومة المجتمع الثقافية والاجتماعية والسياسية في حقبة زمنية محددة، أي أن الفروقات التي

توجد بين الذكر والأنثى تنقسم إلى فروقات بيولوجية والأخرى ذات أصل اجتماعي ثقافي يمكن أن تختلف من مجتمع لآخر أو تتغير في كل حقبة تاريخية. (إبراهيم، ٢٠٠٥، ٢٧)

إن المجتمعات البشرية هي التي أجازت تحديد الأدوار والفروقات في السلوكيات والتعبير عن الفرق بين (الذكر والأنثى) بحيث أصبحت القيمة المجتمعية لكل الأدوار التي يقوم بها الرجل هي في مكانة عالية وسلطوية في حين أن الأدوار التي تقوم بها المرأة هي في مكانة متدنية وخضوعية أن نظرة المجتمع لمكانة المرأة ولدورها يكون له الأثر الكبير من تفعيل هذا الدور أو الأقلال منه، إذ أنه ولأسباب عديدة منها التاريخي والديني والاجتماعي استقر في الأذهان ولفترات طويلة أن الرجل هو الذي يسعى لكسب الرزق، وأن المرأة ترعى الأطفال وتُعنَى بشؤون الأسرة والمنزل وكان نتاجاً لذلك بروز فكرة أن الرجل هو المسؤول عن كل أوجه النشاط الاقتصادي وبالتالي فهو المسؤول عن عملية التنمية أن كلمة (الجنس) تعني الفروقات الفسيولوجية بين المرأة والرجل والمتمثلة في الفروقات الجسدية والوظيفة البيولوجية (الإنجاب) في حين أن الفروقات الجنسية بالضرورة لا تحمل معاني قيمةً علياً أو دنياً إلا أنها اصطفت بالقيم حين أصبح الدور الإنجابي البيولوجي للمرأة سبباً في تكريس دورها في تلك الوظيفة مما حجب عنها فرصاً للمشاركة الكاملة في عملية التنمية وجعلها حبيسة لذلك الدور الإنجابي ولما كان مفهوم إدماج المرأة في التنمية الذي ظهر منذ العام (١٩٧٥) حيث بدأ الاهتمام بمعالجة موضوع تهميش دور المرأة ومشاركتها في التنمية تحت شعارات المساواة والمشاركة وكنيجة لعدم تحقيق مشاريع التنمية لأهدافها الرامية إلى تحسين أوضاع المرأة باعتبار أن قضية المرأة هي جزء من قضايا المجتمع وأن النهوض بالمرأة لا يمكن أن يتم إلا في إطار مشروع تنموي وطني متكامل يضمن المساواة والعدالة الاجتماعية بما يؤمن التوظيف الأمثل للموارد البشرية. هنا يمكن أن تُثار مجموعة من الأسئلة. مالمقصود بالتنمية؟ ولماذا هذه الأهمية لدور المرأة فيها؟ وماهي المعوقات التي تحول دون مشاركة المرأة فيها بفاعلية؟ وللإجابة عن هذا الأسئلة ظهر مفهوم التمكين في نهاية الثمانينات الذي يعترف بالمرأة كعنصر فاعل ويسعى إلى القضاء على مظاهر التمييز ضدها وقد حاز على تأييد كبير خلال مؤتمر بكين عام (١٩٩٥) من خلال استراتيجية تُعالج التفاوت بين الجنسين وتعمل على تحريك الجماعات النسائية حول البرامج التنموية للحصول على معاملة متساوية كمشاركات ومستفيدات ويعمل هذا المفهوم على أن تُصبح النساء جزء من مجهودات التنمية الأساسية، كما يهدف إلى وضع استراتيجيات لاعتبار النساء مشاركات ومستفيدات من التنمية ويهدف أيضاً إلى تحسين أوضاع النساء بإتاحة الفرص أمامهن للمشاركة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية السياسية وهي العملية التي تقود إلى إحداث تغيير جذري

في أوضاع المرأة تنهي به التمييز والعنف ضدها واللا مساواة في العلاقات وتوزع القوى بين الرجل والمرأة. (تقرير التنمية البشرية، ٢٠٠٢، ٤٩)

إن كلمة المساواة لا تعني إلغاء الفروقات البيولوجية أي الجنسية بين الرجل والمرأة ولا تعني إلغاء مبدأ توزيع الواجبات وإنما تعني إلغاء التمييز وعدم الإنصاف والاضطهاد والعنف وتقليص وتحجيم القدرات والفرص والتباين في توزيع الموارد والمكانات الاجتماعية والعمل على إحداث تعديل في القوانين والسياسات والآليات والإجراءات التي يمكن من خلالها دعم قدرات النساء وتعديل القيم وتغيير المفاهيم بحيث تتم مشاركة النساء الكاملة في البناء الرئيسي للتنمية وتحقيق المساواة وإزالة كافة أشكال التمييز ضد المرأة. (تقرير التنمية البشرية، ٢٠٠٦، ٦٣)

ومن هذا المنطلق مصطلح النوع الاجتماعي (Gender) وتحديد الأدوار الثلاثة للمرأة (الإنجابي والإنتاجي والمجتمعي) المبنية على النوع الاجتماعي كلها مصطلحات ارتبطت بأطر نظرية، وأن كان لا بد لنا من تحديد مدى وجود تمييز أو لا مساواة في المجتمع فلا بد من إحداث مؤشرات واعية بالنوع الاجتماعي سواء كانت تلك المؤشرات ذات طبيعة كمية أو نوعية وهذه المؤشرات تحمل في طياتها وظائف تشير بصورة أساسية للكيفية التي اتبعت حتى حققت برامج ومشاريع التنمية أهداف المساواة بين النوع الاجتماعي وإلغاء التمييز والفجوة على أساس النوع الاجتماعي هذه المؤشرات تستخدم كمقياس لمعرفة التغيرات التي لها علاقة بمعرفة وضع المرأة في المجتمع أي توضيح إن كان هناك اختلاف واضح في الوضع الاجتماعي لكل من النساء والرجال ؟ وهل هناك تمييز ضد المرأة في نصيبها من حاصل مجهودات التنمية والمشاركة فيها فالتنمية تعمل على تمكين جميع الأفراد من توسيع نطاق قدراتهم البشرية إلى أقصى درجة وتوظيف تلك القدرات أفضل توظيف ممكن في جميع الميادين الإقتصادية والاجتماعية والسياسية والإبداع والاحترام المتبادل لحقوق الإنسان والإرتقاء به بوصفه مسؤولاً عن شؤونه ومقدرته وشريكاً في مقدرات مجتمعه وهو غاية التنمية ووسيلتها ويحمل هذا التوجه التنموي مفهوم الاستدامة التي تعنى بالمعنى الواسع «للاغاية هي مسألة الإنصاف في توزيع الفرص بين الأجيال أو بين الجيل الواحد، حيث يكون من حق كل فرد أن تكون له فرصة عادلة لتوظيف قدرته الممكنة.

والمرأة عضو فاعل في المجتمع وهي أساس كل تنمية وهي أداؤها وهدفها باعتبارها إنسان يستلهم حركة التقدم لتحسين ظروف عيشه وإن فشل الكثير من مشروعات التنمية يعود إلى الفشل في إقصاء المرأة وعدم الاهتمام بها كإنسان مبدع وكمنشئ ومطور ومنفذ

للتنمية وأن وجود خلل في ذلك سيكون مدعاة لفشل التنمية كما أن عدم توفير الحد الأدنى من ضروريات الأمن الاجتماعي والثقافي والاقتصادي هو من دواعم التهميش والتخلف والذي يختصر المرأة في حدود الجسد والانفعال دون الفعل. (تقرير التنمية البشرية، ١٤٨، ١٩٩٩)

التنمية المستدامة والمرأة العربية

يعتبر مفهوم التنمية المستدامة من المفاهيم الرئيسة التي تضمنتها الأهداف الإنمائية للألفية الثالثة، ففي المستويين من التحليل يعتبر التعليم من مقومات التنمية المستدامة، ومن حقوق الإنسان رجلاً كان أو امرأة دون تمييز إلا في القدرات والإستعدادات الفطرية للإنسان، كما تعتبر الثقافة أيضاً من حقوق الإنسان رجلاً كان أو امرأة، وبالرغم من سعة المفهوم المقصود بالثقافة ففي منظور التنمية المستدامة يعتبر حق الخصوصية الثقافية وحق الوصول إلى مصادر الثقافة والمعرفة وحق إبداء الرأي والتعبير عنه، وحق الاختيار من أهم مقومات البُعد الثقافي لتحقيق تنمية مُستدامة للإنسان مهما كان رجلاً أو امرأة ونحن لا ننظر إلى أي اختلاف بين الرجل والمرأة مبني على خلفية عنصرية أو ثقافية أو قومية، فجميع البشر سواسية فالمرأة لها كامل حقوق الإنسان مهما كانت عربية أو غير عربية، ولها الحق أيضاً في التمتع بخصوصيتها الحضارية التي ترتضيها لنفسها دون إكراه أو إجبارية من الآخرين، وأعتقد أنه من المؤسف أن يُصنف البشر على أساس ثقافتهم وخصوصياتهم، وفي نظرنا أن اختلاف الثقافات والخصوصيات يُعد من مصادر الثراء الثقافي ومن مصادر الإبداع الحضاري والثقافي الذي يُغذي الحضارة الإنسانية دائماً بالتميز والإبداع والابتكار، وهذا في نظرنا أيضاً يجب أن يكون دائماً مقترناً بدرجة عالية من التواصل الثقافي والتسامح والتفاهم العالمي الذي يحمي الإنسانية من الصراع السياسي والتطرف والعنف والإرهاب التي هي جميعاً من أمراض ومشاكل عصرنا وحضارتنا في الألفية الثالثة ويجب أن نتوجه إليها بالعلاج التربوي والثقافي الذي يخلق شخصية إنسانية رجلاً كان أو امرأة لها خصوصياتها الحضارية والثقافية، ولكنها خصوصية منفتحة ومندمجة في الثقافة العالمية المشتركة بين جميع بني البشر ولنذكر أنفسنا ماذا تعني التربية في مفهوم التنمية المستدامة، وباختصار إنها تعني:

١- التربية التي تكسب إنسان رجلاً كان أو امرأة مؤهلات وقدرات الحصول على المعرفة، والوصول إليها فعلاً (التعليم المنهجي بحسب مراحل).

٢- التربية التي تكسب المتعلم المهارات والقدرات والقيم والمعرفة التي تضمن التنمية المُستدامة.

- ٢- التربية المتوفرة والموزعة على كل المستويات الاجتماعية، الأسرة والمدرسة ومكان العمل المحلية أو الحي السكني أو القرية أو المدينة.
- ٤- التربية التي تكون موطناً مسؤولاً يُعزز الديمقراطية ويُدافع عنها وبالسماح للآخرين من الأفراد والجماعات (رجالاً ونساءً) وبالتعبير عن آرائهم واحترام اختياراتهم الإنسانية والشخصية.
- ٥- التربية التي تساعد الإنسان رجلاً أو امرأة على تطوير مواهبه وقدراته ومهارته ليكسب رزقه بكرامة، ودون تسول أو اعتماد على قنوات البر والإحسان سواءً من الدولة أو الآخرين.
- ٦- التربية التي تساعد الإنسان رجلاً أو امرأة على تعلم واكتساب ثقافة الحوار والتواصل والتسامح، أي العيش الإيجابي المشترك مع الآخرين مع احترام الخصوصية الفردية أو الجماعية.
- ٧- التربية التي تحرر الرجل من تسلطه على المرأة وسلبه لحقوقها الإنسانية تحت دعوات وشعارات مختلفة مهما كانت مبرراتها. (الحوات، ٢٠١٠، ٣-٤).

المرأة العربية وتحديات التنمية المُستدامة

عندما ندرس واقع المرأة العربية في مقابل أهداف التنمية المستدامة وبالتحديد من زاوية التعليم والثقافة فالملاحظات من كل الأبحاث والدراسات الميدانية ما يلي:

إن المرأة العربية بفضل جهود السياسات التعليمية العربية حققت تطوراً وتقدماً ملموساً ولكن بعض الدراسات تُشير إلى أنه لا يزال أقل من المعدل العالمي، بل حتى أقل من المعدلات الإقليمية مثل: أمريكا اللاتينية وشرق آسيا. فهناك أعداد هائلة من الأميين في الوطن العربي تُقدر بـ (٧٠ مليون) أغلبهم من النساء بل وتحدد بعض الدراسات أن (٤٤ مليوناً) من هذا العدد هم من النساء، وعدد الفتيات الصغيرات العدد اللواتي لم يدخلن أي مدرسة بحوالي (٨,٥ مليون) فتاة صغيرة، هذا إضافة إلى أن التسرب وترك المدرسة أعلى بين البنات من بين الأولاد الذكور.

وتُشير الكثير من الدراسات الميدانية. (حمص، ٢٠١٠، ٣٢) بأن معدل الإلمام بالقراءة والكتابة لدى البالغين في المنطقة العربية قد ارتفع من (٥٠٪ إلى ٦٠٪) بين الأعوان (١٩٩٠-٢٠٠٠) ومن المتوقع أن يتجاوز (٧٠٪) في عام ٢٠١٠ وخلال هذه الفترة ارتفع معدل الإلمام بالقراءة والكتابة كم ٣٥٪ إلى ٤٧٪ لدى النساء البالغات مقابل؟

ارتفاعه من (٦٣,٥ إلى ٧١٪) للرجال، وتبين الإحصائيات أن معدل الإلمام بالقراءة والكتابة لدى المرأة العربية البالغة في عام ٢٠٠٣م كان أدنى بكثير من المعدل المقابل للرجل إذ بلغ (٥١٪) مقابل (٧٤٪) للرجال ويخفي هذا المتوسط الأقليمي فجوات أوسع بين الجنسين في معدلات الإلمام بالقراءة والكتابة، ولعله مما يغذي حجم الأمية بين النساء في البلاد العربية منظومة القيم الثقافية خاصة في الريف والبادية التي لا تولي اهتماماً كبيراً لتعلم البنات حتى لو وجدت المدرسة قريبة منهم، كذلك الفتيات من الأحياء الفقيرة ومدن الصفيح في العواصم العربية الكبرى، وكل هذه الأوضاع تغذي ينابيع الأمية بين النساء وتزيد من الفجوة بين الجنسين، وهذا ما يؤثر ويخل بأهداف التنمية المستدامة، كما حددتها الألفية الثالثة للأمم المتحدة، وإعلان دكار التعليم للجميع (EFA 1990)، وفي المدى البعيد فإن ذلك يؤخر بناء مجتمع المعرفة في الوطن العربي الذي يجب أن يسهم في بنائه الرجال والنساء على السواء. (حمص، ٢٠١٠، ٣٢)

أهم النتائج التي توصل إليها البحث

١- إن المرأة العربية تواجه صعوبات ناتجة عن التناقض بين الثقافية التقليدية المتمثلة في بعض العادات والتقاليد العربية القديمة المرتبطة بالمرأة وبين الثقافة المعاصرة. (التحديث)

٢- افتقار المرأة العربية لبعض الحريات الشخصية، حيث الإنتاج فرص كثيرة لها مثل الراحة الذهنية والترفيه وكل ذلك بسبب ما تواجهه من قيود اجتماعية وثقافية فرضت عليها من خلال نظرة التهميش والدونية.

٣- بالرغم من المجهودات الدولية وسعيها الحثيث لإنصاف المرأة، إلا أن المرأة لا تزال تتعرض لضغوطات سياسية وثقافية واجتماعية من خلال القيود المضاعفة والمركبة التي تعزز الدور التقليدي الذي يزيد من تقييد حريتها ويعمل على شل انطلاقها للمشاركة في بناء مجتمع التنمية المستدامة.

٤- أظهر البحث أن المرأة العربية تفتقر إلى حرية اختيار العمل حيث تقف أمام خيارات محددة مرسومة لها مسبقاً كالتعليم الأساسي والثانوي والتمريض وهذا التمييز يفرض عليها وضعاً مقيداً لنشاطها، وهذا التمييز غير الطبيعي سببه التقليل من أهمية أدوار المرأة ونزعة التفرقة ضدها.

٥- كشف البحث عن انعكاس آثار القيود الثقافية التي تمارس ضد المرأة على مختلف البنى الاجتماعية والتي تعمل على تأجيل الوصول إلى مجتمع التنمية المستدامة، ومجتمع المعرفة والتوصل الثقافي.

التوصيات

١) تشخيص الواقع وتحديد تطلعات المستقبل عن طريق العمل على تعزيز دور المرأة في بناء ليبيا الجديدة بالاعتماد على التعاون والشراكة والتضامن لتحقيق التنمية الشاملة والوصول لليبيا إلى مصاف الدول المتقدمة ولا يتأتى ذلك إلا بخلق تجاوب مستمر لطموحات الكفاءات النسائية.

٢) أن التغيرات الاجتماعية والسياسية والثقافية الحاصلة على المستوى الوطني والدولي تدعو إلى ظهور آليات جديدة تحتم إعادة توزيع الأدوار داخل المجتمع وهو ما يدعو إلى مزيد تفعيل الأدوار الحالية واستشرق أدوار جديدة تتماشى وخصوصيات المرحلة القادمة.

٣) توظيف خطاب على المستوى الدولي ينطلق من المبادئ الثابتة ويوفق بين الالتزام وحرية المبادرة بما يكرس صورة المرأة المشرقة في الخارج وفقاً للتوجيه العالمي من خلال مرجعيات الأمم المتحدة.

٤) استحضار ما يسيطر على الساحة الدولية من مفاهيم حديثة في مجال العلاقات الدولية والحرص على اكتساح الفضاءات الدولية بالانخراط في الشبكات الدولية المنظمة للعمل النسائي العالمي لترسيخ حقوق المرأة والمساواة والتعاون بين نساء العالم ومزيد التعريف بالنموذج الليبي المتميز في هذا المجال.

٥) بناء قدرات المرأة وجعلها أكثر قوة وتأثير عن طريق تطوير الخطاب التربوي والاجتماعي والديني والثقافي والتعليمي، بما يسمح بتنشئة الإنسان في بصفة عامة والمرأة بصفة خاصة ليكون مهياً وقادراً على التعامل مع مستجدات العصر. (العولمة والمعلوماتية)

٦) التأكيد على الدور الفاعل للمرأة في تبوؤ مراكز مهمة على المستوى السياسي كشريك متمكن من أداء دورها الإيجابي والمحصن من كل ما من شأنه تهيمش دورها وإقصائه عن الفعل التنموي الذي يقود إلى المزيد من التآلق والإبداع في المجتمع.

٧) تمكين المرأة من أن تثبت لنفسها وللآخرين أنها أهل للمراكز التي تتبوؤها في المجتمع، ما يمكنها من مضاعفة جهودها وطاقات عملها وذكائها لتسجيل نجاحات ملموسة في إدارة موقعها وتثير نتائجها على نحو يضيء نجاح الرجل وكفاءته في إدارة موقعه.

الخاتمة

أن قضية المرأة ومشاركتها في التنمية هي قضية حضارية، لذلك لا يمكن أن تقتصر على المطالبة بحقوق المرأة فقط بل تتضمن من الجانب الآخر وعي المرأة وامتلاكها الإرادة والإحساس بالمسؤولية تجاه قضاياها وقضايا مجتمعها بشكل خاص وقضية التقدم الاجتماعي عموماً والنهوض بواجباتها بمسؤولية في كل الأدوار التي تقوم بها، ويمكن أن نشير إلى أنه لا يمكن في مساهمة متعجلة كهذه؛ الإحاطة بكل الجوانب التي تحتاج جهود جماعية خبيرة وعقول علمية تعمل على توفير سبل الحماية والرعاية والتنمية الاجتماعية من خلال استراتيجية متمكنة بما يحقق للمرأة الليبية الرفاه الاجتماعي في ظل الاستقرار والسلم والأمان الاجتماعي والتصدي الوقائي لمظاهر الإقصاء الاجتماعي وبشراكة حقيقية بين منظمات المجتمع المدني العاملة في المجال ومواصلة الجهد من أجل تدليل المعوقات والتحديات والعقبات التي تحول دون تنمية المرأة وتمكينها في كافة المجالات تحقيقاً للأهداف المنشودة والتي تعمل على إيجاد تنمية مستدامة وشاملة تجني ثمارها المرأة في كل مواقعها من خلال سياسات المرجعيات الداعمة لاستراتيجية تمكين المرأة.

المراجع

- ١- المختار محمد إبراهيم (٢٠٠٥) التنمية والفساد في ظل تدهور القيم «تحليل اجتماعي»، المركز العالمي للأبحاث والدراسات، طرابلس العدد ٢١، مجلة دراسات.
- ٢- التقرير الوطني للتنمية البشرية ٢٠٠٦.
- ٣- التقرير الوطني للتنمية البشرية ١٩٩٩.
- ٤- التقرير الوطني للتنمية البشرية ٢٠٠٢.
- ٥- على الهادي الحوات، ٢٠١٠، التنمية البشرية في عالم متغير، دراسة في المجتمع والاجتماعي، طرابلس، ط ١.
- ٦- على الهادي الحوات، ٢٠١٠، والمرأة العربية بين مجتمع التقاليد وثقافة الحداثة، المؤتمر الثالث لمنظمة المرأة العربية، تونس.
- ٧- هالة حمص، ٢٠١٠، دراسة للألسكو، موقع المرأة العربية في التنمية، صحيفة النهار اللبنانية، شبكة المعلومات.

دور الأسرة في تدعيم الأمن الفكري داخل المجتمع الجزائري

أ. سمير جوهاري



الملخص

مما لا شك فيه أن الأسرة هي أولى المؤسسات الاجتماعية التي يتفاعل معها الطفل بصورة مباشرة وجهاً لوجه منذ ولادته، ففيها (أي الأسرة) يتلقى الطفل أساسيات التربية والتنشئة الاجتماعية، ويستقي منها قيماً وعادات وتقاليد المجتمع، ومنها يبني المعالم الأولى لشخصيته. فالأسرة هي حلقة الوصل الأهم بين الفرد والمجتمع، وفيها يتعلم الطفل حقوقه الفردية وحقوق الآخرين وحقوق المجتمع الذي ينتمي إليه ويعيش فيه. لذا نسعى في هذه المداخلة إلى إبراز دور الأسرة في وقاية أبنائها من الانحراف الفكري وتحقيق الأمن الفكري داخل المجتمع الجزائري، من خلال التطرق إلى المحاور التالية:

- أولاً: مفهوم الأمن الفكري وأهميته في الأسرة والمجتمع.
- ثانياً: مفهوم الانحراف الفكري.
- ثالثاً: مفهوم الأسرة.
- رابعاً: واقع الأمن الفكري في الجزائر.
- خامساً: أسباب الانحراف الفكري التي تهدد الأسرة الجزائرية.
- سادساً: دور الأسرة الجزائرية في تدعيم الأمن الفكري داخل المجتمع الجزائري.

• أستاذ مساعد في جامعة ابن خلدون تيارت، وطالب دكتوراة/الجزائر. samirdjouhari@yahoo.fr

Abstract

There is no doubt that the family is the first social institutions that interact with the child directly and face- to-face since birth, wherein (ie family) has a child the basics of education and socialization, and draws them values, customs and traditions of the community, which builds the first milestones of his character. The family is the most important link between the individual and society, and where the child learns individual rights and the rights of others and the rights of the community to which he belongs, and he lives. So we are in this contribution is to highlight the role of the family in the protection of intellectual deviation of their children and to achieve intellectual security within Algerian society, by addressing the following themes:

- **First:** the concept of intellectual security and its importance in the family and society.
- **Second:** the concept of intellectual deviation.
- **Third:** the concept of the family.
- **Fourth:** the reality of intellectual security in Algeria.
- **Fifth:** the causes of intellectual deviation that threaten the Algerian family.
- **Sixth:** The role of the family in the Algerian strengthen intellectual security within Algerian society.

مقدمة

إن أحسن مثال يمكن الاستعانة به لتوضيح مفهوم الأمن الفكري يعود بنا إلى عصر ابن خلدون وهذا من خلال ما جاء في التراث الفكري لمؤسس علم الاجتماع وصاحب كتاب «العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر» العلامة الاجتماعية والسياسي حينما قال عبارته المشهورة «إذا عربت خربت» بضم العين والخاء معاً، وإن كان يعاب على الكثير من متقفيها سوء فهم هذه الفكرة، بل أصبح البعض يتغنى بها ويستعملها أكثر لتجسيد التفرقة بين أبناء الوطن الواحد، وهنا كان من واجبنا رفع اللبس عن هذه الفكرة، فابن خلدون كان يقصد أن فكر الأعراب (سكان البادية) وعند استعماله وتطبيقه في المدنية أو الحضارة يفسدها ويخربها، فالأعراب كانوا عندما يدخلون المدينة ونتيجة لفكرهم المختلف عن الفكر المدني فهم لا يستغلون وسائل الحضارة المادية استغلالاً عقلانياً مما يؤدي إلى تخريب الحضارة، وهنا نلاحظ كيف أن استعمال فكر معين في مجتمع مختلف يؤدي بهذا الأخير إلى التخريب والدمار.

أما مصطلح «الأمن الفكري» بمفهومه الحديث فقد ظهر في الغرب مع منتصف القرن العشرين حيث ظهرت مؤشرات تغير كبيرة على مستوى أساليب الحياة وبدأت الحدود الجغرافية في الزوال تدريجياً بفضل التقنيات الحديثة التي أحدثت ثورة معلوماتية ومعرفية هائلة أصبحت بموجبها مؤشرات الحضارة المادية منها والفكرية عرضة للخطر الأمر الذي تطلب ضمان حمايتها وتأمينها باستمرار، أما في المجتمعات العربية فلم يبرز هذا المصطلح إلا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، وارتبط ظهوره بما يعرف بظاهرة الإرهاب كمفهوم حديث وما يسبقه من فكر متطرف هدام.

إن ظاهرة الإرهاب التي يتحدث عنها العالم اليوم ليست وليدة الساعة بل تضرب بأطنابها في أعماق المجتمعات القديمة مهما تعددت دياناتها واتجاهاتها الفكرية، غير أن تطورها التاريخي واعتمادها على التطور العلمي جعلها أكثر خطورة من ذي قبل لما تشكل من تهديد على أمن المجتمعات والدول، الأمر الذي جعل هذه الأخيرة تولي اهتماماً كبيراً لهذه الظاهرة وترصد أموال ضخمة لمحاربتها وقد كانت من بين الأسباب المباشرة لاحتلال مجتمعات بكاملها على غرار ما حدث في العراق وأفغانستان والسودان.

ونظراً للأخطار التي قد تتجم عن انعدام الأمن الفكري وما تشكله من تهديد على أمن هذه المجتمعات ليس على المستوى الثقافي فحسب بل يمتد إلى مختلف الأنساق الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.. إلخ، بل ويهدد كيان مجتمعات وحضارات بكاملها،

فإن موضوع الأمن الفكري أصبح يشكل اهتمام مختلف دول وشعوب العالم على اختلاف أجناسها، الأمر الذي أدى بها إلى تبني هذا المفهوم كخيار استراتيجي ووسيلة وقائية لتجنب كل فكر متطرف هدام من شأنه الإضرار بمصالحها واستقرارها ووحدتها وحتى استقلالها في بعض الأحيان، وما وقع من ثورة الشعوب ضد حكوماتها في بعض الدول العربية إلا دليلاً قاطعاً على غياب سياسات فاعلة للأمن الفكري بذات المجتمعات، فقد وجدت الأفكار الدخيلة الآتية من مواقع الإنترنت ولا سيما منها موقع «ويكيليكس» والمتمثلة في نشر حقائق الفساد وتهريب الأموال العمومية التي تورط فيها ولاة أمورهم، وجدت البيئة الداخلية الملائمة والمتمثلة في دكتاتورية هذه الأنظمة وانعدام العدالة في توزيع الدخل القومي والثروات وقمع الحريات السياسية، الأمر الذي شحن فكر هذه الشعوب للثورة على حكوماتهم وإحداث ما يعرف بالتغيير الذي لم تستطع أن تتوقعه أكبر مراكز البحث الاستراتيجية في العالم ولا أنظمة المخابرات العالمية التي تعمل في هذا الميدان.

ويعتبر المجتمع الجزائري من بين أكبر المتضررين من انعدام الأمن الفكري وغياب استراتيجية واضحة لحماية مقومات هذا المجتمع الفتى الذي يشكل محل أطماع الكثير من الحاقدين، وما سنوات التسعينيات أو ما يعرف بسنوات الجمر إلا دليلاً قاطعاً على ذلك، لذا من الواجب تكثيف جهود جميع الفيوين على هذا الوطن ولا سيما منها النخبة المثقفة من أجل إيجاد استراتيجية علمية لحماية هوية هذا البلد وهذا الشعب من خطر الغزو الفكري والثقافي الأجنبي في جانبه السلبي.

وعلى غرار زملائنا في مختلف الاختصاص واحترامنا لأفكارهم وآرائهم وبحكم اختصاصنا فإننا نرى أن الأسرة تلعب الدور المحوري في تجسيد ما يعرف بالأمن الفكري في المجتمع الجزائري وذلك لارتباط الفرد الجزائري بأسرته منذ ولادته وحتى وفاته وما تقوم به هذه من دور رقابي في حماية الضمير الجمعي وما لها من دور فعال في عملية التنشئة الاجتماعية للفرد طيلة مختلف مراحل حياته.

وفي هذا الإطار سنحاول من خلال هذه المداخلة الإجابة على التساؤلات التالية:

ماذا يقصد بالأمن الفكري؟ وماهية أهميته؟ ثم ما هي الأخطار الفكرية التي تهدد الأسرة الجزائرية المعاصرة ومن خلالها المجتمع ككل؟ وما هو دور هذه الأخيرة في تجسيد ما يعرف بالأمن الفكري؟

وفي هذا الإطار تم تقسيم البحث إلى المحاور التالية:

- ١- مفهوم الأمن الفكري وأهميته في الأسرة والمجتمع
- ٢- أهم الأخطار الفكرية التي تهدد الأسرة الجزائرية
- ٣- دور الأسرة الجزائرية في تحقيق، ودعم الأمن الفكري في المجتمع

أولاً: مفهوم الأمن الفكري في الأسرة والمجتمع

يعتبر مفهوم الأمن الفكري من المفاهيم الحديثة والمعقدة، وهو مفهوم مركب من مصطلحين هما الأمن والفكر، لذا سوف نتناول كلاهما على حدة للوصول إلى معنى الأمن الفكري:

١- مفهوم الأمن

لغة: أصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف، والأصل أن يستعمل في سكون القلب، كأن نقول أَمِنَ فلاناً على كذا أي وثق فيه واطمأنَّ إليه أو جعله أميناً عليه، لقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أَمْنَكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمَنْتُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ﴾ (يوسف: ٦٤)، والأمين الحافظ: أي من يتولى رقابة الشيء والمحافظة عليه.

اصطلاحاً: تتعدد مفاهيم الأمن بتعدد وجهات المفكرين والباحثين، حيث يصعب وضع تعريف شامل يلئم شتاته ويحيط بأبعاده وأنواعه، غير أن هناك من يعرفه اعتماداً على الشق الفكري والمادي على أنه: «مجموعة الإجراءات التربوية والوقائية والعقابية تتخذها السلطة لتأمين الأمن داخلياً وخارجياً انطلاقاً من المبادئ التي وضعها الإسلام لضمان الأمن». (الجحني علي بن فايز، ص ٧٣)

والأمن والطمأنينة غاية من الغايات النبيلة التي يحرص عليها الإسلام، فهو شامل لكل أصعدة الحياة، وهو مفهوم مرتبط بالعبودية والتصديق بآيات الله وكتبه ورسله، وهكذا يُعَلِّي الإسلام من قيمة الأمن فيجعلها ضرباً من التدين الصادق، ووفاءً حقيقياً لمقتضى الإيمان. (التركي عبد الله بن عبد المحسن، ١٤٢٣هـ، ص ١٧٥)

كما أن الأمن فريضة شرعية وضرورة بشرية، فالمؤمن الحق من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم، والمسلم الحق من سلم المسلمون من لسانه ويده. والأمن مطلب للجميع، ففي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (الأنعام: ٨٢)

٢- مفهوم الفكر

لغة: فكر يفكر فكراً، يشير ابن منظور إلى الفكر: إعمال الخاطر في الشيء. وكذا «أعمل العقل فيه ورتب بعض ما يعلم ليصل به إلى المجهول». (ابن منظور، ١٤١٢، ص ٦٥)

اصطلاحاً: صيغة العقل الإنساني ومسرح نشاطه الذهني وعطاؤه الفكري فيما يعرض له من قضايا الوجود والحياة. (حسين سلامة عبد السلام، ١٤٢٥هـ، ص ١١)

الفكر هو نتاج التفكير الذي يتم بإنفاق جزء بسيط من الطاقة، ويرتبط بعناصر مدركة في الزمان، ولهذا فإن التفكير يستبقي الإفراغ الحركي متأخراً، ويتحكم في الحركة ويعد التفكير شيئاً ضرورياً لاختبار الواقع. (الحنفي، ١٩٩٤، ص ٣٢)

٣- مفهوم الأمن الفكري

لغة: من المصطلحات المعاصرة ولذلك فقد خلت معاجم اللغة العربية من تحديد تعريف له لغوياً.

اصطلاحاً: يعني الأنشطة والتدابير المشتركة بين الدولة والمجتمع لتجنيب الأفراد والجماعات شوائب عقدية أو فكرية أو نفسية تكون سبباً في انحراف السلوك والأفكار والأخلاق عن جادة الصواب أو سبباً للإيقاع في المهالك. (محمد محمد نصير، ١٤١٣هـ، ص ١٢)

كما يعرف الأمن الفكري على أنه: حماية فكر المجتمع وعقائده من أن ينالها عدوان أو ينزل بها أذى، لأن ذلك من شأنه أن يقضي على ما لدى الناس من شعور بالهدوء والطمأنينة والاستقرار ويهدد حياة المجتمع. (الحيدر عبد الرحمان، ١٤٢٢هـ، ص ٥٤)

كما يفسره البعض بأنه: سلامة فكر الإنسان وعقله وفهمه من الانحراف والخروج عم الوسطية والاعتدال في فهمه للأمور الدينية والسياسية وتصوره للكون بما يؤول به إما إلى الغلو والتنتع أو إلى الإلحاد والعلمنة الشاملة. (الطلاع رضوان بن ظاهر، ١٤٢٢هـ، ص ٥١)

كما يعرف أيضاً بأنه: «النشاط والتدابير المشتركة بين الدولة والمجتمع لتجنب الأفراد والجماعات شوائب عقدية أو فكرية أو نفسية تكون سبباً في انحراف السلوك والأفكار والأخلاق عن جادة الصواب أو سبباً للإيقاع في المهالك». (محمد محمد نصير، ١٩٩١، ص ١٩)

كذلك يعرف بأنه: «سلامة فكر الإنسان من الانحراف أو الخروج عن الوسطية والاعتدال في فهمه للأمور الدينية والسياسية والاجتماعية مما يؤدي إلى حفظ النظام العام وتحقيق الأمن والطمأنينة والاستقرار في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها من مقومات الأمن الوطني». (بند بن علي، ١٤٣٠هـ، ص ٢٥)

من خلال التعاريف السابقة يمكننا أن نستخلص التعريف التالي للأمن الفكري هو تحصين الفكر البشري ضد الأفكار غير المنضبطة بالضوابط الشرعية والاجتماعية للمحافظة على التراث الديني والثقافي وتحقيق الاستقرار في المجالات الحياتية المختلفة وصولاً لتحقيق الأمن الوطني.

ولأننا نعيش عصر الصراع الفكري، وتدافع الأيديولوجيات ومعامل تصنيع الأفكار المختلفة، الضارة منها والنافعة، نجد أنفسنا مجبرين على تحقيق الأمن الفكري وغربة الأفكار المصدرة من الغرب وفقاً للعقائد والمعتقدات الخاصة بالأمة. ومن عوامل بناء الأمن الفكري على مستوى الأفراد الاهتمام بالتنشئة الاجتماعية بكل مقوماتها وأبعادها، وفي كل مراحلها، حيث أن سلامة الفكر تعد بمثابة العمود الفقري لاستقامة الإنسان وصلاحه، وبالتالي صلاح سلوكه ومواقفه وردود أفعاله اتجاه مختلف القضايا، فالفكر السليم أفضل ضماناً لاستقامة حياة الناس وأمنهم واستقرارهم، أما الفكر المنحرف فهو الطريق إلى الإجرام والإفساد في الأرض.

ثانياً: مفهوم الانحراف الفكري

١- مفهوم الانحراف: من الحرف، حرف كل شيء طرفه وشفيره وحده، والحرف هو أحد حروف التهجي، والحرف: أيضاً الاسم من قولك رجل محارف بفتح الراء أي: منقوص الحظ لا ينمي له مال، وهو خلاف قولك مبارك، وقد حورف كسب فلان إذا شدد عليه في معاملته وضيق في معاشه، كأنه ميل برزقه عنه من الانحراف عن الشيء وهو الميل عنه، وحرف الشيء ناحيته، وفلان على حرف من أمره أي ناحية منه، كأنه ينتظر ويتوقع فإن رأى من ناحية ما يحب وإلا مال إلى غيرها، وقال ابن سيدة: «فلان على حرف من أمره أي ناحية منه، إذا رأى شيئاً لا يعجبه عدل عنه»، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ (الحج: ١١)، أي إذا لم ير ما يحب انقلب على وجهه، قيل: «هو أن يعبد الله على السراء دون الضراء» (ابن منظور، د.س، ص ٤٥٤٦). وقال الزجاج: على حرف أي على شك، قال: وحقيقته أنه يعبد الله على حرف أي على طريقة في الدين لا يدخل فيه دخول متمكن فإن أصابه خير اطمأن به، أي إن أصابه خصب وكثر ماله وماشيته اطمأن بما أصابه ورضي بدينه، وإن أصابته فتنة اختبار بجذب وقلة مال انقلب على وجهه أي رجع عن دينه إلى الكفر وعبادة الأوثان.

وحرف عن الشيء يحرف حرفاً وانحرف وتحرف واحرورف: مال وعدل، وقال الأزهري: «إذا مال الإنسان عن شيء يقال: تحرف وانحرف واحرورف» ويقال انحرف مزاجه: مال عن الاعتدال، وتحريف القلم قطعه محرفاً، وتحريف الكلام عن مواضعه تغييره، والتحريف في القرآن والكلمة: تغييره الحرف عن معناه، وهي قريبة الشبه، كما كانت اليهود تغير معاني التوراة بالأشباه، فوصفهم الله بفعالهم فقال تعالى: ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ (النساء: ٤٦) (نفس المرجع، ص ٤٦).

فالانحراف هو الخروج عن جادة الصواب، والبعد عن الوسط المعتدل، وترك الاتزان، والتمسك بجانب الأمر دون حقيقته. والانحراف في الإسلام ضد الاستقامة التي أمر الله بها وأثنى على أهلها.

ويعرف الانحراف في الاصطلاح بأنه: «ترك الحق والوسطية والاستقامة أياً كان موضوع الانحراف أو مجاله أو صورته.» (بند بن علي، ١٤٣٠هـ، ص ٢٧)

ويعرفه جميل صليبا في كتابه المعجم الفلسفي هو: «الميل عن الشيء والعدول إلى جانبه، ويطلق في العلوم الطبيعية على الشذوذ عن الخط السوي، كانحراف أحد أعضاء الجسم عن القيام بوظيفته الطبيعية، ويطلق في علم النفس على تحول إحدى الوظائف عن غايتها الطبيعية، كانحراف الغريزة.» (جميل صليبا، ١٩٧٩)

٢- الفكري: من فكر في الأمر فكراً، أعمل العقل فيه ورتب بعض ما يعلم ليصل به إلى مجهول، وفكر في الأمر: مبالغة في فكر، إذا ردد قلبه معتبراً، ورجل فكير بوزن سكيت كثير التفكير، وفكير وكثير الفكر، والفكر إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة مجهول، يقال لي في الأمر فكر نظر وروية، ومالي في الأمر فيه حاجة ولا مبالاة، والتفكير: إعمال العقل في مشكلة للتوصل إلى حلها، والتفكر: التأمل، والاسم الفكر والفكرة، والمصدر الفكر بالفتح وبابه نصر، قال يعقوب: «يقال ليس لي في هذا الأمر فكر أي: ليس لي فيه حاجة، قال: والفتح فيه أفصح من الكسر» والفكرة: الفكر، والصورة الذهنية لأمر ما، قال سيبويه: «ولا يجمع الفكر، ولا العلم، ولا النظر»، وقد حكى ابن دريد في جمعه أفكاراً.» (ابن منظور، د.س، ص ٢١٢)

والانحراف الفكري من أخطر أنواع الانحراف، فهو مرحلة متقدمة من الفكر المتطرف، حيث يمثل نزعة فردية أو جماعية تنعكس على الذات أو على الآخر، سواء أكان الآخر فرداً أو جماعة أو سلطة أو مجتمعاً أو إقليماً أو دولة أو مجموعة دول، ويسعى أصحاب الفكر المنحرف إلى إشاعة أفكار ليس لها مرجعية معتمدة من الشرع أو القانون بهدف التشكيك في المصالح والنظم والعقائد لتحقيق مكاسب وقتية أو لاحقة، محدودة أو موسعة بطرق غير مشروعة، مما يترتب عليه التأثير في أمن الفرد والجماعة والدولة والمجتمع، وزعزعة الأمن والاستقرار، وإثارة نوبات العنف والتطرف والإرهاب. (الخطيب محمد شحات، ٢٠٠٦، ص ١٩)

وهناك من ينظر إليه على أنه: «المبالغة في التمسك فكراً أو سلوكاً بجملة من الأفكار قد تكون دينية عقائدية أو سياسية أو اقتصادية أو أدبية أو فنية تشعر القارئ

بها بامتلاك الحقيقة المطلقة، وتخلق فجوة بينه وبين النسيج الاجتماعي الذي يعيش فيه وينتمي إليه، الأمر الذي يؤدي إلى غربته عن ذاته وعن الجماعة ويعوقه عن ممارسة التفاعلات المجتمعية التي تجعله فرداً منتجاً». (بند بن علي، ١٤٢٠هـ، ص ٢٦)

ويرى الباحث بند بن علي بأن الانحراف الفكري يكون باختلال في فكر الإنسان وعقله والخروج عن الوسطية والاعتدال في فهمه وتصوراتهِ وتوجهاته للأمور الدينية والسياسية، إما إلى الإفراط أو إلى التفريط. (نفس المرجع، ص ٢٧)

والانحراف الفكري في الدين في مفهومه العام قد يكون كاملاً يمرق بسببه الفرد عن الدين كما في بعض الأمور التي تتعلق بالاعتقاد، وقد يكون انحرافاً جزئياً من خلال إلزام النفس بما لم يلزمها به الشرع، أو تحريم بعض الطيبات ونحو ذلك، وهذا صوره كثيرة وهو بداية للانحراف الكبير إن لم يجد من يتداركه. (طه عابدين طه، د.س، ص ١٥)

لكن يمكن القول وباختصار إن الفكر المنحرف هو، ذلك النوع من الفكر الذي يخالف القيم الروحية والأخلاقية والحضارية للمجتمع، ويخالف الضمير المجتمعي، وأهم من هذا كله هو ذلك النوع من الفكر الذي يخالف المنطق والتفكير السليم، ويؤدي إلى ضرب وتفكك وحدة وكيان المجتمع.

وعلى هذا الأساس يصبح الفكر المنحرف مرادفاً للبغضاء والعدوانية، ونشر العنف وإضعاف الأمن والأمان، وزعزعة الاستقرار الاجتماعي والاطمئنان النفسي لدى الأفراد، الفكر المنحرف يعتمد أساساً على التلقين والاستظهار والطاعة العمياء وينتمي أصلاً إلى التفكير السطحي غير عقلاني، الذي لا يحتاج إلى جهد عقلي، أو منطقي أو ذهني، ولا يقوم على منهجية علمية أو على دراسات علمية حقيقية. لأن هدف الفكر المنحرف ليس الوصول إلى نتائج دقيقة وسليمة أو براهين علمية يمكن الاستفادة منها في الحكم على المواضيع والقضايا، أو الظواهر الاجتماعية أو الفكرية، بقدر ما يهدف إلى زرع البلبلة، والشك، والتشكيك، وإسقاط ما هو قائم من فكر وأخلاق ومعتقدات، ونسق اجتماعي وسياسي، واستبدالها بتوجهات أخرى معروفة أو غير معروفة.

وفي هذا الشأن يقول المربي عطا حسين عقل (١٩٩٦): «الأفكار والمعتقدات اللا عقلانية ومنها (الفكر المنحرف)، التي يؤمن بها الفرد ويتعلمها أثناء طفولته، ذلك أن تلك الأفكار التي يحملها الفرد لها تأثير على إدراكه وتأويل الأحداث والمؤثرات بشكل غير مناسب، ومن ثم يستجيب لهذه المؤثرات بردود أفعال فسيولوجية ونفسية مضطربة». (عطا حسين عقل، ١٩٩٦، ص ١٢٥)

ثالثاً: مفهوم الأسرة

يدل لفظ الأسرة على الزواج والإنجاب، ونعني به مجموعة من المكانات والأدوار المكتسبة عن طريق الزواج والولادة، على أساس أن الزواج شرط أساسي لوجود الأسرة، التي تعتبر بدورها نتاجاً للتفاعل الزوجي، وتعرف أيضاً بأنها مجموعة تتكون من شخصين أو أكثر، يرتبطون مع بعضهم البعض بواسطة الدم أو الزواج أو التبني، ويعيشون حياة مشتركة (حنان عبد الحميد العناني، ٢٠٠٠، ص ٥٣). إذن فهي جملة الأدوار المكتسبة لدى كل من الذكر والأنثى عن طريق الزواج، الذي من خلاله يكتسب الذكر دور الأب، كما وتكتسب الأنثى دور الأم، فالزواج إذن أساس وجودهما وقد يتعدى حجمها الزوج والزوجة إلى الأبناء الذين يكونون من نسلهما أو عن طريق التبني ويعيشون حياة مشتركة. ويدعم جمال مجدي حسنين هذا الرأي حيث يعتبر الأسرة هي جماعة مكونة من أفراد مرتبطين بعلاقة زواج، ثم مرتبطين بعلاقة الأبوة والبنوة، وهاتين هما العلاقتين الأساسيتين الموجودتان في الأسرة. (جمال مجدي حسنين، ٢٠٠٥، ص ١٦٢)

وتعرف الأسرة أيضاً أنها: «جماعة اجتماعية بيولوجية نظامية، تتكون من رجل وامرأة (تقوم بينهما رابطة زواجية مقررة) وأبنائهما، ومن أهم الوظائف التي تقوم بها هذه الجماعة إشباع الحاجات العاطفية، وممارسة العلاقات الجنسية، وتهيئة المناخ الاجتماعي الثقافي للملائم لرعاية وتنشئة وتوجيه الأبناء.» (محمد عاطف غيث، ٢٠٠٥، ص ١٧٦)

رابعاً: واقع الأمن الفكري في الجزائر

إن واقع الأمن الفكري في الجزائر تحكمه مجموعة من العوامل والتي من خلالها يمكن فهم هذا الواقع بشكل جيد وهي:

١- وهي ازدياد درجة الانكشافية؛ والمقصود بالانكشافية أنه لم تعد حواجز تقف أمام نقل ما يوجد في أي نقطة من نقاط العالم، فالمواطن في أدغال إفريقيا أصبح الآن يشاهد ما يحدث في أوروبا وأمريكا من تطور ومستوى معيشي جيد، فالقنوات الفضائية أصبحت تنقل كل ما يحدث في أي نقطة من العالم في لحظات ليس فقط عبر الفضائيات بل عبر الإنترنت أيضاً، فلماذا نجد أن العالم الآن لم يعد محكوم وفق منطق القيود والإعلام التقليدي بل أصبح يخضع لقواعد جديدة أهمها المصلحية في العلاقات الدولية، فالانكشافية لا تقف على نقل ما يحدث بل آثار هذه الانكشافية ترتب عنها نقطة مهمة وهي مسألة الهجرة السرية فالشباب أصبح يبحث عن حياة أفضل لأنه يدرك جيداً المستوى الذي يعيشه الفرد الأوروبي مقابل المستوى المواطن العربي أو الإفريقي، ولهذا تكلمنا في البداية عن أهمية الإعلام وأهم تحدي له مواجهة الإعلام الغربي من خلال طرح البديل

والمناسب للمواطن العربي بصفة عامة، فالهجرة السرية أصبحت تهديد خطير وأخذ منحى كبير في مسألة هجرة الشباب الذي يعد العمود الفقري لأي أمة ومجتمع بحكم أنه الثروة الحقيقية وكذا المحرك الرئيسي لعملية التنمية.

من جهة أخرى نجد للانكشافية أثر آخر من بينها انتشار الفكر التكفيري عبر قنوات أخرى مثل الإنترنت الذي يعتبر نافذة مفتوحة على العالم وعلى ما يجري في قطاعات أخرى، فهناك العديد من المواقع الإلكترونية التي تروج للفكر المتطرف والإرهاب وتعمل على استمالة الشباب للانخراط في الشبكات الإرهابية من خلال استغلال هذه الوسيلة والترويج لأفكار مغلوطة والقيام بتصوير العمليات الإرهابية أو الجهادية في مختلف المناطق وجعل من هذه المواقع منابر لتمرير أفكار مذاهب أخرى تتعارض وقيم المجتمع الجزائري أو المذهب المالكي أو حتى أهل الجماعة. (أمحمد بروق، ٢٠٠٨)

ليس فقط الأفكار التكفيرية والعمليات الإرهابية هي التي يروج لها عبر الإنترنت بل حتى المذهب الشيعي الذي يستغل الانفتاح والإعلام الفضائي، أي أن يقوم بعملية نشر قنوات متخصصة أو من خلال منتديات إلكترونية ومواقع خاصة تعمل على نشر أفكار تتعارض مع ما جاء في السنة أو ما هو متعارف عليه في المذهب المالكي بل ويعمل على التشكيك في بعض العناصر الأساسية في السنة.

هذا إلى جانب أن أهم التحديات التي تواجه المذهب المالكي، دور القنوات الدينية التي تعرف انتشاراً للفتوى والتي لا تستند فيها إلى المذهب المالكي وهذا ما يدفع بالكثير للوقوع في اختلالات نتيجة لاختلاف الرؤى، وهذا ما يعتبر تحدي كبير للمذهب المالكي من أجل إيجاد إطار يسمح بالتواصل ما بين علماء المذهب المالكي ومختلف أطراف المجتمع. وبالتالي عامل الانكشافية له دور كبير وهو بمثابة تحدي للمذهب المالكي لمواجهة إفرازات التطور الرهيب في التكنولوجيا.

٢- مسألة الثقافة؛ هذا المصطلح الذي استخدم للتعريف بحالة طلب طرف ما لثقافة طرف آخر دون أن يطلب منه، هذا أكبر تحدي يواجه المذهب المالكي، فمسألة الثقافة ليست بسيطة بل تأثيرها يمتد على جانب كبير من الأهمية وهي تغير في الولاءات نعم أصبح الآن ولاء الفرد ليس للوطن كما كان من قبل بل ولاء لأطراف أخرى أصبحت تؤثر في الفرد من خلال وسائل مختلفة سواء كانت مرئية أو سمعية أو عبر الإنترنت أو الكتب، ويمكن أن نجد هذا من خلال الأمثلة التالية: (سعود صالح، ٢٠٠٨)

• ارتفاع أرقام الهجرة السرية، فكيف نفسر انتقال فرد من أدغال إفريقيا إلى أوروبا عبر قطعة الصحراء الكبرى مجازاً بحياته في تحقيق حلم انتقاله للضفة الأخرى، فلما تسأل هذا الفرد عن أهدافه وماذا يريد من الجهة الأخرى يقول لك أن انتمائه

للبلد الذي يوفر له لقمة العيش الكريمة وعمل دائم وصون كرامته؛ وبالتالي نجد تحول في مفهوم الولاء.

• التحول في ولاء الأفراد لجماعات أخرى كما هو الحال للجماعات الإرهابية التي تتبنى فكر لا ينتمي للفكر السليم، فتجد أشخاص يقتلون أبناء جلدتهم وأخوانهم لأن منطق الولاء أصبح يقوم بالدرجة الأولى على تأثير أطراف أخرى وبالتالي نجد أن للمذهب المالكي دور كبير في تحقيق أمن ديني وفكري لمواجهة هذه المتغيرات.

٣- الهوية؛ الهوية هي جملة القيم والمحددات المجتمعية التي تميز مجتمع عن آخر، فمسألة الهوية التي أصبحت مهددة بشكل كبير في ظل العولمة، ففي تقرير لليونسكو أكدت أن هناك العديد من اللهجات ستندثر بحلول ٢٠١٥ في ظل سيطرة لغات أخرى خاصة الانكليزية ولما نتكلم عن اللغة فهذا يعني الرصيد المعرفي والثقافي الذي يعب عنه من خلال ما يحرر من كتابات وإصدارات علمية مختلفة، والهوية لا تشمل على اللغة بل بكل مقومات الهوية بما فيها الدين والعادات وحتى اللباس، ويذهب الكثير من المنظرين بأن الدين هو القاعدة الأولى في بناء الهوية وخير دليل على الدور الذي لعبته المدارس الدينية خلال فترة الاستعمار التي حرصت على الحفاظ على الهوية الجزائرية وهذا ما ينتظر المذهب المالكي في ظل التحديات الدولية الراهنة.

٤- الآفات الاجتماعية؛ لقد عرف المجتمع الجزائري تنامي كبير للآفات خطيرة لم يعرفها منذ عشرية من الزمن، فظهرت بشكل كبير الاعتداءات على الأفراد وجرائم الاغتصاب وانتهاك الحرمات والانحلال الأخلاقي وتعاطي المخدرات وفي أعمار مختلفة، وهذا يمثل تحدي كبير للأئمة والعلماء في مواجهة هذه الظواهر باعتبار لهم الجزء الأكبر في توعية المجتمع وتصحيح الخطأ فيه، لأن للإمام ورجل الدين مكانته في المجتمع.

خامساً: أسباب الانحراف الفكري التي تهدد الأسرة الجزائرية

هناك عدة عوامل تسهم بدرجات متفاوتة في نشأة الفكر المنحرف الذي يسهم بدوره في زعزعة الأمن والاستقرار، نتيجة تحول الفكر إلى عمل ومنهج للمنحرفين الدين يسعون لفرض آرائهم وتوجهاتهم بالقوة في إطار التشدد الفكري الذي يترتب عليه مظاهر سلوكية عدائية متفاوتة الشدة تنعكس سلباً على الذات وعلى الآخرين، في ظل سعي المنحرفين فكرياً إلى نشر أفكار ليس لها مرجعية معتمدة من الشرع أو القانون، بغية التشكيك في العقائد والأهداف والنظم والمصالح من أجل تحقيق مكاسب محدودة أو موسعة بطرق غير مشروعة تزعزع الأمن والاستقرار بمختلف أبعاده. وهذا ما أكدته نتائج بعض الدراسات ولا سيما منها تلك التي قامت بها الباحثة السعودية «عفاف بنت حسن الحسيني» من أن (المتغيرات المتسارعة وتحديات العصر، ومستجدات التقنية، وسهولة

الاتصال أحدثت خلخلة في دور الأسرة، وانعكس ذلك على المجتمع فأحدثت تحولاً في الوظائف والأدوار، مما زلزل كيانهما فظهر الانحراف والجنوح والجريمة). (عفاف، بنت حسن الحسيني، ٢٠٠٤)

ومن بين الأسباب التي تهدد الأمن الفكري على مستوى الأسرة الجزائرية:

• **ثقافة الإرهاب الديني المتطرف:** نقصد بذلك التطرف الديني الناجم عن سوء فهم العقيدة الإسلامية واتباع تيارات فكرية أجنبية بعيدة عن قيم الثقافة الجزائرية، وخاصة ظاهرة الغلو في الدين وبصورة خاصة الغلو في التكفير والأخذ بظواهر النصوص الشرعية وعدم فهم مقاصد الشريعة الإسلامية وغاياتها والتأثر بفكر الغلاة في الداخل من خلال الكتب والمنشورات والأشرطة الحماسية الغير منضبطة، والتأثر بفكر الغلاة القادم من الخارج مع عدم الاهتمام بالعائدين من بؤر الصراع المختلفة في العالم، الذين تشبعوا بالفكر التكفيري، مثل (أفغانستان واليمن، إيران...)، والأخذ ببعض الفتاوى الفكرية غير المنضبطة شرعاً.. أو تبني بعض الآراء الاجتهادية المبنية على اجتهاد لم تتوفر آليته الشرعية أو بناءً على أهواء ونزعات حزبية أو مذهبية أو طائفية ضالة، واستغلال ظروف الأزمة السياسية التي وقعت فيها البلاد جراء تبنيها المنهج الديمقراطي القائم على التعددية في كل المجالات الحزبية والفكرية... وفي هذا الإطار دفعت الأسرة الجزائرية على غرار المجتمع ككل الثمن غالباً خلال الفترة (١٩٩٠-٢٠٠٠)، حيث فقدت أبنائها كضحايا في هذه المأساة، وانتهكت حرمتها واغتصبت بناتها ووئد أطفالها، وقد وصلت حدة الظاهرة إلى حد قتل الابن لأبيه أو لأخيه أو لأمه... إلخ، حيث غابت مؤشرات الثقة والحماية بشكل كبير داخل الأسرة، ورغم ظهور بعض مؤشرات التضامن بين الأسر فيما بينها لمحاربة الظاهرة في المراحل الأخيرة للأزمة إلا أن الأسرة الجزائرية عرفت في هذه الفترة إهمال شبه تام لوظيفة التنشئة الاجتماعية وضبط سلوك أفرادها، حيث أصبح لا يهتم سوى حياة أفرادها بغض النظر عن أي سلوك آخر قد يقومون به، الأمر الذي أدى إلى استفحال بعض الظواهر السلبية في المجتمع كانت غائبة من قبل مثل استهلاك المخدرات، الرشوة، النهب واختلاس الأموال العمومية... إلخ.

• **العامل الإعلامي ودوره في عدم استقرار الأمن الفكري الأسري:** إن أهم ما يميز عصرنا الحالي هو التدفق الهائل للمعلومات إضافة إلى تعدد وسائل الاتصال وتطورها، الأمر الذي صعب من عملية التحكم في المواد الإعلامية، الفكرية، الثقافية والتقنية، ليس هذا فحسب بل أن الإعلام أصبح يشكل سلطة حقيقة وسلاحاً كبير الفعالية، فالكثير من الشعوب تم احتلالها بسببه، كما تم بفضلها تحرير البعض الآخر، وأصبح الإعلام علماً قائماً بذاته له مناهجه وتقنياته ونظرياته لا يفهمه إلا ذوي الاختصاص.

إن هذا العامل كان له دوراً كبيراً ومؤثراً على الأسرة، كيف لا وهو الذي استطاع أن يخترق مؤسسة الأسرة دون إذن مسبق عن طريق مختلف وسائله على غرار الإنترنت والهاتف المحمول والتلفزيون والهواتفات المقعرة وما تحمله من مظاهر لثقافات أجنبية لا تتوافق مع النسق الثقافي للمجتمع الجزائري، كما أنه من الصعب على الأسرة مراقبة أفرادها في ظل هذا الزخم الإعلامي الكبير، ورغم البحوث والدراسات العديدة والمتنوعة التي تناولت مدى تأثير وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمكتوبة على الأسرة على غرار التلفزيون والبرابول، الإنترنت، الهاتف المحمول... إلخ.

• **حركة الهجرة:** لقد عرف المجتمع الجزائري ظاهرة الهجرة بنوعها الداخلي والخارجي ولكل منهما تأثيره الخاص على الأسرة، ف فيما يتعلق بالهجرة الداخلية التي تمثل انتقال الأسرة المستقرة في الريف للعيش في المدينة نتيجة لعدة أسباب اقتصادية واجتماعية وثقافية...، حيث عرفت الجزائر حركتين كبيرتين: الأولى وكانت لأسباب اقتصادية تنموية وذلك في الفترة الممتدة من بداية الاستقلال وحتى نهاية السبعينيات، أين سعت الأسرة للبحث عن سبل العيش الحسن من سكن وشغل وتعليم وصحة... إلخ.

أما الحركة الثانية فكانت لأسباب أمنية حيث تم خلاها نزوح عدد كبير من الأسر نحو المدن هروباً من جحيم العمليات الإرهابية التي استهدفت قراهم ومدارهم، وقد انعكس ذلك بصفة مباشرة على استقرار الأسرة التي انقسمت وتفككت وحدتها البنائية من عائلة ممتدة تتميز بالاشتراك السكني والاقتصادي والفكري، إلى وحدة مستقلة سكنياً واقتصادياً وبعيدة عن الرقابة الجماعية لأفراد الأسرة الكبيرة، الأمر الذي أدى إلى بروز بعض الانحرافات الأخلاقية والنزعة الفردانية على حساب خاصية التضامن التي تعتبر من بين أهم مميزات المجتمع الجزائري.

أما بالنسبة للهجرة الخارجية فقد كان لها أثرها على بعض الأسر الجزائرية التي هاجرت إلى دول غربية مختلفة ثقافياً وفكرياً عن مجتمعنا سواء بدافع العمل أو هروباً من الوضع المتأزم، غير أن ذلك ترتب عنه عملية مسخ فكري ثقافي نجم عن تشبع أفراد الأسرة بالثقافة الأجنبية وخاصة شريحة الأطفال، وذلك رغم جهود بعض الأسر التي أدركت الخطأ وحاولت إصلاحه من خلال سعيها للعودة للاستقرار في موطنهم الأصلي قبل أن يبلغ الأبناء سناً معيناً، هذا وقد تطورت هذه الظاهرة لتشمل شريحة الشباب الغير المتزوج وبطرق غير شرعية أو ما يعرف بظاهرة «الحرقة»، هذه الظاهرة ستكون لها نتائج وخيمة على الأسرة الجزائرية على المستوى المتوسط والبعيد خاصة إذا علمنا أن أغلب المهاجرين الجزائريين غير الشرعيين يتزوجون بأجنبيات مقابل الحصول على الإقامة بهذا البلد.

• **غياب فعالية الوازع الديني وسيطرة العامل المادي:** عرف المجتمع الجزائري تغيراً على مستوى بنيته الثقافية وذلك بسيطرة العامل المادي على الحياة الاجتماعية وهذا تبعاً للتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تعرض لها منذ مطلع التسعينات بانتقاله من الاقتصاد الاشتراكي إلى اقتصاد السوق، والتي تمثلت مظاهرها في انخفاض المستوى المعيشي لأغلب الأسر الجزائرية بالإضافة إلى أزمة السكن والبطالة، الأمر الذي أدى إلى بروز العديد من الظواهر الغريبة عن المجتمع الجزائري كالسرقة والشذوذ الجنسي وزنى المحارم، واستهلاك المخدرات، وكل هذه الظواهر أثرت بدورها على تماسك الأسرة وأدت إلى بروز مظاهر التفكك الأسري المتمثلة في الطلاق، والانفصال... إلخ، وبالمقابل تراجع تأثير العامل الديني خاصة في نشر ثقافة الصبر والتسامح والقناعة، وتفسير ذلك قد يرتبط ببروز النزعة الفردية الناجمة عن تفكك الأسرة الممتدة إلى أسر نووية منعزلة نسبياً، أو قد يمكن تفسيره كذلك بانتشار ظاهرة الإرهاب التي ارتبطت بالإسلام الذي اتخذ بعض المرتزقة والمتطرفين ذريعة أو غطاءً لتنفيذ مخططاتهم الهدامة ضد المجتمع الجزائري.

• **النموذج الأبوي للتنشئة الاجتماعية الأسرية:** إن الأسرة تعتبر الخلية الأولى في بناء المجتمع، والمحضن الأول للإنسان، ففيها ينشأ ويتربص ويكتسب المثل والقيم والمبادئ والأخلاق، لذلك فهي جزء لا يتجزأ من بناء شخصية الفرد، ففيها يتوجب على الوالدين العناية بالأبناء وتربيتهم التربية الصالحة القائمة على الوسطية والمرونة في التعامل، غير أن أداء الأسرة الجزائرية لوظيفة التنشئة الاجتماعية يتميز بالتقصير وهو ما من شأنه أن يؤثر على عملية الأمن الفكري داخل الأسرة، حيث تقوم عملية التنشئة الاجتماعية لدى الأسرة الجزائرية على الأسس التالية:

١- **القهر الفكري للأبناء ومصادرة آرائهم:** ويتجلى من خلال سيطرة الإحباط وكسر الخاطر في التعامل مع الأطفال، حيث تشير الدراسات إلى أن أكثر أساليب التنشئة الاجتماعية انتشاراً في الأسرة العربية هي أساليب التسلط والتذبذب والحماية الزائدة حسبما أشار تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام ٢٠٠٣، وهذا من شأنه أن يؤدي إلى زيادة السلبية وضعف مهارات اتخاذ القرار ليس على مستوى السلوك فحسب بل وفي طريقة التفكير أيضاً، حيث يعود الطفل من الصغر على كبح التساؤل والاكتشاف والمبادرة، وهو ما من شأنه أن يحبط الطاقات الإبداعية للأجيال نتيجة عدم الاعتراف بآرائهم، وعدم تمكينهم من إبداء وجهات نظرهم، واتخاذ القرارات بدلاً عنهم.

ونتيجة ذلك يتسبب الكثير من الآباء في إلحاق الإعاقة الفكرية المزمنة بأبنائهم دون قصد، عن طريق الإسراف في الخوف على مصيرهم، والتشكيك الدائم في قدراتهم، والوصاية المستمرة عليهم، والحجر على آرائهم، كل ذلك يحول دون تنمية ملكاتهم الفكرية، وقدراتهم الشخصية، فتقل ثقتهم بأنفسهم وتضعف قدرتهم على تحمل المسؤولية، وتكون محصلة كل ذلك إنساناً مذبذباً وعاجزاً، ويؤدي هذا الأسلوب القمعي المبني على مصادرة الآخر فكرياً، ويلغي استقلالهم الشخصي من خلال كبح التعبير عن آرائهم منذ الصغر، الأمر الذي يجعلهم يميلون إلى عدم المصارحة وإخفاء الأخطاء خوفاً من العقاب، بل ويصل الأمر إلى حد الكذب في حالة انكشاف أخطائهم أمام الوالدين.

إن هذه الوضعية غير السوية تخلق لدى الأطفال حالة من الصراع الداخلي والقلق المزمن نتيجة عدم الرضا عن النفس وتأنيب الضمير، وقد يؤدي عدم تدارك هذا الخلل التربوي في مراحله الأولى إلى شيوع ظاهرة التشاؤم واليأس والاضطراب، والاستسلام للأمر الواقع بكل ما يحمله من مأس وتناقضات، ويعبر عالم الاجتماع «ابن خلدون» عن الانعكاسات المترتبة عن تربية القهر بقوله: (من كان مرباه بالعسف أو القهر من المتعلمين أو الخدم، غلب عليه القهر، وضاعت نفسه، وذهب بنشاطها، وحمل على الكذب والخبث، خوفاً من انبساط الأيدي بالقهر عليه). (محمد سليم، ٢٠٠٢، ص ٥٧)

٢- التمييز بين الأبناء: تتميز الأسرة الجزائرية على غرار الأسرة العربية بظاهرة التمييز بين الإناث والذكور، أو بين الابن الأصغر والأكبر... إلخ، وكل ذلك من شأنه أن يحرك كوامن الحقد فيهم تجاه بعضهم، واتجاه الوالدين، لذلك على الوالدين أن يتصرفا بوعي لأن هذه التصرفات تنعكس في مرآة الأبناء، فإذا لم يوفر الآباء المحبة والعطف والرحمة للأبناء بشكل منصف ولمس الأبناء هذا التمايز والمفاضلة بينهم، فإن ذلك سينعكس سلباً على النمو النفسي المتوازن للأبناء ويحول دون التآلف والتفاعل الاجتماعي المقبول مع الآخرين، وهكذا تكون عملية التنشئة الاجتماعية للأسرة خاطئة ينقصها تعلم المعايير والأدوار الاجتماعية السليمة، أو تقوم على اتجاهات والدية سلبية مثل التسلط والقسوة والإهمال والرفض والتفرقة في المعاملة بين الذكور والإناث والكبار والصغار والتذبذب في المعاملة، ويجسد الباحث «فرانز فانون» التمييز بين الذكر والأنثى في طريقة الاحتفال بالمولود الجديد بقوله: (إن ولادة الذكر في الأسرة الجزائرية تحظى بمزيد من الحماسة عن ولادة الأنثى، لأن الأب يرى في الابن الرفيق في الأعمال والخليفة على الأرض والعائلة بعد موته، بالإضافة إلى الوصي على الأم والأخوات) (Franz, FANOUN, 1959, p91)

هذا وتعمل الأم بالإضافة إلى دور الفعّال في تنمية الطفل نفسياً على تنميته اجتماعياً كذلك ويتجلى ذلك من خلال الاعتراف الأولي بدور ومكانة الأب في حياة الطفل حيث

تحاول إدخال صورة الأب فعلاً وقولاً في ذهنيته وتدفعه بذلك إلى عالم الرجولة، هو ما لوحظ غالباً من أن الأم في الأسرة الجزائرية بصدد إعادة إنتاج نفس القيم الأسرية والتي منها التشدد على حماية شرف الفتاة وتجسيد قمع سلطة الرجال على النساء، حيث تدعم المرأة سلطة الأب في الأسرة، فتشعره بأنه صاحب القرار والسلطة وأنه الأجدر بالمسؤولية الأسرية، وهنا يكشف الجانب النفسي التربوي لعملية سلطة الذكر عموماً والأب خصوصاً وامتيازاته مستقبلاً، فالفرد الذكر يتلقى هذا الشعور الباطني بأهميته داخل الأسرة، وبأنه الجنس الأفضل والأجدر والأقوى، ويستمر هذا الشعور مع بلوغه ورشده إلى غاية زواجه، فتزداد قوة رجولته ومسؤوليته خاصة بعد ميلاد الأبناء. (Nafissa, ZERDOUMI, 1982, p37)، أن هذا التمييز من شأنه أن ينعكس سلباً على الصحة النفسية للأبناء حاضراً ومستقبلاً ويجعلهم أشخاصاً سلبيون في المجتمع.

٣- اللامبالاة: إن التناقض بين القول والفعل أمام الطفل، وتراكم الوعود الزائفة، يعود الأطفال على عدم احترامها، فيصبح تأثيرها سلبياً مهدماً للروابط الاجتماعية، فالطفل ليس في حاجة إلى طعام وشراب فقط، بل يلزمه قسطاً كبيراً من الرعاية والاهتمام المعنويين ليستثمرهما في معاملاته مع الآخرين، وهذا الدور لا يمكن أن تقوم به أي مؤسسة اجتماعية أخرى.

وفي هذا الإطار أظهرت بعض الدراسات الخاصة بالأطفال الذين أمضوا حياتهم الأولى في المستشفيات، أو المؤسسات الأخرى أن الطفل يحتاج إلى أشياء أخرى معنوية وعاطفية أكثر من إرضاء حاجاته المادية، لهذا أوضحت مسألة التنشئة الاجتماعية للأبناء أكثر صعوبة وأشد تعقيداً في عصر زالت فيه الحدود ومختلف عوائق الاتصال بين أفراد المعمورة، وأصبحت عملية مواجهة الغزو الثقافي الوافد أكثر صعوبة في عصر تتسلل فيه المفاهيم والمعلومات من كل المنافذ صانعة منظومة من القيم يراد لها أن تكتسي طابعاً كونياً.

٤- غياب الحوار والاتصال الأسري: إن شخصية الشباب تتشكل من خلال أساليب المعاملة التي تمارس عليهم من قبل أسرهم، وأن نوع المعاملة في المنزل تنعكس على شخصية الفتى أو الفتاة ويلازمهما في سلوكهما ومستقبل أيامهما، غير أننا نجد في الأسرة الجزائرية غياب شبه تام للاتصال والحوار المفضي إلى التفاهم والقائم على التشاور والأخذ برأي الآخر، بل نجد أن الاتصال يكون عمودياً ويهدف إلى تأييد رأي واحد هو رأي الرجل (رب الأسرة) ويكون على شكل أوامر ونواهي موجهة من هذا الأخير إلى باقي أفراد الأسرة أو من رجال الأسرة إلى نساؤها أو من كبارها إلى صغارها دون أي تغذية رجعية سوى القبول والتطبيق، وهذا ما يجسد أحادية الرأي التي تمثل الدكتاتورية

في اسمى معانيها، وهو ما من شأنه أن يعزز نوع من الكبت المتراكم الذي قد ينفجر في أي لحظة وحتى خارج مجال الأسرة.

فطبيعة العلاقة السائدة بين المراهقين على وجه الخصوص والوالدين تعاني مأزقاً سببه الأساسي جهل الكثير من الآباء والأمهات بمسؤولياتهم نحو وقاية أبنائهم من الانحرافات، وغياب الحوار والاستماع الجيد بين الوالدين وأبنائهم الذين يعيشون تحت سقف واحد، الأمر الذي يؤدي إلى اضطرابات سلوكية متنوعة قد يكون الانحراف الفكري في مقدمتها. (علي بن فايز الجعني، ٢٠٠٤، ص ١٥٣)

سادساً: دور الأسرة الجزائرية في تدعيم الأمن الفكري داخل المجتمع الجزائري

الأسرة هي أقوى العوامل التي تؤثر في شخصية الفرد وسلوكه، وبدون منازع فهي الخلية الأولى التي تستقبل الإنسان أول عهده في الدنيا، وهي القالب الذي تتشكل فيه شخصيته، وفيها يمارس تجاربه الحياتية الأولى. الأسرة هي أيضاً التي تلقن الفرد المعايير والقيم الأخلاقية والاجتماعية الضرورية، ومنها يقتبس ويتعلم الفرد العادات والتقاليد الاجتماعية. فالأسرة هي التي تعلم الفرد الخطأ والصواب فيما يتعلق بالسلوك، ويتضح جلياً مما سبق أهمية المراحل العمرية الأولى في تشكيل شخصية الفرد، فالطفولة هي الفترة التي تتكون فيها أهم السمات السلوكية والاتجاهات والمفاهيم والقيم مهما كان نوعها، لأن هذه الفترة يكون فيها الطفل صفحة بيضاء يتلقى فيها بطريقة التأثير والمحاكاة والتعزيز كل القيم والاتجاهات مهما كانت الأسرة. (جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ٢٠٠٥، ص ص ١١٦-١١٧)

وعليه فالأسرة هي التي تقوم بالدور الوقائي للحيلولة دون وقوع الطفل في أخطار الانحراف ومنه الانحراف الفكري، وهي التي تقدم الشروط والظروف المواتية لصيانة الطفل من السلوكيات الانحرافية، وذلك بالسهر على تنشئته تنشئة صحيحة وسليمة ورعايته بطريقة وأسلوب لائقين بظروف الحياة ومتطلباته ومستجداتها ومواكبة للعصر وخصوصيات كل مجتمع، وذلك كله يكون في إطار تهيئة الطفل للحياة المستقبلية وللدور الذي سوف يلعبه مستقبلاً داخل المجتمع الذي ينتسب إليه. وهذا مرهون بكون الأسرة ذاتها سليمة ومتماسكة، ويسودها الوثام والمودة والسلام. (نفس المرجع، ص ١١٧) فالتفكك الأسري مثلاً، يعتبر بدون أدنى شك من أكثر العوامل المؤدية إلى الجنوح والانحراف ومنه الانحراف الفكري لدى المراهقين والناشئة والأطفال، بل إن كثيراً من الدراسات أثبتت أن السلوك الجانح والإجرامي يكون مرده في الكثير من الحالات إلى تأثير الأسرة المفككة. (عبيد روؤف، ١٩٩٨، ص ص ١٣٦-١٣٨)

وتتحدد وظائف الأسرة الوقائية في وظيفتيها الأساسيتين: وظيفة التربية والتنشئة الاجتماعية وفي الحرص على الانتظام في التعليم، والتأكيد على التحصين الروحي للطفل، ووظيفة إعداد الطفل بالشكل الجيد والسليم لخوض معترك الحياة المستقبلية.

أ- وظيفة التربية والتنشئة الاجتماعية

فإذا كانت بعض المؤسسات الاجتماعية في وقتنا الحاضر، قد أخذت بشكل كلي أو جزئي، بعضاً من وظائف ومهام الأسرة، مثل مهمة توفير العناية الصحية ومهمة الترفيه والترويح، ومهمة بناء المسكن، ومهمة خياطة وتوفير الملابس وتحضير المأكّل، بعدما كانت الأسرة ذاتها تقوم بهذه الوظيفة، فإن وظيفة التربية والتنشئة الاجتماعية لا تستطيع أية مؤسسة اجتماعية أخرى أن تقوم مقام الأسرة، على اعتبار وجود الكثير ممن يعتقدون أن هذه الوظيفة يمكن تفويضها إلى مؤسسات أخرى غير الأسرة ومنها اعتماد الخادمة والمربية، دور الحضانة، ورياض الأطفال، والمدرسة وفي حقيقة الأمر ما هي إلا مسميات تهرية يعطيها بعض الأولياء للتخلص من هذا الدور وهذه الوظيفة الحيوية للأسرة تجاه أبنائها. (جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ٢٠٠٥، ص ١١٩)

إن وظيفة التربية والتنشئة الاجتماعية التي تقوم بها الأسرة نفسها مرتبطة في الواقع الأمر بوظيفة الوقاية من الانحراف والجريمة وفي هذا المجال نذكر الحقائق التالية:

- طول فترة الطفولة عند الإنسان: يذكر «فاخر عقل (١٩٩٨) ص ١٥»، بأن الفترة التي تمضي بين الولادة وبين خوض الوليد الجديد لحياته العادية تسمى طفولة، وهذه الفترة تزداد بارتفاع المخلوقات في سلم التطور لكن ما علاقة هذا بالتربية والتنشئة الاجتماعية وما علاقتها بالوقاية من الانحراف والجريمة.

نعتقد أن العلاقة واضحة ومباشرة بين طول فترة الطفولة عند الإنسان بالمقارنة بالمخلوقات الأخرى، والتربية والتنشئة الاجتماعية قائمة أساساً على حسن استغلال قدرة الإنسان كأرقى المخلوقات على التعلم والاكتساب، ويشمل ذلك كل أنواع الخبرات والمعارف وهذه الأخيرة أول ما تأتي من الأسرة ذاتها من خلال التربية والتنشئة الاجتماعية.

ومن الناحية الوقائية، فإن الأسرة إذا قامت فعلاً بالوظيفة الأساسية لها، والمتمثلة في التربية والتنشئة الاجتماعية وبشكل صحيح وسليم، فإنها أيضاً تقوم بوظيفتها الوقائية، من خلال تحصين الطفل لمواجهة كل الأخطار والانحرافات السلوكية، التي يمكن أن يكون عرضة لها.

وهنا سنقدم الحقيقة العلمية التي ذكرها النفساني عبد الرحمن عيسوي (١٩٨٩) في الوضع الطبيعي يقوم المخ الإنساني في الجهاز العصبي للفرد بتوصيل المنبهات القادمة إليه من الداخل والخارج بالآليات العصبية وبالمروور على الخبرة الماضية المخزنة لديه بتوصيلها إلى أعضاء الجسم للقيام بالسلوك المناسب (الاستجابة المناسبة). (عبد الرحمن عيسوي، ١٩٨٩، ص ٩٨)

يتضح إذن من هذه الحقيقة العلمية أن سلوك الفرد يتأثر سلباً أو إيجاباً بخبراته السابقة، وتجاربه السابقة، ومعارفه السابقة، وخاصة منها تلك المكتسبة خلال فترة الطفولة الأولى، أي الفترة التي يقضيها الطفل أساساً في أحضان الأسرة، والتي تتطلب تربية وتنشئة اجتماعية من طرف الأسرة إذا ما أردنا شخصية سليمة وصالحة لأطفالنا.

- طول وقصر فترة الطفولة مرتبط بدرجة تطور المجتمع نفسه: المقصود هنا بفترة الطفولة هي فترة الرعاية الأسرية للطفل، تعتبر فترة الطفولة إحدى المؤشرات لقياس سلم الرقي لدى الشعوب، حيث أن الطفولة عند الشعوب البدائية مثلاً، تكون قصيرة لأن الأسرة عند الشعوب البدائية تعتمد إلى الزج بأطفالها في معترك الحياة والعمل في سن مبكرة وهو ما يعني قصر مدة الرعاية والتربية والتنشئة الاجتماعية ومردّه يعود إلى العوز المادي والحاجة، لكن أيضاً مردّه إلى الضعف المعرفي والفكري للأسرة ذاتها في هذا النوع من المجتمعات.

كذلك فإن الأسر الفقيرة هي الأخرى تعتمد إلى الزج بأبنائها في العمل مبكراً وبذلك ينتزع الطفل انتزاعاً من طفولته ليدخل سوق العمل، على أمل أن يعود ذلك على أسرته بالفائدة أما فائدة الطفل فتطرح جانباً، وأما المقتردر والغنى فيوفر لأطفاله فترة طفولة تكون طويلة ولا تقل عن العشرين (فترة تربية وتنشئة اجتماعية وتحضير للمستقبل). (جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ٢٠٠٥، ص ١٢١، ١٢٢).

إذن حقيقة أن طول أو قصر فترة الطفولة تكون مؤشراً من مؤشرات تقدم وتأخر الشعوب، ففترة الطفولة وما يصاحبها من تربية وتنشئة اجتماعية ضروريان يجب أن لا تقل في المتوسط من ستة عشرة سنة، ويجب أن تكون مرتبطة بفترة التعليم، وهذا ما هو حاصل في المجتمعات التي تحترم مواطنيها وتعطيهم قيمة، وأما المجتمعات المتقدمة، فإن فترة الطفولة قد تصل إلى ما فوق العشرين سنة وربما تكون أطول في بعض الحالات. وعليه فإن فترة التربية والتنشئة الاجتماعية لها علاقة بتحضر الشعوب ورفيها أو تأخرها وتخلفها.

- اختلاف الأسرة الجاهلة عن الأسرة المتعلمة: فالأسرة الجاهلة - على سبيل المثال - تعتمد إلى المطالبة من أبنائها بالدخول إلى معترك الحياة، أو في سوق العمل في سن مبكرة في حين أن الأسرة المتعلمة تعرف قيمة التربية والتنشئة والتعليم والعلم والمعرفة وتأثيره على حياة وشخصية الفرد، ولهذا تعتمد إلى إعطاء الوقت الكافي لأطفالها ليأخذوا نصيبهم من التربية والتنشئة، والمعارف والعلوم، قبل أن يخوضوا معترك الحياة.

انطلاقاً من حقيقة أن الإنسان لا بد أن يقضي جزءاً كبيراً من حياته في التربية والتعليم يعد نفسه للحياة، ويتزود بالخبرة والمعارف الضرورية لمواجهة المستقبل، ولينقل بدوره خبرات ومعارف ذات قيمة لأطفاله وللأجيال القادمة.

- التربية والتنشئة الاجتماعية هي إعداد الطفل لمعترك الحياة: لا جدال في كون التربية والتنشئة الاجتماعية الصالحة والسليمة هي في الجوهر إعداد الطفل لمعترك الحياة بالإضافة لكونها إعداد لشخصية اجتماعية صالحة، ومواطن سوي، فعال، ومتوازن مع نفسه ومع الآخرين ومع محيطه ومع مجتمعه. يذهب في هذا المجال (جون ديوي 1859.1952 John Dewey) إلى القول أن التربية بمفهومها الواسع هي تطوير قدرات الفرد ليتمكن من التحكم في بيئته وتحقيق مقدراته وطموحاته. (جامعة نايف للعلوم الأمنية، ٢٠٠٥، ص ١٢٣)

وأما الباحث الإيطالي سيزاري بكاريا Cesare Bccaria فقد أشار في هذا الموضوع إلى أن الوسيلة الأكثر ضماناً لمحاربة الجريمة والوقاية منها هي التربية الكاملة. ونضيف هنا أن الوقاية من الجريمة والانحراف لا تكمن في القوانين الجزائية أو في التقنية بقدر ما تكمن في التربية الصالحة السليمة، وفي المنهج التربوي السليم الذي يعلم فعلاً الضبط الذاتي والسلوك المدني المتحضر الملائم لروح وقيم المجتمع، أي التربية والتنشئة الاجتماعية في الأسرة والتربية والتعلم في المدرسة إلى تحضير الطفل لمواجهة الحياة والمستقبل على أساس سليم. (نفس المرجع، ص ١٢٤)

- أهمية التهذيب الروحي: إن التعليم والتهذيب الروحي يجب أن يكون على سلم الأولويات في عملية التربية والتنشئة الاجتماعية وخاصة في مجتمعاتنا العربية والإسلامية. لذلك فإن غرس الوازع الديني والتقيد به، وتقويته بطرق علمية مدروسة، وبعده عن كل غلو وتطرف، وتعليم ممارسة شعائر الدين، والالتزام بتعاليمه، من شأنه أن يحمي الطفل والمواطن من كل الانزلاقات السلوكية، ويحصنه عن الوقوع في برائن الجريمة والانحراف، ويبعده عن الانحراف الفكري، ويحقق له الاستقرار والطمأنينة النفسية، ويهذب النفس البشرية ويربي الضمير.

ب- متابعة تعليم الأطفال

من الوظائف الأساسية الأخرى للأسرة في مجال الوقاية من الجريمة والانحراف الفكري هي وظيفة المتابعة والحرص على تعليم الأطفال. ذلك أن التعليم هو قوة أخلاقية ومعنوية للطفل زيادة على كونه قوة معرفية وعلمية يزود بها الطفل لمواجهة الحياة، والتعليم هو أيضاً: «خلق عقل سليم في جسم سليم». كما أشار إليه أرسطو. وهذه الوظيفة هي على غاية كبيرة من الأهمية لأنها وظيفة تربوية أيضاً، وتدخل ضمن توفير التنشئة الاجتماعية الصالحة للأطفال، هي وظيفة اجتماعية إنسانية، أبوية قبل أن تكون وظيفة مرتبطة فقط بالحرص على ذهاب الطفل من عدمه للمدرسة، بل يجب أن تركز على المحتوى التعليمي والمنهج الذي يتلقاه الطفل والقدرة على الاستيعاب والمتابعة اليومية لدرجة التحصيل، والانتظام والسلوك، وكل ما يتعلق بالمنظومة التعليمية وعلاقتها بالطفل.

فالمدرسة والأسرة فيما يتعلق بالطفل التلميذ يجب أن يعملتا بمؤازرة بعضهما البعض، ويجب أن يكون الاتصال بين المدرسة وأولياء التلاميذ بشكل دوري ومنتظم ومتواصل. لأن هذا يدخل في إطار العمل من الجانبين على حسن كيف الطفل مع محيطه وبخاصة منه المحيط المدرسي. وفي دراسات وأبحاث علمية عدة نجد ما يؤيد ما نذهب إليه في كون عدم المتابعة، وعدم الحرص على مواظبة الأطفال على التعليم، وعدم معرفة ما يجري في مجال العملية التعليمية ومجال محيط الأطفال قد تكون له عواقب وخيمة على الطفل، ومنها الانخراط في الجريمة والانحراف على مختلف صورته وأشكاله، وهو ما يشير إليه (أكرم نشأت، ١٩٨١):

١- التواصل المنتظم بين الطفل ووالديه: الوظيفة الوقائية الثالثة في مجال الوقاية من الجريمة والانحراف الفكري، هي التواصل المباشر والمستمر بين الوالدين والأطفال إذ يعتقد الكثير من الوالدين بأن مجرد العيش مع الأطفال في أسرة واحدة وتحت سقف واحد يكفي لتكوين العلاقات وتمتين الروابط مع الأطفال. لكنه غير كاف لتكوين علاقات جيدة بين الأطفال والوالدين، ولا يمكن أن يكون مرادفاً أو بديلاً للاتصال والتواصل المباشر والمنتظم والضروري بين الوالدين والأطفال.

في هذا المجال يجب أن لا ننسى بأن الطفل في مراحل حياته الأولى يكون مرهف الحس وشديد التأثر ويقول: (حسين عقل في هذا الشأن، ١٩٩٦، ص ١٠٥، ١١١) إن أحداث الطفولة والاحباطات والصراعات ونمط العلاقات الأسرية لها أثر كبير في بناء شخصية الفرد وسلوكياته السوية والشاذة.

فالطفل في سنواته الأولى يتعرض لضغوطات ومؤثرات عدة تتطلب بالضرورة تربية وتنشئة اجتماعية، فهو شديد التأثر بالمصادر، والعوامل والخبرات التي يكون عرضة لها وشديد التأثير بالمحيط والأحداث والوقائع التي يعايشها، فإذا كان لا يتلقى الدعم والتصويب وما يسد حاجاته، ولا يجد القدوة الحسنة في والديه أولاً، وفي كامل أفراد أسرته ثانياً فإنه سوف يذهب إلى الاقتداء بالغير وقد تتلقفه حينها أياد آثمة، أو صحبة بائسة أو محيط الشر والانحراف.

وهنا يظهر بوضوح مدى أهمية الاتصال والتواصل بين الأطفال والوالدين في مجال حسن التربية والتنشئة الاجتماعية ولتبيان فوائد التواصل المنتظم والمستمر بين الوالدين والأطفال.

٢- الابتعاد عن العنف والمبالغة: في إطار المهام والنشاط الوقائي للأسرة ضمن مجهودات التربية والتنشئة الاجتماعية، نذكر أهمية الابتعاد عن العنف والمبالغة في التدلال أو اعتماد العقاب البدني في مجال التربية والتنشئة الاجتماعية. أما المقصود بالعنف فهو الذي يأتي في إطار اعتماد العقاب كوسيلة للتربية والتنشئة الاجتماعية.

لكن الاعتقاد الشائع في مجتمعاتنا العربية أن سبيل التربية الصالحة، هو «العصا لمن عصى» وأن العقوبة البدنية والضرب أفضل سبيل للنجاح في عملية التربية والتنشئة الاجتماعية وكأننا، لا نسأل أنفسنا لماذا نضرب أطفالنا، وما هي نتائج ذلك على الرغم من أن الوالدين يكونان في هذه الحالة عاجزين عن الإجابة الصحيحة والسليمة عن تلك الأسئلة ومقتنعان مسبقاً بمفعول العقوبة في مجال التربية والتنشئة الاجتماعية.

نحن نعتمد على العقاب وننسى أن للعقاب شكلاً آخر أكثر نجاعة وأكثر مردوداً في مجال التربية والتنشئة الاجتماعية هذا الشكل الآخر هو التعزيز أولاً، والإطفاء أخيراً، إذن العقاب له وجه آخر وهو الثواب، والثواب والتعزيز يجب أن يكون هو الأساس وهو الوسيلة الصحيحة والسليمة في عمليتي التربية والتنشئة الاجتماعية.

العقاب يجب أن يكون آخر الوسائل في عملية التربية والتنشئة الاجتماعية إن كان لا بد منه فإن ذلك يمكن أن يأخذ صوراً وألواناً متعددة غير العقوبة البدنية والتي هي في رأينا لا تصلح لشيء في مجال التربية والتنشئة الاجتماعية خاصة في مراحل حياة الطفل الأولى، حيث يمكن أن يؤدي العقاب إلى نتائج عكسية سلوكياً وأخلاقياً. (فاخر عقل، ١٩٩٨، ص ٢٣٦)

وأما المسألة الثانية، هنا التي نريد التحذير منها في المجال الوقائي فهي مسألة المبالغة في تدليل الأطفال والخضوع لكل رغباته، وأساساً إن المبالغة في كل شيء في مجال التربية والتنشئة الاجتماعية هي مفسدة، إن المبالغة في تدليل الطفل مثلاً من شأنها أن تحرمه من اكتساب خبرات اجتماعية، وسلوكية، ونفسية هو في حاجة ماسة إليها، المبالغة في تدليل الطفل من شأنه أيضاً أن تفقده ثقته بنفسه وتقلل من اعتماد على نفسه في انجاز أمور عدة، بذلك قد تكون عائقاً أمامه في حياته المستقبلية وقد يدفعه ذلك للاعتماد الدائم على الآخرين. (جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ٢٠٠٥، ص ١٢١)

خاتمة

يتضح لنا مما سبق أهمية الدور العظيم الذي تضطلع به الأسرة في تربية الأبناء، وإعدادهم للحياة الاجتماعية، ولشغل أدوارهم المستقبلية المتوقعة منهم، وذلك أن تماسك البناء الاجتماعي وبقائه واستمراره مرهون بقيامها بهذه الوظيفة النبيلة، والتي تعمل من خلالها على إكساب أفرادها العادات، والتقاليد، والاتجاهات، والمعايير، والسلوكيات... إلخ، وبالتالي نقل التراث الثقافي والاجتماعي من جيل لآخر، فالأسرة بمثابة المرآة العاكسة للثقافة المجتمعية السائدة، وهي تحقق للفرد من خلال التربية الشعور بالانتماء.

وعلى الرغم من التغيرات التي طالتها كغيرها من الأنساق الاجتماعية الأخرى، فقد أدى ذلك إلى تقلص حجمها ووظائفها عما كانت عليه في السابق، إلا أنها لا تزال عاملاً مهماً من عوامل التربية التي تحدد من خلاله الأنماط الثقافية، والاتجاهات السلوكية، والممارسات الاجتماعية للأفراد، وتراجع الأسرة عن القيام بهذا الدور سيتسبب في انحلال النسيج الاجتماعي وتفككه، وانهيار المنظومة القيمة التي أقرها المجتمع، وفقدانه للتوازن والاستقرار.

المراجع المعتمدة

- ١- أكرم نشأت (١٩٨١)، عوامل جنوح الأحداث، سلسلة الدفاع الاجتماعي، العدد الثالث.
- ٢- أمحمد برقوق (٢٠٠٨)، أزمة دارفور، مجلة العالم الاستراتيجي، العدد ١، الجزائر.
- ٣- أمل محمد (١٤٢٧-١٤٢٨)، مفهوم الأمن الفكري في الإسلام وتطبيقاته التربوية، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة أم القرى.
- ٤- أميرة منصور يوسف علي (١٩٩٩)، محاضرات في قضايا السكان والأسرة والطفولة، المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية.
- ٥- ابن منظور أبي الفضل جمال الدين (١٤١٢هـ)، لسان العرب، دار صادر، المجلد الرابع، ط١، بيروت، لبنان.
- ٦- التركي عبد الله بن عبد المحسن (١٤٢٢هـ)، الأمن الفكري وعناية المملكة العربية السعودية، رابطة العالم الإسلامي، ط٢، مكة المكرمة.

- ٧- الحنفي (١٩٩٤)، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، مكتبة مدبولي، القاهرة.
- ٨- الجحني علي بن فايز (د. س)، الأمن في ضوء الإسلام، مكتبة المعارف، د. ط، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- ٩- الحيدر عبد الرحمن (١٤٢٢هـ)، الأمن الفكري في مواجهة المؤثرات الفكرية، رسالة دكتوراة مطبوعة، القاهرة.
- ١٠- الخطيب محمد شحات (٢٠٠٦)، الانحراف الفكري وعلاقته بالأمن الوطني والدولي، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.
- ١١- الطلاع رضوان بن ظاهر (١٤٢٢هـ)، نحو أمن فكري إسلامي، رابطة العالم الإسلامي، ط٢، مكة المكرمة.
- ١٢- العمر معن خليل (١٩٩٤)، علم الاجتماع الأسرة، دار الشروق للطباعة والنشر، عمان.
- ١٣- المالكي عبد الحفيظ بن عبد الله (١٤٢٧هـ)، نحو بناء استراتيجية وطنية لتحقيق الأمن الفكري في مواجهة الإرهاب، رسالة دكتوراة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.
- ١٤- بند بن علي (١٤٣٠هـ)، تصور مقترح لتفعيل دور المدرسة الثانوية في تحقيق الأمن الفكري، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة أم القرى..
- ١٥- جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية (٢٠٠٥)، الأمن الفكري، مركز الدراسات والبحوث، ط١، الرياض.
- ١٦- جمال مجدي حسنين (٢٠٠٥)، سوسيولوجيا المجتمع، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة.
- ١٧- جميل صليبا (١٩٧٩)، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، ط١، ج٢، بيروت.
- ١٨- حسن مصطفى عبد المعطي (٢٠٠٤)، الأسرة ومشكلات الأبناء، دار السحاب، ط١، القاهرة.
- ١٩- حسين سلامة عبد السلام (١٤٢٥هـ)، الاتجاهات الحديثة في الإدارة المدرسية الفعالة، دار الفكر، ط١، عمان.
- ٢٠- حنان عبد الحميد العناني (٢٠٠٠)، الطفل والأسرة والمجتمع، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط١، الأردن.
- ٢١- راشد بن سعد الباز (١٤٢٥هـ)، أزمة الشباب الخليجي واستراتيجيات المواجهة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.
- ٢٢- زيان دريد فطيمة (٢٠٠٥)، الأسرة والتنشئة الاجتماعية للطفل، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باتنة، العدد ١٣.
- ٢٣- سعود صالح (٢٠٠٨)، الهوية وإشكالية التنمية، محاضرة أقيمت في الملتقى الوطني حول التهديدات الأمنية في الساحل الإفريقي، جامعة بسكرة.
- ٢٤- سلوى عثمان الصديقي (٢٠٠٤)، وآخرون: الأسرة والسكان من منظور الخدمة الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- ٢٥- طالب أحسن (٢٠٠١)، الوقاية من الجريمة، دار الطليعة، بيروت.
- ٢٦- طه عابدين طه (د. ت)، الانحراف الفكري مفهومه، أسبابه، علاجه، جامعة نايف العربية، الرياض.
- ٢٧- عبد الرحمن عيسوي (١٩٨٩)، علم النفس ومشكلات الفرد، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.
- ٢٨- عبد العزيز بن صقر الغامدي (٢٠٠٥)، الأمن الفكري، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ط١، الرياض.
- ٢٩- عبيد رؤوف (١٩٩٨)، أصول علم الإجرام والعقاب، دار الفكر العربي، القاهرة.
- ٣٠- عفاف بنت حسن الحسيني (٢٠٠٤)، دور الأسرة التربوي في استتباب أمن الفرد والمجتمع من خلال التنشئة الاجتماعية والضبط الاجتماعي، أطروحة دكتوراة غير منشورة، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

- ٣١- عطا حسين عقل (١٩٩٦)، الإرشاد النفسي والتربوي، دار الخريجي للنشر والتوزيع، الرياض.
- ٣٢- علي بن فايز الجعني (٢٠٠٤)، وظيفة الأسرة في تدعيم الأمن الفكري، مجلة الفكر الشرطي، مجلد ١٢، العدد ٤.
- ٣٣- فاخر عقل (١٩٩٨)، معالم التربية، دار العلم للملايين، بيروت.
- ٣٤- محمد جابر محمود رمضان (٢٠٠٥)، مجالات تربية الطفل في الأسرة والمدرسة، عالم الكتب، ط١، القاهرة.
- ٣٥- محمد عاطف غيث (٢٠٠٥)، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الأزراطة.
- ٣٦- محمد محمد نصير (١٩٩١)، الأمن والتنمية، مطبعة العبيكان، الرياض.
- ٣٧- محمد سليم العوا (٢٠٠٢)، القيم والتربية، أعمال المؤتمر الثقافي السابع الثقافة والقيم، الرياض.
- ٣٨- مروة عماد الدين (د.ت)، طفلك من المهد...إلى المدرسة، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع، القاهرة.
- 39- Franz FANOUN(1959), sociologie d'une révolution, petite collection Maspero, Paris.
- 40- afissa ZERDOUMI(1982), Enfant d'hier :Education de l' enfant en milieu traditionnel Algérien, ENAL, Alger.

النحت في أصل الجبل .. نحت حي على الحجر (نماذج مختارة)

أ.د. محمود عجمي الكلابي



حضارية سجلت أحداث عصرها على
الحجر بأصل الجبل.

وعلى ذلك قام البحث الموسوم
(النحت في أصل الجبل .. نحت حي على
الحجر نماذج مختارة) متضمناً أربعة
فصول: وسم الأول منها بالإطار المنهجي
للبحث، في تناوله مشكلة البحث وأهميته
والحاجة إليه، وحدوده وأهدافه ومنهجه،
مع تحديد المصطلحات الواردة في
العنوان وتعريفها. وجاء الفصل الثاني

بسم الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَكَاَنُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا
آمِنِينَ﴾ (الحجر: ٨٢)

ملخص البحث

باستقرار الإنسان في كهوف
الجبال، كان قد نما لديه حب التعرف
على الأشياء مما يحيطه، فأخذ ينقش
على جدرانها صوراً مختلفة للحيوان
والإنسان، رسماً وتحزيراً، ولتتطور تلك
البوادر، فيما بعد، إلى معرفة بقطع
الحجارة وتشذيبها، وصولاً إلى إنشاء
عمارته عليها والتي يمكن دعوتها بعمارة
الجبل لتشتمل على وحدات سكنية
مختلفة الأغراض، تتعلق بحياته ومماته
معاً، ومسجلاً عليها أحداث عصره، في
مراحل لاحقة، بعد معرفة الكتابة التي
لازمتها نقوش موضوعات ناتئة على
الجدار، حتى غدت بعض التجمعات بؤراً

- مارس التدريس في كليات الفنون الجميلة بجامعة البصرة وبغداد وبابل، وكلية الفنون والإعلام بجامعة الفاتح،
ليبيا، ومعهد الفنون الجميلة في البصرة العراق. mahmoud_ajmi@yahoo.com

متضمناً الإطار المعرفي للبحث، بمبحثين تناول أحدهما تسليط الضوء على أهم البؤر الحضارية التي عرفت مثل هذا الإنجاز من أعمال الفن، وتطرق الآخر إلى عمارة الجبل. فيما تناول الفصل الثالث إجراءات البحث وتضمنه التطرق إلى نماذج مختارة شكلت عينة البحث في دراسة الظاهرة موضوع البحث. وخلص الفصل الرابع إلى أبرز النتائج التي توصل إليها البحث، والانتهاه بقائمة المصادر والمراجع التي اغنت مادة البحث. ومن تلك النتائج:

١. أن النحت في أصل الجبل، كنحت مباشر على حجره أو صخوره، إنما هو ما كان قائماً عليه في المكان والزمان، وهو أمر اشتركت فيه أكثر من بؤرة حضارية جاءت البيئة التي يقطنها سكانه جبلية بالأساس، لتحكم عليه سمة الإنجاز بهذا النوع من أعمال الفن.

٢. أن فن النحت على الحجر في أصل الجبل جاء حاملاً جانباً إعلانياً حكمه فكر وطبيعة المرحلة، في كل بؤرة من البؤر الحضارية موضوع البحث. وقد رافق بعض موضوعاته نصوص كتابية، بحروفها المسمارية، مشكلة إعلاناً مقروءاً يفصح عن الحدث المصور.

٣. جاءت بعض أعمال النحت في أصل الجبل، ممتزجاً فيها أكثر من تأثير حضاري طبع تشكيله الفني عليه، كمرجعيات فكرية وفنية، كان قد مازج فيها النحات بين ما هو طارئ عليه، وما هو محلي من بيئته.

٤. لقد دعم الذكر الحكيم مسألة عمارة الجبل، في أكثر من موضع من كتاب الله تعالى، من خلال اتخاذ الجبل سكناً آمناً كان قد لجأ إليه الإنسان، وللتعبد أيضاً.

الفصل الأول: الإطار المنهجي للبحث

مشكلة البحث وأهميته والحاجة إليه

يشكل العمل النحتي في اتجاه محدد، مادة تتطلب الخوض في حيثيات صيرورتها إلى أن تكون منفذة بخط في التوجه يستدعي بحثها فيه، لما تشكله من تقاطع عما تعارف عليه من عمليات يقوم عليها إنجازها، إذ من الظاهر في الغالب هو امتلاك العمل النحتي سمة الاستقلالية في تنفيذه بمواد مختلفة، ومنها الحجر كمادة أساسية عرفها فنانونا الحضارات القديمة، وبطريقتي النحت المعروفة: المدور منها والناتئ (البارز)، بإحالة قطعة الحجر إلى موضوعة مجسدة عملاً نحتياً يمكن أن يأخذ مكانه في موضع محدد بفضاء يشغله، مغلقاً كان أم مفتوحاً. إلا أن بعض أعمال النحت، وبتصنيفاتها المتعددة (نحتية خالصة، عمارية...) قد جاءت منفذة في مكان محدد استدعى إنجازها فيه وعليه،

وهو بيئة الجبل، مما يطرح على بساط البحث في تناولها تساؤلات تستدعي الإجابة عنها كمشكلة تتطلب الوقوف على إنجازها كظاهرة عرفها العالم القديم في أكثر من بؤرة حضارية، ومن تلك التساؤلات:

- لماذا وكيف لجأ فنانون حضارات محددة بالميل إلى بيئة الجبل كمكان في تجسيد أعمالهم النحتية عليه؟

- وما هو الوازع الذي حملهم على ذلك؟ حكماً بتوجيه المرحلة في ذلك؟

وانطلاقاً من ذلك، صيغ عنوان البحث بـ (النحت في أصل الجبل.. نحت حي على الحجر نماذج مختارة).

ومن هنا تتأني أهمية الخوض في تشكيلات نحتية، تختلف عما سواها أو متعارف عليها، تحتاج إلى التعريف بها وما جاءت عليه من تكوين فني وموضوعية ترتبط بالإنسان، وبالمكان والزمان. ومن كون موضوع البحث لم يتم تناولها بدراسة علمية، محددة وشاملة، إلا من إشارات لها ضمن مسيرة في المنجز الفني العام لهذه الحضارة أو تلك، ولم تشبع بالدراسات الوافية إلى ما يسلط الضوء على مادة علمية تحتاج إلى طرحها على بساط البحث، لما تمتلكه من أهمية وحاجة إلى أن تبحث بشيء من التفصيل، وتفيد في طرحها أكثر من جهة ذات علاقة بموضوعة البحث.

هدف البحث

كشف وتعرف المنجز الفني النحتي المجسد على أصل الجبل، في عدد من البؤر الحضارية القائم إنجازها على ذلك.

حدود البحث

تحدد البحث موضوعياً بتناول أعمال النحت المنفذة في أصل الجبل، والمحددة مكانياً في كل من (آشور والنبط «البتراء» وفارس) كبؤر حضارية عرفت مثل هذا الإنجاز، حكماً ببيئتها الجبلية.

منهج البحث

باعتدال المنهج الوصفي في تحليل محتوى الأعمال النحتية الخاضعة للبحث، والمجسدة في أصل الجبل، كمنهج متبع في الدراسات التي تتناول أعمال الفن، علاوة على المنهج التاريخي في تتبع الظاهرة الفنية بعمقها الزمني.

تحديد مصطلحات البحث وتعريفها

- أصل: (لغة)

«أصل: أصل أصالة: كان له أصل. وأصالة: جودة إحكام.. أصالة لوحة: ما هو غير مبتذل، ما يتسم بالابتكار والطرافة». أصل: ج أصول. أصل كل شيء: موضع بداية شيء، أساسه.. «أصل الجبل»، «أصل الحائط»، منشأ^(١).

- حيّ الحي: من صفات الله: «الحيّ القيوم»، «الحيّ الباقي أو الدائم»: الذي فيه حياة. وتأتي: «ذو حيوية وفاعلية»، «مثال حي»، «شهادة حية»، «صورة حية»، «ذكرى حية»، باقٍ، يدوم^(٢).

- حَجَرٌ: ج أحجار وحجارة: مادة صخرية صلبة قاسية، تُقَطَّع وتُستعمل للبناء والنحت^(٣).

ومن ذلك نخلص إلى أن (أصل الجبل):

هو مادته، وكيانه وموضعه الذي يكون فيه، والذي تتشكل صخوره من ذات المادة القائم عليها، والمتشكل منها ارتفاعا وامتدادا، بوضع مرتبط بالطبيعة والخلق الإلهي.

- النحت في أصل الجبل (إجرائياً): هو ما كان قائماً من أعمال النحت التي أنجزها الإنسان، عبر العصور، في مادة الجبل ذاته، وفي مكان موضعه، بقطع وتشذيب حجارتها، محيلاً إياها إلى موضوعة ترتبط بكيانه إزاء الحياة والوجود، ومحملاً إياها أبعاداً فكرية وجمالية، معبراً فيها عن تجليات وجوده كوثيقة وإعلان يسجل لحياته في محيط مرتبط ببيئة سجلت مآثره على صفحة الجبل، متسمة بالابتكار في الطرح، في الزمان والمكان.

- النحت الحي على الحجر (إجرائياً): هو النحت القائم في مادة حجارة الجبل، والمرتبط بتشكيله بنبضه ككيان قائم بذاته، دون انفصال عنه، واصفاً وواضعا الإنسان عليه صورة حياتية حية، ومشكلة شهادة حية لعصره تدوم بدوام قيامه أي الجبل وتكون ذات حيوية وفاعلية، ويكون فيها مرتبطاً بالبيئة ارتباطاً وثيقاً، وهي بيئة الجبل كمكان.

الفصل الثاني: الإطار المعرفي للبحث

المبحث الأول: النحت في أصل الجبل عبر العصور

تمهيد

لعل أولى بوادر المعرفة بظن النقش على الجدار هو ما ظهر من نقوش مثلت موضوعات عدة أحاطت حياة الإنسان البدائي، حين سكن مغارات الجبال، كملاذ أول للسكن والاستقرار، والتي فرضت عليه نمطاً من العيش تكيف فيه مع الطبيعة الصارمة

في التعامل مع مكوناتها وتقلباتها، ومع ما أحاطها من مظاهر كونية جعلته يلجأ إلى تأمين حياته ومسكنه داخل تلك المغارات (الكهوف)، حذراً، مترقباً، متوجساً، لاجئاً إلى رسم ما يمكن السيطرة عليه من الحيوان، ولأجل التعايش معه، ومن ثم استئناسه، وتدجينه، ولتسمو به أفكاره فيما بعد، إلى (عبادة) بعضه، مع ما في الكون من مظاهر، خوفاً، وطمعاً، فيتشكل لديه (المعتقد) بما يؤمن له حياته وإدامتها.. فظهرت صور الحيوان، إلى جانب صور الإنسان ومطاردته لأصناف من الحيوان، صيداً أو اقتداراً عليه، وتجنباً لمخاطره، مشكلة تلك الموضوعات البوادر الأولى للمعرفة بفن النقش بداية (رسماً وتحزيراً) على جدران الكهوف، ولتتطور فيما بعد إلى معرفة بفن النقش (نحتاً) على الجدران بالحز تارة، وبالقطع والتشذيب للحجر مستقلاً بكيونته، أم متصلاً بجذره في الجبل تارة أخرى، بعد تقدم البشر سكناً ومعتقداً، إلى أن ينجزوا أعمالاً نحتية تصمد في المكان، وتخلد أحداث الزمان، محملة بموضوعات دينية ترتبط بالمعتقد، أو دنيوية مسجلة أحداثاً ترتبط بالواقع الحياتي المعاش للإنسان، مع تطور إلى أن تكون وثيقة تسجل حدثاً ما، يكون مقروءاً، حين لا زمت بعضها كتابات حفرت على الجدار، مؤرخة الحدث وموضحة له.

ومن ذلك بني البحث في مادته على تناول أعمال محددة ارتبطت بتجسيدها في صخور الجبال، باستعراض بعض حضارات مالت إلى ذلك التوثيق، حكماً ببيتها الجبلية في مواقع محددة منها، وشكلت أعمالها الفنية بهذا الاتجاه مجاًلاً خصباً قام البحث على استقراره، بتناوله في دراسة تتوخى الجانب العلمي في وقوفها على منجزها الفني/النحتي بهذا المجال، وما عليه من قيمة فكرية وجمالية حكمت تشكيله وفقاً لفكر مرحلته، وما كان عليه إنسانها من مستوى من التفكير والتجسيد.

وعلى مر العصور، كانت قد ظهرت بؤر حضارية في مناطق متعددة تميزت بإنجاز آثار فنية تقاطعت فيها مع ما هو سائد أو متعارف عليه من أعمال النحت: المجسمة (Round) والبارزة الناتئة (Relief)، فتخرج من أسلوب قالبها المعهود، إلى صورة أخرى من التشكيل، تداخلت فيه مع مادة أو خامة الجبل لتكون جزءاً منه، غير منفصلة عنه، في تشكيل عماري وصل فيه مبدعوه إلى تسجيل آثار وحضارة بلدانهم على صفحات من الجبال واسعة المساحة والأثر والتأثير في المتلقي، وليس ذلك فحسب، بل وصلت إلى حد السكن والتعبد، ودفن الموتى فيها، ومن ذلك قام ما يمكن دعوته بـ (العمارة الجبلية).

حضارات جسدت الأثر على صخور الجبال

في بلاد الرافدين (آشور)

بالمعرفة بالكتابة ونظامها في بلاد الرافدين، وما قامت عليه من أمر العلاقات مع ما يحيط هذه البلاد من صلات مع العالم المحيط بها، فإن هذه البلاد قد سجلت على الحجر، ومنه في أصل الجبل، نحتاً حياً مباشراً لكثير من معاملاتها مع الآخرين، ممن تربطها بهم علاقات متبادلة، أو حتى من تسجيل انتصاراتها وبيان شأن الدولة بوثيقة تبقى حية ودائمة على الحجر، في المكان والزمان، وهو ما شهدته مرحلة حكم الآشوريين بخاصة، في منطقة البلاد الجبلية كمكان وبيئة خلدت الأثر أكثر من غيرها على الحجر في هذه البلاد.

فما قامت به من إنجازات فنية وثقت لعصرها، هو تصوير بعض ملوكها على الحجر الطبيعي أي على صفحة الجبل ومن أمثلة ذلك نحت ناتئ يمثل (تجلتلاسر الأول) في الصخر الطبيعي، مع ما يزين المشهد من كتابة مسمارية، في عمل نفذ في أعلى نهر دجلة قرب ديار بكر التركية الشكل^(١) إذ شهد عهد هذا الملك (١١١٥ - ١٠٧٧ ق.م) تألق مجد مؤقت أعيدت فيه السيطرة الآشورية على المناطق شرقي نهر الفرات كلها، وزحف شمالاً عبر الممرات الجبلية ليؤمن حدود مملكته بوجه الطامعين، ووصل إلى الأراضي الواقعة شمالي بحيرة فان، حيث ترك صورته أثراً باقياً في جبهة الجبل^(٢).

وهناك نحت ناتئ آخر في الصخور الجبلية في مالتاي شمالي نينوى، يحتمل أن (سنحاريب) أمر بنحته لتخليد ذكرى إنشاء مشروع ري، وفيه يشاهد الملك وهو يتبع الآلهة وهي تمتطي الحيوانات^(٣) الشكل (٢)، وكذلك ينظر الشكل (٣) الذي جاء وصفه على غير الصورة التي ذكرها نيكولاس بوستغيت في كتابه (حضارة العراق وآثاره)، إذ ظهر في صورة الشكل المذكور، والمنفذ على جدار الجبل صور أشخاص في تتابع، ربما يمثلون في تتابعهم ملكاً تكررت صورته وهو يحمل العصا والصولجان رمزاً السلطة، وهو بهذا التكرار أراد النحات تأكيد صورته وكأنه في حالة سير متتابعة^(٤)، علاوة على أعمال أخرى عديدة لا يتسع المجال لذكرها، ويمكن الرجوع إليها في مصادرها المنوّه عنها.

في بلاد النبط (البتراء)

النبط أو الانباط، هم قبائل بدوية من عرب شمال شبه جزيرة العرب، انتشرت منذ القرن السادس قبل الميلاد، بعد نزوحها من شبه الجزيرة، في البادية التي في شرق الأردن، واحتلت المناطق التي كانت تحت سيطرة الكنعانيين والآراميين، علاوة على أراضي الآدوميين في شبه جزيرة سيناء وجنوب فلسطين، ثم أنشأ هؤلاء دولة الأنباط

العربية التي امتدت مستوطناتها في أوج توسعها من نهر الفرات، في المنطقة المتاخمة لبلاد الشام، حتى البحر الأحمر. وباستقرارهم وتمدينهم أنشأوا المدن والقرى، ومنها عاصمتهم (بطرا) البتراء - في جنوب غربي وادي موسى في شرقي الأردن، التي بلغت أوج ازدهارها في القرن الرابع قبل الميلاد. وعدت مدينتهم هذه في طليعة مدن القوافل المهمة والتجارة التي تربط طريق اليمن والعربية الجنوبية بشمال شبه الجزيرة العربية^(٧).

وقد اقتبس النبط من الآراميين ثقافتهم، وكتبوا بكتابتهم، وتأثروا بلغتهم حتى غلبت الآرامية عليهم، وأن اللهجة التي كانوا يتكلمون بها امتلكت أهمية خاصة، لأن ما نزل به القرآن الكريم من لهجة متطورة إنما كانت مشتقة من اللهجة النبطية العربية المتأخرة التي تعد من اللهجات العربية الشمالية، وخط النبط قريب جداً من خط كتبة الوحي، وهو مأخوذ من القلم الآرامي القديم، وقد سمي بالقلم النبطي^(٨).

لقد سجل الأنباط تاريخ مدينتهم، ومدينتهم معاً، على صخور الجبال بتميز عال، والذي توضحه بجلاء عبقريتهم في (نحت مدينتهم) على كامل جبال المنطقة التي استوطنوها، بقصورها ومعابدها وقبورها ومسارحها وما يتعلق بشؤون الري والزراعة وخزن المياه وما إلى ذلك من أمور حياتهم وتعاملاتهم التجارية ووسائل النقل كالجمال بخاصة، لتعد مدينة جبيلية بامتياز وتضرد عما سواها من بؤر حضارية سجلت آثارها على صخور الجبال. ولعل من أبرز شواخصها الفنية المجسدة في أصل الجبل هي ما يمكن أن يشكل بوابتها المعروفة بـ (الخنزة) عند نهاية ممر يعرف بـ (السيق) يستغرق الكيلومترين أو أكثر ينحصر بين جبال شاهقة، والمعروف به كطريق للقوافل التي كانت تصل هذه المدينة لبضعك في صدارة المدينة المتوغلة عمقاً في الجبال. وهذا الأثر، ورغم ما فيه من التأثيرات الرومانية في العمارة، إلا أنه في جانب آخر يعد تحفة نبطية بامتياز، لما فيه من روعة التصميم والبناء على صفحة الجبل الشكل (٥):

أما الشواخص الأخرى فتمثلها المعابد والقبور والمسرح، وما إلى ذلك من شواهد وشواخص المدينة المتفردة بأبنيتها الكاملة في أصل الجبل^(٩).

في بلاد فارس (ميديا)

في قيام كيان لبلاد فارس، هناك أدلة تشير على وجود قبائل بدائية سكنت البلاد الإيرانية، قرب وديان الأنهر، منذ بداية الألف الخامس ق.م، إذ عثر في سوسة على مجموعة من الأواني الفخارية المزخرفة والمحملة بوحداث حيوانية تأخذ أشكالاً هندسية، دلت على حضارة مبكرة في إيران، وحيث تقابل هذه المرحلة عصر ما قبل (العبيد) في بلاد النهرين. كما ظهرت حضارة معاصرة لحضارة سوسة في منطقة سيالك عثر

فيها على أوان فخارية تتقارب في تشكيلات موضوعاتها مع ما ظهر في فخاريات سوسة، وهذه الحضارة التالية في إيران ومركزها هضبة جيان تعاصر الفترة الأخيرة من حضارة (العبيد) في بلاد النهرين، وتتميز أوانها بزخارف ملونة بوحدات حيوانية وآدمية^(١٠).

من الآثار التي يشار إليها باهتمام، في هذه البلاد، هو النقش البارز لداريوس الأول على صخرة بستان (بهستون) .. في المنطقة التي يرتفع بها بين قرمنشاه وهمدان التي هي إكباتانا القديمة، حاضرة ميديا جبل بستان^(١١) المعروف في الحقبة الأخمينية بصفة (باغستانا «مكان الآلهة»)، وهنا يوجد على جدار من الصخر يرتفع ستون متراً فوق بحيرة تتطوي على ينبوع، نصب تذكاري كبير لداريوس (دارا) الأول، أشهر ملوك الأخمينيين. أما مكان أبدته فلم يختره مصادفة، فهنا يمر طريق قوافله العريق بالقدم، المار ببلاد النهرين، والواصل بالهضبة الإيرانية (اكباتانا)، ثم يتواصل نحو الشرق، إذ عرف باسم بالرجوع إلى بدايات المعرفة بالسكن والاستقرار، كانت الجبال بمغاراتها، بكهوفها، في العصور الحجرية الأولى، هي الملاذ الأول الذي حقق للإنسان كيانه وصورته، عندما اتخذ من الجبال مكاناً يأمن فيه على حياته ودوامها، ولينتقل فيما بعد، إلى تسجيل آثاره عليه، رسماً ونقشاً على الجدران، ومن ثم ليتطور فيما بعد في عصور لاحقة إلى اتخاذها مبنى امتلك سمة المعمار في تشكيله وتصميمه، على وفق رؤية انتقل فيها إلى تأسيس حضارته فيه وعليه المكان ولتتشكل على وفق ذلك في بعض منها ما عرف بـ (مدن القوافل)، والتي هي بؤر حضارية أضحت مهمة في تقدير وجودها، وفعلها الحضاري إزاء (الحضارات النهرية) في مقابل (الحضارات الجبلية)، والتي تشكلت فيها رؤى إزاء الحياة والوجود. فمن المعرفة بالرسم والنقش على جدران الجبال، إلى حفر القبور في صفحاتها، ومن ثم إلى بناء المعابد في صلب مادتها، في هذا المكان أو ذاك، ينتقل الإنسان هذه المرة إلى تأسيس سكنه فيها، ببناء قاعات وغرف انتهت إلى معنى البيت، وإلى تأسيس المسارح، وكل مظاهر استدعاء ذلك في حياته، مانحاً (المكان الجبل) وجوداً آخر محملاً إياه بعداً جمالياً في التصميم وفي التشكيل، مكتملاً بما هو فكري قام على أساسه وبه.

إن الجبل، بما عليه من مادة قائم بها، وكيان وموضع يكون فيه، وبتشكل صخوره من ذات المادة، وما لذلك من ارتباط بالطبيعة والخلق الإلهي، الذي ذكره الله تعالى فيه، بأكثر من موضع في القرآن الكريم، محملاً إياه (سبحانه) ارتباطاً إلهياً يتأتى من استقراره وعدمه، مما جاء في ذلك من مناجاة موسى عليه السلام لخالقه في أن يراه! ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى

الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا (الأعراف: ١٤٣) ، مع ما لذلك من آيات للبشرية فيه، من (خشوع) و(تصدق) .. قال تعالى ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ (الحشر: ٢١) ، ولذلك يرى الباحث فيه تحميلاً لـ (نبض) قائم فيه، تجلى في كثير من أي الذكر الحكيم، ومن أنه كان الحاضن للبشر، منذ بدء الخليقة، كماوى وملاد، ومكان تعبد معروفة لنا قصته في تعبد الرسول الأعظم ﷺ بغار حراء .. وقصة أصحاب الكهف المذكورة في القرآن الكريم ومن القول باتخاذ بنيان عليهم ﴿فَقَالُوا ابْنُوا بُيُوتًا لِّرَبِّهِمْ أَلَعَلَّكُمْ بِهِمْ قَالِ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَّسْجِدًا﴾ (الكهف: ٢١) ، مشكلة تلك القصة معرفة وتأكيداً للجانب الديني في عمارة السكن بهذا الجانب الروحاني، مكتسباً من خلال ذلك قدسيته، كخلق للجبل، مع ما عليه من اعتبارات التقديس التي جاء عليها في أكثر من موضع. ولعل أبرز ذكر في القرآن الكريم لاستيطان الجبل وجعله سكناً للإنسان، ما جاء في قوله تعالى ﴿وَكُنُوزًا يَّخْتُونُ مِنْ الْجِبَالِ يَبُوتًا أَمْنِينَ﴾ (الحجر: ٨٢) ، وقوله تعالى ﴿وَتَخْتُونُ مِنْ الْجِبَالِ يَبُوتًا فَارِهِينَ﴾ (الشعراء: ١٤٩) . و﴿وَبَوَّكُم فِي الْأَرْضِ تَتَخَذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَخْتُونُ الْجِبَالِ بَيُوتًا﴾ (الأعراف: ٧٤) .

ومن ذلك كله، وكمنطلق في عمارة الجبل، كانت قد لجأت يد الإنسان، بعد معرفة الحضارة والتمدن، إلى أن يُسكن جثمانه في قبور تتخلله فيه، ويؤسس معابده، وقاعات الحكم، في فجوات منه منتظمة، ويبصم وينحت مآثره عليه كإعلان عن سلطته، واقتداره الحياتي، حافراً فيه قنوات الري وخزن المياه والمسالك، ومسجلاً وموثقاً بالحرف إنجازاته، ليكون وثيقة تاريخية تبقى على مر الأزمان شاهداً على عمارته للجبل، تسجيلاً لانتصار في معركة، أو سكن له للحكم أو مكاناً للتعبد، أو مسرحاً للتنفيه والاجتماعات يُتدارس فيها أمر البلاد، وما إلى ذلك من شؤون الحياة الإنسانية التي طرحها فكر المرحلة، كانت قد تجسدت في طول بعض جبال وعرضها، محولاً صفحاتها إلى سكن حياتي لا تنفصل فيه أجزاءه، بل تشترك مجتمعة في كتل صخرية عظيمة البناء والوحدة والتماسك.

الفصل الثالث: إجراءات البحث

مجتمع البحث

تضمن مجتمع البحث أعمال الفن المنحوتة في أصل الجبل، في البلاد التي قامت حضاراتها في مناطق الجبال، وسجلت آثارها الفنية عليها، والمذكورة في البحث بالحصول على ما تيسر من مصورات أعمالها في ذلك، وهي عديدة غير يسيرة الحصر وفترة البحث.

عينة البحث

تم اختيار نماذج مختارة من إنجازات بعض البؤر الحضارية الفاعلة في التاريخ الإنساني، والقائمة حضارة بعضها في منطقة الجبل، وأخرى سجلت حضارتها على صفحة الجبل في مناطق محددة، وقد تمثلتها حضارات بلاد كل من: النهرين، والنبط، وفارس.. وبواقع عمل فني واحد من كل منها.. تلك الحضارات وما كان قد سبقها من بشر سكنوا الجبال، كان قد جاء الذكر الحكيم على تأكيدها في أكثر من موضع وآية من كتاب الله تعالى لتكون سكناً آمناً، وفي أخرى فارهاً، وأيضاً مكاناً للتعبد عبر العصور. وجاء اختيار بعض النماذج لما يؤكد ويوضح لهذا الجانب من سكن الإنسان في أصل الجبل.

حدود البحث

تمثلت حدود البحث موضوعياً بأعمال النحت المنفذة على أصل الجبل (نحتية ناتئة، عمارية)، ولمناطق حضارية محددة بكل من بلاد النهرين والنبط وفارس، كحدود مكانية وزمانية في المنجز الخاضع للبحث والدراسة التحليلية لآثارها الفنية، بجانب محدد اقتضت الدراسة.

منهج البحث

باعتماد المنهج الوصفي في تحليل محتوى الأعمال الخاضعة للبحث، وكمنهج متبع في دراسة أعمال الفن وما تشكله من ظاهرة فنية تستحق الدراسة، علاوة على المنهج التاريخي في تتبع الظاهرة الفنية لأعمال مناطق حضارية نشأت في الزمان والمكان.

وصف الأعمال عينة البحث وتحليلها

الانموذج (١): صورة الملك الآشوري سنحاريب

تصوير جداري صخري، يتصدر جبهة جبل في موقع خنس، عند مضيق في وادي كومل شمالي نينوى، يمثل الملك الآشوري سنحاريب ماسكا في يده العصي والصولجان رمزاً السلطة، فيما يده الأخرى ممدودة قليلاً إلى الأمام، وهو في حالة سير بادية عليه من خلال حركة الأرجل واليدين، مظهرًا انحناء إياه على ظهر حيوان مركب والمعروف في الفكر العراقي القديم بـ(مشخوش) وهو من الأشكال الحيوانية التي عرفها الفن العراقي القديم في العهد البابلي الحديث، والمزينة لبوابة عشتار وإن لم تظهر ملامحه التفصيلية بوضوح، بحكم تآكل وتجريف الصخور، إلا أن هيئته العامة واضحة في إشارته لذلك الكائن الخرافي المرتبط بالآله (مردوخ)، وهو بظهوره هذا إنما يشير إلى تداخل الحكيم البابلي الحديث والآشوري في إدارة البلاد.

لقد بدا هذا الحيوان المركب كما لو أنه حاملاً الملك، وكونه حالة لإله فإنه راع أو حارس له هنا، مع ما لذلك من منح الشخصية الرئيسة (الملك) هنا أهمية محملة بالتقديس في مقابل مرافقة الإله له. وإلى الخلف منه، ظهر شخص مرافق للملك، وكحام له أيضاً. جعله النحات ممسكاً بعصى تنتهي برأس مكور، وممسكاً باليد الأخرى ما يشبه عشب نباتية، كما يبدو، والتي فيها كعشبة رمز يشير في دلالة إلى معنى الخصب والنماء الذي يسعى الملك إلى تحقيقه لرعيته، إذا ما علمنا أن الملك سنحاريب كان مهتماً في نشاط ركز فيه على شق القنوات لإدامة خصب الأرض وخيراتها، ليحيي مرافقه حاملاً لتلك النبتة وبإشارة عالية الرمزية والمعنى في ذلك.

العمل منفذ نحتاً نائماً عالياً، على صخرة ضخمة، وبوضع جعلت مفرداته فيه جانبية في تشكيلها الفني، وبحجم كبير قياساً إلى الحجم الطبيعي للإنسان، مانحاً النحات إياه بهذا الحجم والتكوين الفني هيبة أمام المتلقي، عند وقوفه أمامه، مع مقدرة كبيرة على تنفيذ شخصيات ومنها شخص الملك هنا على صفحة الجبل بذلك الحجم في تماهيه مع عظمة الجبل، وهو المغزى الفكري الذي دفع بالنحات إلى أن يمنح شخص الملك هيبة مضافة، وأكبر.

الأنموذج (٢): الخزنة في البتراء

يعد العمل العماري هذا، والمعروف بـ (الخزنة)، وهي محراب جنازي لا مثيل له، محفور على صفحة الجبل بالبتراء، من حضارة النبط بالأردن، مع ما يحمله من تماثيل متنوعة زينت واجهته في معظم المساحات الداخلية للمعمار الذي حمل روحية الفن الروماني، في كثير من التفاصيل، يعد بحق أنموذجاً متفرداً في تشكيله الفني الغزير بالموضوعات، مع ما عليه من قيمة فكرية تشير إليه كبوابة لمعبد أو هو ضريح، بحسب اعتقاد دافيد روبرتيس الذي نقب في المنطقة تزيينها العديد من صور الآلهة الرومانية، وقد أبدع النحات في عهد البتراء النبطي في صياغتها على وفق رؤية في التصور ما زجت بين ما هو روماني متصل بجذوره الإغريقية في طراز المعمار، مع ما هو محلي، مضيفاً إليه ما هو جديد ومبتكر في التصميم، على غير ما عرفت به العمارة الرومانية، وقبلها الإغريقية، نجده مجسداً في الشرفة العليا من المبنى، على وجه الخصوص، والذي يعد إبداعاً نبطياً بتفرد وامتياز، تعزز حضوره في البتراء بهذه الصياغة العمارية من التشكيل الفني، وهو ما لم يكن معهوداً من قبل في العمارة.

لقد وزع النحات مفردات عمله النحتية المختلفة والمتعددة، المزينة للمبنى، بشكل متناظر، في أعلاه وفي طابقه السفلي، مانحاً إياه قيمة جمالية عالية، وبدا كما لو أنه قصر بصورة معبد، حُمل بالكثير مما طرحه فكر المرحلة الممتزج مع ما هو روماني بما هو

محلي، في تشكيل عماري نفذ في أصل الجبل بشكل دقيق، عالي الدلالة والمعنى، وغزير بمفرداته التي بدت زخرفية، في تزامهما، وفي ملئها كامل المساحة على الصفحة التي احتلتها من الجبل، محملاً النحات إياها روحية تنبض بالحياة، وبالحركة والحيوية لمجمل التكوين، وإن غابت الكثير من ملامح المفردات التي تزين المبنى، لكن ما تركه (دافيد روبرتيس) من تخطيطات تفصيلية عن كامل موقع البتراء، ومنه هذا الأثر، يعطي صورة واضحة وجليّة عن جمال وقوة التكوين الفني لكل ما أحاط الموقع من رسوم تحاكي الأصل.

الأنموذج (٣): نقش داريوس الأول

نفذ العمل النحتي الناتئ هذا، والمتعلق بالملك الاخميني داريوس الأول (دارا)، على صخرة في جبل بستون (بهستون) في إكباتانا القديمة، حاضرة ميديا، وهو الموقع المعروف في الحقبة الاخمينية بصفة باغستانا (مكان الآلهة)، إذ نفذ على جدار من الصخر الطبيعي يرتفع ستون متراً فوق بحيرة تنطوي على ينبوع، وهو نصب تذكاري كبير تم اختيار موقعه وفقاً لأهمية المكان الذي يمر به طريق القوافل العريق في القدم (طريق الحرير). وهذا الجبل المقام فيه نقش داريوس الأول، له أهمية أيضاً تتصل بالعبادة والدين (المعتقد) ترجع به إلى أوائل عصر ما قبل التدوين. وأن المراجع والمصادر تذكر بأن الفرس كانوا يقدمون القرابين لآلهتهم على قمم الجبال، ومنها هذا الجبل، ليقيم أو يسجل هذا الملك مآثره عليه، في انتصاره على أعدائه، مشكلاً بذلك وثيقة يحفظها (المكان الجبل) أكثر من سواها، محملاً إياها بعداً عقائدياً يرتبط فيه بالآلهة في نصرته، وهو ما يتضح في صورة الإله (اهورامزدا) الذي يعلو التكوين العام لموضوعة النقش. هذا الإله الذي يعد الإله الأعظم في الديانة الأخمينية، جعله النحات في موضعه حامياً للملك، وبمواجهته لأجل رعايته، وخلف الملك تابعان من حراسه يحملان السلاح، فيما ظهر أمامه وبمواجهته مجموعة من الشخصوس (حكام ولايات)، ظهر تسعة منهم في المشهد، وهم في وضع تضرع له، وأيديهم مربوطة إلى الخلف منهم، دلالة الخضوع التام له وإن ذكرت المصادر من أنهم عشرة ملوك ثائرين ضده، ليجعلهم بذلك الاستسلام أمامه وفي الأسفل والجانبين والأعلى من المشهد التصويري، تتضح النسخ الثلاث من كتابة تكمل المشهد. وما من شك في أن المسألة في حالة النقش الكتابي تتعلق بشكل من وصف الملك لذاته، وبالدعاية لسلوكياته كبلاغ رسمي أمر بخطه على الصخر ليرز أهميته ومكانته عليه.

إن هذا الأثر يعرف بـ (نقش النصر)، وهو أثر فخم، ويعد وثيقة تاريخية مهمة في هذا المكان من آسيا، وأن ما يحيط به من النسخ الثلاث المذكورة، فهي تمثل لغات ثلاث

ممالك مهمة يتكلم بها سكان المناطق الشرقية، وأراد من خلالها داريوس إعلان انتصاره ونشره على الناس مكتوباً بها، وهي البابلية والعلامية، علاوة على الفارسية، وبوضع ذلك في المكان المار بالطريق بين بابل والهضبة الإيرانية، حيث تمر القوافل فيراها المارون منقوشة على واجهة الصخر، بارتفاعات عالية وواضحة^(١٣).

الفصل الرابع: نتائج واستنتاجات البحث

١. إن النحت في أصل الجبل، كنحت مباشر على حجره أو صخوره، إنما يعني ما كان قائماً في المكان والزمان، بفعل الإنسان، وهو أمر اشتركت أكثر من بؤرة حضارية فيه، وجاءت البيئة التي يقطنها سكانه جبلياً بالأساس، لتحكم عليه سمة الإنجاز بهذا النوع من الفن والذي يكون المكان لا متسع فيه من الاستواء الأرضي الكافي ليحضر إنسانه عليه أثره.

٢. إن فن النحت على الحجر في أصل الجبل، جاء حاملاً جانباً إعلانياً مرئياً حكمه فكر وطبيعة المرحلة في كل بؤرة من البؤر الحضارية موضوع البحث.

٣. جاءت بعض أعمال النحت على أصل الجبل ممتزجاً فيها أكثر من تأثير حضاري، طبع تشكيله الفني عليه، كمرجعيات فكرية وفنية، مازج فيها النحات بين ما هو طاريء عليه وما هو محلي، إلا أنه مع ذلك استطاع أن يضيف عليها مما هو غير معهود من أعمال الفن، واتضح ذلك في الجانب العماري بهذا المجال. العينة (٢).

٤. اشتملت بعض الأعمال المنفذة على حجر الجبال نصوصاً وكتابات رافقت الموضوع المسجد، مشكلة إعلاناً مقروءاً تطلبه الحدث المعبر عنه، وجاء اللجوء إليه لإيضاح المراد من وضع النصب التذكاري في صفحة الجبل بمكان محدد لكي يكون أكثر تأثيراً في المتلقي، بدعم ذلك المشهد المعبر عن حدث محدد. العينة (٣).

٥. غلبة الجانب العماري على حساب الجانب المرتبط بأعمال النحت المعهودة، والتي جاءت مكملّة للمعمار، غير منفصلة عنه أو مستقلة، حكمها بذلك بعد تزييني أملتة المساحات الواسعة الخالية بوجوب إشغالها بما يتماشى وهيئة المعمار العام، فجاءت زخرفية في تشكيلها، علاوة على ما تحمله من بعد فكري. العينة (٢).

٦. امتلكت بعض الأعمال الفنية بعداً حياتياً محملاً ببعد ديني عقائدي يكمل صياغة الموضوع المطروح، ويشكل ثقلًا في سبغه أهمية أكبر على الشخصية الرئيسة في الموضوع بمشهد التصويري، وجعلها تتعالى ارتقاءً عما سواها العينة (١)، فيما تتعالى حجماً في أخرى العينة (٢)، وذلك لأهمية مثل هذه الشخصية في بعدها الفكري.

٧. تنوع الموضوعات التي طرحها النحات، معبراً فيها عن فكر مرحلته، ومستوى رقيها الحضاري، مازجاً فيها بين ما هو واقعي حياتي يرتبط بالحكم، وديني عقائدي يرتبط برعاية الآلهة للحاكم، فهي إذن حياتية مرتبطة بالمعتقد لتجيء في تنفيذها كنصب تذكارية متماهية مع هيبة (المكان الجبل) المحمل، في جانب منه، بقدسية بقدر معين.

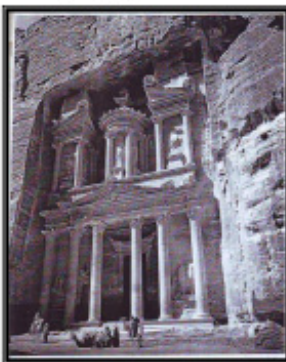
٨. أن ما جاء على تسمية مصطلح (النحت الحي) على أعمال النحت المنفذة على صفحة الجبل، إنما يراد به العمل النحتي المرتبط نبضه إن صح التعبير بنبض الجبل القائم فيه، بمادته، وفي أصله، بارتباطه الصميم به، دون انفصال أو استقلال عنه، أخذاً منه حيويته ومرونته وذات مادته كخلق إلهي في تشكيل غير منقطع عنه، ومشكلاً حفرأ معرفياً في ذاكرة (المكان الزمان) لحقبة من التاريخ الإنساني، في بؤر حضارية محددة.

٩. وتأكيداً لأهمية الجبل في حياة الإنسان كمكان للسكن، وأيضاً للعبادة، فقد دعم الذكر الحكيم ذلك، وفي أكثر من موضع في كتاب الله العزيز، من خلال اتخاذ سكناً آمناً، ومن عمل بيوت فيه يسكنها البشر (فارهيـن).

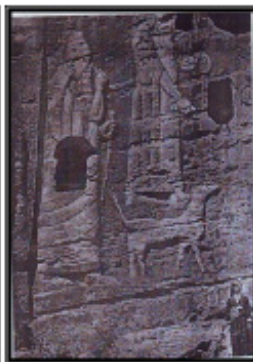
نماذج عينة البحث



النموذج (٣)
نقش داريوس الأول



النموذج (٢)
الخزنة - البتراء



النموذج (١)
الملك الآشوري سنحاريب

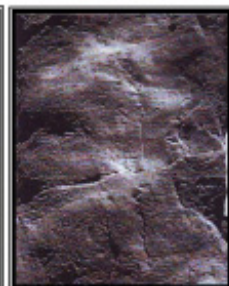
اشكال الاطار المعرفي



الشكل (٣)
نحت نائين في ملقاي شمالي نينوى من عهد سنحاريب



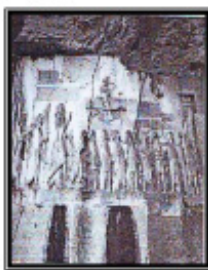
الشكل (٢)
الملك الآشوري سنحاريب



الشكل (١)
الملك الآشوري تجلاتيلامر الأول



الشكل (٧)
نقش رسم



الشكل (٦)
نقش داريوس الأول



الشكل (٥)
الخزنة - البتراء



الشكل (٤)
قناة ري آشورية

مصادر وهوامش البحث بحسب تسلسل ورودها في البحث:

- (١).....: المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ط٢، دار المشرق، بيروت، ٢٠٠٨، ص ٢٧-٢٨.
- (٢).....: المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ص ٣٥٥.
- (٣).....: المصدر نفسه، ص ٢٥٣.
- (٤) . نيكولاس بوسنيت: حضارة العراق وآثاره، تر: سمير عبد الرحيم الجلي، دار المأمون، بغداد، ١٩٩١، ص ١٠٨.
- (٥) . المصدر السابق نفسه، ص ١١٧. وكذلك يراجع: أندريه بارو: بلاد آشور، تر، وتع: عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، سلسلة الكتب المترجمة (٧٧)، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠، ص ٨٩.
- (٦) . يراجع المصدر: ن. بوسنيت: حضارة العراق وآثاره، ص ١١٧.
- (٧) . أحمد سوسة: مفصل العرب واليهود في التاريخ، سلسلة دراسات (٢٤٣)، دار الرشيد للنشر، ١٩٨١، ص ٢٢٦.
- (٨) . سوسة: المصدر نفسه، ص ٢٢٦-٢٢٧.
- (٩) . للمزيد تفصيلاً عن البتراء، يراجع وينظر مصورات شواخصها في المصادر:
Fabio Bourbon: Petra, an archaeological Guide. History. Civilization and monuments, Jordan, 2012.
وكذلك دافيد روبرتس «الأراضي المقدسة بين الأمس واليوم»، الناشر جروس برس، ب.ت.
- (١٠) . نعمت اسماعيل علام «فنون الشرق الاوسط والعالم القديم»، ط٢، دار المعارف بمصر، ١٩٧٥، ص ٤٧.
- (١١) . بستون كموقع: هي قرية في سلسلة جبال زاجروس ببلاد فارس، أنشأ فيها دارا الاول (داريوس) كتابات مسمارية كبيرة حفرت في ثلاث لغات، وقد استستسخت وحلت رموزها على يد السير هنري رولنصن في (١٨٢٥-١٨٤٥) اندريه بارو: بلاد آشور، ص ٢٣٤.
- (١٢) . زُف فيزهوفر: فارس القديمة (٥٥٠ ق.م ٦٥٠ م)، ط١، ترجمة محمد جديد، شركة قدمس للنشر والتوزيع، بيروت دمشق، ٢٠٠٩، ص ٣٦-٣٧.
- (١٣) . جيمس هنري برستد: انتصار الحضارة تاريخ الشرق القديم، ترجمة أحمد فخري، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، ١٩٦٢، ص ٢٦٦.

العلوم الاجتماعية بين الفكر والواقع الاجتماعي

أ.ة. رفيقة يخلف

مشكلة الدراسة

رفع المستوى الفكري والذهني والعلمي لدى أفراد المجتمع، ومن ذلك تزود للفرد مواقف واتجاهات سلوكية وفكرية تعمل على خلق مجتمع قادر على الارتقاء بذاته والتكيف مع المستجدات والتحوليات المعاصرة، والسؤال المطروح في هذه الدراسة:

فيما تكمن أهمية العلوم الاجتماعية في تطور الفكر الإنساني وتطبيقاته العلمية؟ وماهي فروعها؟ وهل هناك تداخل وتكامل بين هذه الفروع أو العلوم؟ وما دور هذه العلوم في عمليات تغير الاجتماعي؟

إذا كانت العلوم الطبيعية هي سبيل المجتمعات نحو التقدم التقني والتكنولوجي وتطور المادة في حد ذاتها، فإن العلوم الاجتماعية هي الأخرى جاءت لترتقي بالفكر الإنساني في خدمة المجتمع، حيث تعتبر أداة للتخطيط لعمليات التنمية البشرية والاجتماعية ومحركاً أساسياً لكافة عمليات التغير الاجتماعي ومركزاً للحركات الاجتماعية، لذلك أصبحت هذه العلوم ضرورية في وقتنا الحالي، وهذا يدل على وجود علاقة بين الفكر أي العلم وبين الواقع، فالعلم يتأثر بالواقع الاجتماعي، كما أن الواقع يصوغ الفكر ويشكله ويؤله إلى التقدم، حيث إن العلوم الاجتماعية تعمل على

• أستاذة مساعدة بقسم علم الاجتماع، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف/الجزائر. monar44@hotmail.fr

الميادين الأساسية للمعرفة الإنسانية

تصنف المعرفة العلمية إلى ثلاثة ميادين رئيسية: العلم الاجتماعي والعلم الطبيعي والإنسانيات وكل من هذه الميادين تقسم إلى عدد من العلوم المتخصصة وذلك بقصد تسهيل مزيد من الدراسات المركزة للوصول إلى الحقائق المضبوطة، فالعلم الاجتماعي هو ذلك الميدان من المعرفة الإنسانية الذي يتناول جميع جوانب الحياة الجمعية للإنسان، ويتناول العلم الطبيعي البيئة الطبيعية التي يعيش وسطها الإنسان، كما أنه يشمل علوماً مثل الطبيعة والكيمياء التي تعالج مسائل عديدة كقوانين المادة والحركة والمكان والطاقة، كما أنها تشمل أيضاً العلوم الحيوية التي تدرسها الكائنات الحية إما الإنسانية فإنها أكثر الميادين ارتباطاً بالعلم الاجتماعي لأن كليهما يدرس الإنسان وثقافته ولكن العلم الاجتماعي يهتم بوجه خاص بالعناصر الأساسية للثقافة التي تحدد الأنماط العامة للسلوك الإنساني وتعالج الإنسانية بعض الوجوه الخاصة من الثقافة الإنسانية أو أنها تحاول أن تحدد نفسها في تقصي محاولات الإنسان للتعبير عن قيمه الروحية والجمالية من خلال الأدب والفن وتهدف إلى اكتشاف معنى الحياة من خلال الدين والفلسفة.^(١)

العلوم الاجتماعية وأهميتها

العلوم الاجتماعية هي تلك العلوم التي تختص بدراسة أصل وتاريخ الإنسان والتنظيمات والتطورات التي تطرأ على المجتمع البشري وبصفة خاصة تدرس هذه علوم الإنسان في علاقاته بالآخرين.^(٢)

وتعتبر الدراسات الاجتماعية من أكثر ميادين المنهج الدراسي حداثة ولكنها تعتبر في الوقت ذاته من أكثرها غموضاً لدى الكثير من الناس، ويمكن أن نتعرض لتعريفات عديدة لكل من العلوم الاجتماعية والدراسات الاجتماعية من أهمها:

العلوم الاجتماعية هي التي يختص بها الباحثون والعلماء لتطوير المعرفة في ميادين التاريخ والجغرافيا والسياسة والاقتصاد والانتروبولوجيا، أما الدراسات الاجتماعية هي ذلك الجزء من العلوم الاجتماعية فهي ذلك الجزء من العلوم الاجتماعية الذي يستخدم في المدارس لإعراض تدريسية.^(٣)

العلوم الاجتماعية تدرس جميع الظواهر الاجتماعية وتركز على جانب معين من الظاهرة، كما أنها في المجتمع متبادلة التأثير فظاهرة كالأسرة تؤثر في ظاهرة أخرى كالدولة وتتأثر بها كما تؤثر في الظواهر الاقتصادية والترفيهية في المجتمع وهكذا.

ويحاول مارشال جونز أن يوضح التي تميز زاوية الدراسة عند كل من علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية بقوله: إن ظاهرة كالمناصفة مثلاً يهتم بها كل من الباحث في علم الاجتماع والباحث في العلوم الاقتصادية إلا أن الاثنين يختلفان في زاوية اهتمامها، فالعلم الاقتصادي يهتم بالمنافسة في مجالاتها الصناعية والتجارية بينما لا يرى عالم الاجتماع في هذين المجالين أكثر من مظاهر المنافسة العديدة مما يتجه باهتمامه إلى عدم الوقوف عند هذا الحد بل يتعداه إلى المظاهر الأخرى للمنافسة، كما توجد في الأسرة وفي المجالات الدينية كوسيلة للحصول على القوة أو النفوذ لأنه يهدف من دراسته إلى الكشف عن العوامل التي توجه أو تؤثر في المنافسة كظاهرة اجتماعية عامة، وفي مظاهرها وفي مجال لأنها حتى إذا تمكن من ذلك يكون قد اهتدى إلى حقيقة عامة من العلاقات الاجتماعية.^(٤)

ومن هنا نجد أن هناك تداخل بين الظواهر الاجتماعية لكل علم من العلوم الاجتماعية مثلاً: تربية، الاقتصاد، الاجتماع، الأنثروبولوجيا، يدرسه من ناحية معينة مثلاً نجد «أن التربية تستمد حقائقها من نمو الطفل ومراحل وعن القابليات والاهتمام وعمل الحواس والفعاليات النفسية وعن شروط التشويق من علم النفس ولا يستطيع أن تؤدي وظيفتها بدونه».

كذلك تعتمد التربية على نتائج الفلسفة في تحديدها للقيم وفي تحديدها لحقيقة الوجود ولقيمة المعرفة فحين نسأل ماذا يجب أن نعلم الأطفال؟ نستقي من الفلسفة نتائجها العامة لتطابقها في مجالها الخاص، مع العلم أن الفلسفة نجحت مسألة الوجود والقيم والمعرفة وهذه المسائل الثلاث متصلة مع الإنسان.^(٥)

أما علاقة علم الاجتماع بالعلوم الاجتماعية، فعلم الاجتماع يقوم بدراسة الظواهر الاجتماعية شأنه في ذلك شأن العلوم الاجتماعية الخاصة لذا لا يمكن أن تميز بين علم الاجتماع وبين العلوم الاجتماعية الأخرى من حيث الموضوع وإنما يكون التمييز في هذه الحالة من ناحية وجهة النظر أو زاوية الدراسة فحسب حيث نجد أن وجهة نظر علم الاجتماع عامة، بمعنى أنه يدرس الظواهر الاجتماعية ككل معتمدة ومؤثرة في بعضها البعض وهو بذلك يخالف العلوم الاجتماعية الأخرى التي تختلف وجهة نظرها من هذه الناحية في أنها خاصة أو متحيزة لناحية من النواحي قد تكون اقتصادية أو سياسية أو دينية مثلاً متجاهلة بذلك اعتماد الظواهر الاجتماعية على بعضها وأن الحياة الاجتماعية عموماً كل لا يتجزأ^(٦).

ومن ناحية تعتبر الأنثروبولوجيا العامة علماً اجتماعياً تربطه علاقة وثيقة بالعلوم الاجتماعية الأخرى مثل علم الاجتماع وعلم النفس والاقتصاد والسياسة والقانون والتاريخ والجغرافيا، والواقع أن علم الأنثروبولوجيا العامة هو العلم البارز الذي يمثل حلقة الوصل بين العلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية^(٧).

فقد تناول ماكس فيبر دراسة العلاقة بين النظام الديني وبين النظام الاقتصادي الرأسمالي واستخدم المادة التاريخية التي قدمها علما الأنثروبولوجيا الاجتماعية وعلما التاريخ على السواء، وقام بتحليلها وتفسيرها وخرج منها بنظريته عن العلاقة بين الدين والاقتصاد وأثار عدة مشكلات اهتم بتناولها علماء الاجتماع والانثروبولوجيا الاجتماعية معاً في المجتمعات المعاصرة^(٨).

إن تطور العلوم في مجتمعاتنا المعاصر يوضح اعتماد الفروع العلمية المختلفة على بعضها بحيث أن التقدم العلمي الذي يحدث في علم من العلوم يمكن أن يغير منه على آخر، ولعل الواقع يؤكد لنا هذه الحقيقة إذ أن تشابك الظواهر الاجتماعية والطبيعية والثقافية وتعدد الحياة وتعدد العوامل المؤثرة في الظاهرة موضوع الدراسة يؤكد أهمية العلاقة بين العلوم المختلفة وضرورتها وإن التغير السريع في الظروف والأوضاع الاجتماعية في العالم المعاصر تحتم ضرورة التعاون بين فروع العلوم الاجتماعية التي تشترك معاً في دراسة الإنسان لكل من زاوية محددة.

ومن فروع العلوم الاجتماعية الخدمة الاجتماعية وعرفها مدحت محمد أبو النصر: «الخدمة الاجتماعية مهنة إنسانية تهدف إلى مساعدة الأفراد والجماعات والمنظمات والمجتمعات على تنمية قدراتهم ومواردهم وزيادة فرصهم في الحياة ووقايتهم من المشكلات وإشباع حاجاتهم، وحل مشكلاتهم ويتم ذلك في ضوء موارد وثقافة المجتمع ومن خلال مؤسسات المجتمع المختلفة أو إنشاء مؤسسات جديدة تظهر حاجة المجتمع إليها»^(٩).

ومن طرق الخدمة الاجتماعية

- طريقة خدمة الفرد.
- طريقة خدمة الجماعة.
- طريقة تنظيم المجتمع.

وبالتالي نجد أن هذه الطرق تخدم الفرد والجماعية والمجتمع بصفة عامة، وتهدف إلى مساعدة الأفراد والجماعات والمجتمعات على تقوية أو استعادة قدراتهم على الأداء الاجتماعي وممارسة الخدمة الاجتماعية تتطلب المعرفة بالسلوك والنمو الإنساني وبالنظم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وبالتفاعل بين كل هذه العوامل^(١٠).

ومن فروع العلوم الاجتماعية

التاريخ: هو دراسة التطور الماضي للمجتمعات الإنسانية لا سيما في فترة توفر السجلات المكتوبة وهو علم اجتماعي لأنه يمثل المحاولة المنظمة لمعرفة وتحقيق الحوادث الماضية يربطها أحدهما بالآخرى وكشف أثرها في تشكيل المدينة، ومع أن التاريخ لا يساعدنا على التنبؤ بالمستقبل فإنه يعيننا على اكتشاف اتجاهات معينة في تطور المجتمعات الإنسانية^(١١).

الاقتصاد: هو دراسة الطرق التي بها يحصل الإنسان على مطالب الحياة أو بطريقة أكثر تحديد «هو دراسة التنظيم الاجتماعي الذي عن طريقه يشبع الناس حاجاتهم من السلع النادرة والخدمات»، وتنشأ أهمية الاقتصاد كعلم اجتماعي من حقيقة مهمة وهي أن إشباع الحاجات الاقتصادية تعتبر أهم مشكلة لها طبيعة الإلحاح تواجه البشر.

السياسة: يعالج هذا العلم مسألة الحكومة بأوسع معانيها حيث تشمل جميع التنظيمات الاجتماعية التي ترعى السلام والنظام داخل مجتمع معين، والتي يضطر الأفراد ليسيروا على الأنماط الاجتماعية والتي تقيم الأساس للعمل الجمعي في سبيل الصالح العام ويهتم علماء السياسة بمسائل السياسات والقوانين والإرادة والتنظيم اللازمين لتنفيذ القوانين والنظريات السياسية والعلاقات الدولية^(١٢).

علم النفس وعلم النفس الاجتماعي

لا يعتبر علم النفس غالباً علماً اجتماعياً لمعالجته العقل والشخصية الفردية في المقام الأول، ولما كان الإنسان كائناً اجتماعياً وتشكل شخصيته إلى حد كبير عن طريق بيئته الاجتماعية وترتبط استجاباته إلى درجة وثيقة بهذه البيئة، فإننا نعتبر علم النفس شديد الصلة بالعلوم الاجتماعية، أما علم النفس الاجتماعي فإنه ميدان من البحث تلتقي فيه اهتمامات علماء النفس والاجتماع والأنثروبولوجيا^(١٣).

الجغرافيا: يدرس هذا العلم البيئة وتضاريسها وظروفها المناخية وما تزرع به من موارد أولية تؤثر في نشاط الأفراد وفي توجههم الاقتصادي وغني عن البيان أن للظروف الطبيعية والمناخية تأثيراً ملحوظاً على العادات والتقاليد ومبلغ الحيوية الاجتماعية والنشاط العام، وقد غالى كثير من الباحثين أمثال ابن خلدون ومونتسكيو وراتزل وميشليه في تقدير قيمة العوامل الجغرافية ومبلغ تأثيرها في شؤون الحياة الاجتماعية^(١٤).

الدراسات الإعلامية

الدراسات الإعلامية الحديثة عبارة عن «نظام أكاديمي حديث إلى حد كبير يستكشف العلاقات بين أجهزة الكمبيوتر والإنسانيات والفنون الأدائية والبصرية»

وفي إطار الدراسات الإعلامية الحديثة، يتعرف الطلاب على أفكار ورؤى تتعلق بالإعلام والبرامج، ويمكن أن يشتمل البرنامج في الدراسات الإعلامية الجديدة على الدروس والفصول التعليمية والموضوعات في مجالات الاتصالات والصحافة وعلوم الحاسب والبرمجة وتصميم الجرافيك وتصميم الويب ذات الصلة^(١٥) والتفاعل الإنساني الحاسوبي ونظرية الإعلام والإنجليزية، وغير ذلك من المجالات.

يرى علماء الاجتماع أن بوابة الخطورة في أي مجتمع هي بنيته، فإذا حدث خلل في بنية المجتمع، فإن هذا يؤدي لإضعافه وانهياره. ولهذا تفيد دراسة العلوم الاجتماعية والإنسانية في مراجعة بنية المجتمعات مبكراً لفهم مواطن الضعف والخلل التي تهدد بنية وتماسك المجتمع والتوصل لأفضل الأساليب لتقويتها، لتحقيق سلامة الفرد والمجتمع ومنع من له مصالح من الأفراد والمجتمعات الأخرى من التدخل لاختراق بنية المجتمع.^(١٦)

وتعد العلوم الاجتماعية والإنسانية كعلم الاجتماع وعلم الاجتماع السياسي وعلم النفس وعلم النفس السياسي والاجتماعي وعلم نفس الانفعال، من بين العلوم المهمة والضرورية، التي تكتسب أهمية متزايدة في الوقت الحالي، لفهم ودراسة التحولات والتغيرات الاجتماعية والسياسية الحادثة في أي مجتمع.

العلوم الاجتماعية هي مجموعة من التخصصات العلمية التي تدرس النواحي الإنسانية للعالم والحياة ولكنها تختلف عن العلوم الإنسانية في تأكيدها الدائم ومحاولتها المستمرة لتطبيق المنهج العلمي وقواعد ومعايير علمية صارمة في دراسة النواحي الإنسانية بما في ذلك الطرق الكمية والكيفية.^(١٧)

خلاصة

إن العلوم الاجتماعية بمختلف فروعها تهتم بسيروية المجتمع وتهتم بقضية أساسية وهو الإنسان في تغيراته عبر الزمن، فمواضيع العلوم الاجتماعية هي في شكل متتال زمني وليست ثابتة، كما أن ظواهر الإنسانية تتداخل وفيها عوامل ومتغيرات وبالتالي يصعب ضبطها، وتتميز أنها في تغير مستمر ودائم قبل أن يمضي وقت كاف لتحقيق نتائجها، وهدف من هذه العلوم هو إنتاج فكر إنساني أي بروز اتجاهات فكرية ونظرية تلبي متطلبات المجتمع، إن الهدف هو إنتاج مجتمع جديد مع أفكار علمية جديدة هدفها الترفي بالفكر في المجتمع في جميع مجالاته وإحداث تغير إيجابي في المجتمع من أهم مقومات هذا التغير الوعي والإرادة، وإن تدريس هذه العلوم في وقتنا الحالي أصبحت مهمة وضرورية في كل المجتمعات.

قائمة الهوامش

- ١-د. عبد الله الرشدان، علم الاجتماع التربوية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ١٩٩٩، ص١٢.
- ٢-محاضرات تدريس الدراسات الاجتماعية، طبيعة الدراسات الاجتماعية، التصفح على الموقع:
[http:// kenanaonline.com](http://kenanaonline.com)
- ٣-نفس المصدر.
- ٤-عبد الله رشدان، مرجع سبق ذكره، ص١٤.
- ٥-د. معتز الصابوحي، علم الاجتماع التربوي، دار اسامة للنشر والتوزيع، دار المشرق الثقافي، عمان، الأردن، ط ١، ٢٠٠٦، ص١٨.
- ٦-عبد الله رشدان، مرجع سبق ذكره، ص١٣-١٤.
- ٧-د علي محمد المكاوي، الانثروبولوجيا وقضايا الانسان المعاصر، ص٢٥.
- ٨-نفس المرجع، ص٢٦-٢٧.
- ٩-د.مدحت محمد ابو النصر، الاتجاهات المعاصرة في ممارسة الخدمة الاجتماعية الوقائية، مجموعة النيل العربية، ط ١، القاهرة، مصر، ٢٠٠٧، ص٣٠.
- 10- natioonal association social workers standords for social service manpower
washington d.c/n.a.s.w.1973.p 158.
- ١١-عبد الله رشدان، مرجع سبق ذكره، ص ٢٠.
- ١٢-نفس المرجع، ص٢١.
- ١٣-نفس المرجع، ص٢١.
- ١٤-نفس المرجع، ص٢١.
- ١٥-دراسات إعلامية حديثة، التصفح على الموقع:
<http://ar.wikipedia.org>
- ٦١-أهمية العلوم الاجتماعية، التصفح على الموقع:
<http://wwaawsat.com>
- ١٧- العلوم الاجتماعية ودورها في تنمية الفرد والمجتمع، التصفح على الموقع:
<http://hamdisocio.Blogspot.com>

الاعتبارات الأخلاقية للبحث العلمي في العلوم الاجتماعية والإنسانية

د. قجة رضا - دة. فضيلة عاقل
د. صليحة مقاوسي - أة. عائشة شبيلة*



المحور الأول

الملخص

الاعتبارات الأخلاقية للبحث العلمي في
العلوم الاجتماعية والإنسانية

إن التعامل مع العنصر البشري له
خصوصياته حيث يتضمن الاعتبارات
الأخلاقية التي ينبغي أن يراعيها
الباحث، فالأخلاق قيمة إنسانية ومعياري
تحكم الممارسات وتؤطرها، فهي مقارنة
واضحة المعالم.

وإدراكاً منا بأهمية موضوع الجوانب
الأخلاقية في البحث العلمي خاصة في
العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية
والذي تعمل به معظم المؤسسات مختلفة
البحث، وهي قواعد تمثل الأخلاق
الخاصة بالعمل العلمي باعتبارها قوانين

مكتوبة يلتزم بها أفراد البحث تهدف إلى
تحقيق نزاهة أكثر في البحوث العلمية.

ويمكن طرح التساؤل التالي: فيما تكمن
هذه الأخلاقيات وما مدى أهميتها عند
الباحث في العلوم الإنسانية والعلوم
الاجتماعية.

الكلمات المفتاحية

البحث العلمي، أخلاقيات البحث، أخلاق
علمي، شفافية.

* أة. عائشة شبيلة: المدرسة العليا للتجارة / الجزائر. Chebila65@hotmail.fr
د. صليحة مقاوسي: كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة باتنة/الجزائر. mekaoussi_2007@yahoo.fr
د. فضيلة عاقل: كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة باتنة/الجزائر.
د. قجة رضا: كلية العلوم الإنسانية والآداب قسم علم الاجتماع، جامعة مسيلة/الجزائر.

Ethical Considerations for scientific research In the social sciences and humanities

Abstract

Dealing with the human element has its own peculiarities in terms includes ethical considerations that should be taken into account by the researcher, the value of human morality and standard control practices and regulated by, they approach and clear-cut.

Aware of the importance of the subject of the ethical aspects of scientific research, especially in the social sciences and humanities, and in which they operate most of the different research institutions, which represent the rules of ethics for the scientific work as written laws committed by members of the research aims to achieve more integrity in scientific research.

It can ask the following question : As this is ethics and how important it is when a researcher in the humanities and social sciences.

Keywords: Research - research ethics - ethics scientific - transparency.

مقدمة

إن التعامل مع العنصر البشري له خصوصياته حيث يتضمن الاعتبارات الأخلاقية التي ينبغي أن يراعيها الباحث، فالأخلاق قيمة إنسانية ومعيّار تحكم الممارسات وتؤطرها، فهي مقارنة واضحة المعالم.

وإدراكنا منا بأهمية موضوع الجوانب الأخلاقية في البحث العلمي خاصة في العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية والذي تعمل به معظم المؤسسات مختلفة البحث، وهي قواعد تمثل الأخلاق الخاصة بالعمل العلمي باعتبارها قوانين مكتوبة يلتزم بها أفراد البحث تهدف إلى تحقيق نزاهة أكثر في البحوث العلمية.

ويمكن طرح التساؤل التالي: فيما تكمن هذه الأخلاقيات وما مدى أهميتها عند الباحث في العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية.

أولاً: أساسيات البحث العلمي

١: مفاهيم أساسية

- **البحث العلمي:** «التفحص المنظم والمنضبط والتجريبي للاقتراحات الفرضية حول العلامات الافتراضية بين ظواهر الطبيعة، أي أنه المحاولة الدقيقة الناقدة للتوصل إلى حلول للمشكلات التي تؤثر البشرية، عن طريق الاستخدام المنظم لأدوات وطرائق خارجية بغية التوصل إلى الحل المناسب لمشكلة معينة بصورة أفضل مما يمكن التوصل إليه لو استخدمت وسائل أخرى أقل دقة وتنظيماً»^(١).

- **أخلاق علمية:** مجموعة من المبادئ والواجبات الأخلاقية المرتبطة بسير نشاط البحث.^(٢)

- **شفافية:** موقف الباحث أو الباحثة الذي يضع إجراءات بحثه في متناول زملائه.

٢: أهمية البحث العلمي: تتمثل أهمية البحث العلمي في ما يلي:

- الانتفاع بفوائده التطبيقية
- الأسلوب العلمي في البحث الذي يبنى عليه جميع المكتشفات والمخترعات، هذا الأسلوب الذي يتوخى الحقيقة في ميدان التجربة والملاحظة ولا يكتفي باستنباطها من التأمل في النفس أو باستنباطها من أقوال الفلاسفة.
- يسهم في العملية التجديدية التي تمارسها الأمم والحضارات لتحقيق واقع عملي يحقق سعادتها ورفاهيتها.
- يعمل على (إحياء المواضيع والأفكار) القديمة وتحقيقها تحقيقاً علمياً دقيقاً، وبالتالي تطويرها للوصول إلى اكتشافات جديدة.^(٣)
- يسمح البحث العلمي بفهم جديد للماضي في سبيل انطلاقة جديدة للحاضر ورؤية استشرافية للمستقبل.

٣: المشكلة الأخلاقية في البحث

المشكلة الأساسية في البحث وبالأخص البحث الاجتماعي أن مادته هي على الأغلب الإنسان وهو مادة معقدة فقد يكون السلوك الملاحظ غير ناتج عن تأثير المحدد من قبل الباحث وكذلك يتعامل مع متغيرات كثيرة من الصعب ضبطها. فهو يعمل أي الباحث (باحث العلوم الإنسانية والاجتماعية) بشكل عام في ظروف أقل دقة إذا ما قورن بعمل الباحث في العلوم الطبيعية بالإضافة إلى خضوعه لمعايير قانونية وأخلاقية تشكل

محددات للبحث السلوكي ومن هذه المشكلات نذكر^(٤):

- اعتماد الكثيرين من متخذي القرارات على خبراتهم الوظيفية مع العلم أن هذه الخبرات ليست دقيقة أو موضوعية في أكثر الأحيان، فقد لا تكون أكثر من آراء واجتهادات أو خبرات خاطئة.

- عدم إيمان البعض من العاملين في مراكز البحوث مثلاً بأهمية البحث العلمي في اتخاذ القرارات التي هي الخطوة الأساسية نحو النضج العلمي للمسألة الإنسانية، فبدون البحث لن يتكون للعلم خلفية نظرية كما هي الحال في العلوم الطبيعية، وما لم تتضح المسألة الاجتماعية أو الإنسانية علمياً فستبقى الحلول المطروحة للمشكلات الإنسانية حلولاً هشة ووهمية.

- مع وجود مراكز بحثية متخصصة تستخدم البحث العلمي قيمة وأهمية فكرياً وممارسة للتوصل إلى حلول لمشكلات الأفراد والجماعات وتؤمن بدوره في تحقيق الرفاهية المادية والمعنوية.

- عدم توفر الدورات البحثية الرابطة أي وجوب ارتباط الظاهرة البحثية بظاهرة بحثية أخرى وهذا يعني أن الشعور بظاهرة التقدم في بعض المجالات ملازمة شعور بظهور مشكلات في مجالات أخرى، أو بظهور مشكلات جديدة في المجال نفسه وهكذا هو الالتزام الأخلاقي في البحث العلمي حل المشكلة وحل ما يتعلق بها.

ثانياً: الصفات والخصائص والقدرات العلمية للباحث

١: الصفات العلمية للباحث: تتمثل أهم صفات الباحث الناجح فيما يلي:

- توفر الرغبة الشخصية في موضوع البحث لأن الرغبة الشخصية هي دائماً عامل مساعد ومحرك للنجاح.

- الروح الاجتماعية والقدرة على الاندماج في الجماعات التي تكون عينات لبحثه.

- أن يتمتع الباحث أو جمع البيانات بالإضافة إلى المعرفة العلمية البحثية بالثقافة والمعرفة الاجتماعية والتي يجب أن تساعد على تفسير المواقف والصعوبات العلمية وبما يمكنه من التصرف فيها تصرفاً سليماً^(٥).

- الباحث قد يلاحظ على أعضاء الجماعة (عينة البحث) عدم إقبالهم أو حماسهم لنشاط قد يبدو ممتعاً، أو قد يجد أن الجماعة في أحد اجتماعاته

قد سادها الشغب وعمتها الفوضى على غير العادة، إلى غير ذلك من المواقف فلا بد إذن من أن يكون الباحث مزوداً بالمعارف التي تمكنه من فهم هذه المواقف ومسبباتها حتى يستطيع أن يوجه تفاعلات الجماعة. باعتبار أن هذه المعرفة اللازمة لا يمكن أن تقف عند حد معين بل لا بد لها بالضرورة أن تنمو وتتطور كلما نمت خبرات الباحث وكلما واجهته مواقف جديدة.

- قدرة الباحث على الصبر والتحمل عند البحث عن مصادر المعلومات المطلوبة والمناسبة^(٦).

- تواضع الباحث العلمي وعدم ترفعه على الباحثين الآخرين الذين سبقوه في مجال بحثه وموضوعه الذي يتناوله.

- التركيز وقوة الملاحظة عند جمع المعلومات وتحليلها وتفسيرها وتجنب الاجتهادات الخاطئة في شرح مدلولات المعلومات التي يستخدمها ومعانيها.

- قدرة الباحث على إنجاز البحث أي أن يكون قادراً على البحث والتحليل والعرض بالشكل الناجح والمطلوب.

- الاعتقاد بأهمية الدور الاجتماعي للعلم والبحث العلمي وهذا يتطلب عدم تعارض العلم مع الأخلاق والمعتقدات الدينية طالما يتم البحث لأجل المنفعة البشرية.

- أن يكون الباحث منظماً في مختلف مراحل البحث.

- تجرد الباحث علمياً (أن يكون موضوعياً في كتابته وبحثه).

ومن بين الشروط والمتطلبات اللازم توفرها في الباحث نذكر^(٧):

- الخبرة العلمية: المتأدية من خلال الممارسة والنشاط في ميدان التخصص تساعد الباحث على تشخيص المشكلات الأكثر أهمية.

- التخصص الأكاديمي: هو أحد مقومات نجاح البحث، وذلك لأن التخصص في ميدان معين يوفر للباحث خبرة معرفية ويكشف عن الإنجازات العلمية في مجال تخصصه ويساعده على تشخيص المشكلات التي يعانيتها ذلك الميدان التخصصي.

- إن الباحث لا بد من أن يمتلك مهارة علمية في القراءات الواسعة والاطلاع على الأبحاث والدراسات التي تمت في حقل تخصصه.

- المهارة العلمية في تسجيل الملاحظات بامتلاك الباحث مقدرة علمية فائقة

في تسجيلاً لملاحظات بأسلوب علمي منظم ومرتب.

- أن يتصف الباحث بالقدرة على فهم الطرائق العلمية واستخدامها في تحليل البيانات ومناقشتها.

٢: قدرات الباحث وإمكانياته تتمثل في:

- أن يختار موضوعاً في مستوى قدراته الفكرية وخبراته السابقة.
- أن يختار موضوعاً تتوافر فيه أدوات البحث.
- أن يحسب الباحث حساب الوقت اللازم لإجراء البحث وإلا فلن يستطيع الوفاء بالعدد المطلوب منه.
- أن يراعي موقف المجتمع من بحثه سواء في أثناء جمع المعلومات والبيانات أو عند التوصل إلى النتائج، وأن يكون حذراً من اصطدام بحثه بالناحية القيمة أو الأخلاقية أو السياسية أو الدينية.^(٨)

٣: المصاعب التي تواجه الباحث

تواجه الباحث عدة مصاعب منها:

- أ- المصاعب المتعلقة باختيار الميدان الذي يجري فيه الباحث بحثه: فقد يكون الموضوع معقد أو واسعاً ويحتاج إلى مدة طويلة أو إلى معدات خاصة أو مصاريف وتكاليف باهظة^(٩).
- ب- صعوبات تتعلق بالمصادر اللازمة للبحث: فعدم توافر المصادر الكافية أو فقدان المهم منها تعرقل انجاز الباحث لبحثه.
- ج- مصاعب تتعلق باختيار أو بناء أدوات جمع البيانات هناك بحوث تقوم على أساس إعداد أدوات جديدة تمر بعملية تقنين علمي. د. مصاعب تتعلق بتطبيق أدوات البحث وجمع البيانات والمعلومات ومدى استجابة أطراف العينة للباحث وتسهيل مهامه في الحصول على البيانات والمعلومات.
- هـ- هناك مشكلات تتعلق بالحساسية الاجتماعية والسياسية والأخلاقية التي ربما يثيرها ميدان البحث وطبيعته مما قد يؤدي إلى عدم استطاعته مواصلة في البحث. و. مشكلة الإشراف والتوجيه، وتبرز هذه المشكلة خاصة في الدول النامية التي يقل فيها المختص ونفي. ح. مشكلات تتعلق برحلة تفسير البيانات ومناقشة النتائج والتوصيل إلى الاستنتاجات.

ثالثاً: أخلاقيات العلاقة الاجتماعية بين الباحث ومجتمع البحث

لقد ازداد الاهتمام بالعلوم الاجتماعية عامة وبعلم الاجتماع خاصة نظراً لأهميته في دراسة وتحليل القضايا والمشكلات الاجتماعية التي نشأت بسبب التغيرات السريعة التي تمر بها مجتمعات والتي شملت مختلف جوانب الحياة.

أن دراسة الظواهر الاجتماعية تتم عن طريق استخدام المناهج العلمية والواقعية الموضوعية التي تقوم على الملاحظة والتنبؤ، كما أن السلوك الإنساني مرتبط بمؤثرات اجتماعية وغير اجتماعية واعتماد المنهج العلمي يساهم بشكل كبير في تنبؤ السلوك الاجتماعي، بحيث أن الباحث فرد اجتماعي يخلف عملية تفاعل اجتماعي من خلال اتصاله بأفراد عينة الدراسة.

كما أن السلوك البشري يختلف من مجتمع لآخر لذا التفاعلات والتصرفات الاجتماعية متباينة وهذا يرجع للخبرات الشخصية للأفراد. لذلك فالتعامل مع العنصر البشري له خصوصيته مقارنة بالتعامل مع الجماد والظواهر الطبيعية^(١٠).

١- دوافع وأخلاقيات الباحث: هناك جملة من الدوافع التي يخلقها الباحث منها:

- إشباع الدافع النفسي: بحيث يعمل الباحث على إثارة الرضا النفسي للجماعة المدروسة و يتلمسون الطمأنينة.
- الاهتمامات العامة: لان العلاقات تفرض نوعاً من الاهتمامات المشتركة التي تولد أهداف يتعاون الجميع لتحقيقها.
- الدوافع الروحية: التي تظهر مقدرة الباحث على استغلال الجانب الروحي للحصول على معلومات.
- دوافع اقتصادية: أي أشعار المجتمعين أن وراء الاجتماعات أهداف تسعى لإزالة الآثار الاقتصادية^(١١).

٢- الموقف القيمي للباحث

- قيم السلوك المهني للباحث: بحيث يجب توفر سلوك أخلاقي للباحث منها: الوضوح في تصرفاته - توافق علاقاته مع الناس - عدم تأثير مشكلاته الذاتية على أعماله.
- القيم الاجتماعية للباحث: - التخلي على الأنانية والتخلي بروح الجماعة. - القيام الواجب المطلوب واحترام حقوق الإنسان. - القدرة على تحمل المشاكل ومواجهتها والتصدي للصعاب والتغلب عليها.

• القيم النفسية للباحث: من بينها الثقة بالنفس و بالناس الذين يعمل معهم – الشعور الأمان و الاستقرار و المساندة الروحية، كما يجب على الباحث معرفة جوانب القوة و الضعف و يعمل على تطوير قدراته.

• القيم العقلية للباحث: – أن يكون ذا عقلية سليمة نامية و متطورة. – أن لا يملك الشعور العجز العقلي. – أن يكون متزناً ذا تفكير سليم في كل ما يدور حوله.

• القيم الروحية للباحث: – القدرة على التفكير الواقعي وإدراك حقائق الأمور. – القدرة على التعاون و مع الآخرين للنهوض بالمجتمع. – استيعاب القواعد و الاهتمام بالقيم الإنسانية.

١- الجوانب الأخلاقية في البحث:

يتضمن العامل مع العنصر البشري ما يعرف بالاعتبارات الاخلاقية وهي مجموعة من الاجراءات التي يراعيها الباحث الاجتماعي، و نظرا لأهمية الجوانب الاخلاقية في البحث العلمي، لذا معظم المؤسسات البحثية تأخذ بعين الاعتبار هذه الجوانب كلوائح و نظم.

ولقد تناول توكمان Tuckman عدداً من هذه الجوانب وكيفية تحقيقها^(١٢):

• الحق أن يبقى المبحوث مجهول الهوية ووجوب أخذ الباحث هذا الحق بعين الاعتبار.

• الحق في الخصوصية: أي يمكن للمبحوث عدم إعطاء بيانات خاصة قد تكون معتقدات دينية أو قد تسبب له مشكلات اجتماعية.

• الحق في معالجة البيانات بسرية: لذا يتوجب على الباحث التعامل مع هذه البيانات بسرية و يكون موضع ثقة.

• الحق في توقع إدراك الباحث لمسؤولياته: أي يكون للمشارك توقعات بأن الباحث على مستوى من المسؤولية المهنية.

ومن هنا نستخلص جملة من التوصيات في أخلاقيات البحث العلمي والمتمثلة في:

– النزاهة العلمية بالابتعاد عن النقل المباشر وذكر المراجع المأخوذة منه بكل التفاصيل.
– ألا يكون الاقتباس مطولاً، وان يوضع بين قوسين مع ذكر اسم الكاتب و المرجع بكل دقة. – عدم الإفراط في اللجوء إلى الانترنت كمرجع أساسي (مع ذكر الموقع). – احترام

الملكية الفكرية، وحقوق التأليف بحيث لا يجوز للباحث ان ينسب جهد الآخرين لنفسه. -السرققات العلمية، كإعادة طبع كتاب او مقال، او بحث بتغيير الغلاف و العنوان و الإبقاء على المحتوى. - تكرار نشر نفس عمل البحث في أكثر من موقع. - من الأحسن و المفيد كذلك لو يلجأ الباحث إلى تناول موضوع جديد لم يسبق تناوله من طرف باحثين آخرين، أو جانب مبهم من نفس الموضوع، وهذا بناء على دراسات سابقة عنه، من اجل اضافة لبنة جديدة في حقل البحث العلمي.

خاتمة

إن الباحث، مثل أي عامل في المجتمع لا بد عليه أن يحترم بعض المبادئ الاخلاقية اي الواجبات الاخلاقية اثناء تأدية عمله، سواء كانت هذه المبادئ مقننة أم لا من طرف منظمة أو هيئة أياً كانت، كما يتوجب عليه ان يلتزم بالشفافية مع زملائه و يتقبل نقدهم بالكشف عن كل مسعاه في البحث. وعلى الباحث ان يبذل من جهته جهداً في نقد زملائه. أما فيما يتعلق بالعناصر البشرية المشاركة في البحث، فلا ينبغي المبالغة في إحراجها، أو الكشف عن حياتها الخاصة، كما يجب أيضاً التفكير في التقليل من العيوب التي ربما تسببها لهم مشاركتهم في البحث وأن تعطي لهم ضمانات أن هذه العيوب لا تتجاوز المزايا المنتظرة. إن اقامة جو من الثقة و الاحترام المتبادل هو واحد من شروط النجاح العلمي. في هذا الاطار، فاذا كان من حق الباحث او الباحثة ان يقوم بالبحوث التي تهمه، فان من حق الجمهور ايضا ان يطلع على النتائج. ان هذا التبادل (او الذهاب و الاياب) ضروري حتى تبقى القيمة الايجابية للعلم في المجتمع.

المراجع

- ١- سعيد جاسم الاسدي، أخلاقيات البحث العلمي في العلوم الإنسانية و التربية و الاجتماعية، مؤسسة وارث الثقافية، العراق، ٢٠٠٨، ص ١١.
- ٢- علي فلاح الزعبي، مناهج و أساليب البحث العلمي في ميدان التسويق- مدخل منهجي إداري-، دار المسيرة للنشر، الاردن، ط١، ٢٠١٠، ص ١٣٥.
- ٣- سعيد جاسم الاسدي، مرجع سابق، ص ١١.
- ٤- نفس المرجع، ص ١٣.
- ٥- علي عسكر و آخرون، مقدمة في البحث العلمي، ص ٤٧.
- ٦- سعيد جاسم الاسدي، مرجع سابق، ص ١٦.
- ٧- نفس المرجع، ص ١٨.
- ٨- نفس المرجع، ص ١٩.
- ٩- نفس المرجع، ص ٢٢.
- ١٠- نفس المرجع، ص ٣١.
- ١١- علي عسكر و آخرون، مرجع سابق، ص ٤٩.
- ١٢- مورييس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، دار القصبه للنشر، الجزائر، ط٢، ٢٠٠٦.

العاملون في المهن المختلفة موقع الفئات الدنيا في البيئة الحضرية

د. قجة رضا - دة. فضيلة عاقل
د. صليحة مقاوسي - دة. عائشة شبيلة



ملخص

لقد أفرزت ظاهرة التحضر السريع في مدن البلدان النامية الناجمة عند تزايد عدد سكانها ظهور العديد من المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والطبيعية ومن أبرزها الفئات المدنية الدنيا وهي القوى المهمشة.

حضرًا، تعاظم أثره في بزوغ الإشكاليات الحضرية من فئات هامشية والعشوائيات القائمة على أطراف المدن، ويعد تضخم المدن نتيجة استفحال النزوح الريفي إلى المدن والزيادة الطبيعية في السكان ثم ممارسة وسيادة النشاط الطفيلية.

فالفئات الأشد فقرًا، هي في نفس الوقت الأكثر تهميشًا من قوى المساكين، بسبب التوجه المتزايد للنظام الاقتصادي الاجتماعي إلى مركز الثروة والنفوذ، فهي نتاج البنية السلبية للهيكلة الاقتصادي الاجتماعي نفسه.

فالتحضر في العالم الثالث يمثل أحد مخلفات النظام الرأسمالي، وما

وهذه التحولات الاقتصادية والاجتماعية، التي جعلت مدن العالم تشهد انفجاراً

- دة. عائشة شبيلة: المدرسة العليا للتجارة / الجزائر. Chebila65@hotmail.fr
- دة. صليحة مقاوسي: كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة باتنة/الجزائر. mekaoussi_2007@yahoo.fr
- دة. فضيلة عاقل: كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة باتنة/الجزائر.
- دة. قجة رضا: كلية العلوم الإنسانية والآداب قسم علم الاجتماع، جامعة مسيلة/الجزائر.

يخلقه من خصائص الأنانية والاستغلال، ولعل ثمة عوامل أخرى أدت إلى تكريس وانتشار الفئات الهامشية والعشوائية على أطراف المدن من عمليات التنمية والتحديث.

وكل هذه العوامل من التثبيت والتكيف الهيكلي (الخصخصة)، كلها عوامل أثرت سلباً في اتساع نطاق هذه الفئات الفقيرة، ووجود نمط رث من التطور.

ومنه يمكن القول، أن الفئات الدنيا التي يتعاضم حجمها باستمرار، والتي تطوق مدن البلدان النامية، وتملاً شوارعها من مسحوقين، ومنحرفين وعصابات الجريمة. وللتعرف على أبعاد ظاهرة التهميش الاجتماعية، يمكن لنا حصر الظاهرة في مجموعة من الأسئلة كما يلي:

أولاً: من هم المهمشون (الفئات المدينية الدنيا)؟ وهل يقتصر تكوينهم الراهن على الفئات الرثة اجتماعياً أم هناك نماذج أخرى من الهامشين؟

ثانياً: هل الهامشية حقيقة واقعية لا تتغير إلا بتغير النظام القائم؟ وما هي الأساليب الأكثر أهمية وجدوى لمعالجة الظاهرة؟

الكلمات المفتاحية: الفئات المدينية الدنيا - المهمشون - الفقر - الاقتصاد غير الرسمي - الباعة الجائلة.

The site in the lowest classes of the urban environment

Summary

We have produced the phenomenon of rapid urbanization in the cities of developing countries, resulting in an increasing number of population of the emergence of many social and economic problems and the natural and urban groups, most notably, a minimum powers marginalized, Valviat poorest, at the same time they are the most marginalized of the forces of the poor, because of the increasing trend of the economic system to the center of social wealth and power, they are the product of the structure of the negative socio-economic structure itself. These economic and social changes, which have made cities in the world is witnessing an explosion urban, the growing

impact of the emergence of problematic urban categories of marginal and slums existing on the outskirts of cities, and is inflated cities as a result of rampant rural exodus to the cities and the natural increase in the population and then practice and the rule of educational activities parasitic, Urbanization in the Third World is one of the remnants of the capitalist system, and creates the characteristics of selfishness, exploitation, and perhaps there are other factors that led to the consecration and the proliferation of marginal groups and random on the outskirts of the cities of the processes of development and modernization.

All these factors of stabilization and structural adjustment (privatization), are all factors that have negatively affected the breadth of this poor, shabby and a pattern of evolution. And it can be argued, that the lower categories which are constantly growing in size, and that encircle the cities of developing countries, and fills the streets of the downtrodden, and the perverts and criminal gangs, And to identify the dimensions of the phenomenon of social marginalization, we can limit the phenomenon in a series of questions as follows: First: Who are the marginalized (urban lower classes)? And whether the current composition is limited to Hungary tattered social groups, or are there other models of marginal? Second: Is the marginal reality does not change, but change the existing system? What are the most important methods and feasibility to address the phenomenon?

Key words: urban lower classes - the marginalized - poverty - the informal economy - sellers circulating.

مقدمة

لقد أفرزت ظاهرة التحضر السريع في مدن البلدان النامية الناجمة عند تزايد عدد سكانها ظهور العديد من المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والطبيعية ومن أبرزها الفئات المدينية الدنيا وهي القوى المهمشة.

فالفئات الأشد فقراً، هي في نفس الوقت الأكثر تهميشاً من قوى المساكين، بسبب التوجه المتزايد للنظام الاقتصادي الاجتماعي إلى مركز الثروة والنفوذ، فهي نتاج البنية السلبية للهيكلة الاقتصادي الاجتماعي نفسه.

وهذه التحولات الاقتصادية والاجتماعية، التي جعلت مدن العالم تشهد انفجاراً حضرياً، تعاضم أثره في بزوغ الإشكاليات الحضرية من فئات هامشية والعشوائيات القائمة على أطراف المدن، ويعد تضخم المدن نتيجة استفحال النزوح الريفي إلى المدن والزيادة الطبيعية في السكان ثم ممارسة وسيادة المناشط الطفيلية.

فالتحضر في العالم الثالث يمثل أحد مخلفات النظام الرأسمالي، وما يخلقه من خصائص الأنانية والاستغلال، ولعل ثمة عوامل أخرى أدت إلى تكريس وانتشار الفئات الهامشية والعشوائية على أطراف المدن من عمليات التنمية والتحديث.

وكل هذه العوامل من التثبيت والتكيف الهيكلي (الخصخصة)، كلها عوامل أثرت سلباً في اتساع نطاق هذه الفئات الفقيرة، ووجود نمط رث من التطور.

ومنه يمكن القول، إن الفئات الدنيا التي يتعاضم حجمها باستمرار، والتي تطوق مدن البلدان النامية، وتملاً شوارعها من مسحوقين، ومنحرفين وعصابات الجريمة. وللتعرف على أبعاد ظاهرة التهميش الاجتماعية، يمكن لنا حصر الظاهرة في مجموعة من الأسئلة كما يلي:

أولاً: من هم المهمشون (الفئات المدينية الدنيا)؟ وهل يقتصر تكوينهم الراهن

على الفئات الرثة اجتماعياً أم هناك نماذج أخرى من الهامشين؟

ثانياً: هل الهامشية حقيقة واقعية لا تتغير إلا بتغير النظام القائم؟ وما هي

الأساليب الأكثر أهمية وجدوى لمعالجة الظاهرة؟

أولاً: التصورات المختلفة لمفهوم (الفئات المدينية الدنيا) الهامشية

هناك استعمالات متعددة لمفهوم الهامشية وفق معان اقتصادية واجتماعية وسياسية، مما أدى إلى تباين الفئات التي وصفت بأنها تتسم بالهامشية.

واتجه البعض إلى أن مفهوم الهامشية، ينطبق على سكان المناطق المختلفة، ويرى البعض أنها الفئات المهاجرة من الريف إلى المدينة. غير أن أكثر استعمالات هذا المصطلح، قد ارتبط بالفئات الدنيا في المجتمع، وانقسم أنصار هذا الاتجاه إلى فئتين حسب الفئة الأولى، واقتصر بعض هذا المفهوم على الأثر السلبي للظواهر، مثل الجريمة العنف والمخدرات...

أما الفئة الثانية مفهوم الهامشية وبين سوق العمل، أما اصطلاح الجماعات الهامشية حسب علماء الاقتصاد، يشير إلى تلك الفئات التي تقف على هامش أسلوب الإنتاج في المجتمع، ولا تلعب دوراً يذكر في العملية الإنتاجية^(١).

وقدم محمود عبد الفضيل تعريف «للعالة الهامشية ولعمالة الرثة»، يقول أنها تمثل جانباً هاماً من قوة العمل في المناطق الحضرية. لا يرتبط بفروع النشاط الاقتصادي المنظم، ولا يشتركون في تسيير عجلات الجهاز الإنتاجي^(٢)، ويضيف في وصف هذه العمالة بأنها صغير الحجم، وهي عمالة جائلة في الطرقات سعياً وراء كسب الرزق اليومي. ومن بين هؤلاء أفقر فقراء المدن كالباعة الجائلين في الشوارع والأسواق.

ويمكن القول بأنها ذلك القطاع غير المنظم، أو الفئة التي تتفصل عن القطاع الرسمي للدولة، أو القطاع غير الرسمي الذي يعمل خارج التنظيمات المؤسسية.

وهناك فئات مهنية غير منصفة تعرف البروليتاريا الرثة، والتي تضم ماسحي الأحذية وجامعي النفايات والقمامة والحمالون، وغيرها من الأنشطة التي تربط بالإجرام واللصوصية، ولم يجدوا أمامهم سوى الالتحاق بهذه الأعمال الرثة وليشكلوا في الوقت عينة الجيش الاحتياطي للبطالة في الحضر^(٣).

أما الباحث اسماعيل قيرة فيرى: بأن الفئات الهامشية عالم واسع، يمتد عبر الشرائح المختلفة، وينتشر في أماكن متعددة. عالم له علاقاته ولغته ونمطه المعرفي والقيمي، وأفراده خليط عجيب من العناصر الرثة المعقدة كلياً والمحرومين، والفقراء وممتهنين الأنشطة غير الرسمية، والمستخدمين ذوي الأجور المنخفضة، العاطلين عن العمل المتسولين، ساكني الأحياء المتخلفة، الأحداث المتشردين، وكل من يلتقط رزقه من قلب علاقات الشارع القذرة.. إلخ^(٤).

وجغرافياً ينتشر الهامشيون على اتساع المدينة وإن تركزت فعاليتهم في بؤر معينة وطبقياً يخترقون كل الشرائح، لكنهم يتركزون في الشريحة المدينة الدنيا^(٥).

ولذلك يمكن القول أن الفئات المدينة الدنيا تكون ضحية التهميش، والحرمان من التمتع بحقوق المواطن العادي. فالعناصر الرثة والمعدمين والفقراء العاديين يمكن جمعهم تحت غطاء مفهوم واحد، وهو الفئات المدينة الدنيا.

وفي هذا الصدد قدم بارك Park تصوراً للمفهوم مؤداه أن الفرد الهامشي: هو ذلك الشخص الذي يتحرك خلال أكثر من عالم اجتماعي، دون أن يكون مستوعباً تماماً في واحد منها، أي أن الرجل الهامشي يشكل هجيناً ثقافياً، لأنه يعيش على هوامش ثقافتين ومجتمعين، لكنه ليس عضواً في إحدهما^(٦).

ونظراً لتداخل مصطلحات بعض الجماعات الهامشية، خاصة الجماعات التي تعتمد على النهب والصوصية، توجد في أماكن مختلفة تحت أسماء مختلفة، ويأتي الحديث في معظم الأدبيات التاريخية، ووصفها بصفات متعددة أهمها: الفوضى والحالة والرعاع والنشالون، والعواطلية والعجز والشحاذون والهباش والنتاش والنهابة والصوص وقطاع الطرق والسفلة والبلطجية والجياع^(٧).

وانتشرت الجماعات الهامشية من الشحاذين، انتشاراً كبيراً في المدن على أشكال وأنواع واشتهروا بالإلحاح في الطلب والتحايل بالفقر، ولبس الثياب البالية.

وفي هذه الحالة، يمكن القول بأن الهامشيين ليسوا فقط أولئك الفقراء القاطنين في أطراف المدينة، وإنما أيضاً يوجد هامشيون أثرياء يقيمون البنايات الشامخة والقصور، ويملكون أفخم السيارات، ويرتكون أيضاً أخطر الجرائم الاجتماعية، التي لا تقل في خطرها عن جرائم الهامشيين الفقراء...

إنهم هامشيون أيضاً، لأن موقعهم الاجتماعي على هامش أسلوب الإنتاج في المجتمع فقط، ولا دور لهم يذكر في التراث المعنوي. إنهم هامشيون أثرياء، حققوا ثراءهم الفاحش من أمثال تجار المخدرات، والسماسرة والوسطاء وغيرهم من ممارسي أنشطة الاقتصاد السري.

فالتهميش إذن، وضع اجتماعي واقتصادي لا يشمل الفقراء فقط، بل قد ينطوي تحت رايته الفقراء والأغنياء معاً، ويجعلهم أكثر استعداداً للخروج عن النظام الاجتماعي والقانوني^(٨)، إلا أن التهميش عملية اقتصادية، اجتماعية وثقافية تمس فئة معينة من

المجتمع، وتزداد حدته أثناء الأزمات (الفقر والبطالة)، ويمتاز هذا النوع من التهميش، بفقدان الروابط الاجتماعية التي تمكن الأفراد من الاندماج في المجتمع، كالبطل والمهمش من المؤسسة، والأمي من النظام المدرسي.

ثانياً: أوضاع سياسية اجتماعية اقتصادية لنمو الفئات المدنية الدنيا

وفي هذا الصدد صاغ برلمان Perlman الشكل (٠١) نموذجاً لتحديد الأبعاد الأربعة للهامشية، الأحياء المختلفة وسكانها مستنبطة من التراث الاجتماعي، ويمكن اعتبارها كأسباب أساسية للتهميش الاجتماعي، سواء كانت سياسية واجتماعية وتوضح في غياب التنظيم والعزل، والضغط وفقدان الصلة بالمجتمع... واقتصادية كالبطالة والفقر، والعرقية كمزج جماعات معينة والنوعية الجنسية وتعود إلى الدور والمكانة ونمط التربية.^(٩)

الشكل (٠١): يبين أبعاد الهامشية

الأبعاد الاجتماعية	الخصائص:	المفاهيم:
	- فقدان النظام الداخلي يفتقر الحي المتخلف إلى التنظيم الاجتماعي الداخلي. - العزلة الخارجية سكان الأحياء المتخلفة غير مندمجين في حياة المدينة ونقص استخدام البيئة الحضرية وعدم الشعور بالارتياح في بيئته.	الجمعيات الطوعية الصداقة والعزلة الثقة والمساعدة الجريمة والعنف الاعتياد على العيش في المدينة استخدام المؤسسات الحضرية استخدام وسائل الإعلام.
الأبعاد الثقافية	الثقافة التقليدية الأحياء المتخلفة مناطق ريفية في المدينة. ثقافة الفقر يطور ساكن الحي المختلف ويدير ثقافة الفقر.	اللامبالاة القدرية الجريمة والعنف التفكك العائلي التشاؤم التوجه الديني العمالة والدخل الاستهلاك المساهمة في البيئة التحتية قيم المنظمين الاغتراب الطلب من أجل التغيير البنائي الوعي الطبقي المشاركة في الانتخابات.
الأبعاد الاقتصادية	التطفل الاقتصادي سكان الأحياء المتخلفة عبء على الاقتصاد الحضري	
الأبعاد السياسية	اللامبالاة السياسية عدم إدماج ساكن الحي المتخلف في المدينة وفي الحياة السياسية.	

Source: Perlman Jerios Favelas and the myth of marginality politics and society, vol.5, 1975, p141.

وتبدو الأبعاد الأربعة للهامشية، التي أكد عليها برلمان Perlman ذات خصائص مستتبطة من التراث الاجتماعي، ويتجلى ذلك بوضوح من خلال مضمون كل بعد، وفشل هذه الفئات في تحقيق الأهداف، التي جاؤوا من أجلها إلى المدينة.

بالإضافة إلى اهتمامه بالهامشية الثقافية، التي جاءت من منطلق ثقافين متناقضين، ثقافة تقليدية أي الأفكار الريفية غير ملائمة في الوسط الحضري، أما ثقافة الفقر فهي مرتبطة بالإحباط والسلبية، بينما ينظر إلى الهامشية السياسية في غياب التنظيم الداخلي، والعزل وعدم المشاركة وشعور هذه الجماعات بالغربة عن ثقافة المحيط وعن الجماعات الأخرى.

وإذا كان الحديث عن هذه الجماعات، وما تقوم به من أعمال نهب ونشاطات هامشية، يمكن اعتبارها في نفس الوقت رد فعل لعجز الدولة وأجهزتها عن استيعاب الفئات المدنية الدنيا، وإدماجها في سوق العمل والنشاط الرسمي، وطبيعي أن يكون رد الفعل بعدة مظاهر، تتكاثر وتتمو من اختلاس وتمرد عنيف.

وتمثل هذه الجماعات المرتبة الدنيا في البناء الاجتماعي، حيث يجمعهم الفقر والبطالة ويقيمون على أطراف المدن، يمارسون أنشطة غير رسمية.

تنتشر هذه الجماعات في كل مكان بحثاً عن الرزق من أي عمل، لأن أغلبهم لا عمل له، وأصبحوا «شريحة» يتوزعون لالتقاط رزقهم الذي يوجب الخفية، ومنهم الحمالين والباعة، وعمال نظافة بما فيهم الزبائين رجال ونساء وأطفال يعيشون على أبواب المساجد، وغيرهم من الفقراء والشحاذين والمساكين والهامشيين الحضريين، انطلاقاً من البعد السكني بالذات^(١٠).

ولذلك يمكن القول، إن الفئات الدنيا هي نتاج للبنية السلبية للهيكل الاقتصادي الاجتماعي، ولا يصلح إلا بتغيير جذري في هذه البنية وفي العلاقات داخل المجتمع.

ثالثاً: الحياة اليومية للفئات المدنية الدنيا (الهامشية الحضرية)

تواجه تلك المدن زيادة مستمرة في نسبة السكان غير المهرة، ذوي المهن الدنيا والأجور المنخفضة شديدي الفقر، مما يجعلهم هامشيين بالنسبة للاقتصاد والتنظيم الاجتماعي الحضري^(١١).

وهكذا يتضح مدى الارتباط القائم بين ظروف الفقر والهامشية في مدن العالم الثالث، وتراكم رؤوس الأموال والتقدم في مدن مجتمعات الرأسمالية المسيطرة.

ويعبر تضخم نسبة المهاجرين غير المؤهلين المشتغلين في القطاع غير الإنتاجي والأنشطة الهامشية، عن السمات الأساسية للتكوين الطبقي في المجتمعات النامية والتي تضمن أدنى شريحة لها، الممارسين للأنشطة الحضرية الهامشية، أو قطاع الاقتصاد الحضري غير الرسمي أو البروليتاريا الرثة.

وتستخدم أساليب غير مشروعة للرزق، ولا ترتبط بالنشاط الاقتصادي المنظم، ولا تسهم في الإنتاج، وتتكون هذه الشريحة من الفقراء المعدمين، أمثال الباعة الجائلين وبائعي السلع البسيطة، وبائعي حديد الخردة، ومن العاطلين والشحاذين (الهامشية الكلية) للرأسمالية، لأنهم لا يسهمون في الإنتاج ولا تدفع لهم أجور، شريحة المنبوذين الذي لا يمارسون أنشطة غير مشروعة، كالسرقة والبيعاء وتجارة المخدرات والاحتياال.

وهذه الفئة ترفض معايير المجتمع، التي تعيش على هامشية اقتصادية واجتماعية، وواعية بعدم انتمائها للمجتمع، وتشكل تهديداً للسلطة الحاكمة، مما يدفع الأخيرة لاستخدام العنف في مواجهتها^(١٢).

وبرزت مؤخراً في بعض المدن الجزائرية المعاصرة، شريحة من الفئات الهامشية الحضرية ألا وهي باعة حديد الخردة بيع قطع السكة الحديدية القديمة وصفائح الزنك وبقايا السيارات، والأواني المنزلية وبقايا حديد البناء كرزق العائلات الفقيرة بيجاية.

حيث انتشرت هذه الظاهرة بشكل ملفت للانتباه، وظهور مجموعة من المتعاملين الذين شجعوا أبناء الأسر الفقيرة على جمع الحديد مقابل مبالغ مالية هامة، ويتم تحويل القطع القديمة والصفائح البالية إلى معدن ثمين، وهكذا ارتفع الطلب على حديد الخردة وكثرت الوسطاء، تحول إلى اهتمام هواة جمع الخردة، خاصة السيارات المحطمة وامتدت العملية حتى المناطق الريفية^(١٣).

وعبرت نتائج الأبحاث الأمبريقية، والعديد من الدراسات عن حقيقة الفئات الهامشية الحضرية ومعاناتها، والضغط التي تتعرض لها يومياً. ولعل من أهم الدراسات،

دراسة ثروت ١٩٨٦، مثلاً لمجتمع الزبالين في القاهرة، والتي أسفرت عن نتائج ذات أهمية، حرمانهم من بعض حقوقهم وإحساسهم بالإحباط والظلم.

ثم تليها دراسة إسماعيل قيرة ١٩٨٩ في تحليل أبعاد الهامشية الحضرية في مجتمع مدينة سكيكة بالجزائر عن الباعة المتجولين وصغار الحرفيين مع تشخيص الأوضاع الواقعية، التي تعيشها هذه الفئات الاجتماعية، وكيف يتدبر الفقراء أمرهم حتى يستمروا في الوجود على هوامش الاقتصاد الحديث.

فالفئة الهامشية من الباعة الجائلة، تشكل فئة اجتماعية مظلومة ومهانة، تراكمات تاريخية أسهمت في خلق بعض الفئات الهامشية الحضرية ومن أنواعها التابعون، والباعة بالعمولة والباعة المستقلون، إن الباعة الجائلين كشريحة من شرائح القطاع الحضري غير الرسمي، فهي غير مستقرة وتعيش ظروف اقتصادية واجتماعية متدنية.

وثمة دراسات وضحت حقيقة الفئات الهامشية وواقعها في المدينة العربية، ومن بينها أيضاً دراسة سثيرمان Sethurman في دراسته السوسيواقتصادية لمدينة جاكرتا، وويكس Weeks، وهارت Hart، في دراسة لفرص الدخل غير الرسمي والعمالة الحضرية في غانا، وكذا دراسة جيرى Gerry عن صغار المنتجين، ودراسة برباك Birk Beck ودراسة ياسر حسن وغيرها من الدراسات المتعددة التي سلط أصحابها الضوء على الفئات الهامشية.

وكل هذه الظواهر الاجتماعية، وفي الحقيقة ليست إلا تعبيراً عن التناقضات والاختلال الهيكلي في البناء الاجتماعي والاقتصادي، وما ينطوي عليه من تفاوت واستغلال وفساد النظام والظلم.

بالإضافة إلى المعاناة اليومية للفئات الهامشية الحضرية من مشكلات كالفقر، والبطالة، والأمية والأمراض، والسلوك الإجرامي والاغتراب الاجتماعي والثقافي، مما دفع بعض الدارسين تسميتها بالثقافة الهامشية الحضرية.

الخاتمة

يتضح مما سبق أن الفئات المدينية الدنيا وشرائعها المختلفة تقع في صلب النظام الاجتماعي، القائم بفعل الاختلال الهيكلي في الإنتاج وتوزيع الدخل، فلا سبيل إلى تحسين ظروف الفقراء والمساكين، إلا بالتغيير الجذري للبنية السلبية في الهيكل الاقتصادي ككل. فالتهميش الاجتماعي، وإن كان ظاهرة ملازمة للمجتمعات الإنسانية، إلا أن تفاقمه يمثل خطراً على هذه المجتمعات، ولذلك يجب مقاومته ووقف آثاره، والمطلوب من جهاز الدولة اتباع سياسة اجتماعية واقتصادية، تحفز جميع أعضاء المجتمع إلى الانخراط في إطار العمل الاجتماعي المنتج، وفي ظل سيادة قيم اجتماعية رشيدة.

المراجع

- (١) السيد الحسيني وآخرون، ورثة عمل التهميش الحضري والمناطق العشوائية في مصر، المركز الإقليمي العربي للبحوث والتوثيق في العلوم الاجتماعية، اليونسكو، والمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، مصر، سنة ٢٠٠٠، ص ١٠٢.
- (٢) عادل عازر وثروت إسحاق، المهمشون بين الفئات الدنيا في القوى العاملة، مرجع سابق، ص ٩.
- (٣) محمود عبد الفضيل، تأملات في المسألة الاقتصادية المصرية، ط١، دار المستقبل العربي، القاهرة، مصر، سنة ١٩٨٧، ص ٣٢-٤٧.
- (٤) اسماعيل قيرة، أي مستقبل للفقراء في البلدان العربية، مخبر الانسان و المدينة، جامعة منتوري قسنطينة ١.ب.س.ن. ص ٧٩.
- (٥) نفس المرجع والصفحة.
- (٦) اسماعيل قيرة وآخرون، العولمة والاقتصاد غير الرسمي مخبر الانسان و المدينة، جامعة منتوري قسنطينة ٢٠٠٤، ص ١٦٥.
- (٧) السيد عشناوي، الجماعات الهامشية المنحرفة في تاريخ مصر الاجتماعي الحديث، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، مصر، سنة ٢٠٠٣، ص ٢٠.
- (٨) السيد الحسيني، مرجع سابق، ص ١٠٩-١١٠.
- (٩) اسماعيل قيرة، العولمة والاقتصاد غير الرسمي، مرجع سابق، ص ١٧٢.
- (١٠) السيد عشناوي، الجماعات الهامشية المنحرفة، مرجع سابق، ص ١٠٠.
- (11) Joan Nelson: "the urban poor disruption or political integration in third world cities" world politics, XXII, Number 3, Avril 1970, p394.
- (١٢) اسماعيل قيرة، الأنشطة الاقتصادية الحضرية غير الرسمية في المجتمع الجزائري بين الاستقلال والتبعية في سياق عملية التنمية الحضرية، حالة مدينة سكيكدة، رسالة دكتوراه، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب جامعة القاهرة، ١٩٨٩، ص ١٠-٣٠.
- (١٣) عن جريدة الشروق اليومي، العدد ١٦٨٦، بتاريخ ١٥ ماي ٢٠٠٦، ص ١٠٧.

النزعة الاستهلاكية من منظور بيئي وأخلاقي

د. سيف بن علي الحجري*



الإنتاجي الكبير، لإشباع حاجات اليوم، ورفع سقف رفاهية إنسان الحاضر، دون الأخذ بالاعتبار حقوق الأجيال القادمة في الاستمتاع بكوكب أخضر، زاهر بالخيرات، هذا النمو المتعدد الأشكال والاتجاهات، والمלתهم لقسم كبير من موارد الطبيعة الحية وغير الحية.

ولما كان كل توسع في الإنتاج يؤدي بالضرورة إلى زيادة في استهلاك الموارد الطبيعية، فإن تلك الموارد تصبح معرضة أكثر للاستنزاف والنفاذ.

يشير مصطلح النزعة الاستهلاكية إلى السياسات الاقتصادية التي تركز على مفهوم الاستهلاكية، ويرمز إلى الاعتقاد بأن الاختيار الحر للمستهلكين ينبغي أن يؤسس الهيكل الاقتصادي للمجتمع.

فمن الآثار السلبية للنزعة الاستهلاكية:

-التأثير على البنية النفسية للفرد والمجتمع، فما توصلت إليه العلاقات الاستهلاكية المعاصرة، من تدمير للبنية الاقتصادية والاجتماعية تحت شعار المجتمع الاستهلاكي، امتدت إلى النسيج النفسي للإنسان، فمن أبرز سمات هذا النظام، العمل على أن تذوب حرية الفرد، فالإنسان هنا لم يعد المقياس الذي تقاس إليه كل الأشياء، بل على العكس تماماً، لقد أصبح يقاس هو نفسه من خلال تبعيته للأشياء.

-التأثير على البيئة الطبيعية، فطبيعة المجتمع الاستهلاكي أنه يقوم على النمو

* دكتورة علوم جيولوجية، نائب رئيس مجلس إدارة مؤسسة قطر للتربية والعلوم وتنمية المجتمع سابقاً/قطر.

salhajari@yahoo.com

إن «النزعة الاستهلاكية» هي قوة ناشئة من السوق قد تتسبب في إفساد الأفراد وإلحاق الضرر بالمجتمع، والمطلوب لفهم أسباب شيوع النزعة الاستهلاكية، والحد من آثارها السلبية على حياة الإنسان، من دراسة الأمر في محاور خمسة:

أولاً: علاقة الإنسان بخالقه

علاقة تهدف إلى تربية العقائد السوية، ومن ثم تربية ضمير حي قادر على الرقابة الذاتية الواعية، فالضمير الحي هو ذلك الشعور الإنساني الباطني الذي يجعل المرء رقيباً على سلوكه، ولديه الاستعداد النفسي ليميز الخبيث من الطيب في الأقوال والأعمال والأفكار.

ثانياً: علاقة الإنسان بأخيه الإنسان

علاقة تهدف إلى خلق علاقات اجتماعية متوازنة قائمة على التعاطف والتكافل والتواد وشعور الإنسان بحاجات أخيه الإنسان، دون أن ينال ذلك من تلبية حاجاته الأساسية، والإنسان الاستهلاكي لا ينطلق إلا من الرغبة في رفع مستوى رفاهية عيشه وتوسيع آفاقه الاقتصادية، لذلك قليلاً ما يهتدي إلى استثمار الطبيعة واستخدام خيراتها في الإنتاج المثمر والمستمر لصالح الإنسان، فالنظرة الضيقة غالباً ما تقود الإنسان إلى أن يهمل قوانين الطبيعة ويحملها ما لا تطيق باحثاً عن الاستغلال والاستنزاف والسيطرة، ونتيجة لهذا الطمع المحكوم بفوضى الاستهلاك والأنانية، تنتشر كوارث من صنع الإنسان، ويتسع نطاقها وتزيد قوتها.

ثالثاً: علاقة الإنسان بالمكونات الحية لبيئته

هذه العلاقة التي تشمل مجمل مكونات التنوع الحيوي، أي علاقته بالحيوانات والنباتات والطيور وغيرها، تلك المكونات الحية شريكة الحياة، مميزاً بين أدوارها من مستهلكة ومنتجة، بما يساعد على إحداث أكبر قدر من التوازن البيئي، حيث يعيش الإنسان في المجتمعات المعاصرة علاقة متوترة جداً بسبب عدم تقديره لحاجات البيئة وحدود قدرتها على حمل أعباء الأنشطة البشرية الإنتاجية والاستهلاكية التي لا حدود لها.

إن اقتصاد الرفاه الذي تلوح به المجتمعات الاستهلاكية ليس سوى ثمرة خسارات الأنظمة البيئية والاستغلال الجائر والهائل للموارد الطبيعية، وأخطر ما يهدد الحضارة الإنسانية في وقتنا الراهن، عوالة الثقافة الاستهلاكية، الأمر المسؤول عن اختلالات عميقة لا سابق لها في وظائف النظام البيئي العالمي والمحلي.

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الروم: ٤١)

إن أحد أهم منجزات الإنسان الثقافية، بروز مفهوم التنمية المستدامة، ذلك المفهوم

المتمثل في العلاقة بين الحق في استغلال الموارد الطبيعية والمسؤولية عن حماية البيئة، وقد صدر عن قمة الأرض في مؤتمر ستوكهولم بالسويد عام ١٩٧٢، مبدأ يمثل إعلاناً عن البيئة الإنسانية متضمناً أول وثيقة دولية بمبادئ العلاقات بين الدول في شأن البيئة، وكيفية التعامل معها، والمسؤولية عما يصيبها من أضرار.

ويعتبر هذا المبدأ من أهم مبادئ إعلان ستوكهولم، حيث عمل على التوفيق بين حرية الدولة في ممارسة ما تشاء من أنشطة استثمارية لمواردها في حدود سيادتها الإقليمية من ناحية، ومن ناحية أخرى ضمان ألا تتسبب هذه الحرية في الإضرار ببيئة الغير أو خارج الحدود السيادية للدولة مثل المواقع التي تشكل تراثاً مشتركاً للإنسانية جمعاء.

رابعاً: علاقة الإنسان بالمكونات غير الحية

علاقة يحكمها منطق التوازن، بالتعامل مع مكونات البيئة دون إسراف أو تقتير، بما يضمن تحقق مفاهيم التنمية المستدامة التي تجبر على التعامل مع مكونات الحياة بطريقة تحفظ للأجيال القادمة حقها في كوكب نظيف، يزخر بالحياة والخيرات، وجاء في محكم التنزيل:

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ (الحجر: ١٩)
﴿وَأَنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ (الحجر: ٢١)

إن الميزان الإلهي في خلق المادة نجده في أوزان العناصر والذرات والمعادلات الكيميائية، بنفس ما نجده في حسابات الفلك والنجوم والكواكب، وعن طريق الحسابات الرياضية توصل أينشتاين إلى نظريته في النسبية قبل أن تتحقق بتقجير القنبلة الذرية، وعن طريق الحسابات الرياضية يتوصل علماء الفلك إلى اكتشاف بعض الأقمار والمجرات قبل أن يتعرفوا عليها بالمرصاد.

إن هذا الميزان الدقيق في المخلوقات الحية وغير الحية يستلزم عدم الإخلال به حتى لا يفسد النظام في الذرة والعناصر والخلايا والغلاف الجوي.

وهذا ما أظهرته الدراسات ومنها، دراسة قامت بها إحدى الجامعات الأمريكية حول المقارنة بين حجم الأضرار البشرية والأضرار الطبيعية على التوازن البيئي، حيث أظهرت أن: ٥٠٪ من حجم إتلاف النظام البيئي بشري، مقابل ٥٪ فقط من حجم إتلاف النظام البيئي طبيعي.

وعلى ذلك فالطبيعة لا تخرب نفسها، ولا تحطم ذاتها، وفي حال الأضرار الطبيعية مثل الفيضانات أو موجات الجفاف أو حرائق الغابات، فإن للطبيعة قدرة عجيبة للتكيف مع الأوضاع الناجمة عن تلك الأضرار، وسرعان ما تستعيد الأنظمة البيئية المتضررة

توازنها الطبيعي ووظائفها الأصلية، فالحياة على كوكب الأرض نشأت من سلسلة طويلة من عمليات الهدم وإعادة البناء، أما ما أتلفه الإنسان فلا يعود إلى وضعه الأصلي إلا إذا بذلت الجهود الجبارة وصرفت الأموال الكثيرة في الترميم والإصلاح.

خامساً: علاقة الإنسان بالتراث الإنساني

فالتراث الإنساني ملك للبشر جميعاً، وعلى قدم المساواة ينبغي على الجميع الإسهام فيه، فلكل دوره، وإذا كان التراث الإنساني قد انقسم إلى شقين عظيمين: التراث التكنولوجي، والتراث الأخلاقي المتمثل في الرزمة القيمية، التي على الرأس منها دين الحق، الإسلام، فلقد تبين أن منظومة القيم هي أعز ما يمكن أن يمثل القيم الإنسانية التراكمية، وهي مخزون العالم من التجارب الإنسانية، فهي قيم لا بد من الانتفاع بها، فهي سبيل البشر لضمان النمو والترقي، وحفظ التراث بشقيه، فكم من أمم ارتقت وارتفع شأنها، برقيتها في العلوم الفيزيائية والتكنولوجية، كمية التراكم، ولكنها بادت حين انهارت قيمها الأخلاقية.

الخاتمة

ينبغي أن يحقق النمو الاقتصادي الهدف الإنساني الأرقى، هذا الهدف الذي يضع في اعتباره:

- حاجات الإنسان الأساسية التي تؤكد إنسانيته، متجاوزاً كل المفاهيم الاستهلاكية المعاصرة في النمو، ومتجاوزاً كل قيم الاستهلاك الذي يهدف للربح فقط، هذا الاستهلاك المفصول عن دوره الاجتماعي وصلاته بالإبداع الإنساني.
- من الواجب التشديد على علاقات متبادلة وقوية بين التنمية الاقتصادية والتنمية الاجتماعية والتنمية البشرية والتنمية البيئية.

ينبغي أن يتصدى النمو الاقتصادي للنزعة الاستهلاكية، وهي بالضرورة مهمة إنسانية تهدف إلى:

- حماية الإنسان والعمل على مساعدته للخروج من شبك الظلم والاستلاب، وإدخاله ثانيةً عالم الإنسانية.
- يجب أن ينظر النمو الاقتصادي إلى الإنسان كغاية لهذه الحياة ومنطلقاً لها، وما الاستهلاك بالنسبة له إلا للوفاء بحاجات الإنسان، لا اعتبار الإنسان نفسه حاجةً للاستهلاك.

تحت شعار
البحث العلمي ركيزة لحل المشكلات
المؤتمر الدولي الثالث
ومؤتمر الرابطة الأكاديمية الأول للبحث العلمي
لمركز البحوث والاستشارات الاجتماعية (لندن)
حول موضوعات العلوم الاجتماعية والإنسانية

أبحاث اجتماعية
(رابطة)

معهد الكويت للأبحاث العلمية

١٠ - ١٢ فبراير ٢٠١٤

دور الإعلام في التنمية البشرية والاجتماعية

أ. د. إبراهيم سعيد البيضاني
د. ناهدة حسين علي



العصر، وجعل الحوار ضرورة قصوى من ضروريات الحياة، وهو دليل النضج الفكري ويتطلب معرفة الآخر والإطلاع على خصوصياته^(١).

فضلاً عن ذلك فإنها أحدثت تأثيراً كبيراً في صياغة الواقع الاجتماعي ومفاهيم التفاعل والاتصال التقليدية، وفتحت الآفاق واسعة رحبة للأفكار والاتجاهات والولاءات والانتماءات وانعكست على

الإعلام اليوم يستند إلى قوة معلوماتية وتكنولوجية هائلة، وفرها التقدم العلمي التكنولوجي، مما منحه قوة ومساحة تأثير هائلة وكبيرة على الحياة السياسية والاجتماعية، إذ أن تقنيات الحاسوب والشبكة المعلوماتية، وتكنولوجيا الاتصالات وعالم المعرفة، والمعلومات التي نجمت عنها، منح الإعلام سلطة فعالة وقدرة مؤثرة في التكوين النفسي والاجتماعي للفرد والمجتمع.

إن تكنولوجيا المعلومات والاتصالات جعلت الحوار بين الحضارات أكثر أهمية وضرورة، وأسهمت في توفير قنوات الاتصال والحوار وتأكيد أهمية معرفة خصوصيات الحضارات الأخرى، وفي ظل مجتمع المعلومات والعولمة أصبح التنوع الثقافي والتعدد الحضاري سمة

• أ. د. إبراهيم سعيد البيضاني: أستاذ التاريخ الحديث في الجامعة المستنصرية-كلية الآداب/العراق.
ialbaidhany@gmail.com

• د. ناهدة حسين علي الأسدي: أستاذة التاريخ العثماني في الجامعة المستنصرية-كلية الآداب/العراق.
nahdaalasdi@yahoo.com

التكوين الاجتماعي والثقافي حتى أصبح لا مكان للتمايز والاختلاف في تكوين الأفراد والمجتمعات، وأسهمت في انفراط عقد الكيانات الاجتماعية التقليدية، وأصبحت هذه النظم الاجتماعية واهنة أمام منظومة ثقافية عالمية تمتلك إغراءات ووسائل تأثير يصعب مقاومتها^(٢). فالإعلام الجديد هو إعلام التكنولوجيا وهو إعلام الثورة الهائلة في مجال المعلومات والاتصالات يمتلك عناصر قوتها وتأثيرها، وهذه التكنولوجيا جعلت من الإعلام يصل إلى كل مساحة وكل بيت، وجعله يمتلك عناصر التشويق والإثارة والتأثير.

لذلك ليس غريباً أن يكون الإعلام أحد أهم عناصر إشعال فتيل الثورات وفي ديمومتها، فقد ساهمت التكنولوجيا المتطورة في مجال الاتصالات في تعبئة الشارع العربي وفي وحدة الموقف ووحدة المطالب العربية، وبالتالي فإن الأنظمة الحاكمة فشلت في التعيم وفشلت في تحجيم الثورات، وأصبحت هذه التكنولوجيا الإعلامية وسيلة مهمة من وسائل التعبئة والتنسيق والتنظيم بما يسهم في خلق شارع عربي يعيش ثورة دائمة متصلة متواصلة. لذلك اقترن الإعلام بشكل صادق وواضح مع ثورات الربيع العربي، وأصبح أحد أهم ملامحها وعناوينها.

ونتيجة حاجة المجتمع العربي إلى تغيير حقيقي يتيح فرص سياسية واقتصادية أكبر وأفضل، فقد تقدمت أهمية ودور المحطات الفضائية العربية التي شكلت قوة جديدة فاعلة في تحريك الرأي العام في عالم أصبح الآن أكثر تحركاً وتدعمه قوى دولية نحو إعطاء الأولوية والاهتمام لأجندة الحريات والديمقراطية، لذلك فإن الحاجة إلى حلول سياسية واقتصادية بوصفهما أكثر الحاجات وأكثر المجالات التي تبرز فيهما التحديات والمعاناة الأساسية للمواطن العربي، فإن الإعلام الواسع يمكن أن يلامس جوهر حاجات ومعاناة المواطن عندما ينقل الواقع ومشكلاته من جهة، وينقل صورة المجتمعات المتطورة التي تعيش واقعاً آخر يتناقض ويختلف عن الصورة المأساوية التي يعيشها المواطن العربي، وبدلاً من ذلك، كانت هناك قوة ثالثة آخذة في التشكل والتكون عجز المحللون عن تحديدها. بعدد ولترجمة الطلب المتزايد على إتاحة فرص سياسية واقتصادية أكبر إلى تغيير حقيقي، فقد ظهر عامل جديد مؤثر في مجرى توجيه الأحداث والسيطرة على اتجاهات الرأي العام، ووعلاوة على ذلك، وتحت مراًى ومسمع من الجميع، كانت هناك كتلة حاسمة من الشباب تكوّن علاقات اجتماعية على شبكة الإنترنت وتعيش الحرية من خلال هذا النظام المتطور. كانت هناك كتلة حاسمة من الشباب تكون علاقات اجتماعية

على شبكة الإنترنت وتعيش الحرية من خلال هذا النظام المتطور، وقد جعلتهم هذه التجربة يتساءلون لماذا تحملوا الواقع الغبي من حولهم، وهي حقيقة جعلتهم لا يستطيعون اللبس كما يحبون أو الحديث إلى الأشخاص الذين يريدون التحدث إليهم أو التعبير عن أي آراء حول القرارات السياسية التي شكّلت حياتهم. وقد جعلتهم هذه التجربة يتساءلون لماذا تحملوا الواقع الغبي من حولهم، وهي حقيقة جعلتهم لا يستطيعون اللبس كما يحبون أو الحديث إلى الأشخاص الذين يريدون التحدث إليهم أو التعبير عن أي آراء حول القرارات السياسية التي شكّلت حياتهم وبدلاً من شن حرب، فإن الإحباطات المرتبطة بغياب الكرامة الإنسانية والرغبة في التغيير أشعلت مادة شديدة الالتهاب في بلدة صغيرة في الأنحاء الداخلية من تونس^(٢). فالإعلام كان له الفضل في تنبيه المواطن العربي إلى الهوة الكبيرة بين ما يعيشه من آلام ومعاناة وبين ما يعيشه المجتمع الغربي من تطور وتوفير للحاجات والخدمات والتقدم العلمي، فكان مرآة صادقة نقلت الواقع وكشفت عيوبه.

وعلى سبيل المثال في ثورة تونس والحال ينطبق على كل الثورات العربية في ربيع الثورات كان للإعلام دوراً مهماً في تفعيل وتوسيع دائرة التأثير، فقد استخدمت كل الوسائل من مطبوعات ونشرات وفيسبوك وتويتر ولافتات إلكترونية، وحتى استخدام النكتة حقق فعلاً إيجابياً اخترق العقول، وبالتالي فإن استخدام الشباب التونسي كل هذه الأساليب المتطورة في الإعلام قد جعل من النظام عاجزاً عن الحد من قدرة الشباب واستمرارهم بالتواصل والتعبير وإيصال أفكارهم وخططهم للشعب التونسي^(٤). فالإعلام بوسائله المتنوعة وقدراته التكنولوجية وظف سلاحاً مهماً ومؤثراً بيد الشباب العربي في التواصل وتوحيد الخطط والتحركات والحوارات.

فقد كان للإعلام دوراً متميزاً في تغيير أنماط السلوك الإعلامي وجعله إعلام تواصل اجتماعي قادر على حشد الطاقات ونقل هموم وحاجات الناس، وقد تفاعل الإعلام في ثورات الربيع العربي من خلال نقل أحداثها وتطوراتها بشكل متواصل، وبالأخص الإعلام الإلكتروني والفيسبوك ومواقع التواصل الاجتماعي، فالتكنولوجيا ووسائل الاتصالات الحديثة جعلت الإعلام متنوع ومؤثر وفعال، وجعلت منه سلاحاً بيد مستخدميه، وهو بالتالي يستخدم سلباً أو إيجاباً حسب الأهداف والأجندة التي وراءه فهو سلاح ذو حدين، إلا أن إرادة الشعوب العربية النائرة كانت بحاجة إلى عناصر ووسائل داعمة في مواجهة إعلام الأنظمة الدكتاتورية ووسائل رقابتها.

ولعل المواقع الاجتماعية والمدونات وباقي المواقع الإلكترونية من أهم ما يستقطب المستخدمين لكم الحرية الهائلة التي ينتج من خلالها الأفراد محتواهم الخاص بهم، وإن ما حققته ثورات الربيع العربي في الآونة الأخيرة مثال حي يبرز أهمية الإعلام الجديد وقوته وهيمنته في الوقت الراهن، وعلى الرغم من أن الدور البارز والمؤثر للثورات هو في صلابة الإرادة الشعبية، وإنه لا أحد ينكر الدور الهام الذي لعبه هذا الإعلام في إبراز الوجه الحقيقي لثورة الشباب العربي من تسهيل لعمليات التجمع والتوحد في الكلمة والغاية وزيادة رصيد الإصرار والعزم، وأتينا في زمن تأثير قوة الإعلام ووسائل الاتصال برمتها، وأنها العامل الرئيسي في تحديد مسار الشعوب واتجاهاتها، كما أنها الطريق نحو تكبيلها أو انعتاقها^(٥).

لذلك فإن الدور الذي اضطلع به الإعلام في ثورات الربيع العربي، دفع المهتمين والمعنيين في الإعلام مناقشة الإعلام الإلكتروني وأهمية تأثير وسائل الإعلام الإلكترونية كالتواصل الاجتماعي والمحمول في رسم اتجاهات الحياة والبناء والتطور في الوضع العربي الجديد، فقد وظفت التكنولوجيا الحديثة وسائل وآليات عمل ساهمت في وحدة الموقف وسرعة الاتصال وساهمت في عملية التنظيم واتخاذ القرارات، وبالتالي ساهمت في تقوية الإرادة الشعبية وإضعاف سلطة الحكام. هذا بالإضافة إلى التأثير على النسيج الاجتماعي وخلق منظومة من الأخلاقيات والسلوكيات والعلاقات المجتمعية.

وتأثير تقنية الإنترنت التي تدخل بالإضافة إلى وصفها حلقة علمية متقدمة أهمية كبيرة في خدمة قضايا الطفولة، ويعد من التقنيات التي أحدثت ثورة في عالم الاتصالات والمعلومات، وهو هبة التكنولوجيا للإنسان، فقد منحت قدرته التعرف على عالمه بشكل أفضل، فقد قدم الإنترنت العديد من الدراسات والأبحاث والكتب التي تهتم وتعتني بالطفولة، وأصبحت مؤسسات عالمية كبيرة تعني بالطفولة، وبما أن الإنترنت بوصفه الأداة الأكثر انتشاراً بعد التلفزيون، وأصبح خزانة عالمية للفكر الإنساني والنشاطات الإنسانية في مجال البحوث والدراسات والفكر والتجارب والمعلومات، لكنه من جانب آخر، فإنه يمكن أن يوظف توظيف سلبي ضد المرأة وضد الطفولة من خلال نشر الثقافة والتربية السلبية^(٦).

في الوقت الذي يعد فيه الإنترنت جزء حيوي من قيمة معلوماتية مفيدة ويحمل قدرة عالية على أداء دوراً إيجابياً وتعبوياً يؤدي إلى تحقيق توعية عالية، إلا أنه في الوقت نفسه حمل

معه صفة السرعة الفائقة التي اجتاحت المجتمع العربي بكم هائل من المعلومات دون أن يمتلك المجتمع العربي جهوزية تتناسب مع ما جاء به مجتمع المعلومات ومجتمع الإنترنت من حجم هائل وكبير من المعلومات والثقافات التي ستعكس بشكل كبير على ثقافة المرأة وثقافة الأسرة. وأن الطفل الذي يعيش أو يختلي مع الوسائل الحديثة للاتصالات بغياب الأسرة فإنها لا بد أن تلقي بضلالها وثقافتها وأخلاقياتها على الأسرة وعلى المرأة العربية التي تعنى بدرجة أكبر بتربية الطفل. لذلك فإن هذه التطورات الهائلة في مجال الاتصالات تفرض على الأبوين أن يعيدا حساباتهما ووسائل عملهما ومواكبة التطورات العلمية والتربوية لتكون بمستوى القدرة على توفير الحصانة، وقدرة الاستفادة من الآليات والوسائل الجديدة في التربية والتعليم والتدريب.

أعطى التقدم التكنولوجي الهائل الإعلام قدرة تأثير كبيرة وفعالة، وسخر له قدرات هائلة وواسعة ومتنوعة، وجعله يتحكم بالرأي العام، وبفضله أصبح الإعلام عنصراً مؤثراً في خلق الوعي والفهم والبناء الاجتماعي والسياسي وتكوين الأفكار والاتجاهات، وإن أي فكر سياسي يظل عاجزاً عن نقل أفكاره ونشرها دون أن يعتمد على إعلام متطور يمتلك كل وسائل التقدم المتاحة، إذ أن الإعلام عموماً والفضائيات على وجه الخصوص تسهم في صياغة وتكوين الأفكار والنظريات السياسية. الإعلام بتقنياته ووسائله المتطورة ونظرياته واتجاهاته الجديدة هو السلاح السياسي نحو إجراء التحول الإيجابي نحو الديمقراطية، ونحو بناء دولة القانون وترسيخ فكرة التداول السياسي، من خلال اعتماد الانتخابات، وتوحيد المجتمع وخلق الهوية الوطنية والمصالح المشتركة.

تأثير تكنولوجيا المعلومات على الإعلام في إطار تحقيق التنمية الاجتماعية

قدمت تكنولوجيا المعلومات تقنيات وعناصر أساسية للعمل الإعلامي وللفضائيات، وتركت أثراً واضحاً شمل كل مراحل العمل والتنفيذ، فقد وفرت هذه التقنيات كاميرات فيديو محمولة متطورة، ومعالجات فيديو رقمية، ومسجلات أشرطة وتصوير، فضلاً عن التسجيل الصوتي والفيديوي الرقمي، وقدرة فائقة متطورة في وسائل الإنتاج^(٧)، مما منح الإعلام فرصة تقديم رسالتها بشكل مقتدر وبصور وأساليب مختلفة متنوعة مشوقة وبكثافة عالية، زيادة على ذلك فإن الأقمار الصناعية بوصفها أحد أهم عناصر التكنولوجيا منحت قدرة على الوصول إلى كل مكان من الأرض، وجعلت من العالم قرية صغيرة، وحققت اتصال مباشر وغير مباشر يستقبل من قبل المواطن بسهولة ويسر. لذلك

فإن التواصل الاجتماعي بفضل ذلك سيكون كبيراً وواسعاً ويمنح قدرة عالية للإعلام في رسم الاتجاهات والثقافات وتكوين الرأي العام.

وما يعرف بعولمة الإعلام الذي تجاوز الحدود، جعل التطور في استخدام الاتصالات والمعلوماتية معياراً حضارياً نتيجة نمو وتطور البنى الأساسية للوسائل التي تميزت بكفاءة عالية، وتقديم واستخدام أشكال جديدة من القدرة والأجهزة وإنتاج الوسائل، وإن هذا الكم الهائل من المعلوماتية الذي أصبح متاحاً للجميع بفضل وسائل الاتصال المتنوعة فرض سياقات وآليات جديدة في العمل^(٨).

وأصبحت هناك مسألة أخرى نتيجة نمو وتطور تقنيات الإعلام وهي تطور النظام الديمقراطي والمؤسسات السياسية والشعبية، إذ أن التقنيات فتحت الأبواب أمام انتشار الديمقراطية، وأصبحت ركيزة مهمة في نشر الديمقراطية من خلال تداول ونشر المعلومة وانتقالها بسهولة ويسر إلى المجتمع دون تمييز، وهي التي أدت دوراً مهماً في فتح أوروبا أمام الديمقراطية، وستمح أبواب العالم الثالث لتعميم الديمقراطية، إذ ستسهم الوسائل الإعلامية وتقنياتها المتطورة في إرساء أسس صحيحة للممارسات الديمقراطية وقوانينها ووضع آليات لصنع القرار بواسطة الانتخابات، والدعاية هي حلقة مهمة في العمل السياسي في التأثير بالآخرين، فالإعلام يحقق وظائف مهمة في عرض وتقديم الأحداث والوقائع السياسية^(٩)، وهذه وظائف مهمة لا يمكن للسياسي أن يتجاوزها، فالسياسي بحاجة إلى رصد الأحداث والمستجدات ومعرفة الوقائع ودراسة الظواهر والاطلاع على الاستبيانات ووجهات النظر، وبالتالي يستطيع أن يعمل وفقاً لرؤيا سياسية ناضجة وتعامل علمي يرتقي إلى مستوى التطور التقني الإعلامي. لذلك فإن الإعلام من خلال التأثير على الحياة السياسية والدفع نحو الإصلاح والديمقراطية ينقل المجتمع إلى واقع جديد، وتترتب على الانتقال نحو الديمقراطية معطيات ومناخات نحو تحقيق التنمية الاجتماعية.

دور وتأثير الإعلام في التحولات الديمقراطية

الإعلام الحر والفضائيات يؤثران في تكوين الرأي العام ويبرز دورهما في التحولات الديمقراطية والسياسية، إذ ازداد دور المجتمع أهمية في تحديد نتائج الانتخابات، وبالتالي فإن ذلك سينعكس على مستقبل التحولات الديمقراطية، وهذه الحقيقة أقرها منتدى الديمقراطية والتنمية والتجارة الحرة الذي عقد في الدوحة.^(١٠)

إن التقدم الكبير في نظم الاتصالات وخاصة الإنترنت والأقمار الاصطناعية، ساعدت على نقل المعلومات بكثافة عالية وزيادة نوعية وكمية في نقل المعلومات، مما أدى إلى تغييرات جوهرية في مفاهيم التنشئة الاجتماعية والتدريب، وهذا يتطلب وجود ثقافة جديدة تتعامل مع معطيات ثورة الاتصالات، فضلاً عن أن حجم المعلومات الفكرية والثقافية والترفيهية والعلمية ويسر الحصول عليها والتعامل معها وجاذبيتها تجعل منها قادرة على التأثير على المجتمعات وعلى النشء الجديد وعلى ثقافة وتقاليد وقيم المجتمع^(١١).

فضلاً عن ذلك فإنها أحدثت تأثيراً كبيراً في صياغة الواقع الاجتماعي ومفاهيم التفاعل والاتصال التقليدية، وفتحت آفاق واسعة رحبة للأفكار والاتجاهات والولاءات والانتماءات وانعكست على التكوين الاجتماعي والثقافي حتى أصبح لا مكان للتمايز والاختلاف في تكوين الأفراد والمجتمعات، وأسهمت في انضراط عقد الكيانات الاجتماعية التقليدية، وأصبحت هذه النظم الاجتماعية واهنة أمام منظومة ثقافية عالمية تمتلك إغراءات ووسائل تأثير يصعب مقاومتها^(١٢).

وفي المؤتمر الذي نظمته جمعية الصحفيين في دبي بالتعاون مع الاتحاد الدولي للصحفيين الذي أطلق مبادرة الصحافة الأخلاقية التي تروج للقيم في العمل الصحفي، وتحقيق التنمية الديمقراطية والحرية وتمكين الناس من المشاركة في إدارة شؤونهم من خلال الحصول على المعلومة اللازمة لذلك، وتحقيق الاستقلالية في عمل الإعلام وحمايته من تأثير المصالح الاقتصادية وتبنى المؤتمر تأسيس برنامج تدريبي إقليمي حول الصحافة الأخلاقية وتبنى خطوط إرشادية ومقترحات لضمان الشفافية والانفتاح داخل الإعلام ووضع مقاييس مهنية للعمل الصحفي. وقد أشارت الأحاديث والبحوث التي أطلقت في المؤتمر أن الصحافة الحرة تنطلق من دساتير تضمن حرية التعبير وحرية الصحافة بوصفهما الواجهة العريضة للديمقراطية، وأشار ايدن وايت الأمين العام للاتحاد الدولي للصحفيين على أن أخلاقيات الصحافة هي مهمة كأخلاقيات الطب وهي تحقق تنمية المجتمع وتطوره السياسي والاجتماعي، وأن هذه الأخلاقيات تحمل مفاهيم ومفردات غاية في الأهمية مثل الحقيقة، الاستقلالية، المصلحة العامة، الحوار، وقبول التنوع، إذ أن هذه الأخلاقيات ضرورية ومهمة في عملية التحول الديمقراطي، وإن أهم خطوة ودور يؤديه الإعلام هو ممارسة التوعية وتطور المجتمع، ويمارس دوره في الاهتمام بقضايا المجتمع كالصحة وترسيخ مفهوم المواطنة والممارسات الديمقراطية، إذ أن أخلاقيات المواطنة والمصلحة العامة وحماية الرأي العام هي مسائل مهمة في العمل الصحفي^(١٣).

فى ندوة شارك فيها عدد من الخبراء والمختصين فى الشؤون الإعلامية والسياسية استضافتها جامعة جورج واشنطن عقدت فى واشنطن يكاد يجمع الباحثون أنه على الرغم من التطور الذى أصاب الإعلام، إلا أنه لا يزال يتسم بالضعف فى الشكل والمضمون، وإن العامل الأساسى وراء هذا الضعف هو غياب الديمقراطية وسيطرة كثير من الحكومات العربية على الإعلام، وإن الإعلام المسيطر عليه من الحكومات وجّه وجهة غير مهنية وبعيدة عن الضوابط المهنية والعلمية، وإن نقص المعرفة والنقص فى الحريات فى الوطن العربي ساهما فى تراكم الأخطاء والسلبيات وهجرة العقول.

الإعلام ومنظمات المجتمع المدني ودورها فى التنمية الاجتماعية

إن تأثير وعلاقة ودور الإعلام المتطور فى التحولات الديمقراطية قد يظهر من خلال الدور الذى تؤدّيه منظمات المجتمع المدني، التى توصف بأنها محفزة للعمل نحو الديمقراطية، والإعلام يسهم فى نقل ونشر مفهوم المجتمع المدني، ويعزى له دوراً فعالاً ومهماً فى ممارسة وتطبيق السياسة التنموية، وفى الحديث عن الديمقراطية والتحولات الديمقراطية لا بد أن تحظى منظمات المجتمع المدني بالدعم المطلوب بوصفها حاملة لواء الديمقراطية، ويترافق مع ذلك أهمية وضرورة دعم الإعلام الذى يأخذ حيزاً مهماً فى صياغة الحياة الديمقراطية، وبوصفه يمثل أيضاً منظمات اجتماعية مدنية لها أهمية فى الشؤون الاجتماعية والسياسية، فالإعلام هو أحد أهم دعائم المجتمع المدني، وبالتالي فهما معاً أحد أهم مرتكزات التحولات الديمقراطية^(١٤).

وعلى الرغم من نجاح الأنظمة العربية الشمولية فى إعاقة ومنع الثقافة المدنية من النمو والانتشار، إلا أن المجتمع المدني لا يزال مؤشراً على أهميته فى عملية الإصلاح السياسى والتحول الديمقراطى^(١٥). ويأخذ الإعلام أهميته وفاعليته من خلال التعاون والعمل المشترك مع منظمات المجتمع المدني لتحقيق الرقابة الشعبية من جهة ولتقديم خطاب فاعل ومؤثر نحو البناء الاجتماعى والتربوي للمجتمع.

وتعمل منظمات المجتمع المدني فى أحد أهم أهدافها على نشر حقوق الإنسان وترسيخ الديمقراطية وحرية الرأى وحرية الصحافة والدفاع عن حقوق الصحفيين، وبالتالي فقد أسهمت منظمات المجتمع المدني من خلال جملة نشاطات وفعاليات تتسجم مع مهماتها الجديدة فى الحياة السياسية العراقية فى توعية الإعلاميين والمواطنين بحقوقهم وواجباتهم من جهة وفى توظيف الإعلام والعمل معه بشراكة فاعلة فى تعزيز الحوار والتفاعل ونشر الديمقراطية وحقوق الإنسان، وساهمت منظمات المجتمع المدني فى

تشجيع ودعم الصحافة المستقلة وحثها على العمل بمهنية وحيادية، وقد عملت جنباً إلى جنب مع الإعلام في نشر أفكار الديمقراطية وحرية الرأي وثقافة التسامح والحوار، وفتح فرص للتدريب والمشاركة الفعالة في الندوات والمؤتمرات، وبالمقابل فإن وسائل الإعلام عملت بفاعلية مع المؤسسات المدنية المستقلة وغطت نشاطاتها وقدمت خلاصة الفكر السياسي والاجتماعي والثقافي للمجتمع، وروجت لأفكار واتجاهات السياسة الجديدة في العراق، فضلاً عن أن الإعلام كان رقيباً على الأداء الحكومي من جهة والأداء السياسي من جهة ثانية، فقد كشفت وسائل الإعلام الكثير من السلبات والتجاوزات، وبالمقابل أظهرت عناصر العمل الإيجابي ومظاهر التقدم من جهة ثانية^(١٦). لذلك فإن البناء السياسي والإصلاح السياسي هو البيئة المناسبة لتحقيق التنمية الاجتماعية ولبناء المجتمع وتكوين منظومة آليات وعلاقات اجتماعية جديدة تتسجم مع حاجات ومتطلبات الرقي الجديدة ومعطيات بناء مجتمع المعرفة والمعلومات.

وتهتم منظمات المجتمع المدني بالإعلام والاتصال منذ حوالي ٢٠ سنة والذي كان أحد مواضيع لجنة اليونيسكو المختصة المكلفة عام ١٩٧٧، يبحث القضايا المطروحة على الساحة آنذاك وتم استنباط معالم العولمة الاقتصادية وانعكاساتها والعلاقة بالنظام الإعلامي العالمي ومنها تم التوصل لمجموعة استنتاجات بهدف بناء المجتمع الإعلامي الجديد وعلاقة هذا بمنظمات المجتمع المدني. وكان من مظاهر تلك العلاقة مشاركة وسائل الإعلام في التنمية وتدعيم السلم والتفاهم الدولي وتجنب العنف والعنصرية والحروب.

إن مكونات القطاع الإعلامي يصب في صلب المجتمع المدني، وهناك آراء ترجع مكونات القطاع الإعلامي إلى القطاع العام نتيجة لارتباط معظم وسائل الإعلام للاحتكار الحكومي، وهذا سائد في معظم البلدان النامية، ولكن أيضاً هناك من يعتقد أن وسائل الإعلام تعتمد على قواعد السوق وأقرب لقطاع الأعمال ولا يمكن التفريق بين مؤسسة إعلامية وأخرى تجارية.

ولعل مجتمع المعلومات الحالي يبلور مفهوم الإعلام الجماهيري بصلته بكل مظاهر النمو وربط المواطن بقضايا التنمية وجعله طرفاً فاعلاً في الحياة السياسية ومن ثم التأكيد على ارتباط مجتمع المعلومات بمجتمع المعرفة بوصف إن النشاطات القائمة على الإنتاج المعرفي هي النشاط العادي للإنسان وعماد مستقبله، وإن صناعة وتسويق واستخدام

الوسائل الحديثة للتسجيل والاتصال والحواسيب وبنوك المعلومات هي الدلالات التي سيقوم عليها المجتمع الجديد^(١٧).

وانعكس التعاون والعمل المشترك بين الإعلام ومنظمات المجتمع المدني من خلال التوعية الانتخابية، وإن المتابع للشأن السياسي العراقي يلمس بوضوح أن الإعلام العراقي شهد تطوراً ملموساً في الأداء في عام ٢٠٠٨، وقدم رسالة مهنية وإعلامية وطنية، نتيجة التحسن في الوضع الأمني، إذ أن توفر البيئة السياسية والأمنية وفرت للإعلام فرصة الأداء الإيجابي، لذلك فقد أدى الإعلام وعلى وجه الخصوص الفضائيات دوراً فعالاً في التعبئة نحو المشاركة في الانتخابات وتحقق نوعاً من الارتباط بين جهد ونشاط منظمات المجتمع المدني وبين وسائل الإعلام لتقديم رسالة تضمنت معلومات وقوانين وإرشادات وتجارب عالمية، جعلت المواطن يقتنع بأهمية المشاركة في صياغة الحياة السياسية الجديدة وفي ترسيخ فكرة أن الانتخابات تحقق التداول السلمي للسلطة، وقد أكد حجم المشاركة في انتخابات مجالس المحافظات الأخيرة أن الإعلام أدى رسالة متميزة في ترسيخ الديمقراطية.

ومن التحديات التي تواجه إمكانية تحقيق التنمية الاجتماعية هو خطاب العنف وخطاب الكراهية، وهي مسألة في غاية الأهمية والخطورة تواجه السياسي والإعلامي على حد سواء، وانعكست على حياة المواطن، وعلى طبيعة الحياة السياسية والاجتماعية، فقد شهدت ساحات الوطن العربي صورة من صور التدهور في العلاقات السياسية بين مكونات المجتمع الواحد وبين الدولة والمجتمع من جهة ثانية، وتحول العنف في العلاقات كلغة وحيدة للتعبير عن الحاجات والمطالب، وهذا انعكس على الحياة الاجتماعية والسياسية، وانعكست إثارة السلبية على الوحدة الوطنية وأدى إلى خلق فوضى وعدم الاستقرار، والمناخ الذي يغذي العنف هو نتيجة عوامل سياسية تنطلق من البحث عن السلطة والاستيلاء عليها بذرائع وأهداف ومصالح متنوعة ومتناقضة، وعوامل اجتماعية واقتصادية عاشها المواطن نتيجة عجز الحكومات عن القيام بالتنمية المطلوبة، مما جعل المواطن العربي يعيش حالة من التدمير والتخبط، زيادة على العوامل الدينية والثقافية المتنوعة ساهمت هي الأخرى في خلق مناخات للعنف والخلاف والصراع^(١٨).

فنحن أمام صورة تؤكد أن الإنسان هو محور العملية فيها، وبفضل إرادته وإبائه تحققت الحلقات المهمة من التطور زيادة على أنه المؤثر والمتأثر فيها، وفي الوقت الذي يجني فيها هذا الإنسان ثمرة هذا التطور فإنه يلاقي ويواجه النتائج السلبية التي تستخدم

بالضد من مصلحته وإرادته، فضلاً عن ذلك فإنه مركّز لأي عمل أو برنامج يهدف إلى معالجة الأضرار والسلبيات ويشكل العنصر البشري محور الارتكاز في جهود التنمية الإنسانية وأصبح دوره أكثر أهمية بعد التطور الكبير في الثورة الرقمية، بحيث أصبح من الضروري أن تتوفر المهارة اللازمة للاستفادة من مجتمع المعلومات ونشر المعرفة من خلال استخدام وسائل تكنولوجيا المعلومات والاتصال في التعليم والتدريب^(١٩).

دور وسائل الإعلام في تنمية المرأة وعلاقته بالنوع الاجتماعي

ما تقدمه وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة من أخبار وبرامج وأنشطة إعلامية، تسهم إسهام كبير في صياغة الرأي العام وتبلور مفاهيم وثقافات وسلوكيات، لذلك فإن من خلال متابعة ما تنشره هذه الوسائط ورصده نرى أن التلفزيون يعد الوسيلة الإعلامية الأكثر فعالية وله قوة تأثير على المتلقي وهي وسيلة اتصالية أكثر جذباً للجمهور وتؤثر في تشكيل الرأي العام، أما الصحافة والكلمة المطبوعة كانت ولا زالت من الوسائل الإعلامية الرئيسية والمهمة في نشر الأفكار والآراء والمعلومات والتأثير على جمهور القرار تؤثر بشكل كبير وبخاصة بين أوساط النخب والقيادات، وبالتالي فهي تمتلك عناصر تأثير واضحة على الجمهور تنعكس على سلوكه الاجتماعي، ولكن مع ذلك فإن المتتبع للخطاب الإعلامي يلاحظ غياب تناول قضايا مهمة وحساسة ذات أبعاد قانونية وثقافية وتنموية وسياسية، في حين تجنبت الصحافة إبراز مشاكل المرأة والتعليم ومحو الأمية ونشر الوعي السياسي وحث المرأة على المشاركة السياسية، وتجنبت أيضاً كثير من المشكلات الاجتماعية المهمة^(٢٠).

يجمع الباحثون في مجال الاتصال والإعلام على الدور الخطير الذي يلعبه الإعلام في التأثير على المتلقي «علاوة على ما تتميز به وسائل الإعلام من طبيعة مزدوجة تساعد على نشر وترويج الأفكار والقيم المتناقضة في آن واحد فهي قد تساعد على تغيير القيم والعادات والمفاهيم التقليدية فتسهم في ذلك بخلق أشكال جديدة من الوعي أو تعمل على تثبيت القيم والرؤى التقليدية فتسهم عندئذ في تزييف وعي الأفراد وذواتهم وأدوارهم الحقيقية»، ومما لا شك فيه أن الإعلام له دور مهم في تشكيل الوعي الثقافي والقيمي في المجتمع ويعود ذلك للإمكانيات المتاحة أمام وسائل الإعلام لتوصيل الرسالة الإعلامية للرأي العام من مختلف الفئات الاجتماعية. وتحديث هذه الوسائل تأثيرات على الفرد تؤدي إلى تغيرات تحصل على المجالات السلوكية والانفعالية والمعرفية والمجالات النفسية العميقة^(٢١).

ما يميز الأجهزة الإعلامية أمران، هما قدرتها على المخاطبة عن بعد بالصوت والصورة فهي قادرة على تجاوز الحدود الجغرافية وبهذا تستطيع مخاطبة جموع هائلة في آن واحد، أيضاً استطاعتها مخاطبة جميع فئات المجتمع المختلفة حتى أولئك الذين يجهلون القراءة والكتابة.

أصبح الإعلام علماً يدرّس وله مؤسسات ومعاهد متخصصة وأصبحت وسائله ذات تقنية عالية وأصبح للإعلام اليوم بجانب دورة الترفيهي والترويحي أدواراً أخرى واضحة تعمل على صياغة المجتمعات وتشكيل الرأي العام العالمي وإيجاد نمط حياتي جديد للمجتمع العالمي فالإعلام اليوم يوظف الترفيه والتسلية لأداء رسالة وإيصال فكرة وتشكيل عقل وصناعة ذوق عام وزراعة اهتمامات معينة حتى أنه لم يكتف برصد الحدث وإيصال المعلومة بل أصبح بما يمتلك من قوة وعوامل تأثير وضغط وتحكم يقوم بصنع الحدث والتخصيص له في نفس الوقت، أن هذه الرؤية الإعلامية الجديدة تقوم بها المؤسسات الإعلامية الضخمة في الدول الغربية وهي تملك أساسيات التقنية المتقدمة وتحتكر المعلومات وتنتج المادة الإعلامية وتهيمن على عمليات البث والتوزيع في العالم. وأما الجانب الآخر، العالم العربي فهو مستهلك للمادة الإعلامية الغربية ولا يملك وسائل التقنية الحديثة وليس لديه البديل المنافس للمادة الإعلامية، لذا خضع الإعلام العربي لمطلوبات الإعلام الغربي^(٢٢).

إن مكانة المرأة في المجتمعات العربية تتباين من بلد عربي لآخر، إن معظم الأفكار السائدة عن المرأة سواء في عقلية الرجال أو وسائل الإعلام المختلفة تتناقض تماماً مع الموقف المعلن لغالبية الدول العربية، فتجد بعضها يعلن انحيازها المطلق لكافة حقوق المرأة ثم تقاجأ بها تأتي سلوكيات من شأنها ترسيخ مفاهيم التبعية وتثبيت صورة المرأة بوصفها كائناً ضعيفاً يشغل الترتيب الثاني في سلم المجتمع. وتتباين مواقف مؤسسات الإعلام العربية في النظرة للمرأة، فهناك من ترى ظهور المرأة في وسائل الإعلام متعارضاً مع تقاليدها وربما مع التعاليم الإسلامية غير أن الدول التي تملأ الدنيا طنيناً بالحديث عن حقوق المرأة تتورط هي الأخرى في ترسيخ مفاهيم تنال من الحقوق الأساسية للمرأة العربية. من المؤكد أن مشاركة المرأة في العمل الإعلامي تصطدم بالعديد من المعوقات، من جملة ذلك المعوقات الاجتماعية، إذ ما زالت المجتمعات العربية مجتمعات ذكورية تمنع على المرأة ممارسة أعمال بعينها وتراها الطرف الضعيف الذي يحتاج إلى حماية ورعاية من الرجل الزوج أو الأب الذي يحدد مساحة مشاركة المرأة في الحياة العامة، فالمجتمعات الذكورية

تنظر لمسألة أمن المرأة باعتباره مسؤولية الرجل رغم أن الواقع يؤكد أن أمن المجتمع كله مسؤولية الطرفين، وهناك المعوقات السياسية، إذ أن تدني مشاركة المرأة في العمل الإعلامي يعود إلى أن المؤسسات الإعلامية تعمل وفق السياسات الإعلامية للدول فهي لا تُقدِّم على توظيف غير النساء المتمدنيات من سكان المدن على وجه الخصوص معتبرة أن ذلك يرجع إلى أن الصور التي تريد هذه المؤسسات أن تعكسها عن المرأة هي صورة المرأة التي ترتدي الثياب الأنيقة المتحضرة بالمفاهيم الغربية المتعارضة في أحيان كثيرة مع التقاليد والبادئ الإسلامية^(٢٣).

إن استراتيجية الإعلام العربي يجب أن تتجه نحو الأسرة العربية التي أصبحت تعيش في زمن العولمة ولا ينبغي أن تقتصر على مجرد تحسين صورة المرأة أو إتاحة مساحة لا بأس بها لصوتها أو تقديم هامش يعبر عن قضاياها ويطالب بحقوقها، بل لا بد أن تقوم هذه الاستراتيجية على مبدأ أن المرأة تمتلك قدرة على التأثير الخلاق في بناء المجتمع المتطور الذي ننشده وهي الأقدر على تفهم واستيعاب القضايا التربوية التي يقوم عليها بناء الأجيال القادمة.

وفضلاً عن المؤتمرات فإن هناك العديد من الدراسات اهتمت بالبحث في دراسة العلاقة بين المرأة وتكنولوجيا ودور الإعلام، ففي دراسة صدرت سنة ٢٠٠٦ رصدت البحوث العربية التي أنجزت في الفترة ١٩٩٥ - ٢٠٠٥ حول المرأة والإعلام وما خلصت إليه من نتائج وتوصيات بهدف التعرف إلى الأسباب التي تجعل من صورة المرأة في وسائل الإعلام وعلاقتها بها منتجة ومستهلكة على ما هي عليه. تضمن التقرير قسماً أولاً تطرق إلى المشهد الإعلامي الاتصالي العربي وما طرأ عليه من تغيرات وموقع الإعلامية العربية منه، وقسماً ثانياً فيه تحليل للبحوث العربية وفق محاور رئيسية تطرقت إلى الجمهور والمرأة موضوعاً وصورة ومنتجة ومستهلكة وتكنولوجيا المعلومات والاتصال... صدر التقرير بالتعاون مع برنامج الأمم المتحدة الإنمائي للمرأة وشبكة أنجد وبدعم من برنامج الخليج العربي لدعم منظمات الأمم المتحدة الإنمائية

وصدرت دراسة أخرى تعني بدراسة القضايا ذات العلاقة بأوجه تفاعل المرأة العربية مع تكنولوجيا الإعلام والاتصال، ومدى استفادة المرأة من تكنولوجيا الاتصال الرقمية والتفاعلية، ومن هذه الدراسات الدراسة التي حملت عنوان المرأة العربية وتكنولوجيا

الإعلام والاتصال التي صدرت عام ٢٠٠٧ ونظم حلقتها العلمية مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث بالتعاون مع صندوق الأمم المتحدة الانمائي، وتضمن الإصدار الذي احتوى على أربع أوراق بحثية تعالج مدى استفادة المرأة من تكنولوجيا الإعلام والاتصال، وخلصت الأوراق العلمية المضمنة في الإصدار المشار إليه إلى مجموعة من النتائج:

منها أن المدونات تمثل آلية لاندماج المرأة في فضاءات علائقية (الجماعات الافتراضية) لا تخضع فيها لمعايير التمييز والنفرة التقليدية، وهي تمثل عالماً جديداً، للمرأة فيه حضور خاص. فالمدونات النسائية تعكس صورة مختلفة عن النماذج النمطية التي تتداولها النخب حول المرأة والخاضعة لحدثة شكلانية (والتي تختزلها صورة المرأة - الجسد) أو تلك الملتزمة بالتقاليد الفاضلة (والتي تختزلها صورة المرأة المحترمة التي تلتزم بالقيم الثقافية الأصيلة).

وفي مجال صحافة الإنترنت الناشئة في الوطن العربي فخلصت الأوراق أنها لا تزال تحمل ملامح ذكورية سواء في موضوعاتها وأساليب تناولها للقضايا المختلفة والمساهمين في إعدادها، ولا يزال حضور المرأة فيها محدود. حضور المرأة في المواقع الإلكترونية كموضوع ومساهم في المحتوى الإعلامي متواضع من الناحية الكمية مقارنة مع المساهمات والموضوعات التي تخص الرجل. المرأة العربية لا تزال بعيدة كل البعد عن قطاع صحافة الإنترنت سواء من ناحية المساهمة في المادة الصحفية أو من ناحية التقديم. وأما عن وضع المرأة في قطاع تكنولوجيا المعلومات والاتصال فحددت الدراسات إلى أن المرأة تتواجد في وظائف تكنولوجيا المعلومات والاتصالات ذات الأجور المتدنية وهي الوظائف التي تتطلب موظفاً واحداً مثل أمناء الصندوق أو العاملات في مجال إدخال البيانات، بينما يتواجد الرجل في الوظائف ذات الأجور المرتفعة والإبداعية في مجال تطوير البرامج المعلوماتية أو إطلاق شبكات الإنترنت. تطوّر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات بقدّم فرصاً جديدة عديدة للمرأة، إلا أن التمييز القديم بين المرأة والرجل لا يزال مستمراً، لأنه يغيب تدعيم هذه الفرص بسياسات مدروسة لتأمين المشاركة والملكية والتعليم والتدريب.. الأنماط الثقافية والمجتمعية والعادات والتقاليد السائدة غير مشجعة لتطوير وزيادة مساهمة المرأة في مجالات العلم والتكنولوجيا والتي تحد بالتالي من مشاركتها بفاعلية في مجالات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

النوع الاجتماعي والإعلام

في معالجة مسألة النوع الاجتماعي والإعلام تقتضي إثارة مفهوم النوع الاجتماعي، فهناك مفهومين أولهما أن مفهوم النوع الاجتماعي يهمل ما هو متصل بدور المرأة في المجال الفيزيولوجي والإنجابي في حين يرى العدد الأكبر من غير أولئك أن خصوصية المفهوم تكمن أساساً في إقصاء ذلك البعد حتى لا ينظر إلى أفراد المجتمع على أساس ثنائية جنسية من ذكر وأنثى وإنما من منظور ثنائية أخرى هي المرأة والرجل وما يربط بينهما ثقافياً - في المفهوم الأشمل - من روابط اجتماعية وحضارية ومهنية متغيرة بتغير الأدوار وتنوعها. وأما الثاني فهو الغموض القائم في أذهان عدد آخر من المتهمين بتلك القضايا في تأويل ذلك المفهوم أو هو أحياناً الفهم الخاطئ القائم في أذهان البعض الآخر الذين لا يرون في مفهوم النوع الاجتماعي إلا ترديداً لمفهوم آخر غامض بدوره وهو «حقوق المرأة»^(٢٤). إن أول مشكل يطرح إذن عند الحديث عن النوع الاجتماعي والإعلام هو مشكل القطيعة القائمة بين متطلبات مرحلة جديدة في «مجال المرأة» قائمة على طرح جديد يدعو إلى ترك مفاهيم غامضة بالية واللجوء إلى مفاهيم أخرى في معالجة ذلك المجال من ناحية وبين عالم المعنيين بالإعلام والاتصال من إعلاميين وجمهور لا يدركون بالضرورة ما يعنيه النوع الاجتماعي تحديداً، مما يقتضي عملاً دؤوباً قوامه تبسيط المفهوم في أذهان الإعلاميين والاتصاليين حتى تستجيب المادة الإعلامية مضموناً ومعالجة لمفهوم النوع الاجتماعي^(٢٥). إن القضية إذن قضية ضبط استراتيجية توفق بين ما يراد بلوغه وبين الأدوات والمهارات التي وجب تحديدها لتحقيق ذلك الهدف المتمثل في السمو بالعمل الإعلامي إلى ما يطمح إليه واضعو مفهوم النوع الاجتماعي، ويمكن بلوغ ذلك بتحديد هدفين وخطة عمل واضحة، وهما تحديد الوسائط المراد التعامل معها أو تحسيسها أولاً وتحديد عدد من الإعلاميين والإعلاميات داخل تلك الوسائط لتأهيلهم للعمل في ذلك الاتجاه. أما تحديد الوسائط فيكون قائماً على الانتقاء ثم تحسيس المشرفين على تلك الوسائط المنتقاة للعمل على توظيف مفهوم النوع الاجتماعي في العمل الإعلامي وهنا تكمن قيمة البحث على وجود نساء في مواقع القرار داخل المؤسسات الإعلامية الاتصالية. وأما انتقاء الإعلاميين والإعلاميات فيكون بربط الصلة بهم بوسائل شتى منها أساساً تدريبهم وتدريبهن على الإنتاج الإعلامي بالنظر إلى مفهوم النوع الاجتماعي. وتصبح حينئذ خطة العمل واضحة مؤداها تكوين ما يشبه جماعات الضغط (Lobby) ومن أجدي سبل بلوغ ذلك العمل من خلال الشبكات منها بالأساس الشبكات المعنية بالنوع الاجتماعي.

إن معالجة هذا المستوى من الإشكالية يقتضي منا أولاً تعريف مفهوم النوع الاجتماعي «إن مفهوم الجندر (النوع الاجتماعي) يعني أنه وجب اقحام المساواة بين الرجل والمرأة في كل السياسات العامة» الحكومية منها وغير الحكومية، وإن مفهوم الجندر يعني أن مميزات الرجل والمرأة هي مميزات تتصل بعلاقتها الاجتماعية تحت تأثير عوامل اقتصادية وثقافية وأيديولوجية تحدد أدواره وأدوارها، فعندما نربط قضية المضامين الإعلامية بالنوع الاجتماعي يصبح معنى ذلك أن المضامين الإعلامية من منظور النوع الاجتماعي مضامين متنوعة على قدر تنوع حياة النساء والرجال ويصبح حينئذ من الخطأ الاقتصار على مضامين تكتفي بمعالجة «حقوق المرأة» أو حرية المرأة فقط ويصبح حينئذ من الأفضل بل من الضرورة أن تتصل تلك المضامين بمواضيع اجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية وإيديولوجية وغيرها من المواضيع على قدر تنوع العلاقات القائمة بين الرجل والمرأة من منظور مفهوم النوع الاجتماعي. ومعنى ذلك أن زمن الحديث عن المساواة من منطلق الحقوق والواجبات والحرية... قد ولى وحل محله زمن إنتاج مضامين مختلفة المواضيع تبرز من خلال الكتابة عن الاقتصاد والثقافة والاجتماع والتربية وغيرها من المواضيع، إذ أن علاقة الرجل والمرأة هي علاقة تقاسم أدوار مختلفة وعلاقة شراكة في مختلف مجالات الحياة.

إن هذا يثير قضية واقع الإنتاج الإعلامي العربي الذي ما زال يعيش عصر سلطة صاحب البث والمتلقى في حين أن الإنتاج الإعلامي اليوم في عصر مجتمع المعلومات أصبح قائماً على التفاعل بين صاحب البث والمتلقى.

إن ظهور ما أصبح اليوم يسمى بعصر الإنتاج الإعلامي الاتصالي المندمج الذي لا يراعي الفوارق بين الوسائط بانتشار الإنترنت يوحى بحدوث هوة بين مفهوم النوع الاجتماعي والإنتاج الإعلامي من ناحية ويبشر بظهور آفاق جديدة للمصالحة بين الإنتاج الإعلامي والنوع الاجتماعي من ناحية أخرى.

إن الحديث عن علاقة الإعلام بموضوع المرأة لا يمكنه أن يكون مجرد حديث عن تقنية التواصل وارتباطها بمسألة إدماج النوع الاجتماعي في التنمية، بقدر ما هو مسألة شائكة تتعلق بمنظور فكري وسياسي تحمله وسائل الإعلام وتروجه داخل المجتمع انطلاقاً من خلفيات ثقافية وتصور للنظام الاجتماعي. وفي هذا الإطار، فإن صياغة أية استراتيجية إعلامية لإدماج المرأة في التنمية لا تعد مسألة تقنية فقط أو أهداف شكلية ترتبط بمشاريع ومبادرات اقتصادية واجتماعية، بل إن الأمر أكثر تأثيراً وعمقاً من ذلك.

فتنح لسنأ أمام مسألة خصوصية تتعلق بموضوع حقوق المرأة كما يصطلح على تسميتها، بقدر ما نحن أمام معضلة اجتماعية حقيقية، لا تتمثل فقط في الظلم ودونية المرأة بل أكثر من ذلك تتعلق على الخصوص بتشوه عميق في بنية وهياكل المجتمع. لا يمكن أن نصل إلى مجتمع متطور وراق ما دامت النساء في وضعية متخلفة على مستوى الأسرة والشغل والتعليم والصحة ومكانتها الاجتماعية وموقعها السياسي ووضعها الاعتباري، لذلك فالتعامل مع موضوع إدماج النوع الاجتماعي في التنمية كمجرد برامج اقتصادية واجتماعية بمفهوم ضيق لا يفيد مطلقاً في الوصول إلى الأهداف المرسومة لهذه الخطة. إن تهमيش النساء في المجتمع هو وليد صيرورة تاريخية يتداخل فيها التنظيم الاجتماعي بالتصورات الإيديولوجية مما ينتج وضعاً يصعب تفكيكه وإحالاته إلى مجرد قرارات أو برامج أو مشاريع معزولة عن سياقها الشمولي^(٢٦). فإن الإعلام لا يمكنه أن يتعامل مع هذا الموضوع خارج هذه السياقات، خاصة وأن الإعلام ليس إلا أداة، يمكن أن تستعمل لصالح إدماج حقيقي للمرأة في مسار التقدم، كما يمكن أن تستعمل ضد هذا المسار. بل أكثر من ذلك، يمكن للمشاركة السياسية للمرأة أن تستعمل بدورها ضد فكرة التقدم والحدثة.

إن الإعلام لا يمكنه أن يلعب دوره لصالح إدماج النوع الاجتماعي في تنمية حقيقية إلا عندما يتبنى نظرة تقدمية لصالح المرأة، سواء بخصوص وضعها القانوني أو الاجتماعي، أو موقعها السياسي، فالإعلام في حد ذاته ليس أداة محايدة، بل هو جزء من استراتيجية معينة لها خلفياتها الفكرية ومنظورها للمجتمع.

إن أي مخطط لإدماج المرأة في التنمية لا يحتاج فقط إلى مجرد إجراءات تواصلية مرافقة، بل هو في حاجة إلى استراتيجية موازية على مستوى الإعلام والتواصل، للدفاع عن المنظور الفكري والسياسي الذي يستند على معطيات واقعية وعلى تصور مجتمع عصري تتحرر فيه المرأة من كل القيود التي تكبلها.

إن التخلف الاجتماعي والاقتصادي، على الخصوص، ينتشر في أوساط النساء كفة تعد الضحية الأولى لمختلف مظاهر الفقر والأمية والتهميش، ومن شأن تطوير الأبحاث والدراسات في هذا المجال وترويجها في مختلف وسائل الإعلام، أن يفضح كل النفاق وأساليب تغليف الواقع ومحاولة التعتيم على أخطر الظواهر البنيوية التي تسود المجتمعات المتخلفة والمتمثلة أساساً في وضعية المرأة. بل أكثر من ذلك، إن الانعكاسات والآثار السلبية المرتبطة بالوضع القانوني والاجتماعي للمرأة، تخلف مشاكل كبرى تصيب المجتمع بتشوهات خطيرة، يمكن لوسائل الإعلام أن تفضحها اعتماداً على مجهودات احترافية وعلى عمل ميداني يعتمد على البحث والتقصي وسبر أغوار المجتمع^(٢٧).

من مهام الإعلام أن يرتقي إلى مستوى إدراك الأهداف الإنمائية للألفية ونشر ثقافتها كركيزة أساسية للتنمية المستدامة وتفعيل دور الإعلام في تحقيق الأهداف الإنمائية للألفية، وتتلخص أهدافها في محاربة الفقر والجوع، تحقيق شمولية التعليم الأساسي، تمكين المرأة، تخفيض معدل وفيات الأطفال، تحسين الصحة الإنجابية، مكافحة الملاريا والأمراض المعدية، إيقاف انتشار مرض نقص المناعة (الإيدز) بحلول عام ٢٠١٥، وضمان بيئة مستدامة وتطوير شراكة عالمية للتنمية. زيادة على ذلك أهمية أن يركز الإعلام على الإنسان بوصفه محور لأي مبادرة تنموية، ورفع مستواه في المعرفة والوعي، وجعله يدرك أهمية التنمية البشرية، فضلاً عن الاهتمام بالتعليم وجعله متاحاً وتمكين المرأة والاهتمام بالطفولة والشباب، بوصفها حلقات مهمة في التنمية البشرية والاجتماعية والاقتصادية.

مضامين وتصورات

- يعد الإعلام سلاحاً أكثر خطورة وأهمية في الحرب على الإرهاب، لذلك فإننا في الوقت الذي نحتاج فيه إلى امتلاك وسائله المتطورة والناضجة، فإننا بأمس الحاجة إلى الحد من تأثير واستخدام الإرهاب للإعلام في ترويج أفكاره وتقديم أعماله الإرهابية للجمهور.
- مطلوب الاهتمام بالتدريب الإعلامي والصحفي والارتقاء بمؤسساته لترتقي إلى مستوى تعليمي وتدريب يُمَيِّم المعرفة ويمكن الصحفي من أداء رسالته.
- دعوة إلى حرية الإعلام وحرية الصحافة وخروج المؤسسات الإعلامية عن هيمنة وسيطرة الحكومات والأحزاب، وأن يتحفظا بهويتهما المهنية المستقلة.
- مطلوب إعادة هيكلة الإعلام وإعادة تنظيم المؤسسات الإعلامية، بما ينسجم مع الهوية الوطنية بعيداً عن الحزبية والمصالح الضيقة، بل تنظيمها وفق أهداف ومصالح عليا، فضلاً عن تجميع الوسائل والقدرات لزيادة الفاعلية والتأثير.
- أن تتضافر جهود السياسيين والإعلاميين ومنظمات المجتمع المدني على توحيد الجهود نحو إقامة نظام سياسي مستقر يلبي حاجات وطموحات المجتمع العراقي، في أرضية ومناخ من الديمقراطية والاستقرار، إذ دون الأمن والسلام والتعايش لا يمكن أن نعيش مرحلة إيجابية تؤمن تحول صحيح نحو الديمقراطية.
- لا بد من التحرر من أي أجندة عالمية أو مصالح وأجندات إقليمية، والتمسك بالخيار الوطني والمصلحة والهوية الوطنية، فهي الخيار الراجح لتقديم هوية إعلامية ديمقراطية مشاركة وفاعلة في مرحلة التحول الديمقراطي.

- تعد مفردات التداول السلمي للسلطة والانتخابات والديمقراطية واحترام حقوق الإنسان وبناء وتنمية ثقافة المجتمع المدني والتعايش السلمي والحوار والقبول هي برنامج وطني يتمسك به السياسيين والإعلاميين في مرحلة التحولات الديمقراطية.
- إعطاء منظمات المجتمع المدني الدعم اللازم وتنمية وتطوير عملها وفعاليتها المدنية بوصفها شريكاً مهماً وأساسياً للإعلام في التحولات الديمقراطية.
- مطلوب توفير بناء بيئة تشريعية وتنفيذية وقانونية وإدارية تضمن للإعلام ولمنظمات المجتمع المدني والسياسيين حرية العمل وحرية الإبداع ومعرفة الحقوق والواجبات.
- بلورة استراتيجية إعلامية حول الوضع العام للنساء في المجتمع بناء على معطيات إحصائية ودراسات علمية، وهو ما يتطلب تكوين شبكة متخصصة من الصحفيين والإعلاميين مرتبطين بالباحثين ومراكز الدراسات وقادرين على ترجمة الأبحاث في عمل مهني يصل إلى أكبر قدر من الجمهور.
- تطوير صحافة البحث والتقصي في مجالات المرأة ومشاكلها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والقانونية، وتوجيه الصحفيين وتشجيعهم للعمل في هذا الإطار بمختلف وسائل التحفيز.
- توجيه دعم خاص للصحافة والإعلام المتخصصين في قضايا المرأة، وذلك قصد الرقي بهما للتناول العميق والجدي والمهني في مختلف مناحي حياتها ومشاكلها.
- خلق فضاء للتواصل بين الإعلاميات العربيات من خلال تنظيم لقاءات جهوية ودولية، بهدف تبادل التجارب والخبرات والتعاون في مجالات تهم موضوع إدماج النوع الاجتماعي في التنمية.
- إعداد برامج إذاعية وتلفزيونية ومنشورات لتبسيط العديد من القضايا الدينية والفكرية والسياسية وتوجيهها للنساء، خاصة الأميات منهن، لرفع وعيهم بمحيطهن الاجتماعي والسياسي، ومواجهة الإيديولوجيات المتزمتة والرجعية.
- إعداد خطط إعلامية وتواصلية موجهة لفئات معينة من النساء بالنظر لأوضاعهن الاجتماعية ومستواهن الثقافي، وتواجهن الجغرافي وذلك عبر مختلف الأدوات الملائمة لهذه الأوضاع.

الهوامش

- ١- مصطفى المصمودي، العرب وحوار الحضارات في مجتمع المعلومات، ٢٨ تموز ٢٠٠٥.
- ٢- عبدالله الطويرقي، مستقبل بلا سلطات.. بلا تخوم، جريدة الشرق الأوسط ٢١ آب ٢٠٠١.
- ٣- شهادة جيه. سكوت كاربنتر، زميل كيستون فاميلي ومدير «مشروع فكرة: هزيمة التطرف من خلال قوة الأفكار» في معهد واشنطن، بشهادة أمام «اللجنة الفرعية حول الشرق الأوسط وجنوب آسيا» التابعة لـ «لجنة الشؤون الخارجية» في مجلس النواب الأمريكي حول التحولات السياسية في الشرق الأوسط. سكوت كاربنتر، أمام «اللجنة الفرعية حول الشرق الأوسط وجنوب آسيا» التابعة للجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب الأمريكي حول التحولات السياسية في الشرق الأوسط، بعد زيارة اطلاق إلى كل من تونس ومصر. في ١٣ نيسان ٢٠١١، معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى، موضوع بعنوان الرمال المتحركة: التحولات السياسية في الشرق الأوسط.
- ٤- دياب أبو جهجه، دروس للثوار العرب من خلاصات ثورة تونس، مجلة الآداب، ١/ ٢/ ٢٠١١.
- ٥- آمال الصالحي، الإعلام الجديد وصناعة الثورات، مدونة آمال، ٢٣ أيلول ٢٠١١.
- ٦- نبيل أحمد الخضر، الإنترنت في خمة قضايا الطفولة: مناهضة العنف ضد الأطفال نموذجاً، ٢٠٠٧.
- ٧- مجد هاشم الهاشمي، الإعلام الكوني وتكنولوجيا، دار المستقبل، عمان ٢٠٠١، ص ٣١.
- ٨- مظفر مندوب العزاوي، تحديات عولمة الإعلام وسبل المواجهة، مجلة الباحث الإعلامي، جامعة بغداد، العدد (٢) ٢٠٠٦، ص ١٠.
- ٩- حميد جاعد محسن، الإعلام والديمقراطية بين الدعاية والتحريض، مجلة الباحث الإعلامي، جامعة بغداد، ن العدد الثاني ٢٠٠٦، ن ص ١٩.
- ١٠- منتدى الديمقراطية والتنمية والتجارة الحرة، في دورته الثامنة التي تعقد بالدوحة، في الفترة من ١٢ - ١٥ إبريل/نيسان ٢٠٠٨.
- ١١- عثمان بن صالح العامر، دور المؤسسات التعليمية في تحقيق الامن الخلقي والمجتمعي في عصر العولمة، ورقة عمل مقدمة لندوة المجتمع والأمن المنعقد بكلية فهد الأمنية.
- ١٢- عبدالله الطويرقي، مستقبل بلا سلطات.. بلا تخوم، جريدة الشرق الأوسط، ٢١ آب ٢٠٠١.
- ١٣- مؤتمر دبي (أخلاقيات الصحافة)، ٧ شباط ٢٠٠٩.
- ١٤- يورغن إندرس، هل تدعم الديمقراطية أم السلطة؟ ترجمة يوسف حجازي.
- ١٥- معتز بالله عبد الفتاح، التحول الديمقراطي العربي.. في طور تسلطية تنافسية.
- ١٦- مؤيد القاف، الصحافة العراقية في عامين، نيسان ٢٠٠٢ - نيسان ٢٠٠٥، مجلة الباحث الإعلامي، ن كلية الإعلام، جامعة بغداد، العدد الثاني ٢٠٠٦، ص ٦٠.
- ١٧- مصطفى المصمودي، دور تكنولوجيا المعلومات والأعمال في بناء المجتمع المدني، محاضرة أدها المركز القومي للمعلومات.
- ١٨- عبدالاله بلقزيز، العنف والديمقراطية، بيروت ٢٠٠٠، ص ١٥.
- ١٩- عبدالمجيد ميلاد، بناء القدرات في مجتمع المعلومات، جريدة الصباح، ٣١ جويلية ٢٠٠٥.
- ٢٠- عبد الرحمن عبد الوهاب، دور وسائل الإعلام في تنمية المرأة وتطوير الوعي بحقوقها ومسؤولياتها المجتمعية، جامعة عدن.
- ٢١- المصدر نفسه.
- ٢٢- شعله شكيب، المرأة العربية والإعلام، ورقة مقدمة للمؤتمر الثالث للاتحاد النسائي الإسلامي العالمي.
- ٢٣- المصدر نفسه.
- ٢٤- محمد شلبي، النوع الاجتماعي والإعلام: أي إشكاليات؟ ورقة مقدمة ضمن أشغال الندوة الإقليمية حول «النوع الاجتماعي والتنمية: «علاقات شراكة وتشبيك»، مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث «كوثر» والبنك الدولي بالتعاون مع مؤسسة الحريري بלבنا، تونس ٢٠-٢٢ أكتوبر ٢٠٠٢.
- ٢٥- المصدر نفسه.
- ٢٦- يونس مجاهد، نحو مقاربة جدلية لموضوع الإعلام والمرأة، ورقة مقدمة ضمن أشغال الندوة الإقليمية حول النوع الاجتماعي والتنمية: «علاقات شراكة وتشبيك»، مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث «كوثر» والبنك الدولي بالتعاون مع مؤسسة الحريري بלבنا، تونس ٢٠-٢٢ أكتوبر ٢٠٠٢.
- ٢٧- المصدر نفسه.

دراسة تحليلية لأشكال وزخارف المسارج الفخارية والخرفية في العصر الأيوبي والفاطمي والاستفادة منها في استحداث وحدات إضاءة للشموع

ملخص البحث

فكر الإنسان منذ أقدم العصور في الطريقة التي تحقق له رغبته في القضاء على الظلام الذي تجسدت فيه كل أنواع المخاوف المجهولة المثيرة، فجاءه فكرة عمل المسارج لتضيئ له ظلمة ليلة وتثير له طريقة في الليل المعتم. لذا يعد موضوع المسارج الخزفية والفخارية في العصرين الأيوبي والفاطمي من الموضوعات الهامة في مجال الفنون الإسلامية وذلك لما لها من مدلولات اجتماعية واقتصادية بأشكالها المتنوعة وزخارفها الرائعة تعتبر مرآة صادقة تعكس لنا تطور الخزف والفخار خلال العصرين الأيوبي والفاطمي.

كما أنها إحدى وسائل الإضاءة المستخدمة في المنازل والقصور

د.ة. إيمان أحمد السيد أبوالنور

والمساجد وغيرها على جانب استخدامها في المنازل الفقراء والأغنياء على السواء، فهي بذلك تعبر عن طبقات المجتمع في العصرين الأيوبي والفاطمي والمسرجة عبارة عن إناء مستدير أو بيضوي الشكل عليه غطاء من نفس شكل الإناء ولها فوهة يصب منها الزيت وتقب يخرج منه الإضاءة ومع مرور الوقت تنوعت أشكال المسارج وزخارفها والألوان التي نفذت عليها ومواد الصنع التي تشكل منها.

• دكتورة في التربية الفنية تخصص خزف كلية التربية النوعية جامعة القاهرة/مصر.

مشرفة قسم التربية الفنية بجامعة حائل في السعودية Email: emaan_egypt_2007@yahoo.com

وكانت هذه المسارج تصنع إما باليد أو بعجلة الفخار أو بالقالب وكان ينفذ عليها زخارف بطريقة الختم أو القالب متمثلة في مناظر الصيد ومناظر آدمية وحيوانية ومناظر الحياه اليومية كما وجدت زخارف كتابية متمثلة في عبارات دينية ودعائية وأحياناً اسم الصانع ويهدف البحث الحالي إلى دراسة تحليلية لأشكال وزخارف المسارج الفخارية والخزفية في العصر الأيوبي والفاطمي والاستفادة منها في استحداث وحدات إضاءة للشموع.

مشكلة البحث

هل يمكن الاستفادة من أشكال وزخارف المسارج في العصر الأيوبي والفاطمي في استحداث وحدات إضاءة خزفية للشموع؟

أهداف البحث

- 1- تحليل القيم الفنية والنظم البنائية لأشكال وزخارف المسارج الفخارية والخزفية في العصر الأيوبي والفاطمي.
- 2- التعرف على الأشكال التي تميزت بها المسارج في العصر الأيوبي والفاطمي.
- 3- الكشف عن أساليب تشكيلية وزخرفية حديثة لوحدات إضاءة الشموع.
- 4- تزويد طلاب الكليات الفنية ببعض المداخل التجريبية الجديدة وابتكار وحدات تشكيلية لإضاءة الشموع الخزفية ذات معالجات تشكيلية متعددة.

أهمية البحث

- 1- كفية رؤية وتحليل التراث وطريقة تناوله بأسلوب مبتكر.
- 2- إنتاج وحدات إضاءة للشموع خزفية مبتكرة متكاملة من حيث الشكل وأسلوب الزخرفة.
- 3- يعتبر البحث الحالي مدخلاً جديداً لاستحداث وحدات خزفية لإضاءة الشموع مستوحاة من المسارج في العصر الأيوبي والفاطمي.

فروض البحث

- 1- تفترض الدراسة أن دراسة المسارج الفخارية والخزفية في العصر الفاطمي والأيوبي يعمل على تنمية الابتكار من حيث الأصالة والجدة.
- 2- تفترض الدراسة أن الاستعانة بدراسة المسارج الفخارية والخزفية في العصر الفاطمي والأيوبي من حيث تقنيات الأداء المستخدمة يثري وحدات إضاءة الشموع الخزفية المعاصرة.
- 3- هناك إمكانية للاستفادة من دراسة أشكال وزخارف المسارج الفخارية والخزفية في العصر الأيوبي والفاطمي في استحداث وحدات خزفية لإضاءة للشموع.

حدود البحث

- ١- تتم الدراسة على نماذج المسارج الفخارية والخزفية الموجودة بالمتحف الإسلامي بالقاهرة.
- ٢- ستعرض الدراسة لأشكال وزخارف المسارج الفخارية والخزفية في العصر الأيوبي والفاطمي.
- ٣- إجراء تجربة ذاتية لإثبات صحة الفرض.

منهجية البحث

يعتمد البحث على كلاً من:

- ١- **المنهج الوصفي التحليلي:** وذلك بتحليل الأسس الفنية والتشكيلية للمسارج الفخارية والخزفية في العصر الأيوبي والفاطمي.
- ٢- **المنهج التجريبي:** ويتناول الجانب الابتكاري في استحداث وحدات تشكيلية من إضاءة الشموع الخزفية.

مقدمة

بلغت صناعة الخزف درجة كبيرة من التقدم في عصر الفاطميين على أيدي المهرة من الخزافين المصريين (ديماند الفنون الإسلامية ص ٢١٦) حتى بلغت صناعة الفخار ذي البريق المعدني فخر صناعة الفخار في عصر الدولة الفاطمية (زكي محمد حسن، ص ١٤٩) وقد تميز الخزف الفاطمي من حيث رقة جداره وتغطيته بطلاء أبيض مائل إلي الزرقة ويعلو هذا الدهان رسوم ذات بريق معدني وضاء باللون الذهبي (حسن الباشا ١٩٦٦م ص ٦٦) وتتألف هذه الرسوم من زخارف نباتية وهندسية وكتابات عربية بالإضافة إلى صور الكائنات الحية (ديماند، ١٩٥٨ م ص ٢١٦، ٢١٧) وقد تأثر الفاطميون أول الأمر بالفن البيزنطي وعناصره من الهلينيستي وبعض عناصر البربر والطوارق بشمال إفريقيا مكان نشأة هذه الدولة وكذلك بسبب استقدامهم فنانين من شمال إفريقيا إلا أن هذا الفن سرعان ما امتزج بالفن العباسي والفن القبطي وبذلك فقد أنتج الفنان الفاطمي فناً ممزوجاً متعدد التأثيرات الفنية (حسين، خالد ١٩٨٣).

في العصر الأيوبي اهتمت الدولة الإسلامية بهذه الصناعة، وظهر نوع جديد منها، عرف باسم الخزف الأيوبي، الذي امتاز برقة الطينة وجمال التزيين، له أرضية خضراء

وزخارف سوداء ورسومات بديعة لأنواع نباتية يتخللها أشكال جميلة للطيور والحيوانات، حيث ينسب إلى القرن السابع الهجري -١٣م- في القاهرة نوع جميل من الخزف، عبارة عن عجينة بيضاء ترسم عليها الزخارف بالأسود تحت طلاء زجاجي أخضر أو أزرق أو بنفسجي، وأحياناً ترسم فيه الزخارف بألوان متعددة من الأحمر والأزرق والأسود تحت طلاء شفاف. تتألف زخارفه من رسومات آدمية مثل لقاء شخصين في قارب شراعي، أو لقاء حول شجرة، أو شخص ممسك بكأس، أو عازف على الهارب، أو فارس يمتطي جواده، فضلاً عن رسومات طيور وحيوانات تتمتع بقسط وافر من المرونة والحركة.

ومع مجيء الفتح الإسلامي وصلت الزخارف الفخارية إلى درجة من الإبداع زادت نبرتها في العصرين الفاطمي وأما في عهد الدولة الأيوبية فكانت النقوش عبارة عن رسوم حيوانية ونباتية تحاكي الطبيعة، مستمدة من الفن السلجوقي، الذي أثرى كل الفنون بالشرق الأوسط.

يعد موضوع المسارج الخزفية والفخارية في العصرين الأيوبي والفاطمي من الموضوعات الهامة في مجال الآثار والفنون الإسلامية وذلك لما لها من مدلولات اجتماعية واقتصادية بأشكالها المتنوعة وزخارفها الرائعة تعتبر مرآة صادقة تعكس لنا تطور الخزف والفخار خلال العصرين الأيوبي والفاطمي.

كما أنها إحدى وسائل الإضاءة المستخدمة في المنازل والقصور والمساجد وغيرها على جانب استخدامها في المنازل الفقراء والأغنياء على السواء، فهي بذلك تعبر عن طبقات المجتمع في العصرين الأيوبي والفاطمي. والمسرجة عبارة عن إناء مستدير أو بيضوي الشكل عليه غطاء من نفس شكل الإناء ولها فوهة يصب منها الزيت وثقب يخرج منه الإضاءة ومع مرور الوقت تنوعت أشكال المسارج وزخارفها والألوان التي نفذت عليها ومواد الصنع التي تشكل منها. وكانت هذه المسارج تصنع إما باليد أو بعجلة الفخار أو بالقالب وكان ينفذ عليها زخارف بطريقة الختم أو القالب متمثلة في مناظر الصيد ومناظر آدمية وحيوانية وآدمية ومناظر الحياة اليومية كما وجدت زخارف كتابية متمثلة في عبارات دينية ودعائية وأحياناً اسم الصانع، وكان من المسارج ما هو مصنوع من الفخار أو الخزف أو الزجاج ووجد منها الكثير في البيوت والمقابر. (أمال العمري، ١٩٦٥، ص ١٤: ٥)

يحتفظ متحف الفن الإسلامي بالقاهرة بوجود مجموعة من المسارج الخزفية والفخارية من العصر الفاطمي والأيوبي فتعد سجلاً حافلاً بشتى أنواع الزخارف الحيوانية والهندسية والنباتية مثل أوراق وعناقيد العنب وكيهان الصنوبر وأوراق الاكانتس ورسوم الغزلان

والطواويس والحمام والعصافير والأسود والخطوط والدوائر وتعكس لنا هذه الزخارف التأثيرات الساسانية والهندسية أي جانب تأثيرات من طراز سامراء في مراحلها الثلاثة. وقد تبين من خلال الحفائر أن المسارج المحفوظة بمتحف الفن الإسلامي قد صنعت بالفسطاط والإسكندرية والبهنسا وأسوان والدليل على ذلك عثور على المسارج النافذة في القرن في هذه المناطق.

وتميزت هذه المسارج بعدة مميزات:

من حيث طريقة الصنع: فقد تبين أن الطينات التي صنعت منها المسارج تنقسم إلى ثلاثة أنواع:

- ١- نوع غير مطلي: صنع من طينة صفراء ضاربة إلى الخضرة يشوبها الحمرة الخفيفة.
- ٢- نوع يمتاز بطينة البيضاء المائلة إلى الصفرة ويكسوه طلاءات رصاصية شفافة ملونة تنحصر في الأخضر التركوازي والفيروزي وهي تشبه الأواني الخزفية ذات الزخارف المحزوزة تحت الطلاء التي تنسب إلى أواخر القرن السادس الهجري والثاني عشر ميلادي.
- ٣- نوع يمتاز بالطينة الحمراء المكسية بطلاءات زجاجية رصاصية شفافة أو ملونه تتفق في أسلوبها الصناعي مع أواني الفخار المطلي المنسوب إلى العصر المملوكي.

الأساليب الزخرفية المتبعة في زخرفة المسارج

وقد زخرف بدن هذه المسارج بأشكال زخرفية متنوعة وبارزة شكلت بضغطها في قوالب من الفخار وتتألف هذه الزخارف من:

- ١- اكتفى الفنان بطلاء المسرحة بلون واحد وهذه هي الطريقة الشائعة في زخرفة المسارج.
- ٢- زخرفة البدن على شكل شبكة وطلاؤها بلون واحد.
- ٣- استخدام أسلوب الزخرفة بالبريق المعدني وهي من الأساليب النادرة في زخرفة المسارج.
- ٤- اتباع أسلوب الزخرفة المحزوزة تحت الطلاء.
- ٥- رسوم أوراق العنب وعناقيد ورسوم حيوانات وطيور وخاصة الطواويس أو زخارف هندسية.
- ٦- ينقش أحياناً على بدن هذه المسارج عبارات طريفة أو عبارات دعائية وتبريك كتبت بخط النسخ أو الكوفي البسيط.

فمن العبارات الطريفة: «اصبر إن ملني خليلي والصبر عند البلاء» ويبدو أن كاتب هذه العبارة التي تشيد بالصبر على هجر الأحبة قد شبه نفسه بالسراج واحتماله احتراق النار به واستنزاف زيتِهِ ليضيء ما حوله. أو «أسرجي حولك وانطفي وبنا لطفك» ويتضح من هذه العبارة أن الخزف يخاطب المسرجة وبين تخوفه من عدم انطفاء المسرجة. ومن عبارات الدعاء والتبريك مثل «البركة» وعادة تكتب بخط كوفي بسيط. وقد حفظت لنا بعض المسارج من هذا النوع اسم «المعلم أحمد الجمعة».

الزيوت والفتائل المستخدمة في الإضاءة

كانت الفتيلة أو الذبالة المستخدم في الإضاءة المسارج تصنع من الكتان أو نبات الخروج أو من ألياف الخيام وكانت الفتيلة أو الذبالة تقوم بامتصاص الزيت من المسرجة عن طريق الخاص قوية وتعمل على توصيلة إلى فتحة القليل بالنسبة للزيوت المستخدمة في الإضاءة فإن زيت الزيتون هو الوقود الأساسي منذ العصر اليوناني والروماني وكان يستخدم في معظم أقاليم البحر المتوسط وكذلك زيت السمسم وزيت الجوز وزيت السمك وزيت الخروج وقد كانت هذه الزيوت في الغالب تستخدم في الطعام أولاً والفائض منها استخدم في الإضاءة بالإضافة إلى هذه الأنواع من الزيوت فإن زيت البترول الذي كان يتم استخدامه من الأرجح كان يستخدم أيضاً في الإضاءة.

تحليل نماذج من المسارج في العصر الأيوبي والفاطمي

رقم السجل: ١٨٦٧٦

المقياس: الطول ١١ الارتقاء: ٧

مكان العثور عليها: الفسطاط

مكان الحفظ: في متحف الفن الإسلامي

طريقة الصناعة: الدولاب

التاريخ: مؤرخة بالقرن ٦ هـ ١٢ م في العصر الفاطمي



شكل (١)

الوصف: مسرجة من الخزف اسطوانية

البدن لها قاعدة حلقية مقعرة إلى الداخل

ولها فوهة اسطوانية تتسع جوانبها كلها ترتفع

إلى أعلى لتنتهي بشكل فوهة دائرية الشكل والمشكل بارز مستقيم ممتد إلى الأمام

والمقبض حلقي الشكل يلتصق من أحد أطرافه بدن المسرجة ويتصل من الطرف الآخر برقبة وفي قمة المقبض يوجد بروز خفيف أو تدبيب في قمة المسرجة والمسرجة مطلية باللون الأبيض من الخارج والداخل بطريقة الغمر أو الرش والطلاء لا يصل إلى القاعدة وعلى الطلاء من الخارج بقع بالأزرق والتركوازي والبنفسجي.

رقم السجل: ١٧.٢٣٩٤٠



المقياس: الطول ٢,٩ سم القطر ٢,٦ سم

الارتفاع ٦,٣ سم قطر الفوهة ٦,٢ سم

المصدر: مشتراه من عبد الرحيم الشاعر

مكان الحفظ: في متحف الفن الإسلامي

طريقة الصناعة: الدولااب

شكل (٢)

التاريخ: - مؤرخة بالقرن الرابع أو الخامس الهجري

الوصف: مسرجة من الخزف ذات بدن على هيئة سلطانية ليست عميقة وجوانبها مستديرة استدارة خفيفة وقمة المسرجة تتقابل مع الجوانب بزواية وتوجد قناه دائرية حول فتحة الزيت التي تتوسط قمة المسرجة ولون الطلاء الأخضر يغطي المسرجة من الداخل والخارج بطريقة الغمر أو الرش.



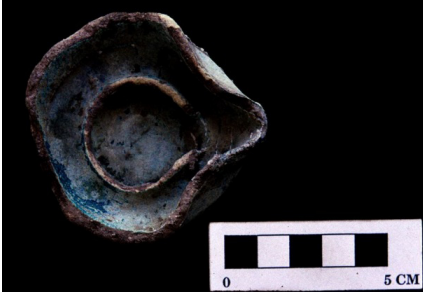
طريقة الصناعة: الدولااب

التاريخ: مؤرخة في القرن ١٣ م في العصر الأيوبي

الوصف: مسرجة من الفخار وهي من عائلة المسارج على هيئة طبق شكل (٢) تتكون من جزئين كل جزء من شكل على العجلة أو الدولااب الجزء الأول يشبه صحن الفنجان وهو مسطح القاع ويكون الجزء السفلي من المسرجة وهو مضغوط من أحد أطرافه ليكون الفوهة المدببة أو الجزء العلوي فهو نصف كروي وهو أصغر في المقاس من الجزء العلوي

لذلك فعندما يوضع عليه فإن حافة الجزء السفلي تبدو بارزة من حلوله وفتح الزيت توجد في وسط هذا الجزء العلوي والمقبض يلتصق من أحد أطرافه بحافة الزيت والطرف الآخر بحافة الجزء السفلي وفتحة الفتيل في الجزء العلوي في مقابل المقبض.

المقياس: الطول ١٤ سم العرض ٢،٧ سم الارتفاع ٩ سم



مكان العثور عليها: - الفسطاط

مكان الحفظ: في متحف الفن الاسلامي بالقاهرة

طريقة الصناعة: الدولاب

التاريخ: - القرن ١٢ هـ - ١٣ م في العصر الفاطمي

شكل (٤)

الوصف: مسرجة من الخزف ذات بدن اسطواني وقاعدة حلقية مقعرة ولها فوهة عميقة الشكل وبين البدن رقبة الفوهة جزء ملتصق منفوخ والمشعل طويل مستقيم وكسور جزء من طرفه الأمامي والمقبض حلقي يتصل طرفه بمنتصف البدن تقريباً ويتصل الطرف الآخر بمنتصف الفوهة تقريباً المقبض بروز صغير من أعلى المسرجة مطلية باللون الأزرق بطريقة الغمر أو الرش من الداخل والخارج.



طريقة الصناعة: الدولاب

التاريخ: في العصر الأيوبي.

الوصف: مسرجة من الفخار ليس لها قاعدة كروية البدن قليل الارتفاع يخرج من الأمام فتحة طويلة.

شكل (٥)

مدببة الحواف على الجانبين ومن أعلى البدن يوجد رقبة اسطوانية تعلوها فتحة فوهة المسرجة وتظهر أنها مكسرة وتم تجميعها وطلاءها باللون الأخضر بالرش أو الغمر.

التجربة العملية

تجربة ذاتية توضح مدى الاستفادة من المسارج الفخارية والخزفية في العصر الفاطمي والأيوبي
لاستحداث وحدات من إضاءات الشموع الفخارية والخزفية.



شكل (٢)



شكل (١)



شكل (٤)



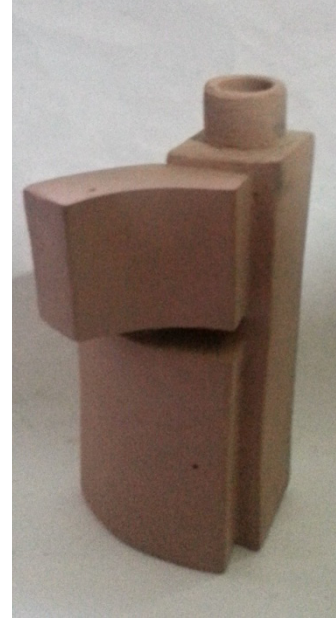
شكل (٣)



شكل (٦)



شكل (٥)



شكل (٤)

النتائج

- ١- تسهم عملية الدراسة لعناصر التراث وتفهمه في إعطاء حلول متعددة لعمل تصميمات مبتكرة يمكن تنفيذها من خلال التجريب والتطبيق وتتسم بالأصالة والمعاصرة.
- ٢- أن ثراء الحصيلة المعرفية للتراث لدى الفرد يتيح له الفرصة لكشف أنماط متعددة تعينه على إعداد تصميمات ذات وحدة متوافقة في العمل الفني.
- ٣- يمكن الاستفادة من المسارج الفخارية والخزفية في ابتكار تصميمات مبتكرة لوحداث إضاءة للشموع.

التوصيات

من خلال ما تقدم من البحث والنتائج التي توصلت إليها الدراسة ترى أن تقدم بعضاً من التوصيات التي تسهم في مجال التربية الفنية بعامة وأشغال الخزف بخاصة:

١- الاهتمام بتنمية الرؤية بدراسة التراث لإثراء الحصيلة المعرفية والفنية لدى الدارسين، والتي تسهم في إبداع أعمال فنية مستحدثة لها أصولها في الماضي مما يعمل على الحفاظ على أصالتها.

٢- توصي الدراسة بضرورة إعداد محتوى للمقررات التعليمية بمادة أشغال الخزف يدرس بها التقنيات والخامات المستخدمة في المسارج التراثية والأدوات اللازمة لتلك التقنيات للحفاظ على بقائها.

٣- ضرورة الاهتمام بتجميع التراث وتوصيفه وتصنيفه وتحليله للحفاظ عليه والإفادة منه.

المراجع العربية

- ١- آمال أحمد حسين العمري، رسالة الشماعد المصرية في العصر العربي، لا يوجد مكان الطباعة، ١٩٦٥.
- ٢- حسن الباشا: فنون التصوير في مصر الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٦م.
- ٣- حسين، خالد ١٩٨٣ الزخرفة في الفنون الإسلامية، مطبعة أوفست الوسام، بغداد.
- ٤- ديمان، م. س ١٩٥٨م: الفنون الإسلامية، ترجمة أحمد محمد عيسى، دار المعارف، مصر.
- ٥- زكي محمد حسن: كنوز الفاطميين.
- ٦- عبد المعطي شعراوي. أساطير إغريقية. القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٢-١٩٩٥.

المراجع الأجنبية

- 1- "Pottery". In Ancient Greece and Rome. Edited by Carroll Moulton, Volume III. New York: Simon & Schuster Macmillan, 1998.
- 2- "Bronze Age". In A Dictionary of Ancient History, Speake Graham. Oxford, OX, UK; Cambridge. Mass, USA: Blackwell Reference, 1994.

المراجع الإلكترونية

<http://www.masress.com/october/118510-1>.

دور المسؤولية الاجتماعية للشركات متعددة الجنسيات في مصر (شركات التلغون المحمول نموذجاً)

The role of the social responsibility of multinational companies in Egypt
(Mobile companies model)

أ.ة. إيناس محمد محمد إبراهيم*

مقدمة

المفهوم وتحديد الأبعاد والمؤشرات التي يمكن الاستفادة منها في الواقع كذلك التعرف على سبل تحقيق ذلك والمجالات المناسبة له. وإذا لا حظنا أن شركات اليوم لا تعتبر كيانات اقتصادية فحسب، بل كيانات ترتبط كذلك بالوطن الذي تعمل فيه. فهي تعمل في بيئة اجتماعية واقتصادية معقدة، تتعرض فيها لضغوط من أجل تحقيق الكفاية الاقتصادية من جانب أصحاب هذه الشركات، ولضغوط من أجل تحمل مسؤولياتها سواء كانت

يعتبر مفهوم المسؤولية الاجتماعية من المفاهيم الحديثة في علم الاجتماع وكذلك في المجتمع المصري نظراً لكثير من الظروف التي مرت بها مصر في السنوات الأخيرة من تراجع في كثير من المجالات إن لم يكن أغلبها ويأتي الاهتمام بهذا المفهوم كتأكيداً على ضرورة الاهتمام بالنهوض بالمجتمع من خلال إطار شامل من الجودة الاجتماعية لتحقيق أفضل وضع ممكن للناس ويحتاج تحقيق ذلك إلى تدقيق شامل في

* باحثة، كلية الآداب، قسم اجتماع، جامعة الإسكندرية/مصر.
Enas_262@yahoo.com

تلك الضغوط من جانب الحكومة أو المجتمع المدني أو المستهلكين. ومن هنا يظهر مفهوم المسؤولية الاجتماعية للشركات كشكل من أشكال المواطنة والتفاعل مع المجتمع ورغم أن الجدل الدائر بشأن المسؤولية الاجتماعية للشركات أمر ليس بجديد، فقد حظي باهتمام أكبر في السنوات الأخيرة، نتيجة للتطورات في الظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية داخل المجتمع، حيث يكتسب الدور الاجتماعي للشركات أهمية متزايدة بعد تخلي الدولة عن كثير من أدوارها الاقتصادية والخدمية التي صحبتها بطبيعة الحال برامج اجتماعية كانت تقدم جميعاً للمواطنين لتيسير حياتهم. ونجاح قيام الشركات بدورها في المسؤولية الاجتماعية يعتمد أساساً على التزامها بثلاثة معايير هي: الاحترام والمسؤولية تجاه العاملين وأفراد المجتمع.. ودعم المجتمع ومساندته. مما يساعد في تحقيق التنمية داخل المجتمع بشرط قيام هذه الشركات بواجبها تجاه المجتمع الذي توجد به.

وفي ضوء ذلك يركز البحث الحالي على دراسة دور شركات المحمول في مصر كأحد الشركات متعددة الجنسيات في تحقيق المسؤولية الاجتماعية داخل المجتمع من خلال التفاعل المشترك مع الهيئات أفراد وتحمل كل طرف لواجباته بنفس القدر الذي يتمتع به بحقوقه إذ تتضمن المسؤولية الاجتماعية بناء قيم مشتركة والحد من التفاوت في الثروة والدخل وتمكين الناس لمواجهة التحديات المشتركة وتحسين البيئة وسوف يتم تناول الموضوع من خلال:

- أولاً: منهجية دراسة العلاقة بين شركات المحمول وتحقيق المسؤولية الاجتماعية.
- ثانياً: آليات تحقيق المسؤولية الاجتماعية للشركات في مصر.
- ثالثاً: معوقات تحقيق المسؤولية الاجتماعية في مصر.
- رابعاً: النتائج العامة ودلالاتها، وتشمل: الدلالات النظرية والتطبيقية للنتائج العامة.

منهجية الدراسة

التصور النظري للعلاقة بين الشركات متعددة الجنسيات والمسؤولية الاجتماعية نظرية التنمية المستدامة: مفهوم المسؤولية الاجتماعية

Sustainable Human Development: Social Responsibility concept

اهتم مجموعة من العلماء بالمسؤولية الاجتماعية كأحد قضايا التنمية المستدامة* حيث يؤكد مدخل التنمية البشرية المستدامة على دور البشر ضمن السياق الاجتماعي الذي يعيشون فيه. لذا، فإن تعزيز التنمية البشرية المستدامة يتم من خلال مجتمعات مدنية قوية تسودها أنماط تعامل تقوم على الثقة والتعاون. وإن أية استراتيجية متسقة

للتنمية البشرية المستدامة لا يمكن أن تعيق النمو الاقتصادي، بل على العكس، فإن التركيز على البشر وعلى المجتمعات البشرية يعتبر حافزاً للنمو الاقتصادي. كما لا يمكن التقليل من أهمية سياسات الاقتصاد الكلي، إلا أنه ينبغي أن تكون هذه السياسات مصممة بوضوح لدعم أهداف الاستدامة والتنمية البشرية.^(١) إن المسؤولية الاجتماعية هي وليدة متطلبات التنمية المستدامة، والشراكة في التنمية الاقتصادية بين الدولة والقطاع الخاص لبناء مستقبل أفضل للأجيال القادمة، من خلال إيجاد ودعم برامج اجتماعية واقتصادية وثقافية مستدامة مستقاة من الاحتياجات والأولويات الوطنية ومن خلال ذلك انطلق مفهوم المسؤولية الاجتماعية وتمثل في التزام بعض الشركات والمؤسسات الكبرى ببرامج بعيدة عن نشاطها كالصحة، والفقر، والتعليم، والتدريب والتأهيل، وجميع هذه الأمور دخلت في إطار عمليات الشركات فيما يخص المسؤولية الاجتماعية. حيث برز الاهتمام بالعلاقة بين التنمية المستدامة والمسؤولية الاجتماعية للشركات بشكل واضح في الفترة الأخيرة، وأصبحت الشركات تهتم بمسؤوليتها عن أثر نشاطاتها الاقتصادية من أجل مجتمع أفضل^(٢). ويعتبر كثير من خبراء التنمية أن مساهمة الشركات في التنمية المستدامة من خلال تطبيق وتبني ممارسات المسؤولية الاجتماعية هو السبيل لتضافر الجهود والشراكة بين القطاع العام والقطاع الخاص من أجل رفاه المجتمعات والعمل على تماسكه وتخطي عقبات البيئة المعاصرة بما تحمله من كوارث وأزمات باتت تهدد العالم بأسره.

إن التنمية عملية متعددة الأبعاد ومتنوعة المجالات. فالتنمية ليست خلق شيء من عدم، ولكنها استثمار للطاقات والقدرات المادية والبشرية الموجودة في المجتمع لتحقيق الرفاهية للجميع.

فالبحر هم الهدف الأساسي للتنمية البشرية، وهم أيضاً الأداة الأساسية لتحقيق هذه التنمية. كما أن التنمية بهذا المعنى لا تعني فقط زيادة الثروة أو الدخل للمجتمع أو حتى الأفراد وإنما النهوض بأوضاعهم الثقافية والاجتماعية والصحية والتعليمية وتمكينهم سياسياً وتفعيل مشاركتهم في المجتمع وحسن توظيف طاقاتهم وقدراتهم لخدمة أنفسهم ومجتمعاتهم.^(٣)

ويمكن تناول مفهوم المسؤولية الاجتماعية، من خلال عدة اعتبارات، الاعتبار الأول أن هذا المفهوم شكل أحد المواضيع التي تفاعلت بشأنه مختلف الاتجاهات النظرية. بعض هذه الاتجاهات رأى أن المسؤولية ذات طبيعة فردية بالأساس، وانطلاقاً من المسؤولية الفردية تتشكل المسؤولية الاجتماعية. بينما أدركت اتجاهات نظرية أخرى المسؤولية

الاجتماعية باعتبارها ذات جذور مجتمعية بالأساس، فالمجتمع هو المسؤول عن تشكيل المسؤوليات الفردية والاجتماعية التي يمكن أن تؤدي أدواراً أو وظائف تؤكد استمراره وقوته وتعيينها على الأفراد. في هذا الإطار قد تكون المسؤولية فردية، أو تكون اجتماعية تقوم بها مختلف جماعات المجتمع ومؤسساته كالقول بالمسؤولية الاجتماعية لرجال الأعمال أو الشركات، أو القول بالمسؤولية المجتمعية، أي مسؤولية المجتمع، ويتصاعد الأمر حتى القول بالمسؤولية العالمية عن بعض الأحداث أو الظروف التي تطلب تكاتف جهود العالم.^(٤)

على هذا النحو تعد المسؤولية الاجتماعية بنية من الواجبات والحقوق تحدد السلوك الذي ينبغي أن يطرقه الفرد تجاه المجتمع. وفي هذا الإطار فإننا نجد أن المجتمع وليس الدولة أو النظام السياسي هو هدف ونطاق فاعلية المسؤولية الاجتماعية. فالمجتمع يشكل الإطار الشامل الذي تسعى كافة الأطراف الأداء مسؤولياتها الاجتماعية بهدف تأكيد بقائه واستقراره ومن ثم تماسكه.

حيث تسعى الشركات إلى المساهمة في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، من خلال أدائها لمسؤولياتها الاجتماعية. ويعتبر كثير من خبراء التنمية أن مساهمة الشركات في التنمية المستدامة من خلال تطبيق وتبني ممارسات المسؤولية الاجتماعية هو السبيل لتضافر الجهود والشراكة بين القطاع العام والقطاع الخاص من أجل رفاه المجتمعات وتخطي عقبات البيئة المعاصرة بما تحمله من كوارث وأزمات باتت تهدد العالم بأسره.

فالمسؤولية الاجتماعية كمفهوم يقوم على الاستثمار في الموارد البشرية وخلق فرص عمل وتوفير بيئة عمل صحية وأمنة جنباً إلى جنب مع حل المشكلات الاجتماعية والبيئية وتعزيز التنمية المستدامة فهي ترى أنه لا يمكن تحقيق وضع أفضل للمجتمع دون تضافر جهود جميع أطرافه وقيام كل منها بواجباته ولا يمكن أن يتم ذلك إلا في إطار تفعيل مبدأ المسؤولية الاجتماعية.^(٥)

مفاهيم الدراسة

أ- المسؤولية الاجتماعية للشركات: *Corporate Social Responsibility*

- عرف البنك الدولي للمسؤولية الاجتماعية^(٦): على أنها التزام أصحاب النشاطات التجارية بالمساهمة في التنمية المستدامة من خلال العمل مع موظفيهم وعائلاتهم والمجتمع المحلي والمجتمع ككل لتحسين مستوى معيشة الناس بأسلوب يخدم التجارة ويخدم التنمية في آن واحد.

- ويعرف الاتحاد الأوروبي المسؤولية الاجتماعية على أنها^(٧): مفهوم تقوم الشركات بمقتضاه بتضمين اعتبارات اجتماعية وبيئية في أعمالها وفي تفاعلها مع أصحاب المصالح على نحو تطوعي. ويركز الاتحاد الأوروبي على فكرة أن المسؤولية الاجتماعية مفهوم تطوعي لا يستلزم سن القوانين أو وضع قواعد محددة تلزم بها الشركات للقيام بمسؤوليتها تجاه المجتمع.

ويمكن تعريف المسؤولية الاجتماعية بأنها: هي التزام من قبل أصحاب الشركات يأتي من خلال الإقناع والتعليم يكون الغرض منه المساهمة في تحقيق التنمية الشاملة للمجتمع بحيث يتفق هذا الالتزام وتوقعات المجتمع ويكون استجابة لمطالب البيئة بهدف تحقيق مستوى حياة أفضل للقوى العاملة وعائلاتهم والمجتمع ككل.

ب- الشركات متعددة الجنسيات: *multinational company*

○ تلك المؤسسات التي تتكون من الشركة الرئيسية وفروعها الأجنبية فالشركة الرئيسية هي المالكة للأصول المستخدمة في الإنتاج في الخارج أما الفرع الأجنبي (المملوك كلياً أو جزئياً) فهي المؤسسة التي مقرها الدولة المضيفة والتي تمتلك فيها الشركة الأم حصة تتيح لها المشاركة في الإدارة.^(٨)

○ تلك المؤسسات التجارية التي تمارس نشاطها الإنتاجي في أكثر من دولة كما قد يكون تعدد الجنسيات راجع إلى تعدد جنسيات المساهمين في الشركة^(٩)

ويمكن تعريف الشركات متعددة الجنسيات بأنها: مؤسسات تجارية يمتد نشاطها إلى عدة دول سواء كان من خلال الإنتاج أو التسويق تدار من خلال اتفاقات محددة مع مؤسسات أو أفراد مع ممثلين لها في هذه الدول المضيفة وقد تتعدد جنسيات المساهمين في رأس مال الشركة.

الإجراءات المنهجية للدراسة

١- موضوع الدراسة

يتناول موضوع الدراسة دور الشركات متعددة الجنسيات (المحمول نموذجاً) وتحقيق المسؤولية الاجتماعية للشركات كأحد عوامل تحقيق الجودة الاجتماعية في المجتمع المصري بهدف إيجاد مجتمع متقدم يحمي جميع الحقوق لأفراده، وكذلك يضمن عدم التمييز والتسامح والاحترام للتنوع وتكافؤ الفرص وتوفير الأمن ومشاركة جميع الناس وتوزيع منافع النمو الاقتصادي على نحو أكثر إنصافاً وذلك لسد الفجوة

القائمة بين طبقات المجتمع وأطيافه نتيجة عدم المساواة وخلق فرص عمل ونظم حماية اجتماعية وتمكين الفقراء.

وتجدر الإشارة إلى وجود عدد من الدراسات السابقة حول كل من المسؤولية الاجتماعية للشركات مثل دراسة: دراسة بيرد، ليزلى سيموني ٢٠٠٨ ودراسة دراسة تشنجان ٢٠١١ ودراسة ساكاي مي ساتو ٢٠١٠.

كما لاحظ الباحث ان اغلب الدراسات في هذا الموضوع هي دراسات أجنبية كما ان اغلب هذه الدراسات تناول كل متغير بصورة مختلفة ولم يتناول العلاقة بين المتغيرين بشكل مباشر وهذا ما تحاول الدراسة الحالية التركيز عليه.

٢- مشكلة الدراسة وأهميتها النظرية

- ١- تأتي أهمية هذه الدراسة كمحاولة لسد الثغرات التي كشفت عنها تحليل الدراسات السابقة والتراث المهتم بالمسؤولية الاجتماعية للشركات كأحد عناصر الجودة الاجتماعية بهدف إثراء المعرفة والبحث العلمي في هذا المجال.
- ٢- التأكيد على صحة بعض القضايا التي طرحها نموذج التنمية المستدام كأحد المدخل النظرية في علم الاجتماع ومدى ملائمة تحقيقها فعليا داخل المجتمع.

٣- الإشكالية والأهمية التطبيقية

تتحدد إشكالية الدراسة في أنه لم تصبح الحكومة وحدها هي المسؤولة عن النهوض بالمجتمع وتحسين أوضاع أفراد بل أصبحت هناك مشاركة بين كل أطراف المجتمع ومختلف القوى الموجودة به كشكل من أشكال المواطنة الفاعلة لدى الأفراد والمؤسسات ومن خلال ذلك تركز الدراسة على المسؤولية الاجتماعية لشركات التلفون المحمول كأحد الشركات متعددة الجنسيات في مصر وآليات تحقيقها في المجتمع كمحاولة لإيجاد حل للمشكلات التي تعاني منها مصر خاصة في الفترة الأخيرة.

ومن ثم تكمن الأهمية التطبيقية:

- ١- في دراستها لواقع المسؤولية الاجتماعية لرجال الأعمال ومدى مساهماتهم في عمليات التنمية وتأثير ذلك بالنفع على أفراد المجتمع من خلال ضمان لحقوقهم وتأكيدا لقيم الولاء وتفعيل المواطنة الصالحة لدى كل من الشركات والأفراد وتحقيق الترابط بينهم من خلال دراسة الوضع الراهن وتفسيره ووضع النتائج ليستفيد منها صانعي القرار في وضع سياساتهم التي تختص بالسياسات المستقبلية للمجتمع.

- ٢- تُساعد هذه الدراسة على توضيح أهمية دور الشركات متعددة الجنسيات في تحقيق المسؤولية الاجتماعية والترابط في المجتمع الذي توجد به وبالتالي جذب شركات أخرى للمساهمة الفعالة في عمليات التنمية وذلك من خلال وضع

مجموعة من التوصيات أمام المسؤولين لما تحتاجه الشركات من تسهيلات وصلاحيات لكي تقوم بمسؤوليتها الاجتماعية تجاه مشكلات المجتمع.

أهداف الدراسة

- التعرف على واقع المسؤولية الاجتماعية لشركات التلفون المحمول ومظاهرها في مصر.
 - التعرف على أشكال المساهمة التي قامت بها هذه الشركات في عمليات التنمية داخل المجتمع.
 - تحديد معوقات تحقيق المسؤولية الاجتماعية لهذه الشركات وسبل التغلب عليها.
 - وضع توصيات مستقبلية.
- وتعتبر هذه الدراسة من الدراسات الوصفية وسوف تعتمد على التحليل الكمي للبيانات الجاهزة والإحصاءات الصادرة من المراكز الرسمية المختصة داخل الدولة وكذلك الاستعانة بالمؤشرات الاجتماعية للتنمية.

١ - مبادئ المسؤولية الاجتماعية للشركات

تستهدف الشركة أثناء ممارستها لمسؤوليتها الاجتماعية زيادة مساهمتها في التنمية المستدامة، ولتحقيق ذلك الهدف ينبغي على الشركة أن تعمل على أساس مجموعة من المبادئ التي تتمثل في: (١٠)

- القابلية للمساءلة
- الشفافية
- احترام ثقافة المجتمع
- احترام مصالح الأطراف المعنية
- احترام سيادة القانون
- احترام المعايير الدولية للسلوك
- احترام حقوق الإنسان

٢ - مستويات المسؤولية الاجتماعية للشركات

في عام ١٩٩٤ تم تطوير ما يسمى بمجموعة لندن لقياس الاستثمار في المجتمع من قبل فريق العطاء الاجتماعي لست شركات عالمية، وذلك بهدف قياس

الفائدة التي تعود من تنفيذ المشاريع التنموية والتطوعية على كل من المجتمع والشركات على حد سواء ووفقاً لهذا النموذج تم تقسيم ممارسات المسؤولية الاجتماعية إلى أربعة مستويات كمايلي:

- المستوى الأول: «أساسيات العمل المؤسسي»
- المستوى الثاني: «المبادرات التجارية في المجتمع»
- المستوى الثالث: «الاستثمار في المجتمع»
- المستوى الرابع: «العطاء الاجتماعي»^(١١)

٣- أبعاد المسؤولية الاجتماعية

إن شمولية محتوى المسؤولية الاجتماعية جعلت الباحث كارول (Archie Carroll) يشير إليها بأربعة أبعاد هي البعد الاقتصادي Economic والأخلاقي Ethical والقانوني Legal والخيري Philanthropic.

- **البعد الاقتصادي Economic** يستند إلى مبادئ المنافسة والتطور التكنولوجي حيث يشتمل على مجموعة كبيرة من عناصر المسؤولية الاجتماعية يجب أن تؤخذ في إطار احترام قواعد المنافسة العادلة والحرية والاستفادة التامة من التطور التكنولوجي وبما لا يلحق ضرراً في المجتمع والبيئة.

- **البعد القانوني Legal** يمثل التزام بقوانين وأنظمة وتعليمات يجب أن لا تخرقها منظمات الأعمال وأن تحترمها عادة ما تحددها الدولة، وفي حالة عكس ذلك فإنها تقع في إشكالية قانونية.

- **البعد الأخلاقي Ethical** يفترض في إدارة منظمات الأعمال أن تستوعب الجوانب القيمية والأخلاقية والسلوكية والمعتقدات في المجتمعات التي تعمل فيها، وفي حقيقة الأمر فإن هذه الجوانب لم تؤطر بعد بقوانين ملزمة لكن احترامها يعتبر أمراً ضرورياً لزيادة سمعة المنظمة في المجتمع وقبولها فعلى المنظمة أن تكون ملتزمة بعمل ما هو صحيح وعادل ونزيه.

- **البعد الخيري Philanthropic** ويرتبط بمبدأ تطوير نوعية الحياة بشكل عام وما يتفرع عن ذلك من عناصر ترتبط بالذوق العام ونوعية ما يتمتع به الفرد من غذاء وملابس ونقل وغيرها من جوانب أخرى.^(١٢)

٤- عوامل نجاح المسؤولية الاجتماعية للشركات^(١٣)

يرتبط نجاح الشركات في تبني مفهوم المسؤولية الاجتماعية، بالعديد من العوامل المرتبطة بالرؤية والتنظيم وهي كالتالي:

- ضرورة الإيمان بقضية المسؤولية الاجتماعية نحو المجتمع.
- قيام الشركة بتحديد رؤية واضحة نحو الدور الاجتماعي الذي تريد أن تتبناه والقضية الرئيسية التي ستهتم بالعمل على المساهمة في معالجتها.
- قيام الشركة بتخصيص مسؤول متفرغ لهذا النشاط وتحدد له الأهداف والمخططات المطلوبة،
- الاهتمام بجعل هذه البرامج الاجتماعية قائمة بذاتها مستقبلاً وتعمل على تغطية مصروفاتها ذاتياً.
- الحرص على تقديم هذه البرامج بأداء قوي ومتميز وجودة عالية.
- حسن إدارة الجوانب الاجتماعية التي تبرز أثناء قيام الشركات بنشاطها الاقتصادي، وتتمثل هذه الجوانب في الالتزام البيئي واحترام قوانين العمل وتطبيق المواصفات القياسية والتي تمثل تحدياً للشركات.

٥- معايير قياس المسؤولية الاجتماعية للشركات وتنقسم إلى:^(١٤)

- **معايير قياس حجم الإسهام الاجتماعي للشركة تجاه العاملين:**
 - معيار قياس مساهمة الشركة في حل بعض المشكلات الاجتماعية للعاملين لديها: تتمثل تلك المساهمة في تحمل الشركة بأعباء توفير السكن، وسائل الانتقال، التأمينات الاجتماعية، الرعاية الصحية، الرحلات الرياضية والترفيهية والثقافية.
 - مؤشر قياس مساهمة الشركة في رفع مستوى مهارة وكفاءة العاملين فيها، ويوضح هذا المؤشر ما تقوم الشركة بإفناقه على تعليم وتدريب وتثقيف العاملين بها من أجل تطوير مستواهم العلمي والتقني.
 - معيار قياس مساهمة الشركة في توفير الأمن الصناعي للعاملين بها.
 - معيار حصة العامل في توزيعات الأرباح السنوية للشركة.
- **معايير قياس مساهمة الشركة في تحقيق الرفاهية الاجتماعية والثقافية والرياضية، والمشاركة في المجالات التعليمية والصحية وفي كل ما يحتاجه أفراد المجتمع المحلي بشكل عام.**
- **معيار قياس مساهمة الشركة في توفير فرص عمل جديدة.**
- **معيار قياس مساهمة الشركة في تطوير وتحسين البنية التحتية في المنطقة المحيطة.**

■ معيار قياس مساهمة الشركة في الحفاظ على البيئة المحيطة: يشمل هذا المؤشر تكلفة ما تقدمه الشركة في إعداد الدراسات والأبحاث العلمية وإقامة الحدائق وتشجير المنطقة وشراء المعدات اللازمة وذلك من أجل منع التلوث ومنع الأضرار بهدف الحفاظ على بيئة محيطة.

٦- آليات تحقيق المسؤولية الاجتماعية

• العمل الاجتماعي Social action

يقصد به إتاحة الفرصة للأفراد للقيام بمهام مسؤولة في المجتمع يكون من شأنها النهوض بالمجتمع بما يعنى مساعدة الناس للعمل معا لتحسين حياتهم من خلال مزيداً من القوة لتنعكس على مجتمعاتهم المحلية وهذا لا يتحقق بدون الحكم الرشيد الذى يتيح عمل الأفراد ومؤسسات المجتمع المدني والقطاع الخاص ويشجع على المشاركة في الحياة المجتمعية مما يحقق رفاهية المجتمع وتحقيق غاياته.^(١٥)

• تشجيع الدولة للشركات

ويكون ذلك من خلال:

- ١- توفير مناخ ملائم لقيام الشركات بنشاطها ومواجهة تحديات المنافسة المحلية والعالمية.
- ٢- إعطاء القدوة الحسنة للشركات من خلال الإفصاح والإعلان بشفافية عن سياسات الحكومة المختلفة وتوفير المعلومات وإتاحتها وتحسين نظم الحكومة في الهيئات والإدارات المختلفة وتشجيع الشراكة بين القطاعين العام والخاص.
- ٣- تشجيع الشركات على التزامها بمسؤوليتها الاجتماعية اتجاه مختلف أصحاب المصالح من خلال الحوافر الضرورية وامتيازات الخاصة بالمنافسات الحكومية لفترة محددة وربطها بتحقيق أهداف اجتماعية بعينها.
- ٤- تنظيم حملات واسعة النطاق للترويج لمفهوم المسؤولية الاجتماعية للشركات خاصة الصغيرة والمتوسطة بأهمية هذه البرامج وأثرها على أرباح الشركات في المدى المتوسط والطويل.
- ٥- ترتيب أولويات التنمية الاجتماعية التي يتعين على قطاع الأعمال استهدافها وتحديد أكفأ الطرق للتعامل معها.
- ٦- رسم استراتيجية متكاملة للمسؤولية الاجتماعية يتم بناء عليها تحديد

الأولويات سيتم التعامل معها وأيضاً المبادئ العامة التي يجب أن تلتزم بها الشركات عند تنفيذ برامج المسؤولية الاجتماعية.

- 5- تحديد إطار زمني لتنفيذ هذه الاستراتيجية واختيار بعض المؤشرات التي تقيس مدى نجاح برامج الاستراتيجية في تحقيق الأهداف الموجودة منها.
6. تشجيع الشركات على الإفصاح والشفافية وعلى تبني معايير محددة بخصوص الإفصاح عن البيانات عبر المالية الخاصة ببرامج المسؤولية الاجتماعية.^(١٦)

• اتفاقيات المشاركة

قد تكون اتفاقيات المشاركة الثلاثية بين الحكومة والشركات والمنظمات غير الحكومية أحد الوسائل الفعالة لتمكين القطاع الخاص من الوفاء بالتزاماته الاجتماعية. وفي الوقت نفسه تمثل اتفاقيات المشاركة فرصة لعقد المنتديات حيث تستطيع فئات المجتمع المدني التعبير عما يعينها من قضايا كما يستطيع صانعو السياسات التشاور مع الشركات بشأن القوانين المتوقع صدورهما لجعلها أكثر فاعلية. كما تؤدي هذه المشاركات إلى دمج بعض أهداف مواطنة الشركات وأفكار واهتمامات مختلف القطاعات في برامج ناجحة وسياسة فعالة ومن المزايا المهمة الأخرى لاتفاقيات المشاركة الخاصة بمواطنة الشركات - ولا سيما في الدول النامية - إن شركات القطاع العام يمكنها التعرف على الممارسات المسؤولة من القطاع الذي يهدف إلى الربح وأن تهدي به في كيفية تطبيق مثل تلك الممارسات.^(١٧)

• الالتزام بمواطنة المؤسسات

إن مفهوم المواطنة يقوم على العقد الاجتماعي في المجتمع، فهو يقوم على الموازنة بين الحقوق والواجبات لكل مواطن أو مؤسسة... وإذا كان الفرد يتصرف وفق هذه الموازنة فإن المؤسسات التي تأخذ كل مقومات وجودها من المجتمع لا بد أن تتصرف على الأقل بطريقة مماثلة لتصرف المواطن من حيث الحقوق والواجبات.

ولأن المؤسسات عند نشوئها وتطورها تتصرف بطريقة تميل بقدر معين إلى عدم التوازن فإنها واجهت ضغوطاً واعتراضات من أجل أن تستعيد هذا التوازن الذي يفرضه عليها مفهوم المواطنة، ففي البداية كانت المؤسسات تعمل بتأثير الهدف الوحيد الضيق المتمثل بتحقيق أقصى الأرباح في المدى القصير من

أجل تعظيم قيمة حملة الأسهم وهذا التوجه كان في البداية على حساب جميع أطراف المصالح، وسرعان ما اكتشفت المؤسسات أنها لا تستطيع أن تحقق الكفاءة المطلوبة بدون العاملين (أحد أطراف المصلحة). وأفراد المجتمع المحيط بها (الطرف الآخر).

وهذا يعني أن مواطنة المؤسسات هي مجموعة المسؤوليات التي تمتد على نطاق واسع نسبياً يبدأ من المالكين ويمتد إلى الأطراف الأخرى وصولاً إلى المجتمع.^(١٨)

٧- معوقات أداء الشركات للمسؤولية الاجتماعية

إذا كانت أنشطة المسؤولية الاجتماعية تعتمد على مجموعة من الآليات وذلك على النحو الذي سبق ذكره فإنه يمكن القول أنه بدون عمل تلك الآليات وضعف الأنظمة القانونية فإنه لا يمكن طرح برامج المسؤولية الاجتماعية للشركات ومن هذه المعوقات:

- ١- غياب الوعي المجتمعي: يتمثل هذا المعوق في عدة صور من بينها
١- ضعف مستوى ثقافة المسؤولية الاجتماعية لدى معظم أصحاب القرار بالشركات.
- ٢- وجود فجوة بين مفهوم المسؤولية الاجتماعية والبرامج التطبيقية لها نتيجة عدم وضوح المفهوم.
- ٣- محدودية الدراسات والفعاليات التي أجريت لايضاح ثقافة المسؤولية الاجتماعية وتأخر الاهتمام بهذا الأمر بالمقارنة بدول أخرى من الاقتصاديات الناشئة مثل الصين والهند والبرازيل وجنوب إفريقيا.
- ٤- عدم توافر الاستراتيجيات اللازمة للعمل وغياب الشكل التنظيمي المخطط في أداء المسؤولية الاجتماعية وآليات العمل المرتبطة بها التي توفرها المنشآت.
- ٦- عدم توافر كوادر مؤهلة ووحدات إدارية متخصصة حيث غالباً ما تقوم بهذا الدور أقسام العلاقات العامة والدعاية في الشركة.
- ٧- ضعف التنسيق بين الشركات والجهات ذات الصلة بتنظيم الأداء في برامج المسؤولية الاجتماعية
- ٨- غياب المعلومات عن المجالات المطلوب أدائها في إطار المسؤولية الاجتماعية.

٩- عدم توافر معايير أو مؤشرات يمكن من خلالها قياس وتقييم أداء الشركة لمسؤوليتها الاجتماعية.^(١٩)

٢- معوقات ترجع للشركة نفسها منها:

أ- المعوقات الإدارية:

- عدم احتواء بعض الشركات على إدارة العلاقات العامة;
- نقص الخبرة لدى الذين يشغلون إدارات وأقسام الشركات فيما يتعلق بالأمور الاجتماعية والأخلاقية;
- ضعف الإحساس بالمسؤولية الاجتماعية والأخلاقية، الذي هو في الواقع مرتبط بفلسفة الإدارة العليا تجاه المجتمع والبيئة المحيطة، وضعف الاهتمام ببرامج المسؤولية الاجتماعية;
- إهمال الإدارات العليا في عملية اشتراك المستويات الإدارية الأخرى في عملية اتخاذ القرارات الاستراتيجية المتعلقة بموضوع المسؤولية الاجتماعية;
- غياب التنظيم لجهود معظم المؤسسات: فالمسؤولية الاجتماعية للمؤسسات حتى تكون فعالة فإنها بحاجة إلى أن تأخذ شكلاً تنظيمياً مهيكلًا، مبني على خطة وله أهداف محددة.
- غياب ثقافة العطاء للتنمية: حيث أن معظم جهود المؤسسات تنحصر في أعمال غير تنموية مرتبطة بإطعام الفقراء، توفير الملابس وغيرها....، دون التوجه نحو مشاريع تنموية تغير جذرياً المستوى المعيشي للفقراء.
- قلة الخبرة: وخاصة قلة المعارف والقدرة العلمية على وضع المعايير لقياس المجهودات،
- كما إنه يوجد حتى الآن خلط بين المسؤولية الاجتماعية والأعمال الخيرية نتيجة قلة الخبرة.
- عدم وجود اتصال فاعل من قبل الإدارات مع الجمهور.

ب- المعوقات القانونية وتتلخص في:

- الالتزام بنشاطات محددة تنص عليها القوانين والأنظمة;
- عدم وجود صيانة سياسية اجتماعية أخلاقية، التي هي وظيفة من وظائف التخطيط الاستراتيجي;

- عدم وضع دستور اجتماعي أخلاقي في منظمات الأعمال، كالذي يتم تطبيقه في كبرى الشركات في العالم؛
- عدم احترام التشريعات والقوانين والأنظمة في سبيل تحقيق المكاسب المادية وعندما يقدمون على مخالفة يضعون في حسابهم إحدى الاحتمالات التالية: قد لا يكتشف أمر المخالف؛ قد لا يتم إدانة المخالف؛ أما إذا اكتشف أمره أو دين فقد تغطي المكاسب المالية التي يحصل عليها ما يتحمله من خسائر؛
- لأن المسؤولية الاجتماعية هي التزام أخلاقي من قبل المديرين على الأغلب لم تفرضه القوانين والأنظمة بل تحتمه ضرورات المنفعة المجتمعية العامة أدت إلى ضعف الاهتمام بالمسؤولية الاجتماعية عند المدراء.

ج- المعوقات المالية: نذكر منها

- هدف بعض الشركات هو تعظيم الأرباح فقط؛
- الاعتقاد بأن إيلاء الاهتمام بالمسؤولية الاجتماعية يؤدي إلى خفض أرباح الشركة وإضعافها في المنافسة الدولية؛
- نقص الموارد المالية التي تحول دون الإسهام في نشاطات المسؤولية الاجتماعية؛
- صعوبة الجمع بين العمل المربح وعمل الشركة المتجاوبة اجتماعياً.

٣- ضعف التكامل الإقليمي والشراكات التنموية:

يتضح ذلك من خلال تفكك الجهود المبذولة من قبل المجتمع المدني رغم كثرة منظمات المجتمع المدني وقلة الفائدة المرجوة منها ففي كل تجمع سكني توجد على الأقل جمعية مجتمع مدني لكن يقتصر دورها على تقديم مساعدات للأيتام والأرامل في الأعياد والمناسبات الدينية لكن ليس لها دور قوي وفعلي في التنمية في المجتمع وذلك لأنها تقتصر في تمويلها على بعض التبرعات وتمويل الصندوق الاجتماعي فلا يوجد منظمة مجتمع مدني قادرة على إقامة شراكة حقيقية مع منظمات أخرى أو مع القطاع الخاص لتكاتف الجهود فيما بينهم ومن ثم تحقيق عائد تنموى أكبر يفيد المجتمع ويحقق التنمية.^(٢٠)

٨- نماذج المسؤولية الاجتماعية لشركات المحمول في مصر كأحد الشركات متعددة الجنسيات

شركة فودافون للاتصالات^(٢١)

تمثل شركة فودافون إحدى الشركات الرائدة في مجال المسؤولية الاجتماعية حيث يمتد نشاطها إلى أكثر من ٢٠ دولة حول العالم حيث ساهمت فودافون مصر ومؤسسة فودافون لتنمية المجتمع خلال الأعوام القليلة الماضية بأكثر من ١٤٠ مليون جنيه مصري من أجل تنمية المجتمع، من خلال عدة مشاريع ومبادرات تموية استفاد منها حوالي ٢ مليون مصري.

من أهم هذه المبادرات مبادرة مدرستي لتطوير أكثر من ٣٥٠ مدرسة من خلال تخصيص جزء من أرباح المكالمات لتطوير تلك المدارس تحت رعاية وزارة التربية والتعليم وتم اختيار ٢٠٠٠ فصل في ١٣٦ مدرسة في ٢٧ محافظة لخدمة ١٠٠ ألف تلميذ.

أيضاً مشروع دعم القرى الفقيرة وتطوير مجتمعاتها بالتعاون مع بنك الطعام وذلك لتوفير خدمات الرسائل الإعلامية للربط بين نقاط التوزيع التابعة لتلك المؤسسة الخيرية بجميع محافظات الجمهورية، فضلاً عن الاستفادة منها في دعم الأنشطة والأعمال الخيرية المتعددة لبنك الطعام. وذلك في إطار سلسلة مبادرات فودافون لدعم الأنشطة التنموية في المجتمع.

ومشروع تطوير وتنمية القرى (قريتي) لدعم ورعاية الأنشطة والفعاليات التنموية المختلفة داخل عدد من القرى والنجوع للمساهمة في تحقيق التنمية المستدامة داخل المجتمع المحلي من خلال تمكين وتوظيف المستفيد وتوفير دراجة بخارية له (قرض متناهي الصغر) لسهولة التنقل والوصول إلى المناطق المحرومة والنائية بالقرى، وتوفير منتجات فودافون (خطوط وكروت) للمستفيد ليقوم ببيعها والاستفادة من هامش الربح، وكذلك الوصول بتكنولوجيا المحمول إلى الأماكن النائية وتوظيفها من أجل تنمية المجتمع وتمكين وبناء قدرات المستفيدين في المشروع عن طريق التدريب. وقد استفاد من هذه المبادرة في المرحلة الأولى حوالي ٤٠٠ شخص «استفادة مباشرة» في ٨ محافظات وهي الفيوم، وبني سويف، والمنيا، وقنا، والشرقية، والغربية، والدقهلية، والمنوفية.^(٢٢)

وهناك أيضاً مشروع تنمية المجتمع المحلي في واحة سيوه باستخدام الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات في جهود توعية المرأة، ومحو الأمية، فضلاً عن توفير الرعاية الطبية، ودعم الوحدات الصحية وتطوير التعليم، إضافة إلى تنمية الزراعة المحلية، والمساهمة في تأسيس المشروعات الصغيرة والمتوسطة، فضلاً عن تطوير الحرف

اليديوية التي تشتهر بها سيوه. وإنشاء بوابة إلكترونية صغيرة على الإنترنت للتعريف بالواحة وعرض منتجاتها المختلفة.

كما ساهمت فودافون مصر بمشروع طرح منتجات وخدمات لذوي الاحتياجات الخاصة مثل خط «بدون كلام» للصم والبكم بأسعار خاصة ومختلفة للفيديو كول والرسائل القصيرة، وذلك لإتاحة الفرصة أمام الأفراد المنتمين لهذه الفئة والذين يصل عددهم في مصر إلى ما يزيد عن ٢ ملايين شخص للاستفادة الكاملة من تكنولوجيا التلفون المحمول والاتصالات، فضلاً عن المساهمة في خلق حالة من التواصل فيما بينهم وبين كافة أفراد المجتمع بطريقة أكثر فاعلية.

ومبادرة تنمية القيادات الشابة المعروفة باسم (YLI) وذلك بهدف تنمية قدرات المتدربين من طلبة الجامعات والخريجين الجدد بما يساهم في ضمان مستقبل أفضل لهم، فضلاً عن الانعكاس الإيجابي على جهود التنمية داخل المجتمع من خلال قيام مجموعة من موظفي الشركة بالتطوع لتدريب الطلبة على أحدث برامج تنمية القدرات والمواهب، لإكسابهم المهارات التي يحتاجها سوق العمل، كما تقوم الشركة بتوفير أماكن التدريب سواء في القاهرة أو خارجها، إضافة إلى تحمل الشركة لجميع مصاريف انتقال المتدربين من وإلى أماكن التدريب.^(٢٣)

وقامت الشركة أيضاً بحملة سنوية لمكافحة ظاهرة التسرب من التعليم من خلال تقديم الدعم لتلاميذ المدارس في عدد من المحافظات بالوجهين البحري والقبلي، وقد وزعت الشركة عدد كبير من الحقايب المدرسية على التلاميذ من الفئات الأقل حظاً في مدارس ١٠ محافظات، شملت الحملة توزيع أكثر من ٢٠ ألف حقيبة مدرسية على التلاميذ بقرى ومدن محافظات الإسكندرية، وطنطا، والزقازيق، والسويس، وبني سويف، والفيوم، وقنا، وأسيوط، والجيزة، وكفر الشيخ.

كما ضمت قائمة فودافون مصر عشرات المبادرات الناجحة والتي هدفت لدعم التنمية المستدامة داخل المجتمع منها: مشروع محطات المحمول بالطاقة الشمسية من أجل الحفاظ على البيئة وترشيد استهلاك الطاقة، مشروع بادر للعمل التطوعي في المدارس المصرية، ودعم الأولمبياد المصري لذوي الاحتياجات الخاصة في مصر والذي نتج عنه إنجازات رائعة على المستوى المحلي والمستوى الدولي واستفاد منه أكثر من ٢٠ ألف معاق. إضافة إلى مشروع مراكز تعلم الكمبيوتر وتكنولوجيا المعلومات للمعاقين بصرياً، مشروع توصيل ١٥٠ مدرسة في الصعيد بالإنترنت وإتاحة فرصة استخدام التكنولوجيا، فضلاً عن مبادرة صحي في مدرستي لإنشاء ٢٠٠٠ عيادة في المدارس الابتدائي في مصر، بجانب غيرها من المبادرات المتميزة.^(٢٤)

شركة موبينيل للاتصالات

أطلقت شركة موبينيل مبادرة للمساهمة في تنمية المجتمع المصري من خلال شراء أي منتج أو خدمة أو شحن رصيد الكروت أو سداد الفواتير أو غيرها من التعاملات باقتطاع مبلغ من هذه التعاملات لصالح دعم المشروعات الصغيرة التي توفر دخلاً كريماً للنساء المعيلات، وأطفال الشوارع، والشباب الذين يبدأون حياتهم العملية بمشروعات صغيرة، وغيرهم من الفئات محدودة الدخل. وبلغت حصيلة هذه الحملة التضامنية ٢٤ مليون جنيه وسيتم توزيعها على شبكة من المؤسسات الخيرية وهي: جمعية الأورمان، مؤسسة التضامن للتمويل الأصغر، الجمعية المصرية لشباب الأعمال، جمعية أنا المصري وكذلك «حملة تطعيم ضد شلل الأطفال»، التي نظمت تحت شراكتها مع اليونيسيف ووزارة الصحة والسكان وقد كانت هذه المبادرة مستمرة منذ عام ٢٠٠٦، على شكل سلسلة من حملات التحصين للقضاء على شلل الأطفال، وحتى أكتوبر ٢٠١١ هناك ١٢ مليون طفل تم تطعيمهم بنجاح.^(٢٥)

كذلك مبادرة موبينيل الكبرى التي أطلقت ٢٠١١ «من حق كل اليد المصرية للعمل». وقد نظمت بالتعاون مع خمس مؤسسات خيرية كبيرة والمنظمات في مصر. وكان الغرض من هذه المبادرة المسؤولية الاجتماعية للشركات لتدريب وإعداد ١٠٠,٠٠٠ من شباب المصريين للحصول على وظائف مناسبة من شأنها أن تسمح لهم لإعالة أسرهم.

المرحلة الأولى من المبادرة تعني العمل مع ٢٠٠٠ مستفيد في حاجة إلى مشاريع صغيرة مثل الخياطة والحرف اليدوية، والملابس التجارية. المرحلة الثانية تهدف إلى تمكين وإيجاد فرص عمل للأشخاص المشاركة من ذوي الإعاقة. وفي المرحلة الثالثة تم تأهيل وتمكين ١٢٠ مكفوف في غضون ٢٤ شهراً وذلك باستخدام خدمات تكنولوجيا المعلومات والتواصل مع برايل، وذلك كجزء من الجهود المتواصلة لموبينيل مساعدة الشباب المصري، برعاية موبينيل وإنجاز مصر عن إطلاق عشر شركات الصغيرة من خلال الجماعات الطلابية من مختلف الجامعات. ساهمت المرحلة الخامسة في التنمية الاقتصادية من خلال البرامج الميدانية وشبكة مخصصة لدعم ذوي الدخل المنخفض الحرفيين. وستسعى هذه المبادرة لتوظيف المصريين ١٠٠,٠٠٠ الاستمرار على السنوات القادمة وسوف يستمر في التوسع في كل من نطاق وعمق، من أجل الوصول إلى هدفها الطموح لتحسين حياة الشعب المصري.^(٢٦)

شركة اتصالات للاتصالات

قامت شركة اتصالات بعده مبادرات تنموية في المجتمع المصري منها مبادرة الماء أصل الحياة وهو مشروع تتبناه اتصالات في مختلف أنحاء الجمهورية من أجل المساهمة في القضاء على مشاكل المياه بالتعاون مع عدد من منظمات المجتمع المدني مثل هيئة كير الدولية وجمعية رسالة والجمعية المصرية للتنمية المتكاملة وغيرهم من منظمات تنمية المجتمع. ويتوقع أن يستفيد من المشروع مئات الآلاف من المواطنين في ٧ محافظات في العام الأول من تنفيذ المشروع. كما توفر اتصالات بعض تطبيقات تكنولوجيا الاتصالات مجاناً لذوي الاحتياجات الخاصة مثل رؤية وهو خدمات الفيديو كول للصم والبكم واتصالات مسموع للمكفوفين.^(٢٧)

ومن خلال العرض السابق لنماذج مساهمات شركات المحمول في تنمية المجتمع يمكن استنتاج أن هذه الشركات ساهمت في تحقيق جزء من مسؤوليتها الاجتماعية تجاه المجتمع من خلال مشروعات ساعدت في تحقيق إبعاد المسؤولية الاجتماعية في مصر. فمثلاً قامت شركة فودافون بتنفيذ مشروعات تضمنت البعد الاجتماعي من خلال المساهمة في القضاء على الأمية للأطفال وبناء مدارس لهم.

كذلك اهتمت الشركة بدعم البعد الاقتصادي من خلال فتح مجال لتنمية قدرات المتدربين من طلبة الجامعات والخريجين الجدد بما يساهم في ضمان مستقبل أفضل لهم.

وكذلك قامت شركة موبينيل بتطبيق مشروعات تنموية تضمنت البعد الاقتصادي والاجتماعي من خلال توفير فرص تدريب لتدريب وإعداد ١٠٠,٠٠٠ من شباب المصريين للحصول على وظائف مناسبة من شأنها أن تسمح لهم لإعالة أسرهم. مما يساعد على تمكين هؤلاء الشباب من خلال تفجير طاقاتهم وإبداعاتهم واستغلال إمكانياتهم وتبسيط الضوء عليهم أمام الشركات وأصحاب العمل.. لتوفير فرص عمل لهم وبالتالي ارتفاع مستوى معيشة أسر هؤلاء الشباب والقضاء على البطالة والعنوسة داخل المجتمع.

وقامت أيضاً شركة اتصالات بالاهتمام بالبعد الاجتماعي والإنساني ويظهر ذلك في اهتمامها بمشروعات توفير مياه.

كذلك اهتمامها بإيجاد تطبيقات يمكن من خلالها للمعاقين وذوي الاحتياجات الخاصة التعامل مع تكنولوجيا المحمول والتواصل مع الآخرين ودمجهم في المجتمع.

ومن خلال العرض السابق يمكن القول إن تحمل كل شركة لمسؤوليتها الاجتماعية واهتمامها بشركات فاعلة مع منظمات المجتمع المدني في المجتمع من شأنه أن يعود بكل النفع والخير على كلاً من المجتمع والشركة.

ورغم أن هذه التجارب لم تكن كاملة بشكلها الكافي الذي يخدم المجتمع إلا أنها من الممكن اعتبارها نواة وبداية لمنظومة متكاملة للمسؤولية الاجتماعية للشركات متعددة الجنسيات والمحلية... من خلال تقييم هذه التجارب والاستفادة منها وتعميمها على الشركات في قطاعات إنتاجية وخدمية أخرى والتعرف على المعوقات ومحاولة التغلب عليها.

٩- النتائج العامة ودلالاتها

١- نتائج متعلقة بآليات تطبيق المسؤولية الاجتماعية

بالنظر إلى آليات تحقيق المسؤولية والتي تمثلت في العمل الاجتماعي واتفاقيات المشاركة والالتزام بمواطنة المؤسسات نجد أنه لا يمكن تحقيق ذلك دون تكامل الأدوار الخاصة بكل الأطراف المعنية في المجتمع مثل الحكومة والمجتمع المدني والأفراد وذلك من خلال الآتي أن تقوم الحكومة بإصدار تشريعات تتفق ومتطلبات التنمية بأن يكون هناك التزام على كل طرف معني في عملية التنمية وأن يتضمن التشريع سبل تحقيق هذا الالتزام... مع توفير كافة الحقوق لكل طرف أيضاً إرساء لمبدأ عدالة الحقوق والواجبات مع توفير بيئة اقتصادية واستثمارية آمنة مشجعة لأصحاب الشركات لإقامة المشروعات الخاصة بهم وتقديم التسهيلات اللازمة دون المساس بحقوق باقي الأفراد في المجتمع.. وأن تكون هناك عدالة في المسؤوليات والمحاسبة بين كل الشركات الموجودة سواء متعددة الجنسيات أو المحلية.. فالتنمية قرار حكومي وتنفيذها هو رغبة من المواطنين فلا يمكن تحقيق تنمية دون إشراك المعنيين والمستفيدين بها فإذا تحقق ذلك فيمكن لنا أن نرى صوراً مختلفة للجودة الاجتماعية داخل المجتمع متمثلة في وحدة الهدف وتحمل كل طرف مسؤولياته من خلال تفعيل مبدأ المواطنة النشطة داخل كل فرد ومؤسسة ويحتاج كل ما سبق إلى حكومة واعية لديها قدرة على الإدارة الجيدة وتشريع قوى وفعال لا يستثنى أحد كذلك هناك أيضاً ضرورة التفاعل بين القطاع الخاص وجمعيات المجتمع المدني في المجتمع وذلك للاستفادة بما تملكه كل منهما حيث يملك القطاع الخاص رأس المال ويملك المجتمع المدني القرب

والمعايشة لاحتياجات الأفراد داخل المجتمع ودراية بأهم الاحتياجات وتديد المستفيدين حيث لا يمكن لأحد أى يحدد احتياجات منطقة معينة غير ساكنيها الفعليين وهذا ما توفره جمعيات الأهلية في كل منطقة وحي. وكل ما سبق من شأنه استثمار رأس المال الاجتماعي في المجتمع وإتاحة الفرصة للأفراد للتعبير عن آرائهم واستغلال قدراتهم في تحقيق النفع للمجتمع.

٢- نتائج متعلقة بمعوقات تحقيق المسؤولية الاجتماعية للشركات

بالنظر إلى معوقات تحقيق المسؤولية الاجتماعية للشركات في مصر التي تمثلت في غياب الوعي المجتمعي ومعوقات سببها الشركات نفسها وضعف التكامل الإقليمي والشراكات التنموية كل ذلك يؤكد على ضرورة تحقيق التكامل بين أطراف المجتمع ككل من حكومة ومجتمع مدني وقطاع خاص وأفراد حيث أن كل جاني يؤثر على الآخر فمثلاً نحتاج لحكومة قوية وفعالة لديها تشريع واضح لتحديد مسؤولية الشركات في المجتمع كذلك يجب أن يكون المجتمع المدني ملم باحتياجات المجتمع المحلي له وتحديد أولوياتها ولديه مقترح واضح لعلاجها فمثلاً لا يمكن أن تقوم شركة ما أداء دورها الاجتماعي تجاه المجتمع دون تقديم دعم من الحكومة متمثل في تقديم تسهيلات لأداء الشركة دورها وتوجيهها نحو ما يحتاجه المجتمع من خدمات كالتعليم والبنية التحتية وتوفير العمل.. وغير ذلك حيث لا يمكن لقطاع واحد في المجتمع أن يحقق التنمية دون تكاتف باقي الجهود معه وهو ما يؤكد على فكرة ضرورة تحقيق التماسك والاندماج الاجتماعي بين أطياف المجتمع المختلفة سواء من خلال التعاون لتحقيق الأهداف التنموية أو جنى ثمارها.

٣- الدلالات النظرية

في ضوء مدخل التنمية البشرية المستدامة يمكن تفسير أسباب معوقات المسؤولية الاجتماعية للشركات في المجتمع المصري. حيث يحتاج الأمر إلى تكامل الجهود المبذولة من كافة الأطراف وتفعيل الشراكات المحلية بين المجتمع المدني والقطاع الخاص والدولة أن يكون للفرد دور فيها وأن يتم ذلك في ضوء تنظيم وتشريع فعال في المجتمع المصري مما يساعد على تعزيز مبدأ المسؤولية الاجتماعية للشركات.

٤- الدلالات التطبيقية

أ- التوصيات وخيارات المستقبل

في ضوء النتائج العامة ودلالاتها النظرية يمكن التوصل لمجموعة من التوصيات التي تفيد في تحقيق المسؤولية الاجتماعية للشركات في المجتمع المصري وهي كما يلي:

١- ويجب على الدولة أن تستحدث تشريعات تضمن فيها حقوق كل الأطراف الموجودة في المجتمع وكذلك توضح واجباتها وخاصة الشركات متعددة الجنسيات بعدما أثارت جدلاً واسعاً في الفترة الأخيرة حول ما تمتاز به من حقوق ومدى نفعها للاقتصاد في مصر وهل هي أداة تنمية فعلاً... أم الهدف منها الضرر بالاقتصاد المصري.

٢- الاهتمام بدعم العمل الاجتماعي في مصر ليكون نواة للتنمية الحقيقية على أن يتم ذلك بشكل منظم وقانوني وأن تحمي وزارتي الصناعة والشؤون الاجتماعية بالدولة هذا العمل وتوجهه من خلال ما لديها من خطط للتنمية ومن ثم يمكن التغلب على كثير من المشكلات التي يعاني منها المجتمع.

٣- أن تهتم الدولة بمتابعة النشاط الاجتماعي للشركات وتشجيعه من خلال تقديم التسهيلات المطلوبة لها من خلال سرعة إنهاء الإجراءات الرسمية ومدها بالأدوات المطلوبة إن تطلب الأمر ذلك كما في رصف الطرق وتوصيل المياه وغيرها فلا يمكن إتمام ذلك بعيداً عن الدعم الرسمي للدولة بمنحها بعض التسهيلات المطلوبة.

٤- دعم اتفاقيات المشاركة داخل المجتمع: وذلك من خلال إتاحة الفرصة لمنظمات المجتمع المدني بالتحرك داخل المجتمع والوصول للشركات ذات المسؤولية الاجتماعية وتوحيد الجهود فيما بينهم ويحتاج ذلك إلى إعلام محلي قوي وجاد ومسؤول أخلاقياً بحيث يعلن عن هذه الأنشطة بسهولة الوصول لهذه المؤسسات وللمشاركة معها ويمكن لتحقيق ذلك أن يكون هناك منشور دوري بالمؤسسات التي تمارس أنشطة اجتماعية داخل المجتمع ونوع هذه الأنشطة والفترة الزمنية المتوقعة لإنهاء المشروع وما يحتاجه المشروع من جهد بشري أو دعم فني لإتاحة الفرصة للمهتمين للتعاون في إكمال المشروع.

٥- الاهتمام بنشر وتعزيز مواطنة الشركات: وذلك من خلال عمل كثير من الندوات والمؤتمرات والوسائل الإعلامية المختلفة للوصول لأصحاب

الشركات وتوضيح أهمية دور مؤسساتهم في النهوض بالمجتمع وضمان حياة كريمة للفرد وكذلك توضيح مزايا المسؤولية الاجتماعية لهم ومردودها الإيجابي على الشركة نفسها. ويمكن أن تقدم الدولة بعض الامتيازات للشركة ذات المسؤولية الاجتماعية كخفض الضرائب أو الجمارك على صادراتها وواردتها وتيسير إجراءات إنشاء فروع أخرى لها.. حتى يكون ذلك حافز لباقي الشركات للدخول في العمل الاجتماعي.

ب- قضايا جديرة بالبحث في المستقبل

من خلال ما سبق يمكن طرح عدد من القضايا الجديرة بالبحث في المستقبل مثل:

- ١- دراسة العلاقة بين المسؤولية الاجتماعية للشركات والاندماج الاجتماعي.
- ٢- دراسة دور المجتمع المدني في دعم التماسك الاجتماعي.
- ٣- دراسة العلاقة بين الشراكات المحلية وتحقيق التنمية.
- ٤- الشركات متعددة الجنسيات والاندماج الاجتماعي في مصر.

المراجع

المراجع العربية

أولاً: الكتب العربية

- ١- رضا عبد السلام، العلاقات الاقتصادية الدولية بين النظرية والتطبيق، الرياض: مكتبة الزهراء، ١٩٩٩.
- ٢- عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٥.
- ٣- كامل مهنا، المسؤولية الاجتماعية للقطاعين العام والخاص بإزاء منظمات المجتمع المدني حالة لبنان، مؤسسة عامل، الشبكة العربية للمنظمات الأهلية، لبنان، ديسمبر ٢٠١٠.

ثانياً: المجلات والدوريات العلمية

- ١- تقرير المسؤولية الاجتماعية للشركات في مصر ٢٠١١، نقلاً عن الموقع الإلكتروني: www.idsc.gov.eg
٢. تقرير مؤتمر القمة العالمي للتنمية المستدامة، جوهانسبرج، جنوب إفريقيا، ٢٦ آب ٤ أيلول ٢٠٠٢، نيويورك، ٢٠٠٢.
٣. نهال المغريل، ياسمين فؤاد، المسؤولية الاجتماعية لرأس المال في مصر: بعض التجارب الدولية، ورقة عمل رقم ١٢٨ المركز المصري للدراسات الاقتصادية، القاهرة، سبتمبر ٢٠٠٨.
٤. تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠٠٣، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، نيويورك، ٢٠٠٣.
٥. تقرير مشترك حول: عوامل التنافسية والتماسك الاجتماعي من أجل بناء فضاء متكامل... للحكومات وجميع الهيئات الاجتماعية الضالعة في بناء فضاء أوروبتيوسطي متكامل. متاح على الإنترنت في www.eesc.europa.eu/resources/docs/social-cohesion-arabic
٦. حسين الأسرج، المسؤولية الاجتماعية للشركات، مجلة جسر التنمية، الكويت، العدد ٩٠، ٢٠١٠.

ثالثاً: المؤتمرات وورش العمل

١. هاني خميس، الشركات متعددة الجنسيات بين حقوق المواطنة والمسؤولية الاجتماعية، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، المؤتمر العلمي السنوي الحادي عشر: المسؤولية الاجتماعية والمواطنة، القاهرة، ٢٠٠٩.
٢. علي ليلة، المسؤولية الاجتماعية تعريف المفهوم وتعيين بنية المتغير، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، المؤتمر العلمي السنوي الحادي عشر: المسؤولية الاجتماعية والمواطنة، القاهرة، ٢٠٠٩.
٣. صالح السحباني، المسؤولية الاجتماعية ودورها في مشاركة القطاع الخاص في التنمية، حالة تطبيقية على المملكة العربية السعودية، المؤتمر الدولي الأول حول دور القطاع الخاص في التنمية، تقييم واستشراف، بيروت، ٢٣-٢٥ مارس ٢٠٠٩.
٤. أحمد نظيف، المؤتمر الثاني للمسؤولية الاجتماعية للشركات «الاستثمار وممارسات العمل المسئول»، مركز المديرين، وزارة الاستثمار، القاهرة، ٢٣ مارس ٢٠٠٩.
٥. جوش ليتشمان، مواطنة الشركات: مفهوم المواطنة وتطبيقاته في مجال الأعمال، مركز المشروعات الدولية الخاصة، متاح على الإنترنت في www.cipe-arabia.org.pdf

المراجع المترجمة

١. ريمون حداد، «نظرية التنمية المستدامة»، برنامج دعم الأبحاث في الجامعة اللبنانية، بيروت، ٢٠٠٦.
٢. أمارتيا صن، ترجمة شوقي جلال، «التنمية حرة»، عالم المعرفة، مطابع السياسة، الكويت، أيار ٢٠٠٤.
٣. ف. دوجلاس موسشيت، «مبادئ التنمية المستدامة»، ترجمة بهاء شاهين، الدار الدولية للاستثمارات

الثقافية، القاهرة، ٢٠٠٠.

٤. الكسندر سكولنيكوف وجوش ليتشمان وجون سوليفان، النموذج التجاري لمواطنة الشركات، مركز المشروعات الدولية الخاصة، التقرير رقم ٤١٠، ٢٧ ديسمبر ٢٠٠٤.

مقالات متاحة على الإنترنت

١- حسين عبد المطلب الأسرج، المسؤولية الاجتماعية للشركات، التحديات والآفاق من أجل التنمية:
<http://mfii.academia.edu/HusseinAlasrag/Papers/668579>.

٢- صالح سليم الحموري، المسؤولية الاجتماعية: المجتمعية بين النظرية والتطبيق،
<http://www.arabvolunteering.org/corner/avt27162.htm>.

٣- رابع عرابة ووهيبة بن داودية، المسؤولية الاجتماعية للشركات ودورها في التنمية، متاح على:
<http://www.iefpedia.com/arab/?p=32383>.

٤- ابراهيم محمد باداود، عوامل نجاح المسؤولية الاجتماعية، متاح على:
<http://www.syriabusiness.org/modules.php?name=Forums&file=viewtopic&t=37>.

٥- محمد فلاق، معوقات تطبيق المسؤولية الاجتماعية للشركات، مقال منشور على الإنترنت في
<http://www.csr.sa.net/index.php/component/content/article/245-2012-07-17-20-43-02>.

المراجع الأجنبية

- 1- Journal of Social Quality, Vol. 1, Num. 1, Berghahn Journals, New York. Oxford, Summer 2011.
- 2- Anarew markus, mapping social cohesion, the Scanlon foundation surveys, report, 2011.
- 3- mikael stigendal, cities and social cohesion, Malm University, Department of Urban Studies, 2010 available on line at <http://www.mikaelstigendal.se>.
- 4- Carroll Archie, The Pyramid of Corporate Social Responsibility Toward The Moral Management of Organizational Stakeholders, Business- Horizons, July. August, 1991.
- 5- Coro Strandberg (2009), le rôle de la gestion des ressources humaines dans la responsabilité sociale d'entreprise, rapport. préparé. pour. industrie, Canada, available on, line.

المواقع الإلكترونية

- 1- www.cohesioninstitute.org.uk.
- 2- www.vodafone.com.eg/vodafoneportalWeb/.../P6125222812...
- 3- www.youm7.com.
- 4- http://etisalat.com.eg/etisalat/Etisalat_Portal_Ar/search_ar/personal_search_ar.htm.
- 5- <http://translate.google.com.eg/translate?hl=ar&langpair=en%7Car&u=http://theentrepreneurialist.ne2011/01/29/vodafone-egypt-a-tale-of-profits-over-ethics/>.
- 6- <http://www.egyptict.org/Article.aspx?ArticleID=6362&SectionID=>.

- 7- www.eqtesady.com/site/index.php?go=news&mor.
- 8- www.mobinil.com/Almasry.
- 9- <http://www.csr.sa.net>.
- 10- www.ic.gc.ca/.../RESSOURCES_HUMAINES.../RESSOURCES_HU..., p02, le 6-9-2012, 16: 04..
- 11- www.socialcontract.gov.eg.

الهوامش

- ١ - برنامج الأمم المتحدة الإنمائي. تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠٠٣، نيويورك، ٢٠٠٣، ص ١٥-١٦.
- ٢- ريمون حداد، «نظرية التنمية المستدامة»، برنامج دعم الأبحاث في الجامعة اللبنانية، بيروت، ٢٠٠٦، ص ٤.
- ٣- تقرير مؤتمر القمة العالمي للتنمية المستدامة، جوهانسبرج، جنوب إفريقيا، ٢٦ آب ٤ أيلول ٢٠٠٢، نيويورك، ٢٠٠٢، ص ١٠-١٥.
- ٤- أمارتيا صن، ترجمة شوقي جلال، «التنمية حرة»، عالم المعرفة، مطابع السياسة، الكويت، أيار ٢٠٠٤، ص ٧.
- ٥- ف. دوجلاس موسشيت، «مبادئ التنمية المستدامة»، ترجمة بهاء شاهين، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ١٧.
- ٦- حسين عبد المطلب الاسرج، المسؤولية الاجتماعية للشركات، التحديات والآفاق من أجل التنمية: <http://mfiti.academia.edu/HusseinAlasrag/Papers/668579>.
- ٧- صالح سليم الحموري، «المسؤولية الاجتماعية» المجتمعية بين النظرية والتطبيق، <http://www.arabvolunteering.org/corner/avt27162.htm>.
- ٨- هاني خميس، الشركات متعددة الجنسيات بين حقوق المواطنة والمسؤولية الاجتماعية، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، المؤتمر العلمي السنوي الحادي عشر: المسؤولية الاجتماعية والمواطنة، القاهرة، ٢٠٠٩، ص ٤.
- ٩- رضا عبد السلام، العلاقات الاقتصادية الدولية بين النظرية والتطبيق، الرياض، مكتبة الزهراء، ١٩٩٩، ص ٢٢٦.
- ١٠- رابع عرابة ووهيبة بن داودية، المسؤولية الاجتماعية للشركات ودورها في التنمية متاح على: <http://www.iefpedia.com/arab/?p=32383>
- ١١- الكسندر سكولنيكوف وجوش ليتشمان وجون سوليفان، النموذج التجاري لمواطنة الشركات، مركز المشروعات الدولية الخاصة، التقرير رقم ٤١٠، ٢٧ ديسمبر ٢٠٠٤، ص ٧.
- 12- Carroll Archie, The Pyramid of Corporate Social Responsibility Toward The Moral Management of Organizational Stakeholders, Business- Horizons, July. August, 1991, p 405.
- ١٣- ابراهيم محمد باداود، عوامل نجاح المسؤولية الاجتماعية، متاح على: <http://www.syriabusiness.org/modules.php?name=Forums&file=viewtopic&t=37>
- ١٤- صالح السحيباني، المسؤولية الاجتماعية ودورها في مشاركة القطاع الخاص في التنمية، حالة تطبيقية على المملكة العربية السعودية، المؤتمر الدولي الأول حول دور القطاع الخاص في التنمية، تقييم واستشراف، بيروت، ٢٠٠٩، مارس، ٢٣-٢٥.
- ١٥- مركز العقد الاجتماعي ومركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار، نحو عقد اجتماعي جديد في مصر. متاح على الإنترنت في: www.socialcontract.gov.eg
- ١٦- أحمد نظيف، المؤتمر الثاني للمسؤولية الاجتماعية للشركات «الاستثمار وممارسات العمل المسؤول»، مركز المديرين، وزارة الاستثمار، القاهرة، ٢٣ مارس ٢٠٠٩، ص ٦.

- 17- Coro Strandberg (2009), le rôle de la gestion des ressources humaines dans la responsabilité sociale d'entreprise, rapport. préparé. pour. industrie, Canada, available, on, line [www. ic. gc. ca/... /RESSOURCES_HUMAINES... / RESSOURCES_HU...](http://www.ic.gc.ca/.../RESSOURCES_HUMAINES.../RESSOURCES_HU...), p 02, le 6- 9-2012, 16: 04..
- ١٨- جوش ليتشمان، مواطنة الشركات: مفهوم المواطنة وتطبيقاته في مجال الأعمال، مركز المشروعات الدولية الخاصة، متاح على الإنترنت في [www. cipe-arapia. org. pdf](http://www.cipe-arapia.org.pdf)
- ١٩- حسين الأسرج، المسؤولية الاجتماعية للشركات، مجلة جسر التنمية، الكويت، العدد ٩٠، ٢٠١٠، ص ١٢.
- 20-<http://www.csr.sa.net/>.
- 21-[www. vodafone. com. eg/vodafoneportalWeb/... /P6125222812...](http://www.vodafone.com.eg/vodafoneportalWeb/.../P6125222812...)
- 22-[www. youm7. com](http://www.youm7.com).
- 23-[www. eqtesady. com/site/index. php?go=news&more...](http://www.eqtesady.com/site/index.php?go=news&more...)
- 24-[http: //translate. google. com. eg/translate?hl=ar&langpair=en%7Car&u=http: // theentrepreneurialist. ne2011/01/29/vodafone-egypt-a-tale-of-profits-over-ethics/](http://translate.google.com.eg/translate?hl=ar&langpair=en%7Car&u=http://theentrepreneurialist.ne2011/01/29/vodafone-egypt-a-tale-of-profits-over-ethics/).
- 25-[www. mobinil. com/Almasry](http://www.mobinil.com/Almasry).
- 26-[http: //www. egyptict. org/Article. aspx?ArticleID=6362&SectionID=](http://www.egyptict.org/Article.aspx?ArticleID=6362&SectionID=).
- 27-[http: //etisalat. com. eg/etisalat/Etisalat_Portal_Ar/search_ar/. personal_earch_ar. htm](http://etisalat.com.eg/etisalat/Etisalat_Portal_Ar/search_ar/.personal_earch_ar.htm).

الشباب والتحديات المعاصرة (مقارنة قرآنية ثقافية)

د. حبيبة شهرة



تمهيد

يواجه الشباب اليوم تحديات عديدة منها: الثقافية، والاجتماعية، والسياسية، والفكرية، والاقتصادية، والعلمية، أمام انتشار ثقافة الترف والاستهلاك وعشق المظاهر.

ومن خلال جسور وقنوات مفتوحة ومحدوديتها في مواجهة هذا التحدي، بعد أن أصبحت تتجه نحو تهमيش وإلغاء المحتوى الأخلاقي وإقصاء القيم الإنسانية العامة، ونشر كل أشكال التمييع الثقافي في الفضائيات الخارجية والداخلية، وفي الكليات والمدارس، مما أعطى ضعف فهم دَخل مباشرة في كل بيت وغرفة ومكتب وفي كل زمان ومكان، إلى

جانب قصور العملية التعليمية وضحالة الوعي بمجريات الحياة الإنسانية بشكل عام وبالتغيرات التكنولوجية الحديثة المعاصرة بشكل خاص.

وإن كان الشباب يمثل ثروة الأمة وكنزها الثمين فهو طليعة التغيير المنشود، وهذه الثورة المهمة إما أن تستثمر بشكل سليم نحو التطوير والبناء أو تهدر من خلال سوء استثمارها، مما يؤدي بها إلى ضياع أو فساد.

• كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإسلامية، جامعة عمار التليجي، الأغواط/الجزائر.
biba.sharaf@gmail.com / biba-biba58@hotmail.fr

ومن هنا أدركت الشعوب قديماً وحديثاً أهمية هذه الثروة، لكن بقيت عاجزة تجاهها في طريقة توظيفها وترشيد استثمارها.

تتناول هذه الورقة المتواضعة جانباً من هذه التحديات، وهي التي تتعلق بالتحديات المعاصرة وتأثيرها على سلوك الشباب، وهي شكل خطير من أشكال التحدي الذي يواجهه المجتمع المسلم في هذا العصر، وخاصة شريحة الشباب، وذلك من خلال ظهور بعض الظواهر والمعوقات في استلاء مفردات شخصيته الإسلامية، واستلابه نفسياً.

ويحاول هذا البحث رصد هذه التحديات، وما الوسائل الكفيلة بالتعامل مع هذه التحديات ومواجهتها وستتضمن الورقة، تمهيد ومقدمة، وفيه بيان أهمية الموضوع وخطورته. المحور الأول: رؤية قرآنية لمكانة الشباب. المحور الثاني: أقسام التحديات وطبيعتها ومظاهرها. المحور الثالث: كيفية مواجهة هذه التحديات وصور التعامل معها. الخاتمة: وتتضمن المقترحات والتوصيات.

مقدمة

إن الشباب هم فئة من البشر لهم تكوينهم البيولوجي والسيكولوجي المختلف عن غيرهم، ولهم أوضاعهم الاجتماعية ومواقفهم المختلفة عن نظائرها عند الشرائح العمرية الأخرى. الأمر الذي يدفع إلى ظهور مجموعة من القيم أو المعايير التي تتوافق مع احتياجات هذه الشريحة، إضافة إلى قدرتها على توجيه سلوكيات الشباب في مختلف مجالات الواقع الاجتماعي،^(١) مع ربط هذه الفئة العمرية بشباب الرعيل الأول لعلنا بهذا الجسر نستطيع إرجاع الأمل لهذه الشريحة ونسترد بها تراثنا وثقافتنا المنبثقة من شريعتنا السمحاء التي لا تصلح الحياة إلا بالعودة إليها.

إن أعداء الأمة الإسلامية يسعون اليوم إلى احتلال شبابنا وفتياتنا فكرياً وثقافياً واقتصادياً وعلمياً وأخلاقياً، مستخدمين في ذلك شتى الوسائل المتاحة في عصرنا هذا، نتيجة للتطور والتقدم التكنولوجي والمعلوماتي، وسهولة التواصل الذي لم يشهد له العالم مثيل من قبل، حيث يقومون اليوم بتوجيه تلك الأسلحة الفتاكة نحو شباب وفتياتهم مستقبل أمتهم الإسلامية، وهم طريق الازدهار، وتقدم شعوبهم ودولهم، وهم قوة الإسلام ودرعه وحصنه وحماته ومركز عزته.

فإذا تمكن الأعداء من الاحتلال والسيطرة على هذه الفئة من المجتمع عقائدياً وفكرياً وأخلاقياً، فإنهم سيتمكنون من احتلال الأراضي الإسلامية والاستيلاء على ثرواتها بسهولة ويسر وبأقل الخسائر والتضحيات.

وقبل الشروع في التحدث عن هذه التحديات لا بد من فهم معنى (شباب) وما هي اللفتة القرآنية لفهم هذا المصطلح وهل استعمل القرآن الكريم هذا المصطلح بعينه أم بالإشارة إليه؟ وهل كان للشباب حظ في القرآن الكريم؟

المحور الأول: رؤية قرآنية لمكانة الشباب

هل اهتم القرآن بفئة الشباب؟

قد ينبثق هذا السؤال لقارئ القرآن الكريم، وهو سؤال مشروع ولكن هل يتصور أن يغفل الدين السماوي الخاتم عن الإشارة لقضايا الشباب وهو الدين الذي انتصر بهماتهم وسواعدهم الفتية؟

عندما نتصفح كتاب «نهج البلاغة» نتيقن أن الشباب قاموا بدور عظيم لنصرة الإسلام، ومقولة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام خير شاهد على ذلك إذ نجده يسفه منطق (إن ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب) بقوله: (لله أبوهم! وهل أحد منهم أشد لها مراساً، وأقدم فيها مقاماً مني! لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، وها أنذا قد ذرفت على الستين!...) (٢).

كما أن شيوخ قريش، ثارت ثائرتها في بداية الدعوة، نظراً لإقبال شبابهم على الدخول في الإسلام واضطهرهم هذا الأمر إلى أن يشكوا ذلك لأبي طالب بقولهم: (يا أبا طالب، إن ابن أخيك قد سفّه أحلامنا، وسبّ آلهتنا، وأفسد شبابنا، وفرق جماعتنا). (٣)

ومن تصفح السيرة النبوية الشريفة، يلاحظ مقدار العناية النبوية الواضحة بجيل الشباب وكيف أنه صلى الله عليه وسلم أعطاهم المكانة اللائقة بهم، وسأشير لذلك في السطور القادمة. وقد يقول قائل، إذا كان القرآن الكريم قد عني بموضوع الشباب فأين نجد ذلك فيه، وهو لم يحوي على مصطلح (الشباب) في آية؟ وبالفعل لم يرد هذا المصطلح، ولكننا سنجد ألفاظاً أخرى تقارب هذا المصطلح وذلك في قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ (الكهف: ١٠) ويقول أيضاً: ﴿... إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ (الكهف: ١٠) وقال أيضاً: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ (الأنبياء: ٦٠)

استخدم القرآن الكريم لفظة (الفتية) بمعنى (شبَّان) للتعبير عن أهل الكهف كما استخدم لفظة (الفتى) للإشارة للنبي إبراهيم عليه السلام، ويبدو أن كلمة الفتى تشير إلى من يملك الفتوة وهي الرجولة والبطولة والشجاعة. ^(٤) ونخلص إلى أن مصطلح الفتوة في القرآن الكريم هو المرادف الأقرب لمصطلح الشباب، بما يحمله من معاني العنفوان والشدة والبأس. وهم الأفراد الذين تقع أعمارهم ما بين ١٥ إلى ٢٤ سنة حسب التعريف الذي اعتمدته جمعية العالم للأمم المتحدة، أو الأفراد الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥-٣٠ سنة، كما يرى بعض المتخصصين في علم الاجتماع.

وعليه فتعريف الشباب هو تلك المرحلة العمرية والنفسية التي تميز بها الفرد المتسم بالنمو والفورة والقوة والشعور بالذات، ورقة المشاعر والاستعداد للتضحية في سبيل اختياره لمساره في الحياة، وهي تبدأ بالبلوغ وتنتهي بالرجولة، وهي آخر طور كمال الرجولة. وكما قال الثوري عندما سئل عن الشباب قال: الشباب جمع شاب، ويجمع على شبَّان وشيبة، والشاب من أصحابنا من بلغ ولم يتجاوز الثلاثين سنة. ^(٥)

ومن نماذج من تربوا على مائدة القرآن وأحضان النبوة الزبير بن العوام رضي الله عنه فكانت له شجاعة فائقة دفعته إلى أن ينازل كتيبة وحده، وفي رواية للبخاري أنه اشترك مع جماعة أو ثلة فيقتضي على ثلاثمائة من هوازن التي بلغ عددها ستمائة. ^(٦)

وسلسلة أسماء الشباب طويلة ومنها أسامة بن زيد رضي الله عنه الذي كلفه رسول الله ﷺ قيادة الجيش حتى بعد وفاته رغم حداثة سنه، وبسالة سلمة بن الكوع في غزوة ذي القرد... إلخ. كما لا نحذف بطولات ربات الخدور: أم عمارة وأم سليم وأم الحارث وخولة بنت الأزور وغيرهن كثير عبر التاريخ. ^(٧)

المحور الثاني: التحديات المعاصرة التي تواجه الشباب

أولاً: التحدي الفكري الثقافي

هناك اهتمام متزايد بموضوع الشباب تتبارى فيه الدول كي تستحوذ على عقولهم لما ترى فيه صلاحها، فأنظمة الحكم في كل الدول تريد من الشباب أن يسيروا وفق رغباتها، ولذا فإنها تستثمر ماكينه الإعلام وجميع وسائلها التربوية والثقافية، بل حتى القمعية منها، بهدف خدمة تطلعاتها وأهدافها. وها هو فرعون يعلنها صراحة إذ يقول: ﴿مَا أَرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (غافر: ٢٩).

فالشباب يشكلون العبء الذي تضيق به السلطات ذرعاً وتخشاه، في الوقت نفسه الذي تقصر فيه أيما تقصير في وضع الاستراتيجيات الكفيلة بحسن توزيع طاقاتهم الإنتاجية، وتوفيقهم على البذل والعطاء. أنها تُسَكِّن الأوجاع، وتخدر الوعي من خلال ملهاة وزارة الشباب والرياضة، وكأن قضية الشباب هي مجرد مباريات كرة.^(٨)

ومن الواضح أن الشباب يتأثر بالتحشيد أكثر من تأثره بعملية الإقناع، فعندما يصنع رأياً عاماً في مجتمع ما حول مسألة معينة، فإن الشباب يتناسق مع عملية التحشيد هذه بطريقة «سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ» (الأعراف: ١٦٦) ومن يعيش ضمن محيط بشري أحادي الرؤية، أو مخالف لمسلّماته وقناعاته، لا بد أن يمرّ بحالتين - إن لم يشاء اعتزال مجتمعه - وهما التأثير أو التأثر، فإن كان يمتلك وعياً وحصانة وقوة، فسيغدو مؤثراً في الآخرين من حوله، وإلا فسيُتأثر بهم ليصاغ فكره وسلوكه، كما سيغدوا مؤثراً في الآخرين من حوله، وإلا فسيُتأثر بهم ليصاغ فكره وسلوكه كما يشاءون وربما عاش مؤثراً ومتأثراً يحمل النقيضين.

ونجد أن القرآن الكريم يطرح لنا مثلاً صارخاً في الاستقامة ومواجهة التحدي الفكري متمثلاً في النبي إبراهيم عليه السلام، الذي تمرد على منطق «... إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ» (الزخرف: ٢٣) وأعلنها صريحة في وجه أبيه بقوله: «يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا» (مريم: ٤٣). وبتوكله على الله وحده واجه بالحجة والمنطق عبدة الأصنام، وهذا مثلاً لفتى لم يتجاوز السادسة عشرة من عمره، كما أشارت بعض التفاسير، ومع ذلك وجدناه تحدي مجتمعاً وثنيّاً بأكمله، وخرج منتصراً ليكون بإرادته أمة «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» (النحل: ١٢٠). ووجدنا أيضاً أن الفتية كما جاء في آية سائلة أووا إلى الكهف هرباً من دقيانوس وجبروته ليحافظوا بذلك على دينهم.

والشباب في هذه المرحلة الزمنية قد يكونون بحاجة إلى كهف من نوع آخر، يلتجئون إليه وهم الأعرف بميزاته وتقنياته. فربما يكون هذا الكهف تجمعاً إيمانياً، أو مركز علم ومعرفة، أو عالماً ربانياً، أو كتاب علم يُنتفع به ليقبهم فتن الزمان والألعاب الشيطان.

وقد لا يكفي أن يلجأ الشباب إلى كهف بدون برنامج مدروس، كفيل بتحقيق عناصر النجاح، إذ لا بد من البرنامج المعتمد أولاً وأخيراً على طلب الرحمة والمعونة من رب

العباد، الذي هو الغاية ومحطّ الرجاء لتحقيق الرشد في مسيرة الحياة، ولا أقصد بالجوء للكهف طلب العزلة، إنما أقصد به محطة للتزويد الإيماني والفكري، لتحقيق الانطلاقة الرشيدة والفاعلة في حياة الشباب.

مع الملاحظة أن أهل الكهف كانوا بشراً ولم يكونوا رسلاً ولكنهم آمنوا بربهم وتحرروا من ضغط الجاهلية فأيدهم الله، وكذلك كل إنسان في العالم يملك إرادة التحرر، وعندما يضعها موضع التنفيذ فإن هدى الله يأتيه ويؤيده.^(٩)

وها نحن نعيش في هذه المرحلة الزمنية عصر الهيمنة الأمريكية على مختلف الأصعدة، التي يديرها شياطين الإنس بطريقة أذهلت الشيطان نفسه. هذه الموجة العلمانية وما تحمل من قيم وعادات دخيلة، وما صاحبها من بث لمفردات جديدة في واقعنا، غيرت، بل هدمت مناطق من الوعي لم يكن بالإمكان خلخلتها لولا هذه القفزة في مجال الاتصالات.

فنحن الآن نعيش عصر الصورة بكل ما تحمله الكلمة من معنى، فما نبنيه في سنوات قد تزرعه صورة يلتقطها الشباب عبر الأقمار الاصطناعية، أو شبكة الإنترنت والعنكبوتية، أو خدمات البلوتوث.

مع الإشارة إلى أن هذه التحديات التي تواجه شبابنا في هذه الحقبة تختلف عن التحديات التي واجهتها الأجيال السابقة، ولعل أهم التحديات التي تؤثر على سلوك الأفراد هو تحدي العولمة وآلياتها الذي يعني هيمنة القطب الواحد على العالم، وتصدير ثقافة من خلال فرضها تحت شعارات عدة كالحربة والديمقراطية.

ثانياً: أقسام التحديات وطبيعتها ومظاهرها

التحديات الخارجية: هي التحديات التي يتعرض لها الفرد والمجتمع ومن أهم مظاهرها:

١- محاولة الهيمنة على العالم الإسلامي: يحтар الشاب المسلم عندما ينظر في أمر التحديات القائمة في وجه الإسلام والمسلمين من خلال النظام العالمي الجديد وسياسة القطب الواحد، ومن خلال طرح مصطلحات جديدة في الساحة العالمية والإسلامية بالخصوص كالأصولية الإسلامية، والراдикаلية الإسلامية، وأخيراً الإرهاب الإسلامي، والذي وصفه الرئيس الأمريكي «ريتشارد نكسون» في

كتابه (الفرصة الساخنة)،^(١٠) حيث وصف من يحمل هذه المصطلحات في زعمه بأنهم «المصممون على استرجاع الحضارة الإسلامية عن طريق بعث الماضي، والذين يهدفون إلى تطبيق الشريعة الإسلامية وينادون بأن الإسلام دين ودولة، وهم ينظرون إلى الماضي ويتخذون منه هداية إلى المستقبل فهؤلاء ليسوا محافظين لكنهم ثوار». ثم تبعه الرئيس بوش بوصف الحرب على العراق أنها حرب صليبية، ثم تبعه السيناتور الأمريكي جوزيف ليبرمان بقوله في جريدة الأهرام^(١١) «إنه لا حل مع الدول العربية والإسلامية إلا أن تفرض عليها أمريكا القيم والنظم السياسية التي تراها ضرورية، فالشعارات التي أعلنتها أمريكا عند استقلالها لا تنتهي عند الحدود الأمريكية بل تتعداها إلى الدول الأخرى».

وهذا التحدي يهدف كما يرى د. محمد عمارة إلى:

أ- تغريب عقول مفكرينا ومثقفينا، وشبابنا ليتبنوا نموذج الغرب بدلاً من النموذج الإسلامي، فتصبح المركزية الغربية هي السائدة، وقد عقد في واشنطن مؤتمر بعنوان «إسلام معاصر» دعي إليه، نصر أبو زيد ومحمد أركون ونوال السعداوي وغيرهم.^(١٢)

ب- تظليل الشعوب الغربية لتتخبط في مواجهة الإسلام والدفاع عن مشروع الهيمنة.

ج- إقناع العالم بأن الإسلام نمط من الفكر البدائي المتخلف الذي تؤمن به شعوب بدائية يحول بينها وبين التقدم بمعناه الغربي، ولذلك يقول فوكوياما في تصريحه للنيوزويك بقوله^(١٣) إن الصراع الحالي ليس ببساطة معركة ضد الإرهاب، ولا ضد الإسلام كدين أو حضارة، ولكن صراع ضد العقيدة الإسلامية الأصولية التي تقف ضد الحداثة الغربية، وأن التحدي الذي يواجه الولايات المتحدة اليوم هو أكثر من مجرد معركة مع مجموعة صغيرة من الإرهابيين في بحر الغاشية الإسلامية الذي يسبح فيه الإرهابيون، يشكل تحدياً إيديولوجياً هو في بعض جوانبه أكثر أساسية من الخطر الذي شكلته الشيوعية!

٢- العولمة الأمريكية: تعد العولمة من أهم هذه التحديات الخارجية وهي تعميم النمط الحضاري الأمريكي على بلدان العالم وشعوبه بقصد الهيمنة على السياسة،

والثقافة، والأفكار، والسلوك، والاقتصاد.^(١٤) وقد ازداد تفعيل هذا النمط بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠٠ والاحتلال العسكري لأفغانستان والعراق، وأما الاحتلال الثقافي فقد بدأ قبل ذلك بكثير، ولكن الاحتلال العسكري أعطاه قوة ومشروعية، حيث جندت لهذا المشروع شركات عملاقة متعددة الجنسيات، ومؤسسات دولية كصندوق النقد الدولي، ومؤسسات الأمم المتحدة العاملة في مجال الثقافة والتنمية وغير ذلك.

آثار العولمة:^(١٥) وتظهر آثار هذه العولمة في:

- ١- الأزياء وتصميماتها الشبه عارية والضيقة التي غزت العالم الإسلامي والتي تتفاخر المجالات المتخصصة بالأزياء والقنوات الفضائية والصحف في الترويج لذلك، فضلاً عن دور الأزياء التي صارت عادة في بلاد عربية كثيرة.
- ٢- وأما الأطعمة وعلى رأسها الوجبات السريعة: (كنتاكي، ماكدونالدز، هامبورجر، بيتزا هوت) حتى صارت مظهرًا أو سلوكًا شبه يومي وعلى حساب الطعام الوطني التقليدي، وتغيير الأذواق وهذه النقطة بالذات أصبحت معاناة يومية للآباء والأمهات من خلال أبنائهم.
- ٣- وأما في موديلات قصات الشعر للنساء والرجال وأصباغها أصبحت مسخاً إنسانياً لم يسبق له مثيل وليست هنا العبرة بجلها أو حرمانها، إنما تداول نماذج معينة يتداولها الشباب لإشباع عقدة التقليد والتشبه الممنوع.
- ٤- وأما على صعيد العولمة الاقتصادية فاصطناع الأزمات لتحطيم المنظومات الاقتصادية للدول الفقيرة أو المتطورة ومنها الإسلامية لتحقيق الهيمنة على العالم الثالث.
- ٥- تفتيت البنية السياسية والنظم الاجتماعية في كثير من المناطق، وتفكيكها إلى قوميات وعرقية وطائفيات دينية مثل إقامة (دولة تيمور) الكاثوليكية في جنوب شرق آسيا لتفكيك أكبر دولة إسلامية آسيوية، أو ما حصل في العراق من تقسيم عرقي وطائفي وهو نموذج قابل للتعميم.

◀ **التحديات الداخلية:** هناك تحديات تنبثق من خلال المجتمع المسلم، والمتعلقة بالشباب أنفسهم، وتتمثل في العوامل المحيطة التي تؤثر على ثقافة الشباب

وتوجيهاتهم الفكرية والسلوكية، والتي تعمل على إحداث اضطرابات في مسار وسلوك الشباب، والتزامه بخصائصه الإسلامية، والتي شرف الله بها هذه الأمة المسلمة بغض النظر عن أعراقها وألوانها ولغاتها، فقال فيها تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣).

المحور الثالث: كيفية مواجهة هذه التحديات وصور التعامل معها

١- التحدي الأخلاقي والسلوكي: وهما امتداد للتحدي الفكري الثقافي باعتبار أن السلوك الإنساني ينبثق من ثقافة يحملها الفرد، تتمثل في ملبسه وحديثه.

وقد ضرب لنا القرآن أروع مثال في قصة يوسف وامرأة العزيز في العفة والشرف، والبداهة، فمجتمعنا المحلي وإن قيل أنه محافظ إلا أنه يعيش درجة عالية من الانفتاح، فلا وجود حالياً لحدود أو قيود تمنع الشباب من التأثير والتفاعل مع الثقافات الأخرى - الدخيلة إن صح التعبير - وإذا كنا في سباق نُشَبِّهُ العالم بالقرية الصغيرة، فإن البعض يشبهه الآن براحة اليد المبسوطة التي تستطيع أن تبصر فيها ما تشاء.

لذا لا يجدي أن نعمل بسياسة غلق الأبواب، فهي غير مجدية البتة، إذ أن رياح العولمة الثقافية، والثورة المعلوماتية، نخرت بيوتنا نخرًا، فلا عاصم اليوم من طوفانها إلا التربية السليمة، تكفل الحصانة الذاتية لجيل المستقبل.

ورغم أن التحديات التي يواجهها الشباب ليست خاصة بهم، فهي مدروسة بدقة وتوثيق لتؤثر في كل المجتمع بأسره بلا استثناء، فإن لم يتمتع الشباب بحصانة دينية كافية، فإنه لا محالة هالك، خاصة إذا علمنا أن الاستغراق في شهوات الدنيا ورغائب النفوس ودوافع الميول الفطرية هو الذي يشغل القلب عن التبصر والاعتبار، ويدفع بالناس إلى الفرق في لجة الملذات المحسوسة، ويحجب عنهم ما هو أرفع وأعلى، ويغفلت الحس فيحرمه متعة التطلع إلى ما وراء اللذة القريية، ومتعة الاهتمامات الكبيرة اللاتئة بدور الإنسان العظيم في هذه الأرض، واللاتئة كذلك بمخلوق يستخلفه الله في هذا الملك العريض.^(١٥)

إذًا فعلينا أن نُحَصِّن شبابنا بطريقة واعية ضد الأجواء الملوثة، وأصدقاء السوء، والعبثية، أو انعدام المسؤولية، لكي لا تصدأ نفوسهم وقلوبهم، «فإن الهداية والضلال إذا

ابتدأ بها الإنسان زادت تدريجياً لما يجمع الذهن لها من الشواهد والمقومات».^(١٦)

وغير خاف على القارئ أن رسول الله ﷺ قد وضع إلى جانب تعاليم القرآن برامج عملية للشباب ليتجاوزوا بتطبيقها الانزلاق في مستنقع الشهوات وطلباً للاختصار أكتفي لحديث نبوي شريف موجه للشباب يقول فيه ﷺ: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء)^(١٧). وهذا ما تؤيده الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (النور: ٣٣) فبرنامج الصوم - بل الإدمان عليه - هو أحد الطرق الصحيحة للشباب لكي يغنموا بالعفة، إضافة لالتزامهم بغض البصر عما حرم الله... إلخ.

٢- تحدي الفقر والحاجة: وأعني بهذا التحدي، جميع الأمور المادية والمعنوية التي تشكل حاجة حقيقية للشباب، لدرجة أنهم يشعرون بالنقص حين لا يمتلكونها. فالنقص في الاحتياجات المادية يعدُّ لا ريب فقراً، وكذا عدم إشباع الاحتياجات العاطفية للشباب، هذه الأمور تدخل في قائمة الفقر والحاجة، وعلاجها لا يقل أهمية عن معالجتنا للاحتياجات المادية، إن لم نقل بأولوية علاج الاحتياجات المعنوية أولاً.

والقرآن الكريم قبل أن يؤسس لأي نظرية اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية، وجَّه أنظارنا لأمر في غاية الأهمية، إذ وجَّه خطابه لنا بصيغة الأمر بقوله عز وجل: ﴿إِقْرَأْ...﴾ (القلم: ١) وكأن القرآن يقول لنا لكي تعالجوا مشاكلكم وقضاياكم^(١٨) مهما كبرت أو صغرت، فلا توجد بوابة أخرى باستطاعتها أن توصلكم لشاطئ السلام، أفضل من بوابة القراءة، فهي المدخل الصحيح لتشخيص العلل وإيجاد الحلول.

فالتحدي المعرفي الذي يعيشه الشباب، مقدم على كل التحديات، وفي السياق أذكر بالمثل الصيني المشهور الذي يقول: (إذا أعطيت الفقير سمكة فإنك ستسد بها جوعه، ولكن إذا علَّمته كيف يصطاد السمك فستكف يده عن استجداء الناس). فتقديم السمكة للفقير يبقى حلاً مؤقتاً، بينما طريقة الصيد، هي الحل الأجدى والأمنع للقضاء على فقره وعازته.

ولا يخفى على أحد منا أن التحديات التي تواجه الشباب في مجتمع ما، قد لا تشكل تحدياً حقيقياً للشباب في مجتمع آخر، فالفقر المادي، قد لا يعدُّ تحدياً لشباب مجتمع يثمل

شبابه من البذخ! ولعل لجوء بعض الشباب في مجتمعنا للسرقه، أو ممارسة الفواحش، أو العنف، سواء تمظهر هذا العنف باللسان أو باليد، ليصل إلى درجة القتل، فإن هذه الأمور تكشف خللاً يعيشه الشاب الذي يُقدّم على ممارسات منبوذة ومرفوضة، بل محرمة بكل المقاييس، دينياً، واجتماعياً، وأخلاقياً.

ولا شك أن هذا الخلل قد يكون نتيجة للبناء النفسي الخاطئ الذي عاشه الشاب في مرحلة طفولته، أو نتيجة لتربية خاطئة مُورست بحقه، وولدت عُقداً نفسية في أعماقه، وهذه نتيجتها الطبيعية.

أولاًن القدوات الزائفة تعيش في مخيلته، وبداهة، من يعيش حالة الانحراف، فإنه بعيد عن تعاليم الدين ومنطق العقل والضمير، لأن الدين القائم بالعدل، مع العقل والإرادة المتحررة من الهوى والعصبية والجهالة، يعدُّ أهم عاصم يحول بين الإنسان وبين السير في طريق الانحراف.

فالشباب المؤمن على سبيل المثال:

- إن عاش فقيراً فهو لا يلجأ للسرقه أو يُعرض نفسه للمذلة حتى قيل في وصف المستضعفين من المؤمنين. ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ (البقرة: ٢٧٣)

- وإن تعرض لمنطق القوة من عشيرته فإنه يرفع شعار هابيل، الذي قال بصدق واطمئنان لأخيه قابيل: ﴿لَنْ بَسَطْتُ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (المائدة: ٢٨)

- وإن تعرض لكيد النساء والشیطان ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (يوسف: ٢٣)

والجميل في الأمر، أن القرآن الكريم يقدم لنا أمثلة وقدوات إيجابية، تمكنت من الانتصار على كل التحديات التي من الممكن أن يتعرض إليها الشباب في ساحة الامتحان الإلهي في هذا العصر.

لذا فإن المعالجة الواعية لتحديات الشباب تتطلب منا وضع خطط كفيلة بتحقيق احتياجاتهم على المستويين الروحي والمادي،

وفي مضي كُنَّا نردد مقولة: إن انسان كائن اجتماعي بطبعه، والآن وبفضل سياسة الإلهاء والإغراء التي يُروَّج لها في وسائل إعلامنا، صرنا نؤمن بأن الإنسان/الشباب كائن استهلاكي بطبعه.

ولهذا، كما يقول الدكتور مصطفى حجازي: (علينا بتطوير علم خاص بهم هو «علم الشباب». والواقع إن عدم تطوير مثل هذا العلم إلى الآن في جامعاتنا ما هو سوى دليل إضافي على هدر الشباب. وتكفي نظرة سريعة إلى واقع الشباب في عصر العولمة عموماً، وواقعهم في بلاد هدر الإنسان كي تتضح مدى أهمية مثل هذا العلم وضرورته، كأساس لوضع سياسات شبابية على الصعيد المجتمعي في التربية والعمل والمشاركة الاجتماعية والانتماء.^(١٩)

– حتى لا نخسر شبابنا

تحت هذا العنوان وبهدف التذكير والتأكيد، تراءى لي تسجيل مجموعة من الرؤى القرآنية الكفيلة إن شاء الله بتجسير الفجوة بين المربين والجيل الشاب ليكون بمقدورهم مواجهة للتحديات التي تعصف بهم ذات اليمين وذات الشمال وهي على النحو التالي:

أ- لا للنظرة الدونية للشباب

فالشباب هم الأهم والأقوى لإحداث التغيير المرتقب لما يتحلون به من قوة بدنية، وقدرة عقلية، وخصائص نفسية، من شأنها تصنع المستحيل أو ما يخيّل إلينا استحالاته، لذلك فقد أولى الإسلام عناية مميزة بهم، ولم ينظر إليهم النظرة الدونية.

والنبي ﷺ بُعِثَ في سن الأربعين بعد أن اكتمل شبابه، وتهيأ للرسالة التي اختير لها، فالتف حوله الشباب من قريش، وأحجم عنه أولئك الرؤساء والشيخوخ، لأنهم نفوا أن يتبعوه،^(٢٠) وهو أقلّ منهم سناً وجاهاً: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (الزخرف: ٣١)

وبداهة أن اهتمام الرسول ﷺ بالشباب في ممارسته العلمية قبل كلماته النظرية والأمثلة على ذلك قد تطول، وكفيّنا بهذا الصدد أن نستحضر حادثة تعيينية لأسامة بن زيد وهو لم يتجاوز الثامن عشر من عمره، قائداً لجيوش المسلمين ضد امبراطورية الرومان، فأى عناية هذه أن تولّى شاباً على جيش يحوى كبار الصحابة سناً ومكانة اجتماعية، ولكنها الحكمة النبوية التي تعطينا درساً لنفقه أن العبرة بالكفاءة لا بالمرحلة العمرية أو الحسب والنسب. وإن كانت هناك مآرب أخرى من تأمير أسامة ﷺ على جيش المسلمين فيه كبار الصحابة، ولا ربط لها بموضوع بحثي هنا.

يقول أحد الباحثين: (إن حساسيتنا نحن الكبار لنقد الشباب للنظام الاجتماعي، ورفضهم له وتمردهم عليه، لها ما يبررها من الناحية الإنسانية. فكل دعاوي الشباب تدين الأجيال السابقة، وأي تحول ينادون به لا يمكن أن يتم إلا على حساب مصالح الكبار والطريقة التي يعتمدون عليها في تحقيق ذلك تكشف عن كثير من جوانب القصور في الحياة.

ولكن الذين يرفضون على الشباب حق الاختلاف معنا في تقييم واقعهم، والأساليب المختلفة للتفاعل والتكيف معه، وتصور مستقبلهم واختيار طرق تحقيق أحلامهم وتحمل مسؤولياتهم فيه، يتناقضون مع أنفسهم، فقد طالبوا هم بأنفسهم بهذا الحق في شبابهم وأصروا عليه).^(٢١)

وجميل ما أشار إليه د. فتحي يكن عندما قال: (وفي منطق الإسلام لا يعني الاعتماد على الشباب إغفال دون الرجال والكهول أو إغماطهم حقهم أو التقليل من شأنهم، كما كان حال الشيوعية حين طالب أحد زعمائها بعد الثورة بإبادة جميع المسنين حتى لا يكونوا كلاً على الدولة)^(٢٢) فالمنطق النبوي يعمل على وضع الرجل المناسب في المكان المناسب سواء كان شاباً أو كهلاً.

ب- دعوة الشباب للمشاركة في التفكير والتغيير

قد نشغل أحياناً في التفكير بالطرق الأجدى من أجل تربية وتوجيه الشباب، وربما نغفل أنهم العنصر الأهم في إيجاد الحلول الكثيرة من المشاكل والأزمات. ولذا من الأهمية بمكان أن يشارك الشباب في عملية التفكير والتخطيط هذه، لرسم الآليات الكفيلة بتحقيق النجاح الملموس في واقعهم.

ولا يصح أبداً أن نتشدد بالمكانة التي يضعها الإسلام للشباب ثم نمارس عليهم دور الوصاية، وهو سلوك مرفوض لديهم ولا غرابة إن وجدناهم يستهجنون القائمين به، لأنهم يرون أنفسهم ذوات عاقلة ومحترمة لديها القابلية للمساهمة في تغيير الواقع، وربما بطريقة أجدى نفعاً من الطرق التي ينتهجها الجيل القديم.

(فشباب اليوم يعيش تغيرات تكنولوجية سريعة واجتماعية عميقة فيصبح الماضي أكثر بعداً عن الحاضر، كما أصبحت المعايير وأنماط الحياة الماضية بعيدة عن الحاضر).

ومن هنا نجد أن العلاقات بين الأجيال تزداد ضعفاً، وهذا يقود على اتساع الثغرة

بين الأبناء والبناء، ويقُلُّ تأثير الأباء على الأبناء، وتزداد المصاعب في أن يفهم أحدهما الآخر. ومن هنا يبدأ الخلاف والصراع).^(٢٣)

وعلينا أن نفقه بأن بعض تمرد الشباب ورفضه صحي ومفيد، ويجب ألا نحاول قمعه، وبعض آخر منه مؤشِّر على أزمة، وربما تكون حادة، ويستدعي أن نحاول حلها بدلاً من أن نركز على التمرد وقمعه^(٢٤) لكي لا تتسع الفجوة بين الأجيال.

بالطبع، فحين نؤكد ضرورة إزالة العوائق عن طريق الشباب، لتطال طموحاتهم عنان السماء، فإننا لا نغفل أن مرحلة الشباب هي مرحلة الغرور والاعتداد بالنفس، بصورة مبالغ فيها أحياناً، لدرجة أن يتحدى شاب إرادة الله، ليقول بغرور ﴿سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾ (هود: ٤٢)، لذا علينا أن نمسك العصا من الوسط إن صح التعبير، لكي لا يطغى جانب على الآخر.

ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة إذ لم ينظر إلى الشباب بمنطق ﴿أَرَادَلْنَا بِآدِي الرَّأْيِ﴾ (هود: ٢٧) وإنما اعتمد عليهم في مهام خطيرة جداً، منها تولية مصعب ابن عمير لأمر تبليغ الإسلام في المدينة المنورة بمبدأ الكفاءة أولاً.

وفي لفظة قرآنية رائعة تُجَلِّي هذا المعنى، وهو إعطاء المنصب بناءً على الكفاءة، بعيداً عن المكانة الاجتماعية أو الثروة المالية في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلَكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٤٧)

فقدوة الشاب طالوت العلمية والجسمية هي التي أهلتها لِيُخْتَارَ مَلَكًا عَلَيْهِمْ، ومن ثمَّ يتولى قيادة الجيش الذي واجه به جالوت وجنوده، ومن ذلك يستفاد أنه لا دخل للمال ولا الشرف في الملك.

د- معونة الشباب في بلورة خياراتهم

إن الشباب بحاجة لمن يعينهم في تحديد مساراتهم المستقبلية لا على سبيل الفرض وإنما من أجل ترشيد عملية التفكير لديهم بطريقة واعية. فهذا النبي موسى (عليه السلام) يطلب من الخضر أن يعلمه مما علمه الله سبحانه وتعالى إذ يقول ﴿هَلْ أَتَبِعَكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي

مِمَّا عَلَّمَتْ رُشْدًا» (الكهف: ٦٦)، فعلى المربي أن يعتمد قاعدة - «مفتاح العلم السؤال» - لكي يحسن توجيه الجيل الشاب لما فيه صلاحه.

فنحن إلى الإعانة والتوجيه أحوج، فالشباب قد يتخبطون في قراراتهم نتيجة المرحلة المضطربة التي يمرون بها، وما تفرزه من تقلبات في المزاج والقرار، إضافة لمحاولة تقمص الشخصيات الناجحة، الأقرب إلى أنفسهم.

فهو قد ينوع في يومه وليلته بين عشرات الشخصيات التي لا يجمعها جامع مشترك، إلا النجاح والشهرة. لذا على المربين إعانة الجيل الشاب في بلورة خياراتهم الأقرب إلى أنفسهم وقدراتهم، وإن لم نهتم بهذه المسألة، ولم نفسح المجال للشباب في ممارسة رغبته بلعب دور اجتماعي ضمن توجيه صالح، فستكون النتيجة أحد الشئيين إما أن تخدم طاقات الشاب، وتقتل مواهبه، وتدفن طموحاته، وإما أن يبادر إلى ممارسة أدوار منحرفة ويقوم بأعمال فاسدة.

هـ- الحاجة للبرامج العلمية

ليس من الصحيح أن نركز على الأفكار النظرية الموجهة للشباب - وإن كنا مقصرين في هذا الجانب أيضاً - إذ لا بد أن تصاحب الأطروحات النظرية الموجهة للشباب برامج علمية تكفل انشغالهم وتملاً أوقات فراغهم، ليتمكنوا عبرها من صقل قدراتهم وإمكاناتهم، وبهذا نطمئن على أنهم سيسهمون في نماء مجتمعاتهم.

فهم يتوقعون أن يجدوا أماكن تحتضن قدراتهم وإبداعاتهم، ومراكز تُمَيِّ مواهبهم، وبحاجة إلى التجمعات التي يمارسون فيها هواياتهم البريئة المفضلة لديهم، إضافة لتشجيعهم على الانضمام للأندية الرياضية، والدورات الثقافية الموجهة، وهم بحاجة أيضاً للترويح عن النفس بمشاركتهم في الرحلات الترفيهية الهادفة.

وَعَنِيَّ عن البيان، أن المجتمع - بمؤسساته المختلفة - عندما يتصل عن الإسهام في تحقيق هذه التطلعات، فلا عجب إن رأينا ازدياداً في حالات التفسخ الأخلاقي، والسرقه، والعنف.

وفي نهاية، لم تكن الغاية من هذه الورقة أن تقدم حلولاً سحرية لمشاكل الشباب، فتحدياتهم بحاجة لمعالجات طويلة المدى، لأنها تتعلق ببناء الإنسان، وعندما نطرح مقترحات معينة هنا فإنها بحاجة لتكاتف الأيدي والخبرات من أجل نقدها أولاً، وتحقيق ما يتناسب منها على أرض الواقع ثانياً.

مقترحات

بناءً على هذه التساؤلات وبناءً على ما سبق، ورغبة للحد من هذه العوائق اقترح إجراءات عملية ولو بشكل يسير لعلّي أساهم في إعطاء الشباب دفعة لأجل النهوض بهم إلى التحصيل العلمي وتحسينهم من المخاطر:

١- أن يتم توجيه الشباب تلاميذ وطلبة إلى مطالعة الكتب الثقافية وذلك من خلال إقامة معارض دائمة للكتب داخل الثانوية والحرم الجامعي وإجراء مسابقات ثقافية لأفضل ملخص كتاب ثقافي أو علمي وفي مختلف الموضوعات الثقافية.

٢- عقد لقاءات وندوات ثقافية تجمع بين طلبة الجامعات بمختلف تخصصاتهم ويتم فيها مناقشة الموضوعات في أبعادها ومحاورها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والصحية والتربوية.

٣- تخصيص أماكن في الثانويات والكليات لتنصيب المجلات الثقافية الحائطية التي يعرض فيها الشباب أحدث ما قرأ من مقالات.

٤- تشجيع الشباب إلى ارتياد المكتبة والقراءة فيها فهي أحد أوعية المعلومات الأساسية والمهمة في حياة الباحثين والمتخصصين وهي أيضاً ملتقى ثقافي وفكري تلبى طلب القراء من مختلف التخصصات العلمية والثقافية.

٥- توجيه الشباب وتوعيتهم بأهمية الثقافة في أبعادها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وأثر الكل على حياة الفرد والمجتمع، وذلك من خلال عقد ندوات ولقاءات مع رجال الفكر والسياسة والاقتصاد.

٦- تشجيع الطلبة على إعداد بحوث تهتم بالقضايا الوطنية الملحة، وتقديم كل المساعدات لنجاح هذه العملية.

٨- الحد من جميع مظاهر التفسخ الثقافي والأخلاقي التي تستهدف عموم الشباب، وإعطاء البديل بتنظيم الأنشطة الثقافية الهادفة.

٩- تنظيم دورات ترفيهية توجيحية تعليمية ممنهجة أثناء العطل السنوية على حسب المراحل التعليمية، يحضرها رجال الفكر والعلماء وتكون فيها تعزيزات للمجتهدين لرفع مستوى التحصيل العلمي للشباب وهي نفس الوقت تملئ أوقات فراغهم الضائعة. ولوجودنا جهة معينة تنظم لهم ملئ هذا الفراغ لكان أفضل بكثير.

- ١٠- وأخيراً، لا بد لوسائل الإعلام من إعداد برامج تلبي اهتمامات الشباب ورغباتهم وطموحاتهم وكذلك تعرفهم على التحديات التي تواجه المجتمع وأن يشارك الشباب الجامعي في إعدادها وتقديمها.
- وماذا بعد... ويبقى السؤال قائم بيننا: فما هي يا ترى برامجنا المعدة للشباب؟ وما بإمكاننا أن نفعل من أجلهم؟

قائمة المراجع

- ١- علي ليلي، الثقافة العربية والشباب، سلسلة شبابنا آمالنا، الدار المصرية اللبنانية، ط١، ١٤٢٢هـ، ص١٩.
- ٢- الإمام علي عليه السلام، نهج البلاغة، مكتبة المعارف بيروت ط١، ١٤١٦هـ، ص١٤٢.
- ٣- محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ، ص١٨٢.
- ٤- السيد محمد تقي المدرسي، من هدي القرآن مكتبة السيد المدرسي، طهران، ط١، ١٤٠٦هـ، ج٣، ص٣٦٩-٣٧٠.
- ٥- صحيح الإمام مسلم بشرح النووي، طبعة دار القلم، بيروت، سنة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، ط١، ج٩، ص١٧٣.
- ٦- د. منير الفضبان، منهج المنهج التربوي لسيرة النبوية، التربية الجماعية، مطبعة دار الوفاء المنصورة، ج٢، ص٩٨.
- ٧- المرجع السابق ج٢، ص١٠٦.
- ٨- الأمثال في التفسير، الكتاب للمالسيد نزل، مؤسسة البعثة، بيروت، ١٤١٣هـ، ط١، ج٦، ص١٨٤.
- ٩- مصطفى حجازي، الإنسان المهدور، دراسة تحليلية نفسية اجتماعية، المركز الثقافي العربي ٢٠٠٥م، ط١، ص٢٠٣.
- ١٠- مجلة المجتمع، العدد ١٦٦٥ في ٢٠/٨/٢٠٠٥.
- ١١- المصدر السابق.
- ١٢- مجلة المجتمع، العدد ١٧٦٥ في ١٨/٨/١٣، ٢٠٠٧.
- ١٣- نيوزويك، العدد السنوي ديسمبر ٢٠٠١، فبراير ٢٠٠٢ نقلاً عن د. محمد عمارة (حرب لتغيير الإسلام) مجلة المجتمع العدد ١٦٦٨ في ١٠/٩/٢٠٠٥، جمعية الإصلاح الاجتماعي، الكويت.
- ١٤- د. فتحي يكن، العولمة الأمريكية الرأسمالية، مجلة المجتمع، ن العدد ١٦٣٢، في ١٠/١٠/٢٠٠٥.
- ١٥- المصدر السابق.
- ١٦- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق القاهرة، ط٥، ج٢، ص٣٦٦.
- ١٧- رواه البخاري في كتاب النكاح باب قول النبي ﷺ من استطاع الباءة فليتزوج، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار الريان للتراث، الأولى، سنة ١٤٠٧هـ، ج٩، ص٨، حديث رقم (٥٠٦٦).

١٨- محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، دار إحياء التراث، بيروت ١٤٠٣هـ، ط٣، ج١٠٠، ص٢٢٠.

١٩- حسن آل حمادة، إنسان المهدور، مصدر سابق، ص١١.

٢٠- يقول الله ﷻ في وصف مشهد الفرق: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ، قَالَ سَاوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ (هود: ٤٢-٤٣)

٢١- وليد شلاش نايف شبيرن، مشكلات الشباب والمنهج الإسلامي في علاجها، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٩هـ، ط١، ص٣٩.

٢٢- عزت حجازي، الشباب العربي ومشكلاته، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ١٩٨٥م، ط٦، ص٢٢٣.

٢٣- فتحي يكن، الشباب والتغيير، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٩هـ، ط١، ص١٢.

٢٤- فائقة يوسف إبراهيم، المشكلات السلوكية بين الشباب الكويتي، مجلة شؤون اجتماعية، العدد ٦، الشارقة، جمعية الاجتماعيين، صيف ١٩٩٥م-١٤١٦هـ، ص١٦٧.

الاستفادة من القيم الفنية والتعبيرية للخامات المستهلكة في استحداث مشغولة معدنية

مستوحاة من أعمال الفنان سلفادور دالي

أ.ة. لبنى عبد العزيز محمد بيومي



Search summary

characterized metal crafts in modern ways, the formation of innovative compatible with the thought of the artist and keep pace with the spirit of the times, and interact those ideas with the trends and schools, which derives from his vocabulary of Fine, as well as interact with the materials and methods of formation of the technical work, and is the mineral ores consumed raw materials that enrich the artwork and add him the spirit of innovation and modernity, where a busy research deals with the development of metal derived from the works of the artist Salvador Dali, who is one of the most prominent pioneers of the surrealist school using materials consumed, through which can be found in a contemporary style enriches the artwork.

ملخص البحث

تتميز المشغولات المعدنية في العصر الحديث بطرق تشكيل مبتكرة تتمشى مع فكر الفنان ومواكبته لروح العصر، وتتفاعل تلك الافكار مع الاتجاهات والمدارس التي يستمد منها مفرداته التشكيلية، وكذلك تتفاعل مع الخامات وطرق تشكيل العمل الفني، وتعد الخامات المعدنية المستهلكة من الخامات التي تثري العمل الفني وتضيف إليه روح الابتكار والحداث، حيث يتناول البحث استحداث مشغولة معدنية مستمدة من أعمال الفنان سلفادور دالي الذي يعد من أبرز رواد المدرسة السريالية باستخدام الخامات المستهلكة والتي من خلالها يمكن إيجاد أسلوب معاصر يثري العمل الفني.

• مدرسة بقسم التربية الفنية، كلية التربية النوعية، جامعة كفر الشيخ، تخصص أشغال المعادن/مصر.

Lobna7376@yahoo.com

مشكلة البحث: تتلخص مشكلة البحث فيما يلي:

إلى أي مدى يمكن الاستفادة من القيم الفنية والتعبيرية للخامات المستهلكة في استحداث مشغولة معدنية مستوحاة من أعمال الفنان سلفادور دالي.

فروض البحث: يفترض البحث أنه:

- ١- يمكن الاستفادة من القيم الفنية والتعبيرية للخامات المعدنية المستهلكة لإبراز فلسفة أعمال الفنان سلفادور دالي في مشغولة معدنية معاصرة.
- ٢- توجد علاقة بين القيم الفنية والتعبيرية للخامات المعدنية المستهلكة والمفردات الجمالية والتشكيلية للوحات الفنان سلفادور دالي تؤدي إلى ابتكار تصميمات مستحدثة لإنتاج مشغولات معدنية مبتكرة.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى:

- ١- الاستفادة من القيم الفنية والتعبيرية للخامات المستهلكة في استحداث مشغولة معدنية مستوحاة من أعمال الفنان سلفادور دالي.
- ٢- دمج التقنيات والخامات المعدنية المستهلكة في أعمال مستحدثة تواكب العصر الحديث.
- ٣- الدعم المادي للطلاب والتوفير من خلال استخدام الخامات المعدنية المستهلكة.

أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في:

- ١- إثراء مجال أشغال المعادن بخامات معدنية مستهلكة تحمل قيمةً فنيةً وتعبيريةً وتوظيفها جمالياً من خلال الاستفادة من سمات وخصائص أعمال الفنان سلفادور دالي.
- ٢- المساهمة في إيجاد مداخل تجريبية جديدة لفن أشغال المعادن من خلال فلسفة الفنان سلفادور دالي كاتجاه فني معاصر باستخدام الخامات المعدنية المستهلكة.

حدود البحث: يقتصر البحث على:

- ١- يتناول البحث الخامات المعدنية المستهلكة (العلب المعدنية) وغيرها التي تحمل قيمةً فنيةً وتعبيريةً من خلال الرسوم والألوان التي تحملها.
- ٢- يتناول البحث فلسفة بعض لوحات (الفنان سلفادور دالي)، والاستفادة منها في استحداث تصميمات تصلح لابتكار مشغولات معدنية معاصرة.
- ٣- يقتصر الأداء التطبيقي المرتبط بالبحث على التجربة الذاتية لابتكار معلقات معاصرة.

منهجية البحث

يعتمد البحث على المنهج الوصفي والمنهج التجريبي.

إجراءات البحث

يتمثل البحث في شقين:

أولاً: الإطار النظري

١- دراسة تحليلية لفلسفة ومفهوم الفكر السريالي.

٢- نبذة عن الفنان السريالي (سلفادور دالي).

٣- تحليل فني لبعض أعمال الفنان (سلفادور دالي) التي تتسم بالمفردات الشكلية واللونية البسيطة المعبرة التي يمكن الاستفادة منها في استحداث تصميمات مبتكرة.

٤- نبذة عن الخامات المعدنية المستهلكة (العلب المعدنية).

ثانياً: الإطار العملي

١- ممارسات تجريبية للتحقق من مدى الاستفادة من الخامات المعدنية المستهلكة (العلب المعدنية) التي تحمل قيمةً فنيةً وتعبيريةً في تحقيق أهداف البحث.

٢- إجراء تجربة ذاتية تعتمد على المفردات التشكيلية في بعض لوحات الفنان سلفادور دالي تصلح كمعلقات معدنية معاصرة من (العلب المعدنية).

المقدمة

ظهر في الآونة الأخيرة اتجاهات فنية معاصرة تهدف إلى استخدام بعض الخامات المستهلكة في كافة مجالات الفنون التشكيلية، وقد أدى هذا إلى إضافة مداخل تجريبية جديدة تواكب العصر الحديث ومتغيراته المستمرة، والبحث الحالي يلقي الضوء على أهمية الخامات المعدنية المستهلكة المتمثلة في (العلب المعدنية) في تصميمات حديثة معاصرة، ويعد التصميم الجيد أساس كل عمل فني، «قد اعتبر التصميم في عصرنا الحالي نظام إنساني، بل أحد الأسس الفنية لحياتنا المعاصرة»^(١).

«لا بد وأن يجرب كل عناصر وأسس بنائها بالتعامل مع التوافيق والتباديل المتاحة في التعبير عن أفكاره وبلغة الأشكال والخطوط والألوان»^(٢).

واستفاد البحث من دراسة أعمال الفنان (سلفادور دالي) وهو من أعلام المدرسة

(١) روبرت جيلام سكوت: أسس التصميم، ترجمة عبد الباقي محمد إبراهيم، دار نهضة، مصر، القاهرة، ١٩٨٠، ص ٥.

(٢) اسماعيل شوقي: الفن والتصميم، مطبعة العمرانية، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٤٦.

السريالية كمدخل تصميمي يمكن الاستلزام منه، واستخلاص بعض عناصر التكون الفني مثل (الخطوط، التباين اللوني، المساحات، الاتزان، التكرار... وغيرها)، والأشكال التي تميزت بالغرابة واللا معقول واللا وعي التي تصدم المشاهد، «ويرى (سارتر) في نظرياته السيكلوجية أن الوعي في الفن يتعلق دائماً بالخيال (imagination) واعتبر الخيال يباعد بين الإنسان وعالم الواقع ليكشف عن عالم آخر تتمثل فيه الحرية بأكمل درجاتها وذلك ليعطى قدرة على التجريد والابتكار والإبداع الفني الحر»^(٢).

ورأى كاندينسكي أن «العمل الفني يجب أن يكون ثمرة لإلهام الخيال، ومحرر كلية من كل أنواع الواقعية الخارجية ومتجه بكامله إلى الإحساسات»^(٣)، وهذا ما نهدف إليه في البحث الحالي من خلال إلهام الخيال الناتج مع التعامل مع الخامات المعدنية المستهلكة المستوحى من أعمال سلفادور دالي.

أولاً: الإطار النظري

١- دراسة تحليلية لفلسفة ومفهوم الفكر السريالي

«السريالية هي أسلوب حياة كاملة وليست مجرد قواعد تحكم العمل الفني ومن خلالها يمكن نقل الجانب الأسطوري والخيالي للحياة، أي البعد عن كبت حرية الفرد والدعوة إلى التحرر من القيود والانتصار على العجز، وينتج عن هذا التعبير رموز غريبة وأشكال تقليدية وصيغ مركبة في عدة عناصر بصورة تثير دهشة كثير من الأفراد، فحينما يعرض السرياليين أعمالهم فإنهم يعتمدون على حقيقة نفسية مقتضاها أن عالم اللا شعور بكل ما فيه من رموز عالم جمعي نحصل من خلاله على عمل فني يعتمد على عنصر المفاجئة والغرابة»^(٤).

«وكانت السريالية سنة ١٩٢٤ من بقايا النزعة الدادية، ولكنها أخذت شكلاً محدوداً وواضحاً في الأدب والفن، وقد أصدر بياناً للسريالية على الدعوة إلى إطلاق صرح الخيال وكان الإنسان يعيش في عالم الأحلام، ومحاولة العودة بالإنسان إلى فطرته الأولى ورؤية العالم من خلال الصور الرمزية مع الأخذ في الاعتبار أن هذه الرموز لا يمكن تفسيرها إلا بمنطق ما فوق الواقع»^(٥).

(٢) غسان زيد أبو طرابية: «أثر المدرسة التجريدية والرمزية لتكوين كادرات الرسوم المتحركة في مقدمات الأفلام السينمائية» رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الفنون الجميلة، جامعة حلوان، ١٩٩٨، ص ٦.

(٤) محمود البسيوني: آراء في الفن الحديث، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦١، ص ٦٢.

(٥) أميرة أحمد حسين: «استخلاص الرموز التشكيلية في الفن الشعبي والإفادة منها في المشغولة الفنية الجدارية» رسالة دكتوراة، كلية التربية النوعية، جامعة عين شمس، ٢٠٠٥، ص ٥٠-٥١.

(٦) محسن محمد عطية: اتجاهات في الفن الحديث، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٥، ص ١٢٤.

٢- نبذة عن الفنان السريالي (سلفادور دالي)

سلفادور فيليب خاينثو دالي إي دومينيتش (بالإسبانية: Salvador Felipe Jacinto Dalí i Domènech، ولد في ١١ مايو ١٩٠٤، فيغيراس، جرنده، إسبانيا - توفي في ٢٣ يناير ١٩٨٩، فيغيراس، جرنده، إسبانيا) رسام إسباني، يعتبر دالي من أهم فناني القرن العشرين شكل (١)، وهو أحد أعلام المدرسة السريالية، يتميز دالي بأعماله الفنية التي تصدم المشاهد بموضوعها وتشكيلاتها وغرابتها، وكذلك بشخصيته وتعليقاته وكتابات غير المألوفة والتي تصل حد اللا معقول والاضطراب النفسي. وفي حياة دالي وفنه يختلط الجنون بالعبقرية، لكن دالي يبقى مختلفاً واستثنائياً. في فوضاه، في إبداعه، في جنون عظمته، وفي نرجسيته الشديدة^(٧)، «فقد كان يصنع بعض المقتنيات والحلي بل وصنع أفلاماً وقطع أثاث»^(٨).



شكل (١)

٣- تحليل فني لبعض أعمال الفنان (سلفادور دالي) التي تتسم بالمفردات الشكلية واللونية الجريئة المعبرة التي يمكن الاستفادة منها في استحداث تصميمات مبتكرة:

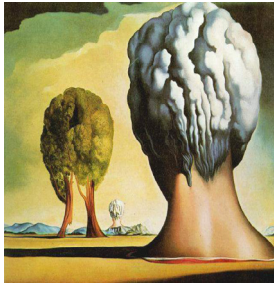
لقد اعتمد «دالي» على استخدام أسلوب خاص به في إخراج رموزه في أعماله، وهو الأسلوب الذي كان يسميه «فوتوغرافيا يد سلفادور دالي»، وهو الأسلوب الذي كان يعتمد فيه إلى تغيير طبيعة الأشياء، كتلك اللوحة التي أطلق عليها اسم «إصرار الذاكرة»، فقد قام بإحالة أجسام الساعات إلى مواد مطاطة وهلامية الشكل وأخذ يثنيها يميناً يساراً... وقد طوّر هذا الأسلوب في فترة لاحقة ليجعل الرموز تختلط بالسحب أو بأية مضامين أخرى تماماً كما فعل عندما أعاد رسم لوحة «إصرار الذاكرة» تحت اسم «تحلل إصرار الذاكرة» ونلاحظ في تلك الأعمال الألوان الصريحة والجريئة المليئة بالحياة.

يبدو لنا في لوحة «لحظه سامية» غرابة الشكل من خلال المزج بين التلفون والبيض وإكساب الأشياء صفة غير صفتها مع المزج بين عناصر بصورة خيالية تبدو على التأمل، وتميزت لوحة «النمل» بتكرار عناصرها ما بين التكرار الرتيب المتمثل في سنابل القمح والتكرار الغير رتيب الذي يظهر في عدد من النمل مختلف الأوضاع والاتجاهات، ونرى التكرار أيضاً في لوحة «أبو الهول الثلاثة» فتجده في تكرار الأشجار والتي تبدو أحياناً شجرة وأحياناً أخرى رأس إنسان حيث يتطلب التكرار مهارة من الفنان لتحقيق الاتزان حتى لا يخل

(٧) ar.wikipedia.org/wiki

(٨) ليوني بينيت: ترجمة عثمان مصطفى عثمان «حياة سلفادور دالي وأعماله»، دار هلا للنشر والتوزيع ٢٠٠٧، ص ١٢.

التكرار الغير منتظم بعناصر العمل الفني، ونلاحظ التباين اللوني في لوحة «البيض المقلي» ما بين الفاتح والداكن، بالإضافة إلى الجمع بين الألوان الساخنة، وقد رسم دالي نفسه في لوحة «المهرج» وقد أخفى إحدى عينيه في ظاهرة انتشرت في العديد من لوحاته، وظهرت في اللوحة التباين اللوني من خلال الألوان الساخنة والباردة. شكل (٢)



أبو الهول الثلاثة ١٩٤٧



لحظه سامية ١٩٣٨



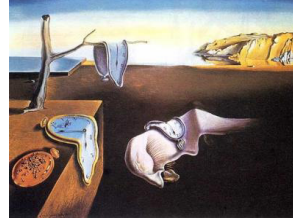
لغز من الرغبة ١٩٢٩



النمل ١٩٣٦



تفكك اصرار الذاكرة ١٩٥٤



اصرار الذاكرة ١٩٣١



البيض المقلي ١٩٣٢

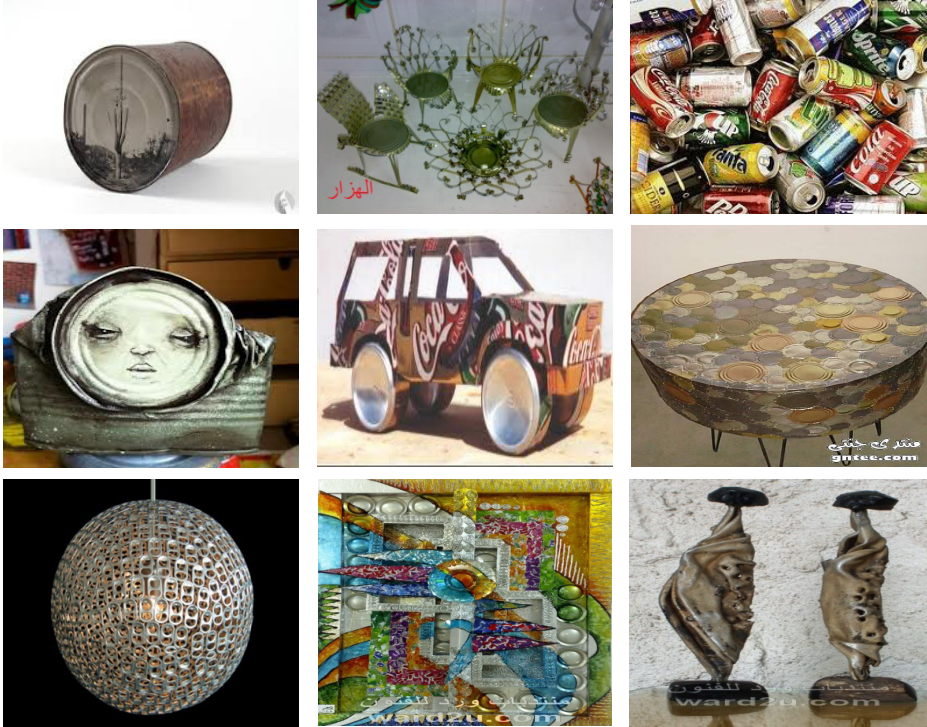


المهرج ١٩٣٣

شكل (٢) يوضح نماذج من أعمال الفنان سلفادور دالي كأمثلة تجريبية للتنفيذ

٤- نبذة عن الخامات المعدنية المستهلكة (العب المعدنية)

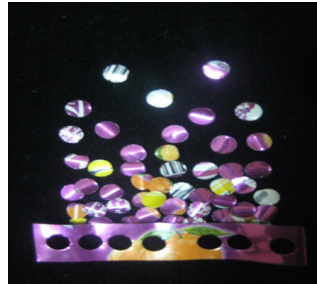
الخامات المعدنية المستهلكة عبارة عن بقايا الأدوات والخامات المعدنية المختلفة التي قمنا باستخدامها من قبل ويمكن الاستغناء عنها والاستفادة منها في عمل نافع ومفيد يحقق جانب نفعي وجمالي، والبحث الحالي يلقي الضوء على أهمية العب المعدنية كخامة مستهلكة يمكن الاستفادة منها في استحداث أعمال فنية مبتكرة مستوحاة من أعمال الفنان سلفادور دالي، وذلك لما تحمله من قيم فنية وجمالية من خلال التنوع اللوني والشكلي، وكذلك سهولة تشكيلها ورخص ثمنها، ما يجعلها حقل خصب للتجريب في كليات التربية الفنية، يتضح من خلال شكل (٣) أعمالاً فنية من العب المعدنية بتقنيات المعادن المختلفة (الحنى والثنى، التلوين، القص، البارز والغائر، الطي، الثقيب.. وغيرها).



شكل (٣) يوضح أعمال فنية منفذة من العب المعدنية

وبناء على النتائج السابقة قامت الباحثة بوضع بعض التصميمات مراعية فيها سمات وخصائص أعمال الفنان سلفادور دالي، تصلح لتنفيذها من خلال الخامات المعدنية المستهلكة (العب المعدنية)، في مشغولة معدنية معاصرة.

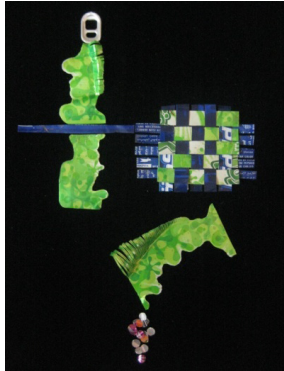
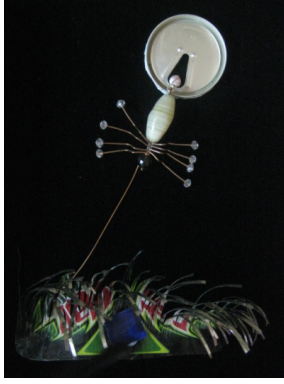
- بعض الممارسات التجريبية للتحقق من مدى الاستفادة من الخامات المعدنية المستهلكة (العلب المعدنية):



شكل (٤) يوضح بعض الممارسات التجريبية باستخدام (العلب المعدنية)

استخدمت الباحثة تقنيات المعادن المختلفة (الثقب، القص، الحني والثني، النسيج، الكولاج) للتحقق من مدى الاستفادة من (العلب المعدنية) في التجريب في مجال أشغال المعادن وإبراز دورها الجمالي والفني.

- تجربة ذاتية تعتمد على المفردات التشكيلية في بعض لوحات الفنان سلفادور دالي
تصلح كمعلقات معدنية معاصرة من (العب المعدنية):



شكل (٥) يوضح مدى الاستفادة من اللعب المعدنية في مشغولات فنية مستوحاة من
أعمال الفنان (سلفادور دالي)

نتائج البحث

تم التوصل إلى نتائج تتمثل في النقاط التالية:

- ١- إن الخامات المستهلكة تعد مصدراً هاماً من مصادر التجريب في مجال أشغال المعادن.
- ٢- أظهرت الدراسة التحليلية التي أجريت لنماذج من أعمال الفنان سلفادور دالي تميزها بأسلوب جمالي وفني والتي تتلاءم مع طبيعة الخامات المعدنية المستهلكة والدمج بينهما في استحداث مشغولة فنية معاصرة.
- ٣- على ضوء تلك التحليلات تم إجراء بعض الممارسات التجريبية للتحقق من مدى الاستفادة من الخامات المعدنية المستهلكة.
- ٤- تم إجراء العديد من التجارب الفنية لابتكار تصميمات تناسب الغرض التصميمي المطلوب (معلقة معدنية) وقد اكتمل البحث بعرض ستة أعمال منفذة لتحقيق الهدف.

التوصيات

على ضوء ما توصل إليه من نتائج يوصي البحث بالتالي:

- ١- ضرورة البحث عن مصادر جديدة كمدخل تصميمي من خلال دراسة أعمال الفنانين بوجه عام ودراسة بعض أعمال الفنان سلفادور دالي والاستفادة منها في مجال الفنون التشكيلية عامة وأشغال المعادن خاصة.
- ٢- الاهتمام بالخامات المعدنية المستهلكة كخامة رخيصة الثمن وإلى تحمل قيمة فنية وجمالية كمدخل للتجريب في مجال أشغال المعادن.
- ٣- ضرورة إعداد المزيد من الأبحاث المتخصصة عن الخامات المستهلكة والدمج بينها وبين المداخل التصميمية المتنوعة في استحداث مشغولات معدنية مبتكرة.

المراجع

- ١- اسماعيل شوقي: الفن والتصميم، مطبعة العمرانية، القاهرة، ١٩٩٩.
- ٢- أميرة أحمد حسين: «استخلاص الرموز التشكيلية في الفن الشعبي والإفادة منها في المشغولة الفنية الجدارية» رسالة دكتوراة، كلية التربية النوعية، جامعة عين شمس، ٢٠٠٥.
- ٣- غسان زيد أبو طرابية: «أثر المدرسة التجريدية والرمزية لتكوين كادرات الرسوم المتحركة في مقدمات الأفلام السينمائية»، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الفنون الجميلة، جامعة حلوان، ١٩٩٨.
- ٤- روبرت جيلام سكوت: أسس التصميم، ترجمة عبد الباقي محمد إبراهيم، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٨٠.
- ٥- ليوني بينيت: ترجمة عثمان مصطفى عثمان «حياة سلفادور دالي وأعماله»، دار هلا للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧.
- ٦- محسن محمد عطية: اتجاهات في الفن الحديث، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٥.
- ٧- محمود البسيوني: آراء في الفن الحديث، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦١.

8- www.Princessesbaghdad.com.

9- www.Greenlin.com.

10- ar.wikipedia.org/wiki.

11- www.egypt.com.

السياسات العامة للبحث العلمي والتطوير التكنولوجي في مؤسسات التعليم العالي في الوطن العربي

د. داليا محمد نبيل المنهراوي

مقدمة الدراسة

والعلمية. ويتطلب في ظل هذه الرهانات تحت جملة متكاملة من آليات التجديد وتوظيفها لتأمين الإطار الملائم لتطوير قطاع التعليم العالي. وتتبع الحلول الإصلاحية المعتمدة ومشاريع التجديد المبكرة من واقع التطورات التي شهدتها القطاع، وخصوصيات الجامعات العربية في تفاعلها مع محيطها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

وتأخذ الاستراتيجية بعين الاعتبار احتياجات المجتمع العربي والمستقبلية

في ظلّ التحولات الاقتصادية والتطور العلمي والتكنولوجي السريع الذي يشهده العالم خيارات الدول العربية في تكوين العنصر البشري وإعطائه الأولوية في استراتيجية التنمية الوطنية.

ويواجه التعليم العالي في مرحلته الحيوية الحالية جملة من التحديات المتعلقة أساساً بمقتضيات الإسهام في بناء مجتمع المعرفة في اقتصاد معولم، وضرورات الإعداد الأفضل للحياة المهنية والتكوين لمهن الغد، واستباق النسق المتسارع للتطورات التكنولوجية

• أستاذ مساعد، قسم وسائل وتكنولوجيا التعليم، مشرفه وحدة التعليم الإلكتروني ووحدة العلاقات العامة كلية

التربية - جامعة حائل/السعودية. Dalia-tec@hotmail.com

المتوائمة مع أهداف التنمية وخططها، وذلك بهدف تخريج طلبة مؤهلين قادرين على تلبية هذه الاحتياجات، من خلال رسم السياسات، وتحديد الإجراءات اللازمة لتوفير البيئة الملائمة لهذا التطوير، ومن خلال المحاور التي تدور حولها هذه الاستراتيجية، سواء من حيث أسس القبول في الجامعات، أو من حيث البرامج الدراسية، أو من حيث أسس الاعتماد وضبط الجودة والنوعية أو من حيث تشجيع الإبداع في البحث العلمي فلسفة التعليم العالي هي مجموعة من القواعد والقوانين التي تحكم العملية التعليمية بأبعادها التنظيمية الداخلية والخارجية التي يتحتم على القيادات العلمية والإدارية في التعليم العالي امتلاكها والإيمان بها من أجل بناء إستراتيجية مستقبلية للتعليم العالي. ومن هذا المنطلق فإنه يجب التأكيد على القيم الحضارية المستمدة من أصالة التراث، ومعطيات الحاضر تحقيقاً للتوجهات العامة الآتية:

- بناء الإنسان الواعي المتسلح بالعلم والمعرفة والقادر على الإبداع والتعامل مع مستجدات العصر على نحو متفتح وهادف ويحترم التنوع والتمايز والحوار بين الثقافات.
 - تهيئة البيئة المناسبة لتعزيز قدرات العاملين في التعليم العالي، بما يؤدي إلى تطوير واقع الوزارة ومؤسساتها العلمية والبحثية.
 - بناء مجتمع معرفي متطور يركز على المضامين القيمية ويتعامل مع مستجدات العصر وتحدياته.
 - العمل على توفير متطلبات الحياة اللائقة للعاملين في قطاع التعليم العالي بما يتناسب مع دورهم الحيوي في خدمة المجتمع وبشكل خاص أساتذة الجامعات/الهيئات.
- والنظر بجدية إلى مجموعة من الركائز الأساسية في إطار التوجهات العامة لفلسفتها، والتي تُعد مؤثرة في مسيرة التعليم العالي وتستهدف تنشيط مجمل الفعاليات المرتبطة بقيادة متطلبات التعليم العالي والبحث العلمي وهذه الركائز هي:

الركائز الأساسية التي يجب أن توجد داخل منظومة التعليم العالي

- ١- البيئة الجامعية: تطوير البيئة الجامعية من خلال:
 - لتوجه نحواً مركزية الإدارة الجامعية في إطار قانون التعليم العالي.
 - الجامعة حرم آمن ذو قدسية واستقلالية.
 - تعزيز مكانة الأستاذ الجامعي ودوره.
 - البناء العلمي والقيمي للطلاب الجامعي وتعزيز روح المواطنة فيه.
 - العدالة والمساواة في التعامل.

٢- التنمية البشرية المستدامة:

- إعداد مواصفات دقيقة لأعضاء الهيئة التدريسية وموظفي التعليم العالي.
- التنمية المستدامة لقدرات التدريسي الجامعي العلمية والبحثية.
- تحديد مواصفات دقيقة للخريجين (تطابق معايير الجودة العالمية).

٣- تقنية برامج التعليم:

- التوجه نحو تقانة التعليم العالي.
- استحداث الجامعات المتخصصة والكليات والأقسام العلمية المرتبطة بحافات العلوم.
- تحديث طرائق التدريس ووسائلها على وفق الأسس المعتمدة في الجامعات الرصينة.
- تطوير المكتبات الجامعية وتدعيم التوجّه نحو المكتبة الإلكترونية.

٤- البحث العلمي:

- يعد البحث العلمي النظري والتطبيقي أساس تقدم الشعوب والأمم، ولذا يتوجب إعطاءه دوراً مهماً كونه المرتكز الأساس في تطوير التعليم العالي لتحقيق التطور العلمي والترصين الثقافي.

٥- البعد الحضاري:

- الأخذ بنظر الاعتبار خصوصية الواقع الثقافي
- تأكيد أهمية التراث العلمي العربي الإسلامي.
- الاهتمام بسلامة اللغة العربية والتواصل مع اللغات الأخرى.

٦- التعليم الخاص (الأهلي):

- متابعة ترصين مساهمات الجامعات والكليات الأهلية في تأكيد انسجام متطلباتها بما يتوافق مع سياسات وتوجهات الوزارة وحاجة سوق العمل.
- التأكيد على أن تتحى الجامعات والكليات الأهلية منحى التكامل وليس التشابه في الاختصاصات العلمية والإنسانية مع الجامعات الرسمية.

٧- مستقبل التعليم العالي:

- التطلع إلى اعتماد أنماط التعليم المعاصر وتطوير نماذج متوافقة مع نظم وسياسات التعليم العالي.

٨- الهيكل الإداري:

- إعادة النظر في الهياكل التنظيمية لمركز الوزارة ومؤسساتها.
- إنجاز متطلبات التوصيف الوظيفي للعاملين في مؤسسات التعليم العالي.

٩- الدراسات العليا:

- ترصين الدراسات العليا وفتح آفاق مستقبلية في تخصصات جديدة.
- برمجة البعثات وتنشيط حركة الزمالات والمنح الدراسية.
- تفعيل برامج الدراسات العليا المشتركة مع الجامعات الرصينة.

تكنولوجيا المعلومات والاتصالات

١. استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وتحديث مساقاتها في جميع البرامج التعليمية من حيث المحتوى وأساليب التدريس والتقويم.
٢. السعي إلى إنشاء المكتبة الإلكترونية.
٣. تطبيق نظام الحكومة الالكترونية بين الوزارة ومؤسساتها، وبين المؤسسات وتشكيلاتها لتسهيل الاجراءات العلمية والإدارية.
٤. تطوير قدرات أعضاء هيئة التدريس في استخدام التكنولوجيا في التعليم والتعلم.
٥. توفير البنى الأساسية والمستلزمات اللازمة لتمكين أعضاء الهيئة التدريسية والطلبة من استخدام التكنولوجيا ومنها الاجتماعات الفيديوية.
٦. استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في برامج التعلم الأخرى وتشجيع المؤسسات التعليمية على التعاون لتحقيق ذلك.

التمويل

- ١- الاستمرار في إعادة هيكلة التمويل المالي للجامعات / الهيئات بما يكفل ردها بالموارد اللازمة.
- ٢- إنشاء صندوق التكافل الاجتماعي للطلبة المحتاجين (في التعليم الرسمي والأهلي) وتخصيص نسبة من الدعم الحكومي السنوي لهذه الصندوق.
- ٣- استكمال البنية التحتية للمؤسسات التعليمية الجديدة والمختبرات وتحديثها وتجهيزها، بالاستفادة من الدعم الحكومي الإضافي.
- ٤- تخصيص جزء من الدعم الحكومي الإضافي لتمويل تخصصات ومراكز التميز في الجامعات.

- ٥- توزيع التخصيص المالي السنوي بين المؤسسات التعليمية الرسمية وفقاً لأعداد الطلبة واحتياجاتها.
- ٦- اجتذاب الطلبة الوافدين وتسهيل إجراءات تسجيلهم في المؤسسات التعليمية العراقية وإقامتهم.

ضبط الجودة والاعتمادية

١. استحداث هيئة مستقلة في ديوان الوزارة (هيئة الجودة والاعتماد الأكاديمي) لضبط الجودة والاعتمادية والأداء الدولي تتولى مهمة تقويم جودة أداء المؤسسات التعليمية والبحثية وفقاً للمعايير الدولية المعتمدة.
٢. استحداث أقسام لضبط الجودة في المؤسسات التعليمية تتولى مهمة تطبيق معايير الجودة على مجمل النشاطات والفعاليات العلمية والتربوية.
٣. تفعيل المشاركة في مجلس ضمان الجودة والاعتماد والهيئات العربية المشتركة من خلال المساهمة بإرساء مواصفات عربية للجودة والتميز الأكاديمي وهياكل وآليات للتقويم والاعتماد تأخذ بعين الاعتبار المعاصرة والخصوصية الوطنية.

العلاقات الدولية

١. تشييط دور دائرة البعثات والعلاقات الثقافية في متابعة مهام وواجبات الملحقيات الثقافية.
٢. تفعيل دور الملحقيات الثقافية لفتح آفاق التواصل مع الجامعات الرصينة والنشاطات العلمية والثقافية في تلك الدول.

الإبداع والبحث العلمي

- ١- إن الاهتمام بالبحث العلمي والتطوير والإبداع يستدعي التوجه نحو ترسيخ أسس هيئة للبحث العلمي في وزارة التعليم العالي والبحث العلمي والتي تضم ممثلين عن مؤسسات التعليم العالي والقطاع العام والخاص والمؤسسات التي تعني بالبحث العلمي للعمل على:

- أ- توحيد الجهود العلمية والبحثية في مؤسسات التعليم العالي والمؤسسات الأخرى.

- ب- دعم صندوق تمويل البحث العلمي في الوزارة.
- ج- التوجه نحو البحوث التطبيقية والاستشرافية الأكثر فائدة لتلبية حاجات المجتمع.
- د- توثيق العلاقات مع مؤسسات البحث العلمي العامة والخاصة لإجراء البحوث لمصلحتها.
- هـ- تشجيع نشر الإنتاج العلمي، وتوحيد الجهود لإصدار المجلات العلمية المتخصصة المحكمة على المستوى الوطني.
- و- بناء قاعدة بيانات كاملة عن البحوث العلمية والباحثين ورسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراة (دراسات عليا) ومشاريع التخرج وإتاحتها للجميع.
- ٢- توفير التمويل اللازم للبحث العلمي.
- ٣- تهيئة الفرق البحثية الكفاءة وتوفير الفرص المناسبة لها لاكتساب الخبرات اللازمة.
- ٤- استحداث مراكز التميز في الجامعات بما يتناسب مع التخصصات النوعية فيها.
- ٥- إقامة شراكة فعلية وتنظيمية وفنية بين الجامعات وقطاعات التنمية والإنتاج والخدمات المختلفة.
- ٦- تعظيم استخدام الموارد والإمكانات المتوافرة في المؤسسات التعليمية فيما بينها لأغراض البحث العلمي والتعاون مع القطاعات الإنتاجية المختلفة.
- ٧- توفير الآليات اللازمة لاحتضان ورعاية الموهوبين من الطلبة ممن يمتلكون القدرة على التميز والإبداع.
- ٨- تخصيص جزء من موارد مؤسسات التعليم العالي لأغراض البحث العلمي ودعم الباحثين المتميزين.

الإدارة

- ١- استخدام التقنيات والبرامج الحديثة في العمل الإداري وعلى سبيل المثال لا الحصر (نظام المعلومات الإداري MIS، البرمجيات المتقدمة Advance programming).

- ٢- اعتماد اختيار القيادات الجامعية على وفق آلية محددة تعتمد معايير الكفاءة والمهنية والإدارة الحديثة وعلى أسس تنافسية.
- ٣- تبني الأساليب العلمية في الإدارة والتنفيذ والتوسع في تفويض الصلاحيات في الجامعات.
- ٤- تبني مبدأ الشفافية والمساءلة في إدارة التعليم العالي.
- ٥- تحسين إدارة قطاع الإبداع والبحث العلمي.
- ٦- استحداث مكاتب في الجامعات للتواصل العلمي مع الخريجين وتطويرهم.
- ٧- استحداث البوابة الإلكترونية.

القوانين والتشريعات

- ١- تعديل قوانين التعليم العالي والمؤسسات التعليمية لتنفيذ السياسات الخاصة بتشكيل الهيئات المقترحة.
٢. إعادة النظر في التشريعات الخاصة بما يكفل:
 - أ- تعديل قانون الشركات لتخصيص نسبة ١٪ من الأرباح السنوية للشركات وتحويلها لصندوق البحث العلمي.
 - ب- استمرار تطوير الأنظمة والتعليمات المتعلقة بأسس الترقيات العلمية والتفرغ العلمي والإيفادات التدريسية في المؤسسات العلمية العامة والخاصة.
 - ج- تعديل الأنظمة والتعليمات الخاصة بالبعثات الدراسية.
 - د- تعديل القوانين والأنظمة الكفيلة بزيادة مشاركة القطاع الخاص في مجالس الكليات / المعاهد، والجامعات/الهيئات ذات الاختصاص المشابه.
 - هـ- تشريع قانون صندوق تكافل الطلبة المحتاجين.
 - و- تشريع قانون لإنشاء صناديق تمويل دراسة الطلبة داخل القطر وخارجه.
 - ز- تعديل قانون الجامعات والكليات الأهلية المرقم (١٣) لسنة ١٩٩٦ المعدل وبما يتلاءم والظرف الحالي وحاجة المجتمع.
 - ح- تشريع قانون للجودة والاعتماد الأكاديمي لمؤسسات التعليم العالي.

مشكلة الدراسة

• يواجه التعليم خاصة في الدول العربية، أزمة تتمثل في سياسات الإصلاح الهيكلي وعدم الاستقرار السياسي التي أرهقت ميزانية مؤسساته، بالإضافة إلى بطالة الشباب وهجرة الكفاءات التي قوضت الثقة في التعليم العالي.

كما أدى التوجه الكبير نحو العلوم الاجتماعية إلى اختلال التوازن بين فئات المتخرجين المتوافرين في السوق مما خيب آمال حملة الشهادات وأرباب العمل على حد سواء في نوعية المعارف التي تقدمها مؤسسات التعليم العالي.

• ندرة تحقيق التكامل والتنسيق في المجهودات التي تقوم بها مؤسسات التعليم العالي في مجال البحث العلمي والتطوير التكنولوجي والحاجة إلى إنشاء قاعدة بيانات للبحث والتطوير عن طريق رصد مخرجات البحث والتطوير للجامعات وقياس مدى تفاعلها مع قطاعات الصناعة والخدمات.

أهمية الدراسة

• ربط خطط البحث العلمي والتطوير التكنولوجي وبرامجهما بخطط التنمية وحاجات المجتمع وتوثيق التعاون مع القطاع الخاص تحقيق التكامل والتنسيق في المجهودات التي تقوم بها مؤسسات التعليم العالي في مجال البحث العلمي والتطوير التكنولوجي:

١- قيام كل مؤسسة تعليم عالٍ بتقديم تقرير تقييمي عن تجربتها في مجالات التعاون العلمي مع مراكز البحث العلمي الإقليمية والدولية والجهات المانحة للدعم العلمي بهدف تعميم الفائدة.

٢- قيام كل مؤسسة تعليم عالٍ بتقديم تقرير سنوي عن نشاطاتها البحثية.

٣- إنشاء «هيئة مشتركة لإدارة المختبرات والأجهزة التخصصية في مؤسسات التعليم العالي» تكون مهامها:

(أ) حصر الأجهزة المتخصصة ذات الاستخدام المشترك.

(ب) وضع أنظمة وتعليمات لتحديد كيفية اعتماد الباحثين المؤهلين لاستخدام الأجهزة، ولبرمجة استعمالها، وتحديد رسوم استخدامها.

(ج) تحديد أنواع التجهيزات الجديدة المطلوبة للاستخدام المشترك.

٤- إنشاء مكتبة إلكترونية شاملة تشترك فيها مؤسسات التعليم العالي وتتم إدارتها بصورة مشتركة. وتضم المكتبة كشافاً إلكترونياً للدوريات والكشافات والمخطوطات والوثائق التاريخية وقواعد البيانات كافة الموجودة في كل مؤسسة.

٥- تشكيل هيئة تنسيق مشتركة من مؤسسات التعليم العالي لأغراض المؤتمرات الإقليمية والدولية على أن تقوم كل مؤسسة بتزويد هذه الهيئة بخطتها السنوية المقترحة للمؤتمرات والندوات وورش العمل.

٦- قيام كل مؤسسة تعليم عالٍ ببناء قاعدة بيانات للإنتاج العلمي لأعضاء هيئة التدريس والباحثين فيها ولأطروحات الدكتوراه ورسائل الماجستير كافة. وتكون قاعدة البيانات هذه متاحة على شبكة المكتبة الإلكترونية.

أهداف الدراسة

- ١- إعداد كوادر بشرية مؤهلة ومتخصصة في حقول المعرفة المختلفة تلبي حاجات المجتمع.
- ٢- توفير البيئة الأكاديمية والنفسية والاجتماعية الداعمة للإبداع والتميز والابتكار وصقل المواهب.
- ٣- تشجيع البحث العلمي ودعمه ورفع مستواه وبخاصة البحث العلمي التطبيقي الموجه لخدمة المجتمع وتميمته.
- ٤- إيجاد ارتباط مؤسسي وثيق بين القطاعين العام والخاص من جهة ومؤسسات التعليم العالي من جهة أخرى للاستفادة من الطاقات المؤهلة في هذه المؤسسات في تطوير هذين القطاعين عن طريق الاستشارات والبحث العلمي التطبيقي.

منهجية البحث

تستخدم الدراسة الحالية «المنهج الوصفي التحليلي» وهو المنهج الذي يهتم بما هو كائن وتفسيره والعمل على تحديد العلاقات بين خطط البحث العلمي والتطوير التكنولوجي وبرامجهما بخطط التنمية وحاجات المجتمع.

مصطلحات البحث

- استراتيجيات التخطيط: وهي ذلك النوع من التخطيط الذي يهتم أساساً بتصميم استراتيجيات التخطيط تجعل من المؤسسة قادرة على الاستخدام الأمثل لمواردها والاستجابة لفهم المتغيرات في البيئة الخارجية وتقييم القوى الداخلية وجوانب الضعف في المؤسسة، وتطوير رؤى لمستقبل تلك المؤسسات، والطرق المستخدمة لإنجاز تلك المهام، وتطبيق تلك الخطط من خلال نظام مراقبة ومتابعة. وتحديد التغيرات الضرورية والتعديلات التي يمكن إجراؤها على تلك الخطط.

وتتناول استراتيجيات التخطيط في التعليم العالي، إعداد تقديرات للاحتياجات لجانب الطلب والعرض من التخصصات لخدمة التنمية الكلية والقطاعية والجغرافية، وتحتاج إلى مسوحات ميدانية للخطط الخمسية والعشرية للبلاد، وحصر للطاقات والإمكانات المتاحة، وخطط البعثات الداخلية والخارجية وخطط البحث العلمي والتكنولوجي وغير ذلك.

- التعليم العالي: ويقصد به جميع مراحل التعليم بعد الثانوية العامة ويشمل الدبلوم والباكالوريوس والماجستير والدكتوراة، وجميع أنواعه النظرية والتطبيقية.

الخلاصة والتوصيات

شهد قطاع التعليم الجامعي الخاص في الدول العربية، نمواً سريعاً وأصبح قادراً على المنافسة في المستويين العربي والدولي واستقطاب المزيد من الطلاب العرب والأجانب. خدمة الأعداد الكبيرة من الطلبة الراغبين في إكمال دراستهم الجامعية. من أجل ذلك يصبح ضمان الجودة لمخرجات هذه الجامعات من خريجين متميزين ومزودين بالمهارات التكنولوجية والمعرفية مطلباً رئيساً لأنه من المؤشرات الحقيقية للتنمية والنهضة ومن أجل مواجهة متطلبات سوق الأعمال المحلية والإقليمية والدولية.

ومع ضرورة التوجه للاستفادة من تجارب الدول المتقدمة علمياً في برامج الاعتماد والجودة الأكاديمية، إلا أن تبني المعايير المحددة لاعتماد مؤسسات التعليم العالي في هذه الدول، دون موائمتها للبيئة المحلية لكل دولة لن يحقق الغرض منه بسبب الاختلافات الثقافية. كذلك لا يمكن للاعتماد الأكاديمي وحده حل كافة مشاكل التعليم العالي بمؤسساته العامة والخاصة مع الاختلافات السائدة بينهما، فالمعايير المحددة

للحصول على الاعتماد لتخصص ما قد لا توائم متطلبات تخصص آخر. لهذه الغاية ومن أجل ضمان مستقبل واعد للتعليم العالي في الأردن، هناك ضرورة للاستمرار في ضبط جودة التعليم ونوعيته والارتقاء بمستواه، ليتواءم مع احتياجات السوق المحلية والإقليمية والعالمية، وتحديث الخطط الدراسية و تطبيق معايير الاعتماد على الجامعات الحكومية والخاصة، ودعم هيئة الاعتماد في إنشاء بنك للامتحانات واختبارات الكفاءة، كما وأنه من الضروري السعي لإيجاد تعاون فيما بين الجامعات الرسمية الحكومية مع الجامعات الخاصة، وبخاصة في إجراء البحوث المشتركة وتخصيص موازنات كافية للبحث العلمي، والاهتمام بفروع العلوم المختلفة وعلى رأسها علوم المستقبل التي يحتاجها اقتصاد المعرفة، وإيجاد الكوادر العلمية المتخصصة فيها، كما وأنه من الضرورة بمكان إيجاد إستراتيجية واضحة توفر مخرجات متميزة بالأدوات البحثية التطويرية والريادية، وفي نوعية الخريجين المتميزين وطرح مشاريعهم بشكل يتوافق مع متطلبات السوق.

قائمة المراجع

- آيس، جيرولد (١٩٩٢)، ترجمة شحدة نافع، التعليم العالي في مجتمع متعلم، دار البشير للنشر، عمان - الأردن.
- بدران، عدنان (٢٠٠١) رأس المال البشري والقدرة بالجودة، استراتيجيات لعصر العولمة في التعليم العربي، (تحديات الألفية الثالثة)، أبو ظبي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية.
- بدران، شبل (١٩٩٣)، دراسات في سياسة التعليم في الوطن العربي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- الدبوبي، عبد الله (٢٠٠٣)، أهمية التعليم العالي في التنمية وفي الاستثمارات والموارد حاضراً ومستقبلاً، بحث مقدم إلى مؤتمر التعليم العالي (رؤية شاملة دورة في الارتقاء بخطط التنمية والإصلاح والتحديث حاضراً ومستقبلاً)، دمشق، ١-٣/٩/٢٠٠٣.
- ديلور، جاك (١٩٩٦)، اليوطوبيا الضرورية، التعليم ذلك الكنز المكنون، تقرير مقدم إلى اليونسكو، مركز الكتب الأردني، عمان / الأردن.
- رحمة، انطون (١٩٩٢)، تأملات في المشكلات والعقبات التي تواجه التعليم العالي في المشرق العربي، مكتب اليونسكو الإقليمي للتربية في الدول العربية (يونوباس).
- فرجاني، نادر (٢٠٠٢)، تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام (٢٠٠٢) منشورات برنامج الأمم المتحدة الإنمائي والصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي - الإنترنت.
- فرجاني، نادر (١٩٩٩)، سلسلة دراسات التنمية البشرية (١١) التنمية الإنسانية واكتساب المعرفي المتقدمة في البلدان العربية، دور التعليم العالي والبحث والتطوير التكنولوجي، الأمم المتحدة، نيويورك.
- القاسم، صبحي (٢٠٠٢) نوعية التعليم العالي في الوطن العربي / قضايا وأفكار، بحث مقدم إلى (مؤتمر التعليم العالي في الأردن بين الواقع والطموح)، جامعة الزرقاء الأهلية، ١٩٩٦.
- مكتب اليونسكو الإقليمي للتربية في الدول العربية (١٩٨٠) تأملات في مستقبل التعليم في المنطقة العربية خلال العقدين ١٩٨١-٢٠٠٠، وثيقة العمل الرئيسية (بيروت، مكتب اليونسكو الإقليمي للتربية في الدول العربية).
- موسى، محمود أحمد، «خلفيات النظام التعليمي العربي وفلسفته»، (المستقبل العربي، العدد ٤٢، ٤٤، ١٩٨٢).
- ناصر، أكرم (٢٠٠٢) الموارد البشرية وعصر المعلومات، دراسة، الإنترنت.
- النجار، فريد (١٩٩٩)، إدارة الجامعات بالجودة الشاملة، رؤى التنمية المتواصلة، اثيراك للنشر والتوزيع - القاهرة.
- النواب، نبيل يعقوب، وفرجاني، نادر (١٩٨٨)، مستقبل التعليم والبطالة في الوطن العربي، (الكويت، المعهد العربي للتخطيط، الحلقة النقاشية الحادية عشرة، ديسمبر ١٩٨٧، إبريل ١٩٨٧ / الكويت).

دور مخابر البحث الجزائرية في البحوث الإنسانية مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا بجامعة وهران أنموذجا (مقاربة منهجية من أجل التجديد)

مقدمة

أ. عبد الرحمان بن محمد بعثمان*
د. امحمد مولاي**

تمثل مخابر البحث في الجامعات الجزائرية أحد أهم الميكانيزمات، ذات الفعالية في حقل البحث العلمي، والتي تمكن من خلالها إرساء تقاليد بحثية مثمرة ومتجددة، والمخابر البحثية هي عبارة عن هيئات أكاديمية علمية تتكون من فرق بحث، ولها مجلس علمي ينتخب ويرسم أهداف أبحاثها، ويتمتع باستقلال مالي يسخر في تحقيق تلك الأهداف، وتخضع الفرق البحثية إلى مراقبة بعدية من طرف مدير المخبر.

والمخابر في الجامعات الجزائرية هي هيئات علمية أكاديمية تتشكل من ثلاث فرق للبحث على الأقل وقد تفوقه، ولها مجلس علمي ينتخب مديرها ويرسم

أهداف أبحاثها، ويتمتع باستقلال مالي يسخر في سبيل تحقيق تلك الأهداف، وتخضع دورياً لمراقبة بعدية يجريها مدراء مخابر من جهات أخرى لهم دراية بالتسيير ونتائج علمية مشهودة في الميدان. وزيادة على الميزانية التي تسخرها الجهات الوصية للمخابر فإنها قد تزود ببعض التجهيزات الإضافية من خارج ميزانيتها.

* أ. عبد الرحمان بعثمان: أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة بشار/ الجزائر.
** د. امحمد مولاي: أستاذ تكنولوجيا المعلومات والمخطوطات العربية الإسلامية، جامعة وهران/ الجزائر.

Baotman1980@gmail.com

واعتباراً من أن المخابر يسيرها أساتذة الجامعة أنفسهم فإن كل جامعة تهين لها مقرات ذات مواصفات محددة لتؤدي ما هو مطلوب منها وتتكفل بتسييرها الإداري والمالي وكل ما من شأنه أن يسهل مهامها العلمية والأكاديمية.

ويعد مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال أفريقيا بجامعة وهران من أهم المخابر الفاعلة في حقل البحوث الإنسانية ومجال المخطوطات خصوصاً، فمنذ تأسيسه سنة ٢٠٠٠ م، عكف المخبر على تفعيل وتركيز جهود الباحثين على جمع المخطوطات وفهرستها ودراساتها وتحقيقها، وذلك من خلال العمل الجاد ضمن فرق البحث التي بلغ عددها حوالي (٥) فرق تبحث في شتى صنوف مجلة التأليف (التاريخ، الحضارة الإسلامية، الفقه، علوم القرآن والسنة...)، وتعد المجلة الجزائرية للمخطوطات الصورة العاكسة لتلك الجهود، حيث تنشر مقالات رصينة تعنى باطلاع عموم الباحثين على جديد البحث في مجال المخطوطات تحقيقاً ودراسة وفهرسة.

ويستعرض هذا البحث المتواضع، تجربة مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية بجامعة وهران في المحافظة على هذا التراث المخطوط الجزائري والشمال إفريقي والذي يمثل إحيائه وبعثه، دفعة نوعية للبحث في العلوم الإنسانية. وذلك من خلال الإشكاليات التالية:

- ما مدى فاعلية مخابر البحث بالرقى بالبحث الأكاديمي في العلوم الإنسانية؟
- ما هي جهود مخبر المخطوطات في إرساء ثقافة بحثية تقوم على العناية بالمخطوطات ثم استثمارها في البحوث الأكاديمية الإنسانية؟
- ما هي أهم المكانزمات التي يعتمد عليها المخبر في تحقيق أهدافه البحثية؟

١ - مخابر البحث العلمي في الجزائر

لقد نص القانون التوجيهي، والبرنامج الخماسي السالف الذكر، على تأسيس المخابر ووحدات البحث، بهدف ترقية البحث العلمي، والتطوير التكنولوجي، ولبلوغ هذه الأهداف كلها، نص القانون على أن تقوم كل الدوائر الوزارية، والمؤسسات الخاصة كل فيما يخصه، باتخاذ كل الإجراءات الضرورية، لترقية البحث العلمي، والتطوير التكنولوجي، في إطار الهياكل التابعة لها.

أ- مهام وأهداف مخابر البحث العلمي في الجزائر: يكلف مخبر البحث بموجب المادة الرابعة من المرسوم التنفيذي رقم ٩٩-٢٤٤ المؤرخ في ٢١ أكتوبر ١٩٩٩، والذي يحدد قواعد إنشاء مخبر البحث، وتنظيمه وسيره بما يلي:

- تحقيق أهداف البحث العلمي، والتطوير التكنولوجي في مجال علمي، محدد، وإنجاز الدراسات وأعمال البحث، التي لها علاقة بهدفه.
- المشاركة في إعداد برامج البحث، المتعلقة بنشاطاته، والمشاركة في تحصيل معارف علمية، وتكنولوجية جديدة، والتحكم فيها، وتطويرها.
- المشاركة على مستواه، في تحسين تقنيات، وأساليب الإنتاج، والمنتجات، والسلع والخدمات، وتطوير ذلك.
- المشاركة في التكوين، بواسطة البحث، ومن أجل البحث، ترقية نتائج أبحاثه، ونشرها.
- جمع المعلومات العلمية والتكنولوجية، التي لها علاقة بهدفه، ومعالجتها، وتأمينها، وتسهيل الاطلاع عليها، والمشاركة في وضع شبكات بحث ملائمة.

ب- قواعد إنشاء مخابر البحث العلمي في الجزائر: ينشأ مخبر بحث، على أساس المقاييس الآتية:

- أهمية نشاطات البحث، بالنسبة لحاجات التنمية الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، والعلمية، والتكنولوجية للبلاد.
- حجم وديمومة البرنامج العلمي، أو التكنولوجي، الذي تندرج فيه نشاطات البحث، أثر النتائج المنتظرة، على تطوير المعارف العلمية، والتكنولوجية، نوعية وحجم القدرات العلمية، والتقنية المتوفرة، أو الممكن تجنيدها، الوسائل المادية، والمالية المتوفرة، أو الواجب اقتنائها.
- زيادة عن المقاييس المذكورة، يجب أن يتكون مخبر البحث، من أربع فرق بحث، على الأقل.

ج- تنظيم العمل داخل مخابر البحث العلمي في الجزائر: يدير مخبر البحث، مدير، ويزود هذا الأخير، بمجلس مخبر، يتكون من مسؤولي فرق البحث، ورؤساء مشاريع البحث، كما أنه يعين لمدة ثلاثة سنوات، قابلة للتجديد، بناءً على اقتراح مسؤول مؤسسة الإلحاق، من بين المترشحين الاثنين، الأعلى رتبة، واللذين ينتخبهما، أعضاء مجلس المخبر من بينهم، تتشكل فرقة البحث، التي يديرها باحث مؤهل، من ثلاثة باحثين، على الأقل، وتضطلع فرقة البحث، في مهمة رئيسية، تتمثل في تنفيذ مشروع، أو عدة مشاريع بحث، تدخل في إطار برنامج المخبر، بحيث يشرف على كل مشروع بحث، مسؤول المشروع.

مهام مدير مخبر البحث: يتولى مدير مخبر البحث، الإدارة العلمية، والتسيير المالي للمخبر، حيث يكون الأمر بصرف الاعتمادات المخصصة للمخبر، كما يعد مسؤولاً عن السير الحسن لمخبر البحث، ويمارس السلطة السلمية، على كل مستخدمي البحث، ودعم العاملين بالمخبر، كما يمكنه، بتفويض من رئيس مؤسسة الإلحاق، أن يبادر بعقود واتفاقيات، ويبرمها، بغرض إنجاز أعمال البحث، والدراسات، وتقديم الخدمات مع مؤسسات وطنية، أو دولية ذات صلة بمهام المخبر، طبقاً للتنظيم المعمول به، ويقدم برامجه، وحصيلة نشاطاته، إلى أجهزة التقييم، التابعة لمؤسسة الإلحاق، في دراستها، كما يمكن لمدير مخبر البحث، أن يستعين في إطار مهام المخبر، بباحثين يعملون بوقت جزئي، بعد استشارة مجلس المخبر.

مهام مجلس مخبر البحث: يكلف مجلس المخبر، الذي يرأسه مدير المخبر، بما يأتي:

- المشاركة في إعداد البرامج وتقييم نشاطات البحث دورياً.
- دراسة حصيلة نشاطات البحث، والتسيير، والموافقة عليها والمصادقة على الجداول التقديرية، للإيرادات، والنفقات، التي يقدمها المدير.
- السهر على الاستعمال العقلاني، للموارد البشرية، والمالية، والمادية وإعداد نظامه الداخلي، والمصادقة عليه.

الموارد المالية لمخبر البحث: يتمتع مخبر البحث، باستقلالية التسيير، ويخضع للمراقبة المالية البعيدة (عن بعد)، وتأتي موارد مخبر البحث، مما يأتي: مساهمات الصندوق الوطني للبحث العلمي، والتطوير التكنولوجي، اعتمادات التسيير، التي يفوضها مسؤول، مؤسسة الإلحاق، نشاطات تقديم الخدمات والعقود، البراءات والمنشورات، الهبات والوصايا.

د. مخابر البحث العلمي في جامعات قسنطينة، الجزائر، وهران

١. مخابر البحث العلمي في جامعة منتوري بقسنطينة: بلغت مشاريع البحوث العلمية، بجامعة منتوري، ١٧٨ مشروع، بحث سنة ١٩٩٨، في حين وصلت، سنة ٢٠٠٠ إلى ٢٠٥ مشروع بحث، ليرتفع العدد إلى ٢٦٥ مشروع بحث، موزعة على ٧٨ مخبر بحث، سنة ٢٠٠٤.

٢. مخابر البحث العلمي في جامعة الجزائر: تحتوي جامعة الجزائر على ٤٠ مخبر بحث، موزعة على ١٢ تخصص، منها ١٢ مخبراً في العلوم الطبية، ومخبران

يهتمان بالمخطوطات، الأول يهتم بتحقيق المخطوطات، ودراسة التراث الأدبي واللغوي، أما المخبر الثاني، فيهتم بالمخطوطات بصفة عامة.

٣. مخابر البحث العلمي في جامعة وهران السانيا: بلغ عدد المخابر المعتمدة في جامعة وهران ٣٤ مخبر بحث، سنة ٢٠٠٠ والتي من بينها، مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا، في حين ارتفع عدد المخابر المعتمدة سنة ٢٠٠١ إلى ١٢ مخبر بحث، ليصل إلى ١١ مخبر بحث، سنة ٢٠٠٢، ثم لينخفض العدد إلى مخبرين فقط، سنة ٢٠٠٣ وبهذا يكون العدد الإجمالي لمخابر البحث، في جامعة وهران ٥٩ مخبر بحث، ومن هنا يمكن القول، أن إصدار قانون البرنامج ٩٨-١١ الخاص بالبحث العلمي، والتطور التكنولوجي، يوحي لنا، بأن الدولة الجزائرية، الممثلة بالحكومة، واعية بمكانة ودور البحث العلمي، في بناء دولة متقدمة حضارية.

الباحثين بمخابر البحث في المخطوطات، بالجامعات الجزائرية، حسب المخابر: نورد في الجدول الموالي، مختلف الباحثين بمخابر البحث في المخطوطات بالجامعات الجزائرية، موزعين حسب المخابر:

عدد الباحثين	المخبر
٣١	المخبر ١: (مخبر مخطوطات شمال إفريقيا) جامعة وهران
١٩	المخبر ٢: (مخبر المخطوطات) جامعة الجزائر - بوزريعة
١١	المخبر ٣: (مخطوطات البحوث والدراسات في حضارة بلاد المغرب) جامعة منتوري قسنطينة
٦١	المجموع

الجدول رقم ٧- يمثل عدد الباحثين بمخابر البحث في المخطوطات بالجامعات الجزائرية حسب المخابر

من خلال الجدول يتبين لنا، أن مخبر مخطوطات شمال إفريقيا، يحتل الصدارة من حيث عدد الباحثين، حيث يبلغ عدد الباحثين به ٣١ باحثاً، في حين، كان عدد الباحثين في مخبر المخطوطات، ١٩ باحثاً، وبالمقابل، بلغ العدد ١١ باحثاً، في مخبر مخطوطات البحوث والدراسات في حضارة بلاد المغرب، ليكون مجموع الباحثين بمخابر البحث في المخطوطات بالجامعات الجزائرية هو: ٦١ باحثاً، ومن هنا فإن مخبر البحث، الذي يملك

أكبر عدد من الباحثين، يكون لديه بالضرورة، أكبر عدد، من حيث فرق البحث، وبالتالي تعدد مشاريع البحث لديه، وهو ما أكدته المعلومات المسترجعة، في استمارات المقابلة

الموجهة لمديري المخابر، حيث كان عدد فرق البحث، لدى مخبر مخطوطات شمال إفريقيا (٥) خمسة فرق، فكانت هاته الفرق كالآتي: ١- التاريخ، ٢- اللغة والأدب، ٣- الفقه، ٤- السياسة الشرعية، ٥- العلوم العقلية، وهذا انطلاقاً من المعلومات، التي أفادنا بها مدير المخبر، بواسطة استمارة المقابلة الموجهة إليه، في حين بلغت فرق البحث لدى مخبر المخطوطات، وبناء على المعلومات الواردة في مذكرة نيل شهادة الماجستير، في علم المكتبات، من إعداد خالد رحاي، نظراً لعدم استرجاع استمارة المقابلة، الموجهة لمدير مخبر المخطوطات، بلغت عدد فرق البحث (٤) أربعة فرق بحث وهي: ١- فرقة الفهرسة العربية للمخطوطات، ٢- فرقة الفهرسة الآلية والحفظ والتخزين الآلي، ٣- الفرقة الثالثة والرابعة تقوم بجمع وتحقيق المخطوطات العربية.

مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا بجامعة وهران

نشأة وتأسيس المخبر:

يعرف المخبر باسم «مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية بشمال إفريقيا»، يقع بكلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية بجامعة وهران، اعتمد بالمرسوم الوزاري رقم ٨٨ المؤرخ في ٢٠ جويلية ٢٠٠٠ من طرف الوزارة المنتدبة للبحث العلمي، يعنى بالإهتمام بإدراج المخطوط كمجال إشغال معرفي وبحث علمي.

مهام وأهداف المخبر:

- فهرسة خزائن المخطوطات على مستوى كل التراب الجزائري.
- المساهمة في وضع الخريطة الوطنية لخزائن المخطوطات.
- تبيين وتقييم نفائس المخطوطات الموجودة على مستوى الجزائر.
- تبادل المعارف والمعلومات والتجارب فيما يتعلق بالمخطوطات مع المؤسسات المغاربية والدولية ذات العلاقة.
- تكوين طلبة ما بعد التدرج في علم المخطوط.
- تحقيق ونشر الأعمال العلمية المنجزة ضمن مهام المخبر.
- العمل على إنقاذ المخطوطات التي تحتاج إلى ذلك.
- التصوير الرقمي للمخطوطات وإنشاء مكتبة رقمية على مستوى المخبر.

وقمنا بإنشاء بطاقات فهرسية إلكترونية للمخطوطات مطابقة للبطاقة الفهرسية المنبثقة عن ندوة «المخطوطات العربية في العالم الإسلامي» المنعقدة بمقر مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية بالدار البيضاء المغربية في شهر إبريل ١٩٨٨ - والتي لم تتم رقمتها بعد - بغرض إنشاء قاعدة معطيات وسوف يتم تحويلها إلى مكتبة رقمية للمخطوطات بالمخبر، وندرس إمكانية إتاحتها في موقع المخبر على شبكة الإنترنت فيما بعد لأن المشروع لا زال في بدايته.

رصيد المكتبة بالمخبر: تتكون مكتبة المخبر من مجموعة من المؤلفات والدوريات التي يزيد عددها عن ٥٠٠ مصدر ومرجع من أمهات الكتب، تم جمعها منذ إنشاء المخبر انطلاقاً من الحرص المتواصل من طرف مدير المخبر على تزويد المكتبة، وأخيراً تم فهرسة جميع الكتب والدوريات المتوفرة بالمكتبة، كما تحتوي مكتبة المخبر عدداً كبيراً من المخطوطات المصورة في مختلف الموضوعات، والتي يزيد عددها عن ٤٠٠ مخطوطة في مختلف الميادين، وتم مؤخراً فهرسة ١١٠٠ مخطوط، في مجموعة من خزائن المخطوطات المنتشرة عبر الوطن، هذا بالإضافة إلى المخطوطات الرقمية بالمخبر والتي تتجاوز ٨٠ مخطوط والعدد قابل للزيادة.

علاقات المخبر العلمية: حرص المخبر منذ إنشائه على التواصل والتفاعل مع المخابر والمكتبات وخزائن المخطوطات والمراكز الثقافية والعلمية الجزائرية والعربية والأجنبية المهمة بالمخطوطات، حتى بلغ عددها أكثر من ٣٠ مؤسسة، منها ما هو داخل الوطن وخارجه.

- المؤسسات داخل الوطن:

- المكتبة الوطنية الجزائرية، والمركز الوطني للمخطوطات.
- مكتبة الزاوية العثمانية ببسكرة، خزائن منطقة غرداية، خزائن منطقة أولف بأدرار.
- خزانة السي البشير المحمودي بمعسكر، خزانة زاوية الهامل ببوسعادة، خزانة الطبيب الشريف بكوسام.

- مخابر المخطوطات: مخبر المخطوطات وتحقيق التراث الأدبي واللغوي، مخبر المخطوطات بجامعة الجزائر، مخبر مخطوطات البحوث والدراسات في حضارة بلاد المغرب، مخبر مخطوطات البناء الحضاري للمغرب الأوسط.

- المؤسسات خارج الوطن: للمخبر علاقات مع مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي، مركز أحمد بابا للدراسات، مركز الشيخ سيد المختار الكبير الكنتي، الخزانة العامة

بالرباط، خزانة القرويين بفاس، هذا بالإضافة إلى عدة مكتبات أبدت رغبتها واستعدادها في تنشيط العلاقة واستمرارها من خلال تبادل فهارس المخطوطات والمطبوعات وكل ما ينشر في هذا المجال ومن بين هذه المكتبات: المكتبة الأحمدية بتونس، ومكتبة المسجد النبوي بالمدينة المنورة، وأغلب مكتبات الجامعات السعودية كمكتبة جامعة أم القرى، والمكتبة الظاهرية بدمشق، والمكتبة الوطنية بباريس، ومكتبة إكس اينبروفانس بفرنسا، ومكتبات متعددة بسلطنة عمان.

مجلة المخبر: «المجلة الجزائرية للمخطوطات» وهي مجلة علمية محكمة يصدرها المخبر منذ جوان ٢٠٠٢م، يشرف على تحريرها نخبة من الأساتذة من مختلف جامعات العالم، العديدين الآخرين تحت الطبع عدد ٢٠٠٦ و ٢٠٠٧، وتشرع اللجنة في جمع مقالات عدد ٢٠٠٨.

- مدير المجلة: أ. د. بن نعمة عبد المجيد. جامعة وهران.
- رئيس التحرير: أ. د. سلطاني الجيلالي. جامعة وهران، وتحظى مجلة المخطوطات بمتابعة واهتمام الباحثين وطلبة الدراسات العليا الجزائريين وخارج الجزائر في مجال المخطوطات.

فرق البحث بالمخبر: يتشكل المخبر من خمسة فرق بحث هي كالتالي:
الفريق الأول: مخطوطات السياسة الشرعية رئيس الفريق: عبد المجيد بن نعمة (أستاذ التعليم العالي).
الفريق الثاني: مخطوطات التاريخ رئيس الفريق: محمد بن معمر (أستاذ التعليم العالي).
الفريق الثالث: مخطوطات العلوم القرآنية رئيس الفريق: الجيلالي سلطاني (أستاذ التعليم العالي).
الفريق الرابع: مخطوطات الفقه رئيس الفريق: حسن زقور (أستاذ التعليم العالي).
الفريق الخامس: مخطوطات العلوم العقلية رئيس الفريق: سليمان بوعصبانة عمر أستاذ محاضر «أ»، وفي الموسم المقبل يعزم المخبر على تكوين فرقة بحث حول تكنولوجيا المعلومات وتطبيقاتها في مجال المخطوطات وتضم باحثين من بينهم متخصصين في علم المكتبات والعلوم الوثائقية.

الخاتمة

تكتسي دراسة المخطوطات أهمية كبيرة، حيث أنها تعتبر وسيلة لاكتشاف أسباب التقدم أو التخلف في مجال البحث العلمي عند شعب أو أمة ما، وذلك لأن دراسة المخطوطات بواسطة مختلف وجوه البحث العلمي في مجال المخطوطات يؤدي إلى نتائج بحثية تفيد مجتمع الدراسة سواء تعلق الأمر بالمخطوطات العلمية التطبيقية أو المخطوطات في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية، حيث أن المخطوط يفتح أمامنا مجالاً واسعاً للبحث العلمي، من خلال صيانة وترميم المخطوطات من العوامل التي تؤثر فيها، كما أن فهرسة المخطوطات، تلعب دوراً مهماً في الحفاظ على التراث العربي الإسلامي المخطوط، حيث أنها تعتبر الوسيلة المثلى في ضبط الإنتاج الفكري المخطوط بببليوغرافيا، وبالتالي تيسير الانتفاع به، ثم إن عملية تحقيق المخطوطات لا تقل أهمية عن سابقتها، الصيانة والترميم والفهرسة، حيث أن عملية تحقيق المخطوطات تهدف إلى التأكد من نسبة المخطوط إلى صاحبه، وأيضاً نسبة المخطوط إلى عنوانه، وهذا لا يكون إلا إذا كان المخطوط في حالة مادية حسنة، مع إمكانية الإطلاع على نسخ المخطوط، في مكتبات العالم من خلال فهرسها، ثم إن عملية تحقيق المخطوطات، تفرض نشر ما تم تحقيقه كنتيجة للتحقيق، وإذا كانت مختلف العمليات السابقة، لها دور في الاهتمام بالمخطوطات، فإن الرقمنة كوسيلة تكنولوجية حديثة لها دورها البالغ الأهمية، في تفعيل مختلف العمليات السابقة الذكر والمتعلقة بالمخطوط، وبالتالي فإن دراسة المخطوطات، ترمي إلى تحقيق أهداف حيوية ديناميكية، بالنسبة للبحث العلمي المعاصر.

للبحث العلمي دور أساسي في تطور المجتمعات ورفقيها، حيث أصبح يشكل أحد المعايير الرئيسية، التي تقاس بها تطور ورفقي البلدان، وهو يشكل العمود الفقري بالنسبة للجامعات، ومراكز البحوث، والتي تنعكس نتائج بحوثها بالضرورة على المجتمعات المتواجدة بها، وفي الجزائر عرف البحث العلمي تحسناً ملحوظاً خاصة في مجال المخطوطات، وهذا بعد استحداث مؤسسات تعنى بإدراج المخطوطات، في مجال البحث العلمي، مما يستدعي من الباحثين التحلي بصفات البحث العلمي، وخصائصه من أجل الوصول إلى نتائج تفيد المجتمع الجزائري، وهذا من منطلق أن المخطوطات، تشكل معياراً لقياس مدى تطور البحث العلمي، لدى دولة من الدول، فإن الدول التي تحافظ على تراثها المخطوط، وتقوم بصيانتها، وإتاحتها، والتعريف به لدى الباحثين، تحافظ بالتالي على ذاكرتها وماضيها، ومن ثم تاريخها من الزوال، وهي بذلك تبني حاضرها ومستقبلها، انطلاقاً من ماضيها.

مراجع البحث

١. علي النملة: سجل أبحاث المؤتمر الثاني للتخطيط وتطوير التعليم والبحث العلمي في الدول العربية «نحو بناء مجتمع معرفي» الظهران، جامعة الملك فهد للبترول والمعادن، ٢٠٠٨، ص ٥٤٣، المجلد ٢.
٢. عناية غازي: إعداد البحث العلمي، ليسانس، ماجستير، دكتوراة، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٥، ص ١١.
٣. Ahmed m. elshami; sayed hassballah, encyclopidic dictionary of library and information science terms english-arabic. Acadimic bookshop. Cairo. T. 2. 2001. p. 1470.
٤. مؤسسة أعمال الموسوعة العربية العالمية، ج ١٦، الرياض، مؤسسة أعمال الموسوعة، ١٩٩٩، ص ٣٦٦.
٥. عوادي عمار: منهج البحث العلمي وتطبيقاتها في ميدان العلوم القانونية والإدارية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٨٧، ص ٥.
٦. عياد أحمد: مدخل لمنهجية البحث العلمي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ٢٠٠٦، ص ٢٦.
٧. أبو النجا محمد علي العمري: هموم ومعوقات النشاطات البحثية للباحثين وسبل تلافيها، البحث العلمي في الوطن العربي ومشكلات النشر، الشارقة، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، ٢٠٠٦، ص ٧.
٨. بوحوش عمار: الذنبيات محمد محمود، منهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٩٩، ص ١٣.
٩. ناهي يوسف ياسين: البحث العلمي وسبل النهوض، في مؤتمر آفاق البحث العلمي والتطور التكنولوجي في الوطن العربي، دمشق ١١-١٤ كانون ٢٠٠٦، دمشق، المؤسسة العربية للعلوم والتكنولوجيا، ٢٠٠٦، ص ١.
١٠. شلعب مصطفى عبد السلام، أساليب وآليات استثمار الطاقة العلمية والتقانية المتاحة بالجامعات والمؤسسات البحثية في أنشطة البحث والتطوير وتنمية القطاعات الإنتاجية والخدمية، في المؤتمر العربي الأول حول الجامعات والمؤسسات البحثية ودورها في البحث والتطوير، الجزائر، اتحاد مجالس البحث العلمي العربية، ٢٠٠٠، ص ٤٩.
١١. مورييس أنجرس: منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، تدريبات عملية، الجزائر، دار القصب للنشر، ٢٠٠٤، ص ٧١.
١٢. عياد أحمد: المرجع نفسه، ص ٣٠.
١٣. الفزا ماجد محمد: الصعوبات التي تواجه البحث العلمي الأكاديمي في جامعات قطاع غزة من وجهة نظر الأساتذة في كلية التجارة، في البحث العلمي في الوطن العربي ومشكلات النشر، الشارقة، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، ٢٠٠٦، ص ١٠١.
١٤. طه تايه النعيمي: المرجع السابق، ص ٧.
١٥. شلعب مصطفى عبد السلام، المرجع السابق، ص ٦٩.
١٦. أمين سليمان سيدو: مكتبات الجامعات السعودية والبحث العلمي، مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، مج ٣، ١٤، أكتوبر ١٩٩٧، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٩٩٧، ص ٣٦.
١٧. سعيد عوض سعيد: فؤاد راشد عبده، معوقات ومشاكل البحث العلمي الإدارية والبيئية في الجامعات اليمنية من وجهة نظر عضو هيئة التدريس (حالة تطبيقية جامعة عدن)، في البحث العلمي في الوطن العربي ومشكلات النشر، الشارقة، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، ٢٠٠٦، ص ٣٤٣.
١٨. طه تايه النعيمي، المرجع السابق، ص ٩.
١٩. محمد السيد الناغي، واقع البحث العلمي الجامعي في الوطن العربي وآفاق تطويره لخدمة التنمية الإدارية في القطاع الصناعي، في البحث العلمي في الوطن العربي ومشكلات النشر، الشارقة، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، ٢٠٠٦، ص ٥٨٨.
٢٠. عبد الإله صالح مثني: واقع البحث العلمي وآفاق تطويره لخدمة التنمية في الجمهورية اليمنية، في البحث العلمي في الوطن العربي ومشكلات النشر، الشارقة، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، ٢٠٠٦، ص ٤٩٣.

٢١. س. قصار: البحث العلمي في إطار البرامج الوطنية للبحث، في المؤتمر العربي الأول: الجامعات والمؤسسات البحثية ودورها في أنشطة البحث والتطوير من ٢١-٢٢ ماي، الجزائر، ٢٠٠٠، الجزائر، الوكالة الوطنية لتنمية البحث العلمي، ٢٠٠٠، ص ١٦٧.
٢٢. طارق علي جاسم العاني، توجهات المؤسسات العلمية العربية في توثيق تفاعلها ولارتباطها بقطاعات التنمية الاقتصادية، في المؤتمر العربي الأول: الجامعات والمؤسسات البحثية ودورها في أنشطة البحث والتطوير من ٢١-٢٢ ماي، الجزائر، ٢٠٠٠، الوكالة الوطنية لتنمية البحث العلمي، ٢٠٠٠، ص ١٥٧.
٢٣. طه تايه النعيمي، المرجع السابق، ٢٠٠٠، ص ٥.
٢٤. ناهي يوسف ياسين، المرجع السابق، ص ١.
٢٥. بوطالب قويدر: طويل أحمد: الجامعة والبحث الجامعي في الجزائر: الوضعية والآفاق، في المؤتمر العربي الأول: الجامعات والمؤسسات البحثية ودورها في أنشطة البحث والتطوير من ٢١-٢٢ ماي، الجزائر، ٢٠٠٠، الجزائر، الوكالة الوطنية لتنمية البحث العلمي، ٢٠٠٠، ص ٣١٧.
٢٦. طارق علي جاسم العاني: المرجع نفسه.
٢٧. وليد زكريا صيام: المرجع السابق، ص ١٠١.
٢٨. أحمد الهاشمي: البحث العلمي في الجامعة، في المؤتمر العربي الأول: الجامعات والمؤسسات البحثية ودورها في أنشطة البحث والتطوير من ٢١-٢٢ ماي، الجزائر، ٢٠٠٠، الوكالة الوطنية لتنمية البحث العلمي، ٢٠٠٠، ص ٢٨٩.
٢٩. نزار صقر قنوع: المرجع السابق، ص ٤٠٦.
٣٠. طه تايه، النعيمي: المرجع السابق، ص ٨.
٣١. وليد زكريا صيام: المرجع السابق، ص ١٠١.
٣٢. أحمد بلال: نحو منهجية علمية لاستثمار الإنتاج العلمي في خدمة التنمية، في: المؤتمر العربي الأول: الجامعات والمؤسسات البحثية ودورها في أنشطة البحث والتطوير من ٢١-٢٢ ماي، الجزائر، ٢٠٠٠، الجزائر، الوكالة الوطنية لتنمية البحث العلمي، ٢٠٠٠، ص ٣٢٥.
٣٣. وليد زكريا صيام: المرجع السابق، ص ١٠٢.
٣٤. عبد الكريم بن أعراب: البحث العلمي والتنمية الإنسانية، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ع ١٩، أكتوبر ٢٠٠٥، عن مليلة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥، ص ٢٠٩.
٣٥. س. قصار، المرجع السابق، ص ١٦٧.
٣٦. أحمد الهاشمي، المرجع السابق، ص ٢٩٠.
٣٧. المرجع نفسه، ص ٢٨٨.
٣٨. احمد الهاشمي، المرجع السابق، ص ٢٩٠.
٣٩. عبد الكريم بن أعراب، مستقبل البحث العلمي في الجزائر، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ع ١٣، أكتوبر ٢٠٠٣، عين مليلة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٣، ص ١٧١.
٤٠. عبد الكريم بوصفصاف، مخابر البحث العلمي في الجزائر تجربة رائدة، مجلة الحوار الفكري، ع ١، ٢٠٠١، قسنطينة، مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، ٢٠٠١، ص ٢٢.
٤١. عبد الكريم بن أعراب، مستقبل البحث العلمي في الجزائر، المرجع السابق، ص ١٧٢.
٤٢. عبد الكريم بوصفصاف، المرجع نفسه، ص ٢٣.
٤٣. عبد الكريم بن أعراب، المرجع نفسه.
٤٤. عبد الكريم بوصفصاف، المرجع السابق، ص ٢٣.
٤٥. عبد الكريم بوصفصاف، المرجع نفسه.
٤٦. عبد الكريم بن أعراب، مستقبل البحث العلمي في الجزائر، المرجع السابق، ص ١٧٤.
٤٧. عبد الكريم بن أعراب، مستقبل البحث العلمي في الجزائر، المرجع نفسه.
٤٨. عبد الكريم بوصفصاف، المرجع نفسه.

٤٩. عبد الكريم بن أعراب، مستقبل البحث العلمي في الجزائر، المرجع نفسه، ص ١٧٦.
٥٠. وزاني محمد، مسيرة مؤسسة للبحث العلمي: مركز البحث في الإلكترونيات والعلوم الاجتماعية والثقافية CRASC، في البحث العلمي في الوطن العربي ومشكلات النشر، الشارقة، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، ٢٠٠٦، ص ٢٠٣.
٥١. عبد الكريم بوصفصاف، المرجع نفسه، ص ٢٥.
٥٢. س. قصار، المرجع السابق، ص ١٦٧.
٥٣. عبد الكريم بوصفصاف، المرجع نفسه.
٥٤. عبد الكريم بن أعراب، دراسة مقارنة ونقدية للبرنامجين الخماسيين للبحث العلمي في الجزائر (٢٠٠٠-٢٠٠٤ المنجز) ٢٠١٠-٢٠٠٦ المخطط، في مؤتمر آفاق البحث العلمي والتطور التكنولوجي في الوطن العربي، دمشق، ١١-١٤ كانون ٢٠٠٦، دمشق، المؤسسة العربية للعلوم والتكنولوجيا، ٢٠٠٦، ص ٢.
٥٥. وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، إصلاح التعليم العالي، الجزائر، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ٢٠٠٧، ص ٥.
٥٦. اعتماد ٧ مراكز كجامعات في أكتوبر ٢٠٠٨، منها: بشار، تبسة، معسكر، إضافة إلى ٢٧ جامعة سابقة.
٥٧. وزارة التعليم العالي والبحث العلمي الجزائرية، متاح على شبكة الإنترنت على الموقع: www.mesrs.dz تاريخ التصفح ٢٠٠٨/٢/٢٠.
٥٨. وزارة التعليم العالي والبحث العلمي الجزائرية، متاح على شبكة الانترنت على الموقع: www.mesrs.dz تاريخ التصفح ٢٠٠٨/٢/٢٠.
٥٩. عبد الكريم بن أعراب، دراسة مقارنة ونقدية للبرنامجين الخماسيين للبحث العلمي في الجزائر (٢٠٠٠-٢٠٠٤ المنجز) ٢٠١٠-٢٠٠٦ المخطط أعراب، المرجع السابق، ص ١٠.
٦٠. عبد الكريم بن أعراب، مستقبل البحث العلمي في الجزائر، المرجع السابق، ص ١٧٨.
٦١. س. قصار، المرجع السابق، ص ١٦٧.
٦٢. الجريدة الرسمية الجزائرية، ع ٦٢، ص ٤.
٦٣. الجريدة الرسمية الجزائرية، ع ٧٧، ١٩٩٩، قانون ٩٨، ص ٦.
٦٤. المرجع نفسه.
٦٥. الجريدة الرسمية الجزائرية، ع ٧٧ سنة ١٩٩٩، ص ٧.
٦٦. المرجع نفسه.
٦٧. المرجع نفسه.
٦٨. بن السبتي عبد المالك، مصادر المعلومات الإلكترونية ودورها في دعم البحث العلمي بجامعة منتوري قسنطينة: دراسة بيبليومترية تحليلية، ج ١، الشارقة: جامعة الشارقة، ٢٠٠٢، ص ٤٣.
٦٩. قموح نجية: المرجع السابق، ص ١٦٤.
٧٠. جامعة الجزائر متاح على شبكة الإنترنت على الموقع: www.univ-alger.dz تاريخ التصفح ٢٠٠٨/٣/١٥.
٧١. دربال عبد القادر: رسالة الجامعة، ع ١١، ٢٠٠٤، وهران. جامعة وهران السانية، ٢٠٠٤، ص ١٩.
٧٢. س. قصار، المرجع السابق، ص ١٦٧.
٧٣. عبد الكريم بن أعراب، مستقبل البحث العلمي في الجزائر، المرجع السابق، ص ١٨٢.
٧٤. أحمد بلال، المرجع السابق، ص ٣٢٠.
٧٥. عبد الكريم بن أعراب، دراسة مقارنة ونقدية للبرنامجين الخماسيين للبحث العلمي في الجزائر (٢٠٠٠-٢٠٠٤ المنجز) ٢٠١٠-٢٠٠٦ المخطط، المرجع السابق، دمشق، ٢٠٠٦، ص ١.
٧٦. عبد الكريم بن أعراب، المرجع السابق، ص ١٨٢.
٧٧. عبد الكريم بن أعراب، مستقبل البحث العلمي في الجزائر، المرجع السابق، ص ١٨٢.
٧٨. عبد الكريم بن أعراب، دراسة مقارنة ونقدية للبرنامجين الخماسيين للبحث العلمي في الجزائر (٢٠٠٠-٢٠٠٤ المنجز) ٢٠١٠-٢٠٠٦ المخطط، المرجع السابق، ص ٥.

٧٩. عبد الكريم بن أعراب، دراسة مقارنة ونقدية للبرنامجين الخماسيين للبحث العلمي في الجزائر (٢٠٠٠-٢٠٠٤ المنجز) ٢٠١٠-٢٠٠٦ المخطط، المرجع السابق، ص ٥.
٨٠. عبد الكريم بن أعراب، المرجع نفسه، ص ٧.
٨١. المرجع نفسه، ص ١٠.
٨٢. المرجع نفسه.
٨٣. كمال بطوش، المرجع السابق، ص ٥٣.
٨٤. عبد الكريم بن أعراب، دراسة مقارنة ونقدية للبرنامجين الخماسيين للبحث العلمي في الجزائر (٢٠٠٠-٢٠٠٤ المنجز) ٢٠١٠-٢٠٠٦ المخطط أعراب، المرجع السابق، ص ١٠.
٨٥. عبد الكريم بن أعراب، مستقبل البحث العلمي في الجزائر، المرجع السابق.
٨٦. مولاي احمد، المخطوط والبحث العلمي: دراسة تقييمية لنشاطات مخابر البحث في المخطوطات بالجامعات الجزائرية، قسنطينة، الجزائر، وهران.
٨٧. مصطفى السيد يوسف، صيانة المخطوطات علماً وعملاً، القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٢، ص ١٠١.
٨٨. مصطفى السيد يوسف، المرجع نفسه، ص ١٠٢.
٨٩. أسامة ناصر النعشبندي، صيانة وخزن وتعفير المخطوطات، حلقة حماية المخطوطات العربية، مجلة المورد، مج ٥، ع ١، ١٩٧٦، بغداد: وزارة الإعلام، ١٩٧٦، ص ١٦٢.
٩٠. مصطفى السيد يوسف، المرجع نفسه، ص ١١١.
٩١. مصطفى السيد يوسف، المرجع نفسه، ص ١٤٠.
٩٢. محمود عباس حمودة، أمن الوثائق: الحفظ، التصوير، الترميم، الصيانة، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر، ١٩٩٧، ص ٣٠.
٩٣. محمد بن شريفة، حول ترميم المخطوطات في المغرب، صيانة وحفظ المخطوطات الإسلامية، لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٩٩٥، ص ٩٩.
٩٤. بسام عدنان داغستاني، قواعد ترميم القطوع والتلفيات في أوراق المخطوطات، في: صناعة المخطوط العربي الإسلامي من الترميم إلى التجليد، دبي: جامعة الإمارات العربية المتحدة، ١٩٩٧، ص ٥٩٩.
٩٥. حسام الدين عبد الحميد محمود، تكنولوجيا صيانة وترميم المقتنيات الثقافية: مخطوطات. مطبوعات. وثائق. تسجيلات، القاهرة: مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩، ص ١٥١.
٩٦. يحيى محمود بن جنيد الساعاتي، الوراقة: دراسة في المفهوم والمصطلحات، في: صناعة المخطوط العربي الإسلامي من الترميم إلى التجليد، دبي: جامعة الإمارات العربية المتحدة، ١٩٩٧، ص ١٠١.
٩٧. حسام الدين عبد الحميد محمود، المرجع نفسه، ص ١٥٣.
٩٨. عز الدين بن زغبية، مجلة أخبار المركز، ع. ٢٤، س ٤، ديسمبر ٢٠٠٦، دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ٢٠٠٦، ص ١٧.
٩٩. علي بن سليمان الصوينع، المخطوطات في مكتبة الملك فهد الوطنية، صيانة وحفظ المخطوطات الإسلامية، لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٩٩٥، ص ٩٢.
١٠٠. عصام محمد الشنطي، المخطوطات العربية: أماكنها، الاشتغال بها، فهرستها وتصنيفها ومشكلاتها، في: المخطوطات العربية في: الغرب الإسلام وضعية المجموعات وآفاق البحث، الدار البيضاء، مؤسسة الملك عبد العزيز، ١٩٩٠، ص ٢٠٦.
١٠١. أيمن فؤاد سيد، التجربة المصرية (فهارس القاهرة)، في: ندوة المخطوطات العربية حول التجارب العربية في فهرسة المخطوطات، القاهرة: معهد المخطوطات العربية، ١٩٩٨، ص ٥٩.
١٠٢. عبد الواحد جهادني، دراسة إجازة البقاعي للنعي من خلال مخطوط الإيذان يفتح أسرار التشهد والأذان على ضوء علم المخطوطات، مجلة آفاق الثقافة والتراث، س ١٣، ع ٥١، أكتوبر ٢٠٠٥، دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ٢٠٠٥، ص ٩٠.
١٠٣. أيمن فؤاد سيد، الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، ج ١، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٧، ص ٥٣٣.
١٠٤. محمد فتحي عبد الهادي، المدخل إلى علم الفهرسة، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٧، ص ٢٣٦.

١٠٥. بن زغبة عز الدين، تحقيق المخطوطات بين الناصحين والمتطفلين والتجار والمحترفين، مجلة آفاق للثقافة والتراث، س ١٠، ع ٢٨، يوليو ٢٠٠٢، دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ٢٠٠٢، ص ٤.
١٠٦. عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها، ط. ٠٢، القاهرة: مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، ١٩٦٥، ص ٢٥.
١٠٧. يوسف المرعشلي، أصول كتابة البحث العلمي وتحقيق المخطوطات، بيروت: دار المعرفة، ٢٠٠٢، ص ٢٠٩.
١٠٨. فهمي سعد؛ طلال مجذوب، تحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق، بيروت: عالم الكتب، ١٩٩٢، ص ١٨.
١٠٩. عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها، ط. ٠٧، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٨، ص ٤٢.
١١٠. محمد عبوس حسن الزبيدي، تحقيق المخطوطات والعمل البيبليوغرافي، مجلة آفاق للثقافة والتراث، س ٨، ع ٣٢، يناير ٢٠٠١، دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ٢٠٠١، ص ١٢٠.
١١١. عز الدين بن زغبة، تحقيق المخطوطات وكيفية التعامل مع المصطلحات، صناعة المخطوط العربي الإسلامي من الترميم إلى التجليد، دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ٢٠٠١، ص ٢٧٧.
١١٢. حسن حلاق، مناهج تحقيق التراث والمخطوطات العربية، المرجع نفسه، ص ١٠٩.
١١٣. احمد الدلال، ملاحظات حول تحقيق أمهات الكتب المخطوطة في علم الفلك العربي، لندن: مؤسسة الفرقان، ١٩٩٧، ص ٧٩.
١١٤. محمد سعيد حنشي، منهج التحقيق والتوثيق في مختصر الغاني لأبي الربيع سليمان الموحدي، مجلة آفاق للثقافة والتراث، س ١٤، ع ٥٦، يناير ٢٠٠٧، دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ٢٠٠٧، ص ٣٤.
١١٥. حسن حلاق، مناهج الفكر والبحث التاريخي والعلوم المساعدة وتحقيق المخطوطات، المرجع نفسه، ص ٨٥.
١١٦. حسن حلاق، مناهج تحقيق التراث والمخطوطات العربية، المرجع نفسه، ص ١٢٥.
١١٧. حسن حلاق، مناهج الفكر والبحث التاريخي والعلوم المساعدة وتحقيق المخطوطات، المرجع نفسه، ص ١٦٢.
١١٨. عبد الرحمان فراج، مفاهيم أساسية في المكتبات الرقمية، مجلة المعلوماتية، ع ١٠، متاح على شبكة الإنترنت على الموقع: <http://informatics.gov.sa/magazine> تاريخ الزيارة «٢٠٠٨/٨/٢٠».
١١٩. عماد عيسى صالح محمد، المكتبات الرقمية: الأسس النظرية والتطبيقات العملية، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٦، ص ٢١٩.
١٢٠. إبراهيم عامر قتيديجي، البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات التقليدية والإلكترونية، عمان: البازوري، ٢٠٠٢، ص ٢٧١.
١٢١. مولاي امحمد، المرجع السابق، ص ٩.
١٢٢. هالة كيلة، المرجع نفسه، ص ٣٧٨.
١٢٣. سعد الزهري، رقمنة ملايين الكتب في الغرب وعدم التفريق بين الإنترنت والمكتبة الرقمية في الشرق، مجلة المعلوماتية، ع ١٠، ماي ٢٠٠٥.
١٢٤. مولاي امحمد، المرجع السابق، ص ٩.

مقترح لاستحداث مقررات دراسية جديدة

لمرحلة التعليم الأساسي والثانوي بالمدارس الليبية من وجهة نظر جغرافية
(كخطوة للمحافظة على البيئة وتطوير المجتمع المحلي)

د. معتوق علي عون*



أولاً: مقدمة

من المعروف مسبقاً وبديهياً أن التعليم من الأدوات الأساسية التي يجب أن يتسلح بها المجتمع لتحقيق التقدم المأمول، فالتعليم وسيلة لترسيخ المهارات والقيم لدى الأفراد ومن ثم إعدادهم للسير بخط متواز مع كل ما هو جديد عالمياً مما يساهم إيجابياً في بناء المجتمع على أسس علمية، وبالتالي يهدف البحث إلى عرض مقترح مقدم من قبل الباحث بخصوص استحداث مواد دراسية جديدة (غير المواد التقليدية المعروفة مسبقاً) من شأنها أن تساهم في غرس مبادئ وقيم إخلالية وعلمية مبنية على أسس واقعية تحفز الطالب

بأن يقوم بدور فعال مستقبلاً في دفع عملية التنمية والمشاركة الإيجابية فيها من ناحية والمساهمة في حماية بيئته بما يحقق دور التعليم في تحقيق مبدأ التنمية المستدامة من ناحية أخرى، ومن أهم المواد التي يمكن استحداثها في هذا المجال على سبيل المثال لا للحصر تتمثل في الآتي: (مادة التربية الاجتماعية) أو (الثقافة الاجتماعية) (مادة التربية البيئية) (ثقافة التطوع والمشاركة

* كلية الآداب والعلوم بزلتين، قسم الجغرافيا، جامعة المرقب/ليبيا.
matogali@yahoo.com - matokaoon@googlegmail.com

الشعبية) (المجتمع المدني والتنمية)، وللتدليل على أهمية الموضوع فقد أوضحت نتائج ميدانية لدراسة سابقة أجريت سنة ٢٠١١ فيما يتعلق بتقييم إدراج مبدأ التربية البيئية ضمن مقرر مادة الجغرافيا للمرحلة الإعدادية بالمدارس الليبية بأن مدرسي مادة الجغرافيا غير راضين أبداً على ذلك الإدراج وإن المقرر الدراسي يحتاج لإعادة تخطيط من أجل أن يكون هناك اهتمام أكثر بمبدأ التربية البيئية ضمن مادة الجغرافيا.

ثانياً: مشكلة البحث

من خلال مناقشة الباحث للعديد من أساتذة مرحلتي التعليم الأساسي والمتوسط في مناسبات عدة لاحظ بأن هناك نوعاً من عدم الرضا فيما يتعلق بالمقرر الدراسي من حيث عدم متابعته للمستجدات والتطورات العالمية بشكل مستمر من ناحية، وعدم الاهتمام بإدراج العديد من المشاكل البيئية والاهتمام بمبدأ التربية البيئية ضمن المنهج الدراسي وتطبيقها العملي على أرض الواقع. وعموماً وبشكل أكثر تفصيلاً فإن التعليم في ليبيا وخاصة في مرحلتي التعليم الأساسي والمتوسط يعاني من عدة سلبيات من الناحية النوعية والتي تعتبر من التحديات والصعوبات التي تعوقه من تحقيق الأهداف المنشودة ويمكن عرض البعض منها على النحو التالي:

١- عدم اتباع الأساليب التدريسية الحديثة المطبقة في الدول المتقدمة في المراحل الابتدائية الأولى والمعتمد على حرية النشاط وإجبار التلميذ على الجلوس على كرسي دون حركة طول اليوم الدراسي مما يسبب له نوع من القلق وعدم التعبير عن نشاطه وميوله.

٢- عدم الاهتمام بعملية تقييم وتطوير المناهج الدراسية بشكل مستمر بما يتماشى وتطورات العصر الذي تتطور فيه المعرفة والعلم بشكل دائم من ناحية، إضافة إلى بروز الكثير من المشاكل البيئية في السنوات الأخيرة والتي تحتاج إلى متابعة مستمرة وإدراجها ضمن المقررات الدراسية ذات العلاقة حتى يتابعها التلاميذ ويعوا خطورتها على المجتمع.

٣- اعتماد التعليم على الجانب النظري وإهمال الجانب العلمي لقلة توافر المعامل والأجهزة والمعدات اللازمة لذلك وعدم صلاحية المتوافر منها لنجاح العملية التعليمية. أضف إلى ذلك عدم العناية والاهتمام بالدراسات والبحوث التربوية والتي من شأنها أن تساعد المؤسسات التعليمية على مواكبة التقدم العلمي والفني.

٤- عدم الاهتمام بربط البيئة ومشاكلها بالمنهج التعليمي كما هو معمول به في الدول المتقدمة، إضافة إلى عدم التركيز على الدراسات الحقلية التي تساعد على تدعيم الجانب النظري، وتساهم في زيادة إحساس التلميذ بمشاكل بيئته.

ثالثاً: فرضية البحث

يفترض الباحث لتدعيم الحل المقترح لإشكالية التعليم في مرحلتي التعليم الأساسي والثانوي ما يلي:

- ١- تؤكد نظريات التنمية (بأنه لا يمكن أن يتم تطوير وتنمية أي مجتمع اقتصادياً ما لم يتم تنميته ثقافياً حتى يكون مستعداً لقبول الابتكارات الجديدة والمساهمة في عمليات الإبداع والحفاظ على كل ما هو جديد) فالتنمية هي من أجل الفرد ولا يمكن أن تتم إلا بجهود الفرد، وبالتالي فإن للتعليم دور كبير في زرع المبادئ الثقافية في نفوس الطلاب والتلاميذ بما يكفل خلق جيل مثقف قادر على البناء.
- ٢- ومن أجل خلق جيل قادر على البناء لا بد أن تتم عملية التهيئة منذ السنوات الدراسية الأولى وأن تتطور بشكل تدريجي وذلك بأن تسيّر عملية تدريس المقررات العلمية الأساسية مع المقررات الثقافية جنباً إلى جنب.
- ٣- إن دور التعليم في تحقيق التنمية المستدامة لا يمكن تجاهله، وقد قامت الكثير من الدول المتقدمة في تنفيذ سياسة تعليمية لتحقيق هذا الغرض وذلك بالتركيز أولاً على التربية البيئية في المراحل التعليمية الأولى من أجل تحفيز الطلاب على المساهمة والمشاركة الفعالة في حماية البيئة المحلية، وبالتالي فعلى الجهات المسؤولة عن التعليم بليبيا وضع هذه المسألة بعين الاعتبار وتطبيقه في المدارس الليبية.

٤- دور الجهات المسؤولة عن التعليم في تنفيذ هذه المقترحات يمكن حصر هذا الدور في:

- ١- حث وتشجيع أعضاء هيئة التدريس على مواكبة التطور العلمي ومعرفة كل ما يطرأ من جديد في مجال التدريس وحقل المعرفة ومناقشة إمكانية تبنيه في مدارسنا الليبية.

- ٢- العمل على تشجيع الأساتذة على التخلص من الطرق التقليدية في التدريس وإعطاء حرية أكبر للتلاميذ وحثهم على المشاركة في كل عمل من شأنه أن يفيد الوطن كخطوة أساسية تربط المدرسة بالبيئة.

٢- تشجيع الأساتذة على إقامة ندوات مصغرة وحلقات نقاش وفتح المجال أمام كل أستاذ وطالب له القدرة على طرح أفكار جديدة من شأنها أن تساهم في الرقي بالعملية التعليمية.

٤- يجب على كل مدير مدرسة أن يتخلص من البيروقراطية في اتخاذ القرارات وأن يعتبر نفسه مسؤولاً وله حرية اتخاذ القرارات الإيجابية وتنفيذ الأعمال وتطبيقها حتى دون الرجوع إلى الجهات المسؤولة العليا التي يحتاج الحصول على موافقاتها إلى أسابيع وشهور.

٥- يجب على المدير تشجيع التلاميذ وتحفيزهم وكسر حاجز الخوف بينهم وبين مدرسيهم وإشعارهم بأنهم جزء لا يتجزأ من المجتمع وعنصر من عناصر بناء الوطن.

رابعاً: عرض مقترح التطوير

المقترح الأول: استحداث مواد ثقافية حديثة ضمن المقرر الدراسي في مرحلتي التعليم الأساسي والثانوي من أجل خلق جيل مثقف قادر على المشاركة في عملية التنمية.

تدور فكرة المقترح في استحداث مجموعة من المواد الثقافية إلى جانب المقررات الحالية التي يتم تدريسها في مدارسنا، وذلك من أجل خلق جيل مثقف قادر على المشاركة في عملية التنمية والحفاظ على ديمومتها. وتنبتق هذه الفكرة من أن نظريات التنمية تشير إلى صعوبة تنمية أي مجتمع ما لم يتم تثقيفه بدرجة تؤهله إلى المساهمة بشكل إيجابي في عملية التنمية من ناحية والحفاظ على المستحدثات الجديدة من ناحية أخرى. وبالتالي فإن العملية التعليمية لا بد أن تركز بشكل أساسي على الجانب الثقافي للطالب جنباً إلى جنب مع الناحية العلمية له لبلورة وخلق شخصية متكاملة يمكن أن تساهم بشكل إيجابي في عملية البناء،، وعلى هذا الأساس تم وضع مقترح لاستحداث عدد ٤ مقررات دراسية هي كالآتي:

١-المقرر الأول تحت مسمى (مادة التربية الاجتماعية) أو (الثقافة الاجتماعية)

المستوى التعليمي: المرحلة الابتدائية

هدف المقرر: يهدف إلى زرع المبادئ الأسامية والنبيلة للتعامل الاجتماعي التي يجب على التلميذ تبنيها واتباعها والتي ترسم علاقة الاحترام بين التلميذ وبين مكونات بيئته وفق تعاليم ديننا الإسلامي من ناحية، ومظاهر التحضر والحداثة من ناحية أخرى وغرس

مبدأ الوطنية لدى التلميذ من أجل خلق جيل يحترم بعضه بعض من ناحية ويحترم وطنه من ناحية أخرى.

شرح مبسط لمحتوى المقرر: سيحتوي المقرر على عرض لأهم المبادئ التي يجب الالتزام بها كأساس لمعاملة التلميذ مع من حوله بداية من التعامل مع أسرته والمدرسة والمجتمع، نهاية إلى آداب التعامل مع المستحدثات والتكنولوجيا الحضارية واستغلالها فيما يعود بالنفع عليه وعلى مجتمعه إضافة إلى توضيح الممارسات الخاطئة التي يجب تجنبها وتدعيم ذلك بالآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، كما يمكن عرض بعض القصص المختصرة التي تجسد آداب التعامل الاجتماعي. وتوجيه التلميذ نحو الطريق الصحيح في حالة وقوعه في الخطأ مع توضيح تداعيات الاستمرار في ممارسة الخطأ. إضافة إلى بث روح الوطنية لدى التلميذ من خلال شرح وتوضيح أهم المبادئ الأساسية التي يجب مراعاتها واتباعها واحترامها: كاحترام القانون، وتقديس المهنة والعمل، وعدم خيانة الوطن، ومحاربة الفساد، والحفاظ على الممتلكات العامة والخاصة، واحترام حقوق الإنسان والحريات وغير ذلك.

٢- المقرر الثاني: تحت مسمى (مادة التربية البيئية)

المستوى التعليمي: المرحلة الابتدائية (الصف السادس)

هدف المقرر: يهدف المقرر إلى تمكين الطالب من فهم بيئته فهماً صحيحاً والإلمام بالمشاكل التي تواجهها من أجل زيادة الوعي البيئي للتلميذ وحثه على المساهمة في الحفاظ عليها من أجل خلق جيل قادر على حماية بيئته وضمان استمرارها موطناً ملائماً للحياة من أجل خلق جيل قادر على المساهمة في تطبيق مبدأ التنمية المستدامة، وتبني أهمية هذا المقرر من توصيات المؤتمرات الدولية المتعلقة بالبيئة والتعليم بضرورة تجسيد مبدأ التربية البيئية في مراحل التعليم المختلفة وجعلها الوسيلة الأساسية لتنفيذ التنمية المستدامة.

شرح مبسط لمحتوى المقرر: التعريف بالبيئة وعناصرها والمشاكل البيئية التي تهدد البيئة والإنسان، وعرض مختصر لواجب الإنسان اتجاه بيئته من أجل المحافظة عليها والعمل على زيادة الوعي البيئي عند التلميذ، والدور الذي يمكن أن يؤديه التلميذ في تحقيق التنمية المستدامة كما تشمل تطبيق الكثير من الأنشطة والأساليب عملياً مثل: استخدام الأشرطة العلمية حول البيئة، أسلوب المناقشة، والممارسة، الرحلات والزيارات الخفيفة.

٣- المقرر الثالث: تحت مسمى مادة (ثقافة التطوع والمشاركة الشعبية)

المستوى التعليمي (المرحلة الإعدادية)

يهدف المقرر إلى زرع ثقافة التطوع والمشاركة في الأعمال التطوعية الخيرية إلى من شأنها أن تساهم في عملية التنمية والبناء، وذلك انطلاقاً من مبادئ ديننا الحنيف وسنة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام من ناحية، والدور الذي يلعبه التطوع والمشاركة الشعبية في تطبيق التنمية كما هو في دول العالم المتقدم من ناحية أخرى.

شرح مبسط لمحتوى المقرر: يشمل المحتوى تعريف للتطوع وأهميته بالنسبة للفرد والمجتمع، مع إشارة إلى مبادئ التطوع وعمل الخير الموجودة ضمن تعاليم ديننا الإسلامي من ناحية، وحث الطلبة على الالتزام بها وتطبيقها بما فيه صالح المجتمع، ثم يمكن عرض دور التطوع ومجالاته المختلفة ودوره في حل الكثير من المشاكل الاجتماعية وعرض تجارب الدول المتقدمة في هذا المجال، إضافة إلى إدراج التطبيق العملي ضمن المقرر وذلك بمساهمة الطلبة في حملات تطوعية خيرية.

٤- المقرر الرابع: تحت مسمى مادة (المجتمع المدني والتنمية)

المستوى التعليمي: المرحلة الثانوية القسم الأدبي

هدف المقرر: يهدف المقرر إلى تثقيف طالب المرحلة الثانوية بمؤسسات المجتمع المدني وحثه على الانضمام إليها لما لها من دور فعال في بناء المجتمع وحماية المواطن من أي تسلط سياسي من قبل الحكومة إضافة إلى دورها في تصحيح مسار سياسة الحكومة والاعتراض على كل قرار حكومي من شأنه أن يؤثر سلباً على حياة المواطن.

شرح مبسط لمحتوى المقرر: سيحتوي المقرر على تعريف بمؤسسات المجتمع وبداية نشأتها على المستوى العالمي، وسبب بروزها، وأهدافها، وتوضيح أسباب تقييد إنشائها في ليبيا زمن النظام المنهار، ثم إلقاء الضوء على تسارع نشأتها وبروزها في ليبيا بعد التحرير مباشرة، مع عرض مبسط لبعض مؤسسات المجتمع المدني في بعض دول العالم. ثم يتم توضيح التنمية من حيث تعريفها، وجوانبها، وتوضيح الفروقات بين سمات الدول المتخلفة والمتقدمة، إضافة إلى عرض أهم المقومات الطبيعية والبشرية اللازمة لحدوثها. بعد ذلك يتم التطرق للدور الذي يمكن أن تقوم به مؤسسات المجتمع المدني في المساهمة والمشاركة في عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية مع عرض دلائل واقعية من دول العالم المتقدم.

الخاتمة

النتائج

من خلال العرض النظري للبحث يمكن استخلاص العديد من النتائج الهامة تتمثل في:

- ١- أثبتت الدراسات النظرية التي ناقشت التعليم في ليبيا بأنه يعاني من عدة سلبيات والتي قد يؤدي تراكمها إلى تفاقم المشاكل ووصولها إلى نقطة حرجة من الصعب الخروج منها، ويرجع سبب تلك المشاكل إلى عدم تقييم العملية التعليمية بشكل مستمر من أجل الكشف على المشاكل التي يعاني منها وتصحيحها.
- ٢- إن المقررات الدراسية التي وضعت من قبل الباحث يمكن أن تؤخذ بعين الاعتبار وبشكل جدي وعرضها على مصممي المناهج بوزارة التعليم للكشف عن مدى أهميتها في غرس المبادئ الثقافية السامية التي يحتاجها التلميذ من أجل بناء مجتمعه والحفاظ على بيئته.
- ٣- إن المقررات الدراسية التي تم اقتراحها هي جزء لا يتجزأ من أساسيات التربية البيئية ومرتبطة بها بشكل مباشر وغير مباشر وبالتالي تعتبر أداة لتحقيق مبدأ التنمية المستدامة نظراً للدور التي ستؤديه في غرس الشعور البيئي للأجيال القادمة.

التوصيات

من خلال عرض البحث فإنه يمكن القول بأن هناك مجموعة من التوصيات المتعلقة بموضوع الدراسة والتي من المفترض أن توضع بعين الاعتبار من قبل الجهات المسؤولة وهي:

- ١- إعادة النظر في المقررات الدراسية الحالية لمعرفة أوجه القصور فيها، من أجل تدعيمها بقدر الإمكان بالمستجدات العالمية.
- ٢- على الجهات المسؤولة إشراك الشرائح المختلفة ذات العلاقة بالتعليم عند تقييم المناهج ابتداء من الأساتذة إلى المفتشين التربويين وأساتذة الجامعات، وأن لا يكون هذا العمل محكراً على شريحة واحدة فقط.
- ٣- إن التربية البيئية تلقى اهتماماً كبيراً في السنوات الأخيرة تنقيداً لتوصيات المؤتمرات الدولية ذات العلاقة، وبالتالي يجب على ليبيا أن تحدد حدو الدول المتقدمة في هذا المجال.
- ٥- يجب أن تعمل الجهات المسؤولة على ربط التعليم بالبيئة من أجل تحقيق الأهداف المأمولة.

المراجع

- ١- معتوق عون، تقييم إدراج مفهوم التربية البيئية ضمن مقرر مادة الجغرافيا بالمرحلة الاعدادية بالمدارس الليبية وإمكانية تطويره (دراسة ميدانية على مجموعة من مدارس مدينة زليتن)، بحث مقدم لمؤتمر تكامل مخرجات التعليم مع سوق العمل، جامعة البلقاء، الأردن، ٢٠١٢.
- 2-Abou-Chacra, R. 1991. The problems of higher education in Arab States. *Prospects-Unesco* 21(3): 374-385.
- 3- Bashshur, M. 2004. *Higher education in the Arab States*. Beirut: UNESCO Regional Bureau for Education in the Arab States.
- 4-El-Hawat, A. 1996. *The higher education in Libya* (2nd edn). Tripoli: the International Tripoli Library.
- ٥- عبد الهادي الجوهري وآخرون، دراسات في التنمية الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ١٩٩٩.

التصميم السكني ومدى ملائمة للمسنين بمدينة جدة

د. نهى بنت سعيد بن أسعد نقيطي*

ملخص البحث

غرضية من الأسر السعودية من الذين يسكنون مساكن حديثة عددها ٢٠٠ أسرة. استخدمت الباحثة أسلوب المنهج الوصفي الميداني. وقد بلغ حجم العينة ٢٠٠ أسرة ثم أجري تفريغ الاستمارات وتمت جدولتها، وذلك لإجراء بعض المعاملات الإحصائية. ثم استخدمت الجداول التكرارية في تبويب البيانات، ثم استخدم المتوسط الحسابي واختيار كأي تريبع ومعامل الارتباط لبيرسون باستخدام برنامج (Excel)(Spss).

استهدف البحث بصفة عامة، دراسة تصميم المساكن الحديثة الخاصة، ومدى ملائمتها لمتطلبات المسنين، كأحد الفئات الخاصة، والتعرف على تأثير العوامل الاجتماعية والاقتصادية على ذلك، ومدى اهتمام الأسر بمراعاة الأسس اللازمة لبناء المسكن الملائم لاحتياجاتهم المستقبلية مع تقدمهم في السن ومعرفة التعديلات التي تم إجرائها على المسكن الحالي ليتلاءم مع احتياجات المسنين وذوي الاحتياجات الخاصة. وقد أجرى البحث على بعض الأسر السعودية في محافظة جدة دون قراها، ويغطي البحث الأحياء المختلفة من مدينة جدة، حيث تقيم الباحثة، وقد تمت على عينة

* أستاذ مساعد بقسم التصميم الداخلي، كلية التصميم والفنون، جامعة الملك عبد العزيز بجدة /السعودية.

mrs_saber@hotmail.com - nnukity@kau.edu.sa

وقد أسفرت الدراسة عن أهم النتائج التالية بأنه لا توجد علاقة معنوية بين تصميم المساكن الحديثة بمحافظة جدة وملاءمتها لمتطلبات ذوي الاحتياجات الخاصة «فئة المسنين». كما لا توجد علاقة معنوية بين وجود مسن في الأسرة ومراعاة الملائمة المستقبلية لتصميم المسكن عند تقدم أفراد الأسرة في السن. ولا توجد علاقة معنوية بين النقاط التي تمت مراعاتها عند تصميم المساكن الحديثة للعينة، ووجود مسن في الأسرة. ووجود علاقة طردية معنوية عالية بين إجراء بعض التعديلات ووجود مسن في الأسرة. إضافة إلى وجود علاقة معنوية عكسية بين عدد أفراد الأسرة وملائمة تصميم المساكن الحديثة للمسنين. ووجود علاقة طردية معنوية بين وسائل الأمن والسلامة وملاءمتها لمتطلبات ذوي الاحتياجات الخاصة. ونتيجة لذلك قامت الباحثة باقتراح وتصميم نموذج مسكن لأسرة متوسطة الدخل بحيث يتفق تصميم المسكن مع عدد أفراد الأسرة واحتياجاتهم ومتطلباتهم وليتلاءم مع وجود ذوي الاحتياجات الخاصة في الأسرة. أخيراً التوصل إلى بعض التوصيات والاقتراحات التي يمكن أن تساهم في تعديل المساكن الحالية ليتلاءم مع متطلبات ذوي الاحتياجات الخاصة.

المقدمة والمشكلة البحثية

لكل مجتمع عاداته وتقاليده وقيمه الدينية التي تنعكس بصورة واضحة على حياته المعيشية وأنماط العمران فيه، بحيث تصبغه بسمات خاصة به، تتطور تلك السمات بتطور العادات والتقاليد. وبالنسبة للمملكة العربية السعودية فإن الدين والخصوصية أمران وثيقا الصلة ببعضهما، وكان لهما أثر واضح على أنماط الحياة في المملكة.

وللمسكن الملائم أهمية بالغة في حياة الأسرة حيث تنعكس خصائصه على نشاط الأسرة وظروفها المعيشية والصحية وعلاقاتها الاجتماعية. فتوفير الفراغات اللازمة لكافة الأنشطة، والأجهزة والأدوات الميسرة للحياة، وزيادة الاهتمام بأفراد الأسرة ومساعدتهم من النواحي الفنية على المستوى الصحي والسكني والاجتماعي، أصبح من المطالب الأساسية، خصوصاً مع تقدم أفراد الأسرة في السن.

وترى (جيلان القباني، ١٩٨٥، ص ٢٩) أن نتيجة للتغيرات البيولوجية الفسيولوجية والسيكولوجية التي يتعرض لها المسنين، وكذلك احتياجاتهم الخاصة في هذه المرحلة من العمر، تؤثر على التصميم العام للمبنى.

إن المسكن الملائم للمسنين يلبي احتياجاتهم المعيشية ويساعدهم على مزاولة أنشطتهم اليومية، كإعداد الطعام والوجبات ويسهل القيام بالأعمال المنزلية، وتوفير الحماية من

المخاطر الداخلية والخارجية التي يتعرضون لها. ويكون صالحاً من الناحية الهندسية (التصميمية) وتوزيع الأثاث والفراغات. بحيث يراعي مستخدمي الكراسي المتحركة وكذلك الذين يستخدمون العكازات والمشايات والأجهزة التعويضية.

لذا لا بد من تحديد المعايير التصميمية، التي تراعي احتياجات الأفراد المستقبلية مع تقدمهم في السن، بعين الاعتبار عند وضع المواصفات للمباني السكنية حيث يمكن عن طريقها الإسهام تدريجياً في تحقيق التيسيرات المنشودة في المساكن الحديثة. كذلك تغير نظرة الأفراد لطرق تصميم وتأثيث المساكن بحيث تصبح أكثر واقعية وعملية لحياة أفراد الأسرة. هذا بهدف تبسيط أسلوب الحياة والإقلال من الجهد والتعب قدر الإمكان.

ومن هنا يمكن صياغة المشكلة في السؤال التالي:

- ما مدى ملائمة المساكن الحديثة للاحتياجات الخاصة بالمسنين؟ وهل يفي المسكن بالاحتياجات المستقبلية للفرد عند تقدمه في السن؟

أهداف البحث

استهدف هذا البحث بصفة عامة دراسة المساكن الحديثة ومدى ملاءمتها لاحتياجات المسنين، وهل هناك تخطيط مسبق من قبل الأسرة السعودية عند بناء مسكن خاص ليتلاءم مع تصميم هذا المسكن؟ وذلك من خلال دراسة ما يلي:

١- أثر العوامل التالية على مدى ملائمة تصميم المسكن الحديث للمسنين من حيث (الدخل الأسري - المهنة والمستوى التعليمي لرب وربة الأسرة - عمر رب وربة الأسرة - حجم الأسرة)

٢- التعرف على الاحتياجات السكنية الفعلية للمسنين في المجتمع السعودي.

٣- التعرف على مدى ملائمة المساكن الحالية لاحتياجات المسنين.

٤- التعرف على مدى اهتمام الأسرة بمراعاة الأسس اللازمة لبناء السكن الملائم لاحتياجاتهم المستقبلية مع تقدمهم في السن.

٥- التعرف على الإصلاحات التي تم إجرائها على المسكن الحالي ليتلاءم مع احتياجات الأفراد بسبب تقدمهم في السن.

٦- وضع بعض المقترحات والتوصيات، لتعديل المساكن الحالية لتتلاءم مع احتياجات المسنين.

أهمية البحث

جاءت أهمية هذا البحث من منطلق اهتمامنا بالأسرة وأهمية تكيف المسكن مع متطلباتها المستقبلية في ظل التحولات والتطورات السكانية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في العالم. وإن العمل على زيادة اهتمام الأسرة بأفرادها ومتطلباتهم ومساعدتها في النواحي الفنية على المستوى الصحي والسكني والاجتماعي، أصبح من المطالب الأساسية وذلك من خلال ما يلي: -

١- توعية الأسر بأهمية التخطيط المسبق لتكون مساكنهم ملائمة لاحتياجات الأفراد مع تقدمهم في السن لتتوافق مع قدراتهم، وتشكيل بيئة اجتماعية تحول دون عزلتهم وتساعدتهم في حياة مريحة وسعيدة ما أمكن.

٢- توعية الأسر بالمعايير السكنية اللازمة لفئة المسنين.

٣- حفظ سلامة وراحة المسنين في بيئتهم السكنية والمعيشية.

٤- وضع بعض المقترحات والتوصيات للجهات المختصة، لتعديل المساكن الحالية فيما يتناسب مع هذه الفئة.

فروض البحث: تفترض الباحثة:

١- أن هناك علاقة ارتباطية بين ملائمة المسكن الحديث لاحتياجات المسنين من حيث هو متغير تابع والمتغيرات المستقلة التالية: (العمر، المهنة، المستوى التعليمي لرب وربة الأسرة، حجم الأسرة، الدخل الأسري).

٢- توجد علاقة ارتباطية طردية بين مدى ملائمة المسكن لاحتياجات المسنين، ووجود مسن في الأسرة.

٣- لا توجد علاقة ارتباطية بين تصميم المساكن الحديثة في محافظة جدة، وملاءمتها لاحتياجات المسنين.

٤- لا توجد علاقة ارتباطية بين ملائمة المسكن لاحتياجات المسنين، والأشخاص الذين قاموا بتصميم المسكن.

٥- توجد علاقة ارتباطية عكسية بين ملائمة المسكن لاحتياجات المسنين وعمر المسكن.

حدود البحث

- ١- الحدود النوعية (عينة البحث): عينة فرضية من الأسر السعودية الذين يقومون ببناء مساكن حديثة، ويسكنون مساكن حديثة بمدينة جدة وعددها ٢٠٠ أسرة وتناولت الدراسة المسكن من حيث أنواعه (شقة - فيلا - فيلا مزدوجة (دوبليكس) - مسكن تقليدي)
- ٢- الحدود الجغرافية: يغطي البحث بعض الأسر السعودية في محافظة جدة دون قراها، بحيث يغطي أحياء مدينة جدة المختلفة، وهي المحافظة التي توجد بها الطالبة مما يسهل عليها توزيع الاستثمارات وجمعها.

إجراءات البحث: تم تصميم (٣٠) استمارة استقصاء استطلاعية تُوجّه إلى بعض الأسر السعودية التي تسكن في مسكن خاص حديث، كما عرّض الاستبيان على عدد من المتخصصين والخبراء في الهندسة المعمارية والاقتصاد المنزلي لقياس وضوح وصدق وموضوعية أسئلة الاستبيان. وبناءً على ما أسفرت عنه النتائج تمت معالجة نواحي القصور بها، وتم تصميم استمارة البحث وتوزيعها على أفراد العينة المحددة.

محاور البحث: تم تصميم استمارة الاستطلاع بحيث تشمل ثلاثة محاور رئيسية هي:

أولاً: البيانات الديموجرافية (الحالة الاجتماعية والتعليمية والاقتصادية) للأسرة حيث شملت ستة أسئلة لمعرفة ما يلي: (عمر رب ورثة الأسرة - الحالة التعليمية لرب ورثة الأسرة - مهنة رب ورثة الأسرة - الدخل الشهري - وجود أبناء بالأسرة)

ثانياً: بيانات عن المسنين في الأسرة: وقد شملت ستة أسئلة عن المسنين إن وجدوا في الأسرة علماً بأنه لا يشترط عند توزيع الاستمارة على الأسر وجود مسن فيها، لأن من أهداف البحث معرفة مدى تخطيط الأسرة (رب ورثة الأسرة) للملائمة المسكن لمتطلبات المسنين مع تقدمهم في السن. وتمثلت في معرفة ما يلي:

(إقامة مسن في الأسرة - عدد المسنين الذين يقيمون في الأسرة حيث يمكن أن يقيم أكثر من مسن في الأسرة الواحدة - عمر المسن الذي يقيم مع الأسرة - جنس المسن حيث يؤثر على نوع الأنشطة التي يقوم بها المسن مما يؤثر في تصميم المسكن - تخصيص خادم أو مساعد للمسن مما له أثر كبير على تصميم المسكن من حيث توفير المكان لذلك المساعد - الأجهزة التي يستخدمها المسن لما لها من تأثير كبير على تصميم المسكن وتوفير المساحات اللازمة ليتمكن المسن من استخدامها بسهولة ويسر).

ثالثاً: بيانات عن المسكن وقد قسمت هذه البيانات إلى نقطتان رئيسيتان هما: -

أ- بيانات عن المسكن الحالي: وقد شملت ثمانية أسئلة للتعرف على ما يلي:

١- نوع المسكن، وماله من تأثير كبير على تصميمه من حيث توفير المساحات والمرافق والخدمات.

٢- عمر المسكن، فالهدف الرئيسي لهذا البحث هو معرفة مدى ملائمة المسكن الحديث لاحتياجات المسنين، مما يجعل حداثة المسكن لها تأثير على الملائمة.

٣- عدد الحجرات في المسكن، حيث يؤثر عددها على ملائمة المسكن لاحتياجات المسنين وذلك بتوفير المساحات والفراغات للمسن، كتوفير حجرة خاصة له، وتسهيل عملية انتقاله في أرجاء المسكن.

٤- عدد طوابق (الأدوار) بالمسكن، مما يؤثر على تصميم المسكن من حيث توفير السلالم المريحة للمسن وكذلك توفير المصاعد.

٥- الأشخاص الذين قاموا بتصميم المسكن، وذلك للتعرف على دور أفراد الأسرة خصوصاً رب وربة الأسرة في تصميم المسكن لما له من أثر كبير في توفير احتياجات أفراد الأسرة والفراغات الملائمة لمزاولة الأنشطة.

٦- مدى ملائمة المستقبلية لتصميم المسكن مع تقدم ساكنيه في السن، حيث أن الهدف الرئيسي للبحث هو ملائمة المسكن الحديث لاحتياجات الأفراد مع تقدمهم في السن. فأعطيت الإجابة الإيجابية (درجتان) والسلبية (درجة واحدة).

٧- النقاط التي تمت مراعاتها في المسكن ليتلاءم مع احتياجات المسنين، وذلك للتعرف على النقاط العامة في المسكن التي تمت مراعاتها.

٨- إجراء التعديلات في المسكن لكي يتلاءم مع احتياجات المسنين، حيث أعطيت الإجابة الإيجابية (درجة واحدة) والإجابة السلبية درجتان.

ب- بيانات عن الفراغات الداخلية للمسكن:

١- بيانات عن فراغ حجرة النوم: وقد شملت ثلاث عشرة عبارة للحكم على مدى وعي الأسر المبحوثة بملائمة تصميم حجرات النوم لاحتياجات المسن.

٢ - بيانات عن فراغ حجرة المعيشة: وقد شملت عشرة عبارات للحكم على مدى وعي الأسر المبحوثة بملائمة تصميم حجرات المعيشة لاحتياجات المسن.

٣ - بيانات عن فراغ الحمام (المنافع): وقد شملت تسع عشرة عبارة للحكم على مدى وعي الأسر المبحوثة بأهمية ملائمة تصميم هذا المحور لاحتياجات المسن.

٤- بيانات عن وسائل الاتصال (المداخل والممرات والسلالم): وقد شملت عشرة عبارات للحكم على مدى وعي الأسر المبحوثة بأهمية ملائمة تصميم هذا المحور لاحتياجات المسن.

٥- بيانات عن وسائل الأمن والسلامة: وقد شملت سبع عبارات للحكم على مدى وعي الأسر المبحوثة بأهمية ملائمة تصميم هذا المحور لاحتياجات المسن.

منهج البحث: المنهج العلمي المستخدم في هذا البحث هو المنهج الوصفي التحليلي

- أسلوب جمع البيانات: تم جمع البيانات عن طريق توزيع استمارات الاستطلاع على الأسر وملئها ثم جمعها.

- أسلوب تحليل البيانات: استخدم الحاسب الآلي وبرنامج Excel في ترميز وتبويب البيانات تمهيداً لتحليلها إحصائياً.

- التحاليل الإحصائية: تم تحليل البيانات إحصائياً باستخدام برنامج Spss الإحصائي لحساب كل من النسب المئوية والمتوسط الحسابي والانحراف المعياري اختبار مربع كاي (X^2) واختبار فيشر المضبوط في حال الجداول الثنائية ومعامل الارتباط بيرسون وكندال ومعامل التوافق لاختبار قوة العلاقة بين بعض المتغيرات المستقلة والتابعة.

- تصميم النموذج المقترح: قامت الباحثة بتصميم نموذج لمسكن يتلاءم واحتياجات المسنين بواسطة الحاسب الآلي باستخدام برنامج 0. Sierra Architect 3D Design 4.

المسح الأدبي

المسكن: هو البناء الذي لم تتجاوز مدة بنائه العشرين عاماً. ويمكن تصنيف المساكن المعمارية الحديثة إلى أربعة أنواع كما يلي: (المساكن الشعبية- المسكن التقليدي- المسكن العصري المعروف (بالفيلا) - الشقة)

الاحتياجات السكنية (الاحتياجات الجسمية): هي الاحتياجات الأساسية التي يشترك فيها جميع الأفراد.

الاحتياجات الوظيفية: هي ملائمة المسكن للوظيفة المرجوة منه، ولإدراك ذلك لا بد من ملائمة المسكن لخصائص الإنسان الجسدية.

الاحتياجات الاجتماعية: تتضمن الاحتياجات الضرورية اللازمة للفرد مثل: الحاجة إلى الحب، الحاجة للشعور بتقبل الآخرين والحاجة للمشاركة مع الآخرين، كذلك تحقيق الخصوصية والحرية الشخصية.

الاحتياجات الاقتصادية: تحقيق الاحتياجات الاقتصادية في الاستخدام الأمثل للمواد

والخامات المحلية الحاجات النفسية (السيكولوجية): ويكون ذلك بتحقيق الشعور بالذات، وتوفير الأمان فهو ملجأ للحماية والراحة والاستقرار.

المعايير التصميمية لمساكن المسنين: يجب عند تصميم أو تخطيط أي مسكن، عدم النظر إلى المسنين كأفراد يحتاجون إلى معاملة خاصة، ولكن ينبغي أن يتخذ أي إجراء على أساس مبدأ إعطاء الأفراد العاجزين الفرصة للإسهام في الحياة الاجتماعية العادية.

الأسس العامة لتصميم الفراغات الداخلية لمساكن المسنين

- ١- الأخذ بالمقاييس العالمية الإنسانية والاشتراطات البلدية للبناء والتشييد.
- ٢- ينبغي أن تتراص الفراغات الداخلية وتتضاءل أبعادها إلى حدها الوظيفي الأصغر الكافي للأداء الجيد.
- ٣- اختيار المواد الإنشائية المناسبة والوسائل الكفيلة بمنع انتشار الحرائق. وتوفير عناصر الأمن والسلامة في جميع فراغات المسكن.
- ٤- أن يمنح المسكن المسن التواصل والتقارب الاجتماعي الأسري ويشعره بالألفة والانتماء لأفراد الأسرة.
- ٥- العمل على الإقلال قدر الإمكان من الجهد المبذول في الأعمال المنزلية وإزالة العوائق لأداء الأنشطة المعيشية اليومية بيسر وسهولة وذلك بتجهيز المسكن بالأدوات الميسرة لحركة المسن مثل (القضبان - المنحدرات - درابزينات... إلخ).
- ٦- إعطاء التصميم بفراغاته الداخلية، الإحساس بالرحابة والبساطة واللياقة وحسن التوزيع.
- ٧- مناسبة أبعاد وارتفاعات العناصر الإنشائية من أبواب وممرات ومنحدرات ومفاتيح الإضاءة والكهرباء ومناسبة ارتفاعات العناصر الداخلية من قطع الأثاث (كراسي- طاولات - رفوف - خزانات).
- ٨- تحقيق مرونة التصميم ليتلاءم ويتماشى مع التغيرات الفسيولوجية والاحتجاجية التي تطرأ على الأفراد مع تقدمهم في العمر. (Leon Goldenberg, 1981, p137)

نتائج الدراسة: من أهم النتائج التالية:

- ١- لا توجد علاقة معنوية بين تصميم المساكن الحديثة بمحافظه جده وملاءمتها لمتطلبات المسنين.

- ٢- لا توجد علاقة معنوية بين وجود مسن في الأسرة ومراعاة الملائمة المستقبلية لتصميم المسكن عند تقدم أفراد الأسرة في السن.
- ٣- لا توجد علاقة معنوية بين وجود مسن في الأسرة وملائمة تصميم المساكن الحديثة لمتطلبات المسنين.
- ٤- لا توجد علاقة معنوية بين النقاط التي تمت مراعاتها عند تصميم المساكن الحديثة للعينة ووجود مسن في الأسرة.
- ٥- توجد علاقة طردية معنوية عالية بين إجراء بعض التعديلات ووجود مسن في الأسرة.
- ٦- لا توجد علاقة ارتباطية معنوية بين ملائمة تصميم المسكن لمتطلبات المسنين والأشخاص الذين قاموا بتصميمه.
- ٧- لا توجد علاقة معنوية بين مستوى الدخل وعمر ومهنة ومستوى تعليم رب وربة الأسرة ومدى ملائمة تصميم المساكن الحديثة للمسنين.
- ٨- توجد علاقة معنوية عكسية بين عدد أفراد الأسرة وملائمة تصميم المساكن الحديثة للمسنين.
- ٩- توجد علاقة طردية معنوية بين وسائل الأمن والسلامة وملاءمتها لمتطلبات المسنين.

التوصيات والمقترحات

من خلال دراسة المشكلة البحثية ولتحقيق أهداف البحث على ضوء النتائج السابقة توصي الباحثة بما يلي:

- ١- يجب أن يكون تصميم المسكن وخاصة الأماكن العامة فيه، مثل المداخل والممرات والسلالم خالية من العوائق ويسمح بالحركة داخله بيسر وسهولة.
- ٢- أن يكون المسكن ملائم لكل الأعمال، ومريح للمعيشة خلال فترات الحياة المختلفة لجميع أفراد الأسرة.
- ٣- يجب مراعاة الاحتياجات الوظيفية الأساسية والناحية الجمالية والاجتماعية والاقتصادية عند تصميم المسكن.
- ٤- العمل على رفع الوعي لدى الأسر بالمعايير التصميمية الخاصة بفئة المسنين،

وضرورة التخطيط إلى المساحات الكافية للحركة في المسكن ليستفيد المسن الاستفادة القصوى من مسكنه.

٥- العمل على رفع الوعي لدى الأسر بتوفير المسكن الآمن لجميع أفراد الأسرة وذلك بتجهيزه بوسائل الأمن والسلامة.

٦- أن يكون المسكن قابل للتطوير والتعديل ليتكيف مع احتياجات الأفراد المتغيرة خصوصاً مع تقدمهم في السن.

٧- تصميم حجرة المسن بشكل يسمح له بالمشاركة في الحياة الأسرية الطبيعية، وأن تكون قريبة من مراكز الأنشطة في المسكن.

٨- المساهمة بوضع المعايير التصميمية لتعديل المساكن القائمة لتناسب مع فئة المسنين.

٩- على ضوء دراسة المواصفات القياسية التصميمية لفئة المسنين، تقترح وتوصي الباحثة ليكون المسكن ملائم لاحتياجات هذه الفئة.

١٠- توعية المماريين والفنيين والمقاولين باحتياجات فئة المسنين التصميمية مع الاهتمام بالتغيرات المستقبلية لاحتياجات الأسرة مع اختلاف المراحل العمرية لأفراد الأسرة وذلك بإيجاد الفراغ المناسب للوظيفة المناسبة مع مراعاة المساحات المخصصة للحركة.

١١- توعية الأسر بأهمية التخطيط لملائمة المسكن مع التغيرات الفسيولوجية والوظيفية مع تقدمهم في السن.

١٢- زيادة اهتمام الجهات المختصة بتطبيق هذه المعايير لتصبح مطابقة للمواصفات والشروط القياسية لدى بناء أو تشيد المساكن الحديثة.

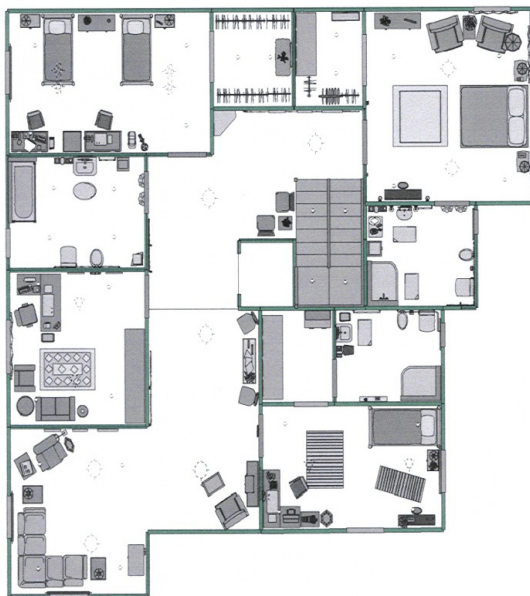
١٤- على أجهزة الإعلام العمل المكثف لتوعية الأسر بأهمية تجهيز المسكن بوسائل الأمن والسلامة.

وفيما يلي تعرض الباحثة نموذج مقترح لمسكن يتلاءم مع وجود مسن في الأسرة.

النموذج المقترح



المسقط الأفقي للطابق الأول مساحة المباني: ٤٢٢,٤ م^٢



المسقط الأفقي للطابق الأرضي مساحة المباني: ٤٢٢,٥ م^٢

المراجع العربية

- ١- أحمد زايد. المدينة الخليجية بين الأصالة والمعاصرة، مجلة الدراسات الاجتماعية العمالية، الطبعة الأولى، المنامة، المكتب التنفيذي (العدد ٣٦، نوفمبر ١٩٩٨).
- ٢- الإعاقة والرعاية. تقرير مركز البحوث، كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود، الرياض، بدون تاريخ.
- ٣- بدر العيسى، «أهمية العمل التنموي لكبار السن، مألهم وما عليهم» مجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت (العدد ٥١، ١٩٩٥).
- ٤- جيلان القباني، «دراسة عن تصميم دور المسنين في محافظة القاهرة الكبرى» المؤتمر العلمي الرابع لكلية الاقتصاد المنزلي، جامعة حلوان، كلية الاقتصاد المنزلي، ١٩٩٧.
- ٥- حامد عبد العزيز العبد، الشيخوخة خصائصها ومراحلها ووسائل رعايتها، مجلة الدراسات الاجتماعية العمالية، الطبعة الأولى المنامة، المكتب التنفيذي (العدد ١٨، يناير ١٩٩٢).
- ٦- ربيع الحرساني، عناصر التصميم والإنشاء المعماري، سوريا، دار الأيام، بدون تاريخ.
- ٧- سميرة كرم توفيق، «التصميم الداخلي للمسكن وعلاقته بالناحيات الفسيولوجية والنفسية لأفراد الأسرة»، كلية الاقتصاد المنزلي، جامعة حلوان، بدون تاريخ.
- ٨- سهير كامل أحمد، دراسات في سيكولوجية المسنين، الجزء الخامس، الإسكندرية، مركز الإسكندرية للكتاب، ١٩٩٨.
- ٩- صالح الهذلول، نارايانان ايدادان، الاحتياجات من المساكن والبدايل الاستراتيجية لتنمية قطاع الإسكان، الطبعة الأولى، الرياض، دار السهن، ١٩٩٨.
- ١٠- طلعت حمزة الوزنة، أرقام وحقائق عن المسنين في العالم، الرياض، وزارة العمل والشؤون الاجتماعية، ٢٠٠٠.
- ١١- عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية المسنين، القاهرة، دار غريب، بدون تاريخ.
- ١٢- عبد الله تلمساني، الهيكل العمراني ونمط التوزيع المكاني للمساكن بالمدينة السعودية، الطبعة الأولى، الرياض، دار السهن، ١٩٩٨.
- ١٣- عبد الله بن ناصر السدحان، رعاية المسنين في المملكة العربية السعودية، الرياض، مطابع الجمعة، ١٤٢٠هـ.
- ١٤- عبد الله بن ناصر السدحان، رعاية المسنين في الإسلام، الطبعة الأولى، الرياض، العبيكان، ١٩٩٨.
- ١٥- علي فؤاد أحمد، الأبعاد الاجتماعية لرعاية المسنين (جوانب من العالمية) مجلة الدراسات الاجتماعية والعمالية، الطبعة الأولى، المنامة، المكتب التنفيذي (العدد ١٨، يناير ١٩٩٢).
- ١٦- قيصر طالب. المسكن في المملكة العربية السعودية، ترجمة محمد بن حسين البراهيم، الرياض، النشر العلمي والمطابع، ١٤٢١هـ.
- ١٧- اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (الإسكوا)، الواقع البيئي للمدينة العربية ووضع الفرد والأسرة في ظل التحضر، مجلة الدراسات الاجتماعية والعمالية، الطبعة الأولى، المنامة، المكتب التنفيذي (العدد ٣٦، نوفمبر ١٩٩٨).
- ١٨- كمال الدين أغا. مشكلات التقدم في السن (التقدم في السن دراسات اجتماعية نفسية)، الطبعة الأولى، الكويت، دار القلم، ١٩٨٤.
- ١٩- محمد عبد الله حماد. التنمية الحضرية: نظرة عامة، الطبعة الأولى، الرياض، دار السهن، ١٤١٩هـ.
- ٢٠- محمد سيد فهمي، نورهان منير فهمي. الرعاية الاجتماعية للمسنين، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٩٩.
- ٢١- مختار الشيباني. المعايير التصميمية للمعوقين حركياً في البيئة العمرانية، جدة، مطبعة المحمودية، ١٩٩٤.
- ٢٢- مختار محمد الشيباني. «رسالة المعماري تجاه المعوقين». حلقة العمران والبيئة. كلية العمارة والتخطيط. جامعة الملك سعود. الرياض. ١٩٨٢هـ.

- ٢٢- مضايي حمد الناصر الهطلاني. مدينة الرياض. دراسة تاريخية في التطور السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي. الطبعة الأولى. الرياض. مكتبة العبيكان. ١٩٩٦م.
- ٢٢- المكتب التنفيذي. كبار السن عطاء بلا حدود. مجلة الدراسات الاجتماعية والعمالية. الطبعة الأولى. المنامة. المكتب التنفيذي (العدد ٣٧. مايو ١٩٩٩م).
- ٢٤- المكتب التنفيذي. الأسرة والمدينة والتحويلات الاجتماعية بين التنمية والتحديث. مجلة الدراسات الاجتماعية والعمالية، الطبعة الأولى، المنامة، المكتب التنفيذي (العدد ٣٦ نوفمبر ١٩٩٨).
- ٢٥- المكتب التنفيذي. رعاية المسنين في المجتمعات المعاصرة (قضايا واتجاهات)، مجلة الدراسات الاجتماعية والعمالية، المنامة، المكتب التنفيذي (العدد ١٨ يناير، ١٩٩٢).
- ٢٦- المكتب التنفيذي. «الاحتياجات الأساسية لكبار السن» مجلة الدراسات الاجتماعية والعمالية، الطبعة الأولى، المنامة، المكتب التنفيذي (العدد ١٨ يناير، ١٩٩٢).
- ٢٧- منى حميد شويكة. «دور طريقة تنظيم المجتمع في إشباع الاحتياجات الاجتماعية للمسنين»، دراسة مطبقة على المسنين بمدينة جدة، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الخدمة الاجتماعية للبنات، جامعة الرياض، ١٩٩٤.
- ٢٨- نيفين مصطفى حافظ. «تقييم مشاكل كبار السن المقيمين في دور الرعاية المسنين بمدينة الإسكندرية»، مجلة بحوث الاقتصاد المنزلي، جامعة المنوفية (العدد ١/٢، ٢٠٠٠).
- ٢٩- نيفين مصطفى حافظ، يسرية رجب أنور. «دراسة اتجاهات كبار السن نحو الإقامة بدور رعاية المسنين» مجلة بحوث الاقتصاد المنزلي، جامعة المنوفية، مجلد (١٠) (العدد ٢/ يناير ٢٠٠٠).
- ٣٠- هالة العمران. التوافق عند المسنين (دور وسائل الإعلام)، مجلة الدراسات الاجتماعية والعمالية، الطبعة الأولى، المنامة، المكتب التنفيذي (العدد ١٨ يناير، ١٩٩٢).
- ٣١- هدى محمد قناوي. سيكولوجية المسنين، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت (المجلد ١٧، العدد ٢، ١٩٨٩).
- ٣٢- وزارة التخطيط. بيان وزارة التخطيط عن خطة التنمية السابعة، الرياض، ١٤٢٠ - ١٤٢٥هـ.
- ٣٢- وزارة الشؤون البلدية والقروية. دليل أنظمة واشتراطات البناء، الجزء الأول، جدة، أمانة محافظة جدة، بدون تاريخ.
- ٣٤- المكتب التنفيذي. «رعاية كبار السن في دول مجلس التعاون الخليجي: حقائق وأرقام» مجلة الدراسات الاجتماعية والعمالية، المنامة، المكتب التنفيذي (العدد غير موجود، ١٩٩٩).
- ٣٥- وزارة العمل والشؤون الاجتماعية. نشوء وتطور الخدمات الاجتماعية والعمالية في المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٤١٩هـ.
- ٣٦- وزارة العمل والشؤون الاجتماعية. «إنجازات وكالة الوزارة للشؤون الاجتماعية»، الرياض، ١٤١٥- ١٤١٦هـ.
- ٣٧- يوسف الكيلاني. الشيخوخة والتغيرات الحيوية، مجلة الدراسات الاجتماعية والعمالية، المنامة، المكتب التنفيذي، (العدد ١٨، يناير ١٩٩٢).
- ٣٨- يونس خنفر. «الوقاية من مخاطر الإصابات في المسكن وسلامة الأفراد»، بيروت، دار الراتب الجامعية، بدون تاريخ.

المراجع الأجنبية

- 1- American National standards. Accessible and Usable Buildings and Facilities. Falls Church. Virginia: Council of American building official. 1992.
- 2- Donoghue. Edward, A. ADA & Building Transportation. Salem, New York: Elevator World, Inc. 2000.
- 3- Gotdenberg. Leon. Housing for the Elderly New Trends in Europe. New York: Garland STBM Press. 1981.
- 4- International Code Council. Code Requirements for Housing Accessibility. California: ICBO. 2000.
- 5- International Building Code, ICC, Accessible and Usable Buildings and Facilities. Accessibly. Illinois: BOCA. 2000.
- 6- Hele. Prosser. "The future care plans of older adults with intellectual disabilities living at home with family careers" Journal of Applied research in Intellectual Disabilities. (vol. 10. 1997).
- 7- hunt. Michael, E. "The Design of Supportive Environments for Older People". Congregate Housing for the Elderly Journal. N. vol. No. 1992.
- 8- Gildebloom, -John, I., Mullins, R. L. "Elderly housing needs: An examination of the American housing survey" International Journal of aging and Human development. vol 40. (1995).
- 9- Kearney. Deborah. The ADA In Practice. Kingston, MA: R. S. Means company, Inc. 1995.
- 10- Monk. Abraham, & Kaye. Lenard, W. "Congregate Housing for Elderly: It's Need, Function and Perspectives". Congregate housing for the Elderly Journal. N. vol. No. 1992.
- 11- pynoos, J., & Redfoot, D. L. "housing frail elders in united states". Baltimore: Johns Hopkins Universitypress. 1995.
- 12- Regnier Victor. Assisted Living Housing For The Elderly. New York: Van Nostrand Reinhold. 1994.
- 13- Sherman. Sonia. "characteristics related to elderly persons' perceived difficulty of remaining in their current homes" family and consumer sciences research Journal (vol. 26, No. 1-September 1997).
- 14- terry. Evan. Pocket Guide to the ADA. New York: John Wiley & Sons, Inc. 1997.
- 15- Zedlewski, s., Barnes, R., Burt, M., McBride, T., & Meyer, J. "the needs of the elderly in the 21st Century". Washington, DC: urban Institute. 1990.

أخلاقيات البحث العلمي ودورها في ترقية البحوث العلمية الاجتماعية والإنسانية

د. ريم محمد موسى*

مقدمة

المجتمع وتساعد في تطوره، وعلى الباحث أن يلتزم بأخلاقيات مهنة البحث العلمي والقواعد التي تتضمنها قوانين ودساتير المؤسسات العلمية والبحثية.

وهناك أخلاقيات يجب أن يتحلى بها الباحث مثل الموضوعية في جمع البيانات وتحليلها والحياد الفكري، على أن تركز هذه الأخلاقيات على ركيزتي العمل الإيجابي وتجنب الضرر.

تهدف الورقة إلى مناقشة أخلاقيات البحث العلمي في العلوم الاجتماعية

أصبح الاهتمام بالبحث العلمي سمة العصر الحديث لكل الدول سواء أكانت متقدمة أم نامية، وأصبح هو السبيل لتحقيق التطور العلمي والتكنولوجي الذي يعتبر الأساس لأي تطور اقتصادي واجتماعي وفي مواجهة وحل المشكلات التي يواجهها المجتمع في مختلف مجالات حياته وتنميته على أسس علمية سليمة.

ويتوقف نجاح البحث العلمي على عدد من العوامل والإمكانيات المادية والبشرية، ولكن أهمها هم الباحثون أنفسهم، لأن الباحث هو الذي يخطط وينفذ عمليات البحث العلمي التي يمكن أن تخدم

* منسق الدراسات العليا والبحث العلمي، قسم العلوم السياسية، جامعة بحري/السودان.

reemb122@gmail.com

والإنسانية ومعرفة الآليات التي يتم بها مراقبة أخلاقيات البحث العلمي، ومن ثم ما مدى الدور الذي يلعبه الباحث في ترقية البحث العلمي من خلال تطبيق أخلاقيات البحث العلمي.

تناقش الورقة المحاور الآتية:

- طبيعة وخصائص البحث العلمي.
- أخلاقيات البحث العلمي في العلوم الاجتماعية والإنسانية.
- آليات مراقبة أخلاقيات البحث العلمي.
- دور الباحثين في ترقية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية والإنسانية من خلال تطبيق أخلاقيات البحث العلمي.

أولاً - طبيعة وخصائص البحث العلمي

البحث في اللغة العربية بمعنى طلب عن الشيء أو فتش عنه أو بالتقصي، وبحث الأمر أي أجتهد فيه مما يعني أن البحث يعني التفتيش والتنقيب عن مسألة معينة حتى يتم معرفة حقيقتها.^(١)

والبحث كمصطلح لا يخرج عن المعنى اللغوي، فهو يعني بذل المجهود الذهني في التحري أو التتبع أو الدراسة عن مسألة معينة بقصد التعرف على حقيقتها.

وهناك عدة تعريفات للبحث العلمي، فيمكن تعريف البحث العلمي بأنه: أعمال التفكير وبذل الجهد الذهني المنظم حول مجموعة من المسائل أو القضايا بالتقصي عن المبادئ أو العلاقات التي تربط تبني عليها أفضل الحلول.^(٢)

أو هو وسيلة للدراسة يمكن بواسطتها الوصول إلى حل لمشكلة محددة وذلك عن طريق التقصي الشامل والدقيق لجميع الشواهد والأدلة التي يمكن التحقق منها والتي تتصل بهذه المشكلة المحددة، والبحث العلمي هو أيضاً التقصي المنظم باتباع أساليب ومناهج محددة للحقائق العلمية بقصد التأكد من صحتها أو تعديلها أو إضافة الجديد لها.^(٣)

يمكن تصنيف البحوث العلمية إلى نوعين:^(٤)

١. **البحوث الأساسية:** هي الأنشطة التجريبية أو النظرية التي تمارس أصلاً من أجل اكتساب معارف جديدة عن الأسباب التي يقوم عليها الظواهر والوقائع دون توخي أي تطبيق خاص، وتشتق عادة من المشاكل الفكرية أو البدائية ويمكن تطبيق نتائجها فيما بعد على مشاكل قائمة بالفعل.

٢. البحوث التطبيقية: هي البحوث الأصلية التي تجرب بغية اكتساب معارف جديدة ترمي في المقام الأول إلى تحقيق غرض معين، فهي عملية تكون أهدافها محددة بشكل أدق من البحوث النظرية وتكون موجة لحل مشكلة من المشاكل العملية أو لاكتشاف معارف جديدة يمكن تسخيرها والاستفادة منها فوراً في واقع حقيقي وفعلي موجود في مؤسسة أو منطقة أو لدى أفراد، ويمكن الاستعانة بنتائجها فيما بعد لمعالجة مشكلة من المشاكل القائمة بالفعل.

وهناك البحوث النظرية التطبيقية والتي تعتبر من أكثر أنواع البحوث شيوعاً، حيث تتدخل النظرية بالتطبيق ويكون الهدف هو إيجاد مناسبة للمفاهيم النظرية.

ويهدف البحث العلمي أياً كان ميدانه إلى تكوين المعرفة التي هي خلاصة التفكير العلمي، وإلى جانب تكوين المعرفة تبدو أهمية البحث العلمي في تنمية روح الاستنتاج العقلي وحضور البديهة وإذكاء روح البحث والابتكار، واكتشاف الظواهر الطبيعية ومحاولة فهمها بجانب تكوين الشخصية القادرة على التفكير المستقل.^(٥)

كما تكمن أهمية البحث العلمي في أنه يساعد على إضافة المعلومات الجديدة ويساعد على إجراء التعديلات الجديدة للمعلومات السابقة بهدف استمرار تطورها، كما أنه يفيد في تصحيح المعلومات عن الكون الذي نعيش فيه وعن الظواهر التي نحياها، والبحث العلمي يفيد الإنسان في تقصي الحقائق التي يستفيد منها في حل المشاكل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.^(٦)

وتتمثل أهداف البحث العلمي في:^(٧)

- **الفهم:** حيث يوصف العلم بأنه يهدف إلى جمع البيانات والإحصاءات وتصنيف المعلومات وتحديد الظواهر وإيجاد تفسير أو فهم محدد لها.

- **النتنبؤ:** وهي الصياغات الناتجة في ضوء الفهم الجديد المنبثق في الأصل من التعميمات المستخدمة، والنتنبؤ هو تصور انطباق القانون أو القاعدة في مواقف أخرى غير التي نشأ عنها أساساً.

- **التحكم:** يعد نتيجة من نتائج العلاقة الناجمة بين الفهم والنتنبؤ، ويعني سيطرة أكبر على الظواهر من خلال المعرفة الدقيقة للأحداث والظواهر.

وهناك مناهج تستخدم في البحوث العلمية تتمثل في:^(٨)

١. المنهج التحليلي Analytical Method، ومؤداه تفتيت الكل إلى أجزاء، وتقويم الأجزاء لاختيار فرضيات معينة والوصول إلى نتائج جديدة. ففي العلوم الطبيعية أو المجردة يتم تفتيت الكل إلى أجزاء على المستوى الذهني أولاً ثم اللجوء إلى المختبر أو التجارب العلمية، أما في ظل العلوم الإنسانية والاجتماعية فيتم تفتيت الكل إلى أجزاء على المستوى الواقعي.
٢. المنهج الكيفي Qualitative Method، ويتزوج مع المنهج السابق، ويستخدم الباحث أساليب المقابلات الشخصية والملاحظة وغيرها.
٣. المنهج الاستنباطي Deductive Method، ومؤداه استخدام أسس وقوانين المنطق وإثبات نتيجة ما وانتقل الباحث في هذا النهج من العام إلى الخاص.
٤. المنهج الجدلي Dialectical Method، وهو عبارة عن منهج يكشف طبيعة العلاقة بين الأفكار المتعارضة أو المتناقضة في ضوء قواعد المنطق الجدلي.
٥. المنهج الاستقرائي Inductive Method، ومؤداه انتقال الباحث من الخاص إلى العام لإثبات فرضية البحث.
٦. المنهج الكمي Quantitative Method، عبارة عن منهج يدرس الظواهر القابلة للقياس الكمي.
٧. المنهج المقارن Comparative Method، وهو منهج يحدد أوجه التماثل والتباين بين عدة أنظمة أو ظواهر أو علاقات.
٨. منهج دراسة الحالة Case Study Method، وهو دراسة ظاهرة أو حالة من جوانبها كافة بهدف تحليل أجزائها والوصول إلى نتائج محددة.

وهناك صعوبات تواجه البحث العلمي خاصة في العالم العربي تتمثل في:^(٩)

١. التقليل من قيمة البحث العلمي، حيث لا تزال بعض الدول العربية لا تعي قيمة البحث العلمي وبالتالي لا تعمل على تمكين البحث العلمي وتسيير أموره، بل ترى أنه ترف فكري وعلمي.
٢. نقص التمويل، حتى في الحالات التي يكون فيها اهتمام بالبحث العلمي يكون هناك نقص في تمويل البحوث وعدم تخصيص الميزانيات الكافية لإجراء البحوث بالطريقة المناسبة إذ أن ما يخصص للبحوث عادة يمثل ٢٪ فقط من ميزانية المنشأة.

٣. صعوبة الحصول على المعلومات، حيث يتعذر الوصول إلى المعلومة خاصة في الإدارات الحكومية التي تعمل على وضع العراقيل أمام الباحثين أو حجب بعض المواقع الخاصة بالمعلومة على الإنترنت.
٤. سرية الأرقام، حيث يتم إحاطة الأرقام والإحصائيات بسرية غير مبررة بدعوى أنها معلومات أمنية في الوقت الذي يمكن فيه الحصول على هذه المعلومات من جهات أجنبية كالبنك الدولي أو المنظمات الدولية الأخرى.
٥. صعوبات ميدانية تواجه عملية جمع البيانات وعدم تسهيل مهمة الباحث.
٦. نقص المصادر العلمية المتمثلة في الكتب والمراجع، وعدم قدرة البعض في الاستفادة من أوعية المعلومات المتاحة خاصة الأوعية الإلكترونية.
٧. عدم جدية البحوث وعدم ملاستها للقضايا الجادة إثارةً للسلامة، حيث تكون معظم البحوث للترقيات العلمية ولا تلامس الواقع المعاش والحاجة العلمية الحقيقية.

ثانياً – أخلاقيات البحث العلمي في العلوم الاجتماعية والإنسانية

تعرف العلوم الاجتماعية أو الإنسانية حسب قاموس العلوم الاجتماعية بأنها «مجموع العلوم التي تدرس الإنسان داخل المجتمع، بحيث لا يمكن تصور إنساناً لوحده ولا مجتمع من دون بشر»، والعلوم الإنسانية هي مجموعة من التخصصات العلمية التي تدرس النواحي الإنسانية للعالم والحياة.^(١٠)

ومصطلح أخلاقيات المهنة Work Ethics يعني المعايير السلوكية التي يجب الالتزام بها من قبل الممارسين لأي مهنة، سواء كانت في الطب أو الهندسة أو القضاء أو التعليم أو البحث العلمي. ومن المعضلات التي تعانيها معظم الدول النامية وبالأخص الدول العربية، غياب «أخلاقيات العمل» عن الأذهان، على الرغم من حضورها في اللوائح والأنظم.

والتقدم في البحث العلمي مرهون بدرجة الانضباطية والالتزام بالقيم الأخلاقية للبحث العلمي من أجل تحقيق أهداف البحث العلمي السامية التي تهدف إلى تنمية المجتمع وتحقيق رفاهية الإنسان، بعيداً عن الأهواء الشخصية أو إحداث ضرر لأي طرف من الأطراف، وعلى الرغم من اهتمام كثير من الباحثين وأعضاء هيئة التدريس في الجامعات بأخلاقيات البحث العلمي، فإن بعضهم لا يدرك أبعاد أخلاقيات البحث العلمي وخطورة انتهاك حرمتها على تقدم البحث العلمي، ومن ثم على تنمية المجتمع ودرجة تنافسيته على المستوى الدولي.^(١١)

وطبقاً لإعلان هيلسنكي والاتحاد العالمي للأخلاقيات، هنالك مبادئ أخلاقية متفق عليها تتمثل في: احترام الأشخاص والمنفعة وعدم الضرر والعدالة، وتقع مسؤولية مراعاة الأخلاقيات على الباحث، إذ يتحمل المسؤولية كاملة ومؤسسات البحث العلمي، ومحررو المجلات العلمية إذ لا بد من أن يرفق بالبحث موافقة لجنة الأخلاقيات بالمؤسسة العلمية، ووكالات التمويل والمنظمات، فلا يجب التمويل إلا بعد تقديم ضمانات مراقبة المبادئ الأخلاقية للبحث وتشكيل لجان الأخلاقيات.^(١٢)

إن تجاهل الباحث لأخلاقيات البحث العلمي ينسف الصفة العلمية والقيمية عن عمله البحثي. فمن الضرورة ألا يتعرض الباحث لزملائه الباحثين من حيث خصوصياتهم أو كراماتهم أو نهج سيرهم، إذ أن تسييس Politicization العملية البحثية ذات الصلة الموضوعية يتناقض مع أخلاقيات البحث العلمي.

ومن أخلاقيات الباحث العلمي:^(١٣)

١. الأمانة العلمية من الضرورة نسبة الآراء لأصحابها الحقيقيين وتجنب انتحالها أو سرقتها.
٢. كتمان سرية المعلومات أو خصوصيات المبحوثين.
٣. تجنب إلحاق ضرر مادي أو معنوي بعينة البحث ومحاولة الضغط على المبحوثين أو استنزائهم.
٤. فصل الحياة العلمية للباحث عن حياته العائلية أو الشخصية.
٥. تجنب الخضوع لمؤثرات حكومية هادفة إلى ترك البحث في شؤون عامة حيوية.

وتتمثل الأخلاقيات الأساسية للبحث العلمي فيما يلي:

• النشر العلمي

إن الكثير من الدوريات العلمية لم تتل من الفحص والمراجعة إلا القليل ولهذا لا بد من التحكم في جود الأعمال المقدمة للنشر وكذلك وضع معايير لجودة هذه الدوريات ولهذا كان لا بد من نظام تحكيم النظراء Peer Refreed الحديث الذي يعمل كآلية دقيقة للتحكم في الجودة وذلك من خلال التمييز بين الأبحاث الجيدة والضعيفة، ويحاول المحررون أن ينشروا الأبحاث عالية الجودة فقط ولهذا يجب أن تستند أحكام الجودة إلى معايير شتى من بينها منهجية وطريقة الكتابة. إن نظام تحكيم النظراء يمدنا بتقييم عادل غير منحاز وحذر وأمين للبحث العلمي، وهذا النظام أيضاً يمكن أن يعمل بفاعلية عندما يثق الكتاب بأن مخطوطاتهم سوف تعالج بطريقة مسؤولة وموضوعية وعادلة.

وزيادة في الموضوعية، أن معظم الدوريات في العلم تستخدم للفحص نظام إخفاء المحكمين، وهناك بعض الدوريات تستخدم للفحص نظام إخفاء مزدوج فلا يعرف المراجعون أيضاً هوية المؤلفين، ولا المؤسسات التي ينتمون إليها.

وبنهاية القرن الماضي وأوائل هذا القرن زاد النشر الإلكتروني تزايداً هائلاً، ومع هذه الزيادة المتنامية في كم البحث لجأ الكثير من الناشرين إلى نشر البحوث وملخصاتها إلكترونياً بمقابل وبدون مقابل مادي. وظهر النشر الإلكتروني بوصفه شكلاً آخر من أهم أشكال التواصل العلمي مما يستبعد الحاجة إلى نشر الدوريات في ورق.

طراً مع النشر الإلكتروني تغير ذو مغزى في التواصل العلمي، فقد أصبح أسرع وأرخص وأوسع في مده، ولهذه التغيرات ثقلها الكبير فيما يختص بأخلاقيات النشر وفي جودة الأبحاث المنشورة.

• السلوك الأخلاقي في العلم

يجب ألا ينتهك السلوك الأخلاقي في العلم معايير خلقية متفقاً عليها، كما يجب أن يساهم في إنجاز الأهداف التعليمية، ويوجد عدد من المبادئ الأخلاقية في العلم تطبق في عملية البحث وهي كالآتي: (١٤)

١. **الأمانة:** يجب على العلماء ألا يختلوا العطايات أو النتائج أو يكذبوها أو يحرفوها، عليهم أن يكونوا موضوعيين وغير منحازين وصادقين في سائر مناحي عملية البحث.

٢. **الحذر واليقظة:** يجب أن يتجنب العلماء الأخطاء في البحث وخصوصاً في عرض النتائج، وعليهم أن يعلموا على تقليل الأخطاء البشرية والتجريبية والمنهجية إلى حدها الأدنى ويتجنبوا خداع الذات والإنحياز وصراع المصالح والحذر مثل الأمانة يرقى بأهداف العلم من حيث إن الأخطاء يمكن أن تعوق تقدم المعرفة تماماً مثلما تفعل الأكاذيب الصريحة.

٣. **الانفتاحية:** ينبغي أن يتداول العلماء نتائجهم وكذلك المعطيات والمناهج والأفكار والتقنيات في الأدوات ويجب أن يتبحروا العلماء آخرون مراجعة عملهم وأن يكونوا منفتحين للنقد والأفكار الجديدة.

٤. **الحرية:** ينبغي أن يكون العلماء أحراراً في أن يقوموا بالبحث في أي مشكلة أو فرض. ينبغي عليهم أن يتبعوا الأفكار الجديدة وينتقدوا الأفكار القديمة. والواقع أن مبدأ الحرية يدفع إلى إنجاز الأهداف العلمية بطرق عديدة، حيث تلعب الحرية دوراً بارزاً في انتشار المعرفة وفي تنمية الإبداع العلمي.

• الموضوعية في النشر

تكون عادة الأبحاث والكتب أو أي أعمال علمية أخرى عرضة للنشر ينبغي أن يسلك طريقاً تلتزم فيه بالأمانة والموضوعية والحذر في الكتابة والتحكيم والنشر.

ولكن تضمن تحقيقاً دقيقاً موضوعياً، ينبغي على العلماء أن يكون لديهم التزامات بالكتابة والمراجعين عليهم أيضاً التزامات بأن تكون المراجعة دقيقة لا تتضمن في حد ذاتها انحيازاً أو محاباة، لأن الانحياز في تحكيم النظراء يمكن أن يكون دائماً البحث عن المعرفة الموضوعية، والواقع أن هذا الهدف لا يسهل دائماً إنجازه، وذلك لأن المحررين والمراجعين بشر حيث أن ميولهم ورغباتهم من الممكن أن تكون في صراع ومن ثم تؤثر في سير هذه العملية.

إن الخلل في أداء عملية المراجعة والتحكيم يثير جدلاً بين العلماء، كما أنه يحول دون أن يغير العلماء أفكارهم القديمة وأن يقترحوا أفكاراً جديدة. وهناك كثير من الدوريات غالباً ما تلجأ إلى السرية لتأكيد المراجعة غير المنحازة.

• حقوق الملكية الفكرية

هناك مجتمعات كثيرة قد سنت قوانين لتعطي أصحاب الملكية الفكرية القدرة على شئ من التحكم في كيفية استخدامها. هذه النماذج المتباينة للملكية الفكرية التي تعترف بها كثير من الدول تتضمن حقوق الطبع وبراءات الاختراع والعلامة التجارية والأسرار التجارية.

(١) **حق الطبع:** يجب أن يكون حق الطبع قابل للتجديد، وهو حماية قانونية تكفل للمؤلف القدرة على التحكم في إعادة إنتاج عمله الأصلي، إن المؤلفين الذين لهم حقوق الطبع لأعمالهم لديهم الحق في إعادة إنتاج أعمالهم، وفي الخروج بأعمال أخرى فيها، وفي تنقيحها وإضافة إليها أو الحذف منها، وفي تأليف أعمال أخرى تحقيقاً لفاعليتها. ولهذا لا بد من الاستخدام العادل والجيد للعمل المنشور وأن يكون النسخ فقط لأغراض تربوية تعليمية وألا يبخس القيمة التجارية لهذا العمل.

(٢) **براءة الاختراع:** أما براءة الاختراع فهي إجازة قانونية تعطي صاحب البراءة الحق في التحكم في إنتاج اختراعه واستخدامه والمتاجرة فيه. ولا يجب أن تمنح براءة الاختراع، إلا إذا كان العمل أصلياً ومفيداً وغير مسبوق. إن حقوق الملكية الفكرية ينبغي أن تمنح بغير إعطاء الناس المردود العادل على إسهاماتهم ومجهوداتهم.

إن الملكية الفكرية يمكن تبريرها على قدر ما تساهم في تقدم العلم والتكنولوجيا. وهناك ثلاث طرق يمكن أن تساهم بها الملكية الفكرية في هذا التقدم:

- تم تدافع للباحثين الذين يبحثون عن حقهم في المكافأة المالية، دافع بحثهم على الاختراعات ولاكتشافاتهم. وعلى الرغم من أنا علماء كثيرين لديهم دوافع «خالصة» أي يسعون إلى الحقيقة من أجل الحقيقة إلا أن المصالح الاقتصادية يمكن أن تلعب دوراً في دفع البحث العلمي.
- تشجع الملكية الفكرية الاستثمار الصناعي في العلم والتكنولوجيا وذلك بأن تتيح للأعمال الحرة تحقيق أرباح تعود عليها من رعاية البحث العلمي.
- تقسح الملكية الفكرية المجال للانفتاحية والمجاهرة في العلم وذلك عن طريق حماية مصالح الأفراد والنقابات.

ثالثاً- آليات مراقبة أخلاق البحث العلمي

التقدم في البحث العلمي مرهون بدرجة الانضباط والالتزام بالقيم الأخلاقية للبحث العلمي من أجل تحقيق أهداف البحث العلمي السامية التي تهدف بدورها إلى تحقيق رفاهية الإنسان وتنمية المجتمع بعيداً عن الأهواء الشخصية وإحداث الضرر لأي طرف.

من الواضح أن هنالك انتهاكات لأخلاقيات البحث العلمي وسط الباحثين بصورة عامة، وتكون هذه الانتهاكات نتيجة للجهل بالقيم الأخلاقية للبحث العلمي، ولا بد من معالجة للموضوع من أجل تجريم انتهاكات القيم الأخلاقية للبحث العلمي وتعزيز مفهوم أخلاقيات البحث العلمي.

لذلك هنالك بعض الآليات يمكن أن تكون ضوابطاً لمراقبة أخلاقيات البحث العلمي تتمثل في الآتي:

(١) **التنشئة الاجتماعية:** هي عبارة عن العمليات الاجتماعية التي يقوم بها الفرد والتي تأتي بدورها بالنتائج الاجتماعي الذي يتم اكتسابه، وهي عملية تفاعل الفرد والمجتمع الذي يعيش فيه ويستطيع الفرد أن يتشرب القيم والعادات والأفكار السائدة في المجتمع والتي تساعد على أن يحدد سلوكه اليومي للقيام بدوره كي يصبح مواطناً صالحاً يساهم بطريقة جيدة في مجالات التنمية.^(١٥)

وللأسرة دور كبير في أساليب ممارسة الأفراد وفي اكتساب القيم والأخلاق، وبالتالي تعتبر أهم معايير الضبط الاجتماعي للأفراد حيث تقوم الأسرة بتوعية الأفراد بالقيم الأخلاقية، وبالتالي يمكن أن تقوم بدور الرقيب لمتابعة تنفيذ التقيد بالقيم الأخلاقية، ولا شك من بين هذه القيم الأخلاقيات الجانب المتعلق بأخلاقيات البحث العلمي وضرورة

التقيد بها، وتعتبر الأسرة وهي الآلية الأساسية لنقل أخلاقيات البحث العلمي وثقافة العلم بشكل عام.

(٢) **العقوبة على الانحرافات العلمية:** أصبحت في الآونة الأخيرة انتشار ظاهرة السرقات العلمية في وسط الباحثين وأعضاء هيئات التدريس بالجامعات والمراكز البحثية، فالسرقة غير مسموح بها وفقاً لضوابط الملكية الفكرية لكن يسمح بالاعتباس، والاعتباس هو النقل الحرفي أو غير الحرفي لنص أو فكرة من باحث إلى آخر، وهناك نوعين من الاعتباس: (١٦)

- اقتباس شرعي، هو النقل للفكرة أو النص مع اشارة إلى المصدر.

- اقتباس غير شرعي، وهو النقل دون ذكر المصدر.

ومن أهم العوامل التي تؤدي إلى السرقات العلمية: الإفلاس الفكري لمعظم السارقين يتطلعون إلى الحصول على الدرجات العلمية والجوائز على أكتاف الآخرين، بجانب الإفلاس الإيماني بحث معظم السارقين يوجد في نفوسهم ضعف للوازع الديني، كما أن البيئة قد تكون مساعدة بسبب عدم وجود ضوابط للسرقات والممارسات غير الأخلاقية في الأوساط الأكاديمية وعدم ردع من قام بالسرقة مما يشجع غيره باتباع نفس السلوك الغير أخلاقي.

وظاهرة الانحرافات والممارسات الغير أخلاقية كالسرقة العلمية وغيرها تقتضي على ملكة البحث العلمي النزاهة وتنشئ عقليات هشة علمياً وفكرياً وتقتل موهبة الإبداع والتنافس، وعليه لا بد من وضع المعايير الآتية موضع الاهتمام لضبط الممارسات غير الأخلاقية:

١. إصدار تعليمات وقوانين رادعة تتعلق بالسلوك العلمي وأخلاقيات البحث العلمي بحيث تشمل مفهوم السرقة العلمية والفكرية بهدف ردع الاعتباس غير المشروع والحفاظ على نزاهة البحث العلمي والإلتزام بالأخلاقيات.

٢. الملاحقة القانونية والإعلامية، بحيث يقدم السارقين للقضاء للردع وتعويض المعتدى عليهم من الباحثين، وتكون الملاحقة الإعلامية بالتشهير وفضح الممارسات الغير أخلاقية في حدود الأدب، وضرورة مقاطعة كتابات من يقومون بالسرقات العلمية.

٣. وضع قوانين رادعة للملكية الفكرية بخصوص الحق العلمي والأدبي للباحث تقتضي محاسبة من يمارس الجانب الغير أخلاقي في البحث العلمي.

(٣) ضوابط للنشر العلمي: لا بد من التقيد بالضوابط العالمية للنشر العلمي من أجل العمل على تحسين ثقافة النشر العلمي وسط الباحثين في مختلف البيئات الأكاديمية، مما يكون له دور إيجابي في مراقبة التقيد بأخلاقيات البحث العلمي، ولا بد من التقيد بالضوابط الآتية عند النشر العلمي للحفاظ:

١. أن يقدم البحث المراد نشره إسهاماً وإضافة جديدة في المجال العلمي المقدم فيه.
٢. أن يتصف البحث المراد نشره بالموضوعية والحيادية والأمانة.
٣. أن يكون البحث غير مقتبس أو منقول من بحث تم نشره قبل ذلك.
٤. الالتزام بالمواصفات الفنية للنشر من قبل الجهات الناشرة.
٥. أن يحصل البحث على حق صلاحية النشر من قبل محكمين.

(٤) ضوابط نظم الترقية في المؤسسات الأكاديمية: ويعتبر موضوع الترقية من أكثر شؤون العاملين وأعضاء هيئة التدريس حساسية ودقة في إدارة الموارد البشرية لارتباطه بمصالح أعضاء هيئة التدريس للارتقاء بمستوى أدائهم، والترقية تكون أما حسب الأقدمية ويكون معيار الترقية هنا هو الأقدمية بمعنى قضاء مدة بينية متفق عليها بين كل مستوى وظيفي، وأما حسب الكفاءة أو الجدارة ويكون معيار الترقية هنا هو مقدار الأداء وجودة الإنجاز الذي حققه المرشح للترقية، وأما تكون الترقية بالاعتماد على الأساسيين السابقين.^(١٧)

وعند ترقية عضو هيئة التدريس يؤخذ عادة بالمعيار الثالث، وتعتمد ترقية عضو هيئة التدريس على معيار الجدارة الذي تحكمه أبحاث علمية محكمة في مدى زمني محدد، ولا بد من وجود ضوابط صارمة للترقية بالنسبة لعضو هيئة التدريس مما تساعد في العمل كآلية لمراقبة أخلاقيات البحث العلمي لمنع سرقة البحوث العلمية والقضاء على الممارسات الغير أخلاقية عند كتابة البحوث العلمية، على أن تشمل ضوابط ومعايير الترقية الاعتماد على البحوث العلمية المقدمة من عضو هيئة التدريس بحيث يتم دراستها وفحصها والتأكد من سلامتها ومطابقتها للضوابط والشروط وفقاً لضوابط المؤسسة الأكاديمية المعنية.

رابعاً - دور الباحثين في ترقية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية والإنسانية من خلال تطبيق أخلاقيات البحث العلمي

تقتضي الضرورة العلمية للعلم اللحاق بركب التقدم عن طريق تشجيع إنتاج أدوات هذه

التكنولوجيا كمرحلة أولى من مراحل التقدم العلمي، ثم توفير أقصى درجات التشجيع والتحفيز للباحثين في مختلف مجالات العلوم الإنسانية.

ينبغي أن تتوفر بعض السمات في الباحث العلمي كي يكون ناجحاً في إنجاز بحثه وإعداده وكتاباته بشكل جيد، ومن أهم هذه السمات ما يلي: ^(١٨)

١. توفر الرغبة في موضوع البحث، حيث تعتبر رغبة الباحث في مجال وموضوع البحث وميله نحوه عامل مهم في إنجاز عمله وبحثه، فالرغبة الشخصية دائماً هي عامل مساعد ودافع فعال يؤدي للنجاح.

٢. القابلية على التحمل والصبر، فالباحث الناجح بحاجة إلى تحمل المشاق في التفتيش المستمر والمضني والطويل أحياناً عن مصادر المعلومات المناسبة والتعايش معها بذكاء وصبر وتآني.

٣. التواضع، حيث يجب أن يتصف الباحث العلمي بالتواضع مهما وصل إلى مرتبة متقدمه في علمه وبحثه ومعرفته في مجال وموضوع محدد، فأنة يبقى بحاجة إلى الاستزادة من العلم والمعرفة، لذا فإنه يحتاج إلى التواضع أمام إنتاج وعمل الآخرين، وعدم استخدام عبارة (أنا) في الكتابة، بمعنى يستخدم عبارة وجد الباحث أو عمل الباحث، وهكذا بالنسبة للعبارات المشابهة الأخرى.

٤. التركيز وقوة الملاحظة، يجب أن يكون الباحث الجيد يقظاً عند تحليل معلوماته وتفسيرها وأن يتجنب الاجتهادات الخاطئة في شرحه المعلومات التي يستخدمها ومعانيها، لذا فإنه يحتاج إلى التركيز وصفاء الذهن عند الكتابة والبحث، وأن يهيئ لنفسه مثل هذه الموصفات مهما كانت مشاغله الوظيفية أو اليومية وطبيعة عمله.

٥. قدرة الباحث على إنجاز البحث، يجب أن يكون الباحث قادر على البحث والتحليل والعرض بالشكل المناسب بحيث يتمكن من التعمق في تفسير وتحليل المعلومات الكافية المجمعة لديه.

٦. الباحث المنظم، يجب أن يكون الباحث منظماً من خلال عمله من حيث تنظيم ساعاته وأوقاته وتنظيم وترتيب معلوماته المجمعة بشكل منطقي وعملي بحيث يسهل مراجعتها ومتابعتها وربطها مع بعض بشكل منطقي، والتنظيم له مردود كبير على إنجاز عمل الباحث واختصار واستثمار الوقت المتاح.

٧. تجرد الباحث علمياً، يجب أن يكون الباحث الناجح موضوعياً في كتابته وبحثه، وهذا يتطلب في الابتعاد عن العاطفة المجردة من البحث من أجل الوصول إلى الحقائق، أي يجب أن يبتعد عن إعطاء آراء شخصيه أو معلومات غير معززة بالآراء المعتمدة والشواهد المقبولة والمقنعة.

ولا بد من التعاون الدولي وتوفير الفكر العلمي والنظريات والبحوث العلمية، ومحاولة

توسيع الظواهر العلمية وتوسيع رقعة الباحثين في الحقول العلمية لا سيما مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية.

وهناك مسألتين تعتبران مثلاً للتقدم العلمي والتكنولوجي الضروري للمستقبل العربي والذي يساعد على تطور البحث العلمي بصورة عامة وفي مجال العلوم الإنسانية بصورة خاصة هما: (١٩)

- **ظاهرة العولمة:** لا يمكن رفض تيار العولمة، ولا يمكن الذوبان التام في أيديولوجيتها لكن يمكن الاستفادة من العولمة في جانب التكنولوجيا، وبالتالي الإسهام في العولمة بما يتوافق مع المصالح والأهداف الذاتية بما يتطلب إحداث تفكير ونمط جديد من المؤسسات تعي بطبيعة الأهداف وفقاً لمتطلبات الألفية الثالثة.

- **تكنولوجيا المعلومات:** هنالك قصور في تكنولوجيا المعلومات في العالم العربي بصورة عامة، فهي امتداد للظاهرة نفسها في مجالات عديدة كنتيجة منطقية لمجموعة من الأسباب والتي على رأسها التبعية العلمية والتكنولوجية وضعف الميزانيات المخصصة للبحوث، وتم إنشاء مجموعة من المعاهد المتخصصة في مجال تطبيقات المعلومات والإلكترونيات الدقيقة والاتصالات في معظم البلدان العربية مثل مركز بحوث الإلكترونيات الملحق بالمركز القومي للبحوث في مصر، ومركز تكنولوجيا المعلومات الملحق بالمركز القومي للبحوث في سوريا، والمعهد الإقليمي للمعلومات والاتصالات IRSIT بتونس، ومجموعة بحوث الإلكترونيات بمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتكنولوجيا بالرياض، وذلك بهدف ترقية البحوث العلمية والاستفادة من التكنولوجيا المتطورة للمعلومات. (٢٠)

النتائج والتوصيات

يعتبر تطوير البحث العلمي من أهم القضايا التي يجب أن تقابل بنوع من الاهتمام، لأن المواضيع التي يتناولها البحث بالدراسة هي محاولة جادة لإيجاد حلول لكثير من المشاكل التي تواجهنا في الحياة اليومية، ويمكن للمجتمعات أن تتقدم إذا اعترفت بأهمية البحث العلمي في عصر تكنولوجيا المعلومات.

ويتضح أن هنالك اهتمام متزايد بضرورة التمسك بالأخلاقيات في البحث العلمي، لأن الافتقار إلى أخلاقيات البحث العلمي يضر بالبحث ويفقده صفة العلمية ويؤثر على تطور البحوث العلمية، لذلك لا بد من وضع آليات صارمة لمراقبة التقيد بهذه الأخلاقيات وفق معايير معينة.

وعليه توصي الورقة بالآتي:

أولاً: عقد المؤتمرات والندوات التي تهتم بالبحث العلمي، مما يكون له أثر في تزكية روح

البحث لأعضاء هيئة التدريس بنشر ثقافة البحث العلمي.
 ثانياً: ضرورة تكوين لجان لأخلاقيات البحث العلمي بمؤسسات التعليم العالي، لنشر المعايير الأخلاقية الخاصة بالبحث العلمي.
 ثالثاً: ضرورة وضع ضوابط صارمة للنشر العلمي والترقيات في مؤسسات التعليم العالي تعتمد على جودة البحوث العلمية وليس على عددها.

الهوامش

١. المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية بمصر، ١٩٩٣، ص ٣٧.
٢. أحمد عبد الكريم سلامة، الأصول المنهجية لإعداد البحوث العلمية، القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٩٩، ص ١٤.
٣. غازي عناية، إعداد البحث العلمي، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، بدون تاريخ، ص ١٢.
٤. تعريف البحث العلمي وأهميته وأهدافه على الموقع: <http://al3loom.com/?p=4018>
٥. أحمد عبد الكريم سلامة، مصدر سابق، ص ١٦.
٦. مفهوم البحث العلمي – على الموقع: www.b-alathb.com
٧. سعد الدين صالح، ص ١٥.
٨. أخلاقيات البحث العلمي، جامعة عين شمس – وحدة الجودة، ٢٠١٠.
٩. منهج البحث العلمي على الموقع: <http://alyaseer.net/vb/showthread.php?t=22953>
١٠. موسوعة ويكيبيديا على الموقع: www.wikipedia.org
١١. رشود الخريف، أخلاقيات البحث العلمي الغائب الحاضر، الصحيفة الاقتصادية ٢٠ إبريل ٢٠١٣ العدد ٧١٢١، على الموقع الإلكتروني: http://www.aleqt.com/2013/04/20/article_748851.html
١٢. عبد الله شطريط ومحمد اسبيتان، أخلاقيات البحث العلمي.
١٣. أخلاقيات البحث العلمي، جامعة عين شمس، مصدر سابق.
١٤. سعيد جاسم الأسدي، أخلاقيات البحث العلمي في العلوم الإنسانية والتربوية والاجتماعية، البصرة: مؤسسة وارث الثقافية، الطبعة الثانية ٢٠٠٨، ص ٣٢.
١٥. مولود زايد الطيب، علم الاجتماع السياسي، الزاوية: منشورات جامعة السابغ من إبريل، الطبعة الأولى ٢٠٠٧، ص ١٥٨.
١٦. محمد مسعد ياقوت، السرقات العلمية مشكلة متفاقمة، على الموقع www.odabasham.net
١٧. سليمان بن ناصر، معوقات الترقية الأكاديمية لأعضاء هيئة التدريس، مجلة الرسالة العدد ١١٠، على الموقع: www.abegs.org/sites/Research/DocLib2/02-110.do
١٨. البحث العلمي أهميته وأهدافه، مصدر سابق.
١٩. أخلاقيات البحث العلمي، جامعة عين شمس، مصدر سابق.
٢٠. تطوير البحث العلمي على الموقع: thiqaruni.org/files2/high/Lecturerspptx

دور التخطيط الاستراتيجي والبرمجة في مجال البحث التربوي وأثره على التعليم العالي في البلدان العربية

د. ذهب نايف الشمري*

مقدمة الدراسة

التخطيط لعملية تنمية تعود على الدولة والأفراد بالنفع والفائدة. ومن مميزات التخطيط والبرمجة في المجال التربوي التخطيط الاستراتيجي هو صنع الاختيارات. فهو عملية تهدف لدعم القادة لكي يكونوا على وعي بأهدافهم ووسائلهم. وبذلك فالتخطيط الاستراتيجي هو أداة إدارية، ولا تستخدم إلا لغرض واحد - مثل بقية الأدوات الإدارية الأخرى - ألا وهو مساعدة المؤسسة في أداء عمل أفضل. ويمكن للتخطيط الاستراتيجي أن يساعد المنظمة على أن تركز نظرتها وأولوياتها في الاستجابة للتغيرات الحادثة في البيئة من حولها وأن يضمن أن أفراد

كثرت تعقيدات هذا العصر وتشابكاته، بكثرة من يعيشون فيه، وتداخلت المهام واختلطت الأوراق، لكن مع كل هذه التعقيدات ظهر التخطيط الذي يحل كل هذه الإشكالات، ويضعها ضمن أجندة مرتبة حسب الأولويات والمهام التي يتطلع الشخص والمؤسسة لتحقيق غاياته من خلالها. إلا أن التخطيط ذاته يحتاج إلى تخطيط كي يظهر بالشكل المناسب، ويخدم مصلحة المخطط في تحقيق أهدافه. ولاشك في أن التخطيط يدخل في كل شيء إلا أن صورته تتضح جلية في التخطيط للمنظمات الكبرى التي تعمل الكثير من المؤسسات والثروات والموارد باختلافها والتي تسعى من خلال

* دكتوراة في الإدارة والتخطيط التربوي، أستاذ مساعد، قسم التربية، كلية التربية، جامعة حائل/السعودية.

d.alshammmary@uoh.edu.sa - Dr_thahab@yahoo.com.

المنظمة يعملون باتجاه تحقيق نفس الأهداف. وبالطبع فالمقصود بكلمة «استراتيجي» هو إضفاء صفة النظرة طويلة الأمد والشمول على التخطيط. ويشمل عادة التخطيط تحديد الحاجات وصياغة الأهداف واختيار الطرائق والوسائل لتحقيق هذه الأهداف ونحن هنا لا نتكلم على مستوى التخطيط الكلي (مستوى الوزارة) إنما التخطيط على المستوى المحلي حيث أن المجتمع المحلي معني بصورة مباشرة بالاحتياجات التعليمية كتشييد مدارس والجامعات أو غرف صفية أو توفير أجهزة ووسائل تعليمية لمدارس المنطقة حيث إن نظام اللامركزية يدعم ويحفز هذا التوجه للسكان ويدفعهم للمشاركة في صياغة القرارات التربوية أو على أساس تقديم اقتراحات بناءً. وتجدر الإشارة أن الخطة الوطنية في نظام اللامركزية تتبع من المستويات القاعدية.

ويمكن أن تأخذ مشاركة المجتمع في تهيئة الخطة المحلية والوطنية من خلال النشاطات التخطيطية التمهيدية وتأخذ هذه المشاركة أشكالاً متعددة: -

- أ- مشاركة مباشرة وغير مباشرة في المشاريع التي تديرها الوزارة.
- ب- مشاركة المجتمع المحلي في اللجان التربوية المحلية، في مناقشة تلك المقترحات المعدة من أجل تنمية المنطقة.
- ج- المشاركة في مناقشة الدراسات التي لها علاقة بالبنية التحتية للمدارس والجامعات والطرق في المناطق النائية والعمالة والجامعات التي ستبنى في المستقبل (الخارطة الجامعية).

مشكلة الدراسة

ترى الباحثة أن من أهم معوقات التخطيط الاستراتيجي والمشكلات التي تواجهها هي مشكلات المتابعة وتنفيذ الخطط، حيث إن كثيراً من الخطط جيدة الصياغة ومتكاملة العناصر لا ينجح القائمون على الإدارات في تنفيذها لاعتبارات كثيرة أهمها - حسب ما ترى الباحثة من خلال خبرتها العملية- ضعف الثقافة بأهمية التخطيط الاستراتيجي، وقلة الخبرات والمؤهلات الإدارية المتعلقة بأدوات الإدارة الاستراتيجية.

وهذا يدفعنا للتأكيد بأن العمليات التي تؤدي إلى وضع الخطة الاستراتيجية الجيدة يجب أن:

- يشترك كل فرد فيها.
- ليست مقيدة أو محدودة بافتراضات تأخذها الشركة بأكملها كأمر مفروغ منها.
- تتجدد بشكل دائم، وتدفع إلى إلقاء أسئلة جديدة.
- لا تترك للمخططين أن ينفردوا بها.
- تستلزم قدراً كبيراً من النقاش والتداول.

وأوضحت الأبحاث العلمية التحدي الكبير الذي ستواجهه مؤسسات التعليم العالي في تنفيذ الخطط الاستراتيجية الخاصة بها. إن ذكر هذه التحديات لا يعني بأي حال من الأحوال ترك العمل والتخلي عن التخطيط الاستراتيجي، بل على العكس فإن معرفتنا بوجود هذه التحديات الكبيرة لهو مدعاة لنا لأن نستعد لها وأن نبذل أقصى الجهد في مقاومتها. ولعل القائمة التالية والتي أعدها ستيرلنج Sterling (٢٠٠٣)، بناء على خبرات العديد من المدراء التنفيذيين وما توصل إليه الباحثون الأكاديميون، تساعد المسؤولين بمؤسسات التعليم العالي على التخطيط الجيد لمرحلة تنفيذ خططها الاستراتيجية:

- الحرص على بناء خطة إستراتيجية للمؤسسة تتوافق مع بنائها التنظيمي وقدراتها وإمكاناتها.

- الأخذ بعين الاعتبار ردود أفعال الآخرين لخطتك الاستراتيجية.

- إشراك المسؤولين في عملية تطوير الخطة الاستراتيجية.

- المواظبة على إيصال المعلومات الكافية لمنسوبي المؤسسة فيما يخص الخطة الاستراتيجية.

- الحرص على التخطيط الجيد للبرامج والمشاريع وادعمها بالميزانيات الكافية.

- ضرورة تنسيق المتابعة، وضع نظاماً مناسباً للمساءلة.

- الحرص على الأفعال الرمزية التي تبين مدى جدية المسؤولين بالمؤسسة

التعليمية في تنفيذ الخطة الاستراتيجية ومدى تقديرهم للقائمين على التنفيذ.

حقق التوافق ما بين نظم المعلومات الإدارية والخطة الاستراتيجية بالإضافة إلى

أن هناك عقبات تواجه استخدام التخطيط الاستراتيجي

رغم تعدد المزايا التي تحققها المنظمات المعتمدة لمفهوم التخطيط الاستراتيجي إلا أن

ثمة عدداً من المنظمات لا تستطيع استخدامه لأسباب تتعلق بـ:

١- وجود بيئة تتصف بالتعقيد والتغير المستمرين بحيث يصبح التخطيط متقادماً قبل أن يكتمل.

٢- ظهور المشاكل أمام التخطيط الاستراتيجي يعطي انطباعاً سيئاً عن هذا التخطيط في أذهان المدراء.

٣- قصور الموارد المتاحة للمنظمة ربما كانت عقبة أمام استخدام مفهوم التخطيط الاستراتيجي

٤- التخطيط الفعال يحتاج إلى وقت وتكلفة.

أهمية الدراسة

- مواجهة عدم التأكد في بيئة عمل المنظمة
- التوصيف والتقييم المنهجي لبيئة عمل المنظمة ووضع استراتيجيات التعامل الفعال معها.
- تطوير إمكانيات المنظمة للتعرف على وتحليل الفرص والقيود والتهديدات وتقويمها ووضع سبل التعامل الفعال معها.
- تدعيم قدرة المنظمة في تحديد نقاط القوة وأوجه الضعف لديها وتحديد متطلبات التعامل الفعال معها.
- توفير المرونة لدى المنظمة للتكيف مع التغيرات غير المتوقعة.
- توفر أدوات التنبؤ والتقدير لاتجاهات عناصر بيئة عمل المنظمة
- تحديد وتوجيه المسارات الاستراتيجية للمنظمة.
- صياغة وتطوير رسالة المنظمة وأهدافها.
- تحديد وتوجيه مسار العمل في المنظمة.
- تحديد وصياغة الغايات والأهداف الاستراتيجية للمنظمة التعليمية.
- تحديد وتوفير متطلبات تحسين الأداء وتحقيق نمو وتقدم المنظمة التعليمية.
- التأكد من ربط الأهداف الاستراتيجية لطموحات وأهداف أصحاب الأموال والإدارة العليا ومصصلحة أعضاء المنظمة التعليمية.
- توجيه الموارد والإمكانيات إلى الاستخدامات الاقتصادية.
- توجيه الجهود البحثية لتطوير أداء المنظمة وتدعيم موقفها التنافسي.
- التأكد من تحقيق الترابط بين رسالة المنظمة وأهدافها وما يتم وضعه من سياسات وقواعد وأنظمة عمل.

أهداف الدراسة

- يكمّن الهدف الرئيس من هذه الدراسة في التعرف على التخطيط الاستراتيجي والبرمجة في المجال التربوي ويتفرع من هذا الهدف عدد من الأهداف الفرعية التالية:
- ١- التعرف على مدى إسهام التعليم العالي على مستوى الدول العربية في إعداد الكفاءات العالية.
 - ٢- معرفة مواصفات التخطيط والبرمجة في المجال التربوي التخطيط الاستراتيجي.

٢- التوصل إلى الفرق بين البرمجة والتخطيط الاستراتيجي، ودور كلا منهما في المجال التربوي.

٤- دور على التخطيط الاستراتيجي والبرمجة في المجال التربوي وتأثيره على التعليم العالي في الدول العربية.

منهج الدراسة

اتبعت الباحثة المنهج الوصفي الذي يقوم على وصف الظاهرة وصفاً دقيقاً من خلال جمع المعلومات والعمل على تصنيفها والتعبير عنها كما وكيفاً وذلك للوصول إلى استنتاجات تساهم في التعرف.

النتائج وتوصيات الدراسة

وتضمنت النتائج خمسة محاور هي:

- ١- مصادر بناء الاستراتيجية والمبادئ الرئيسية لنجاحها.
 - ٢- تحليل للوضعية في المؤسسات التعليمية.
 - ٣- ثم تحديد الرؤية والرسالة والأهداف.
 - ٤- وضع إطار استراتيجي.
 - ٥- رسم خطة تنفيذية استراتيجية.
- وتضمنت الخاتمة توصيات تكميلية لنجاح التخطيط الاستراتيجي، منها:
- ١- ضرورة مشاركة جميع الجهات في التخطيط والتنفيذ، والحصول على الضمانات اللازمة للتنفيذ،
 - ٢- توفير الموارد البشرية المؤهلة،
 - ٣- وضع آليات للمتابعة والرقابة والتقييم المستمر
 - ٤- حشد الموارد المالية
 - ٥- تصميم خطة إعلامية بالاستراتيجية.
 - ٦- الانفتاح على كل جديد في مجال التخطيط التربوي.

كما اقترحت الدراسة إجراء مزيد من الدراسات المتعمقة على مستوى كل مجال، وفي إطار مقارنة بين الدول العربية، ومع غيرها من الدول التي حققت نجاحات ملموسة.

قائمة المراجع

١. أبو زيد، ذياب محمود (٢٠٠٣) التخطيط الاستراتيجي للموارد البشرية في القطاعين العام والخاص، دراسة ميدانية مقارنة. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، الأردن.
٢. الحارثي، سعاد (٢٠٠٦) خفض التكاليف في مؤسسات التعليم العالي باتباع أسلوب إعادة هندسة العمليات الإدارية، مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي، الرياض.
٣. الخطيب، أحمد ومعاينة عادل (٢٠٠٦) الإدارة الإبداعية للجامعات: نماذج حديثة. (الطبعة الأولى)، جدارا للكتاب العالمي، عمان.
٤. الربيعي، سعيد بن حمد (٢٠٠٧) التعليم العالي في عصر المعرفة «التغيرات والتحديات وآفاق المستقبل»، دار الشروق، الأردن.
٥. الزهراني، سعيد عبد الله (١٤١٦) التخطيط الاستراتيجي لمؤسسات التعليم العالي، مركز البحوث التربوية النفسية بجامعة أم القرى. مكة المكرمة.
٦. السالم، مؤيد (٢٠٠٠) التكامل بين التخطيط الاستراتيجي والممارسات الخاصة بإدارة الموارد البشرية في منظمات الأعمال العربية، وقائع مؤتمر إدارة الموارد البشرية وتحديات القرن الجديد، جامعة اليرموك، اربد، الأردن، ١٨-٢٠.
٧. الفزالي، كرمه ماجد عباس (٢٠٠٠) التخطيط الاستراتيجي في المؤسسات العامة الأردنية - دراسة ميدانية من وجهة نظر الإدارة العليا. رسالة ماجستير، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، قسم الإدارة العامة، جامعة اليرموك، الأردن.
٨. الكبيسي، عامر خضير (٢٠٠٥) التخطيط الاستراتيجي والإدارة الاستراتيجية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، كلية التدريب، الرياض.
٩. بدران، شبل و الدهشان، جمال (٢٠٠٣) التجديد في التعليم الجامعي. (الطبعة الأولى)، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة.
١٠. بسيوني، اسماعيل علي (٢٠٠٥) التخطيط الاستراتيجي للموارد البشرية في الشركات السعودية الكبرى، مركز البحوث وتنمية الموارد البشرية، جامعة الملك سعود، القصيم.
١١. درويس، مايكل وآخرون (٢٠٠٦) التخطيط الاستراتيجي الناجح، مترجم، وزارة التعليم العالي، مكتبة العبيكان، الرياض.
١٢. غراب، كامل السيد (١٩٩٧) الإدارة الاستراتيجية النظرية والتطبيق، دار القلم للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة.
١٣. هاينز، ستيفن (٢٠٠١) التخطيط الاستراتيجي الناجح. (الطبعة الأولى)، (رفاعي حمد وسيد عبد المتعال، مترجم)، دار الفاروق للنشر والتوزيع، القاهرة.
١٤. وزارة التخطيط، (٢٠٠٤) خطة التنمية السابعة، المملكة العربية السعودية-الرياض.
15. L, Caling. (1991). A comparison of strategic planning practices in united states and Korean banks, management decision, pp 24- 28.
16. Robinson, Gran. (1986). Strategic Management Techniques, Butter worth's.
17. Druker, Pete. (1974), Management: Tasks, Responsibilities, and Practice. London: Hein Mann.
18. Glaister, K & Flashaw J. (1999). Strategic Planning: Still Going Strong. Long Range Planning, DAI, 32 (1), 107 – 116.

معالم حياة المرأة في معجم لسان العرب لابن منظور (رؤية سياسية)

Parameters of Women's Lives in A dictionary San Arabs to the Son of Perspective

The research on the study of the image of women and the features of her life in the book Lexicon San Arabs to the son of perspective has been studied with regard to designations and descriptions of women and their meanings. and also «studied the search scope of the second marriage and the dimensions of the lives of women's social. while the third was the telescope for diversity and plurality in the adornment and including sections for women's dress. and also adornments. «as well as» women's natures and private practices brought about by the lexicon San Arabs.

أ. د. حميد سراج جابر



الملخص باللغتين العربية والإنجليزية

يقوم البحث على دراسة صورة المرأة وملامح حياتها في كتاب معجم لسان العرب لابن منظور وقد درس ما يتعلق بتسميات وأوصاف المرأة ومدلولاتها، وأيضاً درس البحث في نطاقه الثاني الزواج وأبعاد حياة المرأة الاجتماعية، فيما كان المنظار الثالث عن التنوع والتعدد في اللباس والزينة وبما في ذلك أقسام لباس المرأة، وزينتها أيضاً، فضلاً عن طبائع المرأة وممارساتها الخاصة والتي أفرزها معجم لسان العرب.

* أستاذ مساعد للفكر الإسلامي في قسم التاريخ للعلوم الانسانية، كلية التربية في جامعة البصرة / العراق.

hameedsurag@yahoo.com

يقوم البحث الذي بين أيدينا على دراسة صورة المرأة وملامح حياتها والنظرة إليها في كتاب معجم لسان العرب لابن منظور المتوفى (٧١١هـ)، إذ ضمت المعاجم اللغوية معلومات كثيرة ومتعددة في جوانب كثيرة ومنها ما يخص المرأة.

وقد درس البحث المصطلحات المتعلقة بالنساء بحسب مراحل حياتهن وكذلك الاحكام الاجتماعية والصور النوعية في التطور الحاصل عبر العصور في حياة المرأة، فضلاً عن ذكر بعض الامور التي تخص الجانب البايولوجي عنها كما وردت في المعجم.

وايضاً من الامور التي طرحت ما يتعلق اولاً «بمنظار تسميات وأوصاف المرأة ومدلولاتها وكذلك الطرح الوصفي وفق المنظار السلبي والايجابي لها كما صورها لنا المعجم، وايضاً» درس البحث في نطاقه الثاني منظار الزوجية وابعاد حياة المرأة الاجتماعية، فيما كان المنظار الثالث عن التنوع والتعدد في اللباس والزينة وبما في ذلك اقسام لباس المرأة، وزينتها ايضاً»، ولم يهمل البحث موضوع طبائع المرأة وممارساتها الخاصة والتي افرزها معجم لسان العرب.

وهناك موضوعات اخرى كثيرة درست في البحث تتعلق بعلاقات المرأة ومكانتها وملامح معيشتها ونظرة المجتمع واحكام الدين اليها وغير ذلك مما ورد في الدراسة.

أولاً: منظار تسميات وأوصاف المرأة ومدلولاتها

أ- اسماء المرأة ومدلولاتها

من الطبيعي ان تكون تسميات المرأة المتعددة قد شغلت حيزاً لا بأس به في كتاب لسان العرب لا سيما وانها تتناغم مع طبيعة طرح المعاجم اللغوية، بيد ان ذلك لا يعني عدم خروجها عن هذا الاطار اذ نجد ان الاسماء التي ذكرت في معجم لسان العرب اخذت طابع التنوع وعدم التحديد ويمكن اجمالها بما يأتي:

١- الحوراء: هي البيضاء وجمع الحوراء هو الحور^(١). وقيل ان الحوراء هي شديدة بياض العين شديدة سوادها^(٢). وامرأة حوراء بينة الحور واحور الشئ ابيض^(٣).

(١) لسان العرب ٤/ ٢١٩.

(٢) ينظر الشوكاني، فتح القدير ٥/ ١٤٣.

(٣) القرطبي، تفسير القرطبي ١٦/ ١٥٣.

- ٢- الشنهر والشنهيرة: وقد اشار ابن منظور إلى انها: العجوز الكبيرة.^(٤)
- ٣- العاتق: هي الجارية التي قد أدركت وبلغت فخرت في بيت أهلها ولم تتزوج، سميت بذلك لأنها عتقت عن خدمة أبويها ولم يملكها زوج بعد^(٥). وقيل ان العواتق من النساء: جمع عاتق وهي الشابة أول ما تدرك. وقيل التي لم تب من والدتها ولم تتزوج وقد أدركت وشيت^(٦).
- ٤- بحنة: هي من اسماء النساء، اذ ذكر ابن منظور انها اسم امرأة نسب إليها نخلات كن عند بيتها^(٧). وأشار إلى ذلك الزبيدي حيث ذكر ان بحنة اسم امرأة نسبت إلى نخلة معروفة بالمدينة.^(٨)
- ٥- فاطمة: هي سيدة نساء العالمين بنت الرسول محمد صلى الله عليه واله وسلم اذ اشار ابن منظور ان فاطمة من أسماء النساء، وتسمى المرأة فاطمة وفضاما وفضيمة^(٩). وذكر ابن منظور الفواطم ايضا» اذ اورد انه: قيل للحسن والحسين: ابنا الفواطم، فاطمة أمهما، وفاطمة بنت أسد جدتهما، وفاطمة بنت عبد الله بن عمرو بن عمران بن مخزوم جدة النبي ﷺ^(١٠). وهو من اشرف الأنساب التي ذكرت حيث بين ذلك اليعقوبي فذكر معنى الفواطم قال: وأخبرني غير واحد من أهل العلم أنه الرسول صلى الله عليه واله كان يكثر يوم حنين من قول: أنا ابن الفواطم، وهي أربع فواطم: قرشية، وقيسيان، وأزدية، فأما القرشية، فوالدته من قبل أبيه عبد الله بن عبد المطلب، فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، والقيسيان أم عمرو بن عائذ بن عمران، وهي فاطمة بنت ربيعة بن عبد العزى بن رزام بن بكر بن هوازن، وأمها فاطمة بنت الحارث بن بهثة بن سليم بن منصور، والأزدية أم قصي بن كلاب، وهي فاطمة بنت سعد بن سيل^(١١).
- ٦- الزهراء: هو الاسم الآخر للسيدة فاطمة سيدة نساء العالمين، وقد ذكر ابن منظور معنى الزهراء بأنه يقال للمرأة زهراء، وكل لون أبيض كالدرجة الزهراء، والحوار الأزهر. والأزهر: الأبيض. والزهرة: ثلاث ليال من أول الشهر^(١٢).

(٤) لسان العرب ٤/ ٤٢١، وينظر الفيروز ابادي، القاموس المحيط ٢/ ٦٥، الزبيدي، تاج العروس ٧/ ٦١.

(٥) لسان العرب ١٠/ ٢٣٥.

(٦) الطريحي، مجمع البحرين ٣/ ١١٧.

(٧) لسان العرب ١٣/ ص ٤٦ - ٤٧.

(٨) ينظر تاج العروس ١٨/ ٤٨.

(٩) لسان العرب ١٢/ ٤٥٥.

(١٠) لسان العرب ١٢/ ٤٥٥.

(١١) تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٢٢.

(١٢) لسان العرب ٤/ ٣٢٢، وينظر الزبيدي، تاج العروس ٦/ ٤٨٨، الطريحي، مجمع البحرين ٢/ ٢٩٧.

٧- الأنثى: هي لفظة عامة تطلق على النساء اذ ذكر ابن منظور ان الأنثى خلاف الذكر من كل شئ وجمع انثى هو اناث^(١٣).

ومما مر عن هذه التسميات يمكن ان نلمس نوع خاص في طرح ابن منظور مبني على الاسس الاتية:

أ- التنوع في ذكر تسميات النساء ومعانيها وبما ينسجم مع طبيعة الثقافة التي يتمتع بها فقد ذكر اسماء الجمال والعفة والعمر واسماء المناسبات، فضلا عن اسماء المراحل التي تمر بها المرأة حتى تتزوج.

ب- اختلف طرح ابن منظور بين الخاص والعام، فقد خصص الاسماء حسب مدلولاتها، وفي الوقت نفسه جمعها بلفظة عامة وهي الانثى.

ج- لم يخلو هذا الطرح من معلومات تاريخية غاية في الاهمية، جاءت على سبيل التوضيح ولكنها، كانت معلومات مهمة، تناغمت مع الطرح التاريخي.

الطرح الوصفي وفق المنظار السلبي والايجابي

وفي هذا الطرح نجد ان ابن منظور ذكر ما يكمل الصورة عن المرأة وذلك بذكر بعض صفاتها التي وردت ضمنيا» ولكن بجمعها ودراستها في لسان العرب نستطيع القول انها تراوحت بين السلبية والايجابية نصح التعبير وأن كانت المرأة ليس لها دخل او ذنب فيها الا انه ذكرها من ناحية الوصف، فالسلبية منها يمكن ادراجها بما يأتي:

١- العضنك ويقصد بها المرأة البدينة التي وصلت درجة البدانة فيها إلى حد ضاق فيها ملتقى فخذيها بسبب كثرة لحمها^(١٤).

٢- الزعراء أي القليلة الشعر^(١٥)، اذ اورد ابن منظور قول لاحدى النساء انها زعراء^(١٦)، ولكن لا نعلم هل المقصود التفاخر لا سيما وان ذلك من الامور المحببة، أم تقصد شعر الرأس وهو طرح استهجاني اذ لم تسعفنا المصادر بذكر ذلك.

وعلى ما يبدو ان هذا الطرح ركز على أمرين:

(١٣) لسان العرب ٢/ ١١٢.

(١٤) لسان العرب ١٠/ ٤٦٨. وينظر الفراهيدي، العين ٢/ ٣٠٢، الفيروز ابادي، القاموس المحيط ٣/ ٣١٢.

(١٥) لسان العرب ٤/ ٣٢٣.

(١٦) لسان العرب ٤/ ٣٢٣.

الأول: يتعلق برشاقة المرأة وحسن صورتها، ومراعاتها لانوثتها التي تميزها عن باقي المخلوقات وبما يتلائم مع طبيعة تركيبها.

الثاني: يتعلق بشكل المرأة ونظارتها وشعرها الذي يميزها ايضا في الحالتين، مع وجود جمالية شعر الرأس ومع فقدانه الذي يتعلق الجانب السلبي به.

اما من الناحية الايجابية فقد تعددت الصفات والافصاف وبشكل عام وجزئي ولكنها اختلفت من حيث كونها تقع ضمن اطارين وكالاتي:

١- الاطار المادي: وقد تعددت صورته بمنظار ابن منظور:

أ- الصورة الأولى وصف ابن منظور المرأة ذات القوام الرشيق، وطريقة الاستدلال على صورتها الجميلة في نظر الآخرين وكيفية تزينها لتصل إلى هذا الوصف الذي اورده ابن منظور عن الشعراء^(١٧).

ب- الصورة الثانية هي صورة المرأة الممتلئة باللحم الريا العظام^(١٨)، وهي تتعلق بجانب ايجابي وليس سلبي لانه لا يقصد حد الافراط الذي ذكرناه في الجانب السلبي.

ج- الصورة الثالثة ملائمة اطراف المرأة وحسنها في اماكن زينتها، اذ اشار ابن منظور إلى انها فخمة المخدم (الخلخال) أي موضع الخدام من الساق^(١٩).

د- الصورة الرابعة البشاشة، وهي أن تكون المرأة بشوشة مستبشرة اذ ذكر ابن منظور واورد الشعر عن المرأة المؤدمة أي المبشرة: إذا حسن منظرها وصح مخبرها^(٢٠).

وعلى ما يبدو ان الصور التي طرحها ابن منظور في هذا المقام اكدت بمجملها مع اختلافها على شكل المرأة وصورتها التي يراها الناظر إليها، وقد فرق بين اشكال هذه الصور مشخصا «للمظاهر الجمالية فيها والتي اسميناها الصفات المادية.

٢- الاطار المعنوي

أ- الانوثة: اذ اشار ابن منظور على لسان الإمام علي عليه السلام، بأن المرأة كالعقرب وهو لا يقصد بذلك ان يذمها بل العكس فهو يعكس صورة الاسلام التي راعت

(١٧) لسان العرب ١/ ٥٢٦، ٣/ ٢٥٥.

(١٨) لسان العرب ١/ ١١٧.

(١٩) لسان العرب ١٢/ ١٦٧.

(٢٠) لسان العرب ١٢/ ١٠. وينظر الزبيدي، تاج العروس ٩/ ١٦.

المرأة وأعطتها حقها، إذ أنه يقصد أنوثتها وجمالها الذي يوقع الرجال، وليس العكس بمعنائه المادي^(٢١).

ب- الطهارة: وقد أورد ابن منظور وصف سيدة نساء العالمين البتول، وكيف أصبحت قدوة في طهارتها للنساء^(٢٢). وذكر ابن منظور هذا الأمر ببيان معني البتول؟ وذلك لانقطاعها عن نساء أهل زمانها ونساء الأمة عفافاً وفضلاً ودينياً وحسباً، وقيل: لانقطاعها عن الدنيا إلى الله عز وجل. وامرأة مبتلة الخلق أي منقطعة الخلق عن النساء لها عليهن فضل^(٢٣). وهذا الأمر متعلق بالجانب المعنوي وليس المادي، ولكنه عام وشامل للمرأة على العموم وليس خاص بمن ذكر ابن منظور إلا على مستوى القدوة.

ج- الحياء والخجل: وقد صور ابن منظور هذه الصفة بما ذكره عن فاطمة الزهراء رضي الله عنها عندما تزوجت إذ أورد إن الإمام علي رضي الله عنه دعاها فجاءت إليه وهي خجلة جداً من شدة الحياء حتى أنها كانت تتعثر في ثيابها^(٢٤). وهذه القصة مشهورة حتى ذكرت بتفاصيلها في المصادر، فقد قيل في حديث تزويج فاطمة رضي الله عنها لعلي رضي الله عنه أنه لما أصبح دعاها فجاءت إليه وهي خجلة تتعثر في مرطها (والمرط هو الملاءة)^(٢٥).

ولا ريب أن هذه الصفات المعنوية التي أشار لها ابن منظور تنطلق من المفاهيم الدينية الاجتماعية التي أراد لها الاسلام أن تسود في المجتمع، ويلاحظ أن هذه المفاهيم ارتبطت بما يأتي:

١- القدوة أو الرمز وهي فاطمة الزهراء عليها السلام بنت الرسول صلى الله عليه واله وسلم في العفة والطهارة والبراءة.

٢- الأسرة الإسلامية المثالية التي حددها ابن منظور بأسرة الإمام علي وزوجته الزهراء عليها السلام التي مثلت المرأة خير تمثيل.

(٢١) لسان العرب ١ / ١١٠ - وينظر د. حميد سراج، النظرة الواقعية للمرأة في فكر الإمام علي بجميع صفحاته.

(٢٢) لسان العرب ١١ / ٤٣.

(٢٣) لسان العرب ١١ / ٤٣. وينظر النووي، المجموع ١٧ / ١٠٣.

(٢٤) لسان العرب ١٠ / ٧٦.

(٢٥) ينظر ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ٢ / ٢٦.

ثانياً: منظار الزوجية وابعاد حياة المرأة الاجتماعية

ينطلق موضوع زواج المرأة وفق النطاق الواقعي بمراحله المتعددة ويرتبط بهذا النطاق مفاهيم معنوية مترتبة عليه تختلف باختلاف النساء، لذا نجد ان ابن منظور حدد صور خاصة للمرأة وفق السياق الذي يذكره، بيد اننا في دراستنا لمعجم لسان العرب امكن تحديد لنقاط المهمة في هذا الاطار وهي كالآتي:

١- منظار المرحلية في زواج المرأة وابعاده المادية

ان المتتبع لما ورد في معجم لسان العرب عن زواج المرأة يصل إلى نتيجة مهمة هي ان هناك صيغة تكاد تكون متكاملة للزواج ومراحله وان كان الاسلوب اللغوي يقتضي اقتطاع المعلومات والروايات بما ينسجم مع الناحية اللغوية، بيد ان المعلومات والمراحل محددة ومفهومة ويمكن دراستها وفق ما يأتي:

المرحلة الاولى: الخطوبة وهي أول مرحلة من الزواج واورد ابن منظور ان الامام علي عليه السلام بعث ابنته أم كلثوم إلى عمر لما خطبها فقال لها: (قولي له أبي يقول هل رضيت الحلة؟ كنى عنها بالحلة لأن الحلة من اللباس ويكنى به عن النساء)^(٢٦).

وينبغي ان نقف عند هذا الحديث لكونه خاضع للنقاش من حيث وجوده اصلاً لأن وجود ام كلثوم غير مقطوع فيه وقد اثبتت الدراسات الحديثة ان ما ذكرته المصادر عنها تارة يتعارض مع شخصية زينب بنت الامام علي عليهما السلام لان الروايات نقلت صفات زينب نفسها لام كلثوم وتارة يتعارض مع وجودها في العائلة وفي حياة الامام عليه السلام وهي روايات بسيطة غير ناهضة ومرتبة ترتيب غير مسبوك ربما لاغراض سياسية او دينية او ما شابه، وحتى لو تنزلنا وقلنا بوجودها فأن هذه الرواية لا تتناسب مع روح الاسلام وصفات الامام علي عليه السلام اذ كيف يرسل ابنته بهذه الصورة إلى رجل غريب لا سيما وأن النص يدل على ان المسألة مسألة خطوبة؟ مما يتعارض مع احكام الاسلام.

المرحلة الثانية: المهر وقد وضع ابن منظور معنى المهر: هو الصداق، والجمع مهور، وقد مهر المرأة بمهرها ويمهرها مهرها وأمهرها^(٢٧). وبين ايضاً أن أجر المرأة: مهرها^(٢٨).

(٢٦) لسان العرب ١١ / ١٧٣.

(٢٧) ينظر لسان العرب ٥ / ١٨٤.

(٢٨) لسان العرب ٤ / ١٠.

المرحلة الثالثة: العقد اذ ذكر ابن منظور العقد والنكاح وأهميته فقال امرأة ينكحها نكاحا إذا تزوجها. ونكحها ينكحها: باضعها أيضا، وكذلك دحمها وخجأها، وأورد نكح بمعنى تزوج^(٢٩).

المرحلة الرابعة: التزين للزوج اذ ذكر ابن منظور أمر مهم وهو زينة المرأة للزوج وهي من الأمور التي ترجع إلى عناية المرأة ورعايتها لزوجها فقال يقال للمرأة: تحفلي لزوجك أي تزيني لتحظي عنده. وحفلت الشيء أي جلوته فتحفل واحفل^(٣٠).

منظار حقوق وواجبات ومختصات المرأة

لقد وضع الإسلام للمرأة حقوق ميزتها عن الرجل وكذلك وضع للرجل حقوق على المرأة وبما يتناسب مع طبيعة نفسية المرأة وعاطفتها وهذا ما يمكن ان نفهمه مما ذكره ابن منظور بما يتوافق مع طرحنا هذا:

١ - اختصاص المرأة بالحمل والولادة اذ بين ابن منظور معنى الولادة وقال هي وضع الوالدة ولدها^(٣١)، إما المولدة فهي القابلة، وقد اورد ابن منظور قول امرأة من بني سليم انها ولدت عامة أهل ديارنا أي كانت لهم قابلة^(٣٢).

٢ - رعاية الرجل وحفاظه على المرأة او ما يعرف بالغيرة، وهي تمثل امر مندوب دينيا» فيجب ان تبقى المرأة مصونة من الرجل.

وفي الوقت نفسه اشار ابن منظور إلى ما يجب على المرأة ان تتركه وهو بمثابة اداء واجبات والابتعاد عن المحرمات والمنوعات عليها ويمكن اجمالها بما ذكره ابن منظور في التحذير من خروج المرأة دون اذن زوجها: اذ بين معنى الفاحشة وقال هي خروج المرأة من بيتها بغير اذن زوجها^(٣٣)، وكأنه اراد الاشارة إلى انها مقدمة للفواحش الأخرى التي تقع بها أيضا بعض النساء مثل الزنا كما ذكر ابن حزم حيث بين ذلك في قوله تعالى: ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ...﴾^(٣٤) وذلك لحرمة الزنا.^(٣٥) وأثاره المتعددة على المجتمع.^(٣٦)

(٢٩) لسان العرب ٢ / ٦٢٥.

(٣٠) لسان العرب ١١ / ١٥٨.

(٣١) لسان العرب ٣ / ٤٦٩.

(٣٢) لسان العرب ٣ / ٤٦٩.

(٣٣) ينظر لسان العرب ٦ / ٣٢٥.

(٣٤) النساء / ١٥.

(٣٥) الناسخ والمنسوخ، ص ٣٢.

(٣٦) ينظر الكليني، الكافي ٥ / ٥٧٠.

ثالثاً: منظار التنوع والتعدد في اللباس والزينة

أ- التنوع والتعدد في اللباس

١- أقسام لباس المرأة:

أفرز معجم لسان العرب عدد من المصطلحات التي مثلت أنواع من البسة المرأة المختلفة والمتعددة والتي قسمناها بما يمثل أنواع عدة وكالاتي:

- **الإتب:** البقيرة، وهو برد أو ثوب يؤخذ فيشق في وسطه، ثم تلقى المرأة في عنقها من غير جيب ولا كمين^(٣٧).

- **الصدر:** وأشار ابن منظور إلى انه ثوب رأسه كالمقنعة وأسفله يغشى الصدر والمنكبين تلبسه المرأة^(٣٨). وقيل هو القميص القصير^(٣٩).

- **الخمار:** وهو يعد جزء مهم أو مكمل للباس المرأة ولا سيما المرأة المسلمة اذ اشار ابن منظور إلى الخمار فقال خمار مصلب، وقد صلبت المرأة خمارها، وهي لبسه معروفة عند النساء^(٤٠). وقيل هو الذي فيه نقش أمثال الصلبان^(٤١). ومثل ذلك الجلباب: خمار المرأة الذي يغطي رأسها ووجهها إذا خرجت لحاجة^(٤٢).

٢- لباس المناسبات:

- **لباس الحداد:** تلبس المرأة لباس هو السلاب والسلب: ثياب سود تلبسها النساء في المأتم وسلبت المرأة، وهي مسلب إذا كانت محداً، تلبس الثياب السود للحداد وهذا ما تطرق إليه ابن منظور^(٤٣).

- **لباس الثكلى:** ذكر ابن منظور ان المرأة الثكلى إذا فقدت حميمها فأحدث عليه لبست صدرا من صوف^(٤٤). ولباس المرأة في الحداد هو عن المتوفى عنها، زوجها حداد في العدة، سواء كانت صغيرة أو كبيرة، والحداد أن تمتنع من الزينة كلها^(٤٥).

(٣٧) لسان العرب ١ / ٢٠٥.

(٣٨) لسان العرب ٤ / ٤٤٧.

(٣٩) النهاية في غريب الحديث ٣ / ١٦.

(٤٠) لسان العرب ١ / ٥٣٠.

(٤١) ابن الاثير، النهاية في غريب الحديث ٣ / ٤٤.

(٤٢) ينظر الطبري، جامع البيان ٢ / ٤٨٤، الطبرسي، تفسير مجمع البيان ٨ / ١٧٨.

(٤٣) لسان العرب ١ / ٤٧٢.

(٤٤) لسان العرب ٤ / ٤٤٧.

(٤٥) ينظر المفيد، أحكام النساء، ص ٤٨.

ب- زينة المرأة

لقد اسلفنا سابقاً إلى إشارة ابن منظور لزينة المرأة بإيراده: تحفل المرأة لزوجها أي تزينها لتحظى عنده وحفلت الشئ أي جلوته فتحفل واحتفل^(٤٦).

ومن أهم مظاهر التزين في معجم لسان العرب هي الحلي والمجوهرات، بيد أنه أشار أولاً إلى موقع هذه الحلي ومكانها المناسب إذ ذكر المعطال من النساء وهي الحسناء التي تبالي أن تتقلد القلادة لجمالها وتماها. ومعطل المرأة: مواقع حليها^(٤٧). ويبدو أن موقع الحلي يحتل نصيباً وافراً في نوع الزينة والحلي أي أن عاقل المرأة غلبت حتى على نوع الحلي فعدت كنوع مرتبط بالحلي نفسها. وقد خصص ابن منظور القلادة فيما أورده عن التزين بالحلي والمجوهرات، وهي الخيط ينظم فيه الخرز، وقد اعتقد الدر والخرز وغيره، إذا اتخذ منه عقداً وهذا ما أورده الزبيدي^(٤٨).

ولبس الحلي كما أورده ابن منظور يمثل مظهر من مظاهر عدم التشبه بالرجال حتى كره أن تصلي المرأة دون حليها بحسب ما أورده من أحاديث، وإن اضطرت المرأة أن تعلق في عنقها خيطاً وأمرأة عطلاء لا حلي عليها^(٤٩).

رابعاً: طبائع المرأة وممارساتها الخاصة

اختصت المرأة بجملة من الطبائع التي يمكن أن نستجلي صورها بحسب طرح ابن منظور والتي تجسدت بما يأتي:

- ١- البكاء والنوح: إذ أن للمرأة تركيبة جسدية ونفسية خاصة ترتبط بهذا الإطار فقد أشار ابن منظور إلى النوائح أو البكاء: وقال أنها اسم يقع على النساء يجتمعن في مناحة ويجمع على الأنواح^(٥٠). أي أنه خصص الأمر بالنساء وهو ما

(٤٦) لسان العرب ١١/ ١٥٨. وينظر الزبيدي، تاج العروس ١٤/ ١٥٤.

(٤٧) لسان العرب ١١/ ٤٥٤.

(٤٨) تاج العروس ٥/ ١١٦.

(٤٩) لسان العرب ١١/ ٤٥٤. وينظر البيهقي، السنن الكبرى ص ٤٩٨.

(٥٠) لسان العرب ٢/ ٦٢٧.

يجعلنا نعدده يمثل اهم طبائعها.

٢- أسلوب الكلام والاشارة: تطرق ابن منظور إلى ذلك فبين عادة من عاداتها وهي إن امرأة ضربت كفها على كفها الأخرى عوض الكلام^(٥١). وهي وسيلة تعبير تستخدمها المرأة لاستهجان أمر أو رفضه.

أما عن ممارساتها الخاصة فقد اختصت ببعض الأعمال التي يمكن أن يوضحها ما أورده ابن منظور ومنه مسألة عملها بالغزل إذ أشار ابن منظور إلى رأس المغزل، وقيل: الصنارة رأس المغزل، وقيل: صنارة المغزل الحديدية التي في رأسه^(٥٢). ولو استفهمنا عن ذلك لوجدنا انها أداة عمل المرأة وهي الصنار: رأس المغزل، ويقال: هي الحديدية الدقيقة المعقفة التي في رأس المغزل و الصنارة: هي مغزل المرأة.^(٥٣)

(٥١) لسان العرب ٢ / ٥١٤.

(٥٢) لسان العرب ٤ / ٤٦٨.

(٥٣) ينظر الزبيدي، تاج العروس ٧ / ١٠٨.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. ابن الأثير، مجد الدين ابن السعادات المبارك بن محمد الجزري، ت (٦٠٦) هـ، النهاية في غريب الحديث، تحقيق (طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي) مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، قم، إيران ١٣٦٤ ش
٢. البيهقي ت ٤٥٨ هـ، السنن الكبرى، دار الفكر، بيروت، د. ت.
٣. ابن حزم، الأندلسي، ت (٤٥٦)، الناسخ والمنسوخ، تحقيق: (د. عبد الغفار سليمان البنداري) دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان ١٤٠٦ هـ
٤. الزبيدي، محب الدين ابي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني، ت (١٢٠٥)، تاج العروس، تحقيق: (علي شيري)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م
٥. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، ت (١٢٥٥) هـ، فتح القدير، عالم الكتب، بيروت، د. ت.
٦. الطبرسي، ابي علي الفضل بن الحسن، ت (٥٤٨)، تفسير مجمع البيان، تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان
٧. ١٤١٥ - ١٩٩٥ م.
٨. الطبري، ابي جعفر محمد بن جرير، ت (٢١٠)، تفسير البيان، تحقيق: تقديم: الشيخ خليل الميس / ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان ١٤١٥ - ١٩٩٥ م
٩. الطريحي، فخر الدين، ت (١٠٨٥)، مجمع البحرين، تحقيق: (السيد أحمد الحسيني) مكتب النشر الثقافة الإسلامية ١٤٠٨ هـ - ١٣٦٧ م.
١٠. الفراهيدي، لابي عبد الرحمن الخليل ابن احمد، ت (١٧٠)، العين، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، الدكتور إبراهيم السامرائي مؤسسة دار الهجرة ١٤٠٩
١١. الفيروزآبادي، مجد الدين بن يعقوب، ت (٨١٧)، القاموس المحيط، دار العلم للجمع بيروت - لبنان
١٢. القرطبي، لأبي عبد الله محمد بن احمد الأنصاري، ت (٦٧١)، التفسير، تحقيق (حمد عبد العليم البردوني) دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥
١٣. الكليني، ابي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق، ت (٢٢٩)، الكافي، تحقيق: (علي أكبر الغفاري)، دار الكتب الإسلامية - طهران ١٣٦٣ ش.
١٤. المفيد، محمد بن محمد النعمان ابن المعلم، ت (٤١٣)، احكام النساء، تحقيق: الشيخ مهدي نجف، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان ١٤١٤ - ١٩٩٣ م
١٥. ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ت (٧١١) هـ، معجم لسان العرب، نشر أدب الحوزة - قم - ايران / محرم ١٤٠٥. النووي، ابي زكريا محيي الدين بن شريف، ت (٦٧٦) هـ، المجموع، دار الفكر، بيروت، د. ت.
١٦. اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن وضاح، ت (٢٨٤)، التاريخ، دار صادر - بيروت - لبنان، د. ت.

إدارة مجتمع المعرفة

أ. أمسلم أحمد علي الجعباري •

الملخص

في كل منهما، والنشاطات المعرفية الرئيسة هي: توليد المعرفة بالبحث والتطوير؛ ونشرها بالتعليم والتدريب ووسائل الإعلام المختلفة؛ وتوظيفها والاستفادة منها في تقديم المنتجات والخدمات الجديدة أو المُتجددة وفي الارتقاء بالإنسان وإمكانياته الاجتماعية والمهنية.

إن تفعيل النشاطات المعرفية من خلال خمسة محاور رئيسة، أولها وجود «استراتيجية مشتركة» للنشاطات

إن توظيف المعرفة التي تقدمها نشاطات البحث العلمي، وتوظيف المهارات المعرفية التي تُمثل مُخرجات نشاطات التعليم والتدريب، مسألة مهمة تدخل ضمن مهمات تفاعل مؤسسات المجتمع وانعكاس كل منها على الأخرى القائمة على توظيف المعرفة علمياً والاستفادة من معطياتها، بحيث يتميز أي مجتمع عن المجتمعات الأخرى بمقدار تميز نشاطاته الرئيسة، وحينما يطلق وصف المعرفة على مُجتمع، فهذا يعني أن النشاطات المعرفية هي مركز التميز المطلوب في هذا المجتمع، لأن الفرق بين مُجتمع معرفي فيدولة من الدول ومجتمع معرفي في دولة أخرى يقوم على مدى تفعيل ومستوى فاعلية النشاطات المعرفية

* عضو هيئة تدريس. كلية الآداب والعلوم بمسلاته، جامعة المرقب/ليبيا

aelsaiad123@yahoo.com

المعرفية، وثانيها «التقنية»، بما يتضمن وضع أولويات يجب الاهتمام بها لتعزيز تقديم مُنتجات وخدمات جديدة ومفيدة وناجحة، وثالثها يهتم «بالمؤسسات» وأدوارها في تفعيل دورة المعرفة في مؤسسات البحث العلمي، ورابعها يهتم «بالإنسان» عماد العمل المعرفي، وخامسها توضيح دور «البيئة» المعرفية السليمة في الإسهام بتفعيل دورة المعرفة والاستفادة منها.

المقدمة

إن توظيف المعرفة، بمعنى توظيف الأفكار الجديدة التي تقدمها نشاطات البحث العلمي، وتوظيف المهارات المعرفية التي تمثل مخرجات نشاطات التعليم والتدريب، مسألة تدخل ضمن مهمات تفاعل مؤسسات التعليم العالي مع مؤسسات المجتمع الأخرى القائمة على توظيف المعرفة عملياً والاستفادة من معطياتها، إن بناء مجتمع المعرفة يحتاج إلى تعليم عالٍ متطور يفتح جميع نوافذ العلم والتقنية أمام كوادر المؤسسات التعليمية ومؤسسات البحث العلمي في أي مجتمع، حتى يتم بناء الشراكات المعرفية مع المؤسسات في الداخل والخارج، لأن مجتمع المعرفة كما يرى نادر سعيد ((يقوم أساساً على نشر المعرفة وإنتاجها وتوظيفها بكفاءة في مجالات النشاط المجتمعي جميعها: الاقتصاد والمجتمع المدني والسياسة والحياة الخاصة وصولاً إلى الارتقاء بالحالة الإنسانية باطراد أي تحقيق التنمية الإنسانية))، (أحمد علي، ٢٠١٢م، ٤٩٢).

إن التعليم العالي في البلاد العربية فشل في المهمة الملقاة على كاهله في إيجاد مجتمع المعرفة القادر على تحقيق التنمية البشرية من أجل رفاهية الإنسان العربي وتقدمه، لأن الجامعة يجب أن تكون قوة دافعة رئيسة في مسيرة تحقيق الهدف المنشود لأي مجتمع يريد أن يصل إلى بناء مجتمع معرفي يتطلع إلى تحقيق تميز معرفي يؤدي إلى تطوير عناصر القوة وتحسين الأداء الاقتصادي، وتعزيز الإسهام في الحضارة الإنسانية، ولكي تقوم الجامعة بهذا الدور لا بد من توفر أربع خصائص رئيسة للجامعات الحديثة كي تحقق أهدافها وهي:

- ١- عدم التمييز بين البحث العلمي والتعليم
- ٢- الاستقلال المؤسسي
- ٣- الحرية الأكاديمية
- ٤- ربط الجامعات العربية مع الجامعات المتقدمة.

إن الاهتمام بالتعليم له الأسبقية على جميع العناصر الأخرى، رغم أن جميع العناصر في الدولة متكاملة ولا يمكن إهمال أي عنصر إهمالاً تاماً، وعلى المجتمع بذل جهود حثيثة لتحقيق نهضة علمية ثقافية اجتماعية، وهذه النهضة لن تتحقق بالاقتصاد وحده، أو بالثقافة وحدها أو بالتكنولوجيا أو العلم أو التعليم فقط، بل بكل العناصر معاً، ولكن للعلم الأولوية في مجتمع المعلومات والتعليم، وهو الرافعة التي تستطيع أن تؤهل المجتمع للانتقال من واقع التخلف التكنولوجي إلى التقدم إلى مجتمع المعلومات، لأنه يجب أن يستجيب لمتطلبات التطور الاقتصادية التي تخلق منهاً جديدة ذات دخل مرتفع يكون عاملاً مساعداً على تسريع التطور وإنجازه بأقصر وقت ممكن.

فالمشكلة التي تواجه المجتمعات المتخلفة مثل العرب تكمن في مواجهة بنية متأخرة متعددة الجوانب، والإقدام على تأسيس نهضة تنمية شاملة، تتطلب أن يكون فيها الدور الفاعل للإنسان، فإنشاء منظومة عربية للمعلومات العلمية تدعم البحوث والدراسات العلمية وإبداعات أفراد المجتمعات العربية، هي إحدى الركائز المهمة لمجتمع المعلومات، لأن ذلك من شأنه توفير الشرط الأساسي لنقل التكنولوجيا وتوطينها، ودعم الإبداع العربي في المجالات العلمية ونشر الثقافة المعرفية، لأنها تشكل أحد المحركات الأساسية للإبداع والابتكار، فلا بد من تسهيل تبادل المواد الثقافية المطبوعة والرقمية وتوزيعها وتشجيع النشاطات الفكرية.

ويرى الحاج بكري وسعد علي، أن دورة المعرفة تبدأ من توليد المعرفة حيث تنتقل المعرفة من التفاعل بين الحقائق والمعارف المتوافرة من جهة وبين عقل الإنسان وقدرته على التفكير والإبداع من ناحية أخرى.

إن تفاعل النشاطات المعرفية محكومة بالبيئة المحيطة بهذا التفاعل، فالباحث العلمي يحتاج إلى بيئة علمية مناسبة حتى تتحقق أهدافه المنشودة، وكذلك الإبداع المعرفي يحتاج إلى من يساعده ويقف من ورائه ليدعمه مادياً ومعنوياً، وكذلك دورة نشر المعرفة المتوافرة والتي يحتاجها الإنسان، لأنها باتت مرتبطة باستخدامها في مختلف المهن، والاستفادة منها في تأمين المتطلبات الإنسانية، وأما دورة استخدام المعرفة فقوة استخدامها تأتي من توظيفها بكفاءة في شؤون الحياة، فنشر المعرفة واستخدامها يؤديان إلى ظهور مصادر جديدة لتوليدها، وتوليد المعرفة يتطلب نشرها والاستفادة منها، كما أن توظيف المعرفة والاستفادة منها على نطاق واسع لا يتم دون نشرها وجعلها متاحة للجميع. (أحمد علي، ٢٠١٢م، ٤٩٢/٤٩٣).

مشكلة البحث

سيحاول الباحث الإجابة عن تساؤلات أساسية منها:

- ما هو مجتمع المعرفة؟
- أين المجتمع العربي من مجتمع المعرفة؟
- كيف يمكن للمجتمع العربي التحول إلى مجتمع المعرفة؟
- ما معوقات تأسيس مجتمع معرفة عربي؟
- هل نقل المعرفة شرط ضروري لإنتاجها لاحقاً على المستوى المحلي؟
- هل يخزن المجتمع العربي المعرفة؟
- هل تظل الفجوة المعلوماتية وخط التقسيم الرقمي مشكلة أمام العرب؟
- هل يمكن الوصول إلى مجتمع المعرفة دون الدخول إلى المجتمع الصناعي الحديث؟

أهمية البحث

- أ- الأهمية العلمية: ترجع الأهمية العلمية لدراسة كيفية تفعيل النشاطات المعرفية الذي تحكمه عدة أمور من أبرزها:
 - إن خلق المعرفة وتبادلها والاستفادة منها من أهم العناصر التي تجعل للفرد اليد العليا في السوق التنافسية المعرفية على المستوى الدولي.
 - الانتشار السريع والتطور المتسارع للمعلومة والذي أدى إلى اتساع سوق العمل وتطوير أساليب الاتصال المعرفي، وبالتالي زيادة التبادل الفكري والبشري والمادي.
 - إن تعزيز دور الخبرة والمعرفة في العمل كفيل بتغيير شكل العمل وفرصه وأهدافه، وهذا يعني أن الوظائف في المستقبل سوف تتطلب قدرات خاصة من أهم مقوماتها الكفاءة والإبداع مما يجعل الأفراد يتنافسون في تحقيق ذلك، لأن فرص العمل سوف تكون للأقدر على خوض غمار المنافسة والفوز بها.
 - إن مستوى اكتساب المعرفة هو الآلية التي يقاس ويقوم بواسطتها مستوى الكفاءة الإنتاجية والمقدرة المعرفية والثقافية الخاصة بالأفراد والمؤسسات، وهذا يعني أن العلوم والتكنولوجيا هي البوابات المعرفية التقنية التي تساعد على زيادة الكفاءة الإنتاجية وزيادة الاستفادة من المعرفة المتاحة.
 - إن المعرفة أصبحت تؤدي دوراً مهماً في الحياة اليومية، لأنها أصبحت تستخدم في حل المشكلات اليومية، ولم تبق مخصصة للاستخدام في البحث والتطوير فقط.

- إن مقومات التربية والتعليم عديدة، من أهمها وجود كادر تدريسي كفاء له القدرة والمهارة على إيصال المعلومة أو الفكرة وبلورتها بصورة تصبح شيقة وممتعة، ويساعده المنهج الواضح المتجدد يستفيد من مقومات العصر ومعطياته ويتعاطى مع الطلاب كشريك في عملية التعلم، وليس متلقياً وحافظاً للنصوص من دون روح ينميها أو يسقيها.

- إن المدرسة، والمعلم، والطالب، والأسرة، والمجتمع، والمنهج، ووسائل العصر، وتقنياته، يمكن أن تعمل كعناصر مكمل بعضها لبعض تصب في حلبة واحدة غايتها خلق جيل أفضل تعليماً وأكثر قدرة على التعلم، وهذا بدوره يوجد قوى عاملة قادرة على الإنتاج والإبداع والتجديد، أو بمعنى آخر خلق مجتمع المعرفة القادر على إنتاج المعرفة وتبادلها وتحقيق الاستفادة منها.

ب- الأهمية المجتمعية: إن التحول من مجتمع التعليم إلى مجتمع التعلم يعد هدفاً مهماً يجب أن توضع له الاستراتيجيات والخطط، لأن التعليم إذا لم يكن قادراً على زرع نزعة التعلم لدى الأجيال الصاعدة، فإنه لا يصبح استثماراً مربحاً، فالتعلم هو القدرة على كسب المعلومة من خلال الجهد الشخصي، وهذا يأتي من خلال زرع روح الشغف بالإطلاع وتطوير المهارات الذاتية بصورة مستمرة، تتابع كل مستجد ولا تختلف عنه خصوصاً أن المتغيرات والتطورات في مجال العلوم والتقنية أصبحت تسابق الزمن.

إن التحول إلى مجتمع المعرفة يتطلب عدداً من الخطوات العلمية والميدانية التي تضمن سلسلة التحول وتعميقه، وأهم هذه الخطوات:

- الاهتمام بالفوارق والقدرات الفردية حتى يصبح المسار المستقبلي لكل فرد واضحاً وجلياً، بحيث يتم من خلال المتابعة التراكمية لتلك القدرات.
- الاهتمام بالموهب التي تضمن معرفة النوابع وتوجيهها الوجهة الحسنة من خلال الممارسة والتعلم، لاستخدام التقنية الجديدة واستغلال المعرفة الجديدة، لتعزيز تعليم الأطفال من خلال الأنماط التعليمية المختلفة.

الأسلوب المنهجي المتبع في البحث

سيعتمد الباحث على اتباع المنهج الوصفي التحليلي الذي يكشف عن واقع تفعيل النشاطات المعرفية وكيفية نقل المعلومة وإدارتها.

مفاهيم البحث

- مفهوم المعرفة: عرّفها جري (Grey ٢٠٠٣م) بأنها (الاستفادة الكاملة من المعلومات والبيانات بصحبة إمكانيات ومهارات الأشخاص من كفاءات وأفكار وبديهيّات وما يصاحب من التزام وتحضير المال، القوة، التعليم، المرونة، والمنافسة) لأن المعرفة تقدم الردود على التساؤلات والحالات الحرجة، وهي الأكثر تعلقاً بالأعمال، ومع ذلك تبقى الممتلك الأكثر إهمالاً، والمعرفة إما أن تخزن في العقل الفردي أو ترمز في العمليات التنظيمية والوثائق والمنتجات والخدمات والتسهيلات للأنظمة. (أحمد علي، ٢٠١٢م، ٤٨٩/٤٩٠).

وعرّفها نانوكا (١٩٩٤م Nanoka)، بأنها ((الإيمان المحقق الذي يزيد من قدرة الوحدة أو الكيان على العمل الفعال)). (إبراهيم رمضان الذيب، إدارة المعرفة، ٩).

وعرّفها زياد بركات وأحمد عوض بأنها ((مجموعة من أنماط السلوك والتصورات الفكرية المرتبطة بالمستحدثات التكنولوجية الناتجة عن التفاعل النشط والحيوي للفرد داخل الجامعة)). (زياد بركات وأحمد عوض، ٢٠١١م، ٩)

- مجتمع المعرفة: عرّفه (سالم حميد سالم ٢٠٠٧م) بأنه المجتمع الذي يتصف أفراده بامتلاك حر للمعلومات وسهولة تداولها وبثها عبر تقنيات المعلوماتية والحاسوبية والفضائية المختلفة، وتوظيف المعلومة والمعرفة وجعلها في خدمة الإنسان لتحسين مستوى حياته. (زياد بركات وأحمد عوض، ٢٠١١م، ٩)

- اقتصاد المعرفة: هو الاقتصاد الذي يحقق منفعة من توظيف المعرفة واستغلال معطياتها في تقديم منتجات أو خدمات متميزة جديدة أو متجددة يمكن تسويقها وتحقيق الأرباح منها وتوليد الثروة من خلال ذلك ومن هذا المنطلق فإن الاقتصاد المعرفي يقوم بتحويل المعرفة إلى ثروة. (ماهر حسن المحروق، ٢٠٠٩م، ٩).

أو هو الاقتصاد الذي يدور حول الحصول على المعرفة والمشاركة فيها واستخدامها وتوظيفها وابتكارها بهدف تحسين نوعية الحياة بمجالاتها كافة من خلال الاستفادة من خدمة معلوماتية ثرية، وتطبيقات تكنولوجية متطورة واستخدام العقل البشري كرأس للمال وتوظيف البحث العلمي لأحداث مجموعة من التغييرات الاستراتيجية في طبيعة المحيط الاقتصادي وتنظيمه ليصبح أكثر استجابة وانسجاماً مع تحديات العولمة وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات وعالمية المعرفة. (أمسلم أحمد الجعباري، ٢٠١٠م، ٢٠٠)

- إدارة المعرفة: يرى سمير محمد عبد الوهاب أن مفهوم إدارة المعرفة يشمل عدة عمليات منها:

١- عملية إدارية لها مدخلات ومخرجات وتعمل في إطار بيئة خارجية معينة تؤثر عليها وعلى تفاعلاتها، وتنقسم إلى خطوات متعددة متتالية ومتشابكة (مثل خلق وجمع وتخزين وتوزيع المعرفة واستخدامها)، والهدف منها هو مشاركة المعرفة في أكفأ صورة للحصول على أكبر قيمة للمنظمة.

٢- ناتج التفاعل بين الفرد والمنظمة من ناحية والتكامل بين المعرفة الصريحة والمعرفة الضمنية من ناحية أخرى.

٣- العمليات التي تساعد المنظمات على توليد والحصول على المعلومات واختيارها وتنظيمها واستخدامها ونشرها، وتحويل المعلومات المهمة والخبرات التي تعتبر ضرورية للأنشطة الإدارية المختلفة كاتخاذ القرارات وحل المشكلات والتخطيط الاستراتيجي.

٤- العملية المنظمة للبحث والاختيار والتنظيم وعرض المعلومات بطريقة تحسن فهم العاملين والاستخدام الأمثل لموجودات منظمات الأعمال.

٥- عملية تجميع وابتكار المعرفة بكفاءة وإدارة قاعدة المعرفة وتسهيل المشاركة فيها. (سمير محمد عبد الوهاب، ٢٠٠٦م، ٣).

وأوضح سفيان (sviby ٢٠٠٣م) أن إدارة المعرفة ليست انتزاع المعرفة المحفوظة في عقول الأشخاص، إنما هي الاهتمام بكيفية خلق بيئة للأشخاص لإبداع المعرفة وخلقها ومشاركتها، وإدارة المعرفة ليست مجرد إضافة بسيطة إلى العمل المعتاد، إنما يتطلب تجديراً سلوكياً عميقاً وتغييراً استراتيجياً، كما أن إدارة المعرفة ليست مجرد استثمار في تكنولوجيا المعلومات، إنما التكنولوجيا هي أدوات لتبادل المعلومات ولكنها لا يمكن أن تقود التغيير أبداً. (أحمد علي، ٢٠١٢م، ٤٩٨).

- نقل المعرفة: يعتبر نقل المعرفة الحلقة الثالثة في حلقات إدارة المعرفة ويعتمد على آليات وطرق رسمية وأخرى غير رسمية وتتمثل الطرق الرسمية في: التقارير والرسائل والمكاتبات والمؤتمرات والندوات الداخلية للمنظمة وإطلاعات دورية على الموقف في المنظمة، والمنشورات الداخلية وغيرها، وأما غير الرسمية: تغيير الوظيفة داخل المنظمة أو خارجها والعلاقات الشخصية التي تربط بين العاملين بعضهم ببعض. (سمير محمد عبد الوهاب، ٢٠٠٦م، ٥).

إن مفهوم نقل المعرفة يشوبه نوع من الغموض، لأنها مثل الرمال لا توقفها إرادة الرجال فهي تسري وتتسرب عبر فوهات غير مرئية أحياناً مغترفة دوماً من نواميس المصالح وسر الرموز وانفتاح الثقافات لتسافرين لم يكن في شكل مخطوط يوزن ذهباً كما كان في عهد بني العباس، فنقل المعرفة يوحى وكأن اللغة العربية غائبة تماماً عن المساهمة في إنتاجها ولم تكن المعرفة حكراً على حضارة وإنما ناموس المعرفة مبني على مبدأ التقاسم.

التمييز والفصل المعلوماتي بين المنتجين والمستهلكين

هو المحافظة على خلق إطار قانوني يحافظ على الهيمنة المعلوماتية والتمييز بين من ينتج المعلومات وبين من يستهلكها، وهذه الحالة التي يصبح فيها الأفراد الأميون حاسوباً فائضين عن الحاجة، فقد أصبحت القوة في يد من ينتج المعلومات ويرسلها وهو ما يمكنه أن يتلاعب بها، ويقسم العالم معرفياً إلى شمال وجنوب، كذلك يقسم المجتمع الواحد إلى شمال وجنوب حيث لا يزال العرب يسعون إلى محو الأمية الأبجدية في حين أن العالم المتقدم يتحدث عن محو أمية الحاسوب، وأن نصف أجهزة الحاسوب المرتبطة ببعضها موجودة في الولايات المتحدة.

والتمييز المعلوماتي الجديد يعني وجود حلقة ضيقة من المستفيدين من تقنية المعلومات مقابل قاعدة عريضة من الأميين وهو ما يعني ظهور نخبة جديدة إعلامية الطابع حيث تستأثر جماعات وشرائح وبلدان معينة بالمعلومات على حساب حرمان أقطار الجنوب، الأمر الذي سيعمق الفجوة المعرفية، والتي تعني تسييد فقر معلوماتي لغياب البنية التحتية المناسبة للاستفادة منها والجهل باللغة الإنجليزية كأداة للتعامل مع شبكات المعلومات.

الاسترشادات النظرية

سيعتمد الباحث على تحليلات «إلفين توفلير» في كتبه صدمة المستقبل والموجة الثالثة وتحول السلطة» وغيرها، وعلى تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام ٢٠٠٣م، حيث يرى توفلير أن المعرفة مورد لا ينضب وهي البديل للموارد الأخرى، وتقلل المعرفة الحاجة إلى المواد الخام والعمالة والوقت والحيز ورأس المال وتصبح بذلك المورد المحوري للاقتصاد المتقدم وتزيد قيمتها أن السلطة في مجتمع المعرفة ليس مصدرها الحزب أو الفرد أو الدولة، بل التحول الخفي في العلاقات بين العنف والسلطة والمعرفة فيما تنطلق المجتمعات نحو صدامها مع الغد، إن الشعوب العربية مهددة بالخروج من جنة

المعرفة، وحيث الشرط المحدد لاكتساب المعرفة ليس استيرادها أو استعمالها بكفاءة، بل إنتاجها كقيمة مضافة للإبداع والابتكار، وثمة تخوف أن يصبح تراجع المعرفة القائمة على الابتكار المحدد للتخلف وبالتالي تراجع القدرة على التنافس، ومن ثم يمكننا أن نفهم لماذا تقدمت النُمور الآسيوية التي ركزت على انطلاقة تعليمية في حين تعثرت دول أمريكا اللاتينية التي أهملت التعليم.

أما تقرير التنمية الإنسانية العربية الأول فقد انتهى إلى عناصر ثلاثة رآها أساسية في استراتيجية التنمية الإنسانية العربية وهي: المعرفة، الحرية والحكم الصالح، وتمكين المرأة، وقد رأى فريق التقرير أن يبدأ بتناول بناء مجتمع المعرفة، وقد أكد أن اكتساب المعرفة أحد الحقوق الإنسانية الأساسية، واكتسابها هو سبيل التنمية الإنسانية في جميع مجالاتها، بهدف الوصول إلى ترقية الحالة الإنسانية باطراد، فالمعرفة في العصر الراهن السبيل لبلوغ الغايات الإنسانية وهي الحرية والعدالة والكرامة الإنسانية، لأنها أداة لتوسيع خيارات البشر وقدراتهم للتغلب على الحرمان المادي وبناء مجتمع مزدهر.

يقدم التقرير تقويماً شاملاً لحالة المعرفة في المجتمعات العربية ومعوقات اكتسابها ونشرها مع سعيه لليوم الذي يكون فيه التعليم والبحث هما القوة الدافعة والمحركة للإبداع الاجتماعي والاقتصادي، ومؤكداً على الإمكانيات المتوفرة في البلدان العربية لتطوير مقدراتهم المعرفية بما يتوافر لها من رأس مال بشري لم يستغل بالقدر الكافي وما لديها من تراث ثقافي ولغوي وفكري ثري.

تقسيم البحث: ينقسم البحث إلى الآتي:-

المبحث الأول: الإطار العام للبحث.

المبحث الثاني: مجتمع المعرفة، يتناول تحليل لتقرير التنمية الإنسانية لعام ٢٠٠٢م.

المبحث الثالث: إدارة المعرفة، معوّقات تأسيس مجتمع معرفة عربي.

المبحث الرابع: البحث العلمي ومجتمع المعرفة.

المبحث الخامس: مجتمع المعرفة والوعي الثقافي: التمييز المعلوماتي ومحو الأمية المعلوماتية

المبحث الثاني: مجتمع المعرفة

تحليل لتقرير التنمية الإنسانية العربية للعام ٢٠٠٣م

إنشاء مجتمع المعرفة يعتمد أساساً على الاهتمام بالتعليم في جميع مراحلها، والاهتمام بنوعيته وجودته، وأن يتحول هدفه إلى إنتاج للمعارف بدل استخدامها واستيرادها فقط، وهذا يتطلب قيام مؤسسة عربية مستقلة لضمان جودة التعليم العالي، وتغرية المسلمين التي تسود المجتمع، وتعد اللغة محورية في منظومة الثقافة لارتباطها بجملة مكوناتها من فكر وإبداع وتربية وإعلام وتراث وقيم ومعتقدات تواجه اللغة العربية اليوم، على أبواب مجتمع المعرفة والمستقبل، تحديات قاسية وأزمة حقيقية لا سبيل أمام الثقافة العربية إلا أن تخوض من جديد هذه التجربة الكونية الجديدة، فهي لا تستطيع الانغلاق على ذاتها والتغذي على التاريخ والماضي والثقافة الموروثة فحسب في عالم تكتسح قواه المجيدة كل أركان الكون وتنتج شتى أشكال المعرفة والسلوك والحياة.

يرى تقرير التنمية الإنسانية العربية الأول، أن مجتمع المعرفة الذي يقوم أساساً على نشر المعرفة، عبر التعليم، ووسائل الإعلام، وإنتاجها من خلال مؤسسات البحوث والتطوير، ونتاجها من نشر علمي وبراءات اختراع وإصدار كتب، وتوظيفها بكفاءة في جميع مجالات النشاط المجتمعي، وما يتطلبه من بنية أساسية لرأس المال المعرفي.

وأشار تقرير التنمية الإنسانية الثاني إلى تشخيص الوضع الراهن للتعليم العربي في الآتي:

- ١- تردي نوعية التعليم المتاح، بحيث فقد التعليم هدفه التنموي الإنساني من أجل تحسين نوعية الحياة والتنمية وقدرات الإنسان الخلاقة، بسبب قلة الموارد المخصصة للتعليم، وتخلف سياسات التعليم وسوء أوضاع المعلمين والمناهج وأساليب التعليم.
- ٢- نوعية التعليم المقدم في معظم رياض الأطفال في البلدان العربية لا يلبي متطلبات النهوض بقدرات الأطفال وتنميتها من أجل تنشئة جيل قادر على الإبداع والابتكار.
- ٣- حرمان بعض الأطفال من حقهم في التعليم الأساسي وخاصة الإناث.
- ٤- تناقص الإنفاق على التعليم، مما جعل اهتمام البلدان العربية بالكم على حساب الكيف.
- ٥- تذبذب سياسات التعليم، من حيث محتوى المناهج وشكل الامتحانات وعملية تقويم الطلاب، ووضع اللغات الأجنبية كلها مسائل لن يتم حلها بدون صياغة لرؤية واضحة ومتكاملة لهدف التعليم.
- ٦- فشل البلدان العربية في نقل وتوطين التكنولوجيا والمعرفة.
- ٧- إن النشاط البحثي العربي في التعليم العالي مازال بعيداً عن الابتكار والإنفاق عليه ضعيف مقارنة بالبلدان المتقدمة.

٨- زيادة هجرة العقول العربية لغياب الدعم المؤسسي لإنتاج المعرفة، وعدم توافر البيئة المناسبة.

وبالرغم من الجهد التوثيقي لهذا التقرير، ومحاولته طرح العديد من القضايا والإشكالات بشكل موضوعي، وإشارته لمكان الخلل الاقتصادية والسياسية والثقافية، وتحريك بعض المياه الراكة في البلدان العربية، وإزعاج أكثر من جهة وخلق الحسابات على أكثر من حكومة، إلا أنه جمد سقف الاجتهادات في التحليل. لأنه لا يوجد بالتقرير ما يشير إلى الاستعانة بمهندسين في الاتصالات أو الاقتصاديين في الشبكات أو لمصممي البرامج المعلوماتية أو للمختصين في النشر الإلكتروني وتصميم المواقع الافتراضية في النظم المتعددة الأقطاب أوفي الإنترنت أوفي اقتصاد المعرفة وأن كل شيء عرضه دون التعرض لموضوع التقرير بالدقة المطلوبة والتي توجد في التقارير الأجنبية في نفس الموضوع، غير أنه يوجد تقصير بهذا التقرير في الآتي:-

١. إن استخدام التقرير لعبارة «نحو» المعتمدة توحى بأن لدى القائمين عليه مؤشرات تبين أن المنطقة العربية تسير حقا باتجاه هذا المجتمع في حين أن كل شيء بالتقرير يدل تماما على عكس ذلك: بني تحتية متردية إنتاج معرفي غير ذي قيمة تذكر، سياق سياسي يحيل على الغبن، بنيات ذهنية واجتماعية واقتصادية وثقافية مهترئة وعدم استساغة التقرير للسير في الاتجاه المعاكس.

٢. يتحدث التقرير عن مجتمع للمعرفة بالمنطقة العربية، حيث تنتفي على العديد من أقطارها صفة المجتمع أوصفة الدولة لضعف المقومات البالية وهذا إشكال حقيقي، لأن الدول المتقدمة التي عاشت الثورة الزراعية والصناعية والفكرية والفلسفية والتكنولوجية لا تتحدث عن ذلك، في الوقت الذي يستفيض فيه التقرير بإزاء دول لم تعش ذلك إطلاقا ولم توفر التربة الكفيلة لذلك.

٣. يرفض التقرير «المرحلية» وينفي إقامة هذا المجتمع في إطار بنيات بدوية زراعية وما قبل صناعية كأنه موجه إلى فئة محددة من أصحاب القرار لا تؤمن بأطروحة المرحلية وتبني مبدأ «حرق المراحل» خاصة مرحلة اقتصاد المعرفة التي يكون لها البنية المادية والركيزة لمفهوم مجتمع المعرفة.

٤. يتحدث التقرير عن مجتمع الإعلام والاتصال الحالي، يضم بنية شبكية واسعة تضم أساساً قطاع الاتصالات والمعلومات السمعي والبصري الذي تنتقل المعارف والبيانات بصلبه بسرعة عالية تضمن التفاعلية بكلا الاتجاهين ومنظمة للمجتمع في إطار ما يسمى بالمجتمع الشبكي، فأين وصلت البلدان العربية من هذه الشبكة؟ وأين الأقطاب التكنولوجية التي هي قاطرة هذا المجتمع؟ أين الإبداع التكنولوجي التي من شأنه تصميم البرامج والخدمات، هذه الأسئلة لايجب عنها التقرير.

٥. لم يبين التقرير الطريقة التي بالإمكان إقامة مجتمع المعرفة بمقوماته المادية واللامادية من أجهزة وبرامج وبنيات ناعمة وخشنة وكيف تخضع أطراف معادلتها لسلوكيات الشركات الكبرى والدول التي خلفها، وبالتالي كيف نقيم هذا المجتمع دونما توفر الحد الأدنى من الاستقلال التكنولوجي والقدرة الذاتية على تحديد الاستراتيجيات التكنولوجية.

٦. تحدث التقرير عن الإكراهات الخارجية وظروف الإحباط الداخلية، وركز على العوامل الداخلية، والحقيقة أن امتناع الدول المتقدمة عن بيع التكنولوجيا المتطورة للدول النامية حالاً دون نجاح بعضها في إقامة منظومات لإنتاج التكنولوجيا، فالتقرير لم يضبط جيداً جدلية الداخلي والخارجي، واستسهل جلد الذات بنسبة كبيرة قياساً إلى سلوك الخارج.

٧. أشار التقرير لضرورة بناء مجتمع المعرفة، ولكنه لم يبين لنا عملياً كيفية هذا البناء، من الدولة أو من القطاع الخاص الداخلي والأجنبي، أم صيغة من صيغ التزاوج فيما بينها مجتمعةً تضمن التكاملية والانسجام، مع ملاحظة أن الدولة مطالبة بالانسحاب ودورها يتقوض تدريجياً وظيفتها في تراجع مستمر، والقطاع الخاص الداخلي ضعيف ويسعى للربح السريع، والاستثمار الأجنبي متمركز بمناطق العالم المتقدم، وهذا يفترض استراتيجيات واضحة وبرامج عمل مضبوطة لم يشر لها التقرير بالتفصيل.

٨. يتحدث التقرير عن بعض الظواهر الكبرى القائمة، كظاهرة الهوية الرقمية، وصاغها في محيط محكوم بسياقه الخاص ومرجعياته ومستوى التقدم القائم بداخله، لماذا يتبنّاها التقرير، رغم أن الهوية لا تقاس بالدول المتقدمة بالارتباط فحسب، بل بمزايا وسرعة النفاذ للمعلومات، مما جعل هذه المفاهيم غير ساكنة ولا يمكن الاطمئنان إلى استخدامها كأدوات للتحليل.

٩. يتحدث التقرير عن الإكراهات التي تواجه مسألة البحث العلمي، لكنه لم يتحدث عن عوائق الإبداع التكنولوجي من مختبرات وأعتده تجريب وتسويق براءات الاختراع، فهجرة الأدمغة ليست مرتبطة بإشكالية البحث العلمي فقط، بل مرتبطة بمسألة الإبداع التكنولوجي، وهو ما تجده هذه الأدمغة بالغرب بجامعاته وبمراكز بحوثه وبمختبراته.

١٠. لم يتحدث التقرير ولم يحدد الضمانات القانونية لحماية الحياة الخاصة للأفراد. وضمان الملكية الفكرية الحامية للتكنولوجيا، فهذه القضايا الإشكالية لم تلقى من التقرير الاهتمام المفروض، إضافةً للإغفال شبه التام لدور المنظمات غير الحكومية في المساهمة في وضع هذه الضمانات.

١١. ركز التقرير على إشكالية الوصول لإقامة مجتمع المعرفة، في حين أن الأهم هو الاستخدام الصحيح لمقومات إقامة مجتمع المعرفة، والاستعمال لا يرتبط بالفرد أو الجماعة، بل يرتبط باندماجه في المنظومة الثقافية والرمزية القائمة، إذ المهم هو الكيفية التي على أساسها نجعل من الإنترنت ظاهرة وحالة اجتماعية بدلاً من أن يصبح حاجة فردية أو للموضة أو للمباهاة، فنحن لا نريد استهلاكاً للمعرفة فحسب، بل نريد إنتاجها وتوزيعها وتبادلها، بمعنى لا نريد الأقراص المدمجة كمنتج للاستهلاك، نريد تملك صناعة الأقراص.

١٢. لم يضع التقرير الأدوات والخطط والجدول الزمنية لتنفيذ ما أسماه إقامة مجتمع المعرفة، ولم يقدم ميزانية تقريبية كفيلة بإقامته، لكنه اكتفى بماذا ينبغي عامة، خاصة ما أسماه بالرؤية الاستراتيجية، لأنه لم يضع الوسائل العملية للانتقال من مجتمعات معرفية لكل بلد عربي إلى مجتمع للمعرفة عربي.

في النهاية نرى تقرير التنمية البشرية ٢٠٠٣م قد تحدث عن مجتمع للمعرفة قد يصعب فهمه أو تحقيقه على أرض المجتمعات العربية، ونحتاج سنوات عديدة للإلمام بمعوقات تأسيسه.

المبحث الثالث: اقتصاديات المعرفة

تأثيرات تدهور التعليم العالي

إن اقتصاد المجتمعات الإنسانية مرّ بمراحل رئيسة، منها الاقتصاد الزراعي ثم الصناعي ثم اقتصاد المعرفة الذي جاء نتيجة لثورة تكنولوجيا المعلومات والاتصال في النصف الثاني من القرن العشرين، ومن سمات المعرفة المعاصرة سرعة التحولات العلمية والتكنولوجية وعالمية المعرفة واطراد نموها، وتضاعفها وتعدد مجالاتها وتنوع تخصصاتها وترابط فروعها وتكاملها والتلازم بين النظرية والتطبيق وتم تقسيم المجتمعات الإنسانية إلى مجتمع غني بالمعلومات والمعرفة يسمى مجتمع المعرفة وآخر فقير معرفياً لا يمتلك تلك المعلومات ولا يعرف كيفية استثمارها، وتوجد بين هذين النوعين فجوة معرفية وتنموية يطلق عليها اسم «الفجوة الرقمية» لأن مجتمع المعرفة قادر على استثمار تكنولوجيا المعلومات والاتصال، ويمتاز مجتمع المعرفة بقدرته على القيام بعمليات أساسية منها إيجاد المعرفة الجديدة ونشرها بين جميع أفراد المجتمع ووضعها في خدمة التنمية البشرية.

إذن اقتصاد المعرفة هو الذي تحقق فيه المعرفة الجزء الأعظم من القيمة المضافة وهي تشكل مكوناً أساسياً في العملية الإنتاجية وأن النمو يزداد بزيادة هذا المكون القائم على تكنولوجيا المعلومات والاتصالات باعتبارها المنصة الأساسية التي ينطلق الاقتصاد المبني على المعرفة أي أن المعلومات هي العنصر الوحيد في العملية الإنتاجية، والمعلومات وتكنولوجياتها هي التي تشكل أو تحدد أساليب الإنتاج وفرص التسويق ومجالاته، ويقوم أساساً على الثورة الاتصالية غير المسبوقة، والتي تتجاوز في حجمها ونوعيتها وآثارها ما سبق أن أنجزته البشرية من اختراعات وإبداعات وابتكارات طوال تاريخها فالتوظيف المتزايد لتقنيات الإعلام والاتصال والمعلومات في مجمل الأنشطة أصبحت سمة تميز عالم اليوم، الذي يقوم على فهم جديد أكثر عمقاً لدور المعرفة، ورأس المال البشري في تطور الاقتصاد وتقدم المجتمع.

إن المورد الاستراتيجي للمعلومات أصبح في الحياة الاقتصادية مكماً للموارد الطبيعية، لأن تكنولوجيا المعلومات تشكل العنصر الأساسي للنمو الاقتصادي، وأن هناك معطيات نتجت عن ظاهرة العولمة تحتم على البلدان العربية ضرورة السعي لتحديث نفسها وإلا تعرضت للتهميش لصالح الدول المتقدمة، خاصةً وأنها تواجه فجوة كبيرة في المعرفة تستلزم وضع استراتيجيات سليمة لتحقيق التكامل بين استيعاب المعرفة واكتسابها ونشرها، ويلزم ذلك إيجاد صلات واضحة تربط المبدعين والباحثين ومحلي السياسات مع المنتجين أو صانعي القرارات، فضعف الدعم المؤسسي وعدم توفر البنية المناسبة لتنمية العلم وتشجيعه وانخفاض أعداد المؤهلين للعمل في الحقول العلمية المتقدمة مثل تقنية المعلومات والتقنيات الحيوية والذكاء الصناعي، إضافةً إلى عوامل الجذب الموجودة في البلدان المتقدمة، وما يقابلها من هجرة العقول العربية تجعل من الصعب الحديث عن مستقبل واعد لإنتاج المعرفة رغم ما تملكه البلدان العربية من رأس مال مادي وبشري مهم يمكن أن يشكل أساساً لقيام نهضة معرفية عربية، التي تعتبر السلاح الأقوى في مواجهة تحديات القرن الواحد والعشرين.

وأما المعطى الثاني فهو طفرة التكنولوجيا المرتبطة بالهندسة الوراثية وعدم وضوح السياسات التكنولوجية والعلمية العربية وعدم ربطها بسياسات الدول التي يمكن الاستفادة منها في نقل التكنولوجيا واستغلالها وتوطينها وتطويرها في مرحلة قادمة، وغياب التركيز على الأولويات التي بحاجة إليها من تكنولوجيا، مع انعدام المخصصات المالية التي يحتاجها قطاع البحث والإبداع.

وأما المعطى الثالث فهو السياسات التعليمية العربية التي اهتمت بالكم على حساب الكيف والنوعية، في بناء نظام وطني للإبداع والفعال وتسيير العلاقات بين مكوناته، مما أدى إلى عدم توجيه أنشطة البحث والتطوير والإبداع نحو القطاعات الاستراتيجية الهامة عربياً وفي مجالات بحثية جديدة عن طريق تشخيص المشاكل التكنولوجية، وعدم تهيئة المناخ المناسب الذي يحقق أهداف النظام الوطني للإبداع كإتاحة المعلومات العلمية والتقنية، والفشل في بناء قاعدة معرفية وقاعدة اقتصادية متماسكة.

إن تخلف البلدان العربية عن الاقتصاد المعرفي يعود إلى انخفاض معدل الدخل الحقيقي للفرد، والتفاوت الحاد في توزيع الثروة بين المواطنين، وضعف البنية التحتية من طرق ومواصلات ووسائل اتصال وكهرباء وماء، وعدم استغلال الموارد الطبيعية بشكل كافٍ، والنقص في رؤوس الأموال، وعدم استخدام وسائل الإنتاج المتطورة، وضعف الأداء المهني لدى العاملين في قطاعات الإنتاج والخدمات، وانخفاض المستوى الثقافي والصحي لدى المواطنين، وضعف الإدارة وتفشي المحسوبية والرشوة فيها.

ويرى كثيرون أن العالم صار يتعامل فعلاً مع صناعات معرفية تكون الأفكار منتجاتها والبيانات موادها الأولية والعقل البشري أدواتها، وفي هذا السياق بزغت مفاهيم الاقتصاد الرقمي والتجارة الإلكترونية التي تشكل المعرفة جوهرها والقوة المحركة لها، وتطبيقاتها لحل المعضلات التي تثور خلال مسيرة التنمية أمر بالغ الأهمية بالنسبة للبلدان العربية، فحاجات المجتمع المتطورة من حيث الكم والنوع، يستطيع البحث العلمي والتكنولوجي أن يساهم بفاعلية بسبب تأثيره في الإنتاج، لتحقيق التنمية المنشودة. فإيجاد رؤية عربية للصناعات المستقبلية ومنها تطبيقات النانو تكنولوجي أصبح أمراً ضرورياً، ويجب أن يبدأ العرب من حيث انتهى الآخرون، من خلال بناء الدعائم الأساسية للقدرات التكنولوجية، وتوفير المعرفة واكتسابها وتكييفها بالإضافة إلى تنمية الموارد البشرية، ومجالات تطبيقها، وتحديد الآليات التي يمكن استخدامها لتطوير القاعدة الصناعية العربية والتغلب على الفجوة الموجودة بين العرب والعالم المتقدم في ضوء تكنولوجيا النانو وتأمين خدمات البنية الأساسية للعلوم والتكنولوجيا عبر إنشاء حدائق وأقطاب التكنولوجيا ومراكز الابتكار.

المبحث الرابع: البحث العلمي ومجتمع المعرفة

الرسائل العلمية ونقل المعرفة

أدى التقدم العلمي والتكنولوجي الذي يعتمد أساساً على العقل البشري والإلكترونيات الدقيقة والكمبيوتر وتوليد المعلومات وتنظيمها واختزانها واسترجاعها وتوصيلها بسرعة متناهية إلى ما يسمى بعصر الإدارة فائقة السرعة التي تعتمد على سرعة الاستجابة للتغير، وسرعة اكتساب القدرات والمعارف الجديدة، وسرعة الابتكار والتجديد والتطور، والدقة والسرعة في اكتشاف التيارات السالبة والتوجهات غير الإيجابية داخل المؤسسة والتي تهدد بفشلها وتحويلها عن أهدافها.

إن مفهوم نقل المعرفة يشوبه نوع من الغموض، وتقاسم المعارف هو شرط لنجاح عولمة المعرفة، فالضوابط التقنية لتقاسم المعارف تحكمها حقوق الابتكار، وشروطها تحكمها موازين القوى بين أطراف المعاملات المعرفية، والغرب هو السوق الرئيسي للمعرفة، والغرب لن يتقاسم المعرفة مع العرب إلا وفق مصالحه التنموية، لأن المعرفة أصبحت سوقاً يستورده المتخلفين فقط حسب شروط المنتجين لهذا السوق، فالتقنية اليابانية انبثقت من النقل الياباني المرتكز على العقل الياباني الخلاق وغيرها مثل الصين، فالمسألة ليست في النقل ولا في التوطين وإنما في المشروع الحضاري المرسوم وفي نجاعة النخب ودورها في تصميم الجديد انطلاقاً من محاكاة القديم.

إن استيراد الجاهز من المعارف، صار قانون السوق لكن العبقرية تكمن في صناعة جيل العبقرية وتمديد القواعد المادية للمعرفة والعلوم.

يتجلى مفهوم التقاسم المعرفي للمعلوماتية كحاجة إستراتيجية لكل الشعوب وتبرز المعوقات التي تحول دون التأسيس لمجتمع المعرفة العربي أهمها:-

.مجتمع المعرفة هو امتداد بنيوي وتنظيمي لمفاهيم عمران بشري حملتها مدنيات متعاقبة ومداخلة ومتجابهة أحياناً، معها نشأت اللغات ونمت بل وتنامت حاملة على عكس غيرها من المجتمعات المتأخرة، مفاهيم نمائها ودلالات فلسفتها، و تعابير قيمها، وجماليات خيالها.

. ثمار المعرفة مشروطة بالتربة التي تزرع فيها، فالمجتمعات المتقدمة جعلت من التنمية المعلوماتية شرط نماء ومقصد قوة ومنهج نظام، هذا ما حوّل المعرفة إلى مجهود استراتيجي وليس إلى هدف تجاري، وارتبطت المعرفة بالتحدي وبتحقيق الوجود، النخب السياسية في المجتمعات العربية لم تتمكن فيها من الفصل بين شروط الحداثة وسطوة التراث.

. إن مشكلة المعرفة في المجتمعات العربية مرتبطة بالذهنية العربية عموماً وإشكالياتها مع النظم القائمة فيها، وهذا مانسج في عمق الذات العربية هشاشة تعيق فرص النمو، وتحجب سبل الوصول إلى صناعة شروط القوة والمناعة، كما أن إنتاج المعارف عامل حيوي من عواملها.

. نقل المعرفة واستيراد المعلومة الجاهزة قد يفضي إلى ترسيخ الكسل العقلي والافتكال لدى العرب، أليس الأفضل تركيز الجهود على محاولات إنتاج المعرفة مباشرة، كما فعل الأجداد في العصور الماضية، بدل استيرادها أو نقلها.

. المعرفة سواء نقلت أو أبدعت تبقى وليدة حاجة وغاية حضارة ورؤية نظام، لأنها مرتبطة في إنتاجها برؤية أمة من الأمم لها وزنها في إنجاز العمران المنظم والتماسك، إن المعرفة لم تعد قضية خيار وإنما مسألة مصير.

. النظم التربوية العربية خاصة في التجمعات المزدحمة سكانياً والضعيفة ديمقراطياً والمغيبية استراتيجياً، خرجت من مضمار التنافس العلمي في صناعة التنمية وتحقيق الرفاهية، ورغم توفر شروط كبيرة في بعض دول النفط الثرية قد تسمح ببروز بؤر علمية من أرحام المنظومة التعليمية لتلك البلدان، إلا أنها فشلت في ذلك نتيجة لفشلها في الاندماج في المناهج التي تنمّي الذكاء.

إذن تطوير الدراسات العليا في البلدان العربية يحتاج إلى مراجعة قاعدة الهرم التعليمي والسياسي، في الأولى لا يكفي الإصلاح من أعلى لأن الإبداع يحتاج إلى ناشئة تعلمت على المنهج النقدي في التفكير، ويحتاج إلى تنمية النظرة الموضوعية للظواهر، والنظرة التي تبرز فيها شخصية الفرد، وهذه مسألة قيمية صعبة مازال النظام الاجتماعي العربي لا يشجع الناشئة على إبداء الرأي المخالف، أما في الثانية فإن النقص في الديمقراطية أو عدم توفرها في البلدان العربية أدى إلى نقص كبير في حرية العالم، والباحث العلمي، وعدم احترام ما يتوصل إليه من آراء ووجهات نظر، كأن العلماء والباحثين يعيشون في جزيرة أخرى غير الجزيرة التي يعيش عليها السياسيون، فتسببت هذه العزلة في وصول الباحث العلمي إلى عدم التعاون مع صاحب القرار السياسي، وبالعكس أصبح السياسيون غير مهتمين بما ينتجه الباحثون، فتوضع بحوثهم على الرفوف في مكاتب أصحاب القرار السياسي دون محاولة الاستفادة منها في مجال التنمية والتطوير.

وقد أشار تقرير منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية إلى دخول المعرفة العلمية كجزء من رأس المال يستثمر في العمليات الإنتاجية، وأهمية التراكم المعرفي في النمو الاقتصادي، يضاهي دور تراكم الثروة ورأس المال، فبلغ نمو القيمة المضافة للصناعات

القائمة على المعرفة ٣٠٠٪ في السنوات (١٩٨٩م/١٩٩٤م) بينما بلغ هذا النمو في قطاع الأعمال ككل ٢٣٪، وأشار البنك الدولي إلى أن أكثر الاقتصاديات تقدماً هي القائمة على المعرفة باعتبارها تخلق ملايين المهن التي تستند إلى الكثير من فروع المعرفة العلمية وتخصصاتها.

ورغم تزايد عدد الجامعات العربية التي فتحت أبوابها للدراسات العليا، لكنها فشلت في التصدي الناجح لمشكلات المجتمع بأسلوب علمي والقيام بالدراسات التطبيقية، وفشلت في اقتراح المعالجات العلمية لقضايا التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية عن طريق المتخصصين في مختلف مجالات التنمية.

المبحث الخامس: مجتمع المعرفة والتميز المعلوماتي

محو الأمية المعلوماتية

يشير التقرير العالمي لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (٢٠٠٥م) بوضوح إلى أن مفهوم مجتمعات المعرفة أكثر غناً واستقلالية من مفهوم التكنولوجيا والاتصالية الذي نجده في قلب النقاشات حول مجتمع المعلومات، لأن التكنولوجيا والاتصالية تؤكد على البنى التحتية على إدارة عالم الشبكات، وبالتالي لا معنى للمجتمع العالمي للمعلومات إن لم يسهل انطلاق مجتمعات المعرفة، حيث أن اليونسكو تعتبر إقامة مجتمع المعرفة هي التي تفتح الطريق لمسار العولمة، لأن انتشار تكنولوجيا المعلومات والاتصال الجديدة وبروز الإنترنت كشبكة عامة فتحت فرصاً جديدة لتوسعة الفضاء العام للمعرفة، لأن المعرفة ملكية عامة، وأدواتها متاحة، فلا بد أن تكون معطياتها لدى كل فرد، ففي مجتمع المعرفة يحظى التعليم والثقافة والاتصال واستخدام الذكاء الاصطناعي وتأهيل الإنسان بمناهج ومحتويات البرامج الراقية، لا بد وأن يكون فعالاً ومبدعاً في مؤسسات تسهر على زيادة الإنتاج وتفعيل آليات التفكير والتجديد والاختراع، وعموماً فإن المجتمعات العربية لم تستفد من الثورة التكنولوجية بحكم التخلف الموروث عن مراحل الاستعمار، وضعف وتيرة النهضة الفكرية والعلمية والثقافية وبقاء نسبة عالية في ظلام الأمية، وضعف حصيلة المنظومات التربوية والتعليمية وقلة الاستثمار العقلاني في البحث وربطه بالتنمية الاجتماعية والاقتصادية.

تعتبر المعرفة منتج اجتماعي واقتصادي معا، وممانعات المعرفة أو منشطاتها في المجتمع العربي ترتبط بالسياق الاجتماعي الثقافي السائد، و بالنظر في أركان مجتمع المعرفة

وهي: حرية الرأي والتعبير ونشر وتعميم التعليم وردم الفجوة المعلوماتية، وإنتاج المعرفة وتوظيفها بكفاءة في النسيج المجتمعي وإبداع نموذج معرفي ذي خصوصية ثقافية، لأن الاختلافات في الأركان السابقة واضحة في المجتمع العربي، إلى جانب بعض مظاهر الخلل في الأداء السياسي، وسيادة السلطة الأبوية وقيم المحافظة في التنشئة الاجتماعية، وتخلف التعليم العربي وضعف الإنفاق على البحث العلمي، واستيراده عوضاً عن إنتاجه، وحيث يسود الكم على الكيف في التعليم العربي، وتقف معدلات الأمية المرتفعة حائلاً دون الانخراط في مجتمع المعرفة، وخاصةً مع تدني نسب الالتحاق بالمراحل العليا من التعليم النظامي مقارنة بالمعدلات العالمية.

إن مجتمعات الغد ستكون قائمة على المعرفة وهيمنتها، والتعليم أحد المصادر التي ستعزز التنافس الدولي، وخاصة في إطار مجتمع المعلومات، وأن التعليم أحد الوسائل لنقلها بأشكال منظمة، ولذا تحتاج نظم التعليم لأن تكون متوجهة نحو المعرفة بصورة أكثر شمولاً من الوقت الحاضر، وستتمو البيئة المؤسسية التي يمارس التعليم فيها من حيث الحجم والوظيفة بحيث يصبح بمثابة مجمع تعليمي وتتحول المدارس والكليات إلى قنوات رئيسية للتواصل والاتصال، وتحويل المجتمع إلى مواقع لعملية التعلم، وقد أضفت المعلوماتية سمتها على أهداف التربية وهي التعلم للمعرفة والتعلم للعمل والتعلم للكينونة والتعلم للمشاركة، وسوف يؤدي انتشار تقنية المعلومات وانصهارها في الكيان المجتمعي إلى جعل المعرفة أهم أسس السلطة أو أبرز عوامل الترابط الاجتماعي، وبالتالي فإن إشاعة المعرفة تزيد من فاعلية المجتمع وحيويته ومنسوب ديمقراطيته ومناعته ضد أساليب الاستبداد والغزو الثقافي. لذلك يعتبر التعليم أهم أدوات عبور خط التقسيم الرقمي وتخطي الفجوة الرقمية، وربما كانت سيادة العقلية التلقينية القائمة على الحفظ والتكرار في مؤسسات التعليم العربي من أهم عوامل إجهاض الدخول إلى مجتمع المعرفة الذي يشجع في المقابل الحوار والإبداع والتعلم الذاتي وثقافة السؤال، ويحتاج إنتاج المعرفة إلى وجود ثقافة معرفية متميزة في المجتمع تساندها احترام قدرات التفكير والإبداع والسؤال والتأمل والبحث، لأن مجتمع المعرفة يُعلم ويتعلم ويتواصل ويتفكر ويتحكم ويتأخر ويضع الأنظمة ويتقدم في كافة جوانب الحياة من خلال استعماله للتقنية الرقمية، إنه الجهاز العصبي الرقمي الذي يدير الإمكانيات غير المحدودة لإدارة المعرفة لتحقيق التقدم.

عموماً عمقت الثورة المعلوماتية من ظاهرة العولمة بفعل الابتكار التقني في مجال تقنية المعلومات والاتصالات أساساً، وسيطرة النيولبرالية مقترنة بتقدم الديمقراطية، ويمكن تحديد سمات مجتمع المعلومات في الأبعاد التالية: .

١- الاتصالية العالمية، حيث أرتبط بشبكة الإنترنت العالمية ٢٩ مليون نسمة عام (٢٠٠٥م) وبلغ عدد المضيفات الأساسية لشبكة الإنترنت في العالم بلغ ٥٤١٤٣ مضيفاً.

٢- المشاركة الفعالة في إغناء المحتوى الرقمي وأحد مؤشرات المهمة عند المواقع على شبكة الإنترنت التي تبلغ ٣٦ مليون موقع، وتظهر الإحصاءات التي نشرت حديثاً وجود أكثر من ٢٢٠ مليار صفحة معلومات منشورة على الشبكة.

٣- نشر المعرفة، وهو انخفاض عدد الأميين في العالم وارتفاع مستوى الطباعة والنشر العلمي.

٤- دعم تطور البحث العلمي وإتاحة التعليم الفعال والنفاد إلى المعرفة والتقانات الحديثة لأفراد المجتمع.

٥- النمو الاقتصادي المعتمد على التكنولوجيا المتطورة وهو اقتصاد المعرفة. (احمد علي، ٢٠١٢م، ٤٨٤).

وانطلاقاً من رؤية توفير، ثمة توقع لظهور «تمييز معلوماتي» حيث تتم إزاحة دول الجنوب، وحيث يصبح الأفراد الأميون حاسوبياً فائضين عن الحاجة، فقد أصبحت القوة في يد من ينتج المعلومات ويرسلها، وهو ما يمكنه من أن يتلاعب بها، ويقف العرب خارج خط التقسيم الرقمي حيث تخلو قائمة أهم ٥٥ دولة تصدر البيئة التحتية الاتصالية من دول عربية، وهي قائمة يتقدمها السويد والنرويج وفنلندا وأمريكا وسويسرا وأستراليا وسنغافورة أو هولندا واليابان وكندا وألمانيا وهونغ كونغ، صحيح أن حوالي المليار من البشر يفتقدون إلى الغذاء والمياه الصحية والمسكن ومعرفة القراءة والكتابة لكن أيضاً سيطرد من مجتمع المعرفة أولئك غير الحاصلين على التعليم العالي. حيث إن انتشار التمييز المعلوماتي مرتبط بعدة عوامل منها:

- تجديد الثقافات لنفسها وتطور معطياتها لتواجه أشكال المعرفة الحديثة، وتتألق في الإبداع والإنتاج المعرفي، أدى إلى انحراف المنظومة العلمية والتقنية عن مسارها الطبيعي، وقتل ملكة الخلق والإبداع، والاتجاه نحو إكراهات معرفية لا يمكن التغلب عليها إلا إذا تحررت المعرفة من كل القيود السياسية، وأصبحت حقاً مشروعاً لكل إنسان وبدون إكراه.

- غياب السياسات اللغوية مثل توحيد لغة التعريب، وتوحيد الجهود لتقوية موارد اللغة من المجاميع اللغوية والتنسيق بينها، أدى إلى ضعف اللغة وتصدعها، وفقدت القدرة على التحديث المعرفي ونقل المعرفة واستيعابها، ولهذا

فإنه من المفيد حاضراً ومستقبلاً رفع كفاءة اللغة العربية وتقويتها، ودعم خصائصها الذاتية حتى تكون بمستوى إبراز وتجسيد التطورات التقنية والمعلوماتية.

- دور العولمة الخطير بتوجهاتها الثقافية والاجتماعية، والموسومة باحتكارها وتسييرها للمعرفة لخدمة طموحاتها التوسعية، ومصالحتها الاقتصادية والسياسية، ومصادرتها للهويات الثقافية، ومنع استقلاليتها باعتبارها قوة توجيه سياسات القطب الواحد، فهي لا تختلف عن أي سلطة تحكمية ومسيطر، فهي تسعى بمعطياتها وفلسفتها إلى تكريس سيطرة الأقوى على المقدرات الكونية من معرفة واقتصاد ونظم سياسية، ومن ثم السيطرة على عجلة التنمية، وهذا بطبيعة الحال يحصر الدول العربية في زاوية ضيقة.

- وجود قانون يحرر المعرفة ويجعلها حقاً طبيعياً لكل إنسان في الوطن العربي، وتحريرها من تقييد السلطات الأمنية المتحججة بمقتضيات الأمن القومي.

- تنوع الأمية المعلوماتية ما بين أمية التعامل مع الأدوات ومصادر المعلومات والنشر والتكنولوجيا البارة والنقد الموضوعي، لذا صار من ركائز محو الأمية المعلوماتية فهم تدفق المعلومات واختيار وتقييم ورصد ومناقشة واستخلاص وترتيب وتكامل وتوثيق المعلومات، يؤدي محو الأمية المعلوماتية دوراً رئيسياً في بناء القوة المعرفية، وتأكيد حقوق الإنسان في الوصول للمعارف ويشجع على تعدد الاختيارات بما يضمن دائماً مقاومة الأمية المعلوماتية مع رفض احتكار وسيطرة الفكرة الواحدة أو التفسير الأوحـد للأمر قيد التمهـيص والمراجعة، هنا يبرز الذكاء الجمعي كقيمة أعلى من الذكاء الفردي دون التعدي على حرية الفكر تحقيقاً لمتطلبات مجتمع المعرفة متطلعين لمستوى مجتمع الحكمة الذي يجمع كل الخصائص الإيجابية من حالات المجتمعات السابقة.

المراجع

- ١- إبراهيم رمضان الذيب، إدارة المعرفة، www.ao-academy.org.
- ٢- احمد علي، مفهوم المعلومات وإدارة المعرفة، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٨، العدد الأول، ٢٠١٢م.
- ٣- أمسلم أحمد الجعباري، الاقتصاد المعرفي وتخلف البلدان العربية، مجلة الأكاديمية المصرية لتنمية البيئة، ٢٠١٠م.
- ٤- زياد بركات وأحمد عوض، واقع دور الجامعات العربية في تنمية مجتمع المعرفة من وجهة نظر عينة من أعضاء هيئة التدريس، فلسطين، ٢٠١١م.
- ٥- سمير يحي عبد الوهاب، متطلبات تطبيق إدارة المعرفة في المدن العربية (دراسة حالة مدينة القاهرة)، ٢٠٠٦م.
- ٦- سلمان الفارس، دور إدارة المعرفة في رفع كفاءة أداء المنظمات (دراسة ميدانية على شركات الصناعات التمويلية الخاصة بدمشق)، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد ٢٦، العدد الثاني، ٢٠١٠م.
- ٧- عاطف محمد شحاتة، التعليم الجامعي ومجتمع المعرفة، المؤتمر العلمي الثالث لكلية الآداب، جامعة بنها في الفترة من ١٢ إلى ١٤ إبريل/ ٢٠٠٩م.
- ٨- عبد الوهاب جودة، سياق الإبداع العلمي وفرص الإسهام في بناء مجتمع المعرفة بالوطن العربي، المؤتمر العلمي الدولي الأول لكلية الآداب والعلوم الاجتماعية، منشورات جامعة السلطان قابوس في الفترة من ٢ إلى ٤ ديسمبر/ ٢٠٠٧م.
- ٩- عبد الرحمن صفوان ومحمود عرفان، تحديات الممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية في ظل مجتمع المعرفة، المؤتمر العلمي الدولي الأول لكلية الآداب والعلوم الاجتماعية، منشورات جامعة السلطان قابوس من ٢ إلى ٤ ديسمبر/ ٢٠٠٧م.
- ١٠- عائدة فؤاد عبد الفتاح، الأسرة العربية في عصر مجتمع المعرفة، المؤتمر العلمي الدولي الأول لكلية الآداب والعلوم الاجتماعية، منشورات جامعة السلطان قابوس من ٢ إلى ٤ ديسمبر/ ٢٠٠٧م.
- ١١- عصام يحي الفيلاي، تجربة جامعة الملك عبد العزيز في الدخول نحو مجتمع المعرفة، المؤتمر العلمي الدولي الأول لكلية الآداب والعلوم الاجتماعية، منشورات جامعة السلطان قابوس من ٢ إلى ٤ ديسمبر/ ٢٠٠٧م.
- ١٢- ماهر حسن المحروق، دور اقتصاد المعرفة في تعزيز القدرات التنافسية للمرأة العربية، ورقة عمل مقدمة إلى ورشة العمل القومية التي تعقدها منظمة العمل العربية، دمشق، من ٦ إلى ٨ يوليو/ ٢٠٠٩م.

أهمية دور المسنين وحياتهم الاجتماعية في المجتمع

أ. محمد أحمد الدوماني

مقدمة

وعلاجها، كما ازدادت الوقاية والحماية في الكثير من دول العالم مع ازدياد الوعي الصحي مع التقدم العلمي والتطور التكنولوجي.

وقد قدرت منظمة الصحة العالمية عدد الذين تفوق أعمارهم الستين سوف يزيدون بنسبة ٧٥٪ ليصلوا في عام ٢٠٢٠ م إلى ألف مليون في مقابل ٥٨٠ مليون في الوقت الراهن. وقد يفسر أن الكثير من الدول تسعى لتقليل الخصوبة ولتحسين الصحة والمعيشة، فمتوسط العمر حالياً هو ٦٦ سنة وقد يرتفع فوق ٧٠ سنة في العديد من بلدان العالم، وقد ينخفض

اهتم الكثير من الباحثين بدراسة دورة حياة الفرد ومراحل نموه من جميع جوانبها، لأن لكل مرحلة من هذه المراحل مميزاتها وصفاتها، ولكل فترة طبيعتها وسماتها، وذلك رغبة في حل المشكلات التي يعاني منها الفرد في كل مرحلة عمرية معينة، وكذلك لفهم خصائص كل سن واستعداداته وقدراته، وصولاً لأنسب الطرق والوسائل للتعامل معها، وقد ارتفع عمر الإنسان وازداد بالتالي عدد الشيوخ نتيجة للقضاء على كثير من الأوبئة التي كانت تقتك بالبشر مثل «الطاعون - الملاريا» ونتيجة تحسن طرائق كشف بعض الأمراض المزمنة

• أستاذ علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم، الجامعة المرقب /ليبيا.

domany_200792@yahoo.com

إلى الخمسين في أفريقيا جنوب الصحراء. والشيخوخة عبارة عن تطور طبيعي وبيولوجي يحدث في أجهزة الجسم المختلفة مع تقدم السن، وحتى وقت قريب كان الناس ينظرون إلى الشيخوخة على أنها حدث لا يمكن أن نتجنبه أو نؤخر حدوثه ومضاعفاته، فالمسن ينظر إليه الناس على أنه إنسان عديم الفائدة للمجتمع، فلم يعد له دور يلعبه في المجتمع، وأكثر من ذلك فهو يحتاج لمن يرعاه ويأخذ بيده فيكون بذلك عالة على الآخرين، إلا أن هناك العديد من الدراسات الحديثة أكدت أن هناك أشخاصاً بلغوا سن المائة وأكثرهم في حالة صحية سواء من الناحية الذهنية أو البدنية ولا يعانون من أي أمراض عضوية، ومن الطبيعي أن نجد في الشيخوخة ومع تقدم العمر نقصاً في نشاط بعض أنزيمات الجسم واضطراباً في توازن بعض العناصر مثل الصوديوم والبوتاسيوم والكلور داخل خلية الجسم، فنحتاج لممارسة حياة صحية بالتغذية الجيدة وممارسة النشاط البدني في كل مرحلة من مراحل العمر ونشجع من حولنا ومن في رعايتنا على ذلك ونقدم لهم المساعدة لتوفير أحسن الظروف لشيخوخة سعيدة، ولنواجه معاً المخاطر التي يمكن أن يتعرض لها المسن مع تقدمهم بالعمر من أمراض مزمنة (السكر - ارتفاع ضغط الدم - أمراض القلب - ومشاكل الأسنان - الحركة.. إلخ) وما يمكن أن يتعرض إليه من تهيمش لدوره في الحياة وتقليل من قدرته على العمل والعطاء).

مشكلة البحث

لم تحظ مشكلة كبار السن باهتمام من قبل الباحثين وخصوصاً قديماً وذلك لأنهم لم يكونوا أعداداً كبيرة من السكان بالمقارنة مع باقي الفئات العمرية الأخرى داخل المجتمع، وذلك بسبب وفاتهم قبل بلوغ مرحلة متأخرة من العمر، لذلك لم يشكوا شريحة اجتماعية واسعة أو فئة عمرية عريضة، كما أن الأسرة في الماضي كانت تمثل النمط الممتد، والتي أولت اهتماماً بالغاً بالشيخوخة أو المعمرين من جميع الجوانب، وكانت لهم مكانة اجتماعية عالية داخل الأسرة والمجتمع، إن تغير شكل المجتمع من البساطة إلى التعقيد يؤدي إلى عدم وجود أحد أفراد الأسرة يهتم بخدمة كبير السن أو يسهر على راحته بحكم العادات والتقاليد، وأصبح لزاماً بذلك أن توجد المؤسسات الخاصة برعايتهم والبرامج التي تقوم بأداء الخدمات لهم، ولكن مع توجه مجتمعاتنا نحو التصنيع، وتأثير العلم والتكنولوجيا عليه، وما بدأ يظهر من هجرة سكان الريف إلى المدن، وتضخم المدينة وما يظهر من تغيرات في العادات والتقاليد، وبداية تفكك الروابط الأسرية والأواصر العائلية، كل هذا يجب أن يحفزنا على الإعداد الكافي والتخطيط لمواجهة المشاكل المستقبلية في هذا الجانب لحماية هذه الشريحة في المجتمع.

أهمية البحث

كان من أهم الأسباب والدوافع التي أدت إلى تزايد الاهتمام بمرحلة الشيخوخة والتقدم في العمر بوجه عام في الآونة الأخيرة على المستوى المحلي والعالمي وهي على النحو الآتي: -

١- تزايد نسبة كبار السن في كل المجتمعات المتقدمة والنامية بشكل واضح وبسبب ارتفاع مستوى الصحة الوقائية والعلاجية بوجه عام.

٢- تنفاذي كافة التأثيرات السلبية التي يتعرض لها المسن وتكييفه مع التقاعد من العمل.

٣- تبصير المسنين بطبيعة الحياة المستقبلية وإمدادهم بالمعلومات والمعارف والخبرات اللازمة للحياة حتى يمكنهم التعامل مع مشكلاتهم ليحققوا الاستقرار والسعادة.

تعريف المسن «الشيخوخة»

يحدد التعريف من الناحية البيولوجية بواسطة التغيرات التي قد تظهر، مثل: قلة كفاءة أجهزة الجسم على أداء دورها بالشكل المطلوب، وكذلك التجاعيد التي تظهر في الوجه، وضعف البصر، وثقل السمع، وتبدل لون الشعر، ونقص في العديد من وظائف خلايا الجسم، ويعرف الشخص المسن والذي تتجه قوته وحيويته إلى الانخفاض مع ازدياد تعرضه للإصابة بالأمراض لا سيما أمراض الشيخوخة وتزايد شعوره بالتعب والإجهاد عند الحركة ونقص قدرته على الإنتاج وتوقفه عن العمل.

والشيخوخة هي المرحلة التي يتقدم فيها سن الإنسان، وهي ترتبط بتدهور في الحالة الصحية والاجتماعية والنفسية بصفة عامة، مقارنة بمراحل العمر السابقة، كما ترتبط بالضعف والوهن وانحسار النشاط، والإخفاق في الاحتفاظ بالوظائف المعتادة للإنسان، ويؤدي الانخفاض الملحوظ في المناعة والقدرة على التحمل إلى التعرض للإصابة بالأمراض المختلفة، فلا يقوى الجسد على الدفاع ضد المؤثرات الضارة بعد أن ظل يتغلب عليها في ما سبق من مراحل عمره.

إن الشيخوخة في نظر المسنين أنفسهم ليست شيئاً إيجابياً أو مرغوباً فيه على الإطلاق، ذلك أن الشعور الغالب عند معظم المسنين، أن الشيخوخة قد داهمتهم فجأة دون سابق

إعداد بالرغم من أنها كانت تزحف تدريجياً على مدى سنوات طويلة، لكن الإنسان عموماً لا يشعر أنه أصبح ضمن فئة المسنين إلا عندما يواجه مشكلات الشيخوخة، ويعلم أن معاناته هي بسبب التقدم في السن.

فالشيخوخة تأتي مرة واحدة في العمر بالنسبة لكل إنسان، وبالتالي لا يوجد شخص مر بها من قبل، وإذا كان ذلك هو شأن الشيخوخة بالنسبة للمسنين أنفسهم.

أهم مراحل السلوك الاجتماعي للمسن، ويتمثل ذلك في الآتي:

١- العلاقات الاجتماعية للمسن: يزداد اهتمام الفرد بنفسه كلما تقدمت به السن نحو الشيخوخة، وتضعف صلته شيئاً فشيئاً بالمجالات الاجتماعية البعيدة عن دائرته الضيقة، وبذلك يصبح المسن أنانياً نرجسياً في حياته، وكأنه بهذا السلوك يحافظ على حياته من مضايقات العالم الخارجي المحيط به، وهكذا تضعف العلاقات الاجتماعية بين المسن ومعارفه، ثم يزداد هذا الانكماش فتضعف العلاقات القائمة بينه وبين الأصدقاء والرفاق، حتى تصبح حدود دائرة نشاطه الاجتماعي على العلاقات الأسرية الضيقة المحددة.

ولذا تصبح مرحلة الشيخوخة، مرحلة العزلة والوحدة، وهي تختلف في مظهرها الانعزالي عن مرحلة الرشد؛ لأنها تمنع في الضيق كلما ازداد عمر الفرد.

ويزيد من عزلة المسن زواج الأبناء، وموت أحد الزوجين، والضعف البدني الذي يحول بينه وبين الخروج من مسكنه لزيارة الأصدقاء أو الأقرباء.

وتختلف علاقة المسن بأبنائه عن علاقته بأحفاده؛ فيلجأ إليه أبناء أبنائه ليحميهم من ثورة غضب الأب، وهو بالنسبة لهم ملتقى القوى التي تضطرب في جنبات الأسرة، وإليه يهرعون في أزماتهم ومشكلاتهم، وهكذا ينشأ نوع غريب من الصداقة بين جيلين، وقد وصلت العلاقة ذروتها في المجتمعات الريفية احتراماً وتقديراً وذلك لقوة الصلات التي تربط بين الجيلين جيل الأجداد وجيل الأحفاد، وتضعف هذه العلاقة في المجتمعات المدنية من جراء انفصام الروابط العائلية.

٢- المكانة الاجتماعية: تعتمد المكانة الاجتماعية للفرد في أي جماعة على دوره القيادي فيها، ويعتمد في هذا الدور على ما يقوم به الفرد من خدمات للجماعة التي ينتمي إليها.

وتتأثر المكانة الاجتماعية للفرد في جميع مراحل حياته بالمعايير القائمة والقيم السائدة في المجتمع الذي يعيش في إطاره، ويتباين المستوى العائلي لهذه العائلة في صعوده وهبوطه، وتضعف هذه المكانة في المجتمعات الغربية المعاصرة لأنها تؤمن بالقوة والسرعة، وهي صفات لا تتوفر بجيل الشيوخ، ولذلك تقسو الحياة عليهم ويهجرهم أبناءهم، وتضيق بهم سبل الرزق، ويدركون أنهم أصبحوا عالة على المجتمع وعلى الحياة نفسها.

٣- التوافق الاجتماعي: تتأثر عملية التوافق بمدى ونوع التقاليد والعادات السائدة في البيئة والخاصة بكل مرحلة من مراحل النمو، وكلما كبر سن الفرد ازداد تبعاً لذلك اهتمامه بأراء الناس ومراعاته للقيم والمعايير القائمة.

وقد تعوق التقاليد الفرد عن تعلم مهارات جديدة، خصوصاً عندما يعلم المسن أن الناس من حوله ينظرون إليه نظرتهم إلى الإنسان العاجز الذي لم يعد بمقدوره أن ينجز أي عمل، وقد تدعوه هذه التقاليد ذاتها إلى إهمال نفسه بعدما أهمله كل من حوله.

والتقاليد التي تحترم السن وتعطي المسن حقه من الاحترام والتبجيل وتدعو الناس إلى استشارته في الملمات، وهذه التقاليد تساعد على تحقيق التوافق الاجتماعي الضروري لطمأننته وسعادته.

٤- الأسرة: عندما تتسع دائرة الأسرة وتشتمل على أجيالها المتعاقبة كما تتمثل في الجد والأبناء والأحفاد، فإن العلاقات القائمة بين أفرادها تزداد تعقيداً وتداخلاً، ويختلف نوع هذه العلاقات تبعاً لاختلاف المستوى الحضاري الذي يحدد سلوك الأسرة، فالأسرة الريفية تكاد لا تجد أي صعوبة في إيواء الأجيال المتعاقبة، والأسرة المدنية تكاد لا تقوى على احتمال أكثر من جيل واحد لمدة طويلة، فهي سرعان ما تنخفض من جيل الأبناء عندما يكونون عائلات جديدة، لذا فهي تجد صعوبة كبيرة في تقبل جيل الأجداد، نظراً لطبيعة المجتمع المعاصر، وطبيعة التحول الاجتماعي السريع، وطبيعة المسكن الحديث وصغر حجم الأسرة، نتيجة لارتفاع مستوى المعيشة وزيادة معدل الإنفاق، وهكذا لا يتسع إطار الأسرة المدنية المعاصرة إلى الشيوخ، بل إن الأسرة تكاد لا تتسع إلا للجيل الذي أنشأها، والجيل الذي ما يزال يعد نفسه للحياة، ولذلك أنشأت الدولة المؤسسات المدنية ومراكز لرعاية المسنين، وقد تطورت الفكرة عند بعض الدول حتى تحولت عند

بعضها إلى إنشاء أحياء كاملة للشيوخ، وعند البعض الآخر تم إنشاء مدن جديدة لهم، وأقامت بعض الدول مجتمعات لهم يجتمعون بعض شهور السنة، ثم يعودون إلى مساكنهم بين أهليهم وذويهم.

أهم المشكلات التي يعاني منها المسنون في المجتمع

فالمشكلات الاجتماعية تأخذ مفهوماً جديداً في وقتنا الحاضر والظروف التي تحيط بشريحة معينة من الناس في المجتمع، ومرحلة الشيخوخة شأنها شأن أي مرحلة أخرى في عمر الإنسان يصاحبها العديد من المشكلات التي يتعرض لها المسن ومنها ما يأتي:

١- **المشكلات الاجتماعية:** تتعد المشكلات الاجتماعية للمسنين وخصوصاً افتقاد المكانة الاجتماعية والتي تشكل المكانة الأساسية للمسنين، سواء في مكان العمل أو في المجتمع، وعندما يترك المسن عمله فإنه يتخلى عن أشياء كثيرة؛ حيث يفقد أصدقاءه وأسلوب الحياة وشعوره بأنه ذو فائدة أو مستقل بذاته. كما أوضحت العديد من الدراسات أن هناك ما يطلق عليه الصراع بين الأجيال جيل الكبار وجيل الشباب، وهذا الصراع يمثل إحدى المشكلات المهمة التي ينشأ عنها سواء توافق المسن مع أفراد المجتمع، حيث كشفت الدراسات عن وجود نوع من صراع القيمة بين الآباء والأبناء، وأن من علامات مشكلة هذا الصراع أن الأبناء أكثر تحراً من آبائهم وأمهاتهم في العديد من الموضوعات كالزواج وحرية اختيار الأصدقاء.

٢- **المشكلات الاقتصادية:** تعتبر المشكلات الاقتصادية نتيجة لعجز الدخل المالي عن مواجهة النفقات، فمعظم المسنين لا يعملون إما لسبب كبر السن وانخفاض القدرة على الكسب أو نتيجة للتقاعد الإجباري، فقد ساهم صرف معاش للمتقاعدين ثابت وعدم زيادته حتى يواكب تصاعد ارتفاع مستلزمات الحياة، وذلك قد يجعل المتقاعدين يحاولون خفض الإنفاق وحصرها في أضيق الحدود، والتي تتركز في توفير الاحتياجات الأساسية كالغذاء والمأوى والملبس، وقد تزيد حدة المشكلة الاقتصادية أعباء جديدة على المتقاعد، مثل: التردد على الأطباء، وشراء العلاج والأدوية الباهظة التكاليف وعدم توفرها في المستشفيات والصيديات الحكومية ما يضطره للبحث عنها في الصيدليات الخاصة بأثمان باهظة وغالية.

٣- تدهور الحالة الصحية للمسنين: تتوقف الحالة الصحية للمسنين على عدد من العوامل الاجتماعية، كمستوى المعيشة ودرجة التعليم، والاهتمام بالصحة العامة، فإهمال بعض المسنين لأنفسهم وعدم القيام بالفحص الدوري، إضافة إلى خوفهم من تركهم في المستشفيات، وعدم قدرة بعضهم على تحمل تكاليف العلاج ونفقاته، يزيد أحياناً سوء أحوالهم الصحية وانخفاض كفاءة الأجهزة المختلفة للجسم، وهناك أمراض كثيرة ومتنوعة تلازم هذه المرحلة وغير قابلة للشفاء نتيجة لتقدم المسن في السن.

٤- مشكلة الفراغ: إن مشكلة الفراغ هي أمر جاد ومهم، وقد يتصور البعض من الذين يعتقدون أننا إذا وفرنا المسكن والملبس والطعام للمسنين فقد انتهت متاعبهم، أما بالنسبة للمسنين فهذه تبدو مشكلة واضحة في دور الرعاية التي توفر لهم كل ما يحتاجونه وتقوم بخدمتهم ورعايتهم الكاملة، والنتيجة أن هؤلاء النزلاء الذي يفترض أن يكونوا في غاية السعادة على ما يلقون من رعاية واهتمام، يكون حالهم عكس ذلك تماماً، إذ تتدهور حالتهم بسرعة أكثر من غيرهم، ويقعون فريسة للأمراض البدنية والنفسية والكثير من المضاعفات نتيجة الملل والفراغ وكيفية استثمار هذا الوقت.

٥- مشكلة النوم: وهي مشكلة تبدو عامة في الشيخوخة، تلك هي مشكلة النوم، فالغالبية العظمى من المسنين يعانون من اضطراب في النوم، وبالرغم من أن كبار السن يقضون وقتاً طويلاً في الفراش إلا أن مدة النوم الفعلي تقل بصورة ملحوظة، كما أن النوم لا يكون عميقاً ويصبح متقطعاً، ومن أسباب اضطراب النوم عند المسن القلق والاكتئاب والألم نتيجة إحساسه بالأمراض المختلفة أو عدم الارتياح في مكان لا يألّفه.

أهم الخدمات الاجتماعية والصحية للمسنين

تعتبر أهم برامج الرعاية الاجتماعية والتي تقدم للمسنين في المجتمع حتى تساعد على أن يحيى حياة سعيدة وطيبة ومن أهمها:

١- الرعاية الصحية: تعتبر الرعاية الصحية على قمة أوجه الرعاية المقدمة لفئة المسنين، وذلك لأن مثل هذا النوع من الرعاية يهدف إلى الكشف الدوري والعلاج المناسب السريع لفئات المسنين لكي تساعد على المعيشة بطريقة طبيعية عن طريق تقليل آثار الشيخوخة على الصحة العامة وعلاج المرضى بقدرة

الإمكان وتتمثل الرعاية الصحية في عمل فريق مكون من:

أ- طبيب زائر: يقوم بعلاج ومتابعة الحالات الصحية للمسنين ويساعدهم على كيفية العناية بصحتهم والابتعاد عن مصادر الحوادث.

ب- ممرضات المنازل: وهي تقوم بعناية المسنين ولفترة قصيرة للذين يحتاجون إليها في منازلهم ويعملن تحت إشراف دكتور ممارس أو الطبيب الزائر ويقمن بتنفيذ تعليمات الطبيب واستشارته وقت الضرورة.

٢- المساعدات الطبية: تقدم للمسنين الذين يعانون من أمراض مزمنة مجاناً حيث تقوم هيئات متخصصة بتوفير نقل المسنين إلى المستشفيات لإجراء الفحوص والخدمات التي يحتاجها المسن مثل «علاج الأسنان-المقاعد المتحركة»

٣- خدمات الإقامة بالمستشفيات: يتردد بعض المسنين على المستشفيات للحصول على العديد من الخدمات الطبية المختلفة والتي يحتاجونها والتي قد تحتاج إلى كواد من العاملين القادرين على مساعدة المرضى في عملية الأكل أو مساعدتهم على الانتفاع بالجهود العلاجية، وتقدم هذه الخدمات في وحدات يطلق عليها وحدات علاج المسنين.

٤- مراكز العلاج النفسي: قد بدأ الاهتمام في الفترة الأخيرة بالعلاج النفسي للمسنين والاهتمام بهم وتقديم العلاج إلى العديد من الفئات، منها:

أ- المرضى الذين أدخلوا المستشفيات للعلاج النفسي نتيجة لبلوغهم سناً متقدمة ويصعب معهم تقديم الوسائل الحديثة للعلاج.

ب- المرضى الذين أصيبوا بأمراض نفسية لنفس الظروف التي تؤدي إلى المرض بالنسبة للأشخاص صغار السن.

ج- المرضى الذين يصابون بفقد الذاكرة أو خلل عقلي نتيجة الشيخوخة.

هـ- مؤسسات الإيواء: وهي تعمل على توفير إقامة دائمة داخل هذه المؤسسات وتضم الفئات التي تستطيع أن تتفاعل مع الآخرين ولديها القدرة على خدمة نفسها ولا تحتاج إلى رعاية خاصة، وبذلك يمكن إدماجها في البرامج التي تقدمها هذه المؤسسات بشكل يومي منظم مع الآخرين.

٦- مؤسسات الإقامة المؤقتة:

تعمل هذه المؤسسات على استقبال المسنين في إقامة داخلية لفترات مؤقتة للعلاج أو النقاهة أو لحين عودة ذويهم وأقاربهم من مهام خارج البلاد.

٧- الخدمات الاجتماعية للمسنين: تعمل الدولة على توفير برامج خدمية للمسنين من خلال المساعدات العامة مع تعاون الهيئات الأهلية في المجتمع وقد يمكن حصر أهم الخدمات التي يمكن أن تقدم للمسنين منها:

أ- خدمات داخل المنازل ومرافقين ليليين.

ب- وجبات غذائية جاهزة تتوفر فيها الحماية الغذائية الصحية.

ج- إقامة برامج ترفيهية وسياحية لقضاء العطلات الطويلة.

٨- الخدمات الإسكانية للمسنين، وذلك على النحو الآتي:

أ- إنشاء شقق صغيرة أو مساكن دور واحد لمن يستطيعون رعاية أنفسهم.

ب- شقق جماعية وتضم المسنين الذين يستطيعون خدمة أنفسهم.

ج- مساكن إيوائية لمن لا نستطيع أن نتركهم بمفردهم.

دور المنظمات العالمية واهتمامها بصحة المسنين

لقد تأسست منظمة الصحة العالمي ١٩٤٨م وقامت بجهود من أجل توفير حياة أفضل للمسنين في العالم من خلال تعزيز أنماط الحياة الصحية في مختلف مراحل الحياة، ووضع السياسات المناسبة التي تسمح بانخراط المسنين من الجنسين فيها وجعل الرعاية الصحية الأولية مراعية للسن، وهذا يتطلب تضافر الجهود من صانعي القرار وراسمي السياسات ومقدمي الرعاية الصحية وكل مؤسسات المجتمع المدني، وتأتي هذه الأولويات على ضرورة القضاء على الخرافات المرتبطة بالشيخوخة وأنها مرض حيث يساهم في تشكيل الوهم الذي يحرم كبار السن حقهم في أن يحيا حياة طبيعية ونشطة ومنتجة يتمتعون فيها بالكرامة ويواصلون الإنتاج في عائلاتهم ومجتمعاتهم.

وقد بينت في ١٩٩٩م بمناسبة العام الدولي للمسنين أن زيادة عدد السكان بنسبة ٥٠٪ خلال العشرين المقبلة وسوف يزيدون بنسبة أكبر هي ٧٥٪ ليصلوا في عام ٢٠٢٠م إلى ألف مليون نسمة في مقابل ٥٨٠ مليوناً في الوقت الراهن، حيث كان الاعتقاد السائد أن كبار السن يتركزون في الدول المتقدمة حيث يتوفر مستوى صحي مرتفع إلا أن إحصائيات منظمة الصحة العالمية التي صدرت عام ١٩٩٩م أكدت أن ٦٠٪ من المسنين ٢٥٥

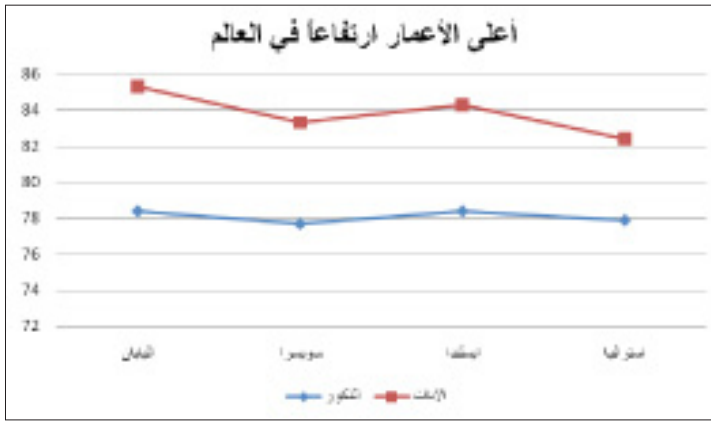
مليون شخص» هم من أبناء الدول النامية، وقد يتضاعف عددهم بحلول عام ٢٠٢٠م وكان الاعتقاد السائد أن كل المسنين سوف تتدهور أحوالهم الصحية، وتراجع كفاءتهم الذهنية، وتقل قدرتهم على العمل، حيث ترتبط صحة المسنين بعوامل كثيرة: فهي انعكاس لمسيرة حياة طويلة، وبذلك ينظرون إلى الشيخوخة على أنها حدث لا يمكن أن نتجنبه أو نؤخر حدوثه، فالمسن ينظر إلى الناس على أنه إنسان عديم الفائدة للمجتمع، فلم يعد له دور يؤديه، وأكثر من ذلك فهو يحتاج لمن يرعاه ويأخذ بيده فيكون بذلك عالة على الآخرين.

وقد قدرت منظمة الصحة العالمية عدد الذين تفوق أعمارهم الستين في عام ٢٠٠٠م بنحو ٦٠٠ مليون إنسان، ويعتقد أن يصل هذا العدد إلى ١,٢ مليون في ٢٠٢٥م و٢ بليون في عام ٢٠٥٠م والرسم البياني التالي يوضح ذلك.



وقد تبث ارتفاع نسبة الذكور في بعض الدول الأوروبية وهي على النحو الآتي:

- ١- اليابان ذكور (٧٨,٤) إناث (٨٥,٣)
- ٢- سويسرا ذكور (٧٧,٧) إناث (٨٣,٣)
- ٣- إيسلندا ذكور (٧٨,٤) إناث (٨٤,٣)
- ٤- استراليا ذكور (٧٧,٩) إناث (٨٢,٤)



ومن خلال الإحصائيات والبيانات الواردة أعلاه تبين أن الوفيات تزيد بنسبة ٢٠٪ من مجموع السكان في الأشخاص الذين يزيد وزنهم ١٠٪ على الوزن المثالي، وقد بينت الدراسات أيضاً أن أسباب الشيخوخة المبكرة قد ترجع إلى عدة أسباب منها:

١- الإفراط في تناول السكريات والمياه الملوثة بالرصاص والألمنيوم والحديد والتي تؤدي إلى تدهور في الجهاز العصبي.

٢- التعرض للضغوط العصبية والنفسية وخصوصاً في سكان المدن.

٣- تناول الخمور والمخدرات والتدخين.

وقد قامت منظمة الصحة العالمية بثلاث مبادرات لتعزيز قطاع الرعاية الصحية وبناء قدرات المجتمع المحلي لكي يتعامل مع قضايا الشيخوخة وهي على النحو الآتي:

١- إنتاج مجموعة أدوات يمكن أن تجعل خدمات الرعاية الصحية الأولية أكثر سهولة واستجابة إلى المسنين بتوعية مقدمي هذه الخدمات وتعريفهم باحتياجات المسنين الخاصة. من الدول «اسبانيا - استراليا - البرازيل - سنغافورة...»

٢- إصدار دليل للمدن الصديقة للمسنين يعطي إطاراً للسياسات والخدمات والهياكل التي لها علاقة بالبيئة المادية والاجتماعية التي تدعم وتمكن المسنين من التقدم في العمر بنشاط والمشاركة الكاملة في المجتمع والتي تحقق المشاركة المجتمعية الواسعة مع المسنين العاملين كراصدين للمشروع والدول المشاركة منها «استراليا - الأرجنتين - اسبانيا - تركيا - بريطانيا...».

٣- إنشاء قاعدة للمعرفة تساعد صنّاع السياسات في صياغة سياسات صحية واجتماعية متكاملة تركز على نظم الرعاية الصحية الأولية وتشمل الرعاية الأسرية المحلية وتشارك في هذا المشروع بلدان أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية والشرق الأوسط.

وبذلك شهدت آليات وبرامج متقدمة لرعاية المسنين في العديد من الدول منها:

أ- بدأت معظم البلدان المتقدمة بوضع تنسيق خطط وطنية راسخة بشأن الشيخوخة من التطور في وضع القوانين والمشاريع الخاصة بكبار السن.

ب- وقد اهتمت البلدان التي تمر اقتصادياتها بمرحلة انتقالية بتقديم الرعاية الصحية وإدخال برامج الرعاية غير المؤسسية والرعاية المنزلية وأقامت عدة بلدان نامية نظاماً صحياً شاملاً كان من شأنها تحسين وتوفير الرعاية وتدريب الاختصاصيين الصحيين المعنيين بطب الشيخوخة.

ج- وفرت عدة بلدان الإسكان لكبار السن خاصة من لا مأوى لهم، وأقامت المرافق السكنية اللازمة للإقامة الطويلة وعززت إمكانية وصول كبار السن إلى ما يرغبونه من أماكن وحرية تحركهم من خلال توفير المواصلات العامة وبأسعار منخفضة.

ح- رفع مستوى الوعي بشأن الشيخوخة حتى قدمت الحكومات معلومات عن الشيخوخة في البرامج التعليمية وفي وسائل الإعلام المختلفة وللإعلان عن تخصيص يوم وطني لكبار السن والاحتفال بالسنة الدولية لكبار السن.

وفي الختام أوصي بالآتي:

- ١- تعزيز دور ومكانة كبار السن بين مختلف الطبقات الاجتماعية في المجتمع عن طريق تكثيف البرامج الإعلامية والثقافية والدينية التي تسهل قبول واحترام كبار السن بشكل عام.
- ٢- العمل على إبقاء كبير السن قدر الإمكان بين أسرته وفي منزله لما لذلك من إيجابية على المسن وعلى أسرته وكذلك دعم الأسر التي تحتضن مسنيها وإظهارها كنماذج قدوة للأسر في رعاية مسنيها ومصدر للفخر والاعتزاز أمام الأجيال الصغيرة.
- ٣- توفير الخدمات العامة والبرامج التي يحتاجها المسنون من مراكز اجتماعية وترفيهية وخدمات صحية.
- ٤- توفير البيئة السكنية المناسبة للمسنين من مسارات حركة تعمل على إيجاد الترابط والتفاعل الاجتماعي تعود على المسنين بالاستمتاع والحيوية والنشاط تجعلها بيئة ملائمة لعيش المسنين.
- ٥- تيسير حركة المسنين بالمدينة من خلال توفير مسارات المشاة المناسبة والطرق الخاصة بشكل يزيد من سهولة وحركة المسنين فيها.

المراجع والمصادر

- ١- إبراهيم العبيدي، علم الشيخوخة الاجتماعي، دار الزهراء للنشر والتوزيع | السعودية، ٢٠٠٣ م.
- ٢- أحمد خاطر، الخدمة الاجتماعية «نظرة تاريخية - مناهج الممارسة - المجالات» المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٧ م.
- ٣- سامي محمد ملحم، علم نفس النمو، دورة حياة الإنسان، دار الفكر، عمان، الأردن، ٢٠٠٢ م.
- ٤- سهير مصطفى. الممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية في مجال رعاية المسنين، مطبعة الأوقست الحديث، القاهرة، مصر، ٢٠٠٠ م.
- ٥- صالح محمد أبوجادو، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠٠٧ م.
- ٦- عبد اللطيف محمد، دراسات في سيكولوجية المسنين، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، بدون تاريخ.
- ٧- فاطمة سالم عبيد، تشريعات وقرارات ليبية تساهم في عملية التحدي الاجتماعي تاريخ الرعاية الاجتماعية في ليبيا، ٢٠١٠ م.
- ٨- كمال يوسف، دراسة مقارنة لسمة الكلفة بين المسنين المقيمين في دور الرعاية أو مع أسرهم دراسة ميدانية عن المسنين في محافظات دمشق وريفها، حمص اللاذقية، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٥ العدد ١، جامعة دمشق ٢٠٠٩ م.
- ٩- محمد الدوماني، الشيخوخة وأثرها في العلاقات الاجتماعية وآلية تفعيلها ورعايتها في المجتمع، مجلة الدراسات الاجتماعية، العدد الأول، ليبيا، ٢٠٠٩ م.
- ١٠- محمد حسن غانم، مشكلات كبار السن، التشخيص والعلاج، فروق نفسية، المكتبة العربية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٤ م.

رصد وتحليل التطور السياسي الدولي وتأثيره على القضايا البحثية في العلوم السياسية

د. نادية عبد الفتاح

مقدمة

التحليل وظهور أدوات بحثية لدراسة
الأجندة البحثية التي صاحبت هذه
الفترة. لهذا استدعت الحاجة البحث
عن آليات منهجية جديدة تملك مقولات
تفسيرية قادرة على استيعاب جملة
التحولات الجذرية قادرة على فهم سمات
السياسة العالمية في صورتها الجديدة.

وعلى جانب آخر بدت الولايات المتحدة
المنتصرة والتي تقود النظام الدولي
بصدد ترويج نموذجها وفرض قيمها
كقيم عالمية وكونية، حتى وصل الأمر

مع تطور دراسة الظاهرة السياسية
تطورت طرق الاقتراب منها، بل كانت
هذه الاقترابات جزءاً من عملية التطور
الفكري الإنساني، حيث استخدمت في
إطار الصراع الفكري بين الأيديولوجيات
التي سادت العالم في القرنين الماضيين.
فقد برزت هذه الاقترابات كأدوات
لترويج أفكار ورؤى هذه الأيديولوجيات.
وقد تواكب هذا مع ظهور العديد من
الدول بعد تحررها من الاستعمار في
قارات العالم كافة وبدأت تبحث لنفسها
عن الشكل والنظام والأيديولوجية التي
تناسبها لبدء مرحلة جديدة.

وبانتهاء الصراع الفكري بنهاية الحرب
الباردة شهدت هذه الاقترابات تغييرات
جديدة كان من أهمها التغير في وحدات

• مدرس العلوم السياسية، معهد البحوث والدراسات الإفريقية/ جامعة القاهرة.

drnadiafattah2000@gmail.com

إلى توصيف النموذج الرأسمالي بأنه نهاية التاريخ، وهو ما أعطى قوة دفع كبيرة للترويج لمفاهيم كالتحول الديمقراطي واقتصاد السوق. وفي هذا الإطار ظهر ما يعرف بـ «الأجندة البحثية»، كأداة جديدة للترويج للنموذج الغربي وقيمه السياسية والاقتصادية والثقافية، ليس هذا وحسب بل كأداة لإخضاع الدول وبسط النفوذ وتحقيق المصالح والأهداف الذاتية.

وقد انتقلت الأجندة البحثية بوحداث التحليل من المستوى الكلي لدراسة الدولة إلى المستوى الجزئي بدراسة موضوعات كالمرأة والطفل والبيئة والإرهاب. وتعددت الآراء بشأن هذه الأجندة وموضوعاتها فهناك من يرى أن هذه الأجندة بتركيزها على تحليل القضايا الجزئية قد مزقت الحقيقة السياسية، وأن فرضها في الواقع قد يؤدي لإحداث فوضى بناء تصب في مصلحة الغرب. بينما يدافع الآخرون عنها باعتبارها استجابة طبيعية للتطور على الساحة السياسية الدولية. من هنا تركّز هذه الدراسة على رصد وتحليل التطور السياسي الدولي وتأثيره على القضايا البحثية في العلوم السياسية، وذلك من خلال النقاط التالية:

أولاً- التطورات السياسية في البيئة الدولية.

ثانياً- تطور القضايا البحثية في عصر العولمة.

ثالثاً- تأثيرات التغيير في القضايا البحثية على مستقبل الدولة في العالم الثالث.

أولاً- التطورات السياسية في البيئة الدولية

لقد مر النظام الدولي بثلاث مراحل رئيسية، فقد اتسم بين ١٨١٥ - ١٩٤٥، بالتعددية القطبية، وإن كانت التنافسية الحادة سمتة الرئيسية. ثم انتقل النظام الدولي بعد الحربين العالميتين إلى النظام ثنائي القطبية في الفترة ١٩٤٥ - ١٩٩٠، ثم تحول بعد سقوط الاتحاد السوفيتي إلى نظام أحادي القطبية، تقوده وتوجهه الولايات المتحدة، وحالياً يشهد النظام الدولي حالة الانتقال إلى تعددية جديدة تتسم بالمرونة والتوافقية.^١

وقد مرت أيديولوجية النظام الدولي التي تشكل إحدى أهم المتغيرات، والتي تحدد عمليات الانتقال من نظام دولي إلى آخر بتغيرات عدة، كان لكل منها تأثيراته على القضايا البحثية في العلوم السياسية. حيث النظام التعددي، الذي يتسم بسيولة ومرونة ومتسع، يضم انتماءات فكرية متنوعة دون جمود أيديولوجي. بينما يتسم النظام الدولي الثنائي بدرجة

عالية من الاستقطاب الأيديولوجي، حيث يستخدم كل قطب بناءه الأيديولوجي كوسيلة لجذب الآخرين نحوه. أما في النظام أحادي القطبية، فهناك أيديولوجية واحدة ترتبط بالدولة العالمية، ويتم فرضها على الآخرين بأساليب شتى، بعضها أيديولوجي الطابع على نحو ما ظهر في ظل العولمة على سبيل المثال.^٢

فعقب تسويات فيينا عام ١٨١٥، سيطرت على النظام الدولي أيديولوجية أوروبية خالصة، مفادها الإغلاء من التفوق الأوروبي وسيادته على الأجناس الأخرى في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، وقدم المفكرون تبريرات علمية وعملية للتوسع الاستعماري واستنزاف موارد الجنوب، لا تقوم فقط على فكرة التمييز العنصري، وإنما كذلك على الاحتياجات البشرية المرتبطة بالزيادة السكانية الكثيفة في أوروبا.^٣

وهكذا، ارتبطت أيديولوجية التفوق والتنافس والتحول الصناعي بالتحول في هيكل وبنيان النظام الدولي إلى دول كبرى متنافسة، تقف على قمته بريطانيا، وفرنسا، والإمبراطورية النمساوية - المجرية، وروسيا، واليابان. وفي بداية القرن التاسع عشر، لحقت الولايات المتحدة الأمريكية بقوة دولية لها وزنها بالدول الأوروبية الكبرى، وإن كانت قد حددت اهتماماتها في السيطرة على أمريكا الوسطى والجنوبية، حيث تبنت فكراً سياسياً مبدأ مونرو عام ١٨٢١، الذي يقضى بعدم تدخلها في الشؤون الدولية فيما وراء المحيط الأطلنطي، مع حماية مجالها الحيوي والاستراتيجي في الأمريكيتين.

ولا شك في أن قيام النظام الدولي على التنافس دون الوفاق كان السبب البنائي في تضارب المصالح القومية وصراعها الحاد، رغبة في بسط مزيد من السيطرة والحصول على أقصى ما يمكن من الموارد المجانية اللازمة للتقدم الصناعي، ومن ثم لمزيد من القوة والسيطرة، مما أدى إلى الوصول إلى درجة أكبر من العناد والتطرف القومي والتنافس.^٤

وهكذا، لم تجتمع هذه الدول المتنافسة على أرضية مشتركة لصيانة النظام الدولي وحفظه عن طريق إنشاء مؤسسات ومنظمات لحل المنازعات والتوفيق بين الأطراف في حالة الخلافات. ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى فيما بين ١٩١٤ - ١٩١٨، والتي مثلت فرصة مواتية للولايات المتحدة لكي تعبر عن توجهها نحو النظام الدولي دون الاقتصار على أمريكا اللاتينية. وتمكن الرئيس ويلسون من إقناع دول أوروبا بإنشاء عصبة الأمم كم المنظمة الأوروبية نخبوية لحل المنازعات وصيانة الأمن. بيد أن هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى أدت إلى تصاعد الاتجاهات القومية المتطرفة فيها، وزادت من اشتعالها

وتوافقها مع مثيلاتها في إيطاليا واليابان. ولم تفلح عصبة الأمم في تحقيق الوفاق الأوروبي، ومن ثم اشتعلت الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ - ١٩٤٥، وهيأت نتائج الحرب الانتقال إلى نظام دولي جديد تسيطر عليه أيديولوجية ونظم قيم مختلفة، كما تغير هيكل النظام الدولي من التعددية الواهنة إلى الثنائية الجامدة.^٥

وفي مجال العلوم السياسية بدأ المحللون وبخاصة منظرو اقتراب النخبة - مع سيادة النظرية الوظيفية التي كان محورها الصراع الطبقي وصعود الفكر الرأسمالي- في نقد ومهاجمة الديمقراطية التعددية التي كان يروج لها الكتاب الليبراليون فقد كان من أبرز الانتقادات التي توجه إلى الديمقراطية التمثيلية هي أن أغلب النظم السياسية التي طبقت هذا النموذج شهدت تدهوراً إلى أن وصلت إلى حكم الأقلية Oligarchy.^٦

وقد عبر عدد من المحللين السياسيين عن التطور الذي شهدته العلوم السياسية حيث ذكروا إن العلوم السياسية ونتيجة للتأثر بالتطورات التي تحدث على الساحة الدولية مرت بمسارين الأول منهاجي والأخر إيديولوجي. والأول ظهر في التحول إلى الدراسات الكمية واستخدام الأرقام والإحصاءات، بينما ظهر الآخر في ظهور اتجاهات أربعة اتخذها المنظرون وعلماء السياسة، والتي تمثلت في الاتجاه الماركسي، منظرو التبعية، منظرو النظام الدولي، وجميعهم استكروا الفصل بين المعرفة والواقع، حيث جعلوا تطور العلوم السياسية مرتبطاً بالصراع الاشتراكي. أما الاتجاه الأخير فيمثلته المحافظون والمحافظة الجدد الذين فضلوا فكرة تراجع دور الدولة والاقتصاد السوقي الحر والسياسة الخارجية البعيدة عن القيم الاشتراكية.^٧

من ثم أدى التغير في أيديولوجية النظام الرأسمالي الدولي وبنياته ووظائفه، تحت تأثير الأزمة المالية العالمية، إلى نظام رأسمالي تلعب الدولة فيه دور المنظم، إلى توري استخدام القوة العسكرية كأداة لتنفيذ السياسة الخارجية، والإعلاء من القوة الناعمة Soft Power في تنفيذ الأهداف الوطنية للدول، وكذلك الأهداف الدولية المتعلقة باستقرار النظامين السياسي والاقتصادي.^٨

فالتحول من النظام الأحادي بقيادة الولايات المتحدة إلى النظام التعددي التوافقي Consensual Multilateral بينها وبين كل من روسيا والاتحاد الأوروبي والصين واليابان الذي يقوم على المشاركة الاختيارية Voluntary Partnership كبديل عملي وواقعي ومرن للمشاركة الإكراهية التي فرضتها الولايات المتحدة في المرحلة

السابقة على بعض الفاعلين الدوليين، خاصة حلفاءها. حيث توسع التجمع الاقتصادي الدولي من مجموعة السبع ليضم عشرين دولة، منها دول من العالم الثالث ودولاً عربية كالمملكة العربية السعودية، والعمل على تطوير الأمم المتحدة، خاصة مجلس الأمن، من حيث التشكيل والاختصاصات حيث يمكن لهذه التعددية التوافقية أن تخلق نظاماً أكثر استقراراً، يقوم على مفهوم أعمق للعدل الإنساني بين الدول، وإلى بنیان مختلف لتوزيع القوى في النظام الدولي.^٩

إن الفكر الذي يتسم به النظام التعددي التوافقي يقوم على نمط جديد من الرأسمالية المنضبطة Regulated Capitalism والذي تتوافق بشأنه الدول الرأسمالية الرئيسية، والدول ذات الاقتصادات المختلطة، وهو نظام يختلف اختلافاً جذرياً عن الرأسمالية الطليقة غير المنضبطة، والتي قادت إلى الانهيار المالي. إن الرأسمالية المنضبطة تتيح للدولة، بل تطلب منها، وضع القواعد والأسس الضرورية لتحديد العلاقات الاقتصادية بين أصحاب المصلحة داخل النظام السياسي Stake Holders، وهي العلاقات التي تحكم دور المؤسسات المالية والبنوك فيما بينها، وتؤكد دور البنوك المركزية في الرقابة المالية والنقدية على شؤون المال والاقتصاد.

ويرتبط بالرأسمالية المنضبطة الاستمرار في الإغلاء من قيم كالديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان كمكتسبات إنسانية لا ترتبط بنظام اقتصادي بعينه، ولكنها تتعلق بوضع المواطن داخل النظام السياسي.

إن التزاوج بين الرأسمالية المنضبطة والديمقراطية الليبرالية يستدعي بالضرورة القضاء على بؤر الصراع الإقليمي التي تقوم على التمييز العنصري، أو تلك التي تقوم على الصراع المذهبي أو الأيديولوجي، والتي أدت إلى فشل الدولة القومية، كما هو الحال في الصومال. إن التعددية التوافقية، التي تعتمد على هيكل وبنیان يجمع بين المتساويين على قمة النظام الدولي، تقتضي توافقاً في المصالح بين الدول الكبرى، وميلاً إلى التفاوض والمساومة والإجماع في مواجهة التفرد الذي ساد في مرحلة القطبية الواحدة. كما تؤدي أيضاً إلى ضرورة ترسيخ دور المنظمات الدولية السياسية والاقتصادية، والعسكرية، والقانونية كما ورد في موثيقها، عكس ما قامت به الولايات المتحدة من توظيفها لخدمة المشروع الأمريكي.^{١٠}

كل ما سبق أدى بدوره إلى تحول وظيفة النظام الدولي الأساسية تارة من سباق التسلح، الردع، إلى مقاومة الإرهاب الدولي ثم إلى التنمية المالية والنقدية والاقتصادية، وهي - أي الأخيرة - لا تتطلب استخدام القوة المسلحة التي كانت السمة الغالبة للنظام الدولي الثنائي بزعماء المعسكرين الشرقي والغربي، أو النظام الفردي تحت إمرة الولايات المتحدة الأمريكية، كما أن النظام الرأسمالي تحول من تحييد وتحجيم دور الدولة إلى اللجوء إليها، باعتبارها المنظم والحكم بين أطراف النظام الرأسمالي في الداخل والخارج.

من ثم وفي الأخير يمكن القول إن آثار تلك المتغيرات الفكرية والأيدلوجية التي تبناها النظام الدولي انعكست على نظم الحكم وعلى نماذج إدارة الاقتصادات في معظم دول العالم خلال النصف الثاني من القرن الماضي، حيث اعتنقت معظم الدول الأفكار اليسارية وانعكس ذلك في التحولات في الفكرين الاقتصادي والسياسي وفي إدارة اقتصاداتها وفي أوضاع نظم الحكم فيها. وفي نفس السياق فإن التحولات السياسية التي أفرزتها نهاية الحرب العالمية الأولى كان من تداعياتها تفكيك الخلافة العثمانية ووضع الدول المنضوية تحت مظلة الخلافة العثمانية تحت سيطرة الدول الغربية المنتصرة.

وتمثل الفترة ما قبل نهاية الحرب العالمية الثانية إخضاع العالم الثالث، أي فترة الاستعمار المباشر، التي استُغلت خلالها وبصفة خاصة الدول الصناعية، موارد دول العالم الثالث وبخاصة في القارة الإفريقية، حيث تراجعت معدلات الإنتاج والدخول، واستفحلت معدلات البطالة، إذ أحدث الكساد أزمة اقتصادية حادة في تلك الدول تمثلت في تراجع الإنتاج وتدهور الدخل وفي استفحال مشكلة البطالة واختلال العلاقة بين الطلب والعرض الكليين.^{١١}

وأصبحت الدول الغربية أكثر نهماً على نهب موارد المستعمرات واستنزافها لمقابلة متطلبات الحربين العالميتين الأولى والثانية.

ومن أهم تداعيات الكساد الكبير وخاصة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، أن اتضح جلياً إنه لا يمكن محاصرة تلك الأزمة في ظل النموذج الاقتصادي والسياسي الليبرالي السائد آنذاك. إذ أن مواجهة تلك الأزمة، خاصة مشكلة البطالة - التي أحدثتها الحرب العالمية كانت تستدعي تدخل الدولة والذي كان يعتبر آنذاك من المحرمات في ظل الفكر الليبرالي.

إذ اتضح عندئذ فشل النموذج الليبرالي وتحولت إدارة الاقتصاد من النظام الليبرالي المرتكز على المفهوم الذي يحصر وظائف الدولة في الشؤون التنظيمية وفي إطار الحد الأدنى: الأمن والقضاء وتحسين العلاقات الخارجية. أما سائر الوظائف الأخرى فكانت - حسب المفهوم الليبرالي - من اختصاصات القطاع الخاص، وكان من المحذور تدخل الدولة في شؤون الإدارة الاقتصادية والاجتماعية، وفق الفكر الليبرالي، وإن قوى السوق وحدها هي التي تقرر ماذا؟ وكيف؟ ولمن ينتج؟ في ظل هذا النموذج الاقتصادي تُحدد الأطر الاقتصادية الكلية والجزئية وتُجرى في إطارها المعاملات في كل القطاعات الاقتصادية والخدمية والإنتاجية.^{١٢}

ترمز نهاية الحرب العالمية الثانية تحولات سياسية هامة فقد شهدت تلك الفترة حصول جل الدول النامية في افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية استقلالها السياسي من الدول الغربية لتبدأ مرحلة جديدة من نماذج الحكم الذاتي. وقد تأثرت الدول النامية، بالتحولات الكبرى التي شهدتها العالم، إذ اندثر الفكر الليبرالي وتطورت في إطاره وظائف الدولة المبررة للتدخل من أجل تحقيق رفاهية المواطنين من خلال التدخل للتنظيم وتفعيل إدارة الاقتصاد.^{١٣}

ويمثل هذا التدخل في قيام الدولة بتوفير السلع والخدمات وتوجيه الإنتاج والاستهلاك وتوزيع الدخل وتصميم برامج الاستخدام الأمثل لموارد البلاد لتحقيق الأهداف الاجتماعية ودعم وتحفيز القطاعات ذات الأسبقية وتعضيدها، واتباع سياسات ائتمانية موجهة لدعم القطاعات ذات الأسبقية.

وتعتبر النماذج الإدارية التي اتبعتها الدول، في إطار تفعيل دور وظائف الدولة في تحقيق الرفاهية لشعوبها من سلبيات تلك الفترة. إذ اعتمدت تلك النماذج على الضوابط الإدارية الكابحة والمقيدة للنشاط الاقتصادي التي لم تعد مواكبة لمتطلبات التطورات التكنولوجية ومقتضيات المنافسة الشرسة التي استبطنتها العولمة الاقتصادية والتجارية. وسوف نرى فيما بعد سلبيات تلك النماذج في إدارة الاقتصاد على قدرة الدول وبخاصة في العالم الثالث في التخلص منها وبالتالي إضعاف قدرتها على مواكبة التطورات الاقتصادية وعلى مواجهة تداعيات العولمة.

فإن استقرار التطورات السياسية والاقتصادية والعلمية العالمية أظهر تعرض الدولة من جراء تلك التحولات إلى أزمت سياسية واقتصادية لامست هويتها وعقيدتها. كما أدت تلك التحولات إلى تهيمشها اقتصادياً وسياسياً في عالم لم يعد يعرف التهميش أو التخلف عن ركب التقدم الحضاري واكتساب القدرة على التعايش مع العالم.

ثانياً- تطور القضايا البحثية في عصر العولمة

سيتم في هذا الجزء رصد التطور في القضايا البحثية نتيجة للتغير في معطيات البيئة الدولية وذلك من خلال رصد التطور المنهجي في فترة القطبية الثنائية، وبعد انتهاء الحرب الباردة وصولاً إلى الأجندة البحثية في عصر العولمة والأحادية القطبية، وذلك على النحو التالي:

١- القضايا البحثية في فترة القطبية الثنائية

كل ما سبق من تحولات أدت إلى التأثير في القضايا البحثية التي اهتمت بها الدراسات السياسية فقد أدت تلك العوامل إلى ظهور منهجية وأطر تحليلية خاصة لدراسة القضايا البحثية التي كانت تهم وتخدم كل مرحلة من مراحل التطور تلك في العلوم السياسية، حيث ساهم الإطار التاريخي والواقع المعاصر لتلك التطورات في ظهور تلك المناهج، مع تراجع القوى التقليدية التي هيمنت على الساحة الدولية، وبروز أنماط جديد لتوازن القوى على الساحة الدولية على نحو ما ظهر في ظل نظام القطبية الثنائية بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي فيما عرف بالقطبية الثنائية، وكان هذا النمط من الصراع عقائدي بين الرأسمالية والشيوعية، وامتد من نهاية الحرب العالمية الأولى حتى بداية التسعينيات فيما عرف بالحرب الباردة.

وقد جند كلا الطرفين كافة قدراته لنشر نظامه وأيديولوجيته وقيمه وبسط نفوذه ومد هيمنته سياسياً وجغرافياً وثقافياً على أكبر مساحة ممكنة على الكرة الأرضية بل وفي الفضاء، وقد كان للنظرية السياسية والمنهجية دور في محاولة الترويج لهاتين الأيديولوجيتين المتصارعتين، بكل ما تحمله من قيم سياسية واقتصادية وثقافية، باعتبار كل واحدة منهما تدافع عن صلاحيتها وأفضليتها.^{١٤}

وقد تواكب هذا مع ظهور العديد من الدول بعد تحررها من الاستعمار في قارات العالم كافة وبدأت تبحث لنفسها عن الشكل والنظام والأيديولوجية التي تناسبها لبدء مرحلة جديدة، وقد انعكس هذا الوضع بالطبع على الأشكال والنظم والأيديولوجيات التي اختارتها هذه الدول الحديثة، لهذا كاد العالم أن يصبح نصفي كرة من الناحية السياسية، إذ انشردت الدول الممزقة «منقسمة» التي أخضعها الاستقطاب الثنائي لموجبات مصالحه، على محور عرضي في الشرق، ومحور طولي في الغرب، فهناك «كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية»، و«الصين الشعبية والصين الوطنية»، ثم «فيتنام الشمالية والجنوبية»، وفي الغرب كان الانشطار على مستوى القارة بأكملها «أوروبا الشرقية وأوروبا الغربية»، ثم على

مستوى الدولة «ألمانيا الشرقية وألمانيا الغربية»، ووصل التقسيم إلى مستوى المدينة فكانت هناك «برلين الشرقية وبرلين الغربية».^{١٥}

ومن معطيات هذه البيئة برزت حاجة ملحة لتطوير مناهج البحث في العلوم السياسية، بل واستحداث اقترابات ومناهج أخرى جديدة أكثر قدرة على فهم هذه الظواهر والإحاطة بها من جانب، واستخدامها للترويج لكلا الأيديولوجيتين المتصارعتين من جانب آخر. وفي هذا الإطار يمكن الإشارة إلى أهم الأطر التحليلية التي تأثرت بجملة هذه المتغيرات، وذلك على النحو التالي:

(١) **البنائية الوظيفية:** ظهر الاقترب البنائي - الوظيفي صياغة وتطبيقاً في علم السياسة على يد أوموند وزملائه، فقد حاول بناء نظرية وظيفية للنظم السياسية، وطبقوها على مجموعة كبيرة من النظم من قبيل الدليل والتوضيح، وكان من أبرز الإسهامات في هذا الشأن محاولة إيستون في بناء نظرية عامة للنظم السياسية ومحاولات أوموند توضيحها من خلال اقتراب «المدخلات - المخرجات»، ومحاولات بلوندل تقديم اقتراب بنائي - وظيفي للحكومات، وقيام ميتشيل بتطبيق أفكار تالكوت بارسونز على النظام السياسي الأمريكي.

حيث شهد حقل العلوم السياسية تطوراً ملحوظاً في أعقاب الحرب العالمية الثانية عجزت معه العلوم السياسية بمناهجها التقليدية عن استيعابه والإحاطة بمختلف الظواهر السياسية الجديدة المصاحبة له، الأمر الذي برزت معه حاجة ملحة لتطوير مناهج البحث في هذا الفرع من أفرع العلوم الاجتماعية، بل واستحداث اقترابات ومناهج أخرى جديدة أكثر قدرة على فهم هذه الظواهر والإحاطة بها.

لقد كان اقتراب التحليل النظمي أحد أهم هذه الاقترابات المستحدثة في نطاق الدراسات السياسية التي بدأ في التبلور والظهور مع منتصف الخمسينيات. والحقيقة أن إدخال مفهوم تحليل النظم إلى نطاق دراسة الظواهر السياسية جاء متأخراً. كما لم يكن ذلك بطريقة مباشرة، بل جاء من خلال علماء الاجتماع من أمثال «بارسونز» Parsons، و«هومانز» Hommans وغيرهم الذين قاموا بتطوير مفهوم النظام الاجتماعي، ومن خلالهم تمكن عدد لا بأس به من علماء السياسة - السالف ذكرهم - من تطوير واستخدام اقتراب النظم في الدراسات السياسية.^{١٦}

ويعد النموذج الذي قدمه إيستون في هذا السياق واحداً من الأطر التحليلية التي ذاعت بعد الحرب العالمية الثانية، وارتبطت بالفكر الغربي وبالذات الفكر الأمريكي، حيث كان

يتم الترويج للرأسمالية وخصوصاً في شقها السياسي من خلاله باعتباره نموذجاً مثالياً.^{١٧}

ويرجع الفضل الأول في تطوير وإدخال اقتراب التحليل النظامي إلى حقل العلوم السياسية إلى عالم السياسة الأمريكي «ايستون»، ومن هنا لم يكن غريباً أن يطلق بعض دارسي العلوم السياسية على اقتراب التحليل النظامي «اقتراب ايستون». جاء تطوير ايستون لاقتراب تحليل النظم في علم السياسة تدريجياً وعلى مراحل.^{١٨}

ففي عام ١٩٥٢، نشر اللبنات الأولى لمفهوم «النظام السياسي» في كتابه Political system، والتي تطورت بصورة واضحة في مقالته العلمية المنشورة بمجلة «World Politics» عام ١٩٥٦، وبصورة أكثر وضوحاً في كتابه A system Analysis of Political Life الصادرة عام ١٩٦٥. والذي يرى فيه ايستون وجوب تبسيط الحياة السياسية المعقدة المركبة، والنظر إليها تحليلياً على أساس آلي منطقي على أنها مجموعة من التفاعلات التي تتم في إطار النظام السياسي من ناحية، وبينه وبين بيئته من ناحية أخرى. فوفقاً لاقتراب النظم، تميل المجتمعات والجماعات إلى أن تكون كيانات مستمرة نسبياً تعمل في إطار بيئة أشمل.^{١٩}

هذه الكيانات يمكن نعتها بصفة النظام نظراً لأنها تمثل مجموعة من العناصر أو المتغيرات المتداخلة وذات الاعتماد المتبادل فيما بينها، والتي يمكن تحديدها وقياسها. هذه الكيانات لها أيضاً حدود مميزة تفصلها عن بيئاتها، فضلاً عن أن كل منها يميل إلى الحفاظ على ذاته من خلال مجموعة من العمليات المختلفة، خاصة عندما يتعرض للاضطراب سواء من داخل أو خارج حدوده مع بيئته الأوسع.

يؤكد ايستون أن فكرة النظم كإطار تحليل بما تتضمنه من علاقات ومفاهيم نظرية لها دلالات تطبيقية، ومن ثم فهي تمثل نقطة بداية حقيقية في تطوير الدراسات السياسية. هذا الإطار التحليلي للنظام السياسي في أبسط صوره كما يراه ايستون لا يعدو أن يكون دائرة متكاملة ذات طابع ديناميكي من التفاعلات السياسية الموجهة بصفة أساسية نحو التخصيص السلطوي للقيم في المجتمع. تبدأ هذه الدائرة الديناميكية بالمدخلات وتنتهي بالمخرجات، وتقوم عملية التغذية الاسترجاعية بالربط بين نقطتي البداية والنهاية، أي بين المدخلات والمخرجات.^{٢٠}

وقد أقام ايستون إطاره التحليلي للنظام السياسي على مجموعة من «الفروض» التي تقوم بدورها على مجموعة من المفاهيم المتعلقة بمجموعة من المتغيرات السياسية الهامة

التي توضح الخصائص الرئيسية للنظام السياسي والتي كان من أهمها: ^{٢١}

- ١- النظام هو وحدة التحليل، وهو كل يتكون من أجزاء ويكون حصيلة التفاعل بين وحدات معينة مترابطة ومتفاعلة.
- ٢- النظام السياسي لا يعيش في فراغ وإنما يعيش في بيئة يؤثر فيها وتتأثر فيه.
- ٣- التفاعل بين وحدات النظام أو بين النظام والبيئة المحيطة به يصل إلى درجة الاعتماد المتبادل، بمعنى أن أفعال أي وحدة تؤثر على باقي الوحدات، وأن التغير في البيئة يؤثر على النظام، وأن أفعال النظام تؤثر في البيئة.
- ٤- المثل الأعلى أو الغاية النهائية لأي نظام هو البقاء والاستمرار، أي أن النظام يعمل من أجل بقائه واستمراره.

(٢) اقتراب الطبقة: تعرض اقتراب النظم لعدد من الانتقادات والتي كان من أهمها عدم تحديد مفهوم النظام ومن ثم صعوبة قياسه إجرائياً، استحالة وضع فروض التي تقبل الاختيار، وتحيزه لفكرة ثبات الوضع القائم؛ فاستقرار النظام وبقائه هو بمثابة الغاية والهدف لمنظريه، وهنا يبدو الاقتراب غير صالح لتناول النظم السياسية في فترة الحراك أو التغيير الثوري، وبالتالي هي لا تتواءم مع العالم الذي يتغير. ^{٢٢}

من ثم ظهر اقتراب الطبقة كرد فعل على الملاحظات التي وردت على اقتراب تحليل النظم الذي بدا متأثراً بالفكر الغربي ومروجاً لنموذجه السياسي، وجاء تعبيراً عن اتجاهات أخرى تهتم بأصحاب صناعة القرار في المجتمع، كالطبقة والنخبة والجماعة، وتعود الجذور الفكرية التي استمد منها هذا الاقتراب مقولاته إلى أفكار كارل ماركس ومدرسته ظهرت خلال القرن التاسع عشر، والتي نوهت إلى أثر التركيب الاقتصادي الاجتماعي على النظام السياسي، واهتمت بالتفسير المادي للتاريخ. ^{٢٣}

فيرى أنصار هذا الاتجاه إن دراسة التركيب الطبقي في المجتمع ذات أثر بالغ في توجيه سياسات التنمية والتخطيط المركزية، أو رسم خريطة لحركة القوى الاجتماعية والتنبؤ بلحظات الصدام الحتمية في المجتمع الرأسمالي. إلا أن تعريف مفهوم الطبقة الاجتماعية يبقى إشكالياً من حيث الأساس النظري المستند إليه، أو الاستخدام الوظيفي للمصطلح وبناء التوجهات انطلاقاً من ذلك، فتتأبعت التحديتات والانتقادات لمفهوم المادية التاريخية الماركسي- والذي يعد أساس التحليل الطبقي كما سبق الذكر- من حراك أساسي هو تطور المجتمعات الرأسمالية وتبدل أنظمة العلاقات الدولية وتضرع

العلوم الإنسانية قياساً بشمولية المفهوم الأساس، وما لذلك من أثر على فهم التكوين الطبقي والعلاقات القائمة داخل مجتمع معين أو في علاقة المجتمعات بعضها البعض.^{٢٤}

ومن المقولات النظرية التي قدمها منظرو الطبقة لدراسة الظواهر السياسية أن الظاهرة السياسية محل الدراسة تعيش في إطار مجتمعي تؤثر فيه وتتأثر به، من ثم لا يجوز دراستها دون دراسة جوانبها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية أي دراستها بشكل شامل أي عند دراسة الظاهرة لا بد من إعطاء صورة كاملة للمجتمع. أيضاً إن الظاهرة السياسية في حالة حراك دائم مدفوعة بالعوامل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية- ويعد هذا نقد ورؤية بديلة لمنهاج تحليل النظم. وأن محور التفاعل بين الطبقات المختلفة هو فكرة الصراع والاستغلال، فتاريخياً هناك أنواع من الطبقات في المجتمع والتي تتمثل في: الطبقة العليا (البرجوازية الكبرى) هي التي تمتلك أدوات ووسائل الإنتاج الصناعية والزراعية والتجارية، وهي تملك ولا تعمل وتحتها برجوازية صغيرة أو متوسطة، والطبقة الوسطى وهي بين الطبقتين، وأخيراً طبقة البروليتاريا أو العمال.^{٢٥}

ويعتبر هذا الاقتراب أن العلاقات بين هذه الطبقات هي علاقة استغلال مستمر لحين حدوث مجموعة من العوامل تؤدي إلى حراك، تواجه الطبقة المسيطرة بعدم الاستجابة، بما يستلزم الثورة على رأس المال، وبالتالي حتمية الثورة على الطبقة العليا والقضاء عليها، وظهور نظام اشتراكي جديد تهيمن فيه الطبقة العاملة بديلاً عن النظام الرأسمالي.^{٢٦}

لهذا بحسب هذا الاقتراب يجب مشاهدة التقسيم الطبقي والتفاعلات بين الطبقات والاستغلال الذي يؤدي إلى انتهاء النظم بسبب الثورة على الظلم وعدم العدالة، ويلاحظ أنه تم إدخال مفهوم العدالة أي الثورة على الاستغلال في حين أن التحليل الطبقي قائم على الاستغلال وليس له علاقة بالعدالة.^{٢٧}

وتعرض هذا المنظور بدوره إلى مراجعات وانتقادات كان من أهمها أنه يقدم لمنظور مثالي ولم يكن العالم بهذا القدر من الدموية، كما يتضمن هذا الاقتراب على مقولات كبرى بحاجة إلى تفكيك وهذا مرجعه إسهام الفكر الماركسي في نظريات فهم الصراع.

(٣) اقتراب النخبة: ونتيجة للنقد الذي قدم للطبقة جاء اقتراب النخبة في إطار النقد الذاتي للفكر الرأسمالي ما بعد ظهور اقتراب الطبقة المستمد من الفكر الماركسي، وكان بمثابة محاولة من جانب المفكرين في أوروبا للاستفادة من مزايا التحليل الطبقي والانطلاق من مناطق قوته، لتطوير نماذج تحليلية ونظريات في نفس الوقت الذي يتم

فيه الحفاظ على الأبعاد الأيديولوجية والسياسية والمسلمات الخاصة بالنموذج الغربي الرأسمالي، أي أنها أتت في إطار الصراع الأيديولوجي بين الشرق والغرب ومحاولة ترويج القيم والنظم، باستخدام المناهج. ومؤسسا هذا الاقتراب هما موسكا وباريتو، وبدا متأثرين بمحاولة إيجاد بديل لاقتراب الطبقة ومعارضته من جانب، ومن جانب آخر متأثرين بالواقع الذي سيطرت فيه الطبقة الوسطى على البرلمان في إيطاليا- حيث كان موسكا عضواً بالبرلمان الايطالي حتى عام ١٩١٩. ^{٢٨}

وقد ذهب باريتو وموسكا إلى تقسيم المجتمع إلى مجموعات والبحث عن المجموعة صاحبة السيطرة والهيمنة وسموها بالنخبة أو الصفوة أو الطبقة المهيمنة أو المستبدة. ومن ثم فقد اتفقوا مع ماركس على فكرة انقسام المجتمعات واتفقوا أيضاً على علاقة هذه المجموعات ببعضها، وأثرها على النظام السياسي وتطوره، لكن رفض أنصار اقتراب النخبة مفهوم الطبقة كما رفضوا فكرة الوصول إلى المجتمع اللاتبقي الذي تتحقق فيه المساواة عبر الصراع بين الطبقات، وكذلك فإنهم يرون أن مفهوم الطبقة الحاكمة واسع جداً وغير واقعي حيث لن نجد مجموعة بهذا الحجم تكون قادرة على ممارسة السلطة على نحو فعال، ومن ثم فإن أنصار النخبة ينظرون إلى الماركسية كإيديولوجية أكثر منها إطاراً تحليلياً موضوعياً ملائماً لتحليل الظواهر في العلوم الاجتماعية لهذا رأوا أن كل المجتمعات تنقسم إلى مجموعتين رئيسيتين هما أقلية حاكمة وأغلبية محكومة، والسلطة تمارس دائماً من قبل مجموعة صغيرة متماسكة من النخبة. ^{٢٩}

٢- القضايا البحثية بعد انتهاء الحرب الباردة

بعد تناول بعض الأطر التحليلية التي تناولت الظاهرة السياسية أو دراسة الدولة والسلطة والتفاعلات الداخلية خلال الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية، والتي تأثرت بثورة العلم وحسم السياسة كعلم أمبريقي من جانب وكذلك بالواقع الدولي والقوى المؤثرة فيه أيديولوجياً وسياسياً واقتصادياً وثقافياً من جانب ثان، تجدر الإشارة إلى أن هذه العوامل أيضاً قد ألقت بظلالها على الأطر التحليلية التي حاولت تفسير الظواهر السياسية في إطار التفاعلات الخارجية بين القوى الفاعلة على المستوى الدولي.

فقدماً ظهرت المدرسة المثالية التي استمدت أفكارها من حركة التنوير في القرن الثامن عشر، والحركة الليبرالية في القرن التاسع عشر، التي ركزت على ما يجب أن تكون عليه العلاقات على المستوى الدولي وليس ما هو كائن حيث رفض أنصارها مفاهيم توازن القوى وسباق التسلح. ثم تأثرت الأطر التحليلية بالاقتراب المؤسسي الذي ركز على

الاتفاقيات بين الفاعلين الدوليين باعتبارها الطريق إلى تحقيق السلام العالمي، الذي يمر عبر إجراءات قانونية محددة، إلا أن هذا الاقتراب انهار بانتهاء عصبة الأمم وفشلها في تحقيق السلام العالمي.^{٢٠}

وفي ضوء هذا الفشل بجانب ظهور القطبية الثنائية والصراع على الساحة الدولية، الذي اتخذ أبعاداً وصوراً مختلفة فيما أطلق عليه مرحلة الحرب الباردة برزت المدرسة الواقعية، وقد سيطرت هذه المدرسة على تحليل ودراسة العلاقات الدولية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، وقامت على مفاهيم ثلاث أساسية هي: القوة، وتوازن القوى، والمصلحة الوطنية؛ لتحض بذلك الاتجاه المثالي في دراسة العلاقات الدولية الذي سيطر في أعقاب الحرب العالمية الأولى وقيام عصبة الأمم التي اعتبرها البعض إرهابات الحكومة العالمية التي طالما دعى إليها مفكري التيار المثالي.^{٢١}

وقد ظهر مفهوم المصلحة الوطنية في إطار فكرة التأثير والتأثر في العلاقات الدولية، ويعد أهم مُنظري هذا الاقتراب هو نوسنترلين، الذي قدم إطاراً تحليلياً ينطلق من الدوافع وراء القرارات التي تأخذها الدولة في علاقاتها الدولية وفي المدرسة الواقعية بجانب اقتراب القوة واقترب المصلحة الوطنية، ظهرت اتجاهات جديدة تستعين بالأساليب الكمية لدراسة الظواهر السياسية أمثال نظرية المباريات لتحليل العلاقات الدولية لكن باستخدام أسلوب اقتصادي كمي.^{٢٢}

ويمكن إبداء بعض الملاحظات على هذه المرحلة التي تمتد حتى نهاية الحرب الباردة في الآتي:

١- إن هذه الأطر التحليلية تأثرت بحسم علم السياسة أمره كعلم تجريبي، الذي تأثر بدوره بالثورة العلمية في العلوم الأخرى.

٢- أن الأطر التحليلية قد تأثرت بالتحويلات الكبرى على الساحة الدولية بصورة كبيرة كما كانت أداة في الترويج للأيديولوجيتين المتصارعتين.

٣- أن الأطر التحليلية خلال هذه المرحلة قد تناولت الظواهر السياسية في إطار كلي، كالمصلحة الوطنية، ووظيفة النظام، أو تقييمه، أو الطبقة أو النخبة... وغيرها.

٤- إن دول الجنوب تسير وراء الغرب في استخدام هذه الأطر التحليلية على الرغم من أن بعضها لم يكن يصلح لهذه البيئة، فالجنوب ليس له إسهام فعلي في هذا الإطار حيث يعد مستقبل ومتأثر فقط.

٣- الأجندة البحثية في عصر العولمة

تعتبر العولمة من أهم وأخطر التحولات التي شهدتها العالم بعد الحرب العالمية الثانية - وتعمقت ذيولها وتحدياتها خلال الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي. إذ يوضح الاستقرار لتطورات العولمة وتداعياتها من جوانبها السياسية والاقتصادية والثقافية إنها تحمل آثاراً سلبية للدول النامية الفقيرة في العالم الثالث كما اصطلح عليه.^{٣٣}

لقد كرست العولمة مفاهيم الرأسمالية الغربية خاصة بعد زوال الثنائية القطبية بانهيار الاتحاد السوفيتي، وبرزت الولايات المتحدة الأمريكية مع حلفائها كقوة سياسية واقتصادية وعسكرية أحادية في ظل النظام الدولي الجديد، مستغلة المنظمات الدولية، مثل مؤسستي بريتون وودز، ومنظمة التجارة العالمية ومنظمات ووكالات الأمم المتحدة لتمارس من خلالها نفوذها، وسيطرتها على دول العالم خاصة دول العالم الثالث.^{٣٤}

وقد استندت الولايات المتحدة على قوتها الاقتصادية والعسكرية في سيطرتها وهيمنتها على العالم. وبذلك غيرت العولمة كثيراً من المفاهيم المنظمة للعلاقات الدولية، التي سادت إبان الحرب الباردة وما قبلها. ونتيجة لتداعيات العولمة وما استبطنتها من إفرازات يواجهها العالم اليوم تطورات اقتصادية وسياسية وعسكرية وثقافية متسارعة نابعة عن إزالة الحدود الجغرافية والحواجز الاقتصادية والثقافية بين الدول، فتعرضت بعض الحضارات البشرية للتهديم، وأصبحت أسواق العالم ساحة للمنافسة الحادة بين المؤسسات الاقتصادية العملاقة العابرة للقارات. وصار البقاء في ذلك العالم للأقوى اقتصادياً ولمن استطاعوا السيطرة على زمام المعرفة والتكنولوجيا الحديثة.^{٣٥}

إن معطيات العولمة في مرحلة ما بعد الحرب الباردة قامت على الاستفادة الاقتصادية والسياسية والثقافية للدول الكبرى على حساب الدول الأخرى، خاصة دول العالم الثالث. فالاستفادة الاقتصادية للعولمة قامت على إزالة الحواجز الجغرافية بين الدول لتتيح حرية الحركة للسلع ورؤوس الأموال والعملات والخدمات المالية والمهنية بين الدول دون قيود إدارية أو جمركية أو عوائق سيادية، ودون تدخل من السلطات الوطنية إلا بالقدر الذي تسمح به قواعد اتفاقيات منظمة التجارة العالمية لتفصح المجال للشركات العملاقة للسيطرة على الأسواق العالمية وتسمح لإنتاج مصانع الدول الصناعية سهولة غزو أسواق دول العالم الثالث. وتعتبر منظمة التجارة العالمية الآلية المؤسسية لمراقبة تنفيذ قواعد اتفاقيات متعددة الأطراف، والتي تم التفاوض حولها في دورات متعددة أهمها جولات أوروغواي ومراكش ثم الدوحة.^{٣٦}

لذا نجد المؤسسات الكبرى في الدول الرأسمالية تتجه نحو الاندماج لتكوين كيانات عملاقة عابرة القارات لرفع قدراتها المالية التي تمكنها من امتلاك زمام المبادرة عن طريق التكنولوجيا الحديثة. وانحصرت الاستفادة من العولمة في الدول الصناعية الغربية واليابان وبعض الدول المصنفة بدول الأسواق الناشئة، حيث فقد التبادل التجاري بين المجتمعات إطاره الإنساني وقيمه التنافسية، وتحول التعامل التنافسي في تلك المجالات إلى منافسة جائرة تتسم بالظلم والغبن الاجتماعي، وعدم العدالة في الفرص المتاحة وتوسع الفجوة التقنية والمعلوماتية بين الدول الصناعية الغنية ودول العالم الثالث الفقيرة. لذا أثار الوضع تخوف دول العالم الثالث الفقيرة وبعض المنظمات الدولية المعنية بحقوق الإنسان والقضايا الاجتماعية والإنسانية.^{٢٧}

وباستثناء دول قليلة جداً، مثل ماليزيا واندونيسيا، فإن جميع الدول لم تستفد من الجوانب الموجبة للعولمة، بل أدت العولمة إلى تدهور أوضاعها نتيجة لتراجع فرص العمل وارتفاع معدلات البطالة وأصبحت حياة الطبقات الضعيفة أقل أماناً إذ فقدوا القدرة على التعايش مع الواقع الجديد الذي فرضته العولمة الاقتصادية. كما ساءت حياتهم السياسية بتدهور النظم الديمقراطية والتعدي على ثقافتهم.^{٢٨}

وبهذه الصورة لم تفشل العولمة في ترقية النمو وتخفيض الفقر فحسب، بل عمقت الفقر وعدم الاستقرار. فقد صارت العولمة كارثة للدول النامية ومصدر عدم استقرار سياسي للدول المتقدمة. فالدول النامية تقاسي من مآسي التدهور الاقتصادي والاجتماعي، كما إن الدول الغنية تواجه التحولات السياسية التي يقودها فقراؤها والطبقات الوسطى.^{٢٩}

وقد انعكس هذا الوضع على القضايا البحثية في العلوم السياسية، فمع نهاية الحرب الباردة وانهايار الاتحاد السوفيتي وظهور الولايات المتحدة كقوة عظمى وحيدة على الساحة الدولية، وسيادة نموذجها استدعت الحاجة البحث عن آليات منهجية جديدة، تملك مقولات تفسيرية قادرة على استيعاب جملة التحولات الجذرية وقادرة على فهم سمات السياسة العالمية في صورتها الجديدة، ومن ثم فقد بدأ النقاش في الأوساط الأكاديمية متمحوراً حول المرونة المفاهيمية: أي إيجاد مفاهيم جديدة قابلة للتكيف مع التحولات

العميقة على الساحة الدولية، وتصميم مقاربات نظرية لتفسير المستجدات والمفاهيم، والحقيقة أن هذا الحوار أشبه بالنقاش الذي دار حول المرونة المنهجية بعد نهاية الحرب العالمية الثانية في ظل المحاورنة التنظيرية بين المدرستين السلوكية والواقعية.

وعلى جانب آخر بدت الولايات المتحدة المنتصرة والمتفوقة عالمياً، التي تقود النظام الدولي برمته وتوجهه أنها بصدد ترويج نموذجها وفرض قيمها كقيم عالمية وكونية، حتى وصل الأمر إلى توصيف النموذج الرأسمالي بأنه نهاية التاريخ؛ أي لن يأتي نموذج آخر ليصارعه أو يهزمه، وهو ما أعطى قوة دفع كبيرة للترويج لمفاهيم كالتحول الديمقراطي واقتصاد السوق وغيرها من المفاهيم التي ارتبطت بالعولمة وجوانبها المختلفة.^{٤٠}

وفى هذا الإطار ظهر ما يعرف بـ «الأجندة البحثية»، كأداة جديدة للترويج للنموذج الغربي وقيمه السياسية والاقتصادية والثقافية، ليس هذا وحسب بل كأداة لإخضاع الدول وبسط النفوذ وتحقيق المصالح والأهداف الذاتية. ويلاحظ على هذه الأجندة ما يلي:

١- إن الأجندة البحثية انتقلت بوحدة التحليل من المستوى الوحدات التحليلية الكلية للنظام السياسي والمصلحة الوطنية إلى المستوى الجزئي ودراسة موضوعات كالمرأة والطفل والبيئة والإرهاب.

٢- إن التمويل الغربي للبحث العلمي كلية قد انصرف تجاه موضوعات هذه الأجندة، ومن ثم انصب الإنتاج الفكري في كافة فروع العلوم السياسية على هذه الموضوعات، فكل الباحثين وكل الكتابات قد انصرفت إلى تناول هذه القضايا.^{٤١}

٣- وقد ساهم ذلك في الترويج لهذه الأجندة، وفرضها فرضاً على المجتمعات، في إطار فرض النموذج الرأسمالي وتأكيد استمراريته وصلاحيته دون غيره.

وبهذا التطور جاز للبعض القول أنه لم يعد في مجال الدراسات السياسية مناهج، وإن دراسة هذه الموضوعات والقضايا الجزئية يتم باستخدام أدوات تحليل كمية.

ثالثاً- تأثيرات التغيير في القضايا البحثية على مستقبل الدولة في العالم الثالث

هناك من يرى أن هذه الأجندة بتركيزها على تحليل القضايا الجزئية قد مزقت الحقيقة السياسية، وأن فرضها في الواقع يؤدي لإحداث فوضى بناءة تصب في مصلحة الغرب. ولكن كيف يكون ذلك؟ بداية يمكن القول أن التركيز على القضايا الجزئية كقضية التحول الديمقراطي تخدم النخبة داخل مجتمعات العالم الثالث، لأن النخبة هي التي تملك أدوات المنافسة في الانتخابات من حيث اهتمامها بالمشاركة السياسية وقدرتها على التنظيم، فالشخص العادي في هذه الدول غير مهتم بالقضايا المرتبطة بالتحول الديمقراطي، وفي الغالب الأعم فإن هذه النخب لديها صلة ومصالح وثيقة بالرأسمالية العالمية.

على جانب ثان، فإن الآليات والسياسات المرتبطة ببرامج التكيف الهيكلي تصب في صالح الأغنياء على حساب الفقراء، فالخصخصة وبيع القطاع العام ورفع الدعم والتخلي عن التزام الدولة بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية، كلها سياسات تصب في صالح الأغنياء على حساب الفقراء.

وبناءً عليه، فإن النخبة تكون قد جمعت السلطة السياسية والثروة الاقتصادية، والأغلبية قد ضاعت حقوقها السياسية والاجتماعية والاقتصادية. وهذا حتماً يفرض صراعاً بين هذه النخبة والأغلبية الساحقة.

وعلى جانب ثالث، فإن الغرب يبدو غير مستعد لهذا الصراع، وغير مستعد لتحمل تكاليفه، لهذا يتم توجيه الصراع بين النخبة والأغلبية، إلى الصراع بين الأغلبية فيما بينها، بالضغط عبر هذه الأجندة على قضايا جزئية تمثل نقاط ضعف في بنية هذه المجتمعات، كحقوق الأقليات سواء الدينية أو الإثنية أو الثقافية، وحقوق الإنسان، وحقوق المرأة، وحقوق الطفل وغيرها من الظواهر والقضايا التي تتناولها الأجندة التي يروجها الغرب، ومن هنا ظهر مفهوم الجماعات المهمشة، الذي ظهر أول ما ظهر مع قضية دارفور وجنوب السودان. وأخيراً فإنه يمكن القول أن الغرب أراد من وراء ذلك تحقيق الآتي:

١- أن تتصارع الأغلبية فيما بينها ويتحول الصراع بعيداً عن النخبة لأنها جزء من الرأسمالية العالمية وأداة لتحقيق أهداف الغرب، ونصل في النهاية إلى الفوضى الخلاقة التي تمزق هذه الكيانات لمصلحة الغرب الاقتصادية بالأساس.

٢- ألا تصل قوة معادية له للسلطة في هذه البلدان لأن الغرب لديه اعتقاد راسخ بأن

- حدوث تحول حقيقي في هذه المجتمعات سيكون معادياً له، فالانتخابات الحقيقية تأتي بوطنيين ضد مصالح الولايات المتحدة والغرب. وثبت أن الشركات المتعددة الجنسية تستفيد أكثر في ظروف الحروب والصراعات المحلية، لهذا من صحتها إثارة الفوضى داخل هذه الكيانات.
- ٣- تمزيق القوى المعادية له وفيما يخص الدول العربية فهذه استراتيجية تخدم الكيان الصهيوني والغرب في آن واحد.
- ٤- محاربة كل القوى المعادية له حيث من لا يستجيب لمعطيات هذه الأجندة يدخل في دائرة الإرهاب وغيرها من الاتهامات.
- ٥- أنها جاءت في إطار انتصار المعسكر الغربي الذي يسعى لفرض هيمنته على العالم والترويج لقيمه بغض النظر عن احترام خصوصيات الشعوب لهذا صاحب فرضها والترويج لها حالة من عدم الاستقرار.
- ٦- أن الضغط على الدول عبر فرض هذه الأجندة خاصة في إفريقيا وبعض دول العالم الثالث أدى إلى اهتزازات عميقة في تركيبة هذه المجتمعات، التي تعاني في الأساس من مشكلات كبرى متعلقة بهشاشة بنيتها الاجتماعية والثقافية، ومن ثم لم تساهم في علاج المشكلات بل عمقتها.

في الختام لا يسعنا القول إلا أن الأجندة الغربية هي أدوات جديدة للتدخل في شؤون الدول والانتقاص من سيادتها ونهب ثرواتها وتبديد مصادرها بما يجعلها في خدمة مشروع الهيمنة الأمريكي الكبير، وإفريقيا -على سبيل المثال- لديها تاريخ طويل من الاستغلال والتهميش والإهمال من جانب القوى الكبرى. وللأسف تستخدم مؤسسات العمل الدولي في خدمة هذا المشروع بفرض هذه الأجندة على الدول بل ومعاقبة بعضها وتقويض نظمها ومحاصرتها تحت ادعاءات انتهاكات متعلقة بموضوعات هذه الأجندة بوجه حق ودون وجه حق أحياناً.

الهوامش

١- بطرس بطرس غالي، د. محمود خيرى عيس، مدخل في علم السياسة (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة السابعة، ١٩٨٩)، ص ٣١٦.

2- See Stephan Haggard and Beth A. Simmons, "Theories of international regimes", International Organization (Cambridge: World Peace Foundation and the Massachusetts Institute of Technology, vol. 41, no. 3, Summer 1987), pp. 500-505.

Frans J Schuurman

Frans J Schuurman, *Globalization and Development Studies: Challenges for the 21st Century* (the Netherlands: frans schuurman, 2001), pp. 33-35.

٢- للمزيد انظر:

Roger Masters, "World Politics in a Primitive World System", in James Rosenau (ed.), *International Politics and Foreign Policy*, (New York, The Free Press, 1969), pp. 109-110.
4- *Ibid*, p. 112.

٥- للمزيد في هذا الصدد:

Nathan caplan, Andrea Morrison and R. staubough, the use of social science knowledge in policy decisions at national level (Ann arbor, Michigan: institute for social research, 1975), p. 45.

٦- أمثال ميلز الذي تحدث عن الطبقة الحاكمة ويمكن القول إنه من بين الإنجازات التي قدمها الفكر الاشتراكي علمياً تشريحه لظاهرة السلطة في المجتمعات الطبقية، وكشفها للثام عن الطبقات الاجتماعية التي تسيطر عليها. حيث تقرر النظرية الماركسية أن السلطة في المجتمع الطبقي تهيم عليها الطبقات الاجتماعية التي تسيطر على أدوات الإنتاج في المجتمع. وهذه الطبقات عن طريق هذه السيطرة تضع التنظيم القانوني الذي يكفل لها الحفاظ على مصالحها الطبقية، وتبتدع نسقاً من الأفكار والتقاليد والعادات. غير أن هذا التحليل العلمي الواقعي لفكرة السلطة وتطبيقها في المجتمعات الطبقية، لم يرض المفكرين اليمينيين الذين حرصوا على نقده وتفنيد، وقدموا بدلاً عنه فكرة «النخبة» أو «الصفوة». ومقتضاها أنه في كل مجتمع إنساني، وبغض النظر عن قيود الزمان أو المكان، ينقسم المجتمع إلى طبقتين: طبقة الحاكمين (وهم الأقلية) وطبقة المحكومين (وهم الأغلبية). وصاغ الفكر اليميني علي يد عدد من كبار علمائه، مثل عالم الاجتماع الإيطالي «باريتو»، الذي كان سندا بتعاليمه ومواقفه للنظام الفاشي، و«موسكا»، و«ميلز»، و«بيرنهام»، عدة نظريات حاولوا فيها أن يقدموا أفكارهم عن طبقة «الصفوة» في المجتمع: سماتها وتكوينها وكيفية تغيرها، وأسباب هذا التغير. ويمكن القول أن نظريات الصفوة - بالرغم من تعددها إنما تعبر عن أيديولوجية الطبقة الوسطى، وتظهر رغبتها العارمة في السيطرة على الحكم. للمزيد انظر:

See Hans Kastendiek, "Political Development and Political Science in West Germany", *International Political Science Review* (London: International Political Science Association, vol. 8, no. 1, January 1987), pp. 29-32.

٧- ظهرت العديد من الكتابات التي تبرر وجهات نظر كل مجموعة، ومع كل مجموعة ظهرت وحدات تحليل للدراسة اتسمت بالكلية دعا كل طرف فيها لمنهاجه ومفاهيم تتناسب مع الأيديولوجية التي يروج لها. في هذا الصدد انظر:

Gabriel A. Almond, "Separate Tables: Schools and Sects in Political Science Source", *Political Science and Politics* (New York: American Political Science Association, Vol. 21, No. 4, Autumn 1988), pp. 830-837.

8- See Albert Bergesen, "The Class Structure of the World System. " In William R. Thompson (ed.), *Contending Approaches to World systems* (Beverly Hills: Sage Publications, 1980), pp. 25-29.

And,

Michael Haas, "A Functional Approach to International Organization". in: James

- Rosenau (ed.), international politics and foreign policy (New York: the free press, 1995), pp. 42-49.
- 9- Ibid, p. 55.
- 10- Abdul-Monem Al-Mashat, National Security in the Third World, Westview Press, Colorado, 1985), pp. 44-46.
- 11- Michael Haas, op. cit., p. 55.
- 12- Albert Bergesen, "The Class..", op. cit., pp. 35-37.
- 13- Idem.
- 14- Gabriel A. Almond, "Separate Tables...", op. cit, p. 833.
- 15- Jean-Paul Azam, "looting and conflict between ethno-regional groups lessons for state formation in Africa", Journal of Conflict Resolution (vol. 46 no. 1, February 2002) pp. 133-136.
- Frank M. Stark, "Theories of Contemporary State Formation in Africa: a Reassessment", The Journal of Modern African Studies (vol. 24, issue 2, June 1986), pp 339-342.
- ١٦- د. كمال المنوفي، أصول النظم السياسية المقارنة (الكويت: شركة الربيعان للنشر والتوزيع، ١٩٨٧) ص ٣٦.
- 17- Wiarda (ed.), New Directions in Comparative Politics (Boulder: west view Press, 1991), p. 52.
- ١٨- المرجع السابق، ص ٣٧.
- 19- David Easton, The Political System: An Inquiry into the State of Political Science (New York: Alfred A. Knopf, 1953). P. 186.
- 20- Ibid, pp. 187-189.
- ٢١ د. فاروق يوسف أحمد، قواعد المنهج العلمي: المناهج والاقترابات والأدوات المنهجية (القاهرة: مكتبة عين شمس، ١٩٨٥) ص ٧١.
- ٢٢ لكن رغم هذه الانتقادات لا يمكن إنكار أن مناهج النظم قد زود السياسة بمفاهيم جديدة، كما أنه يساعد الباحث في جمع وتصنيف المعلومات وعرض نتائج البحث، أضف إلى ذلك أنه لفت الانتباه إلى مشكلات هامة يمكن تناولها بالبحث، مثل أغراض النظام السياسي والوحدات المكونة لهذا النظام وكيفية تفاعل البيئة والنظام مع بعضها البعض. للمزيد حول نقد التحليل النظمي وعلاقته بالفكر الغربي انظر: James W. Moore, "Collective Political Violence in Easton's Political Systems Model", Technical Report (Toronto: Defence R&D Canada, September 2011), pp. 15-18.
- 23- Erik O. Wright (ed.), Approaches to Class Analysis (Cambridge: Cambridge University Press, 2005), pp. 50-52.
- 24- Karl Marx, Capital: A Critique of Political Economy (Moscow, 1974), pp. 30-39.
- And, Nicos Poulantzas, Classes in Contemporary Capitalism (London: Schocken Books, 1978), p. 26.
- 25- Anthony Giddens, Constitution of Society (Berkley and Los Angeles: The University of California Press, 1984), p. 23.
- 26- Ibid, pp. 30-33.
- ٢٧- هناك تفاعل بين هذه الطبقات وداخل كل طبقة بين شرائحها، وحدود فاصلة تمنع الحراك أي الانتقال من طبقة إلى أخرى، وتعد الأرضية التي استمد منها اقتراب الطبقة مقولاته، ورغم أن علم السياسة الغربي ظل رافضاً لاقتراب الطبقة حتى مطلع الستينات تقريباً إلا أنه أصبح مهماً في إطار

- الواقع الذي ربط قضايا التنمية والتحديث بالبناء الاجتماعي والطبقي. للمزيد انظر: Idem.
- 28- Savage, M. & Williams, K, "Elites: remembered in capitalism and forgotten by social sciences", Sociological Review (vol. 56, 2008)pp. 12-16.
- 29- Bottomore, T., Elites and Society (London: Rutledge, 2nd edition, 1993), pp. 60-63.
- 30- Wiarda (ed.), op. cit, pp. 55-57.
- 31- *Ibid*, p. 56.
- 32- Maoz, Z. and N. Abdolali, "Regime Type and International Conflict", Journal of Conflict Resolution (vol. 33, 1989), pp. 9-11.
- And,
- Achen, C., The Statistical Analysis of Quasi-Experiments (Berkeley: University of California Press, 1986), p. 12.
- ٢٢- ثمة اتجاه آخر يرون في العولمة - بالرغم من الجوانب السالبة أعلاه - المتصلة بالأفكار حول الديمقراطية والمجتمع المدني أحدثت تحولاً في طريقة تفكير الشعوب، إلى جانب أن اهتمام الحركات السياسية الدولية ساعدت على العمل في تخفيف أعباء الديون وإبرام اتفاقيات إزالة الألفام، ويواجه هذا الاتجاه انتقادات من قبيل أن الدول المانحة لم توف بالتزاماتها نحو تخفيض الديون لضعف الإرادة السياسية التي تبديها الدول المانحة، وهذا إلى جانب استخدام المعايير المزدوجة والعوامل السياسية في تقديم المساعدات للدول الفقيرة. للمزيد انظر: السيد يسين، «في مفهوم العولم»، في أسامة أمين الخولي (محرر)، العرب والعولمة (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربي، الطبعة الثانية، ١٩٩٧)، ص ١٢.
- ٢٤- عبد الناصر جردات، محمد ضيف الله، قدرتي سليمان مصطفى، «قراءات في العولمة وأثرها على دول وشعوب العالم»، بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الدولي بعنوان عولمة الإدارة في عصر المعرفة (لبنان: جامعة الجنان، ديسمبر ٢٠١٢) ص ٤-٦.
- ٢٥- المرجع السابق، ص ٧.
- ٢٦- د. محسن أحمد الخضيري، العولمة: مقدمة في فكر واقتصاد وإدارة عصر اللا دولة (القاهرة: مجموعة النيل الدولية، ٢٠٠٠) ص ٢٦-٢٨.
- ٢٧- المرجع السابق، ص ٢٥.
- ٢٨- د. محمد رءوف حامد، الوطنية في مواجهة العولمة (القاهرة: دار المعارف، سلسلة إقرأ، ١٩٩٩) ص ٢٤.
- ٢٩- المرجع السابق نفسه.
- 40- Francis Fukuyama, The End of History, at: http://G/Classes/End%20of%20History_files/content_files/Fukuyama_the_end_of_history.htm (1 of 18) 6/20/2003 7: 04: 26 AM.
- 41- Dieter m. imboden, "scientific publishing: the dilemma of research funding organizations", European Review, (UK: Academia Europæa, Vol. 17, No. 1, 2009), pp. 24-26.

التحول بمؤسساتنا لمنظمات متعلمة كأداة لتحقيق ميزة تنافسية مستدامة

أ.ة. عائشة صفرائي • - أ.ة. عائشة بوقليمينة ••



الملخص باللغة العربية

يعتبر التعلم التنظيمي من المفاهيم والمداخل الإدارية الحديثة التي تم تطويرها لتمكين المنظمات الإدارية من البقاء والاستمرار، وتحقيق أهدافها في ظل الظروف البيئية المتغيرة حيث بدأت العديد من المنظمات بتبني مفهوم للمنظمة المتعلمة (Learning org - nization)، والذي يدل على استمرارية تعلم المنظمة ومقدرتها على استخدام الطاقة العقلية أو الفكرية لجميع أفرادها من أجل خلق نوع من العمليات التي تؤدي إلى تحسين أدائها وقد أصبح العالم اليوم في أمس الحاجة إلى التعلم

التنظيمي وإلى ترسيخ مفهومه وإرساء دعائمه. فالتعلم المتواصل هو المصدر للميزة التنافسية المستدامة في بيئة سريعة التغير من أجل زيادة أداء المنظمة. لكن المنظمات لا تستطيع تحقيق ذلك إلا بضمان وجود إطارات بشرية قادرة على التعلم وراغبة فيه، بغض النظر عن مراحلها العمرية، وتكون مسلحة بالقدرة على التكيف الناجح

• أ.ة. عائشة صفرائي: أستاذة مساعدة بجامعة عمار ثلجي بالأغواط قسم علوم التسيير. aicha_alg2008@yahoo.fr

•• أ.ة. عائشة بوقليمينة: أستاذة مساعدة قسم علوم التسيير. Aicha_doct@yahoo.fr

مع المتغيرات البيئية المتجددة، لذا هدفت دراستنا لتبيين مفهوم المنظمات المتعلمة وأهميتها، وكيف تتحول منظماتنا لهذا النوع سعياً منها لامتلاكها مكانة أمام منافسيها وتميزها بتنمية تلك الميزة من خلال تنمية قدرات عاملها في إطار ما يسمى التعلم التنظيمي بتبني أبعاد مختلفة لإدارة المعرفة وتمكين العاملين والتدريب وغير ذلك من الممارسات والبرامج التي تؤدي بها لكسب مكانة والحفاظ عليها.

الكلمات المفتاحية: التعلم التنظيمي، المنظمات المتعلمة، إدارة المعرفة، التمكين، الميزة التنافسية المستدامة.

Abstract

Organizational learning is one of modern management approaches that have been developed to enable organizations permanence and achieve its goals in changing environmental where many organizations began to adopt the concept of learning organization. Which demonstrates the continued learning in the organization and its ability to use intellectual energy to all its members in to improved performance. Organizational learning is a continuous source of sustainable competitive advantage in a rapidly changing environment in order to increase the performance of the organization. But organizations can not only be achieved by ensuring to learn and willing, of all members.

The only sustainable advantage an organization will have in the future is its ability to learn faster than its competitors. This competitive advantage can be achieved by transforming the organization into a learning organization. This article describes the basic elements of a learning organization and how to transform an organization to focus on learning, knowledge and training.

مقدمة

يعد التعلم التنظيمي، من المداخل الحديثة التي تسعى من خلالها المنظمات للبقاء والاستمرار، وتحقيق أهدافها في ظل البيئة المتغيرة باستمرار، فقد أصبح في نهاية القرن السابق ومطلع القرن الحالي، زيادة مطردة وسط المنظمات التي ترغب في زيادة وتعزيز مكانتها في ظل المنافسة، الابتكار، والتجديد، والكفاءة والفاعلية، خاصة المؤسسات العامة، من خلال منح المنظمات المتعلمة للعاملين فيها، إمكانية التعلم المستمر وتحفيزهم على ذلك بخلق أنماط مختلفة من التفكير، مما يساعد على اكتساب المعارف وتبادل الخبرات وتمكين الأفراد، لتحقيق رؤية جماعية وحث العاملين على تنفيذ مهامهم بدقة، وللوصول بالعاملين للمسؤولية الجماعية في اتخاذ القرارات، وبذلك نطرح التساؤل الجوهري التالي:

كيف تتحول مؤسساتنا إلى منظمات متعلمة؟ وكيف لها باستغلال هذا التحول في إطار كسب مكانة أمام منافسيها والحفاظ على استدامتها؟

تتفرع عنه التساؤلات الجوهرية التالية:

- ماذا نقصد بالتعلم التنظيمي وبالمؤسسات المتعلمة؟
- ما مدى أهمية التعلم التنظيمي؟
- ماهي أبعاد التعلم التنظيمي؟
- كيف تتحول مؤسساتنا لمؤسسات متعلمة وتكسب مكانة أمام منافسيها؟

للإجابة عن التساؤلات التالية قسمنا بحثنا للعناصر التالية التي سيتم تناولها كما يلي:

- أولاً: ماهية المنظمات المتعلمة؛
- ثانياً: أبعاد المنظمة المتعلمة؛
- ثالثاً: تحول منظماتنا من تقليدية إلى متعلمة لكسب المكانة، والحفاظ عليها أمام المنافسين؛
- رابعاً: التحديات التي تقابل منظماتنا العربية، والسمات التي يجب توافرها بتلك المنظمات للتحول إلى منظمات متعلمة لكسب المكانة، والحفاظ على استدامتها.

أولاً: ماهية المنظمات المتعلمة: Learning Organization

هناك خلط بين مفهومي التعلم التنظيمي والمنظمات المتعلمة، فهناك من يستخدم مفهوم التعلم التنظيمي، أما مفهوم منظمات التعلم فيركز حوله من خلال استنباط أفكار نافعة من التعلم التنظيمي، أي أن التعلم التنظيمي نشاط وعملية من خلالها تستطيع المنظمة أن تصل إلى مستوى منظمات التعلم.

يرى العديد من الخبراء والباحثين أن الميزة المستدامة الوحيدة للمنظمة هي قدرة المنظمة على التعلم بشكل أسرع من منافسيها في المستقبل من خلال تحولها إلى منظمة متعلمة^١. وبذلك فالمنظمة المتعلمة هي المنظمة التي تعلم وتشجع التعليم بين أعضائها، وتروج تبادل المعلومات بين العاملين، ومن ثم تخلق قوة عمل أكثر معرفة، مما يؤدي إلى خلق منظمة مرنة للغاية، حيث يُقبل العاملين على الأفكار الجديدة ويتكيفون معها ويتبادلونها من خلال رؤية مشتركة^٢.

ويمكن القول أن مصطلح المنظمة المتعلمة يشير إلى: المنظمة التي يمكنها الإستجابة إلى المعلومات الجديدة، وذلك بتغيير وتعديل الأنظمة التي يتم فيها تشغيل وتقييم تلك المعلومات^٣.

كما يُعرفها Senge Peter بأنها: «منظمات يقوم الأفراد فيها باستمرار بالتوسع في استخدام طاقاتهم وقدراتهم لخلق النتائج التي يرغبون فيها، وتكون هناك أنماط جديدة و متميزة للتفكير تنشأ في هذه المنظمات، كما تكون الطموحات غير محدودة كما يستمر الأفراد في التعلم لرؤية الكل معاً»^٤.

أما Pedler et al فيقول: «منظمة التعلم عبارة عن رؤية ما الذي يكن مناسباً، ولا يتأتى ذلك ببساطة ولكن من خلال تدريب الأفراد، ويحدث ذلك كنتيجة للتعلم عند كل المستويات التنظيمية»^٥.

كما يرى Marsick and Wathinks أن منظمات التعلم تتصف بقدرتها على تمكين العاملين، وتشجيع التعلم، والتعاون، والحوار، والاعتراف بالتداخل بين الأفراد والمنظمة والمجتمعات^٦. وينظر Karash للمنظمة المتعلمة على أنها المنظمة التي يعمل العاملون فيها على جميع المستويات الفردية والجماعية لزيادة قدراتهم للوصول إلى النتائج التي يهتمون في الواقع بتحقيقها^٧.

مما سبق يمكننا القول أن المنظمات المتعلمة هي المنظمة التي تشتمل على مستويين متداخلين معاً هما المستوى التنظيمي والمستوى الفردي، وتعتمد لاستخدام التعلم التنظيمي من خلال الاعتماد والاستفادة من الأفكار والإبداع والابتكار والتعلم المستمر من الظروف التنظيمية والمحيطية لتحقيق التميز التنافسي، ذلك أنها منظمات بناء وتشيد للعقول البشرية عالية التميز والاستفادة منها فهي منظمات للخبرة والاستشارة والتي يقاس عليها أنماط الأداء مقارنة بالمنظمات الأخرى.

التعلم التنظيمي: عملية اكتشاف وتصحيح الأخطاء في المنظمات، ويفيد هذا المعنى أن المنظمات تتعلم من خلال الأفراد الذين يعملون بها فهم وكلاء للتغيير فيها، وقد يكونوا قوى ميسرة أو معوقة للأداء وذلك من خلال تفاعلهم مع الأنظمة البيئية، والتي تتكون من عدة عناصر يطلق عليها نظام التعلم التنظيمي^١ Organization learning system.

ويعرف التعلم التنظيمي بأنه قدرة المنظمة على كسب البصيرة والفهم نتيجة للخبرة المكتسبة من خلال التجريب، والملاحظة والتحليل والرغبة في اختبار كل من النجاح والفشل.

الشكل رقم ١:



المصدر المرجع السابق، ص ١٣٢

هناك أربعة مكونات متداخلة ترتبط بعملية تعلم المنظمة هي:
 تحصيل المعرفة، توزيع المعلومات، تفسير المعلومات، الذاكرة التنظيمية.

وقد يشتمل التعلم التنظيمي على نمط مختلف من التعليم يعتمد على مدخل النظم الذي يتم من خلاله تفاعل عناصر النظام (مدخلات وعمليات ومخرجات) مع متغيرات البيئة الخارجية وبذلك تتم عملية تطوير المجال المعرفي للمنظمة من خلال العلاقات بين الممارسة والنتائج وذلك في إطار التأثير البيئي على هذه العلاقات.

هناك نوعان من التعلم التنظيمي هما:

• التعلم المتكيف Adaptive Learning

• والتعلم الخلاق Generative learning

- تتبنى المنظمات في الوقت الراهن فلسفة التعلم المتكيف، والذي يعبر عن المواكبة والمسايرة، غير أن التكيف والمواكبة تمثلان المرحلة الأولى فقط من عملية التعلم، والمنظمات بحاجة إلى التركيز على التعلم الخلاق أو استخدام دائرة مزدوجة من نمطي التعلم الخلاق والمتكيف معاً.

- يؤكد التعلم الخلاق على التجريب المستمر وإرجاع الأثر في عملية اختبار مستمرة لأساليب وطرق تحديد المنظمة للمشكلات والحلول ويتطلب:
تفكير نظامي systematic thinking، رؤية مشتركة shared vision البراعة والتمكن الشخصي personal mastery، تعلم الفرق team learning التوتر الخلاق Creative tension (التمثل في الفجوة بين الرؤية والواقع الحالي)، وهي ما تشكل أبعاد المنظمة المتعلمة.

ثانياً: أبعاد المنظمة المتعلمة

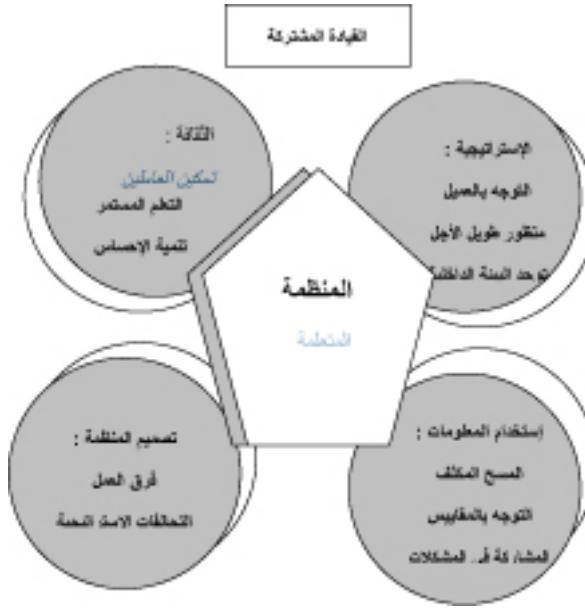
خلق فرص للتعلم الدائم، وتشجيع طرح الأسئلة والحوار، تشجيع المشاركة والتعلم من خلال فرق العمل، وتمكين العاملين نحو رؤية جماعية، وبناء أنظمه لاكتساب واقتسام التعلم، والتحام المنظمة مع البيئة، وتوفير نظم القيادة الاستراتيجية للتعلم. كما يمكننا تعداد خمسة محددات أساسية حسب Peter Senge، وهي بمثابة قواعد ومفاتيح لتحول المنظمات التقليدية لهذا النوع من المنظمات (المنظمة المتعلمة) والمتمثلة في:

- الإبداع الشخصي
- النماذج الفكرية
- الرؤية المشتركة
- تعلم الفريق
- التفكير المنظومي

كما يمكن تعداد أبعادها في الركائز التالية للمنظمة المتعلمة:

تتكون المنظمة المتعلمة من خمس ركائز تتفاعل مع بعضها البعض وهي مبينة في الشكل التالي:

الشكل رقم ٢: ركائز المنظمة المتعلمة



المصدر: هدى صقر، مرجع سبق ذكره، ص ١٤٠

وسنركز هنا على كل من:

القيادة المشتركة Shared Leadership: حيث يتم تشجيع العاملين على

إيجاد طرق جديدة لتطوير المنتجات والخدمات، ولتطوير أساليب جديدة للأداء ولخدمة عملاء المنظمة، إن اقتسام القيادة والمشاركة في اتخاذ القرار تخلق ثقافة تدعم وتساند أهداف وجهود المنظمة المتعلمة بشكل كامل.

الثقافة Culture: تعتبر الثقافة عنصراً مهماً في التأثير على سلوكيات الأفراد، وهي تشير إلى منظومة المعاني والرموز السائدة في التنظيم وتشكل «الافتراضات والقيم الأساسية التي طورها جماعة معينة، من أجل التكيف والتعامل مع المؤثرات الخارجية والداخلية والتي يتم الاتفاق عليها وضرورة تعليمها للعاملين الجدد، وإدراك الأشياء والتفكير بها بطريقة معينة تخدم الأهداف الرسمية»، وبالتالي لا بد من شمولها للثقافات الفرعية، وتشجيعها لتبني الاختلافات بين العاملين أياً كان نوعها، والعمل معاً نحو تحقيق مفهوم المنظمة المتعلمة.

تمكين العاملين Empowerment: ظهر مفهوم التمكين منذ الثمانينيات، ولقي رواجاً في فترة التسعينات نظراً للاهتمام بهذا العنصر من جهة، والانتقال من منظمة التحكم إلى المنظمة الممكنة من جهة خاصة، مع التحولات التي أثرت في منظمات القرن الواحد والعشرين في سباقها نحو التميز وتحقيق الميزة التنافسية، ويعرف التمكين بأنه: «تعزيز قدرات العاملين بحيث يتوافر لديهم ملكة الاجتهاد وإصدار الأحكام والتقدير وحرية التصرف في القضايا التي تواجههم خلال ممارستهم لمهامهم، وكذلك إسهامهم الكامل في القرارات التي تتعلق بأعمالهم» وبالتالي تشجع المنظمة من خلال التمكين عاملها على خلق وتجريب طرق ومداخل جديدة. فالعاملين الذين يتم تمكينهم يسعون دائماً لمواجهة التحديات واقتناص الفرص والاستمرار في التحسين المستمر من أجل تحقيق الفعالية والكفاءة الكلية والربحية.

تنمية الإحساس بالجماعة Community: تنمي المنظمة المتعلمة الإحساس بالجماعة والثقة، فكل فرد يحتاج للعمل مع الآخرين ويحترم الجميع بعضهم البعض، حيث تتسم الجماعة بالقدرة على الاتصال والتعامل الصريح المفتوح الصادق ولا يتم تجنب المشكلات أو تحويلها إلى إدارة أخرى أو تصعيدها إلى أعلى الهيكل التنظيمي.

التعليم والتدريب المستمرين: يعرف التعليم بشكل عام بأنه: «زيادة مقدرة الفرد المتعلم على التفكير المنطقي، وفهم وتفسير المعرفة، من خلال تنمية قدراته العقلية لتكون قادرة على فهم العلاقات المنطقية بين مختلف المتغيرات، وذلك لفهم وتفسير

الظواهر»، فهو بذلك يهدف إلى زيادة المعرفة والثقافة العامة المتعلقة بالبيئة ككل، ومنه التأقلم والتماشي مع التغيرات الحاصلة في البيئة.

إدارة المعرفة: يعد منهج إدارة المعرفة منطلقاً للتعليم التنظيمي، فإدارة المعرفة هي مجموعة الأساليب التي تتبعها المنظمات لتوليد وتداول واستثمار الأصول الفكرية التي تمتلكها، وتعتبر تلك الأساليب مصدر للميزات التنافسية في عصر اقتصاد المعرفة، حيث يتم رصد المعرفة وتفسيرها وإتاحتها ونشرها للعاملين بالمنظمة، وبذلك تنشأ البيئة الصالحة للثقافة التنظيمية المحيية للتعليم، وعلى ذلك فالمنظمة المتعلمة هي تلك التي يتاح للعاملين فيها والمتعاملين معها ظروف تؤدي إلى اكتساب أنماط جديدة من السلوك تنعكس في شكل أداء مختلف، كما تعمل على استثمار المعارف والطاقات لدى الموارد البشرية والحرص على تعزيز العلاقات الإنسانية.

ثالثاً: تحول منظمتنا من تقليدية إلى متعلمة لكسب مكانة والحفاظ عليها أمام المنافسين

إن التحول من منظمة تقليدية إلى متعلمة يعد انتقال وتوجه لفكر إداري جديد واستثمار للموارد البشرية كي تحافظ على البقاء.

التصور لتطبيق مفهوم التعلم التنظيمي:

يشار إلى مفهوم التعلم التنظيمي والمنظمة المتعلمة، بأنه انتقال لفكر إداري جديد تستثمره المنظمات كمنهج للبقاء والاستمرار من خلال إدارة أصولها المعرفية، واستثمار رأس مالها الفكري والمعرفي، والعمل على منح العاملين سمات تجعلهم قادرين على معايشة غزارة المعلومات، وعمليات التغير المستمرة، والتقدم التقني الهائل، بحيث يتعدى دورهم نقل المعرفة للتفاعل بها ومعها، ومنه يمكن حصر هذه المراحل التي تنتقل بها من منظمة تقليدية إلى متعلمة فيما يلي:

المرحلة الأولى: تتم فيها تبني مفهوم المنظمة المتعلمة من خلال تنمية وعي وإدراك القيادات الإدارية بأهمية هذا المفهوم وتبنيه للتحول لمنظمات ذكية.

المرحلة الثانية: التهيئة الثقافية والتنظيمية لتطبيق المفهوم في المنظمة، ومن ثم إعادة صياغة رؤية المؤسسة لإبراز اهتمامها بأن تصبح مؤسسة متعلمة.

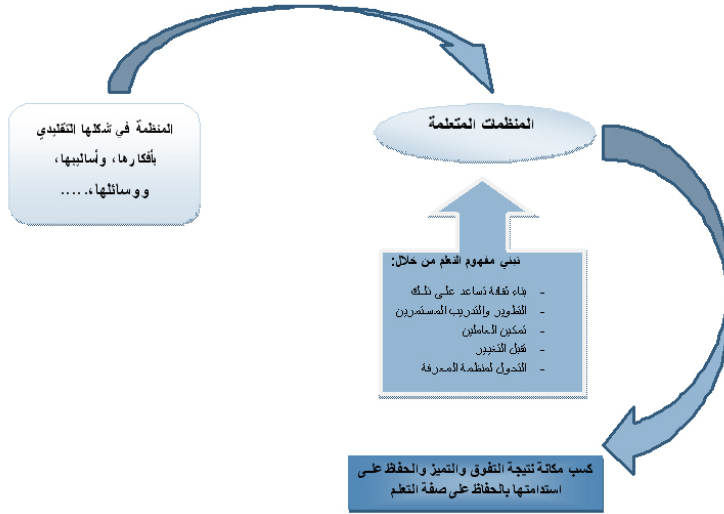
المرحلة الثالثة: خلق اتجاهات ايجابية نحو الوظيفة مما يؤدي إلى تنمية ولاء العاملين

من خلال التدريب الإداري المستمر، وكذا التمكين وتقييم الأداء للوصول بهذا الأخير للتميز وكذا تنمية الإبداع.

المرحلة الرابعة: تحسين الانطباع الذهني وسمعة المنظمة في بيئتها وزيادة قدرتها على الإبداع والتعلم، ويقاس التعلم دورياً من خلال أساليب المسح والاستبيان والمقابلات لإمكان إجراء المقارنات والتركيز على معالجة الأنشطة الأقل إنجازاً.

وفيما يلي شكل يبين العلاقة التي تجمع المنظمات المتعلمة بالميزة التنافسية المستدامة

الشكل رقم ٣: الانتقال من منظمة تقليدية فمتعلمة فكسب مكانة والحفاظ عليها أمام المنافسين



المصدر: من إعداد الباحثين على ضوء ما طرح سابقاً

رابعاً: التحديات التي تقابل منظماتنا العربية، والسمات التي يجب توافرها بتلك المنظمات للتحويل إلى منظمات متعلمة لكسب مكانة والحفاظ على استدامتها

-التطور التكنولوجي الهائل

- الثورة المعلوماتية.

- التوجه نحو الآلة وإن صح القول التكنولوجيا.

- التنافسية من خلال رأس المال الفكري والمعرفي.

- التعدد الثقافي وإدارة التنوع.

- المنافسة الشديدة بين الدول نتيجة الانفتاح.
- المسؤولية الاجتماعية والأخلاقية.
- غياب الوعي من قبل الإدارات بالمفاهيم الإدارية الحديثة وأهميتها كالتمكن والتحفيز الذاتي والتعلم التنظيمي، وإدارة المعرفة وغيرها
- مقاومة التغيير والتطوير.
- عدم التركيز على الأداء والأداء المتميز خاصة.
- غياب ثقافة المنظمة المتعلمة والتعلم التنظيمي وبناء معادل ومخزون الفكر وتبنى منهج إدارة المعرفة.

الهوامش

- 1- Karl M. Kapp, Transforming your manufacturing organization into a learning organization, Business Training Experts, may 1999, vol. 20, Issues 4, p1
- ٢- هدى صقر، المنظمة المتعلمة والتحول من الضعف الإداري إلى التميز في إدارة الأداء الإداري للدولة، المؤتمر السنوي الرابع في الإدارة، دمشق، الجمهورية العربية السورية، تشرين الأول، ٢٠٠٢، ص ١٣٠.
- ٣- المرجع السابق، ص ١٢٠.
- ٤- سيد محمد جاد الرب، الاتجاهات الحديثة في إدارة الأعمال، مطابع الدار الهندسية، مصر، ٢٠٠٩، ص ٥٦٦.
- ٥- المرجع السابق، ص ٥٦٦.
- ٦- كامل محمد الحواجرة، المنظمة المتعلمة والاستعداد التنظيمي المدرك للتغيير الاستراتيجي، مجلة العلوم الإنسانية، السنة السابعة، العدد ٤٥ جانفي ٢٠١٠، ص ٥.
- ٧- المرجع السابق، ص ٥.
- ٨- هدى صقر، مرجع سبق ذكره نقلاً عن:
- ٩- هدى صقر، مرجع سبق ذكره نقلاً عن:
- Egan, T. " Learning Organization Dimensions and Motivation to Transfer Learning Large Firm Information Technology Employees ", University of Minanesota, PHD. v63-08A of Dissertation Abstractes International, 2002, P., 2938.
- 10- Baiyin Yang, Karen E. Watkins, Victoria J. Marsick, The construct of the learning organization: dimensions, measurement, and validation, humain resource development quarterly, vol. 15, no. 1, spring 2004.

١١- محمد قاسم القريوتي، السلوك التنظيمي، ط٥، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، ٢٠٠٩، ص ١٧٢.

١٢- سامر عبد المجيد البشايشة، أثر التمكين الإداري في تعزيز الإبداع التنظيمي لدى العاملين في سلطة منطقة العقبة الاقتصادية الخاصة، المجلة العربية للعلوم الإدارية، المجلد ١٥، عدد ٢، مايو ٢٠٠٨، ص ٢١٦.

- ١٢- سليمان خليل الفارس وآخرون، إدارة الموارد البشرية، ط٦، منشورات جامعة دمشق، كلية الاقتصاد، دمشق، سورية، ٢٠٠٥، ص ١٧٩.
- ١٤- شريف عبد المعطي العربي، أحمد حسن القشلاق، تطوير الأداء في مؤسسات التعليم العالي في ضوء مدخل التعلم التنظيمي وإدارة الجودة الشاملة، المجلة العربية لضمان جودة التعليم الجامعي، العدد ٣، ٢٠٠٩، ص ٩٤.
- ١٥- المرجع السابق، بتصرف، ص ٩٧.

قائمة المراجع

باللغة العربية

- ١- هدى صقر، المنظمة المتعلمة والتحول من الضعف الإداري إلى التميز في إدارة الأداء الإداري للدولة، المؤتمر السنوي الرابع في الإدارة، دمشق، الجمهورية العربية السورية، تشرين الأول، ٢٠٠٢.
- ٢- سيد محمد جاد الرب، الاتجاهات الحديثة في إدارة الأعمال، مطابع الدار الهندسية، مصر، ٢٠٠٩.
- ٣- كامل محمد الحواجرة، المنظمة المتعلمة والاستعداد التنظيمي المدرك للتغيير الاستراتيجي، مجلة العلوم الإنسانية، السنة السابعة، العدد ٤٥ جانفي ٢٠١٠.
- ٤- محمد قاسم القريوتي، السلوك التنظيمي، ط٥، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، ٢٠٠٩.
- ٥- سامر عبد المجيد البشايشة، أثر التمكين الإداري في تعزيز الإبداع التنظيمي لدى العاملين في سلطة منطقة العقبة الاقتصادية الخاصة، المجلة العربية للعلوم الإدارية، المجلد ١٥، عدد ٢، مايو ٢٠٠٨.
- ٦- سليمان خليل الفارس وآخرون، إدارة الموارد البشرية، ط٦، منشورات جامعة دمشق، كلية الاقتصاد، دمشق، سورية، ٢٠٠٥.
- ٧- شريف عبد المعطي العربي، أحمد حسن القشلاق، تطوير الأداء في مؤسسات التعليم العالي في ضوء مدخل التعلم التنظيمي وإدارة الجودة الشاملة، المجلة العربية لضمان جودة التعليم الجامعي، العدد ٣، ٢٠٠٩.

باللغة الأجنبية

- 8- Karl M. Kapp, Transforming your manufacturing organization into a learning organization, Business Training Experts, may 1999, vol. 20, Issues 4.
- 9- Baiyin Yang, Karen E. Watkins, Victoria J. Marsick, The construct of the learning organization: dimensions, measurement, and validation, human resource development quarterly, vol. 15, no. 1, spring 2004.

الأعشاب الطبية ممارسات وتصورات مقاربة أنثروبولوجية بقسنطينة

Medicinal plants practices and representations anthropological Approach in Constantine

أ.ة. يمينة لطرش

وبالتالي بروز ظاهرة الطب البديل والعلاج بالأعشاب الطبية التي شهدتها كل من الدول الغربية والعربية والذي كان يطلق عليها سابقاً بالطب التقليدي (الشعبي). حيث يعتمد عليه ٨٠٪ من سكان البلدان الإفريقية (oms 2002) والطب التقليدي هو مجموعة المعارف والمهارات والممارسات القائمة على النظريات والمعتقدات والخبرات الأصيلة التي تمتلكها مختلف الثقافات التي تستخدم للحفاظ على الصحة والوقاية من الأمراض الجسدية والنفسية أو تشخيصها أو علاجها أو تحسين أحوال المصابين بها ويشمل استخدام النباتات

عرفت البشرية فترات مختلفة لأساليب الطب ابتداءً من استعمال السحر والشعوذة والأعشاب الطبية والمواد الحيوانية، وصولاً إلى المستخلصات الكيميائية والتقنيات الجراحية المتطورة، وبالرغم من المليارات التي صرفت على الطب في السيطرة على كثير من الأمراض، لكن التطور الحضاري السريع وعجز الإنسان عن مجاورة هذه السرعة أدى إلى عدم قدرة الطب للاستجابة الفورية لعلاج الكثير من الأمراض خاصة المزمنة منها، وأمام صعوبة تحمل المرض وعواقبه فهناك لجوء للبحث عن بديل لعلاج،

• ماجستير في الأنثروبولوجيا الثقافية / الجزائر. sonia_psy01@yahoo.fr

والحيوانات والمعالجة الروحية والطرق اليدوية والتمارين التي تطبق مفردة أو بالمشاركة (OMS 2002)، وهو يتباين بتباين البلدان في ممارساته فبعضها يعود بمنافع صحية والبعض محل تساؤل، والطب الشعبي معروف منذ آلاف السنين وأسهم ممارسوه بقسط وافر في تحسين الصحة البشرية ولا سيما مقدمو خدمات الرعاية الأولية على الصعيد المجتمعي والجدير بالذكر أن هذا الطب احتفظ بشعبيته في جميع أنحاء العالم وتشهد كثير من البلدان المتقدمة والنامية زيادة في نسبة تعاطيه منذ التسعينات ففي القرن ١٩ رفضت المعاهد الغربية الاعتراف بالطب التقليدي الأوروبي والصيني والعربي وغيره لكن مع نهاية القرن العشرين ومع ظهور مقاومة المضادات الحيوية وبعض الفيروسات المستعصية أو الأمراض غير قابلة للعلاج عاد للطب التقليدي بعض الاعتراف إلى جانب الطب الحديث في أوروبا مثل الوخز بالإبر والعلاج بالأعشاب، وبظهور العولمة رأى هذا الطب طريقه إلى النور ويبدو ذلك جلياً في وضع منظمة الصحة العالمية عام ٢٠٠٢ استراتيجيتها العالمية للطب التقليدي أو البديل وحتى الآن هناك ٢٥ دولة فقط من أصل ١٩١ دولة من أعضاء منظمة الصحة العالمية وضعت سياسة وطنية لهذا الطب.

الأعشاب الطبية من أكثر أشكال الطب البديل شيوعاً، حيث يوجد على سطح الكرة الأرضية أكثر من ٧٥٠٠٠٠ نبات والقليل منها تم إجراء الأبحاث عليه ودراسته، ويتم التركيز على دراسة مكونات نشطة في النبات بدلاً من دراسة الخواص الطبية لكل نبات. (عبد الباسط ٢٠١٠، ٦٥)

ويعتبر التداوي بالأعشاب من الظواهر العريقة عند العرب منذ قديم الزمان، وكانوا يؤمنون بأنه لا يوجد مرض لا يمكن علاجه بالنباتات، واشتهر العرب في تطوير التداوي بالأعشاب خلال العصور الوسطى، حيث انتشرت أبحاث ومخطوطات مبنية على قواعد قوية إبان العصر الذهبي للطب الإسلامي، وانتشرت شهرة الأطباء العرب عبر العالم مع انتشار الإسلام، خاصة عن طريق الحجاج الذين يفدون إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، فالرقعة العربية باتساعها واعتدال جوها تملك ثروة طبيعية واقتصادية هائلة من الأعشاب الطبية والعطرية استخدمها قدماء المصريين والعرب. ويشهد على ذلك ما دونه في مذكراتهم وموسوعاتهم عن النباتات الطبية، وما يزال تجار الأعشاب يستخدمون موسوعة ابن سينا، ومؤلفات الرازي وابن البيطار وغيرها من كتب العلماء العرب لعلاج المرضى.

في الجزائر ازدادت الاهتمامات بأساليب الطب البديل والعودة إلى الطبيعة لمعالجة الكثير من الأمراض، فالأدوية الحالية تم إنتاجها في عصرنا الحالي فقط، بينما تعامل أجدادنا على مدى عصور كثيرة مع الأعشاب الطبية وغيرها من العلاجات التقليدية، كالحجامة، والرقية الشرعية الطالب^١ لعلاج الأمراض التي كانوا يعانون منها، فلا يوجد أي بيت في الجزائر يخلو من وجود الأعشاب الطبية أو ما يطلق عليها بالعامية «حشاوش^٢ أو دوا عرب» مثل الزعرتر النعناع الشيح الحلبة... ولا يوجد فرد من أفراد مجتمعنا لم يجرب التداوي بالأعشاب، إما مُجبراً على ذلك (الرضيع) أو من تلقاء نفسه أو بناء على نصيحة من أحد أفراد الأسرة أو من خارجها، والمهم هنا هو أن لكل فرد فكرة عن القيمة العلاجية لبعض الأعشاب الطبية، فهذه الأخيرة كانت مقتصرة على عدد قليل من الباعة المعروفين ببيع الأعشاب الطبية المستخدمة لأغراض العلاج أو على شكل عقاقير تستعمل كتوابل وبهارات في الأسواق الأسبوعية أو على الأرصفة أو في بعض المحلات... ولكن الآن ظهرت بشكل جديد سواء في أماكن بيعها أو في شكلها.

وأصبح اليوم التداوي بالأعشاب ظاهرة رائجة في مجتمعنا، لكنها لم تأخذ حجمها الحقيقي بسبب عدم الاعتراف بها (طب بديل) ولا يزال المئات من أطباء الأعشاب ينشطون من دون ترخيص أو اعتماد قانوني، رغم الإقبال الشعبي الذي يحظى به هذا النوع من الطب، والإقبال المتزايد للجزائريين على اختلاف مستوياتهم وفئاتهم للخضوع إلى العلاج الطبيعي بدلاً من الكيميائي وحسب بعض المختصين في هذا المجال فإن طب الأعشاب يسعى حالياً إلى النسخ على منوال ما فعله الطب الشعبي في الجزائر منذ عشرات السنين، خصوصاً وأن المهنة توارثها الكثير أباً عن جد، كما انتسب إليها كوكبة من الأطباء والدارسين، وأن التداوي بالأعشاب في الجزائر لم يرق بعد إلى صناعة رائجة، لكن خلال العشرية الأخيرة وتحت تأثير الفضائيات وكثرة الحديث عن الطب البديل، بدأت تلوح مؤشرات انتعاش، رغم تداخل غياب الكفاءات بنقص أهل الاختصاص. وذلك من خلال ظهور المحلات التي تختص في بيع الأعشاب الطبية حيث أصبحت تعرف تصاعداً كبيراً وهذا حسب الإحصائيات المتوفرة لدى المركز الوطني للسجل التجاري نهاية ٢٠٠٩: ١٩٢٦ تاجر مختصاً في بيع الأعشاب الطبية (منهم ١٣٩٢ تاجرًا يملكون محلاً تجارياً قاراً و ٥٣ تاجرًا متنقلاً عبر الأسواق والأرصفة) تحتل العاصمة المرتبة الأولى بـ ١٩٩ محلاً تليها ولاية سطيف بـ ١٠٧ محل وبشار ١٠٠ محل وكذلك الوادي بـ ٦٠^٣.

في مدينة قسنطينة وفي الآونة الأخيرة انتشرت وبشكل ملفت للانتباه محلات لبيع

الأعشاب الطبية بأشكال مختلفة خام (أوراق، بذور، جذور...) على هيئة كبسولات أو أقراص، صبغات، مستخلصات، شاي عشبي، مراهم... وغيرها كما كثر في الأسواق الوصفات الشعبية الموجودة في أكياس بلاستيكية أو علب كل واحدة منها مكتوب عليها وصفة للعلاج، حيث بلغ عدد المحلات (شخص طبيعى) ٦١ محل، و٦٤ مؤسسة (شخص معنوي) من ماي ١٩٩٧ إلى فيفري ٢٠١١، إضافة إلى ذلك الإقبال الكبير للمواطنين على هذه المحلات والأسواق.

فهذا اللجوء والإقبال الكبير على الأعشاب الطبية والارتفاع المتزايد لأماكن بيعها والتداوي بها وظهورها بأشكال جديدة وانتساب عدد كبير من الأشخاص لممارسة هذه الظاهرة سواء العلاج أو التجارة جعلنا نتساءل:

من هم الأشخاص الذين يتعاملون مع الأعشاب الطبية ويستعملونها وأهم الممارسات التي يقومون بها؟

ماهي التفسيرات التي تقدم لهذا الانتشار الواسع لأماكن تواجد الأعشاب الطبية، والإقبال الكبير للمواطنين عليها؟

وهي أسئلة نتوقع الإجابة عنها في تناولنا لهذا الموضوع، من خلال التعرف على:

- أنماط الأشخاص الذين يبيعون ويعالجون بالأعشاب الطبية وتصنيفهم حسب مستوياتهم، وأماكن تواجدهم سواء في الأرصفة، الأسواق، المحلات.
- الأشخاص الأكثر إقبالا على الأعشاب الطبية ومستوياتهم الاجتماعية والثقافية.
- أهم الممارسات التي يقومون بها سواء البيع، كيفية التشخيص، طرق العلاج بالأعشاب الطبية وكيفية التعامل معها.
- الأسباب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية وغيرها التي أدت إلى اللجوء إلى الأعشاب الطبية.

أهداف الدراسة

لكل دراسة أهداف حتى تكون ذات قيمة علمية فهي محركات البحث التي يهدف الباحث الوصول إليها وتهدف دراستنا إلى التعرف على ظاهرة اجتماعية انتشرت في الآونة الأخيرة في المجتمع الجزائري عموماً ومدينة قسنطينة خصوصاً «ظاهرة الرجوع إلى

الأعشاب الطبية»، أو ما يُطلق عليه حديثاً مصطلح «الطب البديل»، وهناك اختلاف حول هذا النمط من العلاج بين مؤيِّدٍ له معترف بفعاليتها، ومعارضٍ يَتهِمُه بالقصور وبالتخلف عن مواكبة الأبحاث والاكتشافات العلميَّة الحديثة وأهدافنا من هذه الدراسة معرفة حقيقة هذه الظاهرة، مصادرها ومجالاتها وذلك من خلال:

- الاهتمام بتفاصيل الممارسات العلاجية من حيث مواد العلاج وطبيعة الأمراض التي تعالجها.

- الاهتمام بتصورات الأشخاص عن الأعشاب الطبية.

- وصف وكشف جوانب هذه الظاهرة.

أدوات جمع البيانات: تعد عملية جمع البيانات من أهم خطوات أي باحث للحصول على المعلومات، فالأعمال الميدانية من أجل الاقتراب من الخصائص الأنثروبولوجية لفئات المجتمع المدروس تفرض على الباحث أن يتسلح بتقنيات ومناهج علمية (مولاي الحاج ٢٠٠٢، ٢٧)، وطبيعة الموضوع هي التي تفرض علينا الأدوات المستخدمة لتحقيق الأهداف وتقصي الحقائق، سنقوم بمقاربة أنثروبولوجية من خلال إبراز أهم ممارسات وتصورات الأعشاب الطبية، وبما أن دراستنا تعتمد على الوصف لذا اعتمدنا على الأدوات التالية:

٢.١. الملاحظة: واحدة من أشهر الأدوات المستعملة في البحوث الأنثروبولوجية، وتعد أداة هامة في جمع المعلومات، وهي منهج يتركز على وصف التفاصيل الدقيقة لحياة الجماعة والوحدة محل الدراسة.

وفي دراستنا هذه اعتمدنا على الملاحظة خصوصاً عند نزولنا للميدان لأول مرة وذلك من خلال ملاحظة أماكن تواجد الأعشاب الطبية، مدى إقبال الناس على هذه الأماكن، وكذلك من خلال قيامنا بالمقابلة كنا في نفس الوقت نقوم بملاحظة سلوك المبحوث، كذلك سلوك المقبلين على الأعشاب الطبية، طريقة الحوار، وفي الحالات التي لم يسمح لنا بإجراء مقابلة كنا نقف داخل المحل أو أمام أماكن تواجد الأعشاب الطبية ونلاحظ الأعشاب الموجودة، أشكالها، استعمالاتها، أسعارها، سواء المكتوبة أمام العشبة (الاستعمال والأسعار) أو من خلال الحوار الذي يدور بين بائع الأعشاب أو صاحب المحل والمقبلين على الأعشاب الطبية، وكيفية وضعها، وكذلك الملاحظة في قاعات الانتظار

للأطباء، في الحافلات، المراكز التجارية (كنا نلاحظ الناس الذين يتحدثون على الأعشاب الطبية) فحسب مالمينوفسكي على الباحث أن يصف بدقة كيفية إنجاز ملاحظاته في الميدان خصوصاً كيف كانت بدايته (Malinowski 1989, 59)، فالملاحظة سمحت لنا بجمع المادة الإثنوغرافية من ميدان الدراسة، وساعدتنا في معرفة واقع الظاهرة التي تناولناها ووصفها بدقة، فهي من أهم الأدوات المستخدمة في البحث الأنثروبولوجي، فاستخدامنا لهذه الأداة سمح لنا من استكشاف بعض جوانب الظاهرة المدروسة ووصفها.

٢.٢. الملاحظة بالمشاركة: إلى جانب الملاحظة اعتمدنا على الملاحظة بالمشاركة من خلال معاشتنا لمجتمع الدراسة والفرق بينهما الأولى الباحث كملاحظ مراقب لمجتمع البحث، أما الثانية فالباحث يكون عضو وملاحظ في مجتمع البحث ويشارك في نشاطاتهم، فالملاحظة بالمشاركة باعتبارها مشاركة في الوقائع، وليس السعي إلى تكميم المعطيات الإثنوغرافية، فقد تابعتنا باهتمام ممارسات وتصورات مجتمع البحث وكان الاتصال بهم مباشرة، مما يتيح فرصة التعرف على السلوك الفعلي للفرد في صورته الطبيعية التلقائية كما هو في الواقع حيث قمنا بعدة زيارات لمجتمع البحث نلاحظ فيها السلوكيات التي تصدر عن الأشخاص المرضى ومرافقيهم أثناء تواجدهم في أماكن البيع والعلاج بالأعشاب الطبية، وملاحظة سلوكيات المعالجين وبائعي الأعشاب الطبية وطريقة عملهم وأساليب خطابهم وكذلك اللغة والرموز والأدوات المستعملة، فترى مادلين غراويز (Madeleine Grawitz) أن الملاحظة بالمشاركة تعني أن يكون الملاحظ مشاركاً، أي يجب أن يكون مقبولاً حتى يستطيع أن يندمج في الجماعة إلى حد أن ينسى دوره كملاحظ، ولكن يبقى حاضراً كفرد ما، وأكثر من ذلك فالملاحظة بالمشاركة لا تتطلب الشعور بالانتماء إلى الجماعة المدروسة، وإنما مشاركة هذه الجماعة في نشاطاتهم اليومية. وعلى الباحث أن يتقيد بالملاحظة بالمشاركة حتى يستطيع الحصول على المعطيات التي تخدم الهدف العلمي لدراسته. إلا أن البحث الميداني يؤدي بالباحث إلى أن يقوم بدورين: قد يكون ملاحظاً مشاركاً أو يكون مشاركاً ملاحظاً (مولاي الحاج ٢٠٠٢، ٢٧)، ونحن في دراستنا هذه كنا قمنا بدور الملاحظ المشارك وذلك من خلال تواجدها داخل محلات الأعشاب الطبية حيث نلاحظ ونسمع ونسأل ونتحدث حول كل جوانب حياة المبحوثين، وممارساتهم وتصوراتهم. فلم نقدم أنفسنا على أساس بائعة أو معالجة بالأعشاب الطبية ولم نخضع للعلاج بل مرات فقط اضطربنا أن نكون كمشتري، وكنا نلاحظ كيفية تواجد الأعشاب سواء الموجودة في الرصيف أو الأسواق، أو المحلات، أشكالها، طريقة وضعها،

نظرة الناس إليها ولاحظنا حتى كيفية اختيار الناس للمحلات، ملاحظة الأشخاص في الأسواق كمشتريّة أو متجولة ومرات أفصح عن هويتنا للبائع ونجلس معه وهو يبيع ويستقبل الزبائن، ونفس الشيء بالنسبة للأرصفة فمنهم من رفض التعامل معنا فاستعملنا الملاحظة فقط، لكن هناك من تقبلوا وجودنا معهم، أما بالنسبة للمحلات قمنا بتوطيد علاقتنا مع بعض بائعي ومعالجين بالأعشاب الطبية ففي البداية لم يسمحوا لنا بالحضور معهم، لكن من خلال المحاولات العديدة التي قمنا بها من أجل السماح لنا بالتواجد معهم وبعد كسب ثقتهم سمحوا لنا بذلك لفترة طويلة ففهمنا طالت مدة البحث فإن الباحث الانثروبولوجي لن يستطيع أن يقدم صورة دقيقة مفصلة عن المجتمع ما لم يضع نفسه في موضع يستطيع معه أن يوطد علاقات الصداقة والألفة مع أهالي ذلك المجتمع، وحتى يتمكن من متابعة حياة الجماعة ونشاطها اليومي داخل المجتمع (بريتشارد ١٩٧٤، ١٠٤) مما سمح لنا بمراقبة سلوكهم، وممارساتهم في التعامل مع الأعشاب الطبية سواء في كيفية تخزينها، في أشكالها، أماكن وضعها وترتيبها وغيرها، طريقة العلاج، طريقة التعامل مع المقبلين على الأعشاب الطبية (الزبائن الذين أتوا للشراء فقط، والمرضى منهم من أتوا للعلاج ومنهم من أتوا للاستفسار)، وكذلك مراقبة سلوك المقبلين على الأعشاب الطبية، ومعرفة مستوياتهم الاجتماعية والثقافية من خلال حوارهم مع البائع أو المعالج بالأعشاب الطبية، فالملاحظة بالمشاركة ساعدتنا في جمع المادة الإثنوغرافية من الميدان ووصف أهم جوانب هذه الظاهرة.

٢.٣. المقابلات نصف موجهة: في بحثنا هذا استعملنا المقابلة نصف موجهة (entretien semi directif) لأنها تهدف إلى السير في اتجاه واضح وبأقل توجيه وضبط للأسئلة مع المحافظة على حرية التعبير والبحث عن الأسئلة التي توجه الحوار لتجنب الخروج عن الموضوع، وهذه المقابلات كانت مع:

• المعالجين بالأعشاب الطبية وبائعيها (les herboristes): وقسمناهم في بحثنا هذا على النحو التالي:

- عشائين مختصين في العلاج بالأعشاب الطبية (لديهم تكوين في طب الأعشاب)
- عشائين يمارسون العلاج بالأعشاب الطبية بالخبرة والتجربة
- عشائين يمارسون العلاج بالأعشاب الطبية عن طريق الوراثة
- بائعو الأعشاب الطبية دون العلاج.

- المقبلين على الأعشاب الطبية (مستعملي الأعشاب، والمرتابين على فضاءات اقتناء الأعشاب محلات مثلاً) ذووا مستويات اجتماعية وثقافية وتعليمية مختلفة:

وكانت لنا معهم مقابلات فردية، وكذلك مقابلات جماعية وذلك خلال تواجدها في أماكن البيع والعلاج بالأعشاب الطبية، وتتميز المقابلات الجماعية عن الفردية بعدة مميزات أهمها المقابلات الجماعية تساعد بصفة خاصة في توضيح مدى اتفاق الحاضرين في المجموعة نفسها، كما تساعد على زيادة معدل الاستجابة طريق إثارة الحمية وإشغال المنافسة بين المشاركين، مما قد يساعد بدوره في التحقق من صحة الآراء والبيانات التي تم الحصول عليها بطرق أخرى، فينتج عن ذلك تعزيز مصداقية البحث والنتائج المستخلصة منه. (دينسكومب ٢٠٠٨، ٢١٤)

- الأطباء من خلال الدراسة الاستطلاعية وجدنا أن الكثيرين يقولون لا بد من الوُسْطَية بين الطب الحديث وطب الأعشاب فالأول للتشخيص والثاني للعلاج وعليه سنحاول معرفة رأي الأطباء في العلاج بالأعشاب الطبية.

٤. ٢. الإخباريون Informateurs: الإخباريون يعتبرون المصدر الرئيسي للحصول على المادة الإثنوغرافية وهم أشخاص ينتمون إلى المجتمع المحلي وغالباً ما تكون معرفتهم عميقة بجانب أو أكثر من جوانب الثقافة وتعين علينا أيضاً الاعتماد على فئات عمرية وجنسية وتعليمية واجتماعية مختلفة مع التركيز بصورة أو بأخرى على عدد من الإخباريين الذين يتوفر لديهم الوقت والرغبة في المحادثة، فحسب «جبريك بايلي» يحتاج الباحث إلى مساعدة الإخباريين وباختلافات قريهم واهتمامهم بالظاهرة موضوع البحث تعاملنا مع ثلاث إخباريين.

٢. التصوير الفوتوغرافي: وذلك من خلال أخذ صور لأماكن تواجد الأعشاب الطبية في الأرصفة، الأسواق، المحلات، المكتبات، لكن في المعارض لم نستطع لأن المسئول عن جناح الأعشاب الطبية رفض ذلك، لتوضيح أشكالها وطرق تقديمها.

٦. ٢. آلة تسجيل magnétophone: استعملنا في بحثنا هذا آلة تسجيل بعد أخذ الإذن من الأشخاص الذين سمحوا لنا بإجراء مقابلات معهم، فحسب Olivier de Sardan طلب الإذن بالتسجيل من قبل الأشخاص قبل استعمال آلة التسجيل وتوضيح وشرح لهم أن استعمال هذا التسجيل يكون سري ولا يستمع له أحد وبعد الانتهاء من استعماله يمحاه (De

07, Sardan s. d.,) وكان لنا تسجيل للمقابلات الفردية وكذلك الجماعية التي أجريناها مع عينة البحث.

نستخلص من هذه الدراسة أن الانثروبولوجيا الطبية تهتم بدراسة المعتقدات الثقافية والممارسات الاجتماعية المرتبطة بمصدر وفهم إدارة الصحة والمرض، فهي لا تتناول الموضوعات المعنية بفهم الأسباب الشعبية للمرض بل تتضمن النظم الرسمية للرعاية الصحية المنتشرة عالمياً مثل التطبيب الذاتي والمعالجون الشعبيون والشامانية والقابلات وممارسي الطب البديل، وأصحاب المهن الطبية التي تعتمد على العلم الغربي والاهتمام بالموضوعات التي تتعلق بالرؤى الثقافية المختلفة للذات في الصحة والمرض والمعتقدات المشتركة والصور والممارسات المرتبطة بالتعرف على الجسم البشري، ومن بين اهتماماتها الطب البديل الذي له عدة مرادفات منها الطب المُكَمَّل، الطب الموازي، الطب الطبيعي، الطب المقارن الأصيل، الأخضر، الطب الشعبي، والطب التقليدي، رغم أن هناك فرق بين هذين المصطلحين الأخيرين (الطب الشعبي، والطب التقليدي) والطب البديل، فهذا الأخير امتداد لهما والطب الشعبي أو التقليدي سلسلة طويلة من المحاولة والخطأ يعتمد على تراكم خبرات وتجارب ومهارات وممارسات منتشرة لدى شعب من الشعوب، ووصفات شعبية متوارثة يتداولها الناس بالملاحظة والتقليد، ومتفاوتة بتفاوت الثقافات التي ترمي إلى الوقاية من الأمراض ومعالجتها وشفاء المرضى والقضاء على العامل المسبب للمرض، وعبارة عن موروث ثقافي انتقل عبر الأجيال، تنوعت ممارساته بحسب تنوع الممارسين له، وبحسب بلدانهم، والخاصية الأبرز له ارتباطه الوثيق بالمعتقدات الشعبية لدى الناس في كل بلد من بلدان العالم ومحلي أي يمارس من قبل أفراد المجتمع الأصلي وهو نوعين علاجات شعبية طبيعية منها الكي والحجامة التجبير والتدليك حسب ثقافة كل مجتمع، علاجات شعبية دينية سحرية مثل الرقية، الأحجبة، زيارة الأضرحة والأولياء وغيرها، ويختلف حتى في المجتمع الواحد من منطقة إلى أخرى. أما الطب البديل هو مجموعة من الممارسات الشعبية المبنية على أساس علمي وفدت من ثقافات أخرى أي غير محلية، ويرى رواده أنه مكمل للطب رغم اعتراض بعض الأطباء عليه، يعتمد في علاجه على الوسائل الطبيعية كالأعشاب الطبية، العلاج بالطاقة الموجودة في جسم الإنسان، الإبر الصينية والحجامة، ولا يعتمد إجراء العمليات الجراحية ضمن اختصاصه، ويربط بين جسم الإنسان وفكره وروحه ومحيطه ويعتمد في شفاء المريض في حث القدرات النفسية والجسدية والروحية لدى المريض، واللجوء

إلى وسائل الطبيعة الخام كالشمس والهواء والماء والمعادن والأعشاب، ورفع الطاقة في جسم الإنسان وتوجيهها نحو تحقيق الشفاء لأنها محور الجسم إذا انخفضت مرض وإذا ارتفعت امتثل للشفاء. إذن هو المعتقدات والممارسات العلاجية الشعبية لمختلف البلدان التي أصبحت طرق علاجية حديثة مبنية على أساس علمي أثبتت نجاعتها في علاج بعض الأمراض وشفائها بشكل جزئي أو كامل، يحلّ محل الجراحة والأشعة والعلاج الكيميائي والأدوية المصنعة التي يوصي بها الطب الحديث.

ومن أكثر فروع الطب البديل استخداماً وانتشاراً طب الأعشاب الذي ازدهر خلال الأعوام العشرة المنصرمة بشكل ملفت للانتباه، فالأعشاب أو جوهر الطبيعة كما شاء البعض أن يسميها، تجتذب البشر منذ الأزل، وهذا ما لاحظناه من خلال تاريخ الأعشاب الطبية عبر العالم، فقد كان الأطباء العرب القدماء يؤمنون بأنه لا يوجد مرض لا يمكن علاجه بالنباتات، لذا تعامل أجدادنا مع الأعشاب كمصدر طبيعي وفعال لعلاج الأمراض، وغابت هذه الممارسات العلاجية حقبة من الزمن، لكن في العشرة الأخيرة ظهرت بقوة وذلك من خلال انتشار أماكن البيع والعلاج بالأعشاب الطبية، فلاحظنا من خلال دراستنا هناك عدة أصناف للأعشاب الطبية منها تصنيفها حسب فعلها وتأثيرها في الجسم كالأعشاب الهاضمة، المسكنة، المليئة، الصدرية، أعشاب ذات تأثير هرموني انقباضي وغيرها، حسب أماكن تواجدها ومنها الأعشاب الطبية من الحقول والأحراش، الأعشاب من الحديقة المنزلية، وتصنفها حسب تأثيرها على مختلف أجهزة الجسم. وكان تواجد الأعشاب الطبية في القديم يقتصر على الأسواق وبعض الأرصفة بالإضافة إلى مجموعة من الدكاكين المحدودة التي كان يعرف صاحبها بالعشاب أو لبيع لحشاوش، لكن الآن أصبحت هذه الأعشاب الطبية متواجدة في الأسواق، الأرصفة، المعارض، محلات تشبه الصيدليات، على رفوف المكتبات وحتى في الصيدليات، كما أن لهذه الأعشاب عدة أشكال توجد في صورتها الخام أو المجفف أو على هيئة كبسولات أو أقراص أو في صورة سائلة، خلطات وتركيبات عشبية يمكن أن تباع بمفردها أو في صورة مركبات (أكثر من نوع عشبي). وتعتمد جودة أي نوع من التحضيرات العشبية على جودة العشب الخام الذي صُنعت منه هذه التحضيرات المختلفة، المراهم والدهانات، التركيبات العسلية وغيرها، وهناك عدة طرق لاستعمال وتحضير الأعشاب الطبية حددت حسب ثقافة المجتمع منها: النقيع، المستحلب، عصير وشراب الأعشاب الطبية، التبخير، مراهم، زيوت، غسول، كريمات وغيرها. واستخدام الأعشاب الطبية أصبح منافساً قوياً للعلاج بالأدوية المحضرة

في المختبرات ومصانع الأدوية، والمعالج بالأعشاب شأنه شأن الطبيب الذي يكتب وصفة الدواء، فكلاهما يعتمد بدرجة رئيسية على دقة تشخيص العلة التي يشكو منها المريض فالطبيب يعتمد في وصفاته على الرصيد العلمي الذي تلقاه من خلال دراسته في كلية الطب، والخبير المعالج بالأعشاب الطبية يعتمد في وصفاته على رصيده من الخبرات المتراكمة التي كلما زادت كان لوصفاته أثر أكبر في الشفاء، وكثير من هؤلاء المعالجين بالأعشاب تمرسوا في مهنتهم بالوراثة أو التجارب وقراءة الكتب القديمة التي تضع وصفات طبية للعلاج مكونة ومركبة من الأعشاب أو غيرها من المواد العضوية وغير العضوية، ومنهم من كان له تكوين في العلاج بالأعشاب الطبية في معاهد متخصصة، وهناك من يتعاملون مع الأعشاب دون أساس علمي، فالعشابيين أو كما يطلق عليهم أطباء الأعشاب أو بائعو الأعشاب الطبية يختلفون سواء في مستوياتهم أو تخصصاتهم وحتى في أماكن تواجدهم، فمنهم العشابون ذوي المستوى الجامعي وهم الأشخاص الذين كان لهم تكوين في الجامعة ولهم عدة تخصصات فوجدنا من لديه تكوين في العلوم الإسلامية، في علوم الأرض وكذا في العلوم السياسية وعلاقات دولية، وتخصص في البنوك، العلوم الاقتصادية، البيولوجيا، كما وجدنا لديهم بطاقات للتعريف بمحلاتهم carte visite يمكن تصنيف هؤلاء إلى الذين يبيعون الأعشاب الطبية فقط وهم بائعو أعشاب بالوراثة، بالخبرة والتجربة، ومنهم من يعالجون ويبيعون الأعشاب الطبية وهم العشاب ذو تكوين أي كان لهم تكوين في الأعشاب الطبية، والعشاب ذو الخبرة والتجربة والعشاب بالوراثة، كذلك العشابون ذو مستوى متوسط، العشابون دون مستوى منهم من يبيع فقط الأعشاب الطبية وتعتبر مصدر رزق له ومنهم من يعالج وذلك من خلال الوراثة والخبرة والتجربة. كما أن لكل عشاب تصويره الخاص في أسباب الأمراض منها: أسباب غذائية، البيئية والأحوال الجوية، التدبير والجانب الوقائي، الجهل ببعض الأمراض والعلاجات مما يؤدي إلى مضاعفات المرض، الخلة أو الكمارة العصبية تعتبر سبب من الأسباب الرئيسية للأمراض كما يربط هذا السبب بالدوران السيئ للدم في الجسم لأنه يؤدي إلى زيادة CO_2 على حساب O_2 ، القلق والتوتر العصبي الموروث الذي خلق مع المريض، والمكتسب الصدمات النفسية والعصبية التي يتلقها الإنسان في حياته، وأسباب غير ملحوظة كالعين. أما بالنسبة للتشخيص حسب تصور العشابين فمنهم من يعتمد على تشخيص الطبيب، وذلك من خلال الملف الطبي الذي يصحبه معه المريض، لأن في معظم الحالات آخر محطة يرجع إليها المريض بعد اليأس من الشفاء هي العشاب، خاصة بالنسبة للأمراض المزمنة، إضافة إلى التحاليل

الطبية والأشعة التي يطلبها العشاب من المريض فهناك من العشابين من لديه نموذج للتحاليل الطبية بالإضافة إلى المقابلة والفحص السريري وذلك عن طريق الضغط على القدمين، لتشخيص العلة التي يعاني منها المريض وفقاً للعلاج الانعكاسي، وهناك من يعتمد في التشخيص على المقابلة من خلال محاورة الشخص المريض بطريقة تجعله يتحدث عما يوجد بداخله ووصف ما يحس به لمساعدة المعالج وصف العلاج المناسب وكذلك النظرة الجيدة أي النظر إلى وجه المريض، وتفحص ملامحه. أما بالنسبة للعلاج ما جمع عليه كل معالجي وبائعي الأعشاب الطبية هو «إن الله لم ينزل داءً إلا أنزل له شفاءً»، علمه من عمله وجهله من جهله، والعلاج حسب تصور المعالجين بالأعشاب الطبية يختلف من شخص لآخر رغم اشتراكهم في علاج الأسباب لا الأعراض والاهتمام بمحيط المريض، فمنهم من يعتمد في علاجه على المعالجة الانعكاسية وهي طريقة علاجية تعتمد تدليك القدم لأنه صورة مصغرة للجسم والأعضاء الداخلية والخارجية وأنسجته، فهناك علاقة وثيقة بين القدمين والأحشاء، حيث تؤدي تأثيرات انعكاسات القدم وظائفها العلاجية وفقاً لتقسيم أجهزة الجسم انعكاسياً والتدليك بالإضافة إلى العلاج بالأعشاب الطبية وشعاره في العلاج هو «أحباء الأمل أعداء الألم» ويعالج تقريباً كل الأمراض عدا البعض منها منزوع من قاموسه العلاجي رغم أن لديه علاجات لها لكن لا يتعامل معها لاعتبارات وقائية أمنية وهي أمراض القلب، الأذن، العين. وهناك من يعتمد على معالجة الجسم كله وإعطائه الفرصة لمقاومة المرض والتغلب عليه وإعادة التوازن إلى أعضائه بأساليب بسيطة تعتمد بالدرجة الأولى على تنشيط الدورة الدموية فيه (الجسم) لأنها سبب كل الأمراض وذلك من خلال ذلك كل الجسم بزيت الزيتون من الأسفل إلى الأعلى يوم بعد يوم، شرب ملعقتين صغيرتين من خل التفاح مع كأس من الماء بعد الغداء والعشاء، شرب ملعقة صغيرة من مشروب الحلبة يومياً على الريق بعد صلاة الفجر، وأكل من ٢ إلى ٣ ورقات من الكرفس كل ليلة، هذه الخطوات الأربعة هي قاعدة لعلاج أي مرض عند هذا العشاب لأنها تساعد على تنشيط الدورة الدموية وإعادة تحريك مراكز الطاقة في الجسم وتصريفها، وإشباع الجسم بالأكسجين، ثم إعادة تدوير الدم في الكبد لأنه العضو المسؤول عن المناعة وبالتالي رفع الجهاز المناعي، وإشباع الجسم بالأكسجين لأنه هام في التفاعلات الحيوية في جسم الإنسان، والأعشاب غنية بالأكسجين، ويفسر هذا بأن الإنسان الطبيعي، علاجه يكون طبيعياً، فالتخصصات القائمة حالياً حسب تصور الطب نفسه أثبت أنها غير ناجعة لأنها بلا حلول جذرية للمرض، عدا العمليات الجراحية وهو

يقول عندنا علاج لكل الأمراض بالأعشاب الطبية، وضرورة العمليات الجراحية تكون عند استنفاد كل المحاولات عند الأطباء العامين والأخصائيين وطب الأعشاب. أما بالنسبة لأسس وقواعد التداوي بالأعشاب الطبية، حسب تصور العشائين يجب تشخيص المرض بدقة معتمدين في ذلك على التقدم الكبير في مجال التشخيص الطبي الحديث لأن نجاح العلاج يعتمد أساساً على دقة التشخيص، معرفة العشبة في حد ذاتها وأهم الجوانب التي تعالجها وبالتالي توظيفها لأداء الغرض، وبخصوص تحضير الدواء العشبي يجب مراعاة الطرق السليمة لجمع وتجفيف وتخزين الأعشاب الطبية ومراعاة مقادير الأعشاب وأوقات أخذها فالمقادير تحدد حسب المرض وعمر المريض.

كما أن هناك إقبال على أماكن تواجد الأعشاب الطبية لكلا الجنسين غير أن هناك اختلاف، حيث إقبال النساء أكثر من الرجال، أما بالنسبة للسن كل الأصناف، أطفال؛ شباب؛ كهول؛ شيوخ. وأكبر نسبة تقبل على محلات الأعشاب الطبية هي نسبة الشباب لأنهم يعتمدون على الجانب العلمي (نجد الإقبال خاصة على المحلات التي يكون أصحابها ذو مستوى جامعي)، والشكلي (ترتيب المحل، طرق التخزين والنظافة)، أما بالنسبة للأسواق والأرصفة فأكبر نسبة الكهول والشيوخ وهذا راجع للحفاظ على العادات والتقاليد أي هذه الأعشاب موروث ثقافي من الأجداد يحافظون حتى على أماكن تواجدها في القديم وهذا لا يمنع أنهم يقبلون على المحلات أيضاً. أما بالنسبة للمستوى الاقتصادي والاجتماعي فلا حظنا وجود كل الطبقات الاجتماعية الميسورة الحال، المتوسطة والفقيرة، لكن نجد الطبقة الأولى والثانية أكثر إقبالاً على المحلات من الأسواق والأرصفة، أما الفقيرة العكس، بالنسبة للمستوى العلمي والثقافي فنجد كل المستويات دون مستوى، ابتدائي، متوسط، جامعي فإقبال الرجال على الأعشاب الطبية يكون بسبب الأمراض التالية: القولون، المعدة، الصلع، سقوط الشعر، النحافة، السمنة، الإمساك، الإسهال، الزكام، العقم، العجز الجنسي، البهاق، الصدفية، الأكزيما، السرطان، السكري، الضغط الدموي، دوالي الساقين، علاج السحر (الربط). أما بالنسبة للنساء فهناك اختلاف حسب السن فالفتيات يقبلن خاصة على الخلطات والزيوت التي تستعمل في التجميل، وكذلك اقتناء خلطات تساعدن على خفض الوزن سواء خلطات محلية أو مستوردة، وهناك من يلجأ للحصول على أعشاب لزيادة الوزن، إضافة إلى ذلك إقبالهن على علاج بعض الأمراض الجلدية مثل حب الشباب، سقوط الشعر، تقصف الشعر، الهالات السوداء، حبوب وتشقق في الوجه، تسمين الوجه، تأخير ظهور التجاعيد، الزكام، القولون، المعدة، آلام الحيض.

خلل في الدورة الشهرية، الخلة. أما بالنسبة للنساء فوق ٣٥ سنة لاحظنا عندهن مشاكل صحية خاصة منها الخلة حسب تعبيرهن، الضغط الدموي، داء السكري، آلام الظهر، العقم، الغدة الدرقية، سرطان الثدي، سرطان المخ، سرطان الرحم، انزلاق في الفقرات، الروماتيزم وآلام المفاصل، الأمراض النفسية والعصبية، السحر وعلاجه وتأخر سن الزواج، الزكام، القولون، المعدة، عرق النسا، الأكزيما، الصدفية، تشمع الكبد، التهاب الكبد، الربو، الحساسية، الشقيقة، حصى الكلى، سن اليأس وغيرها من الأمراض. واستعمال هذه الأعشاب يبدأ من البيت قبل الذهاب إلى العشاب، فمفهوم المرض مرتبط بالإطار البيولوجي والاجتماعي والثقافي، وللثقافة دور في اختيار طرق العلاج والحفاظ على الصحة، وكما أن للأعشاب الطبية فوائد علاجية للأمراض العضوية أو النفسية، فهي توظف أيضا في السحر سواء علاجه أو عمله (أي هناك أعشاب تستعمل للسحر) واللجوء إلى هذه الأعشاب (التي تستعمل في علاج السحر) لا يقتصر فقط على الدكاكين والأسواق والأرصنة بل عبر وسائل الإعلام مثل الإنترنت، كذلك الحصص التلفزيونية، وأهم العوامل التي ساعدت على الدعاية للأعشاب الطبية أساليب الخطاب لدى العشاب، الاتصال الفردي، الإقبال الكبير على المحلات، السمعة، الإشهار، ووسائل الإعلام. وهناك عدة أسباب للجوء إلى الأعشاب الطبية منها:

- **أسباب اجتماعية اقتصادية:** تظهر في غلاء الأدوية وعجز المواطنين عن اقتنائها (بخاصة التي لا تعوض من قبل صندوق الضمان الاجتماعي) وكذلك هناك مواطنين ليس لديهم اشتراك فيه، والفقر والبطالة، إلغاء العلاج المجاني وانتشار الأمراض المزمنة، وكذلك اقتناع الناس بالأعشاب الطبية والعلاقة بين المريض والعشاب.

- **أسباب ثقافية:** حيث تلعب الأصول الثقافية دوراً هاماً في تحديد البنية الحالية للمجتمع الجزائري القائمة على أساس الحفاظ على العادات والتقاليد حيث يعتبرون العلاج بالأعشاب الطبية موروث ثقافي من أجدادنا لا بد من الحفاظ عليه، إضافة إلى ذلك هناك من يرى من ثقافة بعض الجزائريين أن الطبيب الجيد هو الذي يملأ الوصفة بالأدوية، ويسمع المريض يفحصه جيدا، والطبيب لا بد أن يتعامل مع المريض من خلال فهمه لمرضه وكذلك للظروف المحيطة به، فحسب ثقافة البعض أن الطبيب هو الذي يجب أن يعرف الأعراض التي يعاني منها المريض ومرضه، ويستمع إليه جيدا، وإن لم يكن ذلك فهذا الأخير (المريض) يلجأ للبحث عن العلاج البديل فنرى أن الطب الحديث يقوم على علاقة ثنائية بين طبيب معالج وجسد مريض ويرى أن مسببات المرض كامنة في جسده، وبالتالي

هناك أعراض وعلاجه يتطلب أدوية أو تدخل جراحي أما الطب في الطب البديل والعلاج بالأعشاب الطبية يرى مسببات المرض قد تكون كامنة في جسد المريض ونفسه ومحيطه الخارجي الذي له تأثير كبير عليه.

- **أسباب تجارية:** تحولت التجارة في الأعشاب الطبية إلى تجارة مربحة حيث يعتبر الاستثمار فيها ناجحاً نظراً لعدة عوامل أهمها إقبال الناس على أماكن بيعها، وكذلك الثروة الهائلة للأعشاب الطبية الموجودة في بلادنا، وافتتاح السوق الخارجية على استيراد مثل هذه السلع.

- **أسباب دينية:** وذلك لارتباط العلاج بالأعشاب الطبية بالقرآن (الآيات القرآنية) والطب النبوي من خلال بعض الأحاديث النبوية.

- **إخفاق وعجز الطب الحديث في علاج الأمراض المزمنة، الآثار الجانبية للأدوية الكيميائية، نقص الثقة في الطب الحديث والعودة إلى الطبيعة، الخطأ في التشخيص وسوء استخدام الأدوية الكيميائية.** فكان من المتوقع بعد انتشار العقاقير وتنوعها نتيجة التطور العظيم في فروع الكيمياء المختلفة، ووسائل استخلاص المواد الفعالة من النباتات الطبية أن يتراجع المرض وتزداد السيطرة عليه لكن الذي حدث هو العكس تماماً، فقد عرف الإنسان الحديث أمراض لم تكن معروفة من قبل، وخاصة الأمراض المزمنة وذلك راجع إلى الأدوية التي يتناولها المريض تخفي أعراض المرض فقط وهو يبقى ليتحول إلى حالة مزمنة، وتؤثر على مناعته في مقاومة الأمراض، بينما تركيز المواد الفعالة في الأعشاب الطبية مخفف وسهل للأجسام التفاعل معه في صورتها الطبيعية ويعتبرون كل عشبة صيدلية كاملة تحتوي على مواد فعالة تنوعت بنسب وضعها الله سبحانه وتعالى بحكمته وتقديره.

ونستخلص أن هناك عدة ممارسات للأعشاب الطبية سواء العلاج، التجميل، البخور، ممارسات لعلاج السحر والعين وغيرها، مرتبطة بتصورات لأسباب المرض وتشخيصه وعلاجه.

وفي الأخير على الرغم من أن المستحضرات العشبية أو النباتية تندرج ضمن الأدوية التقليدية، إلا أن فوائدها وأخطارها الحقيقية يجب أن يتم تحديدها وتقييمها من خلال التجارب العلمية التي تخضع لمبادئ العلوم الحديثة. كما أن تصنيع المستحضرات العشبية يجب أن يخضع بدوره لممارسات التصنيع الجيد الخاصة بالأدوية العشبية، وأخذ بعين الاعتبار القيود والضوابط الأخلاقية التي تحكم إجراء مثل هذه التجارب.

الهوامش

- (١) شخص يذهبون إليه سواء للرقية أو كتابة حجاب (الكتاب حسب الدارجة).
- (٢) حشاوش أو دوا عرب مصطلحات تطلق على الأعشاب الطبية في منطقة قسنطينة.
- (٣) تحصلنا على هذه الإحصائيات من عند الصحفي كمال الشيرازي من جريدة إيلاف.

أبحاث إسلامية وقانون (دولي)



تحت شعار

البحث العلمي ركيزة لحل المشكلات

المؤتمر الدولي الثالث

لمركز البحوث والاستشارات الاجتماعية (لندن)

حول موضوعات العلوم الاجتماعية والإنسانية

أبحاث إسلامية وقانون

(دولي)

معهد الكويت للأبحاث العلمية

١٠ - ١٢ فبراير ٢٠١٤



النسق التيولوجي للتيار السلفي

أ. بلعيد بن جبار

الملخص

الصدد نريد نحن تقديم محاولة لقراءة أو وصف النسق الاعتقادي لتيار نراه مهم في معادلة الصراع الحالية، وهو التيار السلفي الذي في مبدأه أقر بعدم اهتمامه بالسياسة وأنه (من السياسة ترك السياسة) على لسان الألباني، لكننا نراه خضع في آخر المطاف لضغوط ومنطق المجتمع والظروف، ففيما تتسم عقيدة التيار السلفي؟ وماهي أصولها؟

الكلمات المفتاحية: عقيدة التوحيد، التصفية والتربية، المنهج السلفي، جيل الصحابة، أصحاب الحديث، الطريق واحد، الاتباع، عناصر العقيدة السلفية.

الدين محور النقاش في الحاضر والمستقبل، وعامل تفسير مهم لأحوال المجتمعات المعاصرة، هذا تصور قدمه كليفورد غيرتز في أحد ملتقيات العلوم الاجتماعية سنة ٢٠٠٦، وحقيقة أصبح النقاش حادا حول هذا النظام الاجتماعي، خاصة في منطقتنا العربية والإسلامية، وانحصر حول مشروع المجتمع، والجدل قائم بين المتدينين أو الذين يرون في الدين المشروع المناسب لإقامة دولة (الخلافة الإسلامية)، والداثيين الذين يريدون تحييد الدين ونهج منوال الدول الحديثة خاصة النموذج الغربي منها، وهذا ظهر جليا بعد ثورات الربيع العربي، ومصر تمثل أحسن صورة لهذا الصراع، وفي هذا

• باحث في سوسيوانثروبولوجيا التاريخ والذاكرة، قسم البحث، وهران/الجزائر.
bendjebbar_com@yahoo.fr

مقدمة

يحتكم الكثير من الباحثين سواء في مجال التاريخ أو السوسيولوجيا والأنثروبولوجيا إلى مقولة أن أي ظاهرة أو معرفة متعلقة بالفكر الإسلامي والمتواجدة في المجتمع هي وليدة تظافر عدة عوامل تاريخية صقلت على شكلها الحالي، وأي تفسير اليوم للإسلام أو العقيدة فهو ليس بريء من لمسات وآثار التاريخ الإنساني باعتبار أن النص المقدس نزل من عليائه التي كانت خارج منطق التاريخ، وهنا مربط الفرس في الخلاف مثلا بين الإسلاميين الذين يحملون تصور أن الكتاب والسنة لا تخضع أبدا للتاريخ بل تتفوق عليه لأنها وضع إلهي لا يحتكم لمنطق إنساني، وبين المفكرين الإسلاميين ودعاة الحداثة وأصحاب النزعة التاريخانية الذين ينادون إلى إعادة قراءة التراث ويعتبرون أن السنة هي تراث إنساني انتج عبر التاريخ من طرف جيل معين، بسط فيما بعد سيطرته على باقي الأجيال المتعاقبة، لذا يجب على كل جيل أن يصيغ تصوره وقراءته للتراث الديني الإسلامي على حسب ألياته ومنطقه وأوضاعه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية، ولا يبقى هذا التراث حكرا على جماعة واحدة هي جماعة السلف.

ومن هذا المنطلق وباعتماد فهم السلف أسست السلفية عبر تواجدها التاريخي كفكر أولا لأصول عقيدتها التي صيغت وفق ظروف سياسية واجتماعية وثقافية وحتى ايديولوجية عباسية، حملت في طياتها شحنة الصراع بين أفراد حملوا خطاب العقل والمنطق والفلسفة، وآخرين صاغوا فكرهم وعقيدتهم على أساس النص والتصلب ومنطق الرد والإصلاح.

لهذا صاغ أحدهم هذه المقولة المشهورة أن منهج السلف أعلم وأحكم وأسلم عكس منهج الخلف الذي هو أسقم، وتقر السلفية أن حضارة الإسلام أو كما تسميها حضارة التوحيد قامت على أساس عقيدة التوحيد التي عرفها السلف، والتي كانت مبنية على قاعدة وأصل بنته السلفية من أجل مناظرة ومناقشة أي فكر، وهو الأخذ بظاهر النصوص أي الكتاب والسنة، فهما الفيصل الوحيد لفك مجال التنازع.

أولاً: عقيدة التوحيد

تهتم السلفية ودعاتها كثيرا بمسائل التوحيد وتعتني به عناية كبيرة، وهذا نلمسه من خلال ما ألفوه من كتب في بيان وإيضاح هذا الأصل وتقرير أنواعه وشروطه وأركانه، وذلك انطلاقا من تفسير كلمة التوحيد التي هي «لا إله إلا الله محمد رسول الله» والتي تعني في الأدب السلفي لا معبود حق إلا الله، ولا متبوع حق إلا رسول الله ﷺ، وهذا هو التفسير

الذي نجده عند ابن تيمية في مؤلفاته في العقيدة كالواسطية، التدمرية والحموية... الخ، وكذلك ركّز على هذا المعنى محمد بن عبد الوهاب في رسائله مثل: الأصول الثلاثة، القواعد الأربعة، الأصول الستة، كتاب التوحيد والمسائل الجاهلية.

كما تسمى هذه العقيدة بعقيدة أصحاب الحديث^(١)، أي الذين احترفوا جمع الحديث وتبع طرقه في مقابل العقل والرأي. وبنوا عقيدتهم على نص الوحيين أي الكتاب والسنة وتصلبوا إعمالهما والرجوع إليهما في أي مسألة تعلقت بالعقيدة عملاً بنص الآية ﴿إِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (النساء: ٥٩)، ففسروا هذا فقالوا الرجاء إلى الله أي إلى كتابه، والارجاء إلى رسول الله فقد كان ذلك إلى شخص النبي في حياته والرجوع الآن يكون إلى سنته.

والعقيدة السلفية اليوم مرت بمسار تاريخي صقلها ورسمها على صورتها الحالية، ففي البداية سُميت عقيدة أهل السنة والجماعة، وذلك لتدفع أو تقابل شبه التشيع والرفض، ولتعادي الفرق الأخرى مثل الخوارج، والجماعة لا تعني مجموعة في حد ذاتها بل تعني مجموعة الأفكار الاعتقادية والأحكام السلوكية التي تعكس تأويلات الجيل الأول للنص الديني.

كما أُطلق عليها كما ذكرنا عقيدة أصحاب الحديث، وأحياناً عقيدة أهل السنة والجماعة أصحاب الحديث، وذلك لتمييز عقيدتهم المرتبطة بالنص أو كما يقولون الدليل الحديثي المنافي للمنطق العقلي والرأي، حيث ظهرت رداً على المعتزلة والفلاسفة، وفي الأخير تأتي العقيدة السلفية لتقف في وجه الحداثة وتدافع عن الإرث الذي سبقها.

والتوحيد حسب التعبير السلفي يرتكز على كلمة التوحيد التي هي «لا إله إلا الله» والتي تعني كما قدمنا لا معبود حق إلا الله، ولها ركنان هما النفي والإثبات، ومعنى النفي هو نفي صفة الألوهية عن كل ما سوى الله من الكائنات والموجودات، وإثباتها لله وأنه هو مستحقها، والمألوه تعني المعبود.

من هنا صاغ محمد بن عبد الوهاب مفهوم التوحيد الذي له أساس فقهي باعتباره محور الديانة الإسلامية، وقد عنى به أفراد الله بالعبادة دون سواه، فالمجتمع انعكاس،

(١) أبي عثمان اسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، عقيدة السلف أصحاب الحديث، تحقيق د. ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٩٩٨.

أو ينبغي أن يكون انعكاساً لهذا التوحيد الإلهي، فإذا كان التوحيد صفة أساسية للذات الإلهية، فإنه في المجتمع يحتاج إلى تحقق وبناء، وترجمة التوحيد على مستوى المجتمع لا يتم إلا عن طريق تحقيق مجموعة من مشاريع الوحدة: وحدة العقيدة، وحدة الفقه، وحدة الأمة، وحدة الشعائر.. إلخ. (٢)

وقد كان لهذه العقيدة (أي عقيدة التوحيد) أثر في الممارسات والشعائر، ومجالات التدين السلفي الأخرى، فمن توحيد العقيدة ينتقل إلى توحيد مصدر التلقي الذي هو الكتاب والسنة المستلهم حسب السلفية من خطبة حجة الوداع، حيث قال الرسول ﷺ في الحديث الذي رواه ابن عباس: (يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا بعدي أبدا: كتاب الله وسنتي). (٣)

وكذلك توحيد مصدر الفهم المتمثل في فهم الخلفاء الراشدين حيث يستدلون بالحديث الطويل، «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عَصُوا عليها بالنواجد، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة»، والمقصود بسنة الخلفاء الراشدين كما فسرتها السلفية هو فهمهم لسنة النبي وعملهم بها^(٤)، وتوحيد الفهم هذا استلهمته السلفية من القرون الأولى للإسلام وخاصة في فترة تغلب فيها المعتزلة بالعقل والرأي، فرجع علماء الحديث في تلك الفترة إلى توحيد الفهم للرد على المعتزلة في مسائل خلق القرآن، واستعملوه كلازم لمصدر الفهم.

وقد تعرض هؤلاء السلفيين للكلام في التوحيد، وصلة ذلك بالأضرحة. تكلموا في آيات التأويل والتشبيه، وهي أول ما ظهوروا به في القرن الرابع الهجري، ونسبوا كلامهم إلى أحمد ابن حنبل، وكانت المعارك العنيفة تقوم بينهم وبين الأشاعرة، لأنهم كانوا يظهرون حيث يكون للأشاعرة سلطان قوي لا يُنازع^(٥).

وهذا ما ينطبق على بلدان المغرب الإسلامي التي سادت فيها العقيدة الأشعرية،

(٢) عبد الحكيم أبو اللوز، الحركات السلفية في المغرب (١٩٧١-٢٠٠٤)، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩، ص ٧٢.

(٣) سعيد «محمد موسى» حسين إدريس السلفي، الأربعة حديثاً النبوية في منهاج الدعوة السلفية، ط١، دار الإمام أحمد، القاهرة، مصر ٢٠٠٨، ص ٣٠.

(٤) نفس المرجع، ص ٣٩.

(٥) الإمام محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ، ص ١٧٧.

جعل الفريقين في مركز صراع شديد وطويل قائم على أن كل فريق يحسب أنه يدعو إلى مذهب السلف. وهنا نستطيع أن نتجلى سبب ظهور السلفية كمذهب إسلامي يقابل المذاهب الأخرى، ولكن يقابل المذهب الأشعري أكثر.

إن المنهج السلفي في تلقي وفهم العقيدة يختلف أو يخالف المعتزلة، الذين نهجوا في بيان العقيدة الإسلامية منهجاً فلسفياً قبسوا فيه من منطق اليونان ومن طرائق الفلاسفة في الجدل والمناظرة، وجاراهم في ذلك المنهاج الفلسفي الأشاعرة والماتريدية.

وقد قسم ابن تيمية الذي ضبط المنهج السلفي طرائق العلماء في فهم عقيدة التوحيد إلى أربعة أقسام: الفلاسفة الذين يقررون بأن العقائد طريقها البرهان واليقين، والمتكلمون أي المعتزلة الذين يقدمون النظر العقلي على الدليل القرآني، وقسم ثالث يستعين بالعقل ليبرهن على عقائد القرآن الكريم ومنهم الماتريدية، وقسم يؤمن بالقرآن الكريم عقائده وأدلته ولكنه يستعين بالأدلة العقلية بجوار الأدلة القرآنية^(٦)، وهنا يقصد الأشاعرة.

وبعد هذا التقسيم بين ابن تيمية أن منهاج السلف ليس واحداً من هذه الأربعة، بل هو غيرها، لأن العقائد لا تؤخذ إلا من النصوص، ولا تؤخذ أدلتها إلا من النصوص، فهؤلاء السلفيون لا يؤمنون بالعقل لأنه يضل، ولكن يؤمنون بالنص، وبالأدلة التي يؤمى إليها، لأنه وحي^(٧).

وهنا يحاول ابن تيمية قطع الطريق أمام العقل باتهام من يستعمله في تقرير العقائد بأن النبي وأصحابه لم يكونوا يفهمون، وبالتالي تم القبح في من جاء بالرسالة وبلغها ومن أوصلها وحملها إلى الأجيال المتعاقبة وهكذا يصبح قدح في الدين. فهو يجعل العقل سائراً وراء النقل يعززه ويقويه، ولا يستقل بالاستدلال بل يقرب معاني النصوص.

ثانياً: مجموع عناصر العقيدة السلفية

١- الطريق واحد: وهذا الأصل يمثل نعمة الإسلام في نظر الشيخ عبد الملك رمضان، الذي يرى أن الطريق واحد هو طريق حزب الله الذي كتب الله له الفلاح، ويستدل على ذلك بالآية ٢٢ من سورة المجادلة: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ

(٦) نفس المرجع، ص ١٧٨.

(٧) نفس المرجع، ص ١٧٩.

الْمُفْلِحُونَ». ويحاول الشيخ إقامة رابط منطقي بين هذه الآية والآية ٥٦ من سورة المائدة حيث يقول تعالى «وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ»، وهو يريد أن يبين أن هذا الحزب وصل إلى الغلبة لأنه اتبع طريق الله، وطريق الله مبين في الكتاب، واتباع أيضا طريق الرسول التي هي في نفس الوقت منهج الله، والذين آمنوا في زمن الرسول بطبيعة الحال هم الصحابة وبالتالي نالت السلفية ما تبغيه من تفسير الآية، وهو منطقتها الثلاثي الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة.

ثم يقدم أن القرآن ذم افتراق الأمة إلى أحزاب وشيع وجماعات وتكتلات^(٨)، حيث قال تعالى «وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ❖ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ» (الروم ٣١-٣٢).

وعن معاوية بن أبي سفيان أنه قال ألا إن رسول الله ﷺ قام فينا فقال: «ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة». صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٠٣).

قال الأمير الصنعاني: «ليس ذكر العدد في الحديث لبيان كثرة الهالكين، وإنما هو لبيان اتساع طرق الضلال وشعبها، ووحدة طريق الحق، ونظير ذلك ما ذكره أئمة التفسير في قوله: «وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ» (الأنعام: ١٥٣)، أنه جمع السُّبُل المنهي عن اتباعها لبيان تشعب طرق الضلال وكثرتها وسعتها، وأفرد سبيل الهدى والحق لوحده وعدم تعدده»^(٩).

فدل هذا الحديث بنصه على أن الطريق واحد، قال ابن القيم: «وهذا لأن الطريق الموصل إلى الله واحد، وهو ما بعث به رسله، وأنزل به كتبه، ولا يصل إليه أحد إلا من هذا الطريق، ولو أتى الناس من كل طريق واستفتحوا من كل باب، فالطريق عليهم مسدودة، والأبواب عليهم مغلقة إلا من هذا الطريق الواحد، فإنه متصل بالله موصل إلى الله»^(١٠).

إذن فالمنظومة السلفية تريد هنا تحقيق التوحيد، ولكن توحيد بمفهومه الخاص

(٨) عبد الملك بن أحمد بن المبارك رمضاني الجزائري، امتاع البصر بمدارك النظر في السياسة، الفرقان، بيروت، بدون تاريخ، ص ٢٣.

(٩) نفس المرجع، ص ٢٤.

(١٠) ابن القيم الجوزية، التفسير القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ص ١٤-١٥.

والقائم على أساس علم التوحيد في العقيدة، فهم يُشيعون فكرة أننا بالتوحيد ننتقل إلى الميادين الأخرى، بمعنى إذا صحت العقيدة واتفقت سَهْلُ أمر توحيد الأمة، وعن تفسير الاختلاف الحاصل في الأمة يقر أئمة السلفية وعلماءها بأن هذا الافتراق أمر كوني، أي حاصل ومُقَدَّر ويستدلون بالآية: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (هود: ١١٨) وبحديث الافتراق، ويقولون بأن افتراق الأمة سُنَّة كونية على أمة محمد أي أمة الاستجابة وليس أمة الدعوة التي يدخل فيها اليهودي والنصراني والمجوسي والبوذي وسائر الملل الأخرى^(١١).

٢- اتباع الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح: وهذا أصل مهم في المنهج السلفي، أو ما يسمى أصول المنهج السلفي، فمعظم المؤلفين حول هذا الموضوع يولونه اهتماماً بالغاً وذلك لأن له صلة مباشرة بتواجدهم والتعريف بهم، وهذا الأصل هو الحلقة المفصلية لتعريف السلفية، فهم يعتبرون أن غالبية الفرق أو عوام المسلمين يدعون اتباع الكتاب والسنة لكن لسان الحال غير لسان المقال، بمعنى أنهم يُنافون اتباع الكتاب والسنة بمفاهيمهم وتصوراتهم وسلوكاتهم وممارساتهم، ومن هذا المنطلق تفرض السلفية فهم الصحابة والسلف الصالح أو ما يُعرف بالقرون الثلاثة المفضلة التي ذكرها حديث ابن مسعود قال ﷺ: (خير الناس قرني ثم الذي يلونهم ثم الذي يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته) (متفق عليه).

ويستدلون على ذلك بالقرآن الكريم، ومن أول سورة فيه هي فاتحة الكتاب: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الفاتحة: ٦)، وهذه الآية شملت ركني الكتاب والسنة والدليل على أنهما المقصودين بهذا الوصف قوله تعالى على لسان مؤمني الجن: ﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الأحاف: ٢٠)، كما ضَمِنَهَا أي الاستقامة لمتبع الرسول بقوله: ﴿وَأَنَّكَ لَتَهْدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى: ٥٢)، أما الأصل الثالث الذي هو اتباع فهم الصحابة لهذين المصدرين، فقد وُضع بعد أن اتهمت السلفية فهم الناس بالقصور والمنجى من هذا الفهم السقيم بحسبهم هو تقييد فهم الخلف بفهم السلف، وذلك مترجم في قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ (الفاتحة: ٧)، ويعلق ابن القيم على هذه الآية مُثَبِّتاً

(١١) مشهور بن حسن آل سلمان، السلفية النقية وبراعتها من الأعمال الردية، الدار الأثرية، ط ١، الأردن، ٢٠١١، ص ١٨.

للإيديولوجية السلفية التي تبسط فهم جيل الصحابة على فهم باقي الأجيال المتعاقبة بقوله: «وتأمل سرّاً بديعاً في ذكر السبب والجزاء للطوائف الثلاثة بأوجز لفظ وأخصرهن فإن الإنعام عليهم يتضمن إنعامه بالهداية التي هي العلم النافع والعمل الصالح»^(١٢).

وهذا منبثق من فكرة أن السلف الصالح هو الجيل الأمين على التراث، وذلك قصد قطع الطريق على من يقول أنه يجب إعادة قراءة التراث الاسلامي قراءة حديثة باستعمال العقل وأدوات تفكيك النصوص التي وصلت إليها المناهج الغربية.

وهنا تحضرني مقولة سمعتها لأحد أقطاب السلفية في السعودية ويردها كثيراً بعض الدعاة هنا في الجزائر، هو الشيخ صالح بن عبد الله الفوزان أحد أعضاء هيئة كبار العلماء التي تعتبر من مؤسسات نشر الفكر السلفي في السعودية وتقوم بتصديره إلى الدول الإسلامية وحتى الغربية عن طريق الفتاوى، ألقى محاضرة في يوم ٢٠٠٧/٠٥/٠٩ وكانت في شكل قرص مضغوط عنوانها: «فقه الواقع والخطاب الديني»، حيث قال: «المراد بفقه الواقع هو أن على الداعية أن يفقه واقع القوم الذين يدعوهم والزمن الذي يدعو فيه، فحين أرسل النبي ﷺ معاذاً إلى اليمن أخبره أنه يأتي قوماً من أهل الكتاب»، إذا أهل الكتاب تختلف دعوتهم عن دعوة غيرهم، وهذا من فقه الواقع... وليس المقصود بفقه الواقع ما يقوله بعض الناس اليوم أنه معرفة ما يجري في العالم، ومعرفة الوقائع السياسية المعاصرة والإلمام بالأخبار العالمية من هنا وهناك وهذا ليس فقه الواقع بل تصور الواقع، فالفقه المجرد عن الفقه الشرعي لا يسمى فقهاً، لأن الفقه الشرعي هو تنزيل الأحكام الشرعية على الوقائع المعاصرة.

وبعد ذلك تحدث عن تجديد الخطاب الديني، وبين أن ذلك إن أُريد به كلام الله ورسوله بالأوامر والنواهي والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإعطاء الأحكام على الناس من مؤمن وكافر وفاسق ومنافق وتعويضهما بألفاظ الانسانية والمواطنة وغيرها، فهذه الأحكام لا يجوز تغييرها لأن هذا يعتبر تحريفاً لكلام الله وكلام رسوله.

ويختم بفكرة أن الذي يُعدّل ويُصحح كلام البشر، إذا كان فيه خطأ بشري، فإنه يُعدّل على ضوء ما جاء في كتاب الله وسُنّة نبيه ﷺ. «انتهى كلامه بتصريف».

(١٢) شمس الدين ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين، الجزء ١، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، بدون تاريخ، ص ٢٠، نسخة إلكترونية.

ففي هذا يتفق معظم مشايخ السلفية على أن التجديد يتم في خانة الأسلوب والوسائل ليس في المضمون، لهذا نجدهم طبقوا هذا بحذافيره عندما استلزم الأمر واصبحت الوهابية تمثل صورة قاتمة لدى الناس، تغير الشكل وأسلوب الدعوة ولكن بقي مضمونها ولبست ثوب السلفية.

كما أنه لا بأس أن نذكر بأثر للشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس في هذا السياق حيث يقول: «الإسلام إنما هو في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وما كان عليه سلفها من أهل القرون الثلاثة المشهود لهم بالخيرية على لسان الصادق المصدق»^(١٣).

٣- نيل السؤدد بالعلم: بهذا الأصل تكرر السلفية المنطق السائد عند العلماء أنهم أولي الأمر الأحق بالطاعة والاتباع والخضوع، ولهذا الغرض ألفوا ونشروا وصنفوا الكثير حول موضوع العلم والعلماء، وأنهم ورثة الأنبياء، وأن عدم وجودهم هو شر للمجتمع، وقد أصل هذا الفهم جيل الصحابة وتناقله عنهم أتباعهم، فعن ابن مسعود قال: «لا يأتي عليكم يوم إلا وهو شر من اليوم الذي قبله، حتى تقوم الساعة، لست أعني رخاء من العيش يصيبه، ولا مالا يفيده، ولكن لا يأتي عليكم يوم إلا وهو أقل علما من اليوم الذي مضى قبله، فإذا ذهب العلماء استوى الناس، فلا يأمرهم بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، فعند ذلك يهلكون»^(١٤).

ومن طريق الشعبي عن مسروق عنه قال: «لا يأتي عليكم زمان إلا وهو شر مما كان قبله، أما إنني لا أعني أميراً خيراً من أمير، ولا عاماً خيراً من عام، ولكن علماؤكم وفقهاؤكم يذهبون ثم لا تجدون منهم خلفاء، ويجيء قوم يفتنون برأيهم»^(١٥).

وهنا نرى أن النص يؤسس لسلطة فئة معينة وهم العلماء دون غيرهم من الأمراء والحكام، ويعيب على من يؤسس فكره ونهضته ومشروعه الحضاري على أساس نزاهة وقوة وحنكة الأمير، ويتكل على الأمور المادية فقط، ويهمل الجانب الأهم في نظره وهم العلماء الذين يجب أن توكّل لهم مهمة قيادة الأمة والمجتمع لأنهم هم حملة الإرث النبوي الذي يعطيهم سلطة التفسير والتأويل وبالتالي التسيير والتدبير، وعلى هذا يناولون السؤدد

(١٣) عبد الملك رمضان، مرجع سابق، ص ٣٩.

(١٤) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الفتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري، الجزء ١٢، المكتبة السلفية، بدون تاريخ، ص ٢١، نسخة إلكترونية.

(١٥) نفس المرجع، ص ٢١.

بالعلم. فعن تميم الداري قال، تناول الناس في البناء في زمن عُمر، فقال عُمر: «يا معشر العريب، الأرض الأرض، إنه لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بطاعة، فمن سوّده قومه على الفقه كان حياة له ولهم، ومن سوّده قومه على غير فقه كان هلاكاً له ولهم»^(١٦). (رواه الدارمي رقم ٢٥١)

وقد قدّم الأستاذ محمد حسين بن خيرة تصورات حول حكومة الفقهاء أو العلماء، فقال أن القرآن الكريم لما تحدث عن الحكم والملك ذكر قصة ذي القرنين، وهي قصة مذكورة في سورة الكهف، فقال أن اسم ذي القرنين مشتق من المكانتين اللتين كان يشغلهما هذا الرجل، فالقرن الأول يهتم بجانب الملك والقوة المادية، والقرن الثاني يُعنى بالعلم والورع، وفضل جانب العلم والفقه على جانب القوة والغلبة، لهذا السلطة في التاريخ الإسلامي ذات قرنين، هناك رأس السلطان الذي يملك سدة الحكم، وفي المقابل هناك الرأس الذي يمثل العالم، والسلطة الحقيقية والشرعية يمتلكها العالم.^(١٧)

لهذا تنبه الخلفاء والملوك في المجتمعات الإسلامية فيما بعد إلى ضرورة جمع الوازع السلطاني مع الوازع الديني، وذلك عن طريق نيل مبايعة العلماء على السمع والطاعة وبذل النصح، وهذا العقد يعتبر ختم البقاء على سدة الملك، لكن كما ذكر الأستاذ نرى في هذه المرحلة التاريخية من الإسلام فرار العلماء من المبايعات لخلع صفة الشرعية على هذا السلطان أو الخليفة، وبالتالي لن ينال رضى الناس.

٤- صَمَامُ الْأَمَانِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْهَزِيمَةِ بِاتِّبَاعِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ: تريد السلفية

في هذا الأصل الطعن والقدح في الأفكار الأخرى الموجودة في المجتمع خاصة العلمانية منها، والتي أهملت تلقين التراث الثقافي الديني للأجيال وبهذا خلقت طبقة ضعيفة لا تستطيع الوقوف في وجه الهجمات الغربية سواء الشيوعية أو اليهودية أو النصرانية، وأن النصر والكفاية تكون بحسب خضوع أفراد المجتمع للكتاب والسُّنة، ومن وراء هذا ترمي السلفية إلى خلق مجتمع متعبد^(١٨)، وتميل إلى نظرية المؤامرة بأن اليهود والنصارى يكيّدون للمسلمين لكي يُكفروهم وذلك وليد الحسد، لهذا ينبغي مواجهة هذا بالاعتصام بالكتاب والسُّنة وتطبيقهما حرفياً على فهم الصحابة الذين عاصروا النبي وأخذوا عنه

(١٦) عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، سنن الدارمي، المجلد ١، ص ٩١، نسخة إلكترونية.
(١٧) BENKHEIRA Mohammed Hocine, le gouvernement des docteurs de la loi: sur les conceptions de l'autorité en islam, conférence présenter le mardi 25/09/2012 au siège du CRASC à 14h00.

(١٨) محمود البستاني، الإسلام وعلم الاجتماع، مجمع البحوث الإسلامية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٩٤، ص ٢٤٩.

هذا التفسير ونقلوه للأمة، وبالتالي من تبعهم سيصل إلى ما وصلوا إليه من القوة والتمكين وفي هذا الصدد يقول الإمام مالك: «لا يُصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها».

ويتخذ هذا المنهج (أي السلفي) مجموعة من الأفكار وجيش لها ترسانة من الأدلة، استعملها كأداة لترهيب وتهديد الأفراد في حالة مخالفة الرسول (السلفية في الحقيقة) وهذا لردعهم عن استعمال عقولهم وأفهامهم، ويستدلون بقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور: ٦٣)، فهم يقومون بإطلاق الأدلة والنصوص وتركها على عمومها ودون تقييد لأسباب نزول الآية، وأن الآية كان لها زمان ومكان وواقع وموقف محدد، وهذا كان عقب غزوة أحد وفي حالة الحرب، وذلك لمخالفة أوامر دينوية.

ورسالة الإسلام تقتضي قاعدة اجتماعية وأتباعاً يقومون بتلقي الرسالة وحفظها من التشوهات التي قد تطرأ عليها، ولهذا فقد احتوى مفهوم السلف على طاقة بيداغوجية وتعليمية تساعد على إيصال الفهم السليم إلى المتأخرين من أمة الإسلام، وربطهم بالعصر الأول الذي حمل التفسير الصحيح لرسالة الإسلام.

وبسبب المكانة المقدسة التي تحتلها هذه الجماعة، يعارض السلفيون بشدة القراءات التي تريد التحرر من أفهام السلف وإقامة علاقة اتصالية مباشرة مع النصوص. فماذا يستدرك المتأخرون وما عساهم أن يفعلوا، ألم يبين أولئك المنهاج، «واستكملوا الطريق التي عبدها، فالاستدراك عليهم وقاحة وبدعة وضلال وانحراف وغرور عظيم وخروج عن دين الله»^(١٩).

٥- الرد على المخالف: وهو أصل أخذته السلفية من تاريخ المحدثين، المبني على أساس التجريح والتعديل في رواية الحديث، وكذا توصلت إليه السلفية من خلال فتنة خلق القرآن عندما قام الإمام أحمد بن حنبل بالرد على المعتزلة، الذين خالفوا الصواب في مقولة أن القرآن مخلوق، ليأتي أحمد بن تيمية الحراني ويضع الركائز المتينة لهذا المنهج أي الرد على المخالف، لهذا يقول: «والأمر بالسنة والنهي عن البدعة هو أمرٌ بمعروف ونهي عن منكر، وهو من أفضل الأعمال الصالحة»^(٢٠).

(١٩) عبد الحكيم أبو اللوز، مرجع سابق، ص ١٠٢.

(٢٠) تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، منهاج السنة النبوية في نقض الشيعة القدرية، ج ٥، ط ١، ١٩٨٦، ص ٢٥٢، نسخة إلكترونية.

وتتصد السلفية بالمُخالف هنا بمعنى الذي يُخالفها في منهج وفكر وايدولوجية ووسائل الدعوة، أما المسوغ للرد على هذا المُخالف فيدخل في اطار مخالفته للسُنّة وارتكابه للبدعة، ويكون في هذا الردّ رده إلى السُنّة بعد أن سقط في البدعة، وبالتالي تحقيق هدف الاصلاح المنشود من طرف هذا التيار.

والتحذير من المبتدعة وكتبهم يدخل تحت هذا المنهج، فعن ابن عون قال: كان محمد - يعني ابن سيرين - رحمه الله يرى أن أسرع الناس ردّة أهل الأهواء يرى أن هذه الآية نزلت فيهم: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَأَمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدَ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنعام: ٦٨) ^(٢١).

ونجد في بعض المصادر فتاوى تنبه وتحرم حتى النظر في كتب المبتدعة كما يقولون مثل فتوى للإمام مالك يقول فيها: «لا يجوز الإجارة في شيء من كتب أهل الأهواء والبدع» ^(٢٢). وقال أبو عثمان الصابوني: «ويغضون أهل البدع، الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه، ولا يحبونهم ولا يصحبونهم، ولا يسمعون كلامهم، ولا يُجالسونهم، ولا يجادلونهم في الدين ولا يناظرونهم، ويرون صون أذانهم عن سماع أباطيلهم التي إذا مرّت بالأذان، وفُرت بالقلوب ضُرت وجُرت إليها من الوسائس والخطرات الفاسدة ما جرّت، وفيه أنزل الله عزوجل قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ (الأنعام: ٦٨) ^(٢٣).

هذا ما يتربى عليه الشباب الذي ينتسب إلى السلفية جديداً، وهذه الآثار من التراث الموجود لدى المحدثين هي التي صقلت عدااء السلفية اليوم للفرق الجديدة مثل الإخوان والتبليغ... إلخ.

وبهذه الطريقة تغلق السلفية الباب على متبعيها لقراءة كتب الفلسفة والجدل، حتى لا يقوموا بطرح الأسئلة فيما يخص ما يعتقدونه أو ما يمارسونه من عبادات، وأن يلتزموا ويسلموا بكل ما يُلَقَن لهم دون كيف؟ أو لماذا؟

(٢١) أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة، الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، تحقيق: رضا بن نسمان معطي، دار الراية للنشر والتوزيع، ط٢، الرياض، ١٩٩٤، الكتاب الأول الجزء الثاني، ص ٤٣١.

(٢٢) أبي عمر يوسف بن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، بدون تاريخ، الجزء ٢، ص ٩٤٣، نسخة إلكترونية.

(٢٣) أبي عثمان الصابوني، مرجع سابق، ص ٢٩٨.

وأورد الشيخ عبد الملك رمضان على شكل تساؤل يُطرح حول دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فقال: لماذا عُنت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالرد على الفرق المنحرفة كالطرق الصوفية أكثر من عنايتها بالرد على الإلحاد مع وجود الاستعمار الفرنسي؟ هذه شبهة ترد كثيراً على لسان من لم يتضلع بمنهج السلف يجيب عنها الشيخ محمد البشير الإبراهيمي -رحمه الله- بقوله: «وإنك لا تُبعد إذا قلت إن لفشو الخرافات وأضاليل الطرق بين الأمة أثراً كبيراً في فشو الإلحاد بين أبنائها المتعلمين تعلموا أوروبوايا الجاهلين بحقائق دينهم، لأنهم يحملون من الصغر فكرة أن هذه الأباطيل الطرقية هي الدين، وأن أهلها هم حملة الدين، فإذا تقدم بهم العلم والعقل لم يستسغها منهم لا علم ولا عقل، فأنكروها حقاً وعدلاً، وأنكروا معها الدين ظلماً وجهلاً، وهذه إحدى جنائيات الطرقية على الدين»^(٢٤).

لهذا نجد السلفية تستعمل الخشونة والشدة في الرد على المخالف التي تعيب على الحزبية تعطيله، بل هي تؤصل له من خلال أحداث في التراث النبوي، وإستشهادات من كلام مؤسسي المنهج السلفي، فقد قال ابن تيمية: «المؤمن للمؤمن كاليدين تغسل إحداهما الأخرى، وقد لا ينقلع الوسخ إلا بنوع من الخشونة، لكن ذلك يوجب من النظافة والنعومة ما تحمد معه ذلك التخشين»^(٢٥).

هكذا يقر بعض مشايخ السلفية أن هذا المنهج في الرد على المخالف الذي يعتبرونه فرض واجب شرعاً، هو من قبيل التصفية والتربية.

٦- التصفية والتربية: بدأ التأصيل لهاتين الكلمتين الشيخ الألباني، منذ أكثر من أربعين سنة، عندما ألقى محاضرة في المعهد الشرعي في عمان بالأردن، بين فيها مفهومه لهذا المنهج وطريقة عمله وتصوره، وهناك من أطلق على هذا المنهج تسمية التخلية والتخلية خاصة علماء السلفية بالسعودية، فعرف الألباني التصفية بأنها عملية شاملة تمس كامل التراث الإسلامي بدءاً بالعقيدة، الفقه، الحديث، اللغة وحتى السيرة والتاريخ الإسلامي، فتصفية العقيدة تبدأ بإزالة ما ألصق بها من عقائد باطلة وفاسدة وخرافات وشريكيات، وتصفية السُّنة مما أدخل فيها مما ليس منها من البدع والمخالفات،

(٢٤) عبد الملك رمضان، مرجع سابق، ص ٨٠.

(٢٥) تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٤، الجزء ٢٨، ص ٥٣-٥٤.

وذلك بتمييز الصحيح والحسن من الضعيف والموضوع وما لا أصل له، وتصفية الفقه مما شابه من الآراء والمحدثات المخالفة للنصوص الصريحة^(٢٦)، وتصفية اللغة مما دخلها من شوائب أيضاً، الآن افتح بعض المعاجم اللغوية ترى كلمة «استوى» بمعنى «استولى»، وهذا شيء لا أصل له في اللغة، ما السبب في ذلك؟ أن بعض اللغويين المشتغلين بتصنيف المعاجم كالزمخشري مثلاً في كتابه (أساس البلاغة) وهو معجم لغوي كان معتزلي استغل عقيدته في سلك بعض الألفاظ اللغوية.

أما التصفية في باب التحاكم، أو ما يسميه البعض اليوم الحاكمة، بالنسبة للدعوة السلفية أنها لا تفرق في ذلك بين الحاكم والمحكوم، بينما كثير من الناس هم غافلون عن التحاكم، يحكمون إلى زيد أو عمر، تاركين الهديين أو الهدى العظيم المنبعث من الوحيين الشريفيين^(٢٧).

إذا السلفية هنا ومن خلال هذا النص لأحد أبرز تلامذة الشيخ الألباني، هو في طور إبعاد الناس وخاصة الشباب عن الانتباه والاهتمام ومراقبة السلطة السياسية التي تدير شؤونهم، وأن يلتفتوا إلى حياتهم العملية وبأن يطبقوا الكتاب والسنة على أنفسهم هم أولاً في شؤونهم الدنيوية وألاً يشتغلوا بالحكام، وعلى هذا وجد الكثير من الشباب أنفسهم بعيدين عن التأثير السياسي والاقتصادي، غير قادرين على ترجمة قوتهم العددية إلى نفوذ ملموس^(٢٨).

ثم يأتي الشق الثاني لهذا المنهج وهو التربية أي تربية النشأ على هذا الإسلام المُصفى، وحقيقة قام الشيخ الألباني بهذا العمل، فدرس وحقق الكثير من كتب الحديث والفقه والعقيدة ثم دعا الناس إلى تبني هذا المنهاج.

وتبقى التصفية والتربية هي الآلية التي تعتمد عليها السلفية والفكر السلفي الحالي لتطبيق منهجها الإصلاحي، فمهمة العلماء هي تصفية التراث الديني الإسلامي ثم تربية الناس على ذلك، خاصة الشباب الذين لا يملكون تجربة دينية ويملكون القوة والحماس

(٢٦) محمد ناصر الدين الألباني، التصفية والتربية وحاجة المسلمين إليهما، المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٠، ص ٠٤.

(٢٧) علي بن حسن الحلبي الأثري، التصفية والتربية، محاضرة مفرغة من موقع الشيخ علي بن حسن، <http://www.alhalaby.com>، يوم ٢٠١٣/٠٢/٠٧.

(٢٨) مجموعة باحثين، الإخوان المسلمون والسلفيون في الخليج، مركز المسبار للدراسات والبحوث، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ط٢، ٢٠١١، ص ٢٥٠.

لأداء مهمة الدعوة، بالإضافة إلى أنهم صغار السن وترسيخ المنهج في نفوسهم يضمن استمراره، إذن فمنهج التصفية والتربية هو أسلوب التنشئة لدى السلفية، وهذا هو الأصل المهم لاستمرار عملية الإصلاح.

خاتمة

من خلال عرض مفهوم التوحيد في الأدبيات السلفية وأنواعه ومقتضياته، وكذا أصول العقيدة السلفية بحيث أن كل أصل له دواعي ووظائف يؤديها داخل النسق الايديولوجي لهذه العقيدة، وكذلك بعرض أهم أعلام هذا المنهج، يتبين أن السلفية هي دائماً في حالة تأهب ومازالت تدافع عن نظرة حضارة التوحيد عن طريق علم التوحيد وعقيدة التوحيد، وهو طريق الإصلاح الذي يعتبر مهمة شريفة ونبيلة تستحق العناء والتعب والتضحية، لأنها كانت مهمة الرسل واتباعهم وبها بنوا الحضارات، والإصلاح يكون بإصلاح العقيدة ليتم الانتقال بالتوحيد إلى إصلاح حال الأمة اليوم.

المراجع

- ١- ابن القيم الجوزية، التفسير القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.
- ٢- أبي عثمان اسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، عقيدة السلف أصحاب الحديث، تحقيق د. ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٩٩٨.
- ٣- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الفتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري، الجزء ١٣، المكتبة السلفية، بدون تاريخ، نسخة إلكترونية.
- ٤- الإمام محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ.
- ٥- أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة، الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، تحقيق: رضا بن نعلان معطي، دار الراية للنشر والتوزيع، ط٢، الرياض، ١٩٩٤.
- ٦- أبي عمر يوسف بن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، بدون تاريخ، نسخة إلكترونية.
- ٧- تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، منهاج السنة النبوية في نقض الشيعة القدريّة، ج ٥، ط١، ١٩٨٦، نسخة إلكترونية.
- ٨- تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٤، الجزء ٢٨.
- ٩- سعيد «محمد موسى» حسين إدريس السلفي، الأربعون حديثاً النبوية في منهاج الدعوة السلفية، ط١، دار الإمام أحمد، القاهرة، مصر ٢٠٠٨.

- ١٠- شمس الدين ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين، الجزء ١، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، بدون تاريخ، نسخة إلكترونية.
- ١١- عبد الحكيم أبو اللوز، الحركات السلفية في المغرب (١٩٧١-٢٠٠٤)، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩.
- ١٢- عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، سنن الدارمي، نسخة إلكترونية.
- ١٣- عبد الملك بن أحمد بن المبارك رمضاني الجزائري، امتاع البصر بمدارك النظر في السياسة، الفرقان، بيروت، بدون تاريخ.
- ١٤- علي بن حسن الحلبي الأثري، التصفية والتربية، محاضرة مفرغة من موقع الشيخ علي بن حسن، <http://www.alhalaby.com> / يوم ٢٠١٣/٠٢/٠٧.
- ١٥- مجموعة باحثين، الإخوان المسلمون والسلفيون في الخليج، مركز المسبار للدراسات والبحوث، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ط٢، ٢٠١١.
- ١٦- محمود البستاني، الإسلام وعلم الاجتماع، مجمع البحوث الإسلامية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٩٤.
- ١٧- مشهور بن حسن آل سلمان، السلفية النقية وبراءتها من الأعمال الردية، الدار الأثرية، ط١، الأردن، ٢٠١١.

18- BENKHEIRA Mohammed Hocine, le gouvernement des docteurs de la loi: sur les conceptions de l'autorité en islam, conférence présenter le mardi 25/09/2012 au siège du CRASC à 14h00.

ملامح تحديد الخطاب الاسلامي في مرحلة ما بعد الحداثة

د. عاشور مزيلخ*



مقدمة البحث

المدلول بتحديد ملامح الخطاب الإسلامي في اعتقادنا في مرحلة ما بعد الحداثة، هو أن نتجاوز أولاً المفهوم اللغوي، فهو مفهوم متصل بمواجهة الخطاب الإسلامي للأخطار الجديدة التي تشهدها الأمة، ومدى قدرته على الاستجابة ومسايرة التطور، وهل هي حتمية افترضت عليه في ظل خطاب حداثي له ثقافته، صارت مهمة مستقبلية مرهونة بطبيعة الخطاب الديني وما يصدر عنه، كما أنه لا يمكن إغفال التطورات المختلفة المتلاحقة في مختلف المجالات، وهذا ظاهر من خطاب ما بعد الحداثة، وظهور أشكال جديدة من الفكر الغربي بمختلف تياراته السياسية

والفلسفية والإيديولوجية، صارت تراحم ساحتنا العربية والإسلامية، هنا تولدت لدي فكرة الخطاب الإسلامي وخطاب ما بعد الحداثة، صارت الدافع الأبعد إلى هذه الدراسة، فاخترت أن يكون موضوع مداخلي هو: ملامح تحديد الخطاب الإسلامي في مرحلة ما بعد الحداثة.

ولأهمية تجديد الخطاب الإسلامي وقيمه العلمية، نسعى من خلال هذه الدراسة إلى بيان واقع خطابنا الإسلامي وأفق ما بعد الحداثة، وكيفية تفاعله مع ذلك، وما الذي يمكن أن يفيد خطابنا

• أستاذ محاضر ونائب عميد كلية العلوم الإسلامية/ جامعة الجزائر. achour-890@hotmail.com

الإسلامي في مرحلة ما بعد الحداثة، ليكون لدينا خطاباً دينياً معاصراً، ليتماشى والتجربة الإنسانية، ولرسم سياسة تخدم خطابنا الإسلامي يخرج الأمة من فوبيا التخلف، بمعنى ما هي ملامح الخطاب الإسلامي المنشود في مرحلة ما بعد الحداثة؟ وما مكانته في ضوء الاتجاهات الحداثية في قراءة النص؟

وعليه فهذه المداخلة المتواضعة تسعى إلى الإجابة على سؤال مفاده: كيف يمكن أن نتصور ملامح الخطاب الإسلامي وطرحات خطاب ما بعد الحداثة؟ وكيف يمكن أن يعيش واقعه المعاصر، واقع المرأة الجديد والرفع من شأنها، وواقع حقوق غير المسلمين في أرض المسلمين، وحقوق المسلمين في المجتمعات الغربية، وظاهرة التعدد والاختلاف الديني، والتقدم الزراعي والصناعي ومواكبة التكنولوجيا.

لذا كان من الضروري الوقوف على بعض التجارب العالمية لبعض جهود علماء الإسلام في الدعوة إلى تجديد الخطاب الإسلامي، الموصلة لخطاب إسلامي في مرحلة ما بعد الحداثة، وبيان وسلطة الأصالة والمعاصرة في مرحلة ما بعد الحداثة الذي يعيق تأسيس فكر سياسي وخطاب إسلامي، إذ لا بد من تجاوز حالة التلقي السلبي الغير فاعل، والإيمان بغلبة المفاهيم الغربية بكل مضامينها، لنقف في الأخير عند نظرية الخطاب الإسلامي النقدية التي تحقق التجديد لمواجهة تحديات الحداثة والعولمة للحفاظ على تراثنا.

وذلك بالتركيز على المحاور التالية:

أولاً: مفهوم التجديد والتحديث في الخطاب الديني ولماذا التجديد لا التحديث.

ثانياً: التجارب العالمية لبعض المؤسسات والمنظمات العربية والإسلامية في الدعوة لتجديد الخطاب الإسلامي.

ثالثاً: الخطاب الإسلامي وسلطة الأصالة والمعاصرة في مرحلة ما بعد الحداثة.

رابعاً: نظرية الخطاب الإسلامي النقدية والخطاب الإسلامي المنشود.

والهدف من هذه الدراسة هو تحديد ملامح الخطاب الإسلامي أو نظرة استشرافية لخطابنا الإسلامي، كيف يكون وكيف يساهم بدوره في بناء مناخ ديني وفكري لنسعى من خلاله إلى تحقيق رؤية واسعة وشاملة ونظرة نقدية لبعض مشكلاتنا الفكرية، قد تحد من إشكالية تفاعل خطابنا الإسلامي في مرحلة ما بعد الحداثة.

أولاً: مفهوم التجديد والتحديث في الخطاب الإسلامي، ولماذا التجديد لا التحديث

مفهوم التجديد

انطلاقاً من مفهوم الحديث النبوي الشريف الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد دينها) [رواه أبو داود]، نفهم من ذلك أن التجديد مطلوب شرعاً، وأمراً لازماً لوجود الجماعة الإسلامية وضرورياً لاتصالها واستمرارها على حال الجماعة والاجتماع، للبحث عن الأجوبة الشرعية المناسبة لما يستجد من الحوادث في الوجود الإسلامي، فهو إحياء وإصلاح علاقة المسلمين بالدين والاهتداء بهديه؛ لتحقيق الحياة الكريمة على الأرض، وتجديد حال المسلمين ولا يعني تبديلاً في الدين أو الشرع، والتجديد لا يعني هنا التحديث كما يضمن البعض، والتحديث هنا لا يعني «القطيعة مع الماضي بقدر ما يعني الارتفاع بطريقة التعامل مع التراث إلى مستوى ما نسميه بالمعاصرة»^(١) الأساس الذي يطرحه محمد عابد الجابري، الذي هو خير من يمثل هذا الموقف، هو «كيف يمكن للفكر العربي المعاصر أن يستعيد ويستوعب الجوانب العقلانية في تراثه، ويوظفها توظيفاً جديداً»^(٢) يستجيب لحاجة عملية يفرضها وضعنا الحالي كما يعلن أن استراتيجيته لا تبغي الهدم وإنما تبحث «عما يمكن أن يساهم في إعادة بناء الذات العربية»^(٣).

وإن كان التجديد اصطلاح محدد فالطريق إليه يكون في ممارسة الاجتهاد على الحقيقة، والاجتهاد هو الأصل الرابع من أصول أدلة الأحكام الذي يأتي بعد الكتاب والسنة والإجماع، يقول الجويني في هذا الصدد: «نصوص الكتاب والسنة محصورة مقصورة، ومواقع الإجماع معدودة مأثورة (...) ونحن نعلم قطعاً أن الوقائع التي يتوقع وقوعها لا نهاية لها»، ما يميز مجال الدراسة في التجديد مجال معرفي وحقل دلالي خاص، فهو جهد فكري تأسيسي^(٤) وهذا من واجبات العالم الفقيه بأعمال عقله الفقهي للوقوف على الحكم الشرعي.

هذا هو التجديد الذي نريده العودة إلى الأصول وإحياءها، وليس التجديد بالمفهوم الغربي القائم على تجاوز الماضي أو الواقع الراهن، ونسبية القيم؛ إذ تعتبر كل قيمة قابلة للإصابة والتحول، أساسها المعرفة البشرية المنبثقة من الواقع المشاهد أو المحسوس المادي.

(١) محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩١، ص ١٦.

(٢) محمد عابد الجابري، نحن والتراث، دار الطليعة، المركز الثقافي، بيروت، ١٩٨٠، ص ٦٦.

(٣) محمد عابد الجابري، نحن والتراث، دار الطليعة، المركز الثقافي، بيروت، ١٩٨٠، ص ٦.

(٤) ينظر: جمال سلطان، تجديد الفكر الإسلامي دار الوطن الرياض ١٩٩١ ص ١٣.

مفهوم التحديث

مفهوم يتصل بالوجود الاجتماعي وما يرتبط به من أنماط الوجود السياسي والقانوني والاقتصادي والفكري، يعني هذا القول التحديث يعني وجوب مراجعة كافة أنماط الوجود المختلفة مراجعة شاملة من حيث إنها تستهدف استصلاح وإنقاذ ما يمكن إنقاذه منها، إزاحة تلك الأنماط من الوجود واستبدالها بأخرى مكانها حتى يتخذ التحديث معناه الكامل، فلا تحديث إلا باعتبار الموجود متجاوزاً وحائلاً دون التطور.

التحديث عملية تتعلق بالمجتمع من جهة أولى، وتتصل بالتاريخ من جهة ثانية، وترجع إلى الإيديولوجيا من جهة ثالثة.

والتحديث، في تعبير آخر، هو ما يقدم من حلول هدفها الرد على الإشكالات الحاصلة؛ بمثابة تحدي يعصف بالبناء الاجتماعي القائم ويتوخى الإطاحة بالأنسجة الفكرية والاقتصادية والسياسية القائمة.

حقيقة ما بعد الحداثة: بما أن الحداثة مذهب فكري واسع الانتشار؛ ظهر كمنظومة من الأفكار ابتداء من النصف الأول من القرن العشرين؛ ولعب دوراً حاسماً في تحديد مسار التطور الاجتماعي والثقافي والسياسي في الغرب؛ استطاع أن يضمن الشروط الموضوعية لهذا المسار.

حداثة تجاوزت الإنسان كمركز للوجود؛ يعبر الفيلسوف (ماكس فيبر) عن ذلك بقوله: (إن قدر حقبة أكلت من شجرة المعرفة هو الاعتراف بأن مواقفنا من الحياة والكون ليست أبداً نتاج تعاظم معرفتنا التجريبية، وإن أرفع المثل العليا الأشد تحريكا لنا؛ إنما تتشكل فقط في الصراع مع مثل أخرى مختلفة؛ هي مقدسة عند الآخرين، تماماً كما هي مثلنا بالنسبة إلينا)^(٥).

وإن تداخلت في تكوين خطاب ما بعد الحداثة، تيارات فكرية متنوعة، تقوم على الذاتية مقابل الموضوعية، والتعددية مقابل الوحدة، والانكفاء على الذات والذوبان في المجتمع، وتغلغل في شتى مناحي الفكر والحياة، حيث صار لها أثراً في الأدب والفكر والفن والاجتماع وفي فلسفة العلم ذاته.

إذن، فمذهب ما بعد الحداثة تيار فكري نشأ في الأصل وفي كثير من جوانبه ردة فعل لـ«الحداثة»، وما بعد الحداثة تقوم في الأساس على فرضية وهي أنه ليس هناك

(٥) ينظر: علي عبد الرازق، الإسلام وأصول الحكم، موفم للنشر، الجزائر، ١٩٨٨.

حقيقة مطلقة، منكرة أن يكون هناك حقيقة خارج الذهن، مشككة في أن يكون العقل قادراً على الحكم الموضوعي، وإنما يكمن دور العقل في بناء الحقيقة، ولا يكتشفها، فالحقيقة عندهم بنية ثقافية، تتبنى بداخل الإنسان بفعل ثقافته ولغته ثم يحكم على كل ما يصل إليه بطريقة تفكيكية بحيث لا يكون لرأي الكاتب أي أثر على المعاني التي يراها أمامه، فهي مفهوم فضفاض وغامض^(٦)، فليس هناك حقيقة مطلقة، بل هناك معارف اجتماعية يبنها الإنسان، فالإنسان أسير ثقافته، هي التي تحدد له «حقائقه»، ولذلك ففرض تلك «الحقائق» على ثقافات أخرى تسلط وظلم، مهما قيل عن وجود دليل «عقلي» يسندها^(٧)، بمعنى أن فكر ما بعد الحداثة، خطاب يرفض حداثة القرن العشرين، في شكل أعمال وأفكار وتقنيات وآليات فكرية ومنهجية تحررية ترزعزع أفكارنا السابقة وتشكك فيها.

وهنا لا بد من الإشارة إلى تأثير مرحلة ما بعد الحداثة على بعض النخب في عالمنا العربي والإسلامي، بثوا الشك في مصادر الاستنباط وفي طرق التفريع أو الإحالة إلى حكم الفروع؛ عملاً بقواعد التلقي الحديثة في أن النص محكوم بوعي القارئ لذلك فلا يمكن الجزم بحكم مستنبط؛ سواء بالأصالة أو التبعية.

وفي ظل هذه الدعوات وما فتحته من مجال لحداثة علمانية متطرفة، لذلك وجب الوقوف بتركيز شديد أمام ما نقوم به من استباحة للنص وتشويه وتحريف الدين الحنيف. ولا يتحقق ذلك بالرد العنيف بل بالمحاورة العلمية الهادفة والقادرة على درء الشبهات وإثبات عظمة الاستنباط والاجتهاد الشرعي.

ونظراً لارتباط فكر ما بعد الحداثة بالحداثة، نستطيع القول أنه تمثيل للفكر الأوروبي، ومنظومة فكرية غربية خالصة شملت الفلسفة والتاريخ والانثروبولوجيا وعلم الاجتماع وعلم النفس والفكر السياسي، حبيسة لميتافيزيقا المادة كرّست: الفردية بدل التعددية، والعصبية بدل الاختلاف، والروح بدل المادة، والأبدية بدل الزمن.

إن ظهور الأشكال الجديدة للفكر الغربي، بمختلف تياراته السياسية والفلسفية والإيديولوجية، وما تهدف إليه وما أعقبها من نتائج؛ وبروز طرائق جديدة في التفكير،

(٦) مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة، محمد الشيخ وياسر الطائري. ١٩٩٦ دار الطليعة بيروت، ص ٣٥.

(٧) ينظر: المناحي الجديدة للفكر الفلسفي. سالم يفوت. دار الطليعة: بيروت، (١٩٩٩)، ص ٨٧.

لم تعدها ساحتنا العربية، خصوصاً مع كتابات الفيلسوف الفرنسي جان فرانسوا ليوتارد (Jean-Francois Lyotard)، (علم ما بعد الحداثة) وعنّى بها التعددية الثقافية وتعدد أنماط الحياة^(٨).

ومع الفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو، من المفكرين المعاصرين له دور في الفكر ما بعد الحداثة، نادى بموت الإنسان^(٩)، يرجع تأثيره بالفيلسوف الألماني الملحد نيتشه^(١٠)، الذي نادى بموت الإله، وقد برزت في تفكيره طرائق جديدة فسعى لبناء منظور جديد للمجتمع والمعرفة والخطاب والسلطة والعلاقة بينها^(١١).

تحاول هذه المداخلة بيان مدى تفاعل الخطاب الديني في ضوء الاتجاهات الحداثيّة في قراءة النص، والرامية إلى أهمية مفهوم المواطنة وحقوق الإنسان وواقع المرأة الجديد والصورة التي يلزم أن تكون عليها في الواقع العربيّ الإسلاميّ، والديمقراطيّة، المجتمع، الوطن، التقدّم، التمدّن، الحرّيّة والإصلاح، العدل، وحقوق غير المسلمين، والبحث الدائم عن آفاق إنسانية جديدة، كما فتحت الباب أمام القارئ من غير ضوابط ولا قيد، فأفق القارئ يتحكم في كل شيء أفق لا تضبطه دلالات اللغة ولا أنظمته عرفت بإستراتيجية التفكير^(١٢).

ليحقق الخطاب الديني ويعطي الصورة الصحيح للإسلام والمسلمين، ليكون خطاباً فعلاً وواقعياً قادراً على تقديم حلول لحياتنا اليومية.

(٨) إشكالية المنهج في العلوم الاجتماعية العربية المعاصرة، عبيد الله العمري، وعبد القادر العرابي، كتاب الرياض ١٩٩٩، ١٤٢٢، ص ٩٩.

(9) Postmodern Theory: Critical Interrogation (1991). Best, S. & Kellner, D (p. 44).

(١٠) جيانى قاتيمو: نهاية الحداثة، الفلسفات العدمية والتفسيرية في ثقافة ما بعد الحداثة ١٩٨٧، ترجمة دة. فاطمة الجيوشي، دمشق وزارة الثقافة ١٩٩٨، ص ٤.

(11) Postmodern Theory: Critical Interrogation. Best, S. & Kellner, D. (p. 34).

(١٢) التفكيرية ثورة على جميع المفاهيم القديمة التي أنتجها الغرب وغيره، أي تقويض لكل قيم وأنساق ومفاهيم منطقية أو أخلاقية، وهي تفتتت لكل خطاب جاهز أي كل خطاب تشكل وفقاً لآليات وطقوس دلالية أو نظم وقواعد تشكلت عبر الزمن، وهي قراءة تحاول عدم ربط علاقات الخطاب بأي عمليات تفسيرية تركز على معايير خارجية.

ثانياً: التجارب العالمية لبعض المؤسسات والمنظمات العربية والإسلامية في الدعوة لتجديد الخطاب الإسلامي

كثير الجدال كثيراً حول تأخر المسلمين وتقدم غيرهم، الرامية لاكتشاف الذات من خلال اكتشاف «الآخر»، وفي هذا السياق كان لبعض المؤسسات والمنظمات العربية والإسلامية دور في ترسيخ ومتابعة وتبني مشروع تجديد الخطاب الديني، كالمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (ISESCO) بالرباط المغرب، ومركز الدراسات الحضارية وحوار الثقافات كلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة مصر، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (ALECSO) تونس.

ولعلنا لا نبالغ إن قلنا إن من أهم رواد الدراسات العميقة الداعية لتجديد الخطاب الإسلامي، بعدما أيقن علماء الإسلام الخطر الكبير الذي يدهم الإسلام من جراء انتشار سيطرة الغرب عليه^(١٣)، وإثر ذلك برزت فكرة الوحدة الإسلامية وانتشرت فكرة الدعوة إلى التجديد والإصلاح والتطلع لدراسة علوم الغرب والأخذ بأسباب الحضارة الحديثة، وتمثلت هذه الدعوات في حركات سياسية عرفت باسم الجامعة الإسلامية، وارتبطت فكرة الجامعة الإسلامية خلال القرن التاسع عشر باتجاهين، هما الاحتجاج على الفساد الداخلي، ومقاومة الاعتداء الغربي الخارجي، مما دفع بالمصلح الكبير، جمال الدين الأفغاني العالم الإسلامي (١٨٢٨-١٨٩٧)، إلى المطالبة بالتجديد الفقهي والعودة إلى الكتاب والسنة والاجتهاد في ضوء الواقع الحديث ورفض المذاهب والتفوق المذهبي وحث على اتباع المناهج العلمية، مهاجماً رجال الدين المحنطين وفضح مولاتهم للسلطين.

دعياً إلى الاستفادة من الحضارة الأوروبية، وخصوصاً التنظيم السياسي المتعلق بالديمقراطية، ويرى في الجامعة الإسلامية الإطار الأمثل لتنظيم الأمة الإسلامية، وللم شمل العالم الإسلامي^(١٤).

فكان مفهوم الجامعة الإسلامية^(١٥) عند الأفغاني قائم على أسس واقعية ترفض وتقر بمفرداته كأدوات لرؤى الإصلاح المرتقب ودليل ذلك قوله: أرجو أن يكون سلطان جمعهم القرآن ووجهة وحدتهم الدين وكل ذي ملكه يسعى بجهده لحفظ الآخر ما استطاع فإن

(١٣) راجع كتاب حاضر العالم الإسلامي وترجمة عجاج نويهض، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٩٢٥، ص ٧٣.

(١٤) د. حسن حنفي، جمال الدين الأفغاني الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩ ص ٢٣.

(١٥) نصر الدين عبد الحميد نصر حركة الجامعة الإسلامية الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤ ص ١٠.

حياته بحياته وبقاءه ببقائه، كما يرى الأفغاني في حضارة أوروبا وأدواتها خطراً على الإسلام والمسلمين لا يمكن التصدي له إلا بتجمع إسلامي يدرك هذه الحقيقة^(١٦) إلا أن الجامعة الإسلامية لما يكتب لها النجاح حينذاك بالرغم من الجهود المبذولة وتعدد الدعوات.

المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ISESCO بالرباط المغرب

كان من بين اهتمامات المنظمة تحقيق بعض الأهداف الإنسانية، لتحقيق المنافع المشتركة، ولا يتحقق ذلك إلا من خلال الحوار والاتصال بالغير، طبعاً هذا يستند في نظر المنظمة إلى أسس ثابتة وضوابط محكمة، وإثر ذلك سارت أنشطة المنظمة في الدعوة إلى التجديد الإسلامي، في عقد مؤتمرات وندوات دولية، تناولت قضايا التعايش بين الحضارات والثقافات من أجل التعايش، وصورة العالم الإسلامي في الإعلام الغربي، والقيم الإنسانية من منظور إسلامي، والتنوع الثقافي، وإسهامات الحضارات الإنسانية في الارتقاء بقيم حقوق الإنسان.

فكان مفهوم المنظمة هو تطوير الثقافة العربية الإسلامية، والاستفادة من الحضارة الغربية، ويكون ذلك برسم إستراتيجية العمل الثقافي الإسلامي في الغرب، ولعله لا نبالغ إن قلنا إن من أهم منشورات المنظمة هي للدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري، منها: خصائص الحضارة الإسلامية وآفاق المستقبل، وآفاق مستقبل الحوار بين المسلمين والغرب، الإسلام والتعايش بين الأديان في أفق القرن ٢١م، والرصيد الثقافي المشترك.

كما رسمت المنظمة خطة مستقبلية متوسطة المدى (٢٠٠١-٢٠٠٩)، تحت عنوان: الثقافة الإسلامية الفاعلة والمتفاعلة^(١٧)، بينت من خلالها تفتح الثقافة الإسلامية على الثقافات الأخرى، دون أن تفقد خصائصها أنتجت، ثقافة فاعلة ذات بعد إنساني.

كما نجد في برنامج المنظمة التنفيذي الخاص بالعالم الإسلامي، خصوصاً في المجال الثقافي ركزت فيها المنظمة على الثقافة الإسلامية والقيم الإنسانية، والتبادل الثقافي بين المسلمين والتفاعل مع الثقافات الأخرى، داعية إلى الاهتمام بالتراث الثقافي الإسلامي ومواكبة التقدم الحضاري الإيجابي، استجابة لتطلعات الأمة، وتماشياً والتطورات المتلاحقة خصوصاً في مجال الإتصال ونقل المعلومات.

(١٦) نصر الدين عبد الحميد نصر حركة الجامعة الإسلامية الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤ ص ٣٩.

(١٧) ينظر: الكتاب الأبيض حول الحوار بين الحضارات بمناسبة اعلان سنة ٢٠٠١م سنة الأمم المتحدة للحوار بين الحضارات، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ISESCO ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م بدءاً من ص ١٢٧،

ولا تزال المنظمة تزاوّل عملها باستمرار، لتقديم رؤية صحيحة للثقافة الإسلامية، تمثل الخطاب الإسلامي المنشود، خطاب يحقق قدراً مشتركاً من المنافع، ويزيل أسباب سوء الفهم، تمكن من الجمع بين الموروث الثقافي العربي الإسلامي ومكتسبات الحضارة الغربية.

مركز الدراسات الحضارية وحوار الثقافات كلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة مصر

شارك المركز في بناء خطاب عربي إسلامي ووعي متجدد، ليس انتصاراً للذات بقدر ما هو الاتصال بالآخر، فدعا إلى تأسيس شبكة عربية لحوار الثقافات والشعوب، فكانت من أهدافها تبادل الخبرات، الاهتمام ببناء خطاب ديني مشترك بين أبناء الثقافة العربية وأبناء الثقافات والحضارات الأخرى.

كما دعا المركز إلى التواصل بالمنظمات والشبكات الدولية ليتسنى لها فرصة الانفتاح على ثقافتنا وذلك بخطاب ديني عادل ومنسجم مع الواقع.

وسعى المركز إلى تطعيم الخطاب الإسلامي بأهمية وضرورة ثقافة التعايش والتعاون، الذي يحقق احترام الآخر.

فكانت الفكرة الأساسية للمركز هي إيجاد خطاب إسلامي منفتحاً على الغير بعيداً عن الصراع، وهذا بفضل الحوار، لذلك كانت ندوات ومحتضرات المركز خدمة للذات الحضارية والحاجة الماسة للآخر، وتفعيل الرؤية المستقبلية للخطاب الإسلامي.

ومن أهم الندوات والمحاضرات حول تفعيل الخطاب الإسلامي:

(١) الهوية الإسلامية في المجتمعات الأوروبية، التنازلات والاندماج قراءة في المشهد الفرنسي الراهن، ما بين ١٨ - ١٩ فيفري سنة ٢٠٠٤م.

(٢) أوروبا وإدارة حوار الثقافات الأوروبية ونحو رؤية عربية لتفعيل الحوار ودعم المصالح.

(٣) ومحاضرة بعنوان: من الاختلاف إلى الصراع: الخطابات العربية والأمريكية بعد الحادي عشر سبتمبر.

كما سُجِّلَت للمركز إصدارات تتعلق بتجديد الخطاب الإسلامي منها:

(١) خطابات عربية وغربية في حوار الحضارات، سنة ٢٠٠٤م تحرير نادية محمود مصطفى ود. علا أبو زيد.

(٢) أوروبا وحوار الثقافات الأوروبية ونحو رؤية عربية لتفعيل، سنة ٢٠٠٧م.

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ALECSO تونس

بذلت منظمة (ألكسو) جهداً كبيراً لتفعيل الخطاب الإسلامي لمواجهة خطاب ما بعد الحداثة للحد من الصراع والصدام بين الأديان والحضارات، انطلاقاً من مجموعة من المبادئ صارت إستراتيجية مهمة للمنظمة، ونجد في نص المادة الأولى من الدستور دعوة إلى التفاعل والتواصل مع الثقافات الأخرى وتشجيع «التعاون بين الأمة العربية والأمم الأخرى في جميع نواحي النشاط الفكري، والأخذ بطرق التعاون الدولي التي من شأنها أن تجعل المادة المطبوعة أو المنشورة التي ينتجها عضوفي متناول الناس جميعاً»^(١٨)، خطاب يقدم وجه الأمة الحضاري الإنساني إلى العالم، وفي هذا السياق وضعت المنظمة خطة استراتيجية لتفعيل الحوار مع الثقافات الأخرى، منها التكامل بين السياسات الثقافية والإعلامية في الوطن العربي سنة ٢٠٠١م، والسياسات من أجل التنمية سنة ٢٠٠٢م.

وبنظرة استقرائية موضوعية لندوات ومؤتمرات المنظمة تتكشف لنا بوضوح رؤية المنظمة في تجديد الخطاب الإسلامي أهمها:

- (١) ندوة: دور الإعلام في التواصل الثقافي بين العرب والغرب، ١٨ مارس ٢٠٠٣م.
 - (٢) ندوة عن: العلاقة بين الثقافة العربية والثقافات الإفريقية.
 - (٣) الملتقى الفكري العربي حول: حوار الحضارات تواصل لا صراع، ما بين ٢٦-٢٧ نوفمبر سنة ٢٠٠١م، القاهرة مصر.
 - (٤) ملتقى التنوع الثقافي والعولمة، التجربة العربية اليابانية حوار بين الأقاليم، مايو سنة ٢٠٠٢م، مقر منظمة اليونسكو باريس فرنسا.
- وتشكل نشاطات المنظمة عملاً استراتيجياً لتفعيل الخطاب الإسلامي مع الآخر، وتقديم صورة صحيحة صادقة للثقافة العربية.

(١٨) ينظر: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وحوار الثقافات: المرجعيات والانجازات والتوجهات، من منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ألكسو، تونس، يونيو ٢٠٠٥م، أيضاً على موقع المنظمة، على الشبكة العنكبوتية، www.ALECSO.org.tn

ثالثاً: الخطاب الديني وسلطة الأصالة والمعاصرة في مرحلة ما بعد الحداثة

بما أن عصر الفلسفة الحداثيّة يفترض نقد التراث باعتبار أن التأسيس الفعلي للحداثة لا يتأسس إلا بضرورة القطع الجدلي مع التراث، والسؤال هل كل تحديث للخطاب إسلامي مشروط بالتأسيس؟ أم أن كل خطاب إسلامي مشروط بالشروط التي أسست الوجود العربي-الإسلامي المؤسسة على الماضي، لتجاوز التردّي الحاصل باعتبار الحداثة ذاتها لا يمكن التفكير فيها إلا حداثياً.

والاتصال بين التحديث والتأسيس ما هو إلا محاولة إقامة علاقة متفجرة للماضي بالمستقبل وليس مجرد «توفيق» بزيّ جديد، أي الرجوع إلى التراث ليس إلا محاولة تأسيس تكشف من خلالها ما إن كان التراث مساعداً على تكوين عقلية حديثة، طبعاً هذا سوف يفرض علينا ممارسة تقويض لكثير من مسلمات التراث والفكر السائد والمهيمن.

والخطاب الإسلامي الراهن لا يزال يحاول تجديد موقعه في ظل خطاب ما بعد-حداثة، مع ميلاد القراءة الحداثيّة المعاصرة، المتمثلة في نظريات جماليّات التلقي ونظريّات الاستقبال، مع العلم أن المشروع الفلسفي والاجتماعي العربي لن يكون إلا حداثياً، مما يدل على هوس العقل الإسلامي الحداثي بتجاوز التراث، أحياناً باسم الحداثة، وتارة باسم المعاصرة.

إلا أن هناك محاولات جادة تسعى إلى هدم تجارب المشروع الحداثي الغربي، تتعلق بالتجديد الأصيل والإبداع والاستجابة لتحدي العولمة من نقد أوضاع العرب المتخلفة لبناء مجتمع عصري بثقافة عصرية، ومعرفة كيف يمكن توظيف الفلسفات النقدية الغربية في مجتمع غربي أو إسلامي يفتقد لأبسط مقومات الحداثة، ويفترض ذلك تجديد خطاب إسلامي يمثل ثقافة عربية ويستوعب التجديدات التكنولوجية، والاهتمام بالتعليم العالي والبحث العلمي، والإنتاج الأصيل والإبداع، ووقف هجرة الأدمغة العربية إلى الخارج.

ومنذ ذلك ازداد التهافت لتقديم رؤى جديدة في الخطاب الإسلامي لبعض المفكرين العرب، وقد تناول المفكر محمد عابد الجابري تفسير غياب حداثة عربية بهيمنة العوامل الخارجية، يقول بعد طرحه لأسباب ظهور الحداثة في الغرب: «أما بالنسبة للعالم العربي والإسلامي فلقد كان العامل الخارجي من أبرز الأسباب التي كانت وراء تقهقر الأوضاع فيه، أو على الأقل جمودها، ضمن نموذج يكرر نفسه باستمرار، ويتمثل هذا العامل الخارجي في الغزو المباشر والمدمر الذي تعرضت له المنطقة العربية انطلاقاً من هولاكو إلى الحروب الصليبية إلى التوسع الأوروبي الحديث»^(١٩).

(١٩) محمد عابد الجابري،

إذن منطق غياب حداثة عربية في نظر محمد عابد الجابري هو من كبل الخطاب الإسلامي، فالخطاب الإسلامي السائد في المجتمع العربي، خطاب يحمل بذور الهزيمة، مما يتطلب بناءه نقدياً وحداثياً قبل مقابلتها بخطاب ما بعد الحداثة، لأننا سوف ندخل أمام تحديات ثورة المعلومات والتقنيات والتي أصبحت عنواناً للنهضة في هذا القرن، والتي تحتاج إلى امتلاك العقل والعلم والاتصال مع شبكة المواصلات والاتصالات العالمية والمساهمة في صياغة العالم الجديد في ظل التنمية والديمقراطية والتقدم والتكنولوجيا صارت من المقومات والأسس للنهضة.

وفي هذا السياق نلاحظ تصور المفكر محمد عابد الجابري للحداثة، أن الحداثة من أجل الحداثة لا معنى لها، والحداثة رسالة ونزوع من أجل التحديث، تحديث الذهنية، يعني التحديث هنا «القطيعة مع الماضي بقدر ما يعني الارتفاع بطريقة التعامل مع التراث إلى مستوى ما نسميه بالمعاصرة»^(٢٠)، الأساس الذي يطرحه محمد عابد الجابري، هو «كيف يمكن للفكر العربي المعاصر فيما يوظفه من خطاب أن يستعيد ويستوعب الجوانب العقلانية في تراثه، ويوظفها توظيفاً جديداً»^(٢١) يستجيب لحاجة عملية يفرضها وضعنا الحالي، كما يعلن أن استراتيجيته لا تبغي الهدم وإنما تبحث «عما يمكن أن يساهم في إعادة بناء الذات العربية»^(٢٢)، وهذا بعد أن لاحظ تسارع اتجاهات عربية إلى الترويج لما يسمى بفكر ما بعد-الحداثة، عاصفة بالعقل وبمفهوم الذات، والذات المفكرة، منبهاً في هذا السياق إلى خطورة ذلك بقوله: «وسنكون مخطئين إذا نحن اعتقدنا أن الغرب قد تحرر من تلك الخلفيات الثقافية الدينية التي كانت توجه فلاسفة التاريخ والمستشرقين وأنه الآن غرب علماني خالص، عقلاني براغماتي لا غير، سنكون مخطئين إذا نحن جردنا الغرب عن ذاكرته الثقافية الدينية»^(٢٣).

ويرى الدكتور جابر الأنصاري، في الفقه الحضاري كأساس للخطاب الإسلامي، إذ يقول «إلا أن هذا الفقه الحضاري، مع ذلك مثل المصدر الأساسي لأهم فلسفة عربية في التاريخ والاجتماع لدى ابن خلدون... وانطلاقاً من هذين المصدرين الأصوليين النظريين (الفقه الحضاري ومقدمة ابن خلدون)، وباستقراء منهجي خصوصية الواقع المجتمعي

(٢٠) ينظر: محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩١، ص ١٦.

(٢١) محمد عابد الجابري، نحن والتراث، دار الطليعة، المركز الثقافي، بيروت، ١٩٨٠، ص ٦٦.

(٢٢) محمد عابد الجابري، نحن والتراث، دار الطليعة، المركز الثقافي، بيروت، ١٩٨٠، ص ٦.

(٢٣) محمد عابد الجابري، مسألة الهوية: العروبة والإسلام... والغرب، مركز دراسات الوحدة العربية،

سلسلة الثقافة القومية. (٢٧)، الطبعة الأولى بيروت، أبريل ١٩٩٥، ص ١٣٦.

العربي، يمكن أن نكتسب الدعوة إلى تأسيس علم اجتماع عربي إسلامي منطلقها الحقيقي للتعاظم مع قضايا العصر وإشكالاته، وصولاً إلى تأسيس علم اجتماع سياسي عربي على وجه الخصوص...»^(٢٤)، هي دعوة إلى أن نستند إلى ذاتنا الثقافية الإسلامية وأن نجعل شعارنا الرجوع إلى هذه الذات، وأن نكون أكثر ارتباطاً بالماضي وقوالب التراث، وبناء خطاب إسلامي وهوية ثقافية نقدية، والابتعاد عن كل خطاب إسلامي مؤسس على الهيمنة.

وهنا لن ننسى أن الكلام عن كونية الإسلام وكونية الحضارة العربية الإسلامية، أي التنظير لهوية ثقافية من منطلق أحادي الجانب سواء كان باسم العرق أو العقيدة أو المشروع التاريخي وفق منطلق ديني أو ميتافيزيقي ما زال يحكم الكثير من التيارات الفكرية الأصولية، لا يكتف إلا نزعة في رفض الآخر، والتي لا تغير الاهتمام لمطلب العقلانية والتحديث الجذري، لا يحقق إلا تأسيساً لثقافة اختلافية لكل الشرائح الاجتماعية، إن التعدد والتنوع الثقافييين سيساهم في بناء هوية منفتحة، وبناء فلسفة نقدية بديلة قادرة على الاستجابة لمتطلبات الحداثة من موقع الشعوب المستضعفة.

وكانت دعوة الأستاذ طه عبد الرحمن بالعودة إلى التراث بمثابة دعوة لتجديد الخطاب الإسلامي: «ليس معنى بقاء التعامل مع التراث هو حفظ كل ما فيه على الوجه الذي كان به من غير اعتبار لمقتضى الماضي ولا لمقتضى الحاضر، نظراً لأنّ هذا الحفظ ولو سعينا إليه ما سعينا يظل غير ممكن، فلا أحد يستطيع أن يقطع صلته بحاضره قطعاً، وأن يعود إلى الماضي ليعيش بقيمه مثلما عاش بها أجداده؛ فمن يدعي ذلك فهو إما مفتر أو غافل، لأنه ليس في وسعه أبداً أن ينزع من جوانحه وجوارحه كل تأثيرات الحاضر المختلفة»^(٢٥)، هنا تكمن أهمية التراث والنهوض به في استخدام منهج لتقويمه، ليكون لدينا خطاباً إسلامياً يتماشى مع العصر، وفي هذا السياق أصل طه عبد الرحمن موقفه من النظرة التقليدية الداعية بالجمود على التراث والاستكانة على ما كان، وأن الماضي على ضربين هما: «ماضي الوقائع» و«ماضي القيم»، فأما ماضي الوقائع والأحداث فقد مضى وولى، ومن المحال أن ترجع الوقائع التي مضت أسبابها الزمنية. ومن ثمة، لا مساغ لإحيائها، بل لا إمكان، وأما القيم فليست كلها تتبدل، إذ ثمة من القيم ما لم يطرأ عليه تبدل، وفضلاً عن هذا، لا تقبل القيم المبادرة إلى البرهنة عليها «إذ تبقى [هي] دائماً

(٢٤) محمد جابر الأنصاري: مناقشة كتابه تكوين العرب السياسي ومغزى الدولة القطرية، مجلة المستقبل العربي، عدد ٩٢/٩٣، ص ٦٤.

(٢٥) طه عبد الرحمن: حوارات حول المستقبل. منشورات الزمن. سلسلة كتاب الجيب. العدد ١٣. ٢٠٠٠. ص. ١٣.

موضع تحكم إنساني يزيد أو ينقص، ومواطن المعقولية فيها متفاوتة ونسبية، حتى إن هذه المعقولية لا تكاد تتمحض أبداً». أضف إلى هذا، أن لا سبيل أبداً إلى التجرد من أي قيم شئنا ومتى شئنا^(٢٦).

ومن هذا التصور ينبني موقف طه عبد الرحمن موقف المنتصر لدمج الوعي الجديد داخل مجرى النص الإسلامي «الانتصار للتراث انتصار من ينكر ضرورة العلم الحديث، ولا هو، على العكس من ذلك، الانتصار للعلم الحديث انتصار من ينكر فائدة الموروث، وإنما هو الأخذ منهما بالقدر الذي يجعل الواحد منهما فاعلاً في الآخر، بحيث ينفعه وينتفع به؛ ولا طريق إلى الاجتهاد، ولا تحصيل لهذه القدرة بغير التمكن في العلم الحديث إلى غاية مضاهاة صانعيه من أهل الغرب»^(٢٧)، أي القراءة المعاصرة داخل النطاق الإسلامي، لتأسيس عقلاً جديداً في أوساط النخبة العربية، وبناءً على ذلك، فلا تعد كل أداة منقولة من الغرب مذمومة، ولا يعد الجمود على الآلية المأصولة في التراث مقبولة كل القبول ما لم تظهر إجراءاتها، هو ما عبر عنه: بـ «التراث الجديد»^(٢٨).

والنتيجة أصبح النظر في تجديد الخطاب الإسلامي عند طه عبد الرحمن أكثر حداثة، حين دعا إلى إمكانية الاستفادة من المناهج المعاصرة، ومن هنا باتت الحاجة جد ماسة من أجل بناء خطاب إسلامي وأن لا تراث جديد إلا بالاجتهاد؛ إذ «ليست قيم تاريخ الأمة التي يتم بها التأصيل مودعة في أوعية محددة يستردها صاحبه منها كما تسترد الودائع من مكانها، وإنما يستنبطها من هذا التاريخ بمجهود فكري، كثير أو قليل، كما تستنبط الحقائق من ظواهرها».

وعلى هذا الأساس ارتبط مفهوم تجديد الخطاب الإسلامي لدى محمد عابد الجابري والدكتور جابر الأنصاري وطه عبد الرحمن، بشبكة من المفاهيم «الأصالة والتراث» والمعاصرة وما بعد الحداثة؛ تأكيداً للهوية والوعي دون تقليد جامد، التي أرادت مواكبة المدنية الغربية في بعض الجزئيات، من شأنها أن تساهم في تحديث وعصرنة مجتمعنا؛ وتكوين وعي يسهم في قراءة جديدة أو مُعادة للماضي والحاضر، قراءات تشجع على استعمال العقل النقدي في رؤية الواقع، وتعبد الطريق للأجيال القادمة.

(٢٦) طه عبد الرحمن: فقه الفلسفة ٢- القول الفلسفي (كتاب المفهوم والتأثيل). المركز الثقافي العربي.

البيضاء بيروت. الطبعة الأولى ١٩٩٩. ص. ٢٧.

(٢٧) طه عبد الرحمن: حوارات حول المستقبل. ص. ٢٩.

(٢٨) طه عبد الرحمن: حوارات حول المستقبل. ص. ٢٩.

رابعاً: نظرية الخطاب الإسلامي النقدية والخطاب الإسلامي المنشود

كان جلّ اهتمام القراءات الحداثيّة المعاصرة دون استثناء بمفاهيم النص والدلالة واللفظ والمعنى والتاريخ والنظام اللغوي، طبعاً تطوّر يتماشى والبيئة الغربية من حيث غلبة النسق اللغوي والأدبي على حساب الأنساق الأخرى، ونرى اليوم أن المعركة الدائرة بين أصحاب خطاب ما بعد الحداثة وأصحاب ذهنية اتباعية ترفض الإبداع وتدينه، وبين دعاة الخطاب الإسلامي المنشود، صراع جسد قراءة تعني بتقديم البديل على مستوى الدلالة والمعنى، وهو انقلاب جذري ضد الاتجاهات السابقة، فتحت الباب أمام القارئ من غير ضوابط ولا قيد.

ولا جدال أن هذا الصراع قد ساهم بدوره في الإسراع على الانفتاح على ثقافات جديدة، وعقليات جديدة، أي دمج الوعي الجديد داخل مجرى النص الإسلامي.

ومن المفاهيم المؤسّسة لقيم الحداثة؛ مفهوم الفردية؛ والذي يعني الحرية المطلقة في التعبير عن الذات في شتى مجالات الحياة؛ مع الابتعاد عن التقاليد والمحاكاة والروابط الاجتماعية والأخلاقية، ومفهوم الانفصال عن القيمة، ومصطلح «السيولة»؛ والذي يعني سقوط الإنسان في الميوعة وقابلية التشكّل وفق جميع المتطلّبات؛ والتمركز حول الغريزة وإشباع الرغبات وتكريس مركزية الأنثى.

وهكذا برزت محاولات عدّة لكثير من المفكرين العرب أملاً منهم في تخطي عقبة العقلية التقليدية، شكّلت مدخلاً هاماً وضرورياً للولوج إلى الحداثة، بإعادة تشكيل العقل العربي ليكون لدينا خطاباً إسلامياً متفاعلاً.

لقد حاول الباحث الجزائري الدكتور (محمد أركون) تشكيل علم سميائيات الخطاب الديني، فانطلقت قراءته بتطبيق المنهج التاريخي، أي إعادة تاريخ الظاهرة القرآنية، مصطلح مترجم عن اللفظ الفرنسي Historocite، أو (Historisme) الذي يعني: القياس التاريخي أو العملية التاريخية، أي استنطاق الماضي، وانطلاقاً من قراءة محمد أركون التاريخية، تتحقق إعادة تأويل وإنتاج النصوص الأصلية، ويمكن تأسيس منهج نقدي حداثي في التعامل مع الظاهرة القاهرة، ومع التراث العربي الإسلامي، وهو إعادة قراءة القرآن قراءة مفتوحة، باعتباره ظاهرة تاريخية ونصية قبل أن يكون كتاباً إلهياً، وإعادة قراءة السيرة النبوية، وفي مقابلها سيرة علي بن أبي طالب، لتعدّد الحقيقة في الإسلام ما بين سنّة وشيعة، إعادة قراءة أدبيّات الحركات الإسلامية المعاصرة، لتبيان الاستغلال الأيديولوجي للنصوص، ومن ثمة الوصول إلى تحديد دقيق لمفهوم العقل الإسلامي.

ومن كل ما سبق فالاجتهاد في الإسلام له خصوصيته العلمية والموضوعية؛ لذا لزم في القراءة أن تكون مناسبة ومستوفية لآليات التنزيل الصحيح، وما أدخله (محمد أركون) من آليات في الاجتهاد أو القراءة المفتوحة، والتي تنطلق من عدّه للنص القرآني جزءاً من التراث وتطوره طبقاً لحاجة الناس، القائمة على منهج الشك^(٢٩).

إن تلك المحاولات الساعية لتقديم قراءة حديثة لخطابنا الإسلامي، غايتها هدم أساسيات العقل الإسلامي، قراءة بعيدة عن الأصول والمصادر، قراءة معاكسة تماماً للقراءة الواردة في القرآن، وهذا بسبب الخلفيات الاعتقادية، بسبب الجهل والتحريف التام للتراث وفي حق النص، ما هو في الأخير إلا تزييفاً للحقيقة، وذلك لعجز أغلب الدارسين والباحثين في امتلاك آليات تفسير النصوص.

ومن الصعب بمكان تقديم مقترحات لعصرنة خطابنا الإسلامي الحالي، لأن القضية جد شائكة وحافلة بالكثير من التحديات، ولكي لا نترك المجال مفتوحاً لأي خلط ولا لأي التباس أو سوء تأويل، نقدم ملامح تجديد الخطاب الإسلامي المنشود في النقاط التالية:

- إدراك حقيقة العقل الإسلامي: بما أن العقل هو منهج في النظر، وطريقة في تحصيل المعرفة واجب في الإسلام كما ذكر ابن رشد^(٣٠)، والمعرفة متنوعة بقدر تنوع هذا العالم المحيط بالإنسان، تمثل تراثاً إنسانياً عالمياً تثريه إسهامات وعطاءات الشعوب المختلفة، فلذلك يصعب استغناء المتأخرين عن أعمال المتقدمين^(٣١)، والثابت في ذلك هو جعل العقل ميزة الإنسان عن الحيوان وأنه أساس معرفتنا، من شروط إقامة مجتمع فاضل كما نبه ابن رشد مجتمع قيامه على علاقات تبادلية بين أطرافه، بحيث لا مجال فيه للانعزال والاغتراب والانكفاء على الذات^(٣٢)، فمن أبرز آراء ابن رشد هي إيمانه المطلق بضرورة الانفتاح على الآخر، وعدم الانعزال والتقوقع على الذات الذي يعتبره انحرافاً في السلوك تترتب عليه مساوئ وأضرار اجتماعية كثيرة. كما نادى ابن رشد بتحقيق الانفتاح على مستويين اثنين: اجتماعي وثقافي فكري.

فعلى المستوى الاجتماعي: لاحظ ابن رشد أنه في خضم الصراعات والفتن السياسية والفكرية تنتشر النزعة الانعزالية بين الناس على اختلاف طبقاتهم ووظائفهم،

(٢٩) أركون محمد، تاريخية الفكر العربي والإسلامي، ترجمة هاشم صالح، المركز الثقافي العربي، بيروت الدار البيضاء، ط٢، سنة ١٩٩٦م، ص ٢٩١.

(٣٠) ابن رشد، تهافت التهافت. تقديم محمد العريبي، بيروت، دار الفكر اللبناني، ١٩٩٣، ص ٢٨.

(٣١) ابن رشد: فصل المقال، تقديم ألبيير نصري نادر، بيروت، دار المشرق، ص ٣٢.

(٣٢) ابن رشد، فصل المقال، ص ٣٣.

وهذه النزعة علة تصيب الإنسان لخلل يلحق توازنه النفسي، وهي تتعارض مع ما جبل عليه من ميول نحو الاجتماع والأنس، ويرى ابن رشد أن حياة التوحد والانعزال لا تثمر صناعات ولا علوماً، وواجب الإنسان أن يأخذ بنصيبه في إسعاد نفسه والتمتع بفرص الحياة الدنيوية وإسعاد المجموع.

وعلى المستوى الثقافي الفكري ضرورة الانفتاح على الفكر الآخر، وعدم الانغلاق الثقافي، مع الحرص على إخضاع الفكر الآخر لأحكام الشرع.

هذه هي حقيقة العقل الإسلامي صفة إلهية تنعكس في الإنسان، المحقق لخطاب إسلامي مبني على التعايش، والتحرر من الانغلاق الفكري والمذهبي والمتفتح على الغير، والدعوة للتواصل مع الغير، خطاب إسلامي تنال المرأة فيه حظها في تحمل مسؤولية المجتمع، خطاب إسلامي يزود عقل المسلم بمعايير قارة للتمييز بين الخبيث والطيب.

- الدعوة إلى تفعيل المؤسسات الدينية: الغرض من تفعيل دور المؤسسات الدينية هو تفعيل للخطاب الإسلامي يعيش اليوم داخل حلقة مفرغة، خطاب تائه لا يحقق المقصود، وتواصل ناقص مع مختلف الشرائح، وانعزال عن القضايا الاجتماعية والسياسية الوطنية الكبرى.

ولهذه المؤسسات الدينية قيمتها العلمية في الحفاظ على الثقافة والعلوم، وضمان استمرارها، ورغم ذلك، فلا يمكن إنكار قيمتها في الحفاظ على الحد الأدنى من توازن المجتمع في مواجهة الثقافات الدخيلة التي تهدد الاستقرار الاجتماعي، إذا لا بد من تشجيع دور المؤسسات الدينية، وبث روح والمبادرة الذاتية فيهم لتطوير التفكير الإسلامي والكف عن تحجيم دور العلماء والحد من نفوذهم المتعاطم داخل المجتمع، يعتبر شرطاً ضرورياً للنهضة العلمية وازدهار العلوم والإبداع والابتكار.

ولا بد من تحسين مناهج التكوين وتعليم العلوم الدينية، للحد من انتشار التقليد وفشو التعصب للمذهب وقمع الحريات الأساسية في التعبير والتفكير وتلقي المعلومات، لنتمكن من ربط خطابنا الإسلامي بقضايا المجتمع عن طريق الإجابة على تساؤلات الناس والهيئات الاجتماعية؛ المساهمة في تنمية الموارد البشرية بمحاربة الأمية.

وتحاول مؤسساتنا الدينية وهيئات العلماء أن تستعيد اليوم موقعها في السعي إلى إيجاد حلول للمشاكل التي تواجه مجتمعاتنا، ومجابهة خطاب ما بعد الحداثة، خصوصاً الأحداث الراهنة التي تعيشها بلادنا في السنين الأخيرة أعادت الخطاب الإسلامي إلى الواجهة وألزمنا بإعادة النظر في القضايا الفكرية، ليوكب خطابنا الإسلامي التطورات ويواجه الثقافات المدمرة التي تهدد الأمن الاجتماعي والوحدة الوطنية والاستقرار السياسي.

لذلك لا بد من تعميق تكوين العلماء تكويناً عالياً في العلوم الدينية والفلسفية والاجتماعية؛ وإيجاد علماء مبدعين مجتهدين، للمساهمة في بلورة المشروع المجتمعي الوطني والمنظور الجديد للإصلاح السياسي والديني والاجتماعي، وغرس فيهم روح التجديد وروح النقد.

ويحقق الخطاب الإسلامي المنشود بين العلماء، القدرة على التواصل مع الآخرين وتثقيفهم وتنشئتهم على قيم التسامح والحوار واحترام الرأي، ضمن ما يتصدر من قنوات ووسائل الاتصال بينهم.

لنخلص في الأخير إلى النتائج التالية:

١- التضحية بالهوية الإسلامية من أجل الوجود، أطروحة مردود عليها، فلا وجود من دون هوية، وبالتالي لا يمكن التضحية بأحدهما دون التضحية بالآخر، فمن يفقد هويته يفقد وجوده.

٢- إعادة تجديد خطابنا الإسلامي بروح نقدية ورؤية عقلانية دون القطيعة مع الماضي، التي تحقق التجديد لمواجهة تحديات الحداثة والعولمة.

٣- لا خوف على خطابنا الإسلامي من التقدم والتحديث التجديد، وإن كان خطاب ما بعد الحداثة تهديد لخطابنا الإسلامي.

٤- السعي لتحقيق خطاب إسلامي مواكب للتقدم ما استيعاب التراث (تاريخنا الثقافي بمختلف تياراته) والإشادة بالمواقف العلمية لتراثنا.

٥- يجب أن يكون التجديد الإسلامي ضارباً في الماضي، إذ يستمد قيمه الداخلية من القيم الثقافية المحفزة للأمة.

٦- أن تكون نظرة الخطاب الإسلامي النقدية ذات أبعاد مستقبلية تمنحه القدرة في مواجهة التحديات الجديدة التي تشهدها البشرية.

٧- نطالب بأن يكون خطاب إسلامي في مستوى التحدي الجديد، تحدي المستقبل باقتراح أجوبة مناسبة تجعله يواكب التحولات التي تفرضها ظاهرة خطاب ما بعد الحداثة.

٨- أن يقبل الخطاب الإسلامي بمظاهر التعدد والاختلاف الثقافي لبناء مجتمع حديث، مواكب للتقدم في شتى مجالات الحياة.

٩- أن يعبر الخطاب الإسلامي المنشود عن حاجات الأمة لتحسين قيمة الإنسان الاجتماعية والمادية والنفسية تضمن له حقوقه وتحقق له الأخوة والتسامح والتعايش بين أفراد المجتمع الواحد.

الصيرفة الإلكترونية كحتمية لتفعيل أداء الجهاز المصرفي الجزائري

د. نورالدين جليد* - أة. أمينة بركان**

ملخص



هدفت الدراسة إلى إبراز تأثير اعتماد الخدمات المصرفية الإلكترونية على أداء الجهاز المصرفي الجزائري، غطت الدراسة ٣٥ وكالة بنكية في حدود (عين الدفلى، تيبازة، البلدية)، ناقشت هذه الأخيرة اثر استخدام الخدمات المصرفية الإلكترونية على ربحية هذه الوكالات وأدائها وكذا تأهيل العمال لتقديم هذه الخدمات المصرفية الإلكترونية، وتمت الدراسة بتوزيع ٣٥ استثماراً على الوكالات البنكية المختارة.

وخلصت الدراسة إلى أن:

جميع البنوك الجزائرية لديها مواقع على شبكة الانترنت وتقدم

الخدمات المصرفية الإلكترونية بدرجات متفاوتة اعتماد الصيرفة الإلكترونية تؤثر إيجاباً على كفاءة وفعالية البنك بالإضافة إلى الزيادة في أدائه من خلال زيادة ثروة البنك وتحسين العلاقة مع عملاء هذا البنك، كما وان البنك المركزي هو الذي يقوم بصياغة توجيهات بشأن الصيرفة الإلكترونية.

د. نورالدين جليد: أستاذ محاضر مدير مخبر الاقتصاد الرقمي في الجزائر جامعة خميس مليانة/ الجزائر.

N_djelid@yahoo.fr - www.cu-km.dz

أة. أمينة بركان: أستاذة مساعدة، عضو مخبر الاقتصاد الرقمي في الجزائر، جامعة خميس مليانة/ الجزائر.

aminaberkan@yahoo.fr - www.cu-km.dz

تمهيد

شهدت الساحة المصرفية العالمية في نهاية القرن العشرين ومع بداية هذا القرن العديد من التطورات تمثلت أساساً في التوجه نحو المصارف الشاملة، الاندماجات والتوسع في استخدام المعاملات المصرفية الإلكترونية، وتبني مفهوم البنوك الإسلامية والخصوصية، والتي انعكست بشكل واضح على الأنظمة المصرفية لغالبية دول العالم وخاصة فيما يخص تطوير الخدمات المصرفية وتنوعها.

نظراً لهذه التحولات التي شهدتها العالم، ومع دخول الجزائر اقتصاد السوق وانضمامها المرتقب للمنظمة العالمية للتجارة أضحي لزاماً على المصارف الجزائرية في ضوء ما تشهده الساحة المصرفية من تغيرات والتي تسعى من ورائها لتحديث خدماتها المصرفية، حتى تستطيع الارتقاء إلى مستوى التحديات التي تواجه الأداء المصرفي من أجل مواكبة المتغيرات المصرفية العالمية.

الإجراءات المنهجية للدراسة الميدانية

في هذه المداخلة يتم استعراض أهم الخطوات والإجراءات المنهجية التي تم الاعتماد عليها في الدراسة الميدانية، من خلال توضيح: أسلوب الدراسة، مجتمع الدراسة، عينة الدراسة ومختلف الأدوات الإحصائية المستعملة.

أولاً: تحديد مجتمع الدراسة

قام الباحث بتوزيع ٣٥ استمارة على المدراء والمتخصصين في العمل المصرف وخاصة في مجال الخدمات المصرفية الإلكترونية، وقد تم توزيع الاستمارة على بعض فروع البنوك العمومية الجزائرية والبالغ عددها ٦ بنوك جزائرية عمومية، وتم توزيع ٣٥ استمارة على بعض فروع هذه البنوك وهي كالتالي:

- البنك الوطني الجزائري ٧ استمارات
- البنك الخارجي الجزائري ٥ استمارات
- بنك الفلاحة والتنمية الريفية ٥ استمارات
- بنك التنمية المحلية ٦ استمارات
- القرص الشعبي الجزائري ٦ استمارات
- الصندوق الوطني للتوفير والاحتياط ٦ استمارات

ثانياً: أسلوب جمع البيانات والأدوات الإحصائية المستعملة

١- أسلوب جمع البيانات

* الاستبيان: يتمثل الاستبيان في قائمة تتضمن مجموعة من الأسئلة ذات الطابع الرسمي يتم تحديدها وصياغتها وفق أسس علمية بهدف توفير معلومات وبيانات تخدم هدف البحث، كما تعتبر الأداة الرئيسية لجمع البيانات من الميدان وتهدف إلى التعرف على آراء واتجاهات ونوايا ودوافع مجتمع الدراسة ولقد قمنا بتصميم الدراسة وفق المحاور الكبرى لإدارة المخاطر في المؤسسات الاقتصادية (المعلومات الشخصية، المخاطر التي تهدد الشركة، إدارة المخاطر داخل الشركة، المقومات الداعمة لفعالية إدارة المخاطر داخل الشركة). كما أنه يوجد لا يوجد نوع نموذجي للأسئلة التي يمكن إدراجها ولكن يتوقف نوع الأسئلة على موضوع الدراسة وبما أننا أردنا معرفة كيف تتم إدارة المخاطر في الشركة ولتكون دراستنا أكثر مصداقية وفعالية استعنا بسلم ليكارت الخماسي في غالبية الأسئلة، كما استعنا بالأسئلة المغلقة المفتوحة.

سلم ليكارت الخماسي: هو أكثر المقاييس شيوعاً حيث يطلب من المبحوث أن يحدد درجة موافقته أو عدمها على خيارات محددة، وهذا المقياس غالباً مكون من خمسة خيارات متدرجة يشير إليها المبحوث إلى اختيار واحد منها.

أوافق بشدة، أوافق، محايد، لا أوافق، لا أوافق بشدة

* تصميم الاستبيان: تناول الاستبيان ستة مواضيع رئيسية حول ظاهرة الخدمات المصرفية الإلكترونية والأداء هي:

- الخصائص الديمغرافية للعينة
- التهديدات التي تواجه البنك
- الأداء العام للبنك
- الربحية والحصة السوقية
- الصيرفة وتسهيل المعاملات
- اختبار الفرضيات

٢- الأدوات الإحصائية المستعملة: بعد تفرغ الاستمارة وترميز البيانات تم الاستعانة ببعض الأدوات الإحصائية أهمها:

أ- التكرارات والنسب المئوية على فقرات الدراسة المختلفة، وذلك لتقديم وصف شامل لبيانات العينة من حيث: الخصائص، درجة التأييد ودرجة الرفض.

ب: اختبار مربع كاي χ^2 test، يستعمل اختبار مربع كاي في مقارنة مجموعة من النتائج المشاهدة Observed أو المتحصل عليها من تجربة حقيقية بمجموعة أخرى من البيانات الفرضية التي وضعت على أساس النظرية الفرضية التي يراد اختبارها. وتعتمد هذه النظرية الفرضية على افتراض وجود عينة عشوائية بها عدد n من المفردات قسمت إلى عدد من الفئات المتشابهة تسمى Classes أو (C) بحيث يقع كل فرد في العينة في إحدى هذه الفئات فقط ثم مقارنة التكرارات المشاهدة بالتكرارات المتوقعة بقصد معرفة مدى انطباق التكرارات المشاهدة بالتكرارات المتوقعة باستعمال اختبار مربع كاي.

استخدامات مربع كاي^(١): اختبار صحة الفرض Hypothesis testing

يستخدم هذا الاختبار في الحالات التالية^(٢):

- جودة التوفيق
- الاستقلال
- التجانس

وفكرة تطبيق اختبار مربع كاي للاستقلال لمعرفة إذا كان هناك علاقة بين صفتين من صفات المجتمع أم لا.

مثل: هل هناك علاقة بين مستوى الدخل ومستوى التعليم؟

هل هناك علاقة بين التدخين والإصابة بسرطان الرئة؟

ملاحظة: يكون مقياس البيانات اسمي أو ترتيبى

خطوات إجراء اختبار مربع كاي للاستقلال^(٣):

(١) - صياغة الفروض الإحصائية:

فرض العدم: H_0 لا توجد علاقة بين الصفتين.

الفرض البديل: H_1 توجد علاقة بين الصفتين.

(١) انظر الموقع www.alseaf.com/wp-content/.../04/handout5.ppt تاريخ الاطلاع ٢٠/٠٥/٢٠١١.

(٢) انظر الموقع www.kau.edu.sa/Files/13007/Files/63098_vh8.pdf تاريخ الاطلاع ٢٠/٠٥/٢٠١١.

(٣) انظر الموقع www.kau.edu.sa/Files/13007/Files/63098_vh8.pdf تاريخ الاطلاع ٢٠/٠٥/٢٠١١.

(٢) تكوين جدول التوافق وتحديد التكرارات المشاهدة: وهو يحتوي على التكرارات المشاهدة i لكل خلية j . حيث تمثل القيمة O_{ij} المشاهدة للخلية التي تقع في الصف والعمود.

(٣) حساب التكرار المتوقع: E_{ij} ويحسب لكل خلية بواسطة العلاقة التالية:

$$= \frac{\text{مجموع الصف الذي به الخلية (i) X مجموع العمود الذي به الخلية (j)}}{\text{مجموع التكرارات (حجم العينة)}}$$

(٤) حساب إحصاء الاختبار: نوجد χ^2 المحسوبة (الفعلية) من العلاقة التالية:

$$\chi^2 = \sum_i \sum_j \frac{(O_{ij} - E_{ij})^2}{E_{ij}}$$

(٥) تحديد قاعدة الرفض: نوجد χ^2 النظرية (الجدولية) بدرجات حرية مناسبة.

$$\chi^2_{(1-\alpha)(I-1)(J-1)}$$

حيث: I: عدد الصفوف C: عدد الأعمدة

a: مستوى المعنوية

(٦) - القرار:

• H_0 χ^2 H_1 χ^2 χ^2 إذا كانت قيمة المحسوبة (الفعلية) أقل من قيمة النظرية (الجدولية) بمعنى إذا وقعت المحسوبة في منطقة القبول إذا نقبل ونرفض أي أنه لا توجد علاقة بين الصفيتين.

• H_0 χ^2 H_1 χ^2 χ^2 إذا كانت قيمة المحسوبة (الفعلية) أكبر من قيمة النظرية (الجدولية) بمعنى إذا وقعت المحسوبة في منطقة الرفض إذا نرفض ونقبل أي أنه توجد علاقة بين الصفيتين.

ثالثاً: دراسة وتحليل البيانات وعرض النتائج

يتم في هذا المطلب استعراض نتائج الدراسة الميدانية وتحليلها ومناقشتها وفقاً للأهداف والأسئلة و«الفرضيات الموضحة مسبقاً»، بداية بدراسة خصائص العينة محل

الدراسة من الناحية الديمغرافية، ليتم في الجزء الأخير اختبار فرضيات البحث والخروج بنتائج وتوصيات على ضوء ذلك، ونتائج الاستبيان مقسمة الى:

- الخصائص الديمغرافية للعينة
- التهديدات التي تواجه البنك
- الأداء العام للبنك
- الربحية والحصة السوقية
- الصيرفة وتسهيل المعاملات
- اختبار الفرضيات

١- الخصائص الديمغرافية للعينة

تضم عينة الدراسة مجموعة من الموظفين ذو مستويات تعليمية مختلفة، كما يوضحه الجدول التالي:

الجدول رقم (١): توزيع مفردات العينة حسب المؤهل العلمي

ص	التكرار	النسبة %
ثانوي	٣	٨,٥٧
ليسانس	٣٠	٨٥,٧١
دراسات عليا	٢	٥,٧١
المجموع	٣٥	١٠٠

المصدر: من إعداد الطالب بالاعتماد على بيانات الاستمارة

يتضح من الجدول (١) أن أكبر عدد من أفراد عينة الدراسة كان من حملة درجة ليسانس، حيث بلغ عددهم ٣٠ بنسبة مئوية ٨٥,٧١ %. هذا وكان أقل عدد من أفراد عينة الدراسة هم من حملة الثانوية العامة والدراسات العليا، حيث بلغ عددهم (٥) على التوالي ٢,٣ بنسبة مئوية ٨,٥٧ %، ٥,٧١ % على التوالي.

ويمكن تفسير ذلك من خلال أن أغلبية الوظائف في البنوك تعتمد على شهادة الليسانس كحد أدنى لذلك من أجل القيام بالأعمال الموكولة بكل دقة وفعالية، لذلك كانت النسبة الأكبر من العاملين من حملة الليسانس، كما أن نسبة لحملة درجة الماجستير والدكتوراة حيث بلغت النسبة ٥,٧١ %، وهذا يدل على حرص البنوك على توظيف العاملين من حملة الدرجات العليا، وذلك من أجل رفع كفاءة وسوية العمل في تلك البنوك.

كما تضم عينة الدراسة مجموعة من الموظفين ذو الخبرات المختلفة، كما يوضحه الجدول التالي:

الجدول رقم (٢): توزيع مفردات العينة حسب الأقدمية

النسبة	التكرار	البيان
٢٢,٨٥	٨	٥,١
٢٨,٥٧	١٠	١٠:٦
٢٥,٧١	٩	١٥ ١١
١٧,١٤	٦	٢٠ ١٦
٥,٧١	٢	٢١
١٠٠	٣٥	المجموع

المصدر: من إعداد الطالب بالاعتماد على بيانات الاستمارة

يتضح من الجدول (٢) أن أكبر عدد من أفراد عينة الدراسة كانوا من أصحاب الخبرة المتوسطة ٦ سنة إلى ١٥ سنة، حيث بلغت أعدادهم ١٩ موظفًا بنسبة ٥٤,٢٨ ٪. كما تبين أن أقل عدد من أفراد عينة الدراسة كان من أصحاب الخبرة أكثر من ٢١ سنوات، حيث بلغ عددهم ٢ بنسبة مئوية ٥,٧١ ٪. كما يتشكل أفراد العينة من أصحاب المهن المحترمة كإطارات إدارية أو أصحاب مهن حرة، كما يوضحه الجدول التالي:

الجدول رقم (٣): توزيع مفردات العينة حسب متغير المهنة

النسبة	التكرار	البيان
٥,٧١	٢	متدرب
٢٤,٢٨	١٢	موظف مساعد
٦٠	٢١	موظف رئيسي
	٣٥	المجموع

المصدر: من إعداد الطالب بالاعتماد على بيانات الاستمارة.

يتضح من الجدول (٣) السابق أن أكبر نسبة من أفراد عينة الدراسة كانت من فئة موظف رئيسي، حيث بلغ عددهم ٢١ موظف وموظفة بنسبة ٦٠ ٪، كما يتضح أن أقل عدد من أفراد عينة الدراسة كانت من أصحاب المتدربين ٢ لكل من الفئتين وبنسبة مئوية ٥,٧١ ٪ وأخيرًا بلغت نسبة موظف مساعد ١٢ موظف وموظفة بنسبة مئوية ٢٤,٢٨ ٪.

٢- التهديدات التي تواجه البنك

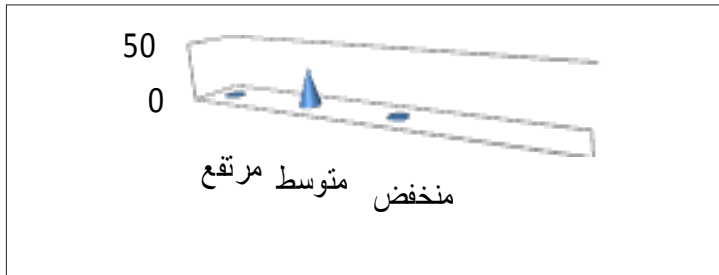
الجدول والشكل الموالي يوضحان التهديدات التي تواجه البنوك من جراء استخدامها للخدمات المصرفية الإلكترونية.

الجدول رقم (٤): التهديدات التي تواجه الخدمات المصرفية الإلكترونية

النسبة	التكرار	البيان
٠	٠	تهديدات قانونية
٠	٠	ضعف الاتصالات
٠	٠	عطل أجهزة الصراف الآلي
١٠٠	٣٥	كل ماسبق

المصدر: من إعداد الطالب بالاعتماد على بيانات الاستمارة

من الجدول السابق نلاحظ ان وجود تهديدات كبيرة أمام انتشار الخدمات المصرفية الإلكترونية يعود إلى ضعف البنية التشريعية والقانونية السائدة التي توفر المناخ الملائم للخدمات المصرفية الإلكترونية فضلاً عن عطل أجهزة الصراف الآلي، بالإضافة إلى ضعف ضعف الاتصالات.



الشكل رقم (١): تقييم حدوث خطر في البنك نتيجة استخدام الخدمات المصرفية الإلكترونية
المصدر: من إعداد الطالب بالاعتماد على بيانات الاستمارة.

من الشكل السابق نلاحظ أن هناك أخطار يمكن أن يواجهها البنك نتيجة استخدامه للخدمات المصرفية الإلكترونية ويمكن تقييم هذا الخطر بأنه متوسط بنسبة كبيرة.

٣- الأداء العام للبنك

الشكل رقم (٢): الأداء العام في البنك نتيجة استخدام الخدمات المصرفية الإلكترونية

النسبة/	التكرار	البيان
١٤ %	٥	ممتاز
٧٧ %	٢٧	جيد جدا
٩ %	٣	جيد
٠ %	٠	حسن
٠ %	٠	ضعيف
١٠٠	٣٥	المجموع

المصدر: من إعداد الطالب بالاعتماد على بيانات الاستمارة

نلاحظ من الشكل السابق أن ٧٧ بالمائة أكدوا أن الأداء العام للبنك نتيجة استخدام الخدمات المصرفية الإلكترونية أداء جيد جداً، بينما نسبة ١٤ بالمائة كان تقديرهم بممتاز، في حين (٠) بالمائة للملاحظات حسن وضعيف.

٤- الربحية والحصة السوقية

الجدول رقم (٥): اعتماد الصيرفة الإلكترونية والمساهمة في زيادة الربحية

النسبة	التكرار	البيان
٠ %	٠	٠
٢ %	١	٢٥ - ٠
٢ %	١	٥٠ - ٢٥
٠ %	٠	٧٥ - ٥٠
٩٥ %	٣٣	١٠٠ - ٧٥
١٠٠	٣٥	المجموع

المصدر: من إعداد الطالب بالاعتماد على بيانات الاستمارة

ويلاحظ أن زيادة الربحية تشير إلى أن إدارة البنك تقوم بالاستثمار وفي أصول تولد أكبر قدر ممكن من العائد مع خفض التكلفة، ولكن هناك اختلاف بين تعظيم الربح وتعظيم الثروة، فلكي يحصل البنك على عائد مرتفع فيجب عليه إما أن يتحمل المزيد من المخاطر أو يخفض من تكاليف التشغيل، بينما تعظيم الثروة يتطلب أن تقوم إدارة البنك بتقييم وإيجاد توازن مستمر ما بين فرصة الحصول على عوائد مرتفعة والمخاطر الناتجة عن ذلك (مثل احتمال عدم تحقيق هذه العوائد وإمكانية فشل البنك في هذا). من الجدول السابق انه هناك إجماع على أن اعتماد الصيرفة الإلكترونية ساهم في زيادة الربحية في البنك بنسبة ٣٣ بالمائة إلا انه طرح أشكال حيث زيادة الربحية كانت بعد

مرور فترة زمنية معينة حيث في هذه الفترة تكون هناك قيمة سلبية للبنك نتيجة تكاليف التي تتحملها نتيجة شرائها لمختلف الوسائل المستخدمة في تسيير هذه الخدمات.

الجدول رقم (٦): اعتماد الصيرفة الإلكترونية والمساهمة في زيادة الحصة السوقية

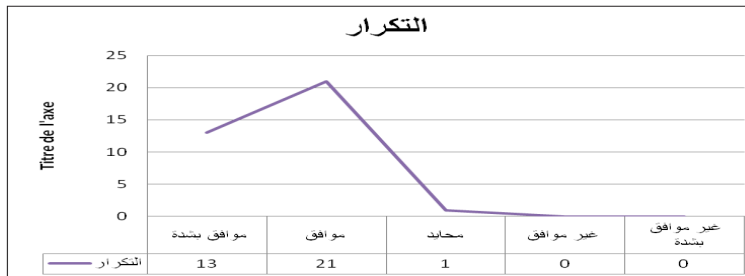
البيان	التكرار	النسبة
٠	٠	٠
٢٥٠	١	٢
٥٠٢٥	١	٢
٧٥٥٠	٠	٠
١٠٠٧٥	٣٣	٩٥
المجموع		

المصدر: من إعداد الطالب بالاعتماد على بيانات الاستمارة

إن الهدف الأساسي لإدارة أي بنك أو شركة أخرى هو تعظيم ثروة حملة الأسهم، ويفسر هذا الهدف على أنه تعظيم القيمة السوقية للأسهم العادية وتتطلب عملية تعظيم ثروة الملاك أن يقوم المديرون بعملية تقييم للتدفقات النقدية والمخاطر التي يتحملها البنك. والملاحظ من الجدول السابق أن نسبة ٩٥ بالمائة اجمعوا على أن استخدام الخدمات المصرفية الإلكترونية في العمل البنكي زاد من حصتهم السوقية.

٥- الصيرفة وتسهيل المعاملات

الشكل رقم (٢): إدخال الخدمات المصرفية الإلكترونية يحسن رضا العملاء



المصدر: من إعداد الطالب بالاعتماد على بيانات الاستمارة

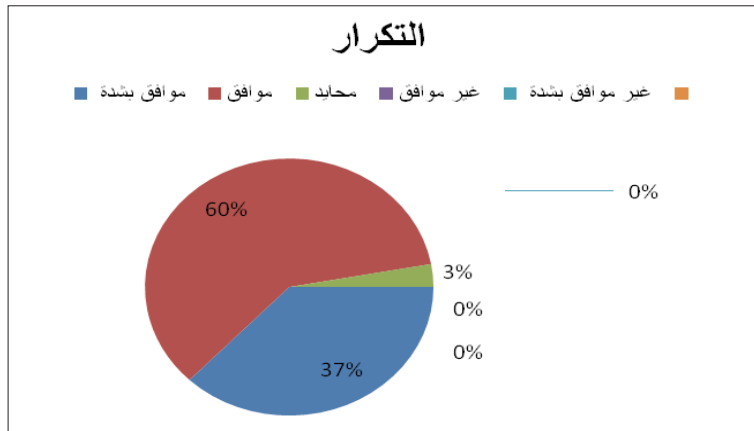
من الشكل السابق نلاحظ أن أغلبية أفراد العينة أكدوا أن إدخال الخدمات المصرفية الإلكترونية يحسن رضا العملاء حيث أن أهم ما يميز الخدمات المصرفية الإلكترونية أن تكاليف تقديم الخدمة منخفضة مقارنة بالبنوك العادية، ومن ثم فإن تقليل التكلفة وتحسين جودتها هي من عوامل جذب العميل ورضاه.

الجدول رقم (٧): إدخال الخدمات المصرفية الإلكترونية وتسهيل المعاملات في البنك

النسبة	التكرار	درجة الموافقة
٣١,٤٢	١١	موافق بشدة
٦٢,٨٥	٢٢	موافق
٥,٧١	٢	محايد
٠	٠	غير موافق
٠	٠	غير موافق بشدة
١٠٠	٣٥	المجموع

المصدر: من إعداد الطالب بالاعتماد على بيانات الاستمارة

الشكل رقم (٣): إدخال الخدمات المصرفية الإلكترونية وتسهيل المعاملات في البنك



المصدر: من إعداد الطالب بالاعتماد على بيانات الاستمارة

من الشكل السابق نلاحظ أن نسبة ٩٧ بالمائة أكدوا إدخال الخدمات المصرفية الإلكترونية يسهل المعاملات في البنك من خلال الخدمات المصرفية المباشرة للعملاء عن طريق القنوات الإلكترونية المختلفة التي تمنح العميل قمة المرونة والسهولة لإتمام معاملاته المصرفية بأمان وراحة على مدار الساعة.

٦- اختبار الفرضيات

الفرضية الأولى: الصيرفة الإلكترونية لا تؤثر إيجاباً على كفاءة وفعالية وحدات البنك.

الجدول رقم (٨): درجة الموافقة على الفرضية الأولى

النسبة %	التكرار	درجة الموافقة
٤٣ %	١٥	موافق بشدة
٤٦ %	١٦	موافق
٥,٧١ %	٢	محايد
٢,٨٥ %	١	غير موافق
٢,٨٥ %	١	غير موافق بشدة
١٠٠ %	٣٥	المجموع

المصدر: من إعداد الطالب بالاعتماد على بيانات الاستمارة

أظهرت بيانات الدراسة أن ٤٣ % من المستجوبين يعتقدون الصيرفة الإلكترونية تؤثر إيجاباً على كفاءة وفعالية وحدات البنك بينما ٤٦ % وافقت على هذا الرأي، وفي حدود ١١ % غير موافق ومحايد وغير موافق بشدة.

وباختبار هذه الفرضية باستخدام كاي تربيع فقد أظهرت نتائج التحليل أن قيمة مربع كاي المحسوبة بلغت ٣٤,٥٧١، ودرجة الحرية ٤، عند مستوى معنوية ٠,٠٥، فيما بلغت قيمة مربع كاي الجدولية ٩,٤٨٧٧، وحيث أن قيمة مربع كاي المحسوبة أكبر من قيمة مربع كاي الجدولية فإننا نرفض الفرضية الصفرية ونقبل الفرضية البديلة والتي تنص على الصيرفة الإلكترونية تؤثر إيجاباً على كفاءة وفعالية وحدات.

الفرضية الثانية: الخدمات الإلكترونية لوحدات البنك ليس لها تأثير كبير على الأداء العام للبنك.

الجدول رقم (٩): درجة الموافقة على الفرضية الثانية

النسبة %	التكرار	درجة الموافقة
٤٠ %	١٤	موافق بشدة
٤٦ %	١٦	موافق
٥,٧١ %	٢	محايد
٥,٧١ %	٢	غير موافق
٢,٨٥ %	١	غير موافق بشدة
	٣٥	المجموع

المصدر: من إعداد الطالب بالاعتماد على بيانات الاستمارة

أظهرت بيانات الدراسة أن ٤٠٪ من المستجوبين الخدمات الإلكترونية لوحدات البنك لها تأثير كبير على الأداء العام للبنك بينما ٤٦٪ وافقت على هذا الرأي، وفي حدود ٥٪ محايد، و٨٠ بالمائة تعتقد أن الخدمات الإلكترونية لوحدات البنك ليس لها تأثير كبير على الأداء العام للبنك وتمثل رأيها في غير موافق وغير موافق بشدة.

وباختبار هذه الفرضية باستخدام كاي تربيع فقد أظهرت نتائج التحليل أن قيمة مربع كاي المحسوبة بلغت ٣٠,٨٥٧، ودرجة الحرية ٤، عند مستوى معنوية ٠,٠٥، فيما بلغت قيمة مربع كاي الجدولية ٩,٤٨٧٧، وحيث أن قيمة مربع كاي المحسوبة أكبر من قيمة مربع كاي الجدولية فإننا نرفض الفرضية الصفرية ونقبل الفرضية البديلة والتي تنص الخدمات الإلكترونية لوحدات البنك لها تأثير كبير على الأداء العام للبنك.

الفرضية الثالثة: اعتماد الخدمات المصرفية الإلكترونية لايعزز ويزيد ثروة البنك.

الجدول رقم (١٠): درجة الموافقة على الفرضية الثالثة

النسبة	التكرار	درجة الموافقة
٤٦٪	١٦	موافق بشدة
٣٧٪	١٣	موافق
٩٪	٣	محايد
٥,٧١٪	٢	غير موافق
٢,٨٥٪	١	غير موافق بشدة
	٣٥	المجموع

المصدر: من إعداد الطالب بالاعتماد على بيانات الاستمارة

أظهرت بيانات الدراسة أن ٤٦٪ من المستجوبين يعتقدون اعتماد الخدمات المصرفية الإلكترونية يعزز ويزيد ثروة البنك بينما ٣٧٪ وافقت على هذا الرأي، وفي حدود ٩٪ محايد، و٨٪ غير موافق وغير موافق بشدة.

وباختبار هذه الفرضية باستخدام كاي تربيع فقد أظهرت نتائج التحليل أن قيمة مربع كاي المحسوبة بلغت ٢٧,٧١٤، ودرجة الحرية ٤، عند مستوى معنوية ٠,٠٥، فيما بلغت قيمة مربع كاي الجدولية ٩,٤٨٧٧، وحيث أن قيمة مربع كاي المحسوبة أكبر من قيمة مربع كاي الجدولية فإننا نرفض الفرضية الصفرية ونقبل فرضية البديلة والتي تنص اعتماد الخدمات المصرفية الإلكترونية يعزز ويزيد ثروة البنك.

الفرضية الرابعة: تقديم الخدمات المصرفية الإلكترونية لا يحسن العلاقة مع عملاء هذا البنك.

الجدول رقم (١١): درجة الموافقة على الفرضية الرابعة

النسبة	التكرار	درجة الموافقة
٣٧,١٤ %	١٢	موافق بشدة
٣٤,٢٨ %	١٢	موافق
١٤,٢٨ %	٥	محايد
٨,٥٧ %	٣	غير موافق
٥,٧١ %	٢	غير موافق بشدة
	٣٥	المجموع

المصدر: من إعداد الطالب بالاعتماد على بيانات الاستمارة

أظهرت بيانات الدراسة أن ٣٧,١٤ % من المستجوبين يعتقدون تقديم الخدمات المصرفية الإلكترونية يحسن العلاقة مع عملاء هذا البنك بينما ٣٤,٢٨ % وافقت على هذا الرأي، وفي حدود ١٤,٢٨ % محايد و ١٤,٢٨ % غير موافق و و ٥,٧١ % غير موافق بشدة.

وباختبار هذه الفرضية باستخدام كاي تربيع فقد أظهرت نتائج التحليل أن قيمة مربع كاي المحسوبة بلغت ١٥,١٤٣، ودرجة الحرية ٤، عند مستوى معنوية ٠,٠٥ فيما بلغت قيمة مربع كاي الجدولية ٩,٤٨٧٧، وحيث أن قيمة مربع كاي المحسوبة أكبر من قيمة مربع كاي الجدولية فإننا نرفض الفرضية الصفرية ونقبل الفرضية البديلة والتي تنص تقديم الخدمات المصرفية الإلكترونية يحسن العلاقة مع عملاء هذا البنك.

الفرضية الخامسة: الخدمات المصرفية الإلكترونية غير متوافقة وتوجيهات البنك المركزي بشأن الصيرفة الإلكترونية.

الجدول رقم (١٢): درجة الموافقة على الفرضية الخامسة

النسبة	التكرار	درجة الموافقة
٥٤,٢٨ %	١٩	موافق بشدة
٣٧,١٤ %	١٣	موافق
٢,٨٥ %	١	محايد
٢,٨٥ %	١	غير موافق
٢,٨٥ %	١	غير موافق بشدة
	٣٥	المجموع

المصدر: من إعداد الطالب بالاعتماد على بيانات الاستمارة

أظهرت بيانات الدراسة أن ٢٨, ٥٤٪ من المستجوبين يعتقدون الخدمات المصرفية الإلكترونية متوافقة وتوجيهات البنك المركزي بشأن الصيرفة الإلكترونية بينما ١٤, ٣٧٪ وافقت على هذا الرأي، وفي حدود ٨٥, ٢٪ محايد و ٧١, ٥٪ غير موافق وغير موافق بشدة.

وباختبار هذه الفرضية باستخدام كاي تربيع فقد أظهرت نتائج التحليل أن قيمة مربع كاي المحسوبة بلغت ١٤٣, ٤١، ودرجة الحرية ٤، عند مستوى معنوية ٠, ٠٥ فيما بلغت قيمة مربع كاي الجدولية ٨٧٧, ٩، وحيث أن قيمة مربع كاي المحسوبة أكبر من قيمة مربع كاي الجدولية فإننا نرفض الفرضية الصفرية ونقبل فرضية البديلة والتي تنص على يعتقدون الخدمات المصرفية الإلكترونية متوافقة وتوجيهات البنك المركزي بشأن الصيرفة الإلكترونية.

نتائج اختبار الفرضيات

بعد دراسة موضوع هذا البحث ومحاولة الإحاطة ببعض جوانبه، يمكننا إجراء اختبار لفرضياته كما يلي:

الفرضية الأولى: والتي نصت على أن الصيرفة الإلكترونية لا تؤثر إيجاباً على كفاءة وفعالية البنك فقد تم رفض هذه الفرضية، وقبول الفرضية البديلة التي تنص على أن الصيرفة الإلكترونية تؤثر إيجاباً على كفاءة وفعالية البنك.

الفرضية الثانية: والتي نصت على أن الخدمات الإلكترونية لوحدها ليس لها تأثير كبير على الأداء العام للبنك فقد تم رفض هذه الفرضية، وقبول الفرضية البديلة التي تنص على أن الخدمات الإلكترونية لوحدها ليس لها تأثير كبير على الأداء العام للبنك.

الفرضية الثالثة: والتي نصت على أن اعتماد الخدمات المصرفية الإلكترونية لا يعزز ويزيد ثروة البنك فقد تم رفض هذه الفرضية، وقبول الفرضية البديلة التي تنص على أن اعتماد الخدمات المصرفية الإلكترونية يعزز ويزيد ثروة البنك.

الفرضية الرابعة: والتي نصت على أن تقديم الخدمات المصرفية الإلكترونية لا يحسن العلاقة مع عملاء هذا البنك فقد تم رفض هذه الفرضية، وقبول الفرضية البديلة التي تنص على أن تقديم الخدمات المصرفية الإلكترونية يحسن العلاقة مع عملاء هذا البنك.

الفرضية الخامسة: والتي نصت على أن الخدمات المصرفية الإلكترونية غير متوافقة وتوجيهات البنك المركزي بشأن الصيرفة الإلكترونية فقد تم رفض هذه الفرضية، وقبول الفرضية البديلة التي تنص على أن الخدمات المصرفية الإلكترونية متوافقة وتوجيهات البنك المركزي بشأن الصيرفة الإلكترونية.

النتائج العامة للبحث

لقد أفضت هذه الدراسة إلى الخروج بجملة من النتائج نوجزها فيما يلي:

- أسهم التقدم التكنولوجي في تغيير ملامح الخريطة المصرفية الدولية، إذ أدى إلى تحول عدد كبير من المصارف إلى المعاملات الإلكترونية والتوسع في استخدام التجارة الإلكترونية وتقديم الخدمات المصرفية المتطورة إلى أحدث تغييرا جذريا في أنماط العمل المصرفي على النحو الذي بات يهدد الشكل التقليدي للصيرفة.

- إن إمكانات التحول نحو الصيرفة الإلكترونية في البلدان المدروسة لا تزال تعاني من عدة معوقات أساسية يأتي في مقدمتها، ضعف البنية التحتية التقنية الحديثة والمتطورة، ومحدودية الكوادر الإدارية والفنية والمؤهلة القادرة على أداء أعمال الصيرفة الإلكترونية بكفاءة عالية، والتفاعل المستمر مع المستجدات التي تفرزها المعطيات التكنولوجية لتقديم أفضل الخدمات وأحدثها، وكذلك انخفاض الإمكانات المعرفية والعلمية للزبائن والمتعاملين مع المصارف في غالبية البلدان العربية نتيجة لارتفاع معدلات الأمية، وتركز الثروة لدى كبار السن الذين يضعف لديهم الحافز للدخول في الأنماط الحديثة للتعاملات المصرفية، إضافة إلى ارتفاع تكلفة التحول نحو الصيرفة الإلكترونية وضعف الأطر التشريعية والقانونية والتنظيمية في البلدان العربية التي تسمح بالتحول نحو الصيرفة الإلكترونية.

- تعتبر تجربة الجزائر مع الخدمات الإلكترونية تجربة فتيّة فلا يمكن الحكم عليها لا بالفشل ولا بالنجاح إذ لاحظنا أن إقبال المواطنين على هذا النوع يعرف تحسن مستمر حتى ولو كان بوتيرة بطيئة، لأن التعامل وفق هذا النمط الجديد يتطلب تغيير في ذهنيات الأفراد وتوجيه سلوكهم نحوها وهذا من أصعب الأمور في مجتمع أين مازال الفرد يتخوف من التعامل مع البنوك بالأساليب التقليدية.

- تحظى المقاصة الإلكترونية بحصة الأسد في المعاملات الإلكترونية في البنوك، إذ تبلغ نسبة الشيكات التي تتم تسويتها بهذا الأسلوب ٨٠ ٪ من إجمالي المبالغ التي تتم تسويتها بالمقاصة وذلك بسبب سرعة في تسوية العملية وأمان أكبر في التحصيل.
- تتميز الخدمات البنكية المقدمة عبر شبكة الانترنت بكونها حديثة النشأة وقد دخلت إلى ميدان التطبيق ابتداء من ٢٠٠٩ وكانت تقتصر على كشف رصيد الحسابات فقط.
- التأخر الذي يشهده تسليم البطاقات الإلكترونية لبعض زبائن البنوك المتعاقدين مع المؤسسة رغم أن تصنيع البطاقات الإلكترونية على مستوى شركة «ساتيم» لا يتطلب أكثر من ٤ أيام، في حين أن المسار الذي تتخذه البطاقة الإلكترونية ابتداء من تقديم الطلب في الوكالة البنكية إلى وصوله إلى شركة «ساتيم» مروراً بلجنة مركزية للبنك يتطلب وقتاً طويلاً يصل إلى شهر، كما أن الأعطاب التي يسجلها الزبائن عند عملية سحب الأموال لا يتم رفعها للشركة، وهو ما يجعل الاهتمام بها يستغرق وقتاً أطول.
- انعدام الثقة للزبائن اتجاه النظام الحديث بالإعلام الآلي والاتصال.
- قلة الإطارات والمستخدمين المتخصصين في هذا الميدان.
- عدم اهتمام إدارة البنوك العاملة في الجزائر بتطوير كادر بشري مهني على إطلاع بمجالات التجارة الإلكترونية وذلك من خلال الدورات التدريبية وزيادة عددها لكي يحصل البنك على موظفين علي درجة عالية من الكفاءة.
- حجم التعامل بالخدمات المصرفية الإلكترونية ما بين المتوسط والضعيف وهذا يدل على أن هناك تعامل في بعض مجالات التجارة الإلكترونية وليس كل مجالات التجارة الإلكترونية.
- نظم التسوية المطبقة فعلاً في البنوك العاملة في الجزائر تعتبر ضعيفة مقارنة بما هو متعارف عليه دولياً وذلك يرجع إلى عدم وجود الكفاءات المتخصصة في مجال التجارة الإلكترونية ونظم الدفع.
- التشريعات القانونية التي تصدرها سلطة النقد الجزائرية لضبط عمليات التبادل التجاري الإلكتروني متوسطة وهذا يعني أنها لم تقم بدورها في التنظيم الجيد لعملية التبادل التجاري الإلكتروني.

- عدم وجود الوعي الكافي للجزائريين بمنافع النظام البنكي الإلكتروني.
- نظام امن المعلومات غير فعال في بلادنا يعني أن الوسائل والتقنيات التأمينية ضعيفة تستلزم التحكم الفعال فيها.
- عدم وجود تواصل إلكتروني بين البنوك الجزائرية حيث هذا الأخير يسمح بتأسيس ارتباط مختلف البنوك مما ينتج عنه سهولة تحويل وانتقال رؤوس الأموال.
- إن قاعدة تأسيس البنك الإلكتروني تتطلب مجموعة تجهيزات، وكذا نظام إعلامي وشبكة اتصال فعالة.

موقف الملك فيصل من إحراق المسجد الأقصى ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م ودعوته لعقد أول مؤتمر قمة إسلامي

د. نوف بنت رزق بن فارس الروضان*

إنشاء منظمة إسلامية عالمية على مستوى القمة، يجتمع فيه حكام العالم الإسلامي ليتشاوروا ويتدارسوا السبل الفعّالة لحل المشكلات التي تواجه المسلمين في كل مكان، وتنسيق مواقفهم الدولية حيال قضاياهم المشتركة.

وقد كان التخطيط لتأسيس هيئة إسلامية عالمية على مستوى الحكومات في ذهن الملك فيصل قبل توليه الحكم، وقد عمل على استثمار كل مناسبة لتحقيق هذا الهدف ولكن جهوده ودعوته لعقد قمة إسلامية جوبهت بهجوم شرس مما كان سبباً في تأخيرها.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

يعد الملك فيصل -يرحمه الله- أحد أبرز الشخصيات في التاريخ الحديث والمعاصر التي نذرت نفسها لخدمة الإسلام ورفع شأن المسلمين ودعم قضاياهم. وقد تبنى الملك فيصل دعوة التضامن الإسلامي وعمل على وحدة المسلمين وكرّس الكثير من الجهد والوقت والمال لهذا الهدف. وكان التطبيق العملي الذي رآه الملك فيصل لسياسة التضامن الإسلامي لتتحول الأقوال إلى أفعال، هو

• دكتورة تاريخ، المشرفة على كلية العلوم الطبية التطبيقية/السعودية.
n.alrodan@windowslive.com

أ- الحريق وأثره على المسجد الأقصى: كان حريق المسجد الأقصى في ٨ جمادى الثانية ١٣٨٩هـ/ ٢١ أغسطس ١٩٦٩م، العامل المباشر الذي أدى إلى تحقيق دعوة الملك فيصل لعقد مؤتمر للقمة الإسلامية. وقد عبرت مجلة رابطة العالم الإسلامي عن ذلك بالقول: جزى الله الشدائد كل خير، لقد كانت جريمة إحراق المسجد الأقصى من قبل اليهود عاملاً له فضله ولا شك في هذا التحرك الجديد المتمثل في تنادي قادة المسلمين إلى ضرورة اجتماعهم في مؤتمر قمة إسلامية ليصبح الحلم حقيقة. ^(١) ويقول الدكتور معروف الدواليبي: «كنا نشعر أننا في حاجة إلى هزة في ضمير العالم الإسلامي وكانت هذه الهزة حينما حدث حريق المسجد الأقصى، ولم يكن للمسلمين أن يلموا شملهم لولا الحريق». ^(٢) أما الملك الحسن الثاني فقد وصف الأثر الذي أحدثه حريق الأقصى في انعقاد أول مؤتمر للقمة الإسلامية بالقول: إن كل نقمة في طيها نعمة واستشهد بقول الله تعالى في كتابه العزيز ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢١٦). ^(٣)

وقد ظهرت نوايا وأطماع سلطات الاحتلال الإسرائيلي في تدمير المسجد الأقصى المبارك بمجرد أن سقطت مدينة القدس في يد جيش الاحتلال الإسرائيلي. وينطلق ذلك من عقيدة تلمودية توراثية يتوارثها اليهود أباً عن جد على مر السنين. وتتلخص هذه العقيدة بأن يهودية اليهودي لا تكتمل، بل تظل ناقصة، إذا لم يسع بكل جهده للسيطرة على بيت المقدس ثم السعي لإزالة المسجد الأقصى وما حوله من مقدسات من فوق الأرض، سواء عن طريق هدمه بواسطة حرقه أو بأية وسيلة أخرى وذلك لبناء هيكل سليمان فوق أنقاضه. ^(٤)

ومما يزيد من خطورة المخططات الصهيونية ضد الأقصى المبارك، أن غالبية كبيرة من المتدينين النصاري في أمريكا والغرب انطلت عليهم الأعياب الصهيونية التي نفثت في عقولهم وصدورهم نبوءة تلمودية تزعم أن عودة المسيح لن تتم إلا بعد أن يعود اليهود إلى بيت المقدس، ويعيدوا بناء هيكل سليمان المزعوم على جبل البيت الذي هو في الحقيقة منطقة الحرم القدسي الشريف. ^(٥)

وقد مهدت سلطات الاحتلال الإسرائيلي لحريق المسجد الأقصى، بالتصريحات التي كان يطلقها زعماء الدين اليهودي، ويحضون فيها على استملاك الحرم الشريف وما فيه، كما قامت سلطات الاحتلال بمصادرات وهدم ونسف للعقارات العربية الملاصقة للمسجد الأقصى، واحتلت باب المغاربة وهو أحد أبواب الحرم الشريف الملاصق للمسجد

الأقصى وأقامت فيه مركزاً عسكرياً وفتحتة لجميع الزوار اليهود دون السماح بإشراك المسلمين للمراقبة، وسمحت بإقامة صلوات يهودية في داخل ساحة الحرم الشريف من قبل رجال الجيش والدين اليهودي وبعدها من قبل بعض المنظمات اليهودية. كما تم إجراء حضريات حول المسجد الأقصى، بالإضافة إلى محاولة شراء ساحة الحرم من قبل أمريكيين يدّعيان أنهما ينتميان إلى أحد المحافل الماسونية، وذلك من أجل بناء هيكل ماسوني عليها باسم هيكل سليمان مقابل مئة مليون دولار أمريكي.^(٦)

وقد خطط الإسرائيليون لإحراق المسجد الأقصى وأوكلت المهمة لشاب استرالي يدعى دينيس مايكل روهان (Dennis Michael Rohan). وينتمي روهان إلى عائلة نصرانية متدينة تنتمي إلى طائفة دينية تطلق على نفسها اسم جماعة «كنيسة الرب». وتؤمن هذه الطائفة بكل ما تزخر به التوراة المحرفة من نبوءات زائفة تخدم مخططات الصهيونية العالمية. وقد تشرب روهان النبوءة التوراتية التي تزعم أن عودة السيد المسيح إلى الأرض لن تتم إلا بعد أن يعاد بناء الهيكل، وإن بناء الهيكل لن يتم إلا إذا تم هدم المسجد الأقصى الذي بُني فوق أنقاض الهيكل. وكان روهان يفاخر بين زملائه أنه قد نذر نفسه لهدم المسجد الأقصى تنفيذاً للنبوءة التوراتية ليعجل في عودة السيد المسيح إلى الأرض. وقد وجدت الصهيونية عبر أذرع أخطبوطها المتشعبة في كل أنحاء الأرض ضالّتها المنشودة في روهان، فاحتضنته وبدأت تنفث في صدره المزيد من الحقد ضد الأقصى، ووجهت له الدعوة لزيارة الكيان الصهيوني ضمن مجموعة شبابية من طائفة «كنيسة الرب» التي ينتمي إليها، فوصل إلى إسرائيل في أوائل عام ١٩٦٨م، وانضم مع مجموعته الشبابية إلى فريق من المتطوعين كانوا يساهمون في بناء مستوطنة استعمارية جديدة في الضفة الغربية المحتلة.^(٧)

وقد دفع الإسرائيليون دينيس روهان لإحراق المسجد الأقصى في المرة الأولى بتاريخ ٢١ أغسطس ١٩٦٨م، ولكن حراس المسجد الأقصى اكتشفوا الجريمة قبل وقوعها وألقي القبض عليه وحوكم محاكمة صورية وأبعد على إثرها إلى استراليا، ولكنه عاد ثانية لينفذ جريمته النكراء بتاريخ ٢١ أغسطس ١٩٦٩م.^(٨)

ففي الساعة السابعة والثلاث من صباح الخميس ٨ جمادى الثانية ١٣٨٩هـ/ ٢١ أغسطس ١٩٦٩م، اندلعت أسنة اللهب في المسجد الأقصى.^(٩) وقد شبّ الحريق في نفس الوقت في ثلاثة مواضع هي: مسجد عمر الواقع في الزاوية الجنوبية الشرقية للمسجد الأقصى، ووسط الجدار الجنوبي في منبر صلاح الدين بالذات، وفي النافذة العلوية الواقعة في الزاوية الجنوبية الغربية من المسجد الأقصى، التي ترتفع عن أرضية المسجد

حوالي عشرة أمتار، ويصعب الوصول إليها من الداخل بدون سلم عال مما يدل على أن هناك أناساً آخرين من الخارج ساعدوا دينيس روهان من الجهة الغربية التي تقع تحت سيطرة الإسرائيليين، بعد سيطرتهم على بوابة المغاربة. وقد اعتقد المخططون للجريمة، أن الحريق في المواقع الثلاثة سوف يتصل بعضه مع بعض ليدمر الواجهة الجنوبية للمسجد كلياً وليمتد شمالاً ليأتي على جميع المسجد. ولكن قدر الله أن تنطفئ النار في خارج النافذة العلوية من ذاتها لعدم وجود عامل مساعد على الطريق بين النافذة ووسط الجدار الجنوبي؛ لأن مادة النافذة الحجرية والجدار الجنوبي من الغرب إلى الوسط كله من الحجر، ولذلك لم يحترق سوى الوسط والجهة الشرقية. وامتدت النار شمالاً لتحرق ما مساحته ١٥٠٠ متر مربع من أصل مجموع مساحة مبنى المسجد الأقصى البالغة ٤٤٠٠ متر مربع، أي أن النار أتت على حوالي ثلث المسجد.^(١٠)

وبعد حادث إحراق المسجد الأقصى، أعلنت السلطات اليهودية أن الحادث كان نتيجة تماس كهربائي. ولما تبين من تقرير المهندسين العرب بعد الكشف المباشر على الجريمة، أنه لا يوجد أثر يدل على حصول تماس كهربائي، عادوا وزعموا أن شاباً استرالياً من كنيسة الرب قد أضرم النار في المسجد.^(١١) وأعلنت الشرطة الإسرائيلية أنها اعتقلت عاملاً مستوطناً هو دينيس مايكل روهان، وأنه أشعل النيران من خلال نقل ثلاث حاويات كبيرة من الكيوسيين في حقيبة محمولة على الظهر إلى داخل المسجد، وقام برش سائل الكيوسيين على طول الجدران وأشعل المبنى.^(١٢)

وفي نفس اليوم الذي ارتكبت فيه جريمة إحراق المسجد الأقصى، أي في ٢١ أغسطس ١٩٦٩م، عقد سماحة الشيخ حلمي المحتسب رئيس الهيئة الإسلامية العليا في فلسطين التي تتخذ من بيت المقدس مقراً لها، مؤتمراً صحفياً أكد فيه أن الحريق لم يكن بسبب تماس كهربائي كما تزعم السلطات الصهيونية وإنما كان حريقاً متعمداً، وأن سلطات الاحتلال الصهيوني قطعت المياه عن الحرم القدسي الشريف وجميع المناطق المحيطة به، لإعطاء أكبر وقت ممكن كي يمتد الحريق إلى أكبر مساحة ممكنة من المسجد الأقصى، وأن سلطات الاحتلال الصهيوني عرقلت وصول سيارات الإطفاء التابعة لبلدية القدس الخاضعة لسيطرة السلطات الصهيونية، كما عرقلت وصول سيارات الإطفاء التابعة لبلديتي مدينتي رام الله والخليل العربيتين، ولولا عناية الله ثم نخوة أبناء القدس والقرى والمدن المجاورة لها لآتى الحريق على جميع أنحاء المسجد الأقصى المبارك.^(١٣)

حاولت السلطات الإسرائيلية خلال محاكمتها لروهان جاهدة، أن تثبت بطلان ما وصفته بالادعاءات العربية التي تقول إن حريق المسجد كان مسؤولية إسرائيل. وادعت

أن السلطات الدينية للمسلمين كانت مهمة لأنها سمحت للمتهم بدخول المسجد، وأنها أخفقت في إطفاء اللهب قبل أن ينتشر ويصبح خارج نطاق السيطرة.^(١٤)

وجاء في التهمة التي وجهها المدعي العام الإسرائيلي ضد روهان أنه تلاطف مع الحراس المسلمين بالمسجد كي يسمحوا له بدخول المنطقة قبل ساعات الزيارة المحددة حتى يتمكن من التقاط بعض الصور الفوتغرافية بدون إزعاج، وأن الحارس وافق على ذلك فدخل روهان في الساعة السادسة صباحاً من يوم ٢١ أغسطس وأضرم الحريق.^(١٥)

وقد أعلنت المحكمة الإسرائيلية أن روهان مذنباً ولكن سرعان ما أعلنت أنه لن يخضع لعقوبة وذلك لأنه تصرف تحت ضغط مرض نفسي يجعله خارجاً عن السيطرة.^(١٦)

عم نبأ كارثة إحراق المسجد الأقصى أرجاء العالم في لحظة واحدة، فتفجرت في قلوب المسلمين في أرجاء المعمورة لوعة أليمة وثورة غاضبة، وارتفعت الصيحات من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب تتنادى لحماية أولى القبلتين، ولوضع حد لاعتداءات العدو الصهيوني على المقدسات الإسلامية في فلسطين. وعمت الاضطرابات أرجاء العالم، وقامت التظاهرات في اليوم التالي. وفي القدس سارت الجماهير تعلن عن غضبتها التي لا حد لها، وهي ترفع آيات قرآنية كريمة تساقطت من جدران المسجد الأقصى المحترق، ملوحة بها للمعتدين ومتحدية نيرانهم وآلات قمعهم. وقد أضربت مدينة القدس ومدن الضفة الغربية احتجاجاً على الحادث الإجرامي، وكان حريق المسجد الأقصى موضوع خطبة الجمعة في كل مساجد العالم العربي والإسلامي، ودعا الخطباء إلى الجهاد المقدس.^(١٧) وقد شملت الاضطرابات التي قام بها المسلمون احتجاجاً على هذا الحريق أجزاء كثيرة من العالم، حتى في الفلبين النائية قام المسلمون المتظاهرون هناك بإشعال النار في سيارة السفير الإسرائيلي وحاولوا إغلاق السفارة الإسرائيلية.^(١٨)

ب- موقف الملك فيصل من حريق المسجد الأقصى والدعوة لعقد قمة إسلامية

كان لحريق المسجد الأقصى أثر بالغ على الملك فيصل. ويشير تقرير السفارة الأمريكية في جدة إلى أن حريق الأقصى قد أحدث صدمة كبيرة للشعب السعودي كافة، ولكن لم يكن هناك أحد أكثر صدمة من الملك فيصل نفسه، بسبب شعوره بالمسؤولية الخاصة تجاه الأماكن المقدسة في القدس، وخيبة أمله العميقة تجاه استمرار الاحتلال الإسرائيلي للمدينة القديمة. ويقول السفير الأمريكي في جدة الذي قابل الملك فيصل بعد الحادث إنه وجده متأثراً أيمًا تأثر وغاضباً بفعل حادثة الأقصى، وأنه كان يشدد بصدق على ضرورة انسحاب إسرائيل بالقوة من الأماكن المقدسة بأي وسيلة.^(١٩)

وفي اليوم التالي لحريق الأقصى ٩ جمادى الثانية ١٣٨٩هـ/ ٢٢ أغسطس ١٩٦٩م، وجه الملك فيصل نداءً يدعو فيه المسلمين إلى الجهاد المقدس من أجل إنقاذ فلسطين والقدس. وقد بلغ الملك فيصل أقصى درجات التأثر حينما بكى للمرة الثانية وهو يخطب بالمسلمين ويستنفرهم أن يهبوا للجهاد.^(٢٠) ومما جاء في خطبته: «... في هذه اللحظة التاريخية التي امتدت فيها يد الصهيونية الأثمة إلى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، ومسرى الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه فإنني أناشد قادة المسلمين وشعوبهم في مشارق الأرض ومغاربها أن يهبوا لتحرير مقدسات الإسلام في القدس العزيزة متسلحين بالإيمان... إخواني لقد ناشدكم في موسم الحج الفائت،^(٢١) أن تهبوا لتحرير المقدسات الدينية في فلسطين العزيزة وأناشدكم الآن بإعلان الجهاد المقدس بعد أن استنفدت جميع الطرق السلمية...».^(٢٢)

وقد ذكرت السفارة الأمريكية في جدة في معرض تعليقها على دعوة الملك فيصل للجهاد أنه كان لهذه الدعوة أثر قوي بين أوساط السعوديين سواء مسؤولي الحكومة أو الوسائط الإعلامية السعودية وكذلك العائلة المالكة، حيث اشترك جميعهم في ردة فعل عاطفية صادقة لدعم الدعوة للجهاد.^(٢٣) وقد أشعلت شخصيات سعودية بارزة الحماس الشفهي للجهاد ببيانات علنية.^(٢٤)

فقد دعا الأمير خالد بن عبدالعزيز ولي العهد الشعب السعودي وسائر المسلمين أن يلبوا دعوة الفيصل إلى الجهاد، كما رفع كل من الأمير سلطان بن عبدالعزيز وزير الدفاع والطيران، والأمير بدر بن عبدالعزيز نائب رئيس الحرس الوطني بركيتين للملك فيصل تضمنتا الإعلان أن القوات المسلحة السعودية توافقة إلى الاستجابة للدعوة إلى الجهاد. كما أخطر الأمير عبد الله بن عبدالعزيز رئيس الحرس الوطني في نداء تلفزيوني الحرس الوطني "بإبقاء الأصبع على الزناد"، وأدلى الأمير فهد بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية بحديث تلفزيوني قال فيه إن كل مسلم مطالب بالجهاد وطالب باتحاد المسلمين يداً واحدة تجاه الخطر الداهم. كما أصدر مفتي الديار السعودية بياناً للمسلمين دعاهم أن يلبوا نداء الملك فيصل للجهاد لإنقاذ المسجد الأقصى. ووجه علماء الحرمين نداءً إلى زعماء المسلمين والشعوب الإسلامية بإجابة دعوة الملك فيصل للجهاد. كما أعلن الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الشيخ محمد سرور الصبان تأييد رابطة العالم الإسلامي لنداء الملك فيصل للجهاد لإنقاذ البلاد المغتصبة ودعا إلى عقد اجتماع لجميع المسلمين للنظر في عمل لوضع حد لمثل هذه الحوادث.^(٢٥)

ومن جانب آخر واصلت الصحف السعودية نشر البرقيات الواردة من كافة أفراد الشعب السعودي، يؤيدون فيها دعوة الجهاد ويعلنون استعدادهم لبذل كل ما يملكون من أموال وأرواح في سبيل الله وفي سبيل الدفاع عن الأراضي السليبية المقدسة.^(٢٦)

كما أشار تقرير السفارة الأمريكية إلى أنه كان من الواضح أن دعوة الملك فيصل تركت أثراً قوياً على مستوى العالم الإسلامي أجمع.^(٢٧) وقد تلقى الملك فيصل برقيات التأييد لإعلانه الجهاد المقدس من زعماء وعلماء وقادة الفكر في العالم الإسلامي.^(٢٨)

وقد أحدثت دعوة الملك فيصل للجهاد صدى واسعاً في مختلف أنحاء العالم، وأبرزت وكالات الأنباء الأجنبية هذا البيان، وأعادت وكالة رويتر (Router) إلى الذاكرة أن الملك فيصل كان قد دعا الدول الإسلامية والشعوب الإسلامية إلى إعلان الجهاد لتحرير القدس واستعادة الحقوق العربية في فلسطين.^(٢٩)

وقد أشارت صحيفة نيويورك تايمز إلى دعوة الملك فيصل فيما يشبه الاستنكار مستشهداً بقول الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ، وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجَكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ١٩٠-١٩١) وأضافت الصحيفة قائلة يبدو أن هذه الآيات من السورة الثانية في القرآن، اكتسبت أهمية خاصة بالنسبة للعالم العربي في الغليان الذي أحدثه حريق المسجد الأقصى في القدس، كما أنها اكتسبت أهمية خاصة بالنسبة لكثير من المسلمين حول العالم، نتيجة للمناشدات والدعوات التي أطلقها الملك فيصل ملك المملكة العربية السعودية للجهاد ضد إسرائيل، وكذلك بالنسبة لمناشدته لعقد مؤتمر قمة إسلامية حول قضية الاحتلال الإسرائيلي للمواقع المقدسة في القدس.^(٣٠)

أما فيما يتعلق بدعوة الملك فيصل لعقد قمة إسلامية، فقد وجد الملك فيصل بلا شك أن الأجواء العامة التي سادت بعد كارثة إحراق المسجد الأقصى، قد وفرت فرصة قد تكون من أفضل الفرص التي أتت حتى الآن لنجاح دعوته لعقد قمة إسلامية.

وقد برهنت الطريقة التي اتخذها الملك فيصل لنجاح دعوته لعقد قمة إسلامية في هذه الظروف، على بالغ ذكائه وعلى إصراره وتفانيه في سبيل هذه الدعوة. فقد تلقى الملك فيصل برقية من الملك حسين بن طلال في ٢١ أغسطس ١٩٦٩م جاء فيها: «... لقد راعني أن أرى وجودنا وكياننا وحرماننا يتوغل فيها العدوان يوماً بعد يوم يحتل ويستبيح ويدمر ويحرق دون وازع أو رادع بل دون أن نهب في وجهه هبة واحدة خالصة لله والوطن

والتاريخ، فتوجهت إليكم في هذا اليوم الأسود لتتنادوا مع ضمائركم وتلتقوا على الفور لتتحملوا مسؤولياتكم أمام الله وشعوبكم، كما أوجه النداء إلى إخواني قادة المسلمين جميعاً وادعوهم وشعوبهم إلى المشاركة الفعالة العاجلة في العمل من أجل قدسهم وتراثهم ومهوى أفئدتهم، إنه نداء نطلقه من الأعماق بعد أن منينا بالمذلة والتشرد وضياح الأرض وخراب المقدسات نداءً آمليين أن تتجاوبوا معه سريعاً ليحقق لقاءً عاجلاً للقادة العرب يخرجون به عما هم فيه من حيرة وضياح ويرسمون طريقهم الجديد...»^(٢١)

ومن خلال التمعّن في برقية الملك حسين، يتضح أنه يطلب من القادة العرب عقد اجتماع قمة عاجل، أما بخصوص القادة المسلمين فقد وجه لهم نداء مشتركاً مع شعوبهم يدعوهم «إلى المشاركة الفعالة العاجلة في العمل من أجل قدسهم وتراثهم ومهوى أفئدتهم»، ولكنه لم يحدد نوع المشاركة التي يطلبها منهم، ولم يشير إطلاقاً إلى دعوة القادة المسلمين إلى قمة إسلامية.

وعلى الرغم من ذلك رد الملك فيصل على برقية الملك حسين يؤيده فيها بعقد قمة إسلامية حيث يقول: «... لقد كان وقع نبأ الحريق في المسجد الأقصى عليّ عظيماً فالخطب جلل، والفاجعة مؤلمة تنفطر من هول نتائجها القلوب وتدمي الأفئدة، فلقد عبث الصهيونية الغادرة بأرضنا واستباححت حرماننا وامتدت الآن يدها إلى مقدساتنا، وكما يعلم جلالتكم فإنني ناشدت جميع الشعوب الإسلامية في موسم الحج الفائت ليهبوا جميعاً لتحرير الوطن العربي ومقدسات الإسلام وبالأمس أصدرت نداء للعالم الإسلامي بإعلان الجهاد المقدس لتحرير بيت المقدس من أيدي الطغاة والفجرة الذين لا يراعون عهداً ولا ذمة، ولا اعتقادي بأن جميع الحلول السلمية قد استنفدت وأصبحت كالتسرب تعطي الفرصة للعدو لتنفيذ أغراضه ومراميه، وإنني مؤيد لجلالتكم بعقد مؤتمر قمة إسلامية بعد أن هبت جميع الدول الإسلامية لتأييدنا في قضيتنا العادلة وأن الدعم الإسلامي هو الأساس في مثل هذه القضية بالذات، هذا وأرجو الله أن يسد خطانا ويؤيدنا بنصر من عنده»^(٢٢).

ويشير تقرير السفير الأمريكي في جدة إلى أن الملك فيصل بإقراره بالجانب الديني الجوهري لحادثة إحراق المسجد الأقصى حاول تفادي مصيدة القمة العربية من خلال تحويل الضغوط الناتجة من حادثة الأقصى إلى قناة إسلامية أوسع كما أشار التقرير إلى أن الملك فيصل اصطنع حيلة تجاه مناشدة الملك حسين ونسب فكرة عقد قمة إسلامية إليه^(٢٣).

وكان من أبرز ردود الأفعال وأكثرها غرابة للتأييد الذي أطلقه الملك فيصل لعقد قمة إسلامية، هي تلك التي صدرت من الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية

العربية المتحدة، الذي كان من أشد المعارضين والمهاجمين لدعوة الفصيل منذ انطلاقها. وقد كتبت صحيفة الأهرام تقول إن إشارة الملك فيصل لاقتناعه بضرورة عقد مؤتمر قمة إسلامي والتي وردت في رده على برقية الملك حسين لملوك ورؤساء العالم الإسلامي، كانت موضع اهتمام واسع في القاهرة وإنها درست من جميع النواحي، وإن النتيجة التي استقر عليها الرأي هي أن فكرة الملك فيصل من عقد مؤتمر إسلامي على مستوى القمة، يمكن أن تسفر عن نتائج بالغة الأهمية بالنسبة للموقف كله. وقد قام السيد محمود رياض وزير الخارجية المصري، بإبلاغ السيد عمر السقاف وزير الدولة للشؤون الخارجية بالمملكة العربية السعودية في يوم ٢٥ أغسطس ١٩٦٩م، بفحوى رسالة شفوية من الرئيس جمال عبد الناصر إلى الملك فيصل عن وجهة النظر المصرية، وهي أن الرئيس عبد الناصر يقترح على الملك فيصل أن يأخذ المبادرة على الفور لتحقيق هذه الفكرة، على أن يبدأ الإعداد للمؤتمر الإسلامي على مستوى القمة بمؤتمر لوزراء خارجية الدول الإسلامية يمهّد لمؤتمر رؤساء الدول، كما أنه من المستحسن أن يعقد المؤتمران: مؤتمر وزراء الخارجية ومؤتمر القمة الإسلامي في المملكة العربية السعودية في رحاب الأماكن المقدسة فيها.^(٣٤)

وقد بعث الرئيس جمال عبد الناصر في نفس الوقت رسالة إلى الملك حسين أكد فيها على ضرورة عقد مؤتمر قمة عربي ثم عقد مؤتمر قمة إسلامي. ومما جاء في هذه الرسالة: «... أن نداءكم النابض بالصدق والإيمان إلى العرب والمسلمين كي يتنادوا مع ضمائرهم ويتحملوا مسؤولياتهم أمام الله وشعوبهم... يتجاوب تجاوباً كاملاً مع ما نحس به جميعاً في هذه الظروف... ولكي أكون محدداً... في وقت يتطلب من كل واحد منا أن يتحمل مسؤولياته، فإنني أطرح الملاحظات والمقترحات التالية:

أولاً: أنه لا بد لكل دولة عربية أن تضع دورها في المعركة القادمة قبل أي دور آخر..

ثانياً: ... من المحتم أن يجري تنسيق... بين الدول العربية المحيطة بالأرض المحتلة...

ثالثاً: أننا معكم في الرأي بأن الموقف كان يتطلب منذ شهور، وأصبح الآن بإلحاح أكثر، عقد مؤتمر عربي على مستوى القمة لمواجهة الظروف المتغيرة والمختلفة عن آخر اجتماع عربي على مستوى القمة في الخرطوم سنة ١٩٦٧م. ولعل وزراء الخارجية المجتمعين الآن في القاهرة يقررون في هذا الأمر رأياً، ويلتقون فيه على قرار.

رابعاً: أن إشارتكم إلى فكرة عقد مؤتمر قمة إسلامية وتأكيد صاحب الجلالة الملك فيصل آل سعود، ملك المملكة العربية السعودية في رده عليكم بصواب هذه الفكرة مسألة

تستحق كل الاهتمام. ولو أن هذه الفكرة وصلت إلى النتيجة الإيجابية التي تستحقها لكان ذلك نجاحاً ليس له نظير. وفي هذا الصدد فلقد اقترحنا على صاحب الجلالة الملك فيصل أن يأخذ زمام المبادرة، وأن يدعو إلى مؤتمر قمة إسلامي، على أن يبدأ هذا المؤتمر باجتماع لوزراء خارجية الدول الإسلامية، وذلك حتى يمهّدوا لهذا المؤتمر الأول من نوعه، ويضعوا أساساً لعمله، ويستكشفوا الاحتمالات المختلفة لما يمكن أن يصدر عنه. وليس يخفى على جلالكم أن هناك ظروفاً معينة تحيط ببعض الدول الإسلامية، وتحول دونها ودون وضع الخطر الصهيوني في وضعه الصحيح، ولو أن جهودنا المشتركة استطاعت أن تتلاشى تأثير هذه الظروف، وأن تسلط قدراً كافياً من الضوء ترى معه هذه الدول طبيعة الخطر الصهيوني ومداه، فإن مثل ذلك سوف يكون تحولاً تاريخياً في نضالنا يساوي كل جهد نستثمره فيه. ولقد اقترحنا على صاحب الجلالة الملك فيصل أن يكون الاجتماع التمهيدي لوزراء الخارجية، واجتماع القمة الإسلامي الذي يليه - إذا أذن الله وتيسرت الوسائل - في المملكة العربية السعودية، بقرب المقدسات الإسلامية. على أنني أريد يا صاحب الجلالة أن يكون واضحاً أن أي خطوة من هذه الخطى التي ضمنتها هذه الملاحظات والمقترحات لا تتعارض مع بعضها... فإن عقد مؤتمر قمة عربي ليس له أن يتناقض أو حتى ينتظر عقد مؤتمر قمة إسلامي، وإنما نحن نرى، يا صاحب الجلالة، أن هذه كلها خطى تتفق وتتسجم مع بعضها...»^(٢٥)

وكما يلاحظ في رسالة الرئيس جمال عبد الناصر، أنه وضع اقتراح عقد قمة عربية أولاً ثم تلاه باقتراح مؤتمر قمة إسلامي، مما يشير إلى أولوية القمة العربية بالنسبة للرئيس المصري. ويبدو أنه كان لدى الرئيس المصري آمالاً كبيرة يعلقها على اجتماع مؤتمر وزراء الخارجية العربي الطارئ الذي عقد في ٢٥ أغسطس في القاهرة من أجل إقرار عقد قمة عربية.

وقد ألح الرئيس المصري في نهاية خطابه على أن اقتراحاته لا تتعارض مع بعضها، وأشار بالتحديد إلى أن عقد مؤتمر قمة عربي ليس له أن يتناقض أو حتى ينتظر عقد قمة إسلامية مما يؤكد على رغبته في التعجيل بعقد القمة العربية وأن تكون سابقة لعقد قمة إسلامية. أما مؤتمر القمة الإسلامي، فقد اشترط أن يسبقه مؤتمر لوزراء خارجية الدول الإسلامية للتمهيد للمؤتمر، وهذا ربما لكسب مزيد من الوقت وبالتالي مزيد من العراقيل أمام انعقاد القمة الإسلامية كما سيتضح لاحقاً.

وقد رددت الأوساط السياسية في القاهرة بعد حريق الأقصى مباشرة، أن الكارثة قد تجعل الملك فيصل يغير موقفه الذي تمسك به منذ شهور وهو معارضة عقد مؤتمر قمة عربي.^(٢٦) ويشير تقرير السفارة الأمريكية في جدة إلى أن عذر الملك فيصل في معارضة

عقد قمة عربية بعد قمة الخرطوم، هو أنه كان يقول لا بد لذلك من إثبات أن المبادرة السلمية لحل الأزمة العربية الإسرائيلية المتفق عليها في الخرطوم فاشلة. وبإقراره في دعوته للجهد في أن الوسائل السلمية قد استنفدت أوجد الفرصة أمام بعض القادة العرب للضغط عليه لقبول عقد قمة عربية، لكن الملك فيصل بالرغم من ذلك لم يرضخ لهذا الضغط ونجح في إتمام مهمته الهائلة للدعوة إلى قمة إسلامية.^(٢٧)

وقد كانت التوقعات عند افتتاح الجلسة الطارئة لوزراء الخارجية العرب في ٢٥ أغسطس تشير إلى أن عبد الناصر سوف يحصل على ما يريد، ولكن بدلاً من ذلك صوت أعضاء جامعة الدول العربية لصالح دعم الخطة التي قدمها الملك فيصل،^(٢٨) وتقرر عقد مؤتمر قمة إسلامية وتأجيل البت في عقد القمة العربية كما سنرى.

وبالرغم من ذلك قام الملك حسين في ٢٩ أغسطس ١٩٦٩م، بزيارة الملك فيصل في جدة. وتشير برقية السفير البريطاني في جدة إلى أن الملك حسين أتى يطلب من الملك فيصل الموافقة على عقد قمة عربية في الرباط، وأن الملك فيصل - كما تصف البرقية - رد عليه بأسلوب العرب في الإجابة غير المنطقية ولكنها فعالة، حيث قال الملك فيصل: «نعم» وأوافق على عقد قمة إسلامية.^(٢٩)

وفي اليوم التالي لزيارته للسعودية توجه الملك حسين إلى القاهرة في ٣٠ أغسطس ١٩٦٩م لإجراء محادثات مع الرئيس جمال عبد الناصر، ثم أعلنت صحيفة الأهرام أن مصر وسوريا والأردن والعراق ستعقد قريباً في العاصمة المصرية مؤتمراً لبحث مسائل عسكرية عامة.^(٣٠) وهذا بالطبع يشير إلى شعور الجانب المصري بالفشل في إقناع الفيصل في العدول عن رأيه بشأن عقد قمة عربية.

وفي إطار الحديث عن الدعوة لعقد قمة إسلامية التي نشطت بعد حريق الأقصى، يجدر أن نذكر أن وزير الخارجية المغربي الدكتور أحمد العراقي، استدعى يوم الجمعة ٢٢ أغسطس ١٩٦٩م سفراء البلدان الإسلامية المعتمدين في الرباط، وطلب منهم أن يطلبوا من حكوماتهم أن توضح للحكومة المغربية موقفها بخصوص عقد مؤتمر قمة إسلامي كما اقترح ذلك الملك الحسن الثاني قبل الحريق بوقت قصير.^(٣١)

ومن الجدير ذكره أيضاً أن المفتي محمد أمين الحسين، رئيس الهيئة العربية العليا لفلسطين ورئيس مؤتمر العالم الإسلامي، قد ذكر في مؤتمر صحفي عقده في ٢٧ أغسطس ١٩٦٩م حول حريق المسجد أنه وجه يوم حريق المسجد الأقصى برقيات إلى ملوك ورؤساء الدول العربية والإسلامية ناشدهم فيها إلى ضرورة عقد مؤتمر قمة إسلامي لمواجهة الموقف.^(٣٢) وقد بعث الإمام الهادي المهدي، زعيم طائفة الأنصار في السودان،

ببرقية إلى الملك فيصل يؤيده في قراره الذي اتخذته في الدعوة لمؤتمر قمة إسلامي على أثر الاعتداء على المسجد الأقصى وبيت المقدس.^(٤٣) كما حثت لجنة إنقاذ القدس على عقد مؤتمر قمة إسلامي لوضع حد لاحتلال القدس، وذلك في مؤتمر صحفي عقده الشيخ عبد الحميد السائح عضو لجنة إنقاذ القدس وبحضور السيد روجي الخطيب أمين مدينة القدس السابق.^(٤٤)

وكانت إسرائيل تراقب بقلق تطورات ردود الأفعال المختلفة من قبل الحكومات والشعوب منذ اندلاع حريق المسجد الأقصى. ويبدو أن إسرائيل لم تكن تقدر سلفاً ما ستكون عليه مشاعر المسلمين إزاء حادث حريق الأقصى، أو أنها ربما أرادت أن تمتحن هذه المشاعر على المستوى العملي.^(٤٥)

وعندما ثارت الشعوب والحكومات العربية والإسلامية في مختلف أنحاء العالم احتجاجاً على هذه الجريمة، ترددت الأنباء أن إسرائيل استجذبت بالدول الكبرى (بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا)، وحثتها على العمل على تخفيف ردة الفعل العنيفة في العالم العربي إزاء حريق المسجد الأقصى.^(٤٦)

كما وجهت إسرائيل رسالة إلى رئيس مجلس الأمن، تتهم فيه بعض الدول العربية بمحاولة استغلال التدمير الجزئي الذي حل بالمسجد الأقصى المبارك من أجل إلهاب المشاعر في العالم الإسلامي - على حد زعم الرسالة الإسرائيلية -، وادعت الرسالة أن إصلاح وإعادة بناء المسجد الأقصى المبارك يمكن أن يتم في فترة وجيزة، وأن إسرائيل مستعدة لتقديم العون المادي والفني وتسهيلات أخرى تشمل دخول الخبراء من خارج إسرائيل للمساعدة على إعادة بناء المسجد الأقصى.^(٤٧)

ومن جانب آخر اتهمت إسرائيل الحكومات العربية بأنها تحاول الحصول على مكسب سياسي غير مسبوق، بدلاً من مشاركة الصدمة والحزن العالميين على ما خسرته الحضارة الإنسانية من جراء حريق المسجد الأقصى، وأشاد وزير الخارجية الإسرائيلي أيبا إبان Ebba Eban بإيران وتركيا لاعتدالها، حيث عبرت عن مصيبتها وحزنها على حريق المسجد الأقصى، وعرضت مساهمتها في إصلاح المسجد الأقصى. وقال إن موقفهما يتناقض مع الرغبة في إراقة الدماء التي حث عليها الملك فيصل ملك المملكة العربية السعودية والرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة والملك حسين ملك الأردن. وقال إنه في حين أن قضية الحريق المتعمد سوف تعرض أمام المحاكم القضائية الإسرائيلية، فإن هناك جريمة أخرى ترتكب من قبل العرب من خلال حملة

الكرامية ضد إسرائيل، ووصف ذلك بأنه استغلال سياسي فظيع نحن نرفضه. ومن جانب آخر حذر مجلس المعاهد اليهودية في أمريكا من أن الدعوات إلى الجهاد التي اجتاحت العالم العربي يمكن أن تتفجر في شكل مذابح جماعية لليهود في هذه الدول العربية.^(٤٨)

ج - تأييد الجامعة العربية لعقد مؤتمر قمة إسلامي

في اليوم التالي لحريق المسجد الأقصى الجمعة ٩ جمادى الثانية ١٣٨٩هـ / ٢٢ أغسطس ١٩٦٩م، عقد مندوبو الدول العربية لدى الجامعة العربية اجتماعاً واستمعوا فيه إلى طلب من الأردن لعقد مؤتمر لوزراء الخارجية العرب على جناح السرعة. وبناءً على ذلك قام الأمين العام للجامعة العربية السيد عبد الخالق حسونة، بتوجيه الدعوة إلى وزراء الخارجية العرب لعقد اجتماع في القاهرة يوم الإثنين ١٢ جمادى الثانية ١٣٨٩هـ / ٢٥ أغسطس ١٩٦٩م للتداول حول جريمة إحراق المسجد الأقصى.^(٤٩)

توجه السيد عمر السقاف وزير الدولة للشؤون الخارجية السعودية لحضور اجتماع وزراء الخارجية العرب في القاهرة، حاملاً تعليمات من الملك فيصل بالضغط من أجل عقد قمة إسلامية ومعارضة عقد قمة عربية.^(٥٠)

اجتمع مجلس الجامعة على مستوى وزراء الخارجية العرب في القاهرة يومي ٢٥ و٢٦ أغسطس ١٩٦٩م. وقد اشترك في أعمال المجلس جميع الدول العربية، بما فيها تونس التي ظلت تقاطع الجامعة العربية منذ مدة طويلة. بالإضافة إلى منظمة التحرير الفلسطينية^(٥١)

وقد بحث وزراء خارجية الدول العربية اقتراح وفد الأردن بشأن عقد مؤتمر قمة عربي، بالإضافة إلى اقتراح عقد مؤتمر قمة إسلامي.^(٥٢)

وقد أشار تقرير السفير الأمريكي في جدة إلى أن جهود السقاف للضغط من أجل عقد قمة إسلامية قد حظيت بقدر من النجاح حينما تبني المؤتمر عقد القمة الإسلامية وأقر تأجيل البت في عقد القمة العربية.^(٥٣)

وقد أشارت جريدة العلم المغربية في تعليقها على نتائج اجتماع وزراء الخارجية العرب أنه لم يكن متوقعاً أن يتطور بتلك السهولة إلى دعوة لمؤتمر القمة الإسلامي، في الوقت الذي كان ينتظر أن يعهد وزراء الخارجية لعقد مؤتمر قمة عربي في أقرب الأوقات. ولكن يبدو أنه أمام اختلاف الآراء ترجحت فكرة عقد القمة الإسلامية.^(٥٤)

وقد صدر في بيان مجلس وزراء الخارجية العرب إثر دورته الطارئة بمناسبة إحراق المسجد الأقصى قرار ينص على تأكيد «أهمية عقد مؤتمر قمة إسلامي، وأن يعهد إلى المملكة العربية السعودية والمملكة المغربية إجراء الاتصالات اللازمة من أجل عقد هذا

المؤتمر». أما فيما يخص مؤتمر القمة العربي، فقد تقرر: «أن يوجه الأمين العام الدعوة إلى اجتماع لمجلس الدفاع المشترك في الأسبوع الأول من نوفمبر القادم، للنظر في الخطط اللازمة لحشد جميع القوى العربية ضد العدوان الإسرائيلي ودعم الجهاد الفلسطيني بما يكفل له الاستمرار والنمو لتحقيق النصر، وعلى ضوء اجتماع مجلس الدفاع المشترك ينظر مجلس الجامعة موضوع اجتماع مؤتمر القمة العربي. كما تقرر ضرورة العمل من أجل توفير الإمكانات المادية والسلاح اللازم للكفاح الفلسطيني. ومن جانب آخر أقر مجلس وزراء خارجية الدول العربية خطة موحدة للوفود العربية في الدورة المقبلة للجمعية العامة للأمم المتحدة».^(٥٥)

وقد أكد الملك الحسن الثاني أن المملكة العربية السعودية هي التي طلبت إشراك المغرب في الإعداد لمؤتمر القمة الإسلامية بحجة أن المملكة ليست هي المحرك الوحيد للفكرة، كما أشار الملك الحسن أن الجامعة العربية كلفت الرياض والرباط بالإعداد لعقد مؤتمر قمة إسلامي ولكن دون أن تحدد زمان ولا مكان ولا مراحل إعداد هذا المؤتمر.^(٥٦) وقد وصف الكاتب السعودي عبد العزيز الصويغ طلب المملكة العربية السعودية تكليف المغرب إلى جانبها للعمل على الإعداد لمؤتمر القمة الإسلامي، بأنه كان بمثابة خطة دبلوماسية مقصودة بحيث لا تتور مرة أخرى مخاوف بعض الدول العربية من الدعوة السعودية إلى عقد مؤتمر قمة إسلامي.^(٥٧)

وهكذا نجح الملك فيصل يرحمه الله في دعوته لعقد أول مؤتمر قمة إسلامي والذي عقد في الرباط في الفترة من ٩-١١ رجب ١٩٨٩هـ الموافق ٢٢-٢٥ سبتمبر ١٩٦٩م والذي مهد لانعقاد مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية الأول في جدة في الفترة من ١٥-١٨ محرم ١٣٩٠هـ الموافق ٢٢-٢٦ مارس ١٩٧٠م والذي يمثل نقطة تحول حاسمة في الجهود المبذولة لإنشاء أول وأكبر تنظيم إسلامي حكومي في العالم والمتمثل في منظمة المؤتمر الإسلامي المعروفة الآن بمنظمة التعاون الإسلامي، والتي تعد من أعظم المآثر التي تركها الملك فيصل للعالم الإسلامي ليحقق من خلالها وحدته وتضامنه وتعاونه في مختلف المجالات.

الهوامش

- ١- مجلة رابطة العالم الإسلامي، السنة السابعة، العدد السادس، شعبان ١٣٨٩هـ/ أكتوبر ١٩٦٩م، ص ١.
- ٢- من تعليق للدكتور معروف الدواليبي على محاضرة الدكتور صلاح الدين المنجد «فلسفة الفيصل في التضامن»، التي ألقاها في ندوة الملك فيصل والتضامن، ص ١٧٩.
- ٣- الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٩م: خطاب الملك الحسن الثاني في افتتاح مؤتمر القمة الإسلامي، الرباط ٢٢ سبتمبر ١٩٦٩م، ص ٣٩٦.
- ٤- حينما حكم داود عليه السلام بدأ في بناء هيكل للعبادة، وأتى بالحجارة من المحجر الموجود قرب باب العمود المسمى الآن: «مغارة سليمان»، ثم أكمل سليمان عليه السلام هذا الهيكل سنة ١٠٠٥ ق. م. ثم هُدم هذا الهيكل

- على يد نبوخذ نصر الذي سبى اليهود، ثم أعاد ترميمه الملك هيود سنة ١١ ق. م، وجاء الإمبراطور طيس بعد ذلك وهدم الهيكل الثاني سنة ٧٠م. وجاء بعده الإمبراطور هدران وأزال آثاره كلها. للمزيد من المعلومات راجع: الزحيلي، وهبة: «مكانة القدس في الأديان السماوية»، مستقبل القدس العربية، المؤتمر الدولي السابع الذي نظمه مركز الدراسات العربي - الأوروبي في الدار البيضاء (٢٢-٢٥ فبراير ١٩٩٩م)، مركز الدراسات العربي - الأوروبي، الدار البيضاء، ١٩٩٩م، ص ١٠٨.
- ٥ - مجلة أرض الإسرائ، العدد ١٢١، محرم ١٤٠٩هـ/ سبتمبر ١٩٨٨م، ص ٧.
- ٦ - غوشه، عاصم عبدالله: «في ذكرى إحراق المسجد الأقصى»، مجلة القدس الشريف، العدد الخامس، ذو القعدة ١٤٠٥هـ/ أغسطس ١٩٨٥م، ص ٩ - ١٢.
- ٧ - مجلة أرض الإسرائ، العدد ١٢٠، ذي الحجة ١٤٠٨هـ/ أغسطس ١٩٨٨م، ص ٤٢.
- ٨ نجم، رائف: مدينة القدس الواقع والتحديات، اللجنة المركزية لشؤون القدس، عمان، ٢٠٠٨، ص ١٨.
- ٩ أبو ضياء: دولتنا وموقفها من الدول المعاصرة دراسة موضوعية تعالج مشاكل المسلمين المعاصرة وتلقي الأضواء عليها، دار الوعي الإسلامي، بيروت، ١٩٧٠م، ص ٣٠.
- ١٠ نجم، رائف: مدينة القدس، ص ١٨ - ٢٠.
- ١١ أبو حمدة، محمد علي: المسجد الأقصى المبارك وما يتهدهه من حضريات اليهود، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٧م، ص ٥٢.
- 12 Levins, Hoag: Arab reach the secret war against Israel, Sidgwick and Jackson, London, 1983, p. 89.
- ١٣ - الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٩م: حديث الشيخ حلمي المحتسب، رئيس الهيئة الإسلامية في القدس، في مؤتمر صحفي عقد بمناسبة حريق المسجد الأقصى، القدس ٢١ أغسطس ١٩٦٩م، ص ٢٢٨ - ٢٢٩.
- 14- The New York Times, 6 October 1969.
- 15- The New York Times, 2 September 1969.
- 16- Levins: Arab Reach, p. 90.
- ١٧ - أبو ضياء: دولتنا، ص ٣٢ - ٣٤. القابسي، محيي الدين: التضامن الإسلامي رسالة الحق والخير والسلام، مؤسسة الجزيرة، الرياض، ١٩٧٢م، ص ٢٠١.
- 18- Levins: Arab Reach, p. 90.
- 19- U. S National Archives: Department of State, Airgram A-263 from Amembassy Jidda to Secstate WASHDC, Subject: Monthly commentary for Saudi Arabia, August 1969, September 3, 1969, RG 59, CF 1967-69 Pol 2, Saud Box No. 2470, Folder 1/1/69.
- ٢٠ - جريدة عكاظ، العدد ١٤٥٢هـ، الأحد ١١ جمادى الثانية ١٣٨٩هـ/ ٢٤ أغسطس ١٩٦٩م، ص ١.
- ٢١ - ناشد الملك فيصل المسلمين في موسم حج عام ١٣٨٨هـ بالجهد في سبيل الله. وقد لاحظ كل من سمع نداه كيف تعثرت كلماته وتهدج صوته تأثراً وحزناً على ما تعاناه المقدسات الإسلامية من انتهاك من قبل الصهاينة. وقد قال الفيصل في هذه الخطبة: «... إن القدس الشريف يناديكم ويستغيث بكم أيها الإخوة لتتقوه من محنته ومما ابتلي به، فإماذا نتظر وإلى ماذا نتنظر ومقدساتنا وحرماننا تنتهك بأبشع الصور، ماذا يخيفنا؟ هل نخشى الموت وهل هناك موة أفضل وأكرم من أن يموت الإنسان مجاهداً في سبيل الله؟ أيها الأخوة المسلمون، نريدها غصبة ونهضة إسلامية، دعوة إلى الجهد في سبيل الله، في سبيل ديننا وعقيدتنا، دفاعاً عن مقدساتنا وحرماننا، وأرجو الله، سبحانه وتعالى، أنه إذا كتب لي الموت أن يكتب لي الموت شهيداً في سبيل الله... إخواني، أرجو أن تعذروني إذا ارتج علي...» للمزيد من المعلومات راجع: المنجد، صلاح الدين: خطب الملك فيصل بن عبدالعزيز في وفود الحج المسلمين ١٣٨٤ - ١٣٩٠هـ، دار الكتاب الجديد، بيروت، د. ت، ص ٧٩-٨٧.

٢٢- الوثائق العربية لعام ١٩٦٩م: نداء الملك فيصل إلى العالم الإسلامي لتحرير فلسطين والمسجد الأقصى، ص ص ٦٠٥ - ٦٠٦.

23- Department of state: «Monthly Commentary for Saudi Arabia, August 1969», Op. cit.

24- U. S National Archives Department of state: «Airgram A-294 from Amembassy Jidda to Secstate WASHDC, subject: Monthly commentary for Saudi Arabia, September 1969, October 5, 1969», RG 59, CF 1967-69 Pol 2 Sayd, Box No. 2470, folder 1/1/69.

٢٥- مجلة رابطة العالم الإسلامي، السنة السابعة، العدد الخامس، رجب ١٢٨٩هـ / سبتمبر ١٩٦٩م، ص ص ٧٢، ٨٠، ٨١. مجلة رابطة العالم الإسلامي، السنة السابعة، العدد السادس، شعبان ١٢٨٩هـ / أكتوبر ١٩٦٩م، ص ٦٥.

٢٦- جريدة أم القرى، العدد ٢٢٨٨، ١ رجب ١٢٨٩هـ / ١٢ سبتمبر ١٩٦٩م، ص ٢، ١.

27- Department of state, «Monthly commentary for Saudi Arabia», August 1969, op. cit.

٢٨- جريدة أم القرى، العدد ٢٢٨٨، ١ رجب ١٢٨٩هـ / ١٢ سبتمبر ١٩٦٩م، ص ١، ٤.

٢٩- مجلة رابطة العالم الإسلامي، السنة السابعة، العدد الخامس، رجب ١٢٨٩هـ / سبتمبر ١٩٦٩م، ص ص ٨٢ - ٨٣.

30- The New York Times, August 31, 1969.

٣١- الوثائق العربية لعام ١٩٦٩: نداء الملك حسين إلى ملوك ورؤساء العرب والمسلمين حول جريمة حرق المسجد الأقصى، عمّان ٢١ أغسطس ١٩٦٩م، ص ٦٠٢.

٣٢- الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٩م: برقية الملك فيصل إلى الملك حسين رداً على برقية الملك حسين إليه بشأن حريق المسجد الأقصى، الرياض ٢٤ أغسطس، ١٩٦٩م، ص ٣٣٤.

33- Department of state: «Monthly Commentary for Saudi Arabia», August 1969, Op. cit.

٣٤- جريدة الأهرام، ٢٦ أغسطس ١٩٦٩م.

٣٥- الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٩م: رسالة الرئيس جمال عبدالناصر، رئيس الجمهورية العربية المتحدة إلى الملك حسين بشأن عقد مؤتمر قمة عربي ومؤتمر قمة إسلامية، القاهرة، ٢٥ أغسطس ١٩٦٩م، ص ص ٣٢٨ - ٣٢٩.

٣٦- جريدة العلم المغربية، العدد ٧٠٣٠، الجمعة ٨ جمادى الثانية ١٢٨٩هـ / ٢٢ أغسطس ١٩٦٩م، ص ١.

37- Department of stat: «Monthly commentary for Saudi Arabia, August 1969», op. cit.

38- Levins: Arab Reach, p. 92.

39- FCO 8/1201/ Item No. 37, Letter to FCO from A. J. M. Craig, British Embassy, Jeddah, 3 Sept. 1969, on Islamic summit. Visit of King Hussein.

٤٠- جريدة العلم المغربية، العدد ٧٠٣٨، السبت ١٧ جمادى الثانية ١٢٨٩هـ / ٣٠ أغسطس ١٩٦٩م، ص ١.

٤١- جريدة العلم المغربية، العدد ٧٠٣٧، الجمعة، ١٦ جمادى الثانية ١٢٨٩هـ / ٢٩ أغسطس ١٩٦٩م، ص ١.

٤٢- الوثائق العربية لعام ١٩٦٩م، بيان المفتي محمد أمين الحسين، رئيس الهيئة العليا لفلسطين ورئيس مؤتمر العالم الإسلامي، في مؤتمر صحفي حول إحراق المسجد الأقصى، ٢٧ أغسطس ١٩٦٩م، ص ص ٦١٢ - ٦١٦.

٤٣- الوثائق العربية لعام ١٩٦٩م: برقية الإمام الهادي المهدي، زعيم طائفة الأنصار في السودان إلى الملك فيصل حول الدعوة إلى عقد مؤتمر قمة إسلامية، ٢٩ أغسطس ١٩٦٩م، ص ٦٢١.

٤٤- جريدة أم القرى، العدد ٢٢٨٧، ٢٣ جمادى الثانية ١٢٨٩هـ / ٥ سبتمبر ١٩٦٩م، ص ١.

- ٤٥- مجلة الوعي الإسلامي، السنة الخامسة، العدد ٥٦، شعبان ١٣٨٩هـ/ ٤ أكتوبر ١٩٦٩م، ص ٨٤.
- ٤٦- جريدة الرياض، العدد ١٢٠٥، الأربعاء ١٤ جمادى الثانية ١٣٨٩هـ/ ٢٧ أغسطس ١٩٦٩م، ص ١.
- ٤٧- جريدة الأنباء المغربية، العدد ١٧٥٥، الأربعاء جمادى الثانية ١٣٨٩هـ/ ٢٧ أغسطس ١٩٦٩م، ص ١.
- 48- The New York Times, 25 August, 1969.
- ٤٩- جريدة عكاظ، العدد ١٤٥٣، الأحد ١١ جمادى الثانية ١٣٨٩هـ/ ٢٤ أغسطس ١٩٦٩م، ص ١.
- 50- Department of state: «Monthly Commentary for Saudi Arabia, August 1969», op. cit.
- ٥١- جريدة العلم المغربية، العدد ٧٠٣٧، الجمعة ١٦ جمادى الثانية ١٣٨٩هـ/ ٢٩ أغسطس ١٩٦٩م، ص ١.
- ٥٢- جريدة الأنباء المغربية، العدد ١٧٥٥، الأربعاء ١١ جمادى الثانية ١٣٨٩هـ/ ٢٧ أغسطس ١٩٦٩م، ص ١.
- 53- Department of state: «Monthly commentary for Saudi Arabia, August 1969», op. cit.
- ٥٤- جريدة العلم المغربية، العدد ٧٠٤٨، الثلاثاء ٢٦ جمادى الثانية ١٣٨٩هـ/ ٩ سبتمبر ١٩٦٩م، ص ١.
- ٥٥- الوثائق العربية لعام ١٩٦٩م، بيان مجلس وزراء الخارجية العرب إثر دورته الطارئة بمناسبة إحراق المسجد الأقصى، ٢٦ أغسطس ١٩٦٩م، ص ٦١٠.
- ٥٦- المملكة المغربية، وزارة الإعلام: خطب وندوات صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، المجلد الثاني، ١٩٩٣م، ص ٥٠٤.
- ٥٧- الصويغ، عبدالعزيز حسين: الإسلام في السياسة الخارجية السعودية، أوراق للنشر والأبحاث، الرياض، ١٩٩٢م، ص ٨٤.

المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق غير المنشورة

- FCO 8/1201/ Item No. 37, Letter to FCO from A. J. M. Craig, British Embassy, Jeddah, 3 Sept. 1969, on Islamic summit. Visit of King Hussein.
- U. S National Archives: Department of State, «Airgram A-263 from Amembassy Jidda to Secstate WASHDC, Subject: Monthly commentary for Saudi Arabia, August 1969, September 3, 1969», RG 59, CF 1967-69 Pol 2, Saud Box No. 2470, Folder 1/1/69.
- U. S National Archives: Department of state: «Airgram A-294 from Amembassy Jidda to Secstate WASHDC, subject: Monthly commentary for Saudi Arabia, September 1969, October 5, 1969», RG 59, CF 1967-69 Pol 2 Sayd, Box No. 2470, folder 1/1/69.

ثانياً: الوثائق المنشورة

- المملكة المغربية، وزارة الإعلام: خطب وندوات صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، المجلد الثاني، ١٩٩٣م.
- الوثائق العربية لعام ١٩٦٩م، دائرة الدراسات السياسية والإدارة العامة، الجامعة الأمريكية، بيروت، د. ت.
- الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٩م، جمع وتصنيف خوري نصر الله، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٧١م.

ثالثاً: المراجع باللغة العربية

- أبو حمدة، محمد علي: المسجد الأقصى المبارك وما يهدده من حفريات اليهود، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٧م.
- أبو ضياء: دولتنا وموقفنا من الدول المعاصرة دراسة موضوعية تعالج مشاكل المسلمين المعاصرة وتلقي الأضواء عليها، دار الوعي الإسلامي، بيروت، ١٩٧٠م.

- الصويغ، عبدالعزيز حسين: الإسلام في السياسة الخارجية السعودية، أوراق للنشر والأبحاث، الرياض، ١٩٩٢م.
- القاسبي، محيي الدين: التضامن الإسلامي رسالة الحق والخير والسلام، مؤسسة الجزيرة، الرياض، ١٩٧٢م.
- المنجد، صلاح الدين: خطب الملك فيصل بن عبدالعزيز في وفود الحجاج المسلمين ١٣٨٤ - ١٣٩٠هـ، دار الكتاب الجديد، بيروت، د. ت.
- نجم، رائف: مدينة القدس الواقع والتحديات، اللجنة المركزية لشؤون القدس، عمان، ٢٠٠٨م.

رابعاً: المراجع باللغة الإنجليزية

- Levins, Hoag: Arab reach the secret war against Israel, Sidgwick and Jackson, London, 1983.

خامساً: الأبحاث باللغة العربية

- الزحيلي، وهبة: «مكانة القدس في الأديان السماوية»، مستقبل القدس العربية، المؤتمر الدولي السابع الذي نظمه مركز الدراسات العربي - الأوروبي في الدار البيضاء ٢٣ - ٢٥ فبراير ١٩٩٩م، مركز الدراسات العربي - الأوروبي، الدار البيضاء، ١٩٩٩م.
- غوشه، عاصم عبد الله: «في ذكرى إحراق المسجد الأقصى»، مجلة القدس الشريف، العدد الخامس، ذو القعدة ١٤٠٥هـ/ أغسطس ١٩٨٥م.
- المنجد، صلاح الدين: «فلسفة الملك فيصل في التضامن الإسلامي»، ندوة الملك فيصل والتضامن الإسلامي من الاثنين ٢٩/٦/١٤٠٦هـ - الثلاثاء ١/٧/١٤٠٦هـ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٩٩٣م.

سادساً: الصحف والمجلات العربية

- جريدة أم القرى، العدد ٢٢٨٧، ٢٣ جمادى الثانية ١٣٨٩هـ/ ٥ سبتمبر ١٩٦٩م.
- جريدة الأهرام المصرية، ٢٦ أغسطس ١٩٦٩م.
- جريدة الأنباء المغربية، العدد ١٧٥٥، الأربعاء جمادى الثانية ١٣٨٩هـ/ ٢٧ أغسطس ١٩٦٩م.
- جريدة الرياض، العدد ١٢٠٥، الأربعاء ١٤ جمادى الثانية ١٣٨٩هـ/ ٢٧ أغسطس ١٩٦٩م.
- جريدة عكاظ، العدد ١٤٥٣، الأحد ١١ جمادى الثانية ١٣٨٩هـ/ ٢٤ أغسطس ١٩٦٩م.
- جريدة العلم المغربية، العدد ٧٠٣٠، الجمعة ٨ جمادى الثانية ١٣٨٩هـ/ ٢٢ أغسطس ١٩٦٩م.
- جريدة العلم المغربية، العدد ٧٠٣٧، الجمعة ١٦ جمادى الثانية ١٣٨٩هـ/ ٢٩ أغسطس ١٩٦٩م.
- جريدة العلم المغربية، العدد ٧٠٣٨، الجمعة ١٧ جمادى الثانية ١٣٨٩هـ/ ٣٠ أغسطس ١٩٦٩م.
- جريدة العلم المغربية، العدد ٧٠٤٨، الثلاثاء ٢٦ جمادى الثانية ١٣٨٩هـ/ ٩ سبتمبر ١٩٦٩م.
- مجلة أرض الإسرائ، العدد (١٢٠)، ذي الحجة ١٤٠٨هـ/ أغسطس ١٩٨٨م.
- مجلة أرض الإسرائ، العدد (١٢١)، محرم ١٤٠٩هـ/ سبتمبر ١٩٨٨م.
- مجلة رابطة العالم الإسلامي، السنة السابعة، العدد الخامس، رجب ١٣٨٩هـ/ سبتمبر ١٩٦٩م.
- مجلة رابطة العالم الإسلامي، السنة السابعة، العدد السادس، شعبان ١٣٨٩هـ/ أكتوبر ١٩٦٩م.
- مجلة الوعي الإسلامي (الكويتية): السنة الخامسة، العدد ٥٦، شعبان ١٣٨٩هـ/ ٤ أكتوبر ١٩٦٩م.

سابعاً: الصحف والمجلات الأجنبية

- New York Times: August 25, 31 1969.
- New York Times: October 6 1969.
- New York Times: September 2 1969.

دور التربية الإسلامية في تحقيق الأمن الفكري

النقيب: نايف بن راشد الرحيلي*



مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

الأمن من أعظم نعم الله على العباد، ويعد من أهم مقومات وأسس المجتمعات الإنسانية التي لا يمكن أن تستمر الحياة من دونها، فهو ركيزة أساسية في بناء الحضارات وتقدم الأمم، وقد امتن الله سبحانه وتعالى على قريش بنعمة الأمن وجعلها من موجبات عبادته وشكره حيث قال الله

تعالى: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ (قريش: ٤)، وقد بين الرسول ﷺ أهمية الأمن في حياة الأفراد والمجتمعات، ففي الحديث الذي رواه الترمذي في سننه عن سلمة بن عبيد الله بن محصن الخطمي عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ (من أصبح منكم آمناً في سربه معافى في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا) (سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب في التوكل على الله: ح ٢٣٤٦). ويرتبط الأمن الفكري ارتباطاً وثيقاً بفروع الأمن الأخرى، حيث يعتلي الأمن الفكري هرم

• وزارة الداخلية - الدفاع المدني، المدينة المنورة/المملكة العربية السعودية.
naif.rashed@yahoo.com

الأمن من بين فروع الأخرى، فيأتي في المرتبة الأولى من حيث الأهمية والخطورة، ذلك أن اختلال الأمن الفكري يؤدي بالضرورة إلى اختلال فروع الأمن الأخرى مما ينتج عنه انحرافات سلوكية تهدد أمن واستقرار المجتمع، ولعل من أبرز التحديات التي تواجه المجتمع المسلم المعاصر انتشار ظاهرة الانحراف الفكري والبعد عن منهج الوسطية والاعتدال في الفكر، فكان سبباً مباشراً في ظهور الفتن والصراعات وتعدد المذاهب الفكرية والاتجاهات المنحرفة (الصالح، ١٤٢٨هـ: ص ٨). ولا شك أن الإسلام بما حواه من هداية إلهية وتشريعات سماوية، يكفل للمجتمع الإنساني عامة وللمجتمع المسلم خاصة كل عوامل السعادة والأمن والاستقرار والرخاء، وقد جاء الإسلام بنظام عظيم يحقق الأمن بجميع مجالاته وتمثل التربية الإسلامية الجانب التطبيقي العملي لمفاهيم الإسلام وتعاليمه، ولذلك فإن دورها في تربية الجيل الناشئ على تعاليم الدين الإسلامي الحنيف والحفاظ على مقدرات الأمة وأمنها الفكري ليعد من أهم الواجبات المنوطة بها من خلال مؤسسات التنشئة الاجتماعية التربوية المختلفة.

ومن هنا يأتي هذا البحث للمساهمة ولو بجزء يسير في إيضاح دور التربية الإسلامية في تحقيق الأمن الفكري من خلال ثلاثة محاور هي: المحور الأول: التربية الإسلامية، والمحور الثاني: الأمن الفكري، والمحور الثالث: دور التربية الإسلامية في تحقيق الأمن الفكري، فإن أصبت فهذا فضل من الله وكرم منه، وإن أخطأت فمن نفسي، والله ولي التوفيق.

المحور الأول: التربية الإسلامية

إن الذي يستقرئ تاريخ الحضارة الإسلامية يتبين له أن التربية الإسلامية تربية ذات جذور عظيمة، وإليها يعود الفضل في تأسيس كثير من المعالم الحضارية المعاصرة التي ينظر إليها البعض وكأنها غريبة عن مجتمعا، «فخلال القسم الأول من القرون الوسطى لم يساهم أي شعب من شعوب الأرض بقدر ما ساهم به المسلمون في التقدم البشري» (عثمان، ١٤١٠هـ: ص ٢٩٤). وقد استخدم العلماء المسلمون عدة مصطلحات للدلالة على التربية، ومنها التآديب والتهديب، والإرشاد، والتعليم، والسياسة، ويتضح ذلك جلياً من خلال تتبع تراث ومؤلفات هؤلاء العلماء السابقين، ورغم ذلك فقليل منهم حاول تعريف التربية الإسلامية على أنها نظامٌ تربويٌّ مستقلٌ ومتكاملٌ له أسسه وأهدافه وأساليبه المشتقة من المصادر الرئيسة في الإسلام. (متولي، ١٤٢٥هـ: ص ١٢٩)

ويرى الباحث أن التربية الإسلامية المقصود بها في هذا البحث هي: «إعداد المسلم إعداداً كاملاً من جميع النواحي في جميع مراحل نموه للحياة الدنيا والآخرة في ضوء المبادئ والقيم وطرق التربية التي جاء بها الإسلام». (بالجن، ١٩٨٩م: ص ٢٠)

تُعتبر التربية الإسلامية ضرورة حتمية لنشر الدين الإسلامي بين أبناء الأمة، لذا فليس من الغرابة أن تكون مصادر هذه التربية هي مصادر الدين ذاته، وكما هو معلوم فإن البناء الأساس للدين الإسلامي يقوم على الوحي المتمثل في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ولذلك فإن مصادر التربية الإسلامية (علي، ١٤٢٨هـ: ص ٢١) تتمثل فيما يلي:

(١) القرآن الكريم.

(٢) السنة النبوية القولية والفعلية والتقريرية.

(٣) التراث الفكري والعلمي لعلماء المسلمين.

تتميز التربية الإسلامية بعدة سمات انطلاقاً من مصادرها، ومن أبرز تلك السمات (الدريني، ١٤٢٤هـ: ص ٢٦٣-٢٦٤) ما يلي:

(١) ربانية المصدر.

(٢) أنها تربية شاملة ومتكاملة.

(٣) أنها تربية تحترم عقل الإنسان.

(٤) أنها تربية دائمة ومستمرة في الحياة الدنيا ويبقى أثرها في الحياة الآخرة.

(٥) أنها تربية متوازنة تعتمد على الضبط وليس الكبت.

(٦) أنها تربية واقعية تنظر إلى الإنسان باعتباره مستخلفاً في هذا الكون.

المحور الثاني: الأمن الفكري

يُعد تحقيق الأمن مطلباً أساسياً لأي مجتمع لتحقيق نموه وتطوره وتقديمه وازدهاره، ولا شك أن الأمن الفكري يعتبر من أعلى درجات سلم الأمن الذي بتحقيقه تتحقق درجات الأمن الأخرى، وقد ظهرت الحاجة للأمن الفكري عندما أصاب المجتمعات انحراف في فكرها وعقلها نتيجة عوامل متعددة منها: الغلو، والتطرف الديني، والتشدد، والتلوث الثقافي.

يُعتبر مصطلح الأمن الفكري من المصطلحات الحديثة نسبياً على الرغم من أن مضمونه قديم قدم المجتمعات الإنسانية، ويرى الباحث أن الأمن الفكري هو: حصانة

فكر الفرد وعقله وإدراكه من الأفكار الضالة المنحرفة والابتعاد عن الوسطية والاعتدال في فهم جميع جوانب الحياة الدينية والفكرية والسياسية والاجتماعية، وذلك من خلال مبادئ وقيم وأسس التربية الإسلامية القائمة على القرآن الكريم والسنة النبوية، مما يؤدي إلى انضباط سلوك الفرد وفكره، وتحقيق الأمن والطمأنينة والاستقرار في جميع جوانب الحياة.

إن زعزعة الأمن الفكري في مجتمع ما ليس أمراً عارضاً أو طارئاً ولكنه ثمرة لجهود منظمة تبذلها أطراف داخلية وخارجية للتسبب في الإخلال بالأمن الفكري، وبناء عليه فإنه يترتب على زعزعة الأمن الفكري العديد من المفاقد والأضرار (الشهراني، ١٤٣٠هـ: ص ٥٩-٦١) منها ما يلي:

- (١) يُعتبر معصيةً لله ورسوله ﷺ وانتهاكاً لحرماته.
- (٢) الخروج عن الدين الإسلامي الصحيح ومنهج الوسطية والاعتدال إلى التشدد والتطرف.
- (٣) يساعد على ظهور وانتشار الأفكار الضالة والمذاهب الهدامة، والدعوات الباطلة.
- (٤) يُعد سبباً لإفساد العلاقات الأسرية والاجتماعية، وتمزيق المجتمع، وفقدان الأمن.
- (٥) السقوط في هاوية تكفير المسلمين واستباحة دماءهم وأموالهم.
- (٦) تعطيل الحركة التنموية والاقتصادية في البلاد، وهروب رؤوس الأموال خارج البلاد وانتشار البطالة بين الشباب.
- (٧) تشويه صورة الإسلام، وتعطيل الدعوة إلى الله، وإعاقة سير العمل الإسلامي.
- (٨) يقود إلى تقوية أعداء الإسلام، وإعطائهم الذريعة والفرصة لمحاربة الإسلام والمسلمين.
- (٩) صرف اهتمام المسلمين عن الأمور الهامة، واستنزاف جهودهم في صراعات دينية وفكرية.

وبناء على ما سبق تظهر ضرورة العمل على تحقيق الأمن الفكري في المجتمع، فإن هناك ارتباط وثيق بين الفكر والسلوك، فسلوك الإنسان ليس إلا انعكاس لتصوراته الذهنية، ولذلك ينبغي تحصين الفكر ضد التيارات الفكرية المنحرفة التي تسوغ الأعمال المخالفة للشريعة الإسلامية باعتبارها عملاً مشروعاً من منطلق فكرهم المنحرف.

المحور الثالث: دور التربية الإسلامية في تحقيق الأمن الفكري

تمثل التربية الإسلامية المنهج الذي يحقق التطبيق العملي للتشريع الإسلامي، لأن الإسلام ليس جانباً علمياً معرفياً فقط، بل يهدف إلى التطبيق العملي، والعلم وسيلة لتحقيق الجانب التطبيقي الصحيح، الذي يرسم للإنسان سبيل الهدى، الذي جاء به جميع الأنبياء عليهم السلام، وآخرهم نبينا محمد عليه الصلاة والسلام. (الحازمي، ١٤٣٠هـ: ص ٥)

ولاشك أن التربية الإسلامية هي وسيلة الأمة إلى بناء أجيال ناهضة قادرة على الحفاظ على جوهر شخصيتها وهويتها في هذا العالم المضطرب، الذي تدافعه قوى وتيارات فكرية ومذهبية عديدة، اجتمعت على كراهية المسلمين، وأوهمت الإنسان المسلم المعاصر بفقره وعجزه وأن تبعيته للتربية والفكر الغربي باتت واقعا مسلماً به. (علي، ١٤٢٨هـ: ص ١١)

وقد اهتمت التربية الإسلامية بتحقيق الأمن الفكري اهتماماً بالغاً، وعُنت بغرسه وتعزيزه لدى أفراد المجتمع، عن طريق وسائل متعددة أسهمت في حمايته والحفاظ عليه من كل قرصنة فكرية أو سمسرة ثقافية تهز مبادئه أو تخدش قيمه أو تمس ثوابته وعقيدته (الحربي، ١٤٢٨هـ: ص ٥١).

إن دور التربية الإسلامية في تحقيق الأمن الفكري يقتضي العمل على مستويين (المالكي، ١٤٢٧هـ: ص ٥١) هما:

المستوى الأول: إعداد الفرد إعداداً فكرياً صحيحاً، من خلال مؤسسات التنشئة الاجتماعية التربوية بدءاً من الأسرة، والمدرسة، والمسجد، ووسائل الإعلام المختلفة، التي يجب أن تتخذ العقيدة الإسلامية الصحيحة مصدراً لذلك الإعداد.

المستوى الثاني: يقوم على تحصين ذلك البناء الفكري من خلال إيجاد السياج الفكري الواقعي، الذي يمكن الفرد من النقد والتمييز والفرز والتمحيص والاختيار المدرك من كل ما يعترضه من تيارات فكرية.

وفيما يلي أهم الركائز التي تقوم عليها التربية الإسلامية في تحقيقها للأمن الفكري من خلال مؤسسات التنشئة الاجتماعية التربوية:

أولاً: غرس العقيدة الإسلامية في نفوس أفراد المجتمع

اهتمت التربية الإسلامية اهتماماً بالغاً بغرس العقيدة الإسلامية في النفوس، إذ أنها الوسيلة الأولى التي استخدمها القرآن الكريم في تربية النفوس وتهذيبها ومنعها من الانحراف وارتكاب الجرائم، وذلك لما لها من أثر كبير في السلوك الإنساني (ياسين، ١٩٩٢م: ص ٢٤). إن تحقيق أمن المجتمع لا يتم إلا إذا تحقق الأمن داخل الإنسان نفسه؛ فإذا حلت فيه السكينة والطمأنينة انعدم منه الاضطراب والقلق، وجنح إلى الفرق

والإحسان في تعامله مع الناس؛ ولا يكون ذلك إلا بالإيمان بالله وتوثيق الصلة به بما شرع من عبادات، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: آية ٢٨)، والمقصود أن قلوب الناس لا تطمئن إلا بذكر الله، وهو القرآن الذي يُدخل الإيمان واليقين إلى النفس، ويدفع عنها الشكوك والأوهام؛ وبذلك تتحقق لها الحياة الطيبة (العُمري، ١٤١٧هـ: ص ٢٣٠). وفي السنة النبوية نجد أن النبي ﷺ ربي أصحابه رضي الله عنهم على السكينة في كثير من أحوالهم واتباع المنهج القويم المستقيم في نظرتهم لجميع جوانب الحياة، وقد روى الترمذي في سننه عن النبي ﷺ أنه قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبد حبشي، فإنه من يعش منكم يرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» (سنن الترمذي، كتاب السنة، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع: ح ٢٦٧٦)

ومما سبق يتضح أن العقيدة هي الحصن المنيع الواقى من الانحراف الفكري، لهذا يجب العمل على غرسها في نفوس أفراد المجتمع، فإنه «متى ما كان هذا الغرس صحيحاً، ثبت حامله في الملمات، ونجي في الفتن، وأتى ثماره، وسلم من الانحرافات والضلالات والانتكاسات، أما إذا كان تلقي هذه العقيدة قائم على التلقين، وضعف تقديم الدليل، فإن مواقف صاحبها تصبح متسمة بالارتجال، مبنية على العاطفة، ولعل من نافلة القول أن قلة نصيب كثير من المسلمين من العقيدة الصحيحة هو الذي جر عليهم اضطراباً فكرياً، وانحرافاً عن منهج الوسطية». (الحربي، ١٤٢٨هـ: ص ٥٣)

ثانياً: إظهار وسطية الإسلام واعتداله وتوازنه وترسيخ الانتماء له

الإسلام دين الوسطية والاعتدال في الأمور كلها، والوسطية هي اللفظ المقبول بين الإفراط والتفريط، بين الغلو والتقصير، فإن «وسط الشيء وأوسطه: أعدل» (ابن منظور، ١٤١٤هـ، ج ٧: ص ٤٣٠). وقد أخبر الله سبحانه وتعالى بوسطية هذه الأمة، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة: ١٤٣). أي: عدلاً خياراً، فجعل الله هذه الأمة وسطاً في كل الأمور الدينية والدنيوية، ولقد بين النبي ﷺ لأمة منهج الوسطية والاعتدال في جميع مجالات الحياة، وحذر من الانحراف عنها والتشدد في الأقوال والأفعال، فقد روى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (هلك المتطعون - قالها ثلاثاً -) (صحيح مسلم، كتاب العلم، باب هلك المتطعون: ح ٢٦٧٠)، والمتطعون هم: المتعمقون الغالون

المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم. وإذا كان الإسلام يدعو إلى الوسطية فإنه يحذر كل التحذير من كل ما يتعارض معها من إفراط وتضييق، فكل من الإفراط والتضييق معول هدم للأمن بضرعه وعلى رأسه الأمن الفكري للفرد والمجتمع؛ لأن كلاً منهما جنوح على الصراط السوي في الاعتقاد والتفكير والتعامل، وخروج عن تعاليم الإسلام ومقاصده (الحقيل، ١٤٢٥هـ: ص ٢٢)، ومما تسعى إليه التربية الإسلامية إيجاد الشخصية الإسلامية المتزنة في منهجها وفكرها وسلوكها، ولا يكون ذلك إلا بتنمية الوسطية والاعتدال في نفوس الناشئة منذ نعومة أظفارهم.

ثالثاً: تنمية الحوار الإيجابي والتفكير السليم

الحوار فنٌّ من فنون الكلام، وصيغةٌ من صيغ التواصل والتفاهم، وأسلوبٌ من أساليب العلم والمعرفة، ووسيلةٌ من وسائل التبليغ والدعوة، ومقتضى من مقتضيات العلاقات والتعارف بين البشر، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣). لقد كانت تربية النبي ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم تقوم على قاعدة إثارة الحوار والتفكير، ومن تطبيقات هذه القاعدة في السنة النبوية قول ذلك الشاب الذي جاء إلى النبي ﷺ: «أذن لي في الزنا»، فهو يعرف تحريمه وبشاعته ومع ذلك يطلبه من أتقى الأمة وأتقاه؛ لأن مجال الحوار الحر كان مفتوحاً معه ﷺ دون خوف أو وجل فتتم معالجة هذا الانحراف الفكري في مهده. (الحربي، ١٤٣٢هـ: ص ٣٣)

والتربية الإسلامية تُتيح الفرصة الكاملة للحوار وتنمية التفكير، وتقويم الاعوجاج الفكري بالحجة والإقناع؛ لأن البديل هو تداول هذه الأفكار بطريقة سرية غير موجهة ولا رشيدة مما يؤدي في النهاية إلى الإخلال بأمن المجتمع.

رابعاً: طاعة ولاة الأمر ولزوم الجماعة

إن الاجتماع والائتلاف، ونبذ الفرقة والاختلاف، أصل عظيم من أصول الدين الإسلامي الحنيف، وسمة بارزة من سمات الأمة المحمدية، وقد استفاضت النصوص الشرعية في الدعوة إلى الوحدة والائتلاف، ولزوم جماعة المسلمين، وطاعة ولاة الأمر، ونهت عن الفرقة والاختلاف، وشق عصا الطاعة، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٣)، فدلّت الآية الكريمة على أن الدين يأمر بالاجتماع والائتلاف، وينهى عن التفرق والاختلاف في أصل الدين، وفي سائر مسائله الأصولية والفروعية

(السعدي، ١٤٢٢هـ: ص ٢٨٢). ومن مقتضيات لزوم الجماعة طاعة ولي الأمر المسلم، عملاً بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (النساء: ٥٩). والمراد بأولي الأمر هنا من أوجب الله طاعته من الحكام والأمراء والعلماء، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «والظاهر - والله أعلم - أن الآية عامة في كل أولي الأمر من الأمراء والعلماء» (شاکر، ١٤٢٤ هـ، ج ١: ص ٥٣٠). وقد ورد النهي عن التفرق في السنة النبوية، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً، فيرضى لكم: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، ويكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال» (صحيح مسلم، كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة: ح ١٧١٥). ولذلك فإن التربية الإسلامية عندما تسعى إلى ترسيخ مضمون طاعة ولاة الأمر ولزوم جماعة المسلمين، وبيان الثمرات التي تجنى من اجتماع الكلمة ووحدة الصف، فإنها تهدف إلى تحقيق الأمن الفكري للمجتمع.

خامساً: توحيد مصدر التلقي في جميع الأمور والقضايا التي تهم المسلمين

لقد أمر الله سبحانه وتعالى بالرجوع إلى العلماء الربانيين في الأمور التي تهم الأمة، وتمس مصالحها العامة، فقال الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء: ٨٣)، فهذا إنكار من الله تعالى على من يتعجل في الحكم على الأمور، ويبادر بنشر الأخبار وإذاعتها قبل التأكد من ثبوتها وصحتها (ابن كثير، ١٤٢٢هـ، ج ١: ص ٧٠٤-٧٠٥)، وفي الآية «تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق، وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين أو بالخوف الذي فيه مصيبة، عليهم أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يردونه إلى الرسول ﷺ، وإلى أولي الأمر منهم، أهل الرأي والعلم والنصح والعقل، فإذا رأوا في إذاعته مصلحة للمؤمنين وسروراً لهم وتحزراً من أعدائهم فعلوا ذلك، وإن رأوا أنه ليس فيه مصلحة لم يذيعوه». (السعدي، ١٤٢٢هـ، ج ١: ص ٤١٦-٤١٧)

إنَّ التربية الإسلامية عندما تهتم بتوحيد مصدر التلقي في جميع الأمور والقضايا التي تهتم المسلمين، فهي تهدف إلى حماية فكر الفرد المسلم؛ وإبعاده عن دواعي القلق والتناقض، وبالتالي تحقق الأمن الفكري للمجتمع والدولة، فتتأسق الفكر لدى الأفراد، وتوحيد مشاربهم وتوجهاتهم الفكرية يخدم المصلحة العامة والتي هي بدورها تحقق الأمن الفكري وتدعمه. (الحربي، ١٤٢٨هـ: ص ٥٨-٥٩)

خاتمة

الحمد لله مستحق الحمد وأهله، المنعم على خلقه بسابغ نعمه وفضله، وصلى الله وسلم على رسوله الكريم، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فمن كمال نعمة الله - جلَّ وعلا - على الباحث أن وفقه لإتمام هذا البحث الذي هدف إلى بيان دور التربية الإسلامية في تحقيق الأمن الفكري، وفي سبيل ذلك جاء البحث على ثلاثة محاور: محور التربية الإسلامية، ومحور الأمن الفكري، ومحور دور التربية الإسلامية في تحقيق الأمن الفكري.

نتائج البحث: بناءً على محاور البحث فقد توصل الباحث إلى النتائج التالية:

(١) إن الأمن الفكري من منظور التربية الإسلامية هو: حصانة فكر الفرد وعقله وإدراكه من الأفكار الضالة المنحرفة والابتعاد عن الوسطية والاعتدال في فهم جميع جوانب الحياة الدينية والفكرية والسياسية والاجتماعية، وذلك من خلال مبادئ وقيم وأسس التربية الإسلامية القائمة على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، مما يؤدي إلى انضباط سلوك الفرد وفكره، وتحقيق الأمن والطمأنينة والاستقرار في جميع جوانب الحياة.

(٢) يستمد الأمن الفكري في الإسلام جذوره وأهميته من الكتاب والسنة كمصدرين أساسيين للتشريع، مما يؤدي إلى تلاحم الأمة الإسلامية ووحدتها في الفكر والمنهج والسلوك والغاية.

(٣) يتمثل الانحراف الفكري في العدول والميل والخروج عن المنهج الوسطي المعتدل إلى التطرف والمغالاة في جميع جوانب الحياة الدينية والاجتماعية والأمنية والسياسية والاقتصادية، فكل رأي مخالف لرأي الجماعة هو انحراف فكري.

٤) إن من مظاهر الانحراف الفكري: الغلو، والتكفير، والتعصب للرأي والعنف، وتُعدّ الفئة الضالة ودُعاة الفتنة من أبرز المهددات الداخلية للأمن الفكري، وفي المقابل تُعتبر العولمة والغزو الفكري من أخطر التحديات الخارجية المعاصرة للأمن الفكري.

٥) إن من أعظم مفاصد زعزعة الأمن الفكري للفرد والمجتمع: الخروج عن الدين الإسلامي الصحيح وعقيدته السليمة وشريعته السمحة ومنهج الوسطية والاعتدال إلى التشدد والتطرف والغلو في الدين.

٦) إن من أهم الركائز التي تقوم عليها التربية الإسلامية في تحقيقها للأمن الفكري: غرس العقيدة الإسلامية في نفوس أفراد المجتمع، وإظهار وسطية الإسلام واعتداله وتوازنه، وتنمية الحوار الإيجابي والتفكير السليم، وطاعة ولاية الأمر ولزوم الجماعة، وتوحيد مصدر التلقي في جميع الأمور والقضايا التي تهم المسلمين.

٧) إن التربية الإسلامية لو أُحسن تطبيقها بشكل جيد في مؤسسات التربية الاجتماعية كالأُسرة والمدرسة والمسجد ووسائل الإعلام المختلفة لحققت الأمن الفكري وعالجت ظاهرة الانحراف الفكري، وقدمت العديد من الحلول لها.

توصيات البحث

في ضوء النتائج التي توصل إليها البحث، فإن الباحث يُورد عدداً من التوصيات، أهمها ما يلي:

١) اهتمام جميع مؤسسات المجتمع بترسيخ العقيدة الإسلامية الصحيحة المستمدة من الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة وفهم السلف الصالح، وتعزيز قيم الوسطية والاعتدال، والتحذير من الفكر المنحرف لدى أفراد المجتمع.

٢) أن تقوم مؤسسات التنشئة الاجتماعية بدورها التربوي من خلال تطبيق نظام التربية الإسلامية، في توعية المجتمع بحقيقة ظاهرة الانحراف الفكري وكيفية التعامل معه، مع تقديم النموذج الإسلامي كحل نموذجي فريد لتحقيق الأمن الفكري.

٣) الانطلاق دائماً من ركائز التربية الإسلامية في تأصيل المفاهيم الجديدة لدى أفراد المجتمع وجعلها المعيار الأول في ضبط المتغيرات الفكرية الدخيلة على المجتمع.

٤) ضرورة وضع استراتيجية تربوية اجتماعية متكاملة لمجابهة الانحراف الفكري بغرض الحفاظ على الهوية الإسلامية وتحصين الشباب بأسس العقيدة الصحيحة السليمة من خلال برامج توعوية تزيد من وعيهم الأمني والاجتماعي والثقافي.

٥) نشر مفاهيم الرقابة الذاتية لدى أفراد المجتمع من خلال مؤسسات التربية الاجتماعية كالأُسرة والمدرسة والمسجد ووسائل الإعلام المختلفة.

٦) تكثيف البرامج والأنشطة والمحاضرات والندوات والحوارات، وإنتاج البرامج الإعلامية الموجهة للشباب التي تهتم بترسيخ القيم والآداب الإسلامية الصحيحة المعتدلة.

٧) مشاركة جميع مؤسسات الدولة والمؤسسات الخاصة مع مؤسسات التربية الاجتماعية في التوعية بأهمية تحقيق وتعزيز الأمن الفكري.

المصادر والمراجع

• القرآن الكريم

١. الترمذي، محمد بن عيسى. (١٢٨٢هـ)، الجامع الصحيح، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، ط١، مكتبة البابي الحلبي: القاهرة.
٢. الحازمي، خالد حامد. (١٤٣٠هـ)، أصول التربية الإسلامية، ط٢، مكتبة دار الزمان: المدينة المنورة.
٣. الحربي، جبير سليمان. (١٤٢٨هـ)، دور منهج العلوم الشرعية في تعزيز الأمن الفكري، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة أم القرى: مكة المكرمة.
٤. الحربي، سلطان مجاهد. (١٤٢٢هـ)، دور الإدارة المدرسية في تحقيق الأمن الفكري الوقائي لطلاب المرحلة الثانوية بمحافظة الطائف، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى: مكة المكرمة.
٥. الحقي، سليمان عبد الرحمن. (١٤٢٥هـ)، متطلبات المحافظة على نعمة الأمن والاستقرار، ط٤، مطابع الحميضي: الرياض.
٦. الدريني، فتحي. (١٤٢٤هـ)، خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم، ط٢، مؤسسة الرسالة: بيروت.
٧. السعدي، عبد الرحمن ناصر. (١٤٢٢هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مكتبة العبيكان: الرياض.
٨. شاكر، أحمد محمد. (١٤٢٤هـ)، مختصر تفسير القرآن العظيم المسمى عمدة التفسير، دار الوفاء للنشر: المنصورة.
٩. الشهراني، بندر علي سعيد. (١٤٣٠هـ)، تصور مقترح لتفعيل دور المدرسة الثانوية في تحقيق الأمن الفكري، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى: مكة المكرمة.
١٠. الصالح، سعدي محمد. (١٤٢٨هـ)، المسؤولية التربوية للأسرة في تحقيق الأمن الفكري، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية: المدينة المنورة.
١١. عثمان، عبد الكريم. (١٤١٠هـ)، معالم الثقافة الإسلامية، ط١٥، مؤسسة الرسالة: بيروت.

١٢. علي، سعيد اسماعيل. (١٤٢٨هـ)، التربية الإسلامية المفاهيم والتطبيقات، ط٢، مكتبة الرشد: الرياض.
١٣. العمري، أكرم ضياء. (١٤١٧هـ)، التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، دار أشبيليا: الرياض.
١٤. ابن كثير، عماد الدين اسماعيل. (١٤٢٢هـ)، تفسير القرآن العظيم، دار إحياء الكتب العلمية: بيروت.
١٥. المالكي، عبد الحفيظ. (١٤٢٧هـ)، نحو استراتيجية وطنية لتحقيق الأمن الفكري في مواجهة الإرهاب، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية: الرياض.
١٦. متولي، مصطفى محمد. (١٤٢٥هـ)، مدخل إلى تاريخ التربية الإسلامية، ط٢، دار الخرجي للنشر: الرياض.
١٧. ابن منظور، جمال الدين محمد مكرم. (١٤١٤هـ)، لسان العرب، دار صادر: بيروت.
١٨. النيسابوري، مسلم بن الحجاج. (١٤٢٦هـ)، صحيح مسلم، بيت الأفكار الدولية: بيروت.
١٩. ياسين، روضة محمد. (١٩٩٢م)، منهج القرآن في حماية المجتمع من الجريمة، المركز العربي للدراسات الأمنية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية: الرياض.
٢٠. يالجن، مقدار محمد علي. (١٩٨٩م)، أهداف التربية الإسلامية، دار الهدى للنشر: الرياض.

حماية أفعال المكلفين في الفقه الإسلامي دراسة في ضوء القواعد الفقهية

أ. مراد بلعباس



ملخص البحث

تهدف الشريعة الإسلامية إلى حماية الأفعال الصادرة عن المكلفين من الفساد أو البطلان الذي يطرأ عليها نتيجة عوامل متعددة، منها ما يتعلق بآثار الألفاظ الصادرة عن المكلف في تعاملاته مع غيره، ومنها ما يتعلق بغير ذلك من المبطلات أو المفسدات، والحكمة من ذلك تتمثل في مراعاة أحوال المكلفين وعدم تكليفهم ما لا يطاق، وحفظ حقوقهم المالية خاصة إذا كانت هذه الأفعال متعلقة بعقود مالية، وهذه الحماية تشمل كل الحالات المتعلقة بالفساد والبطلان، كتحويل العقد، وإجازة العقد الموقوف، وتجزؤ البطلان، وتصحيح العقد الفاسد عند أبي حنيفة وغيرها...

لأجل هذا اجتهد الفقهاء في محاولة حماية الأفعال والتصرفات الصادرة عن المكلف قدر الإمكان، وقد اعتمدوا في ذلك على نصوص شرعية كثيرة، كما أنهم وضعوا الكثير من القواعد الفقهية في هذا المجال، ويُعدّ هذا البحث محاولة مَنّي للوقوف عند أهمّ القواعد الفقهية التي اعتمد عليها الفقهاء في حماية أفعال المكلفين من البطلان.

• أستاذ مساعد بكلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر.
mourad85_b@yahoo.com

Abstract:

Aims of Islamic law to protect the acts issued by the holders of corruption or invalidity that may occur as a result of multiple factors, including those attached to the effects of terms of the charge in his dealings with others, including those attached to other Alamtbalat, and the reason for that is to take into account the conditions of taxpayers and not assigned as unbearable, and save their financial especially if these acts relating to contracts, financial, and this protection include all cases relating to corruption and invalidity, such as turning the contract, and leave the contract suspended, and fragmentation of invalidity, and correct contract rotten at the Abu Hanifa and other...

For this painstakingly scholars in trying to protect the acts and actions of the charge as much as possible, have adopted the texts of many legitimate, and they put a lot of jurisprudence in this area, and this is Find my attempt to find out when the most important rules of jurisprudence, which was adopted by the jurists in protection acts in charge of nullity.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين حمداً يوازي نعمه وآلاءه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً ﷺ عبده ورسوله، وبعد:

فإن القواعد الفقهية تعتبر أهم مدخل لتقنين أحكام الفقه الإسلامي، وتبويبها بحسب موضوعاتها، وجمع تطبيقاتها المتناثرة، وذلك ما يسهل على الباحثين والمتعاملين مع هذه الأحكام الوصول إليها، حيث نجد الكثير من هذه القواعد مختصاً بموضوع معين كقواعد الضرر وقواعد الضمان وقواعد النيات والمقاصد وغيرها، والناظر في هذه القواعد الفقهية يجد الكثير منها متعلقاً بموضوع حماية أفعال المكلفين وتصرفاتهم من الإلغاء أو البطلان، حيث نجد بعضها متعلقاً بالألفاظ الصادرة عن المكلف، وبعضها الآخر متعلقاً بغير ذلك مما يمكن تأثيره في أفعال المكلفين وتصرفاتهم.

غير أن هذه القواعد متفرقة في موضوعات شتى، ومتناثرة في مجالات عدة، وهو ما جعل الاستفادة منها يسيرة لدى الفقهاء والباحثين، وهو ما دفعني إلى محاولة جمع تلك القواعد أو بعضها مع شرحها وذكر أشهر تطبيقاتها لدى الفقهاء، حتى تسهل الاستفادة منها، وهو ما يبين أهمية هذا البحث.

أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى تحقيق الأمور الآتية:

- استخراج القواعد الفقهية المتعلقة بحماية أفعال المكلفين من كتب الفقهاء ومؤلفاتهم.
- تصنيف هذه القواعد من حيث أثرها في حماية أفعال المكلفين من الفساد أو البطلان.
- بيان كيفية حماية أفعال المكلفين من خلال بعض التطبيقات التي ذكرها الفقهاء لهذه القواعد.

إشكالية البحث: يعالج هذا البحث موضوع القواعد الفقهية التي لها أثر في حماية أفعال المكلفين وتصرفاتهم من البطلان دون غيرها من القواعد، وذلك من خلال بيان معنى كل قاعدة وذكر بعض تطبيقاتها.

ويمكن صياغة هذه الإشكالية في السؤالين الآتيين:

- هل هناك قواعد فقهية تُعنى بحماية أفعال المكلفين وصيانتها من أسباب الإلغاء والبطلان؟
- وهل يمكن تصنيف هذه القواعد باعتبارها معينة تسمح بجمع تطبيقاتها وعرضها حسب هذا التصنيف؟

منهج البحث: اعتمدت في هذا البحث على منهجين اثنين هما:

المنهج الاستقرائي: وذلك من خلال جمع القواعد الفقهية المتعلقة بحماية أفعال المكلفين، وما تفرع عنها من تطبيقات فقهية.

المنهج الاستنباطي: وذلك باستنباط الأحكام الفقهية المتعلقة بحماية أفعال المكلفين انطلاقاً من القواعد الفقهية التي تناولت هذا الموضوع.

خطة البحث: اشتمل البحث على مقدمة ومبحثين اثنين، يتضمن كل منهما خمسة مطالب، ثم خاتمة، وفي الأخير قائمة بهوامش البحث، وذلك على النحو الآتي:

مقدمة

المبحث الأول: حماية أفعال المكلفين في ضوء القواعد المتعلقة بالألفاظ، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: إذا تعذرت الحقيقة يصار إلى المجاز.

المطلب الثاني: ذكر بعض ما لا يتجزأ كذكر كله.

المطلب الثالث: إذا تعذر الصريح يصار إلى الكناية.

المطلب الرابع: السؤال معاد في الجواب.

المطلب الخامس: العبرة في العقود للمقاصد والمعاني لا للألفاظ والمباني.

المبحث الثاني: حماية أفعال المكلفين في ضوء القواعد غير المتعلقة بالألفاظ، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الإذن دلالة كالإذن صراحةً.

المطلب الثاني: إذا زال المانع عاد الممنوع.

المطلب الثالث: التعيين بالعرف كالتعيين بالنص.

المطلب الرابع: يغتفر في البقاء ما لا يغتفر في الابتداء.

المطلب الخامس: الأصل اقتصار الفساد على قدر المفسد.

خاتمة.

هوامش البحث.

المبحث الأول

حماية أفعال المكلفين في ضوء القواعد المتعلقة بالألفاظ

المطلب الأول: قاعدة «إذا تعذرت الحقيقة يصار إلى المجاز»^(١)

تعذر الحقيقة معناه امتناع حمل اللفظ على معناه الذي وضع له، إما لعدم وجود أفراد لها في الوجود، وإما لامتناعها شرعاً أو عرفاً أو بسبب تعسرها^(٢).

ومعنى هذه القاعدة أنه إذا تعذر حمل الكلام على معناه الحقيقي لسبب ما فإن الكلام لا يهمل وإنما يجب حمله على معناه المجازي صيانةً لكلام العاقل عن الإلغاء^(٣)، وحماية لفعل المكلف من الإبطال، خاصة وأن المجاز وسيلة معتبرة في التعبير عن الغاية والمقصود، يقول السرخسي: «تصحیح كلام العاقل واجب، وللعرب لسانان: حقيقة ومجاز، فإذا تعذر تصحيحه باعتبار الحقيقة يصحح باعتباره المجاز»^(٤).

بعض تطبيقات القاعدة

لوقال المشتري للبائع قبل القبض في المال المنقول: أقلني بيعتي، فقال البائع: أقلتك، فالإقالة هنا يتعذر اعتبارها بيعاً عند أبي يوسف الذي يرى أن الإقالة بيع؛ لأنه لا يمكن حمل اللفظ على حقيقته، وهو البيع؛ لأن بيع المنقول قبل قبضه لا يجوز شرعاً، وهذا التعذر تعذر شرعي، لكن وحماية لهذا الفعل يحمل اللفظ على المجاز وتعتبر الإقالة في هذه الحالة فسحاً^(٥).

لوقال شخص: وقفت داري على أولادي، ولم يكن له أولاد عند نطقه بالوقف، ولكن له أحفاد، فهنا لا يمكن حمل الكلام على حقيقته لتعذرها بسبب عدم وجود أفراد لها، فيحمل على معناه المجازي حمايةً لتصرفه، ويعتبر الأحفاد هم المقصودون بالوقف؛ لأن الحفيد يسمى ولداً مجازاً^(٦).

لوقال الزوج لزوجته: أنت طالق في مرضك أو وجعك أو صلاتك لم تطلق حتى تمرض أو تصلي؛ لأن «في» حرف بمعنى مع، أو لأن المرض ونحوه لما لم يصلح ظرفاً حمل على معنى الشرط مجازاً لتصحيح كلام العاقل^(٧).

المطلب الثاني: قاعدة «ذكر بعض ما لا يتجزأ كذكر كله»^(٨)

وقد عبر الزركشي عن هذه القاعدة بقوله: «ما لا يقبل التبعض يكون اختيار بعضه كاختيار كله وإسقاط بعضه كإسقاط كله»^(٩).

وهي تعني أن الأشياء التي لا تقبل بطبيعتها أو بحكم الشرع^(١٠) التجزئة يكون ذكر بعضها قائماً مقام الكل، ويعتبر الكل مذكوراً إذا ذكر البعض، بشرط أن يكون البعض

مذكوراً على سبيل الشيوخ، وأن يكون البعض مما يعبر به عن الكل، وذلك حماية لفعل المكلف ما أمكن، وصيانة لكلام العاقل عن الإلغاء^(١١)، وتغليباً للمحرم عن المبيح، وإعمالاً للدليل بالقدر الممكن؛ لأنه إذا لم يتكامل يؤدي إلى إبطال الدليل^(١٢).

وهذه القاعدة تستند إلى قاعدة «إذا تعذرت الحقيقة يصار إلى المجاز»؛ لأن إطلاق البعض على الكل والعكس^(١٣) مجازٌ، وهو نوع من أنواع المجاز المرسل^(١٤).

لأجل ذلك قيد الحصري هذه القاعدة بضرورة التصحيح، حيث أوردها على النحو الآتي: «ذكر بعض ما لا يتجزأ كذكر كله ضرورة التصحيح»^(١٥).

بعض تطبيقات القاعدة^(١٦)

- لو أسقط الشفيع بعض حقه في الشفعة كالنصف أو الثلث سقطت كلها؛ لأنها مما لا يقبل التبعيض شرعاً، فللشفيع أن يأخذ الشفعة بكليها أو أن يتركها كلها.

- لو قال الزوج لزوجته: أنت طالق نصف طلقة، أو نصفك طالق، فإنها تطلق؛ لأن الطلاق بطبيعته لا يقبل التبعيض والتجزئة، إذ لا يمكن أن يكون بعض المرأة طالقاً دون البعض الآخر^(١٧).

- إذا أضاف الكفالة إلى جزء جامع كالرأس والوجه والرقبة ونحوها جازت؛ لأن هذه الأجزاء يعبر بها عن جملة البدن فكان ذكرها ذكراً للبدن، وكذا إذا أضاف إلى جزء شائع كالنصف والثلث ونحوهما جازت؛ لأن حكم الكفالة بالنفس وجوب تسليم النفس بثبوت ولاية المطالبة، والنفس في حق وجوب التسليم لا تتجزأ كما في الطلاق، وإذا أضافها إلى اليد أو الرجل ونحوهما من الأجزاء المعينة لا تجوز؛ لأن هذه الأعضاء لا يعبر بها عن جميع البدن، فلا يكون ذكرها ذكراً لجميع البدن كما في الطلاق^(١٨).

المطلب الثالث: قاعدة «إذا تعذر الصريح يُصار إلى الكناية»

هذه القاعدة بمعنى قاعدة: «إذا تعذرت الحقيقة يصار إلى المجاز»، وتلتقي معها في الغرض والمقصد، وهو صيانة أفعال المكلفين عن الإلغاء، وهي تعني أنه إذا تعذر حمل اللفظ على معناه الصريح، وكان لللفظ نفاذٌ في موضوع آخر، فإن اللفظ لا يهمل، وإنما يعتبر كنايةً في ذلك الموضوع حمايةً لفعل المكلف، وقد صاغها بعضهم بقوله: «ما كان صريحاً في بابه ووجد نفاذاً في موضوعه لا يكون كنايةً في غيره»^(١٩).

والصریح يصبح كنايةً في الحالتين الآتيتين:

أ- إذا اقترنت باللفظ الصريح قرائن لفظية، كما لو قال لزوجته أنت طالق من وثاق^(٢٠).

ب- إذا لم يجد اللفظ الصريح نفاذاً في موضوعه^(٢١)، أما إذا كان نافذاً في موضوعه فلا يكون كناية في غيره، كما لو قال الزوج لزوجته: أنت عليّ كظهر أمي ناوياً الطلاق، فلا تطلق الزوجة، ويكون ظاهراً؛ لأن اللفظ صريح في بابه نافذ في موضوعه^(٢٢).

ويشترط للفظ ليكون كناية في غيره الشروط الآتية^(٢٣):

- أ- أن يقصد المتكلم اللفظ، فإذا لم يكن اللفظ مقصوداً فلا يترتب عليه أثر.
- ب- أن ينوي المعنى بالإضافة إلى قصده اللفظ، وذلك خلافاً للصریح، الذي يشترط فيه شرط واحد، وهو قصد اللفظ فقط سواء قصد المعنى أم لا.
- ج- أن يقبله العقد المنوي فيه، فإن لم يقبله لا يكون كنايةً فيه^(٢٤).

بعض تطبيقات القاعدة

- لو قال شخص لآخر: اقضِ المائة التي لي عليك فإن غرمائي لا يدعوني، فقال أحل عليّ بها بعضهم، أو من تسبب منهم أو اثنتي منهم أضمنها له أو احتال علي بها، فهذا كله إقرار بذكر حرف الكناية في موضع الجواب، ولأنه أمر بالحوالة المقيدة، وذلك لا يتحقق إلا بعد وجوب الدين في ذمة المحتال عليه للمحيل، أو يكون ملك له في يده له بتقيد الحوالة بها^(٢٥).

- لو قال: له عندي ألف درهم عارية كان إقراراً منه بالقرض ولم تكن عارية؛ لأن عندي تستعمل في الأمانات وقد فسر بالعارية، وعارية الدراهم والدنانير تكون قرضاً إذ لا يمكن الانتفاع بها إلا باستهلاكها، وإعارة ما لا يمكن الانتفاع به إلا باستهلاكه يكون قرضاً في المتعارف، وكذلك هذا في كل ما يكال أو يوزن لتعذر الانتفاع بها بدون الاستهلاك، فكان الإقرار بإعارتها إقراراً بالقرض^(٢٦).

- لو راجع الزوج زوجته بلفظ النكاح أو التزويج، فالأصح أنه كناية «تفد» بالنية؛ لإشعاره بالمعنى.

المطلب الرابع: قاعدة «السؤال معاد في الجواب»^(٢٧)

ومعنى القاعدة أن ما قيل في السؤال المصدّق كان المجيب المصدّق قد أقر به؛ لأنه لما كان الجواب لا يستقل بنفسه، فإنه لا يكون مفيداً، ويعتبر لغوياً، مما يؤدي إلى فساد التصرف، لذلك وحمايةً لفعل المكلف يعتبر السؤال معاداً ضمناً في الجواب، ويشترط لكون السؤال معاداً في الجواب ما يأتي:

- أن يكون الجواب بإحدى الأدوات المجملة مثل نعم أو بلى، أو لا^(٢٨).
- أن لا يكون الجواب مستقلاً بنفسه، بحيث لا يصح الابتداء به، فإن كان مستقلاً بنفسه، فلا يكون معاداً في الجواب^(٢٩).

وحال الجواب يكون بحسب السؤال:

- إن كان السؤال صريحاً، كان الجواب صريحاً لا يحتاج إلى نية، ومثال ذلك من قيل له: أطلقت امرأتك أنت؟ فقال: نعم، أو قيل له امرأتك طالق؟ فقال: نعم، طلقت وإن لم ينو الطلاق؛ لأن نعم صريح في الجواب، والجواب الصريح بلفظ الصريح صريح، ألا ترى أنه لو قيل له أفلان عليك كذا؟ فقال نعم؛ كان إقراراً^(٣٠).

- وإن كان السؤال كناية، كان الجواب كناية مفتقراً إلى النية، ومثال ذلك ولو قيل للزوج: أخليت؟ أي أخليت زوجتك ونحوه، وقال: نعم، فكناية لا تطلق بذلك حتى ينوي به الطلاق؛ لأن السؤال منطوي في الجواب وهو كناية، وكذا لو قال: ليس لي امرأة أو ليست لي امرأة أو لا امرأة لي فهو كناية لا يقع إلا بنية، ولو نوى أنه ليس لي امرأة تخدمني أو ليس امرأة ترضيني أو لم ينو شيئاً لم يقع طلاقه^(٣١).

بعض تطبيقات القاعدة

- لو قال البائع للمشتري: بعتك هذا الشيء بألف، فقال: اشتريت صح بالألف^(٣٢).
- إذا قال شخص لمدينة هل تقر بما في هذا السند وأجاب المدين بنعم، فإنه يكون قد أقر بجميع ما ورد في السند المذكور.

- لو قال شخص لآخر قد بعتك داري بألف دينار، أو أجرتك دكاني بمائة دينار شهرياً، وأجابه الآخر بقوله: نعم، فيكون ذلك قبولاً منه بالبيع والإجارة، ويكون البيع والإجارة منعدين^(٣٣).

المطلب الخامس: قاعدة «العبرة في العقود للمقاصد والمعاني لا للألفاظ والمباني»^(٢٤)

معنى هذه القاعدة أنه عند حصول العقد لا ينظر للألفاظ التي يستعملها العاقدان حين العقد، وإنما ينظر إلى مقاصدهم الحقيقية من الكلام الذي يلفظ به حين العقد؛ لأن المقصود الحقيقي هو المعنى، وليس اللفظ ولا الصيغة المستعملة وما الألفاظ إلا قوالب للمعاني^(٢٥).

والأصل أن يكون الاعتبار للألفاظ والمباني، لأنها الدالة على المقاصد والنيات^(٢٦)، لكن وحمايةً لفعل المكلف وإعمالاً لكلامه، يعدل عن ظاهر اللفظ إلى المعنى، إذا دلت الدلائل على أن اللفظ قاصر لسبب ما عن التعبير عن المقصد، وأن الوقوف عند الألفاظ والمباني يؤدي إلى إهدار كلامه وإهماله، ومع ذلك فإنه ما لم يتعذر التأليف بين الألفاظ والمعاني المقصودة لا يجوز إلغاء الألفاظ^(٢٧).

وهذه القاعدة متفرعة عن القاعدة الكبرى «الأمر بمقاصدها»^(٢٨) إلا أنها خاصة بالعقود، والفقهاء يقصدون بها العقد بمعناه العام، الذي يشمل التصرف المكون من إرادتين، والتصرف الذي يكون بإرادة واحدة كالطلاق وإجازة التصرفات، والنذر وغيرها...

وقد اختلف الفقهاء في كثير من تطبيقات هذه القاعدة، حيث يقول الإمام ابن رجب بقوله: «إذا وصل بألفاظ العقود ما يخرجها عن موضوعها فهل يفسد العقد بذلك أو يجعل كناية عما يمكن صحته على ذلك الوجه؟ وفيه خلاف، يلتفت إلى أن المذهب هل هو اللفظ أو المعنى؟»^(٢٩).

بعض تطبيقات القاعدة

- إذا ضرب المستصنع للاستصناع أجلاً؛ صار مسلماً عند أبي حنيفة حتى يعتبر فيه شرائط السلم، وهو قبض البديل في المجلس، ولا خيار لواحد منهما إذا سلم الصانع المصنوع على الوجه الذي شرط عليه في السلم؛ لأنه إذا ضرب فيه الأجل؛ فقد أتى بمعنى السلم؛ إذ هو عقد على مبيع في الذمة مؤجلاً، والعبرة في العقود لمعانيها لا لصور الألفاظ^(٣٠).

- لو أعطى شخص آخر عشر كيلات حنطة أو عشر دنانير، وقال له: قد أعرتك إياها فيكون قد أقرضها له، ويصبح للمستعير حق التصرف بالمال أو الحنطة المعارة له مع أنه ليس للمستعير التصرف بعين المال المعار، بل له حق الانتفاع به بدون استهلاك العين^(٣١).

- لو قال لآخر: اشتريت منك كذا كمية من حنطة وسطى إلى أجل كذا بهذه الدراهم العشر على أن تؤديها إلي في مكان كذا، فالبيع سلم عند جمهور الحنفية خلافاً لزفر؛ لأنه جاء بمعنى السلم وذكر شرائطه والعبرة للمعنى دون الألفاظ، كما لو قال: ملكتك هذه العين بعشرة دراهم وقبل الآخر كان بيعاً وإن لم يذكر لفظ البيع^(٣٢).

المبحث الثاني

حماية أفعال المكلفين في ضوء القواعد غير المتعلقة بالألفاظ

المطلب الأول: قاعدة «الإذن دلالة كالإذن صراحة»^(٤٣)

وقد عبر عنها بعضهم بقوله «الثابت دلالة كالثابت نصاً»^(٤٤) وهذه القاعدة أعم وتلك أخص.

ومعنى القاعدة أن الإجازة والرخصة الثابتة للشخص للتصرف بمقتضى دلالة الحال تكون في الحكم والأثر، كالإجازة والرخصة الثابتة نطقاً، ويشترط لثبوت الإذن دلالة ما يأتي:

- أن لا يكون هناك تصريح بخلافها^(٤٥)، فإذا تعارضت الدلالة مع التصريح يقدم التصريح عليها لقوته وضعفها^(٤٦)، كما لو نهى الواهب الموهوب له عن قبض الهبة فقبضها لم يصح قبضه^(٤٧)، ولكن بشرط أن لا تكون الدلالة قد فعلت فعلها، وأنتجت أثرها.

- أن لا يوجد مانع شرعي يمنع من عملها، فإن وجدت أهدرت الدلالة، ومثال ذلك أن القبض في العقد الفاسد لا يمكن إثباته دلالةً، لأن الإذن بالقبض لم يوجد نصاً، ولا سبيل إلى إثباته بطريق الدلالة لما ذكرنا أن في القبض تقرير الفساد، فكان الإذن بالقبض إذناً بما فيه تقرير الفساد فلا يمكن إثباته بطريق الدلالة، وبه تبين أن العقد الفاسد لا يقع تسليطاً علي القبض لوجود المانع من القبض^(٤٨).

بعض تطبيقات القاعدة

- لو قبض الموهوب له الهبة في مجلس العقد دون أمر من الواهب صح قبضه استحساناً، والقياس أن لا يصح؛ لأن القبض تصرف في ملك الواهب، والموهوب ما زال على ملكه قبل القبض^(٤٩).

- ما نصت عليه المادة (٩٧١) من مجلة الأحكام العدلية التي جاء فيها: كما يكون الإذن صراحة يكون دلالة أيضاً مثلاً: لو رأى الولي الصغير المميز يبيع ويشترى وسكت ولم يمنعه يكون قد أذنه دلالةً.

- تصحيح تصرف الفضولي بالبيع أو الزواج أو غيره؛ لأن الإذن في هذا العقد يكون «ثابتاً دلالةً، إذ كل عاقل يأذن في التصرف النافع له بلا ضرر يشينه أصلاً»^(٥٠).

المطلب الثاني: قاعدة «إذا زال المانع عاد الممنوع»^(٥١)

والقاعدة تعني أنه إذا كان شيء جائزاً ومشروعاً، ثم امتنع حكم مشروعته بمانع عارض، فإذا زال ذلك المانع يعود حكم مشروعته^(٥٢)، ولا بد من ملاحظة أنه ليس كل الموانع قابلة للزوال، كقتل الوارث لمورثه فهو غير قابل للزوال^(٥٣)، فوجود المانع يحول بين السبب وبين آثاره، بناء على قاعدة «إذا تعارض المانع والمقتضي يقدم المانع»^(٥٤)، والسبب مع وجود المانع يبقى سبباً صحيحاً ومعتبراً، ولولا وجود المانع لترتب عليه أثره في الحال، وذلك بخلاف السبب الذي فقد شرطه، إذ لم تتعقد سببته ابتداءً وبالتالي لا ينتج أثراً حتى لو وجد الشرط بعد ذلك^(٥٥).

بعض تطبيقات القاعدة

- إن وجود الجهالة في العقد مانع من صحة العقد، فإذا زالت هذه الجهالة في مجلس العقد صح العقد وترتبت عليه آثاره، ومثال ذلك:

أ- لو استأجر شيئاً مما يركب، ولم يبين من يركبه، أو شيئاً مما يلبس، ولم يبين من يلبسه، كان العقد فاسداً للجهالة، ولكن إذا ركب المستأجر ذلك الشيء، أو أركبه لغيره، وكذلك الحال في الملبوس، فإن العقد ينقلب صحيحاً، أي أن التعيين يتم بأول راكب فتزول به الجهالة، لأن «التعيين انتهاء كالتعيين ابتداء»^(٥٦).

ب- إذا باع بضمن مؤجل إلى الحصاد أو الدياس أو قدوم الحاج، فالبيع فاسد للجهالة، ولكن لو أسقطا الأجل قبل حصول هذه الأمور انقلب العقد صحيحاً لزوال المانع^(٥٧).

- إن الضرر في التسليم مانع من صحة العقد، ويؤدي إلى فساد؛ لأن الضرر لا يستحق بالعقد ولا يلزم بالالتزام العاقد إلا ضرر تسليم المعقود عليه، فأما ما وراءه فلا، وعلى هذا يخرج ما إذا باع جذعاً له في سقف أو أجراً له في حائط أو ذراعاً في ديباج أنه لا يجوز؛ لأنه لا يمكنه تسليمه إلا بالنزع والقطع وفيه ضرر بالبائع، والضرر غير مستحق بالعقد فكان على هذا التقدير بيع ما لا يجب تسليمه شرعاً فيكون فاسداً، فإن نزعه البائع

أو قطعه وسلمه إلى المشتري قبل أن يفسخ المشتري البيع جاز البيع حتى يجبر المشتري على الأخذ؛ لأن المانع من الجواز ضرر البائع بالتسليم فإذا سلم باختياره ورضاه فقد زال المانع فجاز البيع ولزم^(٥٨).

- لو رهن داره دون الأثاث الذي فيها فلا يصح الرهن عند الحنفية؛ لأن شغل الدار بالأثاث مانع من حصول القبض، ولكن لو فرغ الدار من الأثاث وسلمها، صح الرهن لزوال المانع^(٥٩).

المطلب الثالث: قاعدة «التعيين بالعرف كالتعيين بالنص»^(٦٠)

التعيين ما به امتياز الشيء عن غيره بحيث لا يشاركه فيه غيره^(٦١)، أو هو تخصيص الشيء من الجملة^(٦٢).

ومعنى القاعدة أنه إذا عين العرف لأمر مطلق أو عام نوعاً من أفرادها، وخصصه من جملة ذلك الشيء وميزه عن بقيتها، يعتبر هذا التخصيص والتمييز كأنه ثابت نطقاً، ويطبق عليه من الأحكام ما يطبق على المذكور نطقاً.

وهذا ما تنص عليه القاعدة الفقهية «المطلق يجري على إطلاقه إلا إذا قام دليل التقييد نصاً أو دلالة»^(٦٣)، فالمطلق في هذه القاعدة هو اللفظ أو العقد أو التصرف الذي لم يقتصر بما يقيد من صفة أو شرط أو غاية أو غيرها يجب حمله على إطلاقه^(٦٤)، ولا يجوز تقييده بالتقليل من شيعه أو أفرادها إلا بدليل نصي يدل على ذلك أو دلالة من عرف أو حال أو غيرها^(٦٥).

بعض تطبيقات القاعدة

- إذا استأجر داراً بأجرة معينة ولم يسم نوع الاستعمال الذي يريدها له فالعقد جائز، أما لو استأجر أرضاً ولم يبين ما يزرع فيها لم يجز، والفرق أن للناس عرفاً وعادة في كيفية الانتفاع بالدار، فإذا كانت خربة كانت لربط الدواب، وإذا كانت مزخرفة يسكن فيها ولا يربط، فيصير تعيينه بالعرف كتعيينه بالشرط، ولو عين بالشرط جاز له أن يربط فيها الدواب، ويجوز الانتفاع بها، كذلك هذا، وليس كذلك الأرض لأنه ليس للناس عرف وعادة في كيفية الانتفاع بالأرضين وفي زراعتها، وقد تزرع زرعاً يفسد الأرض، وتزرع

زرعا ويصلحها، فإذا لم يعين فلم تتعين المنفعة لا بالعرف ولا بالشرط، فلم يكن له أن ينتفع بنوع إلا ولرب الأرض أن يقول انتفع بنوع آخر، فلا يصل إلى الانتفاع بها، فلم تجز الإجارة^(٦٦).

- اشترى سلعة بمائة دينار ولم يبين نوع الدينير، انصرف العقد إلى غالب نقد البلد؛ لأنه هو المتعارف فينصرف إليه العقد، ويقيد به مطلقه، تصحيحاً للتصرف، وصيانة له عن الفساد^(٦٧).

- تصارف مائة دينار بألف درهم ولم يبين نوعها، فلكل واحد منهما نقد الناس في ذلك البلد؛ لأن المتعارف فيما بين الناس هي المعاملة بالنقد الغالب، وإليه ينصرف مطلق التسمية، والتعيين بالعرف كالتعيين بالنص^(٦٨).

المطلب الرابع: قاعدة «يغتفر في البقاء ما لا يغتفر في الابتداء»^(٦٩)

ومعنى القاعدة أنه يتساهل ويتسامح في بقاء الشيء بعد وجوده وتحققه، مالا يتساهل في وجوده ابتداء من حيث الشروط والضوابط؛ لأن «البقاء أسهل من الابتداء»^(٧٠) و«بما أن البقاء أسهل من الابتداء فالذي لا يجوز ابتداء قد يجوز بقاء»^(٧١)، وبناءً عليه فكل ما صح ابتداءً صح انتهاء^(٧٢)، وليس كل ما يصح انتهاءً يصح ابتداءً، والبقاء أسهل من الابتداء إذا لم يَغْتَرِ البقاء ما يزيل سهولته^(٧٣).

بعض تطبيقات القاعدة

- لو وهب شخص في مرض موته داره التي لا يملك سواها، ثم توفي الموهب تبطل الهبة في الثلثين وتصح في الثلث فقط إذا لم تقرها الورثة، والسبب في صحة الهبة في الثلث هنا، مع أنه حصة شائعة، ولا تصح هبة الشائع هو أن الشيوع طارئ والهبة كانت لجميع الدار.

- لو وكل رجل شخصاً أن يبيع له مالا، لا يصح له أن يوكل آخر ببيع ذلك المال الموكل ببيعه، لكن لو جاء رجل وباع المال فضولاً والوكيل أجاز البيع تكون إجازته صحيحة والبيع نافذاً.

- كذلك لا يصح بيع أحد الشركاء للأجنبي حصته في الأثمار غير الناضجة؛ لأن الأجنبي لو أراد قطف الأثمار وأخذ حصته منها لتضرر الشريك، أما لو اتفق الشريكان على بيع

الثمر لشخص أجنبي، ثم بعد البيع فسخ أحدهما البيع بالتراضي مع المشتري لا يفسخ البيع في النصف الآخر ويبقى صحيحاً^(٧٤).

المطلب الخامس: قاعدة «الأصل اقتصار الفساد على قدر المفسد»^(٧٥)

الأصل هنا بمعنى القاعدة العامة، أي أن الصفقة إذا اشتملت على الفاسد وغير الفاسد، فإن الفساد يقتصر على محله المنهي عنه، ولا يسري إلى غيره ما دام مشروعاً. وهذه القاعدة من القواعد المختلف فيها كثيراً بين فقهاء المذاهب الإسلامية^(٧٦).

شروط القاعدة

- أن يكون التصرف عبارة عن صفقة واحدة، أما إذا كان صفقات متعددة فلا يدخل تحت القاعدة قطعاً، كما لو قال البائع للمشتري: بعتك هذا الجمل بمائة دينار، وبعتك هذه الخمرة بخمسين ديناراً، فقال المشتري: قبلت البيع في الجمل، وقبلته في الخمرة، فالتصرف هنا اشتمل على صفقتين منفصلتين، إحداها صحيحة والأخرى باطلة، ولا اتصال بينهما فلا تؤثر إحداها في الأخرى.

يقول ابن حزم: «وكل صفقة جمعت حلالاً وحراماً فهي باطلة كلها، لا يصح منها شيء»^(٧٧).

- أن تكون الصفقة الواحدة في حكم صفقات متعددة، كما لو قال له بعتك هذا الجمل بمائة دينار، وهذه الناقة بما تجود به نفسك، فقال المشتري قبلت البيع، فالصفقة هنا اشتملت على الصحيح وهو بيع الجمل، وغير الصحيح وهو بيع الناقة لجهالة الثمن، والتصرف هنا في حكم الصفقات المتعددة، فيصح في الجمل بالثمن المذكور، ويفسد في الناقة.

أما إذا كان في حكم صفقة واحدة، فالعقد فاسد بلا خلاف، كما لو باع معلوماً ومجهولاً كقول بعتك هذه الفرس، وما في بطن هذه الفرس الأخرى بألف. فهذا البيع باطل بكل حال؛ لأن المجهول لا يصح بيعه لجهالته، والمعلوم مجهول الثمن ولا سبيل إلى معرفته؛ لأن معرفته إنما تكون بتقسيط الثمن عليهما والمجهول لا يمكن تقويمه فيتعذر التقسيط^(٧٨).

- أن لا يترتب على التفريق ضرر بالتسليم، فإن ترتب عليه ضرر سرى الفساد إلى الجميع، ومثاله كمن باع سيفاً محلى بفضة لا يجوز بيعه نسيئة بفضة أو ذهب؛ لأن العقد في الحلية صرف، والصرف لا بد فيه من التقابض، والبيع نسيئة يمنع التقابض، فيفسد العقد في

الحلية، وهذا الفساد يسري إلى السيف؛ لأنه لا يمكن نزع الحلية من السيف إلا بضرر يلحق بصاحب السيف بالتسليم، وضرر التسليم مفسد للعقد^(٧٩).

خاتمة

- يمكن تلخيص أهم النتائج التي توصل إليها البحث في النقاط الآتية:
- تهدف الشريعة الإسلامية إلى حماية الأفعال والتصرفات الصادرة عن المكلفين من الفساد أو البطلان بكل الوسائل المعتبرة شرعاً.
 - إن حماية أفعال المكلفين وتصحيح تصرفاتهم أمر مطلوب شرعاً كما دلت عليه القواعد الفقهية السابقة.
 - تتنوع القواعد الفقهية المتعلقة بحماية أفعال المكلفين، فمنها ما هو متعلق بالألفاظ الصادرة عن المكلف، ومنها ما هو متعلق بغير ذلك.
- وفي الأخير أوصي بتناول القواعد الفقهية المتعلقة بحماية أفعال المكلفين من خلال رسالة علمية جامعية مستقلة، تتناول كل ما يتعلق بهذه القواعد، من حيث شرح مفرداتها والتدليل بها، وعرض تطبيقاتها وبيان مستثباتها، واستخلاص القواعد والضوابط الفقهية المتعلقة بهذا الموضوع والمبثوثة في تضاعيف كتب الفقهاء، خاصة غير المعهود والمعروف منها.
- وصلّ اللهم وسلّم وبارك وزد على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

هوامش البحث

- ١- ابن نجيم، زين العابدين بن إبراهيم، الأشباه والنظائر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٩٨٥م، ص ١٣٥، المادة (٦١) من مجلة الأحكام العدلية.
- ٢- ابن أمير حاج، محمد بن محمد، التقرير والتحبير، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ، ج ٢، ص ٣٥.
- ٣- البابرتي، محمد بن محمود، العناية شرح الهداية، دار الفكر، ط ٢، بيروت، بدون تاريخ، ج ١٠، ص ٤٨٣.
- ٤- السرخسي، شمس الدين محمد بن أحمد، المبسوط، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ، ج ٧، ص ٦٧.
- ٥- الزيلعي، عثمان بن علي، تبیین الحقائق شرح كنز الدقائق، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، بدون تاريخ، ج ٤، ص ٧٠.
- ٦- الإسني، عبد الرحيم، التمهيد في تخریج الفروع على الأصول، تحقيق: د. محمد حسن هيتو، مؤسسة الرسالة، ط ١، بيروت، ١٤٠٠هـ، ص ٢٣٧. الكاساني، علاء الدين ابن مسعود، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٩٨٢م، ج ٧، ص ٣٤٥.
- ٧- السرخسي، المبسوط، ج ٢، ص ٢٨٦.
- ٨- السرخسي، المبسوط، ج ٥، ص ٨٢. ابن نجيم، الأشباه والنظائر، ص ١٦٢، المادة (٦٣) من مجلة الأحكام العدلية.
- ٩- الزركشي، بدر الدين بن محمد بن بهادر، المنتور في القواعد، نشر وزارة الأوقاف الكويتية، ج ٣، ص ١٥٣.
- ١٠- حيث يقول: «وذكر بعض ما لا يتجزأ شرعاً ذكر لکله». الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ج ٦، ص ٨.
- ١١- ابن عابدين، محمد أمين، رد المحتار على الدر المختار، دار الفكر، ط ٢، بيروت، ١٩٦٦م، ج ٣، ص ٢٥٩.
- ١٢- الزيلعي، تبیین الحقائق شرح كنز الدقائق، ج ٢، ص ٢٠٠.
- ١٣- الإسني، عبد الرحيم بن الحسن، الكوكب الدر في ما يتخرج على الأصول النحوية من الفروع الفقهية، تحقيق: د. محمد حسن عواد، دار عمار، ط ١، عمان، ١٩٨٥م، ص ٤٣٥.
- ١٤- ابن اللحام، علاء الدين علي بن عباس البعلي، القواعد، تحقيق: أيمن شعبان، دار الحديث، ط ١، القاهرة، ١٩٩٤م، القاعدة (٢٤)، ص ١٦٥.
- ١٥- الندوي، علي أحمد، القواعد الفقهية، دار القلم، ط ٣، دمشق، ١٩٩٤م، ص ٤١٠.
- ١٦- الحموي، أحمد بن محمد، غمز عيون البصائر شرح كتاب الأشباه والنظائر، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٩٨٥م، ج ١، ص ٤٦٣.
- ١٧- الشربيني، محمد بن أحمد، مغني المحتاج، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ، ج ٤، ص ٤٨٤.
- الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ج ٢، ص ٩٨.
- ١٨- الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ج ٢، ص ٢٧٦.
- ١٩- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الأشباه والنظائر، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٢٩٥.
- ٢٠- الزركشي، بدر الدين بن محمد بن بهادر، المنتور في القواعد، ج ٢، ص ٣٠٨.
- ٢١- الأنصاري، زكريا بن محمد، أسنى المطالب شرح دليل الطالب، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، ج ٢، ص ١٣٧.
- ٢٢- الأنصاري، أسنى المطالب شرح دليل الطالب، ج ٢، ص ١٣٧.
- ٢٣- الزركشي، المنتور في القواعد، ج ٢، ص ٣١٠.
- ٢٤- الرملي، محمد بن شهاب الدين، نهاية المحتاج إلى ألفاظ المنهاج، دار الفكر، بيروت، ج ٥، ص ٢٥٥.
- ٢٥- السرخسي، المبسوط، دار المعرفة، ج ١٨، ص ١٦.

- ٢٦- الكاساني، بدائع الصنائع، ج ٧، ص ٢٠٨.
- ٢٧- الزركشي، المنثور في القواعد، ج ٢، ص ٢١٤. السيوطي، الأشباه والنظائر ص ١٤١، المادة (٦٦) من مجلة الأحكام العدلية.
- ٢٨- الزرقا، مصطفى، المدخل الفقهي العام، مطبعة طربين، ط ١٠، دمشق، ١٩٦٨م، ج ٢، ص ١٠٠٧، الفقرة ٦٢١، ص ٣٤١.
- ٢٩- الزركشي، البحر المحيط، ج ٤، ص ٢٦٩.
- ٣٠- الرحباني، مصطفى بن سعد، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، المكتب الإسلامي، بيروت، ج ٥، ص ٣٤١.
- ٣١- الرحباني، مطالب أولي النهى في شرح المنتهى، ج ٥، ص ٣٤١.
- ٣٢- الزركشي، المنثور في القواعد، ج ٢، ص ٢١٤. السيوطي، الأشباه والنظائر، ص ١٤١.
- ٣٣- علي حيدر، درر الأحكام في شرح مجلة الأحكام، بيروت، دار الجيل، بدون تاريخ، ج ١، ص ٦٥.
- ٣٤- السرخسي، المبسوط، ج ٤، ص ١٣٤، والمادة (٢) من مجلة الأحكام العدلية.
- ٣٥- علي حيدر، درر الأحكام في شرح مجلة الأحكام، ج ١، ص ٢١.
- ٣٦- يقول ابن قيم الجوزية: «إن الله تعالى وضع الأنفاظ بين عباده تعريفاً ودلالة على ما في نفوسهم، فإذا أراد أحدهم من الآخر شيئاً عرفه بمراده وما في نفسه بلفظه، ورتب على تلك الإرادات والمقاصد أحكامها بواسطة الأنفاظ، ولم يرتب تلك الأحكام على مجرد ما في النفوس من غير دلالة فعل أو قول، ولا على مجرد ألفاظ مع العلم بأن المتكلم بها لم يرد معانيها ولم يحط بها علماً». ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر الزرعي، إعلام الموقعين، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ، ج ٣، ص ٧٦.
- ٣٧- علي حيدر، درر الأحكام في شرح مجلة الأحكام، ج ١، ص ٢١.
- ٣٨- السيوطي، الأشباه والنظائر، ص ١١٥. ابن نجيم، الأشباه والنظائر، ص ٢٧.
- ٣٩- ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد، القواعد، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ، القاعدة (٢٨)، ص ٤٨.
- ٤٠- الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ج ٦، ص ٢٩.
- ٤١- علي حيدر، درر الأحكام في شرح مجلة الأحكام، ج ١، ص ٢١.
- ٤٢- الكاساني السرخسي، المبسوط، ج ١٢، ص ٢٠١.
- ٤٣- مجلة الأحكام العدلية، المادة (٧٧٢).
- ٤٤- الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ج ٦، ص ١٢٤.
- ٤٥- البابرتي، العناية شرح الهداية، ج ٢، ص ٥١١.
- ٤٦- علي حيدر، درر الأحكام في شرح مجلة الأحكام، ج ١، ص ٢١.
- ٤٧- يعتبر الإيجاب الصادر من الواهب هنا دلالة على القبض، إذ أن إيجابه يعتبر إذناً دلالة بالقبض في المجلس، وهو ما نصت عليه المادة (٨٤٢) من مجلة الأحكام العدلية والتي جاء فيها: (إيجاب الواهب إذن دلالة بالقبض، وأما إذنه صراحة فهو قوله: خذ هذا المال فأني وهبتك إياه، إن كان المال حاضراً في مجلس الهبة وإن كان غائباً فقوله: وهبتك المال الفلاني اذهب وخذ، هو أمر صريح)، ينظر أيضاً: البابرتي، العناية شرح الهداية، ج ٩، ص ٢٢.
- ٤٨- الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ج ٥، ص ٣٠٥.
- ٤٩- البابرتي، العناية شرح الهداية، ج ٩، ص ٢١.
- ٥٠- ابن الهمام، فتح القدير، ج ٧، ص ٥٤.

- ٥١- مجلة الأحكام العدلية، المادة (٢٤).
- ٥٢- علي حيدر، درر الحكام في شرح مجلة الأحكام، ج ١، ص ٣٩.
- ٥٣- الزرقا، المدخل الفقهي العام، ج ١، ص ٣٠٩، الفقرة ١٤٣.
- ٥٤- السيوطي، الأشباه والنظائر، ص ١١٥.
- ٥٥- الزرقا، المدخل الفقهي العام، ج ١، ص ٣٠٨، الفقرة ١٤٣.
- ٥٦- ابن عابدين، رد المحتار على الدر المختار، ج ٦، ص ٣٦.
- ٥٧- ابن الهمام، فتح القدير، ج ٦، ص ٤٥٥.
- ٥٨- الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ج ٥، ص ١٦٨.
- ٥٩- الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ج ٦، ص ١٤٠.
- ٦٠- السرخسي، المبسوط، ج ١٤، ص ١٨، والمادة (٤٥) من مجلة الأحكام العدلية.
- ٦١- المناوي، محمد عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر، ط ١، بيروت، ١٤١٠هـ، ص ١٩٠.
- ٦٢- الفيومي، المصباح المنير، ص ٤٤١.
- ٦٣- ابن عابدين، رد المحتار على الدر المختار، ج ٦، ص ٣٨٥، والمادة (٦٤) من مجلة الأحكام العدلية.
- ٦٤- محمضاني، صبحي، فلسفة التشريع في الإسلام، دار العلم للملايين، ط ٤، بيروت، ١٩٧٥م، ص ٣٢٠.
- ٦٥- الزرقا، أحمد، شرح القواعد الفقهية، نسقه وراجع وصححه: عبد الستار أبو غدة، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٣م، ص ٢٦١.
- ٦٦- الكرايسي، أسعد بن محمد بن محمد بن الحسين، الفروق، عالم الكتب، بيروت، بدون تاريخ، ج ٢، ص ١٤٠.
- ٦٧- ابن الهمام، فتح القدير، ج ٦، ص ٢٦١.
- ٦٨- السرخسي، المبسوط، ج ١٤، ص ١٨.
- ٦٩- ابن نجيم، الأشباه والنظائر، ص ١٢١، المادة (٥٥) من مجلة الأحكام العدلية.
- ٧٠- السرخسي، المبسوط، ج ٤، ص ١١٦، المادة (٥٦) من مجلة الأحكام العدلية.
- ٧١- علي حيدر، درر الحكام في شرح مجلة الأحكام، ج ١، ص ٥٦.
- ٧٢- البابرتي، العناية شرح الهداية، ج ٧، ص ١٠٧.
- ٧٣- البابرتي، العناية شرح الهداية، ج ٦، ص ١٤.
- ٧٤- علي حيدر، درر الحكام في شرح مجلة الأحكام، ج ١، ص ٥٦.
- ٧٥- الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ج ٥، ص ٢٠٠.
- ٧٦- ينظر هذا الخلاف عند: ابن قدامة: المغني شرح المقنع، دار الفكر، ج ٤، ص ١٦٢، الفقرة ٣١٣٣.
- ٧٧- ابن حزم، علي بن أحمد، المحلى، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ، ج ٧، ص ٥٠٣، المسألة ١٥١٩.
- ٧٨- ابن قدامة، المغني شرح المقنع، ج ٤، ص ١٦٢، الفقرة ٣١٣٣.
- ٧٩- السرخسي، المبسوط، ج ١٤، ص ١٢.

دور التجارة البينية في دعم التكامل الاقتصادي في الدول الإسلامية دراسة قياسية لحالة ليبيا وتونس

د. مصطفى رجب البلعزي



مقدمة

تعد التجارة البينية خياراً استراتيجياً نحو دفع عجلة النمو الاقتصادي وتحقيق واثق متسارعة للتنمية المستدامة، مما يعني تحسن نوعي في حياة المواطنين في الدولة، وقد أثبتت تجارب كثيرة في العالم الدور البارز الذي يقوم به التصدير والاستيراد في كل دولة من دول التكامل الاقتصادي.

وتعتبر قضية التجارة البينية بين دول التكامل الاقتصادي من القضايا الوطنية لارتباطها ببرامج وخطط التنمية الاقتصادية المستدامة، والذي يحقق لمواطني الدول التنوع في مصادر الدخل والارتقاء بمستوى المعيشة للمواطنين.

مشكلة البحث

تتلخص مشكلة البحث في تدهور معدل التبادل التجاري بين ليبيا وتونس، ويرجع ذلك بصفة أساسية إلى عدم التناسق بين حجم الصادرات والواردات التي تصدرها وتستوردها كل دولة إلى الأخرى، مما قد يؤثر سلباً على خطط التكامل الاقتصادي بين الدولتين، ويؤثر بالتالي على مستوى حياة المواطنين في المجتمعين.

• عضو هيئة تدريس بقسم الاقتصاد، كلية الاقتصاد والتجارة، زليتن، جامعة المرقب/ليبيا.

Mustafa_albalazy@yahoo.com

أهمية البحث: يكتسب هذا البحث أهميته من الدور الاقتصادي والاجتماعي البارز للتجارة البينية بين ليبيا وتونس وما يمكن أن تشكله الشراكة الاستثمارية بين البلدين في رسم دعائم التكامل الاقتصادي بينهما، ولا سيما التكامل الاقتصادي المغربي.

أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى تحقيق ما يأتي:

- 1 - التعرف على حجم التجارة البينية بين ليبيا وتونس وأهمية ذلك في دعم خطوات التعاون والتكامل الإقليمي بين الدولتين.
- 2 - التأكيد على أهمية الصادرات الصناعية وإمكانية تشجيعها بين الدولتين.

فرضيات البحث: ينطلق هذا البحث من فرضيتين أساسيتين:

- 1 - هناك علاقة دالية بين الناتج المحلي الإجمالي الليبي وحجم الصادرات الليبية إلى تونس.
- 2 - لا توجد علاقة دالية وسببية بين الناتج المحلي الإجمالي التونسي والصادرات التونسية إلى ليبيا.

منهجية البحث: يعتمد التحليل في هذا البحث على المنهج الاستقرائي العملي من خلال استخدام النموذج القياسي، ويوضح هذا المنهج العلاقات بين الدول الاقتصادية لاستخدامها بما يتلاءم وتحقيق أهداف البحث.

محتويات البحث

- 1 - العلاقة بين التجارة الخارجية والنمو الاقتصادي.
- 2 - أهمية التكامل الاقتصادي ومعوقاته.
- 3 - تطور التجارة البينية بين ليبيا وتونس.
- 4 - بناء النموذج القياسي.
- 5 - اختبار جذر الوحدة للسلاسل الزمنية الخاصة بمتغيرات الدراسة.
- 6 - دراسة العلاقة السببية بين متغيرات الدراسة.
- 7 - نتائج ومقترحات البحث.

أولاً: العلاقة بين التجارة الخارجية والنمو الاقتصادي

توصل الفكر الاقتصادي كما توصلت العديد من الدراسات التجريبية إلى أن النمو السريع في حجم الصادرات بشكل خاص وحجم التجارة الخارجية بشكل عام يعجل بالنمو الاقتصادي، وأثبتت تجارب الدول النامية التي تبنت سياسة تشجيع الصادرات كإحدى استراتيجيات التنمية الاقتصادية، أن تنمية الصادرات تهيئ وسائل النمو الاقتصادي على نحو أسرع مما يتحقق في ظل سياسة إحلال الواردات أو أية سياسات أخرى، ولقد تزايد اهتمام الاقتصاديين بسياسة تشجيع الصادرات وتركزت جهودهم في بحث وتحليل العلاقة بين نمو الصادرات والنمو الاقتصادي، وتوضيح أسباب هذه الظاهرة.⁽¹⁾

يقوم التبادل أساساً على مبدأ التخصص الدولي، حيث تتخصص كل دولة من الدول في إنتاج سلعة أو مجموعة من السلع وتتبادلها مع غيرها من الدول، فكما يتخصص الأفراد كل منهم في حرفة معينة كذلك البلدان تتخصص في سلعة أو سلع معينة، فلا تستطيع أي دولة أن تنتج كل ما تحتاجه من السلع، وإنما يقتضي الأمر أن تتخصص في إنتاج السلع التي تؤهلها ظروفها الطبيعية والاقتصادية لأن تنتجها ثم تبادلها بمنتجات دول أخرى لا تستطيع إنتاجها داخل حدودها أو أنها تستطيع ولكن بتكلفة مرتفعة.⁽²⁾

وتعتبر نظرية النمو الاقتصادي التقليدية التي قدمتها المدرسة الكلاسيكية ودعمها الكلاسيك الجدد أولى النظريات التي تفترض وجود علاقة قوية بين حجم الصادرات والنمو الاقتصادي، حيث تشير إلى أن الزيادة أو التوسع في الصادرات تعزز تأصيل مبدأ التخصص في إنتاج سلع الصادرات، وهذا بدوره يؤدي إلى تحسين مستوى الإنتاجية ورفع المستوى العام للمهارات الإنتاجية في قطاع الصادرات، وبالتالي إعادة تخصيص الموارد من القطاعات غير التجارية ذات الكفاءة المتدنية إلى قطاع صادرات تتمتع بكفاءة إنتاجية

عالية، وعليه فإن دور التجارة (الصادرات) بمثابة آلة النمو التي تحرك وتدفع عجلة النمو في كافة القطاعات الاقتصادية، وتبرر النظرية الكلاسيكية فرضية العلاقة بين التجارة والنمو الاقتصادي وفق المكاسب التجارية التي تحصل عليها الدولة من جراء تجارتها الخارجية.⁽³⁾

(1) نجوى علي خشبة، القطاع الخاص وتنمية الصادرات الصناعية، مجلة مصر المعاصرة، القاهرة، العددان 415-416، يناير وأبريل، 1989، ص122.

(2) عادل أحمد حشيش، العلاقات الاقتصادية الدولية، دار الجامعة الجديدة، القاهرة، 2000، ص21.

(3) عابد العبدلي، تقدير أثر الصادرات على النمو الاقتصادي في الدول الإسلامية: دراسة تحليلية قياسية، مجلة مركز صالح عبد الله كامل للاقتصاد الإسلامي، جامعة الأزهر، السنة التاسعة، العدد 27، 2005، ص8.

ثانياً: أهمية التكامل الاقتصادي ومعوقاته

1 - أهمية التكامل الاقتصادي:

تشكل معظم تجارب الاندماج الاقتصادي أن معظم صور هذا الاندماج والتي لقيت نجاحاً بدرجات متفاوتة هي التي كان جوهرها سياسياً، ويمكن القول أن أول تجربة في ميدان الاندماج الاقتصادي على المستوى المغربي ظهرت خلال الاجتماعين لوزراء الاقتصاد المغربي، وقد توصل خلالهما الوزراء إلى خلق مجلس تنفيذي مغربي دائم، مهمته دراسة المشاكل التي تعترض التعاون الاقتصادي في المغرب العربي الكبير⁽⁴⁾.

ومنذ ذلك الوقت اقتنعت الدول المغربية بأهمية التكامل الاقتصادي الذي يحقق مصالحها ممثلاً في إزالة كل ما يعرقل حركة السلع والأشخاص ورؤوس الأموال وذلك بتبني حزمة من الاتفاقيات وسلسلة من الإجراءات التي تلزم كل منها باتخاذ الخطوات التنفيذية للتنسيق بين سياساتها الاقتصادية⁽⁵⁾.

هناك مجموعة من العوامل والاعتبارات الواقعية والتي تدعو البلدان المغربية (ليبيا وتونس) إلى الدخول في تكامل تكافلي، ومن هذه العوامل ما يلي:

- حالة التخلف والتفكك التي توجد عليها اقتصاديات هذه الأقطار.
- تفاقم التبعية الاقتصادية والتجارية للخارج.
- ضعف الإنتاج في المنطقة.

وبناءً على التحاليل السابقة لتجربة الاندماج المغربي يمكن اقتراح بعض التوصيات والاستراتيجيات لتنمية المبادلات التجارية بين بلدان المغرب العربي ومنها ما يلي:

- 1 - الاهتمام بالتخصص في الإنتاج لدى الدول المغربية حسب المزايا النسبية.
- 2 - تشجيع الصناعات الصغيرة والمتوسطة على الاستثمار في التكنولوجيا لتحسين الإنتاج، والرفع من جودة المنتجات وتصميمها مع ما يتناسب مع المواصفات الدولية.

(4) أمانة شؤون اتحاد المغرب العربي، واقع الاقتصاديات المغربية وآفاق الاندماج، وقائع ندوة عقدت في بنغازي خلال الفترة (11/30 - 1991/12/4)، ص 124.

(5) محمد الشكري، تجربة التكامل الاقتصادي لدول اتحاد المغرب العربي، المؤتمر المصري العربي السنوي، رؤية عربية للقيمة الاقتصادية، الدوحة، 2007، ص 2.

3- لا بد للدول المغاربية من الاهتمام بنقل وتوطين التقنية، وإنشاء مراكز للبحث العلمي والتطور الصناعي، وتشجيع القطاع الخاص على الاستثمار في قطاعات جديدة غير تقليدية، فلا مستقبل للتكامل المغاربي بدون تنسيق وتوحيد السياسات الاقتصادية بين دول المغرب العربي، ولا يمكن أن تقتصر بمطالبة هذه الدول بتوفير مقومات الرفاهية البشرية للمجتمعات دون أن نتحمل مسؤولية المشاركة في توفير بعض المقومات التي تسهم وبدون شك في رفع درجة التنمية.⁽⁶⁾

2 - معوقات التكامل الاقتصادي

تكمن أهم معوقات التكامل الاقتصادي وبضمنها التكامل بين ليبيا وتونس في ما يأتي:
 أ- عدم وجود استراتيجيات واضحة المعالم في مجال التصدير والاستيراد في كلا الدولتين، مما يؤثر سلباً على معدلات التبادل التجاري.
 ب- عدم وجود أدنى تنظيم أو تنسيق بين المصدرين والمستوردين في دول التكامل الاقتصادي.

ج- تدني مستوى الخبرة لدى المصدرين، كذلك انعدام الهياكل التي تتكفل بوظيفة التصدير داخل المؤسسات الاستيرادية والتصديرية، ويمكن إرجاع ذلك إلى غياب الدراسة المعمقة للسوق وسلوك المستهلكين في بلدان التكامل الاقتصادي، وغياب سياسة واضحة للمنتجين وللسعر وسياسة للتوزيع، فضلاً عن عدم استعمال تقنيات الاتصال التجاري والتي أصبحت في الوقت الحاضر ضرورة ملحة لتعزيز العلاقات التجارية بين الدول.

ثالثاً: تطور التجارة البينية بين ليبيا وتونس

يحظى قطاع التجارة الخارجية بأهمية بالغة بالنسبة للاقتصاديين الليبي والتونسي، وللوقوف على بنية هذا القطاع خلال الفترة (2000-2010)، فإن الجدول رقم (1) يوضح ذلك.

(6) مصطفى رجب البلعزي، إعادة هيكلة الاقتصاد الليبي- التحول من الصناعة الاستخراجية إلى الصناعة التحويلية- دراسة تطبيقية، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة دمشق، 2012، ص 31.

جدول رقم (1) حجم التجارة البينية والناتج المحلي الإجمالي لكل من ليبيا وتونس (بالمليون دولار)

السنة	ليبيا			تونس		
	الصادرات إلى تونس	الواردات من تونس	الناتج المحلي الإجمالي	الصادرات إلى ليبيا	الواردات من ليبيا	الناتج المحلي الإجمالي
2000	5.196	7.89	7.17775	7.89	5.196	1.19468
2001	8.210	7.97	0.21894	7.97	8.210	5.19989
2002	7.352	6.207	7.30641	6.207	7.352	0.21022
2003	1.354	6.117	6.37724	6.117	1.354	5.26895
2004	6.428	1.147	0.48195	1.147	6.428	8.29195
2005	1.473	5.131	6.66618	5.131	1.473	2.28674
2006	2.659	0.290	9.79029	0.290	2.659	0.45756
2007	5.628	5.121	6.92693	5.121	5.628	0.49874
2008	5.868	2.393	6.116639	2.393	5.868	0.55297
2009	5.945	8.133	9.86288	8.133	5.945	0.58768
2010	8.1037	7.206	0.94500	7.206	8.1037	0.60534

الجدول من إعداد الباحث بالاعتماد على:

- 1 - عبد الله محمد شامية، الصادرات الليبية ودورها في الاقتصاد، مجلة البحوث الاقتصادية، المجلد الثالث، العدد الثاني، بنغازي، 2005.
- 2 - مصرف ليبيا المركزي، إدارة البحوث والإحصاء، النشرة الاقتصادية، مجلدات متعددة.
- 3 - الهيئة العامة للمعلومات والتوثيق، الكتاب الإحصائي، 2005، 2006، 2008.
- 4 - البنك المركزي التونسي، التقرير السنوي لسنوات مختلفة.
- 5 - صندوق النقد العربي، التقرير الاقتصادي العربي الموحد 2008.

رابعاً: بناء النموذج القياسي

تم تقدير نموذجين قياسييين تضمن الأول الناتج المحلي الإجمالي الليبي كمتغير تابع (GDPL)، وحجم الصادرات الليبية إلى تونس كمتغير مستقل (EXL) خلال الفترة (2000-2010)، وتضمن النموذج الثاني قياس العلاقة بين الناتج المحلي الإجمالي التونسي (GDPT) وحجم الصادرات التونسية إلى ليبيا (EXT) خلال نفس الفترة، وبذلك تم اختيار الصيغة الدالية المناسبة والتي تتلاءم مع الهدف من هذه الدراسة، وتم اعتماد البرنامج القياسي (Eviews. 5) من أجل تقدير هذه العلاقة كميّاً، وعليه فإن الصيغة الضمنية لنموذج الدراسة سوف تأخذ الشكل التالي:

1 - النموذج القياسي الأول:

$$GDPL = b_0 + b_1 EXL$$

حيث أن:

$GDPL$ = الناتج المحلي الإجمالي الليبي بالمليون دولار خلال الفترة (2000-2010).
 EXL = حجم الصادرات الليبية إلى تونس بالمليون دولار خلال نفس الفترة.
 وبالاستعانة ببيانات الجدول رقم (1)، وباستخدام البرنامج القياسي (Eviews. 5)،
 تم الحصول على نتائج التقدير القياسي والمتضمن بالجدول رقم (2):

جدول رقم (2) نتائج التقدير القياسي الأول لمتغيرات الدراسة

Dependent Variable: GDPL				
Method: Least Squares				
Date: 10/22/13 Time: 00: 39				
Sample: 2000 2010				
Included observations: 11				
Prob.	t-Statistic	Std. Error	Coefficient	Variable
0. 6531	0. 464799	10075. 59	4683. 124	C
0. 0001	6. 453365	16. 12408	104. 0546	EXL
62909. 24	Mean dependent var		0. 822296	R-squared
33471. 68	S. D. dependent var		0. 802551	Adjusted R-squared
22. 21548	Akaike info criterion		14873. 23	S. E. of regression
22. 28782	Schwarz criterion		1. 99E+09	Sum squared resid
41. 64591	F-statistic		-120. 1851	Log likelihood
0. 000118	Prob(F-statistic)		1. 052857	Durbin-Watson stat

تم إعداد الجدول من قبل الباحث بالاعتماد على مخرجات البرنامج القياسي (Eviews. 5)

ومن خلال نتائج الجدول السابق يتضح أن هناك علاقة قوية بين الناتج المحلي الإجمالي الليبي وحجم الصادرات الليبية إلى تونس، حيث أن زيادة حجم هذه الصادرات بمقدار مليون دولار يؤدي إلى زيادة الناتج المحلي الإجمالي بمقدار 104 مليون دولار خلال فترة الدراسة، مما يؤكد أهمية السوق التونسي في تصريف المنتجات الوطنية الليبية على الرغم من ضعف البنية الصناعية والزراعية في ليبيا، كما أنه يعطي مؤشر مهم للدور التكاملي بين الاقتصاديين، كما بينت الاختبارات الإحصائية معنوية معلمة المتغير المستقل بواسطة اختبار (T)، كما يمكن ملاحظة أن قيمة معامل التحديد

بلغت (R=82%)، وهذا يعني أن (82 %) من التغيرات التي تحدث في الناتج المحلي الإجمالي الليبي يمكن تفسيرها بالتغيرات التي تحدث في حجم الصادرات الليبية إلى تونس خلال الفترة (2000-2010)، أما قيمة معامل ديربن واتسون (D. W=1.05) فتدل على أنها تقع في منطقة عدم الحسم بوجود مشكلة الارتباط الذاتي من عدمه عند مستوى معنوية (1%).

2 - النموذج القياسي الثاني

$$GDPT = b_0 + b_1 EXT$$

حيث أن:

$GDPT$ = الناتج المحلي الإجمالي التونسي بالمليون دولار خلال الفترة (2000-2010).

EXT = حجم الصادرات التونسية إلى ليبيا بالمليون دولار خلال نفس الفترة.
وبالاستعانة ببيانات الجدول رقم (1)، وباستخدام البرنامج القياسي (Eviews. 5)، تم الحصول على نتائج التقدير القياسي والمتضمن بالجدول رقم (3):

جدول رقم (3) نتائج التقدير القياسي الثاني لمتغيرات الدراسة

Dependent Variable: GDPT				
Method: Least Squares				
Date: 10/22/13 Time: 00: 17				
Sample: 2000 2010				
Included observations: 11				
Prob.	t-Statistic	Std. Error	Coefficient	Variable
0.0529	2.228110	10023.23	22332.87	C
0.1186	1.724891	50.84088	87.69498	EXT
37770.37	Mean dependent var		0.248450	R-squared
16378.95	S. D. dependent var		0.164944	Adjusted R-squared
22.22809	Akaike info criterion		14967.31	S. E. of regression
22.30044	Schwarz criterion		2.02E+09	Sum squared resid
2.975249	F-statistic		-120.2545	Log likelihood
0.118632	Prob(F-statistic)		0.832792	Durbin-Watson stat

تم إعداد الجدول من قبل الباحث بالاعتماد على مخرجات البرنامج القياسي (Eviews. 5)

ومن خلال نتائج الجدول السابق يتضح عدم معنوية معلمة المتغير المستقل عند مستوى معنوية (1 %، 5 %) بواسطة اختبار T، على الرغم من مرونة ميل الدالة الخطية،

حيث أن زيادة حجم الصادرات التونسية إلى ليبيا بمقدار مليون دولار، يؤدي إلى زيادة الناتج المحلي الإجمالي التونسي بمقدار 88 مليون دولار تقريباً، كما أن معامل التحديد يوضح ضعف تأثير حجم الصادرات التونسية إلى ليبيا على الناتج المحلي الإجمالي التونسي، حيث أن (25 %) فقط من التغيرات الحاصلة في الناتج المحلي الإجمالي سببه التغير في حجم الصادرات التونسية إلى ليبيا.

خامساً: اختبار جذر الوحدة للسلاسل الزمنية

إن إدخال السلاسل الزمنية في نموذج الانحدار يفضي إلى نتائج مضللة مثل ارتفاع قيمة معامل التحديد (R^2)، حتى في ظل عدم وجود علاقة حقيقية بين المتغيرات، وهذا ما يوصف بالانحدار الزائف (Spurious Regression)، لذلك لا بد من التأكد من سكون هذه السلاسل الزمنية لكل متغير على حدة، ويستخدم لذلك اختبار (ديكي فولر الموسع)

Augmented Dickey – fuller (ADF)

والجدول رقم (4) يوضح نتيجة اختبار جذر الوحدة للسلسلة الزمنية الخاصة بمتغير الناتج المحلي الإجمالي الليبي خلال الفترة (2000-2010).

جدول رقم (4) نتائج اختبار جذر الوحدة للناتج المحلي الإجمالي الليبي

Null Hypothesis: D(GDPL) has a unit root				
Exogenous: Constant				
Lag Length: 0 (Automatic based on SIC· MAXLAG=1)				
Prob. *	t-Statistic			
0.0436	-3.356208	Augmented Dickey-Fuller test statistic		
	-4.420595		1% level	Test critical values:
	-3.259808		5% level	
	-2.771129		10% level	

تم إعداد الجدول من قبل الباحث بالاعتماد على مخرجات البرنامج القياسي

ومن خلال نتائج الجدول أعلاه، تبين أن السلسلة الزمنية لمتغير الناتج المحلي الإجمالي الليبي مستقرة عند مستوى معنوية (5 %، 10 %)، وعليه يمكن إجراء اختبار السببية.

كما يوضح الجدول التالي (5) نتيجة اختبار جذر الوحدة للسلسلة الزمنية الخاصة بمتغير الصادرات الليبية إلى تونس خلال الفترة (2000-2010).

جدول رقم (5) نتائج اختبار جذر الوحدة للناتج المحلي الإجمالي الليبي

Null Hypothesis: D(EXL) has a unit root				
Exogenous: Constant				
Lag Length: 0 (Automatic based on SIC· MAXLAG=1)				
Prob. *	t-Statistic			
0.0011	-6.275283	Augmented Dickey-Fuller test statistic		
	-4.420595		1% level	Test critical values:
	-3.259808		5% level	
	-2.771129		10% level	

تم اعتماد الجدول من قبل الباحث بالاعتماد على مخرجات البرنامج القياسي (Eviews. 5).

ومن خلال نتائج الجدول أعلاه، تبين أن السلسلة الزمنية لمتغير الصادرات الليبية إلى تونس خلال الفترة (2000-2010) مستقرة عند مستوى معنوية (1 %، 5 %، 10 %) وعليه يمكن إجراء اختبار السببية.

ويوضح الجدول التالي (6) نتيجة اختبار جذر الوحدة للسلسلة الزمنية الخاصة بمتغير الصادرات التونسية إلى ليبيا خلال الفترة (2000-2010).

جدول رقم (6) نتيجة اختبار جذر الوحدة لمتغير الصادرات التونسية إلى ليبيا

Null Hypothesis: EXT has a unit root				
Exogenous: Constant				
Lag Length: 0 (Automatic based on SIC· MAXLAG=1)				
Prob. *	t-Statistic			
0.0121	-4.166737	Augmented Dickey-Fuller test statistic		
	-4.297073		1% level	Test critical values:
	-3.212696		5% level	
	-2.747676		10% level	

تم إعداد الجدول من قبل الباحث بالاعتماد على البرنامج القياسي (Eviews. 5)

ومن خلال نتيجة الجدول السابق يتضح سكون السلسلة الزمنية عند مستوى معنوية (5 %، 10 %).

ويوضح الجدول التالي رقم (7) نتيجة اختبار جذر الوحدة للسلسلة الزمنية الخاصة بمتغير الناتج المحلي الإجمالي التونسي خلال الفترة (2000-2010).

جدول رقم (7) نتائج اختبار جذر الوحدة للسلسلة الزمنية الخاصة بمتغير الناتج المحلي الإجمالي التونسي

Null Hypothesis: D(GDPT) has a unit root				
Exogenous: None				
Lag Length: 0 (Automatic based on SIC· MAXLAG=1)				
Prob. *	t-Statistic			
0. 0482	-2. 008547	Augmented Dickey-Fuller test statistic		
	-2. 847250	1% level	Test critical values:	
	-1. 988198	5% level		
	-1. 600140	10% level		

تم إعداد الجدول من قبل الباحث بالاعتماد على البرنامج القياسي (Eviews. 5).

وبالنظر إلى نتائج الجدول السابق يتضح استقرار السلسلة الزمنية الخاصة بمتغير الناتج المحلي الإجمالي التونسي خلال الفترة (2000-2010).

سادساً: دراسة العلاقة السببية بين متغيرات الدراسة

سيتم استخدام طريقة (Granger) وذلك لاختبار السببية بين متغيرات الدراسة، والمقصود بذلك مدى تسبب نمو متغير ما في نمو متغير آخر أو العكس أو هناك علاقة متبادلة بين المتغيرين، ولاستخدام منهج السببية لتوضيح العلاقة بين متغيرات الدراسة جاءت النتائج على النحو التالي:

جدول رقم (8) نتائج اختبار السببية بين متغيرات الدراسة

Pairwise Granger Causality Tests			
Date: 10/23/13 Time: 12: 05			
Sample: 2000 2010			
Lags: 3			
Probability	F-Statistic	Obs	Null Hypothesis:
0. 26427	7. 29113	8	EXL does not Granger Cause GDPL
0. 75929	0. 46990		GDPL does not Granger Cause EXL

0. 64991	0. 82004	8	EXT does not Granger Cause GDPT
0. 54107	1. 39194		GDPT does not Granger Cause EXT

تم إعداد الجدول من قبل الباحث بالاعتماد على مخرجات البرنامج القياسي (Eviews. 5)

من خلال الجدول السابق نستنتج ما يأتي:

1 - بمقارنة قيمة (F) المحسوبة والبالغة (7.29) مع قيم (F) الحرجة، نجد أنها معنوية عند مستويات المعنوية (1%، 5%، 10%)، مما يعني وجود علاقة سببية بين حجم الصادرات الليبية إلى تونس والنتائج المحلي الإجمالي الليبي خلال فترة الدراسة، أما قيمة (F) والمحسوبة والبالغة (46.0) فتؤكد عدم معنويتها عند جميع مستويات المعنوية المعروفة، وبذلك فإنه لا توجد علاقة سببية بين نمو الناتج المحلي الإجمالي الليبي والصادرات الليبية إلى تونس خلال فترة الدراسة (EXL® GDPL).

2 - وبمقارنة قيمتي (F) المحسوبتين والبالغة (1.39، 0.82) مع قيم (F) الحرجة نجد أنهما غير معنويتين عند مستويات المعنوية المختلفة، مما يعني عدم وجود علاقة سببية بين المتغيرين، وكليهما لا يؤثران في الآخر.

سابعاً: نتائج ومقترحات البحث

1 - نتائج البحث

أ- ضعف نسبة الصادرات الليبية إلى تونس من إجمالي الناتج المحلي الليبي خلال الفترة (2000-2010)، حيث لم تتعد في أفضل حالاتها (1%)، ومع ذلك تؤكد الدراسة القياسية أهمية هذا المتغير (الصادرات الليبية إلى تونس) في تشكيل الناتج المحلي الإجمالي، حيث تشير هذه الدراسة إلى هذا المتغير بمقدار مليون دولار يؤدي إلى زيادة الناتج المحلي الإجمالي الليبي بمقدار (104) مليون دولار، وهذه النتيجة تؤكد الفرضية الأولى من البحث.

ب- من خلال دراسة بنية توجه الصادرات الليبية والتونسية من وإلى البلدين نلاحظ عدم التنسيق فيما بينهما وهذه النتيجة يدعمها معدل النمو في هذه الصادرات، حيث يمكن وصف هذا المعدل بالبطء في الجانب الليبي، والانخفاض والتذبذب الشديد في الجانب التونسي.

ج- تؤكد الدراسة القياسية ضعف تأثير متغير الصادرات التونسية إلى ليبيا في إحداث تغيرات في معدل نمو الناتج المحلي الإجمالي التونسي خلال فترة الدراسة، حيث أن (24%) فقط من هذه التغيرات يفسرها حجم هذه الصادرات، وهذه النتيجة تدعم الفرضية الثانية للبحث.

د- على الرغم من المجهودات التي بذلت خلال العقود الماضية من أجل تفعيل وتشغيل كل النشاطات المتعلقة بمجال التصدير والاستيراد في كل من ليبيا وتونس، إلا أن نتائج تلك الإجراءات بقيت دون مستوى الآمال والطموحات المرسومة، ولم تساهم بشكل مطلوب في رسم دعائم التكامل المنشود بين الدولتين، بل بقيت محاولات خجولة وغير منظمة وبدون دراسات دقيقة تحقق الهدف الأساس وهو تحقيق معدلات جيدة في نمو الناتج المحلي الإجمالي.

2 - مقترحات البحث

أ- التأكيد على أهمية إنشاء شركات متخصصة في التصدير والاستيراد من وإلى البلدين، وذلك لمحاولة التغلب على مختلف المعوقات التي تعاني منها المنشآت الصغيرة والمتوسطة والتي تعمل في هذا المجال، كما يمكن أيضاً تقديم التسهيلات الائتمانية لهذه الشركات لدعم التصدير في كلا البلدين.

- ب- إنشاء سفراء تجاريين في ليبيا وتونس، بهدف التعريف ببعض السلع التجارية الوطنية، وتشجيع الاستثمار في كلا البلدين.
- ج- إدخال التقنية الحديثة في إدارات الجمارك في كلا البلدين، وذلك لمواكبة التحولات الاقتصادية، وتقديم العون والمشورة وتسهيل التعريفات الجمركية.
- د- إنشاء المناطق الحرة لتكون قريبة من الحدود البرية للدولتين، كأن تكون في مدينة زوارة في ليبيا ومدينة مدنين أو بن قردان في تونس، وذلك من أجل دعم السلع الوطنية.

مصادر البحث

- 1 - البنك المركزي التونسي، التقرير السنوي لسنوات مختلفة.
- 2 - الهيئة العامة للمعلومات والتوثيق، الكتاب الإحصائي، 2005-2006-2008.
- 3 - أمانة شؤون اتحاد المغرب العربي، واقع الاقتصاديات المغاربية وآفاق الاندماج، وقائع ندوة عقدت في بنغازي خلال الفترة (30/11 - 12/4 / 1991).
- 4 - صندوق النقد العربي، التقرير الاقتصادي العربي الموحد 2008.
- 5 - عابد العبدلي، تقدير أثر الصادرات على النمو الاقتصادي في الدول الإسلامية: دراسة تحليلية قياسية، مجلة مركز صالح عبد الله كامل للاقتصاد الإسلامي، جامعة الأزهر، السنة التاسعة، العدد 27، 2005.
- 6 - عادل أحمد حشيش، العلاقات الاقتصادية الدولية، دار الجامعة الجديدة، القاهرة، 2000.
- 7 - عبد الله محمد شامية، الصادرات الليبية ودورها في الاقتصاد، مجلة البحوث الاقتصادية، المجلد الثالث، العدد الثاني، بنغازي، 2005.
- 8 - محمد الشكري، تجربة التكامل الاقتصادي لدول اتحاد المغرب العربي، المؤتمر المصرفي العربي السنوي، رؤية عربية للقيمة الاقتصادية، الدوحة، 2007.
- 9 - مصرف ليبيا المركزي، إدارة البحوث والإحصاء، النشرة الاقتصادية، مجلدات متعددة.
- 10 - مصطفى رجب البلعزي، إعادة هيكلة الاقتصاد الليبي- التحول من الصناعة الاستخراجية إلى الصناعة التحويلية- دراسة تطبيقية، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة دمشق، 2012.
- 11 - نجوى علي خشبة، القطاع الخاص وتنمية الصادرات الصناعية، مجلة مصر المعاصرة، القاهرة، العددان 415-416، يناير وإبريل، 1989.

أي بحث علمي في ظل غياب الحرية الأكاديمية؟

د. نجوى بوزيد*



الملخص

لقد بات واضحاً أن تطور المجتمعات ورقبيها الحضاري يتعلق في الوقت الراهن بالعلم والمعرفة وليس أدل على ذلك أن أقوى الدول وأكثرها تقدماً هي تلك التي تتميز بالزخم العلمي الذي تفجر طاقاته واستغلت في الابتكارات والاختراعات على أرقى المستويات.

والملاحظ أن إشكالية الفصل بين البحث العلمي في مجال المادة والطبيعة من جهة ومجال الإنسان والمجتمع قد تم تجاوزها، ذلك أن رأس المال المادي لا يمكن أن يثمن إلا بتفعيل رأي المال البشري.

وبصرف النظر عن الجدل القائم حول الاستثمار في الإنسان، يبقى أكيداً أن الإنسان هو موضوع البدء والانتهاى لأنه المستخلف في الأرض وسيد الكون. وعليه فالإنسان يبقى المحور الأساس الذي يسعى إلى السعادة والرفاهية.

هنا تبرز أهمية البحث في المجال الاجتماعي من خلال التوغل في المجتمع والتعرف على مشكلاته وانشغالاته بين الوصف والتحليل والتشخيص والعلاج.

• دكتورة علم اجتماع، أستاذ محاضر، قسم النشاطات الرياضية والبدنية. جامعة بجاية/الجزائر.

nana.307@hotmail.fr

تقوم الجامعة بجملة من الوظائف من أهمها البحث العلمي، على غرار مراكز البحث، وذلك استكمالاً لوظيفة خدمة المجتمع، ولكي تقوم بذلك على أكمل وجه لا بد من توافر شروط لازمة من أهمها الحرية الأكاديمية التي توفر الجو الملائم للباحثين أثناء أدائهم لمهامهم.

تمهيد

لقد جاءت العلوم الاجتماعية والاجتماعية عموماً، بمختلف براديفماتها ومداخلها، استجابةً لجملة التغيرات التي مرت بها المجتمعات الغربية خاصةً في محاولة لفهم الواقع الجديد وتسيير الانتقال إليه تارةً، والتمرد على الوضع القائم بحثاً عن بدائل أخرى للواقع الراهن.

وبين المقاربات الكمية والكيفية، المرتبطة بشتى التقنيات، يأتي البحث الاجتماعي ليكشف اللثام على الواقع بصورة تتجاوز وبأكثر موضوعية نظرة الرجل العادي، وبغرض الفهم العميق والمتأني. وليتمكن الباحث في شتى مجالات البحث الاجتماعي من أداء وظيفته البحثية لا بد من توافر جملة من الشروط وأولها الحرية الأكاديمية.

حالة البحث الاجتماعي في الوطن العربي

لا أحد ينكر منذ القدم، ما للبحث العلمي في شتى المجالات من أهمية في توجيه سياسات التنمية وعلى جميع المستويات اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وثقافياً. ولا أدل من ذلك أن تقدم الأمم والدول صار يقاس ليس فقط بما تنتجه من بحوث ولكن بقدرتها على اعتماد المعرفة مصدراً خالقاً للثروة المستدامة، وجاء اختصاص اقتصاد المعرفة لجعل المعرفة بديلاً لغيرها من مصادر غنى الدول والأمم ولتحدث الثورة التكنولوجية طفرة نوعية في تحقيق أهداف إنسانية على المدى المتوسط والبعيد. وأضحت العلاقة متبادلة وجدلية بين تقدم البحث من خلال نتائجه في مختلف التخصصات من جهة وتقدم المجتمعات وتحكمها في الواقع مع الحفاظ على البعد الاستراتيجي من خلال الاهتمام بالعنصر البشري مما يقحم البحوث الاجتماعية على أساس أن مادة بحثها وموضوعاتها ترتكز أساساً في الإنسان بكل الأبعاد المجتمعية.

وإذا كانت العلاقة بين البحث والمجتمع قد أخذت باعاً طويلاً في الدول المتقدمة فإن الوضع في العالم العربي ودول العالم الثالث عموماً، وإلى أمد غير بعيد اتسم حسب الباحثين، بالقطيعة بين مؤسسات البحث جامعية كانت أو مراكز البحث تابعة للدولة أو

مستقلة. وكذا غياب التنسيق بين هذه المؤسسات ومراكز صنع القرار ورسم سياسات التنمية التي كانت ترسم وفق قرارات سياسية بعيداً عن مجالات الاختصاص وأهله. فكلّاً منها يعيش في جزر منفردة دون أي تقاطع في الاهتمامات وطرق التعامل مع القضايا. ففي حين ينغلق الباحثون على إعادة إنتاج المعارف والاستغراق في إشكاليات متعلقة بالعلم في حد ذاته أين يكاد يغيب الانشغال بتوظيف المعارف والاستفادة العملية. بينما تطفئ الصفة العملية، بكل ما قد تتطوّه من مغالطات وأخطاء، على اهتمامات القائمين على رسم السياسات وبرامج التنمية.

رغم الطابع الكوني للعلوم إلا أن تطبيقاته تبقى منتجاً مجتمعياً يفترض تناول الأمر بشكل من النقد والحيطه بما أن الثقافة عموماً يمكن أن تخلق الاختلاف في التصورات والمرجعيات وعليه لا بد من إخضاع البحث إلى سياقاته. وربما هذا يعتبر من أهم خصائص البحث في العالم العربي أي تغييب إعادة استنبات وفقاً للخصوصيات المجتمعية للعلوم سواءً من حيث المحتوى أو المناهج.

بالنسبة للعلوم الاجتماعية والبحث فيها، فقد اهتمت في بداياتها الأولى منذ خمسينيات القرن الماضي بإشكاليات نظرية أكثر خاصة أن أغلب الباحثين من الجيل الأول من خريجي الجامعات الغربية والذين نقلوا عبر تجاربهم الاهتمامات، وفي ذلك جزء من المنطقية، إلى بلدانهم الأصلية مما انعكس على تفعيل العلاقة بين الاختصاصات وانشغالات أفراد المجتمع ومؤسساته وبالتالي همشت.

والأمر لم يكن ليتغير كثيراً مع ولادة جيل آخر اهتم بالبعد السياقي للعلوم الاجتماعية والإنسانية، فوجد من نادى بإبراز الطابع العربي وآخر نادى بالأسلمة وغيرها وفي هذا السياق يشير مصطفى ناجي أن الفكرة رغم أهميتها لم تأت تلبية لضرورة مجتمعية ولكن كتقليد للنظام الأكاديمي الغربي هذا ما جعل الجهود تذهب هباء نظراً لعجز الباحثين في إيجاد براديفمات نابعة من مجتمعاتهم وعليه الوقوع مرة أخرى في إشكال التقليد وتقويض إمكانيات التجديد والابتكار.

حتى مع ما بذل من الجهود في بعض من الدول العربية في محاولة ربط البحوث الاجتماعية بظواهر من الواقع ونفخ روح الجد في مشاريع البحث إلا أنّ العلاقة تبقى غير تفاعلية بين مؤسسات البحث والجامعة من جهة والجهات المعنية ومتخذي القرار، وحتى إن تم البحث فهو بحسب الطلب ويصب في تعزيز النظام وإضفاء الشرعية على القرارات المتخذة. وكثيرون هم الباحثون الذين كلفوا بإجراء البحوث بل وحتى على أعلى المستويات أين يتم اللجوء إلى الخبراء ذوي السمعة العالمية.

معوقات البحوث الاجتماعية

يمكن تلخيص جملة من الصعوبات التي يواجهها البحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية فيما يلي:

- عدم تفاعل الباحثين مع واقعهم مما يؤثر على مصداقية مايقومون به من أبحاث.
- الاعتماد على المعارف المتراكمة من تجارب المجتمعات الغربية مهد ميلاد هذه الفئة من العلوم، يخلق صعوبة في الملاءمة بين مختلف مراحل البحث لأن الفرضيات تبدأ من غير واقعها لتنتهي اليه في تناقض بيّن.
- انعدام الصفة الانزامية والرسمية للبحوث حتّى وإن كانت بتكليف من راسمي القرار، مما يضفي صبغة واللامبالاة مهما كانت جدية الباحث.
- الطموح المبالغ فيه بل وحتى الوهم لدي الباحثين تارةً واليأس تارةً أخرى وعدم الاكتراث لعدم تثمين نتائج البحث
- عدم إدراك صانعي القرار لأهمية البحوث الاجتماعية والعاملين فيها مع وجود اعتقاد مؤسسي أن الخروج من حالة التخلف والتبعية تكون فقط عبر العلوم الأساسية وهذا ساهم وبشكل كبير في إفقاد هذه التخصصات هيبتها حتى لدى الرجل العادي.
- تغييب البحث العلمي الاجتماعي وعن قصد ذلك أن العلوم الاجتماعية والإنسانية تعري الواقع وتصفه كما هو دون تدليس مما قد يزعج البعض، ويكون ذلك إما بعدم السماح بإنشاء مؤسسات بحثية ومخابر بحث داخل الجامعات بحجة التمويل أو بتجسيم وتقويض البحوث وحتى فرض الرقابة على الإشكالات المطروحة بإخضاعها للتمتيش. وكثيرة هي البحوث التي رفضت في المؤتمرات ومراكز البحث بحجة مساسها بالأهداف الاستراتيجية.
- تأثير الغرب على البحث العلمي العربي: لفهم الواقع العربي تفتن الغرب إلى استخدام البحوث الاجتماعية، بما يخدم مصالح دولها وتطوير مناهجها وتقنياتها بغرض فهم التحولات الاقتصادية والاجتماعية وأنشأت مراكز للبحث ومعاهد علمية. وتكونت فرق بحث تدعم نتائج بحثها بتنظيم المؤتمرات واللقاءات بدعوة للمشاركات على المستوى الدولي.

تأثر الباحثون المحليون بهذه المراكز وتبنوا مناهجها وأدواتها دون تمحيص أو مناقشة مدى ملاءمتها وتوافقها مع المعطيات المحلية، وذلك سعياً لنقل المجتمعات العربية من حالة تخلفها نحو الحداثة والعصرية والبحث عن البديل لذلك.

على النقيض من ذلك، اهتم الغرب بالواقع العربي وتم إدراج الكثير من البرامج في المعاهد والجامعات تتناول بالتحليل والفهم ذلك الواقع خاصة لطلبة الدكتوراة والماجستير. وعلى سبيل المثال لا الحصر نشير إلى مركز الدراسات العربية في جامعة «جوجتاو»، مدرسة الدراسات العليا في العلوم الاجتماعية بباريس، المشروع الإيطالي لجمع الوثائق المتعلقة بالمغرب العربي

ما هي علاقة الحرية الأكاديمية في البحث العلمي

لفهم أهمية الحرية الأكاديمية بالنسبة للبحث العلمي عموماً لا بد من الإشارة إلى ما يتضمنه المفهوم من معان وتوضيح علاقته بمفاهيم ذات صلة.

مفهوم الحرية الأكاديمية؟

قد يتساءل القارئ عن إقحام هذا المفهوم وعلاقته بالبحث العلمي والاجتماعي على وجه الخصوص، ولتوضيح ذلك نشير أن البحث العلمي في هذا المقام يتعلق بمؤسسة الجامعة كأحد منارات البحث.

عند الحديث عن الجامعة لا بد من التذكير بمهامها ووظائفها الأساسية والتي تتمثل في:

- التكوين والتعليم

- نقل الموروث الثقافي والحضاري عبر الأجيال

- البحث العلمي.

- خدمة المجتمع.

وتعتبر العلاقة وثيقة بين التعليم والتكوين والبحث العلمي، فلكي يحافظ الأستاذ الباحث على مواكبة العصر وتجاوز المعارف العتيقة لا بد من إجراء البحوث لأنها تضمن ارتباطه بالواقع والمتجدد من المعطيات والمعارف في شتى المجالات.

في اللغة وكما جاء في لسان العرب: حر، يحر إذا صار حراً والاسم حرية. ودون الدخول في تفاصيل كثيرة حول المفهوم يكمن القول اختصاراً أنها آلية اجتماعية ضرورية وأن إدراك الإنسان لذاته لا تتأتى إلا بتوفر شرط الاختيار وعليه فوجوده وحياته مرتبطان شرطياً بحريته.

عن مفهوم «أكاديمية»، فأول استخدام لها كان عند الإغريق حوالي ٣٧٦ قبل الميلاد، وذلك عندما أسس الفيلسوف أفلاطون مؤسسته التعليمية وليطلق عليها اسم «الأكاديمية». وعليه صارت الكلمة تعني الدراسات النظرية وقد عرفت على أنها الدراسات المهمة بعالم الأفكار.

أما عن الحرية الأكاديمية فهي تعني: حرية الجامعة والأساتذة والطلبة في تتبع الحقائق والمعارف دون ضغوط أو قيود أو صعوبات. وهي تسير عموماً إلى حق المتعلم والمعلم والباحث في التقصي والتعبير والسعي نحو اكتساب المعارف واكتشاف الواقع وكذا وصفه كما هو.

ومنذ خلق الله الأرض ومن عليها كانت الحرية ولا زالت من أسمى ما يسعى إليه الإنسان ومع الوقت جد في المطالبة بها ولتصير حقاً من حقوقه وليكون له الخيار والإرادة الكاملة في التوجه الديني والسياسي ومستقبله. ولاحقاً صارت الحرية الأكاديمية أحد أنواع وأوجه الحرية التي لا بد من توفرها داخل المؤسسات العلمية والجامعية.

وعليه، لا بد من توفير الجو الملائم لذلك من خلال ضمان حرية للحركة والبحث، والشفافية التي تضيء الموضوعية على النتائج. وعليه فالحرية الأكاديمية ترتبط بحماية حقوق الباحث أثناء أدائه لمهامه ووظائفه وتتضمن:

- حق ممارسة وظيفة التعليم دون فرض للتوجهات.
- حق نشر نتائج البحث.
- حرية التعبير، وتتضمن حق انتقاد المجتمع والمؤسسات وإبداء الرأي المختلف.

ولكي تؤدي وظائف البحث والتعليم وخدمة المجتمع، تقع على الجامعة مسؤولية توفير وتسهيل كل ما من شأنه ضمان تحقيق تلك الحرية بغرض تحقيق أفضل النتائج وأحسن الأداء وذلك ضمن الفلسفة العامة للمجتمع. ويرتبط المفهوم بأمرين رئيسين، أولهما حق الفرد في المعرفة وثانيهما حق المنتسبين إلى الجامعة بما فيهم الباحثين في تقرير ما يتعلق بهم من التعلم إلى الوسائل إلى التعبير إلى المناهج وغيرها.

ومن خلال ما سبق فالحرية الأكاديمية وسيلة جد فاعلة وفعالة في المضي نحو اكتشاف الحقائق المتعلقة بحياة الإنسان في مختلف تجلياتها وهنا تبرز أهمية البحث الاجتماعي لتعلقه بالإنسان الذي يعتبر نقطة تقاطع العلوم من خلال السعي نحو سعادته ورفاهية حياته.

وقد تطور المفهوم ونشأ مع نشأة وتطور الجامعات منذ العصور الوسطى وكانت تعني اعتراف السلطات الدينية والمدنية بالاستقلال الذاتي للجامعة. وخضعت للجدل والنقاش ككثير من المفاهيم. حيث تم التعامل معه باختلاف في السياقات المجتمعية. وعموماً تعلق بأبعاد منها حرية التفكير، حرية الاختيار، حرية البحث.

فلا يمكن والحال كذلك أن تتجسد أهداف الجامعات وتؤدي وظائفها من اكتشاف وتمحيص الحقائق وتطوير النظريات واختراع الجديد عن طريق البحث العلمي وتوسيع دوائر المعرفة والمدارك لا بد من إحلال المعارف الخلاقة وإعادة إنتاجها إلا بتوفر جومن الحرية.

والحرية الأكاديمية مستويين، الفردي والمؤسسي:

فالمستوى الأول تتجلى من خلال حماية الأستاذ والباحث من كل أصناف التعسف والضغط داخل الجامعة وخارجها. في حين يرتبط المستوى الثاني بحماية مؤسسة الجامعة من تعسف وتجاوزات المؤسسات الأخرى وكذا سلطة المال والجاه بل وحتى السلاح. وللإشارة فإن الحريات عموماً وبمختلف أنواعها ترتبط بالمنظومة القيمية للمجتمع.

وعلى مستوى المواثيق الدولية وارتباطاً بمفهوم حقوق الإنسان والإعلان عنه، يمكن الرجوع إلى:

-إعلان الرابطة الدولية لأساتذة ومحاضري الجامعات حول حقوق وواجبات الحرية الأكاديمية في مؤتمر سينا سنة ١٩٨١.

-الميثاق الأعظم للجامعات الأوروبية الصادر في بولونيا المنبثق عن مؤتمر الجامعات الأوروبية سنة ١٩٨٨.

- إعلان ليما حول الحرية الأكاديمية واستقلالية مؤسسات التعليم العالي سنة ١٩٨٨.

- وإعلان دار السلام للحريات الأكاديمية والمسؤولية الاجتماعية للجامعات سنة ١٩٩٠، والذي عرّف المفهوم على أنه ضمان الحرية لأفراد الجماعة الأكاديمية على المستوى الفردي والجماعي في البحث وتطوير المعارف ونقلها عن طريق تطوير وظيفة البحث والدراسات وحلقات النقاش.

- ونشير كذلك إلى توصيات المنظمة العالمية للعلوم والتربية لسنة ١٩٩٧ المستوحاة من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ومنها الحق في التعليم والتربية.

الحرية الأكاديمية واستقلالية الجامعات

يرتبط المفهومان ارتباطاً وثيقاً فلا يمكن للمنتسبين للجامعة من ممارسة وأداء أدوارهم إلا إذا تمتعت مؤسساتهم بالحرية والاستقلالية. وباختصار تتجلى استقلالية الجامعة في أمنها وحمايتها من كل أشكال الضغط والتهديد والتي يمكن أن تعرقل قيامها بمهامها ووظائفها المنوطة بها وبالتالي يكمن الحديث عن توفير نوع من الحصانة.

فعندما أنشئت الجامعات كان دورها ووظيفتها الأساس في التعليم بغرض التعليم فقط والمحصور في فئة قليلة من الناس والأفراد. لكن بالمتغيرات التي عرفتتها المجتمعات عموماً في نظمها السياسية والاجتماعية تغيرت وظائف الجامعة تبعاً. وأخذت شيئاً فشيئاً تأخذ مكان الريادة في المجتمع وأخذ معها مفهوم الاستقلالية يفرض نفسه وليطالب العاملون بالجامعة بالمطالبة بالاستقلالية والحرية في البحث والتدريس وخدمة المجتمع. وأخذ المفهوم بعدين:

- عدم التدخل الخارجي في إدارة وتسيير الجامعة وشؤونها.

- إنجاز القرارات الأكاديمية وهو المفهوم الحديث للاستقلالية.

إن استقلالية الجامعة والحرية الأكاديمية شرطان متلازمان في الضرورة حتى تتمكن الجامعة من أن تكون مركزاً لإنتاج المعرفة في مختلف التخصصات. وهذا في حد ذاته لا يمكن توافره إلا إذا توفر ما يسمى بالعقد الأخلاقي أو الميثاق الأخلاقي والذي يفترض أن يكون بين الأفراد المنتمين إلى الجامعة من جهة وبين الجامعة ومحيطها وخاصة القرار السياسي.

ماذا عن الحرية الأكاديمية في جامعات الوطن العربي؟

إن خدمة المجتمع كأحد أهم وظائف الجامعة ترتبط بوظيفة البحث العلمي من خلال السعي إلى دراسة مشكلات المجتمع اليومية ومحاولة التنبؤ العلمي بانشغالاته المستقبلية وبالتالي العمل على حل مشكلاته وبالتالي تجاوز الوصف والفهم والتحليل. وهذا يستلزم توفر شرط الحرية الكافية.

وفي سياق الحديث عن الحرية الأكاديمية واستقلالية الجامعات، طرحت جملة من الأسئلة منها هل فقدت الجامعات حريتها لتصبح أسيرة أنظمة سياسية؟ ما تأثير تراجع

أداء الجامعات في أداء دورها في بعض الدول، بفقدان الحرية؟ هل كان لانعدام الحرية في جامعاتنا العربية دور في تهجير الكفاءات وكذا التحول من الوظيفة الخلاقة والمبدعة إلى التخلف؟

بالنسبة للواقع العربي، فيؤكد المهتمون بشأن الجامعات العربية على غياب الجو الملائم لأداء الوظائف المسطرة والقديمة ناهيك عن البحث والإبداع. والحال كذلك كيف يمكن للباحثين في المجال الاجتماعي دراسة وفهم مشكلات المجتمع واقتراح الحلول التي قد تتضمن انتقاد النظم القائمة وتغيير السياسات؟

وقراءة الواقع تتم عن وجود فجوة بين الواقع والتنظير ففي حين تسن القوانين داخل الجامعات مقررة حق التعبير والبحث وتقصي الحقائق والنقد البناء، نجد الممارسات تختلف ويفرض مقص الرقيب نفسه في توجيه البحوث وفرض المواضيع والتحكم في نتائجه. وهنا نتساءل أين تكمن الأسباب وراء ضعف الحرية الأكاديمية في الوطن العربي؟

يمكن إجمال الأسباب في السياسي، الاجتماعي والتاريخي. وكما تمت الإشارة فالحرية الأكاديمية ترتبط بمفهوم الحرية عموماً والعاكس للواقع السياسي بشكل عام. وعليه إذا كان المجتمع يعيش القمع والاضطهاد وتكميم الأفواه وتجفيف الأقلام ومصادرة الحقوق، فلا يمكن الحديث عن توفر أي حرية أكاديمية.

على المستوى الاجتماعي فالتنشئة، عبر مختلف المؤسسات من الأسرة إلى النظام التربوي، على التبعية والسلطة بعيداً عن الحوار وبناء شخصيات مستقلة، في المجتمعات التقليدية، يؤدي إلى تكوين أفراد مقموعين وسلبيين لا يملكون روح النقد البناء وكذا الشجاعة والقدرة على تحمل تبعات المسؤوليات الفردية والجماعية.

وفقاً لما سبق يكمن القول أن أزمة الجامعات العربية عموماً وفي مجال العلوم الاجتماعية من حيث البحث والتدريس ترتبط من جهة:

- بتفوق المنتج الغربي سواء على مستوى التنظير أو على المستوى الأدوات المستخدمة في البحوث المتعلقة بالواقع العربي أو المحلي.

- حالة الخوف والتردد التي تنتاب الباحث العربي لا عن حالات مرضية ولكن وفقاً لقوالب تم فرضها مسبقاً على شكل بناءات فكرية مبنية على التبعية والهيمنة والتقليد والتي تتناقض جملة وتفصيلاً مع روح الإبداع والتطوير القائم على البحث والنقد ومساءلة الواقع بكل أبعاده.

- الواقع السياسي الذي يمارس الحجر على العلوم بسبب الاستبداد. وكثير من المواضيع يتم تناولها بحذر كإشكالية الديمقراطية والإصلاح ونقد الثقافة.. إلخ
- الحجر على الحريات الأكاديمية للباحثين من حيث إبداء الرأي بطريقة موضوعية حول المشكلات الاجتماعية بكل استقلال، وكذا إقرار الفكر والمعرفة كسلطة بديلة لفهم الواقع، وبالتالي التحكم في المستقبل في حدود التنبؤ العلمي ليقوم العلم بالمعالجة بدل التوقف عند الوصف. هذا من شأنه إرشاد أفراد المجتمع إلى التفكير والفهم والعمل. وعليه تتحول الجامعة من خلال البحث إلى مرصد للتنبؤ والاستشارة والوقاية.
- ولأجل أن يتحول الخطاب إلى حقيقة وتصير الجامعة منارة لإنتاج المعارف والبحث العلمي الجاد لا بد من توافر جملة من الشروط:
- إعادة مفهوم الحرية الأكاديمية والاستقلالية إلى دوائر النقاش بتوضيح معناها ضمن التوجهات المجتمعية تجاوزاً لإشكال التقليد كما هو الحال في التنظير.
- العمل على الممارسة الديمقراطية الحقيقية دائماً ضمن المبادئ العامة.
- الاستقلال المالي والإداري للجامعات بعيداً عن الضغط والتحكم.
- دعم الباحثين والأكاديميين معنوياً وتوفير مناخ مواتٍ لخدمة المجتمع عبر آلية البحث العلمي.
- إعادة بناء علاقات جديدة بين المجتمع والجامعة مبنية على الثقة بدل الريبة والشك وذلك في ظل الشفافية والنزاهة والأمانة.

المراجع

- جمال الدهشان. تجديد التعليم الجامعي، ط ١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٨.
- فضيل دليو. المشاركة الديمقراطية في تسيير الجامعة، مخبر علم الاجتماع والاتصال، جامعة منتوري قسنطينة، ٢٠٠٦.
- محسن خضر. مستقبل التعليم العربي بين الكارثة والأمل، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠٠٨.

رعاية المسنين في الإسلام

د. حبيبة شهرة*



مقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان في أحسن صورة، وأسبغ عليه بالنعم الظاهرة والباطنة، وآتى النفس فجورها وتقواها، فحكم بالفلاح لمن زكاها وبالخسران على من دساها، وبعد:

وتمتاز الشريعة الإسلامية بأنها التفتت لفئة كريمة لهاتين المرحلتين، ونهت لحقوق كل من الطفل والمسن، بأحكام في غاية الرصانة والساد والكمال، نجدها واضحة في التوجيهات والوصايا الكثيرة لرعاية حقوق الإنسان في جميع أدوار حياته، وللتخطيط المحكم في بناء حياة قوية وكريمة، إنسانية واجتماعية ووطنية، ولا بد لكل إنسان من معرفتها وإدراكها، وتفعيلها، ورعايتها لتحقيق سمو الإنسان وصون كرامته.

فإن للحياة الإنسانية بداية ونهاية، وكل منها يحتاج لرعاية خاصة وعناية متميزة، والبداية تكون بالطفولة التي تتطلب الإعداد والتنمية المادية والجسدية والمعنوية والروحانية. لأن الأطفال بناء المستقبل وجيل الغد. والنهاية تكون بالشيخوخة التي هي تنويع لكمال الإنسان ونضجه وسعة عقله، واستحكام خبراته، فتتطلب الرعاية والإكرام والاحترام والوفاء، لما قدمه الإنسان في حياته من عطاء، وأدى من رسالة مشرفة.

• دكتورة في الكتاب والسنة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإسلامية، جامعة عمار التليجي، الأغواط / الجزائر. biba.sharaf@gmail.com

ولا شك أن الإنسان منذ أن خلقه الله وكتب له الحياة يتمتع بحقوق متغيرة، وفق دالة غير ثابتة، فلا أحد ينتهكها مهما كان، وتستمر حياته تحت مظلة المسؤولية-حقوق وواجبات- إلى أن يكتب الله له طول العمر، ويصبح عاجزاً مسناً.

فما هي نظرة الشارع الحكيم له؟ وهل جعل له حقوقاً على غيره؟ وكيف تتم حمايتها؟ وما هي الأسرار والغايات والحكم التي تسعى الشريعة لتحقيقها جراء رعاية المسنين؟ وللإجابة عن هذه التساؤلات سطرنا خطة سرت وفقها، والمتمثلة في الآتي:

مقدمة، وثلاث مطالب:

المطلب الأول: تعريف المسن؛ في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: جوانب رعاية المسنين.

المطلب الثالث: رعاية المسنين في الإسلام في ضوء المقاصد.

وخاتمة تضمنت توصيات واقتراحات.

المطلب الأول: تعريف المسن

أولاً: في اللغة

المسن هو الكبير «وأصلها السن وهي واحدة الإنسان وأسَّ الرجلُ: كَبُرَ، وَكَبُرَتْ سِنُهُ. يُسِنَُّ إِنْسَانًا فَهُوَ مُسِنٌَّ وهذا أسَّ من هذا أي أكبر سناً منه»^(١) كما تستخدم العرب ألفاظاً مرادفة لفظ المسن تقول: (شيخ)، و(هرم)، و(كهل)، وجميع هذه الألفاظ تدل على كبر السن.

ثانياً: في الاصطلاح

«الفرد البالغ ٦٠ أو ٦٥ فأكثر، والذي وصل إلى مرحلة من العمر تجعله غير قادر على الإنجاز والابتكار لظروف صحية وبيئية ونفسية تحول دون تحقيق ذلك»^(٢) الفرد البالغ ٦٠ أو ٦٥ فأكثر: ذكر هذا حتى يشمل تعريفه-المسن- في القانون. غير قادر على الإنجاز لظروف صحية: ليشمل تعريفه في الطب. بيئية: ليشمل تعريفه في علم الاجتماع. نفسية: ليشمل تعريفه في العلوم النفسية.

التعريف الذي أراه أقرب - والله أعلم - هو:

الفرد الذي تقدم في السن - يختلف من شخص لآخر - ويحتاج لرعاية مادية وروحية، لضعف لحقه.

المطلب الثاني: جوانب رعاية المسنين

أولاً: جانب الضعف الذي يستلزم رعاية خاصة^(٣)، بحيث لا يستطيعون القيام بالأعمال التي كان يقوم بها في شبابه، وله حاجة فيها، وهذا الجانب يراعي مصلحته، فرعايته تكون بتحقيق له ما يرغب فيه، سواء أكان ضرورياً أم حاجياً أم تحسينياً، وقد أشار القرآن إلى حالة الضعف التي يكون عليها المسنين في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾. (الروم: ٥٤).

ثانياً: جانب الخبرة ورعايته من هذا الجانب تكون بوجهين:

١- الوجه الأول: عدم التفريط فيها والاستفادة منها وتعليمها للأجيال، وهذا يكون بعدم فصل فئة المسنين عن باقي الفئات - النظر للمسنين وكأنهم فئة واحدة - مما يؤدي إلى إهدار الكثير من الطاقات التي يمكن الاستفادة منها لدى المسنين، فلا يجب عزلهم عن المجتمع بقدر ما يجب تلاحمهم وانخراطهم في الأنشطة الاجتماعية، فلنكن نظرتنا شمولية تكاملية متوازنة: مادية روحية، متكافلة اجتماعياً تحكمه التعاليم الإلهية^(٤).

٢- الوجه الثاني: تصحيح المعتقدات وتوجيه المسلمات، حتى لا تتوارث الانحرافات إلى الفئات الأخرى ويكون بالنظر إلى واقع كثير من المسنين اليوم الذين كانت ظروف العيش وطلب العلم في الماضي عندهم من الصعوبة بمكان مما جعل كثيراً منهم على قدر كبير من الجهل ببعض أحكام الدين، فهم يحتاجون إلى الدعوة إلى الله تعالى بأسلوب ووسائل مناسبة، وتجلية ما ينبغي أن يتعلموه من الدين بالضرورة، واستئصال ما لدى البعض من مخالفات شرعية قد تقدح في العقيدة التي قد يتوارثها الأجيال، وكان سبب ذلك ما حفظه المسنون عن سبقتهم من بدع وخرافات وصور وتماثيل ثم تناقلها الأحفاد حتى أصبحت عقيدة يُقْتَلُونَ ويُقْتَلُونَ من أجلها^(٥).

ثالثاً: الجانب الروحي، ويتعلق بالأحاسيس والمشاعر والزاد المعرفي - العلم -، وقد أشار الإسلام إلى ضرورة الاهتمام بها ومراعاتها من المسن نفسه أو من غيره^(٦).

١- من المسن نفسه: وذلك بالإعداد المسبق لها بالتعلم والمبادرة بالأعمال الصالحة في بواكر العمر، كما فسر بعض السلف الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (التين: ٦)، «فإنهم لا يصلون إلى حالة الخرف وأرذل العمر»^(٧).

٢- من غيره: وهذا واجبنا ككل؛ نبصره ونذكره بالأعمال الصالحة، ونزرع الصبر في قلبه حتى لا يتأثر نفسياً، ولا يشعر بأنه منبوذ قد تخلى عنه الأقربون من الأقارب

والأصدقاء لكبر سنه، وأنهم تمسكوا به لمصلحتهم حتى ما إذا انتهت مدة صلاحيته رموه في بيوت الشيخوخة، فهذا يتنافى مع الكرامة التي منحها الله للإنسان منذ أن كان نطفة إلى أن يرحل من الدنيا، فقد قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ (النحل: ٧٠)، إشارة إلى الاختلال الذي يطرأ على المسنين-اختلالات في القدرات العقلية، العلمية- فأرذل العمر كما ذكر المفسرون هو: «أخسه وأدونه وآخره الذي تضعف فيه القوى، وتفسد فيه الحواس ويختل فيه النطق والفكر ويحصل فيه قلة العلم وسوء الحفظ والخرف، وخصه الله بالرديلة لأنه حالة لا رجاء بعدها لإصلاح ما فسد».^(٨)

المطلب الثالث: رعاية المسنين في الإسلام

توطئة

اهتم الإسلام بفئة المسنين من بداية إرسال الرسل-عليهم الصلاة والسلام- وذلك من خلال الآيات التي تتعلق بهذه الشريحة، وما نقلته لنا من دعوة الأنبياء عليهم السلام لأقوامهم عامة والمسنين خاصة.

أولاً: رعاية المسنين في القرآن الكريم

وردت آيات كثيرة تشير إلى ضرورة رعاية المسنين سواء أكانوا أباءً أم أبناء، وقد وردت صريحة في بعض المواطن وغير صريحة في أخرى، بالصبر عليهم والقيام على مصالحهم، واحترام مشاعرهم وعدم إيذائهم، والدعاء لهم، ودعوتهم للحق وتعليمهم.

قال تعالى: ﴿قَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الإسراء: ٢٣-٢٤)، فلما كان حال الكبر هو مظنة الإهمال والضرر والغضب خصه سبحانه بالذكر وبمزيد من العناية من بين سائر الحالات التي يمر بها الإنسان في حياته.^(٩)

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصَدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ (القصاص: ٢٢) فأمر بإكرامه عند شببته وحث على القيام بشؤونه، وهو النموذج الذي جسده المرأتان.^(١٠)

ثانياً: رعاية المسنين في السنة

كانت رعاية المسنين محل عناية ووصية من النبي ﷺ، كما جاء عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «رَغِمَ أَنْفٌ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفٌ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفٌ». قِيلَ مَنْ يَأْرُسُوكَ اللَّهُ قَالَ: «مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ» (١١) .. وأيضاً من حديث عبد الله بن عمرو، رضي الله عنهما يقول جاء رجل إلى النبي ﷺ فاستأذنه في الجهاد فقال: «أَحَىٰ وَالدَّاءُ، قَالَ نَعَمْ قَالَ: فَمِيبَهُمَا فَجَاهِدْ» (١٢).

والأمر لا يقف عند الوالدين إذا بلغا سن الشيخوخة بل يتعدى ذلك إلى كل كبير مُسن، فيوجب له الاحترام ويجعل ذلك من الإسلام، فقد جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا» (١٣) كما يوجب له الرعاية الاجتماعية والخلقية فقد جاء عن أبي موسى الأشعري، قال: قال ﷺ: «إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ». (١٤)

ويعد الشاب البار الذي استجاب لأمر ربه يعده بالجزء الأوفى - معاملة بالمثل - فعن أنس بن مالك قال: قال ﷺ: «ما أكرم شاب شيخاً لسنه إلا قيض الله له من يكرمه عند سنه» (١٥)، وهذا كله يندرج تحت الأصل العام الذي قرره رسول الله ﷺ، فعن أبي هريرة أن الأقرع بن حابس أبصر النبي ﷺ يُقبل الحسن فقال إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحداً منهم فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمَ لَا يَرْحَمَ» (١٦).

ومن سماحة الإسلام: أنه راعى حق المسن في العبادات أيضاً، وأمر من يؤم الناس أن يراعي حال المسنين، فعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِلنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ فَإِنَّ مِنْهُمْ الضَّعِيفَ وَالسَّقِيمَ وَالْكَبِيرَ، وَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِنَفْسِهِ فَلْيَطْوِلْ مَا شَاءَ». (١٧)

والأحاديث التي جاءت في النية: أن الإنسان حين مرضه أو عجزه - لكبر سنه أو ضعفه - يجزى على الأعمال التي كان يعملها حال صحته وقوته، وكذلك الأحاديث الدالة على رفع الحرج على المريض والعاجز.

خاتمة : تضمنت أهم النتائج (مفاسد ومصالح) وبعض الاقتراحات

أولاً: المفاسد التي تنتج عن عدم رعاية المسنين

- ١- ظهور ما يُعرف بالأسرة النووية^(١٨)، وتلاشي ما يسمى بالعائلة الممتدة^(١٩)، مما أدى إلى قطع العلاقة بين صغار السن وكبارهم.
- ٢- ذهاب القيم الاخلاقية التي حث الإسلام عليها: احترام الصغير للكبير وإكرام ذا الشبهة، مما يؤدي إلى التهاجر والتقاتل وعدم التعاون، وانتشار البغضاء والعداوة.
- ٣- التقصير في البر بالوالدين والوقوع في كبيرة عقوقهم، ويؤدي إلى إهمالهم بالكلية ورميهم في دور العجزة التي غايتها الوحيدة رفع دالة الربح
- ٤- ذهاب التكافل الاجتماعي مما يؤدي إلى إهدار التجارب التي مر بها الأكاير والطاقت والخبرات التي اكتسبوها وعدم الاستفادة مما توصلوا إليه، وهذا سببه بيوت العجزة التي تجعل المجتمع كتلة متفرقة متباينة^(٢٠).

ثانياً: المصالح التي تنتج عن رعاية المسنين

- ١- تحقيق المبدأ العام للشريعة: أنها وضعت لجلب مصالح العباد في العاجل والآجل، وهذا يتمثل في رعاية مصالح الفرد من نشأته إلى وفاته، ويشهد لهذا حقوق الميت التي أقرتها الشريعة، مما يضمن الراحة النفسية للفرد، ويجعله يكون أسرة دون خوف من الشيخوخة لاحقاً.
- ٢- مقصد رفع الحرج - التيسير - مما يعطي للشريعة خاصية الشمولية والاستيعاب لمراحل الإنسان المختلفة وأنها صالحة لكل زمان ومكان، وهذا ما تضمنته حقوق الآباء على الأبناء، والسر من قوله ﷺ: «أنت ومالك لأبيك»^(٢١)
- ٣- تحقيق التكافل الاجتماعي، والرفي بالمجتمع بتوظيف الخبرات وتقويم الأفكار وتصحيح العقائد، وربط بين الفئات المختلفة للمجتمع^(٢٢)، وتحقيق التعاون والتآلف والاتحاد، والتخلص من الاختلاف والتفرق والأخلاق الذميمة، فيعيش المجتمع في سعادة ورخاء بعيداً عن الفوضى، وهذا كله يثبت مقصد الصلاح في الدارين.

ثالثاً: العلة في رعاية المسنين

كون الإنسان له حقوق من بداية نفخ روحه، وأبويه يسهران على تربيته، لكونه ضعيفاً يحتاج لغيره، فذلك المقال للمسن فعند كبره يصبح مفتقر لغيره في تحقيق حاجياته،

فالشارع راعى الجانبين، ووضع ما يكفل تحقيق مصالحهما، وبهذا يتحقق الاستخلاف والكرامة التي منحها الله لبني الإنسان وعلى كل واحد منا أن يعلم أنه قادم إلى محطة الشيخوخة، وهو يسير في قطار الحياة، وعليه من الآن أن يُحسن لوالديه اللذين سبّاه؛ ثم للمسن في المجتمع سواء كان من عائلته أو من أقاربه أو مجتمعه حتى يجد من أبنائه من يحسن إليه ويرعاه، عندما يصل هو يوماً إلى نفس المحطة، محطة الشيخوخة؛ ليكمل رحلة الحياة وهو يبتسم.

اقتراحات لهذه الفئة من المجتمع

بناءً على ما سبق أقترح أفكاراً بسيطةً أقدمها لأسرة المسن ومجتمعه ولو بشكل يسير لعلها تساهم في خدمة هذه الفئة الحساسة من المجتمع وهي أفكار للأسرة ثم المجتمع.

دور الأسرة في رعاية المسنين

الأسرة باعتبارها الخلية الأساسية في المجتمع، تعكس ما يتصف به من حركية ومن تماسك أو تفكك، ويضل الفرد عضواً في الأسرة مرتبطاً بها طالما استمرت به الحياة، فلا يقتصر انتماءه لها وتفاعله بها على مرحلة معينة من حياته، بل يظل التفاعل مستمر في شتى مراحل عمره مع اختلاف في الدرج، ولذا يحتاج المسنون للرعاية الأسرية بعد أن طالته يد الزمن تاركة فيهم تغيرات جسدية ونفسية. فهل تكون دور العجزة هي المكافأة المنتظرة لهم بعد رحلة الشقاء وفناء العمر؟

وفي نظري تتميز الرعاية الأسرية بما يلي:

- توفير الدفء للمسن في العائلة والإحساس بالأمن والاستقرار.
- عدم عزل المسن عن بيئته وتجنبيه مشاعر النبذ وتوفير فرص التفاعل الطبيعي له مع الأبناء والأزواج والأقارب.
- عدم تخلي المسن عن أداء العديد من أدواره الاجتماعية داخل الأسرة.
- ممارسة المسن داخل مناخ الأسرة العديد من النشاطات الأسرية المشتركة كتناول الوجبات مع أعضاء الأسرة والزيارات - الأخذ برأي المسن في المواضيع المختلفة.

- تكليفه ببعض المسؤوليات العائلية.

- إشراك المسن بالمناسبات الاجتماعية والعائلية.

- محاولة البحث في أسباب الحزن والضيق ومساندته للتخلص منها.

- إحاطة المسنين بالرعاية الصحية الشاملة.

- إشراف الطبيب على المسن يعزز الصحة الجيدة لديه.

وهذا شيء بسيط من حقوق المسنين من قبل الأسرة والعائلة التي يجب أن يهتموا بهم ذويهم لأن المسنين هم عماد العائلة والأسرة، ولولاهم لما كانت هذه الأسرة.

دور الدولة والمجتمع في رعاية المسنين

- **إنشاء أندية رعاية نهارية للمسنين:** بمثابة مراكز نهارية يتم من خلالها تقديم الخدمات المختلفة لكبار السن بهدف قضاء وقت ممتع واستثمار أوقات فراغهم كجزء من رد الجميل لما قدموه من عطاء في خدمة مجتمعاتهم بجانب خدمة أسرهم الصغيرة. وتقدم هذه الأندية برامج وأنشطة متعددة (اجتماعية - صحية - ثقافية - نفسية - دينية... الخ) بجانب الرحلات والمصايف ورحلات الحج والعمرة والتدريب على بعض المشغولات والأعمال اليدوية.

- **مكاتب خدمة المسنين:** (داخل دور وأندية المسنين) وهى خدمة تهدف الى خدمة المسنين بمنزلهم سواء من أعضاء النادي أو من خارجه وذلك عن طريق توفير احتياجات المسن المقيم داخل منزله بدون عائل أو داخل أسرة طبيعية وعلى سبيل المثال (توفير وجبات غذائية جاهزة - ورعاية صحية من خلال توفير بعض التخصصات الطبية التى يحتاجها المسن - بالإضافة إلى توفير احتياجات المسن المنزلية مثل: سباكة، كهرباء، نجدة المسن عند الضرورة..إلخ).

- **فتح منافذ جديدة ببعض وحدات خدمات المسنين:** لصرف المعاشات تخفيفاً من عبء ازدحام المكاتب التأمينية ومكاتب البريد بالإضافة إلى توصيل المعاشات لغير القادرين صحياً في منازلهم

- **جلس المسن والمسنة:** وهو القيام بتدريب جليس وجليسة المسن من خلال الجمعيات الأهلية (جمعية الهلال الأحمر، وجمعية تدعيم الأسرة، والجمعيات العامة لتدريب العاملين في ميدان الطفولة والأسرة) كما تتيح فرص عمل لشباب الخريجين من هذه الجمعيات من طرف الأسر التي لديها مسن ترغب في توفير الرعاية المنزلية له أو داخل دور الإقامة للمسنين التى ترغب في الاستعانة بهم.

- **خدمة وحدات العلاج الطبيعي:** وهي خدمة ملحقة بوحدة خدمة المسنين (دور- أندية) حيث يحصل المسن فيها على جلسات العلاج الطبيعي واللياقة البدنية بأجر رمزي بالإضافة إلى استفادة المسنين الموجودين داخل أسرهم الطبيعية المقيمين بالمنطقة الواقع بها النشاط بحصولهم على الخدمات بأجر مخفض.

- **الاحتفال باليوم العالمي للمسنين:** وتأخذ هذه الاحتفالات المظاهر التالية:

- أ- احتفالات ومهرجانات.
- ب- ندوات ومؤتمرات.
- ت- افتتاح مشروعات جديدة في مجال رعاية المسنين.
- ث- إقامة معارض لعرض منتجات المسنين بالدور والأندية.
- ج- دراسات وبحوث في مجال رعاية المسنين لتطوير الخدمة المقدمة.
- ح- إعلانات إخبارية وملصقات على المستوى المركزي والمحلي.
- خ- تكريم المسنين المتميزين في العطاء ولهم دور بارز في المجتمع.
- د- تكريم وحدات الخدمات المتميزة من دور وأندية.
- ذ- تكريم بعض المهتمين بتقديم الخدمة للمسنين.
- ر- الحصول على قرار سيادي يهدف إلى إلزام الجهات المانحة للخدمات من الوزارات والهيئات والمنظمات في تقديم تيسيرات لكبار السن.

وأخيراً: على كل واحد منا أن يعلم أنه قادم إلى محطة الشيخوخة، وهو يسير في قطار الحياة، وعليه من الآن أن يُحسن لوالديه اللذين سبّاه؛ حتى يجد من أبنائه مَنْ يحسن إليه ويرعاه، عندما يصل هو يوماً إلى نفس المحطة، محطة الشيخوخة؛ ليكمل رحلة الحياة وهو بيتسم.

المصادر والمراجع

- ١- لسان العرب، للعلامة ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، دار صادر، بيروت، ١٣/١٧، مادة (سنن)، ط١، سنة ١٤١٠هـ، (٢٩٢/١٢).
- ٢- رعاية المسنين بين العلوم الوضعية والتصور الإسلامي د. مصطفى محمد أحمد الفقي، المكتب الجامعي الحديث، جامعة الأزهر، ت ٢٠٠٨، ص ٢٤/٢٥.
- ٣- الرعاية الاجتماعية في السنة النبوية، بحث مستكمل لدرجة الماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، إعداد الطالب وليد إبراهيم الرباوي، إشراف أ. د: نافذ حسين حماد، ت ١٤٢٠هـ/٢٠٠٩م، ص ١٢٤.
- ٤- المرجع نفسه، ص ١٣٥.
- ٥- دعوة المسنين إلى الله تعالى - دراسة تأصيلية -، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الدعوة إلى الله تعالى-جامعة الإمام محمد بن سعود-، إعداد: حسن بن يحيى الشهري، إشراف د. إبراهيم بن صالح الحميدان، ت: ١٤٢٧/١٤٢٨هـ، ص ٤٥.
- ٦- المرجع السابق، ص ٤٦.
- ٧- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن يزيد بن جرير الطبري، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، سنة ١٣٨٨هـ (٢٠/٢٤٤).
- ٨- تفسير القرآن العظيم. إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، دار الباز، مكة المكرمة، (٥٧٧/٢).
- ٩- الفقه الإسلامي وأدلته، د. وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، سورية، ط٤، ١٤١٨هـ، ج ٢، ص ٩٥.
- ١٠- الفقه الإسلامي وأدلته، د. وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، سورية، ط٤، ١٤١٨هـ، ج ٢، ص ٩٧.
- ١١- صحيح مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، باب من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة، ج ٤/ ص ١٩٧٨ حديث رقم ٢٥٥١.
- ١٢- مسند أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، عالم الكتب، بيروت، ط١، ت: ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، تحقيق السيد أبو المعاطي النوري، ج ٢/ ص ١٨٨، حديث رقم ٦٧٦٥.
- ١٣- الترمذي في سننه، ج ٤/ ص ٣٢٢ حديث رقم ١٩٢١.
- ١٤- صحيح البخاري في الأدب المفرد، ج ١/ ص ١٣٠ حديث رقم ٣٥٧.
- ١٥- سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ت: ١٩٩٨م، أجزاء ٧، عليها حواشي وتعقيبات الشيخ: عبد الرحمان الفقيه، تحقيق: بشار عواد معروف، ج ٤/ ص ٢٧٣، حديث رقم ٢٠٢٢.
- ١٦- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، دار ابن كثير، اليمامة-بيروت-، ط٣، ت: ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، باب بدأ الوحي، ج ٨/ ص ٩.
- ١٧- البخاري في صحيحه، باب بدأ الوحي، ج ١/ ص ١٨٠.
- ١٨- تعني: «استقلال الأبناء بزواجهم وأولادهم في منازل مستقلة، انظر: كتاب رعاية المسنين في الإسلام، د. عبد الله السدحان، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، سنة ١٤١٨هـ، ص ٨.
- ١٩- تعني: (الأسرة التي تضم الجد والأب والأبناء وزوجاتهم وأولادهم في منزل واحد) انظر: المرجع السابق الصفحة نفسها.
- ٢٠- ينظر الرعاية الاجتماعية في السنة النبوية، ص ١٣٤.
- ٢١- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ت: ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ابن حبان في صحيحه، باب حق الوالدين، ج ٢/ ص ١٤٢.
- ٢٢- ينظر الرعاية الاجتماعية، ص ١٣٥.

القضايا البحثية في مجالات السياسة الواقع والطموح

أ. د. أحمد محمد زايد*

مشكلة البحث

مشروعة كان ينبغي أن تجيب عنها المادة من خلال مفرداتها، لكنها خلت تماماً من ذكر شيء عن السياسة الإسلامية كنظام يمكن أن يحكم واقع الأمة، يتخرج هؤلاء الطلاب والدارسون وليس في خلفياتهم إلا تلك الصورة التاريخية التي سريماً ما تنسى لأن الانفصال بينها وبين الواقع جلي واضح.

بينما تتضخم جداً الدراسات السياسية بنظرياتها المتعددة في كليات العلوم السياسية ولا تأخذ النظرية السياسية الإسلامية فيها حظاً وافراً، فأصبحنا بين خطرين:

درست سنوات عديدة طلاب جامعة الأزهر وبعض الجامعات الأخرى في الخليج مادة «النظم الإسلامية» وكان النظام السياسي أحد أهم الموضوعات التي تناولتها هذه المقررات، وكنت أشاهد في عيون الدارسين والدارسات ملامح التعجب حيث يعيشون من خلال هذه المادة مع التاريخ والماضي دون أن يلتصقوا بالواقع الذي يتحركون فيه ويشهدون متغيراته المحلية والعالمية، وبذكاء الشباب كانوا يطرحون تساؤلات عن كفاءات تطبيقية لما يدرسون، ما شكلها؟ وما أحكامها؟ وهل هي موجودة في الإسلام أم لا؟ تساؤلات

• أستاذ الدعوة والنظم الإسلامية بجامعة الأزهر وجامعة قطر. zayd1969@gmail.com

الأول تخريج أناس تراثين في دراساتهم السياسية من الوجهة الدينية وفوق ذلك لم يطلعوا على غير النظريات السياسية الإسلامية التراثية مما هو شائع في عالم اليوم، فابتعدوا عن الواقع السياسي من كل وجه.

الثاني : تضخيم تعلم النظريات السياسية غير الإسلامية على حساب النظرية الإسلامية فعشنا مع الواقع بعيداً عن أصولنا التي ننتمي إليها، فكانت الأزمة والفجوة.

ثم جاءت ثورات الربيع العربي وتحولت قوى إسلامية من حالة المعارضة إلى حالة التحكم والتنفيذ فشكّلوا برلمانات ووزارات بل حتى رشّحوا رؤساء وتطلع الناس إلى النموذج السياسي الإسلامي ليقفوا على ملامحه التطبيقية ونجاحاته أو إخفاقاته، وكانت تجربة ثرية حملت كثيراً من الدلالات حلوة ومرّة، تجربة تحتاج من كل منظري السياسة أن يتأملوها تحليلاً ودرساً.

فإذا تحدثنا عن نظريتنا السياسية الإسلامية وقضايانا البحثية فيها على مستوى التنظير فإننا بحاجة ماسة إلى كثير جداً من المراجعات والتنقيحات وإعادة النظر في كثير من أفكارنا وخلفياتنا العلمية في هذا الإطار.

وإذا تحدثنا على مستوى التنفيذ التي بدت بعض أطرافه بعد ثورات الربيع العربي فإننا كذلك نحتاج بشدة إلى التقييم والتصحيح والنقد والاستفادة من تلك التجارب التي لم تكتمل بعد.

وهذا البحث يعالج طرفاً من واقع القضايا البحثية في المجال السياسي كأحد محاور هذا المؤتمر، حاولت أن ألقى ضوءاً ولو يسيراً على بعض ملامح الواقع التنظيري للقضايا السياسية، كـ «واقع» وأن أطلق الفكر لخوض مسائل وبحث قضايا وحل إشكالات في ذات السياق كـ «مطلوب» وأمل وطموح.

وجعلت عنوانه : «القضايا البحثية في مجالات السياسة الواقع والطموح».

وجاء بناء الورقة في مبحثين على النحو:

المبحث الأول : واقع القضايا البحثية في المجال السياسي.

المبحث الثاني : أفق جديد في القضايا البحثية في المجال السياسي.

المبحث الأول: واقع القضايا البحثية في المجال السياسي

مما هو معروف سلفاً أن هناك أزمة في عالمنا العربي والإسلامي، أزمة فكر قبل كل شيء وقد كتب الكثيرون حول طبيعة هذه الأزمة من جانب أسبابها ومظاهرها وحاول الكثير بعد التشخيص أن يضع الحلول والعلاجات.

ولم تنحصر هذه الأزمة في مجال فكري دون آخر وخير دليل على ذلك هو ذلك المؤشر الواقعي الدقيق الذي يظهر ترتيب الجامعات العربية والإسلامية بين جامعات العالم والجامعات هي تلك المؤسسات التي تخرج العلماء وتنتظر للقضايا في كافة مجالات الحياة وبالتالي سيكون المخرج والمنتج (الفكر + الإنسان) دليلاً على الحالة العامة للفكر والعلم في بلادنا.

نظرتان إلى الواقع السياسي العالمي

الواقع السياسي العالمي واقع متشابك إلى درجة التعقيد وذلك بحكم الأطراف الصانعة له والمؤثرة فيه والمتأثرة به، واقع ليس من اليسير إدراكه وتحليله وتحديد طرق التعامل معه فله سمات كثيرة ومتعددة ومن هنا رأينا كيف أن المجتمعات تعددت أشكال وطرق ومناهج تعاملها مع هذا الواقع نظرياً وعملياً.

وهنا أستطيع القول بأن هناك فارقاً كبيراً بين طرائق تعامل مجتمعاتنا العربية والإسلامية مع الواقع العالمي وبين المجتمع الغربي في هذا الشأن.

فكثيراً ما ننظر وبالتالي نتعامل مع الواقع السياسي - على المستوى النظري الأكاديمي - بصورة الاجتزاء والارتجال، بينما غيرنا يتعامل مع هذا الواقع - على نفس المستوى - بصورة مختلفة تماماً هي الشمول والتخطيط، والدليل على ذلك يظهر بالمقارنة بين مراكز البحوث والدراسات في بلداننا وعند الغرب.

فلو عرفنا مثلاً أن مؤسسة كمؤسسة «راند»^(١) الأمريكية تنفق على دراسة لها سنوية ربما لا تتجاوز أوراقها مائة ورقة تنفق عليها ما يزيد على ١٥٠ مليون دولار فنتج رؤية

(١) مؤسسة بحثية أمريكية تأسست سنة ١٩٤٥ في أعقاب الحرب العالمية الثانية وأشهرت فعليا عام ١٩٨٤ في شهر مايو وكلمة «راند» هي الحروف الأولى من جملة Research and development أي البحث والتطوير، وهي مؤسسة تطورت هذه المؤسسة حتى صارت من أكبر المؤسسات البحثية الإستراتيجية في العالم وهي قريبة جداً من صناع القرار في الولايات المتحدة الأمريكية ولها تأثير واضح على هؤلاء، وأصبحت تمنح لدارسها درجة الدكتوراة في التحليل السياسي، وكان لها دور كبير في الحرب الباردة وحرب فيتنام وحرب العراق يراجع البحث المطول حول مؤسسة راند بعنوان: (تقرير مؤسسة راند إسلام حضاري ديمقراطي/ شركاء وموارد واستراتيجيات) دراسة تحليلية للباحث صالح بن عبد الله الغامدي وهي رسالة ماجستير من كلية أصول الدين جامعة أم القرى.

سياسية تحليلية عميقة تمثل مخططاً تعتمد الولايات المتحدة الأمريكية في عملها العالمي وحركتها بين الدول، وأشارت بعض الدراسات الجادة أن المراكز البحثية في النطاق العالمي يبلغ عددها ٣٥٠٠ مؤسسة بحثية أو معهد دراسات سياسية^(٢)، وليست العبرة بكثرة عدد هذه المراكز والمعاهد إنما العبرة بكون هذه المراكز والمعاهد تؤثر تأثيراً مباشراً على صناعات القرار في الدول الكبرى ذات الحضور القوي في العالم، الأمر الذي يختلف عندنا كثيراً من حيث أثر مراكزنا البحثية لدى صناعات القرار عندنا.

آفة المنهجية البحثية في مجال السياسة

وبما أن هذا المؤتمر يعالج في أحد محاوره «واقع المنهجية البحثية في القضايا السياسية» كان من الضروري أن نقف على واقع تلك المنهجية ونشخص داءها حتى نضع على الدواء، وهنا أشير إلى بعض ملامح القصور والآفات التي تعتور منهجيتنا في الجانب النظيري في المجال السياسي الإسلامي وسأركز هنا على ثلاثة آفات رئيسة حسب طبيعة البحث:

الأولى: الإفراط والتفريط

أريد بالإفراط الجمود والنظرة التراثية في معالجة القضايا السياسية، حيث إن كثيراً ممن صنفوا في المجال السياسي - وبخاصة على المستوى الأكاديمي في الجامعات - لم يتجاوزوا المكتوبات الموروثة، ولم يضيفوا جديداً إلى نتاج الأقدمين في ظل حالة واقعية متغيرة إلى حد كبير من قضاياها واحتياجاتها، بدت هذه الآفة نظرياً في الوقوف مع كتب التراث وضعف إدراك طبيعة المجال السياسي الإسلامي - كما بدت عملياً في ضعف التجربة العملية في استحضار تجارب تاريخية مع الفارق الواقعي الهائل بين الواقع والماضي التاريخي.

وإن أردت مثلاً على هذا فأنت بين كتب تتناولها أيدي طلاب جامعاتنا لا تزال تتكلم عن العصور والخراج وبيت المال والجزية والمكوس وغير ذلك في حين يتحرك الناس في عالم اقتصادي يحمل صوراً ومصطلحات جديدة فهناك البنوك والبورصة والموازنة والميزانية والضرائب والجمارك وغير ذلك.

(٢) يراجع: دونالد أبلسون: هل هناك أهمية للمؤسسات البحثية؟ تقييم تأثير معاهد السياسة العامة ترجمة ونشر مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ص(٧)، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.

وأما التفريط فيظهر في دعاة الحداثة المطلقة التي يرد أصحابها الانسلاخ من كل مواردنا التراثية والانطلاق بعيداً عن هذا الزخم التراثي الهائل الذي يمكننا البناء عليه والانطلاق من أصوله والاستفادة من إيجابياته وسلبياته، ونحن مع التجديد الذي لا ينكر الماضي ومع الحداثة التي لا تتنكر للأصول، أما الحداثة المطلقة غير المنضبطة لها عدة مشاكل وسلبيات منها:

- البدء من لا شيء والتحرك من نقطة الصفر.
- الانطلاق من أرضية مخالفة للهوية العربية الإسلامية.
- الرفض الواقعي لنظريات الحداثة المطلقة حيث لا يزال العرب والمسلمون مستحضرين أصالتهم حريصين على هويتهم، وبالتالي لن تنجح محاولات الحداثيين بهذا المعنى التفريطي في صياغة نظريات تخالف الأصول وتناوئ الهوية.

الثانية: التقصير في تحرير قضايا سياسية إسلامية

تعددت القضايا التي تحتاج إلى بحث ودراسة في تراثنا حتى تقدم للناس والساسة في ثوب جديد يتناسب مع الواقع مع نظرة إسلامية حاكمة، وهنا تفاوتت أنظار الباحثين في الفكر السياسي الإسلامي في هذه القضايا فالبعض قصر في البحث والبعض لم يجرؤ على إبداء الرأي فيها والبعض فضلت تلك القضايا محل تردد أو غموض عند الكثيرين وبالتالي لم تكتمل النظرية السياسية الإسلامية المقدمة للناس اليوم بالصورة المرضية، وسأضرب بعض الأمثلة لتلك القضايا:

- قضية التعددية السياسية في المجتمع الإسلامي.
- ولاية المرأة.
- حكم تكوين الأحزاب.
- المواطنة.
- قضية تطبيق الشريعة مفهومها وكيفيةها وحكم التدرج ومفهومه وتطبيقاته.
- التحالفات السياسية.
- الديمقراطية كأسلوب سياسي.
- العمل السياسي للمرأة وحدوده.
- غير المسلمين في البلدان الإسلامية وما يتصل بهم من حقوق وحكم ولاياتهم والاستعانة بهم.

- قضايا الاقتصاد العالمي وكيف تتكيف الدول الإسلامية معه وما هو المشروع والممنوع في هذا الجانب؟
- مسألة الردة والموقف الإسلامي منها في ظل عالم متغير.
- وكثير من قضايا الجهاد كجهاد الطلب ما هو وما حكمه وما كلفيته؟ وهل هناك ما يسمى فعلاً بهذا الاسم في الإسلام؟ أم ماذا؟
- قضية الولاء والبراء وتطبيقاتها في السياسة الإسلامية.
- قضية البيعة وحدودها ومفهوم الخروج عليها.
- قضايا عزل الحكام وما يتصل بها.

وعشرات المسائل والقضايا المتعلقة بالجانب السياسي اليوم في ظل عالم متغير لم تحرر التحرير المقنع الذي يجعل رجل السياسة المسلم يطمئن إلى ممارسات صحيحة تتوافق مع معتقده وفكره.

الثالثة: الضعف الشديد في البحوث الاستشرافية المستقبلية

بعد أن أصبحت الدراسات الاستشرافية (علم دراسات المستقبل) أصبحت تلك الدراسات علماً يدرس في أروقة الجامعات العالمية وتقوم بالبحث فيه مراكز ومعاهد عالمية في ذات الوقت نجد ضعفاً واضحاً في بحثه في بلادنا، مع أن مثل هذا العلوم تقوم عليه خطط بناء الشعوب وتطوير الدول وتتلافى به دول كثيرة مخاطر ومشكلات عدة وتكسب به مواقع ومواقف كثيرة بسبب تلك الدراسات الاستراتيجية المستقبلية. وبالتالي فقدنا جزءاً من السلسلة التي كان ينبغي أن تمتد من الماضي إلى الحاضر إلى المستقبل.

المبحث الثاني: آفاق في القضايا البحثية في السياسة

سبق وأن أبيت في المبحث السابق بعض الملاحظات في الجانب البحثي المتعلق بالقضايا السياسية من الوجهة الإسلامية تعبر عن وجه من وجوه الوقع الفكري والتنظيري السياسي، وإذا كان توصيف الداء أمراً ميسوراً أحياناً وهاماً فالأهم بعد ذلك وصف الدواء الناجح، وهنا أضيف بعض المسائل وأطرح بعض الآفاق التي أعتبرها جزءاً من النهوض بواقع قضايانا البحثية في الجانب السياسي وتتمثل في النقاط التالية :

أولاً: إدراك طبيعة المجال السياسي في الإسلام

والمقصود أن القضايا الإسلامية ليس على نمط واحد من ناحية الخصائص حيث لا تتساوى كلها في الطبيعة التشريعية فالعقائد والعبادات والأخلاق تختلف عن الجانب الدنيوي كمجال السياسة والاقتصاد وسائر الجوانب غير العقائدية والعبادية والأخلاقية، حيث تمتاز تلك الثلاثة الأخيرة بكونها وردت عن طريق الوحي جملةً وتفصيلاً فليس لنا أن نجتهد في شيء منها وما علينا إلا الإيمان بها والعمل على تطبيقها وامتنال أحكامها، وذلك لأنها من الثوابت التي لا تتأثر بتغير الزمان والأحوال، أما أمور الدنيا ومنها بل وعلى رأسها الجانب السياسي فطبيعة التشريع فيها آخذة صفة التشريع العام ذي القواعد والضوابط الكلية دون الدخول في تفاصيل تشريعية نظراً لأن هذه التفاصيل متغيرة متجددة فيترك فيها لعقول المجتهدين من المتخصصين باب الاجتهاد والبناء على قواعد الكلية وقضاياها العامة.

وعبارات العلماء الدقيقة دالة على أننا لا ينبغي أن نتطلب في كل أمر سياسي نصاً شرعياً وإنما المقصود أن نتحرك حركة محوراً تحقيق المصالح ودرء المفساد يظهر ذلك من تعريف الفقيه الحنبلي علي بن عقيل (ت ٥١٣هـ) لمصطلح السياسة حيث يعرفها بقوله: «السياسة ما كان فعلاً يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح، وأبعد عن الفساد، وإن لم يضعه الرسول ﷺ، ولا نزل به الوحي»^(٢).

ومعنى هذا أن الوقوف على صور تطبيقية في مجال السياسة والحكم أو الجمود على مسائل نظرية غير مجمع عليها بين أهل السياسة الشرعية وترداد ذلك في الكتب والمصنفات على أنها هي السياسة الشرعية أمر غير مقبول لأننا نقلنا المتغيرات حينئذ إلى ثوابت وبالتالي تجمد الفكرة السياسية الإسلامية وتتوقف.

ولذلك كانت هناك ضرورة ملحّة للنظر في كل ما دون في تراثنا الإسلامي لنقف على قواعد الكلية الشرعية المتفق عليها فلا نتقدم عنها ولا نتأخر، ثم نأتي على التطبيقات التاريخية المختلفة عبر العصور وننظر في مدى ملاءمتها للواقع المعاصر من عدمها. وهذا يفتح باباً جيداً لتقييم حركة الحياة قديماً وتقديم ما يناسب الحياة المعاصرة من تاريخنا بروح العصر لا بروح التجربة الماضية التي ربما لا تتفق وواقعنا.

(٢) ابن القيم، الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية، تحقيق محمد جميل غازي، القاهرة، مطبعة المدني، ١٩٧٧م، ص ١٧٧.

ثانياً: إدراك طبيعة المجال السياسي في الجانب العملي

إذا تصورنا الطبيعة التشريعية في المجال السياسي على نحو مما أشرنا في النقطة السابقة، وجب أن نتصور كذلك طبيعة الجانب العملي التنفيذي في هذا المجال وأتصور أنها تتمثل في النقاط التالية:

- اختيار الأعم بمصالحها الأقدر على القيام بمسؤولياتها
- تحقيق مصالح الخلق هي المقصد العام من الشريعة فلا بد وأن تدار الحياة متمحورة حول هذه الغاية وذلك المقصد، ولا تتحقق تلك المصالح دائماً مع الرجل المؤمن إن كان ضعيفاً أو جاهلاً، والصورة المثلى أن يكون الرجل قوياً أميناً عارفاً بالمصلحة قادراً على تحقيقها في الخلق ذا دين، ولهذا أصل في دين الله أفنى بمضمونه العلماء حيث يقول العز بن عبد السلام - رحمه الله تعالى - حيث قرر أنه لا بد أن يقدم لكل ولاية الأعرف بمصالحها الأقدر على القيام بها وليس كل ولاية يشترط لها العدالة.

لابن تيمية كلام في ذات المعنى ففي كتابه السياسة الشرعية نجده يقول: «اجتماع القوة والأمانة في الناس قليل»، ولهذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: اللهم أشكو إليك جلد الفاجر، وعجز الثقة، فالواجب في كل ولاية، الأصلح بحسبها. فإذا تعين رجلان أحدهما أعظم أمانة، والآخر أعظم قوة، قدم أنفعهما لتلك الولاية: وأقلهما ضرراً فيها، فيقدم في إمارة الحرب الرجل القوي الشجاع، وإن كان فيه فجور فيها، على الرجل الضعيف العاجز، وإن كان أميناً، كما سئل الإمام أحمد: عن الرجلين يكونان أميرين في الغزو، وأحدهما قوي فاجر والآخر صالح ضعيف، مع أيهما يغزو؟ فقال: أما الفاجر القوي، فقوته للمسلمين، وفجوره على نفسه، وأما الصالح الضعيف فصلاحه، لنفسه، وضعفه على المسلمين، فيغزي مع القوي الفاجر. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر [وروي] بأقوام لا خلاق لهم. فإذا لم يكن فاجراً، كان أولى بإمارة الحرب مما هو أصلح منه في الدين، إذا لم يسد مسده»^(٤).

(٤) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية لابن تيمية، طبعة مطبعة المدني، القاهرة.

ثالثاً: الانفتاح والمشاركة

يقتضي الوضع التنفيذي للمسألة السابقة انفتاح المسلمين في الجانب التطبيقي على الآخرين سواء أكانوا أقلية في دولة غير مسلمة أو كانوا في دولة مسلمة امتلكوا فيها ناصية الحكم حيث يجب عليهم أن يتحركوا لمشاركة غيرهم في حالة كونهم أقلية في بلد مسلم ولا يستكفوا عن ذلك بحجة أن من سيدخلون معهم غير مسلمين فإن مصالح الخلق لا يشترط لتحقيقها إلا العدالة والقدرة عليها دون النظر إلى حالته الدينية اللهم إلا في أمر الولاية العظمى حيث يشترط في الولاية على المسلمين أن يكون ممثلها والقائم بها مسلماً.

وفي البلدان الإسلامية نقول إن من الأخطاء الفادحة أن يستأثر الإسلاميون أو أصحاب «الإسلام السياسي» كما يحلو للبعض أن يسميهم بذلك من الخطأ أن يستأثر هؤلاء بكل مفاصل ومناصب وإدارة الحياة السياسية لاستحالة أن يقوموا هم بذلك كله وحدهم، ولأن الآخرين من غيرهم فيهم الأكفاء الأقدر على تحقيق مصالح الخلق ربما من هؤلاء الإسلاميين، ولذا لا بد من الانفتاح نظرياً على كل مكتوبات الدنيا في الفكر السياسي وعملياً على كل القوى «الوطنية» الصادقة التي تحرص على المصلحة الوطنية العامة دون نظر إلى درجة دينهم أو انتمائهم الفكري بل حتى إلى دينهم ما داموا مخلصين للأوطان.

رابعاً: اعتماد المؤسسة

والمؤسسية كذلك مطلب في الجانب السياسي في شقيه النظري والعملي.

فنظرياً: يجب أن تبحث قضايانا السياسية بصورة العقل الجماعي من خلال مؤسسة بحثية تقوم على خبرات الخبراء وفكر العلماء بعيداً عن الأعمال الفردية إن كنا نريد أن ننتج فكراً عميقاً ونظريات مؤثرة جامعة، وليس معنى هذا إهمال البحث الفردي، لكن المؤسسة هي الروح التي تحقق الغايات الكبرى بعيداً عن النظرة الفردية أو العمل العشوائي.

وعملياً: ينبغي أن ننحي فكرة «السوبر مان» العالم بكل شيء القادر على كل شيء الذي كلامه لا يرد ولا يناقش، بل لا بد في المؤسسات السياسية أن تؤثر روح الشورى والرجوع إلى أهل الذكر مع احترامنا للقائد والزعيم السياسي الفرد بشرط ألا يطنى هذا الاحترام على روح العمل المؤسسي.

خامساً: الدراسة لا الاستنساخ

للأمة تاريخها الطويل في التجارب السياسية وللأمم أيضاً تجاربها الذاخرة سواء في الماضي أو الحاضر، والمطلوب الدراسة المتأنية لهذه التجارب مجتمعة والاستفادة منها بما يناسب ثوابتنا ويحقق مصالحنا دون استنساخ لتلك التجارب لاعتبارات كثيرة.

سادساً: ملاحظة القوانين الكونية والسنن الطبيعية والنواميس الإلهية

في التنظير السياسي وكذلك التطبيق العملي لا بد من مراعاة أننا عندما ننظر لقضية سياسية يجب مراعاة القوانين الكونية والسنن الطبيعية والنواميس الإلهية في حركة الحياة، فلا نصطدم بها ولا نحاول تجاوزها أو إهمالها لأنها غالبية والاستفادة من هذه القوانين والنواميس ومراعاتها يجعلنا في موقف القوة فمثلاً:

- اختلاط السياسة بالظلم والجور مؤذن بضعف وخراب (قانون مشاهد في الماضي والحاضر).

- العدل يحقق الرخاء والأمن (قانون طبيعي مشاهد في التاريخ والحاضر).

- الأخذ بالأسباب قانون عام تترتب النتائج عليه غالباً (قانون).

- الشعوب أقوى وأبقى من الأنظمة (قانون).

وهكذا فأى تنظير ينحو منحىً مخالفاً لذلك مصيره الفشل، وأي حركة تهمل ذلك مصيرها الضياع.

سابعاً: التفريق بين الشعوب والأنظمة وضرورة تسجيل دور الشعوب كفاعل رئيس في الحراك السياسي

من أخطر وأسوأ ما وقع في البحث السياسي أو التاريخي هو إبراز دور الحكام والسياسة وإغفال دور الشعوب، مع أن ٩٠٪ من الفعل السياسي والاجتماعي والاقتصادي وغيره فعل شعبي تتجلى فيه كل المعاني التي نحتاجها في حراكنا السياسي وبالتالي فإن إغفال هذا الدور الممتد الواسع للشعوب أو ما أسميه «السياسة الشعبية» والتنظير على أساس إهمال هذا الجانب الممتد هذا قصور بالغ بل وإساءة حقيقية لمعاني السياسة ومعاني التاريخ ومعاني الإنسانية. ولذا وجب أن نبرز دور الشعوب في حركة الحياة ونحن نصنع الفكر السياسي.

ثامناً: المعالجة العاجلة لقضايا ملتبسة

هناك قضايا مازلنا في عالم الفكر السياسي الإسلامي نقدم فيها رجلاً ونؤخر أخرى، فهناك العديد من القضايا التي لم تحرر بعد وقد أشرت إليها في المبحث الأول وهي من مواطن القصور حتى الآن لدينا منها قضية :

(المواطنة - المدنية والدينية والإسلامية - الدين والسياسة وإشكالية العالقة بينهما - حقوق غير المسلمين في المجتمعات الإسلامية - تطبيق الحدود متى وكيف - قضايا متعلقة بالجهاد والحرب - قضايا المرأة وحقوقها السياسية ودورها في العمل السياسي - قضايا التعددية السياسية في البلدان الإسلامية - قضايا التحالفات والمعاهدات -.. إلخ).

كثير من هذه القضايا لا ينبغي الهروب من تحريره وصياغته في ضوء بعض القواعد والمفترحات السابقة حتى نتقل خطوة إلى الأمام.

تاسعاً: نظرات تجديدية في تاريخنا الفكري التراثي

تلك هذه المسألة الأخيرة في ورقتي هذه وأقصد بها أن هناك عالماً كبيراً تراشياً جدد في نظراته السياسية حتى غدا فكره السياسي أقرب إلى واقعنا المعاصر في حالتنا الإسلامية.

هذه الحالة المقصودة هي حالة الإمام الجويني الشافعي في كتابه القيم «الغياثي أو غياث الأمم في التياث الظلم» مثل هذا الكتاب نقلة نوعية في الفكر السياسي من جانبين:

- نقده لبعض التراث السياسي الإسلامي «حيث نقد بقوة وحزم الإمام الماوردي وكتابه الأحكام السلطانية» فأسس بذلك قاعدة ينبغي اعتمادها في بحثنا السياسي وهو إعادة النظر فيما تركه الأسلاف دون تقديس أو تبخيس.

- أسس منهجاً جديداً يمكن أن أسميه منهج «الافتراض والتخيل» حيث افترض وتخيل مسائل هي واقعة الآن مثل مسألة:

- خلو الدنيا من إمام فمن يحكم حينئذ ومن يقوم مقام الإمام المنتخب.
- خلو الدنيا من مجتهد.
- حكم إمامين في زمن واحد.^(٥)

(٥) الغياثي أو غاث، الأمم في التياث الظلم للإمام الجويني ت/ أ.د. عبد العظيم الديب، الريان/مصر.

• حدود سلطة الحاكم في الأخذ من أموال الناس إذا لم تكف المواد المالية للدولة شؤون الأمة.

وغير ذلك فاعتبر ذلك دلالة على عقلية مفكرة منتجة في عالم السياسية والسياسة الإسلامية خصوصاً، وهذه حالة جديرة بالدراسة جديرة بالتأمل.
تلك نظرة عجلت على موضوع القضايا البحثية في المجال السياسي.
والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

أبرز المراجع

- ١- السياسية الشرعية في إصلاح الراعي والرعية لابن تيمية.
- ٢- الغياثي أو «غياث الأمم في التياث الظلم» لإمام الحرمين الجويني.
- ٣- قواعد الأحكام في مصالح الأنعام للعز بن عبد السلام:
- ٤- تقرير مؤسسة «راند» (إسلام حضاري ديمقراطي/شركاء وموارد واستراتيجيات) دراسة تحليلية للباحث / صالح بن عبد الله الغامدي.
- ٥- هل هناك أهمية للمؤسسات البحثية؟ تقويم تأثير معاهد السياسة العامة دونالد أبلسون. ترجمة ونشر مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية.
- ٦- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق محمد جميل غازي، ابن القيم.
- ٧- من فقه الدولة في الإسلام د. يوسف القرضاوي.

الأثر الإيجابي للاستشراق في الحفاظ على التراث العربي الإسلامي

أ.د. محمد عبد مرزوق

تمهيد

على مر تاريخ البشرية وبمختلف شعوبها وأجناسها وأعراقها هناك علائق تربطها ببعضها، وليست بدعاً ولا تخرج عن إطار التواصل البشري علاقة الشرق بالغرب بمختلف محطاتها. إلا أن الذي يميز هذه العلاقة هي الفوقية التي يتميز بها أحد الفريقين عن صاحبه، وقد نشأ من تداعيات هذا التباين في المستوى نبرة تحدّ انعكست تداعياتها على جل مفاصل حياة الفريقين بمختلف أزمانها.

قد يرويه إنساناً، لكنه همجي بدائي، عدواني إرهابي لا يصل ولا يجوز ولا يُقبل أن يصل إلى مرتبة البشر أو الإنسان الغربي، فهو يمثل تركيباً دونياً للطبيعة الإنسانية^(١).

ولا يتورع دارسي الغرب ومستشرقيه المتطرفين - وهم كثر - عن البوح ببعض ما يختلج في صدورهم كناية عن الخط العام لهذه العلاقة فيقول (ريموند لول) في ذلك «الإسلام لا يمكن أن يُتسامح معه!! إلا إذا أسكت خاضعاً خانعاً، وأنّ الحل الوحيد والنهائي له هو تحطيمه»^(٢).

وإذا كانت أدبيات المسلمين الحقّة ترفض جملةً وتفصيلاً هذا التعالي في نظرتها للشعوب فقد تنزع إليها أحياناً كردة فعل لغرب أمعن في فوقيته بنضرتة للإنسان الشرقي «إنها نظرة سلطوية فوقية، موجهة، عدائية، يرويه شيئاً فقط - جماداً أو حيواناً في حاجة إلى الترويض، وفي أحسن الظروف

• أستاذ مساعد كلية التربية للبنات- الجامعة العراقية. muhammed.abed@Ymail.com

ولسنا في محل تفصيل الحوادث التي عزاها المؤرخون أن تكون السبب في عدم استقرار هذه العلاقة وحيثيات اضطرابها إبتداءً من معركة مؤتة سنة ٨هـ/أغسطس- ٦٢٩م، ومروراً بحملات الراشدين ثم فتح الأندلس وأسيا الصغرى ثم الحدث الأهم المتمثل بالغزو الصليبي والذي له يعطي المؤرخون حصة الأسد في تذبذب العلاقة وجنوحها نحو عداء أبدي لا تكاد دبلوماسية اليوم وديمقراطيته تستطيع أن تهدأ من روعه، وسط دعم الغرب في نهاية المطاف لكيان سرطاني في قلب الشرق الإسلامي يضرب بعرض الحائط كل مثل الغرب وتشدقاته بالمساواة ونبذ العنصرية والتطرف.

إذن فهناك تعقيد راسخ تنكئ عليه العلاقة المريبة على مر عصورها ودهورها بين الشرق والغرب، والتي ترسم بأيديولوجياتها الغائرة آلياتها وخطها العام، برغم محطات الوثام والحوار التي تقف عندها والتي غالباً ما يكدر صفوها أسُ المشكلة وجوهرها الأيديولوجي والذي لا يعالج حتى الساعة.

على أن فترات الصراع نحت مناحي عديدة واتخذت أشكالاً متنوعة كان من أدواتها المهمة الفاعلة حركة الإستشراق والتي كانت تمهد الطريق وترسم مساربه، ومن هنا تكمن أهميتها في كونها لم تأت من فراغ أو سبب عابر بل هي الجزء الأكبر من الوجه الفكري- إن لم يكن كله- لهذه العلاقة وما يمكن أن ينضوي تحت هذا العنوان.

إلا أن الإستشراق لم يستطع أن يتعامل مع الثقافة الإسلامية من منطلق موضوعي كما تعامل مع الثقافات الشرقية الأخرى وذلك لان الموروث التاريخي ما زال راسخاً في الوعي الذاتي للشخصية الغربية التي تنظر للإسلام بتعال، وكان يمكن لهذه النظرة أن تتحول إلى منبر للتصالح وأداة للتقارب والتعايش بين حضارتين لو لم يذهب الاستشراق لسياسة مواجهة مبرمجة كانت نتاجاً طبيعياً لاختلاط الثقافة بالسياسة وتداخل الدوافع والاهداف.^(٢)

ولكي يكسب الغرب الجولة ويمسك بحلولها بعد أن ظن أنه خسرها لقرون غابرة فقد أثر أبعد له الجانب الفكري (الاستشراق) الحصاة الأكبر من الطريق، فدرس في جسم الشرق أنفه.

وعلى هذا نهضت أقلام مفكرية وشرعت همهمهم لدراسة نتاج هذا الغريم ووضعهم ضمن دائرة بحثه، ولهذا فإن دراسات المستشرقين الرصينة والتي تميزت بكفائتها وعلميتها جاءت بمعضمها خدمة لهذا النمط من التفكير في أنها وظفت لمعرفة إبداع الشرق والوقوف على كنه نتاجه للإفادة منه. وحتى يتحقق كل هذا، أرسل الغرب عقلية

مفكرية وخاصة علماء ولم ييخل عليهم بمال أو دعم وعلى كافة الصعد والمجالات، ومن هنا جاء ما أرادوه أن يبقى على حقيقته دون تحريف أو تزوير من أفضل النتائج.

كيف تتعاطى مع النتائج الاستشرافية

قبل أن تشرع هذه الدراسة في بيان جهود المستشرقين في خدمة التراث الإسلامي وما خطت أفلامهم بهذا الاتجاه هناك أسئلة مهمة طرحها بعض الباحثين تراها هذه الدراسة هامة ومساعدة في تقييم النتاج الإشتراقي وسط هذا الكم الغزير من أعمالهم، فنحن بحاجة إلى مزيد من التقويم الموضوعي لهذه النتائج وما صدر من المعاهد والمؤسسات الاستشرافية إذ لا يكفي أن نقف متفرجين، فهل نبدأ بتصحيح أخطاء المستشرقين التي شابت أعمالهم سواء كانت تلك الأخطاء بقصد أو سبق إصرار أم بدونه، هل نتهجم عليهم بلا أسلوب علمي رشيد فنغالط أنفسنا إذ يزيدهم ذلك قوة؟ هل نفتح قنوات الإتصال معهم وما أكثرها وسط تقدم دولهم والعالم تكنولوجيا وثقافياً؟^(٤)

وعلى هذا ينبغي لمن يتصدر لقراءة كتابات المستشرقين - مجرد القراءة - أن يتسلح بإطلاع يقيه مصائد المغفلين التي اعتاد كتابهم أن ينصبوها فوقع في شركها كثير ممن يدعي الحصافة والعقل الرشيد، فضلاً عن يتصدى للرد عليهم إذ ينبغي لمثل هؤلاء أن يطلعوا ويقفوا ملياً على خلفيات حركة الإشتراق وما جاءت له.

وإذا كان مفكرون يثنون في مواضع عديدة على نتائج المستشرقين العلمية والتي برزت امكانياتهم البحثية وقدرتهم - بما توفر لهم من أسباب البحث ودواعيه - فإنهم بذات الوقت يؤكدون أن المستشرقين «لم يعودوا يحتكرون هذه المنهجية بل نستطيع نحن الباحثين اليوم التعرف على آلياتها وتطويعها بكيفية أفضل لأن أذنه باستمرار كانت أذناً أجنبية تسمع الكلمة فتبحث عن معناها الإشتراقي والأصولي، وأما الأذن العربية فتقرأ وتسمع وتفهم».^(٥)

ولقد ولج المستشرقون السوح العلمية والثقافية الإسلامية بقوة وكتبوا في تراث المسلمين وأهل الشرق ودرسوه تحقيقاً ونشراً وتبويباً وتصنيفاً ووضعوا له الكشافات إذ بلغت مؤلفاتهم بعد سنة ١٨٠٠-١٩٥٠م نتاجاً ضخماً حيث وصلت تلك النتائج إلى ما يربو على الستين ألف مؤلف ما بين كتاب في الفلسفة والتاريخ والتصوف والأدب واللغة العربية^(٦)، بالإضافة إلى إصدار ما يزيد على خمسمئة دورية من ذوات العلاقة بالاستشتراق ويحدود ثلاثمائة دورية متخصصة دقيقاً به^(٧)، ناهيك عن المراكز ومعاهد الاستشتراق والدراسات العربية والإسلامية في آسيا وأوروبا وإسترااليا وأمريكا والتي تعد بالمئات^(٨) ثم

أنهم قاموا بترجمة الآلاف من مقتنيات وجواهر هذا التراث إلى اللغات العالمية فضلاً عن التوجيه والارشاد للاخذ بالمناهج الحديثة في البحث والدراسة وعرفوا الآخرين بحضارة العرب والمسلمين وتراثهم ومآثرهم فقدموا بذلك أشياء كثيرة نافعة لا يمكن تجاهلها.^(٩)

ومن ذلك إن للمستشرقين جهود تقدر كثيراً في تدوين التاريخ الجاهلي وفي كتابته بأسلوب حديث يعتمد على المقابلات والمطابقات ونقد الروايات، فقد أفادوا مما جاء عن العرب في التوراة والتلمود والكتابات الآشورية والبابلية والمؤلفات النصرانية واليونانية واللاتينية، كما أعادوا بعث الكتابات الجاهلية ونشرها بإعادة الحياة للخط الذي كتبت به الحياة آنذاك وجعلوه مقروءاً معروفاً، كما ترجموا النصوص إلى لغاتهم وهي وثائق من الدرجة الأولى، وقد أمكننا بفضل هذا المجهود المضني الحصول على أخبار دول وأقوام عربية لم يرد لها ذكر في الموارد الإسلامية، وقد ساعدتهم على كل ذلك علمهم بلغات عديدة كالعبرانية والسريانية والبابلية بحكم تقارب هذه الثقافات بما يسمى «الرابطة السامية».^(١٠)

ولمكانة هذه النتائج وعظم قيمتها علمياً أوصى مفكري الشرق ممن ولجها ووقف عليها بتبني آلية للاستفادة القصوى منها، وأنه من الخير للدارسين العرب والمسلمين أن يتقنوا على نتائج هؤلاء المستشرقين ليفادوا منها، إذ من الخطأ الكبير والفادح الحكم بادئ ذي بدء على ما يكتبه المستشرقون أنه شر مستطير وافتراء والحاد فذاك أمر ضرره عظيم، وإن الاطلاع على نتائجهم والافادة منه خير ألف مرة من تجاهله ثم بالمحصلة النهائية الجهل به.^(١١)

١- جهود المستشرقين في مجال إبراز الآثار والتنقيب عنها

ساهم المستشرقون بفاعلية في مجال التعريف بالآثار العربية والإسلامية وكان أحد الأعمال المهمة لهم في ذلك هوفك رموز الكلمات التي شكلت المفصل الأهم في هذا العمل إذ هو منطلق لقراءة ما موجود على الألواح والرقع والجدران، ومن بين المستشرقين الذين برزوا في هذا المضمار المستشرق الألماني (لتمن Enno Littmann, ١٨٧٥-١٩٥٨م) والذي عني بالنقوش العربية القديمة ومن نتاجه «النقوش السامية-١٩٠٤م» وهو بالإنكليزية، وكذلك «في حل رموز نقوش ثمودية -١٩٠٤م»، وله أيضاً «دراسة في النقوش العربية الشمالية القديمة -١٩٤٠م» وهو الذي كتب تقارير عن بعثة جامعة برنستون إلى الحبشة- ١٩١٠م وبعثة اكسوم ١٩١٣م.^(١٢)

ولعل اكتشاف حجر رشيد سنة ١٧٩٩م وفك رموز الكتابة في النصوص الثلاثة التي كتبت على هذا الحجر كان من الإنجازات التي أحدثت انعطافة قوية في صنيع الآثاريين من المستشرقين الفرنسيين، تقول المستشرقة الفرنسية روبير سولي والمستشرق دومنيك فالبل وهما مؤلفا كتاب حجر رشيد في مقدمتهما «ربما كانت حملة نابليون على مصر فاشلة عسكرياً وسياسياً. ولكنها كانت ناجحة علمياً وثقافياً فقد رافق الإمبراطور أكثر من مئتي عالم من شتى الاختصاصات وهم الذين أسسوا علم المصريات القديم وجمعوا معلومات هائلة عن وادي النيل وحضارته....»^(١٣)

ومن صنيع المستشرقين ومساهماتهم في إبراز تراث اليمن الجنوبية ما قام به البلجيكي (ريكمانس- Louis Constant De Gonzague Ryckmans) ١٨٨٧- ١٩٦٩م، حيث قام بنشر «سجل النقوش السامية» والذي يصير بعد مجلده الخامس مكرسا كله تقريبا للنقوش العربية الجنوبية اذ فيه ما يقارب ٢٥٠٠ نص ما بين سني (١٩٢٨-١٩٥٠) حيث صارت تلك النصوص معتمد الباحثين في نقوش العرب الجنوبية والتي تفصح ترجماتها عن حضارة بلاد العرب قبل الإسلام^(١٤).

ثم نشر ريكمانس (النصوص الحضرمية) التي اكتشفها (كاردنر- E. Gardner) و(كيتون تومسون- G. Catontohompson) في الحريضة بحضر موت وكذلك المواد المنسوخة من قبل د. أحمد فخري في رحلته لليمن^(١٥). ولا شك أن التعامل بالنقوش وبلغات قديمة مما يحتاج معه لفك رموزها وطلاسمها وإظهارها للقارئ هو عمل غاية في التعقيد والصعوبة ويحتاج لمعرفة دقيقة بأسرار اللغات القديمة وكنهها مما يؤشر لحجم المنجز وتميزه عن باقي إنجازات المستشرقين والتي قد لا تحتاج لمثل هذه المعرفة بالآثار.

ثم إن (ريكمانس) كان قد اشترك برحلة استكشافية ما بين عامي (١٩٥١-١٩٥٢م) قطع فيها مع زملائه ما يقارب ٥٥٠٠ كم إذ سارت الرحلة من جدة - الطائف - تربة - بيشه - أبها - كهيف - نجران - وشمالاً إلى كوكب ودم فالرياض وكانت محصلتها إثنا عشر ألف نص نسختها البعثة منها تسعة آلاف ثمودية وكانت تمثل خمسة أضعاف ما نشر حتى تلك الفترة وهي ذات أهمية لا تقدر في التعريف بتاريخ شبه الجزيرة العربية، وعثرت البعثة كذلك على مجموعة من النصوص السبائية قرب نجران وكوكب فالقت معلوماتها القيمة أضواء ساطعة على أعمال الحميريين في العصر السابق مباشرة للإسلام^(١٦).

وفي كنوز آثار العرب وما تحويه أرضهم منها فإن للآثاري الفرنسي (رينيهديسو- Rene Dussaud ١٨٦٨-١٩٥٨م) باعاً طويلة في الكشف عن آثارسورية إذ كرس كل مؤلفاته تقريباً في هذا المجال، فبعد أن درس علم الآثار والنقوش واللغات السامية

سافر إلى سورية وابتدأ أبحاثه بها وتمثلت مجالات الدراسة عنده في أربع ميادين هي: الفيلولوجيا والنقوش والنمّيات (النقود) والآثار وتاريخ الأديان وله دراسات عن رأس شمرا (أوجاريت) وهي مدينة شهيرة قرب مدينة اللاذقية على شاطئ المتوسط وقد عرفت أوغاريت بأنها أول من قدمت أبجدية للعالم وكذلك أول من قدمت نوبة موسيقية^(١٧).

كما أن هناك نموذجاً آخر من المستشرقين كان كمن يقاتل في ساحة حرب لغرض البحث والحصول على المعلومة في ضل أجواء غير مشجعة أبداً، هؤلاء الباحثين من المستشرقين عندما نقف على قصصهم وطريقة بحثهم وكيفية الحصول على المعلومة من قبلهم يقفز إلى أذهاننا سؤال مهم للغاية: لماذا كل هذا الإصرار على العمل وسط ظرف غير مشجع البتة.^(١٨)

وكان ممن هذا شأنه من الرحالة المستشرقين الانكليزي (تشارلز مونتجودوتي Charles Montagu Doughty ١٨٤٢-١٩٢٦م) إذ ابتدأ رحلته الاستكشافية في بلاد العرب على ظهر جمل من جزيرة سيناء عام ١٨٧٥ ثم عرج على معان وبترا (سلع)، ولما علم بوجود نقوش على صخور مدائن صالح قرر دراسة هذه النقوش، ومن صنيعه أنه وضع خطة لاستكشاف وادي عربة^(١٩).

وكان من إصراره على إتمام مهمته أنه عندما منعه الأتراك من الذهاب مع قوافل الحجيج المتجهين من دمشق إلى مكة تخفّى بزي عربي وأسمى نفسه خليل وأقام بدمشق لمدة عام تعلم فيها العربية^(٢٠) ثم تسلل في عام ١٨٧٦م مع الحجاج وانفصل عنهم في مدائن صالح وشرع بدراسة نقوشها ثم توجه لقلب الجزيرة العربية حائل ثم خيبر والقصيم ثم انتهت رحلته عام ١٨٧٨م إذ كانت مدينة جدة هي آخر مطاف تشارلز دواتي حيث زاد مرضه ولم تسعفه صحته للكتابة عنها^(٢١)، عاد بعدها إلى انكلترا ووثق منجزاته بكتاب ترجم إلى العربية^(٢٢).

وعن بعثة الحفائر التي قام بها إلى سورية فقد كتب رينيه Rene وبالتعاون مع (فريدريك ماكليز Frederic Makler) تقريراً بعنوان «رحلة أثرية في الصفا وجبال الدروز».

٢- جهود المستشرقين في مجال التحقيق والمخطوطات

يتلمس الباحث المعاصر سواء في تاريخ العرب القديم أو الإسلامي وبصورة مباشرة الكثير مما حققه المستشرقون من المصادر التي يعتمد عليها والتي أخرجها هؤلاء المستشرقون للقارئ، ففي منتصف القرن التاسع عشر الميلادي ابتدأت أعمال المستشرقين في هذا المجال تظهر تباعاً أكثر من أي مدة سابقة.

ويعزى الفضل الأول في إخراج هذا الجهد للقارئ والباحث العربي بالدرجة الأساس للمحققين والباحثين من المستشرقين إذ لولا هذا الجهد لما استطاع الباحثون اليوم من مواصلة كتاباتهم وأبحاثهم إلا بالرجوع إلى المخطوطات التي عمل المستشرقون على تحقيقها ونشرها وعلى سبيل المثال من مثل هذه الجهود في تحقيق أمهات المصادر العربية ما قام به دي خويه في تحقيق كتاب تاريخ الطبري، أو ما قام به نوربرغ في تحقيقه لكتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير وأيضاً جهود هوتسما الذي حقق تاريخ اليعقوبي.

وقد كان للمستشرقين في مجال تحقيق الكتب الجغرافية بصمة وجهد أيضاً نذكر على سبيل المثال منها جهود دي خويه وتحقيقه لمختصر ابن الفقيه وكذلك كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبه وأحسن التقاسيم للمقدسي والاعلاق النفيسة لابن رسته كما حقق داود ميلر (١٨٨٤-١٨٩١م) كتاب صفة جزيرة العرب. ومن كتب الطبقات التي طالتها دواة المستشرقين في تحقيقاتهم كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد الذي حققه سخاو ورفاقه سنة ١٩٠٢م وكذلك تحقيق لبرت لكتاب اخبار الحكماء للقفطي، وأيضاً تحقيق أوغست ملر لعيون الانباء لابن أبي اصيبعة وامرئ القيس لابن الطحان عام ١٨٨٤م.

ولم تكن جهود المستشرقين وحدها في التحقيق والفهرسة والتكثيف لتنتهي عند هذا الحد فقد ساعدت مكتباتهم المدعمة بمؤهلات خاصة على حفظ المخطوطات، وقد وجدت المخطوطات العربية والإسلامية طريقها نحو المكتبات الغربية وعلى وجه الخصوص الألمانية منها بشتى الطرق شراء أو استيلاء عليها من الأقطار العربية، وإذا كانت طرق استخدام هذه الكنوز والاستحواذ عليها مريبة وتتم في أغلب تعاملاتها عن دونية لا يستحي الغرب عن تعاطيها إلا أنها بحق وجدت لها من يحفظها ويفهرسها ويعمل على تحقيقها وهي لا شك ذخائر تراثية لا تقدر بثمن^(٢٣).

وللجهد الألماني خاصة أثر واضح في حفظ تراث العرب والمسلمين لا ينبغي لحصيف إنكاره، وبغض النظر عن دواعي هذا الحرص ومسبباته وتداعيات فوائده على الغرب نقف لننظر في آلياته، حيث تمثل في جزء كبير منه بالمحافظة على المخطوطات إذ حوت مكتبة برلين لوحدها بحدود عشرة آلاف مخطوط وقد فهرست بعشر مجلدات، وفي مكتبة جامعة جوتينجن هناك حوالي ثلاثة آلاف مخطوط، وفي جنوب ألمانيا بجامعة توبنجن هناك حفظت العديد من المخطوطات^(٢٤).

وبغض النظر عن مدى حرص دارسي الشرق ومفكره في الحفاظ على آثاره وتاريخه إذ لا شك أنه مرتهن بنسبة الاستقرار السياسي والاقتصادي في بلدانهم فللعامل

أن يخال شكل هذه المخطوطات ومآلها وسط اضطراب الشرق وغياب استراتيجية واضحة تعنى بترائه وتَحْفَظُهُ.

وإذا كان ما بقي من تراث الشرق ومخطوطاته يلقى الإهمال على ما فيها من قيمة لا تقدر بثمن فإن قرين هذا التراث ممن قدر له أن ينقل إلى الغرب بشتى الطرق والوسائل تمتع بالإضافة لحفظه في ظروف مثالية بالعناية به من قبل المستشرقين والمتمثلة بتحقيق علمي لمخطوطاته مصحوب بفهارس متعددة مضافاً لها معاجم مساندة تساعد القارئ وترشده وتختصر عليه الوقت والجهد ومن هذه المعاجم المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم الذي وضعه المستشرق الألماني فلوجل، والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، ومعجم شواهد اللغة العربية وهي مؤلفات رائدة يعتمد عليها المحققون العرب.^(٢٥)

وإذا ما أردنا تقييماً لعينة من هذه النتائج لمحققين محدثين شرقيين بارزين من مثل الأستاذ مصطفى السقا والذي كان قد وصف نتاج المستشرق وستفلد (١٨٠٨-١٨٩٩م) عند تحقيقه لمعجم: معجم ما استعجم ووصفه بأنه كان يجمع الوثائق ويعدها، ثم يقارن النسخة التي أراد تحقيقها بنسخ كانت في مكتبات عديدة في كيمبردج ولندن وميلان وكان يخلص من هذه النسخ إلى نسخته التي خطها بيده ووضعها بمجلدين، ثم وصفه بالعالم الضليع في الضبط والتحري والاستيثاق من الأصول وأنه وضع فهرسة للمواضيع والأماكن^(٢٦).

ولا شك أن هذه الشهادة هي اعتراف بجهد المستشرقين وان قد تكون خاصة بحالة فردية، ولكن لا شك أن العدد الأكبر من هؤلاء المحققين كانت نتاجاتهم قيمة، فضلاً عن أن محققاتهم إلى الآن تعتمد كمصدر أساس للباحثين. وأن باحثاً ومحققاً كمصطفى السقا ذو باع وأثر في مجال التحقيق لا شك أن شهادته تحسب لصالح نتاجات المستشرقين وجهودهم.

على أن هناك نظرة خاصة لبعض البارزين من رواد الفكر العربي لعلم التحقيق قد يخالها البعض غريبة، وتتلخص هذه النظرة بأن التحقيق لا ينبغي أن يتخذ لغرض التحقيق والتكسب لأنه بالنتيجة يقتل إبداع الدارس ويحوّله إلى ناقل أو آلة مجردة من التفكير الديناميكي الذي يرقى به نحو تطور منشود لعقليته، وعلى هذا لا ينبغي الانكباب على التحقيق ولا أن نتخذ مهنة كما فعل الكثير من المحققين العرب في منتصف وأواخر القرن العشرين والذين صار مردُّ غزارة نتاجهم هو التكسب!! إذ لا ينبغي أن يحقق الدارس إلا ما يحتاجه فعلاً لدراسته.^(٢٧)

ويبدو أن هذا الرأي ينطبق على شريحة معينة من المحققين الذين عاشوا في ظروف صعبة فالتجأوا إلى ما يستطيعون به سد رمقهم ولقمة عيشهم وسط ظرف قاهر فانشغلوا بالتحقيق وكرسوا جل جهدهم له فكانت جل نتاجاتهم تحقيقاً.

٣- جهود المستشرقين وخدماتهم في مجال اللغة العربية

كانت اللغة ولا زالت وسيلة التفاهم التي لا غنى عن تعلمها لسبر أغوار حضارات الشعوب والأمم وتكاد اللغة تتقدم أولويات التعلم المختلفة التي رسم لها المستشرقون في استراتيجيات عملهم في الشرق الإسلامي، وعلى هذا فقد بكر دارسهم في الاهتمام باللغة العربية وتعلمها واقتانها وتعليمها لمن أرادوه من تلامذتهم ومن يعدونهم للمستقبل. فكانت من أوائل العلوم التي أولوها عناية كبيرة. ولشدة عناية المستشرقين بهذه الدراسات ودورها التعريفي بحضارة الشرق ومكوناته فقد أرجأ البعض بداية حركة الاستشراق برمتها إلى تاريخ قيام مجمع فينا الكنسي بإنشاء كرسي دراسة اللغة العربية هذه بالإضافة للغات العبرية والسريانية في عدد من المدن الأوروبية مثل باريس واكسفورد، وكان ذلك عام ١٢٤٥م^(٢٨).

وفي عام ١٦٣٢م أنشأت جامعة كمبريدج أول كرسي لها في اللغة العربية والذي قام بإنشاءه عمدة لندن البارون: (السير توماس آدم، Professor Of Arabic ١٥٨٦-١٦٦٨ Sir Thomas Adams's)^(٢٩) ولونظرنا إلى المدة التي رافقت إنشاء هذه الكرسي فإن هذه الفترة كانت من أكثر فترات الحركة الاستشراقية - إن لم تكن أكثرها - تعصباً حيث طغى عليها السب والشتم والقذع وكان المستشرقون لا يتخرجون من البوح بعصبياتهم المختلطة عميقاً بأيديولوجيات الكنيسة. إذ ارتبط كرسي اللغة العربية الذي أنشأه توماس آدم هذا بحركة التنصير بصورة مباشرة حيث يقول رئيس جامعة كمبريدج برسالة إلى السيد توماس آدمز ان الحافز على تأسيس الكرسي هو «نشر الدين المسيحي في أوساط الذين يعيشون الآن في الظلام»^(٣٠)؟

وأياً كانت غايات إنشاء مثل هكذا كرسي فإن مرادنا منها هو بالكيفية والقدر الذي ساهمت به في خدمة اللغة العربية وتسببت في انتشارها في الغرب الأوروبي، ولا شك في أن هذه الكرسي كانت مدعاة للتعريف بلغة الضاد وأسرار سجعها وطباقتها وجناسها وسعة مفرداتها التي تتميز بها عن باقي لغات العالم ونقلها بهذه الكيفية كلفة عالمية تدرس في الجامعات الأوروبية مما يتوفر معه فرصة عظيمة لهذه اللغة لأن يبصرها الغرب فيتأثر بها علمائهم فضلاً عن عامتهم.

وقد برهنت الاحداث أن الغرب قد نهل من معين اللغة العربية وتزود من ثقافتها، ثم انتعلم العربية وإتقانها كان شرطاً أولياً للذين يريدون أن يدرسوا الحضارة ويتقنوا بالعلم والمعرفة وقد ظهرت أسماء عديدة لمهتمين من الغرب برعوا في العربية من أمثال (روجر بيكون)^(٢١)، ويمكن القول أن هذه الكراسي كانت انتقالة مفصلية مهمة في تاريخ الدراسات الاستشرافية بما يخص خدمة اللغة العربية وعلومها في العصور الوسطى ثم انعكاسات هذا الاهتمام والرعاية من قبل المستشرقين على المعاصرين الذين طوروا هذه المؤسسات إذ ما زالت الجامعات الحاضنة لهذه الكراسي مركز استقطاب الدارسين والمهتمين بلغة الضاد.

وإذا كان الغرب الأوربي قد جد وسعى لنشر العربية وعلومها عندما أحس حاجته لها منذ القرون الوسطى حيث بداية سعيه لاعتلاء منصة الحضارة في العالم وتسيدها ووسط تراجع الشرق وأهله عن هذه المهمة وإذا كان من البديهي أن يحمل أهل العربية اليوم على عاتقهم مهمة بيان علومها للناس ونشرها بالذي تحمله كونها لغة عالمية قديماً وحديثاً ووسط توفر الامكانيات للعرب اليوم فإن النقد واللوم في القصور عن هذه المهمة ينبغي إلا يوجه للمستشرقين كونهم أعاجم بل للجانب العربي وسط توفر الامكانيات وتقلص الهوة التي اعقبت الاستعمار الحديث، وعلى ما تقدم وبصرف النظر عما يراد من أهداف هذا الاهتمام من قبل المستشرقين بالعربية فإنهم ينبغي أن يشكروا لاهتمامهم بتدوين نتاجاتهم وفتحها للدارسين طيلة هذه الفترة وأن يشكروا مضاعفا لانهم تصدوا لهذه المهمة وأدوات هذه الخدمة.^(٢٢)

ومن مظاهر اهتمام المستشرقين بلغة الضاد هي ترجمتهم لكم كبير من المؤلفات وفي علوم مختلفة احتلت فيها علوم العربية قسماً وافراً من هذه الترجمات، فلقد ترجم القرآن الكريم لأول مرة إلى اللاتينية عام ١١٤١م على يد بطرس المحترم (١٠٩٢-١١٥٦م) واستمر اعتماد هذه الترجمة حتى نهاية القرن السابع عشر الميلادي^(٢٣)، كما نقل فاتييه (١٦٦٧-١٦١٣) كتاب علم المنطق لأبن سينا ت/٦٥٠هـ والثناء للطغرائي (ت:٥١٥هـ) وكلاهما ترجمهما فاتييه إلى الفرنسية.^(٢٤)

وقد تم ترجمة جزء من ألف ليلة وليلة ومقامات الحريري (ت:٥١٦هـ) وشرح معلقة امرئ القيس للزوزني (ت/٤٨٦هـ) عام (١٨١٨-١٨١٩)، على يد برفسال، جان جاك (١٨٣٥-١٧٥٩)^(٢٥)، كما ترجمت مقامات بديع الزمان الهمداني (ت:٣٩٨هـ) والبردة للبوصري (ت:٦٩٦هـ) وأصل الأدب الجاهلي عند العرب، وكليلة ودمنة في ستة عشر باباً، ومعلقة لبدي (ت:٦١١هـ)، وترجمت أيضاً شرح الفية ابن مالك (ت:٦٧٢هـ)

وَأَلَّفَ كتاب في النحو بمجلدين ليكون منهجاً يدرس في مدرسة اللغات الشرقية وكل هذا الجهد تم بمراحل على يد البارون دي ساسي (١٧٥٨-١٨٢٨م) وكان يشغل منصب أستاذ اللغة العربية في مدرسة اللغات الشرقية^(٣٦).

وفي بواكير القرن الثامن عشر زاد اهتمام المستشرقين باللغة العربية وكان للمستشرقين الفرنسيين منهم خاصة دور مهم إذ شرعوا بتأليف الكتب الأدبية يساعدهم في ذلك الاتصال المباشر بذخائر اللغة العربية من خلال احتلال فرنسا للجزائر عام ١٨٣٢م، والمغرب عام ١٨٨١م، ناهيك عن حملة نابليون على مصر، فقد فتحت المراكز والمعاهد الفرنسية ابوابها في البلاد العربية، على أن اهتمام المستشرقين الفرنسيين بالعربية وآدابها لم يكن وليد القرن الثامن عشر الميلادي إذ سبقت تداعيات الحروب الصليبية اهتماماً من الفرنسيين بالعربية وعلومها منذ ذلك التاريخ حيث بدأت الترجمات على يد جيرار الكرموني (ت: ١١٨٧م) والذي ترجم الكثير من أمهات الكتب إلى اللغات الأوروبية^(٣٧).

ومن مشاهير المستشرقين الذين كانت لهم باع في نقل كتب العربية وآدابها إلى اللغات الأخرى أستاذ اللغة العربية بمدرسة اللغات الشرقية ورئيسها جوزيف توسن رينو (١٧٩٥-١٨٦٧م) حيث ترجم ديوان امرئ القيس ونشره مع آخرين وكذلك ترجمته للأمثال في مقامات الحريري^(٣٨)، وترجم هرتويج ديرنبورج (١٨٤٤-١٩٠٨) ديوان النابغة الذبياني (ت: ١٨ق.هـ) وكتاب تكملة كتاب ما تغلط به العامة للجواليقي (ت: ٥٣٩هـ) وقام أيضاً بنشر وترجمة كتاب سيبويه (ت: ١٨٠هـ)^(٣٩).

وبرغم ما للعربية من خصوصية يصعب معها ترجمة كتب الاختصاص فيها إلى اللغات الأخرى إلا لمن اتقن اللغتين معا ومهر في قواعدهما لم يكتف المستشرقون بترجمة أمهات المصادر في لغة الضاد كالذي عرجت عليه هذه الدراسة، بل شرعوا أيضاً بدراسة لهجاتها التي كانت تتكلم بها شعوبها بحسب مناطقهم، وكان من أشهر هؤلاء الدارسين للهجات لغة الضاد هو جان كانتينو - Cantineau ١٨٩٩-١٩٥٦م إذ شرع في دراسة الكثير من اللهجات وكان من أهمها لهجة حوران العربية، ولهجة عرب تدمر ولهجات العرب في بلاد الشام وتحديداً سورية وفلسطين، وكان ذلك في الأعوام ١٩٣٣ إلى ١٩٣٧م^(٤٠).

وإذا ما أرادت هذه الدراسة استعراض حركة الترجمة التي قام ويقوم بها المستشرقون منذ شروعههم بذلك حتى اليوم، فإن القائمة تطول وحسبها ما أسلفت من نماذج لمستشرقين بارزين عنو بترجمة مصادر لغة الضاد وآدابها.

الخاتمة

تَكشَفُ لهذه الدراسة مجموعة نتائج بعد اطلاعها على جملة من جهود المستشرقين التي أتت بثمار إيجابية ومردودات نافعة خدمت وما زالت تخدم الباحثين في التراث العربي الإسلامي ويمكن إجمال هذه النتائج بالنقاط التالية:

أولاً:- شكّل سباق السيطرة على أراضي الشرق الإسلامي والتدافع المحموم لاستغلالها دافعاً أساسياً للاهتمام بتراثه وآثاره ولغته ودراستها، وكان هذا كله مدعاة للإنفاق وتسخير الجهود على أعلى المستويات، فأُنشأت كراسي للغات الشرقية وبنيت المتاحف وفق أرقى المواصفات وجئ بخبراء وعلماء الآثار وهم من عليه علماء الغرب وكبار مفكره، لذلك كانت نتاجاتهم غاية في الدقة وعلى قدر كبير من الإتقان والفائدة في كثير من مضانها.

ثانياً:- برغم الآثار المدمرة التي نتجت عن الاستعمار الغربي لبلدان الشرق الإسلامي والبلدان العربية على وجه الخصوص وتداعيات ذلك على جل صعد الحياة، فإن هذه السيطرة لم تخلو من فوائد في العديد من مفاصل المعرفة ومنها التحقيقات للكتب والمصنفات ونقل الآثار والحفاظ عليها ودراسة اللغات القديمة وفك شفراتها ورموزها... الخ مما يشكل سابقة غفل أو تغافل عنها مفكري الشرق وعلمائه لأسباب جمة قد تكون الحالة السياسية المضطربة والتنافس الاستعماري المتبوع بالإحتلالات المباشرة وقلة الامكانيات وضعفها هي السبب الأهم في هذه الغفلة والإهمال وعدم الاهتمام بالتراث.

ثالثاً:- شجعت أسباب ومقومات التحضر الحديثة وكثرة ترديد الغرب الأوروبي لشعارات المساواة ونبذ العنف والعنصرية.. الخ على جنوح حركة الاستشراق نحو البحث العلمي المستقل ليدرأ المستشرقون عن أنفسهم شبهة الارتباط المباشر بالاستعمار وليقنع المستشرقون قرائهم بأن الاستشراق الحديث غير الاستشراق التقليدي الذي كانت ترعاه الكنيسة وتمده بدوافع أيديولوجية. وليس بالضرورة أن يكون هذا التصور صحيحاً إذ إن الاستشراق هو قلب الاستعمار النابض وإن تحضرت أساليبه حتى يخالها البعض بعيدة عن الاستعمار بفقدانها خيوط الصلة المباشرة به.

رابعاً: من المخل كثيراً بألية التواصل الحضاري بين الأمم أن تجبر نتاجات المستشرقين وتبويب على أنها من أساليب الاستعمار التي لا ينبغي التعاطي معها أو الاستفادة منها، بل ينبغي الاستفادة من كل صغيرة وكبيرة توصل لها علمائهم وتوظيفها كمعلومة مفيدة في بحوثنا العلمية بصرف النظر عما وظفت له وذلك بعد تسليط الضوء عليها وتقييمها، ذلك أن حضارات العالم بمختلف مشاربها انطلقت من حيث انتهى الآخرون.

خامساً: ينبغي لمن يتصدى لتقييم الدراسات الاستشرافية أو يبحث فيها أن تكون له حصانة فكرية وعلمية رصينة يرتكز بها على موروث امته الديني والحضاري، لئلا يرمي مُسلماً بأحضان أفكارهم التي صاغوها بعناية لاصطياد من لا يتسلح بتلك الحصانة، وليرد بقلمه وفيه - ما استطاع - من افتراءاتهم.

هوامش البحث

- ١- سعيد، إدوارد، الاستشراق-المعرفة، السلطة، الإنشاء، ترجمة كمال أبو ديب، ط٢، مؤسسة الابحاث العربية، بيروت، ١٩٨٤م، ص٧١-٧٢.
- ٢- نقلا عن السامرائي، قاسم، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، دار الوعي، الرياض/١٩٨٣م، ص٢١٩.
- ٣- النبهان، محمد فاروق، أثر البحوث الاستشرافية في الدراسات الإسلامية، مجلة دعوة الحق، الرباط، العدد-٣٢٩، تموز/١٩٩٧م، ص٣٤.
- ٤- النملة، عليابراهيم، أعمال المستشرقين مصدر من مصادر المعلومات عن الإسلام والمسلمين، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد: ٧، السنة: ٧، الرياض، ٢٠٠٧م، ص٥١٩-٥٦٤.
- ٥- الجابري، محمدعابد، حوار مع مجلة آفاق عربية، العددالخامس، السنة الثانية عشرة، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٧م، ص١٢٤-١٢٥.
- ٦- الديب، عبد العظيم محمود، المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الاسلامي، الدوحة، ١٩٩٠م، ص٣٨.
- ٧- أبو حسنه، عمرعبيد، تصدير كتبه السيد أبو حسنه في تقديمه لكتاب عبد العظيم الديب (المنهج في كتابات المستشرقين)، ص٢٢.
- ٨- لتفصيل أكثر ينظر: بارت، رودي، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية - المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه، ترجمة مصطفى ماهر، دار الكتاب العربي، القاهرة.
- ٩- زناتي، انورمحمود، اهتمام العلماء والمثقفين الأوروبيين بدراسة اللغة العربية، ١١/٥/٢٠١٢. [Www.Alukah.Net](http://www.alukah.net)
- ١٠- علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ط٤، دار الساقى، ٢٠٠١م، ١/١٣٢.
- ١١- السامرائي، إبراهيم، من دراسات المستشرقين، دار الفكر، عمان/١٩٨٥م، ص٢١٩.
- ١٢- بدوي، عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، ط٤، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ٢٠٠٢م، ص٥١٢-٥١٣.
- ١٣- سولي، روبر وفاليل، دومينيك، حجرة رشيد- قصة فك الغاز اللغة الهيروغليفية، الناشر بروفايل بوكس، لندن ٢٠٠١م، المقدمة.
- ١٤- بدوي، موسوعة، ص٣٠٤-٣٠٥؛ مراد، يحيى، معجم أسماء المستشرقين، دار الكتب العلمية، بيروت/٢٠٠٤م، ص٦٣٨.
- ١٥- بدوي، موسوعة، ص٣٠٤-٣٠٥؛ فخري، أحمد، رحلة أثرية إلى اليمن، ترجمة هنري رياض ويوسف محمد عبدالله، مراجعة: عبد الحليم نور الدين، وزارة الثقافة اليمنية، صنعاء، ١٩٨٦م، ص١٢٩-١٤٧.
- ١٦- بدوي، الموسوعة، ص٣٠٤-٣٠٥.
- ١٧- بدوي، الموسوعة، ص٢٦٩؛ عدده، هشام، مرور ٧٥ سنة على اكتشاف أوغاريت : مدينة الأبجدية الأولى والتنويط الموسيقي الأقدم.. مجلة الشرق الاوسط، العدد/٩٣٤١، السبت ١٠ ربيع الثاني ١٤٢٥هـ، ٢٩/ مايو/٢٠٠٤م.
- ١٨- الخويطر، خالد بن سليمان بن علي، مشاهدات الرحالة الأجانب في مدينة عتيزة خلال قرنين، مجلة الواحة، العدد الستون، السنة السادسة عشرة، الرياض، شتاء ٢٠١٠م، المقدمة.
- ١٩- روبن، بدول، الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية، ترجمة عبدالله آدم نصيف، الرياض، ١٤٠٩هـ، ص٦٧-٦٨.

- ٢٠- حمدان، عاصم، آداب الفكتورية والعربية وأثرها في تكوين شخصيات الرحالة الغربيين.. دواتي وريتشارد بيرتون نموذجاً، صحيفة المدينة، العدد ١٨٢٠٧، المدينة المنورة، ٢٧/٢/٢٠١٣م.
- ٢١- اليافي، عدنان، جده، آخر محطات الرحالة دواتي في الجزيرة العربية، مجلة جدة، العدد السابع والثلاثون، جدة أكتوبر ٢٠١٠م، ص ٢٥-٢٨.
- ٢٢- دواتي، تشارلز.م، رحلات دواتي في الجزيرة العربية، ترجمة عدنان حسن، دار الوراق، لندن، ٢٠٠٩م.
- ٢٢- بدران، محمد أبو الفضل، الاستشراق الألماني ودوره في نقل الثقافة العربية.
www.Moslimonline.Com
- ٢٤- م.ن
- ٢٥- م.ن
- ٢٦- السقا، مصطفى، مقدمة استهل بها المحقق نتاجه (معجم ما استعجم)، القاهرة، ١٩٤٥م، ص.ح،
- ٢٧- رأي خاص بالذكور أحمد مطلوب أحمد أستاذ العربية والحائز على جائزة الملك فيصل العالمية ورئيس المجمع العلمي العراقي، مقابلة خاصة معه في المجمع العلمي العراقي حيزران، ٢٠١٣.
- ٢٨- الخفاجي، عبد المنعم، الأدب العربي الحديث ومدارسه، دار الجبل، بيروت، ١٩٩٢م، ص ٣٢٢.
- 29- Chalmers, Alexander. The General Biographical Dictionary: Containing An Historical And Critical Account Of The Lives And Writings Of The Most Eminent Persons In Every Nation; Particularly The British And Irish; From The Earliest Accounts To The Present Time. New Ed. Rev. And Enl. London: Nichols [Et Al.], 1812-1817. 32 Vols.
- 30- Leslie, Mcleo Glenn. British Orientalists In The Twentieth Century, Azqa Bryce, London, P.151.
- ٣١- بن الحاج، محمد مصطفى، عالمية اللغة العربية، ص ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٥.
- ٣٢- عبده، عبود، الادب المقارن - مشكلات وآفاق، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٩، ص ٧.
- ٣٣- بدوي، عبد الرحمن، الموسوعة، ص ٦٨.
- ٣٤- العقيقي، نجيب، المستشرقون، دارالمعارف، القاهرة، ١٩٦٤م، ١/١٧٢-١٧٣.
- ٣٥- عوني، محمد، ببلوغرافيا المصادر العربية التي حققها المستشرقون او قاموا بترجمتها، مجلة كلية اللسان، جامعة عين شمس، القاهرة/٢٠٠٤م، ص ١٦٩.
- ٣٦- العقيقي، المستشرقون، ١/١٧٩؛ بدوي، الموسوعة، ص ٢٢٦-٢٣٢.
- ٣٧- خضر، ضياء، مقدمة في دراسة جهود الترجمة من العربية الى الفرنسية، مجلة الاستشراق، ٤، دار الشؤون الثقافية، بغداد/١٩٩٠، ص ١٣٦.
- ٣٨- العقيقي، المستشرقون، ١/١٨٧.
- ٣٩- العقيقي، المستشرقون، ١/٢١٣.
- ٤٠- العقيقي، المستشرقون، ١/٢٨٣.

حول الحجج والجدل في الخطاب الإعلامي الفرنسي في ظلال أحداث الحادي عشر من سبتمبر

د. سعاد موزير مطر*



الآونة الذي أدعى بأن العالم المتحضر
مستهدف ولهذا استنفر في حملة للدفاع
عن الديمقراطية والحرية.

في تلك الأجواء استرعى انتباهنا
الخطاب الإعلامي في أسلوبه لبناء تلك
الأحداث الفريدة، بدأ اهتمامنا بمتابعة
وسائل الإعلام طيلة ساعات وأيام لوقوع
أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، ظاهرتان لفتت
نظرنا وكانت أساساً لأطروحة بحثنا.

من جهة لحظنا عدم توخي
الدقة في الترجمة من اللغة العربية

نسبت هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١
ضد مركز التجارة العالمي في نيويورك
وعلى البنّاجون في واشنطن للإرهابيين
الإسلاميين الذين ينتمون إلى شبكة
القاعدة، ولقد نجم عن تلك الأحداث
إثارة لم يسبق لها مثيل في العالم. كثير
من المسلمين سجنوا بعد أن اعتقلوا
دون محاكمة في القاعدة البحرية
الأميركية في جوانتانامو في جزيرة
«كوبا». أصبح هذا المعسكر للاعتقال
رمزاً لرفض الحكومة الأمريكية لتطبيق
حقوق الإنسان وسيادة القانون برهانا
لسياستها المركزية وكرد على أحداث ١١
سبتمبر ٢٠٠١. وقد ظل مئات الأشخاص
من بعض ٣٥ جنسية مسجونون في تعقيم
قانوني كامل.

الصدّات النفسية والحاجة
للأمن جمع الأميركيين في نفس الحماس
الوطني حول رئيسهم جورج بوش في تلك

* دكتورة في الإعلام وتحليل الخطاب (اللسانيات)، أستاذ جامعي مساعد بجامعة زايد، أبوظبي، دولة
الإمارات العربية/فرنسا. soad_matar@hotmail.fr

إلى الفرنسية كان هناك ميل للتغير والحذف الغير مبرر وذلك يفقد الخطاب الإعلامي مصداقية المعلومات التي يقدمها للجمهور.

من جهة أخرى راعنا أن الخطاب الإعلامي في معالجته لتلك الأحداث خرج عن إطاره المهني كشرح وتوضيح الأحداث للقارئ بشكل «موضوعي محايد»؛ منجرًا إلى الإثارة والعزف على وتر العواطف كما هو متبع في مجال الإعلانات التجارية؛ فاستخدمت عناوين ومانشيتات للمقالات تبدو كشعارات على سبيل المثال: الفوضى الدينية في العالم - من يريد أن يكون أكبر من الله - البربر عند أبوابنا.

ولم يقتصر ذلك على الألفاظ الفرعية بل امتد إلى العبارات المفتاحية الرئيسية في الصحف وفي وسائل الإعلام.

استوقفتنا تقنية الخطاب الموحى أو الموجه للإقناع والتأثير واستخدام الإعلام أدوات على نحو مضطرب وغير ملائم لمصطلحات من القاموس الديني لا مرادف لها في اللغة الفرنسية مثل: الكفار - السيرة - الحرم الشريف - الأمة - شهادة - مدرسة التبليغ. هذه المصطلحات لا يمكن فهمها من قبل معظم القراء الفرنسيين. كيف يمكن للمرء أن يفسر هذا الإقحام شبه اليومي لكلمات تنتمي إلى المجال الديني في عالم الإعلام؟

لقد بدا الخطاب الإعلامي بوجه عام ذو توجهات جدلية مدعمة لأطروحة هنتجتن «صراع الحضارات» لذلك كمختصة بتحليل الخطاب أردنا فهم تقنيات الخطاب الإعلامي الذي يجمع بين أيديولوجيات تفاعلية مختلفة وكيفية تطويعه لمفردات لغوية ساهمت في تشويش القارئ ودعمت خطاب الخلط بين الظاهرة السياسية كالإرهاب والإسلام كدين؟

ما المعلومات التي ينقلونها بهذه المفردات ومن هم المتلقون لها؟

الإطار النظري ومفاهيم البحث

لنسلط الضوء على آليات الخلط واستراتيجيات الجدل وهما محور بحثنا، سعينا للجمع بين نظرية ديكرود بيرلمان للحجج. فنظرية بيرلمان جزء من المنظور البلاغي المتأثر بمفهوم أرسطو للخطاب وفن الإقناع. بيرلمان يعتبر أن كل خطاب جدلي طالما أنه يحتوي على تقنيات الإقناع وتفاعلية التي تعتبر عامل أساسي. وانطلاقًا من ذلك المفهوم فإن الخطاب المنقول يعتبر من تقنيات الإقناع المستخدمة في الخطاب الإعلامي المتعلق بأحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١.

تعتمد النظرية الجدلية لبيرلمان على التفاعل لتغير من الأوضاع الراهنة فهي تسعى إلى تعديل الأحكام المعرفية لدى المستقبل، الأمر الذي يحتاج إلى التفاعل الإقناعي الجدلي مع الجمهور. بصورة تكاملية مع مفهوم بيرلمان نحتاج لنظرية ديكرود الحجاجية

التي ترى في المادة اللغوية علامات جدلية، أي أن اللغة تحتوي على كلمات ذات قيمة حجبية وإمكانات جدلية أساسية تسمح بالتسلسل المنطقي للخطاب وتساهم في عملية التأثير على القارئ.

لتوضيح الاستراتيجيات المستخدمة في الحديث الإعلامي بأسلوب أكاديمي يخلو من التحيز وبعيداً عن التعصب لجئنا لاستخدام أحدث التقنيات في مجال علوم «الفيلولوجي نوميريك» بوصفها تأويلاً عاماً للنصوص، سعياً إلى فهم واجتهاد إلى توضيح مقاصد الكاتب ودلالة الأصل معاً. إن إعادة قراءة النص الصحفي على ضوء التحليل بالكمبيوتر يركز على تحليل دقيق لمادة اللسانيات، وتفسيرها، لتكشف عن تأويل نصي دون إغفال الصلات البلاغية والأسلوبية فيما بينها.

ولقد لجأنا على وجه الخصوص لبرنامج البروفيسور فيبرا المتطور «استارتكتست» لتضخم حجم المادة العلمية حيث بلغت ١٥٠٠ مقال منوع ما بين العمود والمقال الأسبوعي والافتتاحية والتقرير الأخباري.

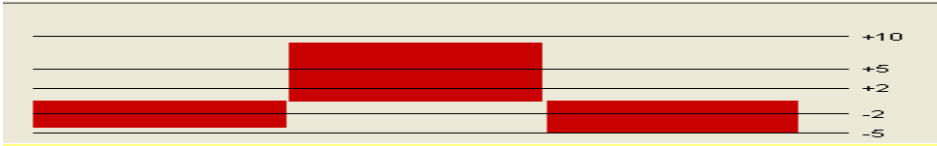
كذلك قد سمح لنا مفهوم شاربدو المفكر الإعلامي الفرنسي بدراسة بعض السلوكيات الاتصالية والخيارات اللغوية الدلالية التي يستخدمها المتحدث وهي في قلب العلاقة بين السلوك والخطاب الثقافي الاجتماعي.

بالنسبة للعديد من الغربيون والفرنسيون على الأخص الذين لا يعرفون الكثير عن الإسلام يرون فيه صور نمطية سيئة، والدين نفسه هو المعني بهذه الصور (تعاليم القرآن والجهاد) يخلط البعض بين الإسلام وأفعال بعض المدعون الانتماء إليه في فرنسا أو في أوروبا - مثلاً على ذلك - أعمال الشغب والجريمة في الضواحي، و«الهجرة الغير شرعية» وفشل البعض في التأقلم، كذلك وضع المرأة في بعض البلدان الإسلامية، والتعصب، ومشكلة ارتداء المرأة الحجاب في أوروبا وفرنسا على الأخص. يبدو الإسلام هكذا مبلوراً لكل المتاعب والمعاناة في المجتمع الفرنسي وعلى الساحة الدولية التي ربطته بالظاهرة السياسية والاجتماعية «الإرهاب». ومن هذا المنطلق ارتبط بحثنا بالإسلام الذي زج به واستخدمه الخطاب الإعلامي في محاولته لتفسير أحداث سبتمبر ٢٠٠١.

تعرضنا بالبحث في كثير من الأحيان لبعض من المفاهيم الإسلامية لتوضيح الصور النمطية التي وردت واستغلت بشكل مغاير للواقع في الصحف الثلاث الرئيسية في فرنسا أثناء أحداث سبتمبر ٢٠٠١، على سبيل المثال حقوق المرأة في الإسلام وتعدد الزوجات.

مفهوم الجهاد

تستخدم كلمة «الجهاد» مراراً في سياق الحديث الإعلامي ولكن في كثير من الأحيان كمرادف لكلمة «حرب مقدسة» مصطلح ينطوي على صورة للعنف الدموي تحت لواء الدين. وتميزت صحيفة الليبراسيون باستخدامه ٩٠ مرة في سياق حديثها ولكن مع الربط بينه وبين صفة «الإسلامي» مقابل ظهوره ٨٣ مرة في جريدة الفيجارو (في الثلاثة أشهر التالية لأحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ وفي ٢٨٠ مقال).



مدرج إحصائي لظهور كلمة جهاد في الثلاثة صحف الفرنسية: -ليبراسيون -لوفيجارو - لومند

قد أظهرت نتائج التحليل بمساعدة الكمبيوتر وكما يوضح المدرج الإحصائي أدناه دخول الجهاد إلى المفردات الفرنسية ولكن يبدو استخدامه ضيق النطاق مقارنة بثرائه الدلالي المرجعي. فعندما نتحدث وسائل الإعلام عن الإسلام يختزل النطاق ويختصر توظيفه كمرادف للعنف والحرب علماً بأن السلام هو الجذر المصطلحي للإسلام.

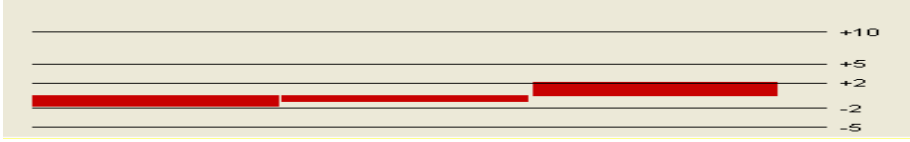
TRI A DROITE	SAUVEGARDER LA CONCORDANCE ENTIÈRE
de la communauté - et les combattants . Le	Djihad défensif 'ensuite : il est beaucoup plus important ca
n distingue alors deux types de %%% : le	'djihad offensif 'd'abord, où des musulmans attaquent un terr
en Afghanistan . Il a été proclamé comme un	'djihad défensif 'par des oulémas d'obédience saoudienne et p
(en Arabie saoudite, ndr), est ainsi un	'djihad défensif ' . L'attaque du World-trade-center est un 'd
sentiment de solidarité qui débouche sur un	'djihad défensif 'où l'on peut mobiliser les masses musulmane
f' . L'attaque du World-trade-center est un	'djihad offensif ' . L'idée étant de provoquer ensuite, avec l
des arsenaux clandestins 'pouvant servir au	'djihad ' . Parler des camps d'entraînement de
te (ou l'effort) sur le sentier d'Allah ' (	'djihad fi sabitillah) et ont réglementé les modalités d'ex
apparence, et la nécessaire guerre sainte (	'djihad) qu'il faut leur mener . Le wahhabisme a donc servi,
Gilles Kepel .	'djihad, en arabe, signifie l'effort, celui que l'on fait sur
passé aujourd'hui s'articule autour du grand	'djihad qui marque la fin du 20e siècle, après la révolution
attaquée par les 'impies 'soviétiques . Ce	'djihad avait un double objectif : d'abord servir les intérêt
d'une certaine façon les morts civils de	'djihad qui s'est retourné contre les Etats-Unis .
(1) Auteur, notamment, de	'djihad, expansion et déclin de l'islamisme, qui vient d'être
sme 'des exclus ressemble à l'autre forme	'djihad, celui des 'inclus ' : la plupart des pilotes qui se s
un produit typique . Dans sa déclaration	'djihad de 1996, il se faisait la porte-parole des 'grands ma
ciences sociales, débattent sur la notion	'djihad à la lumière des événements d'Afghanistan .
r l'islam . On distingue alors deux types	'djihad : le 'djihad offensif 'd'abord, où des musulmans atta
le	'djihad est une guerre ordonnée par Dieu, il s'impose à tous
e la société musulmane . Si, par exemple,	'djihad est proclamé pendant le mois de ramadan, le jeûne n'e
Pour certains théologiens, le	'djihad est même un sixième pilier de l'islam - après la conf
in de leaders, de places d'entraînement .	'djihad est pour moi sur tous les fronts, toutes les résistan

وهكذا تحول مصطلح «الجهاد الإسلامي» من معناه الأساسي لمعنى جديد وفق الاتجاهات الإيدولوجية للخطاب الصحفي ليصبح مرادف «للحرب المقدسة».

المتوازيات التاريخية (التاريخ يعيد نفسه)

بعث مصطلح «الحرب المقدسة» للحياة في الذاكرة الجماعية الغربية ذات المرجعية الإيديولوجية والتاريخية «حرب صليبية» التي دامت منذ ١٠٩٦ إلى ١٢٩١ وهي تشكل أول شرح بين الشرق والغرب وتمثل نقطة البداية في محور العداء من الغرب تجاه الإسلام والذي يرى فيه مصدر للتهديدات العدوانية الخارجية انطلقت إعادة استخدام

هذا الجسر التاريخي من خطاب جورج بوش الصغير الذي ألقاه أمام الكونجرس في ١٦ من سبتمبر ٢٠٠١ والذي انفردت بنشره صحيفة لوفيجرو كاملاً.



مدرج إحصائي لكلمة جهاد التي ظهرت ٦٣ مرة في خطاب لوفيجارو

ومن الممكن اعتبار هذا المصطلح كبوابة زمنية تسمح بعملية اختزال الوقت تكرراً وتسهيل إنعاش الأكلشيهات والصور النمطية والإيدولوجيات الجاهزة المتراكمة في الذاكرة الجماعية، لا أحد يستطيع أن يغفل عن كونه يكمن على قوة ديناميكية ذات دافع جدلي. نرى ذلك التوازي التاريخي يتكرر في منشآت الجرائد الرئيسية مثلاً في صحيفة لوموند: «الحرب الصليبية والجهاد» حيث أشار لذلك تينك فقال صراحة:

«هذين الخياليين التاريخيين والرمزيين للحضارة المسيحية والإسلامية دائمى الحضور في الخطاب» كذلك وجد الرئيس بوش في مفهوم «الحرب الصليبية»، على الأقل في الأيام الأولى بعد الهجمات، مبرر أخلاقي وديني «لانتقام المسلح»^(١)

كل هذه الشواهد دفعتنا لتركيز الضوء على المزيد من التراكيب اللغوية الإيديولوجية التي اعتمدها الخطاب الإعلامي لتفسير أحداث ١١ من سبتمبر ٢٠٠١ وكيف أسهمت في الخلط بين مجالين منفصلين في العقلية الأوروبية هما (المجال الديني والمجال السياسي مع آفة السياسية الاجتماعية «الإرهاب») وهنا يتضح تهافت الخطاب الإعلامي الغربي الذي يدعي العلمانية ونبذه للخطاب الديني.

وفي ذلك السبيل بذل الإعلام جهداً ملحوظاً إلى حد الإبداع والخلق لعبارات جديدة يستخدم فيها كلمة الإسلام ومشتقاتها ويربطهم بصفة مغايرة ذات دلالة نمطية مسيئة، يبدو لنا على سبيل المثال هذا العنوان الذي استخدمته صحيفة الفيجرو «التضامن لمحاربة الفاشية الإسلامية» بقلم السياسي المعروف آلان مدلان بتاريخ ١٩ سبتمبر ٢٠٠١.

بالتمتع في تقنية الربط والتركيب في هذا العنوان بين صفة مشتقة من جذر الإسلام وهي «الإسلامية» وبين صفة أخرى «الفاشية» الصورة النمطية التاريخية قد يبدو لأول وهلة ربط غير مبرر إلا أنه في الحقيقة جاء ليمد جسوراً ذهنية تاريخية في ذاكرة القارئ تثير عواطفه تجاه «الفاشية» وما ارتبط بها. بعبارة أخرى الربط بين الفاشية والإسلام يحرك عواطف الكراهية نحو كلاهما.

نشاهد نفس العملية الترابطية الدلالية بدت في العديد من منشآت صحيفة «ليبراسيون والفيجرو»: التطرف الإسلامي - الإرهاب الإسلامي - الإسلامية المتخلفة - الفاشية الخضراء - الإرهاب الإسلامي. الاستغلال المتجاوز لمشتقات كلمة «إسلام» والمزج بينها وبين صفات نمطية يؤثر على معنى كلمة الإسلام ويميل إلى تشويهها.

يعتمد هذا الربط ليس فقط على المستوى النحوي وإنما أيضاً على الصعيد الجدلي في هذه العبارات ينشد الربط إلى التوحيد الدلالي والذي يؤدي إلى ما يمكننا أن نطلق عليه تلوث وتشوه في البنية اللغوية. ومع تكرار استخدام هذه الآلية والإصرار على نشر نفس الفكرة من مقال لآخر ومن صحيفة لأخرى له تأثير كالطرق على ذهن القارئ لتتأثر رؤيته ويتغير تفسيره للأمور وتتبعث من الذاكرة الجماعية الصور الذهنية المتوارثة. ولم يعد من الممكن بعد ذلك اعتبار الإرهاب من دون الرجوع الذهني إلى الإسلام وبرغم تعدد المعاني لكل مصطلح إلا أن الإسلام سيظل الاحتمال الأول وراء أي ظاهرة إرهاب.

وكما أشار بيرلمان يعتبر أن تلك العملية ذات بعد جدلي فهو يؤكد: «حتى يساء لأي شخص، يكفي مقارنته بما يكره، لأن استراتيجية المقارنة ستقوى علاقة الربط بينهم» ليس فقط لأنهم في سياق نصي واحد وإنما سيستقر ذلك الرابط المسيء في الأذهان.^(٢)

إن المصطلحات المتداولة في الخطاب الإعلامي له أهمية قصوى، والاستخدام العشوائي له عواقب وخيمة. فعدم توخي الدقة في اختيار المصطلحات والخلط في المرادفات يزيد من سوء الفهم ويغذي مشكلة العداء للإسلام المبني على عدم وضوح المفاهيم ورؤية القارئ.

الخطاب الإعلامي مرآة المجتمع وللذاكرة الجماعية

دعم الخطاب الإعلامي نظرية «صراع الحضارات» حيث تكررت هذه النظرية في الخطاب السياسي وكان أكثرهم إثارة للجدل خطاب رئيس الوزراء الإيطالي السابق برلسكوني الذي انفردت بنشره جريدة ليبراسيون تحت عنوان «يجب أن نعي رقي حضارتنا وتفوقها على العالم الإسلامي» (ليبراسيون، ٢٨ سبتمبر ٢٠٠١) هذه النظرة المتعالية التي تريد الانفراد بالحضارة والقيم والثقافة وتعكس صورة مشوهة عن الآخر ترفض أن تراه بعين الواقع وترسخ ذلك في عقل القارئ أو المتلقي فخرجت علينا صحيفة لو فيجار وبمقال له نفس المنطلق المعادي والنمطي.

«منذ استخدام الرئيس بوش لهذه الكلمة تذكر الحروب الصليبية بالسوء. ليس الأمر بغريب فمنذ ٢٠٠ عام وتاريخ فرنسا يكتبه معارضيه. كانت فرنسا ذات طموح كبير تتسم بصورة نبيلة. [...]»

فيهذا الوقت كان للغرب معنى:

لقد نسينا الغرب كما [...]]

تعلمنا أن نخجل من الحملات الصليبية

لن يضرنا أن نفخر قليلاً. لقد فقدنا ما لدينا ومن كثرة البكاء عليه اعتقد أنه لم يعد عدونا يهابنا. عندما يذكر الغرب يرون المعدات الثقيلة والكثير من الأخطاء. لمزيد من الفشل لا ينقص إلا أن نطلب الصفح عن الحملات الصليبية. أبداً لم استمع إلى عربي يعتذر لكونهم ووصلوا الي بواتيه.^(٣)

يحاول هذا الخطاب الانفعالي الذي نشرته الصحيفة الأكثر انتشاراً في فرنسا بث روح الثقة في القارئ وحثه علي الاعتقاد في شرعية التفاخر بالحروب الصليبية وتمجيد هذا المرجع التاريخي لتصدق عبارة أدورد سعيد أن: «الشرق هو صنيعه للغرب، مزدوج له، مضاد له، مجسداً لمخاوفه، ولشعوره بالتفوق في آن واحد كالجسد ويريد أن يكون له عقل...»^(٤)

ليست العنصرية من الأمور المستحدثة على فرنسا وأوروبا، ولكن من سخرية الأقدار أن يقوم بتلك الممارسات شعب وضع لنفسه شعار المساواة والإخاء، ذاكرته مليئة بالجروح فهو لم ينسى حربه مع الجزائر وبلاد المغرب العربي بل تنبعت من تلك الذاكرة صوراً نمطية للآخر وعبارات تعيد شبح الماضي. تجعله يعكس هذه الصور على الإسلام ويرى فيه عدو الماضي. ليستعيد روح العداة له ولشعوبه.

كانت أصداء خطاب بوش السابق بعث لثلاثة صور نمطية: الأولى تاريخية تركز على الحروب الصليبية كما رأينا فيما سبق. والصورة النمطية الثانية للإسلام كدين عنيف، دين رجعي يعجز عن تحديث نفسه لمواكبة الحضارة، تضطهد شريعته المرأة. الصورة الثالثة العداة لشخصية يجتمع على حبها جميع المسلمين شخصية الرسول محمد ﷺ سلطت الأضواء على جانب يرى منه القارئ الرسول على أنه رجل محب للحرب (مقدمين حجة الفتوحات) ومحب للنساء فهو متعدد الزوجات. وهاتيك لم يلق الضوء على الإسلام إلا من زاوية العنف والقتل والدمار للآخر في صحف فرنسا أخذاً في الاعتبار أن القارئ الفرنسي في الغالب يعتمد في معرفته بمجريات الأحداث كلياً على الأخبار التلفزيونية في الواحدة ظهراً وفي الثامنة مساءً كذلك على الجرائد اليومية وتحظى الأخبار المحلية بالاهتمام الأكبر ثم تأتي الأحداث العالمية في المرتبة الثانية وحسب أهميتها. ليس لدي أغلبية الشعب الفرنسي القابلية ليرجع لكتب متخصصة لتوضح له الحقائق عن الدين الإسلامي كذلك ليس كل الغرب يميل للتدين بل يفتخر الشعب الفرنسي بكونه علماني بعيداً عن الجانب الديني وبالتالي فالصحافة الرئيسية قامت بدور رئيسي في تشكيل وعيه وإعادة ترتيب قناعاته الخاصة بالإسلام وبالمسلمين ولم تراع تلك الصحف الضرر الذي قد يلحق بمسلمي فرنسا أنفسهم جراء العبث بالمصطلحات وإعادة تركيب المفاهيم على نحو معادي لكل ما هو مسلم.

الصورة النمطية الأولى: - الجهاد والفتوحات كمساوي للحرب الصليبية

تستند هذه الصورة النمطية عن الإسلام كدين عنف وغير متسامح على الحجة المغلوطة الخاصة بالاستشهاد وتوحي بأن القرآن الكريم والشريعة الإسلامية يحرضون على العداء والحرب ضد غير المسلمين. وتميز خطاب جريدة لوفيجارو بتركيزه على استخدام هذه الصورة النمطية ولم يخجل من الإعراب الصريح عنها، كما ورد في مقال لديلا تومب: «القرآن والحديث وهم منبع الشريعة، يطالبون بشكل صريح بإعلان الحرب المقدسة. فإن الجهاد يشكل واحداً من طرق التوسع النابع من طبيعة الإسلام».^(٥)

يبيد الخطاب في هذا المقال وغيره مدى تفشي الجهل بمعاني المفاهيم العقائدية وحصر معاني الجهاد الذي وجد لدى بعض العلماء ٨٠ مفهوم لم يتضمن أي منهم العداء والقتل الغير مبرر للغير، اختصره في معنى «الحرب المقدسة» وكأنه مرادف مطابق رسمي. عندما نتكلم عن الإسلام في وسائل الإعلام، فإنه غالباً ما يشير إلى «الجهاد» بمفهوم العنف والحرب ويتجاهل المعنى الذي تظهره كل المعاجم للإسلام والذي يأتي من الجذر المصطلحي كما سبق وذكرنا «السلام». وترددت نفس الصورة النمطية في جريدة ليبراسيون:

«احتفظ الغرب، ومنذ فترة طويلة بصورة لممارساته (أي الدين الإسلامي) للحرب المقدسة وقد عزز ذلك صورته كدين عسكري نشط. والجهاد هو الحرب التي أمر بها الله وألزم بها جميع المسلمون، هذه الحرب ضد كل البشرية حتى اعتناقهم للدين الإسلامي وستظل تلك الحرب قائمه إلى أن يسلم العالم أجمع بهذا الوحي الإلهي».^(٦)

لقد سمحت لنا الفرصة من استطلاع رأي طلابي الفرنسيون في البكالوريوس بجامعة فرانكفونية في هذا المقال، فظهر لنا تباين الآراء بين الطلاب مما يؤكد الاختلاف في الفهم لهذا المقال كذلك يبرهن على قوة الخطاب الصحفي وقدرته الإبداعية لتوظيف خطاب متعدد القراءات مما يؤدي لعرقلة وضوح الرؤية للقارئ ويساهم في خلطه للأمر. ولقد لوحظ أن جريدة لوموند تسير على نفس الدرب المتبع في صحيفة ليبراسيون فيما يخص استخدامها لمصطلح «الحرب المقدسة» فورد فيها علي سبيل المثال لا الحصر:

«قد أبرزت الهجمات الأخيرة واحداً من جوانب الإسلام الأصولي: الاستشهاد الذي يثير الرعب بسبب العدد الكبير للضحايا الأبرياء الذي دمرهم بوعي كامل. ويرتبط هذا الجانب الشهيد (شهيد) بمفهوم آخر للإسلام الأصولي، وهو الحرب المقدسة (الجهاد) والاستشهاد هو واقع مركزي عند فرع الشيعة الأقلية (واحد من أصل عشرة مسلم) من أتباع الله. الثورة الإسلامية الإيرانية، في نضالها ضد نظام الشاه، وخلال فترة الحرب الطويلة ضد العراق (١٩٨٠-١٩٨٨)، دعت للاستشهاد من أجل تعبئة الشباب الإيراني. وخلافاً للشيعة، الاستشهاد لا يلعب دوراً في ترسيخ الدين السني».^(٧)

الصورة النمطية الثانية : - الإسلام كدين عنيف (المرأة كمثال)

لم تكن المرأة في المجتمعات الإسلامية قبل ١١ من سبتمبر، محط اهتمام يذكر في الإعلام لكنه بعد هجمات سبتمبر قدمت قضية المرأة من منظور التميز والقمع المعمم والذي تعاني منه المرأة الأفغانية ورغم أنها قضية محدودة ولكنها كانت فرصة لوصم الشريعة الإسلامية ولتبدو أكثر ظلمة. وفي إطار التجاهل لدور الإسلام التاريخي كمحرر ومبعث للتقدم الاجتماعي عندما حد تعدد الزوجات إلى أربعة، مع شروط صارمة في التعدد وأعطى الإسلام المرأة الحق في الميراث والتملك. ولكن الإعلام الفرنسي لم يأخذ في الاعتبار حقيقة أن المجتمعات المسلمة متنوعة للغاية في التقاليد وفي ممارساتها وغير مقتصر على صورة المرأة الخائفة، المظلومة.

كما ورد في مقال نشر في جريدة لوموند: «لقد لمست معاناة المرأة الأفغانية في العالم. حتى لو كان نظام طالبان حالة انجراف قصوى وضع المرأة في معظم البلدان الإسلامية بقي مزري رغم حب محمد للمرأة» تستخدم الصحيفة استراتيجية التعميم كأنما قمع المرأة في أفغانستان يمثل صورة عامة لحالة المرأة في كل البلدان الإسلامية. وكأن إيدولوجية الطالبان تمثل إيدولوجية الإسلام. في واقع الأمر هذه الاستراتيجية تستخدم صورة المرأة الأفغانية لتشويه صورة الإسلام. في مقال آخر لجريدة الفيجارو: «دعونا نتحدث عن النساء! لا شك أننا سنجد العديد من الآيات التي تحمي المرأة، ولكن في الواقع الإسلام يشجع على إسقاطها من الحسبان»^(٨)

برغم اعتراف الخطاب في هذا المقال بحفاظ القرآن على المرأة ولكن لا تزال نظرة التشكيك في وضع المرأة وإلقاء اللوم على الإسلام واضحة. إن تقنية الخطاب الإعلامي فيما يخص صورة المرأة تبدو انتقائية فهو يتخير الموضوعات لإطلاع القارئ على حال النساء المسلمات الخاصة. ثم، يستخدم تقنية التعميم عندما يقدم تلك الحالة على أنها حال كل المسلمات في جميع البلدان الإسلامية في العالم وفي النهاية يكون قد رسم صورة ذهنية لدى المتلقي.

الصورة النمطية الثالثة : عن النبي (عليه الصلاة والسلام)

أي تصوير للإسلام لا يمكن أن يغفل عن الإشارة إلى الرسول ﷺ. ولكن قد يختار تقديمه بشكل مختلف، باعتباره مؤسس، أو باعتباره المسؤول عن عدد من الأحاديث أو كرجل تاريخي أو زعيم روحي. ولكن المقالات التي تعرضنا لها بالتحليل يتناول الخطاب الإعلامي خارج المجال الديني حتى ولو كان الخطاب موجه لمسلمين. حتى الاسم متغير استخدامه دون توضيح أو مجرد الإشارة لسبب اختيار (محمّد / محمد) كأنما الأمر متروك لصاحب الخطاب.

محمد			محممت			النبي		
ظهرت ١٠			ظهرت ٨٩			ظهرت ٨٠		
لوموند	ليبراسيون	فيجارو	لوموند	ليبراسيون	فيجارو	لوموند	ليبراسيون	فيجارو
٦	٠	٤	٨٢	٣	٤	٥٣	١٢	٥

موجز للتسميات المختلفة المستخدمة في الثلاث صحف الرئيسية

(وفي الثلاثة أشهر التالية لأحداث سبتمبر ٢٠٠١)

ورد في جريدة لوموند: «حياة النبي محممت مؤسس كانت في آن واحد نعومة – عشرة نساء تزوجهن وصحبة ابن عمه علي والحرب {...} تلك النساء اللاتي أدخلنه في صفوة المجتمع المكي. خديجة هي الأولى.

هي التي علمته الحب والتجارة {...} محموت لا يحيط به إلا النساء. من خديجة أنجب ٥ بنات {...} والأكثر شهرة في بناته.

والمرتبطة بتبجيله هي ابنته الصغرى فاطمة والتي تزوج بها ابن عمه علي. وبعد وفاة خديجة عام ٦١٩، تتوالى الزوجات في سريرته، سوده ثم عائشة، الزوجة المفضلة لديه، ورعة وذكية، «أم المؤمنين»، وحفصة، وزينب، وسلامة، وجويرية، وحبيبة، صفية وميمونة ما يصل بهم إلى تسعة زوجات في آن واحد {...} منذ وقت طويل قبل الإسلام، مارس العرب تعدد الزوجات. في حين يعتبر محمد من وجه نظر المسيحيون شهواني. تعاليم القرآن، لا تحرم المتعة الجنسية، بل تشرع تلك الممارسة».^(٩)

بدء التوضيح من قبل كاتب المقال بتسليط الضوء على دور المرأة في حياة محمد. كأنما هي طريقة لتقييم مكانة المرأة في أصول الإسلام بخلاف القوالب النمطية المذكورة أعلاه. كذلك ذكر النعومة في المعاملة وتأتي على خلاف مع العنف. ولكن إذا كان من الجدير بالذكر أن تعدد الزوجات كان موجودا قبل الرسول محمد ﷺ ركز الخطاب على عدد زوجاته والنشاط الجنسي الذي توجي به عبارة «تتوالى الزوجات في سريرته» حضر في ذهن القارئ صورة نمطية عن النبي تدعم النظرة التقييمية للمسيحيين في زيجات الرسول، حتى لو تظاهر الكاتب في محاولة منه ألا يأخذ على عاتقه مسؤولية ما نقله عن وجهة نظر المسيحيين في تعدد زوجات الرسول. لكن الاتجاه الجدلي الذي يمكن استنتاجه من هذا المقال يستند إلى استراتيجية المقارنة للقيم (الإسلامية / المسيحية) يؤيد تلك الصورة النمطية أما عن صورة الرسول المحب للعنف والحرب فأتت في مقال لدلائل في صحيفة لوفيجارو:

لأن الجهاد هو واحد من الطرق الطبيعية لتوسع الإسلام، محمد الذي شارك بنفسه في ما يقرب من ٨٠ معركة وجمع غنائم الحرب على الكفار. في القرآن، يسمى الكفاح

المسلح بالجهاد في سبيل الله «والمجاهدين الذين يقتلون يعتبروا شهداء العقيدة»^{(١٠)(١١)}

نرى صورة نمطية رسمتها الكلمات لرجل دموي يخوض المعارك حباً في العنف إلى جانب شغفه بالغنائم، فهو يجمعها بنفسه ولا تخلو الصورة من توصيف الدين الإسلامي بأنه قائم على العدا وعلو إيدولوجية الاستعمار التوسعي.

هكذا إذا يُقرأ الإسلام ويرى في خطاب الإعلام الذي هو عبارة عن قوالب «جاهزة للتفكير» تمثل صوراً نمطية لرفض الغير بشكل يومي. كل يوم يأخذ منه جرعة كراهية وعداء للآخر تارة عن طريق ممارسات للتعميم وتارة أخرى عن طريق تمييز الآخر وإقصائه.

واستناداً لما أظهره الرسم البياني الجغرافي (AFC) أدناه من مفردات المقالات الأكثر استخداماً في تلك الحقبة للثلاث صحف الفرنسية الرئيسية لوفيجارو ولبراسيو ولومند: النساء- الأسرة- السعودية - صور- باكستان. تبدو هذه المصطلحات في علاقة ترابط تحالفي، ويدعونا ظهور هذا المؤشر إلى المزيد من الدراسة والعودة لنصوص المقالات لتحليل بعض الأمثلة التوضيحية. من واقع النصوص، نجد أنه من بين جميع الانتقادات التي وجهت للإسلام والقوالب النمطية التي عممت، وضع المرأة هو الأكثر انتشاراً في الخطاب الإعلامي المكون لمادتنا العلمية حيث تقدم صورة لحالة المرأة في السعودية وفي أفغانستان على أنها حالة عامة لكل البلاد الإسلامية. وكأنما تدني الوضع الاجتماعي للمرأة، وتبعيتها للرجل، وكذلك تعدد الزوجات هم الخصائص الجوهرية والمنظور الأوح الذي يعكسه الخطاب الإعلامي الفرنسي لنرى الإسلام من خلاله.

أظهر التنقيب بمساعدة الكمبيوتر للمرادفات الإعلامية وجود كم كبير من الصور النمطية قائم على علاقات ترابطية مع استراتيجيات حججية، لن نستطيع حصرها ولكن قد أكتفينا بطرح أوسعها انتشاراً في الخطاب الإعلامي. ويظهر الرسم البياني عدة محاور دلالية تنصدر الخطاب الإعلامي ولكن هيمن عليهم عالم لمفرداته الحرب الأكثر استخداماً، ولقد أرتكز على عالم مصطلحي للقيم (الملموسة والمجردة) المتداولة والمتفق عليها بغرض الحصول على إقناع الجمهور المستقبلي بالهدف من استخدامها في الخطاب. جاءت القيم لتلعب دوراً منطقياً وأساسياً في حياة الحجة والجدل للخطاب الإعلامي والسياسي والمكون لمادتنا البحثية، يوضح الرسم البياني حشد لعالم من المفردات المعجمية تشير للقيم المتفق عليها دولياً لتبرر ولتوحد الآراء حول نوايا أمريكا للرد المسلح لتلك الهجمات. فيجئ خطاب بوش جاهداً في محاولة لإقناع جمهوره المستقبلي: جاءت نداءات بوش لتبرهن على تصميمه على حشد الجمهور وانخراطه في النضال للدفاع عن القيم كمواطن في «العالم المتحضر». يستنتج القارئ واجبه على مواجهة عدو الذي يمثل «الشر» وفي سبيل ذلك استخدمت العديد من القيم المتفق عليها مثل: الحرية - التسامح - السلام - العدل - التقدم - الحضارة - وحقوق الإنسان.



ويقودنا هذا إلى القول بأن ما هو مفقود اليوم على ما يبدو هو لإرادة سياسية واجتماعية وثقافية صادقة في ملئ الفجوة التي تراكم فيها الشعور بعدم الثقة في الآخر وسوء الفهم بين كلا الجانبين والبدء في الحوار كما دعا إليه من قبل طه حسين. وقد يكون التفكير فيما يؤكد عليه طه حسين سبيلنا لفهم الآخر وتقبله بل والتعايش معه. ويقول طه حسين أنه لا توجد فجوة بين الشرق والغرب فكل منهما يكمل الآخر. الشرق والغرب كلاهما فرع لشجرة واحدة: وهي الحضارة اليونانية. وجدير بالذكر أنه بفضل الأندلس العربية أمكن نقل هذا التراث إلى الغرب.

المصادر

- ABBES M., 2003: "Guerre et paix en islam naissance et évolution d'une" "Théorie", in Mots, n° 73, Les discours de la guerre, novembre 2003, Paris, p 43 -58.
- ADAM J-M., HERMAN Th., LUGRIN G., 2000: (sous la direction de) Genres de la presse écrite et analyse de discours. Semen, n° 13, Besançon, Édition Université de Franche-Comté, 204 p.
- ADAM J-M., 1999: Linguistique textuelle. Des genres de discours aux textes, Paris, Édition Nathan Université, 208 p.
- ADAM J-M., 2006: "Autour du concept de texte. Pour un dialogue des disciplines de l'analyse des données textuelles", Conférence inaugurale des JADT 2006, in Lexicometrica, revue en ligne du SYLED-Paris III.
- http://www.cavi.univ-paris3.fr/lexicometrica/jadt/JADT2006PLENIERE/JADT2006_JMA.pdf.
- ALSIBAY M., 1998: AlMaraa Bain Al kanoun. Wa Al chariaa. Wa Al wakiaa (La femme entre la loi. la charia et la réalité), Le Caire, Edition Dar Al Salam et Dar Al Awrak, (en langue arabe), 227 p.
- ALTHUSSER L., 1965: Pour Marx, Paris, Édition Maspero, 238 p.
- AMOSSY R. et HERSCHBERG-PIERROT A., 1997: Stéréotypes et clichés. Langue. discours. société. [1ère édition 1997] Paris, Édition Nathan coll., 128 p.
- AMOSSY R., 1999: (sous la direction de), Images de soi dans le discours. la construction de l'ethos, Paris, Éditions Delachaux et Niestlé, 215 p.
- AMOSSY R., 2000: L'argumentation dans le discours. Discours politique. Littérature d'idées, Paris, Édition Nathan Université, coll., Cursus, Fac Linguistique, 275 p.
- AUBENAS F. et BENASAYAG. M, 1999: La fabrication l'information. les journalistes et l'idéologie de la communication. Paris, Édition La Découverte, 109 p.
- AUSTIN, 1979: Quand dire c'est Faire, [1 première édition 1962], Paris, Seuil, Coll., Points, 202 p.
- AUTHIER-REVUZ J., et MEUNIER A., 1977: "Exercices de grammaire et discours rapporté" in Langue française. n° 33, pp. 41-67.

- BARDIN, L., 1980: L'analyse de contenu, Paris [2ème éd. 1986], Édition PUF, 296 p.
- BARRY A., 2002: Pouvoir du discours et discours du pouvoir; L'art oratoire chez Sekou Touré de 1958 A 1984, Paris, Édition Harmattan, 323 p.
- BELLENGER. L., 1985: La persuasion, Paris, PUF, "Que sais-je"? 127 p.
- BENARAF A., 1994: La nation de terreur et de terrorisme en arabe et en français.: étude historique et comparative, Paris IV, Thèse de 3e cycle, 307 p
- BENVENISTE E, 1976, Problèmes de linguistique générale I, [1ère édition 1966], Paris, Édition Gallimard, 356 p.
- CHARAUDEAU P., 2005: Le discours politique: les masques du pouvoir, Paris, Édition Vuibert.
- CHARAUDEAU P., 2005b: Les médias et l'information: L'impossible transparence du discours, Paris, Édition De Boeck.
- CHOMSKY N., HERMAN E., 1988: La fabrique de l'opinion publique, (Trad. 2003 par DUCORNET G.,) Paris, Éditions Le Serpent A Plume, 245p.
- DUCROT O. et ANSCOMBRE J. -C., 1994: L'argumentation dans la langue, coll., philosophie et langage, Bruxelles, Édition Mardaga, [1ère édition 1988], 184 p.
- GOODY J., 2004: L'islam en Europe: histoire. échanges. conflits, Paris, Édition La Découverte, 177 p.
- PERELMAN C., OLBRECHTS-TYTECA L., 1970: Traité de l'Argumentation, la nouvelle rhétorique, [1 er édition 1954], Bruxelles, Éditions de l'Université de Bruxelles, Coll., sociologie générale et de philosophie sociale, 734 p.
- VIPREY J. -M., 2005: "Philologie numérique et herméneutique intégrative" in Sciences. du texte et analyse de discours: enjeux d'une interdisciplinarité. (dir) Jean-Michel Adam et Ute Heidman, Édition Slatkine, pp. 52-67.

الهوامش

- (١) لومند، ٢ أكتوبر ٢٠٠١.
- (٢) بيرلمان وتيتكا، ١٩٥٨: ٣٢٩.
- (٣) لوفيجارو، ٢٥ سبتمبر ٢٠٠١.
- (٤) إدوارد السعيد، المستشرقون، ٤٦: ١٩٩٤.
- (٥) لوفيجارو، ٢٥ سبتمبر ٢٠٠١.
- (٦) ليبراسيون، ٢ أكتوبر ٢٠٠١.
- (٧) لومند، ٢ أكتوبر ٢٠٠١.
- (٨) لوفيجارو، ٤ أكتوبر ٢٠٠١.
- (٩) لوفيجارو، ٢٥ سبتمبر ٢٠٠١.
- (١٠) لوفيجارو.

التلوث النفطي لمياه البحر وأثره على الأحياء والعمليات الحيوية السياحية (دراسة ميدانية في ساحل منطقة الخمس بليبيا)

د. عمر إبراهيم المنشاز



تطل شواطئ منطقة الخمس على البحر المتوسط الذي يتميز بموقعه الاستراتيجي الذي عمل على زيادة حركة النقل البحري في هذا البحر (وصلت إلى ٣٠٪ من النقل التجاري العالمي، و٢٠٪ من شحنات النفط العالمي)^(١)، التي تمثل وتمثل أحد المصادر الرئيسية للتلوث البحري.

كما تسهم المخلفات النفطية التي تتدفق في مياه البحر المتوسط من مخلفات الورش، والمجمعات الصناعية، ومصانع مشتقات النفط، ومصانع البتروكيماويات، وعوادم السيارات، والمحروقات... إضافة إلى الناقلات النفطية التي تأتي إلى محطة تحلية الخمس لتزويدها بالوقود في تلوث هذا البحر وتكون كرات القار على الشاطئ.

• دكتورة في الجغرافيا الطبيعية (البيئة)، وكيل الشؤون العلمية لكلية الآداب والعلوم الخمس، جامعة المرقب/ليبيا
omar559670@yahoo.co.uk

(١) برنامج الأمم المتحدة للبيئة، البيئة العالمية، التقرير السنوي، نيروبي، ١٩٩٠م، ص ١٠٧.

تقع منطقة الخمس في الجزء الشمالي الغربي من ليبيا وتطل على البحر المتوسط بشاطئ يصل طوله إلى حوالي ٣٠ كم، من وادي غنيمه غرباً إلى وادي كعام شرقاً، أي بين خطي طول ١٧° ٢٦' و ١٤° ٤٨' و ٩٠° ١٤' شرقاً [خريطة رقم (١)].

هدف البحث

- معرفة مدى تلوث شواطئ منطقة الخمس بالنفط.
- معرفة أثر التلوث النفطي لشواطئ منطقة البحر على الإنسان، والكائنات الحية البحرية، وجمالية الشاطئ.
- التوعية البيئية بمدى أخطار التلوث البحري بالنفط.

فرضيات البحث

- ١- توجد علاقة بين تفرغ النفط من الناقله لمحطة تحلية الخمس وارتفاع معدلات تلوث شاطئ منطقة البحث بالنفط (كرات القار).
- ٢- توجد علاقة بين الرياح الشمالية الشرقية وزيادة التلوث في الجانب الغربي من كل خليج في ساحل منطقة البحث.
- ٣- شرق منطقة البحث أقل تلوثاً من غربها.
- ٤- يوجد ارتفاع في عدد ووزن كرات القار بالقرب من محطة تحلية الخمس.

منهجية البحث

تم استخدام المنهج الكمي من خلال الدراسة الميدانية لساحل منطقة البحث، وذلك لاكتشاف مؤشرات التلوث بكرات القار (النفط) فيه. فتم تحديد خمس مواقع لأخذ العينات وحدد ١٠٠ م^٢ لكل موقع من مواقع البحث، اعتماداً على دراسة سابقة لكل القار في الساحل الغربي لليبيا^(٢)، وتم وضع الشريط الطولي من آخر نقطة تصل إليها مياه مد البحر إلى مسافة ٢٥ م، وانتشلت كتل القار الموجودة في كل م^٢ داخل الإطار ووضعت في كيس خاص، ثم وزنت كل على حدة، علماً بأنه لا يتم الحفر داخل الإطار للبحث عن كتل القار إلا بمسافة ١٠ سم، ثم سجلت القراءات لتحليلها.

(٢) محبوب عمر القبلي. التلوث بالنفط - أسبابه وآثاره على البيئة. مجلة البيئة، العدد الثالث، الهيئة العامة للبيئة، ٢٠٠١م، ص ٢٩.

تم اختيار خمسة مواقع على ساحل منطقة البحث [انظر الخريطة رقم (١)]، حيث اختير موقع في شرق منطقة البحث، وموقع آخر في غرب منطقة البحث بالقرب من وادي غنيمة، وذلك للمقارنة بين شرق منطقة البحث مع غربها، كما اختير موقع شرق محطة تحلية الخمس، وموقع غربها، واختير موقع بالقرب من مدينة الخمس عند منطقة المنارة؛ وذلك لقرب هذا الموقع من ميناء الخمس التجاري.

•المصدر: الصادق محمود عبد الصادق. الأبعاد الجغرافية لمواقع الأنشطة الصناعية في منطقة الخمس. جامعة المرقب، (رسالة ماجستير غير منشورة)، ٢٠٠٢م، بتصرف من الباحث.

أولاً: الخصائص الجغرافية الطبيعية والبشرية المؤثرة في تلوث منطقة البحث

أ) طبيعة الساحل والمناخ

يتميز ساحل منطقة البحث بانخفاضه عن البحر، تغطيه الرمال التي قد ترتفع في بعض الأحيان لتكون كثباناً رملية، إضافةً إلى ظهور بعض الألسنة والرؤوس الصخرية البحرية المتداخلة في البحر مثل: رأس ماقرو، ورأس وصيف. كما يتميز الساحل بقلة تعاريجهِ إلا في بعض الحالات كالفجوات الصغيرة التي أحدثتها مصبات الأودية أو الخلجان المفتوحة التي تكونت ما بين الألسنة والرؤوس التي قاومت التعرية البحرية^(٢).

هذا الشكل للساحل لعب دوراً في مدى ولوج التلوث النفطي في ساحل منطقة البحث، فلو كان الساحل صخرياً مرتفعاً لما انتشرت كرات القار على الشاطئ كما هو في منطقة البحث، كما لعب شكل الساحل دوراً آخر في توزيع مناطق تركيز الملوثات النفطية على الشاطئ، فمن خلال الدراسة الميدانية والتجارب المجراة (ص ١١-١٢) وجد أن غرب منطقة البحث أكثر تلوثاً من شرقها، وقد يكون ذلك بسبب المناخ حيث تلعب الرياح الشمالية الشرقية الجافة التي تهب على منطقة البحث أغلب فصول السنة دوراً في ذلك، كما لوحظ أن المناطق الغربية في الخلجان المفتوحة أكثر تلوثاً من الشرقية، وذلك للسبب نفسه المذكور آنفاً.

ب) الأمواج والتيارات البحرية

تتقل الأمواج والتيارات البحرية الملوثات من وسط البحر إلى الشواطئ، فعند حدوث أي تسرب نفطي أو إلقاء أي مخلفات نفطية من قبل البواخر أو السفن في عرض البحر، فإن الأمواج والتيارات البحرية كفيلة بنقلها إلى المناطق الساحلية، ومن ثم فإنها تضر بالمناطق الساحلية وتلوثها، وتؤثر في الأحياء البحرية في تلك الشواطئ، كما حدث في بعض حوادث الفرق للسفن المحملة بالنفط، إضافة إلى ذلك تسهم حركة المد والجزر في نقل وترسيب الملوثات النفطية على الشواطئ، فعندما يتكون المد تطفئ مياه البحر على الشاطئ وبخاصة في الخلجان والسواحل ذات الانحدار المتدرج كما في منطقة البحث.

(٢) عمر المشاز. مصنع لبدّة للإسمنت وأثره على البيئة المحيطة. جامعة السابع من أبريل، (رسالة ماجستير غير منشورة)، ٢٠٠٠م، ص ٢٢-٢٣.

كما تلعب التيارات السطحية التي تدخل من مضيق جبل طارق دوراً في جلب الملوثات إلى سواحل منطقة البحث من جميع المناطق التي تمر بها، وتساعد الرياح الشمالية الشرقية في توجيهها نحو ساحل منطقة البحث، حيث لوحظ في الدراسة الميدانية -كما أسلفنا- تركيز الملوثات في الجانب الغربي للخلجان الصغيرة أكثر من الجانب الشرقي.

ج) السكان

تعد منطقة الخمس من المناطق المزدحمة بالسكان حيث يقدر عدد سكانها في سنة ٢٠١٢م بنحو ١٦٠٠٠ نسمة، في حين أن مساحتها تصل إلى نحو ٧٢٧,٥ كم^٢، وبذلك فإن كثافتها السكانية في عام ٢٠١٢م تقدر بنحو ٢١٦,٩ نسمة/ كم^٢. يقطن أغلب سكان المنطقة بالقرب من الساحل، حيث تنخفض الكثافة السكانية كلما اتجهنا نحو الجنوب.

إن ارتفاع عدد السكان وكثافتهم على الساحل يزيد من حجم أنشطتهم الاقتصادية الأمر الذي يؤدي إلى زيادة مخلفاتهم النفطية من مخلفات للورش، وتغيير زيوت السيارات والشاحنات، وعمليات تنظيف محركاتها، والتي تلقى في شبكة المجاري لتنتقل إلى البحر، أو تلقى مباشرة فيه، هذا عدا ما يتخلف من أنشطتهم الاقتصادية الأخرى.

ثانياً: الأسباب الرئيسية لحدوث التلوث النفطي في ساحل منطقة البحث

١- **حوادث ناقلات النفط:** يتسرب ما يصل إلى مليوني طن سنوياً من الزيت الخام إلى مياه البحار والمحيطات؛ وذلك بسبب غرق ناقلات النفط، وهي كثيرة فمثلاً وقع تسعة عشر حادثاً منها عام ١٩٨٩م فقط^(٤). ونظراً لعمل التيارات البحرية والرياح والأمواج في نقل بقع الزيت- كما ذكر آنفاً- تصل هذه البقع إلى السواحل، ومنها ساحل منطقة البحث.

٢- **التسربات:** أ) التسربات التي تنتج أثناء تفريغ الشحنات النفطية، كما يحدث في منطقة البحث حيث تزود ناقلة نفطية محطة تحلية الخمس بالزيت الثقيل مرتين في الشهر تجلبه من مصفاة الزاوية لتكرير النفط. تحمل هذه الناقلة كمية من الوقود تبلغ حوالي ٣٠٠٠٠ طن لينقل عبر الأنابيب تمر فوق جسر طوله ٩٥٠م لتفرغ في ٦ خزانات حمولة الواحدة منها ٢٠٠٠٠م^(٥).

تسبب الناقلة النفطية التلوث البحري من خلال التسرب النفطي الذي يحدث من الناقلة عند تسخين الوقود داخل الناقلة في منطقة المخطاف، أو عندما تكون هناك أمواج

(٤) محمد إبراهيم حسن. دراسة تحليلية لأنواع البيانات ومظاهر التلوث. جامعة الإسكندرية، ٢٠٠٣م، ص ٥٦.

(٥) محطة تحلية الخمس، مقابلة شخصية، قسم الوقود، ٢٠٠٩م.

مرتفعة، وعدم استقرار تام للبحر، الأمر الذي يعمل على عدم اتزان الناقله أمام الجسر الأمر الذي يؤدي إلى انسكاب الوقود عند مناطق اتصال الأنابيب بالناقله عند سحب أو تفريغ الوقود.

ب) التسربات التي تنتج من تكرير النفط، وهذا التسرب ينتج عن مصافي النفط عند شحن الناقلات بمشتقات النفط، وتوزيعها إلى العالم، كما يحدث في مصفاة الزاوية لتكرير النفط.

٣- حركة النقل التجارية: يسهم ميناء الخمس البحري في زيادة التلوث البحري لساحل منطقة البحث، حيث أنشئ ليستوعب حركة التجارة المتزايدة.

إن حركة النقل البحرية المتزايدة من وإلى الميناء سببت في زيادة التلوث البحري؛ نظراً لقيام بعض السفن بغسل صهاريجها من بقايا النفط، وتغيير زيوت محركاتها، وكذلك عمليات التزود بالوقود... فتصل المخلفات بعد ذلك إلى ساحل منطقة البحث بسبب الأمواج والتيارات البحرية والرياح الشمالية الشرقية السائدة.

٤-عمليات التنقيب والحفر عن النفط واستخراجه من البحر: أو من بعض الآبار المجاورة للشاطئ، أو بسبب تلف بعض خطوط الأنابيب التي تنقل الزيت من منابعه إلى موانئ النفط البحرية.

ثالثاً: نتائج الدراسة الميدانية

من خلال الدراسة الميدانية للمنطقة في أواخر فصل الربيع سنتي ٢٠٠٥م و٢٠١٠م تبين أن أعلى نسبة تلوث بكرات القار سجلت في غرب محطة تحلية الخمس، وتتمثل في الموقع رقم (٢)، حيث بلغت كمية كرات القار بها حوالي ١٤٧,٢٣ غرام/م^٢ سنة ٢٠٠٥م، و١٤٤,٨٠ غرام/م^٢ سنة ٢٠١٠م، ويرجع ذلك إلى الملوثات النفطية التي تلقيها الناقله النفطية التي تزود محطة التحلية بالوقود، كما بلغت كمية كرات القار في الموقع رقم (٤) المتمثل في شرق التحلية حوالي ١٠٠,٢٤ غرام/م^٢ سنة ٢٠٠٥م، وحوالي ١١٢,١٤ غرام/م^٢ سنة ٢٠١٠م، وقد يرجع سبب ارتفاع كميات كرات القار في هذا الموقع إلى الناقله النفطية التي تزود محطة التحلية بالوقود إلا أن انخفاض كمية كرات القار شرق التحلية عن غربها قد يرجع إلى التيارات البحرية والرياح الشمالية الشرقية السائدة على منطقة الخمس.

أما الموقع رقم (١) الموجود غرب منطقة البحث بالقرب من وادي غنيمه فقد بلغت فيه كمية كرات القار سنة ٢٠٠٥م حوالي ٢١,٧٣ غرام/م^٢ وفي سنة ٢٠١٠م بلغت حوالي

٤٨, ٤٠ غرام/م^٢، وقد يرجع انخفاض كمية كرات القار في هذا الموقع عن الموقعين السابقين إلى اختلاف مصدر كرات القار ففي هذا الموقع تصل كرات القار من حوادث التسرب النفطي في عرض البحر، وحركة السفن في ميناء الخمس البحري، وفي الموقع رقم (٢) الموجود في منطقة المنارة بمركز مدينة الخمس، حيث بلغت كمية كرات القار حوالي ٢٢, ٨٢ غرام/م^٢ سنة ٢٠٠٥م وحوالي ٢٩, ٦٢ غرام/م^٢ سنة ٢٠١٠م، وقد يرجع وجود كرات القار في هذا الموقع إلى حوادث التسرب النفطي في عرض البحر إضافة إلى ميناء الخمس البحري والناقلة النفطية التي تزود محطة التحلية بالوقود.

أما الموقع رقم (٥) الواقع شرق منطقة البحث والموجود في ساحل منطقة كعام فقد بلغت كمية كرات القار فيه سنة ٢٠٠٥م حوالي ١, ٠٢ غرام/م^٢، وفي سنة ٢٠١٠م حوالي ٠, ٤٤ غرام/م^٢، وبذلك يعد أقل المواقع تلوثاً بكرات القار، وقد يرجع ذلك إلى بعده عن محطة التحلية وميناء الخمس البحري، ووقوعها في شرق منطقة الدراسة، الأمر الذي يقلل من كمية كرات القار الواصلة بسبب شكل الساحل والرياح الشمالية الشرقية التي تدفع بالملوثات نحو الغرب.

رابعاً: التحليل الجغرافي لمؤشرات التلوث بكرات القار

من خلال العرض السابق لنتائج الدراسة الميدانية نجد أن شواطئ منطقة البحث تعاني من التلوث النفطي، فكتل القار موجودة على جميع شواطئها بالرغم من تفاوت هذه الكميات بين موقع وآخر.

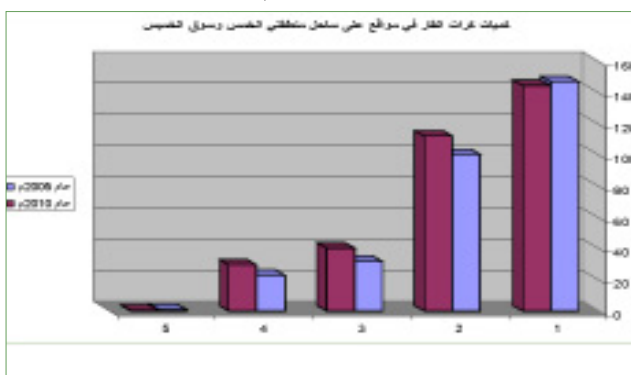
ومن خلاله أيضاً نجد أن شرق منطقة البحث أقل تلوثاً من غربها، حيث بلغت كمية كرات القار في شرق المنطقة (١, ٠٢ - ٠, ٤٤ غرام/م^٢)، بينما بلغت كمية كرات القار أكثر من هذه الكمية في كل المواقع الأخرى غرب المنطقة. وهذا ما يثبت الفرضية رقم ٣ التي تقول بأن «شرق منطقة البحث أقل تلوثاً من غربها».

كما تبين من خلال الدراسة الميدانية أن الموقعين القريبين من محطة التحلية سجلا الكمية الأكبر على ساحل منطقة البحث من كرات القار (١٤٧, ٣٣ - ١٤٤, ٨٠ غرام/م^٢ غرب التحلية)، و(١٠٠, ٣٤ - ١١٢, ١٤ غرام/م^٢ شرق التحلية)، ويرجع هذا التلوث إلى تسرب النفط أثناء عملية التفريغ إضافة إلى تسخين الوقود داخل الناقلات استعداداً لعملية التفريغ عند وقوعها في منطقة المخطاف الأمر الذي يؤدي إلى فيضان الخزانات وتسرب النفط، ومن ثم وصولها إلى الشاطئ بتأثير التيارات البحرية والأمواج. وهذا ما يثبت الفرضية رقم ١ التي تقول «توجد علاقة بين تفريغ النفط من الناقلات لمحطة تحلية الخمس وارتفاع معدلات تلوث شاطئ منطقة البحث بالنفط (كرات القار)».

كما يمكن أن نستخلص من ارتفاع كمية كرات القار غرب التحلية عن شرقها إلى أن للرياح الشمالية الشرقية التي تهب على السواحل الشمالية لليبيا دور في ذلك إذ تدفع التيارات البحرية والأمواج للتحرك نحو الاتجاه الشمالي الشرقي أيضاً لتصل إلى السواحل الغربية أكثر من الشرقية، وللجانب الغربي من كل خليج أكثر من شرقه، كما يثبت هذا القول ما نلاحظه من ارتفاع كميات كرات القار غرب منطقة البحث عن شرقها، ومن ملاحظة ارتفاعها في الجانب الغربي من كل خليج عن شرقه، وهذا يثبت الفرضية رقم ٢ التي تقول «توجد علاقة بين الرياح الشمالية الشرقية وزيادة التلوث في الجانب الغربي من كل خليج في ساحل منطقة البحث».

وبالمقارنة بين نتائج سنتي ٢٠٠٥م و٢٠١٠م (شكل رقم ١) نلاحظ تقاربها بشكل عام، ولكن هناك بعض التغيرات في كمية كرات القار ووزنها في الموقع رقم (١)، والموقع رقم (٢) الموجودان بالقرب من ميناء الخمس البحري، حيث يقع الموقع رقم (١) غربه بالقرب من وادي غنيمه، والموقع رقم (٢) شرقه في منطقة المنارة بالقرب من مركز مدينة الخمس، وقد يرجع ارتفاع كمية كرات القار في هذين الموقعين سنة ٢٠١٠م إلى تزايد نشاط حركة السفن لهذا الميناء عن ذي قبل.

شكل رقم (١)



المصدر: الدراسة الميدانية للباحث

إضافة إلى ذلك لوحظ من خلال الدراسة الميدانية أن كرات القار المجمعة من الشاطئ ذات نوعين من التكوين فمنها الحديث التكوين الذي تكون فيه بعض الزيوت موجودة، وتكون على شكل انسيابي مفتت، الأمر الذي قد يدل على أنه أتى من مناطق قريبة مثل الناقلات النفطية التي تجلب الوقود لمحطة تحلية الخمس. والنوع الآخر قديم التكوين على شكل كرات، مما يدل على أنها آتية من مناطق بعيدة أثرت فيها حركة المياه

وشكلتها بالشكل الكروي.

خامساً: الآثار البيئية للتلوث النفطي على شواطئ منطقة البحث

يعد النفط ومشتقاته من أخطر الملوثات التي تدخل البيئة البحرية، حيث ينتشر على مساحة واسعة من البحر تصل إلى ٣٠٠ كم من مصدر التسرب، ويكوّن طبقة رقيقة عازلة بين الهواء الخارجي ومياه البحر الأمر الذي يؤدي إلى حدوث آثار فيزيائية وحيوية^(٦)، وآثار مباشرة قصيرة المدى، وآثار غير مباشرة طويلة المدى.

أ) الآثار قصيرة المدى

١- الإضرار بالطيور البحرية: الطيور البحرية تشكل جزءاً مهماً من البيئة، وضررها يعد إخلالاً بالتوازن الحيوي، فالانسكاب النفطي يلطخ ريش هذه الطيور بالنفط فتفقد قدرتها على الاحتفاظ بحرارة جسمها وعزلها عن الجو المحيط بها، وتصبح عاجزة عن الطيران لتسبح ريشها بالقار، ومن ثم تموت على الشاطئ لضعف مقاومتها للبرد فضلاً عن تسممها عند دخول النفط إلى أجهزتها الحيوية أثناء قيامها بتنظيف ريشها بمناقرها^(٧).

٢- الإضرار بالحياة النباتية: يعمل النفط المتسرب الذي يصل إلى المناطق الساحلية مدفوعاً بالأمواج والتيارات البحرية على تغطية الطحالب والنباتات البحرية بطبقة عازلة الأمر الذي يعرضها للهلاك.

٣- تسمم الكائنات الحية: تتباين الكائنات الحية البحرية في درجة حساسيتها لسمية التلوث النفطي ويعتمد ذلك على:-

أ- عمر الأحياء البحرية، فالبيض واليرقات والأحياء الصغيرة السن أكثر حساسية من الأحياء البالغة.

ب- طبيعة الملوثات النفطية وكميتها.

ج- الوقت من العام الذي يتم فيه تعرض الأحياء البحرية للتلوث الناجم من

(٦) الختالي، عمرو وآخرون. دراسة مقارنة لوجود وانتشار زيت النفط بالسواحل الغربية للجماهيرية.

٢٠٠٣م، ص ٣٥.

(٧) المنظمة الإقليمية لحماية البيئة البحرية، مركز الأحياء البحرية تاجوراء. نشرة البيئة البحرية، العدد

٢٠٠٣م، ص ١٧.

تتعرض الأحياء البحرية للتسمم بخاصة من الهيدروكربونات النفطية القابلة للذوبان في الماء، يدل على ذلك ما شوهد في الدراسة الميدانية من نفوق أعداد من الأسماك وبخاصة الصغيرة منها وخروجها إلى الشاطئ.

٤- **السياحة والاصطياف:** تتأثر حركة السياحة في المناطق التي تعتمد على الشواطئ، خاصة إذا كانت هذه الشواطئ قريبة من مصدر تسرب النفط كما في منطقة البحث أثناء الصيف، فغالباً ما تتجمع حبيبات الزيت الخام بتأثير درجة الحرارة خاصة في فصل الصيف، ودائماً ما يحتوي الزيت على نسبة عالية من المواد الشمعية التي تقلل من كثافته، ولذلك يبقى جزء كبير من الزيت طافياً على الماء، ويتحرك الزيت مع الأمواج ليصل إلى الشاطئ مؤدياً لتلوث الرمال كما يوجد في منطقة البحث، الأمر الذي ينفر السائحين والمصطافين من تلك الأماكن.

٥- **انخفاض نفاذية الضوء:** يقلل وجود بقع الزيت نفاذية الضوء بمقدار ٩٠٪ على عمق ٢م بالمقارنة مع المياه الرائقة، ويؤدي إلى أضرار في عملية البناء الضوئي للأحياء النباتية، ويؤثر في نمو العوالق البحرية والنباتات الساحلية في حالة استمرار البقعة لفترة طويلة.

٦- **انخفاض تركيز الأكسجين المذاب:** تعمل طبقة الزيت الطافية على سطح المياه على سحب كمية من الأكسجين المذاب في المياه، كما أنها تمثل طبقة عازلة بين الهواء والماء تعيق تشبع المياه بأكسجين الهواء الجوي، وكذلك فإن نسبة الأكسجين الذائبة في المياه تقل، وينعكس ذلك على الكائنات الحية البحرية في منطقة البحث، الأمر الذي يؤدي إلى اضطرابات في توازن البيئة البحرية، وخطر على كائنات البحر.

(ب) الآثار بعيدة المدى

١- **الإخلال بالتنوع الحيوي للكائنات البحرية:** تعتمد العديد من العمليات الحيوية المهمة لبقاء الأحياء البحرية في فعاليتها على تراكيز منخفضة من المركبات الكيماوية في المياه البحرية، فعلى سبيل المثال تنجذب المفترسات لغذائها بواسطة مركبات عضوية موجودة في المياه البحرية بتراكيز منخفضة جداً تقدر بالأجزاء بالبلليون، كما أن هذه المركبات تستخدم من قبل أحياء أخرى للهروب من مفترساتها والانجذاب للجنس

(٨) إبراهيم، مبروكة هدية وآخرون. التلوث المائي بالنفط أسبابه - تأثيراته - معالجته. جامعة الفاتح،

الآخر خلال التكاثر، وفي التعرف على البيئات المختلفة، والمركبات النفطية تتدخل في هذه العمليات من خلال تأثيرها في مستقبلات الطعم أو من خلال تقليدها للمستحاثات الطبيعية. إن هذه التدخلات تؤثر بصورة أكيدة في مدى بقاء بعض الأنواع البحرية، فعدم تعرف نوع معين على مفترساته قد يؤدي إلى انقراضه.

كما يحدث انحراف فسيولوجي وسلوكي في الأحياء البحرية نتيجة تركيزات المواد الهيدروكربونية بين ١٠-١٠٠ جزء في المليون، ومنها تأخر الانقسام الخلوي في الهوائم والتبويض غير الطبيعي في الأسماك^(٩)، كما يقل وجود بعض الكائنات الحية البحرية وتزيد أعداد أنواع أخرى لتمكنها من مقاومة التلوث النفطي، وفقدانها للعدو الطبيعي لها، مثل ما لوحظ خلال الدراسة الميدانية من انتشار نوع من الهوائم البحرية× في الموقع رقم (٢) أكثر من ذي قبل^(١٠).

٢- التراكم خلال السلاسل الغذائية: للكثير من المركبات الهيدروكربونية النفطية خاصية التراكم والهجرة، حيث تبقى ثابتة بعد دخولها إلى أجسام الكائنات الحية البحرية، وتنتقل خلال السلاسل الغذائية البحرية دون حدوث تغير لها، وبهذا يزداد تركيزها مع زيادة عدد حلقات السلسلة الغذائية، لتصل إلى الإنسان في النهاية، حيث يتغذى الإنسان على حيوانات بحرية في الغالب، ونادراً ما يتغذى على نباتات بحرية أو حيوانات بحرية أولية.

ويمكن ملاحظة تركيز المواد الهيدروكربونية النفطية في الحيوانات البحرية من خلال تغير طعم الأسماك، حيث أن تلك العناصر ذات طعم ورائحة يمكن للإنسان أن يشعر به^(١١).

سادساً: النتائج

١- أثبت البحث أن جميع شواطئ منطقة البحث تعاني من التلوث النفطي بالرغم

(٩) العاقل، الصديق وآخرون. تلوث البيئة الطبيعية. منشورات الجامعة المفتوحة، ١٩٩٠م، ص ١٩٨.

(١٠) الدراسة الميدانية للباحث، مقابلة شخصية مع أحد الصيادين في منطقة البحث.

• هي حيوانات لا فقارية تعيش في البحر مثل قناديل البحر، وسميت بالهوائم لأن التيار يجرفها أين ما ذهب، وبذلك فهي هائمة في البحر.

(١١) امقلي: امحمد عياد. تلوث البحار والمحيطات بالنفط ومشتقاته. مجلة العلوم الإنسانية، العدد الثاني،

١٩٩١م، ص ٣٧١.

من التفاوت بين منطقة وأخرى.

٢- خلص البحث إلى أن للناقلة النفطية التي تزود محطة تحلية الخمس دوراً كبيراً في زيادة التلوث النفطي بمنطقة البحث.

٣- وجود كميات من كرات القار في الموقع رقم (٥) بالرغم من عدم وجود مصدر قريب لهذه الكرات أثبت أن الكوارث النفطية التي تحدث في عرض البحر المتوسط أسهم بجزء مهم في تلوث منطقة البحث بالنفط.

٤- من خلال ملاحظة التغيرات في كمية كرات القار بين سنتي ٢٠٠٥م و٢٠١٠م وجد أن كثرة حركة السفن في ميناء الخمس البحري وإلقاءها للزيوت تسبب في زيادة تلوث شواطئ المنطقة بالنفط.

٥- أثبت البحث أن للرياح الشمالية الشرقية دوراً في تركيز الملوثات النفطية غرب منطقة البحث أكثر تلوثاً من شرقها، وفي تركيزها في الجانب الغربي من كل خليج في ساحل منطقة البحث عن شرقه.

سابعاً: المقترحات

من خلال نتائج البحث يمكن عرض بعض الحلول العملية التي يمكن أن تكون كفيلاً بجل مشكلة تلوث ساحل منطقة البحث، وذلك من خلال التركيز على محاولة علاج الأسباب المؤدية لها:

١- استخدام كل التقنيات الملائمة لمنع تسرب النفط أثناء تفريغ الوقود لمحطة تحلية الخمس.

٢- إجراء تنظيف دوري لكرات القار على ساحل منطقة البحث وبأحي ساحل ليبيا بمساعدة الجمعيات الأهلية لحماية البيئة، والكشافة... وغيرها من المنظمات الأهلية المهمة.

٣- محاصرة البقع النفطية عند حدوث كوارث الناقلات النفطية في البحر المتوسط لمنع انتشارها، وتنظيف هذه البقع من خلال استعمال طريقة المص لكي يتم التمكن من فصل النفط عن الماء.

٤- تشكيل فرق مشتركة من جميع الدول المطلة على البحر المتوسط لمكافحة

التلوث النفطي، ومحاولة منع حدوث الكوارث النفطية بالتركيز على إجراءات السلامة للناقلات النفطية، وتفعيل الاتفاقيات الموقعة بهذا الشأن.

٥- معالجة مياه الموازنة قبل طرحها في البحر، أو تخصيص خزانات خاصة في السفن لمياه الموازنة تبعاً بعد تفريغ النفط كما نصت اتفاقية ١٩٧٨م التي خرج بها مؤتمر سلامة الناقلات ومنع التلوث^(١٢) (Conference on Tanker 1978 Safety and Pollution Prevention)، وإنشاء خزانات خاصة في الموانئ النفطية لتفريغ فيها مياه الموازنة، حيث يفصل النفط عن الماء.

٦- عدم السماح بتغيير الزيوت والتشحيم للسفن في ميناء الخمس البحري وإلقائها في البحر لتسبب بعد ذلك في تلويث شاطئ منطقة البحث بالنفط.

٧- ضمان عدم تسرب النفط أثناء استخراج من الحقول النفطية الموجودة في البحر المتوسط.

المراجع

الكتب والدوريات والرسائل العلمية

- ١- إبراهيم، مبروك هدية وآخرون. التلوث المائي بالنفط أسبابه- تأثيراته- معالجته. جامعة الفاتح، ٢٠٠١م.
- ٢- أبولقمة، الهادي. العلوم الجغرافية وحماية البيئة. دار الكتب الوطنية، ١٩٩٤م.
- ٣- أمقيلي، محمد عياد. تلوث البحار والمحيطات بالنفط ومشتقاته. مجلة العلوم الإنسانية، العدد الثاني، جامعة الفاتح، ليبيا، ١٩٩١م.
- ٤- حسن، محمد إبراهيم. التباين البيئي وأنواع التلوث- دراسة تحليلية إقليمية لبعض البيئات الجغرافية ومدى ارتباطها بمظاهر التلوث، جامعة الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ٢٠٠٢م.
- ٥- الختالي، عمرو وآخرون. دراسة مقارنة لوجود وانتشار زيت النفط بالسواحل الغربية للجماهيرية. ٢٠٠٣م.
- ٦- شرف، عبد العزيز طريح. التلوث البيئي حاضره ومستقبله. مركز الإسكندرية، ١٩٩٩م.
- ٧- الصادق، محمود عبد الصادق. الأبعاد الجغرافية لمواقع الأنشطة الصناعية في منطقة الخمس. (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة المرقب، ٢٠٠٣م.
- ٨- العاقل، الصديق وآخرون. تلوث البيئة الطبيعية. منشورات الجامعة المفتوحة، ١٩٩٠م.
- ٩- فتحي الهرام، محمد لامة. التلوث البيئي وتأثيراته المختلفة على المدن. مجلة كلية الآداب والتربية، العدد ٢٠-١٩، جامعة قاريونس، ١٩٩٥م.
- ١٠- القبي، محبوب عمر. التلوث بالنفط- أسبابه وآثاره على البيئة. مجلة البيئة، العدد الثالث، الهيئة العامة

(12) www.imo.org/environment, Prevention of Pollution by Oil, 2002, p4.

للبيئة، ٢٠٠١م.

١١- معيتيق، عبد العظيم سالم. دراسة مؤشرات التلوث بالقطران ومياه الصرف الصحي وتوزيعها في منطقة مصراتة. (رسالة ماجستير غير منشورة)، ليبيا، ٢٠٠٤م.

١٢- المنشاز، عمر إبراهيم. مصنع لبدة للإسمت وأثره على البيئة المحيطة. (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة ٧ إبريل، ٢٠٠٠م.

المؤسسات والمنظمات:

١- برنامج الأمم المتحدة للبيئة، البيئة العالمية، التقرير السنوي، نيروبي، ١٩٩٠م.

٢- الشركة الاشتراكية للموانئ. ميناء الخمس البحري. مكتب التوثيق والمعلومات، تقرير سنوي ٢٠٠٤م.

٣- المنظمة الإقليمية لحماية البيئة البحرية. مركز الأحياء البحرية تاجوراء. نشرة البيئة البحرية، العدد ٥٨، ٢٠٠٣م.

٤- وحدة خطة عمل البحر المتوسط. أمواج المتوسط. نشرة إخبارية، ١٩٩٠م.

5- www.imo.org/environment, Prevention of Pollution by Oil, 2002.

الإعجاز البلاغي في السلوك الإيجابي (يوسف العليّة أنموذجاً)

د. شومه محمد مساعد الفاضلي البلوي*

وأسرية ومدرسية وأكاديمية ومهنية، تتضمن أحداثاً قد تتطوي على الكثير من التوتر والقلق في شتى مجالات الحياة المختلفة، وهي لا تقف عند جنس أو عمر أو مستوى معين، وينعكس ذلك على أدائه وحياته، وهذا يتطلب أن يكون الفرد ذا شخصية إيجابية قادراً على التخطيط لمواجهة ما يقابله من تحديات، واثقاً من نفسه في اتخاذ القرار مهما واجه من مواقف وضغوط.

الحمد لله الذي أنزل أعظم المعجزات على رسولنا محمد ﷺ فخصه بكتاب أنزله بأفصح لسان، وادخر في آيه غرر البلاغة ودرر البيان، وصلاةً وسلاماً على سيد الخلق أجمعين، محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم...

يتعرض الإنسان في القرن الحالي لسلسلة طويلة من مشكلات الحياة الضاغطة، يمر بها يومياً نتيجة لضغوط شتى تلاحقه بسبب التغيرات السريعة المتلاحقة من تقدم وتطور هائل، لا يستطيع مواكبتها وملاحقتها، فيشعر بالعجز والإحباط، ويعيش في صراع ما بين ما هو فيه وبين ما يحدث حوله من مواقف ضاغطة نتيجة لمشكلات شخصية

• أستاذ البلاغة والنقد المساعد، قسم اللغة العربية، بجامعة تبوك /السعودية.

dr.shomah@hotmail.com

فمفهوم السلوك الإيجابي «هو السلوك الذي يلقي التقدير في مجتمعات الفرد ويتمثل في مساعدة الآخرين، التدخل لإنقاذ حياة شخص. التعاون مع الآخرين، وهذه السلوكيات تؤدي اختيارياً ودون فرض إجباري» إضافة إلى الصبر والتفأول وغيرها من الصفات التي تبث الأمن والطمأنينة في النفوس.

وبما أن البشر هم الاستثمار الحقيقي في الوجود، فقد اهتم الكثير من علماء النفس، والتربية والاجتماع، والمتخصصين في كافة مجالات العلوم الإنسانية المختلفة بدراسة الضغوط، وكيفية مواجهة الحياة الضاغطة وعلاقتها بمتغيرات الشخصية.

ومن ثم أصبحت الحاجة ماسة إلى بث الطمأنينة والتفأول والرضا في نفوس الناس، وتحسينهم ضد اليأس، والإحباط والتشاؤم والتسخط نتيجة ضغوط الحياة، ولا يكون ذلك إلا من خلال توجيه المعلمين والمربين والآباء في القيام والسعي إلى تنشئة أجيال جديدة تتميز بشخصيات إيجابية قادرة على مواجهة التحديات وضغوط الحياة.

وقد أشارت الدراسات إلى أن السلوك الإيجابي له سمات هامة وضرورية للحياة الأكثر اتزاناً. فالشخصية الإيجابية لها سمات وأشكال تجعلها أكثر قبولاً، وتقاًولاً واستحساناً في المجتمع الذي تعيش فيه.

وقد وضع «بيترلويستر» هذه السمات من خلال قياس سمات الشخصية التي اختار منها بعض السمات والذي قام بترجمتها للعربية «منير حسن جمال» من خلال دراسة له يرى فيها أنها محدد جيد للشخصية الإيجابية التي تلقى استحساناً وقبولاً في المجتمع وهي تتصف بالخصائص التالية:

- أكثر ثقة بالنفس من خلال تأكيد الذات، والثقة بنفسه، وليس قلقاً عما لدى الآخرين من انطباعات عنه.
- أكثر تقاًولاً أي لديه ثقة عالية جداً، في مواجه مشاكل الحياة ومتفتح تماماً على الآخرين وذو اتجاه إيجابي تجاه الحياة.
- أكثر حرصاً وحذراً أي ينشد الأمان وخاصة في التعامل مع الآخرين.
- أكثر استقلالاً فيتصرف وفقاً لرغباته ولا يهتم بما يتوقعه الآخرون منه.
- الشعور بالإيثار تجاه الآخرين أي يجعل مصالحه الشخصية آخر شيء يفكر فيه.
- القدرة على الحكم الاجتماعي وفهم الطبيعة الإنسانية.
- القدرة على تحمل الضغوط بأعصاب قوية في مختلف المواقف.

- الاتصاف بالطموح يزيد إحساسه بقيمته من خلال إنجازاته واعتراف الآخرين به.
- الاتصاف بالتعاطف الاجتماعي أي يضع نفسه موضع الآخرين ويتخيل ردود أفعالهم في المواقف الاجتماعية مما يجعله أكثر تعاطفاً وفهماً لتصرفات الآخرين.
- القدرة على تحمل آراء الآخرين مهما كانت متطرفة بل يكون لديه عقلية متفتحة تتقبل الآراء والأفكار والاتجاهات الجديدة.

هذه إشارة موجزة إلى أهم السمات التي يتميز بها ذو الشخصية الإيجابية. والمتأمل لكتاب الله ﷻ يجد أن سمات هذا السلوك الإيجابي بمفهومه الشامل الكامل قد رسمه القرآن الكريم في شخصية إيجابية استطاعت بسماتها أن تضرب أروع الأمثلة في أعلى درجات السلوك الإيجابي. إنها شخصية «الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم ﷺ» رواه البخاري في صحيحه.

يظهر الإعجاز في سورة يوسف ﷻ أول ما يظهر في البداية الكريمة «الر» في تلك الحروف المتقطعة التي دأب القرآن الكريم في كثير من سورته على البداية بها، فمنها ومن أمثالها تتكون ألفاظه، وعباراته، وسوره. ثم تأمل قوله - تعالى - في شأن هذه السورة (نحن نقص عليك أحسن القصص) سورة يوسف آية: ٣.

وقد اختلف المفسرون في وجه كون ما في هذه السورة هو أحسن القصص «فقيل: لأن ما في هذه السورة من القصص يتضمن من العبر والمواعظ والحكم مالم يكن في غيرها، وقيل: لما فيها من حسن المحاورة، وما كان من يوسف ﷻ من الصبر على أذاهم وعفوه عنهم، وقيل: لأن فيها ذكر الأنبياء والصالحين والملائكة، والشياطين والجن والإنس، والأنعام والطير، وسير الملوك والممالك والتجار والعلماء والجهال والرجال والنساء حيلهن ومكرهن ؛ وقيل: لأن فيها ذكر الحبيب والمحبوب، وما دار بينهما».

ويخلص الإعجاز بسرعة في هذه السورة إلى عرض قصة يوسف ﷻ بأبعادها الفنية الرائعة الرائدة، وأعماقها الإنسانية، وأهدافها النفسية والاجتماعية، غير مغفل سبل العظة والاعتبار، وعوامل التبصر، وبخاصة وأن النبي ﷺ كان يمر بعام الحزن، ويعاني من الحزن بعد موت عمه أبي طالب، وزوجته السيدة خديجة - رضي الله عنها - وهما كانا أكبر داعمين لدعوته، فكان رسول الله كلما قرأها يشعر بالراحة، وقد خففت من مصابه، وقللت من همه وحزنه.

ويبدأ الإعجاز على الفور بتوضيح العقدة الرئيسة في القصة متمثلة في حقد الشبان من الأبناء على أخيه الأصغر غير الشقيق «يوسف» المستحوذ على عطف الأب وحنانه، فيصل الحقد إلى لون من التآمر بهدف التخلص من هذا الأخ الصغير.

وتأخذ قصة يوسف عليه السلام في التسلسل في اتجاه واحد معتمدة على الشخصية الأولى: شخصية يوسف عليه السلام ومركزة على انعطافات مصيرية أربع لهذه الشخصية، كان لها أثرها في تطور الأحداث، لتستقيم بعد ذلك في خط مستقيم صاعد.

- الانعطافة الأولى: إلقاء يوسف في الحب.

- الانعطافة الثانية: بيع يوسف في مصر.

- الانعطافة الثالثة: قدرته على تأويل الأحاديث والرؤيا.

- الانعطافة الرابعة: قيامه بما عهد إليه من أمر التبليغ والرسالة.

وفي ضوء كل هذه الأحداث المتصاعدة نجد يوسف - عليه لسلام - ذا شخصية إيجابية ملفتة للانتباه بثباتها، وثقتها بنفسها، وقدرتها على التخطيط لمواجهة ما يقابلها من تحديات.

كان بداية هذه التحديات رؤيا رآها يوسف عليه السلام وهو صغير فيقصها على أبيه يعقوب عليه السلام الذي يدرك ببصيرته أن أمام ابنه مستقبل مضيء يصل فيها إلى مكانة بأمر من رب العالمين.

ونجد أن يوسف عليه السلام في حوار مع أبيه يجسد للمتأمل أقوى صور الاحترام والطاعة المتناهية باستعمال أداة النداء «يا» التي للبعيد، و«أبت» بدلاً من «أبي» حباً وتقديراً لوالده العاطفي الحنون التي عاشت مشاعره حالة من التضارب بين العطف، والتوجس خيفةً، والحب ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (يوسف: ٤-٦).

والمتأمل لتكرار الرؤيا حيث قال: (رأيتهم) ليدل على حقيقة رؤياه وبقينه منها، وأنها ليست أضغاث أحلام كما أن تقديم الجار والمجرور «لي» على عامله «ساجدين» إنما هو لإظهار العناية والاهتمام للدلالة على التخصيص، فكأنه قال رأيتهم ساجدين لي ليس لغيري، ولذلك بادره أبوه بقول: ﴿أَلَا يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (يوسف: ٥).

وتتوالى الأحداث على يوسف عليه السلام فيبيع في سوق الرقيق، وكان يوسف جميل المنظر، فائق الجمال، فتان الصورة، فكان ذلك الجمال المتناهي سبباً في محنته مع امرأة العزيز إذ أشعل جماله في نفسها جذوة نار حبه ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُباً﴾ هذا التعبير القرآني له بلاغته وجماله «فإن شغاف القلب حجاب، فكأن حب هذا الفتى قد مرق حجاب قلبها، ووصل إلى فؤادها، وأن حبه أحاط بقلبها مثل إحاطة الشغاف بالقلب، فاشتغل بحبه، وصار حجاباً بينه وبين كل ما سوى هذه المحبة، فلا تعقل صاحبة هذا القلب سواء، ولا يخطر ببالها غيره». واستمرت جذوة نار الحب تتكرر عند امرأة العزيز كلما لمحت يوسف عليه السلام فأخذت تتقرب إليه وهو يعرض عنها، يدفعه إلى ذلك طهارة قلبه، وسلامة عقيدته من ناحية، ومن ناحية أخرى أن رب البيت وسيدته قد أكرم مثواه، ووثق به في بيته فلا ينبغي أن يقابل نعمه بالجحود، إلا أن امرأة العزيز أصرت على شفاء ما في صدرها من صباغة، فخرجت من التلميح إلى التصريح ودعته إلى نفسه دعوة لا هودة فيها وقد احتاطت للأمر ﴿وَعَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ (يوسف: ٢٣).

يقول الدكتور صالح العايد: «تأملوا قوله تعالى: ﴿وَعَلَقَتِ الْأَبْوَابَ﴾ فالصرفيون يقولون: التضعيف في هذا الفعل، للدلالة على تكثير المفعول، أي للدلالة على كثرة الأبواب، ولكني لا أرى ذلك، بل أرى أن المراد أغلقت الأبواب إغلاقاً محكماً بشدة وقوة تدعوان إلى الطمأنينة، أما تكثير المفعول به - وهو الأبواب - فليس ناشئاً عن الفعل، بل هو غير وارد؛ لأن جمع الباب على الأبواب يدل على القلة؛ ويؤيده أنه قد روي أن أبواب البيت لم تكن تجاوز العشرة - وهو ما تدل عليه جمع الكثرة - بل كانت سبعة فقط، ولو كانت أكثر من ذلك لربما قال: (ببيان) وهذا يدل على أن تضعيف الفعل دال على إحكام الفعل لا كثرة المفعول. والله أعلم».

وأيّاً كان فإن يوسف عليه السلام أمام ابتلاء عظيم، فتأمل معي أيها المتأمل إيجابية السلوك المتمثلة في تربية يوسف الإيمانية حين قال وبكل ثقة في وجه امرأة العزيز ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (يوسف: ٢٣).

من هذه العبارة بدأ مسرح الجريمة ينحى منحناً آخر أكثر اتساعاً وأوضح بياناً؛ إذ وجدت امرأة العزيز نفسها مهزومة أمام شهواتها، وقد أفلح يوسف عليه السلام أن يفلت منها، فإذا بعزيز مصر يقف أمام الباب، فأرادت أن تبدي تماسكها، ورباطة جأشها، فألقت بقبلة اتهامها الماكر الخبيث الذي لم يكن مجرد اتهام فحسب ليوسف ولكنه خرج إلى ما هو أدهى وأمر بسؤال استنكاري تعجبي بالغ في الدهاء والمكر قالت: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ

بِأَهْلِكَ سُوءًا» (يوسف: ٢٥). يقول السعدي في تفسيره ولم تقل: «من فعل بأهلك سوءاً» تبرئة لها، وتبرئة له، أيضاً من الفعل. ثم ختمت قولها بقرار مصري ليوسف عليه السلام إما السجن أو العذاب الأليم، فما كان رد يوسف عليه السلام إلا أن قال بسمة الشخصية الإيجابية، الواثقة من نفسها، الثابتة على مبادئها، التي لا يمكن لها أن تضطرب أو تتذبذب مهما اختلف الزمان والمكان، وتغيرت الظروف والأحوال.

فيرفض يوسف عليه السلام إغصاب الله وعصيانه، ولو سجن وعذب عذاباً أليماً، والعبرة هنا لشباب الأمة في التأسي بيوسف في صبره وجلده وقوته على نفسه والشيطان، والنسوة، وامرأة العزيز، ومحاربته في هذه الجبهات المتعددة التي تتفنن في دعوته إلى الإثم.

فقد صور القرآن الكريم موقف سيدنا يوسف عليه السلام من الفاحشة بصورة تعتبر من أقوم المبادئ في التربية والسلوك.

وحين عاش يوسف عليه السلام في السجن كان شامة بين الناس في إحسانه وسمو أخلاقه معهم؛ لذا جاءه الرجلان يستفتياه في رؤياهما مستشهرين بما عرفاه من حاله وإحسانه للناس. وقد استطاع يوسف عليه السلام أن يستثمر هذا الموقف في دعوتهما إلى توحيد الله عز وجل وبيان حال ما هم عليه من الأرباب المتفرقين بعد أن وعدهما بتبادل رؤياهما ناسباً الفضل في ذلك إلى ربه عز وجل: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبَأْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمني ربي إنني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون* واتبع ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون* يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار﴾ (يوسف ٣٥-٣٩)، إنه الاستثمار الحقيقي في موضعه.

هذه الأخلاقيات في سلوكيات يوسف عليه السلام ظهرت خطوطها بوضوح عندما دخل عليه السلام السجن في علاقته بمن حوله حتى إنهم بمجرد احتكاكهم ومخالطتهم لشخصية النبيلة* إننا نراك من المحسنين* آية ٣٦ يوسف فتتوالى شخصية يوسف عليه السلام في معالجة الأحداث التي يمر بها فيتضح لنا علمه ومعرفته من خلال إدارة أزمة البلاد التي اتضحت من خلال رؤيا عزيز مصر، والتي عبرها يوسف عليه السلام خير تعبير ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنَّ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ (يوسف: ٤٣).

إن يوسف عليه السلام رسم لنا بتعبير رؤيا الملك أبعاداً لشخصية إيجابية جمعت العلم والمعرفة من خلال إدارة الأزمة التي اتضحت له من الرؤيا للتغلب عليها بوضع خطة استراتيجية شاملة متكاملة لتحقيق الجودة الاقتصادية وفق معايير مقننة لا يضعها إلا مخطط إداري محنك، وخبير في مجال الزراعة والاقتصاد والإدارة، فالحقيقة لم يكن سيدنا يوسف عليه السلام مفسراً للأحلام فحسب بل كان قائداً ومشرفاً وموجهاً ومخططاً من زاوية السجن لمستقبل البلاد، وقد قدم مقترحاً فريداً من نوعه، شاملاً لأربعة عشر عاماً على الأقل وكما يلاحظ فإن هذا التعبير المقرون بالمقترح للمستقبل حرك عزيز مصر وحاشيته تجاه هذا التخطيط لإنقاذ أهل مصر من القحط القاتل: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرَوْهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِصُونَ ﴿ (يوسف: ٤٧-٤٩).

إن نبي الله يوسف عليه السلام دون أن يطلب شرطاً أو قيداً أو أجراً لتعبيره عبر الرؤيا تعبيراً دقيقاً لا غموض فيه مقروناً بما ينبغي عمله في المستقبل، واستثمرها كإشارة للمستقبل رسم في صورتها خطة استراتيجية لتوكيد الجودة تهدف إلى تجاوز سني الجفاف والقحط، وذلك باتخاذ عدد من التدابير الاحتياطية التي تكفل للملك وشعبه العيش الرغيد مستقبلاً.

إن هذه الآيات الواردة في شأن يوسف رسمت لنا أول موازنة تخطيطية مبنية على أسس علمية استطاع من خلالها نبي الله يوسف كسب الوقت في سنوات الرخاء بمضاعفة الناتج للإفادة منه في سنوات الجذب وهذه حكمة ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (البقرة: ٢٦٩).

والحكمة يلخصها ابن القيم - رحمه الله - بقوله: «الحكمة فعل ما ينبغي على الوجه الذي ينبغي في الوقت الذي ينبغي».

وهذا ما فعله سيدنا يوسف عليه السلام من احترام للوقت واهتمام بالمواعيد، وانضباط في الزراعة، ونظام في التوزيع تؤكد تطبيق متطلبات ومعايير الجودة التي ينادي بها الفكر الإداري المعاصر.

وعندما أنس الملك لقدرات يوسف عليه السلام وإمكانياته ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ (يوسف: ٥٠).

وهنا يتجلى - لنا - في شخصية يوسف عليه السلام حرصه على حفظ كرامته، وسمعته بين الناس، حتى وهو في غياهب السجن يقدم لنا درساً عملياً وهو أن خروجه مقرون بإعلان براءته ونزع الاعتراف من امرأة العزيز ونسوة المدينة يقول السعدي في تفسيره: «امتنع يوسف عن المبادرة إلى الخروج حتى تتبين براءته التامة، وهذا من صبره، وعقله ورأيه التام» فلم يشر يوسف إلى امرأة العزيز، ولم يقل: التي راودتني كالمرّة السابقة وإنما اكتفى بإشارة اقتضتها الحاجة إلى تبرئة مقامه عليه السلام.

وبنات موقف يوسف عليه السلام من التأكيد على عدم خروجه من السجن حتى يتم إثبات براءته يقوم الملك - عزيز مصر - بفتح ملف التحقيق الخاص بأمر النسوة دون أن يحدد أو يسمي أحداً مصداقاً لقوله تعالى: ﴿مَا خَطْبُكَ إِذْ رَاوَدْتَنِي يُوسُفُ عَنْ نَفْسِهِ﴾ (يوسف: ٥١). لكشف ظلم حبس يوسف عليه السلام طيلة هذه السنوات، وبيان صدقه، مما يدل على أن الملك قد سمع القصة بتفاصيلها فاهتز بها، واعتبرها خطباً مما يوضح لنا أن القيم هي القيم في كل زمان أو مكان.

وبذلك تظهر أمانة وعفة نبي الله يوسف، وصدقه بشهادة امرأة العزيز ونسوة المدينة؛ ليكون مقدمة لبناء جسور الثقة بينه وبين الملك مما يمهد له سمعة طيبة وسيرة حسنة أثناء التعامل.

فيوسف عليه السلام بما يمتلك من شخصية فاعلة استطاع أن يدير ذاته بكل إيجابية بوضوح الهدف، والتفكير الجاد، والثقة بالنفس، والتخطيط السليم والصبر والمثابرة والإصرار، فكانت النتيجة أن يطلب الملك - عزيز مصر - بذاته أن يستخلص يوسف لنفسه ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ انْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ (يوسف: ٥٤) فكان الجواب من يوسف ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (يوسف: ٥٥) فتأمل ما تحمله عبارة ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ...﴾ وما تملكه من إيجابيات الشخصية الواعية التي من أبرز سماتها وأعلى درجاتها الثقة بالنفس، ومعرفة أين تكمن قدراتها وإمكاناتها، فيوسف عليه السلام ومن غير خجل يعلن للملك أنه أقدر الناس على حفظ خزائن الأرض؛ لما يمتلكه من صفات العلم والأمانة. يقول السعدي (أي حفيظ للذي أتولاه، فلا يضيع منه شيء في غير محله، وضابط للداخل والخارج، عليم بكيفية التدبير، والإعطاء والمنع، والتصرف في جميع أنواع التصرفات، وليس ذلك حرصاً من يوسف على الولاية، وإنما هو رغبة منه في النفع العام، وقد عرف من نفسه من الكفاية والأمانة، والحفظ، مالم يكونوا يعرفونه».

والتأمل في قوله: «إِنِّي حَفِیْظٌ عَلَیْمٌ» يلفت انتباهه «أن الخبر هنا مستقبلي، وقد أكد بمؤكد واحد بالإضافة إلى إسمية الجملة، وصيغة المبالغة «حَفِیْظٌ عَلَیْمٌ» مما يجعل المخاطب في حالة تردد أو شك من قبول الخبر، وما ذلك إلا لطلب القيام على خزائن الأرض، التي تتعلق بعميشة الناس وتمويل غذائهم، وهو أهم شيء في حياتهم، ولما كان هذا الطلب من الأمور العريضة نزل المتكلم مخاطبه منزلة المتردد، فأكد الخبر بمؤكد واحد وهو «إني» إنها ترجمة صادقة وحقيقية لأعلى درجات الثقة بالنفس، فيوسف عليه السلام كان على ثقة كاملة بنفسه وبتحمل المسؤولية، وأنه أهل لأن ينهض بهذه المهمة الثقيلة لوجود مقومات العمل عنده بقوله مؤكداً «إِنِّي حَفِیْظٌ عَلَیْمٌ» وهذان شرطان أساسيان يتفقان مع طبيعة العمل المطلوب القيام به.

فأجاب الملك طلب يوسف عليه السلام وجعله وزيراً للمال والخزانة، وأطلق له سلطة التصرف في شؤون البلاد، إذ أحس أن لديه سماتاً ليست في غيره من رجاحة العقل والخبرة والضبط، والسياسة، وحسن التصرف والقدرة على إحكام النظام ما تمكنه من النهوض بهذه المسؤولية العظيمة، «فلما تولى يوسف عليه السلام خزائن الأرض، دبرها أحسن تدبير، فزرع في أرض مصر كلها في السنين المخصبة، زروعاً هائلة، واتخذ لها المحلات الكبار، وجبى من الأطعمة شيئاً كثيراً، وحفظه وضبطه ضبطاً تاماً، فلما دخلت السنون المجدبة، وسرى الجذب، حتى وصل إلى فلسطين، التي يقيم فيها يعقوب وبنيه، فأرسل يعقوب بنيه لأجل الميرة في مصر» «وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ» (يوسف: ٥٨).

ثم تبرز لنا الآيات بعد ذلك معلماً من معالم الشخصية الإيجابية، فحين يتهيأ اللقاء الثاني بين يوسف وإخوته تتصاعد مشاعر الصبح والمسامحة في نفس يوسف عليه السلام «قَالَ لَا تَحْزَبْ عَلَیْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ» (يوسف: ٩٢).

فتأمل معي بلاغة الكلمة القرآنية «لَا تَحْزَبْ عَلَیْكُمْ» فهذه العبارة تقال في العفو عند المقدرة، فإن هذه صفات العظماء الأجلاء الذين يتحملون في سبيل دعوتهم كل أذى، ولذلك فإن يوسف قد عفا عن إخوته برغم قدرته على إنزال أقسى أنواع العقوبة بهم لكنه يقابل الإساءة بالإحسان «فسمح لهم سماحاً تاماً، من غير تعيير لهم على ذكر الذنب السابق، ودعا لهم بالمغفرة والرحمة، وهذا نهاية الإحسان، الذي لا يتأتى إلا من خواص الخلق، وخيار المصطفين» ودلالة الفعل المضارع (يغفر الله لكم) يفيد معنى أنا رحمتكم بأن تنازلت عن حقي، ولكن الله عز وجل أرحم الراحمين، فأسأله أن يغفر لكم، فلم يعتمد يوسف عليه السلام إلى تجريح شعور إخوته، كما لم يستغل الضعف الشديد الذي كانوا عليه أمامه، بل

عمد إلى رفع اللوم عنهم والدعاء بأن يغفر الله لهم ذلاتهم، وهو أرحم الراحمين، فانظر كيف قابل القائد العظيم الخطأ بالعفو.. «والعفو عند المقدرة»، وكيف بدّل انفعالاتهم السلبية الشديدة - خوف وخجل - بالدعاء والاستغفار لهم؛ لتطمئن قلوبهم، وتسكن جوارحهم، بل تزداد مثالية يوسف عليه السلام روعة في قوله وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي (يوسف: ١٠٠)، فلم يقل الشَّيْطَانُ: «نزع الشيطان إخوتي» بل كأن الذنب والجهل صدر من الطرفين، فالحمد لله الذي أخزى الشيطان ودحره، وجمعنا بعد تلك الفرقة الشاقة إنها إيجابية السلوك التي ظهرت في لطفه، وحسن خطابه عليه السلام حيث ذكر حاله في السجن، ولم يذكر حاله في الحب لتمام عفو عن إخوته، وأنه لا يذكر ذلك الذنب وأن إتيانكم من البادية من إحسان الله.

وبعد أن يسكن يوسف عليه السلام روح أخوته، وينالوا قسطاً من الراحة، يطلب يوسف من أخوته أن يذهبوا بميصه إلى أبيهم ويرموه على وجهه؛ ليرتد إليه بصره، لتكون بمثابة صدمة إيجابية تزيل الاكتئاب الشديد الذي أصيب به النبي يعقوب عليه السلام الذي صدم بفقدان أعز ولدين لديه، وصدّم - دون شك - بالسلوك السلبي لأبنائه، وأصيب بخيبة أمل شديدة جراء تصرفاتهم التي تحمل في طياتها انفعالات سلبية شديدة، تمثلت في الغيرة من يوسف، وحقدهم على أبيهم اعتقاداً منهم بأنه كان يفضل يوسف عليه السلام، لكن يوسف عليه السلام بشخصيته الإيجابية استطاع أن يحول هذه المشاعر والسلوكيات السلبية إلى مشاعر إيجابية فقد كان عليه السلام داعيةً وأستاذاً تربوياً يلقي محاضرات عملية عند كل موقف وتحدٍ يتعرض له.

وفي ختام هذا البحث المعنون (الإعجاز البلاغي في السلوك الإيجابي: يوسف عليه السلام أنموذجاً). نخلص إلى أن شخصية يوسف عليه السلام نموذج للسلوك الإيجابي الذي يحمل سماتاً أساسية للصحة النفسية؛ لما تتمتع به من وضوح الهدف، وسلامة المعتقد، والتفاؤل، والتخطيط، والعفو والتسامح، والإحسان، والقدرة على التحمل ومواجهة جميع التحديات، والضغوط الحياتية، يقول سيد قطب: (فسورة يوسف عليه السلام تمثل النموذج الكامل لمنهج الإسلام في الأداء الفني للقصة، ذلك أن الأداء الصادق الرائع بصدقه العميق، وواقعيته السليمة، المنهج الذي لا يهمل خلجة بشرية واقعية واحدة، وفي الوقت ذاته لا ينشئ مستقفاً من الوحل يسميه «الواقعية كالمستقنع الذي أنشأته الواقعية الغربية الجاهلية». وقال عطاء: «لا يسمع سورة يوسف محزون إلا استراح إليها» ففي هذه السورة دروس سلوكية وأخلاقية وتربوية ونفسية مهمة.

فيوسف عليه السلام قدوة في مواجهة الحياة الضاغطة بالتفكير الإيجابي في حل المشكلات اليومية التي تمر بها النفس البشرية، وبهدوء وموضوعية، وب نظرة فاحصة وشاملة للمشكلة دون تضخيم لها، أو التقليل من شأنها.

فما أحوج أمتنا التي تعيش ظروفاً حرجية للتفاؤل الذي يدفعها للعمل من أجل تحقيق موعود الله لها، فإن المهزوم من هزمته نفسه قبل أن يهزمه عدوه، وإذا دخل اليأس والقنوط على القلوب فشلت وخارت واستسلمت لعدوها.

فيوسف عليه السلام في كل مراحل حياته لم يفارقه التفاؤل، فلم يلج اليأس والإحباط لقلبه عليه السلام من أول حياته حتى آخر لحظات عمره، فكان صاحب منهج معتدل في سرائه وضرائه، في البئر، في السجن، في الملك، وهو يرفع أبويه على العرش، ويخروا له سجداً، وتقول الدكتورة ماجدة بخيت: «فكن واقعياً في التخطيط لأهدافك ومستويات طموحاتك؟ لتستطيع الوصول إليها في حدود قدراتك، حتى لا تعرض نفسك للشعور الدائم بالخيبة والفشل والإحباط واحتقار الذات، كما أن مواجهة العقبات بالقدرة على الصمود حيال الأزمات يتطلب استخدام طرق وأساليب علم النفس الإيجابي في تنشئة وبناء الشخصية الإيجابية حيث يشير إليها حسن الفنجرى - بغرس الأمل وتنمية مهارة التفاؤل، وتنمية الكفاءة الذاتية، وبناء القوى الحازمة، هذه الأساليب وغيرها تعمل كحائط منيع ضد تعرض الفرد للضغط أو الإصابة بالأمراض النفسية، فتعلم التفاؤل يمنع الاكتئاب، والقلق لدى الأطفال والراشدين، كما يعمل على بناء السمات الإيجابية التي نعد بها صغارنا لمواجهة الحياة من خلال مناهج ابتكارية تعمل على غرس قدرات التعاطف مع الآخرين، وضبط النفس والتعاون والإيجابية، لأن هذه القدرات الإيجابية هي التي تقود التفكير وتوجهه، وتساعد المجتمعات ليس على التحمل والبقاء في مواجهة الحياة الضاغطة فقط، ولكن تساعدهم على الازدهار، وقد كان يوسف؟ أنموذجاً للشخصية الباعثة على التفاؤل وهو تفاؤل عجيب من نوعه، استطاع من خلاله أن يواجه جميع الصعوبات والتحديات.

هذا... وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أهم المصادر والمراجع

- تفسير القيم لابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقي، والكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن ناصر السعدي، مؤسسة الريان، بيروت - لبنان، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- تفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة الزحيلي، الجزء الحادي عشر، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان. دار الفكر، دمشق، سورية، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.
- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي مج ٥/ الجزء ٩، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الخامسة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
- الشخصية الإيجابية في مواجهة الحياة الضاغطة، د. ماجدة هاشم بخيت. جامعة أسيوط، ٢٠٠٨ م.
- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، الطبعة الخامسة عشرة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- مختصر صحيح البخاري المسمى التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح، للإمام زين الدين أحمد بن عبد اللطيف الزبيدي، دار السلام، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
- نظرات لغوية في القرآن الكريم، د. صالح بن حسين العايد، دار إشبيليا، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

المجلات

- أبعاد اقتصادية في قصة النبي «يوسف عليه السلام» في ضوء القرآن الكريم، فيان صالح علي، مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة الموصل، العراق العدد ١٣ (٢٠١٣).
- بلاغة الجملة الخبرية في سورة «يوسف عليه السلام»، د. عبد الله أحمد العمري، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العلوم العربية، السعودية العدد (١٧) ٢٠١٠ م.
- نحو برنامج لتنمية السلوك الإيجابي لأخصائي الجماعة لمواجهة الأزمات، دة. هدى أحمد كمال، مجلة دراسات في الخدمة الاجتماعية والعلوم الإنسانية، مصر، العدد ٢٨، إبريل ٢٠١٠ م.

ابن سينا ونموذج الحكيم المسلم دراسة في تراجم ظهير الدين البيهقي

د. هاني بن عبد الله آل ملحم*



المقدمة

وتلك الرئاسة العلمية العظيمة، لكنه وجد أن ابن سينا قد قَصَّر عن تحصيل تلك الرئاسة بسبب سلوكه العملي حسب المقاييس التي ارتضاها أهل الحكمة أنفسهم، ولذلك أراد في ترجمته لابن سينا أن يجد المسوغات العقلية والنفسية لتغير ذلك التقصير، وبيان أنه لم يقدح في نيل ابن سينا لتلك الرتبة.

هذا البحث يتوخى الإجابة عن سؤال مركزي، وهو ما غرض كتاب تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي؟ فإن كانت الإجابة الأولية أن الغرض هو التأريخ لهؤلاء الحكماء وحفظ ذكركم وتدوين مآثرهم الخلقية والتنويه بمراتبهم العلمية، فإن الإجابة العميقة - بعد طول تأمل في تلك التراجم - تقول: إن البيهقي أراد أن يرسم لنا صورة لذلك الحكيم النموذجي، وأنه من جملة أولئك الحكماء قد انتخب ابن سينا لذلك المنصب الرفيع

• نائب رئيس المؤتمر الدولي الثالث لمركز البحوث والاستشارات الاجتماعية لندن. وأستاذ مساعد بقسم الدراسات الإسلامية، جامعة الملك فيصل، الأحساء/السعودية. Hani077@hotmail.com

وقد يعترض البعض على ما ذهبنا إليه في بيان غرض الكتاب بأن البيهقي قد ذكر في ترجمة الفارابي بأنه قد قيل: «إن الحكماء أربعة: اثنان قبل الإسلام وهما أرسطو وأبقراط، واثنان في الإسلام وهما أبو نصر وأبو علي»^(١). ثم عقب على ذلك بقوله: «وكان أبو علي تلميذاً لتصانيفه»^(٢). ثم ذكر منها على لسان الفارابي^(٣) ما ينبغي أن يتوفر فيمن يريد الشروع في علم الحكمة، وكيف تكون سيرته إن بلغ الغاية القصوى في الحكمة، ويبدو واضحاً أن ابن سينا قد أخذ بجزء غير يسير من تلك الشروط التي وضعها الفارابي، وأنه من الأولى اتخاذ الفارابي نموذجاً للحكيم المسلم. وقد يقال: إن نموذج أبي الخير الحسن بن بابا^(٤) أقرب إلى الوفاء بتلك الشروط، حيث إنه أسلم على يد رسول الله ﷺ في المنام حسب تلك القصة التي رويت عن إسلامه ونقلها البيهقي، وأنه كذلك قد قيل في وصفه: «وقيل لأبي الخير أبقراط الثاني، وحق له ذلك فإن النبي ﷺ سماه في منامه عالماً»^(٥). ويُستفاد من تعليق البيهقي تأكيده على ذلك المعنى، وقد يضاف إلى أبي الخير فيلسوفاً وحكيماً آخر، وهو الفيلسوف أبو الفرج بن الطيب الجاثليق^(٦)، كانت المنافسة بينه وبين أبي علي على أشدها، وقد أبدى البيهقي تعاطفاً معه، ووجه نقداً صريحاً لأبي علي بسبب تهجينه لكتبه، بالإضافة لهذين الحكيمين اللذين من طبقة أبي علي، قام البيهقي بترجمة حكيمين آخرين من معاصريه، وهما: محمد بن محمد بن عبد الجليل العمري الكاتب، والسيد الإمام زين الدين إسماعيل بن الحسن الحسيني الجرجاني الطبيب، وجاء في ترجمة الأول كلامٌ أشبه بالشعر في بيان مناقبه، وقد توسع في الترجمة له ونقل آثاره في الحكمة في كتابه مشارب التجارب وغرائب الغرائب في التاريخ، مما يدل على احتفاله به وعظيم تقديره له^(٧). وأما في ترجمة الثاني^(٨) فقد وصفه بأنه «أحيا الطب وسائر العلوم بتصانيفه اللطيفة... وسارت بتصانيفه الركبان، وهي كتب مباركة، وسمعت من أثق به

(١) البيهقي، ظهير الدين، تاريخ حكماء الإسلام، تحقيق محمد كرد علي، (دمشق: الترياق، ١٩٤٦م)، ص ٣٠.

(٢) المرجع السابق ص ٣٠.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٤.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٦.

(٥) المرجع السابق، ص ٢٨.

(٦) المرجع السابق، ص ٤٣.

(٧) المرجع السابق، ص ١٦٣، ١٦٩.

(٨) المرجع السابق، ص ١٧٢، ١٧٤.

أنه كان لطيف المعاشرة، حسن الأخلاق كريماً في ذاته»^(٩). وقد ختم البيهقي^(١٠) تراجمه للحكماء به، ونقل عنه رسالة له فيها جملة من الحكم تبين لنا نموذج الحكيم المسلم.

ولا شك أن هذه النماذج يمكن أن يُتخذ أيُّ منها نموذجاً للحكيم المسلم، لكن الناظر المتأمل يرى أن الفيلسوف أبا الفرج بن الطيب الجائلي ربما يُخرج بسبب عدم إسلامه، وأن ابن سينا كان قد تميز عليه في الطب كما ذكر البيهقي، وأن أبا الخير على جلالة قدره في الطب فهو لم يصل في النبوغ في الإلهيات والمنطق ما حصله ابن سينا في هذا المجال. وأما النموذجان الآخريان فهما من معاصري البيهقي، وكلاهما لم يؤثر عنه ذلك النبوغ الذي حصله ابن سينا في جميع أجزاء الحكمة، وكذلك الإضافات التي كَمَل بها علوم الحكمة، وجعلها جزءاً أصيلاً من العلوم الإسلامية، ولا ينفي ذلك أن ابن سينا قد قَصُر في جانب العمل رغم كماله في جانب العلم والنظر، لكن البيهقي ينبهنا إلى حسن الخاتمة التي انتهى إليها ابن سينا قبل موته، وأن علمه وتوفيق الله قد قيضا له ذلك المآل الحسن، ولبيان ما ذهبنا إليه لا بد من النظر في تفاصيل رؤية ظهير الدين البيهقي في ترجمة (الحكيم الوزير شرف الملك أبو علي الحسين بن عبد الله ابن سينا البخاري) في كتابه «تاريخ حكماء الإسلام» إذ المتأمل في الكتاب ومنهج البيهقي في عرضه لهذه التراجم يجدها فريدة، ولم يسبق لها المترجمون بعده، لكون المنهج الذي سلكه مؤلفه مختلفاً عن بقية منهاج المترجمين والمؤرخين، فالبيهقي تناول الحكماء، ولم يقتصر على المسلمين منهم، بل ترجم لكل من اعتنى بالحكمة والفلسفة من الأطباء والمهندسين ومن اشتغل بالوزارة، ولو كانوا من غير المسلمين كاليهود والنصارى وغيرهم ممن أقام وتأثر بالمسلمين وبلادهم، والذين عرفوا بها والذين لهم أقوال ماثورة، مركزاً على شخصية الشيخ الرئيس الفيلسوف الحكيم المسلم ابن سينا الذي يكاد الكتاب منصّباً حوله، عارضاً ابن سينا نموذجاً للحكيم المسلم، لذا حرص البيهقي أن يبرز لنا عملاقاً من عمالقة الفلسفة في الإسلام وحكمائها، وعبقرية فذة أنتجها الفكر العربي المحلق، عاش حياته عاملاً ومفكراً ومنتجاً، حتى قدم للمكتبة العربية والعالمية خلاصة ما سبقه من علم وفن، ثم كان سابقاً لزمّنه فكان نتاجه المائدة الشهية بشتى العلوم، فتلفتها الأكاديميات العلمية والجامعات العالمية تهل منها، وتأخذ من أفكارها الحكمة والعلم،

(٩) المرجع السابق، ص ١٧٢.

(١٠) المرجع السابق، ص ١٧٣، ١٧٤.

ولعل لقب الرئيس اكتسبه من اشتغاله بالسياسة، ولقب الشيخ لقب علمي، والشيخ الرئيس يدلان على جمعه بين الاشتغال بالعلم والسياسة، فهو أشبه بالحاكم الفيلسوف^(١١).

لذا سوف نقف في هذه الدراسة على ترجمة الشيخ الرئيس ابن سينا كنموذج للحكيم المسلم، والأسباب التي توفرت له دون غيره من العلماء، مركزين على دراسته في تراجم ظهير الدين البيهقي والرؤية التي تناولها من خلال كتابه معرجين على أهم ملامحها، وبين من ترجم له من العلماء، سواء ما حكاه عن نفسه، وذكرها الرئيس عن نفسه، والتي نقلها عنه تلميذه أبو عبيد الجوزجاني، وبقية من ترجم له كابن أصيبعة في عيون الأنباء في طبقات الأطباء، أو بقية من ترجم له.

والناظر في كتاب «تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي» يجده من أغنى كتب التراجم والتاريخ، والذي أخذ مؤلفه فيه منهجاً خاصاً تميز فيه، ولم ينهج الطريق التي عرفت بها كتب التراجم الأخرى، لذا يحسن بنا أولاً أن نقف على عجالة عند الفيلسوف الحكيم البيهقي الذي عرف أولاً بالحكمة والعلم، والذي حرص محقق الكتاب على إبراز نسبه الموسوم بالحكمة والعلم قائلاً: هو ظهير الدين أبو الحسن فريد خراسان، ابن فندق علي بن زيد بن ثابت الملقب بذي الشهادتين، وهو من سلالة خزيمة بن ثابت الأنصاري.

ولد كما قال عن نفسه في مشارب التجارب: مولدي في يوم السبت، سابع عشرين شعبان نواحي بيهق من أعمال نيسابور عام ٤٩٩ هـ^(١٢)، ونشأ فيها ثم رحل مع والده إلى ششتمد من قرى نيسابور، وكان والده من كبار العلماء والحكماء في نيسابور، وأمه من حفظة كتاب الله عالمة بتفاسيره^(١٣)، ولكنه انتقل بعد وفاة والده إلى مرو، فقراً على يحيى بن عبد الملك بن صاعد، وألف كتباً في الفارسية، وأتقن اللغة العربية، فأصبح كاتباً

(١١) الأهواني، أحمد فؤاد، عصر ابن سينا، (مصر: دار المعارف)، ص ١٩. ولقد اختلف بشأن تفسير لقب الشيخ الرئيس «ابن سينا»، فقد قيل (سينا) لقب، وقيل اسم، والأشهر أنه لقب له، ثم اختلفوا هل هي من أصل عربي بمعنى الشاء؟ أم أصل مصري قديم بمعنى الحكيم الكامل؟ أم من أصل تركي مثل «سيما» أم من أصل عبراني، أو سيرياني «شينا» ثم انقلبت الشين سينا. وفي كتاب الخوارزمي «مفيد العلوم ومبيد الهموم» أن أبا علي بن الحسين كان بقرية بخارى يقال لها سينا فسمى نفسه «ابن سينا»، ولم يخرج الباحثون برأي فاصل.

(١٢) حكاه عنه ياقوت، في معجم الأدباء، (بيروت: دار الكتب العلمية) ١٩٩١ م ج ٥، ص ٢٠٨، وابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق الدكتور إحسان عباس، (بيروت: دار صادر)، ج ٣، ص ٢٨٧ في ترجمة البخارزي.

(١٣) مقدمة تاريخ حكماء الإسلام، ص ٣.

عملاقاً، وشاعراً محققاً، وواعظاً مفهوماً، وعالمًا مؤلفاً، في كل علم وفن. وقد عدد ياقوت الحموي كتبه ومؤلفاته، فكانت ٧٤ كتاباً، منها ما هو في مجلدين، ومنها ما هو أكثر من ذلك، وأغلب تلك المؤلفات في العلوم الدينية، ومنها ما كان في الأدب والتاريخ، ومن هذه المؤلفات ما هو في الحكمة والأدب والتاريخ، ثم وضع بضعة كتب بالفارسية، ومنها تاريخ بيهق، ولعل من أشهر ما ألفه البيهقي «كتاب أسرار الحكم وأطعمة المرضى والمعالجات»، و«كتاب السموم»، و«كتاب أحكام القراءات»، و«كتاب شرح نهج البلاغة»، و«كتاب جوامع أحكام النجوم»، وغيرها الكثير، ولقب بحجة الدين كما جاء في بعض كتبه كجوامع أحكام النجوم، ولكنه اشتهر بـ «ظهير الدين» كما جاء في مقدمة كتاب «تتمة صنوان الحكمة» لأبي سليمان السجستاني. وأما وفاته فكانت في سنة ٥٦٥ هـ بالاتفاق، ذكرها ياقوت والذهبي والصفدي ومن بعدهم، ولم يذكر أحد منهم يوم الوفاة والشهر. وعاش البيهقي سنيًا في بلدة أكثرها متشيعية، وشهد أيامه غزو الترك لبلاد خراسان ولا سيما نيسابور دار العلم، فكانوا يحرقون كتبها، ويقتلون علماءها.

ويجد الباحث أن الحكيم البيهقي شغلته الحكمة من كل جوانبها، واحتضنته فنونها، فاختار لكتابه القيم اسماً يستحق التأمل والتوقف «تاريخ حكماء الإسلام»، ولم يقل: «تاريخ فلاسفة الإسلام»، إذ «الحكمة»^(١٤) بمعناها الواسع لدى الفلاسفة^(١٥)، والحكمة كما بينها محقق كتاب البيهقي هي: «علم يبحث فيه عن حقائق الأشياء على ما هي عليه في الوجود

(١٤) في العصر اليوناني القديم الحكمة مرادفة للفلسفة، وهي صناعة نظر، يستفيد منها الإنسان تحصيل ما عليه الوجود كله في نفسه، وما عليه الواجب مما ينبغي عليه الواجب، مما ينبغي أن يكسبه فعله لتشرف بذلك نفسه، وتستكمل وتصير عالماً معقولاً مضاهياً للعالم الموجود، وتستعد للسعادة القصوى بالآخرة، وذلك بحسب الطاقة الإنسانية. رسائل ابن سينا، علي بن الحسين، أقسام العلوم، (مصر: دار المعارف ط ١، ١٩٨٠) ص ١٠٤، والحكمة تعلم حقائق الأشياء، والله تعالى يقول: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (البقرة: ٢٦٩).

(١٥) الفلسفة مشتقة من كلمة يونانية، وهي فيلسوفيا، وتفسيرها محبة الحكمة، فلما أعربت قيل فيلسوف، ثم اشتقت الفلسفة منه، ومعناها علم حقائق الأشياء والعمل بها بما هو أصلح، تتناول أبعاداً وتصورات عميقة، وليست مختصة بمعنى واحد، ونقل البيهقي في ترجمة أبي الفتح يحيى بن علي البستي قوله: اتق الله وألزم عرى دينه وبعدهما فاعرف الفلسفة. ودع عنك قوماً يعيبرنها

ونقل تعريف الجرجاني، علي بن محمد (بيروت: دار الكتب العلمية) قوله: التشبه بالإله بحسب الطاقة البشرية لتحصيل السعادة الأبدية كما أمر الصادق عليه الصلاة والسلام في قوله: «تخلقوا بأخلاق الله أي تشبهوا به في الإحاطة بالمعلومات والتجرد عن الجسمانيات». ص ٧٥، والقفطي، جمال الدين علي، تاريخ الحكماء، (القاهرة: مؤسسة الخانجي)، د. ب، ص ٥٠، ونقل البيهقي عن السيد الإمام الفيلسوف شرف الزمان محمد اليلقي قوله فيها: «الفلسفة علم الكل، وصناعة الصناعات»، ص ١٢٢.

بقدر الطاقة البشرية، فهي علم نظري غير آلي»^(١٦). وإن كان الحكماء عند بعض العلماء هم الذين يكون قولهم وفعلهم موافقاً للسنة، أو كما فسرهما ابن عباس أنها في القرآن بتعلم الحلال والحرام، فقد جاء في الرسالة للشافعي رحمه الله في باب (البيان الرابع) اقتصاره الحكمة على السنة فقال: «كل ما سن رسول الله مما ليس فيه كتاب، وفيما كتبنا في كتابنا هذا، من ذكر ما من الله به على العباد من تعلم الكتاب والحكمة، دليل على أن الحكمة سنة رسول الله»^(١٧)، لكن البيهقي أكد أن الحكمة تتناول مفهوماً أوسع من هذا، وأنها أيضاً غير مختصة بالمسلمين قائلًا: «الحكماء أربعة: اثنان قبل الإسلام وهما أرسطو وأبقراط، واثنان بعد الإسلام هما أبو نصر الفارابي وأبو علي ابن سينا»^(١٨)، كما نقل البيهقي قول الفارابي في الحكمة قائلًا: «ينبغي لمن أراد الشروع في الحكمة أن يكون شاباً صحيح المزاج، متأدباً بأداب الأخيار، قد تعلم القرآن واللغة وعلم الشرع أولاً، ويكون صيتاً عفيفاً متخرجاً صدوقاً، معرضاً عن الفسق والفجور والغدر والخيانة والمكر والحيلة، وأن يكون فارغ البال من مصالح معاشه، مقبلاً على أداء الوظائف الشرعية، غير مخل بأركانها، ولا مخل بأداب السنة»^(١٩).

وفي المقابل نقل البيهقي في ترجمة أبي علي عيسى بن اسحاق بن زرعة أنه نقل عنه قال في وصف الحكمة قوله: «من زعم أن الحكمة تخالف الشريعة فهي مفسدة لها»^(٢٠)، كما نقل البيهقي عن الحكيم أبي الحسن الأبردي قوله: «من أكثر استماع الحكمة أوشك أن يتكلم بها»^(٢١)، وهذه لفظة أن ابن سينا شغلته الحكمة بمفهومها العام والواسع الإمام ظهير الدين البيهقي، وسرد تراجمه لكل شخصية تناولها بهذا المنحى.^(٢٢)، بل لم يقتصر

(١٦) مقدمة المحقق، ص ١٥.

(١٧) الشافعي، محمد بن إدريس، الرسالة، تحقيق محمد سيد الكيلاني، (بيروت: دار الكتب) ١٤٠٢هـ، ص ٢٢.

(١٨) تاريخ حكماء الإسلام، ص ٢٠.

(١٩) المصدر السابق، ص ٣٤.

(٢٠) المصدر نفسه، ص ٧٥. وقال مقدمة غير كلية وتقريرها: الحكمة مخالفة للشريعة، وكل ما هو مخالف لشيء مفسد له، والكبرى غير كلية فإن الحلاوة تخالف البياض ولا تفسده، والصور تخالف المادة ولا تفسدها، فإذا كانت الكبرى غير كلية لا ينتج القياس.

(٢١) المصدر السابق، ص ١٢٤، ولنا في دراسة الحكمة عبرة فقد نقل البيهقي حكمة أبي الريحان البيروني في عرض ترجمته والتي يقول فيها: «مدارسة أخلاق الحكماء تحي السنة الحسنة، وتميت البدعة السيئة». المصدر السابق ص ٧٤.

(٢٢) حاشية في أول تراجمه عن كل شخصية تناولها بالتعريف أن يقول في بداية الترجمة هو الحكيم فلان... أو كان حكيماً أو كان حاذقاً بعلوم الحكمة أو من قدماء الحكماء وغير ذلك من العبارات.

البيهقي الحكمة على المسلمين فقط جعلها وصفاً لغيرهم، فقد بدأ ترجمة كتابه بأول حكيم وهو حنين بن اسحاق^(٢٣).

لذا أراد البيهقي في عرضه أن يبين أن كتابه جاء ليعرض جانباً من سير الحكماء ناقلاً أهم حكمهم، مركزاً على شخصية الحكيم ابن سينا بوصفه أحد حكماء المسلمين، والذي توفرت له أسباب الحكمة التي بعضها من كسبه الشخصي وهمته العالية، والآخر بسبب توفيق الله له.

لذا نجد أن معظم من ترجم لهم البيهقي كانوا من أهل القرنين الخامس والسادس، وبعضهم من الصابئة واليهود واليعاقبة والنساطرة ممن نشؤوا في ديار الإسلام وكتبوا تأليفهم بلغته.

لكننا نجد أن البيهقي ترجم لكثير بإيجاز، وتوسع في ترجمة «ابن سينا» خاصة، وأوجز في ترجمة الكثير كالفارابي والبירوني والرازي وغيرهم، كما أن الأخبار في هذه التراجم مختصرة ما لا نجد من تراجمهم في كتب السير المطولة، وكان البيهقي يكتفي أحياناً بذكر كنية الرجل، ولا يعنى بتحقيق اسمه كما أنه اعتنى بما أثر عنهم من حكم وأقوال فقط، فلم يحرص على تدوين سنتي ولادتهم ووفاتهم كما هو دأب كتب التراجم المعروفة، ولقد بين المحقق في مقدمة الكتاب قوله: ولو أردنا المقارنة بين «تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي» وبين كتب التراجم الأخرى لوجدنا اختلافاً في المنهج والطريقة فمثلاً نرى طبقات الحكماء للقفطي وكتاب البيهقي لكل منه مزية ومنهجاً خاصاً، فالقفطي ألف كتابه بعد البيهقي بمئة سنة، وبالمقابل نجد أن البيهقي ترجم لعظماء من فلاسفة الإسلام لم يتعرض لهم القفطي^(٢٤)، وإن كان لا يغني كتاب عن كتاب فكتاب تاريخ حكماء الإسلام رسم ناحية من نواحي التفكير الإسلامي في زمن يكاد يكون خاتمة سمو العقل ومبدأ تراجع العلم في الإسلام، ولذلك كان حرصه واضحاً لإدراج الحكمة بمعناها الواسع في سياق الثقافة العربية الإسلامية، وبيان النموذج الشخصي الذي يمثلها.

(٢٣) حنين بن إسحق العبادي (١٩٤هـ/٨٠٩م - ٢٦٤هـ/٨٧٧م)؛ ويكنى أبا زيد، كان عالماً باللغات الأربع (العربية والسريانية واليونانية والفارسية) وهو تلميذ يوحنا بن ماسويه الذي عينه هارون الرشيد (أميئاً) مسؤولاً عن الترجمة عندما أنشأ دار الحكمة، كان المأمون معجباً به، مقدراً لعلمه وفضله، فاختره لتقلد رئاسة بيت الحكمة، وكان يتقاضى من المأمون وزن ترجماته ذهباً، وقال عنه البيهقي: «ولم يوجد في هذه الأزمنة بعد الإسكندر أعلم منه باللغة العربية واليونانية». تاريخ حكماء الإسلام، ص ٣٠.

(٢٤) تاريخ حكماء الإسلام ص ٩.

تمهيد

لا يكاد يخلو مؤلف حديث يتعرض لذكر الإسلام ومدينته الفكرية من الإشارة إلى ابن سينا مع ذكر ترجمة له تقصر أو تطول بقدر ما يتسع له المؤلف، فقد ترجم له في أوروبا في العصر الحديث كثير من المستشرقين،^(٢٥) وترجم له من الشرقيين بالتركية: كريم أفندي^(٢٦)، وبالعربية: جورجي زيدان، وخير الدين الزركلي، وفريد وجدي، ولطفي جمعة، وغيرهم^(٢٧).

والحقيقة كل هذه التراجم المختلفة إنما ترجع في الحقيقة إلى ترجمتين تتم إحداها الأخرى وتكملها، وأهم هاتين الروائيتين وأوفاهما ليست على حال واحدة في المراجع المختلفة التي وردت فيها فتارة نجد ما موجز ومختصر، وتارة نجد ما صافية ومطولة، وأحياناً تعرض كما أملاها الفيلسوف على تلميذه الجوزجاني، ومعها ما أضافه هذا التلميذ، وأحياناً يتصرف فيها الكاتب، فيعرضها من قبله بحيث لا يشعر أن ابن سينا قد أُملى جزءها الأهم، والواقع أن هذه الرواية ترجع إلى عصر الفيلسوف نفسه، فهي تتبئنا أن ابن سينا قد أُملى نصفها الأول على تلميذه الجوزجاني عندما لقيه «بجرجان»،

(٢٥) وهم كثير منهم: تمان، ومهرن، وليبرت، ولويون، ومونك، وهويار، ولوكرك، ودي كوننج، وجوتيه، وكارادي فو، وماسينون، وغير هؤلاء من المستشرقين.

(٢٦) ظهرت هذه الترجمة بجريدة «تصوير أفكار» راجع المجلة الآسيوية، السلسلة السادسة، ج٢، ص٢٢٩. وظهرت بعد ذلك كتب مهمة في التاريخ والسير، منها كتاب «وفيات الأعيان» لابن خلكان، ومنها «روضة الأفراح ونزهة الأرواح» للشهرزوري، شمس الدين محمد، (حيدر آباد-الدين: دائرة المعارف العثمانية) ١٩٧٦م. والكتابين لهما قيمة كبيرة في فن التراجم والسير، إلا أنهما لا يفيدان شيئاً جديداً عن حياة ابن سينا على وجه الخصوص؛ فإن ابن خلكان يورد ما أورده القفطي بحذافيره، اللهم إلا نبذة صغيرة عن اختلاف الآراء في وفاة ابن سينا، والشهرزوري أورد ما أورده البيهقي من غير زيادة أو نقصان.

(٢٧) لعلني أشير هنا كذلك إلى مسألة وهي أن بعض المترجمين خلط بين البيهقي ظهير الدين وغيره ممن عرفوا بالبيهقي كالمحدث الأصولي القاضي صاحب التصانيف في الشريعة أبو بكر البيهقي، فالذهبي مثلاً خلط بينهما، فترجم للبيهقي صاحبنا في سير أعلام النبلاء ٥٨٥/٢٠، وقال: (البيهقي الوزير، العلامة ذو التصانيف...)، كما خلط بينهما العماد الكاتب وقال: شرف الدين أبو الحسن علي بن الحسن البيهقي، من أفاضل خراسان، وأما الزمان، وأعيان الأنام، وأعوان الكرام، ثم خلط بينه وبين صاحبنا البيهقي علي بن زيد فقال: وكان يثني أبداً والذي على فضله ويقول: إنه لم ينظر قتل إلى نظيره، ولا مثلت لعينه عين مثله، فالبيهقي الوزير لم يوصف بالعلم والفضل والتأليف، وقد مات قبل البيهقي صاحبنا بنحو ثلاثين سنة، والتحقيق: أن البيهقي الملقب بشرف الدين هو رجل آخر يشترك معه في عصره وبلده ونسبته، وفي اسمه وكنيته، وهو: ظهير الملك أبو الحسن علي ابن الحسن شرف الدين، لذا أراد الزركلي في كتابه الأعلام أن يؤكد أن صاحبنا ظهير الدين البيهقي، مؤلف تاريخ حكماء الإسلام، هو غير البيهقي المحدث والبيهقي الأديب، وقد نسب إلى بيهق من العلماء والأدباء كثيرين، وصاحبنا - محل الدراسة - هو ظهير الدين أبو الحسن علي بن زيد من سلالة خزيمة بن ثابت. معارج نهج البلاغة لظهير الدين البيهقي ص١٥٧. ولقد بين ذلك صاحبنا في تاريخ بيهق وذكر أكثر من أربعين من جملة - البيهقيون - من العلماء والأدباء ممن ربما يخلط على أي مترجم بينهما، وتناول القاضي المحدث المشهور بإسهاب ص١٢٧.

فكان هذا حوالي ٤٠٣هـ، أو عندما بلغ الفيلسوف ثلاثة وثلاثين ربيعاً من حياته، وكتب قسمها الآخر تلميذه المذكور، وذلك بعد وفاة الفيلسوف عام ٤٢٨هـ، وقبل ٤٥٠هـ الذي توفي فيها ذلك التلميذ.

لذا يظهر أن هذه الترجمة أصدق الترجمتين اللتين وجدنا للفيلسوف، والأصل الأول الذي تفرعت عنه التراجم اللاحقة، قديمها وحديثها، أوربيها وشرقيها، وأقدم المراجع التي وردت فيها هذه الرواية - ويمكن تسميتها بالرواية العربية تمييزاً لها عن الرواية الأخرى التي كتبت بالفارسية - وهي الترجمة التي أوردها البيهقي في كتابه «تاريخ حكماء الإسلام» فهو أكبر كتب التراجم، وأغزرها مادة وأقدمها أيضاً لكون البيهقي معاصر له ولعلنا نقف عند ترجمته كما أراد البيهقي أن يرويها ويورد أحداثها، ولكن هذا البحث يُعنى بدراسة رؤية البيهقي في عرضه لسيرة ابن سينا، وأن تلك الرؤية كانت تُعنى في المقام الأول بتقديم نموذج للحكيم المسلم من خلال تلك الترجمة، بل أن الكتاب كله قد خصص لبيان هذا النموذج بالتركيز على سيرة ابن سينا.

ترجمة ابن سينا وحياته وأخلاقه

كعادة البيهقي لم يرد أن يترجم لابن سينا كما هي طريقة كتب التراجم، ولكنه انفرد فسلك طريقاً جديداً مبتدأ الحديث عن الشخصية التي كانت البداية في صناعة العقلية الفكرية والفلسفة والعلمية لابن سينا وهي أبوه قائلًا^(٢٨): «أبوه رجل من رجال أهل بلخ من الكفاءة والعمال، وانتقل إلى بخارى في أيام الأمير الحميد ملك المشرق نوح بن منصور، واشتغل بالتصرف، وتولى العمل بقربة خُرميتن من ضياع بخارى، وولد أبو علي بهذه القرية في صفر سنة سبعين وثلاثمائة، والطالع [السلطان] درجة شرف المشتري والقمر على درجة شرفه^(٢٩)»، ويظهر هنا تأثير البيهقي بعلوم أهل عصره وتأثره بالرؤية التي والعلوم التي انتشرت في وقته والتي منها «علم الفلك والتنجيم» والسؤال الذي يطرح نفسه هنا لماذا أفرد البيهقي ابن سينا بذكر مطلعته والتفصيل فيه دون غيره من التراجم الأخرى؟ ويمكن الجواب عن هذا بأن البيهقي ركز كتابه على شخصية ابن سينا ولم يكتفي

(٢٨) تاريخ حكماء الإسلام ص ٥٢. مصدر سابق

(٢٩) الطالع هو البرج الذي كان في الأفق ساعة الولادة، وتكمن أهمية معرفة الطوالع بأنها ترسم الشخصية الظاهرية للفرد وكيفية تعامله مع الآخرين، وقد بين علم الفلك والتنجيم وجود ارتباط بين أوضاع الكواكب وطبيعة الوليد ومهنته في المستقبل، لذلك فإن دراسة أوضاع وحركة الأجرام السماوية في لحظة ولادة الإنسان تتيح الوصول إلى نوع من التنبؤ حول مستقبل الوليد وخصائص طبعه وسلوكه الاجتماعي، والتنجيم علة نوعين تنجيم بالرجم بالغيب وهو من الذنوب العظام، والتنجيم القائم على المعرفة العلمية وهو علم كبير له أصوله ومعارفه التي اشتهر بها كثير من الحكماء والمهندسين ترجم لهم البيهقي في كتابه ومنهم: يحيى بن منصور صاحب الرصد أيام الخليفة المأمون ص ٢٩، أبو عيسى يحيى بن علي ١١٠، والحكيم علي بن شاهك الضرير البيهقي ص ١٧١.

بإفراد ترجمة له ولكن كان يعرض لمواقفه وأحواله في التراجم لغيره.

وفي المقابل ذكر البيهقي في ترجمته لابن سينا أن طالع ابن سينا هو برج السرطان وهو معروف بأن صاحبه مزاجي حساس بيدي اهتماماً بالمحيطين به، والناظر في سيرة وترجمة ابن سينا يجد هذا الأثر على شخصيته وتكوينه وعلاقاته وحتى علومه ومصنفاته، فابن سينا توسع في شرب النبيذ، وأكثر من ملذات الحياة، ومن ناحية أخرى توسع من الورود على الحكام ومجالستهم، بل بعض مصنفاته كانت ردة فعل لمواقف بينه وبين علماء عصره ويوضح هذا تأثره بالمحيطين به، من هنا حرص البيهقي على ذكر طالع ابن سينا لارتباط الطالع بشخصية ابن سينا التي أراد التمحور حولها وعرضها وعرض جوانب الحكمة والفلسفة عنده، ولقد عقد ابن خلدون في مقدمته فصلاً سماه «علم الهيئة والأزياج» وهو العلم الذي ينظر في حركة الكواكب الثابتة والمتحركة، وهو علم عرفه اليونان واعتنوا بالرصد واتخذوا له الآلات التي ترصد حركة الكوكب وتسمى (ذات الحلق)، والإسلام لم يعتن به إلا قليلاً وكان في أيام المأمون شيء منه، يقول ابن خلدون: «وهي صناعة شريفة تعطي أن الصور للأفلاك لزمت عن حركات، ومن أحسن التأليف كتاب المجسطي وقد اختصره الأئمة من حكماء الإسلام كابن سينا وأدرجه في تعاليم الشفاء^(٢٠)»، من هنا ندرك لماذا حرص البيهقي على إيراد طالع ابن سينا الذي كان عالماً به وبعلم الأزياج المنتشر في عصره^(٢١). لذا تحول التأليف في هذا الجانب من مجرد تخرصات ورجم بالغيب إلى علم دقيق يُنبئ عن رصد علمي لحركات الكواكب، وتحويل ذلك إلى معادلات حسابية تقتضي إلى استنتاجات علمية حول النماذج الممكنة للسلوك الإنساني، وارتباطه بتلك الحركات الفلكية.

ويكمل البيهقي ترجمة ابن سينا قائلاً: «ثم ولد أخوه محمود بعده بخمس سنين، ثم انتقلوا إلى بخارى، وأحضر أبو علي معلم القرآن ومعلم الأدب، فلما بلغ عشر سنين حفظ أشياء من أصول الأدب، وأبوه كان يطالع ويتأمل رسالة إخوان الصفا وهو أيضاً أحياناً يتأملها^(٢٢)»، وهنا نلاحظ حرص الأب على تعلم ولده بدايات علوم الحكمة بحرصه

(٢٠) ابن خلدون الحضرمي، أبو زيد عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، تحقيق درويش الجويدي، (بيروت: دار المعرفة، ط٢). ص ٤٧٣ بتصرف يسير.

(٢١) من فروع علم الهيئة والفلك وهو صناعة حسابية على قوانين عديدة فيما يخص كل كوكب من طريق حركته وما أدى برهان الهيئة في وضعه. المقدمة ص ٤٧٣.

(٢٢) نقل محقق كتاب تاريخ حكماء الإسلام - محمد علي كرد - عن القفطي في أخبار الحكماء أن ابن سينا قال كان أبي ممن أجاب داعي المصريين أي من الإسماعيلية، وقد سمع منهم ذكر النفس والعقل وكذلك أخي وكانت

على العلم والتعلم والاشتغال بها في الصغر، والسفر من أجل طلب علوم الحكمة والعلم، وهذا نجده واضحاً حين أبرز البيهقي ذلك قائلاً: «ثم توجه تلقاء بخارى الحكيم أبو عبد الله الناطلي، وقد سبق ذكره فأنزله أبوه وأواه وأكرمه، وكان أبو علي يختلف في الفقه إلى إسماعيل الزاهد، ويتلقف مسائل الخلاف وينظر ويجادل، ثم ابتداءً أبو علي بقراءة كتاب إيساغوجي على الناطلي^(٢٣) حتى أحكم عليه المنطق، ثم ابتداءً بكتاب أوقليدس ثم المجسطي^(٢٤)، فلما أفرغ الناطلي من تعليمه توجه تلقاء خوارزم قاصداً حضرة خوارزم شاه مأمون بن محمد مولى أمير المؤمنين^(٢٥)»، وهذا دليل على أن علوم الحكمة كانت المشوار الأول في حياة ابن سينا وحرص والده عليها وتشبعه بأهميتها، ومعرفته بأسرارها وأثرها وأنها لا تقتصر على علوم الدين والأدب بل امتدت لدراسة المنطق والطب، ولعلنا نقف هنا حول جوانب من حياته العلمية والسياسية وأخلاقه كما حكاها البيهقي في كتابه.

ذكر البيهقي في كتابه جملة من الأحوال التي تدل على حرص ابن سينا على طلب العلم وذكائه فيه ومنها أنه قال^(٢٦): «اشتغل أبو علي بتحصيل العلوم من الطبيعي والإلهي، ونظر في النصوص والشروح، وانفتحت عليه أبواب العلوم، ثم رغب في علم الطب وتأمل الكتب المصنفة فيه، وكان ابن سينا يقول: «وعلم الطب ليس من العلوم الصعبة^(٢٧)»، كما يؤكد البيهقي تفوقه ونبوغه وكمال حكمته بقوله: «حتى صار فضلاء الطب يختلفون إليه، ويقرؤون عليه المعالجات المقتبسة من التجربة، وهو مع ذلك يختلف في الفقه إلى إسماعيل الزاهد الفقيه^(٢٨)»، وأيضاً مما يدل على حرص ابن سينا على طلب العلم

نفسى لا تقبله، يقول المحقق: والغالب أن أبا علي بن سينا لم يدخل فيما دخل فيه أبوه وأخوه ولم يتمذهب بمذهب الإسماعيلية، وكثيراً ما كان الأبناء يخالفون الآباء، وقد ذكر الثعالبي في المضاف والمنسوب عن ابن عائشة قال: كان الحسن بن قيس بن حصين ابن شيعي وابنة حرورية وأمرأة معتزلية وأخت مرجئة وهو سني جماعي، فقال لهم أراني وإياكم طرائق قدا. ص ٥٣.

(٢٣) حاشية ترجم له البيهقي قائلاً: كان حكيماً عالماً متخلفاً، قال أبو علي في الحكيم أبو عبد الله الناطلي: ارتبطه والذي وكنت استفدت منه قوانين المنطق وانتهيت إلى غوامض يتعجب الناطلي منها فلما انتهيت في تعلم الرياضيات إلى المعطيات. المصدر السابق ص ٣٧.

(٢٤) كتاب في الفلك ألفه بطليموس ونقله العرب إلى لغتهم.

(٢٥) من هنا علق البيهقي قائلاً: «اشتغل أبو علي بتحصيل العلوم من الطبيعي والإلهي، ونظر في النصوص والشروح، وانفتحت عليه أبواب العلوم ثم رغب في علم الطب وتأمل الكتب المصنفة فيه». المصدر السابق ص ٥٤.

(٢٦) تاريخ حكماء الإسلام، ص ٥٤. مصدر سابق

(٢٧) المصدر السابق ص ٥٤ قال البيهقي معلقاً: «فلا جرم صار فيه مدة قليلة عديم المثل؛ فقيد القرنين والنظير».

(٢٨) المصدر السابق ص ٥٤، ولعل تردد ابن سينا على الفقهاء هو دليل عناية بأطراف الحكمة من جميع جوانبها لما للفقه من مكانة ومنزلة، ولما يحققه من قوة الإدراك والفهم والاستباط فالنبي ﷺ قال: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين». أخرجه الإمام البخاري رحمه الله تعالى في كتاب العلم (٦٩).

والحكمة قال البيهقي: «أقبل على العلم الإلهي، وقرأ كتاب ما بعد الطبيعة، وأعاد قراءته أربعين مرة، وصار له محفوظاً، ومع ذلك لا يفهمه ولا المقصود منه، ويئس من نفسه وقال: هذا كتاب لا سبيل إلى فهمه.^(٢٩)»، ولعل البيهقي في موضع آخر يدل على ذكائه قائلاً: «فلما بلغ أبو علي عشرة من عمره فرغ من العلوم كلها، ولم يتجدد له بعده شيء.^(٣٠)»، وأما الذاكرة الحاضرة والتوقد الذهني والذكاء الفذ الذي برع فيه ابن سينا فيدل عليه ما حدث به تلميذه الجوزجاني في مناسبة تدليل كتاب الشفاء وقد أخذ يكتب فصوله من غير أن يستعين بمرجع مما استقى منها معارفه قال البيهقي: «وكان علا الدين سأل الشيخ المصير إليه، فأقام في دار أبي غالب العطار متوارياً وصنف فيها بلا كتاب يطالعه جميع الطبيعيات والإلهيات من كتاب الشفاء وابتدأ بالمنطق وكتب جزء منه.^(٣١)»

كما ذكر البيهقي عنه جملة من المواقف التي تدل على عبادته ومنها: «وإذا تحير في مسألة وما ظفر فيها بالحد الأوسط تردد إلى الجامع وصلى وابتهل إلى الله تعالى حتى يفتح الله تعالى له المنلق منها وكان يعود كل ليلة إلى داره، ويضع السراج ويشغل بالقراءة والكتابة.^(٣٢)»، ومن شواهد قوة إيمانه وعبادته ما نقله البيهقي في ترجمة أبي نصر الفارابي حوله أن ابن سينا قال: «أيسر من معرفة غرض ما بعد الطبيعة حتى ظفرت بكتاب لأبي نصر الفارابي فشكرت الله تعالى وصمت وتصدقت بما كان عندي^(٣٣)»، فمن هذه الشواهد أراد البيهقي أن يؤكد أن زوايا الحكمة وثمارها حاضرة عند ابن سينا، فتلمسه لمواضع العبادة والاشتغال بها سبيل لانفتاح الحكمة والحق يقول ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَ اللَّهُ﴾. (البقرة: ٢٨٢).

لم يكتفِ البيهقي في ذكر ترجمة ابن سينا إلى عرض جانب واحد من مناقبه وإشراقاته بل تناول جانباً آخر من لهوه، وعدم وفائه بعلم الحكمة، وسوء تصرفه مع بعض أقرانه، أو علماء عصره ومنها ما نقله البيهقي إذ يقول: فإذا غلبه النوم وابتدره ضعف

(٢٩) المصدر السابق ٥٥. فالذكاء والمعرفة وقوة الإرادة عناصر اكتملت عند ابن سينا فاستكملت عنده جوانب الحكمة.

(٤٠) المصدر السابق ص ٧٥، وفي موضع آخر يروي البيهقي عن تلميذه أبو عبيد قوله: ومن عجائب أحوال الشيخ أن أبا عبيد صحبه ثلاثين سنة قال إنه ما رآه ينظر في كتاب جديد دعى الولاء بل يقصد المواضع الصعبة، والمسائل المشكلة منه، فينظر ما قاله المصنف فيها، فتبين عنده مرتبته في العلم. المصدر ص ٦٤. كما يؤكد محقق الكتاب على ذلك في ترجمته لأحد علماء عصره وهو البرقي الخوارزمي ناقلاً عن ابن مأكولا رأيت له ديوان شعر أكثره بخط تلميذه ابن سينا. وجوانب حياة ابن سينا تظهر جوانب مضيئة فكما ذكر البيهقي ذلك من أنه قرأ كتاب ما بعد الطبيعة لأرسطو أربعين مرة.

(٤١) المصدر السابق، تاريخ حكماء الإسلام ص ٦٣، والواقع أن ابن سينا ظل طول حياته يتفلسف ويمارس الطب بما اتقن في عهد الطلب.

(٤٢) المصدر السابق ص ٥٤.

(٤٣) المصدر السابق ص ٣١.

مزاج شرب قدحاً من النبيذ.^(٤٤)، بل قال عنه البيهقي أنه كان مشغولاً بشرب الخمر، واستفراغ القوى الشهوانية، ثم اقتدى به في الفسق والانهماك من بعده، وفي موضع آخر يذكر البيهقي: «أن أبا علي كان قوي المزاج، وكانت قوة المجامعة عليه أغلب، وكان يشغل باستفراغها، فأثر ذلك في مزاجه^(٤٥)»، وفي موضع آخر يشير البيهقي أن مجلس العلم أحياناً لا يخلو من الشراب الذي ولع به فيقول: فكان يجتمع كل ليلة في داره طلبة العلم وأبو عبيد^(٤٦) يقرأ من كتاب الشفاء نوبة، ويقرأ المعصومي من القانون نوبة، وابن زبلة يقرأ من الإشارات نوبة، وبهمن يار يقرأ من الحاصل والمحصل نوبة، فإذا فرغوا حضر المغنون واشتغلوا بالشراب، وكان التدريس بالليل لعدم الفراغ بالنهار^(٤٧). من هنا نجد أن ابن سينا قصر في الوفاء بما يجب عليه العالم الحكيم المسلم العامل بعلمه مقارنة بما كان عليه الأئمة الحكماء كأبي حنيفة ومالك والأشعري، كما ذكر البيهقي في مواضع أخرى من كتابه نماذج تدل على سوء خلقه -رحمه الله- ومنها: ما ذكره البيهقي في ترجمة الفيلسوف أبو الفرج بن الطيب الجاثليق أن ابن سينا كان يعترف في تقدمه في صناعة الطب ثم يعترض على بعض رسائله ويذمه ويتهجن تصانيفه، ويقول في المباحث: من حق تصنيفه أن يرد على بايعه، ويترك عليه ثمنه.^(٤٨)

(٤٤) المصدر السابق ص ٥٤.

(٤٥) المصدر السابق ص ٦٨، والحقيقة أن مثل هذا الوضع الذي فتن به ابن سينا من الشرب وغيره كان غالباً في عادة أهل عصره، فبعض الحنفية رحمهم الله كان لهم رأي في النبيذ وشربه وإباحته، وهي من المسائل التي لم تحظ بجدل واسع كمسألة الخمر، وفي المقابل فرود أبواب السلاطين له فتنته ومصائبه، وأخرج أحمد في مسنده، والبيهقي بسند صحيح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من بدأ جفا، ومن اتبع الصيد غفل، ومن أتى أبواب السلطان افتن، وما ازداد أحد من السلاطين قرباً، إلا ازداد من الله بعداً».

(٤٦) المصدر السابق ص ٦٢، ترجم البيهقي في كتابه لأبرز تلاميذ ابن سينا بالترتيب وبين مكانتهم وقدر كل منهم وهم: ١- بن زبلة: قال عنه البيهقي مترجماً هو الحكيم أبو منصور الحسين بن طاهر بن زبلة، من خواص ابن سينا ومن بطانته، كان عالماً بالرياضيات وماهر في صناعة الموسيقى، عارفاً بعلوم العرب، ومن تصانيفه الإختصار من طبيعيات الشفاء، كان قصير العمر مات في سنة ٤٠٤ بعد موت ابن سينا ١٢ سنة، ومن حكمه: «لا تتفكر في الأمور المستقبلية فإنك لا تدري ما يأتيك منها وما لا يأتيك. المصدر السابق ص ٢٠٩٩- أبو عبيد: قال عنه البيهقي هو الحكيم أبو عبيد الواحد الجوزاني من خواص أبي علي وأحلاس مجلسه وندمائه وخدمه وهو من أعان ابن سينا على جمع كتاب الشفاء، وفسر مشكلات القانون وشرح رسالة حي بن يقظان، وصفه البيهقي قائلاً: ولم يوجد في تلاميذ أبي علي أحد أقل بضاعة منه وكان أهم حكم أبي عبيد قوله «ثلاثة أشياء القليل منها كثير: صحة السلطان والنساء والمال، المصدر السابق ص ٣٠١١- المعصومي: قال عنه البيهقي هو أبو عبد الله محمد بن أحمد المعصومي الحكيم، كان من أفضل تلاميذ أبي علي وهو الذي صنف أبو علي باسمه كتاب العشق. قال ابن سينا في شأنه: هو مني بمنزلة أرسطو من أفلاطون، ومن حكمه قوله: دأب الحكيم التروية في الجواب بعد استيعاب الفهم المصدر السابق ١٠٢.

(٤٧) المصدر السابق ص ٦٢.

(٤٨) قال البيهقي معلقاً: وليس هذا من دأب الحكماء. المصدر السابق ص ٤٢. قال ابن الجوزي - رحمه الله -: «تأملت التحاسد بين العلماء فرأيت منشأه من حب الدنيا؛ فإن علماء الآخرة يتوحدون ولا يتحاسدون؛ كما قال الله عز وجل: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا﴾». ابن الجوزي، صيد الخاطر، تحقيق شعيب الأرنؤوط، (بيروت دار ابن خلدون) ص ٢٥.

ولعل هذا من باب التحاسد يكون بين أهل العصر، وهو أمر طبيعي معروف ولقد نقل البيهقي قول الحكيم ظهير الحق محمد بن مسعود الأديب الغزنوي الذي ذكر أن الحسد بين العلماء شيء طبيعي فقال: «الحسد لازم للعلماء، فأنا لخوف الحسد وشره أحكم بترك العلم»^(٤٩)، ونقل البيهقي حادثة في هذا الصدد قال: «رأيت في بعض الكتب أن ابن سينا دخل على الحكيم أبي علي بن مسكويه صاحب كتاب تجارب الأمم والتلاميذ حوله فرمى أبو علي جوزة وقال بين مساحة الجوزة بالشعيرات، فرفع ابن مسكويه أجزاء في الأخلاق ورمهاها إلى ابن سينا وقال: أما أنت فأصلح أخلاقك أولاً حتى استخرج مساحة الجوزة وأنت أحوج إلى إصلاح أخلاقك مني إلى مساحة الجوزة»^(٥٠)، ونقل البيهقي كذلك أن البيروني بعث مسائل لابن سينا فأجاب عنها واعترض البيروني على أجوبته وهجته وأذاقه مرارة التهجين وخاطب أبا علي بما لا يخاطب به العوام فضلاً عن الحكماء، فلما تأمل أبو الفرج الأسئلة والأجوبة قال: من نخل الناس نخلوه ناب عني أبو الريحان^(٥١)، وفي ترجمة الحكيم الكرمانلي نقل البيهقي أنه جرت بين ابن سينا وبين الحكيم أبو القاسم الكرمانلي مناظرة أدت إلى مشاجرة لزمها سوء الأدب، ونسبه أبو علي إلى قلة العناية بصناعة المنطق، ونسب أبو القاسم أبا علي إلى الغلط والمغالطة، وكتب هذه المناظرة أبو علي إلى الشيخ الوزير الأمين أبي سعيد الهمداني الذي صنف ابن سينا باسمه الرسالة الأضحوية^(٥٢)، ولعل كل هذه الروايات تحصل من تحاسد العلماء والتي هي مشهورة معروفة، ولو أنها تنقص من حكمة العالم وعلمه، ومرد حسد العلماء إلى تفاضلهم في الاجتهاد، وتفاوتهم في الاستعداد لبذل الجهد، ومهما يكن من هذه الروايات إلا أن الحكمة والتعامل مع الحكماء وطلب الاستفادة منهم له حضوره فقد نقل البيهقي في ترجمة الحكيم أبو الخير الحسن بن سوار أن أبا علي قال في بعض كتبه عنه: «وأما أبو الخير لعل الله يرزقنا لقاءه فيكون إما فائدة أو استفادة»^(٥٣)

(٤٩) المصدر السابق ص ١٥٢.

(٥٠) المصدر السابق ص ٤٤.

(٥١) المصدر السابق ص ٤٥.

(٥٢) المصدر السابق ص ٤٨، ولعل هذه المواقف تظهر في مجملها اعتداد ابن سينا بنفسه، فهو يتكلم منذ الصغر عن أستاذه الناطلي ويحاول أن يتعلم الطب والفلسفة من غير معلم، وقال الكرمانلي لابن سينا: «لا يقدر ما عندك بتهجين ما عند غيرك فإن الحق أبلغ والإنصاف لم يندم». ويتمثل دائماً بقول الشاعر:

لما عظمت فليس مصر واسعي لما على ثمني عدمت المشتري

- ولقد ذكر البيهقي جانباً ساهم في اعتداده بنفسه وهو هيئته وجماله وهي حادثة حصلت في الري بينه وبين أحد الشبان الذين لاقاهم حين قال له الشيخ: وكيف عرفتني؟ فقال الشاب: كنت أسمع بجمالك وحسن هيئتك وفطانتك. ص ٧١.

(٥٣) المصدر السابق ص ٢٧، وكان أبو الحكيم الأديب أبو الفرج علي بن الحسين بن هندو مقتبساً من فوائد الحكيم أبي الخير الحسن بن سوار. المصدر السابق ص ٩٣.

الخاتمة

بعد استعراض ترجمة ابن سينا - عند البيهقي - يحق لنا القول: بأننا قد تعرفنا على معالم تلك الرؤية التي صدر عنها البيهقي والتي تمثل المستوى العميق في بيان الغرض الذي لأجله كتب البيهقي تلك التراجع. ولما كان ابن سينا قد شغل تلك المساحة المميزة في الكتاب فيمكننا القول بأنه النموذج المثالي للحكيم المسلم ولكن البيهقي - قبل غيره - كان عالماً بتلك الاعتراضات التي تمنع من أن يتخذ ابن سينا نموذجاً لذلك الحكيم ولذلك فقد قام بذكرها بصورة مفصلة في ترجمة ابن سينا وحاول أن يجد المسوغات العقلية والطبيعية لتفسيرها وركز على بيان حسن الخاتمة في حياة ابن سينا، وقد يزعم زاعم بأن البيهقي أراد بكل ذلك أن يُثبت عدم أهلية ابن سينا لأن يكون نموذجاً للحكيم المسلم وأن كلاً من ابن سينا والفارابي لا يمكن بأي حال من الأحوال اتخاذهما نموذجين للحكيم المسلم وهو بكتابه هذا يرد على تلك المقالة ويبين عدم صحتها بتلك التراجع التي ذكرها، وكذلك فقد ذكر البيهقي عيوب كل منهما وهو بهذا الكتاب كأنه يُريد أن يجد بديلاً لهذين النموذجين في شخص اكتملت فيه كل خصال الحكيم العلمية والعملية والخلقية والخلقية.

ولكننا نقول لا يمتري أحد بأن هذه التراجع قد اتسمت بنوع من الواقعية في النظر إلى البشر وإلى ضرورة سعيهم اتجاه تحصيل كمالاتهم ومن ثم فإن نموذج الحكيم المسلم يتمثل في سعيه لتحصيل كمالاته وتجاوز مكامن النقص فيه ومجادة الابتلاءات التي يقع فيها والخروج منها بغرض إصلاح نفسه وإفادة غيره والاستفادة ممن لهم رتبة عليه حتى يتجاوزهم وكان ذلك دأب ابن سينا كما عرض البيهقي سيرته، ويحق لنا أن نسأل: لماذا لم يترجم البيهقي للإمام الغزالي أو ابن مسكويه؟ حيث أنه قد ذكر الإمام الغزالي في مواضع عديدة من كتابه ضمن تراجم مختلفة ورد أولها من خلال ترجمته ليحيى النحوي الملقب بالطريق قائلًا «ويحيى النحوي البطريق هو الذي صنف كتاباً ورد بها وفيها على أفلاطون وأرسطو حين همت النصارى بقتله وقال أبو علي هو: يحيى النحوي المموه على النصارى» ثم يعلق البيهقي على ذلك قائلًا «وأكثر ما أورده الإمام حجة الإسلام رحمه الله في تهافت الفلاسفة تقرير كلام يحيى النحوي»^(٥٤) إذا ما قام به الإمام الغزالي في الرد على الفلاسفة والذين كان ابن سينا ممثلاً لهم لم يكن إلا تقريراً للكلام يحيى النحوي الذي وصفه ابن سينا بأنه قد موّه على النصارى فلو أن ابن سينا كان حيّاً لذكر ذلك في الرد على الإمام الغزالي، حسب ما يمكن أن يفهم من مقالة البيهقي، لكن البيهقي كذلك كان مجلاً للإمام الغزالي فقد استعان به في الرد على الشهرستاني في تلك المناظرة

التي جرت بينهما إذ أن الشهرستاني كان يصنف تفسيراً للقرآن «ويؤول الآيات عل قوانين الشريعة والحكمة وغيرها، فقلت له: هذا عدول عن الصواب، لا يفسر القرآن إلا بأثار السلف الصالح من الصحابة والتابعين، والحكمة بمعزل عن تفسير القرآن وتأويله، خصوصاً ما كتب تأويله»، فالغاية الأوفى من كتاب تاريخ حكماء الإسلام بيان نموذج ذلك الحكيم المسلم حتى يقع الاقتداء به وسط أجيال المشتغلين بالحكمة فيما بعد فإن البيهقي قد نجح في تقديم نموذج إنساني لذلك الحكيم في شخص ابن سينا، ولم يذهب مذهب التبجيل وإخراجه من سمت البشرية وإنما بيّن لنا عيوبه وعيوب بعض المشتغلين بالحكمة في زمانه حتى نستطيع تجاوز تلك العيوب، فالكتابة التاريخية عند البيهقي لها غرض واضح هو دفع القارئ نحو استنتاج ذلك النموذج من خلال تلك التراجم إذ أنه كثيراً ما يتدخل بالتعليق مؤيداً أو مستكراً لموقف من المواقف العلمية أو العملية وهو كذلك يبيدي رأيه في تقويم مؤلفات من ترجم لهم وفي كل ذلك يتغير شأن بيان ذلك النموذج الكامل للحكيم، إذا لم يكن الغرض الأهم من تلك التراجم مجرد التوثيق لمن ترجم لهم وإنما غرضه بيان ما أثر عنهم من حكم غابيتها بيان صورة ذلك النموذج للحكيم المسلم، وهو في ذلك قد أولى عناية فائقة في تتبع أخبار ابن سينا ولن نجتنب الصواب إن قلنا إن ابن سينا كان قطب الرchy في تلك التراجم وأنه في تلك التراجم قد انتقل من مرحلة القول: «اثان في الإسلام وهما أبو نصر وأبو علي» إلى مرحلة أن أبا علي هو النموذج الأمثل للحكيم المسلم، وهو في ذلك قد نظر فيما تجمع إليه من مرويات حول ابن سينا فقام بتنسيقها بسبيل يؤدي إلى تلك النتيجة، فالصورة التي ركب بها ترجمة ابن سينا من خلال الترجمة للآخرين اتبعت استراتيجية جدّ معقدة وقيمة في تحقيق ذلك الغرض الذي لم يصرح به؛ وإنما تركه لفطنة القارئ، وكل ما ذهبنا إليه في هذا البحث هو التحقيق حول تلك الفطنة التي بينت لنا رؤية البيهقي من خلال الترجمة لحكماء الإسلام في كتابه.

نظم المركزية واللامركزية في ظل السياسات التربوية في الدول العربية المملكة العربية السعودية - نموذجاً

د. ذهب بنت نايف الشمري

مقدمة الدراسة

ومديرية التربية والتعليم في النظام التربوي في الدول العربية وإما على أساس تربوي وظيفي ويطلق على هيئاتها اسم الهيئات اللامركزية الإدارية الوظيفية أو الهيئات اللامركزية في الإدارة التربوية.

نظراً لتعدد أنواع النظم اللامركزية الإدارية وتنوع اتجاهاتها وأهدافها واختلاف البيئة التي تطبق فيها، لذا فإننا سوف نتجنب تحديد تعريف جامد (استاتيكي) للامركزية

إن نظام اللامركزية الإدارية بشكل عام هو أحد أساليب التنظيم الإداري يقصد به تعدد مصادر النشاط الإداري في الدولة ويتم على أساس توزيع اختصاصات الوظيفة الإدارية بين السلطة المركزية وبين الهيئات الإدارية المتعددة، فيكون لكل منها استقلالها في مباشرة اختصاصاتها الإدارية، وفي الإطار الذي تحدده السلطة المركزية، والذي يعرف بالرقابة الإدارية وتتحدد هذه الاختصاصات إما على أساس جغرافي إقليمي، (المحافظات والألوية)

• دكتورة إدارة وتخطيط تربوي، أستاذ مساعد، قسم التربية، كلية التربية، جامعة حائل ووكيلة كلية التربية، جامعة حائل/المملكة العربية السعودية. d.alshammary@uoh.edu.sa

في الإدارة التربوية بسبب الخصوصية شديدة التغير والتبدل، ولا يجب وضعها في إطار صياغة قانونية محددة تكبلها وتفقد المرونة والديناميكية اللازمة وخاصة في ظل إخضاع هذه التجربة للاختبار في بعض المديريات لاستخلاص العبر في التطبيق سلباً وإيجاباً.

في ضوء ما سبق نحاول بحث فكرة اللامركزية في الإدارة التربوية في الدول العربية ووضع (مفهوم مبدئي) يساعد على إبراز أكثر جوانبها أهمية ودون التعرض لوضع تعريف محدد وجامد لها.

يشتمل هذا المفهوم على أربعة عناصر أساسية لنظام اللامركزية في الإدارة التربوية وهي:

١- الاعتراف بالاستقلال الذاتي لمديريات التربية والتعليم والوحدات التابعة لها.

٢- وجود مصالح محلية في حدود الوظيفة الإدارية التربوية تمس المجتمع بفعاليته المختلفة وتتطلب إشراكه في القرارات التربوية.

٣- النظام اللامركزي ينقل عمليات اتخاذ القرار من الوزارات المركزية للتعليم إلى الحكومات المحلية والمجتمعات والمدارس، وتحويل السلطة بهذا الشكل يتفاوت ويأخذ أشكالاً عدة تتراوح من تحويل سلطة إدارية للمحليات إلى مفهوم أوسع يشمل إعطاء صلاحيات مالية للمحليات والأقاليم المختلفة فاللامركزية تعني تغييرات في العلاقات بين الممثلين للهياكل التنظيمية المختلفة، والتكيف الذي يحدث لهذه العلاقات والذي يحدد بنية النظام التربوي.

٤- إن اللامركزية هي عملية ذات طبيعة مزدوجة لها جانب إداري وجانب سياسي وهو الذي يرتبط بتوزيع السلطة بين المنظمات الحكومية المختلفة والتي يمكن أن تصل إلى درجات مختلفة من العمق، فاللامركزية تساعد على تحقيق التوافق بين الأهداف الحكومية والتفصيلات المحلية.

إن استخدام المجتمع كمصدر للتربية مبني على أساس أن العملية التعليمية يجب أن تكون مندمجة بمشكلات الحياة اليومية للناس، من جميع الأفراد مختلفي الأعمار الذين يكونون المجتمع، ومن هنا لا يمكن الفصل بين أبعاد العملية التعليمية فلا يمكن إحداث إصلاح في الجانب الإداري بدون تأثر بالجانب المنهجي والعلمي، فكل أبعاد العملية التعليمية متكاملة تؤثر ويتأثر بعضها ببعض فهي أشبه بمنظومة متكاملة متماسكة، فإذا كانت هناك محاولات لتطبيق اللامركزية في الجانب الإداري، فلا بد في المقابل من

محاولات لتطبيق اللا مركزية في المناهج، وتفعيل دور المنهج في مراعاة الفروق بين البيئات.

إن سياسة الأخذ بالنظامين «المركزي واللا مركزي» في المناهج التعليمية يؤدي إلى تجنب مخاطر اتباع اللا مركزية وحدها، فاتباع سياسة اللا مركزية وحدها من الممكن أن يؤدي إلى:

- فقدان الوحدة القومية والهوية الموحدة.
- تشتت وتكرار الجهود.
- عجز المحليات عن تحمل المسؤولية.
- تعميق التناقض واللامساواة بين الأقاليم.
- احتمال إيجاد خلل وتفكك في الهوية القومية.
- تقليل ميزانية التعليم أو الأخطر خصخصة التعليم والتي تتمثل في إعطاء فرصة أكبر للقطاع الخاص والحد من الإنفاق الحكومي على التعليم أو من خلال تخلل إيديولوجيات الجماعات المختلفة إلى النظام التعليمي بما تحمله من اهتمامات مختلفة.
- إن الاتجاه نحو اللا مركزية لا بد أن يكون داخل إطار السياسة العامة للدولة وأن يتم التطبيق والتجريب بشكل تدريجي - فهذا الاتجاه لا يعني إلغاء دور الوزارة المركزية، والتي تعد مسؤولة عن تطوير التعليم ومصادره لكن على النقيض، فإنها يجب أن تعمل على تعبئة قدراتها على التخطيط والتنظيم، والدعم، والتوجيه، والبحث، فالوزارة عليها أن تحافظ على النسيج القومي وأن تركز على الهوية القومية، وأن تؤكد على السلام الاجتماعي والأمن القومي وذلك من خلال تطبيق القانون فيما يتعلق بتحقيق تكافؤ الفرص والعدالة في التوزيع والتدخل عند حدوث أي انحرافات على المستوى المحلي.

إن الجمع بين المركزية واللا مركزية يحقق الحفاظ على الهوية القومية وفي نفس الوقت يراعي الاختلافات التاريخية والطبيعية والتنوع الثقافي والاجتماعي للمجتمعات المحلية. ففي كثير من الدول التي اتبعت نظام اللا مركزية بدأت العمل بتطوير وزارة التربية والتعليم، عن طريق الحد من البيروقراطية، ثم تقسيم المنطقة إلى عدة أقاليم تعليمية وإنشاء مؤسسات مسؤولة لكل منطقة.. ويشمل هذا لا مركزية التعليم ولا مركزية الخدمات الإدارية المقدمة وتوزيع المعلمين والموظفين بما يتلاءم مع حاجات التغطية للمحليات المختلفة. وكان الهدف من هذا النظام هو الحد من تنقل العاملين للمكاتب

المركزية وزيادة الوقت الذي يعطيه المعلم داخل الفصل، وزيادة المشاركة المجتمعية وزيادة كفاءة وسرعة الاستجابة لتحقيق الخدمات التعليمية المختلفة.

تعتبر قضية المركزية واللامركزية من القضايا الهامة التي يظل النقاش حولها دائراً نظراً لما تحمله من اختيارات في السياسة العامة والسياسات التعليمية، وإجراءات التطوير التي تبني عليها. ولقد أخذت عدة دول بمزيج من المركزية واللامركزية في التعليم، عند تطوير التعليم. وجود سلطة مركزية تمارس الرقابة على المديريات والوحدات التابعة لها والمدارة ذاتياً. التطبيق التدريجي للوظيفة الإدارية التربوية المنفذة ذاتياً بعد اختبارها.

أنماط اللامركزية في التعليم

هناك ثلاث أنماط رئيسية من اللامركزية وتتمثل فيما يلي:

١- نقل سلطة اتخاذ القرارات الإدارية فقط مع الإحتفاظ ببعض القرارات للمستوي الأعلى.

٢- نقل كل السلطات والمسؤوليات لمدير المدرسة مع الاحتفاظ بالسلطات والمسؤوليات المالية.

٣- نقل كل السلطات والمسؤوليات بما فيها التعليم والمنهج والمالية للمدرسة، وفي المقابل نظام محاسبي صارم جداً.

ملحوظة: النمط الثاني هو الأكثر ملائمة للدول النامية.

المقصود بصانعي القرار

المديرية التعليمية - الإدارة التعليمية - الإدارة المدرسية - المعلمين - رؤساء الأقسام - المجتمع المدني.

مجالات القرارات

[التوظيف - الأجور - الميزانية - المنهج - شؤون الطلاب]

- التوظيف: تعيين ونقل وفصل المعلمين والعاملين.
- الأجور: تحديد المرتب الذي يتعين عليه المعلم وجميع العاملين، وتحديد الزيادة في المرتب بناء على المجهود الذي يبذل.
- الميزانية: صياغة ميزانية المدرسة، وتخصيص بنود صرف الميزانية في المدرسة.
- المنهج: وضع المنهج القومي ومحتوياته، مع ضرورة مراعاة أن يكون هناك

- منهج عام للدولة، مع وضع منهج إضافي يناسب كل محافظة.
- شؤون الطلاب: وضع أسس وسياسات تأديب الطلاب، ووضع طرق تقييم الطلاب ليشمل جميع الجوانب.

أهداف اللا مركزية في التعليم

- تسعى اللا مركزية في التعليم إلى تحقيق الأهداف الآتية:
- تدريب القائمين بتنفيذ الخطوط العريضة للا مركزية بالمدرسة حول كيفية تطوير التعليم وربطه بالخبرات العالمية وطرق وبنود التمويل.
- وضع رؤية مدرسية مشتركة.
- وضع رسالة مشتركة للمدرسة.
- جعل دور المعلم مسهل لعمليات التعليم.
- جعل عملية التعليم والتعلم أكثر فعالية في الفصول.
- إعطاء ميزة تنافسية للمؤسسة تمكنها من استثمار كافة مواردها سواء كانت بشرية، أو مادية أو فنية.
- التركيز على العنصر البشري لإكسابه كافة المهارات والقدرات التي يحتاجها.
- تمكين الإدارة المدرسية من خلال إعطائها مزيداً من السلطات الإدارية والمالية والتي تجعلها قادرة على بناء بيئة عمل جديدة وإحداث التحسينات والتجديدات المرجوة.
- انتقاء قيادة مدرسية حكيمة لديها القدرة على اتخاذ القرارات الرشيدة وذلك للتنسيق بين مجموعة معقدة من الوظائف المتكاملة.

دواعي الاتجاه نحو اللا مركزية في التعليم

- إن حكومات الدول النامية تعاني من ضعف القدرة على توفير التعليم والتعيين والأجور والتكاليف المتزايدة للخدمات بالإضافة إلى المنافسة من قطاع التعليم الخاص.
- رغبة الكثير من الآباء في إعطاء أبنائهم فرصة أفضل في التعليم.
- منافسة مدارس القطاع الخاص، فمعظم الآباء مقتنعين بنوعية التعليم في هذه المؤسسات.
- النمو البطيء في الإنفاق على التعليم، والتقليص المستمر في ميزانية التعليم؛ مما يؤثر على عمليات التطوير والتحسين في المدارس.

أبعاد اللا مركزية في التعليم

[الدستور والقواعد - فريق العمل - المجتمع المدني]

اللا مركزية وتطوير التعليم

- بالنسبة للقيادات التربوية: لديها القدرة والكفايات لإستثمار المواد، وقادرة على الإحساس بالمشكلات المدرسية.
- بالنسبة لبيئة العمل: يسود بها الثقة ومناخ العمل الصحي.
- بالنسبة للمعلمين: هناك تمكين للمعلمين في اختيار طرق التدريس واستخدام التكنولوجيا في تقديم المحتوى الدراسي، والتواصل المباشر مع ولي الأمر.
- بالنسبة للمشاركة المجتمعية: شراكة ولي الأمر وليس مشاركة ولي الأمر بمعنى إلزام ولي الأمر بالمشاركة في العملية التعليمية لحدوث التواصل المطلوب بين المدرسة وولي الأمر.
- بالنسبة لمنظمات المجتمع المدني: نستطيع تطوير التعليم بالاستفادة من رجال الأعمال في أعمال البناء وشراء الأجهزة، والاستفادة من خبرتهم العملية في عمل بعض البرامج التعليمية في المدرسة.

شروط اللا مركزية

- ارتباط السلطة بالمسؤولية، حيث لا يمكن إعطاء المرؤوس سلطة دون تحميله بالمسؤولية عن ممارسة تلك السلطة.
- مساواة السلطة والمسؤولية، بمعنى أن القدر الممنوح من السلطة إلى المرؤوس يجب أن يلزمه قدرًا مساويًا له تمامًا من المسؤولية، وهناك ارتباط بين السلطة وقدرات المرؤوس وخبرته.
- حتمية المساءلة.

معوقات اللا مركزية

معوقات تنظيمية:

- عدم تحديد الاختصاصات الوظيفية.
- عدم استقرار طرق العمل والإجراءات.
- عدم الاستقرار الوظيفي.
- المركزية الشديدة.

معوقات شخصية:

- التعطش للسلطة.
- قلة الخبرات.

خصائص الإدارة التعليمية الناجحة

- تتميز الإدارة التعليمية الناجحة بعدد من الخصائص التي تتعلق بالنواحي الاجتماعية والعلمية والهيكلية والتنظيمية، ومن أهم هذه الخصائص مايلي:
- أن تكون متمشية مع الفلسفة الاجتماعية والسياسية للبلاد.
 - تتسم بالمرونة في الحركة والعمل.
 - ألا تكون ذات قوالب جامدة وثابتة، وإنما تتكيف حسب مقتضيات الموقف وتغير الظروف.
 - إدراك الغايات البعيدة وارتباطها بالوسائل وأساليب التنفيذ وإحداث تغييرات في البناء والتنظيم.
 - التصرف بنجاح في ضوء فهمها لذاتها والمجموعة التي تقودها والمواقف والظروف الاجتماعية التي تعمل فيها.
 - أن تكون عملية بمعنى أن تكيف الأصول والمبادئ النظرية حسب مقتضيات الموقف التعليمي.
 - أن تتميز بالكفاءة والفاعلية، ويتحقق ذلك بالاستخدام الأمثل لإمكاناتها البشرية والمادية.
 - النجاح في تحقيق الأغراض المنشودة من تربية النشء، ومدى ما تحققه المدرسة في مجال التدريس والتعليم.

خصائص الإدارة التعليمية في المملكة العربية السعودية

- ١- الإدارة التعليمية في المملكة العربية السعودية تنبثق أهدافها وطبيعتها من طبيعة المجتمع السعودي المسلم والمحافظ.
- ٢- ومن أهم ركائز هذه السياسة أن الحياة الدنيا هي دار عمل يستثمر فيها الإنسان طاقاته وإمكاناته للدار الخالدة الأبدية، فالיום عمل ولا جزاء وغداً جزاء ولا عمل.
- ٣- تهدف إلى إيجاد الأمة الصالحة القائمة بأمر الله سبحانه وتعالى، والمستخلفة لهداية الناس وقيادة الدنيا، عملاً بقوله سبحانه وتعالى: «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ» وقوله: «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ».
- ٤- أما من حيث طبيعتها الهيكلية والتنظيمية فهي تسعى لتحقيق أهداف التنمية في المجتمع بكافة نواحيها ومجالاتها، متمشية مع خطط التطوير التي تنتهجها الدولة في كافة المجالات.

٥- تسخر الإمكانيات المادية والبشرية، وتستفيد من تجارب الدول المتقدمة وتكيفها مع خصوصية المجتمع لتحقيق الأغراض المنشودة.

أحدث الاتساع والتعدد في وظائف النظم التعليمية وظهور نظريات اجتماعية جديدة انعكاساً على نظام الإدارة التعليمية فتعددت أنواع هذه النظم وظهرت نظم جديدة: -

- **النمط المركزي:** يخضع لإشراف كامل من سلطة مركزية (وزارة التعليم) والسلطات المحلية ليس لها الحق في هذا الإشراف.
أهدافه: السيطرة على نظام التعليم لتحقيق إيديولوجية معينة،، تحقيق الفاعلية والدقة.

مثل: نظام التعليم الفرنسي.

- **النمط اللامركزي:** يخضع لإشراف أكثر كامل من السلطات المحلية، والسلطة المركزية لا تتدخل في الشؤون التعليمية.

أهدافه: إتاحة الفرصة للسلطات المحلية لإدارة شؤونها وفق إمكانياتها وأهدافها.
مثل: نظام التعليم في أمريكا.

- **نمط يجمع بين المركزية واللامركزية:** يخضع التعليم لإشراف قائم على المشاركة بين السلطات المحلية والمركزية في كافة شؤونه.

أهدافه: المشاركة في تكييف التعليم لتحقيق الأهداف القومية والمحلية.
مثل: نظام التعليم في بريطانيا.

مزايا المركزية:

- وحدة وفاعلية النظام التعليمي.
- المساواة والتوزيع العادل للخدمة التعليمية.
- ضماناً شخصياً ومهنيًا للعاملين.
- اقتصاداً كبيراً في الإنفاق التعليمي.

عيوب المركزية:

- انعدام المشاركة المحلية.
- المخرجات التعليمية ذات أنماط متشابهة.
- لا يشجع تطبيق الأفكار التربوية الحديثة.
- ضعف العلاقة بين المدرسة والبيئة.

أسس النظام التعليمي بين المركزية واللامركزية:

- السياسة التعليمية مسؤولية السلطة المركزية.

- توزيع الخدمة التعليمية توزيعاً عادلاً بين السلطتين المحلية والمركزية.
- منح الحرية الأكاديمية للمعلمين.
- تحقيق أقصى ما يمكن تحقيقه من مصالح الجماعة.

مشكلة الدراسة

بحث فكرة اللا مركزية في الإدارة التربوية في الدول العربية ووضع (مفهوم مبدئي) يساعد على إبراز أكثر جوانبها أهمية ودون التعرض لوضع تعريف محدد وجامد لها. بحيث يكون هناك وجود لمصالح محلية في حدود الوظيفة الإدارية التربوية تمس المجتمع بفعاليته المختلفة وتتطلب إشراكه في القرارات التربوية.

فرضيات الدراسة

الفرضية الرئيسية الأولى: إن متطلبات اللا مركزية لا تتوقف على التشريعات القانونية بل مرتبطة بالأبعاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية؟
الفرضية الرئيسية الثانية: إن زيادة الطابع التشاركي بين المجتمع والدولة يؤدي إلى تنامي مستوى الثقة التسييرية وهو ما يساعد على تجسيد اللا مركزية؟

أهمية الدراسة

- 1- إضفاء الصبغة العلمية على الإدارة واعتبار رجل الإدارة صاحب مهنة.
- 2- تركيز الدراسة على الإدارة باعتبارها ظاهرة سلوك وأداء وتفاعل اجتماعي وعلاقات إنسانية وما شاكل ذلك.
- 3- استخدام النظريات والنماذج في دراسة الإدارة.
- 4- تحليل الإدارة إلى بعدين رئيسيين أحدهما يتعلق بالمحتوى والآخر بالطريقة.
- 5- الاعتراف بالقوى الجديدة التي تشكل النظرة الجديدة للإدارة كالتكنولوجيا الحديثة والظواهر السكانية والعقائدية والإيديولوجية والتغير والصراع في نظام القيم والتفجر المعرفي وما شاكل ذلك.
- 6- اهتمام الباحثين بدرجة كبيرة بالدراسة العلمية للإدارة.

أهداف الدراسة

- 1- إبراز معامل ارتباط وثيق بين تطور الإدارة وتحديثها وبين مستوى التقدم الذي يحققه مجتمع ما، وهذه الحقيقة تبدو عند مقارنة مجتمع نام وآخر أكثر تقدماً.
- 2- الإدارة تعنى بالاستغلال الأفضل للموارد المتاحة بما يحقق إشباعاً أكبر للعديد من الحاجات الإنسانية.

٣- تبيان أبرز القوى المؤثرة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، ولا غنى عنها لأي منظمة ومؤسسة حكومية أو خاصة.

٤- إلقاء الضوء على الإدارة التعليمية التي تستقي عملها من طبيعة عمل التربية نفسها والتي تقوم الإدارة التعليمية بتحقيق أهدافها.

٥- رسم السياسات التربوية مع السلطات التشريعية المختلفة ووضعها موضع التنفيذ من خلال إنشاء ما يلزم من المؤسسات التعليمية ومراكز نشر الثقافة العامة وتخطيط المناهج الدراسية وتطويرها وتزويد الجهاز التربوي بالإمكانات المادية والبشرية.

٦- إعداد وإجراء البحوث والدراسات الميدانية التي ترتبط بقضايا ومشكلات تربوية تتصل بمختلف جوانب وعناصر العمل التربوي.

التعريفات الإجرائية للدراسة

التنظيم الإداري:

عُرف التنظيم الإداري بأنه تجميع أوجه النشاط اللازمة لتحقيق الأهداف والخطط، وإسناد هذه النشاطات إلى إدارات تنهض بها، وتفويض السلطة والتنسيق بين الجهود. (Koontz, O'Donnell, 1966: 105)

ولغاية هذه الدراسة يعرف التنظيم الإداري هو البناء أو الهيكل العام للإدارة الذي يحدد العلاقات الرسمية المختلفة في الإدارة ويوزع المهام والمسؤوليات على الأفراد فيها ومن حيث اتخاذ القرارات وحجم المنظمة وتفويض السلطة.

المركزية الإدارية:

عرفت المركزية بالنسبة لسياسة الدولة، أن تأخذ الحكومة على عاتقها إدارة جميع المصالح والمرافق العامة، وأن رؤساء الوحدات ومديري الدوائر يعملون تحت إشرافها المباشر وحسب اختصاص كل وزارة. (الوتري، ١٩٧٤: ٢٢).

ولغاية هذه الدراسة لمفهوم المركزية الإدارية بأنها تركيز الصلاحيات الإدارية بيد الوزارات في العاصمة وإعطاء هامش بسيط من المسؤولية للمدراء في المحافظات ويكون حق اتخاذ القرارات في المستويات العليا.

اللا مركزية الإدارية:

عُرفت اللا مركزية بأنها توزيع للمسؤوليات والصلاحيات على المستويات الثلاث الأفقية والعمودية والجغرافية في المنظمة (الكبيسي، ١٩٨٠: ٤٠).

ولغاية هذه الدراسة لمفهوم اللا مركزية فهي: عبارة عن تفويض أو تخويل جزء من صلاحيات الإدارات العامة في العاصمة إلى المدراء في المحافظات لتدريبهم على تحمل المسؤولية ولتخفيف الأعباء الملقاة على عاتقهم.

تفويض السلطة

تُعرف عملية التفويض للسلطة بأنها تعني أن يقوم الرئيس أو المدير بدراسة الأعمال التي يؤديها، فيبقى لنفسه الأعمال التي يستطيع وحده أن يقوم بها بينما يوزع باقي الأعمال على العاملين معه (خليل وآخرون: ١٩٧٥: ١١).

ولغاية هذه الدراسة لمفهوم تفويض السلطة فهو أن يقوم الرئيس أو المدير بدراسة الأعمال التي يؤديها فيبقى لنفسه الأعمال التي يستطيع وحده أن يقوم بها بينما يوزع باقي الأعمال على العاملين معه.

المراجع

المراجع العربية

- ١- أبو عيطة، عاصم. (٢٠٠٨). تطبيق اللا مركزية في إدارة التعليم قبل الجامعي. القاهرة: دار العلم والإيمان.
- ٢- أحمد، إبراهيم. (٢٠٠٢). الإدارة المدرسية في الألفية الثالثة. الإسكندرية: مكتبة المعارف الحديثة.
- ٣- التوثيق التربوي. (١٩٩٤). ندوة تحديث الإدارة التربوية. وزارة التربية. أيار/الجمهورية العربية السورية.
- ٤- بشايرة، أحمد. (١٩٩١). المركزية واللا مركزية في الإدارة التربوية. عمان: دار الفرقان.
- ٥- جمعية المعلمين الكويتية. (١٩٨٦). الإدارة المدرسية وعلاقتها بالإدارة التربوية. ٢٧ مارس/المؤتمر التربوي السادس عشر بجمعية المعلمين الكويتية. (٢٢)
- ٦- حجي، أحمد. (١٩٩٨). الإدارة التعليمية والإدارة المدرسية. القاهرة: دار الفكر العربي.
- ٧- حسين، سلامة. (٢٠٠٦). الإدارة الذاتية ولا مركزية التعليم. الإسكندرية: دار الوفاء لنسب الطباعة والنشر.
- ٨- الدسوقي، عاشور، والسيد، حسام الدين. (٢٠٠٨). تطوير القيادة في التعليم الثانوي في ضوء المعايير المحلية والعالمية. مؤتمر: «الشراكة المجتمعية: اللا مركزية من أجل ديمقراطية التعليم في دول البحر المتوسط». تحرير: فاتن عدلي. الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث. المتطلبات اللازمة لتحقيق اللا مركزية في مدارس التعليم الأساسي والثانوي العام في الجمهورية.

- ٩- سيد، أسامة. (٢٠٠٨). الإدارة التعليمية بين المركزية واللامركزية. القاهرة: دار العلم والإيمان.
- ١٠- نشوان، يعقوب. (٢٠٠٥). التربية في الوطن العربي على مشارف القرن الحادي والعشرين. عمان: دار الفرقان للنشر والتوزيع. النوري، عبد الغني. (١٩٩١). اتجاهات حديثة في الإدارة التعليمية في البلاد العربية. الدوحة: دار الثقافة.
- ١١- رحمة، أنطون. (١٩٩٧). الإدارة التربوية في استراتيجية تطوير التربية العربية. المؤتمر التربوي الأول: اتجاهات التربية وتحديات المستقبل. المجلد الثاني. ١٠ ديسمبر/دراسات في الأصول والإدارة التربوية.
- ١٢- السنبل، عبد العزيز. (٢٠٠٤). التربية والتعليم في الوطن العربي على مشارف القرن الحادي والعشرين. دمشق: منشورات وزارة الثقافة.
- ١٣- فهمي، محمد سيف، وجوهر، صلاح الدين. (٢٠٠٠). تطوير الإدارة التربوية في ضوء التجارب العربية والعالمية وثورة الاتصالات والمعلومات. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. تونس.
- ١٤- مديرية المناهج والبحوث. (١٩٩٣). واقع الإدارة التربوية في القطر العربي السوري، دائرة البحوث.
- ١٥- منصور، رشيد. (٢٠٠٤). المركزية واللامركزية في فلسطين من وجهة نظر مديري ومديرات المدارس في غزة. رسالة ماجستير جامعة النجاح الوطنية. نابلس.
- ١٦- مصطفى- صلاح. (١٩٩٩). الإدارة المدرسية في ضوء الفكر الإداري المعاصر، الرياض: دار المريخ.

التربية المتكاملة للطفل المسلم

د. علي محمد عيسى الشتيوي*

المقدمة

الحمد لله الذي جعل في منهج القرآن المجيد منهجا للتربية القوية، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الرسول العربي المربي الذي أرسله الله رحمة للعالمين.

وبعد فإنه لا غنى لشعوب وأقطار الأمة الإسلامية في العصر الحديث من أن تبني لنفسها فلسفة تربوية شاملة تستمد أصولها ومبادئها من تعاليم دينها الإسلامي ومن تراثها وفكرها العربي الإسلامي الأصيل، وبذلك تكون التربية أداة فعالة مؤثرة في حياة المجتمعات، يتقرر بها نوعية الحياة واتجاهاتها فهي أداة المجتمع المحافظة على مقوماته الأساسية وفي تكوين وتشكيل مواطنيه وفي الكشف عن استعداداتهم وقدراتهم وإمكانياتهم.

وتعنى التربية الإسلامية بتربية الطفل بشكل متوازن، آخذة في الاعتبار جميع أبعاد نموه الجسمية والاجتماعية والعقلية والانفعالية والروحية والأخلاقية دون إهمال جانب على حساب الجانب الآخر.

وتعتبر مرحلة الطفولة من أهم وأخطر مراحل العمر في حياة الإنسان لأنها مرحلة الأساس والتكوين لبناء الإنسان القوي، وهي المرحلة التي توضع فيها الدعائم الأساسية لشخصية الطفل، وفيها تحدد معظم أبعاد نموه الأساسية من روحية وجسمية وعقلية ولغوية واجتماعية، وفيها تت رسم أبعاد سلوكه وصفاته المزاجية وعلاقاته الإنسانية

• دكتورة في علم النفس التربوي، أستاذ جامعي، عضو هيئة تدريس بكلية التربية / طرابلس.

ali.eissa57@yahoo.com

ولهذه الاعتبارات تصبح هذه المرحلة القاعدة الثابتة لتربية الأطفال وتهذيبهم وتعليمهم وإعدادهم للحياة والمراحل التعليمية المقبلة بأساليب سليمة.

مشكلة البحث

لقد أصبحت تربية الأطفال في هذا العصر مصدر قلق وحيرة لكل الوسائط التربوية، ومن هذا المنطلق كانت هناك ضرورة ملحة لدراسة الأسس الشاملة والمتكاملة لتربية الطفل السليم، فالوسائط التربوية المتمثلة في الأسرة والمؤسسة التعليمية لم تعد تقدم لنا الصياغة السليمة للطفل الذي نتوقعه، وذلك بسبب انغماسها في تربية وضعها الإنسان بفلسفة تربوية بعيدة عن قيم التربية الإسلامية الحقة، فكان نتاج هذه التربية المستوردة في أهدافها وفلسفتها وأساليبها هو ذلك الطفل الذي يحيط به الخلل في تركيبه النفسي والإيماني والأخلاقي والاجتماعي، إن دور الأسرة المسلمة في مجال تربية أطفالها ما زال دون المستوى المطلوب، فقد انشغلت الأسرة عن بعض دورها التربوي الحقيقي وترك بعضها تربية الأطفال للخدم والسائقين الأجانب، وقد حصل ذلك نتيجة تفكك الأسرة المسلمة وتصدع بنائها وتفكك العلاقات الاجتماعية ووهنها.

إننا اليوم في أشد الحاجة إلى استلهاً عصري لروح النظرية التربوية في الإسلام رحمة بالطفولة وضماناً لاكتمال الرجولة وسعادة الإنسانية أينما كانت على وجه الأرض وفي كل زمان ومكان.

وممن أكدوا على خطورة وأهمية الدور التربوي للأسرة من سلفنا الصالح ابن القيم الجوزية رحمه الله، إذ يقول وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه فأضاعوها صغاراً فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آبائهم كباراً، كما عاتب بعضهم على العقوق فقال: يا أبت إنك عققنتني صغيراً وأضعنتني صبياً فأضعتك شيخاً.

أهداف البحث

١. وضع نموذج لأساليب التربية الشاملة والمتكاملة للطفل المسلم بما يحقق الفائدة للأسرة والمدرسة في التطبيق.
٢. تحديد الجوانب الأساسية المكونة للتربية الشاملة والمتكاملة للطفل المسلم بالاستعانة بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي لها علاقة بالموضوع والتركيز على مضامينها التربوية.
٣. إلقاء الضوء على مرحلة الطفولة باعتبارها مرحلة هامة في تكوين الإنسان وبناء شخصيته وخصوصاً في السنوات الأولى من عمره.
٤. بيان حقوق الأطفال في التربية الإسلامية ووضعها أمام الوسائط التربوية بشكل يحقق الشمول والتكامل في تربية الأطفال.
٥. الوقوف على المشكلات التي يعاني منها الأطفال في الجوانب الجسمية

والإيمانية والاجتماعية والأخلاقية والنفسية والعقلية ووضع العلاج لها في ضوء التربية الإسلامية الحقة.

٦. الوقوف على آراء بعض علماء التربية الإسلامية ونصائحهم بشأن أسس تربية الطفل في البيت والمدرسة.

أهمية البحث

أشار كثير من المربين إلى أهمية مرحلة الطفولة وضرورة رعايتها والعناية بها وأصبحت ملاحظة الطفل ودراسته أساساً لفن التربية وبذلك نشأ علم نفس الطفل إلى جانب علم النفس العام، إن موضوع الطفولة ورعايتها من أهم الموضوعات التي أولاها الإسلام الاهتمام على أساس أن الطفل لبنة في صرح المجتمع الصغير وهو الأسرة والأسرة لبنة في صرح المجتمع الكبير وكلهم يتأثرون قوة وضعفاً باللبنة الأولى التي هي أساس المجتمع.

وإذا كانت المجتمعات العربية الإسلامية تنشد تنمية ثرواتها البشرية فلا سبيل لتحقيق هذا الهدف إلا بتقديم الرعاية والعناية الممكنة للأجيال الناشئة وتزويدهم بأكبر قدر ممكن من معالم الحياة المعاصرة فكراً وعملاً وأسلوباً وأداءً وسلوكاً، ويتم ذلك عن طريق التنشئة الاجتماعية ذلك بأن تكون الأسرة والمدرسة قادرتين على القيام بتربية الأطفال وتوفير البيئة الاجتماعية والتعليمية المناسبة لهم.

والحقيقة أن حياة الطفل ونموه ومشكلات تربيته كانت دائماً مثار اهتمام الباحثين والدارسين في مختلف المجالات وبخاصة في مجال التربية وعلم النفس، وذلك لإدراكهم بأن العناية بالأطفال في مرحلة الطفولة تكون القاعدة الوطيدة التي تقوم عليها نشأتهم السليمة في مراحل نموهم التالية، ولذلك فإن مستقبل المجتمعات العربية والإسلامية يتحدد - إلى حد كبير - بالظروف التربوية المحيطة بالأطفال ونوع التربية التي يتلقونها والمؤثرات التي يتعرضون لها.

ويعتقد الباحث أن بحث تربية الأطفال في القرآن والسنة وما يحمله من مضامين تربوية، وما سيتوصل إليه من نتائج تفيد في الجوانب التالية: -

١. معرفة الأساليب ذات الفعالية العالمية في تربية الطفل المسلم في الأسرة والمدرسة في أبعادها الجسمية والعقلية والاجتماعية والأخلاقية والروحية والنفسية من أجل بناء وتشكيل الشخصية المتكاملة للطفل المسلم.
٢. يساعد هذا البحث الأسرة والمدرسة في معرفة مشكلات الأطفال في هذه المرحلة ووسائل علاجها من منظور إسلامي تربوي.

٣. يفيد هذا البحث في الارتقاء بتخطيط وتصميم المناهج الدراسية وأساليب

- التدريس وإعداد المعلمين بما يتمشى وطبيعة الأسرة المسلمة والطفل المسلم.
٤. لفت انتباه الآباء والأمهات وكل المسؤولين عن تربية الطفل إلى أهمية مرحلة الطفولة في بناء الشخصية الإنسانية وضرورة العناية بهذه المرحلة وتحقيق متطلباتها التربوية.
٥. الوقوف على ما ورد بشأن تربية الأطفال في القرآن الكريم والسنة النبوية المظهرة والفكر التربوي الإسلامي باعتبار أن هذه الآراء والنظريات تمثل الأساس النظري والعملية للتربية المتكاملة للطفل المسلم.
٦. التقدم ببعض المقترحات والتوصيات بشأن تربية الطفل المسلم تربية متكاملة في جوانبها الجسمية والإيمانية والعقلية والأخلاقية والاجتماعية والنفسية والتي يتوقع الباحث أنها ستساعد المربين على تربية الأطفال بصورة تتفق مع روح التربية الإسلامية.

أهداف التربية الإسلامية

١. تطوير سلوك الفرد وتغيير اتجاهاته بحيث تتسجم مع الاتجاهات الإسلامية يقول الله تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى * بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (الأعلى: ١٤-١٦).
٢. تدريب الفرد على مواجهة متطلبات الحياة المادية: يقول الله تعالى ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (الأنبياء: ٥٠).
٣. توجيه المسلمين إلى حمل الرسالة الإسلامية إلى العالم، وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ (التوبة: ٢٣)، وجاء أيضاً قوله تعالى ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠).
٤. غرس الإيمان بوحدة الإنسانية والمساواة بين البشر، وجاء في القرآن الكريم ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ (المؤمنون: ٥٢).

أساليب التربية الإسلامية التي تتحقق بها التربية الشاملة للطفل المسلم

١- أسلوب التربية بالقدوة الصالحة.

٢- التربية بالعادة.

٣- التربية بالموعظة والنصح.

٤- التربية بالممارسة العملية.

٥- أسلوب الترغيب والترهيب.

٦- التربية بالقصص القرآنية والنبوية وأهميتها من الناحية التربوية: -

- غرس القيم بكافة أنواعها.
- ترسيخ العقيدة في النفوس.
- حياة الرسول والقيم المتضمنة فيها.

المجالات التي تركز عليها التربية الإسلامية^(١)

- التربية الإيمانية.
- التربية الجسمية.
- التربية الوجدانية والنفسية.
- التربية الخلقية.
- التربية الاجتماعية.
- التربية العقلية.

إعداد الطفل للمستقبل

الاتجاهات العامة التي تدير نحوها الحضارة الإنسانية: قد نسبت في كتابة الاتجاهات العامة التي تدير لها ونحوها لحضارة الإنسانية، وقد بنيت هذه الاتجاهات على دراسة في تحليل مضمون مليوني مقال، تم نشرها في عدد من الصحف الأمريكية خلال الأثني عشرة عاما السابقة.

وكشفت هذه الدراسة عن عشر تحولات وقعت ويتوقع أن تقع خلال القرن الحادي والعشرين، ومن شأنها أن تؤثر على البشر والتحولت هي:

- التحول في مجال التكنولوجيا.
- التحول من الاقتصاد القومي إلى الاقتصاد العالمي.
- التحول من المدى القريب إلى المدى البعيد.
- التحول من المركزية إلى اللامركزية.
- التحول من الاعتماد على الغير (الدولة والمؤسسات) إلى الاعتماد على الذات.
- التحول من ديمقراطية التمثيل إلى ديمقراطية المشاركة.
- التحول من العلاقات الرأسية إلى العلاقات الشبكية.
- التحول من مناطق إلى مناطق أخرى تبعاً لظروف الجذب والطرْد.
- التحول من الاختيار من بدائل محددة إلى بدائل متعددة.

(١). التهامي نقره، سيكولوجية القصة في القرآن، جامعة الجزائر، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧١، ص (٥٢٣).

دور الأسرة في توفير التربية الجسمية والصحية الجيدة للأطفال

تلعب الأسرة دوراً كبيراً في مساعدة أبنائها على النمو الجسمي السليم من الناحية التكوينية والوظيفية وعلى تحقيق الصحة البدنية المناسبة واكتساب المعارف والمفاهيم والمهارات والعادات والاتجاهات الصحية الضرورية لسلامة أبدانهم، ومن هنا فإن الأسرة المسلمة يجب أن تلتزم بما ورد في التربية الإسلامية بشأن مظاهر اهتمام الإسلام بالجسم الإنساني والتربية الجسمية، والعمل على علاج مشكلات التربية الجسمية في ضوء التصور الإسلامي للتربية الجسمية ومضامينها التربوية، ومن الأمور التي ينبغي على الأسرة مراعاتها لتحقيق أهداف التربية الجسمية للطفل ما يلي:

١. تربية الجسم عن طريق تنظيم الطعام والشراب: لقد اعترف الإسلام بحاجات الجسم الإنساني من مأكّل ومشرب ودعا إلى تنظيم ذلك، حتى يتحقق ما فيه مصلحة هذا الجسد بخاصة والإنسان بعامة يقول سبحانه وتعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (البقرة: ١٧٢).

٢. النظافة.

٣. الوقاية من الأمراض.

٤. المحافظة على النفس.

دور المدرسة في التربية الجسمية لتلاميذها

يتكامل دور المدرسة مع دور الأسرة في فهم أبعاد التربية الجسمية للطفل المسلم وتوفير البيئة المناسبة لهذه التربية وعلاج مشكلات الطفل في هذه المرحلة التعليمية، ويرتكز دور المدرسة في الجوانب التالية: -

١. تعمل المدرسة على توفير الخدمات الصحية مثل الكشف الدوري الشامل والسجلات الصحية والعمل على تطوير عادات وسلوك الأطفال بهدف رفع المستوى الصحي لديهم وتوعية الأطفال بأهمية الصحة البيئية ومساهمتهم فيها حتى يتكون لديهم الشعور بالقوة واستخدام الجسم استخداماً يحس فيه الطفل بالرضى.

٢. يهتم الطفل في مرحلة المدرسة الابتدائية بمظهره ويبدأ بتكوين العادات السليمة

مثل طريقة المشي بثبات والجلسة الصحية في القراءة والكتابة وطريقة تناول الطعام وطرق العناية بالأسنان والعينين وتقع على الأسرة والمدرسة مسؤولية تعليم الناشئ بعض أساليب السلوك التي تعينه على التخلص من العوامل الخطرة في البيئة، والتي تمكنهم من تكوين اتجاهات سليمة نحو أجسامهم وطريقة تكيفها مع البيئة المادية والاجتماعية المحيطة بهم، ومن ثم اكتساب القدرة على الاستمتاع بالنشاط الحركي.

٢. يعتبر اللعب في مرحلة ما قبل المدرسة ومرحلة المدرسة الابتدائية من متطلبات الجسم السليم وله أهميته التربوية في النمو الجسمي والعقلي والاجتماعي حيث يتعلم الأطفال عن طريق اللعب (التربية الرياضية) كيف يتحكمون في أجسامهم والتنسيق بين أعضائهم المختلفة مما يؤدي إلى نمو العضلات الصغيرة والكبيرة واللعب يعطي الأطفال الإحساس بالقوة مما يزيد من ثقتهم بأنفسهم وإعطائهم شعوراً بالقدرة على التصرف كما أن اللعب يمثل منفذاً للطاقة الزائدة التي يسهل تفرغها على الحالة العصبية لدى الأطفال.

٤. والإسلام يحث على الرياضة لأنها من وسائل تقوية الجسم وفي هذا يقول الأستاذ - عفيف عبدالفتاح طيارة فالصلاة هي رياضة دينية إجبارية لكل مسلم يؤديها خمس مرات يومياً بغير إجهاد ولا إرهاق فتكون خير مقوم لبدنه ومنشط لأعضائه ورياضة صالحة لعضلات جسمه ومفاصله، وإذا تأملنا حركات الصلاة وجدنا شبيهاً بينها وبين النظام السويدي في الرياضة فالنظام السويدي لا يزيد عمره عن مائة سنة في حين أن نظام الصلاة في الإسلام قد مضى عليه ألف وأربعمائة عام أو أقل قليلاً.

الأسرة ووظيفتها التربوية في البناء الديني للطفل المسلم ومن أهم جوانب البناء الديني للطفل المسلم هي:

١. الإيمان بالله.
٢. تعويد الأطفال على حب رسول الله ﷺ.
٣. الإيمان بالملائكة.
٤. الإيمان بالقضاء والقدر.
٥. تبشير المؤمنين بالجنة ونعيمها.
٦. حث الأطفال على ممارسة العبادات الصحيحة.

٧. ربط الأطفال بالمساجد.

٨. مراحل التطور الديني عند الأطفال.

نرى أن التربية في حد ذاتها عملية قيمية، والقيم تصوغ العمل التربوي وتوجهه، ذلك أن التربية تستهدف إعداد الإنسان المتكيف إيجابياً مع مجتمعه، فهي تعمل على تشكيل الشخصية الإنسانية تشكيلاً يقوم على أساس ما يسود المجتمع من تنظيمات سياسية واجتماعية واقتصادية.

ولتكوين القيمة عملياً لدى الأطفال تحتاج إلى اتباع عدة مراحل منها، جذب انتباه الطفل نحو القيمة المرغوبة كهدف تربوي، وإيقاظ الإحساس لديه بأهمية هذه القيمة، وذلك باستخدام كافة الإمكانيات الممكنة بقصد الاستحواذ على انتباه الطفل، وفي الخطوة الأولى لغرس القيمة ليس من الضروري تقديمها بالتفصيل، وإنما المهم هو جذب الانتباه أولاً لتكوين الوعي بها وإثارة الرغبة في التلقي، لتتم عملية تركيز الانتباه والمراقبة وتأتي الاستجابة بعد ذلك حتى يتقبل الأمر طوعاً.

وفي مراحل تقبل القيمة - الصلاة مثلاً - يتكون سلوك ثابت لدى الفرد يلاحظه الآخرون فيه، وتتكون لديه رغبة مستمرة في تطوير قدرته على أداء الصلاة، إلى أن يصل إلى تفضيل هذه القيمة والالتزام بها، والذهاب إلى المسجد طواعيةً.

دور المدرسة في تنمية التربية الإيمانية للطفل

إن المدرسة كبيئة تربوية ثابتة بعد الأسرة، يقع عليها جزء من الاهتمام بتعميق التربية الدينية في نفس الطفل يمكن أن نشير إلى أهم الوظائف التي يمكن للمدرسة أن تقوم بها حتى تكون وسطاً صالحاً لتنمية الشعور الديني الروحي عند الأطفال ومنها:-

١. مراعاة أسس المناهج الدراسية لدى المسلمين، ميول الأطفال ورغباتهم، ومراعاة الفروق الفردية التي ترجع إلى البيئة أو السن أو مستوى الذكاء، وتتفق معظم الآراء التربوية على أن التعليم يجب أن يعد الفرد للحياة الاجتماعية من خلال مناهج وظيفية تحقق إبراز القيم الاجتماعية في شعور الفرد وحفز المواهب الفردية وتميئتها وإعداد الفرد للحياة الاجتماعية وفق أهداف التربية الإسلامية.

٢. مراعاة الطبيعة البشرية، وهذه الأسس التربوية تتطلب من المدرسة أن تكون بعيدة عن العنف والقسوة ومكاناً للرحمة والرفق والتوجيه بالوسائل الحسنة ومراعاة أحوال الأطفال ومخاطبتهم على قدر عقولهم. والإسلام يهدف إلى

إيجاد المسلم اللطيف الذي يكره العنف والقسوة والغلظة، ولذلك يقول الرسول ﷺ (يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا) صحيح الجامع الصغير، ص (١٣٤٤).

٢. العناية بتدريس التربية الدينية وربطها بالمواد الأخرى مثل التاريخ والجغرافيا والعلوم وغيرها وإقامة مسجد بالمدرسة وتأدية الصلاة فيه جماعة ومتابعة التلاميذ في سلوكهم الديني داخل المدرسة وخارجها وحثهم وتشجيعهم على الممارسة الدينية الصحيحة، وكذلك تعمل المدرسة على ربط الأطفال بالحياة الطبيعية عن طريق النشاط المدرسي والرحلات والمشاهدات ليتعرفوا على قدرة الله ووجوده.

العبادة وأثرها على الصحة النفسية للأطفال وعلاج مشكلاتهم

معنى الصحة النفسية هي الشعور بالطمأنينة والهدوء، والتكيف مع واقع الحياة والتوازن والترابط بين أحاسيس الإنسان وانفعالاته، وسلوكه حتى يعيش معيشة راضية مطمئنة وينعكس ذلك على صحته الجسمية وصحته الاجتماعية، وتتمثل الصحة النفسية في قدرة الفرد على التوافق والتكيف، وتتطور حياة الإنسان في مراحل حياته المختلفة وتتطور كذلك الحياة نفسها من يوم لآخر وتؤثر عليها المدنية الحديثة كل التأثير ولكن شيئاً واحداً لا يتغير وهذا الشيء هو العبادات التي فرضت على الإنسان وكانت صالحة له في كل مراحل حياته.

وإذا نظرنا نظرة مدققة إلى العبادات المختلفة من صلاة وصيام وزكاة وحج وشهادة التوحيد لتأكد أن لكل واحد من هذه الفروض أثره على الصحة النفسية، والإنسان خلق تتجاذبه دوافع بدائية عديدة، وفي مسيرة الحياة كان من الضروري أن تهذب هذه الدوافع تهذيباً يجعلها بناءً لخير الإنسان وخير الجماعة التي يعيش فيها ولما كانت الفرائض التي أتى بها الدين علاجاً لتهذيب هذه الدوافع حتى تعمل على الجادة الوسطى في إطار من المثل والمبادئ التي وضعها الحق عز وجل علاجاً لما فطر عليه الناس لتخلص منها نوازع مختلفة كالشر والعجلة والشح والظلم وغير ذلك من نوازع يجاهد الإنسان ليتخلص منها.

فالعبادة بمفهومها النفسي والتربوي الواسع في التربية الإسلامية تعمل لاستمرار وتقوية صلة الفرد بخالقه فهي خلوة نفسية قصيرة يتفقد فيها المرء نفسه ويتركز إليها بصفاء وسلامة وبذلك فإن الصحة الروحية والنفسية مثلها مثل الصحة الجسدية لا بد لها من غذاء على فترات دورية تتمثل في أداء العبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج وبذلك تكون العبادة شحنة عاطفية تزيد المؤمن قوة وثباتاً في مواجهة الحياة.

إن طريقة الإسلام في التربية هي معالجة الكائن البشري كله معالجة شاملة لا تترك منه شيئاً ولا تغفل عن شيء جسمه وعقله وروحه، حياته المادية والمعنوية وكل نشاطه على الأرض، وهذا يحقق شيئين في آن واحد:

- استغلال طاقات الإنسان كلها فلا تهدر منها طاقة واحدة يمكن أن ينتفع بها في عمارة الأرض والخلافة عن الله.

- استغلال هذه الطاقات مجتمعة يحدث توازناً في داخل النفس وواقع الحياة.

وقد اتبع القرآن الكريم في منهجه وتربيته للأفراد وفي تغيير سلوكهم وأسلوب الممارسة الفعلية للأفكار والعادات السلوكية الجديدة التي يريد أن يغيرها في نفوسهم، ولذلك فرض الله سبحانه وتعالى العبادات المختلفة الصلاة والصيام والحج والزكاة، وأمر الإنسان بالقيام بها في أوقات معينة لما لها من أثر على الصحة النفسية والتوافق النفسي.

خطوات العلاج النفسي الديني^(٢)

١. مطالبة العميل بالتوبة وعدم العودة إلى ارتكاب الخطايا، حيث إن هذا هو المدخل إلى تطهير النفس.

٢. تقبل العلاج لاعتراف العميل بذنوبه وآثامه دون تأنيبه على خطيئته، فراحة الاعتراف بالآثام مع تقبل المعالج لهذا الاعتراف، يساعد العميل على الخروج من حالة عذاب النفس والاستعداد للإصلاح.

٣. مساعدة العميل على الاعتراف بذنوبه، وإتاحة الفرصة أمامه لتخفيف حدة مشاعر الخطيئة التي نجمت عن انتهاك مبادئ الدين.

٤. أن تكون التوبة بالكلام والفعل كدوام الطاعة لله وترك المعصية وإقامة شعائر الدين فمثل هذه الأفعال تساعد العميل على أن يرضي نفسه ويهدئ من ثورة ضميره عليه ومن تأنيبه له.

٥. أن يعلن العميل ندمه على خطيئته.

٦. يساعد المعالج العميل على قبول مجموعة من القيم البناءة التي تساعد على تدعيم صحته النفسية.

٧. مساعدة العميل على أن يتقبل نفسه وذلك بأن يشعره من وقت لآخر، أننا خلقنا أصلاً من عناصر طبيعية وأن المسؤول عن إفسادنا هو تلك التغيرات التي اكتسبناها من تعاملنا مع العالم الخارجي.

(٢) سيد عبد الحميد مرسى، ونفس وما سواها، سلسلة دراسات إسلامية، الطبعة، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٢، ص (٢٧٦).

أهداف التربية الأخلاقية للطفل

إن الهدف الأساسي في التربية الإسلامية هو التربية الخلقية والتي تسعى إلى تكوين رجال كريمي الأخلاق وأقوياء العزيمة ومهذبين في أقوالهم وأفعالهم ونبلاء في تصرفاتهم وخلقهم ودينهم الحكمة والكمال والأدب والإخلاص والطهارة^(٢).

وقد اهتم علماء الإسلام ببيت الأخلاق الكريمة وغرس الفضائل في نفوس المتعلمين وتعويدهم على التمسك بالفضيلة وتجنب الرذيلة والتفكير في الناحية الروحية والإنسانية والتفرغ للدراسة العلمية والدينية من غير نظر إلى الناحية المادية.

والذي يلاحظ سلوك الأطفال في البيت والمدرسة يجد أن التربية الخلقية الكاملة مهمة بشكل ملفت للنظر في كل من البيت والمدرسة ولا ننسى أن سعادة الأمم والمجتمعات لا تتوقف على كثرة دخلها أو جمال مبانيها ولكنها تتوقف على وجود القيم الأخلاقية بين أفرادها من أبنائها وبناتها فبكمال الأخلاق تكون سعادة المجتمع وقيمته ونهضته في شتى المجالات، ويحدد وليم فرانكن، أهداف التربية الخلقية كما يلي:

١- أن تتمي في الفرد إدراك أو فهم وجهة النظر الأخلاقية أو الأسلوب الأخلاقي للحكم على الأفعال وتقدير ما يجب على الفرد عمله، وتمييز ذلك كله من جهة النظر القائمة على التذوق والجمال والناحية القانونية ومن جهة النظر القائمة على الفطنة والبصيرة.

٢- تنمية الاعتقاد بالمبادئ الأساسية والمثل والقيم كركيزة أو دعامة نهائية للأحكام والقرارات.

٣- أن تتمي في الفرد الاعتقاد في تبني عدد من المعايير الملموسة والقيم والفضائل مثل العفة والأمانة وغيرها.

٤- العمل على تنمية استعدادات الفرد لأن يعمل ما هو حسن أخلاقياً وما هو صحيح أو صواب من وجهة النظر الأخلاقية.

٥- تشجيع الفرد على الوصول إلى التلقائية في التأمل الذاتي وضبط النفس والحرية الروحية والتي يتحدد سلوكها في ضوء قواعد ذاتية داخلية تعنى بالقيم الحقيقية لسلوك الحر لا مجرد أنماط معينة من السلوك المقبول.

(٢) محمد عطية الابراشي، التربية الإسلامية وفلسفتها، الطبعة الثانية، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٩.

ص (١١٣).

الأخلاق في القرآن الكريم

يؤكد القرآن الكريم على الناحية الأخلاقية ويدعو إلى تقوى الله وإلى الصدق وإلى العدل وإلى التعاون وإلى التسامح وإلى الصبر وإلى الصفا وكظم الغيظ وإلى التواضع وإلى الرحمة والمحبة والبذل والتضحية والجهد وغيرها من الفضائل الإسلامية المعروفة، كما أن القرآن الكريم يشجب الظلم والظفیان والكذب والنفاق والعدوان، كما يشجب البخل والإسراف والغيبة والنميمة والتجسس وشهادة الزور إلى غير ذلك من الرذائل التي نراها اليوم متفشية في العالم الإسلامي^(٤).

وقد أشار القرآن الكريم إلى الفضائل الأخلاقية التي ينبغي على المسلم التحلي بها، كما أشار إلى الرذائل وأنواع السلوك السيئ ونبه إلى الابتعاد عنها، وسوف نعرض لهذه الأنواع من السلوك كما وردت في القرآن الكريم:

- أهمية الخلق: في قوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤).
- كظم الغيظ: في قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَبْغُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٤).
- الدعوة إلى الخير: في قوله تعالى ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٤).
- الرحمة واللين: في قوله تعالى ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (آل عمران: ١٥٩).
- رعاية الأمانة والعدل: في قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (النساء: ٥٨).
- الاتحاد: في قوله تعالى ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران: ١٠٣).
- الإنفاق: في قوله تعالى ﴿لَنْ تَأْلَوْا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (آل عمران: ٩٢).
- العفو والصفح: في قوله تعالى ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ (البقرة: ١٠٩).
- الصدق: في قوله تعالى ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (المائدة: ١٢١).

(٤). محمد فاضل الجمالي، نمو توحيد الفكر التربوي في العالم الإسلامي، الدار التونسية، ١٩٧٨ م.

- الصبر: في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ١٢١).

- المحبة: في قوله تعالى ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (آل عمران: ٣١).

- التعاون: في قوله تعالى ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (المائدة: ٢).

- الامتناع عن الصلاة: في قوله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (المرسلات: ٤٩-٥٠).

- التكاسل عن إقامتها: في قوله تعالى ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء: ١٤٢).

- البخل: في قوله تعالى ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحَسَنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ (الليل: ٨-١٠).

- والطمع والجشع والغش في التجارة: في قوله تعالى ﴿ذَا كَتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ (المطففين: ٢-٣).

دور الأسرة في التربية الأخلاقية للطفل المسلم

الأسرة أساس يقوم عليه بناء المجتمع كله، ولئن كان الفرد في ذاته وشخصيته وقدراته يؤلف النواة التي تنبعث منها الحياة وكل أوجه النشاط في المجتمع، فإن الأسرة تعتبر الدائرة الأولى المنطلقة من تلكم النواة لتكون حلقة متينة في سلسلة مشدودة متماسكة، وذلك هو المجتمع المترابط المشدود الذي يأتي سليم البنية والتركيب والذي يركز أساساً على الأسرة ذات الأفراد المتوادين المتآلفين، وتعتبر الأسرة البيئة الأولى التي يتربى فيها الطفل على ممارسة الأخلاق الحسنة أو الأخلاق السيئة، ولذلك نبه الإسلام إلى حسن اختيار الزوجة ووضع أسس بناء الأسرة والعلاقة بين أفرادها ويشارك الأسرة في مسؤولية التربية الخلقية للأطفال كل من المدرسة والبيئة الاجتماعية المتمثلة في رفاق الطفل والنوادي التي ينتمي إليها الأطفال، ويجب أن يكون هناك توازن بين التربية الأخلاقية التي تقوم بها الأسرة وغيرها من المؤسسات الاجتماعية الأخرى.

طرق التدريس

تعتبر طرق التدريس من أساسيات تحقيق المنهج التربوي، ويتضمن منهج التربية الإسلامية مجموعة من طرق التدريس التي استخدمت في مختلف المؤسسات الإسلامية التعليمية وتعتبر هذه الطرق نماذج من الممارسات التعليمية التي أتبعها المربون المسلمون وترجع في أصولها إلى الأساليب التي كان الرسول الكريم ﷺ يستخدمها في تعليم أصحابه وعلى ذلك يمكن اعتبار الطريقة في التدريس بمثابة همزة للوصل بين التلميذ وبين مكونات المنهج، والطريقة بهذا الشكل تتكون من المواقف التعليمية التي تتم داخل الفصل والتي ينظمها المعلم والأسلوب الذي يتبعه تلاميذه، بحيث يجعل هذه المواقف فعالة ومؤثرة ومنمّرة في نفس الوقت وأن يكون المعلم واعياً لما يقوم به، بحيث يجعل هذه المواقف غنية بالمعلومات التي يريد أن يوصلها إلى تلاميذه ودون الاعتماد على التلقين وحشو عقولهم بالمعارف عن طريق الحفظ والاسترجاع، وقد تمكن المربون المسلمون من تطوير العديد من طرق التدريس في المؤسسات التعليمية نورد أهمها على النحو الآتي:

- طريقة تحفيظ القرآن الكريم.

- طريقة المناظرة.

- طريقة المحاضرة.

- التطبيقات العملية.

نتائج البحث والتوصيات

تتلخص أهم النتائج التي خرجت بها في هذا البحث بالآتي:

١. من خلال هذا البحث تبين أن الأسلوب الأمثل في تربية الأطفال هو أسلوب التوسط والاعتدال بدون إفراط أو تقريط وهو أسلوب تقره التربية الإسلامية في كافة نواحي الحياة.

٢. بين هذا البحث اهتمام التربية الإسلامية بمرحلة الطفولة وتعهدها بالعناية والرعاية فأكدت على أهمية تكوين الأسرة الصالحة واختيار الزوجة الصالحة وحث الوالدين على تربية أبنائهما تربية صحيحة وألقت عليهما المسؤولية في ذلك.

٣. تبين من خلال هذا البحث أن التربية الإسلامية تحتوي على طرق وأساليب تعليمية مفيدة في تعليم الأطفال مثل أسلوب القدوة والموعظة والنصح وضرب الأمثال وأسلوب القصة في التربية وأسلوب الحوار والمناقشة وأسلوب

المحاضرة وحلقات النقاش وهذه الأساليب يمكن أن نحقق بها التربية الشاملة للطفل المسلم في الأسرة والمدرسة.

٤. يربط منهج التربية الإسلامية بين المعرفة والممارسة والتطبيق والقول بالعمل في كافة المواد التي يدرسها التلميذ وهذا أساس واضح في التربية الإسلامية يدعونا إلى بناء شخصية الطفل وفق هذا الأساس.

٥. بين البحث أن مبدأ التربية المستمرة في الإسلام مبدأ واضح وذلك من أجل الترابط والتواصل المعرفي في حياة الإنسان ليحقق إنسانيته وينهض برسالة في هذا الكون.

٦. من خلال عرض مفهوم وخصائص وأهداف التربية الإسلامية اتضح أنها تختلف عن التربيّات الأخرى فهي تربية ربّانية وشاملة ومتوازنة ومثالية وواقعية وثابتة ومرنة وعالمية لذلك كان لها أساليبها وطرقها الخاصة التي تتسجم مع أهدافها وخصائصها.

٧. تبين من خلال هذا البحث أن المقصود بالتربية الإسلامية ليس فقط التربية الدينية التي تمثل جانباً من جوانب التربية الإسلامية، بل هو برنامج متكامل وشامل يمكن الاستفادة منه في مختلف العلوم الاجتماعية والتطبيقية بهدف بناء شخصية الإنسان المسلم بشكل شمولي متكامل.

٨. إن تربية الطفل عن طريق القدوة الصالحة من الأبوين بالدرجة الأولى لها تأثير إيجابي على الطفل في سلوكه وتصرفاته والتزامه بالقيم المرغوبة عن طريق الأسرة.

التوصيات

١. التأكيد على حماية الطفل المسلم من الغزو الثقافي والتأكيد على رعاية حقوق الطفل الأساسية التي جاءت بها وكفلتها التربية الإسلامية منذ أربعة عشر قرناً.
٢. إعادة النظر في صياغة البرامج الإعلامية الموجهة للأطفال ولرعاية الأسرة والأمومة والطفولة لتقدم بإطار ومحتوى يتناسب مع أصول التربية الإسلامية الحقة.
٣. الاهتمام برعاية الأطفال المحرومين والأيتام والمشردين وتربيتهم التربية الإسلامية الصحيحة في مؤسسات تربوية اجتماعية تحظى بالإشراف العلمي والإمكانات اللازمة.

٤. إعادة النظر وتوجيه الاهتمام لإعادة صياغة المناهج التعليمية في المؤسسات التعليمية في البلاد الإسلامية في إطار التربية الإسلامية الحقبة والابتعاد عن التقليد والمناهج المستوردة من الغرب والتي تؤكد الغزو الفكري للشباب والاستلاب الحضاري.
٥. أن تتضمن المناهج الدراسية في مرحلة التعليم المتوسط والمرحلة الجامعية مناهج خاصة عن تربية الأطفال وإعداد الأمهات للقيام بهذا الدور بكفاءة وفعالية.
٦. الاهتمام بوضع فلسفة تربوية واضحة للمؤسسات التعليمية في البلاد العربية الإسلامية تنبثق من عقيدة الإسلام ونظام الحياة حتى يمكن خلق الشخصية المسلمة الأصلية بكيانها الحضاري المتميز.
٧. الإشراف والرقابة والمتابعة على برامج الإذاعة المسموعة والمرئية الموجهة للأطفال في العالم الإسلامي بحيث يتم تقديم برامجها في إطار التربية الإسلامية الحقبة التي تساعد على تكوين الطفل المسلم الخالي من الأمراض النفسية والعقلية والاجتماعية.
٨. إن تنمية القيم في التربية الإسلامية يتطلب من مؤسسات التعليم والثقافة ضرورة تحديد مظاهر السلوك وأنواع النشاط المتضمنة في مختلف نواحي الحياة التي يمارسها النشء في حياتهم اليومية.

المراجع العلمية

- ١- التهامي نقرة، سيكولوجية القصة في القرآن، جامعة الجزائر، الشركة التونسية للتوزيع ١٩٧١.
- ٢- محمد فاضل الجمالي، نحو توحيد الفكر التربوي في العالم الإسلامي، الدار التونسية، ١٩٧٨.
- ٢- محمد عطية الإبراشي، التربية الإسلامية وفلسفتها، الطبعة الثانية، مطبعة عيسى البابي الحلبي القاهرة، ١٩٦٩.
- ٤- سيد عبد الحميد مرسي، ونفس وما سواها، سلسلة دراسات إسلامية، الطبعة الأولى، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٢.
- ٥- مصطفى فهمي، سيكولوجية الطفولة والمراهقة، المكتبة المصرية، ١٩٦٥.

رعاية الفقه الإسلامي حقوق المسجون ومقارنتها بما جاء في المواثيق الدولية

أ. عشير جيلالي



ملخص البحث

إن وجود السّجن في واقعنا المعاصر ضرورة اجتماعية لا بد منها، ذلك أن أمن المجتمع والحفاظ على الحقوق، وتنفيذ الأحكام القضائية، وردع المجرمين واستصلاحهم وغير ذلك من المصالح، لا يمكن تحقيقه إلا بوجود هذه الأماكن المخصصة لهذه الأغراض.

فقد عرفت البشرية منذ زمن هذا الأمر، وإن اختلفت وسائله وأنواعه وأهدافه، إلا أنه كان يعتبر أحد أشق الأساليب العقابية التي تُوقع على أصحاب

الجرائم التي تمس أمن المجتمع، أو الدولة أو الأفراد، حيث يوضع أحدهم في مكان مغلق معزول، لا تراعى فيه أدنى الشروط المطلوبة للحياة الإنسانية الكريمة، إضافة إلى القسوة، والغلظة في معاملة المسجونين، وبمرور الزمن وتطور الحياة المدنية تطورت فكرة السّجن، فأصبح هنالك سجون للرجال، وسجون

• أستاذ مؤقت بالتعليم الجامعي بكلية العلوم الإسلامية جامعة الجزائر. achir_dj@yahoo.fr

للنساء، وسجون للأحداث، وأخرى بحسب أنواع الجرائم. وازداد تطور السجون إلى أن صارت تعد من ضمن المؤسسات التربوية الإصلاحية، وبالرغم من هذا التطور إلا أن هناك دول عديدة لا تزال تعامل المساجين معاملة متدنية من الناحية الإنسانية، يحرمون فيها من أبسط الحقوق المشروعة، ويضيق عليهم، مما دفع بمنظمات حقوق الإنسان ومنظمات الأمم المتحدة إلى السعي لاستصدار تشريعات دولية خاصة للحفاظ على حقوق المساجين.

مقدمة

نظراً للتصرفات السلبية الكثيرة والمتكررة في حرمان المسجون من حقوقه في أغلب البلدان، ظهرت نداءات ودعوات كثيرة من منظمات دولية تطالب بوضع حد لهذه الممارسات غير إنسانية اتجاه هذه الفئة، مع ما تقتضيه متطلبات الفطرة الإنسانية، في ضوء المعطيات الحضارية المعاصرة.

لهذا السبب دعا مؤتمر الأمم المتحدة الأول المنعقد في جنيف عام ١٩٥٥م من أجل منع الجريمة وإصلاح المجرمين، إلى التوصية باعتماد مجموعة القواعد النموذجية الدنيا لمعاملة السجناء، التي أقرها المجلس الاقتصادي والاجتماعي المتفرع عن هيئة الأمم المتحدة بقراريه: الأول برقم (٦٦٣ ج د ٢٤) المؤرخ في ٢١ جويلية من العام ١٩٧٥ للميلاد، والثاني برقم (٢٠٧٦ د ٦٢) المؤرخ في ١٢ ماي من العام ١٩٧٧ للميلاد.

ولأهمية الموضوع في الواقع الذي يعيشه العالم اليوم، من خلال عدم أداء السجون لدورها المخوّل في الإصلاح والحد من انتشار الجريمة، جاءت توصيات ودعوات متكررة لاستخراج وإبراز الأحكام والمبادئ التي اشتمل عليها الفقه الإسلامي في هذا الصدد، وبيان معاملة المحكوم عليه أثناء تنفيذ العقوبة، من منظور فقهي شرعي، باعتبار أن الشريعة الإسلامية ربانية المصدر.

ومن ذلك ما صدر عن الندوة العلمية الأولى للمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض، وما قام به مجمع الفقه الإسلامي الدولي من تنظيم المؤتمر العشرين، باعتبار أن الإسلام دين عالمي، جاء بشريعة كاملة وشاملة لجميع جوانب الحياة، كما قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣).

أهداف البحث

- يهدف هذا البحث إلى تحقيق الأمور الآتية:
- (١) استخراج الأحكام الشرعية، واجتهادات فقهاء الشريعة في موضوع حقوق المسجون من المدونات الفقهية القديمة والمعاصرة.
 - (٢) كيفية الاستفادة من القواعد الشرعية لصناعة القرارات الدولية، بما يتوافق ومقاصد الشريعة الإسلامية.
 - (٣) بيان الآليات اللازمة لحماية حقوق المسجون، في ظل تنامي الاعتداءات الصارخة من طرف بعض الدول.

إشكالية البحث

- يعالج هذا البحث إحدى أكبر القضايا الدولية الراهنة، والتي لها جانب من حقوق الإنسان، إذ يمكن صياغة الإشكالية في السؤالين الآتيين:
- إذا كانت الهيئات العالمية والمنظمات الدولية قد اهتمت بحقوق الإنسان بشكل عام، وبحقوق السجين بشكل خاص، هل سبق اهتمام فقهاء الشريعة الإسلامية بهذه الحقوق نفسها في المدونات الفقهية القديمة والحديثة؟
 - وما مدى فعالية الآراء الفقهية في الممارسات العملية التطبيقية؟

منهج البحث

- اعتمدت في هذا البحث على منهجين اثنين هما:
- المنهج الاستقرائي: وذلك من خلال جمع القواعد الشرعية المختلفة المتعلقة برعاية حقوق المسجون، ومقارنتها بما جاء في العهود والمواثيق الدولية.
 - المنهج الاستنباطي: وذلك باستنباط الأحكام الفقهية المتعلقة بحقوق الإنسان عموماً وحقوق المسجون على وجه الخصوص، انطلاقاً من القواعد الشرعية التي تناولت هذا الموضوع.

المطلب الأول: تعريف الحقوق

- الحقوق في اللغة: جمع حق، وهو ضد الباطل، ومن معانيه أيضاً: الوجوب والثبوت، يقال: حَقَّ الأمرُ يَحِقُّ: ثَبَتَ وَوَجَبَ، وَحَقُّ الإنسان، ما ثَبَتَ له عند غيره واستوجبه^(١).
- وفي الاصطلاح: اختلفت معانيه الاصطلاحية لاختلاف النظرة إليه والاستعمال،

(١) انظر: لسان العرب (٢٥٥/٣).

فنظر إليه أهل المعاني على أنه الحكم المطابق للواقع ويقابله الباطل^(٢). إلا أنه يستعمل لفظ الحق في الفقه الإسلامي للدلالة على معان متعددة:

- فهو يُستعمل لبيان ما للشخص، أو ما ينبغي أن يكون له من التزام قبل شخص أو أشخاص آخرين، كحق الرعية على الراعي، وحق الراعي على الرعية، وهو من الحقوق العامة.

- ويطلق الحق على الحقوق الشخصية في العلاقات الأسرية كحق الزوج على زوجته، وحق الزوجة على زوجها.

- كما يطلق على الحقوق المالية، كما في قوله تعالى: ﴿والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم﴾^(٣).

- ويكون أخلاقياً إنسانياً، كما في قول الرسول ﷺ: (حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيته فسلم عليه.....)^(٤).

وكثيراً ما يستخدم بمعنى الواجب كقول النبي ﷺ: (أعطوا الطريق حقه)^(٥).

وكانت مدلولات لفظي (الحق والحقوق) وأبعادها وآثارها العملية واضحة وممارسة في حياة المسلمين، ومما يدل على هذا، أن الفقهاء المسلمين، وبخاصة الحنفية، استعملوا مصطلح (الحق) في مواضع كثيرة، وذلك عند كلامهم على حق الله تعالى وحق الآدمي والإنسان وحق الزوج وحق الزوجة وحقوق الزوجين معاً، وحق الولي وحقوق المتبايعين والحق في الشفعة والحق في سقي الزرع، والحق في المرور في المرافق العامة والعقار المشترك، وحق المؤجر والمستأجر، وحق المدعي والمدعى، وحق المجني عليه، وحقوق أهل الذمة... إلخ^(٦).

وهو عند القانونيين: كل صالح مشروع، يحميه الشرع أو النظام^(٧).

(٢) الجرجاني، التعريفات، ص ٨٩.

(٣) سورة المعارج: الآيتان ٢٤-٢٥

(٤) صحيح مسلم (١٧٠٥/٤).

(٥) مسند أحمد (٣٦/٣).

(٦) بدائع الصنائع (٢٢٢/٢) وما بعدها) حاشية الدسوقي (٥٠٢/٢) وما بعدها). روضة الطالبين (٢٨٢/٤) وما بعدها).

الفروع (١٠٥/١) وما بعدها).

(٧) الحق في العدالة الجنائية، د. محيي الدين عوض ص ٤٨٧.

وإذا نظرنا إلى أحكام الشريعة الإسلامية في تقريرها للحقوق نجد أنها مقصود بها تحقيق مصالح الناس على سبيل الاختصاص والاستثناء، وهذه المصالح قد تكون مصالح عامة للمجتمع بأسره، وقد تكون مصالح خاصة للأفراد، وقد تكون مصالح مشتركة بينهما.

ولذلك ركّز الفقهاء المعاصرين على المصلحة عند تعريفهم للحق، إلا أنهم قيدوها بالشرعية لا مطلق المصلحة. وسأقف على تعريفين لبيان أساس الحق في الشريعة الإسلامية، وهما:

محمد نعيم فرحان: الحق هو «كل مصلحة مستحقة لصاحبها شرعاً»^(٨).

وقال الشيخ علي الخفيف: «الأمر الثابت الموجود شرعاً». وعرفها أيضاً: «ما ثبت بإقرار الشارع وأضفى على حمايته»^(٩).

المطلب الثاني: تعريف المسجون وبيان الألفاظ ذات الصلة

أولاً: المسجون في اللغة: هو اسم مفعول من سَجَنَ: أي حَبَسَ، والمصدر منها السَّجَنُ، بفتح السين. والحَبَسَ، ويراد بهما المنع الذي هو ضد التخلية، ومثّل المسجون السَّجِين، على وزن فَعِيل، والجمع سُجَنَاءُ، وسَجْنَى، ويقال للمرأة سَجِين، وسَجِينَة، ومَسْجُونَة، ولجماعة النساء، سَجْنَى، وسجائن، ويسمى من يتولى أمر المسجونين وحراستهم: سَجَّاناً. أما السَّجْنُ بسكر السين، فهو مكان الحَبَسِ، والجمع سُجُونٌ^(١٠)، وجاء في التنزيل ﴿قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه﴾ (يوسف ٢٣).

ثانياً: المسجون في الاصطلاح: تقدم أن لفظ المسجون اسم مفعول وأن السَّجَنَ مصدر، وقد عرف الكاساني السَّجَنَ بأنه: منع الشخص من الخروج إلى أشغاله ومهامه الدينية والاجتماعية^(١١).

(٨) محمد نعيم فرحان، حقوق الإنسان والعدالة الجنائية. طبع المعهد العالي للعلوم الأمنية، ط: ١٤١٤هـ، ص ٤.

(٩) الملكية في الشريعة الإسلامية ص ١٠٩.

(١٠) انظر: مادة حبس وسجن في لسان العرب.

(١١) بدائع الصنائع (١٧٤/٧).

وعرفه ابن تيمية بقوله: هو تعويق الشخص ومنعه من التصرف بنفسه^(١٢). وبناءً على ما تقدم يمكن تعريف المسجون بأنه: الشخص المعوق في مكان، الممنوع من التصرف بنفسه والخروج إلى أشغاله ومهامه^(١٣).

ثالثاً: الألفاظ ذات الصلة: هناك ألفاظ ذات صلة لغوية أو اصطلاحية سواء بالسَّجْن أو المسجون، من ذلك:

الحبس: هو المنع والإمساك، مصدر حبسه، ويطلق أيضاً على موضع الحبس، ويقال للواحد: محبوس وحبيس، وفي التنزيل العزيز: ﴿تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾ (المائدة ١٠٦). ومعنى الحبس في الآية: المنع والتعويق. **الاعتقال:** من معانيه: الحبس، وهو مصدر اعتقله، ويقال للشخص الواحد: معتقل، على اسم المفعول.

ويراد بالمعتقل عند القانونيين: الشخص الموقوف، قبل المحاكمة، الذي لم يَبُتَّ القضاء في الحكم عليه، ويصفون الاعتقال بأنه: حبس المتهم عن مباشرة أموره حتى يحاكم.

النفي: من معانيه: الحبس، وفي التنزيل العزيز: ﴿أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ (المائدة: ٢٣). ويراد بالنفي هنا عند الحنفية، وجماعة من الشافعية، ومن الحنابلة وابن العربي من المالكية^(١٤): الحبس، لأن نفي قطاع الطريق - موضوع الآية - من جميع الأرض محال، ونفيهم إلى بلد آخر فيه إيذاء لأهلها، وهو ليس نفيًا من الأرض كما ذكر في الآية، بل من بعضها، فلم يبق سوى أن النفي المراد هو الحبس، لأن المحبوس في حقيقته بمنزلة المخرج من الأرض.

الأسر: مصدر أسره، ومن معانيه: الحبس، ويقال أسير، لكل محبوس في قيد أو سجن. قال مجاهد وابن عباس في تفسير الآية ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمماً وأسيراً﴾ (الإنسان: ٨) الأسير: المسجون.

العقوبة المقيدة أو السالبة للحرية: أطلق بعض الكتاب المعاصرين على الحبس اسم العقوبة المقيدة للحرية، أو السالبة لها^(١٥).

(١٢) مجموع فتاوى (٢٥/٣٩٨).

(١٣) انظر أكثر تفصيلاً: حقوق المسجون في الفقه الإسلامي، عبد الغني أبو غدة. بحث مقدم للمجمع الفقهي الإسلامي الدولي سبتمبر ٢٠١٢.

(١٤) وقد بين ابن العربي المالكي المقصد من الحبس حين قال: والحق أن يسجن، فيكون السَّجْن له نفيًا من الأرض، وأما نفيه إلى بلد الشرك فعون له على الفتك، وأما نفيه من بلد إلى بلد فشغل لا يدان به لأحد، وربما قرَّ قطع الطريق ثانية. أحكام القرآن (٢/٦٠١).

(١٥) التعزير في الشريعة الإسلامية، د/عبد العزيز عامر ص ٣٦٠.

المطلب الثالث: اهتمام الإسلام بحقوق الإنسان وبخاصة حقوق المسجون

كثر الحديث في عصرنا عن حقوق الإنسان التي صدرت في ثلاثين مادة، نظمتها الجمعية العامة للأمم المتحدة في عام ١٩٤٨ للميلاد، ووقعت عليها دول العالم، ووقعت عليها فيما سُمّي: الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

ثم جاء الإعلان الإسلامي لحقوق الإنسان الذي اشتمل على خمس وعشرين مادة موجز مركزة، قامت بصياغتها منظمة المؤتمر الإسلامي، وثمّ إقرار هذا الإعلان في مؤتمر القمة الإسلامي المنعقد عام ١٩٩٠م وقصد به تجنب ما اشتمل عليه الإعلان العالمي لحقوق الإنسان مما لا يتفق مع تعاليم الإسلام في أمور العقيدة والأسرة، والجزاءات العقابية وغيرها...^(١٦).

وقد اشتمل الإعلانان على العديد من الحقوق والحريات الأساسية التي لا غنى للإنسان عنها، كحقه في الحياة، الحرية، المساواة وحقه في الأمان من القهر والتعذيب، وحقه في التملك وفي التعليم، وفي الحفاظ على سمعته وأسراره...

وإن الناظر في النصوص والمصادر التشريعية الإسلامية الأولى يظهر له: أن مجمل هذه الحقوق وغيرها ترجع إلى أصول كلية أجمع عليها علماء الإسلام منذ القديم مفادها: أن الإسلام جاء لتحقيق وحماية المقاصد الشرعية الخمسة، التي تعتبر أصولاً ثابتة وراسخة لحقوق الإنسان عامة أبد الدهر، وهذه المقاصد هي حفظ الدين، النفس، العقل، النسل والمال، وذلك لأن للإنسان منزلة رفيعة خصه الله تعالى بها دون كثير من خلق، وأمر ملائكته بالسجود له، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الإسراء: ٧٠).

وأبرز هذه الحقوق هو حق الإنسان في الحياة، وفي وجوب الحفاظ على نفسه، ويدل على ذلك تحريم الإسلام الاعتداء على أرواح الآخرين، واعتباره قتل نفس واحدة كقتل الناس جميعاً، قال الله تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة: ٣٢).

ومن أبرز هذه الحقوق أيضاً، حقه في الحفاظ على ماله ومنع الاعتداء عليه، ويدل على ذلك الآية: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ﴾ (النساء: ٢٩)

(١٦) انظر: حقوق الإنسان في الإسلام د. محمد الزحيلي، ص ١١٤ وما بعدها.

المطلب الرابع: اهتمام الإسلام بحقوق المسجون ورعايته لها

لا يخفى أن حقوق الإنسان التي قررتها الشريعة الإسلامية تشمل السَّجِينَ أيضاً باعتبارِه إنساناً، بل إن الإسلام خصَّه بمزيد من الاهتمام والرعاية والوصية به، لما يصاحب حاله غالباً من ضعف وقهر وعزلة عن الآخرين. هذا، ومن حقوق المسجون التي تستحق التقديم على غيرها ما نعرضه في الفروع الآتية:

الفرع الأول: حق السَّجِينَ في التحقق من اتهامه، وتعجيل محاكمته والدفاع عن نفسه

تبدأ حماية حقوق السَّجِينَ المتهم في الإسلام من اللحظة الأولى التي توجَّه فيها إليه التهمة ويودَّع بسببها في السَّجْن، ومعنى هذا أنه يجب أن يُطبَّق فيه المبدأ القائل: (لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص) ويظهر هذا المبدأ في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (الإسراء: ١٥).

ولا يخفى أن من أهم وظائف القضاء تحرِّي الحق والعدل بين الخصوم، وذلك بتمكينهم من الحصول على محاكمة عادلة، يُعبَّر فيها كل منهم عن موقفه، ويدافع عن نفسه ويدلي بحجته.

ويكاد يجمع الفقهاء على أن أول عمل يبذره القاضي حين توليه القضاء، هو النظر في السَّجُون، والبحث في أحوال المحبوسين والتحقق من اتهامهم وأسباب حبسهم^(١٧)، بل ذهب بعضهم إلى وجوب ذلك، لأن الحبس عذاب فيقَدَّم على ما سواه^(١٨).

وذكروا أن على القاضي أن يتسلم نسخة بأسماء المحبوسين وأخبارهم، وما حُبِسَ به كل منهم، ويتحقق من سبب حبسه بوجود خصمه، ويكون تصرفه معه بحسب الوجه الذي يقتضيه الشرع فيما حبس به من إرسال أو إبقاء^(١٩).

وله أن يسأل كل محبوس عن ما افترفه، ويتحقق مما عليه، فإن أنكر استمع إليه، وتفحَّص عن أمره وتَبَيَّن، وجمع بينه وبين خصمه، وسأل عن القضية حتى يتبيَّن له وجه الحق، فإن كان حبسه بحق أبقاه، وإن كان تعدياً وظلماً أطلقه، وينفذ ذلك لأنه حكم قضائي^(٢٠).

والأصل في الجمع بين الخصمين للتحقق من التهمة، ما قاله النبي ﷺ علي ﷺ: (إذا تقاضى إليك رجلان، فلا تقض للأول حتى تسمع كلام الآخر، فسوف تدري كيف تقضي)^(٢١).

(١٧) الدر المختار (٢٧٠/٥)، جواهر الإكليل (٢٢٣/٢)، غاية المنتهى (٤١٩/٢).

(١٨) الشرح الكبير للدردير (١٣٨/٤)، تبصرة الحكام (٤٠/١).

(١٩) فتح القدير لابن الهمام (٤٦٣/٥)، حاشية الدسوقي (١٣٨/٤)، المغني (٩٧/١٠).

(٢٠) الإنصاف (٢٢٠/١١).

(٢١) سنن الترمذي رقم ١٣٢١.

الفرع الثاني: حق المسجون في الحفاظ على نفسه وكرامته

حَرَّمَ الإسلام الاعتداء على النفس البشرية وقتلها بغير حق، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ (الإسراء: ٢٣)، وهذا يشمل السَّجِينَ وغيره، وبناءً على هذا، إذا قُتِلَ السَّجِينُ بِنَيَّْةِ الْعَمْدِ المحض وجب القصاص من قاتله، لقوله تعالى: ﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ (المائدة: ٤٥)، وَإِنْ قُتِلَ بِشِبْهِ الْعَمْدِ، أَوِ الْخَطَأِ فففيه الدية، كما هو مقرر في المدونات الفقهية^(٢٢).

ومن الحالات المنصوص عليها بخصوص السَّجِينَ، ما ذكره جمهور الفقهاء أنه: إذا حُبِسَ الرجل ومُنِعَ من الطعام والشراب حتى مات في مدة يموت مثله فيها غالباً بسبب الجوع أو العطش، فهذا قُتِلَ عمد يوجب القَوْدَ على الحابس، وهو عند الحنفية قُتِلَ شِبْهُ عَمْدٍ تجب فيه الدية، ويُعزَّرُ الحابس، لأن الموت حصل كما يقولون بالجوع أو العطش لا بالحبس. ويعود سبب هذا الخلاف إلى ما يعرف عند الفقهاء بالقتل بالتسبُّب أو المباشرة^(٢٣).

ومثل هذا عند جمهور الفقهاء أيضاً: إذا عُرِضَ السَّجِينُ للبرد أو الحر حتى يموت، أو سُلِّطَ عليه حيوان قاتل عادة، أو غُطِسَ في ماء يعجز عن التخلص منه، أو ضُرِبَ بِمُثَلٍّ يقتل عادة، كحديدة وحجر، أو ضُرِبَ في موضع المَقَاتِلِ فمات، لزم القصاص، وقال الحنفية: القتل بالمُثَلِّ شِبْهُ عَمْدٍ وفيه الدية^(٢٤).

ومما يتصل بهذا تحريم الإسلام الاعتداء على المسجون فيما دون نفسه، وكذا إهانة كرامته، وقد ذكر الفقهاء أنه: لا يجوز تجريدَه من ثيابه، ولا التعرض له بتشويه جسمه، أو التمثيل به، أو كيِّه بالنار، أو حلق لحيته، أو إتلاف أطرافه، أو جزء من جسمه، أو منافعه، أو تسليط حيوان عليه لينهشه أو يجرحه، ونحو تلك التصرفات المضرة به^(٢٥)، التي تحكم فيها النصوص الشرعية العامة بالقصاص فيما دون النفس من الفاعل إن أمكنت المساواة، أو الأرض إن تعذر القصاص، كما هو مقرر في مواضعه^(٢٦).

(٢٢) القوانين الفقهية ص ٢٢٦. شرح المحلى (٩٧/٤).

(٢٣) العقوبة لأبي زهرة ص ٥٦٠.

(٢٤) حاشية ابن عابدين (٥٤٤/٦). الشرح الكبير للدردير (٢٣٤/٤). أسنى المطالب (٩-٤/٤). التعزيز في الشريعة الإسلامية لعامر ص ٣٧٣.

(٢٥) الخراج لأبي يوسف ص ١١٨. بداية المجتهد لابن رشد (٤٠٥/٢). أسنى المطالب (٩-٢٢/٤).

(٢٦) البحر الرائق (٢٨٤/٨). الثمر الداني ص ٥٧٥. روضة الطالبين (٢٠١/٩). المغني (٢٥٣/٨). والأرض هو الواجب من المال فيما دون النفس تعويضاً عن النقص.

ومما يتصل بهذا ما ذكره أيضاً: أنه لا يجوز تعذيب المسجون وإهانة كرامته الإنسانية بالطم، أو الوكز، أو الضرب بالسوط والعصا، أو الترويع والتخويف، وفي ذلك القصاص إن نشأ أثر ضار في جسمه، وأمكنت المساواة، وإلا ففيه التعزير، والأصل في هذا قول الله تعالى ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ (الشورى: ٤٠).

ولا يجوز الاعتداء على المحبوس بالسبّ والشتم وسب الآباء والأمهات ونحوه، مما يمس الشرف والعرض والكرامة الإنسانية، وفي ذلك التعزير.

وجاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: إني والله ما أبعث عمالي ليضربوا أبشاركم ويأخذوا أموالكم، ولكني أبعثهم ليعلموكم دينكم ويعدلوا بينكم، ألا من فعل به شيء من ذلك فليرفعه إليّ، والذي نفس عمر بيده لأقصّنه منه، فقال عمرو بن العاص رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين، رأيت لو أن رجلاً من المسلمين كان على رعيته، إنك لمقصّنه منه؟ قال: وما لي لا أقصّنه وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقصّ من نفسه، ألا لا تضربوهم فتذلّوهم، ولا تمنعوهم حقهم ^(٢٧).

قال ابن تيمية بعد أن ساق هذا الأثر: ومعنى هذا، إذا ضرب الحاكم رعيته ضرباً غير جائز اقتصّ منه، أما الضرب المشروع فلا قصاص بالإجماع ^(٢٨).

هذا، وقد حظرت الاتفاقيات الدولية العقوبات القاسية وغير الإنسانية مما يهدر أدمية المسجون ويسيء إلى كرامته، حيث نصت القاعدة ٣١ ما يلي: العقوبة الجسدية والعقوبة بالوضع في زنزانة مظلمة، وأية عقوبة قاسية أو لا إنسانية أو مهينة، محظورة كلياً كعقوبات تأديبية ^(٢٩).

الفرع الثالث: حق المسجون في الحفاظ على ماله عموماً

لم تكتف التشريعات بإعطاء المسجون الحقوق السالفة الذكر، وإنما أعطي حقوقاً اقتصادية تتمثل في حقه في حفظ متاعه، وحقه في العمل، وحقه في حفظ أمواله انطلاقاً من أن مقاصد الشريعة الإسلامية جاءت إلى حفظ الكليات الخمس، منها حفظ المال، فلذلك حرم الإسلام الاعتداء على مال الغير وأخذه بغير حق، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

(٢٧) المستدرك للحاكم وصححه على شرط مسلم رقم ٨٣٥٦. سنن أبي داود رقم ٤٥٣٧. مسند أحمد رقم ٢٨٦.

(٢٨) السياسة الشرعية ص ١٥٠. ويقصد بالضرب المشرع: ضرب المتهم المعروف بالفجور والفساد، وضرب المسجون المؤذي المتمرد في سجنه. انظر: فقه المعتقلات والسجون ص ١٠٦.

(٢٩) القواعد النموذجية الدنيا: القاعدة ٣١.

لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ (النساء: ٢٩)، وجاء في الحديث النبوي (كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه)^(٢٠)، وهذه النصوص تشمل السَّجِين وغيره.

وبناءً على هذا، فإن الحبس وإن كان يمنع السَّجِين من الخروج إلى أشغاله ومهمات، لكنه لا يجيز الاعتداء على ماله عموماً بأي صورة من صور الاعتداء، بل إن الحفاظ عليه وحمايته وعدم تعريضه للتلف والضياع من الواجبات الشرعية، ومن هذا تمكين السَّجِين من ممارسة حقوقه المالية وتصرفه فيها، في حال عدم إخلالها بما حبس من أجله، وذلك للنصوص السابقة، ومما ذكره الفقهاء في هذا الصدد ما يلي:

كتب أبو يوسف القاضي إلى الخليفة هارون الرشيد يوصيه بإطعام السجناء، أو تخصيص مبالغ من المال لهم، تُسَلَّم إليهم بأيديهم في كل شهر، مخافة أن يسطو عليها أصحاب النفوس الضعيفة من موظفي السُّجون^(٢١).

ومما ذكره في هذا الصدد، أن أثمان المصنوعات الخفيفة التي كان يصنعها المحبسون في السُّجون الإسلامية كالسُّلال والتَّك وغيرها، كانت تعود لحساب السجناء دون غيرهم^(٢٢)، وفي هذا من المحافظة على حقوقهم المالية ما لا يخفى.

وأن العامل إذا سجن قبل فراغه من العمل، فإنه يستحق أجر ما عمل^(٢٣)، وذلك لأن المانع اضطراري وهو خارج عن إرادة العامل المحبوس، فيحفظ له حقه في المال.

وأن حق الشفعة يثبت للمحبوس ولو كان مفلساً، إذا التزم ثمنها في ذمته ورضي شريكه بذلك، وله أن يطالب بها ويُشهد على طلبه^(٢٤).

وهكذا يمكننا القول، إن فيما تقدم من نصوص الفقهاء لهي أكثر تفصيلاً وأشمل لمفهوم المال مما تضمنته مجموعة قواعد الحد الأدنى الدولية لمعاملة المسجونين، التي اقتضت توصيتها على أن تحفظ إدارة السجن بما للسجين من مال يُسَلَّم إليه عند الإفراج عنه^(٢٥).

(٢٠) صحيح مسلم رقم ٢٥٦٤.

(٢١) الخراج لأبي يوسف ص ١٦٢.

(٢٢) معاملة المسجونين في الإسلام للفحام ص ٢٧. السلال معروفة، وأما التَّك فجمع تكة، وهي الحبل الرفيع يُشد به السروال. انظر: تاج العروس.

(٢٣) شرح المحلى مع حاشية القليوبي (٦٥/٣).

(٢٤) بدائع الصنائع (١٧٤/٧). بداية المجتهد (٢٦٢/٢). منهاج الطالبين (٢٨٥/٢). المغني (١٩٢/٥).

(٢٥) القواعد النموذجية الدنيا: القاعدة ٧٦.

المطلب الخامس: حق المسجون في ممارسة التصرفات المدنية والجنائية ونحوها مما له صلة به

إذا كان الحبس يمنع السَّجين من الخروج إلى أشغاله ومهامه الاجتماعية، فإنه لا يبطل أهلية المسجون، بل لا ينقصها، ولا يمنعها من ممارسة التصرفات التي تعتبر حقاً خاصاً به، ولا المطالبة بحقوقه المالية والاجتماعية والمدنية والجنائية ومتابعتها، من غير إخلال بما وضع له الحبس، ومما ذكره الفقهاء في هذا الصدد أيضاً يأتي بيانه في الفروع الآتية:

الفرع الأول: حق المسجون في ممارسة التصرفات المالية الخاصة به

يرى الإمام أبو حنيفة أن المحبوس بدين لا يمنع من التصرف في ماله، وقال جمهور الفقهاء: يمنع بما يُضِرُّ دائتيه^(٣٦).

وذكروا أن المحبوس المحكوم عليه بالقتل تصح هبته أو عطيته من ثلث ماله، كالمريض مرض الموت^(٣٧).

كما ذكروا أن الحبس لا يحرم السَّجين من حقوقه المالية أو بعضها، ولا يمنعه من إجراء كافة المعاملات المالية، فله أن يبيع ويشترى، ويؤجر ويطالب بالشفعة، ويهب ويهرن ويوصي ويكفل بماله، ويوكل غيره بالخصومة، ويقبل الهدية ونحو ذلك التصرفات^(٣٨).

الفرع الثاني: حق المسجون في ممارسة حقوقه المتصلة بالأحوال الشخصية

ذكر الفقيه الحنفي الخصَّاف: أن المحبوس لا يمنع من عقد الزواج، وهو أيضاً لا يمنع من وطء زوجته عند الحنابلة وأكثر الحنفية وطائفة من الشافعية، ولا يمنع من تزويج من له حق الولاية عليه، إن أمكن الاتصال به في سجنه، ولا من العدل بين زوجاته بأن يستدعي كل واحدة في ليلتها إلى الحبس، إن أمكن ذلك بعيداً عن الرجال، ولا يمنع من تطليق زوجته، ولا من مخالعتها، ولا من ملاعتها، ولا غير ذلك مما يتصل بمسائل الأحوال الشخصية^(٣٩).

(٣٦) الهداية (٢٣٠/٣). الشرح الكبير (٢٦٤/٣). منهاج الطالبين (٢٨٥/٢). المغني (٢٦٥/٤).

(٣٧) حاشية ابن عابدين (٦٦١/٦). الشرح الكبير (٢٠٦/٢). كشاف القناع (٢٢٥/٤).

(٣٨) انظر: أهلية السَّجين وصحة تصرفاته في: بدائع الصنائع (١٧٤/٧). الشرح الكبير (٣٥٣/٢).

(٣٩) بدائع الصنائع (١٧٤/٧). حاشية الدسوقي (٥١٩/٣). المغني (٢٣٤/٧).

وقد نبّه عليه أيضاً بعض فقهاء الشريعة المعاصرين^(٤٠) في كون أن العقوبة التي يُقضى بها السجين هي عقوبة شخصية نظير خطأ وقع منه هو أو مخالفة ارتكبها، وبالتالي يجب ألا يتعدى أثرها لأسرته خاصة الحقوق الجنسية للزوجة.

الفرع الثالث: حق المسجون في ممارسة حقوقه المتصلة بالأمور القضائية

مما هو مقرر عند الفقهاء أن للمسجون المطالبة بحقوقه المتصلة بالأمور القضائية، وأن حبسه لا يمنع الرجوع إليه للتوثق من حقوق الآخرين القضائية، وينبغي على الحاكم إعانته على ما تعيّن عليه، كتحمّل شهادة.

ومما ذكره في هذا الصدد: أنه إذا عُيّن قاض جديد فادّعى سجين في سجن ولايته أنه حُبس ظلماً، أحضره القاضي مع خصمه إلى مجلس الحكم للتحقق من عدالة حبسه، وأن المسجون لا يُمنع من الخروج لسماع الدعوى عليه والمخاصمة فيها عند القاضي، ومن حقّه أداء الشهادة أمام القاضي ثم العودة إلى السّجن، ولو كانت الشهادة على أمر وقع في السّجن، ولا يُمنع حبسه من صحة إقراره على نفسه^(٤١).

المطلب السادس: حق المسجون في الإفراج عنه لوجود موجباته وتهيئته للخروج

من الأمور التي ينبغي الاهتمام بها قبيل الإفراج عن السّجين إذا تحققت موجباته، حقّه في إعداده تدريجياً للتوافق مع الحياة الاجتماعية خارج السّجن، وذلك من خلال التأكيد على صلاته الاجتماعية، كالإكثار من زيارة أهله له، وتهيئته للارتباط بأعمال مهنيّة خارج السّجن، وتقوية صفاته الخلقية، وما يستتبع ذلك من حقّه في ستر ماضيه السلبي، وتزويده بوثيقة عند الإفراج عنه، وإحاطته بالرعاية المادية والمعنوية، وغير ذلك من المعالجات الهادفة إلى تغيير السّجين من السيء إلى الحسن.

الفرع الأول: حق المسجون في إعلاء نفسيته قبيل الإفراج عنه

ينبغي إشعار السّجين قبيل الإفراج عنه بأن ما مرّ به مرض كبقية الأمراض التي تصيب الإنسان بغفلته، وأنه يؤجر عليها بالصبر، وأن عليه أن يبدأ حياة جديدة يكون فيها عنصراً إيجابياً في بناء المجتمع، ويذكر له النبي يوسف عليه السلام وخروجه من السّجن إلى الرئاسة، ومبادرته إلى تولي المسؤولية عن خزائن الأرض لتقديم الخير لكافة الناس، وتضرب له الأمثال لمن خرجوا من الضيق إلى السعة، ومن الشدة إلى الفرج.

(٤٠) منهم د. محمد رأفت عثمان، أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر. و د/ نصر فريد واصل مفتي مصر الأسبق.

(٤١) بدائع الصنائع (١٧٤/٧). وانظر هذه الحقوق أيضاً في: فقه المعتقلات والسّجون ص ٥٠٥.

وَيُشَرِّعُ الدُّعَاءَ لَهُ وَتَبَشِيرَهُ بِالْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَالْأَصْلُ فِي هَذَا نَهْيُ النَّبِيِّ ﷺ أَصْحَابَهُ عَنْ سَبِّ الْمَعَاقِبِ بَعْدَ حُدُودِ شَرْبِ الْخَمْرِ، وَقَوْلُهُ لَهُمْ: إِذَا رَأَيْتُمْ أَحَدًا قَدْ أَصَابَ حَدًّا فَلَا تَلْعَنُوهُ وَلَا تَعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ، وَلَكِنْ قُولُوا: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ^(٤٢).

وَلَا بَأْسَ فِي تَوْجِيهِ السَّجَّينِ إِلَى أَنْ يَغْتَسَلَ وَيَتَنَظَّفَ وَيَلْبَسَ ثِيَابًا جَدِيدَةً قَبْلَ الْإِفْرَاجِ عَنْهُ، وَيُودَّعَ أَصْحَابَهُ السُّجْنَاءَ، وَيَدْعُو لَهُمْ بِالْخِلَاصِ، كَمَا فَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٤٣).

وَيَسْتَحِبُّ إِرْشَادَهُ إِلَى صَلَاةِ رَكْعَتِي التَّوْبَةِ لِعُمُومِ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: مَا مِنْ رَجُلٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا ثُمَّ يَقُومُ فَيَتَطَهَّرُ، ثُمَّ يَصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِلَى غَفْرِ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ...وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران: ١٣٥)^(٤٤) وَقَدْ ذَكَرَ الْفُقَهَاءُ أَنَّ لِلْحَاكِمِ اخْتِيارَ أَهْلِ الْجَرَائِمِ بِالتَّوْبَةِ إِجْبَارًا، وَيُظْهِرُ مِنَ الْوَعِيدِ عَلَيْهِمْ مَا يَقُودُهُمْ إِلَيْهَا طَوَاعِيَةً^(٤٥).

وَمِنْ حَقِّ الْمَسْجُونِ الْمَفْرَجِ عَنْهُ أَنْ يَأْخُذَ وَثِيقَةً يُذَكِّرُ فِيهَا انْتِهَاءَ تَفْذِيقِ الْعُقُوبَةِ، وَوَقْتُ إِطْلَاقِ سِرَاحِهِ، وَيَسْتَحْسِنُ إِعْطَاؤَهُ وَثِيقَةً أُخْرَى فِيهَا بَيَانُ الْمِهْنِ وَالصَّنَاعَاتِ الَّتِي تَعْلَمُهَا أَوْ أَجَادَهَا.

وَقَدْ أَشَارَ الْفُقَهَاءُ إِلَى الْأَمْرِ الْأَوَّلِ فَذَكَرُوا أَنَّهُ إِذَا اسْتُؤِفِيَ الْحَقُّ مِنَ الْمَحْكُومِ عَلَيْهِ بِحَبْسٍ أَوْ عَيْرِهِ، فَعَلَى الْحَاكِمِ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ مَحْضَرًا بِمَا جَرَى لِيُخْلَصَ مِنَ الْمَحْذُورِ الَّذِي يَخَافُهُ^(٤٦).

هَذَا، وَإِنْ كَتَابَةُ الْوُثَائِقِ عَادَةٌ قَدِيمَةٌ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ، وَبِخَاصَّةٍ فِي مَجَالِ الْحَقُوقِ وَالْأَقْضِيَةِ وَالْأَحْكَامِ^(٤٧)، وَمِنْ الثَّابِتِ أَنَّ الْمَسْئُولِينَ عَنِ السُّجُونِ الْإِسْلَامِيَّةِ كَانُوا يَكْتُبُونَ الْوُثَائِقَ عِنْدَ إِطْلَاقِ سِرَاحِ السَّجَّينِ وَيَذْكُرُونَ فِيهَا اسْمَهُ وَوَصْفَهُ، وَسَبَبَ حَبْسِهِ، وَالْوَقْتَ الَّذِي أَفْرَجَ عَنْهُ فِيهِ، مِنْ حَيْثُ الْيَوْمُ وَالشَّهْرُ وَالسَّنَةُ، وَيَذْكُرُونَ اسْمَ الْكَاتِبِ، وَقَدْ عُنِيَ عَلَى وَثِيقَةِ إِطْلَاقِ سِرَاحِ سَجَّينَ يَرْجِعُ تَارِيخُهَا إِلَى سَنَةِ ٣٤٨ لِلْهَجْرَةِ، وَصُورَتِ وَنُشِرَ مَضْمُونُهَا فِي كِتَابِ: نِظَامِ الشَّرْطَةِ فِي الْإِسْلَامِ^(٤٨).

(٤٢) سنن أبي داود رقم ٤٤٧٧ وأصله في صحيح البخاري باب: ما يكره من لعن شارب الخمر رقم ٦٣٩٧.

(٤٣) البداية والنهاية (٩٣/١١).

(٤٤) سنن الترمذي رقم ٤٠٦.

(٤٥) تبصرة الحكام (١٢٠/١) وما بعدها.

(٤٦) الدر المختار مع حاشية ابن عابدين (٣٨٦/٥). المغني (١٢٨/١٠) وما بعدها.

(٤٧) تبصرة الحكام (١٢٠/١).

(٤٨) نظام الشرطة في الإسلام ص ١٨٧.

ومن حقه في هذا، رعايته والاهتمام به مادياً ومعنوياً بعد الإفراج عنه حتى يستغني، ولذلك ينبغي على الدولة والمجتمع الاهتمام بالمفرج عنه ورعايته حتى يتمكن من الاعتماد على نفسه في أموره المادية والمعنوية، لئلا تضيق الجهود التي بذلت في إصلاح سلوكه وتذهب سدى.

وقد ذكرت الاستبيانات والإحصائيات أن نبذ المجتمع وهيئاته للسّجين المفرج عنه، ومقاطعته وعدم تشغيله في الأعمال والمهن، والحيلولة بينه وبين أسباب الحياة الشريفة، من أبرز أسباب عودته إلى ممارسة الجريمة ثم الرجوع إلى السّجن^(٤٩). ومن الأهمية بمكان تعاون الهيئات الحكومية والأهلية وأجهزتها على رعاية المفرج عنه، وتشغيله في الأعمال والمهن التي تعلمها داخل السجن، وتزويده بالنفقة اللازمة لعيشه ومن يعول حتى يستغني.

هذا، وقد دعت الاتفاقيات الدولية إلى اتخاذ كل دولة برنامجاً خاصاً للمسجونين الذين أفرج عنهم، لتقوية صلاتهم بالمجتمع، وضمان عودتهم تدريجياً إلى التكيف المتوازن معه، كما دعت إلى تزويد المفرج عنهم بالوثائق والمستندات الضرورية عند خروجهم من السجن، وتجنيد هيئات المجتمع للتعاون معهم ومساعدتهم^(٥٠).

الفرع الثاني: حق المسجون في الإفراج عنه لوجود موجباته

نص الفقهاء على مجموعة من موجبات الإفراج عن السّجين، هي من أهم حقوقه التي يجب الوفاء بها وتنفيذها دون تباطؤ، من مثل: ثبوت براءته، والحكم بوقف تنفيذ عقوبة حبسه، وسداد الدين الذي حُبس به، وظهور توبته التي علّق عليها حبسه، والعفو عنه، وانتهاء المدة التي حُكم بها عليه... إلخ^(٥١).

والتاريخ الإسلامي حافل بالتطبيقات التي تؤكد التزام المسلمين بهذا الحق، ومن أول ذلك التزام النبي ﷺ بإطلاق أسرى معركة بدر، الذين قاموا بتعليم أولاد المسلمين القراءة والكتابة^(٥٢).

(٤٩) الموسوعة البريطانية (١١٠٢/١٤).

(٥٠) القواعد النموذجية الدنيا، القاعدة ٦٠ و ٦١ و ٦٦.

(٥١) المبسوط (١٠٧/٢٠). تبصرة الحكام (٢٠٣/٢) الأحكام السلطانية للماوردي ص ٢٣٦. إعلام

الموقعين لابن القيم (٣٧٠/٤).

(٥٢) البداية والنهاية (٣٢٩/٣). التراتيب الإدارية (٤٨/١).

أما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد أمر بالإفراج عن الشاعر الحطّية حينما أرسل إليه قصيدة استعطف فيها توبته وندمه^(٥٣).

وأما الفقيه الحنفي أبو يوسف القاضي فكتب إلى الخليفة الرشيد يوصيه أن يأمر ولاته بالنظر في أمر أهل المحبوس في كل يوم، فمن كان عليه أدب وأدب وأطلق، ومن لم يكن له قضية خلّ سبيله^(٥٤).

هذا، ويتم في القانون الإفراج عن السجناء المتهمين بأمر النيابة العامة ونحوها، إذا رأت ذلك بعد التحقيق مع المتهم، أو بمضي مدة العقوبة المحكوم بها من قبل القضاء، أو بصدر عفو خاص أو عام من رئيس الدولة كما هو معلوم، وربما ارتبط ذلك بمناسبة دينية أو وطنية ونحوها.

الخاتمة

بعد هذا العرض لحقوق السّجين في الفقه الإسلامي، ومقارنتها بما نصت عليه القواعد النموذجية الدنيا لمعاملة السجناء التي اعتمدها مؤتمر الأمم المتحدة الأول لمنع الجريمة ومعاملة المجرمين المعقود في جنيف عام ١٩٥٥م ومقارنتها كذلك بالمواثيق الدولية المتعلقة بحقوق السجناء والمعتقلين والأسرى نجد تفوّق الشريعة الإسلامية على الشرائع والقوانين وسبقها لها أيضا في عقوبات البديلة التي له دلائل من القرآن والسنة.

وتبيّن أيضاً في هذا البحث بالدلائل الكثيرة النظرية والعملية أن الفقه الإسلامي وتطبيقاته، أسبق وأسمى وأشمل من مجموعة القواعد النموذجية الدنيا لمعاملة المسجونين الدولية في إرساء الكثير من حقوق السجناء في جميع جوانب الحياة الإنسانية، وأن هذا الفقه يذخر بكثير من الكنوز والنفائس ذات الصلة بحقوق السّجين المتنوعة، التي يمكن أن يستخرج منها قواعد معتمدة مميزة في معاملة السجناء، تنافس الاتفاقيات الدولية في هذا الصدد وتتفوق عليها.

من أبرز معالم هذا البحث ونتائجه ما يلي:

- أن للإسلام وللفقهاء والقضاة المسلمين اهتمام مبكر بحقوق المسجون مع العمل على تنفيذها بصدق وحزم.

(٥٣) البداية والنهاية (٩٧/٨).

(٥٤) الخراج لأبي يوسف ص ١٦٣.

- للمسجون حق الحفاظ على نفسه وما دونها، وعلى كرامته الإنسانية، فلا يجوز الاعتداء على جسمه، ولا أعضائه، ولا تعذيبه، ولا إهانته بالضرب والتجويد والسب والشتم وحرمانه من حقوقه.
- من حقوق المسجون على الجهات المختصة المحافظة على أمواله وممتلكاته من التعدي عليها، أو تضييعها، إهمالها، ويجب تنفيذ طلبه في تسليمها لمن يريد، أو إعادتها إليه عند الإفراج عنه.
- للمسجون الحق في ممارسة التصرفات المدنية والجنائية المتصلة به من غير إخلال بما سجن له، وذلك كالبيع والشراء والتأجير والتوكيل والوصية وعقد الزواج لنفسه ولغيره ممن له الولاية عليه، وكذا التطليق والمخالعة والمطالبة بالقصاص لنفسه أو لوليه، والمخاصمة عند القاضي، والقيام بالشهادة أو الإقرار أمامه.
- ومن حقوق المسجون تهيئته للخروج من السجن قبيل الإفراج عنه بإعلاء نفسه، وزيادة تواصله الاجتماعي بمن هم خارج السجن من الأقرباء، والأصدقاء والمؤسسات الاجتماعية والاقتصادية، وتزويده بما يحتاج إليه من مال ولباس، وبوثائق تتضمن مشروعية الإفراج عنه، وما تعلمه من صنعة أو مهنة.

مراجع البحث

- الأحكام السلطانية، الماوردي. مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ط٢: ١٢٩٣هـ.
- أحكام القرآن، ابن العربي المالكي. دار الفكر للطباعة، بيروت د.ت.
- أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري. الطبعة الميمية، مصر ١٢١٢هـ.
- إعلام الموقعين لابن القيم. نشر دار الجيل، بيروت ١٩٧٣م.
- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي. نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت د.ت.
- البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم، دار المعرفة، بيروت د.ت.
- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني. دار الكتاب العربي، بيروت ط٢: ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ابن رشد الحفيد. دار الفكر، بيروت د.ت.
- البداية والنهاية، ابن كثير. بيروت ط٢: ١٩٧٧م.
- تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، ابن فرحون. طبعة مصر ١٣٥٦هـ.
- التراتيب الإدارية نظام الحكومة النبوية، الكتاني. دار الكتاب العربي، بيروت د.ت.
- التعريفات، الجرجاني. طبع مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.

- التعزير في الشريعة الإسلامية، د. عبد العزيز عامر، ط ٥ القاهرة ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.
- الثمر الداني في تقريب المعاني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، الآبي، المكتبة الثقافية، بيروت د.ت.
- جواهر الإكليل شرح مختصر خليل، الآبي الأزهرى، مصورة دار المعرفة، بيروت ١٣٦٦هـ.
- حاشية ابن عابدين رد المحتار على الدر المختار، دار إحياء الكتب العلمية، بيروت ١٣٨٦هـ.
- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، الدردير، دار الفكر، بيروت د.ت.
- الحق في العدالة الجنائية، د. محيي الدين عوض، بحث ضمن ندوة حقوق الإنسان بين الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي، جامعة نايف للعلوم الأمنية بالرياض ١٤٢٢هـ.
- حقوق الإنسان في الإسلام د. محمد الزحيلي، دار ابن كثير، دمشق ١٩٩٧م.
- الخراج لأبي يوسف القاضي، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٩٢هـ.
- روضة الطالبين وعمدة المفتين، النووي، المكتب الإسلامي، بيروت ١٣٠٥هـ.
- سنن أبي داود، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت د.ت.
- سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت د.ت.
- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٨٦هـ.
- صحيح البخاري، تحقيق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت ط ٢: ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت د.ت.
- العقوبة، الشيخ محمد أبي زهرة، مطبعة الدجوي، القاهرة د.ت.
- غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى، الكرّم، مطبعة الرياض ط ٢: ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
- فتح القدير، ابن الهمام، دار الفكر، بيروت د.ت.
- الفروع، ابن مفلح، دار عالم الكتب، بيروت ط ٢: ١٤٠٢هـ.
- فقه المعتقلات والسجون بين الشريعة والقانون، د/ حسن أبو غدة، مكتبة الرشد، الرياض ١٤٢٧هـ.
- القوانين الفقهية، ابن جزي المالكي، دار القلم، بيروت د.ت.
- كشف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، دار الفكر، بيروت ١٤٠٢هـ.
- الكليات، الكفوي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٩هـ/ ١٩٨٨م.
- المبسوط، السرخسي، طبعة الثالثة بيروت.
- مجموع الفتاوى، ابن تيمية، مكتبة ابن تيمية، الرياض د.ت.
- القواعد النموذجية الدنيا لمعاملة المسجونين، طبع المنظمة الدولية العربية للدفاع الاجتماعي ضد الجريمة بالقاهرة ١٩٦٥م.
- المستدرك على الصحيحين، الحاكم، دار الكتب العلمية، بيروت ط ١.
- المسند، الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، مصر د.ت.
- معاملة المسجونين في الإسلام، إبراهيم محمد الفحام، مقال منشور مجلة الوعي الإسلامي، عدد شهر شوال ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
- المغني، ابن قدامة الحنبلي، دار الفكر العربي، بيروت ١٤٠٥هـ.
- الملكية في الشريعة الإسلامية مع مقارنتها بالقوانين العربية، الشيخ علي الخفيف، دار النهضة العربية، مصر ١٩٩٠م.
- الموسوعة البريطانية، في الجزء ١٤ عن السجن، طبعة ١٥ العام ١٩٧٤م.
- نظام الشرطة في الإسلام إلى أواخر القرن الرابع الهجري، د/ محمد الشريف الرحموني، الدار العربية للكتاب، تونس.
- الهداية شرح بداية المبتدي، المرغيناني، المطبعة الخيرية، مصر ١٣٢٦هـ.

دور هيئة حقوق الإنسان في التعامل مع قضايا المرأة

«دراسة وصفية تحليلية على فرع هيئة حقوق الإنسان بمنطقة مكة المكرمة»

أ. سليم عبد الله بن ناهر السلمي



المستخلص

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على قضايا المرأة التي ترد إلى هيئة حقوق الإنسان بالمملكة العربية السعودية وآليات التعامل مع هذه القضايا. وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي مستخدماً أساليب القياس والتفسير، وقد تم تحديد مجتمع الدراسة بالنساء اللواتي سبق وراجعن هيئة حقوق الإنسان السعودية بمحافظة جدة، حيث قام الباحث باختيار عينة عمدية من النساء اللواتي راجعن هيئة حقوق الإنسان السعودية بمحافظة جدة مكونة من (١٠٥) امرأة.

وقد توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج كان من أهمها أن أغلب القضايا المتعلقة بحقوق المرأة التي ترد إلى هيئة حقوق الإنسان السعودية هي قضايا إثبات الهوية في المرتبة الأولى وذلك بنسبة (٣٣,٣٪) ثم تأتي في المرتبة الثانية قضايا الحقوق المالية وذلك بنسبة (٢٦,٧٪) ثم قضايا العنف الأسري

• ماجستير في الخدمة الاجتماعية/السعودية. Saleem Abdullah alsolami

بنسبة (٢٠٪) ثم قضايا العنف من قبل الزوج أو قضايا العضل بنفس النسبة (٦,٧) وأخيراً قضايا البحث عن سكن وإيواء وذلك بنسبة (٦,٦)٪.

وعلى ضوء هذه النتائج أوصى الباحث بعدد من التوصيات كان من أهمها ضرورة الاهتمام بالإحصاءات وتسجيل الوقائع التي تمثل انتهاكاً لحقوق المرأة حتى يتم معرفة الحجم الحقيقي لقضايا انتهاك حقوق المرأة والوقوف على الواقع الفعلي، ودراسة الإحصاءات بشكل سنوي ووضع التشريعات التي تحجم هذه الوقائع من التحول إلى ظواهر تشكل شخراً في المجتمع السعودي. وضرورة تشجيع مؤسسات المجتمع المدني في تبني قضايا حقوق المرأة للمواجهة والتوعية بأهمية حصول المرأة على حقوقها ضمن إطار المجتمع السعودي ذو المرجعية الإسلامية وتقديم الدعم المادي والمعنوي وخدمات الإيواء والإرشاد الاجتماعي لضحايا مثل هذا النوع من الانتهاكات.

مقدمة

إن قانون حقوق الإنسان وممارساته أهملت النساء والفتيات، فالانتهاك الذي قام على أسس الاختلافات البيولوجية والجنسية لم يعتبر انتهاكاً لحقوق الإنسان في الكثير من الحالات وحتى المنظمات التي حاربت من أجل حماية وتعزيز حقوق الإنسان فشلت في الكثير من الأحيان في لفت الانتباه إلى الإساءات التي تتعرض لها النساء أو حتى تطوير وسائل فعالة للتحقيق في الانتهاكات القائمة على الاختلافات الجنسية، كما أن ضرورة الدفاع عن حقوق الإنسان بشكل عام وعن حقوق النساء، لم تنشأ من فراغ، بل تنطلق بشكل أساسي عن الحاجة والضرورة الموضوعية لحماية الإنسان وحماية النساء من كل التجاوزات الحاصلة على الحقوق الأساسية التي يجب أن يتمتعوا بها.

وبما أن المرأة نصف المجتمع، بل قد تزيد، فنحن عندما نتحدث عن حقوق وواجبات المرأة فإننا نتحدث عن حقوق وواجبات نصف المجتمع، فالمرأة في مجتمع يؤمن بإنسانية المرأة والرجل على السواء تمارس دورها الاجتماعي بوصفها إنسانة فتساهم مع الرجل في مختلف الحقوق الإنسانية، وتقدم أروع النماذج في تلك الحقوق نتيجة للاعتراف بمساواتها مع الرجل على الصعيد الإنساني وعلى العكس فالمرأة في مجتمع ينظر إليها بوصفها أنثى قبل أن ينظر إليها بوصفها إنسانة، فإنها تنكمش وفقاً لهذه النظر.

إن رسالة هيئة حقوق الإنسان السعودية «تهدف إلى حماية حقوق الإنسان وتعزيزها وفقاً لمعايير حقوق الإنسان الدولية في جميع المجالات، ونشر الوعي بها، والإسهام في ضمان تطبيق ذلك في ضوء أحكام الشريعة الإسلامية» بما في ذلك حقوق المرأة نسبة لخصوصية المرأة في المجتمع السعودي الذي يعتبر من المجتمعات المحافظة.

ومن مهام هذه الهيئة التنسيق مع المنظمات الحكومية وغير الحكومية التي تتعامل مع قضايا حقوق الإنسان فضلاً عن المؤسسات الأخرى ذات الصلة. فعليها متابعة أيضاً حالات المواطنين السعوديين الذين انتهكت حقوقهم في الخارج والداخل وتقوم بدور اجتماعي كبير في التعامل مع قضايا حقوق المرأة.

مشكلة الدراسة

استحوذت حقوق المرأة الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية على اهتمام المجتمعات خلال العقد الماضي بشكل متزايد. وذلك بعد الاعتراف بالمساهمة الرئيسية التي تقدمها المرأة في الاقتصاد العالمي من خلال جهودها الإنتاجية، وكذلك الاعتراف باستمرار تهميشها على المستوى الاجتماعي، من خلال التوجهات الاجتماعية والثقافية، والتي تسعى إلى تحديد نفاذ المرأة إلى الحياة العامة، أدت جميعاً إلى وضع حقوق المرأة الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية في بؤرة الاهتمام. فبعد أن كان يُنظر إلى تلك الموضوعات على أنها مسائل هامشية في محيط اهتمامات حقوق الإنسان أصبح حضور كل حقوق المرأة (المدنية، والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية) أكثر وضوحاً - الاعتراف بأن تحقق كل حقوق الإنسان بالنسبة للمرأة لن يتأتى إلا بالوفاء بكل حقوقها الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية.

أهمية الدراسة

الأهمية العلمية: تأتي الأهمية العلمية لهذه الدراسة من أنها محاولة لإثراء مكتبتنا العربية في هذا الميدان، ولا سيما أن مكتبتنا العربية دوماً بحاجة لروافد ثقافية في هذا المجال وغيره من المجالات.

الأهمية العملية: تتمثل الفائدة العملية من هذه الدراسة في تحديد الدور الذي تلعبه هيئة حقوق الإنسان السعودية في مجال التعامل مع قضايا المرأة المتعلقة بحقوقها، ودورها في حماية حقوق الإنسان داخل المجتمع السعودي والاعتراف المجتمعي بها وأهميتها للتصدي للكثير من المشكلات التي تواجه المرأة.

تساؤلات الدراسة

حاولت الدراسة الإجابة على التساؤل الرئيسي التالي:

ما هو دور هيئة حقوق الإنسان في التعامل مع القضايا المتعلقة بحقوق المرأة في المجتمع؟

وتتضرع منه التساؤلات التالية:

- ما هي قضايا المرأة التي ترد إلى هيئة حقوق الإنسان بالمملكة العربية السعودية؟
- ما آليات التعامل مع قضايا المرأة في هيئة حقوق الإنسان بالمملكة العربية السعودية؟
- ما مدى فعالية تطبيق آليات التعامل مع قضايا المرأة في المملكة العربية السعودية؟

أهداف الدراسة

يمكن تحديد أهداف الدراسة في الهدف الرئيسي التالي:

التعرف على الدور الذي تلعبه هيئة حقوق الإنسان في التعامل مع القضايا المتعلقة بحقوق المرأة في المجتمع العربي السعودي

وتتضرع منه الأهداف التالية:

- التعرف على قضايا المرأة التي ترد إلى هيئة حقوق الإنسان بالمملكة العربية السعودية.
- التعرف على آليات التعامل مع قضايا المرأة في هيئة حقوق الإنسان بالمملكة العربية السعودية.
- التعرف على فعالية تطبيق آليات التعامل مع قضايا المرأة في هيئة حقوق الإنسان بالمملكة العربية السعودية.

المصطلحات ومفاهيم الدراسة

الدور: هو في اللغة «الطبقة من الشيء المدار بعضه على بعض، وإحداق الشيء بشيء آخر من كافة جوانبه، ويقال: داور الأمور أي طلب وجوه مآثاها وعلاجها» (ابن منظور، ١٩٨٩م، ص ٣٥١). والدور في الاصطلاح هو: «وضع اجتماعي ترتبط به مجموعة من الخصائص الشخصية ومجموعة من ضروب النشاط، وهو من منظور التفاعل الاجتماعي، مكون من مجموعة من الأفعال المكتسبة، يؤديها الشخص في موقف تفاعل اجتماعي» (مذكور، د.ت، ص ٢٦٧).

ويعرف الدور إجرائياً في هذه الدراسة بأنه: «كل ما تقوم به هيئة حقوق الإنسان بالسعودية من تدابير وإجراءات وتسهيلات بغرض حل أو تسهيل حل القضايا المتعلقة بحقوق المرأة».

مفهوم حقوق الإنسان

حقوق الإنسان هي الحقوق التي تُكفل للكائن البشري والمرتبطة بطبيعته كحقه في الحياة والمساواة وغير ذلك من الحقوق المتعلقة بذات الطبيعة البشرية التي ذكرتها المواثيق والإعلانات العالمية. (ناصر، ١٩٨٩م: ص ٢٤)

وعرفت حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية بأنها: « تلك المزايا الشرعية الناشئة من التكريم الذي وهبه الباري جلّت قدرته للإنسان، وألزم به الجميع طبقاً للضوابط والشروط الشرعية التي على المسلم التقيد باحترامها». (المحفوظ، ٢٠٠٣م: ٢٦)

والتعريف الإجرائي لحقوق الإنسان في هذه الدراسة: يقصد بها الميزات أو المصالح أو الحريات التي يتوقعها الفرد أو الجماعة من المجتمع، أو من الدولة وبما يتفق مع معاييرهما. وبشكل عام هي المعايير الأساسية التي لا يمكن للبشر أن يعيشوا من دونها بكرامة كإناس.

هيئة حقوق الإنسان بالملكة العربية السعودية

نشأت هيئة حقوق الإنسان في ٢٠٠٨/٥/٥م، كجهة حكومية لها سلطة رقابية تنظيمية وبعض المهام التنفيذية، مرتبطة بشكل مباشر برئيس مجلس الوزراء، تهدف إلى حماية حقوق الإنسان وفقاً للمعايير الدولية في جميع الحالات، ونشر الوعي بتلك الحقوق. (http://hrc.gov.sa/Human_Rights).

التعامل مع قضايا المرأة

ويقصد بالتعامل مع قضايا المرأة في هذه الدراسة طريقة الهيئة في حل المشكلات التي تتعرض لها المرأة سواءً ضمن الإطار الأسري أو العملي أو ضمن المجتمع.

منهج الدراسة

استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لمعرفة بعض الحقائق عن واقع دور هيئة حقوق الإنسان السعودية، وذلك من حيث وظائفها وأدوارها في التعامل مع قضايا المرأة والتحديات التي تواجه هذه الأدوار، والذي حاول الباحث من خلاله أن يقارن ويفسر ويقيم أملاً في التوصل إلى نتائج ذات قيمة تزيد من رصيد المعرفة حول هذا الموضوع.

حيث قام الباحث باختيار عينة عمدية من النساء اللواتي راجعن فرع هيئة حقوق

الإنسان بمنطقة مكة المكرمة وذلك بالتنسيق مع موظفي الفرع وخاصةً القسم النسائي، ومن ثم قام بتوزيع عدد (١٢٠) استبانة على عينة الدراسة وتم استرداد عدد (١٠٩) استبانة وعند العد الإحصائي تم استبعاد عدد (٤) استبانات وذلك لعدم ملئها بالشكل الصحيح وعليه فقد تم تحليل إجابات العينة من خلال (١٠٥) استبانة.

أدوات جمع البيانات- الاستبيان

تم استخدام قوائم الاستبيان المعدة لهذا الغرض، حيث تم الاستفادة من الدراسات السابقة التي تناولت موضوع هذه الدراسة كما تم تصميم الاستبيان من قبل الباحث ومن ثم قام بعرضه على محكمين بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة والخروج بصيغة نهائية. وقام الباحث بإعطاء الوزن المناسب لأهمية كل عبارة من عبارات الاستبيان ذو الإجابات المغلقة للإجابة على أسئلة الدراسة التي بني عليها البحث باستخدام مقياس مكون من خمس عبارات تعادل خمس أوزان.

كما تم الرجوع إلى الكتب والدراسات السابقة العربية والأجنبية. بالإضافة إلى المقالات العلمية المحكمة والدوريات، والمعلومات المعتمدة من مصادر رسمية والتي يمكن الحصول عليها عن طريق الإنترنت.

ملخص النتائج

١- أظهرت نتائج الدراسة أن أغلب القضايا المتعلقة بحقوق المرأة التي ترد إلى هيئة حقوق الإنسان هي قضايا إثبات الهوية في المرتبة الأولى وذلك بنسبة (٣٣,٢٪) ثم تأتي في المرتبة الثانية قضايا الحقوق المالية وذلك بنسبة (٢٦,٧٪) ثم قضايا العنف الأسري بنسبة (٢٠٪) ثم قضايا العنف من قبل الزوج أو قضايا العضل بنسبة (٦,٧) وأخيراً قضايا البحث عن سكن وإيواء وذلك بنسبة (٦,٦٪)، وهذه الدراسة تتفق بشكل كبير مع دراسة (المطيري، ٢٠١٠م) والتي توصلت إلى أن للهيئة دور هام إزاء أنماط العنف البدني، بمتوسط حسابي تراوح بين (٣، ٤٠ - ٣، ٩٨) وحرمان المرأة من أوراقها الثبوتية، بمتوسط حسابي تراوح بين (٢، ٣٩ - ٢، ٦٠)، كما تتفق مع دراسة (السهلي، ٢٠١١م) والتي توصلت إلى أن العوامل المؤدية إلى مراجعة المرأة للجمعية الوطنية لحقوق الإنسان تركزت في الحقوق الشخصية أولاً، والمدنية ثانياً، والحماية من العنف الأسري ثالثاً.

٢- أظهرت نتائج الدراسة أن المتوسط العام لدرجة فعالية دور الهيئة في التعامل مع قضايا المرأة حسب وجهة نظر أفراد العينة بلغ (٤, ٣) وبلغ الانحراف المعياري الكلي (٩٩٢, ٠) وهذه الدرجة تشير إلى أن درجة فعالية دور الهيئة في التعامل مع قضايا المرأة متوسطة من وجهة نظر أفراد العينة، كما توافق هذه النتيجة دراسة (المطيري، ٢٠١٠م) والتي توصلت إلى أن للهيئة دور هام إزاء أنماط العنف (البدني - النفسي - الاقتصادي) كما تتفق مع دراسة (معمّر، ٢٠١٠م) التي توصلت إلى أن المنظمة العربية لحقوق الإنسان تقوم بدور هام في مجال حقوق الإنسان في كافة الدول العربية.

٣- أظهرت نتائج الدراسة أن حداثة هيئة حقوق الانسان وقلة فروعها أحد أهم الأسباب التي تؤدي إلى عدم اللجوء إليها حيث يلجأ معظم من يبحث عن المساعدة، للآخرين للتدخل والدعم، وهذه النتيجة اتفقت مع دراسة (المطيري، ٢٠١٠م) والتي توصلت إلى نفس النتيجة ودراسة (السهلي، ٢٠١١م) التي توصلت إلى أن المعرفة بالجمعية الوطنية بين النساء ضعيفة جداً.

٤- أظهرت نتائج الدراسة أن ضعف التوعية بأهمية دور الهيئة في التصدي لقضايا حقوق الإنسان المتعلقة بالمرأة مما جعل بعض النساء يلجأن للشرطة أو القضاء للنظر في قضاياهن كما أن قلة الموظفين وعدم متابعة قضايا المشتكيات في الهيئة يحدان من أدائها لدورها الاجتماعي والإنساني كما يجب.

٥- أظهرت نتائج الدراسة أن أبرز المعوقات التي تحد من الهيئة في التعامل مع القضايا المتعلقة بالمرأة تحفظ بعض النساء في المجتمع السعودي عن الإبلاغ عن بعض الانتهاكات الواقعة بحقوقهن خوفاً من سطوة ولي الامر في المرتبة الأولى. وفي المرتبة الثانية قلة الإمكانيات المادية الضرورية لمساعدة الضحايا من النساء لحين حصولهن على حقوقهن كاملة، وفي المرتبة الثالثة عدم توافر الإحصاءات التي تبرز حجم القضايا المتعلقة بالمرأة وهذه النتيجة اتفقت مع دراسة (السهلي، ٢٠١١م) حيث توصلت إلى أن التقاليد والموروثات من ضمن العوامل التي تحد من مراجعة المرأة للجمعية الوطنية لحقوق الانسان.

٦- أظهرت نتائج الدراسة أن آليات التعامل مع قضايا المرأة في الهيئة حسب وجهة نظر أفراد العينة تتمثل في تقديم الحلول والبدائل والاستشارات القانونية لمساعدة النساء وتوجيههن بما يساعدهن على حل مشكلاتهن وتوفير الأمن والحماية، وذلك بالتنسيق مع الجهات الأمنية لمساعدة الضحايا ومعاينة

المعتدي وتسهيل لجوء بعض الشاكيات إلى القضاء وتوكيل المحامين للدفاع عنهم، وتوافق هذه النتيجة ما توصلت إليه نتيجة دراسة (الجريس ٢٠٠٧م) من أن دور هذه المؤسسات تلقي الشكاوي، وتقديم الاستشارات للمتظلمين، ومساعدتهم في توكيل المحامين.

٧- أظهرت نتائج الدراسة أنه توجد فروق في دور الهيئة في التعامل مع القضايا المتعلقة بحقوق المرأة في المجتمع السعودي من وجهة نظر أفراد العينة تعزى لمتغير العمر لصالح الفئة العمرية (من ٤٠ إلى أقل من ٥٠ سنة).

٨- أظهرت نتائج الدراسة أنه لا توجد فروق في دور الهيئة في التعامل مع القضايا المتعلقة بحقوق المرأة في المجتمع السعودي من وجهة نظر أفراد العينة تعزى لمتغير المؤهل العلمي.

٩- أظهرت نتائج الدراسة أنه لا توجد فروق في دور الهيئة في التعامل مع القضايا المتعلقة بحقوق المرأة في المجتمع السعودي من وجهة نظر أفراد العينة تعزى لمتغير الحالة الاجتماعية.

١٠- أظهرت نتائج الدراسة أنه توجد فروق في دور الهيئة في التعامل مع القضايا المتعلقة بحقوق المرأة في المجتمع السعودي من وجهة نظر أفراد العينة تعزى لمتغير الوضع المادي للأسرة. حيث سجلت الفئة (من ٩٠٠٠ إلى أقل من ١٢٠٠٠ ريال) أقل متوسط لتقييم دور الهيئة في التعامل مع القضايا المتعلقة بحقوق المرأة في المجتمع السعودي، والنتائج من (٧-١٠) تختص بالدراسة الحالية حيث لم تدرس أي من الدراسات السابقة المعروضة الفروق تبعاً للمتغيرات الديموغرافية لعينة الدراسة.

التوصيات

- ضرورة أن تعمل الهيئة بمخاطبة الجهات المختصة والتنسيق فيما يتعلق بقضايا إثبات الهوية والحقوق المالية بما يحفظ حقوق المرأة السعودية وأسرتها.
- تقديم الدعم المادي والمعنوي وخدمات الإيواء والإرشاد الاجتماعي لضحايا انتهاكات حقوق الإنسان من النساء.
- إجراء المزيد من الدراسات حول أسباب مراجعة المرأة السعودية لهيئة حقوق الإنسان، ومدى رضا المراجعات عن الخدمة المقدمة لهن من قبل الهيئة حتى يتسنى للمسؤولين التصدي لمشكلة انتهاك حقوق المرأة، كذلك إجراء دراسات تقييمية لمؤسسات حقوق الإنسان بشكل عام في المملكة.

- الاهتمام أكثر بالإحصاءات وتسجيل الوقائع التي تسجل كانتهاك لحقوق المرأة حتى يتم معرفة الحجم الحقيقي لقضايا انتهاك حقوق المرأة والوقوف على الواقع الفعلي، ودراسة الإحصاءات بشكل سنوي ووضع التشريعات التي تحجم هذه الوقائع من التحول إلى ظواهر تشكل شرخاً في المجتمع السعودي.
- تشجيع هيئة حقوق الإنسان لمنظمات المجتمع المدني على تبني قضايا حقوق المرأة والتوعية بأهمية حصول المرأة على حقوقها ضمن إطار المجتمع السعودي ذو المرجعية الإسلامية.
- التوسع في افتتاح فروع لهيئة حقوق الإنسان في مختلف المناطق والمحافظات بالمملكة العربية السعودية.
- الرقي بمستوى تدريب وتأهيل المهنيين العاملين في هيئة حقوق الإنسان السعودية للتعامل مع القضايا المتعلقة بالمرأة بكافة أنواعها وأشكالها بالطرق العلمية والمهنية التي تضمن سلامة وفعالية دور هيئة حقوق الإنسان
- إدراج حقوق الأسرة، والوقاية من ظاهرة العنف الأسري وكيفية مواجهتها ضمن المناهج في كافة المراحل الدراسية.
- تفعيل دور وسائل الإعلام في التعريف بدور الهيئة وتغيير النظرة السلبية لدى الكثير من النساء تجاه المتعاملات مع هيئة حقوق الإنسان وذلك من خلال استراتيجية إعلامية واضحة المعالم في السعودية.

المراجع

- ١- أبوسخيلة، محمد بن عبدالعزيز (١٩٨٥ م) حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية وقواعد القانون الدولي، عمان: مطابع عمان.
- ٢- الأمم المتحدة (١٩٩٥م) العنف ضد المرأة، تقرير المؤتمر العالمي الرابع المعني بالمرأة، بكين.
- ٣- الجحني، علي بن فايز (٢٠٠٣م) المحاماة وحقوق الإنسان في الإسلام، الرياض، مركز الدراسات والبحوث، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.
- ٤- الجريس، عبد الرحمن بن حسن (٢٠٠٧م) مؤسسات حقوق الإنسان السعودية ودورها في حماية الحقوق، رسالة ماجستير غير منشورة، الرياض، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.
- ٥- الحسن، إحسان محمد (٢٠٠٥م) النظريات الاجتماعية المتقدمة (ط ١) عمان، دار وائل للنشر.
- ٦- الحقييل، سليمان (٢٠٠٠م) حقوق الإنسان في الإسلام وتطبيقاتها في المملكة العربية السعودية، الرياض.
- ٧- السهلي، البندري سعود، (٢٠١٠م) العوامل المؤدية لمراجعة المرأة السعودية للجمعية الوطنية لحقوق الإنسان، دراسة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود.
- ٨- السجل العلمي للملتقى العلمي، (٢٠٠٨م) الأسرة السعودية والتغيرات المعاصرة. المملكة العربية السعودية، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، الجمعية السعودية لعلم الاجتماع والخدمة الاجتماعية.

- ٩- المجدوب، أحمد (٢٠٠٤م) مكانة المرأة وحقوقها في الشريعة الإسلامية، مؤتمر واقع الأسرة في المجتمع، تشخيص للمشكلات واستكشاف لسياسات المواجهة - المنعقد بدار الضيافة جامعة عين شمس.
- ١٠- المطيري، سالم بن عتيق بن صايل (٢٠١٠م) دور هيئة حقوق الإنسان في الحد من العنف الأسري بمنطقة الرياض، دراسة ماجستير غير منشورة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، كلية الدراسات العليا، قسم العلوم الاجتماعية.
- ١١- الوزان، عدنان محمد، (٢٠٠٤م) موسوعة حقوق الإنسان في الإسلام، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- ١٢- جابر، جابر عبد الحميد، وكاظم، أحمد خيرى (١٩٧٨م). مناهج البحث في التربية وعلم النفس القاهرة: دار النهضة العربية.
- ١٣- زهير، حطب، (١٩٨٧م) الطاقات النسائية العربية، بيروت: معهد الانماء العربي للدراسات الاجتماعية.
- ١٤- مدثر، عبدالرحيم (١٩٦٨م) مفهوم حقوق الإنسان، بيروت: دار الفكر.
- ١٥- محافظة، محمد عبد الكريم، والعواودة، أمل سالم (٢٠١١م) العوامل المؤثرة على العنف ضد المرأة العاملة في المجتمع الأردني، مجلة العلوم الاجتماعية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، مجلد (٣٩) العدد (١).
- ١٦- معمر، إبراهيم حسين (٢٠١٠م) دور المنظمات الدولية الغير حكومية في حماية حقوق الإنسان «حالة تطبيقية على المنظمة العربية لحقوق الإنسان» رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة.
- ١٧- نوري، محمد عثمان الأمين (٢٠٠٧ م) تصميم البحوث في العلوم الاجتماعية والسلوكية الجزء الأول خطوات البحث العلمي (١ ط) جدة: خوارزم العلمية للنشر والتوزيع.

مواقع الإنترنت

- ١- موقع جمعية حقوق الإنسان <http://nshr.org.sa/default.aspx> تاريخ الإطلاع ٢٠١٣/٦/٩ الساعة ٤:٣٥ pm
- ٢- موقع هيئة حقوق الإنسان http://hrc.gov.sa/Human_Rightsang تاريخ الإطلاع ٢٠١٣/٦/٩ الساعة ٨:٥٥ pm

المراجع الأجنبية

1. Borgatta, Edgar F.; Montgomery, Rhonda J. V. (2000). Encyclopedia of Sociology. Second Edition. USA: Macmillan Reference.
2. Khan, Sadia.(2006). Domestic Violence Within a Marriage A Critical Analysis of the Cultural Barriers Faced by Muslim Asian Women when Seeking Assistance. A dissertation submitted to the University of Central Lancashire. in the Lancashire Law School, UK.
3. Tehrani, M M Zadeh. (2007). Women's Rights in Islam and Current Discourse of International Human Rights Law. Submitted for the Degree of PhD in Law: University of Hull, UK.

الملاحق

المملكة العربية السعودية
منطقة مكة المكرمة

البحوث الاجتماعية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد

يقوم الباحث بإجراء دراسة عن دور هيئة حقوق الإنسان في التعامل مع قضايا المرأة، ولأغراض هذه الدراسة قام الباحث بتصميم وتطوير استبيان لهذه الدراسة.

وعليه نرجو التكرم بالإجابة على الأسئلة التالية بوضع إشارة (√) في الخانة التي تتفق مع رأيك كمساعدة منكم على إنجاح الدراسة. علماً بأن إجاباتكم ستساعد الباحث في التوصل إلى الأهداف المرجوة ولغايات البحث العلمي فقط، شاكراً لكم سلفاً جهودكم المباركة وحسن تعاونكم.

وتقبلوا خالص تحياتي،،،

الباحث

أولاً: المعلومات الشخصية:

يرجى وضع إشارة أمام الإجابة التي تعتقد أنها صحيحة (✓):

١- العمر:

☐ أقل من ٢٠ سنة ☐ من ٢٠ إلى أقل من ٣٠ سنة ☐ من ٣٠ إلى أقل من ٤٠ سنة

☐ من ٤٠ إلى أقل من ٥٠ سنة ☐ من ٥٠ سنة فأكثر

٢. المؤهل العلمي:

☐ أمية ☐ تقرأ وتكتب ☐ تعليم عام (ابتدائي - متوسط - ثانوي)

☐ جامعي ☐ فوق الجامعي

٣. الحالة الاجتماعية:

☐ غير متزوجة ☐ متزوجة ☐ مطلقة ☐ أرملة

٤. الحالة المهنية:

☐ تعمل ☐ لا تعمل

٥. الوضع المادي للأسرة

☐ ضعيف جداً ☐ ضعيف ☐ متوسط ☐ جيد ☐ ممتاز

٦. ماهي المشكلة التي جعلتك تزورين هيئة حقوق الإنسان؟

.....
.....

المجال الأول: فعالية دور هيئة حقوق الإنسان في التعامل مع القضايا المتعلقة بالمرأة من وجهة نظر عينة الدراسة

الرقم	الفقرات	موافق بشدة	موافق	لا رأي لي	غير موافق	غير موافق بشدة
١	لا يوجد اختلاف في تعامل هيئة حقوق الإنسان مع قضايا المرأة عن المحاكم والجهات الأخرى					
٢	تقوم هيئة حقوق الإنسان بدور كبير في التعامل مع قضايا الحقوق المتعلقة بالحقوق الأسرية فقط					
٣	يلجأ معظم من يبحث عن المساعدة، للآخرين للتدخل والدعم، بينما يبحث عدد قليل جداً منهم عن المساعدة من مؤسسات عامة، مثل هيئة حقوق الإنسان					
٤	حادثة هيئة حقوق الإنسان في المملكة وقلة فروعها أحد أهم الأسباب التي تؤدي إلى عدم اللجوء إليها في حالة وقوع الضرر عليك					
٥	نظرة الناس لهيئة حقوق الإنسان في المجتمع السعودي تجعل النساء يتقبلن الضرر الواقع عليهن وعدم البوح به					
٦	لا يتمتع موظفي الهيئة بالصلاحيات اللازمة للنظر في بعض قضايا العنف الأسري					
٧	قلة الموظفين وعدم متابعة قضايا المشتكيات في هيئة حقوق الإنسان يحدان من أداء الهيئة لدورها الاجتماعي والإنساني كما يجب					
٨	ضعف التوعية بأهمية دور الهيئة في التصدي لقضايا حقوق الإنسان المتعلقة بالمرأة السعودية مما جعل بعض النساء يلجأن للشرطة أو القضاء للنظر في قضاياهن.					
٩	تركز هيئة حقوق الإنسان على قضايا معينة دون غيرها مما يجعل دورها في مجال القضايا المتعلقة بحقوق المرأة السعودية ضعيفاً ومحصوراً					
١٠	من واقع تجربتك مع هيئة حقوق الإنسان هل أنت راضية عما قدمته لك الهيئة في سبيل حصولك على حقوقك					

المجال الثاني: المعوقات التي تحد من دور هيئة حقوق الإنسان في التعامل مع القضايا المتعلقة بالمرأة السعودية

الرقم	الفقرات	موافق بشدة	موافق	لا رأي لي	غير موافق	غير موافق بشدة
١	ضعف التنسيق بين الهيئة والجهات الأخرى المعنية بالقضايا المتعلقة بالمرأة					
٢	عدم توافر الإحصاءات التي تبرز حجم القضايا المتعلقة بالمرأة في المملكة العربية السعودية					
٣	قلة الإمكانيات المادية الضرورية اللازمة لمساعدة الضحايا من النساء لحين حصولهن على حقوقهن كاملة					
٤	لا يوجد تشريع أو نظام صارم وصریح يحدد عمل الهيئة ويمكنها من الفصل في المشكلات وملاحقة مرتكبي الجرائم ضد النساء					
٥	تتحفظ بعض النساء في المجتمع السعودي عن الإبلاغ عن بعض الانتهاكات الواقعة بحقهن خوفاً من سطوة ولي الأمر					

المجال الثالث: آليات التعامل مع قضايا المرأة في هيئة حقوق الإنسان

الرقم	الفقرات	موافق بشدة	موافق	لا رأي لي	غير موافق	غير موافق بشدة
١	تقديم الحلول والبدائل والاستشارات القانونية لمساعدة النساء وتوجيههن بما يساعدهن على حل مشكلاتهن					
٢	متابعة أحوال الشاكيات ورعايتهن وتوفير الدعم المادي والخدمات العلاجية لضحايا الحالات التي تستلزم العلاج كالعنف الأسري.					
٣	تسهيل لجوء بعض الشاكيات إلى جهات القضاء وتوكيل المحامين للدفاع عنهن					
٤	التنسيق مع وزارة الشؤون الاجتماعية لمساعدة الشاكيات وتسوية المنازعات الأسرية بمنأى عن أجهزة الشرطة					
٥	تلقي البلاغات والشكاوى المتعلقة بقضايا المرأة، والتحقق من صحتها والبت فيها من خلال توفير خط هاتف مجاني لتلقي الاستشارات، والرد عليها					
٦	تقديم البرامج والخدمات الإرشادية لنشر ثقافة حقوق المرأة والتوعية من خلال عقد الندوات والمشاركة في المؤتمرات الإقليمية والدولية الخاصة بقضايا المرأة					
٧	توفير الأمن والحماية، وذلك بالتنسيق مع الجهات الأمنية كإقسام الشرطة، والإمارة، وغيرها لمساعدة الضحايا ومعاينة المعتدي					

برأيك كيف يمكن تفعيل دور الهيئة للتعامل الأمثل في قضايا المرأة؟

.....

.....

ضمانات مراقبة مشروعية المكالمات الهاتفية في القانون الليبي والمصري دراسة مقارنة

أ. علي محمد علي عنيبة*



المشرع قد يضحى أحياناً ببعض عناصر الحق في الحياة الخاصة لتحقيق أكبر قدر من العدالة، فقد يكون في ضبط الرسائل أو مراقبة المحادثات أو تسجيلها دليل على وقوع إحدى الجرائم أو نسبتها للمتهم.

مختلف السبل بغية الكشف عن الحقيقة إذا ما تعذر عليها الوصول إليها في إطار الاحترام المطلق لحرمة الحياة الخاصة للأفراد، خاصة بعد تسليح بعض الجناة بالوسائل العلمية الحديثة في مجال ارتكاب الجريمة، والتي قد يكون من الصعب الكشف عنها دون لجوء السلطات إلى مثل هذا التعدي على حق من سمح لنفسه بالتعدي على حقوق الغير إذا كان من شأن صيانة هذه الحقوق ضياع حقوق المجني عليهم^(١).

لكن التجريم المطلق لهذه الأفعال قد يكون من شأنه إعاقة السلطات في البحث عن الحقيقة، ومن ثم يتعذر عليه الكشف عن الجرائم وضبط المجرمين وإنزال العقاب بحقهم، وفي ضوء ذلك يحاول المشرع إقامة نوع من الموازنة بين مصلحتين، مصلحة المجتمع المتمثلة في إقامة العدالة وضبط الجاني وكشف الحقيقة، ومصلحة الأفراد في حرمة حياتهم الخاصة، ولن يأتي ذلك إلا بتخويل هذه السلطات الحق في سلوك

* طالب دكتوراة بكلية الشريعة والقانون جامعة العلوم الإسلامية الماليزية، عضو هيئة تدريس بكلية القانون، جامعة مصراتة/ليبيا. ali_aneba@yahoo.com

فالمكالمات الهاتفية تتضمن أدق أسرار الناس وخباياهم، ففيها يبدأ المتحدث إلى غيره في الحديث معه بحرية ويكشف له أسرارهِ ويبسط له أفكاره دون حرج أو خوف من تنصت الغير معتقداً أنه في سرية تامة عن الآخرين، لهذا كان التنصت على المكالمات الهاتفية كشفاً صريحاً لستار السرية وحجاب الكتمان الذي يستتر به المتحدثان خلاله. ومن هنا أثير التساؤل الآتي هل يجوز من أجل محاربة الجريمة والقبض على المجرمين تسور سياج السرية وخرق حجاب الخصوصية؟^(٢)

إن الإجابة عن هذا التساؤل يقتضي منا دراستنا لنص المادة ٧٩ من ق - إ - ج - لبيي التي تنص على أنه «لقاضي التحقيق أن يضبط لدى مكاتب البريد كافة الخطابات، والرسائل، والجرائد، والمطبوعات، والطرود، ولدى مكاتب التلغرافات كافة البرقيات، كما يجوز له مراقبة المحادثات التلفونية متى كان فائدة في ظهور الحقيقة»^(٣).

لذلك سيكون محور دراستنا لهذه الورقة تطوي على دراسة الضمانات المشروعة لمراقبة المحادثات الهاتفية وفقاً لما نص عليه المشرع الليبي والمصري.

ضمانات مشروعية مراقبة المحادثات الهاتفية

يعتبر الحق في حرمة الاتصالات ليس مطلقاً، والحق المطلق غير متصور في نظام الجماعة، لذلك يجوز استثناء انتهاك هذه الحرمة لمصلحة العدالة ووصولاً إلى الحقيقة، ولكن لا بد أن يتم ذلك وفقاً لشروط وإجراءات وضمانات محددة حتى لا يهدر هذا الحق كلية، فحق الجماعة في الدفاع عن مصالحها الحيوية ينبغي أن يوازن حق الأفراد في الحرية^(٤).

لذلك كان لا بد للمشرعين من التدخل من خلال قانون الإجراءات الجنائية لتنظيم سلطات التحقيق التنصت على المحادثات الهاتفية، حتى لا يؤدي عدم وجود تنظيم لاستخدام هذه الوسيلة التي تشكل قيداً خطيراً على الحريات وانتهاكاً لها، إلى اللجوء إليها بصورة غير رسمية وتعتمد عدم إثباتها في الأوراق والمحاضر، واستخدام نتائجها كوسيلة من وسائل الضغط على المتهم للحصول منه على الاعتراف خصوصاً في مرحلة جمع الاستدلال والتي قد تؤثر على فتاة القضاء من خلال إسناد الجريمة للمتهم، خاصة وأن المشرع الليبي الذي لم يرد بشأن مراقبة المحادثات الهاتفية إلا نص يكاد يكون يتيماً يخلو من أي ضمانات تشريعية، حيث أنه لم يقرر الحالات التي يتم فيها اللجوء لهذا الإجراء، ولا مدته، مما يجعله نصاً عاماً يهدر الضمانات القانونية المقررة لحقوق الأفراد، على عكس المشرع المصري الذي نظم استخدام هذا الإجراء في صلب قانون الإجراءات الجنائية من خلال المواد ٩٥ و ٩٥ مكرراً و ٢٠٦، كما جرم من خلال المادتين ٢٠٩ مكرراً

و ٢٠٩ مكرراً (أ) من قانون العقوبات إساءة استخدامه أو مخالفة شروط اللجوء إليه. ولذلك سنتناول في هذا المبحث شروط الإذن لمراقبة المحادثات الهاتفية^(٥).

الشروط المتعلقة بالإذن بمراقبة المحادثات الهاتفية

إن مراقبة المحادثات الشفهية أو الهاتفية يحتاج إلى كثير من الضمانات لمنع انتهاك حرمة تلك المحادثات الخاصة سواء بالنسبة للمتهم أو لغير المتهم متى كانت منقطعة الصلة عن موضوع المراقبة، ذلك أنه قد يحدث عند مراقبة المحادثات الشفهية التي تجري في مكان خاص أن يتم مراقبة محادثات الأشخاص الخاضعين للمراقبة، كما يحدث أيضاً أن يتم مراقبة محادثات الأشخاص الخاضعين للمراقبة ولكن المحادثة ليست لها علاقة بأي صلة بموضوع المراقبة. هذا بالنسبة لمراقبة المحادثات الشفهية الخاصة، وربما الحال يكون أسوأ لو تمت مراقبة المحادثات الهاتفية الذي يكون الهاتف فيها خاضعاً للمراقبة غالباً ما يستعمله أشخاص آخرون خلاف المتهم الذي تخضع محادثاته الهاتفية للمراقبة، فما مدى مشروعية مراقبة محادثات هؤلاء الأشخاص، كما أنه في أغلب الأحيان ما يستعمل الشخص الخاضع للمراقبة محادثاته منقطعة الصلة بموضوع المراقبة. فما مدى مشروعية مراقبة تلك المحادثات أيضاً؟^(٦)

للإجابة عن هذه التساؤل يتم من خلال تناولنا للضمانات اللازم توافرها للحكم بمشروعية مراقبة المحادثات التلفونية في القانون المصري الذي جاء أكثر وضوحاً وأكثر حماية وضمانة لحماية خصوصية الأفراد، ومن هذه الضمانات ضرورة الحصول على إذن من القاضي المختص، مع وجب أن يكون الأمر مسبباً، كذلك لا يجوز مراقبة المحادثات الهاتفية إلا بصدد جريمة معينة وقعت بالفعل، وأن تكون المراقبة لازمة لكشفها وضبط الجناة. وكذلك أيضاً ضرورة أن يحدد الإذن الصادر بمراقبة المحادثات المدة اللازمة لها^(٧).

أولاً: ضرورة صدور أمر من السلطة المختصة بمراقبة المحادثات الهاتفية

أناط قانون الإجراءات الجنائية المصري أحوال مراقبة المحادثات الهاتفية وتسجيلها لكل من قاضي التحقيق وقاضي الجزئي والنيابة العامة فأعطى لكل منهما اختصاصات معينة وذلك على النحو التالي:

١ - قاضي التحقيق: - وفقاً لنص المادة ٩٥ أ - ج - مصري إذا كان قاضي التحقيق هو الذي يتولى التحقيق، فإنه يكون وحده المختص بإصدار الإذن بالضبط والمراقبة دون الرجوع في ذلك إلى أي جهة أخرى، فلا يلزم الرجوع للقاضي الجزئي بأخذ الاستئذان منه^(٨)، بل تكون سلطته أوسع من سلطة القاضي الجزئي، فله أن يقوم بهذا الإجراء

بنفسه، أو أن يعهد بتنفيذه إلى أحد أعضاء النيابة العامة أو أحد مأموري الضبط القضائي وفقاً لما تقتضيه المادة ٧٠ من ق - إ - ج - المصري التي تجيز له أن يندب أيًا منهما لعمل معين من أعمال التحقيق وينتدب لتنفيذها أحد رجال الضبط القضائي^(٩)، كما يحق له أن يندب أحد رجال الضبط القضائي لتنفيذ المراقبة (١٠). ويخضع قاضي التحقيق فيما يصدر من أمر المراقبة الهاتفية وتنفيذه لإشراف محكمة الموضوع^(١١).

٢ - القاضي الجزئي: - تكمن سلطة القاضي الجزئي في مجرد صدور الإذن أو رفضه دون أن يخلع عليه القانون ولاية القيام بالإجراء موضوع الإذن نفسه، إذ أن من شأن النيابة العامة باعتبارها سلطة تحقيق تنفيذ الإذن بنفسها أو تدب ما تختاره من مأموري الضبط القضائي وليس للقاضي الجزئي أن يندب أحد هؤلاء لمباشرة تنفيذ هذا الإجراء^(١٢).

٣ - النيابة العامة: - تثبت لأعضاء النيابة العامة سلطة إجراء مراقبة لمحادثة هاتفية أو تسجيل محادثة جرت في مكان خاص ولكن المشرع اشترط ذلك في الحصول على أمر مسبب من القاضي الجزئي (م ٢٠٦ / ٣ - إ - ج -) مصري، فإذا كانت هي التي تتولى التحقيق ورأت ضرورة مراقبة المحادثات الهاتفية الخاصة بالمتهم أو ببعض المتهمين، فعليها أن تحصل على إذن من القاضي الجزئي لكي يمكنها مباشرة المراقبة بنفسها أو تدب أحد مأموري الضبط القضائي ويخضع في هذا التقدير لإشراف قضاء الموضوع عملاً بالمادة ٢٠٠ من ق - إ - ج - مصري^(١٣).

ثانياً: جواز مراقبة المحادثات الهاتفية إلا بصدد جريمة معينة وقعت بالفعل

إن مراقبة المحادثات الهاتفية إجراء خطير لانتهاكه لحق الإنسان في السرية، ومساسه بحريته الشخصية، لذلك استلزم القانون عدم مباشرة هذا الإجراء الاستثنائي إلا بصدد جريمة معينة. فمن ناحية يجب لمشروعية مراقبة المحادثات الهاتفية أن تتعلق بجريمة معينة على درجة من الجسامة وبعد وقوعها. حيث أن المشرع الليبي أو المصري لم يحدد أنواع الجرائم التي تبرر مراقبة المحادثات الهاتفية، بل اتخذ من نوع العقوبة معياراً لجسامة الجريمة، فاشتراط أن تكون مراقبة المحادثات متعلقة بجناية أو جنحة معاقباً عليها لمدة تزيد عن ثلاثة أشهر (م ٩٥، ٢٠٦. إ. ج) والتحديد السابق للعقوبة في القانون المصري يتعلق بالجرائم التي يجوز فيها الحبس الاحتياطي، فمراقبة المحادثات الهاتفية تجوز في جميع الجرائم التي يجوز فيها الحبس الاحتياطي^(١٤).

ثالثاً: أن يكون في إجراء المراقبة أو التسجيل فائدة لكشف الحقيقة

هذا ما ورد بنص المادتين ٩٥، ٢٠٦ إ - ج - مصري، وقد ورد فيهما بصيغة واحدة «وأن يأمر بمراقبة المحادثات السلكية واللاسلكية أو إجراء تسجيلات لأحداث جرت في مكان خاص متى كان لذلك فائدة في ظهور الحقيقة».

وطبقاً لذلك فإنه لا يكفي وقوع جريمة معينة لتبرير الإذن القضائي بل يجب فضلاً عن ذلك أن تكون هناك قرائن قوية على أن اتخاذ هذا الإجراء من شأنه أن يفيد في كشف الحقيقة، وإلا بطل الدليل المستمد منه، ويترتب على ذلك أن مجرد الظن بأن اتخاذ مثل هذا الإجراء من شأنه أن يميظ اللثام عن وجه الجناة أو عن بعض الوقائع المتصلة بالجريمة أمر ليس بكاف^(١٥). وذلك لأن المراقبة والتسجيل من الإجراءات الاستثنائية الماسة بحرمة الحياة الخاصة للأفراد، ولا يباح إلا استثناءً للفائدة المرجوة منه وهي كشف غموض الجريمة والعمل على ضبط الجناة^(١٦).

رابعاً: وجوب أن يكون الأمر بالمراقبة مسبباً

من الضمانات الأساسية التي قررها الدستور المصري الصادر عام ١٩٧١ ف وقانون الإجراءات الجنائية عدم جواز مراقبة المحادثات الهاتفية إلا بأمر قضائي مسبب^(١٧). ويرجع ذلك إلى رغبة المشرع في حماية حقوق وحريات الأفراد، باعتبار أن القضاء هو الحامي والحارس لها. لذلك يتعين على مصدر الإذن - قاضي التحقيق أو القاضي الجزئي أن يسبب الإذن الصادر منه^(١٨). كأن يثبت اطلاعه على محضر التحريات والتي أوردتها مأمور الضبط القضائي المرفقة بطلب النيابة العامة، وأن يعبر عن اطمئنانه إلى كفايتها، فضلاً عن إثبات تعلق الإذن بجناية أو جنحة معاقباً عليها بالحبس مدة تزيد عن ثلاثة أشهر، وعن اقتناعه بضرورة الإذن للوصول للحقيقة^(١٩).

خامساً: يجب أن يكون الإذن القضائي لمدة محدودة

من الضمانات الهامة اللازمة لمشروعية مراقبة المحادثات الهاتفية ضرورة أن يتضمن إذن القاضي الجزئي، أو أمر من قاضي التحقيق بالمراقبة تحديد مدة المراقبة، على نحو يلتزم بها مأمور الضبط القضائي الذي يباشر تنفيذ الأمر بالمراقبة. وتحديد مدة للمراقبة يعد تجديدًا يجد مصدره في دستور سنة ١٩٧١ م^(٢٠). ثم صدر القانون رقم ٣٧ لسنة ١٩٧٢ م، تنفيذاً لما بالدستور، فحدد هذه المادة بثلاثين يوماً قابلة للتجديد لمدة أو مدد أخرى مماثلة^(٢١). ويكمن الهدف من تحديد مدة المراقبة هو منع التعسف، وتجدد أساسها

في الضمانة السابقة المتمثلة في أن المراقبة لا يؤمر بها إلا إذا كانت هناك ضرورة لكشف الحقيقة، وهذه الضرورة تساعد القاضي المختص أيضاً في تقدير مدة المراقبة فترتبط هذه المدة بالضرورة وجوداً وعدم^(٢٣).

الخاتمة

بعد أن انتهينا من دراسة الضمانات القانونية لحرمة المكالمات الهاتفية في التشريعين الليبي والمصري يتبين تبين للباحث أن التطورات التكنولوجية الحديثة ساهمت في التعدي على حق الإنسان في حرمة اتصالاته والتعري بشكل كبير وذلك بما أنتجته الأجهزة الحديثة من وسائل تسهل من انتهاك هذا الحق، الأمر الذي يتطلب ضرورة النظر في النصوص القانونية، بمراجعتها من الناحية الفنية والتدخل بالحذف أو التعديل أو الإضافة وذلك من خلال إظهار أبرز النتائج والتوصيات على النحو التالي:

١- كشفت الدراسة لنا أن المشرع الليبي لم يرد بشأن مراقبة المحادثات الهاتفية إلا نص يكاد يكون يتيماً يخلو من أي ضمانة تشريعية، حيث أنه لم يقرر الحالات التي يتم فيها اللجوء لهذا الإجراء، ولا مدته، مما يجعله نصاً عاماً يهدر الضمانات القانونية المقررة لحقوق الأفراد، على عكس المشرع المصري الذي نظم استخدام هذا الإجراء في صلب قانون الإجراءات الجنائية من خلال المواد ٩٥ و ٩٥ مكرراً و ٢٠٦، كما جرم من خلال المادتين ٣٠٩ مكرراً و ٣٠٩ مكرراً (أ) من قانون العقوبات إساءة استخدامه أو مخالفة شروط اللجوء إليه.

٢- أظهرت الدراسة لنا مسلك المشرع المصري فيما يتعلق بتحديد مدة المراقبة في المادة (٤٥) من الدستور، إلا أنه في المادتين ٩٥، ٢٠٦ من ق - إ - ج في مقابل تحديده مدة المراقبة قرر أن لا تزيد عن ثلاثين يوماً، أجاز تجديد هذه المدة لمدة أو مدد أخرى مماثلة، مما يؤدي إلى سريان الأمر بالمراقبة إلى ما لا نهاية دون التقييد بحد أقصى لمدة المراقبة، وهو أمر يفتح باب التعسف في استخدام السلطة ويخرج الإجراء عن الغاية الشرعية التي توخاها المشرع، كما يتعارض مع أحكام الدستور التي أوجب أن تكون المراقبة محددة.

٣- أثبتت الدراسة لنا حرص المشرع المصري على وضع المراقبة في يد السلطة القضائية، ذلك أن القضاة مستقلون لا يخضعون في أعمالهم لغير القانون، لذا لا مخافة للتأثير عليهم من جانب أي سلطة من سلطات الدولة، فالمشرع أجاز لقاضي التحقيق أن يراقب الأحاديث الخاصة المادة (٩٥ إ - ج)، أما النيابة العامة فلا يجوز لها أن تراقب إلا بعد استئذان القاضي الجزئي لها (المادة ٢٠٦ إ - ج).

٤- كشفت الدراسة لنا أن الدستور المصري وقانون إجراءاته الجنائية قد نصا على ضرورة تسبب أمر المراقبة، إلا أن قضاء محكمة النقض ذهبت إلى إعطاء التسبب مفهوما متواسعا للغاية حاصلة الإكتفاء به بمجرد الإطلاع على محضر التحريات، وإثبات صدور أوامر المراقبة على هذا المحضر دون حاجة إلى تسبب الأمر ذاته.

التوصيات

بعد وأن استعرضنا للنتائج التي توصلنا إليها يمكننا عرض التوصيات التي نراها بأن تكون محل اعتبار ونجملها على النحو التالي:

أولاً: القانون الليبي

- ١- يضع الباحث بين يدي المشرع الليبي عدداً من التوصيات نوردتها على النحو التالي:
- ١- ضرورة النص في قانون العقوبات على تجريم الاعتداء على الحق في الخصوصية والتي تضم جريمة التقاط أو تسجيل أو نقل الأحاديث الخاصة، وجريمة التقاط أو تسجيل أو نقل الصورة.
- ٢- يتوجب على المشرع الليبي أن يضع ضمانات وضوابط قانونية متكافئة مع شدة المراقبة، ومن هذه الضمانات أن يكون إصدار الإذن بالمراقبة من اختصاص السلطة القضائية مع تسبب أمر المراقبة، وقصر المراقبة على المتهم الذي تتوافر دلائل كتمية على ارتكابه للجريمة، وكذلك قصر المراقبة على الجرائم الخطيرة، وتحديد حد أقصى لمدة المراقبة، فضلاً عن ذلك حماية التسجيلات من العبث وبيان مصيرها، والمدة التي يمكن الاحتفاظ بها، ثم محوها أو إعدامها وتمكين المتهم من الاطلاع عليها. قبل البدء بالتحقيق معه.
- ٣- إن المشرع وتحديد في المادة ٧٩ من قانون عقوباته وهو النص اليتيم الذي أجاز مراقبة المحادثات الهاتفية فقط، أما المحادثات الشخصية والتصوير خفية في مكان خاص لم ينص على جواز مراقبتها، لذلك نهيب مشرعنا الليبي بأن يقوم تعديل نص المادة المذكورة بحيث يخول قاضي التحقيق والقاضي الجزئي حسب الأحوال سلطة الأمر بتسجيل المحادثات الشخصية والتصوير خفية في مكان خاص بذات الضمانات والضوابط المقترحة كما سبق ذكرها.

ثانياً: القانون المصري

- ١- نهيب المشرع المصري ضرورة تعديل نص المادتين (٩٥-٢٠٦) من ق - إ - ج على أن تتضمن المادتين نصاً صريحاً يجيز لقاضي التحقيق أو للقاضي الجزئي أو النيابة العامة وفقاً للمادة ٢٠٦ إصدار أمر بتصوير المتهم على النحو الوارد بصدور الأمر بتسجيل المحادثات الخاصة بالإضافة إلى ضرورة إخطار المتهم بالمراقبات

والتسجيلات ومواجهته بها قبل البدء في التحقيق معه، وإعدام التسجيلات التي تمت في غير الأحوال المنصوص عليها في القانون وعدم استخدام نتائجها. أما التسجيلات الأخرى القانونية فيجب النص على حفظها خلال المدة اللازمة لانقضاء الدعوى الجنائية ثم إعدامها بعد ذلك، كما ندعو المشرع المصري أيضاً إلى الأخذ بمعيار خصوصية الحديث الحديث من أجل بسط الحماية الجنائية للأحداث الخاصة التي تدور في الأماكن العامة.

٢- ضرورة تثقيف رجال الضبط والمحققين من الناحية القانونية من خلال عقد الدورات المتخصصة، ولقاءات قانونية بشأن مراعاة حقوق المتهمين وحرياتهم، وعلى الأخص حقهم في الخصوصية عند الاستعانة بالمراقبة الإلكترونية والمتمثلة بالمراقبة الهاتفية وتسجيل المحادثات والتصوير، مع ضرورة توعيتهم بالإجراءات القانونية الواجب اتباعها عند القيام بواجب المراقبة بما يكفل مشروعية هذا الإجراء المستند منه دليل الإدانة المشروع.

قائمة المراجع

أولاً: الكتب القانونية

- ١- الأمين، سمير. ٢٠٠٣. المشكلات العملية في مراقبة التلفون والتسجيلات الصوتية والمرئية وأثرهما في الإثبات الجنائي. القاهرة، المركز القومي للإصدارات القانونية.
- ٢- القطعاني، محمد رشاد. ٢٠٠٩. الحماية الجنائية للحق في حرمة الاتصالات الشخصية. الإسكندرية، الفتح للطباعة والنشر.
- ٣- بحر، محمود خليل. ١٩٩٦. حماية الحياة الخاصة في القانون الجنائي، الأردن، دار الثقافة للنشر والتوزيع.
- ٤- طه، محمود أحمد. طه، محمود أحمد. ١٩٩٣، التعدي على حق الإنسان في سرية اتصالاته الشخصية بين التجريم والمشروعية، القاهرة، دار النهضة العربية.
- ٥- عطية، كاظم السيد. د. ت. الحماية الجنائية لحق المتهم في الخصوصية. القاهرة، دار النهضة العربية.
- ٦- محمد، جودة حسين. ٢٠٠٠. مدى مشروعية التنصت الإلكتروني الخاص في النظام الأمريكي، القاهرة، دار النهضة العربية.
- ٧- عقيدة، محمد أبو العلا. ٢٠٠٨ ف. مراقبة المحادثات التلفونية - دراسة مقارنة - القاهرة، دار النهضة العربية، ط ٢.
- ٨- حسني، محمود نجيب حسني. ١٩٨٨. الإجراءات الجنائية تأصيلاً وتحليلاً. القاهرة، دار النهضة العربية.
- ٩- بكر، عبدالمهيمن. ١٩٩٦. إجراءات الأدلة الجنائية.. د. م. د. ج.

ثانياً: الأطروحات

- ١- بن ساحو، عبدالله على سعيد. ٢٠٠٢. الحماية الجنائية لحرمة المسكن. رسالة دكتوراة، كلية القانون، جامعة القاهرة.

ثالثاً: المقالات

- ١- أبو شعبة، فادية. ١٩٩٧. الحق في الخصوصية. المجلة الجنائية القومية. العدد ١، ٢، ٣، مارس/ يوليو ونوفمبر ١٩٩٧.

- ٢- سرور، أحمد فتحي. ١٩٦٣. مراقبة المكالمات التلفونية. المجلة الجنائية القومية. العدد الأول. مارس. المجلد السادس. ص ١٤٦.
- ٣- مهدي، عبد الرؤوف. ١٩٨٧. المشكلات التي يثيرها التنصت على الأحاديث الشخصية والتلفونية وتسجيلها، (ورقة عمل) مؤتمر الحق في الحياة الخاصة، الإسكندرية، ٤ - ٦ يونيو ١٩٨٧.

الهوامش

- ١- طه، محمود أحمد. ١٩٩٣. التعدي على حق الإنسان في سرية اتصالاته الشخصية بين التجريم والمشروعية. القاهرة: دار النهضة العربية. ص ١٦٦.
- ٢- سرور، أحمد فتحي. ١٩٦٣. مراقبة المكالمات التلفونية. المجلة الجنائية القومية. العدد الأول. مارس. المجلد السادس. ص ١٤٦.
- ٣- ولهذا النص مقابل له في التشريع المصري الذي يكون أفضل وضوحاً وأكثر ضماناً لحماية خصوصية الأفراد، إذ تنص المادة ٩٥ ق - إ - ج - على أنه « لقاضي التحقيق أن يأمر بضبط جميع الخطابات والرسائل والجرائد، والمطبوعات، والطرود، لدى مكاتب البريد وجميع البرقيات لدى مكاتب البرق وأن يامر بمراقبة المحادثات السلوكية واللاسلكية أو إجراء تسجيلات لأحاديث جرت في مكان خاص متى كان فائدة في ظهور الحقيقة في جناية أو جنحة معاقب عليها بالحبس لمدة تزيد على ثلاثة أشهر».
- ٤- القطعاني، محمد رشاد. ٢٠٠٩. الحماية الجنائية للحق في حرمة الاتصالات الشخصية. الإسكندرية: الفتح للطباعة والنشر. ص ١٢١.
- ٥- بن ساحو، عبدالله على سعيد. ٢٠٠٢. الحماية الجنائية لحرمة المسكن. رسالة دكتوراة، كلية القانون. جامعة القاهرة. ص ٤١٣.
- ٦- عطية، كاظم السيد. د. ت. الحماية الجنائية لحق المتهم في الخصوصية. القاهرة: دار النهضة العربية. ص ٥١٧. محمد، جودة حسين. ٢٠٠٠. مدى مشروعية التنصت الإلكتروني الخاص في النظام الأمريكي. القاهرة: دار النهضة العربية. ص ٤.
- ٧- عقيدة، محمد أبو العلا. ٢٠٠٨. مراقبة المحادثات التلفونية - دراسة مقارنة -. القاهرة: دار النهضة العربية. ط ٢. ص ١٦٨.
- ٨- انظر المادة المذكورة أعلاه. الأمين، سمير. ٢٠٠٣. المشكلات العملية في مراقبة التلفون والتسجيلات الصوتية والمرئية وأثرهما في الإثبات الجنائي. القاهرة: المركز القومي للإصدارات القانونية. الطبعة الرابعة. ص ١٩.
- ٩- حسني، محمود نجيب حسني. ١٩٨٨. الإجراءات الجنائية تأصيلاً وتحليلاً. القاهرة: دار النهضة العربية. ص ٦٦٨.
- ١٠- عقيدة، محمد أبو العلا. ٢٠٠٨. مراقبة المحادثات التلفونية - دراسة مقارنة -. مرجع سابق. ص ١٦٩.
- ١١- بكر، عبد المهيمن. ١٩٩٦. إجراءات الأدلة الجنائية. د. م. د. ج. ص ٣٦٦.
- ١٢- الأمين، سمير. ٢٠٠٣. المشكلات العملية في مراقبة التلفون والتسجيلات الصوتية والمرئية وأثرهما في الإثبات الجنائي. مرجع سابق. ص ١٨. وأيضاً: طه، محمود أحمد. ١٩٩٣. ف. التعدي

- على حق الانسان في سرية اتصالاته الشخصية بين التجريم والمشروعية. مرجع سابق. ص ٢٠٣.
- وأيضاً: سرور، أحمد فتحي. ١٩٦٣. مراقبة المكالمات التلفونية. مرجع سابق. ص ١٤٦.
- ١٣- انظر: الأمين، سمير. ٢٠٠٣. المشكلات العملية في مراقبة التلفون والتسجيلات الصوتية والمرئية وأثرهما في الإثبات الجنائي. مرجع سابق. ص ١٩ - ٢٠. وأيضاً: عقيدة، محمد أبو العلا. ٢٠٠٨.
- مراقبة المحادثات التلفونية - دراسة مقارنة - مرجع سابق. ص ١٧٠.
- ١٤- عقيدة، محمد أبو العلا. ٢٠٠٨. مراقبة المحادثات التلفونية - دراسة مقارنة - مرجع سابق. ص ١٨٩-١٩٠. وأيضاً: أبو شهبة، فادية. ١٩٩٧. الحق في الخصوصية. مرجع سابق. ص ٣٢٦.
- ١٥- بحر، محمود خليل. ١٩٩٦. حماية الحياة الخاصة في القانون الجنائي. الأردن: دار الثقافة للنشر والتوزيع. ص ٦١٠.
- وفي هذا الصدد قضت محكمة النقض المصرية في حكم لها بقولها أنه: «لا يسمح بهذا الإجراء مراقبة وتسجيل المحادثات لمجرد البلاغ والظنون والشكوك أو البحث عن الأدلة، وإنما عند توافر أدلة جادة تقتضي تدعيمها بنتائج هذا الإجراء... فلا يكون إلا لضرورة ترضيها فاعلية العدالة الجنائية وما تقتضيه من تأكيد الأدلة المتوافرة بضبط ما يفيد في كشف الحقيقة في الجرائم...».
- طعن جنائي مصري رقم ٦٨٥٢. تاريخ الجلسة ١٤/١٠/١٩٩٦. مجموعة أحكام النقض. س ٥٩ ق. ص ٤٧. ص ٧٢.
- ١٦- أبو شهبة، فادية. ١٩٩٧. الحق في الخصوصية. العدد ١، ٢، ٣، مارس/يوليو ونوفمبر ١٩٩٧ م. ص ٣٢٧. وأيضاً: طه، محمود أحمد. ١٩٩٣ م. التعدي على حق الانسان في سرية اتصالاته الشخصية بين التجريم والمشروعية. مرجع سابق. ص ١٩٦.
- ١٧- انظر المادة ٩٥ من ق - إ - ج - ج مصري الذي أكدت هذه الضمانة مستلزمة إصدار أمر قضائي مسبب عند إجراء هذه المراقبة.
- ١٨- عقيدة، محمد أبو العلا. ٢٠٠٨. مراقبة المحادثات التلفونية - دراسة مقارنة - مرجع سابق. ص ١٨٦. وأيضاً: مهدي، عبدالرؤف. ١٩٨٧. «المشكلات التي يثيرها التنصت على الأحاديث الشخصية والتلفونية وتسجيلها». (ورقة عمل) مؤتمر «الحق في الحياة الخاصة». الإسكندرية. ٤ - ٦ يونيو ١٩٨٧. ص ١٢.
- ١٩- طه، محمود أحمد. ١٩٩٣. التعدي على حق الانسان في سرية اتصالاته الشخصية بين التجريم والمشروعية. مرجع سابق. ص ١٩٨.
- ٢٠- انظر المادة ٤٥ من الدستور المصري.
- ٢١- انظر المادتين (٩٥ / ٢، ٢٠٦ / ٤ - إ - ج مصري).
- ٢٢- عقيدة، محمد أبو العلا. ٢٠٠٨. مراقبة المحادثات التلفونية - دراسة مقارنة - مرجع سابق. ص ١٩٣. وأيضاً: أبو شهبة، فادية. ١٩٩٧. الحق في الخصوصية. مرجع سابق. ص ٣٢٩-٣٣٠.
- وأيضاً: طه، محمود أحمد. ١٩٩٣ م. التعدي على حق الانسان في سرية اتصالاته الشخصية بين التجريم والمشروعية. مرجع سابق. ص ١٩٨.

العقائد الدينية الليبية القديمة وفق المصادر الكلاسيكية

د. محمد علي حسين الدراوي



ومن العقائد الأخرى هي الطوطمية التي وجدت عند قبيلة البسيلي. وكذلك الإيمان بالعين الشريرة وعبادة الأسلاف وتقديسهم واستغلال قبورهم في استطلاع الغيب ومعرفة المستقبل.

أما طرق الدفن التي اتبعتها الليبيون القدماء فهي عدة، ودلت في مجملها على إيمانهم بوجود نوع من الحياة الأخرى، وإن لم تدل على توصله لفكرة الحساب في تلك الحياة.

لقد شكل الدين عنصراً هاماً في حياة القبائل الليبية القديمة التي عاشت في المنطقة التي تتحدد معالمها بين بحيرة تريتونيس (خليج قابس بتونس حالياً) غرباً ومصر شرقاً، والذين اصطلح على تسميتهم بالليبيين الشرقيين. وتعد الكتابات الكلاسيكية من المصادر الأساسية لدراسة هذا الجانب، إذ قدمت الكثير من المعلومات المهمة عن العقائد الدينية التي مارسها الليبيون القدماء المعاصرون لتلك المصادر منذ حوالي القرن الرابع قبل الميلاد.

لقد قدس الليبي القديم العديد من الظواهر الطبيعية المحيطة بهم مثل الشمس والقمر والعيون والآبار والأشجار والتلال والسحب والرياح والأحجار، وضحى لها واعتقد بأن هذه الظواهر تسكنها قوى روحية.

• دكتورة في التاريخ القديم، رئيس قسم الآثار الكلاسيكية كلية الآثار والسياحة، جامعة المرقب/ ليبيا.

dr.mohamedali25@gmail.com

The Ancient Libyan Religious Beliefs According to Classical Sources

Dr. Mohamed Ali Darawi

The religion was an important element in the life of the ancient Libyan tribes that lived in the area that is determined by its landmarks between Lake Tritons (the Gulf of Gabes in Tunisia now) to the west and Egypt in the east, and who used to be named the Eastern Libyans.

The classic writings are the main sources for the study of this aspect, as provided a lot of important information about the religious beliefs practiced by the ancient contemporary Libyans for such sources since about the fourth century B.C.

The old Libyan consecrated several natural phenomena surrounding them like the sun, the moon, the springs, wells, trees, hills, clouds, wind and stones, he sacrificed to them and I think that these phenomena are inhabited by a spiritual powers.

From other beliefs was Totemism that was found on tribe “yulloi”. As well as the belief in the evil eye, worshipping ancestors and sanctify them and exploited their graves in the poll unseen and knowing the future.

The methods of burial followed by the ancient Libyans are several, and shown in its entirety on their belief in the existence of other kind of life, though it did not indicate that they reached for the idea of account in that life.

مدخل

تعتمد معلوماتنا عن الليبيين وقبائلهم على مصدرين أساسيين، أولهما الكتابات المصرية القديمة، التي بدأت تطالعنا بمعلومات عنهم منذ عصر ما قبل الأسرات، فقد أشارت إلى الليبيين المجاورين لمصر مثل التحنو والتمحو والليو والمشواش إضافةً لعدد آخر من المجموعات الصغيرة^(١)، أما ثاني تلك المصادر فهي الكتابات الكلاسيكية التي كان من أهمها وأبرزها كتابات المؤرخ هيرودوتس، التي تحدث فيها عن ليبيا والليبيين بشيء من التفصيل، فليبيا عنده تبدأ من حيث تنتهي مصر من جهة الغرب^(٢)، وقسم الليبيين إلى مجموعتين بشريتين الأولى منها تعيش إلى الغرب من بحيرة تريتونيس (ربما خليج قابس بتونس)، وتعتمد في معيشتها على الزراعة، أما المجموعة الثانية فهي التي تعيش للشرق من ذلك، وتعتمد في حياتها على الرعي، ومن أبرز قبائلها الأورماخيدي والجيلجامي والأسبوستاي والأسخيساي والنسامونيس والبسيل والجرامنت والمكاي^(٣) (الشكل ١)، وهي المجموعات التي أسماها أورك بيتس بالليبيين الشرقيين^(٤)، وهي موضوع اهتمام هذا البحث.

مشكلة البحث: تتمحور مشكلة هذا البحث حول موضوع العقائد الدينية الليبية القديمة وفق ما جاء في المصادر الكلاسيكية المختلفة.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى دراسة الفكر الديني ومراحل تطوره عند الإنسان الليبي القديم، من خلال المصادر الكلاسيكية.

أهمية البحث: لقد شكل الدين عنصراً مهماً في حياة الإنسان الليبي القديم، إلا أن ما نعرفه عن هذا الجانب قليل جداً، وذلك لأسباب عدة من أهمها اهتمام أغلب البعثات الأثرية الأجنبية بالمراحل الإغريقية والرومانية والبيزنطية دون غيرها، إضافة لقلة عدد المختصين بتاريخ ليبيا القديم. وعليه كان من الضروري وجود دراسة تلقي الضوء على هذا الجانب المهم.

الفروض: يفترض البحث أن جهل الإنسان الليبي القديم بما يحيط به من ظواهر طبيعية مختلفة جعله يقدها ويعبدها إما خوفاً منها أو للسيطرة عليها. وإن هناك ارتباط وثيق بين الجانب الديني عند الليبي القديم بجوانب أخرى من حياته، كالجوانب الاقتصادية والاجتماعية.

منهجية البحث

اعتمد الباحث في بحثه هذا على المنهج التاريخي المعتمد على التحليل النقدي. ولدراسة هذا الموضوع قسم البحث إلى ثلاثة محاور رئيسة وهي:

مراحل الديانة الليبية

١- الإيمان بالحيوية: تعد مرحلة الإيمان بالحيوية من أولى المراحل التي مرت بها الديانة الليبية القديمة، والتي تتمثل بتقديس الظواهر الطبيعية، مثل العيون والآبار والأشجار والتلال والسحب والرياح والعواصف والأحجار، واعتقد الليبي القديم بأن هذه الظواهر مليئة بالقوة الروحية التي تسكنها، وقد ظلت هذه المعتقدات متمسكة بها حتى الأزمنة الكلاسيكية. أشار بعض الكتاب المعاصرين لتلك الفترة إلى وجود صفات حرارية لينبوع الشمس في واحة سيوة^(٥)، وذكر بليني أن سكان هذه الواحة كانوا يقدسون حجراً، وأنه ما من أحد تجرأ ولمسه بيده حتى تهب عاصفة رملية عنيفة ومهلكة^(٦)، رأى أورك بيتس^(٧) بأن هذا اعتقاد ليبي بكون الرياح الجنوبية تسكنها أرواح، وفي هذا الإطار ذكر هيرودوتس نقلاً عن الليبيين بأن الخراب والدمار أصاب قبيلة البسيلي (ψυλλοι)^(*) بسبب الرياح الجنوبية التي عصفت بهم لوقت طويل إلى أن جفت مياه آبارهم، الأمر الذي دفع هؤلاء البسيلي لإعلان الحرب على هذه الرياح والزحف إلى الصحراء حيث هبت عليهم ريح جنوبية قوية غمرتهم برمائها^(٨)، هذه الأسطورة تذكر بأسطورة أخرى أوردها هيرودوتس أيضاً حول حملة قمبيز الثالث ضد معبد نبوءات آمون في واحة سيوة، لإثبات كذب كهنة هذا المعبد الذين تنبؤوا بأن الفرس سيرحلون عن مصر، وأن قمبيز سيلاقي سوء المصير في القريب العاجل، فذكر أن قمبيز الثالث خرج على رأس جيش من طيبة بمصر ووصل إلى الواحات الخارجية بعد سبعة أيام ومكث هناك بعض الوقت وأخذ معه ما يلزمه من مؤن وأدلاء، وواصل طريقه إلى واحة سيوة، ولكن هذا الجيش هلك بأكمله في الصحراء، ولم يصل أو يعود منه أحد، وأضاف هيرودوتس بأن الأمونيون عندما سُئلوا عن مصير ذلك الجيش، أجابوا بأنه بعد خروجه من واحة الخارجية أرسل عليهم الإله آمون مقتله وانتقامه، فقامت عاصفة رملية شديدة ردمت ذلك الجيش تحتها^(٩).

وضمن الاعتقاد بالحيوية لدى الليبيين أيضاً، عبادة الجبال، ذكر بليني في هذا الإطار بأن أنظار الليبيين كانت مشدودة إلى جبال أطلس، وأن من يقترب منه يتملكه الشعور بالخوف والرغبة حين مشاهدته لقمته المعانقة للسحاب^(١٠).

إضافة للاعتقادات السابقة، لاحظ هيرودوتس بأن كل الليبيين ضحوا للشمس والقمر، التي يتقربون إليها بالأعطيات الحيوانية، ويقدم لنا وصفا لطريقة تضحياتهم، فيقول بأنهم كانوا يقطعون أذنها أولاً ثم يرمونها على مساكنهم، بعد ذلك يقتلون تلك الأضحية بلوي رقبتها^(١١).

أ. عبادة الشمس: تجلت عبادة الشمس عند الليبيين القدماء في العديد من المظاهر التي تؤكد انتشارها، فقد كان هناك ينبوعاً مقدساً للشمس في واحة سيوة^(١٢)، وذكر شيشرون بأن مسنن^(١٣) قدم الشكر للشمس وغيرها من آلهة السماء^(١٤)، وأشار المؤرخ العربي ابن خلدون إلى أن البربر كانوا في عهودهم القديمة يعبدون الشمس^(١٥). وكانت العقيدة الآمونية لها توحيد خاص للقبائل الليبية، وخاصة قبائل الصحراء والواحات، فقد توجه كاركسان (Carcasan) زعيم التحالف الليبي من قبائل النسامونيس والجرامنت ولواتا ضد الاحتلال البيزنطي إلى معبد آمون في سيوة طلباً لمشورته والذي نبأ بأنه سينتصر ويدخل قرطاج مظفراً^(١٦)، هذه الحادثة وإن جاءت في فترة متأخرة إلا أنها تعكس مدى تغلغل عقيدة آمون في نفوس الليبيين، وتجدر الإشارة إلى أن مركز هذه العقيدة كان واحة سيوة. وهناك خلاف بين المؤرخين حول جذوره، ففي الوقت الذي يرى فيه بعضهم بأن أصوله مصرية وانتقال عبادته من طيبة مركز عبادة الإله آمون رع المصري إلى واحة سيوة قبل القرن السادس قبل الميلاد^(١٧)، أكد آخرون على أصوله الليبية وانتقاله إلى مصر مع المهاجرين الليبيين الأوائل، واتحد مع أحد آلهة مصر العليا وتعاظم شأنه في عصر الإمبراطورية حيث أقيم له معبد في سيوة^(١٨)، إلا أن هناك من يؤكد بأن مركز هذه العقيدة محلي في سيوة، ومنها انتشرت شرقاً اتجاه مصر وغرباً عبر الصحاري الليبية^(١٩)، ربما هذا الرأي أقرب لجادة الصواب، لأن خصائص آمون الليبي في الغرب تختلف عن طبيعة آمون رع المصري الذي كان إلهاً للإخصاب والزرع والحصاد، مما يعكس طبيعة مصر الزراعية^(٢٠)، في حين نجد آمون الليبي حامياً للمسافرين في الطرق الصحراوية، يرشدتهم إلى منابع المياه والآبار، والأهم من ذلك أنه أصبح إله تنبؤات^(٢١).

إن أدلة انتشار العقيدة الآمونية عديدة وإن كانت تعود في مجملها للعصر الروماني، وتتجلى في أسماء بعض المواقع مثل آد آمونيوم -ملية الحالية على بعد ٢٥ كيلومتر غربي مدينة صبراتة- وآمونوس بوليس^(٢٢)، كما نجد دخول اسم آمون في تركيبة بعض أسماء الأعلام، حيث عثر بإحدى دياميس الدفن (Catacomba)^(*) في صبراتة على اسم فتاة تدعى أوريليا هامونيللا (Aurelliae Hammonillae)، فاسم هامونيللا تصغير لاسم آمونيا المشتق من اسم آمون^(٢٣)، إضافة لذلك كُرس له بعض المعابد، فقد اكتشف معبداً برأس الحداجية في تروهونة، بناه وكرسه له أحد الليبيين على نفقته الخاصة زمن نائب القنصل لوكيوس أوليوس لاميا سنة ١٥-١٧ م (الشكل ٢)^(٢٤) جاء فيه:

1. לאדן לאמן מאש אלם שפער סת ומקדש בתאי וחרפאת אש באנא ואיקדש.

2.בשת רב תאחת רב מחנת בשד לובים לוקי עילי לעמיע.

الترجمة

١- إلى الإله آمون هذا التمثال (الإله) الجميل وحرّم المعبد والرواق الذي بني وكرس.

٢- في سنة بروقتصل أرض الليبيين، لوكيوس إليوس لاميا.....

وهناك معبد آخر في زاوية المحجوب غربي مدينة مصراتة الحالية^(٢٤). كما أكدت صورة الثور الحامل بين قرنيه قرص الشمس (الشكل ٣) والمكتشفة بمنطقة مية ديب جنوبي مدينة مزدة بحوالي ٣٠ كيلومتر^(٢٥)، وجود هذه العقيدة.

من مظاهر عبادة الشمس لدى الليبيين أيضاً، تقديسهم للإله قورزيل، الذي يقول عنه الشاعر كوريوبس أنه ابن الإله آمون من بقرة^(٢٦)، وأنه عظيم عند الليبيين، وقد استمرت عبادته زمناً طويلاً بينهم، أورد البكري خلال القرن الحادي عشر بأن هناك قبائل ليبية عديدة في طرابلس بينها قبيلة هواره لها صنم حجري وضع على قمة مرتفعة يسمى كرزة، تتبرك به ضماناً لحماية قطعانها^(*).

يبدو أن طبيعة قورزيل الأصلية تغيرت، من حام للقطعان إلى إله للحرب، فقد حملت قبيلة لواتة معها صورة تمثل ثوراً يجسد إلههم قورزيل إلى ميدان معركتهم مع البيزنطيين^(٢٧).

ب- عبادة القمر: العبادة الأخرى التي مارسها الليبيون وفقاً لهيرودوتس كانت عبادة القمر، فحول ذلك يقول «وهم - أي الليبيون - لا يضحون لأية آلهة أخرى سوى الشمس والقمر، وهذه هي عادة الليبيين جميعاً»^(٢٨)، ووصف بعض المؤرخين عبادة القمر بأنها عبادة فينيقية، انتقلت لليبيين من خلال المراكز الفينيقية بمنطقة المدن الثلاث^(٢٩)، إلا أنه من المرجح بأنها عبادة ليبية، فهناك أسطورتان لهما كثير من الدلالة، الأولى تذكر بأن النسامونيس كانوا لا يبحثون عن العقيق المقدس إلا إذا اكتمل القمر، أما الثانية فتقول بأن سكان واحة سيوة يعتقدون بأن الملح في واحتهم يتعاظم أو يقل تبعاً لازدياد حجم القمر أو نقصانه^(٣٠)، إن المتعمّن في هاتين الروايتين يتبين له بأن عبادة القمر اعتقاد ديني متأصل، أقدم من الوجود الفينيقي بالمنطقة.

٢- الإيمان بالطوطمية: من الاعتقادات الأخرى التي ربما وجدت لدى بعض القبائل الليبية القديمة الإيمان بالطوطمية (Totemism)^(*)، وهذا الاعتقاد وإن لم يوجد صراحة إلا أننا نستطيع استنتاجه من بعض العادات التي وجدت بينهم، كعادة قبيلة البسيلي المتعلقة بإثبات شرعية مواليدهم الجدد، ذكر بليني بأنهم يقومون بتعريض أولئك المواليد فور ولادتهم إلى أشرس أنواع الأفاعي لمعرفة مدي مناعتهم لسمها، فإذا ما تجنبت الأفعى الطفل كان دليلاً على شرعية مولده ووفاء أمه، وإن كان غير ذلك فلا^(٢١)، وعليه لا بد أن يكون طوطم البسيلي أفعى، التي تكون قاتلة للأجانب لكنها غير مؤذية لأبناء هذه القبيلة، وهذا ما ذهب إليه أورك بيتس^(٢٢). وتجدر الإشارة هنا إلى ما عرف قديماً عن أفراد قبيلة البسيلي في مقدرتهم العجيبة في الإشفاء من عضات الأفاعي، ذكر بليني أن أجسام هؤلاء القوم تمتلك نوعاً من السم القاتل للأفاعي، فإذا ما تعرضت هذه الأخيرة لرائحة ذلك السم الذي بأجسادهم، تخدرت ثم ماتت، ويضيف كاليب السرقستي بأن لدغة الحيات القرناء مميتة للرجال والحيوان، ما لم يكن أحد أفراد البسيلي حاضراً لتقديم العلاج. وعالج البسيلي لدغات الأفاعي السامة بطرق عدة، فإذا ما كانت بسيطة يقتصر العلاج على البصق في الجرح فقط، أما اللدغات الخطيرة فيقوم البسيلي بمضمضة فمه بالماء ثم إعطائه للمصاب في كأس لبشره، فإن لم يجدي ذلك تجرد البسيلي والمصاب من ملاسهما والتصقا معاً إلى أن يتمكن بقدرته الخاصة من القضاء على السم، وقد استعين بأفراد البسيلي في الأزمنة الكلاسيكية كمعالجين للدغات الأفاعي ولسعات العقارب^(٢٣)، ربما الحادثة الأكثر شهرة على خدماتهم العلاجية تلك، استعانة أغسطس بأحد أفراد البسيلي في محاولته الفاشلة لإنقاذ كليوباترا عندما أقيمت على الانتحار بأفعى سامة^(٢٤).

٣- عبادة الأسلاف: انتشرت عبادة أرواح الآباء والأجداد بين أبناء القبائل الليبية القديمة، وقدموا لها القرايين والأعطيات، واهتموا بإقامة القبور لأولئك الآباء والأجداد، ربما وفاءً وشكراً لهم على ما أسدوا من نعم لأبنائهم. وأورد بليني بأن قبر بسيليوس جد قبيلة البسيلي مازال يرى على شاطئ خليج سرت حتى زمنه^(٢٥)، الشيء نفسه ينطبق على ضريح الأخوين فليني في منطقة خليج سرت^(٢٦)، هذا كما وجدت مصاطب على قبور موتى النسامونيس^(*) (NasamwneV)^(٢٧)، والجرامنت^(*) (GaramanteV)^(٢٨)، ربما استخدمت لوضع القرايين المقدمة لأرواح الأسلاف، إضافة للنوم عليها عند الاستخارة، فقد كان الليبي يعتقد باستحضار أرواح الأجداد، ويعتبر هذا الاستحضار جزءاً من الديانة الليبية، لاعتقادهم بأن أرواحهم على صلة بالسماء، لذلك كانوا يحاولون استطلاع الغيب ومعرفة المستقبل عن طريق استحضار تلك الأرواح والاتصال بها من خلال النوم على

قبورهم، فقد كان المريد يغتسل وينام على قبر أحد أولئك الأجداد، وما يتجلى له في المنام من رؤيا يعتبرها وحياً من سلفه، وهذه الظاهرة انتشرت لدى النسامونيس، الذين عرف عنهم كذلك القسم بالميت، فذكر هيرودوتس بأنه إذا ما أراد أحدهم القسم يضع يده على قبر الشخص الذي تميز بسمعة جيدة ويقسم باسمه، ولا يكون هذا القسم حائثاً خوفاً من نتائج ذلك^(٢٩)، وهذا دليل على وجود إيمان قوي بقدرته. ومن المظاهر الأخرى لعبادة الأسلاف تسمية القبائل بأسماء أجدادهم مثل الجرمانت نسبة لجدهم جرامس النسامونيس نسبة لجدهم نسامون والبسيلي نسبة لبسيلوس^(٤٠).

٤- عقائد أخرى: عبد الليبيون آلهة أخرى وخصوصاً في المنطقة التي عرفت لدى الإغريق باسم بحيرة تريتونيس (TritwnIV)^(٤١)، هذه الآلهة في طابعها العام ذات خصائص بحرية، مما جعل بعض المؤرخين يعتقد بأنها وفدت للمنطقة مع غزو شعوب البحر^(٤٢) التي تحالفت مع القبائل الليبية للهجوم على مصر^(٤٣)، وطبقاً لهيرودوتس فإن هذه الآلهة جاءت معرفة الإغريق لها من خلال الليبيين، فيؤكد أن الإله بوسيدون (PoseidewnoV) ليبي، وأن الإغريق عرفوا عبادته من الليبيين، وهؤلاء هم الوحيدون الذين كان عندهم إله بهذا الاسم^(٤٤)، واكتسب سمعة ذائعة الصيت بينهم خلال القرن الخامس قبل الميلاد حول بحيرة تريتونيس^(٤٥)، كما أشار هيرودوتس لعبادة إله آخر حول هذه البحيرة يدعى تريتون (Tritwn)، الإله الذي قاد السفينة الأسطورية أرجوا (Argo) وقائدها ياسون (Ihswn) من مياه ساحل تريتونيس الضحلة، عندما قادتها الأنواء إليه، مقابل حصوله على منضدة ثلاثية الأرجل كانت معهم، وتذكر الأسطورة أن تريتون وضع المنضدة الثلاثية بمعبده الخاص وجلس عليها، وتبأ لياسون بأنه ستقوم مئة مدينة إغريقية إذا ما تمكن أحد أحفاد المبحرين معه من الحصول على هذه المنضدة، وأردف هيرودوتس بأنه عندما سمع المحليون كلمات النبوة نقلوا المنضدة وأخفوها^(٤٦)، رأى أورك بيتس بأن تريتون كان معبوداً محلياً ونشاطاته محصورة بمنطقة محدودة^(٤٧). هذا وقد كانت هناك إلهة أخرى تدعى تريتونيس، يُعتقد بأن اسمها كان اسماً آخر لتريتون الموصوف بالخنثى، وهي التي ولدت الإلهة أثينا من الإله بوسيدون، ذكر هيرودوتس أن الإلهة أثينا تخاصمت مع أبيها فسلمت نفسها إلى الإله زيوس الذي جعلها ابنته^(٤٨)، كما أضاف هيرودوتس بأن الأوسيس (AuseiV)^(*) كانوا يقيمون حفلاً سنوياً تكريماً لهذه الإلهة، تقوم به أجمل فتيات القبيلة العذارى، يتم في البداية اختيار أجمل واحدة فيهن ثم يلبسونها درعاً وخوذة وعدة حرب، تركب بعدها عربة تدور بها حول شاطئ البحيرة مكان الاحتفال، ثم تنقسم باقي العذارى إلى فريقين، يقوم كل منهما برشق الآخر بالحجارة والعصي، وكل فتاة تسقط صريعة أثناء

ذلك تتهم بأنها غير محافظة على عذريتها^(٤٩). وفيما يتعلق بهذا الطقس الخاص بأثينا خلص أورك بيتس^(٥٠) إلى ما يلي:

- الإلهة أثينا ليست ذات طبيعة محددة لذلك يمكن إلحاقها بألهة السماء والبحر.
- ارتداء العذراء لملابس الحرب، يرجح بأنها ذات صبغة حربية.
- دوران العذراء بالعربة حول البحيرة وتراشق فريقى العذارى، غايته استنزال بركة الإلهة وبديلاً لتقديم القرابين.
- مقتل الفتيات اللاتي يعتقد بأنهن غير محافظات على عذريتهن يجعل الإلهة تتصف بالعذرية.

السحر والتنجيم

مارس الليبيون القدماء السحر والتنجيم، فقد اعتبر سكان شمال افريقيا خلال العصر الروماني منجمين جيدين، وكان الإمبراطور الأفريقي سبتيميوس سيفيريوس بارعا في هذه المهارات، وكان المنجم في أكثر الحالات امرأة^(٥١)، كما مارس الليبيون طقوساً أخرى لاستنزال المطر^(٥٢)، وأشار هيرودوتس إلى تقليد ناسموني عند التعاقد، ربما طقس سحري، يتمثل في قيام طرفي الاتفاق بتبادل شرب الماء من أيدي بعضهم البعض، فإن لم يتأتى الماء استعويض عنه بالتراب الذي يقدمه كل طرف للآخر في يده ليلق شياً منه بلسانه^(٥٣)، ربما كان الهدف من هذا الطقس إلزام الفريقين المتعاهدين على الوفاء بالعهد وعدم انتهاكه. كما فسرت مقدرة البسيلي العلاجية من سم الأفاعي إلى قوة سحرية تمتعوا بها.

من الأشياء الأخرى المعتقد، الإيمان بالعين الشريرة، ذكر بليني أن بعض الأسر الأفريقية لها المقدرة بواسطة المدح والإعجاب على أن تهلك الماشية وتذبل الأشجار وتميت الأطفال^(٥٤)، يبدو أن الإنسان الليبي اجتهد في البحث عن الأحراز الواقية من العين الشريرة، فمن بين تلك الأحراز التي استعملت الأسماك^(٥٥)، التي ربما نرى استمراريتها حتى وقت قريب بين الليبيين كرمز للوقاية من العين والحسد.

المقابر وعادات الدفن

أما طرق الدفن التي اتبعتها الليبيون القدماء فهي عديدة، ذكر هيرودوتس^(٥٦) بأن الليبيين يدفنون موتاهم كما يفعل الإغريق^(*)، ويستثنى من هذا التقليد النسامونيس، الذين دفنوا ميتهم جالسا القرفصاء، حيث يقومون بمساعدة المحتضر على الجلوس أثناء تسليمه لروحه^(٥٧)، لكنهم أيضاً تخلصوا من أمواتهم من خلال رميهم في البحر، على نحو ما ذكره سيليوس آتاليكوس^(٥٨)، ربما كانت هذه الطريقة من تأثيرات شعوب البحر عليهم^(٥٩)، غير أن بعض المؤرخين أرجع ذلك إلى أن النسامونيس كانوا يحصلون من البحر

على أرزاقهم الوفيرة لذلك وجب إعادة أبدانهم إليه^(٦٠)، الكاتب ذاته ذكر بأن الجرامنت دفنوا ميتهم في حفرة ضحلة^(٦١). هذا وقد بينت اكتشافات في منطقة وادي الحياة جنوب ليبيا بأن الجرامنت كانوا يدفنون ميتهم في قبور مستديرة، يسجى الميت فيها مضغوطاً على هيئة الجنين^(٦٢)، يعتقد أن هذه الطريقة تعود إلى عادة تكبيل جسد الميت لمنع عودة شبحه لمضايقة الأحياء، غير أن هاينز شكك في مدى استمرارية هذه الفكرة عند الجرامنت^(٦٣). أما عادة حرق الموتى لدى الليبيين القدماء فلم يرد ذكرها إلا مرة واحدة، جاءت في معرض وصف جنازة الأميرة الليبية أسبتي (Asbte)^(٦٤).

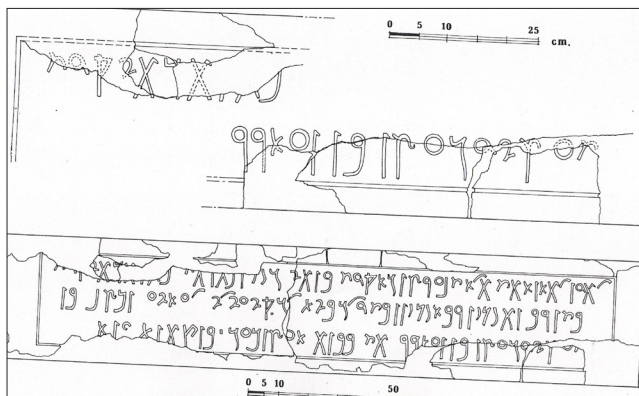
الخاتمة

وفي الختام نستنتج أن الديانة الليبية القديمة اعتمدت على تقديس الظواهر الطبيعية المختلفة، وربما وجد عندهم الإيمان بالطوطمية، وإن لم يوجد صراحة. كما انتشرت عبادة أرواح الأسلاف بينهم، واستمرارية هذه المعتقدات خلال العصر الفينيقي حتى فترات متأخرة من الاحتلال الروماني والبيزنطي، رغم دخول الفكر الديني الفينيقي ومن بعده الروماني للمنطقة، وتبنى قسم من الليبيين لتلك المعتقدات الدينية فينيقية كانت أم رومانية.

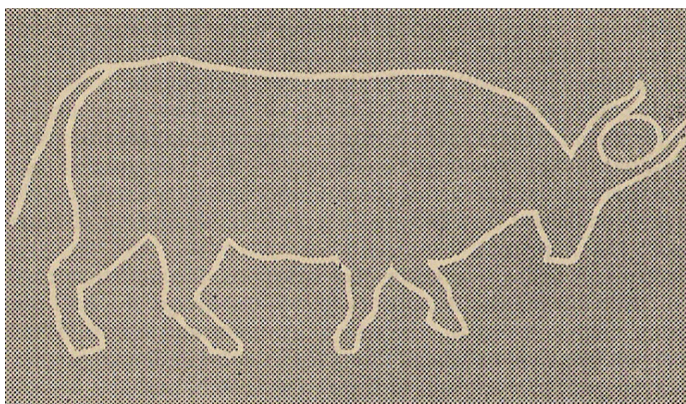
كما اهتم الإنسان الليبي القديم بدفن ميتة بطرق عدة، والتي تدل في مجملها على إيمانه بوجود نوع من الحياة الأخرى، وإن لم تدل على توصله لفكرة الحساب في تلك الحياة.



(الشكل ١) توزيع القبائل الليبية وفق هيرودوتس



(الشكل ٢) (IPT.76.) نقش بوني إهدائي للاله آمون برأس الحداجية ترهونة



(الشكل ٣): صورة الثور الحامل بين قرنيه قرص الشمس المكتشفة بمنطقة مية ديب

حواشي البحث

١- عبد العليم: مصطفى كمال، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، منشورات الجامعة الليبية، المطبعة الأهلية، بنغازي، ١٩٦٦م، ص ١٠-٣٤.

2- Herodotus. II. 18.

3- Herodotus. IV. 168 – 180.

4- Bates.O. The Eastern Libyans. CO.LTD. New impression. London. 1970. P.20.

5- Herodotus. IV. 181; Diodorus Siculus. XVII. 50; Pliny. The Natural History, V. 5.

6- Pliny. The Natural History, II. 115.

7- Bates.O. op. cit. P.174.

* قبيلة ليبية أشار إليها هيرودوتس وبليني، مضاربها في منطقة خليج سرت، وكانوا جيراناً لقبيلة النمامورية. - Herodotus. IV. 173; Pliny, The Natural History, V.

8- Herodotus. IV. 173.

9- Herodotus, III. 25-26.

10- Pliny, The Natural History, VIII.

11- Herodotus, IV.188.

12- Herodotus, IV.181; Pliny, The Natural History, V.5.

* عرف في المصادر الكلاسيكية باسم ماسينيسا (Massinissa)، إلا أنه وفي نقش ثنائي اللغة (بوني/ليبي) والمعروف باسم نقش دوفة، الذي كان قد عثر عليه في مدينة دوقا (Tugga)، فقد جاء اسمه في صورة مسنن (משנן) بالخط البوني، حول ذلك انظر:-

- Ffirah.A, L' Amazigh, é crire le Berbère, 1 et Edition Marinoor, Algerie, 1997, PP. 33-34.

١٢- ديزانج: جيهان، البربر الأصليون، مجلد تاريخ أفريقيا العام، المجلد الثاني، اليونسكو ١٩٨٥م، ص ٤٥١.

١٤- ابن خلدون: عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المجلد السادس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، بيروت، ١٩٨٨م، ص ١٢٣.

١٥- كوريوس، ملحمة الحرب الليبية الرومانية، ترجمة محمد الطاهر الجارري، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، سلسلة ٢٢، طرابلس، ١٩٨٨م، ك ٦، فقرات ١٢٧-١٥٦، ص ١٢٢.

16- Haynes.D.E.L, The antiquities of Tripolitania, published by the antiquities, Museums and archives of Tripoli, Libya, 1965, P.24.

١٧- أيوب: محمد سليمان، جرمة من تاريخ الحضارة الليبية، دار المصراطي للطباعة والنشر، طرابلس، ص ١٨٠.

18- Mattingly.D.J, Tripolitania, The Bath Press, London 1995, P.38.

- عبد العليم، مرجع سابق، ص ٧٤.

١٩- أيوب: محمد سليمان، جرمة في عصر ازدهارها من ١٠٠م إلى ٤٥٠م، مجلد ليبيا في التاريخ، الجامعة الليبية، بنغازي، ١٩٦٨م، ص ١٧٠.

20- Bates.O, op. cit. P.187; Mattingly.D.J, op. cit. P.39.

21- Haynes.D.E.L, op. cit. P.24.

* سراديب قام المسيحيون الأوائل بحفرها فترة اضطهاد السلطات الرومانية لإتباع الدين المسيحي، وذلك لممارسة شعائرتهم الدينية وعقد اجتماعاتهم ودفن موتاهم، خوفاً من تلك السلطات. انظر:- عيسى: محمد علي، معالم أثرية مسيحية من ليبيا، مجلة آثار العرب، العدد السادس، مارس ١٩٩٣م، ص ١٠٥.

٢٢- نستوري: ألدو، دياميس الدفن في صبراتة، تلخيص خليل المويلحي، مجلة ليبيا القديمة، العدد ٩-١٠، (١٩٧٢-١٩٧٣)، ص ٨.

23- IPT.76.

٢٤- الميار: عبد الحفيظ فضيل، الحضارة الفينيقية في ليبيا، منشورات مركز جهاد اللبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ٢٠٠١م، ص ٩٧.

25 Haynes.D.E.L, op. cit. P.24.

٢٦- كوريوس، المصدر السابق، ك ٢، ٨٩-١١٥، ص ٤٩.

* ذكر البكري في كتابه المغرب في بلاد أفريقية والمغرب، وهو جزء من كتابه المعروف بالممالك والممالك، وتحت عنوان «المشهور من المدن والقرى في الطريق من مصر إلى برقة والمغرب» (ثم من قصر ابن ميمون ثلاثة أيام إلى صنم من حجارة ميني على ربوة يسمى كرزة، ومن حوله قبائل البربر يقربون له القرابين ويستشفون من أداويهم ويتبركون به في أموالهم إلى اليوم، ومن هذا الصنم إلى ودان مسيرة ثلاثة أيام).

- البكري: أبي عبيد عبد الله أبن عبد العزيز، المسالك والممالك - كتاب المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، مكتبة أمريكا والشرق، باريس، ١٩٦٥م، ص ١٢.

٢٧- كوريوس، مصدر سابق، ك ٢، ٨٩-١١٥، ص ٤٩.

28- Herodotus, IV.188.

٢٩- عبد العليم، مرجع سابق، ص ٧٤.

30- Bates.O, op. cit. P.189.

* نظام ديني يجعل العشيرة تعتقد أنها منحدره من نبات أو حيوان يسمى طوطم (Totem). يتخذ رمزاً لها ويكون تناوله محرماً على أفرادها. انظر: - بارندر: جفري، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة إمام عبدالفتاح إمام، سلسلة عالم المعرفة ١٧٣، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مايو ١٩٩٣م، ص ٣٨٠.

31- Pliny, The Natural History, XXV.10.

32- Bates.O, op. cit. P.180.

33- Ibid. P.180.

- ديورنت: ول، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، ج ٩-١٠-١١، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨م، ص ٤٢٠.

34- Lucan, IX.891; Pliny, The Natural History, XXXVIII.3.

35- Pliny, The Natural History, V.7.

36-nBates.O, op. cit. P.183.

* هي إحدى القبائل الليبية التي سكنت منطقة خليج سرت.

-Herodotus, IV.172.

37- Haynes.D.E.L, op. cit. P.23.

* قبيلة ليبية عاشت في منطقة فزان جنوب ليبيا، وكانت عاصمتهم جزمة، وقد لعبت هذه القبيلة دوراً كبيراً في تجارة الصحراء، وقد تحدث عنهم عدد من الكتاب الكلاسيك، للمزيد انظر:-

Herodotus, IV.174; Pliny, The Natural History, V. 44 - 45.

٢٨- أيوب: جزمة في عصر ازدهارها من ١٠٠م إلى ٤٥٠م، ص ١٦٢.

39- Herodotus, IV.172.

40- Bates.O, op. cit. P.174.

41- Herodotus, IV.180.

42- Bates, O, op. cit.P.186.

٤٣- فخري: أحمد، مصر الفرعونية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط ٨، ١٩٩٥م، ص ٢٩٠-٢٩٢.

44- Herodotus, II.50.

45- Herodotus, IV.180.

46- Herodotus, IV.179.

47- Bates.O, op. cit. P.186.

48-Herodotus, IV. 180.

* قبيلة ليبية كانت تسكن حول بحيرة تريتونيس. انظر:

- Herodotus, IV. 180.

49- Herodotus, IV. 180.

50- Bates.O, op. cit. PP. 204-205.

51- Ibid. P.178.

52- Dio Cassius, Roman History, IX.9.

53- Herodotus, IV.172.

54- Pliny, The Natural History, VII.2.

٥٥- ديزانج، مرجع سابق، ص٤٦٤.

56-nHerodotus, IV.190.

* كان الإغريق يدفنون موتاهم في العادة بوضع الرأس اتجاه الشرق والقدمين جهة الغرب، وأحياناً عكس ذلك.

57- Herodotus, IV.190.

58- Silius Italicus, Punica, XIII.480; Bates.O, op. cit. P.181.

59- Bates.O, op. cit. P.182.

60- Ibid. P.181.

61- Silius Italicus, Punica, XIII. 479.

٦٢- أيوب: جريمة في عصر ازدهارها من ١٠٠م إلى ٤٥٠م، ص١٦٨.

63- Haynes.D.E.L, op. cit. P.23.

64-Silius Italicus. Punica. II. 263.

علاقة الماء بباب المعاملات الفقهية

أ. سيد علي غبريد*



ولأجل هذا كله اجتهد الفقهاء وحاولوا استقصاء فروع باب المعاملات - فضلاً عن أصوله - فتناولوه بالبحوث والدراسات، ومن الفروع والأحكام الفقهية في جانب المعاملات ما يتعلق بباب المياه في غير باب الطهارة الذي هو أول جزء من باب العبادات.

ويُعدّ هذا البحث محاولة منّي لبيان بعض المسائل الفقهية التي تطرق إليها الفقهاء ولو إجمالاً أو إشارةً في كتبهم ومؤلفاتهم.

ملخص البحث

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: فإن من المقاصد الضرورية للشرعية الإسلامية المحافظة على الكليات الخمس، ومن هذه الكليات حفظ الدين والنفس والمال، لذلك راعت الشريعة الإسلامية جانب المعاملات الذي هو شق منها أشد المراجعة، وجزء كبير من هذا القسم مبني على المصالح والمفاسد ما لم يكن محرماً أو مؤدياً إلى المحرم.

• ماجستير في العلوم الإسلامية، أستاذ مساعد بكلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر / الجزائر.

ghsidali@yahoo.fr

مقدمة

من الأحكام والمسائل المتناثرة في كتب الفقه: أحكام المياه - في غير باب الطهارة -، أي كيفية استعمال الماء بين الناس وتداوله بينهم، وسمى الفقهاء هذا الباب بعدة تسميات، منها: أحكام الآبار، وباب المياه، وباب الشرب، وباب حريم الآبار، ومنهم من أدرجه ضمن حقوق الارتفاق.

ويتعلق الماء بعدة مسائل في غير باب العبادات، فمنها ما يتعلق بالمعاملات المحضة، ومنها ما يتعلق بالجنايات، فجعلت قسماً لتعلق الماء بباب المعاملات، كما أفردت قسماً لعلاقة الماء بباب الجنايات.

أهمية البحث وأهدافه

١- يتناول هذا البحث مسألة من المسائل الفقهية الماثلة في عدة أبواب فقهية، ويسعى لاستخراجها من مظانها.

٢- توضيح العلاقة بين المياه وبين بعض الأبواب الفقهية في جانب المعاملات والجنايات.

إشكالية البحث

لا يخلو أي بحث فقهي من جدل يثار ومن خلاف وأخذ ورد في فروعه أو أصوله، وقضايا البيئة إحدى هذه الأبحاث المثيرة للجدل، فلقد أضحت المياه مشكلة تسبب النزاعات والحروب بين الدول وبين بعض الأقاليم، والمسلمون أنفسهم يقعون أحياناً في بعض هذه النزاعات، فحري بهم الخروج منها وترك الفتن والتناحر، ومنه فلا بد في هذا الموقف من طرح عدت إشكاليات واستفسارات عليّ أجدها - بعون الله وتوفيقه - إجابات وحلولاً شرعية مقبولة ومعقولة، ومن هذه الأسئلة:

١- هل يتعلق الماء بباب الطهارة فقط، أم له تعلق بالأبواب الفقهية الأخرى؟

٢- هل اعتبار الماء ملكاً عاماً ينفي وجود أحكام خاصة به؟

٣- كيف يعيش المسلمون في القرى والمدن في حال تنازعهم حول الموارد المائية؟

وكيف يمكنهم التعايش بينهم في حال ندرة المياه ووفرته، وكيفية قسمتها بينهم؟

منهج البحث

اعتمدت في هذا البحث على منهجين اثنين هما:

١- المنهج الاستقرائي: وذلك من خلال ذكر مسائل المياه المتعلقة بباب المعاملات.

٢- المنهج الاستنباطي: وذلك باستنباط الأحكام الفقهية المتعلقة بهذه المسائل انطلاقاً من المصادر الشرعية وأقوال الفقهاء المستمدة منها.

خطة البحث

بدأت هذا البحث بمقدمة وقسمته إلى مبحثين، وتضمن كل مبحث مطلبين، وهذه المطالب هي المسائل الفردة بالبحث، ثم جعلت له خاتمة، وأتبعها في الأخير بهوامش البحث ومختلف المصادر والمراجع، وذلك على النحو الآتي:

مقدمة

المبحث الأول: علاقة المياه بالمعاملات

المطلب الأول: علاقة الماء بالمساقاة

الفرع الأول: تعريف المساقاة

الفرع الثاني: حكم المساقاة عند الفقهاء

المطلب الثاني: علاقة الماء بالوقف

الفرع الأول: تعريف الوقف

الفرع الثاني: حكم الوقف والمسائل المتعلقة به

المسألة الأولى: حكم انتفاع الواقف بالوقف

المسألة الثانية: حكم تغيير شرط الواقف

المبحث الثاني: علاقة الماء بالجنايات

تعريف الجناية

المطلب الأول: منع العطشان عن الماء

الفرع الأول: حكم إغاثة المضطر

الفرع الثاني: حكم منع العطشان عن الماء

المطلب الثاني: سرقة الماء

الفرع الأول: تعريف السرقة

الفرع الثاني: حكم السرقة

الفرع الثالث: شروط إقامة حد السرقة

الفرع الرابع: حكم سرقة الماء

خاتمة

هوامش البحث

المبحث الأول: علاقة المياه بالمعاملات

المطلب الأول: علاقة الماء بالمساقاة

الفرع الأول: تعريف المساقاة

المساقاة في اللغة: مفاعلة من السَّقَى - بفتح السين وسكون القاف -، والمعاملة في كلام أهل العراق هي المساقاة في كلام الحجازيين^١.

وفي الاصطلاح: هي أن يدفع الرجل شجره إلى آخر ليقوم بسقيه وعمل سائر ما يحتاج إليه بجزء معلوم له من ثمره.

وسميت بهذه التسمية لأن شجر أهل الحجاز أكثر حاجة إلى السقي لأنها تسقى من الآبار، ولأن سقيها من أهم أمرها، وكانت النخيل بالحجاز تسقى نضحا فتعظم مؤونتها، وأهل العراق يسمونها المعاملة، ولا يخرج المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي.

ويسمى العامل بالمساقى، والطرف الآخر يسمى برب الشجر^٢.

وعليه، ومما سبق يتبين أن المساقاة شركة زراعية على استثمار الشجر، يكون فيها الشجر من جانب والعمل في الشجر من جانب، والثمرة الحاصلة مشتركة بينهما بنسبة يتفق عليها المتعاقدان، كالنصف والثلث ونحو ذلك.

والشجر يطلق على كل ما غرس ليبقى في الأرض سنة فأكثر من كل ما ليس لقطعه مدة ونهاية معلومة، سواءً أكان مثمرًا أم غير مثمر، وتكون المساقاة على غير المثمر نظير ما يأخذه المساقى من السعف والحطب ونحوها^٣.

الفرع الثاني: حكم المساقاة عند الفقهاء

واختلف العلماء في حكم المساقاة، فذهب أبو حنيفة إلى أنها غير مشروعة، وذهب الجمهور من الفقهاء الثلاثة^٤ والصاحبين - أبي يوسف ومحمد بن الحسن - وغيرهم إلى جوازها.

فيرى أبو حنيفة أن المساقاة بجزء من الثمرة باطلة، وذهب أبو يوسف ومحمد إلى أنها جائزة، - والفتوى على قولهما - إذا ذكرا - أي المتعاقدان - في العقد مدة معلومة متعارفة^٥.

وأما عند الجمهور، فالمساقاة جائزة لا يعرف خلاف بين الصحابة والتابعين في جوازها، وهذا قول الفقهاء كافةً إلا أبا حنيفة وحده دون سائر أصحابه، فإنه تنرد بإبطالها^٦، واتفق الجمهور من العلماء على جوازها في الجملة للحاجة إليها، وإن اختلفوا فيما تجوز عليه المساقاة من الأشجار^٧، واستدلوا على مشروعيتها بالسنة بعدة أحاديث

منها ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَامِلَ أَهْلِ خَيْبَرَ بِشَطْرِ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا مِنْ ثَمَرٍ أَوْ زَرْعٍ).^٨

وبما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: (قَالَتِ الْأَنْصَارُ لِلنَّبِيِّ ﷺ ااقْسِمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا النَّخِيلِ، قَالَ: لَا، فَقَالُوا: تَكْفُونَا الْمُؤُونَةَ وَنُشْرِكُكُمْ فِي الثَّمَرَةِ، قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا).^٩

والحجة عند أبي حنيفة أنه قد ثبت بالنظر الصحيح أنه لا تجوز المساقاة ولا المزارعة إلا بالدرهم والدنانير وما أشبههما من العروض، وأما أبو يوسف ومحمد بن الحسن رحمهما الله فإنهما قد ذهبا إلى جوازهما جميعا وتركا النظر في ذلك، واتبع ما قد روي في هذا الباب من الآثار عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه بعده.^{١٠}

وسبب منعها عند أبي حنيفة هو اشتغالها على الجهالة والغرر كالمزارعة، لأن الاستئجار ببعض الخارج من النصف والثلث والرابع ونحوه استئجارٌ ببدل مجهول، وإنه لا يجوز كما في الإجارة، وبه تبين أن حديث خيبر محمول على الجزية صيانةً لدلائل الشرع عن التناقض.^{١١}

ورداً على هذا الكلام بأن فيه نظراً، وذلك لأن النبي ﷺ إنما عامل أهل خيبر على العمل في أرضها، إذ لم يوجد من المسلمين من ينوب منابهم في عمل الأرض، حتى قوي الإسلام واستغنى عنهم وأجلاهم عمر بن الخطاب، وعامة الفقهاء يجيزون استئجارهم عند الضرورة وغيرها.^{١٢}

قلت، من خلال سرد هذه الأحاديث وأقوال العلماء، يتبين أن المساقاة جائزة في الإسلام، لما ورد من سنة النبي ﷺ العملية، ومن فعل الصحابة رضي الله عنهم وإقرار النبي ﷺ لهم، إضافةً إلى أنها مذهب جماهير العلماء من التابعين وأصحاب المذاهب الذين أجازوها ولم يعلم لهم مخالف إلا ما انفرد به الإمام أبو حنيفة رحمه الله.

المطلب الثاني: علاقة الماء بالوقف

الفرع الأول: تعريف الوقف

الوقف في اللغة: وقفه الدار؛ حبسه كأوقفه.^{١٣}

وفي الاصطلاح: هو تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة.^{١٤}

الفرع الثاني: حكم الوقف والمسائل المتعلقة به

وحكمه أنه من أفضل القرب والمستحبات لما فيه من تحقيق المنفعة العامة وتحصيل الثواب المستمر، والدليل على ذلك قول النبي ﷺ: (إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ).^{١٥}

وسأتناول مسألتين من بعض مسائل وأحكام الوقف وهما؛

المسألة الأولى: حكم انتفاع الواقف بالوقف

الظاهر من أقوال الفقهاء جواز انتفاع الواقف بالوقف، غير أنه يعتبر كغيره من الناس، فقد جاء في الحديث قول عثمان رضي الله عنه: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (مَنْ يَشْتَرِي بِثَرٍّ رُومَةً فَيَكُونُ دَلْوُهُ فِيهِ كَدَلَاءَ الْمُسْلِمِينَ)، فَاشْتَرَاهَا عُثْمَانُ رضي الله عنه.^{١٦}

ففي الحديث من الفقه أنه يجوز للمحبس أن ينتفع بما يحبسها إذا شرط ذلك، وهذا ينقسم قسمين؛ فمن حبس بئراً وجعلها للسقاة فلا بأس أن يشرب منها وإن لم يشترط ذلك؛ لأنه داخل في جملة السقاة، ومن حبس عقاراً فلا يجوز له أن ينتفع بشيء منها إلا أن يشترط أن يكون نصيبه فيه كنصيب أحد المسلمين، فإذا لم يشترط ذلك فلا يجوز له الانتفاع بشيء منه؛ لأنه أخرجه الله تعالى ولا يجوز الرجوع فيه.^{١٧}

فمن سبل ماء على مسجد جاز له أن يشرب منه، ومن سبل ماء على غيره يجوز له الشرب منه كذلك.^{١٨}

المسألة الثانية: حكم تغيير شرط الواقف

لا يجوز في الأصل تغيير شرط الواقف عند أصحاب المذاهب الأربعة، إلا أن الحنابلة فصلوا في ذلك شيئاً.

فعند الحنفية والمالكية والشافعية أن شرط الواقف كنص الشارع، أي في المفهوم والدلالة ووجوب العمل به، ولا يتجاوز عما شرطه، فكما يجب مراعاة نص الشارع واتباعه يجب أيضاً مراعاة واتباع شرط الواقف الموافق للشرع لما فيه من وجوه المصلحة العائدة على الواقف، أما الشرط الذي يخالف الشرع فلا يصح.^{١٩}

وزاد المالكية أن شرط الواقف واجب الاتباع وإن كان بمكروه.^{٢٠}

ويجوز - عندهم كذلك - لناظر الوقف بأن يفعل في الوقف كل ما كان قريباً لغرضه وإن خالف شرطه، كما لو وقف ماء على الغسل والوضوء فيجوز لناظر أن يمكن العطشان يشرب منه لأنه لو كان حياً لم يمنع من ذلك.^{٢١}

وفي مذهب الحنابلة خلاف، فجائز عندهم تغيير شرط الواقف إلى ما هو أصح منه، فلو سبل ماء للشرب لم يجز الوضوء منه ولا الغسل، فشرب ماء موقوف للوضوء يتوجه عليه وأولى، ويجوز للأغنياء الشرب من الماء الذي يسقي في السبيل.

وسببُ النهي اختيارُ الواقف وشرطه، فيجوز تغيير شرط الواقف إلى ما هو أصلح منه، وإن اختلف ذلك باختلاف الأزمان، فقليل إن سبل ماء للشرب جاز الوضوء منه، فشرب ماء موقوف للوضوء يتوجه عليه وأولى، وقيل لمخالفة شرط الواقف أنه لو سبل ماء للشرب في كراهة الوضوء منه وتحريمه وجهان. وقيل يكره الغسل لا الوضوء.

وظاهر المذهب أنه لا يجوز مخالفة اختيار الواقف وشرطه^{٢٢}.

المبحث الثاني: علاقة الماء بالجنايات

وللماء تعلق كذلك بأحكام الجنايات؛ إذ كثيراً ما تحدث نزاعات بين الناس حول تقاسم المياه وحول بذلها، وقد تصل هذه النزاعات إلى كثيرٍ من المناهي الشرعية.

تعريف الجناية

الجناية في اللغة: من جنى على قومه جناية، أي أذنب ذنباً يؤاخذ به، وغلبت الجناية في السنة الفقهاء على الجرح والقطع، والجمع جنايات وجنايا مثل: عطايا قليل فيه^{٢٣}.

وفي الاصطلاح: هي كل فعل محظور يتضمن ضرراً على النفس أو غيرها، أو هي التصرف الضار بالنفس أو ما دونها إذا استوجب عقوبة دنيوية^{٢٤}.

وتظهر علاقة الماء بباب الجنايات في مسألتين هما: منع الماء عن العطشان، وسرقة الماء.

المطلب الأول: منع الماء عن العطشان

الفرع الأول: حكم إغاثة المضطر

اتفق الفقهاء قديماً وحديثاً أن إغاثة المضطر وإعانة ذي الحاجة الملهوف أمر واجب، لأن الأمر قد يتعلق بحفظ كلية من الكليات الخمس، فإذا أشرف المضطر على الهلاك بسبب جوع أو عطش ومنعه آخر فله أن يقاتل ليحفظ حياته من الموت، فإن مات لحق المانع إنَّم عظيم لارتكابه هذه الجريمة.

واستدلوا على جواز المقاتلة في هذه الحال بما ورد في أثر: (عن الهيثم أن قوماً مروا بماء فسألوا أهلها: أين البئر؟ فأبوا أن يدلّوهم، وأبوا أن يعطوهم الدلو، فقالوا: ويحكم إن أعاننا وأعانك ركابنا قد كادت تقطع عطشاً، فأبوا أن يعطوهم أو يدلّوهم، فذكروا ذلك لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: «ألا وضعتهم فيهم السلاح»^{٢٥}، وفي لفظ: (عن

الهيثم عن عمر أنه قال في قوم وردوا على قوم من الأعراب، فلم يعطوهم دلواً ولا رشاء ولم يدلوهم على الماء، فقال عمر رضي الله عنه: «أفلا وضعتهم فيهم السلاح؟»^{٢٦}.

ففي هذا الأثر دليلٌ على أنه إذا منع المستغاثُ بهم حقَّ المستغيثين بقصد إتلافهم كان للمستغيثين أن يقاتلوهم عن أنفسهم، وأن لهم في الماء حق الشفة.

الفرع الثاني: حكم منع الماء عن العطشان

لا خلاف بين الفقهاء في إقامة الحد على القاتل قتلاً متعمداً عند مباشرة القتل، غير أنهم اختلفوا في القصاص على هذا الجاني في هذه الصورة (منع الماء عن العطشان) وأشباهاها، وسبب خلافهم في اعتبار المتسبب في القتل كالمباشر له من عدمه.

فمذهب أبي حنيفة أنه لا ضمان عليه - أي الدية - ولا قصاص، لأن الفاعل لم يباشر القتل، والحجة في ذلك أنه سبب للقتل، والسبب لا يوجب القصاص، وهذا لأنه يعتبر في القصاص المساواة، ولا مساواة بين السبب والمباشرة، ومذهب الصحابان أبو يوسف ومحمد إلى أن فيه الضمان.^{٢٨}

ومذهب المالكية والشافعية أن منع المضطر عما ينقذ حياته يستوجب القصاص، فيجوز للمضطر أن يقاتل الممتنع عن بذل الطعام والشراب، وعليه أخذه من صاحبه لكن بعد الإنذار بأن يُعلمه أنه مضطر إليه، ولا يقاتله كالمصائل بل أولى، بل إذا خشي الهلاك ولم يجد غيره قاتل وجوباً لأن حفظ النفوس واجب، ولأن عقل المالك ودينه يبعثانه على الإطعام، فيقاتله بما يدفع ضرورته، وهو ما يسد الرمي إلا أن يخشى الهلاك، لأن الضرورة تتقدر بقدرها.

فإن لم يعطه قاتله المضطّر، فإن قتل صاحبه فهدر لوجوب بذله للمضطر، فلا يقتص من المضطر للممتنع إن قتله، ولا يؤخذ له دية، وإن قتله الممتنع فالقصاص، لأنه لم يتعد بخلاف الممتنع.^{٢٩}

فأوجب أصحاب هذا المذهب القصاص على المتسبب وإن لم يباشر القتل بيده، وجاء في مختصر الشيخ خليل في بيان الاتصاف بالقتل الموجب للقصاص: «... وإن بقضيب كخنق ومنع طعام... وكالإمساك للقتل، ويقتل الجمع بواحد، والمتماثلون وإن بسوطٍ سوطٍ، والمتسبب مع المباشر».^{٣٠}

وأما مذهب الحنابلة فوافق مذهب صاحبي أبي حنيفة، فقالوا أن الإنسان إذا اضطر إلى طعام أو شراب لغير مضطر فطلبه منه فمنعه إياه فمات بذلك ضمنه المطلوب منه، واستدلوا بما روي «أن رجلاً أتى أهل أبيات فاستسقاهم فلم يسقوه حتى مات فأغرمهم

عمر عليه السلام الدية^{٢١}»، فإن احتيج في ذلك إلى قتال، فله المقاتلة عليه، فإن قتل المضطر فهو شهيد، وعلى قاتله ضمانه، وإن آل أخذه إلى قتل صاحبه، فهو هدر، لأنه ظالم بقتاله، فأشبه الصائل إذا قتله الموصول عليه دفعاً عن نفسه ولم يمكنه دفعه إلا بالقتل، ولأنه تسبب إلى هلاكه بمنعه ما يستحقه فضمنه بديته في ماله كما لو منعه طعامه حتى هلك، ولا تحمله العاقلة لأن مانع الطعام تعمّد الفعل الذي يقتل مثله غالباً، وقال القاضي هو على عاقلته لأنه قتل لا يوجب القصاص فيكون شبه عمد، وإن لم يطلبه المضطر منه لم يضمنه لأنه لم يمنعه، فلم يتسبب إلى هلاكه، وعلم منه أنه لو كان صاحب الطعام أو الشراب مضطراً وطلبه منه ومنعه فمات لم يضمنه لأنه لا يجب عليه بذله، أما إن أمكنه أخذه بشراء أو استرضاء، فليس له المقاتلة عليه، لإمكان الوصول إليه دونها، فإن لم يبيعه إلا بأكثر من ثمن مثله، فذكر القاضي أن له قتاله، والأولى أن لا يجوز له ذلك؛ لإمكان الوصول إليه بدونها.^{٢٢}

قلت، والذي يظهر أن جعل المتسبب كالمباشر أولى وأسلم، لأن عدم الاقتصاص منه يؤدي إلى الاعتداء على النفس البشرية والمساس بحرماتها، ويجر الناس إلى التهاون في حفظ الأنفس والأموال والأعراض، كما أن النبي ﷺ جعل الفاعل والمعين والمتسبب في رتبة واحدة، حيث سوى بينهم في الإثم، لما جاء في بعض الأحاديث، منها ما رواه جابر بن عبد الله قال: (لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَكَلَ الرَّبَا وَمُوكَلَّهُ وَكَاتِبُهُ وَشَاهِدِيهِ، وَقَالَ: هُمْ سَوَاءٌ^{٢٣})، وإنما اشتركوا في الإثم وإن كان الرابع أحدهما لأنهما في الفعل شريكان^{٢٤}، ومنها قوله ﷺ: (لَعَنَ اللَّهُ الْخَمْرَ وَشَارِبَهَا وَسَاقِيَهَا، وَبَائِعَهَا وَمُبْتَاعَهَا، وَعَاصِرَهَا وَمُعْتَصِرَهَا، وَحَامِلَهَا وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ^{٢٥}) .

المطلب الثاني: سرقة الماء

الفرع الأول: تعريف السرقة

السرقة في اللغة: سَرَقَ مِنْهُ مَالاً، يَسْرِقُ سَرَقاً بِالتَّحْرِيكِ، والاسم السرقة والسرق، بكسر الراء فيهما جميعاً، وربما قالوا: سَرَقَهُ مَالاً، وَسَرَقَهُ، أي نسبه إلى السرقة^{٢٦}.

وفي الاصطلاح: أخذ المكلف نصاباً خالياً من الملك وشبهته من حرز خفية^{٢٧}.

الفرع الثاني: حكم السرقة

السرقة محرمة في الإسلام، وتحريمها ظاهر ومعلوم ضرورة، وهي حد من حدود الله الثابتة بالكتاب والسنة، يعاقب فاعلها بقطع اليد، وجاء ذلك بصريح القرآن في قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (المائدة: ٣٨).

ومن السنة ما روته عائشة رضي الله عنها: (أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: مَنْ يَكْلِمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أَسَامَةُ حُبِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَكَلِمَةُ أَسَامَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ؟ ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَإِيمَ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا) ^{٣٨}.

الفرع الثالث: شروط إقامة حد السرقة

اشتراط الفقهاء لإقامة حد السرقة شروطاً، بعضها يتعلق بالمال وبعضها بالفاعل.

أما الشروط المتعلقة بالمال المسروق، فيجب أن يكون تام الملك محترماً لا شبهة له فيه، وإن من بيت المال أو الغنيمة، فلو كان المسروق مالاً غير معصوم فلا قطع فيه، كما لو كان للسارق فيه شركة ولم يحجب عنه بل يده جائلة مع شريكه، وأما ما حجب عنه فسرقة منه ما زاد على نصيبه من المسروق نصاباً كاملاً فعليه القطع، فعامة العلماء يشترطونه، إذ لا قطع فيما دون النصاب، وهو ربع دينار فصاعداً، وأن يكون على وجه الاختفاء، أما مال بيت المال والمغانم بعد حيازتها فيقطع سارقها وإن لم يزد ما أخذ عن النصاب إذ لا بال لما يستحقه من ذلك ^{٣٩}.

ومن شروطه كذلك الحرز، فلا قطع إلا فيما سرق من حرز، والمعتبر فيه العرف مما عده أهل العرف حرزاً لذلك الشيء فهو حرز له، وما لا فلا، وخالفهم داود فلم يشترط الحرز.

وذكر ابن العربي أن المسروق متعلق بالحرز، وهو الذي نصب عادة لحفظ الأموال، وهو يختلف في كل شيء بحسب حاله، والأصل في اعتبار الحرز الأثر والنظر ^{٤٠}.

وقد نقل الإجماع على أن القطع يجب على من سرق ما يجب فيه القطع من الحرز ^{٤١}.

واشترطوا كذلك أن لا يكون للسارق في المسروق شبهة، فإن كانت لم يقطع، ويشترط أن يطالب المسروق منه بالمال، أي أن يدعي بماله ^{٤٢}.

وأما شروط الفاعل فشروطه التكليف، فشروط قطع السارق أن يكون مكلفاً ذكراً كان أو أنثى، حراً كان أو رقيقاً، مسلماً كان أو كافراً، والمراد بالتكليف البلوغ والعقل، فلا قطع على غير بالغ، ولا على مجنون مطبق، وكذا إذا كان يفيق أحياناً، وسرق في حال جنونه، وإلا ترتب عليه القطع إذا أفاق، كما أن السكران بحرام يقطع بعد صحوه، وإن كان سكره بغير حرام، فكالمجنون ^{٤٣}.

واختصرها القاضي أبو يعلى بقوله: «فأما قطع السرقة: فكل مال بلغت قيمته نصاباً إذا سرقه بالغ عاقل، لا شبهة له في المال، ولا في حرزه»^{٤٤}.

الفرع الرابع: حكم سرقة الماء

اختلف الفقهاء في إقامة الحد بسبب سرقة الماء، ويرجع خلافهم لكون الماء خلق في الأصل مباحاً يشترك فيه الناس جميعاً، فهل يكون أخذه دون إذن سرقةً توجب الحد أم لا؟

فمذهب الحنفية والحنابلة أنه يقطع في كل الأموال، إلا في ما لا يتمول عادة أو ما كان أصله مباحاً، وللحنابلة خلاف وتفصيل كما سيأتي.

فعند الحنفية أنه لا يقطع على من سرقه، ولا قطع بسرقة مال أصله وإن علا وفرعه وإن سفل، وأحد الزوجين وسيده وعبيده، ومن بيت مأذون بدخوله، ولا فيما كان أصله مباحاً^{٤٥}.

قلت، منع الأحناف الحد بهذه الأسباب لما فيها من شبهة الاشتراك في المباحات ومن إعطاء الإذن في بعضها، وقد انعقد الإجماع على أن الحدود تدرأ بالشبهات^{٤٦}.

أما عند مالك فيقطع في جميع المنقولات التي يجوز بيعها وأخذ العوض عليها، كان أصلها مباحاً كالماء والصيد والتراب والحشيش، أو محظوراً كالثياب والعقار، والدليل على ذلك عموم آية المائدة السابقة الذكر، ومن جهة المعنى أنه نوع مال، يتمول معتاداً كالثياب والعبيد، وجاء في الموازية أنه يقطع في كل شيء حتى الماء إذا أحرز لوضوء أو شرب أو غيره، وكذلك الحطب والعلف والتبن والورد والياسمين والرمان والرماد إذا كانت قيمته ثلاثة دراهم وسرق من حرزه^{٤٧}.

وعند الحنابلة أنه يقطع في كل شيء إذا بلغت قيمته نصاباً للعمومات، وإن سرق ماء فلا قطع بسرقة لأنه لا يتمول عادة.

أما إن سرق كلاً أو ملحاً، فقال أبو بكر: لا قطع فيه، لأنه مما ورد الشرع باشتراك الناس فيه، فأشبه الماء، وقال أبو إسحاق بن شاقلا: فيه القطع، لأنه يتمول عادة، فأشبه التبن والشعير، وأما الثلج فقال القاضي هو كالماء، لأنه ماء جامد، فأشبه الجليد، والأشبه أنه كالمالح، لأنه يتمول عادة، فهو كالمالح المنعقد من الماء^{٤٨}.

قلت، مذهب الحنابلة أن القطع واجب في كل ما يتمول إذا تحققت الشروط، ومنه يفهم من قولهم أن الماء إذا صار متمولاً ففيه القطع لهذه العلة، فالماء وشبهه مباح في الأصل، ولم يحصل القطع لشبهة الاشتراك وأن للناس فيه حقوقاً، ومعلوم أن الماء المعد للتجارة تجب فيه الزكاة لأنه صار ذا قيمة مالية (زكاة العروض)، يباع ويؤخذ العوض بدله، ومنه إذا وجبت فيه الزكاة وجب فيه القطع لزوماً، وهذا هو الراجح عند الجمهور.

قال القاضي عبد الوهاب المالكي: «ويقطع في سرقة جميع المتمولات الجائز بيعها وأخذ العوض عليها كان أصلها مباحاً أو محظوراً، طعاماً كان أو غيره»^٩.

وجاء في بداية المجتهد أن العلماء اتفقوا على أن كل ممتلك غير ناطق يجوز بيعه وأخذ العوض منه، فإنه يجب في سرقة القطع، ما عدا الأشياء الرطبة المأكولة والأشياء التي أصلها مباحة، فإنهم اختلفوا في ذلك، فذهب الجمهور إلى أن القطع في كل متمول يجوز بيعه وأخذ العوض فيه^{١٠}.

قلت، أما مذهب الحنفية القائلين بعدم القطع في الماء لإباحته واشتراك الناس فيه، فهذا لا نزاع فيه، لأن الماء المباح ليس ملكاً لأحد، أما إذا حيز فيملك بالحيابة والإحراز، وعندئذ يملك ويجوز لصاحبه التصرف فيه ويصير متمولاً.

وأقول كذلك، يمكن الجمع بين أقوال الفقهاء وذلك بالمصير إلى التعزير، ووجه الرجوع إليه هو موافقته للعصر الحالي، حيث انتشرت سرقة الماء من الأنابيب الخاصة بشركات توزيع المياه، خاصة وأن هذا النوع من الماء قد تلبس به شبهة الإباحة والاشتراك لأنه من الملك العام، والتعزير قد يكون بالتغريم وهو المعمول به حالياً في المحاكم.

أما المياه المعلبة المعدة للتجارة، فالزكاة واجبة فيها، ومنه فهي مال خالص لا شبهة فيه، وعليه واستناداً لما ذكر يكون القطع فيه واجباً، والله أعلم.

خاتمة

بعد ذكر هذه المسائل المتعلقة بالماء؛ يمكن بيان أهم النتائج المتوصل إليها فيما يلي:

١. جعل الله تعالى شرعه الحنيف لأجل حماية المقاصد الشرعية، وذلك لأن الشريعة جاءت لجلب مصالح الناس وتكثيرها ودفع المفساد وتقليلها.

٢. إنَّ المحافظة على الكليات مطلوب شرعاً كما دلت عليه النصوص الشرعية والقواعد الفقهية التي استخرجها العلماء منها.

٣. على العلماء والدعاة والباحثين العمل والدعوة لإحياء سنة الوقف التي دعا إليها الشرع الحنيف وبينته السنة النبوية، وفي مجال وقف المياه خاصة، وفي ذلك تأس واقتداء بالخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه، وذلك أن الأمة الإسلامية قد ازدهرت حياتها بالوقف وإيجاد موارد الماء، ويتأكد ذلك في هذا العصر حيث ظهرت مشاكل المياه بين الدول؛ ومنها أزمة نهر النيل وبحيرة طبرية ونهر الأردن.

هذا، وصلَّ اللهم وبارك وزد على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة الهوامش والمصادر والمراجع

- انظر: «لسان العرب»، ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (٤٧٦/١١)، دار صادر، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، «تاج العروس من جواهر القاموس»، الزبيدي، السيد محمد مرتضى بن محمد، (٢٧/٢٠)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٧م.
- ٢- انظر: «المجموع شرح المذهب»، النووي، يحيى بن شرف، (٢٢١/١٥)، تحقيق: محمد نجيب المطيعي، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، طبعة: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، «الزاهر في غريب ألفاظ الإمام الشافعي»، الأزهرى، محمد بن أحمد، (ص: ٣٤٨)، تحقيق: عبد المنعم طوعي بشناتي، دار البشائر الإسلامية، بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، «المطلع على أبواب المقنع»، محمد بن أبي الفتح الحنبلي، (ص: ٢٦٢)، صناعة: محمد بشير الأدلبي، المكتب الإسلامي، بيروت- لبنان، طبعة: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، «فقه السنة»، سيد سابق، (٢٠٥/٣)، دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة- جمهورية مصر العربية، الطبعة: الثانية عشر، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- ٣- انظر: «فقه السنة»، (٢٠٥/٣).
- ٤- انظر: «المدونة الكبرى»، رواية سحنون عن ابن القاسم عن الإمام مالك، (٢/٤)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، طبعة: ١٤١١هـ - ١٩٩١م، «المجموع شرح المذهب»، (٢٢١/١٥)، «المغني»، (٥٥٤/٥).
- ٥- انظر: «اللباب في شرح الكتاب»، الميداني، عبد الغني الغنيمي الدمشقي، (١٣٩/٢)، تخريج وتعليق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- ٦- انظر: «المجموع شرح المذهب»، (٢٢٢/١٥).
- ٧- «صحيح مسلم بشرح النووي»، النووي، يحيى بن شرف (٢٠٩/١٠)، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ٨- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب استعمال النبي ﷺ على أهل خيبر، (٤٢٤٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب المساقاة والمعاملة بجزء من الثمر والزرع، (١٥٥١)، واللفظ لمسلم.
- ٩- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحرث والمزارعة، باب إذا قال اكفني مؤونة النخل أو غيره وتشركني في الثمر، (٢٢٢٥).

١٠- انظر: «شرح معاني الآثار»، الطحاوي، أحمد بن محمد، (١١٧/٤)، تحقيق: محمد زهري النجار- محمد سيد جاد الحق، دار عالم الكتب، بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، «بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع»، الكاساني، أبو بكر بن مسعود، (٢٨٠/٦)، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، [د.ت.].

١١- انظر: «بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع»، (٢٦٥/٦).

١٢- انظر: «شرح صحيح البخاري لابن بطلال»، ابن بطلال، علي بن خلف بن عبد الملك، (٢٨٧/٦)، ضبط وتعليق: ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض- المملكة العربية السعودية، [د.ب.ت.].

١٣- انظر: «القاموس المحيط»، الفيروزآبادي، مجد الدين، (٢٠٥/٣)، دار المعرفة، بيروت-لبنان، [د.ب.ت.].

١٤- انظر: «معجم المصطلحات الاقتصادية والإسلامية»، الجمعة، علي بن محمد، (ص: ٤٨٨)، مكتبة العبيكان، الرياض- المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، «معجم المصطلحات المالية والاقتصادية في لغة الفقهاء»، نزيه حماد، (ص: ٤٧٥)، دار القلم، دمشق- سورية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

١٥- أخرجه أحمد في مسنده، مسند أبي هريرة، (٨٨٤٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، (١٦٣١)، وأبو داود في سننه، كتاب الوصايا، باب ما جاء في الصدقة عن الميت، (٢٨٨٠)، والترمذي في جامعه، كتاب الأحكام، باب في الوقف، (١٣٧٦)، والنسائي في سننه، كتاب الوصايا، باب فضل الصدقة عن الميت، (٣٦٥١)، واللفظ لمسلم.

١٦- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المساقاة، باب من رأى صدقة الماء وهبته ووصيته جائزة مقسوماً كان أو غير مقسوم.

١٧- انظر: «شرح صحيح البخاري لابن بطلال»، (٤٩٢/٦)، «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، (٣٠/٥)، ترقيم وإشراف: محمد فؤاد عبد الباقي، تصحيح: محب الدين الخطيب، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، [د.ب.ت.].

١٨- انظر: «الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني»، النفراوي، أحمد بن غنيم، (١٥٧/٢)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، «حاشية العدوي على كفاية الطالب الرباني»، العدوي، علي الصعدي، (٢٣٢/٢)، دار المعرفة، بيروت-لبنان، [د.ب.ت.].

١٩- انظر: «رد المحتار على الدر المختار»، (حاشية ابن عابدين)، ابن عابدين، محمد أمين، (٤٣٧/٦)، تحقيق: محمد صبحي حسن حلاق- عامر حسين، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، «الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني»، (٢٦١/٢)، «حاشية إعانة الطالبين»، الدمياطي، السيد البكري بن السيد محمد شطا، (١٦٩/٣)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، طبعة: ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٢٠- انظر: «الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني»، (٢١١/١)، «بلغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك» (حاشية الصاوي على الشرح الصغير)، الصاوي، أحمد بن محمد، (٤٣٢/٢)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، [د.ب.ت.]. «حاشية العدوي على كفاية الطالب الرباني»، (٢٤٢/٢).

٢١- انظر: «الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني»، (١٦١/٢).

٢٢- انظر: «الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف»، (٤٥/٧)، «تصحيح الفروع ذيل على كتاب الفروع»، علي بن سليمان المرادوي، (٤٩/١) و (٤٥٣/٤)، تحقيق: أبو الزهراء حازم القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٢٣- انظر: «المصباح المنير»، أحمد بن محمد بن علي المقرئ، (ص: ٧١)، دار الحديث، القاهرة- مصر، طبعة: سنة، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

٢٤- انظر: «التعريفات»، علي بن محمد الشريف الجرجاني، (ص: ٨٣)، مكتبة لبنان، بيروت- لبنان، طبعة: ١٩٨٥م، «معجم لغة الفقهاء»، قلعة جي، محمد رواس، (ص: ١٤٦)، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٢٥- انظر: «كتاب الآثار»، أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، (ص: ١٩٩)، (برقم: ٨٩٩)، تصحيح وتعليق: أبو الوفاء، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، [د.ت.].

٢٦- انظر: «الخراج لأبي يوسف»، أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، (ص: ٩٧)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، [د.ب.ت.]. «كتاب الخراج»، يحيى بن آدم القرشي، (ص: ١٠٩)، (برقم: ٣٥٥)، تصحيح وشرح: أحمد محمد شاكر، المطبعة السلفية ومكتبتها، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ، وقال الشارح: هو الهيثم بن أبي الهيثم حبيب الصيرفي، وهو ثقة وما أظنه أدرك عمر.

٢٧- انظر: «المبسوط»، السرخسي، محمد بن أبي سهل، (١٤٢/٢٣)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، «بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع»، (٢٨٦/٦)، «رد المحتار على الدر المختار»، (١٧/١٠).

٢٨- انظر: «المبسوط»، (١٦٢-١٦١/٢٦)، «بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع»، (٣٥٤/٧).

٢٩- انظر: «الشرح الصغير»، الدردير، أحمد بن محمد، (٥٦/٢)، مؤسسة العصر للمنشورات الإسلامية، وزارة الشؤون الدينية- الجزائر، طبعة: ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، «بلغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك»، (٣٠٢/١)، «الخلاصة الفقهية على مذهب السادة المالكية»، القروي، محمد العربي، (ص: ٢٠٢)، دار القلم، بيروت- لبنان، [د.ب.ت.]. «مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج»، شمس الدين محمد بن الخطيب الشربيني، (٤١٥/٤)، اعتناء: محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، «أسنى المطالب شرح روض الطالب»، زكريا الأنصاري الشافعي، (٤٢٣/٣)، ضبط وتخريج وتعليق: محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٣٠- انظر: «مختصر خليل»، خليل بن إسحاق المالكي، (ص: ٢٧٣-٢٧٤)، تصحيح: أحمد نصر، دار الشهاب، باتنة- الجزائر، [د.ب.ت.].

٣١- أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب إحياء الموات، باب ما جاء في النهي عن منع فضل الماء، (١٢٠٧١)، ولم يذكر درجة هذا الأثر.

٣٢- انظر: «المغني»، ابن قدامة المقدسي، موفق الدين، (٨٠/١١)، عناية: جماعة من العلماء، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، طبعة: ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م، «العدة في شرح العمدة»، عبد الرحمن بن إبراهيم بهاء الدين المقدسي، (٣٣٩/٢)، تحقيق وتعليق: طارق الطنطاوي، مكتبة الفرقان للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، [د.ت.]. «كشاف القناع عن متن الإقناع»، البهوتي، منصور بن يونس بن إدريس، (١٥/٦)، تحقيق: هلال مصيلحي مصطفى هلال، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، طبعة: ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

٣٣- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب موكل الربا، (٢٠٨٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب لعن أكل الربا ومؤكله، (١٥٩٨)، واللفظ لمسلم.

٣٤- انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري»، العيني، بدر الدين محمود بن أحمد، (٢٩١/١١)، ضبط وتصحيح: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

٣٥- أخرجه أحمد في المسند، مسند عبد الله بن عباس، (٢٨٩٧)، أبو داود في السنن، كتاب الأشربة، باب في العنب يعصر للخمر، (٣٦٧٤)، والترمذي في جامعه، كتاب البيوع، باب النهي أن يتخذ الخمر خلاً،

- (١٢٩٥)، وابن ماجه في السنن، كتاب الأشربة، باب لُعنت الخمرُ على عشرة أوجه، (٢٣٨٠)، واللفظ لأبي داود، والحديث صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم (٣٦٧٤).
- ٣٦- انظر: «تاج اللغة وصحاح العربية» (الصحاح)، الجوهري، إسماعيل بن حماد، (٢٤١/٤)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ٣٧- انظر: «معجم لغة الفقهاء»، (ص: ٢١٧).
- ٣٨- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحدود، باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان، (٦٧٨٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود، (١٦٨٨)، واللفظ لمسلم.
- ٣٩- انظر: «بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع»، (١١٤/٧)، «شرح فتح القدير»، كمال الدين ابن الهمام، محمد بن عبد الواحد السيواشي، (٢٥٥/٤)، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، طبعة: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، «الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني»، (٢١٣/٢)، «شرح منتهى الإرادات» (دقائق أولي النهى لشرح المنتهى)، «البهوتي، منصور بن يونس، (٢٣١/٦)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- ٤٠- انظر: «أحكام القرآن»، ابن العربي، محمد بن عبد الله، (٦١٠/٢)، تحقيق: علي محمد الجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، [د.ب.ت].
- ٤١- انظر: «الإجماع»، ابن المنذر، محمد بن إبراهيم، (ص: ١٥٧)، تحقيق: صغير أحمد بن محمد حنيف، مكتبة الفرقان، عجمان - الإمارات العربية المتحدة، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ٤٢- انظر: «صحيح مسلم بشرح النووي»، (١٨٥/١١)، «أسنى المطالب شرح روض الطالب»، (٢٨٠/٨).
- ٤٣- انظر: «شرح الخرشي على مختصر سيدي خليل»، الخرشي، محمد بن عبد الله، (٢٢٦/٨)، اعتناء: نجيب الماجدي، المكتبة العصرية، صيدا - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- ٤٤- انظر: «الأحكام السلطانية»، الفراء، أبو يعلى محمد بن الحسين، (ص: ٢٦٦)، تصحيح وتعليق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، طبعة: ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ٤٥- انظر: «الأشباه والنظائر»، ابن نجيم، (ص: ١٤٣)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق - سورية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ٤٦- انظر: «الإجماع»، (ص: ١٦٢).
- ٤٧- انظر: «المنتقى شرح موطأ مالك»، الباجي، أبو الوليد سليمان بن خلف، (١٥٦/٧)، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.
- ٤٨- انظر: «المغني»، (٢٤٧/١٠)، «شرح منتهى الإرادات»، (٢٣٤/٦).
- ٤٩- انظر: «التلخيص في الفقه المالكي»، عبد الوهاب بن علي بن نصر المالكي، (٢٠١/٢)، تحقيق: محمد بوخبة، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- ٥٠- انظر: «بداية المجتهد ونهاية المقتصد»، ابن رشد الحفيد، محمد بن أحمد، (١٧٨/٦)، تحقيق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

حقيقة الروح والنفس في القرآن الكريم

د. منال خضر عبيس العبيدي



المقدمة

لطالما انشغلت عقول البشرية منذ نشأة الخليقة وحتى يومنا هذا في البحث عن الحقيقة، وخاصة ما يتعلق بالأمور الغيبية الخارجة عن حدود عالمنا الحسي المادي، ومنها الروح والنفس وقد اتخذت هذه العقول على اختلافها طرقاً شتى للبحث عن الحقيقة، منها من اتخذ الفلسفة نقطة الانطلاق للبحث عن الحقيقة، ومنها من اتخذ العقل سبيلاً لتحصيل الحقائق فلسفياً، ومنها من وفق بين العقل والدين طريقاً للبحث عن الحقيقة. أما حديثاً فقد وفقت بين العقل والعلم، كما آمن كل من الفلاسفة والفنانين بالفرن طريقاً للبحث عن الحقيقة. وبما أن البحث الذي نحن بصدده يتقصى حقيقة الروح والنفس في القرآن الكريم فقد ارتأت الباحثة أن يكون

القرآن الكريم هو مصدرها الأساسي للبحث عن تلك الحقيقة، حتى يكون هو الفيصل الحق والفارق بين الحقيقة والخيال من جهة وبين الحقيقة والباطل من جهة أخرى، فقد جاء في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ..﴾ (فاطر: ٢١). كما أن هناك مصطلحين مختلفين في القرآن الكريم هما: الروح والنفس، لكل منهما مدلولاته الخاصة التي يختلف بها عن الآخر، وقد لاحظت الباحثة أن هناك لبساً واضحاً وجدلاً واسعاً في طرحهما من قبل الفلاسفة والمختصين

• معلمة جامعية، المديرية العامة للتربية في محافظة بابل/العراق. manalalubaidi@yahoo.com

في حقول المعرفة الدينية، وفي فهمهما من قبل العامة من الناس، لذلك عقدت العزم على اجراء هذه الدراسة والبحث عن حقيقة هذين المصطلحين في القرآن الكريم. ومن الفنون الإبداعية التي اختصتها الباحثة في هذا البحث، هو الفن الإسلامي لما يمتلك من خصيصة ميزته عن باقي الفنون في العالم القديم والحديث، وكونه يمثل أرضاً خصبة للمنطقة التي نزل بها القرآن الكريم. وخاصةً أن هذا الفن لا يتعارض مع المفاهيم التي جاء بها الدين الإسلامي، بل جاء مترجماً لها، ذلك أن ما جاء به الإسلام من شرائع إنما تدعو إلى خلق حالة من الموازنة بين ما هو روحي متعلق بالإله وما هو نفسي متعلق بالدنيا وزينتها من جهة وما هو روحي من جهة أخرى. لذلك يحاول هذا البحث استقصاء تمثيلات الروح والنفس في الفن الإسلامي، بعدما يقف على حقيقتيهما في القرآن الكريم. عليه، سنقوم بتحديد المصطلحات الواردة في العنوان لغوياً واصطلاحياً، والتعرض لما ورد عن مفهومي الروح والنفس في فكر الديانات والحضارات والثقافات القديمة، وكذلك في الديانات السماوية الكبرى، وطبعاً في القرآن الكريم، دون المرور على الفكر الفلسفي في جميع العصور لعدم سعة هذا البحث.

المبحث الأول: تحديد المصطلحات

١ - لغوياً

أولاً: الحقيقة (truth): مصدرها الحق، والحق لغةً: نقيض الباطل، وجمعه حقوق وحقائق، وحق الأمر ويحق حقاً وحقوقاً: صار حقاً وثبت. والحقيقة: ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه، والمجاز ما كان ضد ذلك.^(١)

ثانياً: الروح (spirit): روح - الريح: نسيم الهواء، وكذلك نسيم كل شيء. والروح: برد نسيم الريح. والروح: الاستراحة من غم القلب. أما الروح: بالضم في الكلام العرب: النفخ، سمي روحاً لأنه ريح يخرج من الروح. ويقال خرج روحه والروح مذكر. وهو النفس الذي يتنفسه الإنسان، وهو جار في جميع الجسم، فإذا أخرج لم يتنفس بعد خروجه. والروح في هذا كله خلف من خلق الله.^(٢)

ثالثاً: النفس (soul): النفس في كلام العرب يجري على ضربين: أحدهما قولك خرجت نفس فلان، وفي نفس فلان أن يفعل كذا، والضرب الآخر النفس فيه معنى جميلة الشيء وحقيقته، ونقول: قتل فلان نفسه وأهلك نفسه، أي أوقع الهلاك بذاته كلها وحقيقته، وجمعها أنفُس ونفوس.^(٣)

رابعاً: التمثيل (Representation): تمثّل، تصور، تخيل. تماثل: تشابه وتطور وتطابق صار مماثلاً، متماثل الوضع الذي يظهر تماثلاً أو تشابهاً في الوضع.^(٤)

١- وتمثّل يتمثل تمثلاً: - الشيء له: تصور له.

٢- الشيء مثاله. وتماثل يتمثل تماثلاً: الشئان: تشابها، صورة الشيء الذي تمثل صفاته.^(٥)

٢- اصطلاحياً

أولاً- الحقيقة:

- ١- للحقيقة عند الفلاسفة عدة معانٍ منها مطابقة الشيء لصورة نوعه، أو مثاله الذي أريد له. فالحقيقة بهذا المعنى هي: ما يصير إليه حق الشيء ووجد به.^(٦)
 - ٢- يعرفها سيف الدين الأدي (ت: ٦٣١هـ) بأنها: عبارة عن ما يقع تمييزاً للشيء عند غيره بذاتيته، فإن كان مع ذكر جميع الذاتيات العامة والخاصة فتام كحد الإنسان بأنه الحيوان الناطق، وإلا فناقص كحد الإنسان أنه الجوهر الناطق.^(٧)
- ثانياً- الروح:

- ١- وعرف الغزالي (ت: ٥٠٥هـ) الروح بأنه: «جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني، فينتشر بواسطة العرق والضوارب إلى سائر اجزاء البدن وجريانه في البدن».^(٨)
 - ٢- أما ابن طفيل (ت: ٥٨١هـ) فيعرف الروح بأنه: جسم لطيف هوائي في غاية من الاعتدال اللائق به، فتعلق الروح الذي هو من أمر الله بالقلب وتثبت به وهو دائم الفيضان من الله، والأجسام تتقبله بحسب استعدادها وأكثرها تقبلاً له هو الإنسان الذي يتصور بصورته.^(٩)
- ثالثاً- النفس:

- ١- عرف الكندي (ت: ٢٥٨هـ) النفس بأنها: جوهر بسيط شريف الطبع جوهرها من جوهر الله فيها روح منه، وهي نور من نوره وهي منه كالضياء من الشمس مستقلة عن الجسم.^(١٠)
 - ٢- عرفها ابن رشد (ت: ٥٩٥هـ) بأنها: صورة للبدن، وجوهر مستقل ووصفها بأنها ليست بجسم حية عالمة قادرة مريدة سمعية بصيرة متكلمة.^(١١)
- رابعاً- التمثل:

- عرف الخوارزمي (ت: ٢٨٧هـ) كل من التخيل والتصور، والتمثل بقوله: يقال: (تصورت الشيء إذا اعتمدت تصويره في نفسي، وتمثلته وتخيلته كذلك). وأما تخيل لي، وتمثل لي، وتصور لي، فهي معروفة، وقياس ذلك: تبينه فتبين لي، وتحققته، تحقق لي.^(١٢)
- وتعرف الباحثة التمثل إجرائياً:

التمثل هو عملية إيجاد معادل حسي مادي لما هو غيبي كالروح والنفس، من خلال مفردات اللغة التشكيلية.

المبحث الثاني: الروح والنفس في الحضارات والديانات القديمة

١- العراق القديم: الروح عندهم هو العنصر غير المرئي من الإنسان حيث الجسم هو العنصر المرئي، وعند حدوث الموت ينفصل الروح ويتحول إلى مخلوق آخر له جناحان من الريش ويحمل نفس الملامح الأساسية لصاحبه المتوفي^(١٣). كما اعتقدوا بوجود الروح شريرة، منها الشيطان (بازوزو) إله الرياح الحارة، وقد مثل بهيئة إنسان مركب له ذيل طويل معقوف وأربعة أجنحة. وكذلك الشيطانه (مشتو) التي مثلت برأس أسد وجسم امرأة تقف على حمار وترضع حيوانين^(١٤)، كما اعتقدوا بأن الآلهة هم أرواح محضة، صوروها بأشكال مظاهر الطبيعة والإنسان والحيوان والنبات. وأرواح البشر تتقاسم عندهم الخير والشر معاً.^(١٥)

٢- مصر القديمة: آمن المصريون القدماء بخلود الروح بعد الموت، حيث يعيش الإنسان بعد موته حياة أخرى يحاسب فيها على أعماله في الحياة الدنيا. كما آمنوا بأن الروح منبثق من روح الله، وهو جزء من جوهره لذا فهو خالد لا يموت.^(١٦)، وهم يمثلون روح الميت (با) بطير له رأس إنسان، أما القوة التي كانت تلازم موتاهم (كا) مثلوها مرة بذراعين مرفوعين، ومرة بزهرة، ومرة بطائر ذي وجه آدمي، وآخر بصورة تمساح أو ثعبان.^(١٧)

٣- الهند القديمة: تعتقد الديانة الهندوسية أن براهما هو الروح العلوي وهو الذي يبت الأرواح في باقي المخلوقات وهو خالد لا يموت، كما أنه ما ينقص الإنسان فيبحث عنه، إذ لا بد من اتحاد روحه (الأتمان) مع روح (الابراهمان) اتحاد الكل بأجزائه كما يعتقد الهندوس بتناسخ الأرواح فإذا عمل الروح الصالحات تقمص جسماً مقدساً، وإذا عمل عملاً سيئاً تقمص جسماً بذياً^(١٨)، كما أنهم يسمون (أتمان) النفس الفردية و(براهمان) النفس الكلية^(١٩). مثل براهما كإله له أربعة رؤوس بلون أحمر مرتدياً ثياباً بيضاء.^(٢٠)

٤- الصين القديمة: عبد الصينيون القدماء أرواح الموتى أسلافهم وقدموا لهم القرابين فهم حراس الأسرة، وهم يعتقدون أن لكل إنسان عدة أرواح في ذات الوقت، تنفصل أحدهما (الهون) عن الجسد حالاً بعد الموت أما الروح السفلي (البو) فتبقى معالجته، وإن لم يقدم له الفروض المقررة يخشى أن يصبح شيطاناً (كوي) يزرع الرعب في أسرة الميت.^(٢١)، ولقد مثل الصينيون الروح (بالتنين) معتبرينه واسطة بين البشر والإله.^(٢٢)

٥- الزرادشتية الفارسية: اعتقد زرادشت بأن روح الإنسان هو من جوهر روح الله فلا بد له من التزهد لكي يتسامى إلى مستوى ذلك الروح الإلهي^(٢٣)، ويرى زرادشت أن النفس الإنسانية قد خلقها الإله ومنحها حرية الإرادة والاختيار بين الخير والشر.^(٢٤) حيث يمثل الخير الروح (اهورامزدا) ويمثل الشر الروح (اهريمان) أمير الظلام وحاكم العالم السفلي.^(٢٥) وقد صور الإله الأعظم (اهورامزدا) بهيئة قرص معنح يبرز منه رأس وكتفا الإله حيث يحكم السماء والأرض يحميها بجناحيه.^(٢٦)

المبحث الثالث: الروح والنفس في الديانات السماوية الكبرى قبل الإسلام

١- اليهودية: لقد وردت لفظة الروح في العهد القديم كثيراً وبمعان مختلفة: منها اسم للهواء والريح الهابة والروح الحيواني، ومنها الروح^(٢٧)، الذي يبقى من الإنسان بعد الموت، وهو نفخ نفخه الرب في أنف الإنسان. كما ذكر سعديا الفيومي (٨٩٢م) وهو فيلسوفي يهودي، في كتاب القبالة، وأن للروح ثلاثة أقسام وهي:

أ- نفيش (nefesh) وتمثل الطبقة السفلى من الروح وترتبط بغرائز الإنسان الجسدية.
 ب- روح (ruach) وهو الطبقة الوسطى من الروح والمسؤولة عن التمييز بين الخير والشر وتنظيم المبادئ الأخلاقية.

ج- نيشامة (neshamah) وهي الطبقة العليا من الروح المسؤولة عن تمييز الإنسان عن بقية الكائنات الحية.^(٢٨)

ويعتقد علماء التلمود: أنه بموت الإنسان تخرج روحه لتشتغل جسماً آخر، من الأجسام نسله حديثي الولادة، أي أنهم يؤمنون بتناسخ الأرواح وفي ذلك يقول الفيلسوف الإسكندري فيلون (٥٠م): «أنا سنعود ونولد مرة أخرى».^(٢٩)

٢- المسيحية: لقد وردت كلمة روح في العهد الجديد أكثر من ثمانين مرة: (روح الرب)، (روح الآب)، (روح يسوع)، (روح القدس)، وهي تطلق غالباً على الكائنات التي لا أجساد لها، وأحياناً على ذوات الأجساد، وتمثل العنصر الذي به يصبح الكائن عاقلاً حساساً، وهو خالد لا يموت بموت الجسد^(٣٠). يؤمن المسيحيون بالتثليث المكون من ثلاثة أرواح: (روح الآب وروح الابن وروح القدس ذلك الروح الذي حل على العذراء وهو الذي ينبثق من الآب والابن، بحسب الكاثوليكية، أما الارثوذكسية فإنها تقول بأن روح القدس ينبثق من الآب فقط^(٣١). هناك تصور عند المسيحيين عن النفس جسماً ورد في العهد الجديد «ماذا ينتفع الإنسان إذا ربح العالم وخسر نفسه» (متي ٣٦/١٦) فلا بد من تهذيب النفس وتطهيرها وتخليصها: والنفس تموت وليس من سماتها الخلود. فالإنسان مكون من جسد وروح ونفس، متى ما مات الإنسان عاد جسده إلى التراب وانحلت نفسه وبقي روحه إلى أن يعود إلى الجسد يوم القيامة.^(٣٢)

المبحث الرابع: الروح والنفس في الإسلام (القرآن الكريم)

أولاً- الروح: لقد وردت لفظة الروح في القرآن الكريم (٢٢ مرة) على وجوه عدة، منها:

- ١- الروح بمعنى الرحمة: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ (المجادلة: ٢٢)
 - ٢- ملك من الملائكة: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ (النبأ: ٣٨)
 - ٣- جبريل عليه السلام: ﴿نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ (النحل: ١٠٢)
 - ٤- بمعنى الوحي: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ﴾ (النحل: ٢)
 - ٥- بمعنى القرآن: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ (الشورى: ٥٢) ^(٣٣)
- الروح من أمر الله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: ٨٥). فسر هذه الآية الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت: ٥٥٢ هـ) في مؤلفه (مجمع البيان في تفسير القرآن) بأنه عندما سأل اليهود عن الروح أهو مخلوق محدث أم قديم، فجاء الرد بهذه الآية أي: «من فعله وخلقه.... ويجوز أن يكون الروح الذي سألوا عنه هو الذي به قوام الجسد....أو هو ملك من الملائكة....أو هو القرآن» ^(٣٤). وفي تفسير مفاتيح الغيب قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦ هـ): «إن مسألة الروح يعرفها أصاغر الفلاسفة وأراذل المتكلمين، فلو قال الرسول ﷺ: أني لا أعرفها، لأورث ذلك ما يوجب التحقير والتنفير.... فكيف الرسول الذي هو أعلم العلماء وأفضل الفضلاء؟» ليخلص إلى قوله: «بل المختار عندنا أنهم سألوه عن الروح وأنه ﷺ أجاب عنه على أحسن الوجوه» ^(٣٥).

- روح القدس: ﴿وَأَيَّدَنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ (البقرة: ٨٧) أي قويناه وأعنا به جبريل عليه السلام. أما عند كيفية حدوث الاتصال بين الذات الإلهية والذات البشرية، فيقول سيد قطب (ت: ١٩٦٦ م): «إن الله تعالى نفخ الإيمان في أرواح المسلمين فأحيها. وأطلق فيها هذه الطاقة الضخمة من الحيوية والحركة والتطلع والاستشراق، فتشرق أرواحهم في النور فتضيء ويفيض منها النور فتضيء» ^(٣٦).

- نفخ الروح: يقول الطباطبائي (ت: ١٩٨٢ م) في تفسير الآية: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي﴾ (الحجر: ٢٩): أن التسوية هي للأجزاء وتنظيمها ووضع كل جزء في محله الذي

يليق به، ثم يأتي النفخ، والنفخ هو إدخال الهواء داخل الاجسام بضم أو غيره والمقصود في الآية إيجاد الله تعالى الروح الإنساني بما له من الرابطة والتعلق بالبدن، وله استقلال عن البدن إذا انقطع تعلقه به وفارقه. (٣٧)

ثانياً- النفس: لقد وردت لفظة النفس في القرآن الكريم (٢٩٦) مرة والقول فيها كثير.

- النفس الواحدة: النفس الواحدة: المراد بها - حسب تفسير الطبرسي - للآية «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً» (النساء: ١)؛ آدم عليه السلام وإن كانت اللفظة مؤنثة بالصيغة وفي مسألة بث الأنفس ذكر الطبرسي ما جاء به الباقر عليه السلام (ت: ١١٤هـ) أن الله تعالى خلق حواء من فضل طينة آدم ونشر وفرق من هاتين النفسين على وجه التناسل. (٣٨)

- موت النفس: قال فخر الدين الرازي في الآية «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ» (الأنبياء: ٢٥) إن مصير جميع النفوس الموت ثم يتوفى الكل على أعمالهم يوم القيامة. (٣٩)

- النفس الأمارة بالسوء: يرى سيد قطب أن النفس الإنسانية في عموم أحوالها أمارة بالسوء، ولا يخص ذلك بعض الأفراد الذين لم يصلوا إلى مستوى الإدراك والمعرفة بقيم الحياة والمنهج الرباني الذي يضم شتات الأعمال ويردها إلى منهج واحد سليم له هدفه المرسوم. (٤٠)

- النفس اللوامة: ويرى فخر الدين الرازي أنها تقع في عدة وجوه أما الأول: فكل نفس برة أو فاجرة، تلوم نفسها يوم القيامة. والثاني: هي النفس النقية، تلوم النفس العاصية يوم القيامة. والثالث: هي النفس الشريفة، ما تفتأ تلوم نفسها وإن أجهدت في الطاعة. (٤١)

- النفس المطمئنة: قال الطباطبائي في تفسير الآية «يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً» (الفجر: ٢٧-٢٨): إن النفس المطمئنة هي التي تسكن إلى ربها وترضى بما رضى به فترى نفسها عبداً لا يملك لنفسه شيئاً من خير أو شر أو نفع أو خير الدنيا دار ابتلاء فتصبر وتشكر لا تتحرف عن الصراط المستقيم. وتوصيفها بالراضية لأن اطمئنانها إلى ربها يستلزم رضاها بما قدر وقضى، فإذا رضى العبد من ربه رضى الرب منه. (٤٢)

المبحث الخامس: تطبيقات البحث

تمثيلات الروح والنفس في الفن الإسلامي

نتناول في هذا البحث ثلاثة نماذج نظراً لسعة البحث، يمثل أحدها جانباً معمارياً والثاني جانباً زخرفياً والثالث جانباً تصويرياً.

النموذج الأول: الكعبة المشرفة

إن الشكل الهندسي للكعبة هو المكعب ذو الأساسات المربعة، وهو شكل يحمل قدسية لكونه بني بأمر من الله تعالى، فقد روي عن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن النبي ﷺ إذ قال: (إن الله تعالى بعث ملائكته فقال ابنوا لي في الأرض بيتاً على مثال البيت المعمور، وأمر الله تعالى من في الأرض أن يطوفوا به كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور، وهذا كان قبل خلق آدم)^(٤٢)، وهذا يعني أن الشكل المربع والمكعب والخطوط المستقيمة تعبر عن السكون المتجلي في مفهوم المكان، والمكان يعني الثبات والسكون والأمان «وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمناً» (آل عمران: ٩٧)، وبما أن الروح هو من أمر الله وهو يثبت المؤمنين على إيمانهم «وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ» (المجادلة: ٢٢) فذلك أن الروح يتمثل بكل ما له علاقة بالاستقامة والأشكال الهندسية ومنها المكعب: وهو شكل محكم مستقر في بنائه لا يمكن رؤيته جميعه إلا بعد الإحاطة به من خلال الدوران حوله. ولمن يروم الحقيقة أن يرى الأمور من منظار الإحاطة حول الأشياء بكلياتها. فالشكل المكعب يحوي الحقيقة كاملة، وما خطوطه المستقيمة إلا تمثيلات لاستقامة الروح ومنطلقاً نحو عالم الأبدية. وحتى تتحقق الإحاطة الشاملة للكعبة ومعرفة الحقيقة، أمرنا الله تعالى بالطواف حولها وإبصار الحقيقة بعين البصيرة من خلال الطواف الدائري، إذ أن الدائرة مرتبطة بمفهوم الزمان، والزمان بدوره مرتبط بهذه الدنيا لكونه نسبياً والنسبية من خصائصها. فحركة الطواف الدائرية تمثل حركة النفس المتصفة بالتقوى، فالحاج الذي يطوف حول الكعبة إنما هي محاولة منه للتخلص من الآثام التي اقترفتها نفسه سابقاً، وبما أن الطواف سبع مرات فإن في ذلك محاولة من النفس للارتقاء من الأرض إلى السماء الدنيا الأولى ثم إلى السماء الثانية وهكذا وصولاً إلى السماء السابعة، في كل سماء يتم تطهير النفس من بعض خطاياها حتى تنتهي نفس الحاج من السماء السابعة وقد تطهرت تماماً. وهي محاولة لتسامي النفس ووصولها إلى مصاف الروح النقي الذي هو نفخة من روح الله، والانعقاد من عالم المادة فتقلت النفس من جزئها المتصف بالفجور ويبقى جزئها النقي حينها تصبح نقية بقاء الروح.

الأنموذج الثاني: صفحة مفتتح لمصحف شريف يعود للقرن الثامن الهجري، مسجد قيسون/مصر

تجمع هذه الصفحة بين جماليات الأطباق النجمية، المطعمه بالزخارف النباتية، وبين شرائط تضم كتابات لعبارات قرآنية. حيث تنقلنا الأطباق النجمية من مستوى فكري إلى آخر. وهنا يسعى الفنان المسلم إلى عدم محاكاة الواقع الحسي في تمثيل الأشكال للوصول إلى تسامي الفكر الجمالي نحو تصوير رمز علو الإنسان وتساميه نحو خالقه علواً روحياً. تعد الزخرفة الهندسية محاولة من الفنان المسلم من أجل إماطة الحجب عن الروح حتى تتكشف الحقائق وتتعري مما لحق بها من إضافات، فتعود إلى أصلها غير المركب، وهذا يقوم على الرؤية الباطنية القلبية، وقد وجد فيما قدمته العقيدة الإسلامية من تصور عن العالم الآخر..عالم الأرواح ما يجذب إليه ويمثله بأسلوب تجريدي هندسي، إذ تعد الزخرفة الهندسية تمثالات للروح الذي هو من أمر الله، ويصدر أفعاله بأمر الله، منه سبحانه المنطلق وإليه العودة. وبما أن مصدر الأمر يمثل المركزية في الكون، فكذلك الحال في هذا الأثر الفني الذي نحن بإزائه. فالنقطة المركزية هي الجوهر الذي يصدر الأشياء كلها، وقد قام الفنان بكتابة الآية القرآنية التي خطها ووضع كلمة العظيم في وسط الزخرفة وتحديداً في نقطة المركز. وما النجمة ذات الاثنتي عشرة زاوية المحيطة بكلمة العظيم إنما هي تجمع بين الشكليين المربع والمثلث، وهي تبعث على فكرة السكون الأبدي، وهذا يتفق مع المفهوم الإسلامي للذات الإلهية. فمن هذه المركزية تنطلق الخطوط المستقيمة، لتكون الأشكال النجمية والتي تبدأ صغيرة ثم تكبر كلما ابتعدنا عن المركز نحو الخارج. وهذه الأشكال تمثل الروح الذي يؤدي الأمر الإلهي في هذا الكون. وما الزخرفة النباتية التي تتخللها، إلا تمثالات للنفوس التي تملأ الأرض، فيحاول الروح الإحاطة بها وتثبيتها على الإيمان. فتمثل الأشكال الهندسية مفهوم الثبات من خلال الروح، والزخرفة النباتية تمثل الحركة وعدم الاستقرار حيث النفس. أما اللون الأزرق المستخدم على الأرضية فيمثل السماء الواسعة والأشكال الهندسية البنية فتمثل الأرواح المنطلقة من المركزية نحو الخارج. أما الخطوط الذهبية فهي تمثل الاستقامة والتسامي الروحي البعيد عن عالم المادة.

الأنموذج الثالث: تصويره لآدم وحواء (من مخطوط منافع الحيوان) سنة ٦٩٤هـ

تعرض هذه التصويرة مشهداً لآدم وحواء في الجنة، وتحيط بهما الأشجار المثمرة، ويبدو من المشهد أنه يسجل لحظة غواية إبليس لهما عندما أرشدهما إلى شجرة الخلد «فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبُلَىٰ»

(طه: ١٢٠) وذلك لوجود ملابس تغطي جسديهما، وكذلك إشارتهما بإصبعيهما إلى ذات الاتجاه، والذي ربما كان هو اتجاه الشجرة التي نهاهما ربهما عنها، ورغبهما الشيطان فيها. كما يبدو السرور على وجهيهما من أنهما سيحصلان على الخلد. وذلك يدل على أن نفسيهما في تلك اللحظة كانتا من الأنفس الأمارة بالسوء، عندما عصا ربهما ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ (طه: ١٢١)، ولا بد أن يكون العصيان من صفات النفس الأمارة بالسوء. فقد عبر الفنان هنا عن أنفسهما العاصية من خلال إيماءات وجهيهما وإشارات إصبعيهما بذات الاتجاه. وقد كانت ألوان الملابس التي غطت جسديهما الأحمر والوردي، وفي هذين اللونين إشارة إلى الانهيار والوقوع في المعاصي والأخطار، ذلك أن كثيراً من الفنانين يصورون الشيطان باللون الأحمر، حتى أصبح هذا اللون رمزاً له. أما هالات النور حول رأسيهما فهما يتعارضان مع تلك اللحظة التي همت بها نفسيهما بارتكاب المعصية التي تذهب بهالات النور وتبقى باهتة لا نور لها. وعليه فاللون الأحمر يحمل تمثيلات النفس الأمارة بالسوء. كما اعتمد الفنان على أسلوب التسطيع في معالجته لأشكاله دون التجسيم لأن النور كان موجوداً أولاً فلا حاجة للتظليل. وقد عمد أيضاً إلى التعبير عن أعماق النفس الإنسانية من خلال ما يمتلكه التصوير الإسلامي من خصائص تعبيرية.

نتائج البحث

١. الروح نوعان: أحدهما الروح العلوي، وهو خلق من خلق الله، خلقه لتنفيذ الأمر الإلهي ونفخ الروح في الجسم البشري، له قابلية على النفاذ في المادة والتمثل في هيئة بشرية. أما الروح الإنساني فهو نفخ من روح الله (الروح العلوي). وهو صورة تماثل وتطابق صورة الجسم المادي إلا أنها غير مرئية، وهي جسم نوراني هوائي خفيف حي متحرك، له قابلية النفاذ من خلال المادة، يؤدي وظيفة التأييد والثبات للنفس البشرية على الإيمان. وهو خالد بخلود الروح الذي نفخه، وهو علة حركة الجسم البشري. وعند البعض يعود الروح إلى جسمه المادي ويكون شاهداً عليه.

٢. النفس نوعان: النفس الواحدة وهي خلق من خلق الله سوى فيها سبحانه بين الفجور والتقوى، لذلك هي قابلية للمتضادات، خلقهما واحدة، وهي عبارة عن كتلة من النور، عرض الله تعالى عليها الأمانة ووافقت على حملها، تحوي جميع أنفس البشر آنذاك. خلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً. وكما خلقها سبحانه واحدة يبعثها نفساً واحدة. أما النفس البشرية فهي بث إشعاعي نوراني ينبثق وينبث من النفس الواحدة على شكل أشعة مثل أشعة الشمس تنزل من النفس الواحدة لتحل على قلب كل إنسان، فهو موقعها. والنفس هي مصدر التعقل والتدبر والتفكير عنده، وذلك يكون بمساعدة الدماغ. وهي المسؤولة عن أفعاله بخيرها وشرها. والنفس تموت وتقنى وتبعث يوم القيامة كنفس واحدة.

٣. وجدت الباحثة حقيقة الروح والنفس في جميع الحضارات والديانات القديمة والسماوية وكذلك عند الفلاسفة على مر التاريخ ولكنها حقائق جزئية، فكل منها يمتلك جزء من الحقيقة. في حين اكتملت الحقيقة جميعها في القرآن الكريم حيث آخر الأديان وأتمها إذ هو كلام خالق الروح والنفس.
٤. يمثل الشكل المكعب المكان والثبات والاطمئنان وبالتالي يمثل الروح. وكذلك الحال للشكل المربع والخط المستقيم. أما الدائرة فهي تمثل الزمان والحركة، وهي تمثل النفس.
٥. تمثل الأشكال الهندسية المستطيلة والخطوط الطولية والعرضية المتقاطعة الروح والنفس، فالحد الأفقي الأرضي يمثل النفس والعمودي يمثل الروح.
٦. يمثل الشكل الحلزوني مراحل سمو النفس وتطهيرها وصعودها نحو الأعلى.
٧. وجد الفنان المسلم في التجريدات الهندسية تمثيلات الروح لما تمتلكه من خاصية البساطة في التركيب.
٨. يمثل الإطار في العمل الفني حدود النفس الإنسانية الذي عليها التحرك بداخله بحرية دون تجاوزه.
٩. إن اللون الذهبي الذي يسلب الأشياء حجومها وأشكالها وينقلهما إلى عالم المطلق، وجد فيه تمثيلات للروح.
١٠. إن الزخارف الإسلامية النباتية فيها تمثيلات للأنفس الإنسانية بأنواعها.
١١. وجد الفنان المسلم تمثيلات للنفس الإنسانية أيضاً في الصيغ الواقعية من خلال قوة التعبير البادية على وجوه الأشخاص المرسومين في المنمنمات الإسلامية وكذلك في حركة الأيدي والأرجل.
١٢. نجد في هالات النور التي تحيط بالرؤوس تمثيلات للنفس المتصفة بالتقوى والإيمان.
١٣. استخدم الفنان المسلم اللون الأحمر كنوع من التمثيلات للنفس الأماره بالسوء غالباً.
١٤. ملأ الفنان المسلم الفضاءات بالزخارف ليس لأنه يخشى الفراغ كما يعتقد بعض الدارسين، بل لأنه يعلم من خلال مخزونه الثقافي الديني أن الفضاءات تملؤها كائنات حية كالأرواح والملائكة والجن وربما غيرها. ولا يوجد شيء اسمه الفراغ وقد ثبت ذلك علمياً بما لا يقبل الشك.

الهوامش

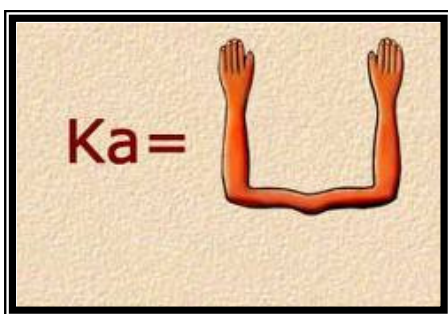
١. ابن منظور: لسان العرب، المجلد الثاني، دار المعارف (د.ت)، ص ٩٤١.
٢. ابن منظور: لسان العرب، ص ١٧٦٧-١٧٦٨.
٣. ابن منظور: لسان العرب، ص ٤٥٠٠.
٤. المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ط٢، دار المشرق، بيروت ٢٠٠٨، ص ١٢٢٠.
٥.: المعجم العربي الأساسي، لاروس، (د.ت)، ص ١١١٧-١١١٨.
٦. جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج ١، منشورات ذوي القربى، قم (١٣٨٥هـ) ص ٤٨٥.
٧. الآمدي، سيف الدين: رسالة في الحدود والرسوم، ضمن كتاب المصطلح الفلسفي عند العرب، دراسة وتحقيق: عبد الأمير الأعسم، مكتبة الفكر العربي، بغداد ١٩٨٥، ص ٣٢٠-٣٢١.
٨. زالي، أبو حامد: أحياء علوم الدين، ج ٣، دار الفد الجديد، المنصوره، ٢٠٠٥، ص ٤.
٩. ابن طفيل: رسالة (حي بن يقضان)، دراسة وتعليق: عبد الحليم محمود، مطبعة مخيمر، القاهرة (د.ت)، ص ٥٧-٥٨.
١٠. أبوريده، محمد عبد الهادي: رسائل الكندي الفلسفية، مطبعة الاعتماد، مصر ١٩٥٠، ص ٢٧١.
١١. العقاد، عباس محمود: ابن رشد، دار المعارف بمصر ١٩٥٣، ص ٤٥.
١٢. الخوارزمي: رسالة في الحدود والرسوم، ص ٢٢٨.
١٣. نائل حنون: معتقدات ما بعد الموت، ط٢، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٦، ص ١٠٧.
١٤. الدباغ، تقي: الفكر الديني القديم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٩٢، ص ٤١-٤٢.
١٥. جورج رو: العراق القديم، ترجمة وتعليق: حسين علوان حسين، الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨٢، ص ١٣٣.
١٦. زكريا انطوان: الأدب والدين عند قدماء المصريين، مطبعة المعارف، القاهرة د.ت، ص ١٠٢.
١٧. الدباغ، تقي: الفكر الديني القديم، ص ٩٠.
١٨. محمد حسن: تيارات الفلسفة الشرقية، منشورات دار علاء الدين، دمشق ١٩٩٩، ص ١٤٧.
١٩. اندرية ايمار، جانين اوبوايه: تاريخ الحضارات العام، ج ١، عويدات للنشر والطباعة، بيروت ٢٠٠٦، ص ٥٧.
٢٠. لطفى خوري: معجم الأساطير، ج ١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٩٠، ص ١٣٣.
٢١. اندريه ايمار، جانين اوبوايه: تاريخ الحضارات العام، ج ١، ص ٦٠٠.
٢٢. فيليب سيرنج: الرموز في الفن - الأديان - الحياة، ترجمة: عبد الهادي عباس، ط١، دار دمشق للنشر، دمشق ١٩٩٢، ص ١٥٣.
٢٣. فردريك نيتشه: هكذا تكلم زرادشت، ت: دار أسامة للنشر، مراجعة محمد باكير ط٢، دمشق د.ت، ص ٩.
٢٤. الدباغ، تقي: الفكر الديني القديم، ص ١٩٠.
٢٥. الدباغ، تقي: الفكر الديني القديم، ص ١٨٧.
٢٦. بهنام محمد بناه: كهن ديار، ج ١، انتشارات بزان، طهران ١٣٨٥هـ، ص ١٠٩.
٢٧. كريم نجم خضر: مفهوم الروح في الديانات السماوية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ٢٠١٠، ص ٨٤.
28. www.ar.wikipedia.org.
٢٩. اميل برهية: الآراء الدينية والفلسفية لفيلون الاسكندري، ترجمة: محمد يوسف وعبد الحليم النجار، مطبعة الحلبي، مصر، ١٩٥٤، ص ٢٧٨.
٣٠.: علم اللاهوت النظامي، دار الثقافة المسيحية، مطبعة الجبل، القاهرة ١٩٧١، ص ٢٣٩.

٣١. ألكسي لوسيف: فلسفة الأسطورة، ترجمة: منذر حلوم، دار الحوار للنشر والتوزيع اللاذقية ٢٠٠٥، ص ١٩٣-١٩٤.
٣٢. دانيال رويس: يسوع في زمانه، ترجمة: حبيب باشا البؤلسي، المطبعة البؤلسية، بيروت ١٩٦٩، ص ٥٨٦-٥٨٧.
٣٣. حسن مجيد العبيدي: «البعد المفهومي للروحانية في الثقافات والحضارات الإنسانية» مجلة دراسات فلسفية، ع ٢٨، بيت الحكمة، بغداد ٢٠١٢، ص ٥٣.
٣٤. الطبرسي، الفضل بن الحسن: مجمع البيان في تفسير القرآن، ط ٨، انتشارات ناصر خسرو، ج ١، طهران، (د.ت)، ص ٥١ وما تلاها.
٣٥. الرازي، فخر الدين: مفاتيح الغيب، ج ٢١، دار المكتبة العلمية، ط ٢، بيروت ٢٠٠٩، ص ٣١.
٣٦. سيد قطب، إبراهيم حسين: في ظلال القرآن، ج ٦، ط ٦، دار الشروق، بيروت ١٣٩٨ هـ، ص ١٣٧-١٣٩.
٣٧. الطباطبائي، محمد حسين: الميزان في تفسير القرآن، ج ١٢، ط ٢، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٩٧٢، ص ١٥٤-١٥٥.
٣٨. الطبرسي، الفضل بن الحسن: مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص ٥-٦.
٣٩. الرازي، فخر الدين: مفاتيح الغيب، ج ٩، ص ١٠١.
٤٠. سيد قطب، إبراهيم حسين: في ظلال القرآن، ج ٣، ص ٣٩٦٤-٣٩٦٦.
٤١. عز الدين إسماعيل: نصوص قرآنية في النفس الإنسانية، ط ٢، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٦، ص ١٠٣.
٤٢. الطباطبائي، محمد حسين: الميزان في تفسير القرآن، ج ٢٠، ص ٢٨٥.

ملحق الصور



بازوزو



كا



با



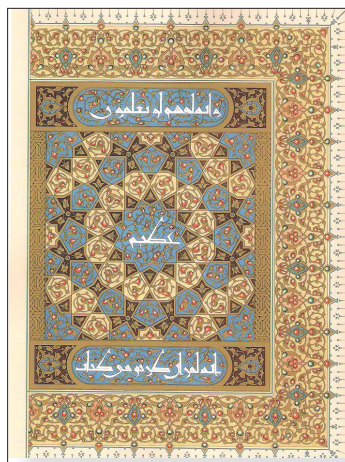
براهما



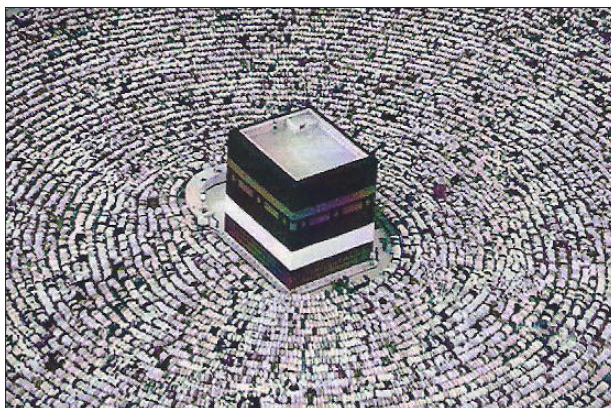
اهريمان



اهورامزدا



صفحة مفتاح للقرآن الكريم



الكعبة المشرفة



تصويرة آدم وحواء

The Truth of Soul and Spirit in the Holy Quran and their representation in the Islamic art

By: Manal Khader Obeis Al-Obeidi

Abstract

This study, entitled “The truth of the soul and spirit in the Holy Quran and their representations in the Islamic art”, consists of six chapters. The first chapter deals with the problem of the study which is limited to the questions: Is it possible to reveal the souls and spirit through Quran? Does the soul and spirit have clear representations in the Islamic art? What are the formulas, forms, and elements in which they are represented through the perceived world? How far is the Muslim artist aware of the concepts of soul and spirit?

The first chapter also involves the importance of the study and the goals of the study:

- 1- Revealing of the truth of soul and spirit in the Holy Quran.
- 2- Revealing the representation of soul and spirit in the Islamic art.

The study is limited to the Quran texts to look for the truth about the soul and spirit, then to find out their representations in the Islamic arts such as architecture, decoration, from the beginning of Islam to until the Abbasid Era in the geographic area encompassing Iraq, the Levant, Egypt, Mecca, and Persia.

The second chapter tackles the theoretical framework and previous studies. This chapter includes three topics: the first is “the soul and spirit in ancient civilizations and religions; the second topic deals with “the soul and spirit in the heavenly religion before Islam; and the third topic copes with “the soul and spirit in the Holy Quran”.

The fourth chapter tackles “the soul and spirit in arts”. It consists of two topics: the first is the “soul and spirit in the pre-Islamic arts”, while the second topic deals with “soul and spirit in the Islamic art”.

This chapter concludes with the indicators resulting from the theoretical framework and previous studies.

Chapter five: (study procedures) deals with study population, study sample, and study tool, as well as study methodology and analysis of the sample (18 in number).

Chapter six: tackles the study results: results, discussion, conclusions, suggestions and recommendations.

Among the results are:

A- Results that achieve the first goal of the study: Revealing of the truth of soul and spirit in the Holy Quran.

- 1- The soul in the Holy Quran has two types: the first is the upper soul which is the creation of God. It is created to execute the order of God and breathe the soul into the human body. It has the ability to penetrate in the matter and to be represented in human shape (as is the case with Gabriel (pbuh)). The second type of souls is the human soul which is a breath from God and which is a picture that matches the physical body but it is invisible. This picture is a live, soft, and mobile ethereal body and has the ability to penetrate the physical body.
- 2- The spirit in the Holy Quran also has to types: the sole soul. It is creation of God where piety and depravity are side by side, thus it is contradictory. It is created as one sole soul, created as one soul and is a mass of light containing all spirits of human beings. From this, the couple of the soul is created and made male and female out of it. It is radiation emerges from one spirit as the ray of the sun. it descends from the whole soul to reside in each man's heart. The human heart is the location of this soul and from it radiates to the rest of the body. It is the source of reasoning, management, and thinking in human beings.

B- The results that achieve the second goal of the study: Revealing the representation of soul and spirit in the Islamic art.

- 1- The cubic shape that represents stability and constancy the concept of the soul, whereas the circle represents time and movement, and is a representation of the spirit.
- 2- The octagonal shape expresses the concepts of time and place since it combines the structure of the square and circle, stability and movement; this means it represents the soul and the spirit.
- 3- The spiral shape in the Islamic architecture represents the stage of soul transcending and purge. This is represented by the spiral movement moving upwards. The niche represents the

reverse equivalent towards the spirit which forgets to mention God during prayer

- 4- The rectangle shape in the Islamic architecture represents the frame that restricts the movement of soul inside it so that it does not exceed its borders. The open shrine represents the freedom of the spirit and transcending upwards toward the absolute, where the soul is represented.
- 5- The Islamic artist has found that there are soul representations in the geometrical abstracts when the cover of the matter is removed. In these abstracts there lies the feature of simplicity which constitutes correspondence with the simple structure of the soul
- 6- The human spirit that is looking for the truth is represented in art in spiral shape that starts from outside then it goes into inside with that same spiral movement until it reaches the center where truth is represented.
- 7- The Islamic artist has found representations for the human spirit not only in plant abstracts, but also in human shapes and forms through the power of expression represented by gestures of the face and the movement of hands. It also expressed the pure spirit by giving persons halos surrounding their heads. The artist also finds soul representations in the human shape to which wings and halos are added.
- 8- The researcher finds that the Islamic artist has filled the spaces with decorations, not because he/she fears empty spaces, as some researchers think, but he knows, as the Quran verses cite, that invisible creatures fill the space represented by the souls, angels, and jinn, and may be others. The artist expresses this by filling what is known as spaces with decorations.

تجربة واقعية لشباب الكويت في العمل الخيري العالمي الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية

تأسست ٢٠١٠/١٠/١٠

أ.ة. سمية محمد الميمني



المقدمة

سلباً أو إيجاباً.. بمعنى أن الشباب لا ينفصلون عن مجتمعهم، وليسوا بمعزل عن مجريات الأحداث سواء السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية، لأنهم يشكلون جزءاً مهماً من نسيج مجتمعهم.. بل هم الأساس والعماد فهم قادة المستقبل، وسواعد اليوم لنهضة الوطن.

وحتى لا ينشغل الشباب في الأمور السطحية العامة أو أعمال العنف والدمار أو ما يضر الشباب من المحرمات وغيرها من مغريات الحياة، خصوصاً في

المشروع الشبابي الخيري العالمي (ادفع دينارين واكسب الدارين) هو مشروع يهتم بالشكل الكبير بالفئة الشبابية من سن ١٥-٢٩ سنة، وهي المرحلة الثانوية والجامعية والدراسات العليا أو حديثي التخرج في دولة الكويت.

ويعتبر الشباب أكثر الفئات العمرية قدرة على العطاء، كما أنهم الأكثر تأثراً واستعداداً للاستجابة لكل الأمور والأحداث التي تحيط بهم، وتدور حولهم،

- مسؤولية العلاقات العامة والإعلام في الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية ومديرة المشروع الشبابي الخيري العالمي (ادفع دينارين واكسب الدارين)/ الكويت. s.almainany@hotmail.com

هذه الفترة العمرية الحساسة التي تتميز بالحماس والعنفوان والطاقة.. جاءت فكرة هذا المشروع الفريد من نوعه، ليعطي بعداً جديداً ومفهوماً آخراً للعمل الخيري في الكويت مواكبا التغيير والتطوير الذي تشهده الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية.

حيث عُرف ضمناً بأن العمل الخيري والذي نقصد فيه دفع الصدقات والتبرعات وعمل مشاريع خيرية في أي مكان بالعالم، ارتبط بالأغنياء ورجال الأعمال والشخصيات الهامة، ومن لديهم ملاءة مالية كبيرة بالإضافة إلى مشاركة المؤسسات الحكومية أو الخاصة أو المراكز وغيرها من الجهات.

ولكن جاءت فكرة المشروع بإشراك الشباب في مقتبل العمر ومن هم في المرحلة الجامعية، وآخر السنوات من المرحلة الثانوية، تلك المرحلة التي تتميز بكثير من الحيوية والنشاط وهمة العمل والإنجاز، بأن يكون لهذه الفئة دوراً هاماً في العمل الخيري ليس من باب الدفع فقط بل تسويق المشاريع الخيرية أيضاً.

ومنذ انطلاقة المشروع إلى يومنا هذا ونحن نتلمس ردود أفعال إيجابية وقبول لتنفيذ هذه الفكرة بين أروقة الجامعة، حيث تم ذلك لأول مرة وهو إدخال جهة خيرية داخل أسوار الجامعة باسم مشروع دائم وخيري من الطلبة وإليهم، وبموافقة من الإدارات العليا في جامعة الكويت والهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب، وموافقة رسمية من وزارة الشؤون في دولة الكويت، وبالتعاون مع المؤسسات الطلابية واتحادات الجامعة.

لماذا الشباب (بالأرقام)؟

تبلغ نسبة الشباب في العالم العربي أكثر من ٦٠٪ من عدد السكان. ويبلغ عدد الفئات العمرية بين ١٥-٢٩ سنة، أي حوالي ١١٣ مليون شخص، حسب أحدث تقديرات الأمم المتحدة. وهو ما يساوي ثلث مجموع سكان العالم العربي وحوالي ٤٧٪ منهم تقريباً حسب تقديرات أخرى.

الشباب في الكويت

حسب الدراسات المحلية تم إعداد إحصائية لأعمار الشباب في الكويت من ١٥ إلى ٢٩ عام ووجدنا من خلالها أن أعدادهم كبيرة، حيث الأرقام والنسبة كالتالي:

عدد الذكور بلغ ١٥٩,٠٩٣ من إجمالي الذكور ٩٧٢,٥٥٥ بنسبة ٢٩ ٪.

إجمالي الإناث في نفس الفئة العمرية ١٥٨,٠٩٣ من إجمالي ٥٧٦٧٥١ بنسبة ٢٧ ٪.

إجمالي الذكور والإناث في نفس الفئة ٣١٧,٦٩٣ من إجمالي عدد السكان الكويتيين

والبالغ عددهم حتى ٣٠ يونيو ٢٠١٠ بواقع ١٢٢,٧٢٣, ١ أي بنسبة ٢٨ ٪.

- # ٦٥ ٪ من الشباب لا يشعرون بأهمية منظمات المجتمع المدني.
- # ٤٥ ٪ منهم يرون بأن العمل التطوعي له دور إيجابي في نهضة المجتمع وتعزيز قيم المواطنة والانتماء.
- # ٩٦ ٪ يناشدون منظمات المجتمع المدني بضرورة ابتكار وسائل جديدة لجذب الشباب وتحفيزهم للمشاركة بالعمل التطوعي.

قصة المشروع (ادفع دينارين واكسب الدارين)

كيف جاءت فكرة المشروع؟

هذا المشروع كان عبارة عن مقالة كتبها أنا (سمية الميمني) في عام ٢٠٠٧ بمجلة جامعية، حيث كنت مديرة تحرير هذه المجلة كمتطوعة منذ أن كنت طالبة جامعية، وتصدر المجلة بصفة دورية عن النادي الصحفي في الاتحاد الوطني لطلبة الكويت.

في عام ٢٠٠٧ أقرت الإدارة الجامعية في جامعة الكويت بتخصيص مكافأة طلابية لجميع الطلبة الملتحقين بالجامعة وقيمتها كانت آنذاك ١٠٠ د.ك (مئة دينار كويتي) شهرياً، وعندما حانت لحظة كتابة المقال عند صدور العدد الجديد من مجلة «الجامعية» كان موضوع الساحة هو فرحة الطلبة بإقرار هذه المكافأة، فخطر على بالي كيفية استفادة العالم وخصوصاً الطلبة الفقراء من هذا الحدث الجميل.

وبرغبة مني في التأثير حول العالم والمحاولة في التغيير الإيجابي، وإشراك شباب الكويت في ترك بصمتهم حول العالم من خلال هذا العمل الإنساني كتبت مقالاً في زاوية همسة قلم بعنوان (ادفع دينارين واكسب الدارين) أدعوه فيه كل طالب جامعي إلى أن يساهم بمبلغ دينارين فقط شهرياً لخدمة التعليم والمساهمة في محو الأمية في الدول والمناطق التي يفتقر أبنائها لأبسط مقومات التعليم.

بعد نشر المقال في المجلة تلقت ردود أفعال رائعة ومشجعة وكلمات وعبارات تحفيزية من الكثيرين عبر الرسائل في بريدي الإلكتروني. وكأي مقالة كتبها وتركتها.. حبر على الورق وكلمات على السطور تسبح على بحر الصفحات.

لكن شاء القدر أن لا تبقى هذه السطور القليلة أسيرة الأوراق، مقيدة في إطار ما يسمى «مقالة صحفية» فحسب، بل كتب لها المولى عزوجل أن تنطلق للعالم ويفتخر بها كل من ينسب لها لتصبح مشروعاً قائماً بذاته، كعمل إداري مؤسسي تابع لجهة تحقق طموحات وأحلام رواد هذا المشروع.

في عام ٢٠٠٩ بعد شهر رمضان المبارك مباشرة، توجهت للهيئة الخيرية الإسلامية العالمية ويدي مجموعة أوراق وفي قلبي مجموعة أحلام، وقدمت لهم فكرة هذا المشروع موضحة التصور والرؤية والأهداف.

هنا أشكر الله عز وجل أولاً وأشكر القائمين في الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية على تبنيهم لفكرة المشروع، بل وعرضهم علي أن ألتحق بالعمل ضمن هذه المؤسسة الرائدة محلياً وعالمياً، والتي تركت ثمار مشاريعها الخيرية تمتد إلى ١٣٦ بلد حول العالم. وكان انضمامي للهيئة الخيرية والتحاققي للعمل فيها منذ ٢٠١٠/٥/٥، هي بداية دخول الطلبة الجامعيين في ميدان العمل الخيري والتطوعي من الطريقة النظرية إلى واقع العملي والاحتكاك بمعاناة الشعوب والإحساس بهم عن قرب.

أحب أن أنوه على أمر هام وهو هذا الإنجاز ليس إنجازاً فردياً أبداً، قد كانت الفكرة نبتت يوماً في مخيلة إنسانة، لكن شجرة العطاء التي نمت على أرض الواقع لها جذور رئيسية تمتد إلى الأعماق لتعطي القوة والثبات في العمل، وهي تتمثل في الإدارة العليا التي تقدر هذا الجهد وتهتم بالاستثمار في الشباب، ووجود عدد كبير من المتطوعين الراغبين للعمل بإخلاص وتقاني من أعماق القلب لأجل خدمة العلم والدين وإعلاء راية أول كلمة نزلت في الكتاب المعجزة القرآن الكريم وهي كلمة (اقرأ)

المقال منشور على الرابط التالي:

<http://www.nashiri.net/iico/alkhair/3066-2011-10-16-16-32-32-v15-3066.html>

انطلاقة المشروع عملياً

أولاً: فكرة المشروع

تتلخص الفكرة في أن يدفع كل طالب بأي مؤسسة تعليمية في دولة الكويت دينارين شهرياً من خلال استقطاع بنكي، وذلك لتحقيق أكبر مشروع طلابي خيري للعالم، حيث يتم استخدام المبالغ والمساهمات في البرامج والمؤسسات التعليمية في مختلف دول العالم، التي لا تتاح فرص التعليم لأبنائها بسبب الفقر والحاجة.

ثانياً: رؤية ورسالة وأهداف المشروع

• رؤية المشروع

إنشاء (٥) مراكز تعليمية في (٥) قارات أو أقاليم مختلفة بالعالم خلال أول (٥) سنوات.

• رسالة المشروع

تقديم أول نموذج خيري فريد من نوعه من قبل شباب الكويت لطلبة العالم.

• أهداف المشروع

- ١- ازرع مفهوم العطاء وروح العمل الخيري في نفوس الطلبة.
- ٢- تشجيع الطلبة على المنافسة في الأجر والثواب من خلال هذه المساهمة المالية.
- ٣- التأكيد على مبدأ (قليل دائم خير من كثير منقطع) في جميع المجالات.
- ٤- تثقيف العالم ودعم الحركة التعليمية من خلال همة شبابية متوقدة.
- ٥- رفع اسم الكويت عالياً بين المحافل الدولية من خلال الطاقة الشبابية الكويتية.
- ٦- زيادة المشاركة الإيجابية من قبل الشباب في المجتمع الكويتي بالمشاريع الخيرية.

ثالثاً: فريق العمل والجهات المتعاونة

يتكون فريق العمل في المشروع من:

- | | |
|---------------------------|--|
| إشراف عام | ١- إدارة الهيئة |
| مديرة المشروع | ٢- سمية الميمني |
| مسؤولة تسويق | ٣- حنان عبد الكريم الكندري |
| موظف تسويق | ٤- علي خالد السلامة |
| موظفة مؤقتة ببند المكافأة | ٥- حنان نجيب بورحمة |
| | ٦- فريق تطوعي كبير مكون من (٥٠) شخص تقريباً (شباب وبنات) |

• الجهات المشاركة والمعاونة للمشروع

- ١- الاتحاد الوطني لطلبة الكويت - فرع جامعة الكويت.
- ٢- الاتحاد العام لطلبة ومتدربي الهيئة.
- ٣- شعبة الاقتصاد الإسلامي من العلوم الإدارية.
- ٤- جريدة آفاق الجامعية.
- ٥- جمعية الشريعة والدراسات الإسلامية.
- ٦- مراقبة حلقات القرآن - وزارة الأوقاف.
- ٧- أندية وروابط شبابية في مختلف الكليات (حسب الضرورة)

تسويق المشروع في الكويت

أولاً: في جامعات الكويت: تم تسويق المشروع في كل من كليات الجامعة والهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب كالتالي:

أ - كليات جامعة الكويت:

- ١- كلية العلوم الإدارية.
- ٢- كلية الهندسة والبتترول.
- ٣- كلية الآداب.
- ٤- كلية التربية.
- ٥- كلية الشريعة.
- ٦- كلية الطب والصيدلة والطب المساعد وطب الأسنان.
- ٧- كلية العلوم.
- ٨- كلية العلوم الاجتماعية والحقوق.

ب - كليات الهيئة العامة للتعليم التطبيقي:

- ١- كلية التربية الأساسية.
- ٢- كلية الدراسات التكنولوجية.
- ٣- كلية الدراسات التجارية.
- ٤- كلية العلوم الصحية.

ج - جامعة الخليج والعلوم والتكنولوجيا

د- جامعة الشرق الأوسط الأمريكية

هـ - الجامعة العربية المفتوحة

صور من العمل في الجامعات



كلية الهندسة والبتترول



كلية العلوم الإدارية



كلية الطب



كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

ثانياً: مشاركات المشروع في الفعاليات والأنشطة

لم يقتصر دور فريق عمل المشروع في المشاركة في الكليات الجامعية فقط، بل كان هناك اهتمام جاد لتسويق فكرة المشروع في مختلف الأنشطة والفعاليات المجتمعية. ولهذا كانت هناك بعض المبادرات من أعضاء فريق المشروع، وأحياناً دعوات من جهات للمشاركة في فعالياتهم في الفترات الصباحية أثناء العمل، أو في الفترات المسائية أيضاً. ويصل متوسط عدد الفعاليات التي يشارك فيها المشروع سنوياً إلى (٥٠) فعالية.

رحلة الخير الأولى (الصين)

جاءت فكرة هذه الرحلة الشبابية الخيرية الأولى لتحقيق ثلاثة أهداف رئيسية، والتي كانت بمجملها كمكافأة للفريق الشبابي التطوعي الذي عمل معنا في جمع تبرعات مادية وعمل استقطاعات، وذلك لدعم المشروع التعليمي الخيري ومحو الأمية في العالم الإسلامي،

والأضلاع الرئيسية لمثلث الأهداف هي: ٦٠٪ خيرية ٢٥٪ ثقافية ١٥٪ سياحية

شملت الرحلة على زيارات رسمية والتعرف على المشاريع الخيرية، ثم تم وضع حجر الأساس لمشروع معهد الطالبات في مقاطعة نينغشيا بالصين، وهو الهدف الأساسي من الرحلة.

وصل عدد أفراد الوفد ٣٢ شخص، وكانت الرحلة لمدة ١٠ أيام.
رئيس الوفد: عبدالرحمن العوضي، نائبة الرئيس: سمية الميمني



حفل وضع حجر الأساس

زيارة الأيتام والجامعات رحلة الخير الثانية - إندونيسيا ٢٠١٢

بعد نجاح الرحلة الشبابية الأولى، جاءت رحلة الخير الثانية إلى إندونيسيا تحت رعاية كريمة من سمو رئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر المبارك الصباح في سبتمبر عام ٢٠١٢.

وتحقيقاً للأهداف المحددة مسبقاً وهي الخيرية والثقافية والسياحية، ونشترط في المسافرين أن يحققوا الهدف المالي من السفر، ويتواجد المحرم مع الأخوات المشاركات. احتوت الرحلة إلى زيارة وزير الإعلام الإندونيسي ووزير شؤون العمل، وبعض الشخصيات الهامة.

كما كانت هناك زيارات لقرى ومدن فقيرة ومدارس الأيتام، ووضع حجر أساس لبناء ثلاثة مدارس أحداها في قرية صباح الأحمد الخيرية، والأخريتين في قونتور. عدد أعضاء الوفد: ٤٤ شخص، منهم ٤ من تلفزيون الكويت. رئيس الوفد: عبدالرحمن العوضي، المشرف على الرحلة: أ. أحمد الهولي. نائبة الرئيس: سمية الميمني، مساعد إداري: صلاح غدير الشمري.



استقبال رئيس مجلس الوزراء الكويت لفريق الدينارين في ديوانه

زار فريق مشروع (ادفع دينارين واكسب الدارين) الشيخ جابر المبارك الصباح رئيس مجلس الوزراء وذلك في ديوانه، بعد رعايته الكريمة لرحلة الخير الثانية إلى أندونيسيا ورعايته لملتقى رحلة الخير الثاني، وتم عرض إنجازات الرحلة على سموه فأبدى إعجابه بالعمل الشبابي، وقدم الفريق درعاً تذكاريًا لسمو رئيس الوزراء، كما قام الأيتام بتقديم فقرة من الأناشيد فاستمتع الحضور بهذه المبادرة.



الأيتام يسلمون على رئيس الوزراء



الميمني تقدم درع الدينارين

مشاركات دولية لمشروع الدينارين.. خارج الكويت

أولاً: المملكة العربية السعودية – بنك الإسلامي للتنمية

زارت ممثلة المشروع سمية الميمني بنك الإسلامي للتنمية في جدة والتقت بالمسؤولين والمدراء، للتعرف على نظام المنح الدراسية في البنك، وكيفية تعاونهم مع الطلبة في مختلف دول العالم، والتعرف على احتياجات العالم الإسلامي في الجانب التعليمي، وكانت الزيارة موفقة وحقت أهدافها التي من أجلها تم تنظيم هذه الزيارة.

ثانياً: مؤتمر التسويق الاسلامي العالمي – أبوظبي (الإمارات العربية المتحدة)

تحت رعاية سمو الشيخ نهيان بن مبارك آل نهيان أقامت الهيئة العالمية للتسويق الإسلامي بالتعاون مع جامعة الإمارات العربية المتحدة المؤتمر العالمي للتسويق الإسلامي الثاني وذلك بحضور شخصيات رفيعة المستوى من مختلف الدول الإسلامية، وبمشاركة عدة جهات ومؤسسات وهيئات تهتم في هذا المجال، وشاركت من الكويت الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية حيث مثلتها الأستاذة سمية الميمني مديرة المشروع الشبابي الخيري.

ثالثاً: تسويق المشروع في مملكة الأردنية الهاشمية ٢٢-٢٧ / ٢ / ٢٠١٣

في زيارة المملكة الأردنية الهاشمية لفريق طالبات الطب لمساعدة اللاجئين في المخيم الزعتري، ولعلاج المرضى والجرحى في المستشفيات، كانت الرحلة برئاسة سمية محمد الميمني، حيث التقت بسفير دولة الكويت في الأردن د.حمد الدعيح الذي أبدى إعجابه بفكرة المشروع، وشجع على فتح باب التعاون مع السفارة الكويتية في الأردن.

كما استضافت قناة اليرموك الفضائية الأخت الميمني للحديث عن تجربة الفرق الشبابية التطوعية بالهيئة الخيرية وهم فريق (الدينارين ومعتاء ورفقاء).

رابعاً: شباب المشروع في مخيم الندوة العالمية للشباب الإسلامي - الرياض

شارك أعضاء المشروع المتطوعان عبدالله علي المسباح ومساعد حسين بدر في المخيم الشبابي الذي يقام سنوياً بتنظيم وإشراف الندوة العالمية للشباب الإسلامي، والتي مقرها في المملكة العربية السعودية، وحضر هذا المخيم شباب من عدة دول خليجية وعربية.

خامساً: مشاركة في مؤتمر فور شباب العالمي - جمهورية مصر العربية

شارك أعضاء فريق دينارين الأخت سمية الميمني والأخ علي السلامة في مؤتمر الشبابي الرابع لمنظمة فور شباب العالمية، وتم تقديم فكرة المشروع الشبابي أمام جمهور كبير من ٢٠ دولة مشاركة في المؤتمر، ولوحظ اهتمام الشباب بفكرة المشروع ودعوة للتعاون، كما استضافت مختلف المؤسسات الاعلامية فريق المشروع كالصحف والإذاعة المصرية، وتم التعرف على المؤسسات الشبابية المشاركة وتبادل الخبرات معهم.

مشروع الدينارين.. بلغة الأرقام

الانطلاقة في ١٠/١٠/٢٠١٠ ساعة ١٠ صباحاً

ماذا حققنا منذ انطلاقة المشروع؟

- ١٧١٤ مستقطع شهري في المشروع.
- ٢٥٢٠ شخص متبرع بالمشروع.
- ٩٠,٠٠٠ شخص تعرف على المشروع والهيئة من خلال الأنشطة والفعاليات والتواصل الاجتماعي.
- ٦٠ فتاة وشاب متطوع.
- ٣٢ شخص في رحلة الخير الأولى للصين
- ٤٤ شخص في رحلة الخير الثانية لأندونيسيا.
- ٤ مشاريع تعليمية تم تبنيها في الصين وأندونيسيا.
- ٦ دول تم تسويق المشروع فيها بين الشريحة الشبابية.
- ٨٠٠,٤٢٦ (ثمانمائة ألف وأربعمائة وستة وعشرون دينار كويتي)

قام بجمعه الفريق التطوعي لمختلف المشاريع، أي (٢) مليون دولار تقريباً حسب تقرير من قسم المالية في الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية.

كيف حققنا كل هذا؟

تم تسويق المشروع كالتالي:

- (١٩) كلية في جامعة الكويت والتطبيقي زرنهم أكثر من مرة لتسويق الفكرة.
- (٥٥) ألف طالب جامعي وتطبيقي تعرف على المشروع.
- (٢) جامعات محلية خاصة نقلنا فكرة المشروع لديها.
- (٨) مدارس قمنا بزيارات ميدانية لها.
- (٧٠) مدرسة (طلاب وطالبات) استضافناها في مقر الهيئة الخيرية.
- (٢١٥٠) طالب مدرسي من الكويت تعرف على المشروع.
- (٢٠٠٠) طالبة من مراقبة حلقات القرآن تعرفن على المشروع.
- (٥٥) فعالية شاركنا فيها من ملتقيات ومعارض ومؤتمرات.
- (٤٥) فعالية قمنا بتنظيمها بهدف التواصل.
- (١٨) مسجد سوقنا فيها المشروع في شهر رمضان المبارك.
- (١٨٠) خبر ولقاء وتغطية صحفية نشرت بالمجلات والصحف.
- (٤٠) برنامج إذاعي وتلفزيوني ظهر فيه المتطوعون في المشروع.
- (٢٠,٠٠٠) متابع للمشروع على وسائل التواصل الاجتماعي (فيسبوك-تويتر-انستغرام)

◀ مشاريع شبابية أخرى أثمرت خلال عامين ▶

بعد نجاح تجربة مشروع الشبابي (ادفع دينارين واكسب الدارين) انضم تحت مظلة الهيئة فرق أخرى بإدارة شبابية لتحقيق أهداف خيرية في مجالات أخرى ومنها:

أولاً: فريق معطاء

تأسس فريق معطاء التطوعي في عام ٢٠١١ بعد رحلة الخير الأولى إلى الصين، وفكرة المشروع بأنه.. مشروع قيمي إنساني يحفز الأطفال على العطاء والإيجابية، من خلال إشراكهم في مشاريع إنسانية مقدمة من الأطفال وإلى الأطفال المحتاجين حول العالم، وهو بإدارة فريق شبابي متطوع من المهتمين بالأطفال وبإشراف استشاريين تربويين.

قام فريق معطاء بتنفيذ حملتين:

أولاً: حملة معطاء الأولى: جمع حقائب المدرسة للأطفال المحتاجين في المغرب.

ثانياً: حملة معطاء الثانية: تحت شعار «حذائي يغير حياة» لأطفال افريقيا.

ثانياً: فريق رفقاء

مشروع رفقاء هو فريق من المتطوعات الشابات يهدفن إلى التواصل مع أهل الخير بغرض الحصول على دعمهم في كفالة الأيتام تحت رعاية الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية.

تحت شعار: للأجر عزمنا ولليتييم كفلنا

انطلق الفريق في العمل التطوعي الخيري في أغسطس من عام ٢٠١٢، وقد قام هذا الفريق بتسويق الأيتام، وخلال عام واحد تم جمع ١٨٦ كفالة يتييم، وبدخل شهري يصل إلى ٢٧٩٠ د.ك، من خلال جهود تطوعية بحتة.

إضافة إلى تنظيم الكثير من الأنشطة والمشاركة بفعاليات شبابية متنوعة بهدف الغرض الرئيسي وهو جذب المتبرعين لكفالة الأيتام.

شخصيات هامة.. ماذا قالت عن المشروع

(١) د. محمد العوضي:

(ادفع دينارين واكسب الدارين) مشروع خيري رائد بسيط الفكرة عميق الأثر إن دل على شيء فإنما يدل إبداع شبابنا.. وطيب شعبنا.. وهكذا تكون المشاريع فكرة + ابتكار + فعالية + إنجاز يحقق الثقة..

(٢) أ. نسبية عبد العزيز المطوع

أسأل الله تعالى أن يجعل هذا المشروع عالمي في كل بقاع الأرض.

(٣) محمد راتب النابلسي

إذا أردت أن تعرف مقامك فانظر فيما استعملك الله.. هنيئاً لمن استعمله الله لخير الأمة، وأنصح شباب الأمة وبناتها الإدلاء بكل خير يستطيعونه، وهذا المشروع الخيري هو مقدمة لنهوض الأمة إن شاء الله.

٤. د. طارق السويدان

إلى أبنائي وبناتي.. الفريق الشبابي لمشروع (ادفع دينارين واكسب الدارين) مع خالص الدعاء بأن يتقبل الله منكم، وسعادتي الكبيرة بإبداعكم المميز وروح العطاء لديكم.

٥. د. أحمد توتونجي: (نائب رئيس المعهد العطاء للفكر الإسلامي)

أسأل الله تعالى أن يحفظ القائمين والقائمات على هذه المشاريع المباركة وأن يكرمهم ويأجرهم للعمل لبء التواصل بين المسلمين في المناطق المختلفة من العالم وفريدا من التوثيق.

٦. إبراهيم السعيد: (متشد)

تشرفت في مشاركتي لحملة (ادفع دينارين واكسب الدارين) والتي نسأل الله أن يقبلنا برحمته وعفوه وشكر خاص للمنظمين والقائمين عليها.

٧. إبراهيم با عمر: (متشد من سلطنة عمان)

تأكدوا كل التأكد أنكم فور وصولكم إلى دولة الكويت فإنكم وصلتكم لأبائكم وأمهاتكم وإخوانكم فهي ديرة الخير والعطاء والحب والأمل الجميل اللامنتقط، فتأكدوا أيضاً أنكم لستم أيتام.

٨. سمير الغريب: (معد وقدم ومخرج إذاعة القرآن الكريم لدولة الكويت)

نحبكم في الله كنتم ومازلتم وستبقون بإذن الله نجوم في سماء العطاء

٩. الشيخ فواز الكليب: (إمام وخطيب مسجد ابن تيمية في الشامية)

عمل مبارك.. ومجهود رائع وجهود جبارة لإقامة هذا المعرض والذي جعلني أظهر أنني حقيقة في إندونيسيا وليس في الكويت.. بارك الله لكم في أعمالكم.. وجعلها في ميزان حسناتكم وبركة في دنياكم..

١٠. هناء أحمد حديد: (دكتورة بكلية الشريعة - جامعة الكويت)

المتألقين والذين أوصلوا رسالة هادفة للجمهور من خلال كلماتهم وأصواتهم التشجيعية.

جهود مباركة وأفكار إبداعية رائعة ونشاط لامثيل له وروح معنوية مرتفعة لخدمة هذا الدين وأهله من خلال الرحلة إلى الصين وإندونيسيا تلك الرحلة التي تعرفنا على فعاليتها من خلال المعرض الذي يبهر النفس وفي نفس الوقت.. القلب لما جسده من حال المسلمين في إندونيسيا بما يعانونه من فقر.. أسعدتمونا وأثرت في نفوسنا.. تقبل الله أعمالكم وجزاكم كل خير.

(١١) د. مصطفى أبو السعد: (أخصائي تربوي ومؤلف ومدرّب)

المعرض والنشاط يعبر عن القلوب البيضاء والنفوس الطيبة والعقول النظيفة لأخواتنا.. أبدعتن.. مشروع ظاهرة بسيط وإبداع في تحريك النفوس لا سيما الأطفال للعطاء وإحياء معاني الأخوة في الله ومعاني الجسد الواحد.

(١٢) د. وليد عبدالله الرومي: (مدرّب ومحاضر)

تبارك الرحمن.. اللهم لك الحمد والمنة
والله لقد كان الشرح والأمر يفوق ما توقعت، ونسأل الله لهم الإخلاص والقبول.

(١٣) د. فاطمة نذر: (العميد المساعد للأبحاث والاستشارات والتدريب - جامعة الكويت/ كلية التربية)

مجموعة الفريق الشبابي (ادفع دينارين واكسب الدارين) إنها فكرة رائعة، فالعطاء بلا حدود هي ثقافة الإسلام جزاكم الله ألف خير على هذه المبادرة الطيبة وجعل أعمالكم في ميزان حسناتكم.. وكثر الله من أمثالكم.. هذه الكويت التي نعرفها ولادة للخير والعطاء المستمر.

(١٤) د. أحمد بوزير:

مارأيته اليوم جعلني أشعر
بالخجل... لتقصيري
بالفخر... لوجود بنات في بلدي عملهن فاق التوقع.
وبالأمل... بأننا سنصل يوماً ما إلى حلمنا المنشود.
إبراز الجانب الإنساني لدولة الكويت الذي هو جزء لا يتجزأ من التنمية.

(١٥) نايف محمد الحربي: (جمعية ركائز الاجتماعية) - مملكة البحرين

الحمد لله رب العالمين.. تشكرون على هذا الإنجاز الكبير للعمل الخيري. والتطلع على أحوال الفقراء والمساكين بالدول الإسلامية.. جعلها الله في ميزان أعمالكم.

(١٦) منال الفودري: محامية وناشطة إنسانية

إلى أخوات تمت تسميتهن بالخطأ صديقات إلى أجمل من صادقت، إلى قلوب عامرة بالخير والعطاء، إلى فخر بلدي صديقات الرحمة والعطاء والقلوب الصافية والعامرة بالخير.. الله لا يفرقنا ويجمعنا دائماً على ما يحب.

(١٧) د. عصام الغريب: (أستاذ الشريعة بجامعة الكويت)

ما رأيته أثلج الصدر وقرر حقيقة الآية القرآنية الخالدة ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، فإني أدعو لكم يا فريق المشروع الشبابي بالتوفيق والسداد، وأنتم أحفاظ هذه الأمة المحمدية التي خرج منها النور إلى الدنيا

(١٨) محمد الدحيلان: (منشد من السعودية)

تشرفت بمشاركتي في هذا المهرجان مهرجان للخير أتينا وأسأل الله سبحانه أن يبارك جهودكم وأن يكتب أجركم ونحن مستعدون لأي شيء يدعم هذه النشاطات الخيرية بكل ما نستطيع.

الخاتمة

في الختام كل الشكر والتقدير لإتاحة الفرصة لي للمشاركة بهذا البحث، ولتقديم تجربة واقعية وحقيقية لشباب الكويت في العمل الخيري حول العالم انطلاقاً من دينارين، إلى بناء معهد للطالبات في الصين ومدارس للأبناء الأسر الفقيرة في إندونيسيا، هذا المشروع جسد معنى العطاء والهمة العالية وروح المثابرة لدى الشباب من الكويت، وغير مفاهيم كثيرة والنظرة السلبية على أن شباب الخليج بشكل عام والكويت بشكل خاص مرفهين ومترفين وغيرها من الأمور التي تقال وتنتشر.

استطاع الشباب بفضل الله ورغم كل العثرات والعقبات أن يثبت نفسه وقدرته على الإنجاز في حقل العمل الخيري، والعطاء دون مقابل حيث العمل كان تطوعي بحت وكان هذا التحدي أن يثمر الفريق في الأداء المتقن رغم أن العمل تطوعي غير مدفوع الأجر.

ملاحظة: في نهاية الأبحاث تذكر المصادر والمراجع، مصدري ومرجعي الرئيسي في هذا البحث هو واقعنا وتجربتنا وكل ما عشناه أنا وفريقي المبدع لأجل خدمة الطلبة وتقديم العون لهم سواء العمل في الكويت أو في رحلاتنا بالخارج ومحاكاتنا للواقع.

تقبلوا مني حبي وتحياتي وخالص تقديري ، ، ،

سمية محمد الميمني

صاحبة الفكرة ومديرة المشروع

الشبابي الخيري العالمي

ادفع دينارين واكسب الدارين

الإسلام وتأسيس حقوق الإنسان

أ.د. علي الظاهر عريبي



من دمار فيما لو تراخت في الدفاع عن حقوقها وحرّياتها الأساسية، وقد يتساءل الإنسان، أينما وجد إلى أي حد يتمتع اليوم بحقوقه وحرّياته، خاصة الإنسان العربي المسلم. وقد يتساءل أيضاً ما هو الدور الذي يمكن أن تقوم به دول العالم من خلال الأمم المتحدة وخاصة الدول العربية الإسلامية التي اعتمدت القرآن الكريم دستوراً لها، وشريعة لمجتمعاتها

مفهوم حقوق الإنسان ينبع أساساً من أن البشر لهم حقوق أساسية معينة تتبع من طبيعتهم البشرية وتعد قضية حقوق الإنسان من أهم القضايا العالمية، وأحد أهم المعايير التي يحكم بها على رقي أو تحضر النظام السياسي، كما أنه يصعب الاتفاق على الحدود القصوى التي يغطيها مفهوم حقوق الإنسان لتباين الثقافات الإنسانية.

إن القرآن الكريم أوضح حقوق الإنسان منذ القرن السادس الميلادي، وقبل غيره من التشريعات الوضعية الأخرى، وقبل أن يدرك الإنسان ذاته ما له من حقوق وما عليه من واجبات، وقبل أن تنتبه البشرية إلى ما يمكن أن يصيبها

• عضو هيئة تدريس بكلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة الجبل الغربي/ليبيا.
labebdent@yahoo.com

عرفاناً منها بكماله وتترزه من بقية الشرائع الأخرى، وباعتباره المصدر الأساسي الرباني الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، في هذا البحث سأحاول الإجابة على السؤال التالي هل الإنسان العربي المسلم بإمكانه تطبيق شرع الله وتحقيق الدرجة القصوى لحقوق الإنسان، أما منهج البحث المتبع في هذه الدراسة هو المنهج التحليلي الوصفي.

سأتناول في هذا البحث رؤية الإسلام لحقوق الإنسان، خاصة وأن موضوع حقوق الإنسان يعتبر من الموضوعات الهامة في هذا العصر.

ففي العصر الجاهلي، لم يكن للحق أو العدالة أو المساواة وجود بل عاش العالم في دياجير الجهل والظلم، وبظهور الإسلام تغيرت مفاهيم الحياة تغييراً جذرياً إذ نظم الإسلام أمور الإنسان في علاقته بربه ونفسه، وعلاقته بالآخرين.

إن الإسلام يتناول صلة الإنسان مع ربه، وصلات الإنسان مع الإنسان، والدليل على ذلك ما جاء في القرآن الكريم «وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ» و«لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ»، بمعنى أن الدين هو ما يتفق مع العلم والعقل والتفكير، وابن قيم الجوزية، وهو من علماء الشريعة قال «أينما كانت المصلحة فثم شرع الله».

هذا وهناك أسس ثابتة جاء بها القرآن لا يجوز فيها التغيير ولا التبديل كالقول بوجوب العدل في الحكم على أساس عدم التمييز في الحكم بسبب الدين أو الجنس أو اللون أو القربة، وحتى ولا العدا، فيجب أن تصدر الأحكام العادلة ولو لمصلحة العدو أو ضد القريب من دون أي تمييز في الحكم بالعدل، ومن القواعد العامة في القرآن الكريم أيضاً إعلان كرامة الناس أجمعين من غير تمييز ما بين إنسان وآخر إلا بتقوى الله وإعلانه أن الناس جميعهم أسرة واحدة من أب واحد وأم واحدة وأن إلههم واحد، وأن الله إنما جعلهم شعوباً وقبائل ليتعارفوا وليتعاونوا في كل ما فيه خيرهم، لا ليعادي بعضهم بعضاً، أو ليجتحر بعضهم بعضاً، أو ليظلم بعضهم بعضاً.

فالقرآن الكريم ساوى بين الناس، ففي سورة المائدة، قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ»^(٢).

هذا كما أن رسول الله ﷺ قال: (والله لو أن فاطمة ابنتي سرقت لقطعت يدها). أما عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (أصاب امرأة وأخطأ عمر).

لقد وردت في القرآن الكريم حقوق هامة وأساسية لم يرد لها مثيل في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، كما أن القرآن الكريم تناول حق الأخوة والتعاون والمساواة بين البشر وعدم التمييز بينهم إلا بالتقوى، قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمْعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾^(٢). وقال عز وجل: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾^(٣). وفي قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾^(٤) وقوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ﴾^(٥).

وفي قوله تعالى في كتابه الحكيم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٦).

وقال عز وجل في كتابه العزيز: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾^(٧). كما نص على عدم التمييز في الكرامة وفي الحقوق الأساسية ما بين إنسان وآخر لا في العرق، ولا في الجنس ولا في النسب، ولا في المال بما يتماشى مع قول سيد الكائنات رسول الله (لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأبيض على أسود، إلا بالتقوى)، وقوله: (النساء شقائق الرجال)، كما أكد وحدة الأسرة الإنسانية، إذ قال الرسول ﷺ: (الخلق كلهم عيال الله، وأحبهم إليه أنفعهم لعياله). كما دعاهم القرآن إلى التعاون على جميع أنواع البر عملاً بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ وقوله أيضاً: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٨).

هذا كما منح الإنسان حرية العقيدة وعدم السماح بالإكراه وفق ما دلت عليه الآيات القرآنية ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(٩)، وقوله تعالى أيضاً: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾^(١٠)، كما حرم الاعتداء على مال ودم الغير حيث قال الرسول ﷺ: (حرام عليكم أموالكم ودماءكم)، وقد هدد الإسلام المعتدين على النفس البشرية بلعنة الله وغضبه حيث قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مَتَعِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾^(١١).

هذا ومن أجل المحافظة على النفس البشرية شرع الإسلام عقوبة الاعتداء على حق الحياة وجعلها تتماثل مع جنس الجريمة، ويتساوى فيها البشر حيث قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرِّ بِالْحَرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَىٰ

بِالْأَنْثَى فَمَنْ عَضِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٍ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فله عَذَابٌ أَلِيمٌ، وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ يَتَّقُونَ»^(١٢). وأيضاً قوله تعالى: «وَأَنْ عَاقِبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَوْقِبْتُمْ بِهِ»^(١٣). ومن هذه الآيات القرآنية يتضح بأن الإسلام شرع العقوبات الزاجرة والرادعة على الأثمين المعتدين على حق الحياة، وأوضح لنا المولى ﷺ القصاص في قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ»^(١٤). وبهذا اقتضت حكمة الباري عز وجل بأن مصير من يقتل نفساً بريئة بغير حق سيلقى نفس المصير، وبذلك يتراجع كل من يفكر في القيام بهذا العمل حتى لا يخسر حياته.

لقد أمرنا الله أن نحافظ على أنفسنا وبأن لا نلقى بأيدينا إلى التهلكة، فقال تعالى: «وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا»^(١٥). وقال أيضاً: «وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا»^(١٦).

فالإسلام أكد حرمة النفس وكرامتها وحققها في الحياة فحرم كل ألوان الاعتداء على حق الحياة بأية صورة، كما حرم وأد البنات، فقال في كتابه العزيز: «وَإِذَا الْمَوْءُدَةُ سُئِلَتْ، بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ»^(١٧). وحرم على الإنسان الاعتداء على نفسه وغيره بقوله تعالى: «وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ»^(١٨)، وكذلك: «وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ»^(١٩).

لقد قرر الإسلام المبادئ الخاصة بالحقوق السياسية والاجتماعية والمدنية، وأثبت للإنسان كرامته واحترامه، وأصبح معزراً مكرماً، فتقرر بذلك تحريمه الاعتداء على حياة الإنسان أو على سلامة بدنه عمداً أو خطأ، فقال تعالى في كتابه العزيز: «مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا»^(٢٠).

هذا ومن الجدير بالذكر، أن الإسلام عرف حياة الإنسان، أو النفس الإنسانية بالروح لأن بها حياة الإنسان، كما أطلقت كلمة النفس على الذات، كما جاء في قوله تعالى: «يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا»^(٢١). كما تطلق على الروح وحدها كقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً»^(٢٢). وقوله تعالى: «كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينًا»^(٢٣). ثم قوله تعالى «لَا يَكِلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا»^(٢٤) وقوله تعالى: «لَا يَكِلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا»^(٢٥). إن هذه الآيات القرآنية تؤكد بأن حقوق الأفراد وحررياتهم في الإسلام منحة إلهية. إذ خلق الإنسان ومنحه حق الحياة وكرمه وفضله على

جميع الكائنات الحية. وخلق فيه الإرادة لقد كرم الله الإنسان على سائر المخلوقات ﴿ولقد كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾^(٢٦). وأكبر دليل لتكريم الإنسان أن جعله خليفة الله في أرضه، فالآية القرآنية الدالة على ذلك قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢٧).

إن الشريعة الإسلامية لم تميز بين إنسان وآخر إلا بالتقوى حيث قال تعالى في كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(٢٨) هذا كما أن الرسول عليه الصلاة والسلام في خطبة الوداع بين أن الناس سواسية. (وأن لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى) حيث قال في تلك الخطبة (يا أيها الناس إن ربكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على أعجمي، ولا لأعجمي على عربي، ولا لأحمر على أبيض، ولا لأبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى ألا هل بلغت، اللهم فاشهد).

تناول القرآن الكريم حق الأخوة والتعاون والمساواة بين البشر وعدم التمييز بينهم إلا بالتقوى، ففي سورة آل عمران قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمْعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾^(٢٩).

لقد قررت الشريعة الإسلامية منذ ما يزيد عن ألف وأربعمائة سنة حماية النفس الإنسانية في قوله تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾^(٣٠). في حين أن المجتمع الدولي لم يتمكن من إقرار القتل الجماعي وبالألاف، جريمة نكراء يعاقب عليها القانون الدولي إلا في سنة ١٩٤٨ ميلادي حيث أقرت الأمم المتحدة ذلك.

هذا وقد أوضح القرآن عقاب القاتل في الآية الكريمة التالية: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾^(٣١).

هذا وأذكر هنا ما قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما ضرب ابن عمرو بن العاص - عندما كان والياً على مصر - شاباً من دهمائها والذي لجأ إلى الخليفة ابن الخطاب شاكياً بقوله لعمر بن العاص: (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً)، بل

إن الخليفة أنصف الشاب بأن مكنه من ضرب ابن واليه على مصر، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على سماحة الدين الإسلامي وعدالته.

لقد أقر الإسلام مبدأ المساواة في تقرير حرمة الدم واستحقاقه للحياة سواء للمسلم أو لغير المسلم والرجل والمرأة والذي له حق في بلاد المسلمين والمساواة في المعاملة والعدل والقضاء وعصمة دمه ودينه وماله وعرضه، فقال الله في كتابه العزيز: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(٣٣). وقوله تعالى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُمْ مَّوَدَّةَ وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^(٣٤).

اهتم الإسلام بالمرأة والطفل، فالإسلام ساوى بين الرجل والمرأة، فقال في كتابه العزيز: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾^(٣٥). والدرجة فسرت في قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾^(٣٦). وقال أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾^(٣٧). وقول الرسول الكريم ﷺ (إنما النساء شقائق الرجال).

كما اهتمت الشريعة الإسلامية بالمرأة والطفل، أيضاً فقال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِّمَنُ أَرَادَ أَنْ يُنِمَّ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾^(٣٨).

كما أن القرآن الكريم اهتم باليتيم، فقد قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾^(٣٩). وقال تعالى أيضاً: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ وَلَا تَحَاضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾^(٤٠).

ثم قال: ﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى﴾^(٤١). وأيضاً قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾^(٤٢).

كما أن الرسول ﷺ قال في حق اليتيم: (خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر بيت للمسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه، وقال أيضاً: (أنا وكافل اليتيم في الجنة). وقال النبي ﷺ: (ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا).

فالإنسان طالما حرص أشد الحرص على احترام الآخرين وإعزازهم. لذا لا بد أن تكون له الحقوق، فالقرآن وضع لنا أنه للإنسان أن يعيش في مأمّن وسلام ورفع من شأنه حيث قال الله في كتابه العزيز: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾^(٤٢). وقوله عز وجل: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٤٣) وأيضاً حرم القرآن على الإنسان قتل نفسه في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾^(٤٤).

كذلك حرمت الشريعة المحمدية ضرب المسلم أو إيذاؤه بغير حق، فالرسول ﷺ يقول: (ظهر المسلم حمى إلا بحقه)، وأيضاً قال: (من جلد ظهر مسلم بغير حق لقي الله وهو عليه غضبان).

لقد منح الله تعالى حرية التنقل للإنسان حسب مقتضيات حاجياته وظروفه، ويمكن تدبر هذه الآية من قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾^(٤٥) وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾^(٤٦). وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾^(٤٧).

لقد رسمت الشريعة الإسلامية للإنسان المسلم منهجاً، فقد طلبت منه التقيد بها، حيث وضعت حصانة للبيوت لحماية حرية الإنسان عملاً بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾^(٤٨).

لقد بلغت الشريعة الإسلامية درجة مرموقة فيما يتعلق بحماية حياة الإنسان ووضعت الضمانات الكفيلة لذلك الإنسان وبلغت حداً لم تبلغه شريعة من الشرائع السماوية، ولم تصل إلى كمالها أية شريعة، إذ وضعت سياسة للتكافل الاجتماعي من أجل أن يكفل الحياة الكريمة لكل إنسان وذلك بفرض جزء من أموال القادرين لمساعدة المحتاجين - أي الفقراء - كما نص على ذلك القرآن الكريم: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ. لِّلْسَائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾^(٤٩).

كما حث الدين الإسلامي المسلمين على التعليم بل اعتبره مطلباً أساسياً، إذ قال الرسول ﷺ: (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، واطلبوا العلم من المهد إلى اللحد). و(اطلبوا العلم ولو بالصين)، كما حث الدين الإسلامي والقرآن الكريم على استعمال العلم من أجل التقدم حيث قال عز وجل: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْضُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾^(٥٠). أي سلطان العلم - وفي الوقت نفسه فرض عقوبة على من لم يتعلم حيث قال الرسول ﷺ: (ليتعلمن قوم من جيرانهم وليعلمن قوم جيرانهم أو لا عاجلهم العقوبة).

هذا ولقد أمر الرسول الكريم الناس بفرض الحجر الصحي في حالة وجود حالات لأمراض معدية حيث قال ﷺ: (إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوا عليه وإذا وقع وأنتم بأرض فلا تخرجوا منها فراراً منه).

فالإسلام أوضح حقوق الإنسان الأساسية التي لا يجوز مساسها كالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية حيث لم يسمح فيها بالتمييز بين إنسان وآخر.

هذا ولا يفوتنا أن نذكر بأن النظام الإسلامي اتبع نظاماً عرف بنظام ولاية المظالم حيث كان هذا النظام يتمثل في تلقي شكاوى الناس الذين قد يقع عليهم أي ظلم سواء من جانب الأفراد أو جانب الحكام من أجل دراستها ورد الحقوق المسلوقة إلى أصحابها.

أضف إلى نظام ولاية المظالم نظام الحسبة، إذ أن الشعب مسؤول عن كل ما يتعلق بأموره الدينية والدنيوية، وهو الذي يصدر القوانين ويراقب حسن تطبيقها وتنفيذها.

ومفهوم السلطة في الإسلام يعود بالدرجة الأولى إلى الأمة بكاملها حيث يدخل في اختصاصها التشريع والتنفيذ والقضاء. وسهل عليها كل فعل تعتقد أنه في مصلحتها ونبذ كل ما هو مضر بها، ولهذا حث الإسلام على فعل الخير ونبذ الشر. ودفع كل شر عن المجتمع باعتبارهم رعاة. وكل راع مسؤول عن رعيته، وبما أن الله سبحانه وتعالى لم يودع السلطة لدى الحكام والملوك والأباطرة ولكنه وكلها إلى الإنسان باعتباره خليفة الله في أرضه، وبالتالي يحق لجميع أفراد المجتمع المراقبة من أجل خدمة الصالح العام، فالحسبة هي نوع من الرقابة الاجتماعية لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وفي ذلك ضمان لحقوق الإنسان السياسية والاقتصادية والاجتماعية^(٥١).

إن تعدد المؤسسات الإسلامية ذات الطابع القضائي كان هدفها الوصول إلى حقوق الناس وحرياتهم الأساسية من أجل الوصول إلى تحقيق أكبر قدر ممكن من العدالة والحق بين الناس^(٥٢).

إن الإسلام دين متكامل، إذ ربط بين الروح والمادة، وربط بين المصالح الفردية والمصلحة العامة، وبذلك استند على مفهوم العدل الشامل للبشرية جمعاء، ومفهوم الأخوة البشرية، فالكل أحرار متساوون في الواجبات والحقوق دون التمييز بين لون وآخر، أو بين امرأة ورجل إلا بقدر ما تمليه عليه تعاليمه المتعلقة بالمرأة ومكانتها الاجتماعية وخصوصياتها.

اهتم الإسلام بمكارم الأخلاق، كما حمى حقوق الإنسان الاقتصادية، حيث قاوم الاستغلال والاحتكار وحقق التكافل الاجتماعي على أساس الأخوة الإسلامية، ولا شك بأن الفطرة الإسلامية لفكرة حقوق الإنسان رسمت على العهود والمواثيق الدولية الحديثة. إذ أن هذه الحقوق هي في حقيقة أمرها منحة إلهية لا دخل للسلطة أو الحاكم فيها، وبهذا اتسمت حقوق الإنسان بالشمولية والاتساع بحيث استوعبت كافة حقوق الإنسان وحياته الأساسية، فالإسلام جاء جامعاً للحقوق المدنية والسياسية منذ ما يزيد عن ألف وأربعمائة عام وعلى إقرار هذه الحقوق في العهود والمواثيق الدولية والقارية والإقليمية. فالشريعة الإسلامية مصدر متكامل للاعتماد عليها فيما يتعلق بحقوق الإنسان لأنها تناولت هذا المفهوم بشمولية لا مثيل لها حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

إن العصر الإسلامي من أكثر عصور التاريخ عدلاً وحكمة وحرصاً على حقوق الأفراد وحياتهم حيث مارس فيه الأفراد حقوقاً وحرّيات لم يدركها العالم إلا بعد مرور مئات السنين، كما شهد العصر الإسلامي منذ أربعة عشر قرناً نظاماً متكاملًا ودقيقاً وعادلاً لحماية حقوق الإنسان وحياته الأساسية لم يشهدها أي عصر من العصور، إن الشريعة الإسلامية هي أفضل ضمان للحفاظ على حقوق الإنسان، كما أن الإسلام وضع اشمَل قانون لحماية حقوق الإنسان، كما أن حماية حقوق الإنسان متأصلة في الإسلام وجزء من واجبات المسلمين الدينية.

لقد بلغت الشريعة الإسلامية درجة مرموقة فيما يتعلق بحماية حياة الإنسان ووضعت الضمانات الكفيلة لذلك الإنسان بدرجة لم تبلغها شريعة من الشرائع السماوية ولم تصل إلى كمالها أية شريعة حتى الآن.

هذا ومن الجدير بالذكر أن قضية حقوق الإنسان من أهم القضايا العالمية، وأحد أهم المعايير التي يحكم بها على رقي وتحضر النظام السياسي، كما أن قضية حقوق الإنسان أصبحت مسؤولية مشتركة للإنسان، كما شهد العالم ازدهاراً لحقوق الإنسان على مختلف المستويات والأصعدة.

فضلاً عن اقتران الحقوق الفكرية السياسية بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية، في حين طرح الاشتراكيين تركيز على العدل الاجتماعي وإعطاء الأولوية للحقوق الاقتصادية والاجتماعية، أما المفهوم الليبرالي الرأسمالي فيتركز على الحقوق المدنية والسياسية فكان نتاج مراحل تاريخية في القرن التاسع عشر^(٥٢).

إن الإسلام دين متكامل، إذ ربط بين الروح والمادة، وربط بين المصالح الفردية والمصلحة العامة، وبذلك استند على مفهوم العدل الشامل للبشرية جمعاء، ومفهوم الأخوة البشرية، فالكل أحراراً متساوون، في الواجبات والحقوق، إن الأمة الإسلامية لن تجد دستوراً يحكمها، خيراً من كتاب الله عز وجل، الذي سبق جميع الدساتير في احترام حقوق البشر وحررياتهم الأساسية.

فحقوق الإنسان في المنظور الإسلامي، هي ضرورات فطرية للإنسان، وتميز الإسلام عن المنظومات الفكرية الأخرى، في قضية حقوق الإنسان، والحفاظ على حقوق الإنسان، ليس مجرد حق الإنسان، بل هو عليه أيضاً، أن حماية إنسانية الإنسان هو مقصد الشريعة وغايتها. إن الشريعة جاءت لتحقيق مصالح العباد في معاشهم ومعادهم، ولتحقيق مصالحهم لا يتم إلا بحماية الكليات الخمس المتمثلة في العقل، والدين، والنفس والعرض، والمال.

الهوامش

- (١) سورة المائدة، آية (٨).
- (٢) سورة آل عمران، آية (١٠٢).
- (٣) سورة المائدة، آية (٢).
- (٤) سورة التوبة، آية (١٢).
- (٥) سورة الحجرات، آية (٩).
- (٦) سورة الحجرات، آية (١٢).
- (٧) سورة الإسراء، آية (٦٩).
- (٨) سورة الممتحنة، آية (٧).
- (٩) سورة البقرة، آية (٢٥٤).
- (١٠) سورة يونس، آية (٩٩).
- (١١) سورة النساء، آية (٩٢).
- (١٢) سورة البقرة، آية (١٧٨-١٧٩).
- (١٣) سورة النحل، آية (١٢).
- (١٤) سورة البقرة، آية (١٧٧).
- (١٥) سورة البقرة، آية (١٩٣).
- (١٦) سورة النساء، آية (٢٩).
- (١٧) سورة التكاوير، آية (٧-٨).
- (١٨) سورة النساء، آية (٢٩).
- (١٩) سورة الإسراء، آية (٣٣).
- (٢٠) سورة المائدة، آية (٣٤).
- (٢١) سورة النحل، آية (١١١).
- (٢٢) سورة الفجر، آية (٢٩-٣٠).
- (٢٣) سورة المدثر، آية (٣٧).
- (٢٤) سورة البقرة، آية (٢٨٤).
- (٢٥) سورة الطلاق، آية (٥).
- (٢٦) سورة الاسراء، آية (٦٩).
- (٢٧) سورة البقرة، آية (٢٨).
- (٢٨) سورة الحجرات، آية (١٢).
- (٢٩) سورة الأحزاب، آية (٢٠).
- (٣٠) سورة الممتحنة، آية (٦).
- (٣١) سورة البقرة، آية (٢٢٦).
- (٣٢) سورة النساء، آية (٣٤).
- (٣٣) سورة النساء، آية (٣٤).
- (٣٤) سورة النساء، آية (١).

- (٢٧) سورة البقرة، آية (٢٣٠).
- (٢٨) سورة الضحى، آية (٨-٩).
- (٢٩) سورة الفجر، آية (١٧-١٨).
- (٤٠) سورة البقرة، آية (٢١٥).
- (٤١) سورة النساء، آية (٩).
- (٤٢) سورة المائدة، آية (٣٤).
- (٤٣) سورة البقرة، آية (١٧٧).
- (٤٤) سورة النساء، آية (٢٩).
- (٤٥) سورة محمد، آية (١٠).
- (٤٦) سورة الجمعة، آية (٩).
- (٤٧) سورة الملك، آية (١٤).
- (٤٨) سورة النور، آية (٢٦-٢٧).
- (٤٩) سورة الرحمن، آية ٣٠.

المراجع

الكتب

- الحاج، ساسي سالم «المفاهيم القانونية لحقوق الإنسان عبر الزمان والمكان» منشورات الجامعة المفتوحة الطبعة الثانية، ١٩٩٨.
- الراوي، جابر إبراهيم «حقوق الإنسان وحياته الأساسية في القانون الدولي والشريعة الإسلامية»، دار وائل للطباعة والنشر ١٩٩٩.
- سعيد، صبحي عبدة «الإسلام وحقوق الإنسان»، مطبعة جامعة القاهرة، دار النهضة العربية ١٤١٥ هجرية.
- قتديل، أماني في مجلة السياسة الدولية «حقوق الإنسان بين العهود الدولية والعمل الدولي المنظم».

أثر العلم الشرعي في حماية الفكر من الغلو

د. عثمان بن محمد الصديقي



المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فإن اتزان الفكر وت عقله يوزنه العلم الشرعي، على منهج أهل السنة والجماعة، الذي يعد منهجهم وسطاً بين طرفي نقيض، وقد تخبط كثيرون في هذا الجانب، وتحكمت آراؤهم وأهواؤهم، وتعصبوا لمناهجهم، فعميت أبصارهم، وتلظى الناس بنيران أفكارهم، ولم تستثن أحداً.

فكان لا بد من طرح بعض البحوث والأوراق العلمية التي تطرح حلولاً لمشكلات المسلمين وشبابهم عليها تجد أذاناً صاغية.

ومن هذه المؤتمرات التي شع نورها وانتشر خيرها في مختلف الميادين الإسلامية والإنسانية والاجتماعية هذا المؤتمر العلمي المميز في طرحه من خلال الباحثين الذين قدموا من مشارق الأرض ومغاربها لا هم لهم إلا البحث والتحري عن الحق والصواب، والمشاركة بحلول نظرية وبحثية في مشاكل المجتمعات.

• الأستاذ المشارك في كلية الملك فهد الأمنية بقسم العلوم الشرعية/السعودية.
alsiddiqi1@gmail.com

فعددت المهمة ورسمت الخطة لهذه الورقيات العلمية والتي أسميتها (أثر العلم الشرعي في حماية الفكر من الغلو) وقدمتها للجنة العلمية لهذا المؤتمر الذي جعل من عنوانه (البحث العلمي ركيزة لحل المشكلات) وجعلته في المحور المعني بقضايا الشباب. أسأل الله عز وجل أن يعينني فيه على الصواب فإن وفقت فله الحمد والمنة، وإن أخطأت فحسبي أني اجتهدت فلن أعدم بإذن الله الأجر والمثوبة.

مخطط البحث: وقد رسمت لهذه الورقة المخطط الآتي:

(الفصل الأول: مقدمات عن الغلو)

المبحث الأول: تعريف الغلو.

تعريف الغلو لغة.

تعريف الغلو اصطلاحاً.

المبحث الثاني: المصطلحات الرديفة والشائعة للغلو

المبحث الثالث: النصوص الدالة على تحريم الغلو

المبحث الرابع: مظاهر وأسباب الغلو.

المبحث الخامس: وسائل الحد من انتشار الغلو.

(الفصل الثاني: أهمية العلم الشرعي)

المبحث الأول: تعريف العلم الشرعي

تعريف العلم لغة.

تعريف العلم اصطلاحاً.

المبحث الثاني: فضل العلم الشرعي.

المبحث الثالث: أنواع العلم الشرعي ومصادر تلقيه.

المطلب الأول: الدراسة الأكاديمية بمختلف مراحلها.

المطلب الثاني: الدروس والدورات العلمية.

المطلب الثالث: المؤتمرات والمليقات.

المطلب الرابع: الفتوى ومصادرها.

المطلب الخامس: الوسائل الإلكترونية والأعلامية.

الخاتمة: وفيها أهم التوصيات والنتائج.

الفهارس.

الفصل الأول: مقدمات عن الغلو

المبحث الأول: تعريف الغلو لغة واصطلاحاً

تعريف الغلو لغة: مجاوزة الحد.

تدور الأحرف الأصلية لهذه الكلمة ومشتقاتها على معنى واحد يدل على مجاوزة الحد والقدر.

قال ابن فارس^(١): (العين واللام والحرف المعتل أصل صحيح يدل على ارتفاع ومجاوزة قدر)

تعريف الغلو اصطلاحاً: تعددت تعريفات أهل العلم له، فمنها:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية^(٢) رحمه الله: الغلو مجاوزة الحد، بأن يزداد في الشيء، في حمده أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك.

وقالت اللجنة الدائمة للإفتاء في المملكة العربية السعودية في فتوى لها^(٣): (والغلو هو: التعمق في الشيء والتكلف فيه، وقد نهى النبي ﷺ عن الغلو فقال: (إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين). رواه أحمد وغيره بإسناد صحيح

المبحث الثاني: المصطلحات الرديفة والشائعة للغلو

هناك مصطلحات أخرى شهدت لها نصوص أخرى حول المعنى الاصطلاحي الذي يدور حول مجاوزة الحد المشروع والتكلف فيه.

منها: **التنطع**، وقد دل عليه قوله ﷺ: (هلك المتنطعون، هلك المتنطعون هلك المتنطعون). قال النووي رحمه الله^(٤): أي: المتعمقون، الغالون، المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم.

ومنها **الشدة**، وقد دل عليه قوله ﷺ: (إن هذا الدين يسر وليس بعسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه).^(٥)

(١) معجم مقاييس اللغة مادة (غلو).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ٣٢٨/١.

(٣) فتوى رقم ٨٩٤٦.

(٤) شرح صحيح مسلم ٢٢٠/١٦.

(٥) صحيح البخاري ١٤٥/٢.

ومنها التفسير، وقد دل عليه قوله ﷺ: (أيها الناس إن منكم منفرين، فأياكم أم الناس فليؤجز، فإن من ورائه الكبير والضعيف وذو الحاجة).^(٦)

ومنها الوصف بالخارج عن الجماعة والإمام، وقد دل عليه قوله ﷺ: (مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ، مَاتَ مَيِّتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عَمِيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصْبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصْبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصْبَةً، فَقُتِلَ، فَقَتَلَهُ جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلَا يُتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدُهُ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ).^(٧)

وكمصطلح أهل البغي واللبغا كقول الله تعالى: ﴿وَأَنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾.^(٨)

وهناك مصطلحات اصطلاح عليها الناس، ولكنها تحتاج إلى جلاء وإيضاح للمعنى المقصود فكل جهة تفسرها حسب هواها. فمنها الإرهاب، ومنها التطرف، ومنها الرجعية، ومنها الأصولية.

المبحث الثالث: النصوص الدالة على تحريم الغلو

قال الله تعالى محذراً أهل الكتاب من الغلوفي عبادة المسيح عليه السلام: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾^(٩)

وقال: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾^(١٠)

وقد دعا الله عز وجل إلى الوسطية بقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾^(١١).

(٦) صحيح البخاري ٤٣٦/٢ وصحيح مسلم ٤٢٤/٢

(٧) صحيح مسلم ١٤٧٦/٣

(٨) سورة الحجرات: ٩

(٩) سورة النساء: ١٧١

(١٠) سورة المائدة: ٧٧

(١١) سورة البقرة: ١٤٣

وقال في وصف النبي ﷺ مادحاً إياه بأنه وضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت على الأمم السابقة: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾^(١٢)

وقال جل شأنه: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾^(١٣)

وقال: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾^(١٤)

ومن السنة وردت أحاديث كثيرة تدعو إلى النهي عن الغلو والتطع وعدم التشدد وجعل اليسر والرفق شعاراً للمسلم. فمنها:

قوله ﷺ: (حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال لي رسول الله ﷺ غداة العقبة وهو على راحلته: «هات التقط لي». فلقطت له حصيات من حصي الخذف، فلما وضعتهن في يده قال: «بأمثال هؤلاء. بأمثال هؤلاء». وإياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين). رواه النسائي، وابن ماجه^(١٥) واللفظ للنسائي وإسناده صحيح.

فهذا الحديث من أصرح الأدلة في النهي عن الغلو في الدين كله، فإنه وإن كانت المناسبة النهي عن المبالغة في حصي الجمار إلا أن النبي ﷺ أخرجه بلفظ عام يشمل النهي عن الغلو في كل أبواب الدين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله^(١٦): وقوله: (وإياكم والغلو في الدين) عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقاد والأعمال.

وقد سبق ذكر شيء من الأحاديث الدالة على تحريم التطع وعدم التشدد في مصطلح الغلو.

(١٢) سورة الأعراف: ١٥٧.

(١٣) سورة الحج: ٧٨.

(١٤) سورة البقرة: ١٨٥.

(١٥) سنن النسائي الكبرى ٢/ ٤٣٥، سنن ابن ماجه ٢/ ١٠٠٨.

(١٦) اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٢٢٨.

المبحث الرابع: مظاهر وأسباب الغلو

للفلو والتشدد أسباب عديدة يجمعها ما ذكره النبي ﷺ في حديثه الذي رواه عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: (يخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول الناس، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، فمن لقيهم فليقتلهم فإن قتلهم أجر عند الله لمن قتلهم).^(١٧) فقد جمع النبي ﷺ في أوصافهم أربعة أشياء: حداثة السن، والجهل بالنصوص، وعدم التعقل، وكثرة العبادة من غير تمعن وتدبر.

فأسباب الغلو التي يمكن إجمالها فيما يلي:

- ١- الجهل بالدين.
- ٢- الانجرار وراء العاطفة والحماس.
- ٣- اتباع الهوى.
- ٤- عدم احترام العلماء المعتبرين المتكئين في الجانب الشرعي. واتخاذ مراجع وعلماء من الرؤوس الجهال.
- ٥- عدم الاعتراف بالبيعة والسمع والطاعة لولاة الأمر.
- ٦- العزلة عن المجتمع ومفارقة الجماعة.
- ٧- تكفير المجتمع وبالتالي إباحة الدم والمال.
- ٨- عدم احترام دماء غير المسلمين وحقوقهم.
- ٩- عدم احترام المعاهدات والاتفاقات الدولية.
- ١٠- الغدر والخيانة للمجتمع والدولة.
- ١١- تتبع وسائل الأعلام المقروءة والمكتوبة والمسموعة وموقع الإنترنت والتواصل الاجتماعي التي تثير أفكار الغلو.

المبحث الخامس: وسائل الحد من انتشار الغلو

- ١- ضرورة العناية بالشباب وذلك بوضع برامج ثقافية ورياضية واجتماعية.
- ٢- تقوية جانب الوعي الديني. وذلك من خلال إقامة الدورات الدينية والملتقيات العلمية والدروس العلمية ونشر فتاوى العلماء المعتبرين من خلال وسائل الإنترنت والتواصل الاجتماعي وغيرها.

(١٧) صحيح البخاري ١/ ٢٢٤ وصحيح مسلم ٢/ ٣١١

- ٣- إيجاد فرص عمل للشباب والقضاء على البطالة وسد حاجتهم المالية.
- ٤- تقوية جانب الترابط الأسري والمجتمعي.
- ٥- العمل على عدم استفزاز الشباب من الجانب المضاد من البراليين والانفتاحيين وضرورة الأخذ على أيديهم.
- ٦- فتح منافذ الحوار والمناقشة والمناصفة.
- ٧- التعامل بحكمة وعدم استخدام العنف المفرط للمتورطين في الفكر الغالي حتى لا يسبب ردود فعل مضادة.

الفصل الثاني: أهمية العلم الشرعي

المبحث الأول: تعريف العلم الشرعي

العلم لغة: نقيض الجهل، وهو: إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكاً جازماً^(١٨).

اصطلاحاً: فقد قال بعض أهل العلم: هو المعرفة وهو ضد الجهل،^(١٩) وقال آخرون من أهل العلم: إن العلم أوضح من أن يعرف^(٢٠).

والشريعة اسم للأحكام الجزئية التي يتهذب بها المكلف معاشاً ومعاداً، سواء كانت منصوبة من الشارع، أو راجعة إليه.^(٢١)

والذي يعنينا هو **العلم الشرعي**، والمراد به: علم ما أنزل الله على رسوله من البيانات والهدى.

ويمكن أن يقال: هو معرفة ما أنزل الله في كتابه وما ورد في سنة رسوله ﷺ وما تفرع عنهما.

قال ابن حجر في فتح الباري^(٢٢) في أول كتاب العلم من صحيح الإمام البخاري والمراد بالعلم، العلم الشرعي الذي يفيد معرفة ما يجب على المكلف من أمر دينه في عباداته ومعاملاته والعلم بالله وصفاته وما يجب له من القيام بأمره وتنزيهه عن النقائص.

(١٨) لسان العرب ١٢/٤١٧.

(١٩) المفردات للأصفهاني ص ٣٤٣.

(٢٠) فتح الباري ١/١٤١.

(٢١) الكليات لأبي البقاء الكفوي ص ٥٢٤.

(٢٢) ١/١٤١.

المبحث الثاني: فضل العلم الشرعي

قد دلت على فض العلم الشرعي نصوص كثيرة من الكتاب والسنة، فمن الكتاب:

١- قول الله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾^(٢٣)

٢- قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢٤)

٣- قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾^(٢٥)

ومن السنة وردت أحاديث كثيرة منها:

١- قوله ﷺ: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)^(٢٦)

٢- قوله ﷺ: (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة)^(٢٧)

٣- قوله ﷺ: (وان العلماء هم ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر)^(٢٨)

المبحث الثالث: أنواع العلم الشرعي ومصادر تلقيه

المطلب الأول: الفتوى ومصادرها

والفتوى لها أهميتها في بيان الحكم الشرعي فيما يحتاجه الناس وفيما يقع لهم من أحكام، وتزداد أهمية الفتوى في مسائل العصر المشكلة التي يحتاجها المسلمون فيما يواجهونه من قضايا جديدة قد لا يجدون لها نصاً شرعياً في الكتاب والسنة.

وهنا يأتي دور العلماء المجتهدين الربانيين الذين يتجردون في فتاواهم لبيان الحق والصواب، لا لإرضاء طرف دون آخر، وعلى ذلك تكون مصداقيتهم وثقتهم عند الناس.

(٢٣) سورة المجادلة: ١١.

(٢٤) سورة الزمر: ٩.

(٢٥) سورة التوبة: ١٢٢.

(٢٦) رواه البخاري في صحيحه ٢٣١/١ ومسلم في صحيحه ١٤/٢.

(٢٧) رواه مسلم في صحيحه رقم ٢٦٩٩.

(٢٨) رواه أبو داود في سننه ٢١٢/١ والترمذي في سننه ٣٥٦/١ بسند صحيح.

وقد حذر الله تعالى من كتمان الحق والهدى وبيان الصواب لأجل أطماع الدنيا وأهوائها، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعُنُونَ﴾^(٢٩)، وقال جل شأنه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٣٠)

وقال ﷺ: (مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللَّهُ بِلْجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)^(٣١).

وعلى هذا ينبغي أن يسأل الناس أهل العلم والمعتبرين المرضيين في دينهم ومتابعاتهم للكتاب والسنة والمعنيين من قبل ولي الأمر الشرعي حتى لا تصبح الفوضى وتتضارب أقوال الفقهاء بعضها مع البعض فيقع العوام في حيرة من أمرهم، مما يلجأهم بعد ذلك إلى سؤال غيرهم فيقع ما أخبر به النبي ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَالًا، فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا)^(٣٢).

وهناك مسائل شائكة يحتاجها عوام المسلمين في زمننا الحاضر الذي كثرت فيه الفتن، وتصدر للفتوى أناس ليسوا من أهلها، فضلوا وأضلوا ولبسوا على الناس دينهم، وأغروا الشباب بفتاويهم ودفعوا بهم في مواطن الفتن والشبهة بسبب تلك الفتاوى.

فلا بد من ضبط الفتوى على منهج أهل السنة والجماعة، وتحري الحكمة ومعرفة حال السائل في الفتوى، وتحري المصالح والمفاسد، وما يكون في صالح المسلمين وحقن دمائهم وأموالهم وأعراضهم.

ولهذا فإن الفتوى مصدر وأثر مهم في حماية الفكر من الانحراف والغلو.

(٢٩) سورة البقرة: ١٥٩

(٣٠) سورة البقرة: ١٧٤

(٣١) رواه أبو داود في سننه ٢١٣/١ والترمذي في سننه ٣٦٦/١ بسند صحيح.

(٣٢) رواه البخاري في صحيحه ١٤٥/١ ومسلم في صحيحه ٣٤٦/٢.

المطلب الأول: الدراسة الأكاديمية بمختلف مراحلها

من أهم المراحل التي يتلقاها المرء في حياته وتكون كالأساس له فيما بعد في حياته التعليمية هي المرحلة الابتدائية والمتوسطة والثانوية. وهذا فيما يعرف بالمدارس التي تحت نطاق وزارات التربية والتعليم على مختلف مسمياتها في البلدان.

فلا بد أن تحتوي المناهج العلمية على جملة من المواد الشرعية كالقرآن الكريم والعقيدة والحديث الفقه، كل بحسب عمره ومستواه، وأن يعتنى بمفرداتها ومناهجها وأن توضع بأيدي خبراء في جانب العلم الشرعي، حتى ينشأ الطالب المسلم في هذه المراحل على قدر جيد من معرفة قراءة القرآن الكريم وتجويده ولديه شيء من علوم العقيدة على منهج السلف الصالح، وعلى معرفة بعبادة ربه وأداء صلاته وصومه وحجه.

وينبغي عدم حذف شيء من هذه المناهج الشرعية على حساب ساعات في علوم نظرية ولغوية، وللمملكة العربية السعودية تجربة ناجحة في وضع مفردات العلم الشرعي في مختلف مراحلها، مع الحفاظ على النبوغ العلمي، بل وجدت في دراسات علمية أن مدارس تحفيظ القرآن الكريم التابعة لوزارة التعليم التي تدرس كافة المواد إضافة إلى مواد العناية بالقرآن الكريم والعلوم الشرعية تحتوي على الكثير من النابغين والموهوبين وذلك بحمد الله تعالى.

ثم تأتي بعد ذلك الدراسة الأكاديمية في الجامعات سواء كانت ذات التخصص الشرعي أو الجامعات ذات التخصصات النظرية، لا بد كذلك أن تحتوي على مناهج ومفردات في جانب الثقافة الإسلامية، وهذا أمر ملزم به كل الجامعات في تدريس مواد الثقافة الإسلامية الحكومية والخاصة في المملكة العربية السعودية ولله الحمد والمنة.

فإذا وضعت تلك المناهج والمفردات في الدراسات الأكاديمية في مختلف مراحلها على مناهج الوسطية والاعتدال والسماحة ونبذ العنف والغلو والتشدد، وضرورة منهج أصول أهل السنة والجماعة في حقوق ولي الأمر وخطورة التكفير وضوابط الجهاد ومشروعيته ومتى يكون، وضرورة معرفة حق العلماء وعدم الخروج عن أهل الفتوى المعبرين إذا وضع كل ذلك في أفكار الشباب من خلال مناهج التعليم بعناية فائقة كان له دور في حماية فكر الشباب من الغلو.

المطلب الثالث: المؤتمرات والملتقيات

وهناك نوع من العلم الشرعي الذي يطرح بشكل أكاديمي من خلال البحوث والأوراق العلمية التي تطرح في الندوات والمؤتمرات وورش العمل الخاصة بالنواحي الفكرية والتحذير من الغلو والتشدد، وهناك في الحقيقة العديد من تلك المؤتمرات التي تم عقدها في كثير من البلدان العربية وبخاصة في المملكة العربية السعودية، والتي قدمت فيها أوراق علمية وبحوث علمية من خلال الباحثين والمهتمين في القضايا الفكرية ومحاربة الفكر الضال بأسلوب علمي هادف وبناء، ونتج عنها العديد من التوصيات.

فالشاهد أن إقامة تلك المؤتمرات والندوات وورش العمل بطرح رؤى شرعية متزنة له دروه الكبير وأثره الواضح في محاربة الفكر الضال والمنحرف.

المطلب الرابع: الدروس والدورات العلمية

وهي دورات تحوي دروساً علمية قصيرة المدى، ويمكن أن تكون لمدة أسبوع إلى أسبوعين، تحتوي على مناهج ومفردات قصيرة ومكثفة ومركزة في الجانب الشرعي، وتهدف إلى دحض الشبه والمسائل التي يثيرها أصحاب الفكر الضال، كمسائل الإمامة والخلافة العظمى، وشروط عقد الإمام وحقوق البيعة، وضوابط الجهاد وشروطه، وحقوق غير المسلم على المسلم، والتكفير وضوابطه، وحكم قتل المسلم واستباحة دمه، وأهمية ومرجعية الفتوى ومن هم أهل العلم المعتبرين، وحكم لزوم جماعة المسلمين وعدم الفرقة والاختلاف، وطرح غيرها من المواضيع المهمة ذات العلاقة.

مع العلم أن مثل هذه الدورات ينبغي نشرها في كل الأمكنة العامة والخاصة وأماكن تجمع الشباب.

المطلب الخامس: الوسائل الإلكترونية والإعلامية

ولا شك أن هذه الوسائل التقنية من أقوى الوسائل الموجهة للشباب والتي يقبل هو عليها برغبة وبدون قيود، وتعد هذه الوسائل التقنية من أقوى الوسائل التي تدعم أهل الفكر الضال، ذلك أنهم لا يعترفون بتعليم شرعي في النواحي الأكاديمية، ولا يخطر ببالهم في المجتمع لحضور المؤتمرات والندوات، ولا للدروس والدورات العلمية.

فلا بد من فتح باب حوارات ومناقشات معهم عن طريق الإنترنت، وهناك مواقع جيدة قد تخصصت في توجيه الشباب، ومنها موقع السكينة www.assakina.com

والذي يشرف عليه نخبة من طلبة العلم، وهناك موقع متخصص يتبع وزارة الداخلية يسمى مركز الأمير محمد بن نايف للمناصرة والرعاية. www.mncc.org.sa

(الخاتمة) وتحتوي على أهم التوصيات

- ١- ضرورة تحديد المفاهيم كما جاءت في النصوص الشرعية وعدم خلط مفاهيم الغلو والتشدد على من يريد تطبيق الإسلام وتعاليمه على منهج أهل السنة والجماعة.
- ٢- ضرورة معرفة أسباب ومظاهر الغلو ومحاولة القضاء عليها والتأكيد على تفعيل الوسائل المعينة على الحد من انتشار الغلو وخطره من خلال ما ورد في البحث.
- ٣- ضرورة الحصول على العلم الشرعي وفضله وأنه أكبر سبيل للحماية من الفكر الضال.
- ٤- ضرورة تدبر نصوص الكتاب والسنة وتفسيرهما على وفق ما جاء عن السلف والعلماء المعبرين.
- ٥- ضرورة وأهمية الفتوى ووضع الضوابط اللازمة لها.
- ٦- ضرورة تواصل العلماء المعبرين مع الشباب وتوجيههم من خلال الدروس والدورات العلمية.
- ٧- ضرورة تقوية جوانب التقنيات العلمية ومواقع الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي في بث الجواب الشرعي الشافي والكافي للشباب فهو أقوى مصدر للتلقي لديهم.

فهرس المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم
- ٢- صحيح البخاري
- ٣- صحيح مسلم
- ٤- سنن الترمذي
- ٥- سنن أبي داود
- ٦- سنن النسائي
- ٧- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أهل الجحيم لابن تيمية
- ٨- معجم مقاييس اللغة لابن فارس
- ٩- شرح صحيح مسلم للنووي
- ١٠- فتح الباري
- ١١- فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء بالسعودية
- ١٢- المفردات للأصفهاني
- ١٣- الكليات لأبي البقاء الكفوي
- ١٤- لسان العرب لابن منظور



تحت شعار
البحث العلمي ركيزة لحل المشكلات
المؤتمر الدولي الثالث
ومؤتمر الرابطة الأكاديمية الأول للبحث العلمي
لمركز البحوث والاستشارات الاجتماعية (لندن)
حول موضوعات العلوم الاجتماعية والإنسانية

أبحاث إسلامية وقانون
(رابطة)

معهد الكويت للأبحاث العلمية

١٠ - ١٢ فبراير ٢٠١٤

١١- تمكين المرأة والأداء البرلماني:
دراسة ميدانية لعينة من الدوائر الانتخابية في مصر
Women's Empowerment and Parliamentary Performance:
A field study of a Sample of Constituencies in Egypt

أ. غادة محمد أحمد يونس*



مقدمة

والوطنية، والإقليمية والدولية كافة
يعكس الحواجز الهيكلية والسلوكية
التي ينبغي التصدي لها من خلال
اتخاذ تدابير إيجابية.

ومما هو جدير بالذكر أن المرأة
المصرية حصلت على حقوقها
السياسية كافة بنص القانون، إلا أن
هذه الحقوق لم تتبلور إلى واقع فعلي،
ولما كان وصول المرأة لمراكز صنع
القرار السياسي أحد أهم مؤشرات

بدأ استخدام مفهوم تمكين المرأة في
السبعينيات من القرن العشرين، وتطور
المفهوم خلال التسعينيات باعتباره
عملية توسيع لنطاق الخيارات المتاحة
أمام النساء ورفع مستوى إنتاجهن.
ولقد تبلورت استراتيجية التمكين منذ
مؤتمر بكين عام ١٩٩٥م حيث أكد
على أن تحسين وضع المرأة اجتماعياً،
واقتصادياً، وسياسياً عامل أساسي في
سبيل تكوين حكومة شفافة ومسؤولة،
وأن مشاركة المرأة تحقق توازن يعكس
بشكل صحيح التكوين الطبيعي للمجتمع،
والذي من شأنه أن يحقق مبادئ
الديمقراطية. كما أن انخفاض نسبة
النساء بين صانعي القرارات السياسية
والاقتصادية على الأصعدة المحلية،

* باحثة حاصلة على ماجستير في الآداب، قسم الاجتماع، جامعة المنوفية/الإسكندرية.
لقد تم إعداد البحث تحت إشراف: أ. د. علي عبد الرازق جلي ود. السيد محمد الرامخ.

yonis.ghada@yahoo.com

تمكين المرأة. وبالنظر إلى نسب تولي المرأة للمناصب القيادية نجد أن هناك وظائف محددة للمرأة، أما عن نسب تمثيل المرأة بمجلس الشعب نجد أن وجود المرأة بها في تدهور مستمر على الرغم من زيادة الوعي الدولي بقضايا المساواة بين الجنسين والتأكيد المستمر على ضرورة تمكين المرأة من المشاركة في صنع القرار السياسي. وعلى الرغم من تبني مصر لنظام تخصيص المقاعد بالفترة من ١٩٧٩-١٩٨٦م من أجل دعم تمكين المرأة، وقد كان من المتوقع أن يكون للأداء البرلماني في هذه الفترة دور في دعم تمكين المرأة وهدم ما هو سلبي بالموروث الثقافي المصري والذي يقف حجر عثرة أمام تمكينها، وإبراز قدرة المرأة على تحمل المسؤولية ومشاركتها في صنع القرار كالرجل تماماً.

وسيتم عرض الدراسة في ضوء العناصر التالية: -

١. التصور النظري والمنهجي للدراسة.
٢. أشكال التمييز التي تواجه المرأة المصرية في المجال السياسي.
٣. أوضاع تمكين المرأة في المجتمع المصري.
٤. العلاقة بين تمكين المرأة والأداء البرلماني.

أولاً: التصور النظري والمنهجي للدراسة

١. الصياغة التصورية لموضوع الدراسة

أ. مشكلة الدراسة وأهميتها النظرية:

يتحدد موضوع الدراسة في توضيح العلاقة بين تمكين المرأة المصرية والأداء البرلماني لها في الفترة من ٢٠٠٠-٢٠١٠، من خلال المحاور التالية:

- (١) الموروث الثقافي وتمكين المرأة.
- (٢) العلاقة بين رأس المال السياسي وتمكين المرأة.
- (٣) العلاقة بين تمكين المرأة والأداء البرلماني.

تأتي هذه الدراسة كمحاولة لدراسة ظاهرة اجتماعية استحوذت على اهتمام خاص من قبل صناع القرار على المستويات كافة، وقد تبلورت أهمية تمكين المرأة من خلال الدراسات

والمؤتمرات العالمية التي تناولت هذه القضية بالبحث والدراسة حيث أكدت العديد من الدراسات على مستوى العالم على ضرورة تمكين المرأة من المشاركة في صنع القرار السياسي، والتصدي للعقبات التي تحول دون تمكين المرأة، أما على المستوى المصري نجد المفكرين والدارسين لهذه القضية قد انقسموا إلى فريقين: الأول يرى أن ضعف وغياب مشاركة المرأة في صنع القرار يرجع إلى فساد العملية الانتخابية ذاتها وعدم قدرة المرأة على خوض المعركة الانتخابية، وخصوصاً في ظل سيادة الموروث الثقافي الذي يقلل من شأن المرأة ويرون ضرورة تدخل الدولة وإصدار قانون لتخصيص حصص للمرأة في البرلمان من أجل تدعيم تمكين المرأة، أما الفريق الثاني: فيرفض إصدار قوانين لتمكين المرأة ويرى أن القانون المصري بالفعل ضمن للمرأة حقوقها السياسية والاقتصادية والاجتماعية كافة.

وانطلاقاً من التراث النظري للدراسة تتفق الباحثة مع الفريق الثاني: حيث أن تدخل الدولة عمل على تدعيم مساواة شكلية، هذه المساواة بدورها عملت على تعميق الفجوة بين الواقع والقانون، وأنه إذا أردنا الوصول إلى تمكين فعلي للمرأة فإنه ينبغي لنا الرجوع للواقع أولاً للتعرف على دور الموروث الثقافي السلبي في تهميش وإبعاد المرأة عن المشاركة في صنع القرار السياسي، والتعرف على الإجراءات اللازمة لتمكين المرأة ومن ثم تدخل الدولة لتذليل العقبات التي تحول دون تمكين المرأة بالمجتمع المصري.

ب. إشكالية الدراسة وأهميتها التطبيقية

تشير استطلاعات الرأي التي قامت بها جهات مختلفة سواء كانت أجنبية مثل مؤسسة فريدم هاوس «Freedom House»^(١) أو مصرية كمركز دعم واتخاذ القرار والمجلس القومي للمرأة وغيرها من المؤسسات إلى أن هناك مواقف متناقضة لقبول المجتمع لتمكين المرأة من المشاركة في صنع القرار السياسي ففي حين تؤكد أغلب أفراد عينات الاستطلاعات على أن القانون المصري ضمن للمرأة كافة الحقوق والواجبات مساواة بالرجل، وأن هناك قبول عام من قبل أفراد العينات على أن تشارك المرأة في صنع القرار السياسي وصياغة الظروف التي تعيش فيها كمواطن دون أدنى تمييز، إلا أن هذه العينة ذاتها تؤكد على أن الرجل أفضل من المرأة في القيام بالعمل السياسي ومن ثم يفضلون

(١) هي مؤسسه أمريكية نشأت عام ١٩٤١ بهدف الدفاع عن الحرية وحقوق الإنسان بكافة أنحاء العالم.

بدأت التركيز على قضايا الحرية في العالم الثالث من سبعينيات القرن الماضي. لمزيد من الاطلاع:

<http://www.freedomhouse.org>, 24/2/2013

التصويت للرجل بالانتخابات. مما يؤكد أن هناك شبه صراع بالمجتمع المصري بين ما هو حديث وما هو موروث، فالمواطن المصري يقبل فكرة تمكين المرأة نظرياً، إلا أنه عند التطبيق وبلورة هذه الفكرة إلى واقع فعلي ملموس ينحاز للرجل ويراه أقدر على تحمل المسؤولية، ويرى أن المجال السياسي مجال غير ملائم لعمل المرأة. وإزاء هذه المواقف المتناقضة من قضية تمكين المرأة، باعتبارها واحدة من التحديات المجتمعية، فإن هذه الدراسة تسعى لفض هذا التناقض من خلال محاولة التعرف على العلاقة بين الأداء البرلماني وتمكين المرأة، والتعرف على موقف المواطن المصري من تمكين المرأة. وتقييم المواطن المصري كناخب للأداء البرلماني للمرأة. ودور الأداء البرلماني في تغيير وهدم الموروث الثقافي السلبي ومن ثم تمكين المرأة من المشاركة في صنع القرار السياسي.

ج. الإطار النظري للدراسة

يتحدد الإطار النظري للدراسة الراهنة في النسوية الليبرالية ونظرية الممارسة لبيير بورديو. حيث أنه بالرجوع إلى التراث النظري المتعلق بهذين الاتجاهين نجد أن أكثر الاتجاهات ملائمة لموضوع الدراسة حيث تهدف النسوية الليبرالية إلى الكشف عن المعوقات التي تواجه المرأة في الحصول على الحقوق المدنية والسياسية، وتمكين المرأة من تحقيق الحكم الذاتي للأفراد في الحياة العامة على قدم المساواة مع الرجل كما أنه غالباً ما يُنظر للنسوية الليبرالية بوصفها مرادفاً للحركة النسائية في حد ذاتها وقد عمل هذا الاتجاه على ترجمة الليبرالية إلى فكر نسوي^(٢). وقد عرفت ما جرى هيوم لتأكيد «تونج Tong» على أن الاتجاه الليبرالي هو أفضل المداخل لمعرفة نسوية وأسسها كاملة، حيث يؤكد هذا الاتجاه على أن المجتمع يتجه نحو الاعتقاد والإيمان بأن قدرة النساء العقلية والجسدية أقل من قدرة الرجال ولذلك فقد تم عزل واستبعاد النساء عن الأجواء الأكاديمية والاقتصادية والحياة العامة. ونتيجة لتلك السياسة فقد ظلت القدرات الحقيقية لكثير من النساء غير مكتملة. كما أنه إذا ما قدمت للرجال والنساء فرص متساوية في التعليم والحقوق المدنية، فمن الطبيعي أن يتقدم الرجال والنساء بنفس الدرجة^(٣). كما أن هذا الاتجاه يعد بمثابة نظرية للحرية الفردية للمرأة والنسوية الليبرالية هي خليط من السياسة النسوية والنظرية الاجتماعية^(٤). وتركز النسوية الليبرالية على المساواة بين الرجال والنساء من خلال الإصلاح القانوني والسياسي^(٥).

(2) Beasley. chris. what is feminism?: an introduction to feminism theory. SAGE publication. London. 1999. p 51.

(٣) نورة فرج المساعد، مرجع سابق، ص ١٢.

(4) Humm. Maggie. The dictionary of feminist theory. Prentice Hall. New York. 1995. P150.

(٥). علي عبد الرازق جلبي، طارق سيد أحمد الخلفي، هاني خميس أحمد عبده، مرجع سابق، ص ١٤٢.

أما عن نظرية الممارسة فقد حاولت الباحثة الدمج بين نظرية الممارسة وفكرة الهيمنة الذكورية لدى بيير بورديو حيث تهتم نظرية الممارسة عند بيير بورديو بإعادة الاعتبار للفعل الاجتماعي. ويعنى بورديو بالممارسة الفعل الاجتماعي الذي يقوم فيه الفاعلون بالمشاركة في إنتاج البناء الاجتماعي وليس مجرد أداء أدوار داخلية فيه. كما يركز مفهوم الممارسة عند بورديو على علاقة الفاعل بالبناء الاجتماعي هذه العلاقة التي يقوم فيها الفاعلين بإعادة إنتاج هذا البناء ولا يستبعد بورديو قدرة الفاعلين على تحويل وتغيير البناء إلا أن ذلك يستلزم توافر شروط بنيوية، كما تتحدد العلاقة بين الفاعل والمجتمع في عمليتين:

١. عملية تحول البنية الاجتماعية إلى بنية عقلية من خلال التنشئة الاجتماعية.

٢. عملية تحول البنية العقلية إلى بنية اجتماعية عن طريق الممارسات^(٦).

وقد توصلت الباحثة لمجموعة من القضايا النظرية لتوجيه البحث الميداني وتفسير النتائج، وتحديد مجموعة من المفاهيم التي جرى في ضوئها جمع البيانات مثل مفهوم تمكين المرأة والموروث الثقافي والأداء البرلماني ورأس المال السياسي وسنعرض لها فيما يلي:

(١) القضايا النظرية

انتهت الباحثة إلى أن هناك أربع قضايا نظرية أساسية تنطلق منهما هذه الدراسة وهما:

(١) التمييز على أساس النوع: والذي يعد من أهم العقبات التي تقف حجر عثرة أمام تمكين المرأة كما أنه متجذر في ثقافة أغلب المجتمعات. ويمكن إرجاع هذا التمييز إلى عاملين أساسيين الأول: غياب وعي المرأة بذاتها ودورها والذي يقودها إلى تدعيم التمييز القائم على أساس النوع والعمل على تناقله عبر الأجيال عن طريق بعض الأساليب والطرائق الخاطئة للتنشئة الاجتماعية. الثاني: الموروث الثقافي السلبي الذي يدعم تبعية المرأة للآخر ويحصر دورها في إطار محدد ويصنع سقفاً زجاجياً أمام طموحاتها.

(٢) إحداث التغيير المؤسسي لتحقيق المساواة: تطالب النسويات في جميع أنحاء العالم باعتماد حزمة من التغييرات داخل أنظمة المؤسسات وهيكلها، واعتماد تشريعات تضمن المساواة بين الرجال والنساء أمام القانون باعتباره أكثر الطرق فاعلية

(٦) المرجع السابق، ص ٤٤ - ٤٥.

لتمكين المرأة. إلا أن «بيير بورديو» يرى أنه لا يمكن تحرير ضحايا العنف بمرسوم. وإنما ينبغي إحداث تغييرات من خلال ثلاث مؤسسات وهي الأسرة والمؤسسات التعليمية ودور العبادة من أجل مواجهة الموروث الثقافي وتقويضه.

(٢) الاستقلال السياسي والمشاركة في تقرير المصير: يعد الاستقلال من أهم عناصر التمكين بوجه عام فمن الضروري أن تشارك المرأة في صياغة الظروف التي تعيش في ظلها، وخصوصاً المشاركة في العمليات الديمقراطية وتقرير المصير.

(٤) إدماج النساء إلى الوظائف والمهن التي يهيمن عليها الرجال واختراق السقف الزجاجي^(٧): يعد اختراق المرأة للسقف الزجاجي وإثبات وجودها وقدراتها على العمل بكفاءة كالرجل واحدة من أهم الوسائل التي تدعم تمكين المرأة وتساهم في القضاء على التمييز على أساس النوع. فقد أكدت التجربة البرلمانية للمرأة الكندية على أن الأداء الجيد للمرأة له دور كبير في تدعيم تمكين المرأة ومساندة قضاياها.

(ب) التعريفات الإجرائية للمفاهيم الدراسة:

ترتكز هذه الدراسة على أربع مفاهيم أساسية وهي تمكين المرأة، الأداء البرلماني، الموروث الثقافي، رأس المال السياسي. وسنعرض فيما يلي بشيء من التفصيل للتعريفات الإجرائية لكل مفهوم على حدة: -

(٧) نشأ مصطلح السقف الزجاجي «glass ceiling» منذ حوالي ٢٠ عام في علم الإدارة ليشير إلى الحواجز والموانع غير المرئية والتي تقصر المناصب العليا على فئة معينة دون غيرها وفقاً لسياسة التمييز على أساس النوع أو العرق أو الطبقة... إلخ وقد ظهر في عام ١٩٨٦ في مجلة وول ستريت Wall Street Journal ليصف الحواجز غير المرئية التي تعوق المرأة من الوصول للمناصب الإدارية العليا. انظر: David a. Cotter, JoanM. Hermesn. The Glass Ceiling Effect, social forces, 80: 2, December, 2001.

<http://www.bsos.umd.edu/socy/vanneman/papers/CotterHOV01.pdf>.

Nancy R. Lockwood, SPHR, GPHR, The G

David a. Cotter, JoanM. Hermesn. The Glass Ceiling Effect, social forces, 80: 2, December, 2001.

<http://www.bsos.umd.edu/socy/vanneman/papers/CotterHOV01.pdf>.

Nancy R. Lockwood, SPHR, GPHR, The Glass Ceiling: Domestic and International Perspectives, June 2004/, <http://www.shrm.org/Research/Articles/Articles/Documents/040329Quarterly.pdf>.

(١) تمكين المرأة: Empowerment of women

إن تمكين المرأة هو تلك العملية التي تهدف إلى تحرير المرأة من تبعيتها للآخر عن طريق تعميق وعي المجتمع بضرورة مشاركة المرأة في صنع القرار السياسي، وإتاحة الفرص للنساء للمشاركة في مناحي الحياة كافة، واستثمار قدراتهن وطاقتهم في تقدم وتطور المجتمع وذلك انطلاقاً من كونها مواطن له كافة الحقوق وعليه كافة الواجبات، وتتطلب هذه العملية إحداث تغييرات جذرية لما هو سلبي بالموروث الثقافي إلى جانب إحداث تغييرات في القوانين فالتغييرات في القوانين وحدها لا تكفي لحدوث تمكين المرأة.

من خلال التعريف السابق يتضح لنا عدة مؤشرات لقياس تمكين المرأة ومنها:

- مدى وعي المجتمع بتمكين المرأة من المشاركة في صنع القرار السياسي.

- مدى مشاركة المرأة في الحياة السياسية «ناخبة - نائبة».

- مدى تقبل المجتمع لمشاركة المرأة في الحياة النيابية.

(٢) الأداء البرلماني: Parliamentary Performance

وفقاً لتعريف لينتون للدور يمكننا القول إن «الأداء البرلماني يتكون من شقين أساسيين: الشق الأول: التمثيل السياسي: بمعنى التحدث باسم المجموعة التي انتخبت الفرد، ومن خلال هذا التمثيل يحصل الفرد على «مكانة» بالمجتمع. الشق الثاني: القيام بالدور فهذا التمثيل بدوره يترتب عليه مجموعة من الحقوق والواجبات التشريعية والرقابية والسياسية والقيام بهذه الحقوق والواجبات يعد قيام بالدور.

في ضوء ما سبق نجد أنه يمكن قياس الأداء البرلماني للمرأة من خلال مؤشرين وهما:

- الأول: وعي النائبة بمشكلات «الدائرة» مجتمع البحث ومساهمتها في حلها.
- الثاني: أداء النائبة لأدوارها الرقابية والسياسية والتشريعية داخل البرلمان.

(٣) الموروث الثقافي: cultural heritage

يتمثل الموروث الثقافي في تلك العادات والتقاليد التي تستمد قوتها من السلطة الأبوية وتدعم تبعية المرأة وتصنع سقفاً زجاجياً أمام طموحاتها. ويعد تغير هذا الموروث أمراً صعباً جداً وخصوصاً في ظل جهل وغياب وعي أفراد المجتمع بحقيقة هذا الموروث وظروف نشأته.

تتمثل مؤشرات قياس الموروث الثقافي فيما يلي:

- موقف السلطة الأبوية من التمييز على أساس النوع.
- مظاهر التمييز على أساس النوع في المجال السياسي.
- السقف الزجاجي الذي تضعه العادات والتقاليد أمام طموحات المرأة.

(٤) رأس المال السياسي: Political capital

رأس المال السياسي هو أحد أنواع رأس المال الاجتماعي الذي يشير إلى مجموعة من العلاقات والروابط التي تربط السياسيين مع دوائرهم عن طريق شبكة من العلاقات التي تحدد مدى استعداد كل منهم للتعاون مع الآخر، فالناخب يتعاون مع السياسي بإعطائه صوته والسياسي يتعاون مع الناخب في حل المشكلات التي تواجهها الدائرة.

يمكن قياس رأس المال السياسي من خلال المؤشرات التالية:

- شبكة العلاقات التي يكونها النائب مع الناخب.
- مدى التعاون وتبادل المصالح والخدمات بين النائب والناخب.
- صور تعاون النائب مع الناخب في حل مشكلات «الدائرة» مجتمع البحث.

٢. التصميم المنهجي للدراسة

أ. أهداف الدراسة وتساؤلاتها

تعد هذا الدراسة من الدراسات الوصفية التي تهدف إلى:

١. التعرف على أشكال التمييز التي تواجه المرأة المصرية في المجال السياسي من وجهة نظر أفراد المجتمع «الناخبين».
٢. التعرف على أوضاع تمكين المرأة في المجتمع المصري.
٣. التعرف على العلاقة بين تمكين المرأة والأداء البرلماني.

ب. تصميم أدوات جمع البيانات

قامت الباحثة بجمع بيانات الدراسة باستخدام استبيان، والذي طبق عن طريق المقابلة الشخصية لجمع البيانات من كل أفراد العينة، وذلك للتعرف على أوضاع تمكين المرأة بالمجتمع المصري وأشكال التمييز على أساس النوع في المجال السياسي وما إذا كان لرأس المال السياسي - المتمثل في علاقة السياسيين بالناخبين - دور في نجاحهن، ومدى وعي النائبة بمشكلات «الدائرة» مجتمع البحث، ومدى تعاون الناخب والنائبة في

حل مشكلات «الدائرة» مجتمع البحث، وذلك باستخدام استمارة الاستبيان المفتوحة.

وقامت الباحثة باختبار ثبات الاستمارة بالقيام باختبار مبدئي على عينة قوامها ١٥ مفردة بدائرتي الدقي والعجوزة بالعجزة ومدينة الزرقا بدمياط. والصدق الظاهري حيث تم عرض الاستمارة على عدد من الأساتذة وهم: أ. د. سمير نعيم أحمد، أ. د. أحمد زايد، أ. د. على ليلة. وعلى ضوء ذلك تم تعديل بعض أسئلة هذا الاستبيان. كما اعتمدت الباحثة على البيانات الجاهزة من مضابط مجلس الشعب وتقارير الهيئة العامة للتعبئة والإحصاء.

حددت الدراسة الفترة من ٢٠٠٠-٢٠١٠ نطاقاً زمنياً للدراسة حيث أن هذه الفترة شهدت جهود كثيرة لتمكين المرأة وفي ذات الوقت شهدت تدهور نسبة تمثيل المرأة في البرلمان ومن ثم يتحدد حجم العينة في خمس دوائر انتخابية نجحت فيها المرأة بالانتخاب، وقد روعي في اختيار هذه الدوائر أن تكون ممثلة للمجتمع المصري جغرافياً فاتبعت الباحثة التقسيم الإداري لمصر ما بين (وجه بحري ووجه قبلي والقاهرة الكبرى) وبناءً على ما سبق وانطلاقاً من أهداف الدراسة فقد تمثلت عينة الدراسة خمس دوائر انتخابية نجحت فيها المرأة بالانتخاب وهي: دائرة الدقي والعجوزة وتمثلها أمال عبد الرحيم عثمان، الدائرة السابعة مركز شرطة طوخ بمحافظة القليوبية وتمثلها جمالات عبد الحليم رافع، مركز سمسطا بمحافظة بني سويف وتمثله زينب عبد الحميد فايزي، مركز طما بمحافظة سوهاج وتمثله ناريمان الدرمللي عبد الظاهر، مركز الرزقا بمحافظة دمياط وتمثله عزة عبد العزيز الكاشف.

أما عن عينة الدراسة فتم سحبها على عدة مراحل، حيث تم سحب عينة مساحية^(٨) عن طريق تحديد القرى والمراكز التابعة لكل دائرة انتخابية كالآتي:

- دائرة الدقي والعجوزة: ميدان لبنان، وميت عقبه، الدقي القديمة والبحوث.
- الدائرة السابعة مركز شرطة طوخ: قها، مشتهر، طوخ.
- مركز سمسطا: بدهل، سمسطا، مازوره، دشطوط.
- مركز طما: أم دومه، طما، سلامون.
- مركز الرزقا: الرزقا، دقهله، الكاشف الجديدة.

(٨) العينة المساحية هي أحد أنواع العينة متعددة المراحل، ويلجأ إليها الباحثون عندما يكون حجم المجتمع كبير وتنتشر مفرداته على مساحة واسعة ولا يوجد قاعدة بيانات شاملة عن مجتمع البحث. لمعرفة المزيد يرجع إلى: غريب سيد أحمد، تصميم وتنفيذ البحث الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٦.

وفي المرحلة التالية تم اختيار عينة عشوائية بسيطة عن طريق عينة كرة الثلج على أن يكون قوام العينة ٢٥٠ مفردة بواقع ٥٠ مفردة لكل دائرة من الدوائر الخمس. أما عن خصائص العينة في ضوء النوع نجد أن ٦٧,٢٪ من العينة من الذكور بواقع ١٦٨ مفردة، ٣٢,٨٪ من الإناث بواقع ٨٢ مفردة. أما عن المستوى التعليمي للعينة فقد تم تقسيمهم لخمس فئات وجاءت نسبة كل فئة كما يلي: يقرأ ويكتب ٤٪ بواقع ١٠ مفردات، أمي ٨,٤٪ بواقع ١٢ مفردة، التعليم المتوسط ٤٦٪ بواقع ١١٥ مفردة، التعليم الجامعي ٤٤٪ بواقع ١١٠ مفردة، التعليم الجامعي ١,٢٪ بواقع ٣ مفردات.

ج. تحليل البيانات وتفسير النتائج:

تعتمد الدراسة على التحليل الكمي لبيانات الاستبيان التي تم جمعها عن طريق المقابلة الشخصية باستخدام برنامج SPSS لحساب التكرارات والنسب المئوية والتعرف على العلاقة بين المتغيرات باستخدام مربع كاي. وتستفيد بالتحليل الكيفي لمضابط مجلس الشعب.

وتم تفسير ما توصلت إليه الدراسة من نتائج في ضوء ربطها بنتائج الدراسات السابقة، والقضايا النظرية الموجهة للدراسة. مما يساهم في اختبار القضايا النظرية المطروحة للدراسة.^(٩)

ثانياً: أشكال التمييز التي تواجه المرأة المصرية في المجال السياسي

يعد التمييز على أساس النوع أحد العقبات التي تحول دون تمكين المرأة من المشاركة في صنع القرار السياسي، فقد أكدت كافة المواثيق الدولية والتشريعات المصرية على ضرورة المساواة بين الجنسين بهدف دعم تمكين المرأة إلا أن كل هذه المواثيق لم تتبلور إلى واقع فعلي معاش. ومن ثم فإن أحد أهداف هذه الدراسة هو التعرف على أشكال التمييز التي تواجه المرأة المصرية في المجال السياسي وتحول دون تمكينها من المشاركة في صنع القرار كما يراه أفراد العينة من خلال الإجابة على عدة تساؤلات مثل هل تؤيد المساواة بين الرجل والمرأة؟ هل للمرأة المصرية الحق في تقلد أي منصب ما دام لديها القدرة والكفاءة؟ هل تواجه المرأة المصرية تمييزاً على أساس النوع في المجال السياسي؟ ما هي أشكال هذا التمييز؟ وما هي عوامله؟ وكيف يمكن التغلب عليها؟

(٩) على عبد الرازق جليبي، تصميم البحث الاجتماعي، الأسس والاستراتيجيات، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٠، ص ٤٥٩.

١- التمييز في ضوء النوع الاجتماعي بالمجتمع المصري

هناك نوعان من التمييز في المجتمع المصري الأول: تمييز إيجابي: ويتمثل في ما يعرف الكوتا النسائية، والثاني تمييز سلبي: ويتمثل في موقف المجتمع من تولى المرأة للمناصب القيادية.

- التمييز الإيجابي «الكوتا»

الكوتا هي أحد استراتيجيات التمييز الإيجابي وتعني تخصيص عدد من مقاعد التمثيل السياسي للمرأة بهدف ضمان تمثيل نيابي لها ويمكن تعيين الحصص على مستويات مختلفة، مثل ٢٠٪، ٣٠٪، ٤٠٪، و ٥٠٪^(١٠). وللکوتا عدة أنواع كما يلي: الكوتا الإرادية/ الاختيارية، الكوتا الإلزامية، الكوتا التشريعية، الكوتا الدستورية^(١١). أما عن عيوب ومميزات الكوتا فقد عرض لها محمد فوزي نويجي على النحو التالي:

المميزات

١. تعطى المرأة فرصة الوصول للبرلمان وإثبات قدراتها السياسية.
٢. تعطى المرأة فرصة لطرح قضاياها ومشكلاتها بشكل مباشر.
٣. تمكن المرأة من المشاركة في صنع القرار السياسي.

عيوب الكوتا

١. الحد من ضمانات المشاركة على المدى البعيد. فالكوتا نظام مؤقت وبمجرد إلغائه ستأثر المشاركة السياسية كما حدث بمقتضى القانون رقم ٢١ لسنة ١٩٧٩ الذي سمح بتخصيص ثلاثين مقعداً للنساء وبمجرد إلغاء تخصيص المقاعد أخذت نسبة وجود المرأة بالبرلمان بالانخفاض إلى أن وصلت إلى أدنى معدلاتها.
٢. تحول دون زيادة مقاعد المرأة في البرلمان. فكل النساء ستترشح لمقاعد المرأة فقط ولن يزيد العدد عن النسبة المحددة.
٣. نحصر المرأة في أصوات المرأة وتفقد أصوات الرجل.
٤. التخلي عن مبدأ المنافسة المتكافئة بين المرشحين.^(١٢)

(10) NORRIS, PIPPA, Breaking the Barriers: Positive Discrimination Policies for Women, Liberalism Failed Women? p3. 25/2/2013, <http://www.hks.harvard.edu/fs/pnorris/Acrobat/QUOTAS.PDF>.

(١١) إيمان بيبرس، المشاركة السياسية للمرأة في الوطن العربي، ص. ٢٦-٢٧، <http://www.adew.org/ar/documentation/ResearchesPDF/6.pdf>.

(١٢) محمد فوزي نويجي، «الكوتا النسائية في المجالس البرلمانية»، مجلة الحقوق للبحوث القانونية والاقتصادية، مرجع سابق، ص. ٩٤٣-٩٨١.

- التمييز السلبي

وقد تباينت الآراء حول التمييز السلبي الذي تواجهه المرأة المصرية إلا أنه وفقاً للبيانات الميدانية يمكن تصنيف هذا التمييز السلبي فيما يلي:

أ. المناخ السياسي غير الملائم وتقشي ظاهرة البلطجة الانتخابية وظاهرة شراء الأصوات وضالة الدعم الحزبي للنساء.^(١٣)

ب. موقف الناخب من الإدلاء بصوته للمرأة (مؤيد - معارض).

وقد أكدت نتائج الدراسة الميدانية على أن ٨٢,٨ ٪ من أفراد العينة يؤيدون المساواة بين الرجل والمرأة سواء بشروط أو بدون، وإن كانت المساواة المشروطة تهدف لضمان وجود فعلي وفعال للمرأة في الحياة السياسية وليس مجرد وجود شكلي أجوف. كما أكدت على أن هناك علاقة بين المستوى التعليمي والاتجاه نحو تأييد المساواة، فأغلب أفراد العينة يرون أن المرأة ما دامت تتعلم وتعمل فلها الحق في الحصول على كافة حقوقها مساواة بالرجل دون أي تمييز وأن مبدأ القوامة والشرع هذا في محيط الأسرة فقط لكن في الحياة العامة فهي مواطن له كافة الحقوق وعليه كافة الواجبات. بل على العكس المرأة أقل جرأة على الفساد من الرجل نظراً لطبيعتها الشرقية وكونها تحمل شرف العائلة وما إلى ذلك. كما أن ٧٠,٤ ٪ من أفراد العينة تحرص على التصويت للأقدر والأكفأ بغض النظر عن النوع. كما أن هناك علاقة طردية بين المستوى التعليمي والتصويت فكلما زاد المستوى التعليمي كان هناك اتجاه إيجابي للتصويت على أساس مبدأ الكفاءة بعيداً عن التمييز سواء على أساس النوع أو العرق أو الدين.

٢ - عوامل التمييز في ضوء النوع الاجتماعي بالمجال السياسي

عرفت - اتفاقية القضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة- التمييز على أنه أي تفرقة أو استبعاد أو تقييد على أساس الجنس يكون من آثاره أو أغراضه النيل من الاعتراف للمرأة بحقوق الإنسان والحريات الأساسية في الميادين السياسية والثقافية والاجتماعية... إلخ. وأكدت المادة الخامسة من هذه الاتفاقية على ضرورة أن تتخذ الدول الأطراف جميع

(١٣) نفي نعبد المنعم مسعد، المرأة في انتخابات مجلس الشعب لعام ٢٠٠٥، في المرأة العربية في مواجهة النضالية والمشاركة العامة، مركز دراسات الوحدة العربية، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٩، ص. ٩٩-١١٥.

التدابير المناسبة لتعديل الأنماط الاجتماعية والثقافية لسلوك الرجل والمرأة بهدف تحقيق القضاء على التحيزات والعادات العرفية وكل الممارسات الأخرى القائمة على فكرة دونية المرأة أو على الأدوار النمطية للرجل والمرأة^(١٤).

وبسؤال أفراد العينة عن عوامل التمييز التي تواجهها المرأة المصرية في المجال السياسي قامت الباحثة بتصنيف الإجابات إلى نوعين من العوامل وهما:

- العوامل السياسية للتمييز في ضوء النوع الاجتماعي تمثلت في:

أ- فساد البيئة الانتخابية: أكدت نتائج الدراسة الميدانية على أن غياب الأمن ونزاهة الانتخابات يعد أهم أسباب إقصاء المرأة عن الحياة السياسية، وأنه من أجل دعم المساواة بين الرجل والمرأة لا بد من توافر مناخ سياسي آمن يسمح ويشجع المشاركة السياسية للمرأة، وإن دعم الحزب للمرأة أثر سلباً على موقف المجتمع من تمكين المرأة من المشاركة في الحياة السياسية. ففساد البيئة الانتخابية أدى إلى عزوف المرأة عن المشاركة السياسية سواء كانت ناخبة أم مرشحة.

ب- عدم وجود نماذج ناجحة وفعالة للمرأة في المجال السياسي: أكد ٤٠٪ من أفراد العينة على أن وصول المرأة لمراكز صنع القرار سيشجع المزيد من النساء على العمل السياسي، في حين أن نسبة تواجد المرأة في المجال السياسي ضئيلة جداً ومن ثم فلا يوجد نماذج بارزة يحتذى بها من وجهة نظر أفراد العينة مما يؤكد على صحة الموروث السائد بأن السياسة مجال ذكوري ليس للمرأة مكان به، ويزعزع ثقة أفراد المجتمع بقدرة المرأة على العمل السياسي. كما أن الإعلام لم يسلط الضوء على النماذج النسائية الناجحة بالمجال السياسي.

ج- غياب وعي المرأة السياسي بحقوقها وواجباتها: أكد غالبية أفراد العينة على أن العادات والتقاليد التي تضع المرأة تحت وصاية الرجال الذين لا يسمحون للمرأة بممارسة العمل السياسي نتيجة لأن المجال السياسي مجال غير أن لعمل المرأة، كما أن النساء أنفسهن ليس لديهن ثقة في قدرة المرأة على العمل السياسي، وليس لديهن وعي سياسي كافٍ كما أنهن منشغلات بالأعمال المنزلية ومشكلات الحياة اليومية، ومن ثم فهن لا يدركن قوتهن التصويتية، كما أن المرأة تثق في أن قدرة الرجل أكثر من قدرة المرأة على العمل السياسي ومن ثم تدعم السلطة الذكورية في التمييز ضد المرأة.

(١٤) اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، الأمم المتحدة، ص. ٦ - ٨، ٢٠١٣/٢/٢٥.

<http://www.un.org/womenwatch/daw/cedaw/text/0360793A.pdf>.

د- عزوف الناخبين عن الإدلاء بأصواتهم للمرأة: أكد غالبية أفراد العينة على أن هناك أفراد ترفض أن تدلي بأصواتها للمرأة لمجرد أنها امرأة، وأن الرجل أكثر خبرة بالمجال السياسي من المرأة وإن المرأة لم ولن تتجح إلا بدعم الحكومات والتزوير والأحزاب.

- العوامل الاجتماعية للتمييز في ضوء النوع الاجتماعي

يرجع التمييز على أساس النوع في المجال السياسي إلى عدة عوامل اجتماعية منها العادات والتقاليد، والفهم المغلوط للدين، وسيطرة السلطة الذكورية أو انتشار السلطة الذكوري بالحياة السياسية، أما عن عوامل التمييز على أساس النوع كما يراه أفراد المجتمع فهناك شبه إجماع على أن العادات والتقاليد هي العامل الأساسي الذي يدعم التمييز على أساس النوع وتؤكد على أن المجال السياسي مجال ذكوري ليس للمرأة مكان فيه.

أ. العادات والتقاليد: أكد ٨, ٦٠٪ من عينة الدراسة على أن العادات والتقاليد هي المصدر الأساسي الذي يدعم التمييز على أساس النوع ويعلى من قيمة الرجل وقدرته على العمل السياسي وتحمل المسؤولية، يحصر دور المرأة في المنزل وتحمل الأعباء المنزلية ورعاية الأسرة إلى جانب عملها إن أمكن وسمح لها الأب أو الزوج. تلك العادات التي تتناقل من جيل لآخر وتلعب المرأة دور كبير في تدعيم التمييز على أساس النوع بالمجتمع المصري من خلال التنشئة الاجتماعية الخاطئة ومنح الوصاية للولد على البنت وإن كانت أكبر منه مما يدعم شعور الأنثى بالدونية منذ الصغر ويعلى من شأن الولد ومن ثم يحدد أدوار معينة للمرأة ويحصر دورها في الأسرة وتربية الأطفال.

ب. سيطرة السلطة الذكورية: يعتقد ٢, ١٥٪ من عينة الدراسة أن سيطرة السلطة الذكورية أو انتشار النموذج الذكوري في الحياة السياسية أهم العوامل الاجتماعية التي تدعم التمييز على أساس النوع حيث إن تمثيل المرأة ومشاركتها في الحياة السياسية منذ زمن بعيد ضئيلة جداً. ومن ثم أصبح من المسلم به أن المجال السياسي مجال ذكوري لا مكان للمرأة للعمل به.

ج. الفهم المغلوط للدين: يرى ٤, ٨٪ من عينة الدراسة أن الفهم المغلوط للدين يدعم التمييز على أساس النوع حيث أن هناك بعض الفتاوى التي تحرم عمل المرأة وخروجها من بيتها إلا لضرورة شرعية ومن ثم فلا وجود لها إلا بالمنزل.

د. كل ما سبق: ترى نسبة ٨, ١٥٪ من عينة الدراسة أن التمييز على أساس النوع يرجع لكل هذه العوامل مجتمعه فسيطرة السلطة الذكورية أو انتشار النموذج الذكوري في الحياة السياسية إلى جانب الفهم المغلوط للدين دعماً للعادات والتقاليد في أن المجال السياسي لا يتناسب مع قدرات المرأة ودورها الأساسي بالمجتمع وهو رعاية الأسرة وأنها لم ولن تتجح في العمل السياسي.

- التغلب على التمييز في ضوء النوع الاجتماعي

فقد أكدت المادة السادسة من اتفاقية القضاء على أشكال التمييز ضد المرأة على ضرورة تبني الدول الأطراف جميع التدابير المناسبة للقضاء على التمييز ضد المرأة في الحياة السياسية والعامة بما يكفل لها الحق في التصويت في الانتخابات العامة والمشاركة في صياغة سياسات الحكومات وكذلك تنفيذ هذه السياسات^(١٥).

١. التعليم الفعال وتوفير فرص عمل للمرأة: أكد ٤, ٢٠٪ على أن التعليم الفعال هو السبيل الأساسي لتنمية الوعي بأهمية القضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة من ناحية، ومن ناحية أخرى سيزيد من فرص عمل المرأة ومن هنا سيفتح المجال أمام المرأة لإثبات قدرتها على العمل السياسي وتسهم في هدم الموروث الثقافي السلبي الذي يقلل من قدرة المرأة على العمل السياسي ومن ثم فالتعليم هو المحرك الأساسي لرفض المجتمع للتمييز على أساس النوع.

٢. إعادة النظر في التنشئة الاجتماعية: يرى ٤, ٢٠٪ من عينة الدراسة أن الطريق الأكثر فاعلية للقضاء على التمييز على أساس النوع هو إعادة النظر في التنشئة الاجتماعية للأجيال القادمة حيث أن التمييز على أساس النوع يتكون منذ الصغر عن طريق تفضيل الذكور على الإناث ومنح الولد الولاية على البنت وإن كانت أكبر منه، وإلزام البنات على تنفيذ أوامر أخوها الصغير لمجرد كونه ولد.

٣. التوعية بأهمية المساواة: أكد ٦, ١٩٪ على أن التوعية أحد الطرق التي من خلالها يمكن التغلب على التمييز على أساس النوع وينبغي تضافر كافة الجهود بدءاً من الأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام ومؤسسات المجتمع المدني والقيام بحملات توعية ميدانية والنزول للمرأة وتوعيتها بحقوقها القانونية والسياسية والاجتماعية وغيرها.

٤. كل ما سبق: يؤكد ٦, ٢٩٪ من أفراد العينة على أنه ينبغي التركيز على كل ما سبق من أجل القضاء على التمييز على أساس النوع فالتوعية بأهمية المساواة سواء كانت إعلامية أو ميدانية ستفيد طبقة كبيرة من الأميين، وفي الوقت نفسه التعليم الفعال سيدعم حملات التوعية في تحقيق هدفها وإعادة النظر في التنشئة الاجتماعية سيعزز من فرص القضاء على التمييز على أساس النوع ويكون جيل يؤمن بأهمية المساواة ومن ثم فإنه ينبغي تبني عدة تدابير تبدأ من حالة المجتمع وتناسب مع ثقافته ومدى وعي أفرادهم وقبولهم للقضاء على التمييز على أساس النوع.

(١٥) اتفاقية القضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة، مرجع سابق، ص ٨.

ثالثاً: أوضاع تمكين المرأة في المجتمع المصري

لقد كان هناك اعتقاد سائد بأن الطريقة الأكثر فاعلية لتمكين المرأة هي تبني نظام تخصيص المقاعد و سن التشريعات التي تضمن تمكين المرأة من المشاركة في صنع القرار السياسي، وهذا بالفعل ما تبنته مصر من أجل دعم تمكين المرأة ولكن هذه السياسة أدت بنا إلى مساواة شكلية جوفاء لا تعبر عن إرادة مجتمعية، ووجود فجوة بين ما ينص عليه القانون وما هو كائن، ومن هنا فإن أحد أهداف هذه الدراسة هو البدء من المجتمع والتعرف على مدى وعي المجتمع المصري بتمكين المرأة من خلال الدوائر الانتخابية التي نجحت فيها المرأة بالانتخاب فهل نجاح المرأة في الانتخابات نتيجة لوعي مجتمعي بأهمية تمكين المرأة وأهدافه؟ وما مدى تأييد أفراد العينة لتمكين المرأة من المشاركة في صنع القرار السياسي؟ وما هي مستويات تمكين المرأة بمصر؟ وما هي المعوقات التي تقف حجر عثرة أمام تمكين المرأة؟

١ - الوعي بتمكين المرأة

يعد الوعي الاجتماعي بصفه عامة والوعي السياسي بصفه خاصة أحد العناصر الأساسية لتمكين المرأة وهو الركيزة الأساسية التي يبنى عليها النظام السياسي والاجتماعي، فالوعي هو المعرفة والإدراك وفهم العالم الخارجي بما يؤدي إلى اتخاذ مواقف فردية وجماعية^(١٦). وبناء على ذلك فالوعي السياسي هو إدراك الفرد لواقع مجتمعه، ومعرفة طبيعة الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تحيط به، ومعرفة مشكلات العصر المختلفة، وكذلك معرفة القوى الفاعلة والمؤثرة في صناعة القرار وطنياً وعالمياً. والوعي السياسي هو الرؤية الشاملة أو الإدراك الفردي للأفكار والمعرفة السياسية التي تتيح للفرد فهم مشكلات المجتمع، هذه العملية تحفز مسؤولية الفرد نحو المشاركة في تغيير المجتمع ومستقبل العملية السياسية في الجوانب الاجتماعية، وبناء على ذلك يتكون الوعي السياسي مما يلي:

أ - المعرفة والإدراك.

(١٦) ماهر الكيلاني وآخرون، موسوعة السياسة، الجزء السابع، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٤، ص ٢٩٥.

ب- الاهتمام الفردي بالسياسة.

ج- القدرة على المشاركة وتغيير النظام^(١٧).

وسوف تعتمد الدراسة على التعريف السابق للوعي السياسي ومكوناته الأساسية بما يتفق مع موضوع الدراسة كما يلي:

أ- إدراك ومعرفة مغزى تمكين المرأة

ويقصد بالمعرفة والإدراك مدى وعى أفراد العينة بمفهوم التمكين. أما عن وعي مجتمع الدراسة بتمكين المرأة من حيث المعنى والأهداف فهناك ٧٤٪ من عينة الدراسة لم تسمع عن تمكين المرأة وليس لديها أدنى فكرة عن ما تحمله الكلمة من معاني بل إن أغلب أفراد العينة أكد على أنه لأول مرة يسمع عن تمكين المرأة. وكلما ارتفع المستوى التعليمي للفرد كان أكثر قدرة وقابلية للوعي بتمكين المرأة. ومن ثم فإن تمكين المرأة بمجتمع الدراسة هو تمكين شكلي بإرادة سياسية وليس تمكين فعلي بإرادة مجتمعية واعية؛ وهذا يتعارض مع الدراسات التي أكدت على ضرورة الأحد بنظام تخصيص المقاعد وسن القوانين والتشريعات التي تضمن حقوق المرأة وتمكنها من المشاركة في اتخاذ القرار.

ب- الاتجاه نحو تمكين المرأة

دائماً ما يترتب على الوعي موقف إما موقف إيجابي وإما سلبي، وعلى الرغم من غياب المعرفة والإدراك إلا أنه بمجرد توضيح معنى تمكين المرأة والهدف منه وسبل الوصول إليه للمبحوثين يتضح أن هناك موقف إيجابي لقبول تمكين المرأة من المشاركة في صنع القرار السياسي، وهذا ما أكدته ٦٠.٧٧٪ من عينة الدراسة من قبول وتأييد لتمكين المرأة من المشاركة في صنع القرار السياسي، ومن ثم فإن دور الموروث الثقافي قد تراجع وأن مبدأ الكفاءة هو العامل الأساسي لتأييد تمكين المرأة على العكس مما أكدته أغلب الدراسات من سيطرة للموروث الثقافي السلبي الذي يدعم دونية المرأة ويحصر دورها في نطاق محدد من الوظائف. كما أنه كلما زاد المستوى التعليمي كلما زاد القبول المجتمعي لتمكين المرأة. ويتفق ذلك مع تأكيد بيير بورديو والعديد من الدراسات على أهمية التعليم في دعم تمكين المرأة.

(17) Mohamed Ahmed Khalifa Ahmed, Students' Exposure to Political News on the Internet and Political Awareness: A Comparison between Germany and Egypt, Technische Universität Dresden, Doktorarbeit, 2011. P 67. (3\12\2012) http://www.qucosa.de/fileadmin/data/qucosa/documents/8441/Mohamed_Ahmed_phD_Dissertation.pdf.

ت. عوامل تمكين المرأة ونجاحها كناتبة

انطلاقاً مما سبق نجد أن محاولات تمكين المرأة من المشاركة في صنع القرار غالباً ما تأتي من جانب الحكومات لدعم سياسة معينة. وعلى المستوى الحكومي فقد صدقت مصر على عدد كبير من المعاهدات والاتفاقيات الدولية لتعزيز مساهمة المرأة في الحياة العامة والسياسية كما شاركت مصر في كل المؤتمرات الدولية المعنية بالمرأة وأصدرت عدد من التشريعات الرامية إلى إصلاح الوضع الاجتماعي للمرأة مثل تعديل قانون الأحوال الشخصية، وتعديل قانون الجنسية... إلخ، ودعمت وجه المرأة لتولي المناصب القيادية وخوض المعارك الانتخابية.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن المشكلة التي تواجه المرأة المصرية ليست مشكلة غياب التشريعات والقوانين التي تكفل لهن المشاركة الجادة في بناء المجتمع، بل في غياب الوعي بهذه التشريعات والقيم السائدة في المجتمع التي تحصر دور المرأة في المنزل، كما أن نسبة الأمية تحول دون مشاركة المرأة في الحياة العامة بالإضافة إلى سيطرة السلطة الذكورية ودورها في تقييد حرية المرأة في المشاركة السياسية أو في الحياة العامة. بالإضافة إلى إحجام الأحزاب عن ترشيح النساء، وتدريب الكوادر النسائية والدفع بهن لخوض الانتخابات مما يرتب عليه قلة الخبرة الانتخابية لدى كثير من العناصر النسائية، بالإضافة إلى ضعف المصادر التمويلية لدى المرشحات مما يؤدي إلى ضعف الحملات الانتخابية، ونقص الوعي العام لدى النساء بأهمية الأدلاء بأصواتهن الانتخابية وتأثيرها على نتائج الانتخابات.

أما عن عوامل نجاح المرأة بالانتخابات مجلس الشعب يتضح أن ٨, ٣٠٪ يرون أن نجاح المرأة في الانتخابات يرجع لقدرتها على تقديم المساعدات لأبناء الدائرة سواء كانت هذه المساعدات مساهمات خيرية أو توظيف بعض الشباب... إلخ ويرجع ذلك لانتشار الفساد والمحسوبية والرشوة وغياب وعي الناخبين بالدور الحقيقي للنائب. ٦, ٢٥٪ يرون أن نجاح المرأة يرجع لدعم الحزب الحاكم لها، ونسبة ٦, ٩٪ يرون أن نجاح بعض النائبات كان بدعم الحزب والتزوير معاً.

٢- السياق القانوني والسياسي لتمكين المرأة

قد حدد الهدف الثالث من الأهداف الإنمائية للألفية نسبة المقاعد التي تشغلها نساء في البرلمان كواحد من مؤشرات تمكين المرأة. وأكد على ضرورة التمييز بين ثلاثة مفاهيم مترابطة هي المشاركة في الحياة السياسية، والانخراط بالعمل السياسي، والتمثيل

والقيادة^(١٨). حيث أن المشاركة تنمي وعي المرأة بذاتها وقدرتها على المطالبة بحقوقها، أما التمثيل فهو الطريقة التي من خلالها يمكنها أن تعبر عن مشكلاتها وتدعم حقوقها في صياغة الظروف المحيطة بها، والقيادة تعني مدى كفاءتها على تولي ما يوكل إليها من مسؤوليات والدفاع عن حقوق الأفراد الذين قبلوها لتمثيلهم والدفاع عن حقوقهم. ومن أجل الوصول لتمكين المرأة هناك ثلاث معايير أساسية ينبغي توافرها سواء بالسياق المؤسسي أو السياق الاجتماعي وهي:

١. إمكانية المشاركة

أن إمكانية المشاركة في صنع القرار السياسي متاحة للمرأة منذ زمن بعيد بنص القانون، وإن كان هناك تفاوت في درجات المشاركة وفقاً للنظام الانتخابي الذي تتبعه الدولة حيث أن نظام الانتخاب الفردي له عدة مساوئ منها شراء الأصوات والبلطجة وتلك المساوئ بدورها أسهمت في بروز عقبات أخرى تحول دون قدرة المرأة على المشاركة.

٢. القدرة على المشاركة

هناك روابط منطقية بين الفقر والجهل والفساد والقدرة على المشاركة والاختيار، فقد وصلت نسبة الفقر في عام ٢٠٠٤ إلى ٩٣، ٤٠٪ كما ورد في تقرير التنمية البشرية العربية ٢٠٠٩^(١٩) وما ترتب على هذه النسبة من التسرب من التعليم وزيادة نسبة الأمية بمصر فقد جاء في كتاب الإحصاء السنوي لعام ٢٠١١ أن نسبة الأمية بعام ٢٠٠٦ وصلت إلى ٢٩، ٦٪، أما عن المحافظات التي تقع بها عينة الدراسة فنسبة الأمية فيها جاءت على النحو التالي: القاهرة ١٩، ٣٪ والجيزة ١٩، ٧٪ ودمياط ٢٢، ٤٪ وبني سويف ٤٠، ٥٪ وسوهاج ٣٨، ٥٪^(٢٠).

بناءً على ما سبق يتضح أنه في ظل هذه النسب من الفقر والأمية إلى جانب فساد المناخ السياسي من تزوير وشراء الأصوات والبلطجة من الطبيعي أن تغيب القدرة على المشاركة الواعية من جانب الناخبين والناخبات ومن ناحية أخرى نجد صعوبة في خوض المرأة

(١٨) مشاركة المرأة والرجل على قدم المساواة فيعملها تصنع القرار على جميع المستويات، لجنة وضع المرأة الدورة الخمسون، المجلس الاقتصادي الاجتماعي، ٢٠٠٦/٦/١٣.

<http://www.un.org/arabic/events/women/iwd/2006/sg-report.pdf>

(١٩) تقرير التنمية البشرية الإنسانية لعام ٢٠٠٩: تحديات أمن الإنسان في البلدان العربية، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، المكتب الإقليمي للدول العربية، ص ١١٤.

(٢٠) الهيئة العامة للتعبئة والإحصاء، الكتاب السنوي، مطبعة الهيئة العامة للتعبئة والإحصاء، سبتمبر ٢٠١١، ص ٥٢٦.

لمثل هذه المنافسة الشرسة والغير شريفه في كثير من الأحيان ومن ثم فإن الفساد نجح في الاستفادة من الأمية والاتجار بفقر الناخبين وإفقادهم القدرة أو حتى مجرد الرغبة في المشاركة.

٣. المشاركة الفعلية

أما عن واقع تمكين المرأة من المشاركة في صنع القرار السياسي في فترة الدراسة يتضح أن المشاركة في التصويت بالانتخابات اتسمت بالضعف نظراً للاستسلام أفراد المجتمع لحالة الفساد وتزوير الانتخابات التي كانت سائدة. أما عن مشاركة النائبة في صنع القرار السياسي أيضاً اتسم بالضعف بصفه عامة حيث جاءت عدد مداخلات النائبات لخمس كما يلي: ناريمان الدرمللي ٩ مداخلات، جمالات رافع ١٠ مداخلات، عزة الكاشف ٢٥ مداخله، زينب فايزي ٢٧ مداخله، وأمال عثمان أكثر من ١٩٠ مداخله^(٢١) وذلك نظراً لعضويتها بمجلس الشعب لأكثر من دورة وخبرتها بالعمل البرلماني إلى جانب أنها أستاذة بالقانون. وبالقبول مقارنةً بأداء الرجل، كما أن النائبات كن تابعات للحزب الحاكم.

٣. مستويات تمكين المرأة

أكد أفراد العينة على أن محاولات الحكومة لتمكين المرأة من المشاركة في صنع القرار السياسي جاءت في المناصب القيادية على النحو التالي: ٤, ٤٢ ٪ من أفراد العينة يرون إن أبرز المناصب القيادية التي تقلدتها المرأة المصرية هو منصب وزيرة كما أنها تقلت بين وزارات الشؤون الاجتماعية ووزارة الأسرة والسكان والقوى العاملة وأن المرأة غابت بشكل كلي عن العديد من الوزارات كالصحة والاستثمار والتجارة والصناعة وغيرها من الوزارات الحيوية. يليها نسبة ٢, ٢٧ ٪ من أفراد العينة يرون أن المرأة المصرية تقلدت كل هذه المناصب ولكن في نطاق ضيق جداً وصل إلى حد الوجود الشكلي.

أما عن الوظائف التي لا يمكن للمرأة المصرية أن تتقلدها فنسبة ٦, ٢٣ ٪ من عينة الدراسة يرون عدم قدرة المرأة على تولي منصب رئيس الجمهورية، ٢٨ ٪ يرون أن المرأة لا يمكن أن تتقلد مجموعة من المناصب وهي رئيس الجمهورية ونائب رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء ونائب رئيس الوزراء والقضاء، ٨, ١٦ ٪ يرون أنا لا تصلح لأن تكون رئيس الجمهورية ونائب رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء ونائب رئيس الوزراء.

(٢١) مضابط مجلس الشعب لفصلين للتشريعيين الثامن والتاسع.

أما عن قبول مجتمع الدراسة للمشاركة السياسية للمرأة كناخبة ونائبة فهناك ٦٩,٦٪ يرون أنه من حق المرأة المشاركة في الحياة السياسية كناخبة وناخبة بدون أي شروط انطلاقاً من مبادئ المساواة والمواطنة، في حين يرى ٢٦٪ من عينة الدراسة أنه لهم الحق في المشاركة بشرط القدرة والكفاءة.

انطلاقاً مما سبق يتضح أن محاولات تمكين المرأة من المشاركة في صنع القرار غالباً ما تأتي من جانب الحكومات لدعم سياسة معيئة بعيداً عن الإرادة المجتمعية. كما أكدت عينة الدراسة على أن هناك سقفاً زجاجياً أمام طموحات المرأة نتيجة لعدم وجود كفاءات نسائية بالعمل السياسي من ناحية ولأسباب دينية من ناحية أخرى.

٤- معوقات تمكين المرأة من المشاركة في صنع القرار السياسي

يرى ٥٥,٢٪ من إجمالي العينة يؤكدون على أن العقبات التي تحول دون تمكين المرأة ترجع للعوامل الاجتماعية المتمثلة في العادات والتقاليد التي تحصر دور المرأة في نطاق محدد ويؤكد على أن العمل السياسي من الأعمال الشاقة والتي تحتاج لقدرات أكبر من قدرات المرأة... إلخ، أضف إلى ذلك نسبة الفقر والأمية وخصوصاً بين النساء.

رابعاً: رأس المال السياسي وتمكين المرأة

ارتبط فوز النائب في الانتخابات البرلمانية بالمجتمع المصري بقدرته على تقديم الخدمات لأبناء الدائرة ومشاركته في حل مشكلات الدائرة^(٢٢)، هذه العلاقة تصنع ما يسمى برأس المال السياسي، وبذلك نجد أن رأس المال السياسي - أو العلاقة والتواصل بين النائبة أو المرشحة والناخبين - أحد أهم عوامل نجاح المرأة بالانتخابات كما أنه يلعب دور كبير في وصول المرأة لمراكز صنع القرار السياسي ومن ثم تدعيم تمكين المرأة من المشاركة في صنع القرار السياسي.

١. رأس المال السياسي والنجاح بالانتخابات

أكدت نتائج الدراسة الميدانية أنه نتيجة لفساد العملية الانتخابية فإن الفوز بالانتخابات يرجع للقدرات الفردية للمرشح على احتكار رأس المال السياسي والذي تمثل بمجتمع الدراسة في عدة أشكال وهي:

(٢٢) زينب عبد الحميد فايزي، الجلسة الأربعين، دورة الانعقاد الثالث، الفصل التشريعي الثامن، مضايطة مجلس الشعب.

١- شبكة العلاقات الاجتماعية: والتي تمثلت في العمل الخيري أو العمل العام: وقد كان هو الأقوى في تدعيم تمكين المرأة والذي ظهر بوضوح في التواصل بين النائبة زينب فايزي والناخبين من خلال العمل الخيري والقيام على رعاية الأسر الفقيرة والأرامل والأيتام... إلخ والذي بدأ منذ عام ١٩٨٤ واستمر حتى الآن. مما ساعد النائبة على تكوين شبكة من العلاقات والتواصل المباشر مع أغلب فئات المجتمع.

٢- التعاون وتبادل الخدمات والمصالح: والذي تمثل في القبلية والدعم العائلي وظهر هذا في المعاملات في الأفراح والمآتم وذبح الذبائح، ودعم العائلات لمرشح بعينه نتيجة لوجود مصالح مشتركة بين العائلات وقد كان لهذا المظهر دور كبير في نجاح المرأة بالانتخابات وأثر سلبي على تمكين المرأة.

٣- الثقة: وتمثل في دعم الحزب والدعاية الانتخابية وقد دعم نجاح المرأة وأثر بالسلب على تمكينها. حيث إنه لا توجد ثقة في الحزب الحاكم ولا نوابه.

كما كشفت نتائج الدراسة الميدانية أن هناك علاقة بين النجاح بالانتخابات وقدرة المرشح على تقديم خدمات للأبناء الدائرة والتواصل مع أفراد الناخبين للتعرف على قضاياهم ومشكلاتهم ومن ثم التحدث باسمهم بمجلس الشعب وإدراج هذه القضايا في جدول صانع القرار، حيث إنه على الرغم من انخفاض المشاركة بالانتخابات البرلمانية إلا أن الناخبين يميلون للإدلاء بأصواتهم لمن يقدم لهم خدمات أو مساهمات خيرية وبذلك نجد أن لرأس المال السياسي دور كبير في النجاح بالانتخابات. حيث أكد ٨, ٤٨٪ من العينة على أن الناخبين يدلون بأصواتهم لمن يقدمون خدمات لأبناء الدائرة والذين هم في الغالب ممن لديهم قدرة مالية ولهم عصبية أو قبلية وأن أكثر الدعاية الانتخابية نجاحاً تلك التي تعتمد على العصبية والقبلية وتقديم الخدمات، ونسبة ٦, ٢١٪ من العينة ترى أن الناخبين يدلون بأصواتهم للمرشح حسن السمعة والذي يقوم بالمساهمة في الأعمال الخيرية. وبسؤال الناخبين عن سبب اختيارهم للنائب الذي يقدم خدمات لأبناء الدائرة وتجاهلهم لمبدأ الكفاءة والبرنامج الانتخابي للمرشح يتضح ما يلي:

أ- أكد أغلبية عينة الدراسة على أن هناك فقدان للثقة في مجلس الشعب ونوابه وقدرتهم على التواصل مع الناس وحل مشكلاتهم، وذلك نظراً لما تتطوي عليه العملية الانتخابية من تزوير وتلاعب بالجدول الانتخابية وتصويت الموتى.

ب- تمثل رأس المال السياسي في عنصرين وهما: تكوين شبكة علاقات اجتماعية وتمثل في المساهمة في الأعمال الخيرية، والثاني: التعاون وتبادل الخدمات والمصالح وتمثل في الدعم العائلي والقبلي وتقديم خدمات لأبناء الدائرة والقدرة المالية على الصرف على الدعاية الانتخابية حيث أكد أغلب أفراد العينة على انفصال مجلس الشعب بأغلب نوابه عن إرادة الناخبين ومن ثم فالخدمات التي يقدمها النائب لأبناء الدائرة في أيام الانتخابات هي المكسب الذي يعود على الناخب من جراء هذه الانتخابات.

ج- لرأس المال السياسي دور كبير في دعم نجاح المرأة بالانتخابات، حيث إن الخدمات التي يقدمها النائب لأبناء الدائرة سواء كانت خدمات فردية أو مساهمات خيرية تعد دليل على قدرة النائب على الدفاع عن مصالح الناخبين والتعبير عن قضاياهم ومشكلاتهم من أجل وضعها في اعتبار صانع القرار.

٢. تمكين المرأة وأدائها البرلماني

لم يكن نجاح المرأة بالانتخابات في الدوائر الانتخابية محل الدراسة لتمثيل المرأة فقط وإنما لتمثيل الدائرة بأكملها، كما أنه لم يكن بدعم المرأة وإنما كان بدعم كلاً من الذكور والإناث. فالناتبة تتوب عن الدائرة في التحدث عن المشكلات التي تواجه الدائرة وسبل حل هذه المشكلات. وبسؤال عينة الدراسة عن مساهمة النائبة في حل مشكلات الدائرة نجد أن استجاباتهم جاءت كما يلي: ٤, ٥٦٪ يرون أن النائبة لم تساهم في حل مشكلات الدائرة و٢, ٢٣٪ يرون أنها ساهمت في حل بعض المشكلات، ٦, ٩٪ يرون أنها ساهمت في حل مشكلات الدائرة.

من خلال العرض السابق يتضح أن أفراد العينة يرون أن تمكين المرأة من المشاركة في صنع القرار السياسي لم يصحبه مساهمه فعالة من قبل النائبات في حل مشكلات الدائرة كالفساد الإداري وتلوث المياه والهواء والأمية ومشكلات التعليم والبطالة... وغيرها من المشكلات، حيث ركزت النائبات على الخدمات الفردية لاتباعهم والمساهمات الخيرية ولم تحاول التعرض للقضايا المجتمعية الموجودة بدوائرن الانتخابية.

أما عن شبكة العلاقات الاجتماعية بين النائبة والناخبين نجد أن ٢٢٪ من أفراد العينة يرون أن هناك تواصل بين النائبة وأفراد الناخبين، و٢, ٢٩٪ يرون أنه لا يوجد تواصل بين النائبة وأفراد العينة، و٣٨٪ من العينة يرون أن التواصل يكون في أيام الانتخابات فقط.

وبسؤال أفراد العينة عن الأداء البرلماني للنائبة وطرح النائبة لمشكلات الدائرة بالبرلمان أكد ٢, ٥٩٪ من عينة الدراسة على أن النائبات لا يطرحن لمشكلات الدائرة بالبرلمان كما أنهن قليلات الحضور لجلسات مجلس الشعب، في حين ٢, ٢٣٪ أن النائبات أحياناً تعرضن لقضايا ومشكلات الدائرة بالبرلمان، ويرى ٦, ١٧٪ أن النائبات يعرضن لقضايا ومشكلات الدوائر بالانتخابات.

اتسم الأداء البرلماني العام للمرأة بالأداء الرقابي أكثر من التشريعي والسياسي واستخدام وسائل دون الأخرى فاتسم استخدام طلب الاستجواب، ومناقشة القوانين بالضعف الشديد إلا في حالة النائبة أمال عثمان فقد جاء توزيع أدوار النائبات كالآتي: ناريمان الدرمللي كالآتي: ٥ للدور الرقابي و٢ للدور سياسي و١ للدور التشريعي. والنائبة جمالات رافع كالآتي: ٨ للدور الرقابي و٢ للدور التشريعي، والنائبة عزة الكاشف: ٢١ للدور

الرقابي و٤ للدور سياسي. والنائبة زينب فايزي: ٢٢ للدور الرقابي و٤ للدور سياسي.

في ضوء ما سبق يتضح ما يلي:

١. تمكين المرأة من المشاركة في صنع القرار السياسي لم يصحبه تمكين للنائب من أجل حل المشكلات اليومية التي تواجهه كالفساد والبطالة والفقر... إلخ.
٢. يبرز بوضوح رأس المال السياسي للنائبة في أيام الانتخابات ويتم التواصل بين النائبة وأبناء الدائرة بصورة كبيرة وبعد الفوز بالانتخابات يتراجع رأس المال السياسي للمرأة حين يقل التواصل بينها وبين الناخبين.
٣. قبول المواطن المصري للأداء البرلماني للمرأة بصفة عامة. رغم عدم متابعتها للحياة النيابية.
٤. الروتين وبطء تنفيذ القرارات في كثير من الأحيان يطمس دور النائبة في المساهمة في حل مشكلات الدائرة.
٥. ركزت أغلب النائبات على تبادل المصالح وتقديم الخدمات الفردية وغياب المساهمات المجتمعية.

خامساً: الاستنتاجات والنتائج العامة للدراسة

حاولت الباحثة تحقيق عدة أهداف والإجابة على عدة تساؤلات وقد استعانت الباحثة بعدة مصادر ومنها: استمارة استبيان، وبعض التقارير الدولية والمحلية، بالإضافة إلى البيانات الجاهزة، ونتائج الدراسات السابقة، ومضابط مجلس الشعب، وقد توصلت إلى عدد من النتائج في ضوء الأهداف الرئيسية للدراسة وهي:

التعرف على أشكال التمييز التي تواجه المرأة المصرية في المجال السياسي

أ. هناك علاقة عكسية قوية بين التعليم والتمييز على أساس النوع بالمجتمع المصري، فكلما زاد المستوى التعليمي كلما تراجع التمييز على أساس النوع والعكس صحيح.

ب. هناك اتجاه إيجابي لدى المرأة لدعم وجودها بالمجال السياسي والقضاء على التمييز على أساس النوع.

ج. هناك اتجاه إيجابي لدى أفراد العينة لدعم وجود المرأة بالمجال السياسي بشرط الخبرة والكفاءة والقدرة على تحمل المسؤولية، حيث يرى بعض أفراد العينة أن المرأة أقل جرأة على الفساد.

د. هناك موقف سلبي لدى أفراد العينة من دعم الحكومات لتمكين المرأة من المشاركة في صنع القرار السياسي، حيث أكد أفراد العينة على أن دعم الحزب الحاكم لبعض مرشحيه رغم عدم كفاءتهم أثر سلباً على دعم المرأة بالانتخابات.

هـ. لتبنى نظام الكوتا لا بد من تهيئة المجتمع لتقبل هذا التمييز الإيجابي ودعم

الكفاءات النسائية القادرة على المشاركة والتوعية المجتمعية بقدرة المرأة على العمل السياسي.

و. للعوامل الاجتماعية دور كبير في تدعيم التمييز على أساس النوع في المجال السياسي ولعل من أبرز هذه العوامل العادات والتقاليد. وللعوامل السياسية دور في تأكيد صحة العادات والتقاليد ومن ثم تدعيم التمييز والفكرة القائلة بأن المجال السياسي مجال غير آمن لعمل المرأة.

ز. أن هناك تأييد للمساواة سواء كانت مساواة مطلقة أو مساواة بشروط وأن المعيار الأساسي هو الكفاءة والخبرة والقدرة على العمل السياسي، ومن ثم فإنه من أجل تمكين المرأة من المشاركة في صنع القرار السياسي لا بد من دعم قدرة المرأة على العمل السياسي من خلال التدريب المستمر وإثبات قدرتها على العمل السياسي في كثير من المواقف كما حدث مع بعض النائبات ودفاعها عن حقوق العمال والذي بدوره كان سبب في دعم الناخبين لها.

ب. التعرف على أوضاع تمكين المرأة في المجتمع المصري

أ- هناك غياب لوعي وإدراك المجتمع لما يعنيه تمكين المرأة. حيث أن تمكين المرأة بمجتمع الدراسة هو تمكين شكلي بإرادة سياسية وليس تمكين فعلي بإرادة مجتمعية واعية. إلا أنه وبمجرد توضيح المقصود بتمكين المرأة للمبحوثين يتضح أن لديهم تأييد وقبول لدعم تمكين المرأة بشرط الخبرة والكفاءة.

ب- تمكين المرأة يتطلب استراتيجية نابعة من ظروف المجتمع نظراً لما للمجتمع المصري من خصوصية ثقافية وتاريخية، ويجب أن تتضمن هذه الاستراتيجية التأكيد على وجود تعليم الفعال وتوفير فرص عمل وتدعيم الوعي بقضايا المساواة وإدماج المرأة في كافة مجالات الحياة.

ج- لا يوجد تضافر وتكامل للجهود الحكومية مع مؤسسات المجتمع المدني والأحزاب... إلخ لدعم تمكين المرأة، ومن ثم لا توجد نتائج واضحة وملموسة لتمكين المرأة، وظهر هذا في غياب الكفاءات النسائية المدربة والقادرة على المشاركة والمنافسة. بل على العكس فإن دعم الحكومة والأحزاب في ظل انتشار وسيطرة الفساد أدى إلى تدعيم تهميش المرأة واستبعادها حيث إنها نجحت بدعم الحزب في الغالب وليس بإرادة شعبية.

د- هناك تراجع ملحوظ لدور الموروث الثقافي كأحد معوقات تمكين المرأة وسيادة مبدأ الكفاءة وتأييد تمكين المرأة بشرط الكفاءة والقدرة على المشاركة وتحمل المسؤولية دون أي تمييز ضدها حيث أكدت عينة الدراسة على أن المرأة غير مؤهلة للعمل السياسي وتولى المسؤولية وأنه في حالة كفاءتها وقدراتها على العمل السياسي يكون لها الأولوية لأن المرأة أقل جراً على الفساد من الرجل.

ج. التعرف على العلاقة بين تمكين المرأة والأداء البرلماني

- أ. تمكين المرأة من المشاركة في صنع القرار السياسي لم يصحبه تمكين للناخب من أجل حل المشكلات اليومية التي تواجهه كالفساد والبطالة والفقر.. إلخ.
- ب. يبرز بوضوح رأس المال السياسي في أيام الانتخابات ويتم التواصل بين النائبات وأبناء الدائرة بصورة كبيرة وبعد الفوز بالانتخابات يتراجع دور رأس المال السياسي للمرأة حين يقل التواصل بينهن وبين الناخبين.
- ج. قبول المواطن المصري للأداء البرلماني للمرأة بصفة عامة. رغم عدم متابعة الناخب المصري للأداء البرلماني للمرأة داخل البرلمان.
- د. الروتين وبطء تنفيذ القرارات في كثير من الأحيان يطمس دور النائبة في المساهمة في حل مشكلات الدائرة.
- هـ. ركزت أغلب النائبات على تبادل المصالح وتقديم الخدمات الفردية وغياب المساهمات المجتمعية.

دور مراكز البحوث والدراسات السياسية في تنمية الثقافة السياسية

**Women's Empowerment and Parliamentary Performance:
A field study of a Sample of Constituencies in Egypt**

الإطار العام للدراسة

د. محمد صادق اسماعيل*

مقدمة

الأسباب التي تكمن وراءها وبلورة الرؤى والمقترحات العلمية المتعلقة بها، ووضع الحلول المناسبة لها.

وقد أصبح للمراكز البحثية دور رائد ومتقدم في قيادة السياسات العالمية، وصارت أداة رئيسة لإنتاج العديد من المشاريع الاستراتيجية الفاعلة. وهي الجهات الأساسية التي تستطيع رسم خطط المشاركة في تلك المشاريع، والإسهام فيها إسهاماً فاعلاً، كما أصبحت مراكز البحوث والدراسات

تزايد الاهتمام بمراكز البحوث والدراسات عالمياً بشكل واضح وملحوظ في العقود الأخيرة من القرن العشرين، فقد أصبحت تمثل أحد الدلائل الهامة على تطور الدولة وتقييمها للبحث العلمي واستشرافها آفاق المستقبل؛ وذلك وفق المنظور المعرفي لتطور المجتمعات الإنسانية عموماً، وانطلاقاً من عدد تلك المراكز مؤشراً للمنجزات الحضارية والنهضوية والثقافية، وعنواناً للتقدم، وأحد مؤشرات التنمية ورسم السياسات، وتعد عملية دراسة القضايا والمشكلات التي تواجه المجتمع والدولة وتحليلها، من أهم الأدوار التي تضطلع بها المراكز البحثية عموماً؛ إذ تهدف من خلالها إلى معرفة

* مدير المركز العربي للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة/ مصر.
m_sadek1976@yahoo.com – www.acpss.net

جزءاً لا يتجزأ من المشهد السياسي والتنموي في العديد من البلدان المتقدمة. وقد لا تبالغ إذا قلنا إن لها دوراً أساسياً في نهوض الأمم وتقدم الشعوب نحو تحقيق أهدافها، وقد ارتقت تلك المراكز الحديثة إلى حد، أصبحت فيه أحد الفاعلين في رسم التوجهات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية وأحد المؤثرين فيها، وأحد المشاركين في وضع الحلول لها، وذلك من خلال توظيف البحث العلمي في خدمة قضايا المجتمع، بتقديم الرؤى وطرح البدائل والخيارات، بما يدعم عمليات صنع القرارات ورسم السياسات.

وعربياً، تنامي الاهتمام بمراكز البحوث والدراسات، وأصبحت محل حديث عنها بشكل واضح منذ بداية تسعينيات القرن الماضي^(*). واتسعت دائرة نشاطاتها من حيث الحجم الكمي، ومن حيث نوعية المساهمات التي تقدمها. ولقد تولى القطاع الخاص إنشاء مراكز دراسات ومعلومات وأبحاث متنوعة ومتخصصة، كمبادرات نوعية في عدد من البلدان، حتى أصبحت جزءاً من المكونات الثقافية في عدد من الدول، وتختلف أسباب هذا التطور ودوافعه من بلد إلى آخر، ومن مركز إلى آخر. وقد صاحب هذه الظاهرة تزايد المؤتمرات العلمية والأكاديمية والمنشورات العلمية. وهي تبحث في مختلف شؤون الحياة المحلية والاقليمية والدولية، في ظل التغيرات الرئيسة الجارية في منطقة الشرق الأوسط والعالم بشكل عام. إلا أن انتشار هذه المراكز، والاهتمام بها، قد تحققاً بعد أن اكتسبت المراكز البحثية في الغرب وخصوصاً في الولايات المتحدة خبرة واسعة ونجاحاً باهراً ومكانة مرموقة. فصارت تؤدي دوراً بارزاً في دعم مؤسسات صنع القرار السياسي، وإعداد الدراسات، وتحليل السياسات العامة والقضايا الهامة، وقد سميت تلك المركز بـ الثينك تانكس Tink - Tanks، وأصبحت عاملاً في تحديد أولويات القضايا الاستراتيجية التي تواجه الولايات المتحدة، وأضحى لها تأثير مباشر وغير مباشر على مراكز صنع القرار هناك، سواء كان ذلك على المستوى الداخلي أو الخارجي، وهو ما يظهر على سبيل المثال بصورة واضحة بالنسبة إلى السياسة الخارجية الأميركية في العالم^(٢).

غير أن الدول الذي اضطلعت به المراكز البحثية في الوطن العربي، تختلف عما هو عليه الأمر في الغرب، وذلك بسبب المعوقات والمصاعب والتحديات التي تواجهها، ولأنها لم تتبوأ مكانها الحقيقي، ولم تمارس دورها الحيوي في المشاركة في صنع القرار أو في تقديم ما يلزم من مشورة ومن دراسات رصينة، وبدا دور معظمها باهتاً وغير فاعل في عملية التنمية المجتمعية بكافة أبعادها، ليس بسبب عجزها عن أداء هذا الدور، بل بسبب المعوقات الكثيرة التي تحيط بها، وعدم تكليفها بهذه المهام بحكم طبيعة الحياة السياسية العربية وطبيعة أنظمتها وبعدها عن العمل المؤسسي المعمول به في الولايات المتحدة والغرب^(٣).

ويتضح أن مراكز البحوث والدراسات تكتسب أهميتها وضرورة وجودها من الحاجة لها، ومن مقتضيات الضرورات السياسية والاقتصادية والإعلامية والأكاديمية والاجتماعية والتنمية، وذلك باعتبارها الطريقة الأمثل لايصال المعرفة المتخصصة، من خلال ما تقدمه من إصدارات علمية وندوات متخصصة، من شأنها أن تضاعف مستوى الوعي لدى صانع القرار والمؤسسات والأفراد، وتساعدهم على الربط بين الوقائع الميدانية وإطارها العلمي النظري^(٤).

إشكالية الدراسة

تقوم مراكز البحوث والدراسات السياسية والاستراتيجية بدور هام في إثراء البحث العلمي في مجالات العلوم السياسية والاستراتيجية، وذلك من خلال إسهاماتها في بناء كوادر بحثية متخصصة في هذه المجالات، مما يساعد على تكوين الجماعات العلمية من ناحية، وقيامها بطرح ومناقشة المفاهيم والنظريات الجديدة والقضايا المرتبطة بها، مما يثري الأطر النظرية والمعرفية لهذه العلوم من ناحية ثانية، فضلاً عن دورها في إصدار الدوريات والسلاسل العلمية والكتب المتخصصة وتنظيم المؤتمرات والندوات وحلقات النقاش من ناحية ثالثة.

كما أن هذه المراكز تقوم بدراسة وتحليل القضايا والمشكلات التي تواجه الدولة والمجتمع بهدف الوقوف على أسبابها، وبلورة رؤى ومقترحات عملية لمواجهتها، وهي بذلك توظف البحث العلمي في خدمة قضايا المجتمع من خلال تقديم الاستشارات، وطرح البدائل، بما يدعم عمليات صنع القرارات والسياسات.

وفي ضوء ما سبق، فإن واقع مراكز البحوث والدراسات السياسية والاستراتيجية في دولة ما؛ إنما يعكس في جانب منه حالة البحث العلمي في مجالات العلوم السياسية والاستراتيجية في هذه الدولة من ناحية، كما يعكس نظرة الدولة والمجتمع لأهمية هذه المراكز ودورها من ناحية أخرى.

وعلى الرغم من وجود عدد لا بأس به من مراكز البحوث والدراسات السياسية والاستراتيجية، الحكومية والخاصة، في الوطن العربي، إلا أن أغلبها يُعتبر محدود التأثير والفاعلية لاعتبارات وأسباب عديدة.

أهداف الدراسة

(١) مناقشة أبعاد الدور الفعلي الذي تقوم به مراكز البحوث والدراسات السياسية والاستراتيجية في الوطن العربي في الوقت الراهن.

(٢) طرح ومناقشة مختلف المشكلات والمعوقات التي تؤثر على عمل مراكز البحوث والدراسات السياسية والاستراتيجية.

٢) مناقشة أبعاد علاقة مراكز البحوث والدراسات السياسية والاستراتيجية بكل من الدولة والمجتمع.

٤) طرح مقترحات عملية للنهوض بدور مراكز البحوث والدراسات السياسية والاستراتيجية.

أهمية الدراسة

يمكن توضيح أهمية الدراسة الحالية على النحو التالي:

١- أصبحت مراكز البحوث والدراسات في معظم دول العالم بشكل عام، وأمريكا وأوروبا بشكل خاص، تلعب دوراً أساسياً في إنتاج المعرفة والبحث العلمي وما ينتج عنه من تطبيقات على صعيد توجيه وصياغة السياسة العامة للدول في مختلف مجالاتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والتعليمية وغيرها. بالإضافة إلى عقلنة وترشيد القرار، وفي كثير من الأحيان يتم اتخاذ القرار من المسؤولين وصناع القرار في قضايا معينة وفق ما تحدده نتائج دراسات المراكز البحثية.

٢- إن دور وتأثير مراكز الدراسات والبحوث في الدول الغربية عموماً، وأمريكا خصوصاً، في عملية صنع القرار ورسم السياسات العامة يتفاوت بشكل كبير عن دورهم وتأثيرهم في دول العالم الثالث بما في ذلك العالم العربي. كما أن هناك تباين بين دور مراكز البحوث المرتبطة في الجامعات وبين مراكز البحوث التي تسير وفق المنحى الأكاديمي العلمي في دراساتهما ولكنها لا ترتبط بها، كما سيوضح ذلك لنا لاحقاً، وسنتناول هنا دور وأهمية وتأثير مراكز البحوث والدراسات بشكل عام ثم تنتقل إلى تناول هذا الدور في الوطن العربي على وجه الخصوص.

٣- إن مراكز البحوث في أمريكا والكثير من دول العالم المتقدم أصبحت جزء ثابت من البنية السياسية إلى المدى الذي أصبحت تعتبر جزء عضواً من عملية صنع السياسات في تلك الدول

منهج الدراسة

اعتمدت الدراسة الحالية على مناهج البحث التالية:

١- منهج المسح

لجأت هذه الدراسة إلى أسلوب مسح العديد من الأدبيات الغربية بشكل عام والأمريكية بشكل خاص التي تناولت دراسة لمراكز البحث وصناعة الفكر وأدوارها في هذه المجتمعات، وذلك في ضوء عمق وسعة التجربة والخبرة الغربية في هذا المجال، مع محاولة التعرف على كيفية الاستفادة من الشق الإيجابي لهذه التجربة العالمية

٢- المنهج المقارن

لجأ الباحث إلى استخدام عملية مقارنة بين أدوار ومهام المراكز البحثية في العالم العربي عموماً، مع المراكز الغربية، للتعرف على طبيعة هذه الأدوار والمهام وكيفية تأثيرها في رسم السياسات العامة أو صناعة القرار.

الإطار المفاهيمي

يمثل تحديد المصطلحات والمفاهيم أحد مشكلات العلوم الاجتماعية، إذ لا يكاد اتفاق علي تعريف أي مفهوم بين المشتغلين بهذا العلم، وهذا ما يواجهنا عند تحديد مفاهيم الدراسة الحالية.

١- مفهوم الثقافة السياسية

من الممكن في هذا المقام التعرض للمفاهيم المختلفة للثقافة السياسية وذلك على النحو التالي:

١- عرف قاموس أكسفورد الثقافة السياسية بأنها «الاتجاهات والقيم التي تتصل بعمل نظام سياسي محدد، وتعد بمثابة معرفة متضمنة، ومهارات مكتسبة عن عمل هذا النظام كما تتضمن اتجاهات إيجابية أو سلبية نحوه وأيضاً أحكاماً تقييمية بشأنه».^(٥)

٢- تناول فيليب برو في كتابه علم الاجتماع السياسي تعريف الثقافة السياسية بأنها تتكون من «مجموعة من المعارف والمعتقدات تسمح للأفراد بإعطاء معنى للتجربة «الروتينية» لعلاقتهم بالسلطة التي تحكمهم كما تسمح للمجموعات باستخدامها كمرجع للتعريف بهويتها، أي أنها تسمح لكل منهم بتحديد موقعة في المجال السياسي المعقد وذلك من خلال تعبئة حد أدنى من المعالم الواعية أو غير الواعية التي ترشده في سلوكه».^(٦)

٣- عرف ميشيل روسكن Roskin Michael الثقافة السياسية «بأن لكل مجتمع سماته التي تميزه من قيم ومعايير ومعتقدات ومثل تتعلق بالحياة السياسية وبظاهرة السلطة وبالنظام السياسي هذه المجموعة من القيم والمعتقدات والرموز حول النظام السياسي وكيف يفترض أن يعمل وحول ما قد تفعله الحكومة وحول نظرة الشعب إلى السلطة والتزاماته وإزاءها تشكل الثقافة السياسية، فالثقافة السياسية هي «سيكولوجية» الأمة فيما يتعلق بالسياسة».^(٧)

٤- عرف لوسيان باي Lucian pye عالم السياسة الأمريكي الثقافة السياسية بأنها «مجموعة من الاتجاهات والمعتقدات والمشاعر التي تعطي نظاماً ومعنى للعملية السياسية وتقدم قواعد مستقرة تحكم تصرفات أعضاء النظام السياسي».^(٨)

٥- عرف جابرييل الموند Gabriel Almond وبنجهام باول في كتاب - السياسات

المقارنة في وقتنا الحاضر. نظرة عالمية - مفهوم الثقافة السياسية بأنه يعني توزيعاً من نوع خاص للتوجهات السياسية، والقيم، والمشاعر، والمعلومات، والمهارات فكما تؤثر توجهات الناس علي ما سيفعلونه، فأن ثقافة الأمة السياسية تؤثر علي تصرف المواطنين والقادة من خلال النظام السياسي. ولفهم نظام سياسي معين، فأن من المفيد تطوير خارطة للملامح الهامة لثقافته السياسية. وإحدى الطرق الخاصة بوضع خارطة لثقافة الأمة السياسية هي وصف توجهات المواطنين علي المستويات الثلاثة للنظام السياسي وهي:

- علي مستوي النظام، تهتم بوجهات نظر المواطنين والقادة المتعلقة بالقيم والأنظمة التي تجعل النظام السياسي يتماسك. وبطريقة انتخاب القادة وانصياع المواطنين للقانون.

- علي مستوى العملية السياسية فينصب اهتمامها على ميول المواطنين للمشاركة السياسية في العملية السياسي. مثل التقدم بمطالب وتأييد بعض الجماعات ومعارضة جماعات أخرى، والمساهمة بمختلف الصور.

- على المستوى السياسي، مدي معرفتنا باهمية السياسات التي يتوقعها المواطنون والقادة من الحكومة. وما هي الأهداف التي يجب وضعها وكيف ستتحقق.^(٩)

كما وضع الموند Gabriel Ahmed فيربا Sidney Verba في كتاب الثقافة المدنية The Civic Culture تعريفاً لمفهوم الثقافة السياسية يشير إلى التوجهات/الاتجاهات السياسية إزاء النظام السياسي بأجزائه المختلفة والاتجاهات إزاء دور الذات في النظام.

٦- جعل صامويل بير Samuel Beer من مفهوم الثقافة السياسية واحداً من أربعة مفاهيم أخرى يعتبرها أساسية في تحليل الأنساق السياسية ويرى بير أن عناصر الثقافة هي القيم والمعتقدات والاتجاهات العاطفية التي تحدد لنا ما الذي يجب أن تكون عليه الحكومة وماذا تحققه بالفعل لكي تستمر.^(١٠)

٧- عرف ماکر يدس Roy McCreedes الثقافة السياسية بأنها تمثل مجموع الأهداف المشتركة والقواعد العامة المقبولة.^(١١)

٨- عرف لاري دايموند Larry Diamond في مؤلفه «مصادر الديمقراطية» الثقافة السياسية بكونها المعتقدات والمواقف والقيم والمثل والعواطف والتقييمات المهيمنة عند شعب حول النظام السياسي في وطنه ودور الذات في ذلك النظام.^(١٢)

٩- عرف صامويل هنتيجتون الثقافة السياسية بأنها تتكون من المعتقدات الإمبريقية عن الرموز السياسية المعبرة والقيم نحو الأغراض السياسية وهي نتاج التاريخ الجماعي للنسق السياسي وحياة الأفراد التاريخية الذين يشكلون النسق السياسي الحالي، ولها جذور في كل من الأهداف العامة والخبرات الخاصة.^(١٣)

وبالنظر إلى علماء السياسة العرب الذين تناولوا مفهوم الثقافة السياسية، فمن الممكن عرض بعض التعريفات وذلك كما يلي:

١- عرف «د. كمال المنوفي» الثقافة السياسية بأنها تلك القيم السائدة في المجتمع والتي تتصل بعلاقة أفراد النظام السياسي بصورة مباشرة أو غير مباشرة.^(١٤)

٢- عرف «د. عبد الغفار رشاد» مفهوم الثقافة السياسية بأنه «نسق القيم والمعتقدات السائدة المتعلقة بالسلطة والحكم في المجتمع، وما يشكله هذا النسق من بيئة معنوية يعمل النظام السياسي ويؤدي وظائفه من خلالها».^(١٥)

٣- عرف د. محمد على محمد الثقافة السياسية بأنها «تلك القيم السائدة في المجتمع والتي تتصل بعلاقة أفراد النظام السياسي بصورة مباشرة أو غير مباشرة، ويستند التعريف السابق إلى ما يلي:

- الثقافة السياسية هي ثقافة فرعية أو جزء من الثقافة العامة للمجتمع.
- الثقافة السياسية تشكلها عوامل متعددة فالإطار التاريخي بجوانبه الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والإطار الجغرافي وخبرات التنشئة الاجتماعية والسياسية والمعتقدات الدينية تساهم بدرجات متفاوتة في تشكيل الثقافة السياسية كذلك فإن القيم تؤثر على الواقع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي فهي مثلاً قد تكون دافعا للتنمية أو معوقاً لها.
- الثقافة السياسية متغيرة حتى ولو كان التغيير بطيئاً أو طفيفاً.
- يقصد بقيم الثقافة السياسية ما يعتقد أو يؤمن به الأفراد فيما يتصل بعلاقاتهم بالنظام السياسي، وهي بهذا المعنى حقائق مجردة إلا أنها تمثل دوافع لسلوكهم واتجاهاتهم ومشاعرهم نحو النظام، وهذه جميعاً تعرف بالخصائص أو المظاهر والسمات الثقافية تتبع من القيم وتدل عليها^(١٦).

٤- رأي آخر عبر عن مفهوم الثقافة السياسية بأنها تمثل الجوانب السياسية للثقافة، أي كل ما يتعلق بشؤون الحكم والسياسة، وهي محصلة الزمان والمكان والعقل الاجتماعي والسياسي لأي مجتمع، ذلك العقل الذي يعد ثمرة التزاوج ما بين الموروث النقلي والمحدث المكتسب من الخبرة الحياتية ومن العطاء العصري لكل ما يتصل بحياة المجتمع السياسية وتنظيمه لشؤون الحكم والسياسة. ومن الطبيعي إذن أن تغير الزمان والظروف المحيطة بغير من العقلية الجماعية، وكلاهما يحدث تغييراً في الثقافة السياسية^(١٧).

ويمكن القول أن معظم الدراسات العربية الأخرى قد التزمت التعريف الذي قدمه «الموند» بدرجة أو بأخرى من التعديل^(١٨).

ومن خلال التعرض لتلك التعريفات فإن ثمة ملاحظات أهمها:

- يتمثل مضمون الثقافة السياسية في القيم والاتجاهات والمشاعر، وهو مضمون لا يختلف تقريباً عما قدمه «الموند» في البداية عن التوجهات المعرفية والتوجهات العاطفية والتوجهات التقييمية.

- تمثل الثقافة السياسية الجانب الذاتي في العملية السياسية، وهي تشكل البيئة المعنوية لعمل النظام السياسي.

- تبدو الثقافة السياسية للفرد/الجماعة من خلال أنماط السلوك والرموز التعبيرية سياسية الدلالة.

- الميل لاعتبار الثقافة السياسية لمجتمع ما توزيعاً للخصائص الفردية المجمعة.

وفي إطار تعدد الآراء وتنوعها أسهم البعض بالقول إن الثقافة السياسية ما هي إلا جزء من نسيج وتوجهات المجتمع يعكس الماضي والحاضر ويستشف إلى حد كبير رؤية المستقبل. وهي متغير مصاحب لعدد من متغيرات مجتمعة يظهر فيه التأثير الواضح للأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية العامة والعقائدية، كما يظهر فيها نمط الحكم القائم في المجتمع وتوجهات الدولة بوجه عام ونمط الحكم الذي يحدد طبيعة الفعل السياسي ويؤثر علي مساحة الديمقراطية وحجم الممارسات ونوعها وما قد يترتب علي ذلك من نوعية محددة للمشاركين في اتخاذ القرار.

٢- مفهوم مراكز البحوث والدراسات: Think Tanks

ثمة غموض يحيط بتعريف مراكز البحث والدراسات. فتعريف هذه المراكز لا يزال محل خلاف؛ نظراً إلى أن معظم المؤسسات والمراكز المنتمية إلى مجال البحث، لا تعد نفسها من ضمن مراكز البحوث في وثائق تعريف الهوية الذاتية، وإنما تعلن عن نفسها كمنظمة غير حكومية أو منظمة غير ربحية، لذا يبقى هذا المفهوم فضفاضاً، ويحتمل أكثر من تعريف، بسبب كثرة التفاصيل والحيثيات التي تحيط به، والأبعاد التي تكتنفه.

أ- يشير الباحث Wiarda هي مراكز للبحث العلمي والتعليم، ولكن ليس جامعات أو كليات، وهي ليست لديها طلبة، ولكن يمكن أن يكون لديها طلب متدربون، وهي لا تقدم مساقات دراسية، ولكن هي تنظم العديد من ورشات العمل والتدريب والمنتدبات، وهي لا تحاول أن تقدم معرفة بسيطة أو سطحية Smattering of expertise في كل المجالات ولكن تركز بشكل معمق Preeminently في قضايا أساسية في السياسات العامة، كما أن مراكز البحوث ليست مثل المؤسسات العلمية المانحة Foundations لأنها لا تقدم أو تعطي تمويلاً للبحث العلمي،

بدلاً عن ذلك هي تبحث عن جذب التمويل لدراساتها من المؤسسات المانحة وغيرها من المصادر. ومراكز البحوث ليست شركات تجارية، بالرغم أن لديها منتج Product وهي البحوث، وبالتالي هي ليست مؤسسات للربح المالي، أيضاً هي ليست متشابهة لجماعات المصالح Interest Groups، حيث أن هدفها الرئيس هو البحث والدراسات، وليس الضغط والنفوذ، بالرغم أن بعض مراكز البحوث تمارس ذلك أحياناً، وبالإضافة فإن مراكز الفكر هي منظمات بحثية هدفها الأساسي هو توفير دراسات وأبحاث تتعلق بالقضايا والسياسات العامة للدولة أو المجتمع، وتحاول أن تكون مشاركاً بفعالية ومؤثرة في قضايا ونقاشات القضايا العامة أو السياسات العامة^(١٩).

ب- يعرف مشروع مراكز الفكر والدراسات العالمي، مراكز البحوث والدراسات بأنها: مؤسسات تقوم بالدراسات والبحوث لصانعي القرار، والتي قد تتضمن توجيهات أو توصيات معينة حول القضايا المحلية والدولية، بهدف تمكين صانعي القرار والمواطنين لصياغة سياسات حول قضايا السياسة العامة وقد تكون هذه المراكز مرتبطة بأحزاب سياسية، جهات حكومية، جماعات مصالح، شركات خاصة، أو قد تكون مراكز غير حكومية ومستقلة، وتعد هذه المراكز في كثير من الأحيان بمثابة مؤسسات وسيطة بين الأكاديميين وجماعة صناع السياسات العامة وصنع القرار، وتهدف هذه المراكز عادة لخدمة المصالح العامة كونها مستقلة تترجم نتائج البحوث والدراسات بلغة مفهومة، وموثوقة وسهلة الوصول لصناع القرار والرأي العام.

ج- عرفتها الموسوعة المجانية المعروفة باسم (Wikipedia – Feree Encyclopedia) بأنها «أي منظمة أو مؤسسة تدعى أنها مركز للأبحاث والدراسات، أو مركز للتحليلات حول المسائل العامة والمهمة»^(٢٠).

د- تعرفها مؤسسة راند للأبحاث بأنها الجماعات أو المعاهد المنظمة بهدف إجراء بحوث مركزة ومكثفة. وهي تقدم الحلول والمقترحات للمشاكل بصورة عامة، وخاصة في المجالات التكنولوجية والاجتماعية والسياسية والاستراتيجية، أو ما يتعلق بالسلح»^(٢١).

هـ- يعرفها هوارد ج وباردا Howard J Wiarda (أستاذ العلاقات الدولية في جامعة جورجيا، وأستاذ باحث في مركز ودورو ولسون في واشنطن) بأنها عبارة عن مراكز للبحث والتعليم، ولا تشبه الجامعات أو الكليات، كما أنها لا تقدم مساقات دراسية، بل هي مؤسسات غير ربحية، وإن كانت تملك منتجاً وهو البحوث، هدفها الرئيسي البحث في السياسات العامة للدولة، ولها تأثير فعال

في مناقشة تلك السياسات، كما أنها تركز اهتمامها على التنمية الاقتصادية والاجتماعية، والسياسة العامة والدفاع والأمن والخارجية، كما لا تحاول تقديم معرفة سطحية لتلك المسائل، بقدر مناقشتها والبحث فيها بشكل عميق، ولفت انتباه الجمهور لها». وينتهي هوارد Howard بالقول: إن هذه المراكز، هي مؤسسات بحثية هدفها الأساسي توفير البحوث والدراسات المتعلقة بالمجتمع والسياسات العامة، والتأثير في القضايا الساخنة التي تهم الناس»^(٢٢).

وعلى الرغم من غياب الإجماع على تحديد مفهوم مراكز البحوث والدراسات، فإن هذه الدراسة تستخدم مصطلح مراكز البحوث والدراسات باعتباره مرادفاً لمصطلح مراكز الفكر، وتعني بهذا المصطلح: مؤسسات بحثية، دورها الرئيس هو إنتاج البحوث والدراسات في مجالات متعددة، بما يخدم السياسات العامة للدولة، وتقديم رؤى مستقبلية تهم الفرد والمجتمع وصانعي القرار^(٢٣).

المبحث الاول

نشأة وتطور مراكز البحوث والدراسات دولياً وعربياً

إن مراكز البحوث ظاهرة حديثة نسبياً في المجتمعات والعلاقات الدولية، وكانت بداية نشأتها في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الأولى، وكانت بمثابة منابر للنقاش الجماع، أو لدراسة القضايا الساخنة الأساسية التي تشغل المجتمع أو صناع القرار.

أولاً: على المستوى الدولي

كانت البدايات الأولى لتأسيس مراكز البحوث في حقبة العشرينات والثلاثينات، وكانت أولى مراكز البحوث في الولايات المتحدة الأمريكية، من خلال تأسيس معهد كارنيغي للسلام الدولي عام ١٩١٠ Carnegie Endowment for International Peace ومعهد بروكينغز Brookings Institute عام ١٩١٦، ومعهد هوفر Hoover Institute عام ١٩١٨، ومؤسسة القرن Century Foundation ١٩١٩، ومجلس العلاقات الخارجية Council on Foreign Relations ١٩٢١، المكتب الوطني لأبحاث الاقتصادية عام ١٩٢٠ وغيرها من المراكز البحثية.

وفي بريطانيا تأسس المعهد الملكي للشؤون الدولية عام ١٩٢٠، وفي فرنسا تأسس المعهد الفرنسي للعلاقات الدولية. وفي ألمانيا تأسست الأكاديمية الألمانية للسلام عام ١٩٢١، كما نلاحظ نشأة مراكز بحثية خاصة تعني بقضايا وشؤون استطلاعات الرأي مثل معهد غالوب Gallup الذي تأسس عام ١٩٢٠ في أمريكا، ويلاحظ في هذه الحقبة أن معظم هذه المراكز لم تستطع أن تؤثر بشكل مباشر في صانعي السياسات العامة، وكان ينظر لها كمؤسسات أكاديمية نظرية بعيدة عن التأثير في السياسات الوطنية أو الدولية، بالرغم من أنها كانت تحظى باحترام في خارج محيط عالم السياسة النشط، وإن كان تأثيرها بشكل غير مباشر من خلال صياغة مواقف الرأي العام أكثر من عملية تأثيرها في صانعي السياسات^(٢٤). أما في حقبة ما بعد الحرب الباردة، تطورت اهتماماتها البحثية نحو التركيز على قضايا محورية ومعقدة Baffling Issues وأصبحت مراكز البحوث والدراسات ومراكز استطلاعات الرأي تملك في الدول الديمقراطية تأثيراً ونفوذاً واضحاً في التأثير على صناع القرار وصياغة السياسات العامة سواء على الصعيد الوطني والسياسات الخارجية للدول.^(٢٥)

وفي مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، في الأربعينيات والخمسينيات والستينات، تطور واقع مراكز الدراسات والبحوث بشكل كبير سواء من حيث الزيادة الكبيرة في عددها، أو من حيث انتشارها في دول العالم. ومن أشهر هذه المراكز التي تأسست في هذه الحقبة،

المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية في لندن عام ١٩٥٨ (IISS)، وفي أمريكا معهد دراسات الشرق الأوسط The Middle East Institute عام ١٩٤٨، ومعهد انتربرايز الأمريكي لأبحاث السياسات العامة AEL عام ١٩٤٣، ومؤسسة راند Rand Corporation عام ١٩٥٢ التي تعنى بالسياسات العامة والشؤون الدفاعية العسكرية بشكل خاص، ومركز أبحاث فضل النزاعات Center for research and Conflict Resolution عام ١٩٥٩ في جامعة ميتشغان، وفي أوصلو الترويجية أسس معهد أبحاث السلام الدولي (PRIO) عام ١٩٥٩، وفي السويد معهد استوكهولم لأبحاث السلام (SIPRI) عام ١٩٦٦، وغيرها من الدول الأوروبية مثل هولندا وفرنسا وإيطاليا وغيرها من الدول.

أما في مرحلة السبعينات وحتى نهاية القرن الحادي والعشرين، فانتشر وجود هذه المراكز البحثية في جميع مناطق العالم وازداد نفوذها، وتنوعت طبيعة الاختصاص والمجالات البحثية لمراكز الدراسات حتى في الحقل العلمي الواحد فعلى سبيل المثال، في مجال العلوم السياسية والعلاقات الدولية نشأت العديد من المراكز البحثية المتخصصة، بعضها في دراسات السلام والصراع Peace & Conflict وبعضها في الشؤون الأمنية والاستراتيجية، وبعضها في المنظمات الدولية والقانون الدولي الإنساني، وأخرى في الشؤون الخارجية، وبالمثل تنوعت اختصاصات المراكز البحثية المعنية في المجالات الأخرى، سواء الاقتصادية والمالية أو الاجتماعية، أو شؤون الهجرة والسكان وغيرها من المجالات.

وتشير مؤشرات مراكز الفكر والبحوث إلى ٦٤٨٠ مركز بحثي متخصص في مجال السياسات العامة في تسعة مجالات بحثية^(٢٦).

جدول رقم «١» توزيع مراكز الفكر والبحوث العالمية

المنطقة الجغرافية	عدد المراكز البحثية	نسبة المراكز البحثية في هذه المنطقة إلى مجموعها في العالم (%)
إفريقيا	٥٤٨	٨٪
آسيا	١٢٠٠	١٨٪
أوروبا	١٧٥٧	٢٧٪
أمريكا اللاتينية والكاريبيان	٦٩٠	١١٪
الشرق الأوسط وشمال إفريقيا	٣٣٣	٥٪
أمريكا الشمالية	١٩١٣	٣٠٪
أوقيانوسيا	٣٩	١٪
المجموع	٦٤٨٠	١٠٠٪

المصدر:

James G. McGann, The Global "Go-To Think Tanks 2010", Thank Tanks and Civil Societies Program, Final United Nations University Edition, January 2011, p16.

ويوضح الشكل التالي توزيع مراكز البحوث في العالم للعام ٢٠١١:



المصدر:

James. G. McGann (dir). 2011 Global Go To think Tanks Report and policy Advice, The Think Tanks and Civil Societies program, International Relations Program, University of Pennsylvania, Philadelphia, 23/1/2012. p.17.

إن الانتشار المتسارع في خريطة مراكز البحوث في العالم،^(٢٧) قد تعاضم بعد الأحداث التي طرأت على العلاقات من انهيار القطبية الثنائية، وظهور العولمة، والتغير الذي طرأ على تلك البلدان وعلى الأوضاع السياسية والاقتصادية والأكاديمية والأمنية فيها، والتحديات التي باتت تواجهها، وهو ما استدعى الحاجة إلى مزيد من المراكز البحثية لمواكبة متطلبات العولمة، لا سيما بسبب تأثير النظام العالمي الجديد، خاصة في كل من الولايات المتحدة وأوروبا، اللتين يوجد فيهما أكبر عدد لمراكز البحوث والدراسات على مستوى العالم، بنسبة تصل إلى ٥٧٪.

وبرز الاهتمام بإنشاء مراكز أبحاث لدى دول أخرى، كما نرى في الجدول أدناه، فانتشرت مراكز تعنى بالبحوث التاريخية وأخرى بالبحوث السياسية، ومراكز استراتيجية أمنية واقتصادية، ومراكز أكاديمية ترتبط بالجامعات..إلخ، ونلاحظ أن مراكز البحوث موجودة بأسماء وتعريفات مختلفة، ففي بعض الأحيان، تطلق على نفسها اسم مؤسسة Foundation وفي بعضها الآخر تسمى بـ معهد Institute وتصف مراكز أخرى نفسها بـ الصندوق fund، وفي حالات أخرى بـ الوقف Endowment لكن في النهاية، تتبع هذه المنظمات قطاعاً عريضاً هو قطاع مراكز البحوث والدراسات.

جدول رقم «٢» يبين عدد مراكز البحوث في بعض الدول لغاية عام ٢٠١١

اسم الدولة	عدد مراكز البحوث
الولايات المتحدة	١٨١٥
الصين	٤٢٥
الهند	٢٩٢
المملكة المتحدة	٢٨٦
ألمانيا	١٩٤
فرنسا	١٧٦
الأرجنتين	١٣٧
روسيا	١١٢
اليابان	١٠٣
كندا	٩٧
إيطاليا	٩٠
أفريقيا الجنوبية	٨٥
البرازيل	٨٢
سويسرا	٦٦
السويد	٦٥
المكسيك	٦٠
هولندا	٥٧
إسبانيا	٥٥
رومانيا	٥٤
إسرائيل	٥٤
بوليفيا	٥١
أوكرانيا	٤٧

المصدر:

James. G. McGann (dir). 2011 Global Go To think Tanks Report and policy Advice, The Think Tanks and Civil Societies program, International Relations Program, .University of Pennsylvania, Philadelphia, 23/1/2012. p. 16

ثانياً: على المستوى العربي

إن نشأة وتطور المراكز البحثية بدأت بشكل أساسي في الخمسينات في مصر، مع تأسيس المركز القومي للبحوث عام ١٩٥٦ في القاهرة، بالإضافة إلى مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية الذي تأسس عام ١٩٦٨، وهما يرتبطان بهيئات حكومية، وتأسس معهد البحوث والدراسات العربية عام ١٩٥٢، الذي كان يرتبط بالجامعة العربية، والذي تحولاً لاحقاً إلى التركيز على الأداء التدريسي والتأهيل الجامعي على حساب العمل البحثي، في حين أنه على صعيد المراكز البحثية الخاصة فكان مركز دراسات الوحدة العربية الذي تأسس في بيروت، عام ١٩٧٥ كمؤسسة بحثية غير ربحية أكاديمية أو علمية

المنحى، حيث تركّز نشاطها البحثي في مختلف القضايا السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية التي تهتم المجتمع العربي.

لاحقاً منذ عقد الثمانينات وخاصة حقبة التسعينات حتى نهاية العقد الأول من القرن العشرين، عموماً انتشرت ظاهرة المراكز البحثية في جميع الدول العربية، وإن ارتبطت في بداياتها بالجامعات أو قطاعات حكومية، ثم انتشرت لاحقاً مراكز البحوث الخاصة في تخصصات متعددة سواء سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية، وغيرها أو حتى المجالات البحثية التطبيقية الهندسية والتكنولوجية، وبشكل متأخر في المجالات الطبية.

عموماً، فرضت ظاهرة مراكز البحوث والدراسات في العالم العربي وجودها مع اتساع انتشار، وتنوع أنشطتها وزيادة حراكها العلمي، وتطور علاقتها مع صناع القرار في العديد من الدول العربية، إلا أنها ما زالت ظاهرة حديثة تحتاج إلى المزيد من الرعاية والدعم.

المبحث الثاني

تباين أدوار ومهام مراكز البحوث والدراسات في نشر الثقافة السياسية دولياً وعربياً

يلخص بعض الباحثين وظائف ومهام مراكز البحوث في إجراء البحوث حول تحليل المشكلات التي تواجه السياسات العامة. وتقديم الإرشادات أو الاستشارات حول الاهتمامات أو المستجدات العاجلة أو الفورية للسياسات. وتقييم البرامج الحكومية. إلى جانب تقديم التفسير والتوجيه حول المبادرات والسياسات العامة لوسائل الإعلام، وتسهيل فهم استيعاب الجمهور لها. مع توفير العلماء والكفاءة الأساسية أو الخبرات اللازمة للحكومة لإعداد السياسات العامة.

أولاً: على المستوى الدولي

يحدد مشروع مؤشرات مراكز الفكر المهام والأدوار الأساسية لهذه المراكز المرتبطة بحاجة القادة وصناع القرار في دول العالم لهذه الأدوار المتمثلة بما يلي^(٢٨):

- ١- حاجة القادة لمراكز الدراسات لتزويدهم بتحليل مستقل.
- ٢- المساعدة في إعداد ومكونات وعناصر أو أجندات السياسات Policy Agenda.
- ٣- تجسير الفجوة ما بين المعرفة والتطبيق.

إن طبيعة هذه المهام تعكس مدى أهمية الدور الذي يمكن أن تلعبه مراكز الدراسات والبحوث في التأثير على عملية اتخاذ القرار أو على صناع القرار، وكذلك في رسم

السياسات العامة، أو بشكل آخر إن هذا الدور لمراكز البحوث هو جزء من دور يحتسب للبحث العلمي أو المعرفة بصفة أن هذه المراكز هي إحدى مؤسسات البحث العلمي وإنتاج المعرفة.

ويشير أحد الباحثين^(٢٩)، إلى أنه في المجتمعات الحديثة أو الدول المتقدمة، يظهر واضح بين عملية التنمية والبحوث العلمية والتطبيقية، بما فيها استطلاعات الرأي والبحوث الميدانية، إن هذا الارتباط ضروري في حالة الدول النامية أيضاً، وذلك من أجل مجموعة من الأهداف، منها:

- ١- الكشف عن أولويات التنمية في المجتمع، وما هي أسهل السبل وأسرعها لتحقيقها من خلال استخدام الموارد المحلية.
- ٢- تطوير البحث العلمي المحلي بما يتوافق مع احتياجات البيئة المحلية وتوظيف الموارد الذاتية.
- ٣- دعم اتخاذ القرار وجعله أكثر عقلانية.

كما يشير الباحث إلى أنه تحقيقاً لهذه الأهداف تأسست العديد من مراكز البحوث والدراسات سواء مراكز بحثي حكومية أو جامعية أو خاصة، كما أن هذه المراكز لعبت ولا تزال دوراً مهماً، ليس فقط في تقديم العلم والتقنيات والتطبيقات الصناعية العديدة، وإنما أيضاً في تطوير نظم التعليم والسياسات الاقتصادية والاجتماعية، وإلقاء الضوء على الطرق المثلى والاستخدام الأفضل للموارد، وذلك برفع الإنتاجية وتقليل الهدر منها، كما ساهمت تلك المراكز في لفت الانظار لأحد المشكلات والمعضلات التي تواجهها عملية التنمية المحلية والدولية، ورسم السياسات في التصدي لهذه المعضلات ومعالجتها بأقل التكاليف^(٣٠)، وفي ضوء ذلك فإن دور ومراكز البحوث في المجتمعات المتقدمة لم يعد دوراً ثانوياً، وإنما دوراً أساسياً في رسم السياسات وترشيد عملية اتخاذ القرار، ولذلك إن تأسيس المراكز البحثية والمستقلة يزيد من فعاليتها ودورها الإيجابي في هذين المجالين.

وكما هو معروف أن صناع القرار أو كبار المسؤولين ليس لديهم الوقت الكافي أو المعرفة المتخصصة في بعض المجالات أو القضايا موضع القرار أو رسم السياسات العامة سواء الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية أو الأمنية أو غيرها، ولذلك فإن مراكز البحوث تقوم غالباً بإجراء الأعمال البحثية من أجلهم، ويشير هوارد إلى أن مراكز البحوث أصبحت بشكل أساسي تقوم بالتفكير للحكومة Governments Thinking، فخبراء مراكز البحوث يقدمون الأفكار الجديدة والرؤى الإبداعية بالاعتماد على أبحاثهم أو يرشدوا السياسات العامة، ويشير أيضاً إلى أن مراكز البحوث تميل إلى أن تلعب دور الدمج

أو التوفيق Integrating Role عند اختلاف أو تنازع البيروقراطية الحكومية حول إعداد سياسة معينة، أو عندما يكون هناك أطراف حكومية متعددة تشارك في إعداد سياسة في مجال ما، وتكون تلك الأطراف غير موحدة أو متوافقة في سياستها ومواقفها ورؤاها، فتقوم عادة مراكز الدراسات بدور الطرف التوفيق بين تباين هذه المواقف وسياساتها أو رؤاها^(٣١).

من ناحية أخرى تقدم مراكز البحوث والدراسات الخدمات الاستشارية للقطاع الحكومي ومؤسساته في العديد من القضايا التي تتطلب معرفة متخصصة وسرعة في الإنجاز أو القرار، حيث أن المراكز البحثية عادة تتوفر لها مجموعة أو شبكة من الخبراء داخل وخارج المراكز تكون على ارتباط وثيق بها، أو تملك المراكز سرعة في الوصول إليها أو السرعة في تكليفها بمهام بحثية أو استشارية معينة، كما تملك المراكز القدرة على توفير البيانات البحثية اللازمة لصنع القرار والمسؤولين عند الحاجة، عموماً الخدمات الاستشارية التي تقدمها مراكز الدراسات تأخذ أشكال عدة منها^(٣٢):

١- تكليف أفراد متخصصون لإعداد تقارير مركزة ومختصرة لصنع القرار والقيادات العليا حول قضايا معينة.

٢- تكليف خبراء لمراجعة وتقييم التقارير الخاصة أو الداخلية التي يتم إعدادها للقيادات العليا، والتي تتعلق بالدول التي سيقومون بزيارتها والقضايا موضوع البحث والنقاش.

٣- تكليف فرق بحثية لتقييم قضايا حساسة أو موضع جدل ونقاش.

عموماً الأدوار الإستشارية تدور حول تشخيص للمشكلات والأزمات وتحليلها واقتراح الحلول والمواقف والسياسات المناسبة للتعامل معها، وغالباً ما يكون ذلك في القضايا ذات الطبيعة العاجلة أو الساخنة.

ومن الأدوار الحديثة التي أصبحت تقوم بها بعض المراكز البحثية هي ممارسة الدبلوماسية الأكاديمية Academic Diplomacy^(٣٣)، كأن يرسل بعض الخبراء والأكاديميين العاملين في مراكز البحوث من قبل وزارة الخارجية أو مؤسسات أمنية أو غيرها، إما لمعرفة أفاق تسوية، أو المشاركة في وساطة أو مفاوضات حول أزمة سياسية معينة، ويكون ذلك بشكل غير رسمي أو بشكل رسمي، أو بشكل معلن أو في مسار موازي، كما حصل على سبيل المثال في المرحلة السرية لما قبل الوصول إلى اتفاقية أوسلو، حيث قام تيد لارسون رئيس معهد أبحاث السلام في أوسلو PRIO بترتيب عملية المفاوضات بين الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي في الترويج وبشكل سري، وأحياناً تكليفهم للمشاركة في مؤتمرات دولية للاطلاع على أحدث المعلومات والطروحات السياسية أو بناء العلاقات.

أيضاً من الأدوار التي تقوم بها مراكز البحوث الخاصة هي مرافقة خبراء من هذه المراكز لكبار المسؤولين أو مع الوفود الرسمية الحكومية في زيارتهم الرسمية للدول كمستشارين خبراء في قضايا معينة موضع النقاش في جدول أعمال المسؤولين أو هذه الوفود الحكومية.

إضافة إلى ذلك تكون هذه المراكز في بعض الأحيان بمثابة الباب الدوار (Revolving Door)^(٢٤) بين الدبلوماسيين أو المسؤولين أو المناصب العليا في الدولة، وبين الخبراء والعاملين في هذه المراكز البحثية، وذلك من حيث تداول المناصب، ففي كثير من الأحيان يتم اختيار وتكليف بعض الخبراء في هذه المراكز البحثية للعمل في مناصب حكومية عليا مثل وزراء أو مستشارين للقيادة السياسية أو سفراء ودبلوماسيين وغير ذلك، وكذلك العكس حيث الكثير من المسؤولين عندما يخرجون من مناصبهم العليا يذهبون للعمل في هذه المراكز البحثية، إما بصفة خبراء أو باحثين في الإدارة العليا أو مجالس الأمناء أو غيرها التي تشرف على سياسات وبرامج وأنشطة هذه المراكز البحثية.

وفي أحيان أخرى تعتمد الحكومة أو بعض المسؤولين فيها على بعض المراكز البحثية المقربة من صناع القرار، أو على بعض الخبراء والباحثين العاملين فيها لإجراء المقابلات الإعلامية، وذلك إرسال أو التعبير عن رسائل سياسية فورية، أو إرشادات دبلوماسية غير مباشرة، أو التعبير عن مواقف استباقية معينة إلى بعض الأطراف حول قضايا جدلية أو أزمات سياسية.

أيضاً من أدوار مراكز البحوث، أنها تلعب أحياناً دوراً مهماً كقناة اتصال غير مباشرة أو غير رسمية بين الشخصيات السياسية أو كبار المسؤولين، وخاصة الأطراف أو الشخصيات الخارجية أو الدولية، وذلك للعرف على طروحاتهم وآرائهم السياسية وطبيعة اهتمامهم وأدوارهم، أو لمعرفة الاتجاهات الدولية السائدة في مجال قضايا اقتصادية أو سياسية أو غيرها، وذلك من خلال المشاركة في أنشطة علمية مشتركة أو دعوة هذه الشخصيات أو المسؤولين للمشاركة في المؤتمرات والندوات التي تعقدها هذه المراكز البحثية، ومن خلال شبكة العلاقات التي تملكها هذه المراكز البحثية.

كما أن لدى هذه المراكز البحثية القدرة على متابعة أحدث الدراسات وترجمة المنشورات والمؤلفات التي تصدر عن المؤسسات والمراكز البحثية في الدول الأخرى خاصة الدول التي تكون موضع اهتمام خاصة وبمعنى آخر فإن مراكز البحوث تشكل مصدراً هاماً للمعلومات أو المعرفة للمسؤولين والقيادات العليا حول طروحات وآراء الآخرين لدول أخرى في القضايا أو الشؤون الدولية^(٢٥).

أيضاً تلعب مراكز البحوث من خلال دراسات دوراً هاماً في مجال «المستقبلات» أو مجال «الاستشاري» خاصة مع تطور علم المستقبلات في العالم الغربي والتي أصبحت نتائج هذه الرؤى المستقبلية من المتطلبات الأساسية للتخطيط الاستراتيجي في الدول المتقدمة، وإن كان هذا النوع من الدراسات في العالم العربي ما يزال يقوم في الكثير منه، وفق تبؤات أو تقديرات أو انطباعات تتولد لدى الباحثين أكثر منه الاعتماد على أسس «علم المستقبلات» والذي بدأ ينمو بشكل بطيء في العالم العربي^(٢٦).

أخيراً، فإن مراكز البحوث من خلال خبراتها وعلمائها تعمل على عقلنة أو ترشيد القرار لدى المسؤولين، وبالتالي المساهمة في تصويب أو تحجيم احتمالية الخطأ أو المخاطر أو الفشل في صنع القرار وإعداد السياسات العامة وحسن التخطيط، وتوفير الرؤى والأفكار العلمية والإبداعية في الدولة.

وربما من المفيد هنا الوقوف والمقارنة بين دور مراكز البحوث ذات الطبيعة الأكاديمية والمرتبطة بالجامعات ومراكز البحوث الخاصة ذات المنهجية العلمية أو الأكاديمية ولكن لا تربط بأي جهة حكومية أو رسمية سواء أكانت جامعية أو غيرها، أي التي تعمل وفق المنهج العلمي ولكن باستقلالية، حيث أن هذه المقارنة سوف تظهر طبيعة اختلاف دور هذه المراكز وأسباب تباين تأثيرها لدى صانع القرار، أو في صياغة السياسة العامة في الدولة، ويمكن تلخيص أهم عناصر طبيعة اختلاف هذه الأدوار بما يلي^(٢٧):

١- المراكز الأكاديمية الجامعية تميل إلى بناء المعرفة النظرية أو التنظير، وبالتالي تكون بعيدة عن الواقع Realities السياسي، والذي يحتاجه أو يتعاطى معه صانع القرار أو صانعي السياسات، وهذا ما تحاول المراكز البحثية الخاصة غير الجامعية أن تعمل به وتبحث في معالجته.

٢- تميل المراكز الأكاديمية الجامعية إلى إيجاد وتطوير نماذج Models أو اكتشاف نظريات وقواعد عامة للسلوك سواء السياسي أو الاقتصادي أو غيرها، مثل التعامل مع نظريات الصراع مثل نظرية الحرمان النسبي أو نظرية التبعية أو غيرها، لتفسير سلوك صراعي ما، فليس لدى صانع القرار الوقت ولا الرغبة أو الميل Inclination ليتعامل مع هذه النظريات، فهو يريد التفسير المباشر والواضح في إجراءاته وخطواته للتعامل مع الأحداث والأزمات والصراعات السياسية وغيرها.

٣- تميل المراكز الأكاديمية الجامعية إلى الطروحات المثالية والأخلاقية في غالب الأحيان، وما هو يجب أن يكون عليه الحال، وهو ما لا يراه عملياً الكثير من صناع القرار، خاصة في البيئة أو الشؤون السياسية الدولية، بينما تميل المراكز البحثية

الخاصة إلى تفهم أقدر لهذه الواقعية العملية إلى صناع القرار، وبالتالي تتجه وتميل إلى إعداد الدراسات بما يتلاءم مع هذا الاتجاه إلى الحاجة العملية لصانع القرار.

٤- المراكز البحثية الجامعية عادة لا تكون دراية كافية بالقيود والتجاذبات البيروقراطية ومراكز القوى التي تواجه صانع القرار أو صانعي السياسات العامة، وبالتالي لا تعطي اهتماماً أو تقديرًا كافيًا لذلك، وهو ما يخلق تعقيدات ومشكلات إدارية لا يميل صانع القرار أو صانعي السياسات العامة إلى التعامل معها، وفي المقابل غالباً المراكز البحثية الخاصة تأخذ أو تعطي هذا الأمر اهتماماً خاصاً وتحاول الإطلاع على تفاصيله سواء من صناع القرار أو مصادر أخرى، سعياً لنجاح أو قبول طروحاتها ومشاريعها لدى صناع القرار، وتقدم التوصيات والرؤى التي تأخذ هذه المعوقات بعين الاعتبار.

ثانياً: على المستوى العربي

أما على الصعيد العربي، فإن دور مراكز الدراسات والبحوث في العالم العربي تتقاطع في أجزاء منه مع بعض الأدوار المتعارف عليها لمراكز البحوث في العالم الغربي، وتختلف كلياً في أدوار أخرى، ومراكز البحوث الخاصة في العالم العربي لا تملك بشكل عام التأثير والدور الذي تلعبه مراكز البحوث الخاصة الغربية في إعداد السياسات العامة أو لدى صناع القرار وفي خدمة البحث العلمي، ولكن دور مراكز البحوث العربي يعيش حالة من التطور والنمو سواء من حيث الانتشار أو من حيث التأثير والفعالية، ولكن ما زال الأمر في مراحل غير متقدمة، ويعبر عن هذا التطور واقع رئيس سابق لإحدى الجمهوريات العربية قبل ما يزيد عن عشرة أعوام: «أنه عندما كان لا يزال رئيساً كان لا يقيم أي اعتبار لمراكز الدراسات ولا للباحثين، وكان يظن أن المسؤول أقدر على الإلمام بشؤون المهام الملقة على عاتقه لأنه يعايشها بشكل محسوس وملمس يومياً، بينما الباحث لا يجيد لا التنظير وحُبَّك الجمل وتعقيد الأفكار...، ولكن بعد أن أصبح خارج السلطة أيقن أهمية وجود مراكز بحثية، فبدأ يروج لهذه القناعة لدى معارضة ممن لا زالوا في مواقع القرار في الوطن العربي^(٢٨).

من ناحية أخرى إن مراكز البحوث العربية يغلب عليها الارتباط إما بالقطاع الحكومي أو بالجامعات العربية، أما المراكز البحثية ذات الارتباط بالقطاع الخاص ظهر دورها وحراكها حديثاً نسبياً، وإن كان أهم أدوارها يتمثل في:

- ١- النشر العلمي سواء في قضايا ساخنة أو قضايا موضوع اهتمام الرأي العام العربي.
- ٢- تنظيم الأنشطة العلمية مثل المؤتمرات وورش العمل غالباً ما يكون في قضايا ومجالات

سياسية أو تغييرات دولية تقع ضمن اهتمام صناع القرار الرسمي وبذلك يتم توفير التمويل اللازم لها من وزارات أو قطاعات حكومية معينة أو صناع القرار في الدولة.

٢- إعداد الدراسات الاستشارية الخاصة وفق تكليف من صناع القرار في قضايا عامة أو حساسة، وعادة هذه الدراسات لا تخضع للنشر، وغالباً هذه الدراسات تتناول تحليل المشكلات ووضع الاقتراحات والتوصيات للتعامل معها. وغالباً يتم هذا التكليف في حالة وجود علاقة شخصية بين صانع القرار وإدارة مراكز الدراسات.

٤- المتابعة للمستجدات في الاتجاهات العالمية وفي شؤون المنطقة أو توفير الملخصات حول هذه المستجدات لصناع القرار.

٥- العمل على دراسة وإجراء استطلاعات للرأي العام المحلي حول قضايا أو قرارات قبل أو بعد صدورها، أو العمل على تحديد الاحتياجات ومتطلبات الشعب، وغالباً ما تخضع هذه الاستطلاعات للاطلاع الخاص وليست للنشر.

من جانب آخر، فإن مراكز البحوث الجامعية وخبراتها الأكاديمية في العالم العربي تملك مصداقية أكبر لدى الحكومة أو صناع القرار عن مراكز البحوث الجامعية في العالم الغربي، من ناحية أخرى، فإن دور مراكز البحوث الخاصة العربية أصبح يزداد قرباً ومصداقية ونفوذاً لدى صناع القرار، ولكن ذلك يقوم بشكل أساسي على طبيعة العلاقات الشخصية بين القائمين على مراكز البحوث العربية وصناع القرار في بلدانهم، وكذلك طبيعة الاتجاهات السياسية التي تنتمي إليها هذه المراكز البحثية.

كما أن نمو ظاهرة الشراكة بين القطاع الخاص والقطاع الحكومي في الدول العربية يساهم أيضاً في تعزيز دور مراكز الدراسات ومؤسسات البحث العلمي عموماً، وكما يشير تقرير المعرفة العربي إلى أن الشراكة بين الدول ومراكز البحوث الخاصة كإحدى مؤسسات المجتمع المدني تعتبر عنصراً ضرورياً وتشكل رافعة أساسية لدور مراكز البحوث بوصفها إحدى مؤسسات القطاع الخاص، وتعتبر الشراكة بين الدول والقطاع الخاص والمجتمع المدني ضرورية للارتقاء بالبحث العلمي والإبداع في المجتمع، ويمكن لهذه الشراكة أن تأخذ نموذجين متقاطعين ومتكاملين في آن معاً. ويتضمن الأول شراكة تفاعلية بين مؤسسات البحث والتطوير ومؤسسات التعليم العالي بحيث ترفد الجامعات ومؤسسات البحث والتطوير ومؤسسات التعليم العالي من جهة أخرى، وتعمل هذه الشراكة على تحديد الاحتياجات المجتمعية وأولويات البحوث، وترجمة نواتجها إلى تطبيقات مفيدة^(٢٩)، على العموم، إن توفرت الإرادة لدى صناع القرار فإن المراكز البحثية قادرة إلى حد كبير على تحقيق الشراكة على صعيد صنع السياسات العامة، وإعداد استراتيجيات حل المشكلات والأزمات.

المبحث الثالث

قراءة في تجارب مراكز البحوث والدراسات العربية

على مستوى الوطن العربي توجد مئات المؤسسات والمراكز البحثية والجمعيات العلمية تمارس عملها في نشر الثقافة السياسية بمختلف فروعها وتوجهاتها، ويمكن في هذا الصدد التركيز على بعض جهود مراكز البحوث والدراسات العربية وذلك من خلال ما يلي:

أولاً: مراكز البحوث والدراسات التابعة لمكتبة الإسكندرية

إن ما تقوم به المراكز والمنتديات والأقسام التابعة لمكتبة الإسكندرية في مصر هو أحد الأمثلة على دور المؤسسات والمراكز البحثية في الترجمة وثقافة التواصل، إذ تقوم سنوياً بتنظيم أكثر من عشر مؤتمرات أو ندوات أو منتديات أو ورش عمل لتدريب الفنيين وتشجيع حرية التعبير والتسامح الفكري وتبادل الأفكار العلمية وأحدث ما توصل إليه العقل البشري من إنجازات ودور الترجمة في عمليات التفاعل بين الحضارات الإنسانية، - فعلى سبيل المثال - نظمت أو استضافت هذه المؤسسة خلال عام ٢٠٠٨ أكثر من إثني عشر مؤتمراً وورشة عمل وبرنامج منها:

١ - استضافة مؤتمر ((حوار الشعوب والثقافات في المنطقة الأورومتوسطية والخليج)) للفترة من ١٩ - ٢١ كانون الثاني ٢٠٠٨.

٢ - تنظيم مؤتمر ((حرية تداول المعلومات، المعلومات حق لكل مواطن)) للفترة من ٧ - ٩ شباط ٢٠٠٨. تناول المؤتمر في جلساته عدة محاور مثل الإطار القانوني والتنظيمي لتداول البيانات والمعلوماتية وحقوق الملكية الفكرية، ودور إتاحة المعلومات في التنمية، وفي تفعيل مشاركة المجتمع المدني في صياغة السياسات، وسياسات إتاحة المعلومات وضوابط النشر، فضلاً عن دور البوابات والشبكات القومية على الإنترنت في الإتاحة ومسؤولية مؤسسات المجتمع في بناء مجتمع المعرفة.

٣ - تنظيم المنتدى الثالث للشباب العربي تحت عنوان ((الشباب ودور الإعلام في تحقيق ثقافة السلام والأمن والتنمية)) للفترة من ٢٨ شباط - ١ آذار ٢٠٠٨. وكان الهدف من المنتدى مشاركة أكبر عدد من الشباب العربي والخبراء في مجالات الشباب من المؤسسات والمنظمات المصرية والدول العربية لمناقشة وتبادل الآراء حول أفضل الآليات المطلوبة لمشاركة الشباب في تناول قضايا الوطن العربي من منطلق مسؤولية الشباب تجاه المستقبل، وناقش المنتدى قضايا الشباب العربي من مختلف الجوانب، ومنها رؤية الذات وقبول الآخر، والمواطنة والسلام الاجتماعي، والأمن الإنساني.

٤ - تنظيم المؤتمر الخامس للإصلاح العربي تحت عنوان ((الإعلام والديمقراطية والمسؤولية المجتمعية)) للفترة من ٣ - ٤ آذار ٢٠٠٨.

٥ - تنظيم مؤتمر التكنولوجيا الحيوية (بيوفجين ٢٠٠٨) للفترة من ١٢ - ١٦ نيسان ٢٠٠٨. كما يقام مؤتمر البيوفجين بالتبادل كل عامين بين مكتبة الإسكندرية ومدينة ليون الفرنسية، استمراراً للتقليد الذي بدأ في ليون ١٩٩٩. هدف المؤتمر جمع أكبر عدد من المتحدثين والخبراء في مجال العلوم لتبادل الأفكار العلمية وأحدث ما توصل إليه العقل البشري من إنجازات.

٦ - تنظيم المؤتمر الثالث في سلسلة المؤتمرات المنعقدة لمناقشة قضايا حرية التعبير وإتاحة المعرفة في مركز المؤتمرات بمكتبة الإسكندرية وذلك يوم الثلاثاء ٢٢ نيسان ٢٠٠٨.

٧ - عقدت مكتبة الإسكندرية مؤتمرها السنوي عن شكسبير تحت عنوان ((التنوع اللامتناهي لشكسبير)) يوم ٢٣ نيسان ٢٠٠٨.

٨ - تنظيم المؤتمر الدولي عن البيئة تحت عنوان ((المؤتمر الدولي لتقييم تغير المناخ والتنمية)) للفترة من ١٠ - ١٢ مايس ٢٠٠٨.

٩ - عقد مركز المخطوطات التابع لمكتبة الإسكندرية مؤتمره السنوي الرابع تحت عنوان ((المخطوطات المترجمة)) للفترة من ٢٩ - ٣١ مايس ٢٠٠٨. وقد نوقش في المؤتمر دور حركة الترجمة في حماية التراث والمخطوطات المترجمة من اللغات المختلفة إلى اللغة العربية، وذلك بمشاركة ٥٠ باحثاً من مختلف دول العالم. تأتي أهمية هذا المؤتمر انطلاقاً من الدور الذي لعبته الترجمة في عمليات التفاعل بين الحضارات الإنسانية، حيث تعد الترجمة أحد أهم العوامل التي أثرت في تاريخ الإنسانية وتأثرت فيه، فعن طريق الترجمة انتقل التراث اليوناني إلى السريان ثم إلى العرب من ثم إلى اللاتينية واللغات الأوروبية المعاصرة.

١٠ - نظم كل من المعهد الدولي للدراسات المعلوماتية، وقسم تكنولوجيا المعلومات والاتصالات التابعين لمكتبة الإسكندرية ومؤسسة ويكيميديا، المؤتمر الدولي السنوي الرابع لمؤسسة ويكيميديا، تحت عنوان ((ويكيميديا ٢٠٠٨)) للفترة من ١٧ - ١٩ تموز ٢٠٠٨.

١١ - نظم الاتحاد الدولي للمكتبات ومراكز المعلومات مؤتمر ((دور المكتبات في حرية التعبير والتسامح الفكري وحقوق الوصول للمعلومات)) في مكتبة الإسكندرية للفترة من ٧ - ٩ تشرين الأول ٢٠٠٨.

١٢ - نظم برنامج المعلومات للجميع (ايفاب) التابع لمنظمة اليونسكو بالتعاون مع مكتبة الإسكندرية، ورشة عمل بعنوان ((تدريب المدربين في مجال المعرفة المعلوماتية)) للفترة من ٤ - ٦ تشرين الثاني ٢٠٠٨. هدفت ورشة العمل إلى تدريب المدربين في مجال المعرفة المعلوماتية على أحدث التقنيات المتبعة في هذا المجال على نحو متخصص وواف، والجمع بينهم لمناقشة وتبادل المعلومات والخبرات المتصلة بالقضايا الراهنة، والنظريات، ومناهج وأساليب التعليم والتعلم، وأفضل الممارسات الخاصة بالتعليم والتدريب في مجال المعرفة المعلوماتية.

ثانياً: المركز العربي للدراسات السياسية والاستراتيجية

المركز العربي للدراسات السياسية والاستراتيجية هو مركز بحثي مستقل يهتم بالأساس بالقضايا العربية على كافة المستويات السياسية والاستراتيجية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية والثقافية، وكذلك العلاقات العربية العربية وعلاقات العرب مع العالم الخارجي. ويسعى المركز العربي إلى طرح رؤى وأفكار تتمسك بالوحدة العربية والإسلامية مع الانفتاح على الثقافات الأخرى والتعامل معها. كما يسعى المركز إلى التفاعل مع كافة المراكز والمؤسسات البحثية والأكاديمية سواء داخل عالمنا العربي والإسلامي أو في كافة أرجاء العالم.

ويقوم المركز بإصدار العديد من الدراسات ومنها:

- ١- سلسلة قضايا عربية وهي دورية شهرية تعني بالقضايا العربية في كافة المجالات.
- ٢- سلسلة دراسات استراتيجية وهي دورية شهرية تعني بالشؤون الأمنية والعسكرية العربية والإقليمية والدولية.
- ٣- التقرير الاستراتيجي السنوي بعنوان «العرب في عام» والذي يضم كافة القضايا والأحداث التي مر بها عالمنا العربي خلال العام.
- ٤- خدمة الملفات البحثية وهي خدمة يقدمها المركز للباحثين والباحثات في كافة المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والتاريخية والتربوية.
- ٥- إقامة العديد من الدورات التدريبية في مجال التنقيف السياسي والقضايا الأمنية والأوضاع العربية وغيرها من الموضوعات ذات الصلة. إلى جانب جائزة سنوية لأفضل البحوث والدراسات في الموضوعات التي يتم تحديدها.

ويسعى المركز العربي لتوفير قاعدة بيانات حول القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والاستراتيجية لتحقيق مجموعة من الأهداف، منها:

- توفير وتسهيل وصول الباحثين والطلاب العرب إلى المعلومات والإنتاج العلمي والفكري في الدول العربية والاستفادة منه، وتسهيل التواصل والتعاون العلمي بين الباحثين والمؤسسات العلمية والثقافة والاقتصادية في العالم العربي.

- العمل على نشر وتوفير المخزون الفكري والعلمي الصادر في العالم العربي للباحثين والأكاديميين، وغيرهم من المهتمين في كل مكان من العالم، وبما يؤدي إلى فتح أو تطوير قنوات الاتصال وتعزيز التعاون والتبادل الثقافي والعلمي بين الباحثين والمؤسسات العربية والباحثين والمؤسسات الغربية بشكل خاص.

- تعزيز مجتمع واقتصاد المعرفة في العالم العربي.

- جعل قاعدة البيانات أداة استقصاء لمؤشرات البحث العلمي في العالم العربي.

ثالثاً: تجربة مركز عالم المعرفة الأردني

الوقوف على تجربة عربية رائدة لمراكز الفكر والدراسات في تأسيس أضخم قاعدة بيانات عربية إلكترونية معرفة تعكس حجم الدور الذي يمكن أن تقوم به المراكز البحثية الخاصة في دعم وخدمة البحث العلمي على الصعيدين العربي والدولي، وهذه التجربة قام بها مركز عالم المعرفة والمركز العلمي للدراسات السياسية في الأردن، ومن المتوقع أن تشكل إضافة نوعية في خدمة البحث العلمي ومؤشراته في العالم العربي، خاصة في ضوء افتقاد الوطني العربي إلى مرصد قومي يعد المؤشرات الكمية والنوعية العربية ويضمن مصداقية البيانات حول البحث والنشر العلمي والإبداعي العربي^(٤٠)، حيث تسعى قاعدة المعرفة العربية الإلكترونية لتوفير جزء من هذه المؤشرات الكمية والنوعية في مجال الدوريات العلمية، وتعكس أيضاً ضخامة هذا المشروع معرفة قدرة مراكز الفكر والبحوث العربية على إنجاز المشاريع الكبرى على المستوى العربي والدولي، والتي عجزت عن إنجازها حتى الآن الشركات العالمية الكبرى المتخصصة في توفير قواعد البيانات العالمية، مثل إبسكو EBSCO وبروكست ProQuest.

هذه التجربة تتمثل في تأسيس مشروع قاعدة البيانات/ المعرفة العربية الإلكترونية معرفة، وهي عبارة عن قاعدة بيانات عربية إلكترونية تحتوي الإنتاج الفكري العربي على شكل نصوص كاملة Full Text وأهم محتويات قاعدة المعرفة العربية الإلكترونية ما يلي:

١- النصوص الكاملة للدوريات الأكاديمية الصادرة في العالم العربي باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية، والتي تصدر سواء من الجامعات أو المراكز البحثية أو

الجمعيات العلمية العربية، حيث أن الدوريات العلمية العربية تعتبر العمود الفقري لمجموعات مكثبات البحث، لما لها من أهمية كبرى في مجال البحث العلمي، ومن الجدير بالذكر بأنه قد تم تحديد مجموعة من المعايير لاختيار الدوريات المشمولة بالمشروع، وهي إما أن تكون علمية محكمة، أو بحثية متخصصة وموثقة المحتوى.

٢- النصوص الكاملة للتقارير الرسمية السنوية والفصلية التي تصدر عن البنوك المركزية في العالم العربي، والأسواق المالية العربية، والتي تمكن الباحثين ومتخذي القرار في مختلف المجالات من الاستفادة منها في الوقت والمكان المناسبين.

٣- التقارير الإحصائية في المجالات الاقتصادية والمالية والاجتماعية والسياسية والسكانية، العلمية والتكنولوجية، وغيرها، والتي تصدر عن دوائر الجهات المعنية في العام العربي، بصورة رقمية ومقروءة آلياً.

٤- ملخصات للكتب الصادرة حديثاً باللغة العربية في المجالات المختلفة، مع كتابة وعرض هذه الملخصات باللغتين العربية والإنجليزية وبشكل رقمي.

٥- ملخصات للرسائل الجامعية، التي تصدر في الدول العربية في مختلف التخصصات وعرض هذه الملخصات باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية.

٦- النصوص الكاملة والمستخلصات للأطروحات/الرسائل الجامعية (الماجستير والدكتوراة) التي يتم إنجازها في الجامعات العربية باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية من خلال إنشاء قاعدة للرسائل الجامعية الرقمية (Digital Dissertations) تحتوي على بيانات عن الرسائل الجامعية التي نوقشت وقبلت في الجامعات العربية مع توفير المستخلصات أو النص الكامل، إن وجد وإتاحة طرق بحث ديناميكية تفاعلية مع نظام الاسترجاع تمكن المستفيد من استرجاع الرسائل بأسرع وقت ممكن، وبنقاط إتاحة متعددة.

٧- توفير خدمة البيانات البيوجرافية لمقالات الدوريات التي تتم إضافتها إلى قاعدة البيانات بشكل دائم وبأكثر من نمط وحسب القواعد العالمية.

رابعاً: رؤية تقييمية لدور مراكز البحوث في نشر الثقافة السياسية

إن مراكز الفكر والبحوث عادة تمارس دورها في التأثير على صنع القرار، أو صياغة السياسات العامة من خلال عدة أشكال أو وسائل، بعضها مباشر، وبعضها غير مباشر، بعضها قد يكون تأثيره على المدى البعيد وبعضها يكون تأثيره على المدى القصير، ويمكن تلخيص أهم أشكال وطرق ووسائل تأثير مراكز البحوث بما يلي:

١- الأنشطة العلمية التفاعلية: وهذا النوع من الأنشطة يتمثل في عقد المؤتمرات أو الندوات وورش العمل حول قضايا تقع ضمن اهتمام المسؤولين وصناع القرار، وعادة المشاركين في هذه الأنشطة تفتح المجال للحوار والنقاش المباشر بين الباحثين أنفسهم أو مع المشاركين من المهتمين من صناع القرار والمسؤولين، وهذا النوع من الأنشطة يكون عادة ثري بالنقد من جهة، وبتوليد الأفكار من الاقتراحات الجدية من جهة ثانية، والتعرف على الاتجاهات العامة لدى الباحثين والخبراء حول القضايا موضوع المؤتمر أو الندوة من جهة ثالثة.

٢- الحلقات البحثية أو اللقاءات المغلقة: وهي تدخل ضمن الأنشطة البحثية التفاعلية، ولكنها عادة تكون بين كبار المسؤولين أو صناع القرار مع فريق من الخبراء المكلفين بإعداد دراسات معينة تتعلق بقضايا معينة أو إعداد سياسات عامة، وقد تكون قبل البدء بالدراسة للتعرف والإحاطة باهتمامات واحتياجات ومتطلبات صانع القرار، وأثناء إعداد الدراسة للتأكد من سلامة سير الدراسة وفق احتياجات صانع القرار ومتطلباته، وكذلك للإطلاع على طبيعة تطورات مسيرة الدراسة، وأخيراً تكون بعد الانتهاء من الدراسة وعادة نتائج هذه الدراسة لا تنشر أو ينشر منها ما هو يخدم أهداف إعداد الدراسة أو صانعي القرار فقط.

٣- وسائل الإعلام: عادة ما تستقطب أو تستضيف وسائل الإعلام، خاصة الفضائيات التلفزيونية والصحافة، الباحثين والخبراء العاملين في مراكز البحوث للإطلاع على آراءهم وتحليلهم العلمي حول القضايا الساخنة أو الأزمات السياسية أو القضايا والسياسات الحكومية مثار الجدل لدى الرأي العام، وغالباً تلعب آراء الخبراء والمحللين دوراً في صناعة أو صياغة أو تعديل مواقف واتجاهات الرأي العام، وهو ما يشكل في بعض الأحيان ضغطاً على صانع القرار لتعديل سياساته وقراراته أو توجيهها إيجابياً له.

٤- المشاركة في النشاط العام: أن العديد من الباحثين والخبراء العاملين في مراكز البحوث والدراسات يتم دعوتهم للمشاركة في لقاءات أو محاضرات وأنشطة عامة، سواء في مؤسسات تعليم جامعية أو في نقابات أو في جمعيات أو مؤسسات المجتمع المدني، وهذه المشاركات قد تكون على مستوى البيئة المحلية أو الوطنية أو النشاط الدولي. وغالباً ما تشكل مشاركة هؤلاء الخبراء والباحثين تسويقياً فاعلاً لآرائهم وأطروحاتهم السياسية أو العلمية، كما يجعل منهم أسماء ومرجعيات ورموز معروفة سواء على المستوى الشعبي أو النخبوي على الصعيد الوطني أو الإقليمي أو الدولي.

٥- العلاقات المباشرة أو الشخصية مع صناع القرار: إن الكثير من الخبراء والباحثين في مراكز البحوث يملكون إما علاقات مباشرة أو سهولة في التواصل مع صناع القرار أو

المسؤولين المعنيين في مجالات الاختصاص أو القضايا المشتركة أو المتشابهة، وهذا ما يسهل من قدرتهم على الإقناع والتأثير ومعرفتهم لاحتياجات ومتطلبات صناع القرار والمسؤولين، كما أن الكثير من الباحثين والخبراء كانوا في مواقع صناع القرار، مما وفر لديهم شبكة واسعة من العلاقات مع المسؤولين وصناع القرار وفي قطاعات مختلفة في المجتمع أو الدولة. ومن ناحية أخرى فإن معظم الباحثين والخبراء في مراكز البحوث يتوفر لديهم الغطاء أو العنوان العلمي المقبول بشكل كبير للتواصل مع المسؤولين أو مؤسسات المجتمع، وخاصة مع المؤسسات الإعلامية والأكاديمية ورجال الأعمال والمسؤولين الحكوميين وغيرهم، كما أن هذا التواصل يوفر لديهم القدرة على بناء شبكة من العلاقات الشخصية مع العديد من هؤلاء المسؤولين، كما أن مشاركتهم في الأنشطة العامة تجعل الكثير منهم رموزاً معروفة تزيد من قدرتهم على الوصول إلى المسؤولين وصناع القرار. ما لم يكن هناك معوقات سياسية تحد من ذلك.

٦- النشر العلمي والمؤلفات العلمية: إن من ضمن الاهتمامات الأساسية وأولويات مراكز البحوث هي النشر العلمي، وهو يشكل المخرجات أو المنتج الأساسي الذي تستهدفه مراكز الدراسات والبحوث، ولا يمكن عند الحديث عن وجود مراكز أبحاث بدون أن يكون له نشر علمي، وإلا فسوف يصنف ضمن قطاع آخر غير قطاع مراكز البحوث والدراسات، وإن النشر العلمي عادة له تأثير على المدى القصير من خلال التغطية الإعلامية وحملة العلاقات العامة للمؤلفات والدراسات الجديدة، وبينما يكون التأثير على المدى المتوسط والبعيد من خلال اعتماد الدراسات والكتب والمؤلفات العلمية في عملي التأليف والنشر كجزء من عملية البحث العلمي، إضافة إلى الاستفادة من مطبوعات ومنشورات مراكز البحوث في كثير من الأحيان في العملية التدريسية لطلبة الجامعات في مؤسسات التعليم العالي.

إن محاولة معرفة مدى تأثير مراكز البحوث والدراسات لدى صناع القرار أو صانعي السياسات العامة دفعت العديد من الباحثين إلى إيجاد مؤشرات أساسية تساعد في معرفة حجم تأثير هذه المراكز، ومن أهم المؤشرات كما يلخصها بعض الباحثين كما يلي:

- مدى العلاقات والاتصالات مع صناع القرار أو صانعي السياسات، أو الإدارة المنفذة أو المشرفة على تنفيذ للسياسات.
- مدى حجم وجودة البحوث والدراسات الصادرة عن مركز البحوث واتساع توزيعها.
- مدى استخدام صانعي السياسات العامة أو متخذي القرار لإصدارات أو أبحاث ودراسات مركز البحوث.
- مدى استخدام أو اعتماد أو اهتمام النخب المتنفذة، مثل كتاب الصحافة والمعلقين الإعلاميين وهيئات التحرير.

عموماً إن نفوذ وتأثير مراكز البحوث والدراسات يعتمد على طبيعة القضية موضع الدراسة وتعميداتها وعلى طبيعة البيئة السياسية والاجتماعية وما يتعلق بها من مستوى الحريات والنمط الثقافي وغيرها، وعلى توقيت العمل في الدراسة وإنجازها، وعلى توفير التمويل اللازم للدراسات مع مستوى الاستقلالية، بالإضافة إلى أهمية ودور الجهة الداعمة والمنفذة للدراسات التي تعمل على إنجازها مراكز الدراسات وغير ذلك من العناصر.

المبحث الرابع

إشكاليات مراكز البحوث والدراسات في الوطن العربي

على الرغم من أهمية البحوث العلمية في عملية نشر الثقافة السياسية وصناعة القرار في الدول الغربية، وفي تقديم علاج لأهم القضايا المطروحة، فإن الأمر لا يبدو منطيقاً كلياً على مراكز البحوث المنتشرة في الساحة العربية، إذ لا توجد علاقة واضحة المعالم بين صانع القرار والمراكز، وذلك لأسباب عديدة منها: قلة المراكز التي قد تقدم أوراقاً علمية لصناع القرار، وعدم ارتباط الحكومات للمراكز البحثية في أحيان كثيرة، واقتناع صانع القرار بأن الدراسات والمراكز الغربية والأجنبية هي الأجدي، ولذلك فهو يفضل التعاقد مع مراكز بحثية دولية لإجراء دراسات عن الواقع المحلي، بدلاً من التعاقد مع المراكز المحلية.

وندرج أدناه، أهم المشكلات (وليس جميعها) التي تعيق عمل مؤسسات البحث في الوطن العربي، وتحد من دورها ونشاطها، علماً أن الباحث قد أثر عدم التطرق إلى بعض العقبات والمشاكل الخاصة بحدود بعض المؤسسات البحثية:

أولاً: مشكلة التمويل Funding

تعد هذه المشكلة أهم عائق وتحد تواجه المؤسسات البحثية الخاصة في الوطن العربي، فالافتقار إلى مصادر التمويل المستقلة قد أثر سلباً في عملها وديمومتها، فالتمويل هو مفتاح البحث، ومن دونه يتعذر على الباحثين إنجاز المطلوب، أو فتح مؤسسة بحثية وتجهيزها بالأثاث المكتبي وأجهزة الحاسوب ووسائل الاتصال ومكتبة ورواتب للكوادر البحثية والعاملة، إن الباحث يحتاج إلى استقرار مادي، وتفرغ كامل لنشاطه البحثي، مما يقتضى خلق موازنة تتوافق مع المهمة التي على الباحث القيام بها، وقد تفضى هذه العقبات بالباحث إلى اللجوء إلى بلاد أخرى (خصوصاً البلدان الأوروبية)، حيث يمكنه أن يحظى برواتب مغرية تقدمها مراكز البحوث، سعياً إلى استقطاب الكفاءات العربية، ولهذا توجد مشكلة في توفر الكوادر البحثية المؤهلة، ودون التمويل، لا يتسنى للمركز أن يقوم بأنشطته، ولا أن يحقق أهدافه من خلال المؤتمرات والندوات وورش العمل ونشر

الكتب والمجلات، وكل هذه الوسائل، هي من أهم أدوات البحث العلمي. ودون التمويل، لا يستطيع المركز البحثي تحديد أجندته البحثية، واختيار نوعية الخبراء والباحثين، والوصول إلى مستوى الكفاءات العلمية القائمة على البحوث والدراسات. وعليه تعد هذه الإشكاليات من أهم التحديات التي تواجه مراكز البحوث الخاصة، فالتمويل هو مفتاح البحث وروحه، ودونه يتعذر على المراكز تحقيق المطلوب منها، وبسبب هذه المشكلة، تقع مراكز البحوث في حبال التمويل الأجنبي، وتصبح محل نقد واتهام بعلاقتها بالأجندات الأجنبية.

لقد استطاعت الدول الغربية وتحديدًا أوروبا والولايات المتحدة^(xx) أن تخلق آليات ووسائل تمكنها من توفير الميزانيات اللازمة للإنفاق بسخاء على مراكز البحوث ومصادرها، على الرغم من سعة انتشارها وزيادة أعدادها، ويتضح من المعطيات المتوفرة لدينا، أن مجموع ما يصرف على البحوث في الوطن العربي، لا يساوي ١٠٪ من مجمل الدخل القومي، بينما في العالم الغربي والدول الصناعية يصرف ٤٪ من مجمل الدخل على البحوث، كما أن عدد الباحثين في الدول العربية، ما زال دون الرقم المطلوب، إذ يوجد ٣٠٠ باحث لكل مليون شخص، بينما يصل العدد في العالم المتحضر إلى أربعة آلاف باحث لكل مليون شخص.

وتقدم الأرقام الواردة في إحصاءات اليونسكو وتقارير التنمية الإنسانية العربية صورة غير مبهجة عن كيفية تعاطي الوطن العربي مع البحوث، فنسبة التمويل العربي للبحث العلمي، تتراوح بين ١، ٠٪ و ٣، ٠٪ لمجمل الوطن العربي، وتدخل ضمنها النفقات الإدارية، في حين تصل في السويد وفرنسا مثلاً إلى ٣٪ من الموازنات العامة، أما في إسرائيل، فتصل نسبة الإنفاق على البحوث العلمية إلى ما يوازي ٦، ٤٪ من الموازنة العامة للدولة، وما يوازي ٣٠٪ من الموازنة الحكومية المخصصة للتعليم العالي. وفي ما يخص الإنتاج المنشور سنوياً، فإن مجموع البحوث في الوطن العربي، لا يتعدى ١٥ ألف بحث، والحال أن عدد أعضاء هيئة التدريس في الجامعات والمعاهد العليا، يصل إلى حوالي ٥٥ ألف أستاذ، أي أن معدل الإنتاجية هو في حدود ٣، ٠٪، وفي المقابل يبلغ معدل الإنتاجية في الدول المتقدمة نحو ١٠٪^(٤٢).

وبالعودة إلى عائق تمويل مراكز البحوث، يتبين أن معظم المراكز البحثية الخاصة، تتجه نحو المؤسسات المانحة، وتقع في حبال التمويل الأجنبي بكل أشكاله، فتصبح حينها مراكز مشبوهة في نظر الحكومات، ويعرضها ذلك إلى المساءلة القانونية، وعلى الرغم من أن معظم المراكز تلجأ إلى الجهات التمويلية الأجنبية، فإنها قد لا تحصل على التمويل إلا إذا ما كان ضمن أولويات الجهة التمويلية. كما قد تفرض أجندات على المراكز البحثية،

إذ أن عملية تمويلها، تشكل عبئاً على حيادية البحوث وموضوعيتها، لا سيما أنه لا توجد جهة تمويلية بريئة على حد رأي أحد مدراء مراكز البحوث في الأردن، ومن المعروف أيضاً، أن التمويل هو مدخل على القرار والتوجه والأجندة في العادة، فواضع الأجندة هو الذي يصنع القرار، ويحدد الأولويات والاهتمامات والتمويل الأجنبي يهدف إلى التأثير في مجريات التغيير في المجتمع العربي، ولذلك فهو لا يخضع لقاعدة العمل الخيري أو نظرية البراءة، وعليه فإننا نعارض التمويل الأجنبي، بالشكل الذي ترسمه الجهات الداعمة حالياً. إذ أنه قد يحمل في طياته إمكانات التأثير السلبي في توجهات مؤسساتنا واهتماماتها وأولوياتها، مما قد ينجم عنه أيضاً التأثير في المجتمع، ثم أننا لا نغفل عن أن أولويات العمل المدني في المجتمع ووضع البحوث والدراسات، تختلف في وضعنا العربي عنها في المجتمعات الغربية، وذلك لاعتبارات الثقافة، والبنية الاجتماعية من جهة، والفارق الحضاري من جهة أخرى.

ثانياً: الافتقار إلى الموضوعية والاستقلالية في العمل

ومما لا شك فيه هو أن قيمة البحوث والدراسات التي تنتجها المؤسسات البحثية، تكمن في حياديتها واستقلالياتها ومهنياتها، ولا تتحقق هذه المهنية إلا بهامش كبير من الحرية، يمنح لمراكز البحوث حتى تحدد أولويات عملها واختيار أجندتها البحثية، بعيداً عن أي مؤثرات خارجية، ولن يتحقق ذلك إلا من خلال توفير تمويل غير مشروط، من شأنه عدم التأثير في تحديد الأولويات البحثية، ومخرجاتها، ومنهجية التحليل العلمي، والتوصيات، ويحتاج الباحث إلى استقلالية في عمله، وإلى حرية في نشاطه، من دون خضوع لوصاية على فكره وإنتاجه، وهو أمر يصعب توفره فعلياً في ظل «أنظمة وصائية ومتسلطة»، تخاف من حرية الرأي والتعبير، وكشف الحقائق والمستور في مجتمعاتها»^(٤٢).

ثالثاً: غياب الاستقلالية في العمل المؤسسي

هذا نابع من طبيعة الأنظمة السياسية العربية ذات التركيبة السلطوية وتوجهاتها، وقد ينعدم التواصل بين الحكومات ومراكز البحوث، وقد تختلف أيضاً توجهات طرف واختياراته عما استقر لدى الطرف الآخر، لا سيما أنه يوجد نوع من التجاهل أو ضعف الثقة بين المسؤولين أو صناع القرار تجاه مراكز البحوث، إما نتيجة بعض الشكوك من قبل صانع القرار في الاستقلالية السياسية، أو في ارتباط بعض المؤسسات البحثية بتيارات سياسية معينة، أو ارتباطها بدول أخرى، أو ربما من خلال ارتباطها بالتمويل الأجنبي.

ومن الأمور التي تؤثر في موضوعية البحوث، الخلفية الأيديولوجية للباحث، إذ قد يفسر القضايا وفقاً لما يؤمن به من مبادئ وتصورات، كما يمثل انعدام قاعدة البيانات اللازم

لإجراء البحوث عاتقاً آخر يحول دون تحقيق تلك الموضوعية، يضاف إلى ذلك نمط التعليم السائد في معظم المدارس والجامعات، والذي يتجه نحو التعليم التلقيني، ولا يغفل كذلك عن الرهبة من السلطة... إلخ.

رابعاً: ضعف آليات التعاون والشراكة الحقيقية بين مراكز الدراسات الخاصة والحكومية والأكاديمية على المستوى العربي

لا شك أن هناك عدم توفر قنوات اتصال وشبكة تنسيق بين مراكز البحوث العربية والعالمية، لنقل الخبرة وتأسيس معرفية، لا سيما أن لهذه المراكز دوراً مشتركاً في تهيئة المجتمع، لمواكبة التقدم السريع في مجال العلم والتكنولوجيا وثورة المعلومات، وإذا حدث تواصل بين المراكز البحثية العربية والأخرى العالمية، فإنها تكون محصورة بين الأشخاص لا المؤسسات. يضاف إلى ذلك تسجيل ضعف في التنسيق بين مراكز البحوث والقطاع الخاص والمراكز الأكاديمية في الجامعات، إذ هي (الجامعات) تستكف من دعم مراكز البحوث والدراسات باشتراكاتها، وذلك لأسباب كثيرة، يعود بعضها إلى هوى حكومي، أو فقر معرفي، وغالباً ما تكون مخصصات البحث العلمي في هذه الجامعات وهي قليلة أول ضحية تقدم عند أي سياسة تقشف تسلكها إدارتها.

خامساً: غياب قواعد البيانات الرئيسية

لا شك أن هناك إشكالية تتمثل في ضعف المعلومات، وعدم توفر قواعدها وفق النظم المعلوماتية الحديثة حتى يتسنى استخدامها من قبل الباحثين، وعدم توفر مصادر للمعلومات والبيانات العلمية حديثة المصدر لا سيما أنها الأساس لإعداد البحوث والدراسات، يضاف إلى ذلك الافتقار إلى الكتب والدوريات خاصة منها تلك التي تتعلق بدراسة القضايا المعاصرة، وفي هذا السياق نفسه، نذكر قلة البيانات اللازمة لإجراء البحث، وانعدامها كلياً، ونخص بالحديث تلك التي تتعلق بالقضايا التي تعدها الدولة حساسة، ونضيف إلى ذلك صعوبة الحصول على إحصاءات وبيانات من جانب الجهات الحكومية.

سادساً: إشكاليات البنية المؤسساتية والفكرية لمراكز البحوث والدراسات

تبدو بيئة مراكز البحوث العربية غير «مولدة للأفكار المتجددة والإبداع»، ويتربط هذا الأمر ربما بغياب نظام جاذب يحفز الكفاءات وذوي الخبرة على الالتحاق بمراكز البحوث، وضعف الحوافز التي تسند إلى الباحثين لتشجيعهم على العمل المبدع، وقلة فرص إشراكهم في دورات علمية، كما تشكو مراكز البحوث في الوطن العربي من ضعف الإمكانيات التسويقية للإنتاج المعرفي، عند نشر كتب أو دوريات أو مجلات علمية... إلخ.

سابعاً: إشكالية «تسييس» مراكز البحوث والدراسات

مع انتشار مراكز البحوث والدراسات واتساعها، اتسم بعضها بطابع أدبيولوجي، مما أدى إلى تسييسها فمن الناحية المنهجية، لا شيء يمنع مراكز البحوث من أن تكون لها تفضيلات وأوليات أدبيولوجية وسياسية، غير أن المقصود بـ «التسييس»، هو أن يفقد مركز ما صفة الموضوعية، وأن يجري جمع البيانات بشكل انتقائي لخدمة وجهة نظر محددة سلفاً، ونرى أهمية انفتاح المركز على عناصر وآراء بحثية متنوعة، حتى لا يقع باحثوه كما يرى علي الدين هلال في أسر أفكار نمطية Groupthink^{٤٤}.

ثامناً: غياب مقياس أو أدوات لتقييم أداء المؤسسات البحثية عربياً

يضاف إلى ذلك عدم وجود معطيات واضحة ومنشورة ومحدثة عن تلك المراكز لتقييم أدائها المهني، وهذا يتطلب وجود قاعدة بيانات شاملة، تضم تحت مظلتها كل مراكز البحوث العربية، وتشرف عليها لجنة مستقلة. وبناء على ما تقدم من حديث عن المعوقات والتحديات التي تواجه مراكز البحوث العربية، نشير في المبحث التالي والأخير إلى الحلول والمقترحات والتوصيات التي نعتقد أنه بفضلها تستطيع المراكز البحثية أن تؤدي استحقاقاتها وأن تنشط دورها.

المبحث الخامس

نحو رؤية لتفعيل دور مراكز البحوث والدراسات في الوطن العربي

لا ريب أن مراكز البحوث والدراسات في الوطن العربي في حاجة ماسة إلى إعادة النظر في ارتباطها الإداري والتنظيمي، ودورها في التنمية وتحليل السياسات، ومستوى مساهمتها في معالجة قضايا المجتمع، ومواكبة التغيرات المتلاحقة التي يعيشها العالم في مجالات اختصاصها، إذ ينبغي أن تعمل على استقطاب أفضل العقول البشرية لمواجهة متطلبات التطوير وتحديات العصر الذي نعيشه، كما أنها بحاجة إلى تبني آليات عمل أكثر مرونة وتفاعلاً مع مشاكلنا وقضايانا، وفي ضوء هذه المعطيات، نلتزم الحاجة إلى وضع استراتيجية يكون فيها لمراكز البحوث الدور الفاعل في تحديد المشاكل والمواضيع التي تتطلب اتخاذ القرارات. كما يتوجب على المراكز أن تستعيد دورها الذي أنشئت من أجله، كأداة فعالة لإنتاج المشاريع الاستراتيجية، وخلايا تفكير عميقة تعمل لإنضاج المشاريع العلمية، وبلورة الإشكالات القائمة ودراساتها وفق تكامل منهجي علمي انسجامي، لهذا السبب، تعد مراكز البحوث ضرورة من ضرورات الحياة المجتمعية، وعليه يجب الإسراع إلى توفير بيئة حاضنة لا طاردة لمراكز البحوث في الوطن العربي، وينبغي أن يقدم لها الدعم اللازم لبناء خطط التنمية المستقبلية، ولا بد من إيلاء مراكز البحوث السياسية

والاستراتيجية وتلك التي تعنى بتحليل الشؤون الدولية، أهمية لما لها من دور أساسي وريادي في توفير المعلومات والدراسات والمخططات الأولية والبحوث العلمية لفهم تفاصيل الجوانب الأخرى من الحياة، نعني الاقتصادية والتنموية، يحررنا في ذلك الإيمان بأن العامل السياسي هو المحرك الأساسي لبقية الأنشطة الحياتية، خصوصاً في وقتنا الراهن. ويمكن تحديد أبرز محاور الاستراتيجية المقترحة فيما يلي:

أولاً: توفير البيئة المناسبة للقائمين على العمل البحثي في تلك المراكز

كما نحتاج إلى العمل على توفير البيئة المناسبة والديمقراطية للقائمين على العمل البحثي في تلك المراكز، وفتح نافذة للتواصل بينها وبين غيرها من المراكز من جهة، وبينها وبين صناع القرار من جهة أخرى، فبذلك يمكن تفعيل دورها الريادي لصناعة القرار السياسي الصائب والسليم، وإعطاءها الاستقلالية المالية والإدارية عن الحكومات، وذلك حتى لا تقع في إشكالية التمويل الأجنبي، وحتى تكون وجهات نظرها حرة مستقلة وحيادية.

ثانياً: تأمين التمويل الضروري لمراكز البحوث

من خلال منح تسند من ميزانية الدول، وتوكل هذه المهمة مثلاً إلى وزارة التنمية الاجتماعية أو السياسية أو وزارة التخطيط، أو يقع تأسيس جهة مستقلة تتولى الإشراف على مراكز البحوث ومنظمات المجتمع المدني ككل، أو إنشاء وزارة تعني بقضايا البحث العلمي لتكون الجهة المسؤولة عن توفير الدعم المعنوي والمالي لمؤسسات البحث العلمي ومراكزه في القطاعين الخاص والعام، وأن تكون طرفاً منسجماً لمجالات الاهتمام والتخصص. إن إحصاء الدول العربية عن تمويل مراكز البحوث، من شأنه أن يضطر هذه المراكز إلى التعامل مع مصادر التمويل الأجنبي، مما قد يشكل بدوره اختراقاً يخدم أجندة هذه الجهات، ويجعل هذه المراكز أسيرة للتمويل الأجنبي ومحط اتهامات المشككين فيها.

ثالثاً: اتباع النهج العلمي والموضوعي بعمل مراكز الدراسات

ينبغي على هذه المراكز البحثية، أن تراعي في دراستها: العلمية، والدقة، والموضوعية، وهذا ما سيؤدي إلى بناء حالة من الثقة بين هذه المراكز والقطاع العام والمواطن أيضاً، ومن ثم تنشأ ضرورة الاستفادة من هذه المراكز، وربطها بالتخطيط الاستراتيجي للدولة في حل مشاكل المجتمع المختلفة، وللحاق بركب الدول المتقدمة. ومن المهم أن ننظم مراكز البحوث، المؤتمرات وورش العمل والندوات، بصورة دورية، لما لذلك من أثر في إثراء النقاشات، وتوجيه الرأي العام، والتعريف بمفاهيم قد تغيب عن الذهن، أو لا تخطر على بال المواطن أو حتى صانع القرار.

رابعاً: التعاون بين مراكز البحوث العربية

أهمية قضية التنسيق بين مراكز البحوث والدراسات، فالتنسيق يزيد من احترام المنتج العلمي الصادر عن هذه المراكز، وغيلائه التقدير الذي يستحق، وهو ما يؤدي إلى احتمال خلق تيار عام، يؤمن بأهمية أن يسبق البحث والتفكير والتحليل والتقييم وطرح البدائل، اتخاذ أي قرارات أو اتباع أي سياسات. مع زيادة ربط مراكز البحوث بالواقع العملي، وبمناهج البحث العلمي الحديثة، وبمصادر المعلومات الموثقة، باعتبارها خطوطاً أساسية لإنتاج البحوث والدراسات.

خامساً: اتباع إجراءات محددة لتفعيل العمل البحثي للمراكز ومن أهمها:

- منح مراكز البحوث هامشاً من الحرية والاستقلالية والحركة، وتمكينها من الحصول على المعلومات، خاصة منها المخبأة في درج الحكومات، إضافة إلى تسهيل وصول الباحثين إلى الإنتاج العلمي والمعرفي لمؤسسات بحثية أخرى.

- قيام المراكز البحثية باستقطاب الكفاءات من الباحثين وذوي الخبرة، والاهتمام بهم، وتقديم الدعم لهم، والعمل على رفع مستواهم العلمي والمعرفي وتطوير مهاراتهم، وذلك عن طريق دورات، أو تبادل خبرات بين المراكز العربية والغربية، كما أن استقطاب الكفاءات الأكاديمية، وتكليفها بدراسات وأبحاث، من شأنه أن يعود بالنفع على هذه المراكز.

- بناء شراكة حقيقية بين المراكز البحثية ووسائل الإعلام المختلفة، للتعريف بها وبأهميتها، وعرض نتائجها، وما تقوم به من نشاطات، وفي هذا السياق، تسند أهمية كبرى لتنظيم العلاقة بين مراكز البحوث ووسائل الإعلام بمختلف أشكالها، وعلى نحو متوازن، تقوم فيه وسائل الإعلام بإحاطة الرأي العام بنتائج البحوث ووجهات النظر المختلفة.

- ضرورة فتح نافذة تواصل بين المؤسسات البحثية، والمؤسسات الحكومية، ومتخذي القرارات فيها، وذلك للوقوف على احتياجات صانع القرار في الجهاز الحكومي، التشديد على انخراط طالب الدكتوراة والماجستير في العلوم السياسية أو في حقل العلوم الاجتماعية والإنسانية في هذه المراكز، حتى يتسنى له إنجاز رسالته في مختبرات البحث، والاستعانة بما فيها مراجع وأبحاث، وينبغي عليه أن يقضي ساعات معينة في أحد مراكز البحوث، كأحد متطلبات الحصول على الشهادة، وأن يشارك أساتذة منتسبون إلى تلك المراكز في مناقشة أطروحاته.

- السعي نحو التخصص في عمل مراكز البحوث العربية، وهو شرط أساسي في مجال المنافسة والتميز وتقتضي التخصصية اختيار أحد المجالات التالية: المجال الجغرافي، أو المجال السياسي والاقتصادي والاجتماعي والاستراتيجي، أو طابع الاستشارات، أو مجال الدراسات الأوروبية أو الأميركية أو الآسيوية، أو مجال العلاقات الدولية، وغير ذلك من التقسيمات التخصصية، ويمكن تشكيل لجنة أكاديمية عربية عليا، تقترح البرامج والأجندات سنوياً، وتأخذ بعين الاعتبار ما يقع من متغيرات، ثم تطرح تلك البرامج على مختلف مراكز البحوث العربية لتختار من بينها، كما أن تبادل المراكز للخطط السنوية في البحوث والمؤتمرات قبل بداية العام، من شأنه أن يساهم في دعم بناء تكامل عربي حقيقي، بحيث يدعم كل مركز المركز الآخر في مجاله.

- تشكيل هيئة أو مؤسسة لمجموع مراكز البحوث المنتشرة في الوطن العربي، وذلك لتحقيق التنسيق المتكامل بينها، وهذا يقودنا إلى الحديث عن فتح نافذة للتواصل بين هذه المراكز، وإنشاء مرصد تقع من خلاله متابعة مستجدات عملها ونشاطها، والبناء على قاعدة البيانات التي أعدت لخدمة هذا البحث وتحديثها بشكل دوري، مخاطبة مراكز البحوث التي لم يتسنى للباحث الحصول على معلومات عنها، وتحديث المعلومات الخاصة بها، حتى تستخدم كمرجع لمراكز البحوث والباحثين والمهتمين.

- ضرورة وجود شبكة تجمع تحت مظلتها مراكز البحوث العربية، وقد يؤسس شبكة من خلال الدعوة إلى مؤتمر إقليمي، تقع فيه دعوة مدراء مراكز البحوث الفاعلة، بإنشاء شبكة تؤسس شراكة عملية وبحثية بينها.

مراجع الدراسة

١- باللغة العربية

أولاً: الكتب

- (١) جابريل الموند - وبنجهام باول الابن، السياسات المقارنة في وقتنا الحاضر نظرة عالمية، ترجمة هشام عبد الله، الدار الأهلية للنشر والتوزيع الأردن، الطبعة الأولى ١٩٩٨.
- (٢) خالد وليد محمد، دور مراكز الأبحاث في الوطن العربي: الواقع الراهن وشروط الانتقال إلى فاعلية أكبر، الدوحة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، يناير ٢٠١٣.
- (٣) دونالد أبلسون، هل هناك أهمية للمؤسسات البحثية؟ تقويم تأثير معاهد السياسة العامة (أبوظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ٢٠٠٧).
- (٤) د. سامي الخزندار دور مراكز الدراسات الخاصة في البحث العلمي وصناعة السياسات العامة: إطار عام، الجامعة الهاشمية الأردن، ٢٠١٢.
- (٥) فيليب برو، علم الاجتماع السياسي، ترجمة د. محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٨، ص ٢١٣.

- ٦) د. كمال المنوفي، الثقافة السياسية للفلاحين المصريين: تحليل نظري ودراسة ميدانية في قرية مصرية، بيروت، دار بن خلدون، ط ١، ١٩٨٠، ص ٢١.
- ٧) لأري دايمنوند، مصادر الديمقراطية ثقافة المجموع أم دور نخبة، ترجمة سمية فلو عبود، دار السافي، بيروت- لبنان، طبعة أولى ١٩٩٤، ص ١٦.
- ٨) د. محمد علي محمد، أصول الثقافة السياسية للفلاحين المصريين: تحليل نظري ودراسة ميدانية في قرية مصرية، بيروت، دار بن خلدون، د. ت.
- ٩) مهدي شحادة، وصالح بكري الطيار، دور مراكز الدراسات العربية في صناعة القرار، بيروت، مركز الدراسات العربي الأوروبي، ١٩٩٩، ط ١، ص ١١.
- ١٠) د. نيفين عبد الخالق، الخطاب الديني والعقل السياسي المصري في كمال المنوفي، وحسنين توفيق (محرران)، الثقافة السياسية في مصر بين الاستمرارية والتغيير، إصدار مركز البحوث والدراسات السياسية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٢.

ثانياً: الرسائل العلمية

- ١) عبد الجبار ردمان، التنمية وقضية الديمقراطية في المجتمعات النامية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب قسم الاجتماع، جامعة الإسكندرية، ٢٠٠٤.
- ٢) ماجدة أحمد شفيق غنيم، أثر الأمية على الثقافة السياسية للمرأة المصرية: دراسة ميدانية للمرأة الحضرية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، د. ت.

ثالثاً: الدوريات

- ١) خالد غزال، مراكز الأبحاث العربية وهزال إنتاج المعرفة، صحيفة الحياة اللندنية، الجمعة، ٢٦ آذار/ مارس ٢٠١٠.
- ٢) عبد الرزاق الفارس، مراكز البحوث وصناعة القرار في دولة الإمارات العربية المتحدة، مجلة التنمية والسياسة الاقتصادية، المجلد الخامس، العدد الثاني، يونيو ٢٠٠٣.
- ٣) د. عبد الغفار رشاد محمد، الثقافة السياسية العربية: دراسة في التحول الديمقراطي، منبر الحوار، السنة التاسعة، العدد ٣٤، (خريف ١٩٩٤).

رابعاً: مقالات على شبكة المعلومات الدولية «الإنترنت»

- ١- مراكز البحث وصناعة التغيير مطابيح لصناع القرار وخلايا تفكير للإبداع، شبكة النبا، ٢٠٠٩/٦/٩.
www.annabaa.org/nbanews/2009/06/100.htm.
- ٢- هشام الشهباني، مراكز الأبحاث وأهميتها، موقع دنيا الوطن، على الرابط:
<http://pulpit.alwatanvoic.com/articles/2011/08/07/234398.html>.

١- باللغة الأجنبية

- 1) Beer. M. Samuel & Liam Adam, patterns of government. New York Rout Ledge, 1970.
- 2) He Li, «The Role of Think Tanks in Chinese Foreign Policy», Problems of Post-Communism, vol. 49, no. 2, pp. 33-43, March/April 2002.
- 3) Howard J. Wiarda, «The New Powerhouses: Think Tanks and Foreign Policy» American Foreign Policy Interests, 2008
- 4) James G. McGann, «The Think Tanks Index», Foreign Policy, pp 82-84, January/ February, 2009.
- 5) Michael G. Roskin et al., Political Science An Introduction (Englewood New Jersey. Prentice Hall, 1988).
- 6) Robert O'neill, "Think Tanks & Their Impact", Asia-Pacific Review, Vol. 15, No. 2, pp9-12, 2008.

الهوامش

- (*) إن نشأة مراكز الأبحاث على الصعيد العربي، قد بدأت في الخمسينيات في مصر، ففي عام ١٩٥٢، أسس معهد البحوث والدراسات العربية، الذي كان يرتبط بالجامعة العربية، والذي ركز لاحقاً على المجال التدريسي والتأهيل الجامعي.
- (٢) راجع: د. سامي الخزندار دور مراكز الدراسات الخاصة في البحث العلمي وصناعة السياسات العامة: إطار عام، الجامعة الهاشمية الأردن، ٢٠١٢.
- (٣) هشام الشهواني، مراكز الأبحاث وأهميتها، موقع دنيا الوطن، على الرابط:
<http://pulpit.alwatanvoic.com/articles/2011/08/07/234398.html>.
- (٤) مراكز البحث وصناعة التغيير مطابيح لصناع القرار وخلايا تفكير للإبداع، شبكة النبا، ٢٠٠٩/٦/٩.
www.annabaa.org/nbanews/2009/06/100.htm.
- (5) Lain Mclean Oxford ; Concise Dictionary of politics
- (٦) فيليب برو، علم الاجتماع السياسي، ترجمة د. محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٨، ص ٢١٢.
- (7) Michael G. Roskin et al., Political Science An Introduction (Englewood New Jersey. Prentice Hail, 1988) p. 128.
- (8) Lucian pye, political Culture, International Encyclopedia of the Social.
- (٩) - جابريل الموند - وبنجهام باول الابن، السياسات المقارنة في وقتنا الحاضر نظرة عالمية، ترجمة هشام عبد الله، الدار الأهلية للنشر والتوزيع الأردن، الطبعة الأولى ١٩٩٨ م. ص ٦٩.
- (11) Beer. M. Samuel & Liam Adam, patterns of government. New York Rout Ledge, 1970. p. 30
- (١٢) لآري دايموند، مصادر الديمقراطية ثقافة المجموع أم دور نخبة، ترجمة / سمية فلو عيود، دار الساقبي بيروت لبنان طبعه أولى ١٩٩٤ م ١٦.
- (١٣) عبد الجبار ردمان، التنمية وقضية الديمقراطية في المجتمعات النامية، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب قسم الاجتماع جامعة الإسكندرية، ص ١٤٤.
- (١٤) د. كمال المنوفي، الثقافة السياسية للفلاحين المصريين: تحليل نظري ودراسة ميدانية فر قرية مصرية، بيروت: دار بن خلدون، ط ١، ١٩٨٠، ص ٢١.
- (١٥) د. عبد الغفار رشاد محمد، الثقافة السياسية العربية: دراسة في التحول الديمقراطي، منبر الحوار، السنة التاسعة العدد ٣٤ (خريف ١٩٩٤) ص ٦٢.
- (١٦) كمال المنوفي الثقافة السياسية للفلاحين المصريين، مرجع سابق، ص ٢٢.
- (١٧) د. نيفين عبد الخالق، «الخطاب الديني والعقل السياسي المصري» في كمال المنوفي، وحسين توفيق (محرران) الثقافة السياسية في مصر بين الاستمرارية والتغيير، إصدار مركز البحوث والدراسات السياسية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة.
- (١٨) لمزيد من المعلومات حول هذه الدراسات انظر: - ماجدة أحمد شتيق غنيمه، أثر الأمية علي الثقافة السياسية للمرأة المصرية: دراسة ميدانية للمرأة الحضرية، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير من كلية الاقتصاد.
- د. محمد علي محمد، أصول الثقافة السياسية للفلاحين المصريين: تحليل نظري ودراسة ميدانية في قرية مصرية، بيروت: دار بن خلدون.
- (19) Howard J. Wiarda, "The New Powerhouses: Think Tanks and Foreign Policy" American

- Foreign Policy Interests, 30: 96 -117, 2008, p. 96.
- (20) James G. McGann, The Global “Go – To Think Tanks 2009”, Thank Tanks and Civil Societies Program, Final United Nations University Edition, January 2010, p. 65.
- (21) <http://www.rand.org/about/history.html>.
- (22) Howard J. Wiarda, “The New Powerhouses: Think Tanks and Foreign Policy”, American Foreign Policy Interests, Vol. 30, No. 2(March – April 2008), p. 96.
- (٢٣) خالد وليد محمد، دور مراكز الأبحاث في الوطن العربي: الواقع الراهن وشروط الانتقال إلى فاعلية أكبر، الدوحة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، يناير ٢٠١٣.
- (٢٤) Robert O’neill, “Think Tanks & Their Impact”, Asia-Pacific Review, Vol. 15, No. 2, pp. 9-12, 2008, p. 10.
- (٢٥) لمزيد من التفاصيل حول تطور المراكز البحثية وتوسع دائرة نفوذها، انظر المرجع نفسه، ص ٩-١١.
- (٢٦) هذه المراكز تغطي ٩ مجالات تخصص، وهذه المجالات هي: التنمية الدولية -International Development، السياسة الصحية (Health Policy)، البيئة (Environment)، الأمن والشؤون الدولية (Security & International Affairs)، السياسة الاقتصادية المحلية (Domestic Economic Policy)، السياسة الاقتصادية الدولية (International Economic Policy)، السياسة الاجتماعية (Social Policy)، للسياسات العامة في العلوم والتكنولوجيا Science (Technology & Trans-), الشفافية والحكم الرشيد (Trans-), (parency & Good Governance).
- (٢٧) خلال العقدين الأخيرين، ظهرت عدة مقاربات لدراسة المؤسسة البحثية، تمثل المقاربة الأولى تيار الأغلبية الضخمة لدراسات المؤسسات البحثية، وهي تركز إما على تاريخ مؤسسات بحثية محددة، أو على تطوير دور المؤسسات البحثية وتغيره في دول معينة، وقد كتب الكثير من الباحثين قصصاً تاريخية حول نشأة أول مؤسسات بحثية في العالم، ومن المأخذ على هذه المقاربة، أنها ببساطة قصص تاريخية لا توفر إلا القليل من البيانات، وقد ركزت المقاربة الثانية والأكثر نظامية على اشتراك المؤسسات البحثية في ما يشير إليه طلاب السياسة العامة باسم مجتمعات المعرفة أو السياسة، وتتكون هذه المجتمعات من أفراد ومنظمات مدعويين بحكم خبرتهم السياسية إلى المشاركة في النقاش حول السياسة مع صناع القرار في الحكومة، وقد بدأت مجموعة ثالثة من الباحثين في التفكير في استخدام مقاربة أكثر شمولاً في دراسة مشاركة المنظمات غير الحكومية في صنع السياسة والقرار، وهو ما يعرف بمقترحات (جون كنگدون Kingdon John ودينيس ستيرز Denis Stairs). وتقوم هذه المقاربة أساساً، على الكيفية التي تسعى بها الجماعات إلى تضمين القضايا في الأجندة السياسية، والكيفية التي تحاول بها نقل أفكارها إلى صانعي السياسة، لمعرفة المزيد انظر: دونالد أبلسون، هل هناك أهمية للمؤسسات البحثية: تقييم تأثير معاهد السياسة العامة (أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ٢٠٠٧)، ص ٧٧-٧٨.
- (28) James G. McGann, “The Think Tanks Index”, Foreign Policy, pp 82-84, January/ February, 2009, p. 82.
- (٢٩) عبد الرزاق الفارس، «مراكز البحوث وصناعة القرار في دولة الإمارات العربية المتحدة، مجلة التنمية والسياسة الاقتصادية، المجلد الخامس، العدد الثاني، ص ١١٣-١٢٧، يونيو ٢٠٠٢، ص ١١٧-١١٨.
- (٣٠) المرجع نفسه، ص ١١٨. 31 97 p. cit, Op. Howard J. Wiarda.
- (٣٢) لمزيد من التفاصيل راجع:
- He Li, “The Role of Think Tanks in Chinese Foreign Policy”, Problems of Post-Communism, vol. 49, no. 2, pp. 33-43, March/April 2002, p. 38.
- (33) He Li, “The Role of Think Tanks in Chinese Foreign Policy”, Problems of Post-Comm-

- nism, op, cit, p.p 38-39.
- (34) He Li, "The Role of Think Tanks in Chinese Foreign Policy", Problems of Post-Communism, op, cit, p.p 38-39.
- (35) He Li, "The Role of Think Tanks in Chinese Foreign Policy", Problems of Post-Communism, op, cit, p.p 38-39.
- (٣٦) من المراكز البحثية في العالم العربي التي تعطي اهتماماً خاصاً لهذا النوع من العلم في العالم العربي المركز العلمي للدراسات السياسية في الأردن، وقدم فيه بعض المؤلفات العلمية، وعقد العديد من الدورات للمئات وأساتذة الجامعات ومسؤولي الإدارة الوسطى في عدد من الدول العربية.
- (٣٧) لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع، راجع: Howard J.Wiarda, Op cit, pp. 98-99.
- (٣٨) مهدي شحادة، وصالح بكري الطيار، دور مراكز الدراسات العربية في صناعة القرار، بيروت: مركز الدراسات العربي الأوروبي، ١٩٩٩، ط١، ص ١١.
- (٣٩) تقرير المعرفة العربي للعام ٢٠٠٩، مرجع سبق ذكره، ص ١٦٨، أيضاً للمزيد من التفاصيل حول واقع مراكز البحوث العربية انظر التقرير نفسه، ص ١٦٨-١٧٠.
- (٤٠) تقرير المعرفة العربي للعام ٢٠٠٩، ص ١٦٣.
- (**) احتلت الصين المرتبة الثانية على مستوى العالم بعد الولايات المتحدة في الإنفاق على البحوث الصناعية والتطوير وتجاوزت في ذلك اليابان بحسب تقرير للأمم المتحدة، وقال تقرير المنظمة العالمية للملكية الفكرية التابعة للأمم المتحدة، إن الاستثمار الصيني في البحوث الصناعية والتطوير قد ارتفع إلى ١٢,٨٪ من الإجمالي العالمي، بعدما كان ٢,٢٪ فقط في ١٩٩٣، واحتلت الولايات المتحدة المرتبة الأولى في التصنيف العالمي للبحوث الصناعية والتطوير، لكن حصتها انخفضت بـ ٤,٢٪ لتصل إلى ٣٣,٤٪ أي أنها لا تزال تتفوق على الصين
- (٤٢) خالد غزال، مراكز الأبحاث العربية وهزال إنتاج المعرفة، صحيفة الحياة اللندنية، الجمعة، ٢٦ آذار/ مارس ٢٠١٠.
- (٤٣) خالد غزال، مرجع سبق ذكره.
- (44) Roberts Brad, Op. cit, pp. 169-182; Xinhua wang, op cit, pp. 261-267.

معوقات تطبيق نتائج البحوث في العلوم الاجتماعية والإنسانية

(رؤية سياسية)

د. تامر إبراهيم كامل هاشم*



المقدمة

من عام لآخر تزداد مؤشرات التنمية في كثير من دول العالم العربي سوءاً وانحداراً إلى مستويات مخيفة وغير لائقة بالإنسان في هذا الزمن الذي شهدت فيه شعوب العالم طفرات في مناحي الحياة انعكست تطوراً وتحسناً واستطاعة على حل كثير من المشاكل، فمؤشرات الأمم المتحدة مثلاً، أو غيرها من المراكز المتخصصة المعتمدة، حذرت من خطورة استمرار سوء الأوضاع التنموية، اقتصادياً ومعرفياً واجتماعياً وثقافياً وصحياً.

في أوقات الانحطاط تلك تظهر الحاجة إلى العلوم الاجتماعية والإنسانية ودورها

في إحداث طفرات في المجتمع تجعله يتجاوز أوجه ضعفه وقصوره. فالعلوم الاجتماعية والإنسانية كعلم الاجتماع وعلم الاجتماع السياسي وعلم النفس وعلم النفس السياسي والاجتماعي وعلم نفس الانفعال، تعد من بين العلوم المهمة والضرورية، التي تكتسب أهمية متزايدة في الوقت الحالي، لفهم ودراسة التحولات والتغيرات الاجتماعية والسياسية الحادثة في أي مجتمع وخصوصاً مع الأحداث الجارية في المجتمعات العربية من ثورات وانتكاسات.

* دكتورة في العلوم السياسية، باحث ويعمل في وزارة العدل/مصر.

raniataher2002@yahoo.com - tamleg@yahoo.com

وتقوم الدراسة من تصور مفاده: أن قيمة البحث الاجتماعي والإنساني لا تتبع من ذاته وإنما تتبع بالأساس من إمكانية تطبيقه على أرض الواقع، وقيمة التطبيق تلك تتبع بالأساس من قدرته على تحقيق طفرة في حياة المجتمع أو بما يجعل هذا المجتمع يتقدم في ركاب الحضارة العالمي وذلك من خلال تعرض البحث لإحدى المشكلات التي يعاني منها المجتمع بالحل. لذا فإن عملية تطبيق البحث الاجتماعي والإنساني تبدأ من صناعة البحث ذاته ومدى ملائمة للواقع. على هذا الأساس تقوم الدراسة على تساؤل رئيس مفاده: ما هي معوقات تطبيق نتائج البحوث في العلوم الاجتماعية والإنسانية في العالم العربي؟

وتهدف الدراسة إلى تحقيق عدد من الأهداف أهمها:

١- كشف العوامل التي تعوق تنفيذ البحوث الاجتماعية والإنسانية وعلاقة ذلك

بحالة الانحطاط الثقافي والاجتماعي التي يعاني منها العالم العربي.

٢- تفسير أسباب غياب الدور الإصلاحي للبحوث العربية.

٣- تقديم رؤية لتحويل «العلم من أجل العلم»، إلى «العلم في خدمة المجتمع».

وقد قسمت الدراسة إلى ثلاثة مباحث الأول: واقع البيئة التي يعمل فيها البحث الاجتماعي، الثاني: دور الباحث في تشخيص وعلاج المشكلة محمد عبده نموذجاً. أما المبحث الثالث يتعرض دور الدولة ومؤسساتها في إعاقه تطبيق البحوث.

أولاً: التعريف بالبحث الاجتماعي

تتعدد تعريفات البحث الاجتماعي العلمي بتعدد الباحثين، وانتماءاتهم الأيديولوجية، فضلاً عن تعدد وتنوع أساليب البحث في العلوم الاجتماعية. فيرى البعض أن البحث الاجتماعي هو استقصاء منظم يستهدف إضافة معارف يمكن توصيلها، والتحقق من صحتها من طريق الاختبار العلمي. بينما يرى فريق آخر بأنه استقصاء دقيق يستهدف اكتشاف حقائق وقواعد عامة يمكن التحقق منها مستقبلاً. أما الفريق الثالث فيرى أنه وسيلة للدراسة يمكن بواسطتها الوصول إلى حل لمشكلة محددة، وذلك من طريق الاستقصاء الشامل والدقيق لجميع الشواهد والأدلة، التي يمكن التحقق منها، والتي تتصل بهذه المشكلة المحددة.

والغاية التي ينشدها الباحث من وراء العملية العلمية الفكرية سواء كانت نظرية أو تجريبية هي ما يعبر عنه علمياً بالإضافة الجديدة المطلوبة في البحوث الاجتماعية العلمية، إذ فيها تتمثل الأصالة. وتتخذ بالإضافة الجديدة في البحوث صوراً شتى، فإما أن تكون أفكاراً جديدة في المجال العلمي، أو حلاً لمشكلة علمية، أو بياناً لغموض علمي، إلى غير ذلك من الأغراض المطلوبة، مما يتفق ومدلول كلمة البحث الاجتماعي العلمي.

كما يمكن تعريف البحث الاجتماعي من خلال إجراءاته ومنهجه حيث يعرف بوصفه وسيلة لغاية ما، بمعنى أنه يستهدف حل مشكلة عملية أو منهجية، كما يستهدف كشف العلاقات بين البيانات المتراكمة، أو التحقق من صدقها بواسطة المنهج العلمي. بمعنى التطبيق المنطقي والمنسق لأسس العلم على التساؤلات العامة والشاملة للدراسة، واستخدام الطرق العلمية التي تمدنا بالأدوات العلمية والإجراءات الخاصة والوسائل الفنية، التي تستهدف توفير البيانات وترتيبها قبل معالجتها منطقياً وإحصائياً.^(١)

ثانياً: أنواع البحوث الاجتماعية

تعددت تصنيفات البحوث بتعدد المعيار أو المعايير التي أخذت أساساً للتصنيف. فهناك من اعتبر المنهج معياراً للتصنيف، فيقولون دراسات تاريخية وأخرى تجريبية. ومنهم من وضع الأهداف النهائية للبحث معياراً، كأن يُقال دراسات تطبيقية وأخرى نظرية أو أساسية. لكن قدم معظم علماء المناهج وعلماء الاجتماع ثلاثة أنماط رئيسية للبحوث الاجتماعية، تركزت في البحوث الكشفية الاستطلاعية، والبحوث الوصفية، والبحوث التشخيصية أو التي تختبر فروضاً سببية. وقد أوضح بعض الباحثين أهم الفروق بين هذه الأنواع الثلاثة الأكثر تواتراً في كتابة البحوث الاجتماعية، الاستطلاعية، والوصفية، والتشخيصية، كما يلي:

١. مقدار المعرفة والبيانات المتاحة حول الظاهرة التي ستبحث، فكلما كانت هذه البيانات محدودة، كان البدء ضرورياً بالدراسات الاستطلاعية، وبعدها الوصفية، ثم التشخيصية.

٢. مقدار الوفاء بخطوات أو أكثر من خطوات المنهج العلمي، فالدراسات الاستطلاعية تحاول الإجابة عن سؤال ماذا حول الظاهرة أو تلك؟ أي استطلاع وجودها وبعض تضاريسها. والدراسة الوصفية تحاول الإجابة عن سؤال كيف توجد هذه الظاهرة؟ أي وصف ملامحها وتحليل أبعادها. أما الدراسة التي تختبر الفروض، فهي تحاول تقديم إجابة، أو المساعدة على الإجابة عن لماذا هذه الظاهرة على ما هي عليه أو ما كانت عليه؟

(١) انظر في ذلك: د. محمد علي محمد، «علم الاجتماع والمنهج العلمي (دراسة في طرائق البحث وأساليبه)»، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٢.

وإلى جانب هذه الأنواع الثلاثة المتواترة للبحث الاجتماعي، يضيف عبد الباسط عبد المعطي نوعين، هما^(٢):

أ- بحوث الاستشراف الاجتماعي

ويعني هذا النوع من البحوث استشراف أبعاد المستقبل، من خلال مناقشة بدائل تتناول مصير مجتمع ما، أو ظاهرة أو جماعة ما أو طبقة ما. وسواء كانت الدراسة لبنية المجتمع في كليتها أو لأحد أبعادها، ففي الحالتين نحن في حاجة إلى دراسة التفاعلات والعلاقات الجدلية بين مكونات هذه البنية الاجتماعية وبين غيرها من عوالم تشاركها في المرحلة التاريخية، ووحدة المصالح وصراعها، سواء كانت هذه العوالم طبيعية أو نظاماً إقليمياً أو دولية. وهدف هذا النوع من البحوث هو أن يكون للمجتمع أو الطبقة إرادة في اقتراح إستراتيجيات وسياسات حاضرة ومستقبلية تسهم في تحويل الإمكانيات بالقوة إلى إمكانات بالفعل. كما أن هذا النوع من البحوث يجعلنا أكثر استبصاراً بصناعة مستقبل مجتمعاتنا.

ب- البحوث التقويمية ودراسات الجدوى الاجتماعية

تشير عملية التقويم إلى تقدير الأهمية النسبية لبنود الاختلاف والتباين بين مميزات وعيوب الخطط، وغالباً ما يقتصر على وصف المقترحات التخطيطية وإصدار أحكام على أسسها، ومقدار الاتساق الداخلي بين هذه المقترحات. أما عملية التقويم فهي عملية شمولية بالتصور أو بالتناول، فهي تشمل تقويم الإطار الفكري والأيدولوجي للخطّة، أو المشروع القائم، ومقارنته بغيره من البدائل والممكنات المتاحة في الخطّة الزمنية نفسها. فإذا أردنا تقويم جدوى الانفتاح الاقتصادي، فيجب علينا أن نقارنه بفلسفات وتوجهات تنموية أخرى، كالاعتماد على الذات مثلاً.

كما يشمل التقويم إطار التحليل والقياس المستخدم في المقارنة، ويحمل رؤية تاريخية زمنية معينة. فالجمهور أو الجماعة المستهدفة من التخطيط، يقتضي التقويم تحليلاً وتوقعاً للآثار والمصاحبات التي سيحدثها المشروع في تلك الجماعة عبر الزمن الكلي، وليس عند نقطة زمنية معينة، قد تكون الآثار بعدها سلبية. كما يشتمل التقويم على إبراز الجدوى الاجتماعية للمشروع من منظور الفلسفة والتوجه التنمويين.^(٣)

(٢) انظر في ذلك: عبد الباسط عبد المعطي، البحث الاجتماعي (محاولة نحو رؤية نقدية لمنهجه وأبعاده)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٤.

عبد الباسط عبد المعطي، البحث الاجتماعي. موسوعة مقال الصحراء السعودية (3)

http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Mnfsia15/SocResrch/sec01.doc_cvt.htm

المبحث الأول: واقع البيئة التي يعمل فيها البحث الاجتماعي

يؤكد العديد من المراقبين والمحللين للشأن العربي على تزايد اتساع الفجوة الحضارية والاقتصادية بين الوطن العربي والبلدان المتقدمة. فقد ارتفعت تلك الفجوة من ٣٠ ضعفاً عند دخول نابليون مصر عام ١٧٩٨، إلى آلاف الأضعاف في بعض المجالات العلمية والتكنولوجية في الوقت الحاضر. وهذه الفجوة المتزايدة قد تقرر فعلاً مصير الأمة العربية، لأنه كلما اتسعت وتعمقت، تزايدت تبعية الأمة أو سيطرة الآخر على مقدراتها ومستقبلها. وكمثال على زيادة الفجوة من الناحية الاقتصادية فقط، نورد هذا المثال البسيط: كانت نسبة الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي للفرد في الوطن العربي إلى الناتج المحلي للفرد في منظمة التعاون والتنمية تبلغ ٣, ٢١٪ في عام ١٩٧٥، ثم هبطت هذه النسبة إلى ٩, ١٣٪ ١٩٩٨. هذا فضلاً عن الفجوات الأخرى الأكبر في مجالات الإعلام والمعلومات والتكنولوجيا والتسلح والفكر العلمي خاصة.^(٤)

في منتصف القرن العشرين كان يعتقد أن المعضلة الأساسية التي كانت تواجه العالم العربي هي الاستعمار الأجنبي الذي كان مسيطراً على جميع البلدان العربية تقريباً: ينهب مواردها ويستعبد أهلها وينصب ملوكها وزعماءها ووزراءها. إلا أنه بعد مضي ما يربو عن نصف قرن من التحرر لم تبتعد الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية كثيراً عن ما كانت عليه أبان الاحتلال، مما يؤشر على أن المشكلة لم تكن في المحتل بقدر ما كانت ولا تزال في العقل العربي الذي يحتاج إلى تحرير من القهر الخارجي: السياسي والاجتماعي، بما فيه قهر «العقل المجتمعي» الذي يتحول، لدى الفرد الذي ينتمي إلى ذلك المجتمع، إلى قهر داخلي ذاتي يصعب الفكك منه، بل يصبح جزءاً من شخصية الإنسان وتكوينه العقلي وبنية الفكرية^(٥)، مما أفرز نظم الانحطاط العربية التي حولت فكرة مشروع يحمل ملامح الحرية والاستقلال والتقدم إلى دولة الاستبداد والقمع والإلغاء ومن ثم التخلف الذريع في كل مجالات الحياة.^(٦)

(٤) انظر في ذلك: -

- تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام ٢٠٠٢، ص ٤٧، ٨٥.
- انظر نادر فرجاني، «العرب ومواجهة إسرائيل»، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٠)، ص ٧٣٦.

(٥) علاء الدين الأعرجي، أزمة التطور الحضاري في الوطن العربي بين العقل الفاعل والعقل المنفعل، بيروت، منشورات كتابات، ٢٠٠٤، ص ٤٢.

(٦) عبدالله القفاري، ماذا خسر العرب بانحطاط المشروع القومي؟ جريدة الرياض، العدد ١٤١١٩، الإثنين ١ صفر ١٤٢٨ هـ - ١٩ فبراير ٢٠٠٧ م.

وتتجلى ملامح دولة الاستبداد العربي في ملمحين رئيسيين:

١- **صورية المؤسسات الديمقراطية:** فمعظم الأحزاب والبرلمانات العربية، وباقي مؤسسات الدولة هي مؤسسات صورية حتى أن الدساتير والتشريعات الحاكمة لحركة تلك المؤسسات لا تعدوا أن تكون حبرا على ورق، حيث السلطة العليا هي للحاكم والأسرة الحاكمة، يتساوى في ذلك جميع نماذج الحكم في العالم العربي من الجمهورية والملكية، مروراً بالثورية والمحافظة، وحتى الليبرالية والتسلطية. أكثر من ذلك اختفت الفوارق المتعارف عليها بين كل من الأنظمة الملكية وبين الأنظمة الجمهورية حيث أصبحت الأخيرة غير تداولية وتوارثية، وأضحى النعاش مع «إسرائيل» والتحالف مع الغرب بقيادة أميركا هو السائد كأمر واقع أو مشروع وخصوصاً بعد انهيار المعسكر الاشتراكي.

٢- **تمركز السلطة والثروة:** لقد انتقلت الدولة العربية من الدولة الريعية إلى الدولة الغنائمية. فلم يعد إلا القليل من الدخل الوطني يصل إلى الشعب، في حين تستأثر النخبة الحاكمة على نصيب الأسد. فأضحت هناك أوليغاركية تتحكم في تفاعلات الثروة وتوزيعها، وأكثرية تعيش على ما يوجد به النظام. الثروة مرتبطة دائماً بالسلطة والعكس صحيح، وباستثناء حالات نادرة للحكام العرب مثل عبدالناصر وبين بيلا والقوتلي وقاسم، وقليل جداً من الملوك العرب مثل محمد الخامس، فقد اكتسب الحكام العرب وحاشيتهم ثروات كبيرة خلال وجودهم في السلطة. فخلال العقود الأخيرة حدث مراكمة شديدة للثروة لا سابق لها في تاريخ الحكم العربي، باستثناء خلفاء الدولة العباسية مثل هارون الرشيد الذي خاطب غيمة عابرة في سماء بغداد «أينما تذهبين يأتيني خراجك». هذا ما يظهر بشكل واضح من خلال مراجعة لما تنشره مجلة «فوربس» من ثروات المشاهير في العالم العربي وما أضحى معروفاً سواء بالنسبة للذين أطيح بهم في مصر وتونس وليبيا وسواها من أرقام مذهلة، ونحن نتحدث عن حكام يملكون هم وأسرتهم عشرات المليارات من الدولارات في بلدان مديونة بعشرات المليارات ويعيش جزء كبير من مواطنيها تحت خط الفقر.

وأخطر ما في الموضوع هو أنه لم يعد هناك حاجز بين مداخل الدولة وأملاكها من أراض وغيرها، وأملاك النخب الحاكمة، ولذلك يتم تملك مساحات شاسعة من الأراضي. وهناك اتجاه جديد يتمثل في دخول النخب الحاكمة في مشاريع استثمارية عقارية هائلة مع البنوك الاستثمارية، وهكذا انتشرت كالفطر المدن الجديدة والمشاريع الإسكانية الفاخرة من المغرب حتى المشرق، ودخلت الحاشية في البنزين (النشاط الاقتصادي)، وأصبحوا نخبة أرباب العمل سواء من موقع المالك أو الشريك.^(٧)

(٧) عبدالنبي العكري، مظاهر وتجليات انحطاط الدولة العربية، جريدة الوسط البحرينية، العدد

٢٤٢٨، الأحد ٠٥ فبراير ٢٠١٢م الموافق ١٢ ربيع الاول ١٤٣٣هـ.

الملاحظ هنا هو تركيز الثروة، بمعنى حصرها بالأسر والنخب الضيقة، والتي أضحت تمتلك المليارات، فيما تراجع نسبياً نصيب ما يعرف بقاعدة النظام كالقيادات والكوادر الحزبية وأرباب الأعمال والزعامات التقليدية، وبالطبع على حساب الشعب في ثرواته والدخل الوطني العام.

يؤدي ما سبق إلى نتيجتين رئيسيتين تؤثر على عملية إنتاج وتنفيذ البحث الاجتماعي هما:

أولاً: تآكل الطبقة المتوسطة

نهضت الطبقة الوسطى (وتشمل: المثقفون والعلماء والبرجوازية الوطنية الصغيرة والتجار المتوسطون والمهنيون) بأدوار كبيرة في التاريخ السياسي والاجتماعي والثقافي الحديث للوطن العربي، وهي أدوار قلما أمكن لغيرها من الطبقات والفئات الاجتماعية الأخرى أن ينهض بها ربما لأسباب تتعلق بتفاوت التطور بينها أو تتعلق باختلاف درجة التكوين والتأهيل لديها أو تتعلق بنوع العلاقة التي انتسجت بين هذه الطبقات وبين الدولة، فوجود طبقة وسطى عصرية ذات تكوين معرفي عصري هو الضمانة الكبرى لوقف انتشار الأفكار المتشددة، ومن دونها لا يمكن للمجتمعات النهوض وفق هيكل اجتماعي حضاري تقدمي^(٨)، وتلك المهام والأدوار لهذه الطبقة^(٩):-

١. إن هذه الطبقة هي من تحمل أعباء قيادة حركة التحرر الوطني لنيل الاستقلال الوطني ودحر الاحتلال الأجنبي.
٢. إنه هذه الطبقة نهضت بدور بناء (الدولة الوطنية) دولة الاستقلال بعد الجلاء الاستعماري عن البلاد العربية.
٣. إنها الطبقة التي أنجزت برنامج التنمية الواسع للقسم الأعظم من البلاد العربية.
٤. إن هذه الطبقة كانت الرحم الاجتماعي الذي أنجب مشروعاً ثقافياً للمجتمع العربي الحديث هو المشروع النهضوي فمن جوف هذه الطبقة خرجت أجيال المثقفين والعلماء والباحثين العرب الذين ساهموا في تصميم قيم المعرفة من خلال مؤسسات التعليم والبحث العلمي والثقافة والصحافة والمنشورات والذين حاولوا أن يزودوا مجتمعاتهم برؤية للذات والعالم ويزجوا بوعيتها في معترك أسئلة العصر وتحدياته.

(٨) طارق حجي، عواقب تآكل الطبقة الوسطى، الحوار المتمدن الأردنية، العدد: ٢٦٦١، ٢٩/٥/٢٠٠٩.

(٩) عبدالإله بلقزيز، محنة الطبقة الوسطى في المجتمع العربي، شبكة العربية نت، الجمعة ١٢ جمادى الثانية ١٤٣٠هـ - ٠٥ يونيو ٢٠٠٩م.

غير أن دور هذه الطبقة اليوم يعاني من مظاهر الازمة والتراجع بشكل كبير. بل قد يكاد يكون هذا الدور غائباً تماماً في بعض الدول العربية. ففي السودان كانت الطبقة الوسطى في الخرطوم هي العمود والعماد للحياة المدنية السودانية، وكانت هي التي تدير جهاز الدولة حديثة الاستقلال بكفاءة وجدارة. وكانت هي حاملة لواء الثقافة والتقدم والمدنية هذا زيادة على كفاءة وحسن إدراكها للأمور وإخلاصها للعمل وبعدها عن الفساد والرشوة والانحياز الحزبي والقبلي والطائفي، إلا أنه بوصول الإنقاذ إلى السلطة كانت الطبقة الوسطى أولى الضحايا، حيث بدأت أحوال الناس تتدهور ومدخراتهم القليلة تنضب والمعاش القليل الذي تدفعه الدولة لموظفيها حتى انهارت الطبقة الوسطى السودانية الأصيلة إلى درجة أن وكلاء وزارات سابقين ومديرين وكبار ضباط أصبحوا مضطرين لتأجير نصف منازلهم ليوажوها ويكملوا ضرورات المعيشة الصعبة. لقد تضررت الطبقة الوسطى السودانية وقامت مكانها طبقة أثرياء لم يعرف مثلها السودان من قبل. واختل ميزان المجتمع وأصبحت في السودان طبقتان، طبقة عليا لا يتجاوز عددها الـ ١٠٪ وطبقة محدودة الدخل تضم بقية الشعب السوداني.^(١٠)

وإذا انتقلنا إلى الجزء الثري في العالم العربي وهو الخليج العربي نجد أن الأمور لا تختلف كثيراً فالمراقب للأوضاع في بعض دول الخليج خلال السنوات الأخيرة، يلاحظ أنه على رغم من الطفرات الإيجابية المتعاقبة في مستويات المعيشة والتمدد والثراء، إلا أن المتخصص في الشأن الخليجي، الطبقة الوسطى مهددة، وتواجه صعوبات من بينها عدم تكافؤ الفرص، وغلاء الأسعار الفاحش، إضافة إلى نسب البطالة المرتفعة، فيما لا تزال تستقدم بلدانهم ملايين من العمالة الأجنبية، وتوظفهم في مشاريع وطنية على حساب مواطنيها العاطلين، الذين لا تسعى إلى تدريبهم وتأهيلهم تأهيلاً عملياً ومهنياً يدخلهم سوق العمل بكفاءة تأهيلية.

قبل عامين حذر تقرير صدر عن اتحاد غرف دول مجلس التعاون الخليجي، من بروز هوة واسعة بين الطبقات الاجتماعية، نتيجة التضخم وارتفاع الأسعار، وعدم قدرة الاقتصاد المحلي على إيجاد فرص عمل مناسبة للمواطنين، وتدني الرواتب، وهشاشة الأسس الاقتصادية والمالية التي تقوم عليها عملية خروج ودخول أفراد من وإلى الطبقة الوسطى.^(١١)

(١٠) عبدالله عبيد حسن، السودان: تراجع الطبقة الوسطى، جريدة الاتحاد الإماراتية، السبت ٩ مارس ٢٠١٣.

(١١) جميل الذيايبي، الطبقة الوسطى في السعودية، جريدة الحياة اللندنية، ٦/٨/٢٠١٢.

تلك الأوضاع جعلت ما تبقى من الطبقة الوسطى تتجه بقوة في اتجاه الحفاظ على وجودها من خلال تأمين متطلباتها المادية متخفية في سبيل ذلك عن دورها التنويري والتحديثي للمجتمع.

من جانب آخر تعاني الطبقة المتوسطة من الصراع الداخلي بين ما يمكن أن يطلق عليهم العلمانيين والإسلاميين، وهو صراع بدأ خافتاً منذ أواخر القرن الماضي حيث كان يأخذ شكل الصراع بين نظم الحكم العربية وبين الإسلاميين الذين كانوا يُعتبرون ضحية استبداد تلك النظم إلا أنه بمضى الوقت أخذ الصراع شكل أكثر عمقا وديمومة من خلال تحوله إلى صراع بين طبقة وسطى تقليدية تستمد أفكارها من العالم المحيط بها وبين طبقة وسطى جديدة ترى في الموروث الديني قيمة تصلح لعلاج المشكلات والأزمات المزمنة التي يعاني منها المجتمع العربي، وهو صراع عانت وتعاني منه أغلب الدول العربية.

ففي الكويت أصبح المجتمع يعاني من الانقسام الحاصل في صفوف المجتمع الكويتي سياسياً واجتماعياً، والذي يعود في الأساس إلى انقساماً داخل صفوف الطبقة الوسطى في الكويت بين معارضة وموالاة أدى بدوره إلى حدوث تجاذبات بين الطرفين في العام الماضي حول استمرار حكومة الشيخ ناصر المحمد، الأمر الذي يضعف دور تلك الطبقة في المجتمع الكويتي.^(١٢)

وهناك في معظم البلدان العربية التي جرى فيها التغيير - مصر وتونس وليبيا واليمن - وبدأت مرحلة انتقالية مفتوحة على احتمالات متعددة، طفا على السطح صراع بين العلمانيين والإسلاميين، ربما سيشكل أهم مفاصل المواجهة الأيديولوجية في المرحلة المقبلة. وفي هذا المجال يرى الدكتور باتريك كلاوسن نائب مدير معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى إنه بالتعمق أكثر في نتائج الربيع العربي يتضح أن هذه النتائج كانت مخيبة للآمال، وبدا الإصرار على التمسك بالسلطة جلياً من قبل الأنظمة القديمة أو السلطات الجديدة، إضافة إلى الانقسامات في المجتمعات العربية على أساس قبلي أو سياسي وصعود الإسلام السياسي بقوة في بلدان الربيع العربي يقابله التيار الليبرالي الذي يجاذب مع الإسلاميين الأحقية بالسلطة وعدم وجود استعداد لتبني حل وسط لبناء مجتمع ودولة قوية ومستقرة.^(١٣)

(١٢) د. علي الطراح، مخاطر الانقسام، جريدة الاتحاد الإماراتية، ٢٣/١/٢٠١٢.

<http://www.alittihad.ae/wajhatdetails.php?id=70442>.

(13) Patrick Clawson & others, Obama and the Middle East: Act Two, the Washington Institute for Near East Policy, <http://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/view/the-atlantic-obama-and-the-middle-east-act-two>.

بناء على ما سبق يمكن القول أن الطبقة المتوسطة عماد العملية البحثية والعلمية والثقافية تعاني من التراجع سواء بفعل ضغوط الحياة الاقتصادية أو التناحر الداخلي مما يغل يد تلك الطبقة في القيام بدورها الإيجابي في تلك العملية تجاه المجتمع.

ثانياً: انحراف الثقافة السائدة في المجتمع

ينطلق د. محمد يتييم من تحديد إجرائي لمفهوم الثقافة من خلال استلزامه لتعريفين، الأول للفيلسوف «ميشيل توماسيليو» الذي يعتبر أن «الثقافة هي ببساطة الموطن الملائم للتطور الفردي الذي ينفرد به ويعتبر نمطاً مميزاً له» إن هذا التعريف، على الرغم من محدودية تداوله في الأوساط الأكاديمية، فإنه يشكل نموذجاً تفسيرياً، يمكنه من تحليل الواقع الثقافي في الوطن العربي، وأيضاً من تلمس مداخل الإصلاح. أما التعريف الثاني الذي استند إليه، فهو تعريف «مالك بن نبي» في كتابه «مشكلة الثقافة» الذي يعتبر فيه الثقافة «مجموعة الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لا شعورياً العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه».

ويوضح محمد يتييم البعد الثالث في هذا التعريف، بالإشارة إلى علاقة الثقافة بالواقع الاجتماعي، فالثقافة بهذا الاعتبار، تشكل واقعاً اجتماعياً «لا شعورياً» لا تخص طبقة دون غيرها، فهي تشمل الأمي كما تشمل المتعلم، كما أنها تطبع استجابات الأفراد وسلوكياتهم إزاء مشكلات الحياة رغم تباين مستوياتهم العلمية والاجتماعية واختلاف انتماءاتهم الأيديولوجية». غياب الباحث النابه القادر على رصد مكنم الخطر وعلاجه.^(١٤)

يبين الواقع الاجتماعي في العالم العربي أن هناك انحدار مريع في مستوى التعليم، وركود قاتل على مستوى الإبداع والإنتاج الثقافي المتميز في غالبية الدول العربية. لذلك يواجه الحوار الثقافي بين العرب والمتقنين الآخرين صعوبات كبيرة ناجمة عن تفكك العرب وعجزهم عن صياغة مشروع ثقافي عربي موحد يجمع أفضل النخب العربية، ويشكل قاعدة صلبة لحوار المتقنين العرب مع متقني الشعوب الأخرى من موقع الندية والتفاعل الإيجابي الحر. والإنتاج الثقافي الإبداعي في الوطن العربي اليوم ضعيف للغاية.

(١٤) محمد يتييم، في نظرية الإصلاح الثقافي (مدخل لدراسة عوامل الانحطاط وبواصت النهضة)، القاهرة، دار الكلمة للنشر والتوزيع، ٢٠١٢، ص ٧-٩.

ويصنف العرب في خانة الدول النامية التي تستهلك ثقافات الغير أكثر مما تقدم إضافات نوعية للثقافة الكونية السائدة. وعلى الرغم من وفرة الإنتاج الثقافي المحلي في كل دولة عربية، فهناك تغييب ملحوظ للثقافة العربية الجامعة. نتج عن ذلك انحسار واضح لدور المؤسسات الثقافية القومية وفي طليعتها اتحادات الكتاب والمؤرخين والسينمائيين والإعلاميين والمسرحيين وغيرها من الاتحادات العربية ذات الطابع العربي الشمولي، في ظل عجز الاتحادات الوطنية عن لعب دور فاعل في تأطير جهود النخب العربية على المستويين المحلي والعربي الشامل^(١٥). حتى في مجال البحث الاجتماعي أصبحت تظهر ملامح التبعية بصورة أكثر وضوحاً وسذاجة من خلال الاهتمام بقضايا نظرية أو تطبيقية قد تكون ذات أهمية في بلد المنشأ ولكنها تفتقر إلى هذه الأهمية في البلاد الناقلة. فمثلاً تحتل نظريات توازن السوق في ظل المنافسة الحرة أو المنافسة الاحتكارية أهمية كبيرة بينما يغفل الاقتصاديون العرب عن مناقشة قضايا القطاع العام وطرق تنظيمه وإدارته ونظام تسعير فيه حتى حين يكون لهذا القطاع الغلبة على النشاط الاقتصادي العربي^(١٦).

لقد أكدت تقارير التنمية العربية التي تصدر سنوياً بإشراف الأمم المتحدة وبمشاركة فاعلة من أفضل النخب العربية، على أن العقود الثلاثة الماضية شهدت تراجع دور المؤسسات الثقافية ذات المستوى الإبداعي، فضعف دورها كثيراً في تنامي الوعي الثقافي الشمولي، وهي عاجزة عن الاستفادة من تزايد الباحثين والمبدعين العرب المنشغلين في جامعات ومعاهد ومراكز الإعلام والفنون العربية. وتشكو المؤسسات الثقافية العربية غياب التخطيط الشامل والعقلاني لتحويل التراكم الكمي إلى تراكم ثقافي نوعي، يوظف في إطلاق مشروع نهضوي جديد طال انتظاره^(١٧)... هذا ما يؤكد د. عاصم الدسوقي أستاذ التاريخ المعاصر بجامعة حلوان فيؤكد أن مشكلات الجامعة ارتبطت في السنين الأخيرة بالمووروث الثقافي والبيئة الثقافية التي يعيشها المجتمع والتي لا تسمح بإبداع حقيقي^(١٨).

(١٥) مسعود ظاهر، حوار العرب مع ثقافات عصر العولمة.. الواقع والآفاق المستقبلية، الكويت مجلة العربي الشهرية، العدد ٥٧٦، نوفمبر ٢٠٠٦، ص ١٢٣.

(١٦) جلال أمين، بعض مظاهر التبعية الفكرية في الدراسات الاجتماعية في العالم الثالث، إشكالية العلوم الاجتماعية في الوطن العربي، إشراف د. أحمد خليفة، تحرير د. سمير لطفي، القاهرة، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، ١٩٩٨، ص ٢٧٢.

(١٧) مسعود ظاهر، مرجع سبق ذكره، ص ١٢٣.

(١٨) وجيه الصقار، أولى ثمار الثورة الديمقراطية بالجامعات، جريدة الأهرام المصرية، ١٥ مارس ٢٠١١.

<http://digital.ahram.org/articles.aspx?Serial=448918&eid=889>.

المبحث الثاني: دور الباحث في تشخيص وعلاج المشكلة «محمد عبده» نموذجاً

أراد محمد علي أن يبني في مصر دولة عصرية على النسق الأوروبي، لذا استعان في مشروعاته الاقتصادية والعلمية بخبراء أوروبيين، كما بدأ في انتهاج سياسة تعليمية تقوم على البعثات العلمية حتى ينشأ جيلاً جديداً لبناء مصر الحديثة. الأمر الذي أدى إلى ظهور نخبة اجتماعية جديدة متوافقة مع الحداثة الغربية، والتي استطاعت أن تسحب البساط من تحت طبقة العلماء من خريجي الأزهر الشريف. ومما زاد في تضائل نفوذ العلماء أن الأزهر ظل على نظامه القديم ولم يساير حركة التقدم والإصلاح التي نهض بها محمد علي باشا، فانتقل مركز الثقافة من الأزهر إلى المدارس والمعاهد والبعثات، وانكمش العلماء ولم يشتركوا في حركة التجديد والإنشاء في مختلف نواحيها، فعجزوا عن الاشتراك في حروب مصر أو في إدارة حكومتها أو في سياستها وأعمال العمران التي قامت بها، وبديهي أن انعكاسهم على المسائل الدينية، وعجزهم عن الاشتراك في الأعمال العامة التي تمت في عصرهم، كل ذلك كان له أثره في تضائل نفوذهم وإضعاف كلمتهم.

ومن ثم فقد انقسم المجتمع المصري ثقافياً وعلمياً إلى طبقتين الأولى هي طبقة النخبة الجديدة المسلحة بالثقافة الغربية والتي بدأت تتشكك في قابلية الإسلام للتوافق مع الحداثة الغربية. والطبقة الثانية هي النخبة القديمة وهي تضم العلماء التقليديين من خريجي الأزهر الشريف الذي أصابه الجمود والتقليد.^(١٩)

في تلك الأوضاع الحرجة ظهر الباحث الإمام محمد عبده الذي أدرك خطورة أن تتولى النخبة الجديدة مقاليد السلطة السياسية والثقافية وهي مقتنعة بالصورة الظلامية التي يقدمها العلماء التقليديون عن الإسلام، لذا كرس اجتهاداته وبحوثه وما تقدمه من سياسات في سبيل السعي لإثبات أن الإسلام يتوافق مع الفكر الحديث، بل وقادر على استيعاب الحداثة.^(٢٠)

(١٩) انظر في ذلك:

- عمر طوسون، البعثات العلمية في عهد محمد علي ثم في عهدي عباس الأول وسعيد، الإسكندرية، مطبعة صلاح الدين، ١٩٣٤، ص ٦-٩.
- د. محمد الحداد، محمد عبده قراءة جديدة في خطاب الإصلاح الديني، بيروت، دار الطليعة، ٢٠٠٣، ص ١٦٤.

(٢٠) د. محمد الحداد، مرجع سبق ذكره، ص ١٦٤.

اعتبر الإمام محمد عبده أن المجتمع الصالح هو مجتمع يسوده العقل لا القانون، ذلك أن المسلم الحق هو الذي يعتمد على العقل في شؤون الدنيا والدين، وما الكافر، إلا ذلك الإنسان الذي يغمض عينه فلا يرى نور الحقيقة، ولا يقبل اعتماد البراهين العقلية، والإسلام - وبخلاف ما زعم أعداؤه - لم يدع إلى إهمال العقل، بل حث على العلوم العقلية وغيرها من العلوم، والمجتمع المثالي أو الصالح هو الذي يقبل أوامر الله، ويمثل لها، ويفسرهما تفسيراً عقلياً، وفقاً للصالح العام، إنه مجتمع الفضيلة والسعادة والرخاء والقوة.^(٢١)

ورغم اشتراكه في الثورة العربية (١٨٧٩-١٨٨٢) إلا أنه كان يرى في عرابي ناطقاً بأفكار عسكرية بحتة، في حين أنه يؤمن بأن نظام الحكم لا بد أن يكون مصحوباً بالإصلاح الداخلي التقدمي والوسيلة إلى ذلك هي نشر الثقافة وبث التربية الأخلاقية والسياسة السليمة التي تناسب قيام دستور حر.

وقد اتخذ محمد عبده منهج إصلاحى يقوم على ثلاث محاور تشمل الدين واللغة والسياسة يمكن إيجازهم في التالي:^(٢٢)

١- الإصلاح الديني: يقوم على تحرير الفكر من التقليد حتى لا يفهم الدين بطريقة السلف، وحتى يدخل الدين ضمن موازين العقل لأنه في نظر الإمام نظير العلم من حيث أنه يبحث في أسرار الكون ولذلك كان الإمام يحاول جاهداً تنقية العقيدة من الخرافات فبدأ بالتركيز على إصلاح الأزهر لأن إصلاح الأزهر في رأيه أساساً لعملية التنوير في مصر. لذا بدأ بتمرد على طرق ومواد التدريس التي كانت موجودة في الأزهر وقتها.

٢- الإصلاح اللغوي: وهو الإصلاح الذي يمس أساليب اللغة العربية في الكتابة وهذا يظهر واضحاً في الكتابة التي كانت في عصره إذا قورنت بكتابه التي يبدو فيها التجديد في الأسلوب والألفاظ وهو ما تضمنته الصحف والمجلات التي كان يكتب فيها مثل الأهرام، الوقائع، العروة الوثقى. وقد نشر في بيروت نهج البلاغة ومقامات بدیع الزمان، كما نشر في القاهرة كتاب دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة لعبدالقاهر الجرجاني ثم قام بمحاولة تدريس الأدب في الأزهر.

(٢١) علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب، بيروت، الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٧٥، ص ٨١-٨٢.

(٢٢) د. نبيلة زكري زكي، الإمام محمد عبده فكره ومنهجه، الشيخ محمد عبده بحوث ودراسات عن حياته وأفكاره، المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الثانية، ١٩٩٧، ص ٢٨١.

٣- الإصلاح السياسي: حاول الإمام محمد عبده أثناء عمله في مجلس الشورى أن يزيل الخلاف الدائم بين المجلس والحكومة لأن هذا الخلاف كان يسبب ضرراً للأمة كما حاول إيقاظ الرأي العام تجاه الحاكم ورأى أنه كما أن هناك حقوقاً للحاكم فكذلك يجب أن يكون للشعب حقوق وكان تذكير الشعب بحقوقه يأتي عن طريق الصحافة والتعليم ومجلس الشورى.

يسوق ألبرت حوراني (١٩١٥ - ١٩٩٣ م) - هو مؤرخ إنكليزي من أصل لبناني - مقارنة بين الفيلسوف الفرنسي أوجست كونت والإمام محمد عبده، مشيراً إلى أن هناك تقارباً في تفكيرهما «فنقطة الانطلاق في تفكير كونت كانت الثورة الفرنسية»، حيث قامت النخبة العقلانية بتهديم نفوذ الأكليروس، ثم أوشكت أن تهدم النظام المتمدن أيضاً، وكان المخرج لإنهاء العهد الثوري خلق نظام من الأفكار يقبل به الجميع، وإيجاد سلطة روحية جديدة مهيمنة تشرف على نظام التربية وتهدف إلى إقامة علم الاجتماع على أسس عقلية، وكان الإمام يرى أن الإسلام يحتوي بذور هذا الدين العقلي مما يؤهله لأن يكون أساساً للحياة الحديثة، أما النخبة التي ستتولى حراسته فتكون فريقاً وسطاً بين القوى التقليدية والثورية التي أشار إليها كونت.^(٢٣)

إن انفتاح الإمام محمد عبده على الغرب، يمنحه تفرداً تاريخياً، إذا ما أخذنا موقفه قياساً إلى علماء الدين في تلك المرحلة، ولقد كان في محاولة الإمام التأليف بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي، إضافة جديدة إلى تاريخ الفكر الإسلامي منحه قدرة على المواجهة والاستمرار، وعمقت فيه روح البحث والجدل التي ساهمت في اقتباس بعض الأفكار الهامة في مجال الاجتماع والسياسة والقانون، هذا إذا علمنا أن حضارة الغرب وعلومه عند الإمام كانت وسيلة لا غاية، أراد بها إحياء المجتمع الإسلامي، ودفعه إلى الأمام دون السماح بالنيل من العقيدة الإسلامية، وهنا يمكن القول إن حداثة الإمام استندت على الربط بين الإسلام والغرب.^(٢٤)

وعلى الرغم من أن الأجل لم يمهله لتحقيق كل أحلامه إلا أن تلاميذه ساروا على منهجه وحققوا بعض أمانيه فأنشأ مثلاً سعد زغلول مدرسة القضاء الشرعي ثم الجماعة المصرية بالتعاون مع قاسم أمين وكان تلميذاً للإمام أيضاً.

(23) Albert Hourani, Arabic thought in the Liberal Age 1796-1939, London, Oxford University press, 1970, p. 10.

(٢٤) عبد المتعال الصعيدي، المجددون في الإسلام، القاهرة، مطبعة مكتبة الآداب، بدون تاريخ، ص ٥٢٤.

هذا المجهود الذى قام به الإمام محمد عبده يختلف عن بعض علماء الاجتماع في العالم العربي الذين ساهموا دون أن يشعروا في تخريب النسيج الثقافي لبلادنا نتيجة لعدم توخيهم الحرص فيما ينقلون، بحيث يتساءل المرء عما إذا كانوا ينقلون إلينا علماً أم أيديولوجية؟ وأخص بالذكر في هذا الأمر دون الكتابات الاجتماعية في بلادنا في نقل النسبية الأخلاقية، أي اعتبار الأحكام الأخلاقية نسبية وليست مطلقة، وهو موقف غريب على تراثنا.^(٢٥)

أخيراً يمكن القول أن تجربة الإمام محمد عبده تميزت في أنها كانت محاولة بحثية جادة لإحداث مصالحة بين الإسلام ومتطلبات العصر الحديث، بهدف إيقاظ العالم الإسلامى من جديد وإعادةه إلى ركب الحضارة العالمى، وهذا ما ميز تجربة الإمام محمد عبده عن محاولات رجال المدرسة الحديثة حيث لم يرفض واقع التخلف العربي كما فعل هؤلاء وإنما أراد أن يدمج الثقافة القديمة العربية الإسلامية بالثقافة الحديثة الغربية، من خلال إصلاح القديم وجعله أساساً لما يراد إضافته إليه من الإصلاح الحديث وذلك بهدف أن لا يفقد المجتمع هويته الأصلية، ويكون مجرد تقليد للغرب وهذا بالضبط ما يحتاجه العالم العربي من باحثين وعلماء، يكونون قادرين على إنتاج بحوث اجتماعية وإنسانية تحمل بصمات الهوية العربية الإسلامية، ولا ترفض الواقع بقدر ما تصلحه، تأخذ من البحوث الغربية ما يفيد في تطوير الواقع العربي لا تنقل دون فهم.

أخيراً فقد قدم لنا الإمام حسن البنا رؤيته لتحويل «العلم من أجل العلم»، إلى «العلم في خدمة المجتمع»، وهو ما على الباحثين الجادين أن يقتدوا به.

المبحث الثالث: دور الدولة ومؤسساتها في إعاقة تطبيق البحوث

أ- منظومة التعليم العربية لا تنتج باحثين

على الرغم من احتمال حدوث تحولات مهمة ومعبرة نحو الديمقراطية في بعض الدول العربية لا يزال السياق السياسي العام للتعليم في العالم العربي استبدادياً بدرجة كبيرة. هذا الاستبداد موجود منذ أمد بعيد، وينعكس في هياكل الإدارات والمؤسسات التعليمية في جميع الدول العربية تقريباً. وعلى الرغم من التنوع العرقي والديني الكبير في العديد من البلدان العربية، نادراً ما تكون النظم التعليمية تعددية وشاملة في مقاربتها.

(٢٥) د. جلال أمين، مرجع سبق ذكره، ص ٢٦٥.

وتشير معدلات الإنفاق على التعليم ومعدلات الالتحاق فوق المتوسطة بالمدارس إلى أن نظم التعليم موضع الدراسة تقدم أداء جيداً. ومع ذلك فإن مقاييس الأداء الأخرى تروي قصة مختلفة. إذ أن درجات تحصيل الطلاب في الاختبارات الدولية في القراءة والرياضيات والعلوم أقل من المتوسط بالنسبة إلى جميع الدول العربية الإحدى عشرة. وهذا يدل على أن الإنفاق الحكومي ومعدلات الالتحاق بالمدارس لا تعتبر مؤشرات كافية على جودة التعليم.

كما تتولى وزارات التربية القيام بدور مركزي للغاية، ولا تزال تخضع إلى هيمنة نظم إدارة سلطوية. فالوزارات تسيطر على معظم جوانب الأنشطة الخاصة بالمدارس الحكومية مثل الميزانية والمناهج الدراسية وتعيين الموظفين وترقيتهم واللوائح والأنظمة المدرسية. فضلاً عن ذلك، تفتقر معظم وزارات التعليم إلى وجود وحدات إشرافية تتميز بالكفاءة، والموارد البشرية القادرة، والالتزام السياسي القوي بإجراء إصلاح شامل.^(٢٦)

لا يزال تدريس جميع المواد الدراسية في المدارس الحكومية، بما في ذلك التربية المدنية، إرشادياً يوجهه المعلم، مع محدودية الفرص المتاحة للطلاب للانخراط في نقاش مفتوح أو التعبير عن آرائهم من دون خوف من الترهيب من جانب المعلمين. التعلم النشط أمر نادر الحدوث، ولا يتم تشجيع الطلاب على التفكير التحليلي أو النقدي.^(٢٧) إذ يحفظ الطلاب الحقائق والمعلومات التي تقدم لهم في الكتب المدرسية ويجترونها في الامتحانات من دون تطبيق تلك المعلومات مباشرة أو دمجها في خبرات ملائمة وهادفة.

أخيراً فإن نسبة كبيرة من المعلمين تدخل مهنة التدريس مع عدم كفاية الإعداد الأكاديمي والتدريب قبل الخدمة، ولا يتلقون تطويراً مهنيّاً كافياً ومناسباً أثناء خدمتهم. كما أن تغيب الطلاب والمعلمين، واكتظاظ الفصول الدراسية، ومحدودية الموارد تسهم جميعها في مشكلة البيئة المدرسية السلبية.^(٢٨)

(٢٦) محمد فاعور ومروان المعشر، «التربية من أجل المواطنة في العالم العربي: مفتاح المستقبل»، أوراق كارنيغي، تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١١، ص ١٢-١٥.

(٢٧) محمد فاعور، «بطاقة تقييم للتعليم في العالم العربي: البيئة المدرسية ومهارات المواطنة»، أوراق كارنيغي، شباط/فبراير ٢٠١٢، ص ٢٧-٢٩.

(٢٨) محمد فاعور، «بطاقة تقييم للتعليم في العالم العربي: البيئة المدرسية ومهارات المواطنة»، مرجع سبق ذكره، ص ٢٩.

بناء على كل ما سبق يمكن التوصل إلى نتيجة مفادها أن النظم التعليمية العربية تعاني من مشاكل خطيرة تعيق إنتاج مواطن قادر على التفاعل بشكل إيجابي في الحياة الاجتماعية والسياسية، ناهيك عن إيجاد نخبة من الباحثين القادرين على علاج أزمات مجتمعاتهم.

ب- قصور وضعف الأداء الحكومي

أحد أهم التحديات التنظيمية التي تعانيها الدوائر الحكومية العربية هي كيفية خلق توازن بين بيروقراطية حكومية تقود إلى بطء في الإجراء وبين أنظمة إدارية مرنة تعطي المؤسسات الحكومية صلاحيات موسعة لكنها صلاحيات قد يساء استخدامها. لا شك أن النظم الحكومية البيروقراطية يراود منها تحقيق المساواة والصرامة في منع التلاعبات. لذا فالأنظمة البيروقراطية تسعى لتحقيق أهداف سامية من عدالة ومساواة في الوقت الذي تحاول منع وجود بيئة خصبة للفساد من قبل متنفذي تلك المنشآت. فالأنظمة البيروقراطية تسعى نحو تحقق التنظيم على حساب سرعة الإنجاز والتيسير. لذا فإن الأنظمة البيروقراطية قد لا تتمتع بفعالية عالية في الأداء بقدر ما تسعى لتحقيق درجة عالية من المساواة والعدالة.^(٢٩)

إلا أن التركيز على التنظيم أدى إلى تعقد عمل الجهاز الحكومي بجميع مؤسساته وانعكس على مستوى أدائه وضعف إنجازاته وأصبح غير قادر على التعامل مع الملفات الضخمة المعقدة ولم يحقق مستوى الطموح المتوقع وخاصة نحن في القرن الحادي والعشرين عهد التكنولوجيا والتنمية المهنية للموظفين والدورات التدريبية لتطوير الأداء بغرض الارتقاء بمستوى الإنجاز. كما يعاني الجهاز الحكومي العربي من الترهل بسبب ضخامته وعدم كفاءته وزخم البطالة المقنعة بسبب محدودية فرص العمل وتعقيد الهياكل الحكومية ومرض البيروقراطية المتفشية في الجهاز حتى أصبح من الصعب تفكيكها بسبب صعوبة تعقيدها، إضافة إلى فقدان التوصيف الوظيفي للموظفين المقرونة بساعات العمل ومستوى الإنجاز، ناهيك إلى شحاحة تدريب الموظفين للارتقاء بمستوى الأداء مقارنة بالقطاع الخاص. وإذا حدد برنامج تدريبي للموظفين نراه مقصوراً على عدد محدود ومعين منهم.^(٣٠)

(٢٩) صالح النملة، البيروقراطية العربية.. والتخصص، صحيفة الرياض السعودية، ٢٣/١٠/٢٠٠٢.

<http://www.alriyadh.com/2002/10/23/article25144.html>.

(٣٠) د. سلوى عبدالله الجسار، الجهاز الحكومي إلى أين؟ جريدة الوطن الكويتية، ٢٠/٧/٢٠١٢.

<http://kuwait.tt/article/details.aspx?Id=209443>.

لذا يمكن القول أن جهاز إداري بهذه الطبيعة لا يتصور استجابته لأي محاولة للتغيير، ناهيك إذا كانت تهدف إلى التطوير من أجل حل مشكلات المجتمع العربي.

ج- ضعف مؤسسات البحث العلمي الحكومية

يرى المهتمون والمتخصصون بشؤون التعليم العالي أن البحث العلمي في الوطن العربي ما زال متواضعاً بشكل عام سواء كان تطبيقياً أو نظرياً، ويكون في آخر سلم الأولويات للجامعات العربية فبينما تشكل الأعباء الوظيفية للبحث العلمي في الدول المتقدمة ما نسبته ٢٣٪ من مجموع أعباء عضوية التدريس، في حين لا تتعدى هذه النسبة في جامعات العربية ٥٪ من مجموع أعباء عضوية التدريس، إضافة إلى أن البحث العلمي في الجامعات العربية موجه وفي أغلب الأحيان، لأغراض الترقية الأكاديمية والتثبيت، ونادراً ما يوجه لعلاج قضايا المجتمع ومؤسساته.^(٢١)

من جانب آخر تشغل الجامعات العربية في تدريس أعداد هائلة تفوق طاقاتها البشرية والمادية الأمر الذي يكون له تأثيراً سلبياً بالغاً على القيام بدورها في تأدية وظائفها الأخرى في مجال البحث والتجديد والإبداع. فعدد البحوث القيمة على المستوى العالمي التي تصدر من جميع الجامعات العربية هو قليل جداً، في نفس الوقت فإن القدرات الإنتاجية للباحث الواحد في الدول المتقدمة بـ ٥, ٢ بحث سنوياً، في حين أن إنتاجية الباحث العربي في حدود ٢, ٠ بحثاً سنوياً^(٢٢). كما تبلغ نسبة تطبيق الأبحاث في مصر من إجمالي ما يتم إنتاجه سنوياً حوالي ٥ إلى ١٠٪ وهي نسبة ضعيفة سببها عدم الثقة وغياب الإرادة السياسية والقرار السياسي.^(٢٣)

د- هشاشة وضع المراكز البحثية المتخصصة

بداية يجدر الإشارة إلى أن الكثير من الحكومات والأجهزة السياسية المتنفذة الغربية، تعتمد إلى مراكز الأبحاث، للاستفادة من خدماتها ودراساتها، فغالباً ما نجد مع نمو أي ظاهرة اجتماعية أو سياسية أو ثقافية أو اقتصادية، ينبري لها أهل الخبرة والاختصاص في الإطار المؤسسي الذي يجمعهم لدراسة تلك الظاهرة، وتقديم نتائج أبحاثهم وخلاصة آرائهم إلى الحكومة أو الأجهزة التنفيذية في الدول الغربية. فالولايات المتحدة ومع بروز

(٢١) عايش زيتون، أساليب التدريس الجامعي، عمان، دار الشروق، ١٩٩٥، ص ١٢٢.

(٢٢) سعيد التل، قواعد التدريس الجامعي، عمان، دار الشروق، ص ٥٣.

(٢٣) هند مصطفى، البحث العلمي في حالة حرجة هجرة العلماء، ٢٠١٢/١٢/١، الأهرام الرقمي.

<http://digital.ahram.org.eg/articles.aspx?Serial=1114056&eid=6601>.

ظاهرة الصحة الإسلامية في العالم العربي والإسلامي بدأت مراكز الأبحاث والدراسات فيها بالاهتمام بهذا الحقل، وجمعت الكفاءات والقدرات الفكرية والسياسية للاستفادة منهم في هذا المجال، للوصول إلى تصور واضح واستراتيجي عن هذه الظاهرة، ومن أشهر مخرجاتها حتى الآن تقارير مؤسسة راند، والتي يعمل بها أكثر من ٨٠٠ باحث بميزانية لا تقل عن ١٥٠ مليون دولار.

أما في الوطن العربي فيبدو أن تخلف الدول العربية في مجال البحث العلمي، قد انعكس بصورة أو بأخرى على المراكز البحثية فيها، لذلك فإن ما هو موجود في الوطن العربي من مراكز ومعاهد ومؤسسات بحثية، مع ندرتها، لا يحمل أكثر من مجرد الأسماء، إلا فيما ندر، لأسباب كثيرة منها التمويل غير الكافي للعملية البحثية، ومنها أيضاً التبعية المالية والإدارية للحكومات، فأغلب مراكز البحوث والدراسات العربية تابعة بشكل أو بآخر للحكومات نظراً لعزوف القطاع الخاص عن احتضان وتأسيس المراكز العلمية والبحثية، ومنها المناخ السياسي غير الموات للعملية البحثية بسبب غياب الديمقراطية والافتقار إلى الحريات وإلى الشفافية في التعامل مع حرية تداول المعلومات، واحتكارية السلطة التي تجعل نظم الحكم سلطوية وشخصانية بما يكفى لتهميش أي دور استشاري أو ترشيدي لمراكز البحوث في عملية صنع القرارات وفي مقدمتها قرارات السياسة الخارجية، في نفس الوقت يرى صانع القرار العربي بأن الدراسات والمراكز الغربية والأجنبية هي الأجدى^(٢٤)، ولذلك فهو يفضل التعاقد مع مراكز بحثية دولية لإجراء دراسات عن الواقع المحلي، بدلاً من التعاقد مع المراكز المحلية.

الإنفاق الحكومي على المراكز البحثية في العالم العربي بلغت بحسب آخر الإحصاءات نحو ٨, ٩٠ ٪، فيما بلغت نسبة تمويل القطاع الخاص لتلك المراكز نحو ٢, ٩ ٪ فقط. في حين وفيما يخص جانب التمويل والإنفاق، وهو من الجوانب شديدة التأثير على دور هذه المراكز، تقول عضو هيئة التدريس في جامعة الملك فيصل الدكتورة أميمة بنت أحمد الجلاهية إن نسبة تتراوح حصة القطاع الخاص في تمويل المراكز البحثية ما بين ٧٠ ٪ في اليابان و ٥٢ ٪ في الولايات المتحدة الأمريكية.^(٢٥)

(٢٤) خالد وليد محمود، دور مراكز الأبحاث في الوطن العربي: الواقع الراهن وشروط الانتقال إلى فاعلية أكبر، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، يناير ٢٠١٣، ص ٢٤ - ٢٥.

(٢٥) عصام زيدان، تحقيق: المراكز البحثية.. الأهداف الطموحة والحلقات المفقودة، موقع مفكرة الإسلام،

السبت ١٩ يوليو ٢٠٠٨. <http://www.islammemo.cc/Tahkikat/2008/07/19/67032.html>

من جانب آخر يتسم عمل المراكز البحثية العربية بالعشوائية، وضعف آليات التعاون والشراكة الحقيقية بين مراكز الدراسات الخاصة والحكومية والأكاديمية على المستوى العربي، وعدم توفر قنوات اتصال و«شبكة تنسيق بين مراكز الأبحاث العربية والعالمية؛ لنقل الخبرة وتأسيس شراكة معرفية».^(٣٦)

وبغياب نظام جاذب يحفز الكفاءات وذوي الخبرة على الالتحاق بمراكز الأبحاث، فضلاً عن ضعف الإمكانيات التسويقية للإنتاج المعرفي لتلك المراكز من كتب أو دوريات أو مجلات علمية أو غير ذلك نصبح أمام بيئة غير «مولدة للأفكار المتجددة والإبداع».^(٣٧)

هـ- غياب المعلومات الصحيحة

تعد مشكلة ضعف المعلومات، وعدم توفر قواعدها وفق النظم المعلوماتية الحديثة حتى يتسنى للباحثين استخدامها، وعدم توفر مصادر للمعلومات والبيانات العلمية حديثة المصدر لا سيما أنها الأساس لإعداد الأبحاث والدراسات من أهم المشكلات التي تعوق التوصل إلى نتائج دقيقة يمكن أن يستفيد منها المجتمع. يضاف إلى ذلك الافتقار إلى الكتب والدوريات خاصة منها تلك التي تتعلق بدراسة القضايا المعاصرة. وفي هذا السياق نفسه، نذكر قلة البيانات اللازمة لإجراء البحث، وانعدامها كلياً؛ ونخص بالحديث تلك التي تتعلق بقضايا تعدها الدولة حساسة. ونضيف إلى ذلك صعوبة الحصول إحصاءات وبيانات من جانب الجهات الحكومية لإجراء البحث، وانعدامها كلياً؛ ونخص بالحديث تلك التي تتعلق بقضايا تعدها الدولة حساسة. ونضيف إلى ذلك صعوبة الحصول على إحصاءات وبيانات من جانب الجهات الحكومية.

رؤية مستقبلية

بالتأكيد وصلت المجتمعات العربية إلى حالة من الجمود تعيق أي تقدم لها بشكل يؤدي إلى تزايد متواصل في حجم الفجوة بين العالمين الشعوب العربية والشعوب الغربية المتقدمة، بل أكثر من ذلك تكونت فجوة يتزايد إتساعها يوم بعد يوم بين دولنا العربية وبين دول العالم النامي الأخرى والتي كانت مثلنا عضواً في نادي التخلف. فقد سبقتنا الصين وتركيا والبرازيل بكثير.

(٣٦) هشام الشهباني، «مراكز الأبحاث وأهميتها»، موقع دنيا الوطن، على الرابط:

<http://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2011/08/07/234398.html>.

(٣٧) خالد وليد محمود، مرجع سبق ذكره، ص ٣٦.

في هذا الاتجاه يؤكد د. جلال أمين على أنه من المستحيل أن نتوقع من المفكر الاجتماعي العربي أن يحارب معركته الخاصة مستقلا عن رجل السياسة ورجل الإقتصاد. فعلى الجميع أن يحاربوا نفس المعركة في نفس الوقت. ومن قبيل تبديد الطاقة والجهد أن يطلب إلى الفكر العربي الإبداع في الوقت الذي يعمل فيه رجل السياسة وواضع السياسة الإقتصادية في اتجاه مضاد تماما. أو أن يطلب من الباحث الاجتماعي إثارة الشك في المسلمات النظرية الغربية في الوقت الذي يرضخ فيه رجل السياسة والاقتصادي للضغوط السياسية ويقبل السلع والإستثمارات الأجنبية دون مناقشة.^(٢٨)

كما يرى الدكتور نبيل السمالوطي عميد كلية الدراسات الإنسانية السابق بجامعة الأزهر إن البحث العلمي يرتبط بالتنمية البشرية ومدى إعداد القوى البشرية القادرة على تملك أدوات التفكير العلمي ومعالجة قضايا الحياة العملية بمنهجية وفكر منظم، ويقع داخل هذا الإطار مدى قدرة المجتمع على تنمية قدرات الأطفال ومن ثم صغار السن والشباب بحيث يصبحون محبين للعلم.^(٢٩)

نتائج الدراسة

١. أن الفجوة الحضارية التي تفصل العالم العربي عن ركب الحضارة هي نتيجة وسبب في نفس الوقت. فإذا كانت الفجوة الحضارية تلك هي نتيجة لمناخ القهر والإستبداد الذي جعل من الدولة ومؤسساتها في خدمة النخبة الحاكمة، فإنها في نفس الوقت سببا لغياب المناخ الملائم لإنتاج البحوث الاجتماعية والإنسانية القابلة للتطبيق.
٢. أن معوقات تطبيق نتائج البحوث الاجتماعية أصبحت تشكل هيكل متكامل لا تقف في وجه التطبيق الجادى للبحوث الاجتماعية والإنسانية العربية فقط وإنما أصبح هذا الهيكل يعوق العملية البحثية بالكامل.
٣. أن التغلب على هيكل المعوقات لتطبيق نتائج البحوث يحتاج إلى ثورة حقيقية تجعل من التقاء الباحث الاجتماعي برجل السياسة ورجل الإدارة المتوسطة في الجهاز الحكومي في ظل مناخ ملائم لذلك بهدف وحيد هو إحداث تنمية بشرية حقيقية.
٤. أن إصلاح وتطوير واقع الضعف العربي لا يتأتى إلى من خلال إنتاج بحوث ونظريات عربية تتناول الواقع بشكل إصلاحى وليس إستيراد نظريات غربية لا تعطى الأدوات

(٢٨) د. جلال أمين، مرجع سبق ذكره، ص ٢٧٢.

(٢٩) لماذا تقدم الآخرون.. وتخلفنا نحن العرب؟ جريدة اليوم السعودية، ٢٠١٢/٨/٩.

<http://www.alyaum.com/News/art/56174.html>.

اللازمة لمعالجة القضايا والمشكلات العربية المزمنة، وحتى نتجنب البحوث الاجتماعية في بلادنا عقيمة يعاد تركيبها في إشكاليات مصطنعة لا تلائم الواقع.

توصيات الدراسة

١. إنشاء العديد من المراكز البحثية المتكاملة في العلوم الاجتماعية والإنسانية تتولى الدولة إنشائها وتعيين الباحثين فيها وأن تتولى لجنة من القطاع الخاص مراجعة البحوث ونشرها وذلك لضمان جودة البحوث.

٢. إنشاء آلية عمل داخل تلك المراكز تلزم الباحث في فرع معين من العلوم الاجتماعية بأخذ رأى التخصصات البحثية الأخرى في نتيجة بحثه وذلك بهدف ضمان مدى ملائمة نتائج البحث للتطبيق الفعال. فمثلا في البحوث القانونية ينبغي عرض نتائجها على الأقسام السياسية والإقتصادية في المركز لبيان تأثير البحوث على الحياة السياسية والإقتصادية بالدولة.

٣. إنشاء إدارت للبحث العلمى في الوزارات والمصالح الحكومية تكون مهمتها ليس إنتاج البحوث وإنما تطبيق نتائج البحوث التى تنتجها المراكز البحثية المتكاملة مع إمكانية إستضافة الباحث منتج الدراسة، أو إدخال التعديلات التى تراها مناسبة على البحث إن وجدت، وذلك بهدف ضمان التطبيق الأمل للبحوث الاجتماعية.

الحماية القانونية للمرأة العاملة في فترتي الحمل والوضع وفقاً لقانون العمل السعودي والمعايير الدولية

د. نسرین منصور

We dealt with in this research topic of legal protection for working women in pregnancy and childbirth, and touched through the provisions of the Saudi labor law and we compare the legal provisions contained therein international standards laid down in international conventions such as the Convention No. (183) as well as We compared the legislation Saudi and Egyptian legislation regarding the right of women to get maternity leave and wage maturity, and may not be separated during this period.

ملخص البحث

تناولنا في هذا البحث موضوع الحماية القانونية للمرأة العاملة في فترة الحمل والولادة، وتطرقنا من خلاله لأحكام قانون العمل السعودي وقمنا بمقارنة الأحكام القانونية التي وردت فيه بالمعايير الدولية التي نصت عليها الاتفاقيات الدولية كالاتفاقية رقم (١٨٣) وكذلك قمنا بالمقارنة بين التشريع السعودي والتشريع المصري فيما يتعلق بحق المرأة في الحصول على إجازة الوضع واستحقاقها للأجر، وعدم جواز فصلها خلال هذه الفترة.

• دكتورة في القانون المدني/مصر. nesreen76@hotmail.com

مقدمة

حرص المشرع السعودي على إعطاء المرأة الحق الكامل في العمل شأنها شأن الرجل، بينما فرق بينهما فقط فيما يتعلق ببعض المهن الخطرة التي لا تتناسب وطبيعتها وقد حظيت المرأة العاملة أثناء الحمل وبعد الولادة باهتمام كبير من المشرع السعودي الذي أولاهما جل اهتمامه مراعاة لها ولظرفها الصحي ولطفلها القادم حديثاً إلى عالم جديد غير مألوف بالنسبة له، وفي هذا البحث نحاول أن نلقي الضوء على تلك الحماية التي منحها المشرع السعودي للمرأة في فترتي الولادة والرضاعة من خلال دراسة النصوص القانونية التي تناولت هذه الحقوق، ومدى كفاية تلك النصوص في توفير الحماية المرجوة

أهمية البحث: تكمن أهمية هذا البحث في تمكين المرأة العاملة من معرفة حقوقها كاملة في تلك الفترات الصعبة التي تمر بها، سيما وأنها عادة ما تكون منهكة القوى لا تقدر على العمل قبل وبعد الولادة مباشرة.

إشكالية البحث: تتلخص إشكالية البحث في الإجابة على السؤال الرئيس والذي يتفرع عنه عدة تساؤلات أخرى لا تقل عنه أهمية:

فمشكلة البحث تدور حول الإجابة عن التساؤل الرئيس وهو ما مدى كفاية النصوص القانونية التي وضعها المشرع السعودي في قانون العمل السعودي في توفير الحماية القانونية للمرأة في فترتي الحمل والولادة.

ويتفرع عن هذا التساؤل الرئيس عدة أسئلة فرعية نقتصر على ذكر بعضها لكثرتها ومنها:

١- هل اتفق المشرع السعودي مع غيره من القوانين الأخرى في توفير تلك الحماية للمرأة في فترتي الحمل والولادة.

٢- هل اتفق قانون العمل السعودي وغيره من التشريعات العربية فيما يتعلق بحقوق المرأة في فترتي الحمل والوضع مع ما جاء في الاتفاقيات والمعايير الدولية.

منهج البحث: سأتبع في البحث المنهج الوصفي التحليلي، لشموله وتضمنه المنهج المقارن والذي سأحتاج إليه بالتأكيد لعقد مقارنة بين القانون السعودي ونظرائه من القوانين الأخرى المجاورة كقانون العمل الأردني وقانون العمل المصري وغيرهما.

المطلب الأول: الحماية القانونية للمرأة العاملة قبل الولادة وبعدها

لأشك في أن المشرع السعودي شأنه شأن باقي تشريعات العمل الأخرى حرص على تقنين حقوق المرأة العاملة في تلك الفترات.

استحقاق المرأة العاملة لإجازة الحمل والوضع^(١)

لم يكتف المشرع السعودي بمساواة المرأة بالرجل في الحق في العمل والكسب، ولكنه أيضاً حرص على توفير العناية الكاملة لها قبل فترة الولادة وبعدها، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على التطور الكبير الذي شهده العالم بشكل عام والمملكة بشكل خاص فيما يتعلق بحقوق المرأة.

فقد نصت المادة الحادية والخمسون بعد المائة على «للمرأة العاملة الحق في إجازة وضع لمدة الأسابيع الأربعة السابقة على التاريخ المحتمل للوضع والأسابيع الستة اللاحقة له.....»

ويبدو واضحاً من خلال هذا النص أن المشرع السعودي شأنه شأن العديد من القوانين العربية أعطى للمرأة الحق في إجازة وضع وجزأها إلى جزأين، الجزء الأول قبل الوضع والجزء الثاني بعد الوضع.

قواعد منح المرأة العاملة إجازة قبل الوضع

من خلال قراءة النص السابق يتضح أن المشرع السعودي منح المرأة العاملة الحق في إجازة تسبق الوضع وذلك مراعاة منه للحالة التي تكون المرأة عليها في هذه الفترة من إعياء وتعب شديدين مما يجعلها غير قادرة على أداء عملها على أكمل وجه وربما أدى عملها في هذه الفترة إلى هلاكها أو هلاك جنينها، غير أنه قيد منح المرأة الحق في الحصول على هذه الإجازة بعدة ضوابط أو قواعد يمكن استنباطها من النص السابق:

١- أن الحق في إجازة الوضع التي تسبق الوضع هو حق مشترك لجميع النساء العاملات دون تمييز بين المرأة المواطنة والأجنبية في ذلك.

٢- تم تحديد مدة الإجازة التي تسبق الوضع بحد أقصى أربع أسابيع، وفي هذا

(١) إلياس يوسف. الوجيز في شرح قانون العمل رقم (٧١) لسنة ١٩٨٧. وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، معهد الإدارة. ١٩٨٨-١٩٨٩.

يختلف المشرع السعودي عن غيره من القوانين الأخرى كقانون العمل المصري والذي نص في المادة ٩١ على «للعاملة التي أمضت عشرة أشهر في خدمة صاحب عمل أو أكثر الحق في إجازة وضع مدتها تسعون يوماً بتعويض مساو للأجر الكامل تشمل المدة التي تسبق الوضع والتي تليه، بشرط أن تقدم شهادة طبية مبينة بها التاريخ الذي يرجح حصول الوضع فيه. ولا يجوز تشغيل العاملة خلال الخمسة وأربعين يوماً التالية للوضع. ولا تستحق إجازة الوضع أكثر من مرتين طوال مدة خدمة العاملة».

ففي الوقت الذي نجد فيه أن المشرع المصري قد حدد مدة إجازة الوضع بتسعين يوماً، نجده لم يتطرق لتحديد المدة التي تحصل عليها المرأة قبل الوضع، وإنما جعل الأمر متروكاً للمرأة بحسب حالتها الصحية والتي تقدرها هي وطبيبها المختص^(٢)، أما المشرع السعودي فقد حدد تلك المدة بأربعة أسابيع، ونرى بأن ما توجه إليه المشرع المصري كان أكثر توفيقاً مما أخذ به المشرع السعودي، إذ أن المرأة عادة ما تحتاج إلى أكبر فترة من الراحة بعد الوضع، وكثير من النساء لا تحتاج إلى فترة إجازة طويلة قبل الوضع، ولذلك تمنينا لو أن المشرع السعودي حذا حذو المشرع المصري والمشرع الأردني والسوري في هذا الشأن، وترك أمر تحديد تلك الفترة للمرأة وبحسب حالتها الصحية دون أن ينقص ذلك من حقها في إجازة وضع لا تقل مدتها قبل وبعد الولادة عن عشرة أسابيع ومن ثم يمكن للمرأة أن تحصل على جزء من إجازة الوضع قبل الوضع سواء بأسبوع أو أسبوعين أو ثلاثة أسابيع شريطة أن لا تقل مدة الإجازة بعد الوضع عن ستة أسابيع^(٣).

٣- أن المشرع السعودي لم يحظر تشغيل المرأة خلال الأسابيع الأربعة السابقة على الوضع، ولو أراد ذلك لنص عليه صراحة ولكنه لم يفعل واقتصر في حظر العمل خلال إجازة الوضع على الأسابيع الستة التالية لفترة الوضع ويظهر هذا جلياً من خلال نص المادة ١٥١ من قانون العمل السعودي والتي نصت على «.....» ويحظر تشغيل المرأة خلال الأسابيع الستة التالية مباشرة للوضع»، ويفهم من ذلك أن المشرع السعودي أعطى للمرأة العاملة الحق في التنازل عن حقها في الإجازة التي تسبق الوضع مما يعني أن إجازة الوضع في القانون السعودي قد تقتصر على ستة أسابيع فقط، إن تنازلت المرأة عن حقها

(٢) د. يوسف إلياس. المرجع السابق.

(٣) د. سيد محمود رمضان. الوسيط في شرح قانون العمل وفقاً لآخر التعديلات لسنة ٢٠٠٢ دراسة مقارنة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط ١، الإصدار الثاني ٢٠٠٦.

في الحصول على الإجازة التي منحها لها المشرع قبل الولادة، وذلك على خلاف باقي التشريعات الأخرى والتي جزأت إجازة الوضع إلى جزأين وأعطت المرأة الخيار فيما يتعلق بإجازة قبل الوضع ولكنها اشترطت في كل الأحوال أن لا يقل مجموع الجزأين عن عشرة أسابيع كما في القانون الأردني^(٤) أو تسعين يوماً كما هو الحال في التشريع المصري^(٥).

٤- لم يشترط المشرع السعودي استحقاق المرأة لهذه الإجازة بأن تكون قد عملت مدة معينة لدى صاحب العمل، وإنما جعلها تستحق ذلك مهما كانت مدة خدمتها لدى رب العمل.^(٦)

قواعد منح المرأة إجازة بعد الوضع

من خلال قراءة نص المادة ١٥١ من قانون العمل السعودي يمكننا تحديد أهم قواعد منح المرأة العاملة إجازة ما بعد الوضع:

١- حدد المشرع السعودي مدة الإجازة التي تستحقها المرأة بعد الوضع بستة أسابيع، وجاء هذا التحديد على سبيل التقييد، حيث أنه يفهم من خلال قراءة النص بأن المشرع السعودي جعل الحد الأقصى لتلك الإجازة التي تلي الوضع ستة أسابيع، في حين أن المشرع الأردني جعلها كحد أدنى للفترة التي تستحقها المرأة بعد الوضع من مجموع إجازة الوضع والتي يجب ألا تقل بحال من الأحوال عن عشرة أسابيع، وقد بينا ذلك مسبقاً.

٢- أوجب المشرع السعودي على المرأة العاملة إثبات التاريخ المحدد للوضع من خلال تقرير يعده طبيب المنشأة في حال وجوده أو شهادة طبية موثقة من جهة صحية، وحيث أن المشرع السعودي لم يحدد تلك الجهة الصحية ولم يشترط أن تكون حكومية أو معتمدة لدى المنشأة، لذلك يستوي أن تكون تلك الشهادة الصحية صادرة من جهة صحية حكومية أو خاصة، مستشفى أو مجرد مستوصف علاجي.

٣- حظر المشرع السعودي تشغيل المرأة خلال هذه المدة وهي فترة الأسابيع الستة التالية للوضع، حتى ولو كان ذلك برضا المرأة وموافقتها والعلة من ذلك تكمن في مراعاة المشرع لصحة المرأة بعد الوضع وصحة وليدها الرضيع والذين يكونان في أمس الحاجة للرعاية والراحة التامة خاصة في الفترة الأولى بعد الولادة مباشرة^(٧).

(٤) راجع المادة ٧٠ من قانون العمل الأردني رقم ٨ لعام ١٩٩٦ وتعديلاته.

(٥) يوسف إلياس. المرجع السابق.

(٦) د. يوسف إلياس. أطروحات في القانون الدولي والوطني للعمل، دار وائل للنشر، الطبعة الأولى ٢٠٠٨.

(٧) د. أحمد عبد الكريم أبو شنب. شرح قانون العمل وفقاً لأحدث التعديلات، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ٢٠٠٦.

المطلب الثاني: استحقاق المرأة لأجرها خلال إجازة الوضع

حرساً من المشرع السعودي وغيره من تشريعات العمل الأخرى فقد ألزم المشرع رب العمل بأن تكون إجازة الوضع سائلة الذكر مدفوعة الأجر، وذلك من أجل سد حاجة الأم بعد الوضع، والتي تحتاج هي ووليدها في هذه الفترة الكثير من النفقات.

وقد تناول نص المادة الثانية والخمسون بعد المائة من تشريع العمل السعودي تنظيم هذا الأمر، فجاء النص كالتالي «على صاحب العمل أن يدفع إلى المرأة العاملة أثناء انقطاعها عن عملها في إجازة الوضع ما يعادل نصف أجرها، إذا كان لها خدمة سنة فأكثر لدى صاحب العمل، والأجرة كاملة إذا بلغت مدة خدمتها ثلاث سنوات فأكثر يوم بدء الإجازة، ولا تدفع إليها الأجرة أثناء إجازتها السنوية العادية، إذا كانت قد استفادت في السنة نفسها من إجازة وضع بأجر كامل، ويدفع إليها نصف أجرها أثناء الإجازة السنوية، إذا كانت قد استفادت في السنة نفسها من إجازة وضع بنصف الأجر».

ويقابل هذه المادة نص المادة ٩١ من قانون العمل المصري: (للعاملة التي أمضت ١٠ أشهر في خدمة صاحب العمل أو أكثر الحق في إجازة وضع مدتها ٩٠ يوماً بتعويض مساوي للأجر الشامل تشمل المدة التي تسبق الوضع والتي تليها بشرط أن تقدم شهادة طبية مبينة بها التاريخ الذي يرجح حصول الوضع فيهن ولا يجوز تشغيل العاملة خلال ٤٥ يوماً التالية للوضع، ولا تستحق إجازة الوضع لأكثر من مرتين طوال مدة خدمة العاملة).

ومن خلال قراءة هذين النصين يمكننا أن نخلص إلى أهم الأحكام التي وضعها المشرع السعودي من أجل استحقاق المرأة العاملة لأجرها خلال إجازة الحمل والوضع.

- ١- أن تكون المرأة قد أمضت لدى صاحب العمل سنة فأكثر، وذلك حتى تستحق نصف أجرها المقرر لها، وبمفهوم المخالفة إذا لم تكن المرأة قد أمضت سنة كاملة لدى صاحب العمل، واستحققت إجازة الحمل والوضع فإن هذه الإجازة تكون غير مدفوعة الأجر.
- ٢- أن تكون المرأة قد أمضت لدى صاحب العمل من ثلاث سنوات فأكثر حتى تستحق أجرها كاملاً.

- ٣- لا تستحق المرأة العاملة أجرها عن الإجازة السنوية العادية إذا ما كانت قد استفادت من إجازة الوضع مدفوعة الأجر بالكامل، غير أنه يدفع لها نصف أجرها في الإجازة السنوية العادية إذا كانت قد استفادت في السنة نفسها من إجازة وضع بنصف الأجر.

والحقيقة أن ربط المشرع إجازة الوضع بالإجازة السنوية العادية هو أمر مستغرب، لا سيما وأنه لم نجد في أي من القوانين العربية مثل هذا النص، فنجد أن المشرع المصري من خلال نص المادة ٩١ قد أعطى للمرأة الحق في الحصول على كامل أجرها في حال إجازة الوضع سواء السابقة أو اللاحقة على عملية الوضع^(٨)، ولم يحرمها من أجرها عن الإجازة السنوية العادية لأن هذا حق من حقوقها ولا يجوز المساس به، كما أن المشرع المصري قد حدد المدة التي يجب أن تكون المرأة قد قضتها لدى صاحب العمل بعشر شهور حتى تستحق أجرها كاملاً في فترة إجازة الوضع، نجد أن المشرع السعودي قد قسم النساء في هذه الحالة إلى فئتين، الفئة الأولى: النساء اللواتي قضين لدى صاحب العمل من سنة إلى ثلاث سنوات فإنهن يستحقن نصف الأجر، والفئة الثانية من اللواتي قضين لدى صاحب العمل من ثلاث سنوات فأكثر فإنهن يستحقن كامل الأجر، وهذا الأمر جعلنا نتساءل عن أسباب هذا التقسيم لا سيما وأن الهدف من دفع الأجر خلال هذه الفترة هو تمكين المرأة من الإنفاق واستعادة صحتها ورعاية صغيرها دون أن تكون مشغولة بأمر النفقات والمصاريف.

المطلب الثالث: ضمانات المرأة أثناء فترة إجازة الحمل والوضع^(٩)

علاوة على حق المرأة العاملة في الحصول على إجازة الحمل والوضع، واستحقاقها للأجر وفقاً للأحكام سائلة الذكر، فإن المشرع السعودي شأنه شأن باقي التشريعات الأخرى قد حرص على إعطاء المرأة العاملة في هذه الفترة الحرجة الكثير من الضمانات التي تكفل لها إجازة مطمئنة تتفرغ فيها لرعاية نفسها ورضيعها دون الخوف من أن يقوم رب العمل بفصلها أو حتى إنذارها بالفصل.

عدم جواز فصل المرأة خلال إجازة الحمل والوضع أو توجيه إنذار بالفصل لها

وقد جاء التأكيد على هذه الضمانات من خلال نص المادة الخامسة والخمسون بعد المائة من نظام العمل السعودي، والتي نصت على «لا يجوز لصاحب العمل فصل

(٨) يوسف إلياس. الوجيز في شرح قانون العمل. مرجع سابق.

(٩) للمزيد من الحقوق التي تستحقها المرأة خلال فترة إجازة الحمل والوضع راجع د. محمد لبيب شنب، شرح قانون العمل، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٩٦ وكذلك راجع د. السيد حسن عباس، النظرية العامة للتأمينات الاجتماعية (قانون العمل) مطبعة الاتحاد، ط٢، دمشق ١٩٦٥، وكذلك راجع أكنم الخولي، دروس في قانون العمل، القاهرة ١٩٥٧.

العاملة، أو انذارها بالفصل أثناء تمتعها بإجازة الوضع» ويقابل هذا النص نص المادة ٩٢ من قانون العمل المصري والتي تنص على «يحظر على صاحب العمل فصل العاملة أثناء أجازة الوضع...».

ويتبين من خلال ذلك بأن القانون قد منع صاحب العمل من فصل المرأة العاملة أثناء تمتعها بإجازة الوضع، أو حتى مجرد انذارها بالفصل، فإذا قام رب العمل بذلك فإن الفصل يكون غير مشروع أو فصلاً تعسفياً، حتى ولو كان قد أشعرها بالفصل، ويعتبر الفصل غير مشروع في هذه الحالة أياً كانت طبيعة عقد العمل المبرم بين المرأة وصاحب العمل.

وقد حرص المشرع السعودي على تنظيم الآثار القانونية المترتبة على الفصل التعسفي أو الغير مشروع، فقد نص في المادة السابعة والسبعون من نظام العمل السعودي على «إذا أنهى العقد لسبب غير مشروع كان للطرف الذي أصابه ضرر من هذا الإنهاء الحق في تعويض تقدره هيئة تسوية الخلافات العمالية، يراعى فيه ما لحقه من أضرار مادية وأدبية حالة واحتمالية وظروف الإنهاء».

كما نصت المادة الثامنة والسبعون من نفس النظام على أنه «يجوز للعامل الذي يفصل من عمله بغير سبب مشروع أن يطلب إعادته إلى العمل وينظر في هذه الطلبات وفق أحكام هذا النظام ولائحة المرافعات أمام هيئة تسوية الخلافات العمالية».

ويتضح من خلال هذين النصين أن ثمة آثار تترتب على فصل العاملة أثناء إجازة الوضع:-

١- حق المرأة في التعويض: فللمرأة التي قام صاحب العمل بإنهاء عقدها أو فصلها خلال إجازة الوضع الحق في طلب التعويض عن الأضرار التي لحقت بها جراء قيامه بهذا الإجراء التعسفي في حقها، وقد اشترط المشرع للمطالبة بالتعويض في هذه الحالة أن يكون المدعي قد لحقه ضرر جراء الفصل غير المشروع، وجعل هيئة تسوية الخلافات العمالية، هي الجهة المنوط بها الفصل في تلك المنازعات، والحكم بالتعويض، وقد حرص المشرع السعودي على التأكيد بأن يشمل التعويض في هذه الحالة ليس فقط الضرر المادي الحال وإنما شمل أيضاً الأضرار الأدبية وكذلك الاحتمالية، مع التأكيد على مراعاة أسباب الإنهاء وظروفه.

٢- حق المرأة في المطالبة بالعودة إلى عملها: فللمرأة التي تم فصلها أثناء إجازة الوضع الحق في المطالبة بالعودة إلى عملها الذي فصلت منه فصلاً تعسفياً، وتعتبر هيئة تسوية الخلافات العمالية هي الجهة المختصة بنظر دعواها، فإذا تبين للهيئة أن الفصل الصادر من جانب رب العمل فصلاً تعسفياً، فلها الحق في أن تصدر قراراً بعودة المرأة المفصولة إلى العمل.

٣- صاحب العمل غير ملزم بإعادة المرأة المفصولة إلى عملها^(١٠): وهذا ما تبين لنا من خلال قراءة النصوص السابقة، حيث أننا لم نجد ما يفيد إلزام صاحب العمل بإعادة العامل المفصول تعسفياً إلى عمله، مما يفيد بأن الأمر متروك لخيار صاحب العمل، والذي إما أن يقبل بالتنفيذ العيني المتمثل في إعادة العامل إلى العمل، وإما أن يدفع له تعويضاً عادلاً تم في الحكم به مراعاة كافة البنود المنصوص عليها في المادة السابعة والسبعون من نظام العمل مع دفع كافة مستحقاته الأخرى من مكافأة نهاية الخدمة وأي مستحقات مالية أخرى.^(١١)

حرمان المرأة من أجرها خلال إجازة الوضع

نصت المادة السابعة والخمسون بعد المائة من نظام العمل السعودي على أنه «يسقط حق المرأة العاملة فيما تستحقه وفقاً لأحكام هذا الباب إذا عملت لدى صاحب عمل آخر أثناء مدة إجازتها المصرح بها، ولصاحب العمل الأصلي - في هذه الحالة - أن يحرمها من أجرها عن مدة الإجازة أو أن يسترد ما أداه لها».

ويبدو واضحاً من خلال قراءة هذا النص بأن المشرع ما شرع الإجازة للمرأة خلال فترة الحمل والولادة وألزم صاحب العمل بدفع الأجر كاملاً أو جزء منه خلالها، إلا من أجل غاية سامية وهي حصولها على أكبر قسط ممكن من الراحة والحرص الشديد على استعادة المرأة لصحتها ورعايتها وليدها خاصة في الفترة الأولى من ولادته، غير أنه إذا ما قامت المرأة خلال تلك الإجازة بالعمل لدى رب عمل آخر، فإنها بذلك قد أهدرت الغاية السامية التي هدف إليها المشرع ولذلك اعطى الحق لصاحب العمل الأصلي في هذه الحالة أن يحرمها من أجرها عن مدة الإجازة في حال عدم دفعه لها، أو مطالبتها برده في حال قبضه.

(١٠) محمد لبيب شنب، المرجع السابق.

(١١) د. سيد محمود رمضان، المرجع السابق.

المطلب الرابع: إجازة الحمل والوضع في الاتفاقيات الدولية والتشريعات العربية

لا شك في أن انقطاع المرأة عن عملها بسبب الحمل والوضع، مع حرصها على عدم انقطاع دخلها خلال هذه الفترة، جعل هذا الأمر محط أنظار واهتمام العديد من الاتفاقيات الدولية والمنظمات العالمية، ومن أهم تلك الاتفاقيات الاتفاقية رقم (١٨٣) الخاصة بحماية الأمومة.

الحماية الصحية للمرأة الحامل وجنينها وفقاً للاتفاقية رقم (١٨٣)

نصت المادة الثالثة من الاتفاقية رقم (١٨٣) على أن «تتخذ كل دولة عضو بعد التشاور مع المنظمات الممثلة لأصحاب العمل والعمال، تدابير مناسبة لضمان ألا تضطر المرأة الحامل أو المرضع إلى أداء عمل تعتبره السلطة المختصة ضاراً بصحة الأم والطفل أو حيث يقرر تقييم بوجود خطر جسيم على صحة الأم أو صحة الطفل».^(١٢)

وبقراءة نصوص تشريع العمل السعودي والمصري وغيرها من تشريعات العمل العربية لم نجد أن أي منها قد تضمن نصوصاً قانونية روعيت فيها تلك المعايير الدولية، غير أننا يمكننا أن نعتمد بعض الشيء على نص المادة (٩٠) من قانون العمل المصري والتي نصت على «يصدر الوزير المختص قراراً بتحديد الأعمال الضارة صحياً أو أخلاقياً وكذلك الأعمال الشاقة وغيرها من الأعمال التي لا يجوز تشغيل النساء فيها»، ويقابلها نص المادة ١٤٩ من نظام العمل السعودي والتي نصت على «مع مراعاة ما ورد في المادة الرابعة من هذا النظام تعمل المرأة في كل المجالات التي تتفق مع طبيعتها، ويحظر تشغيلها في الأعمال الخطرة أو الصناعات الضارة، ويحدد الوزير بقرار منه المهن والأعمال التي تعد ضارة بالصحة أو من شأنها أن تعرض النساء لأخطار محددة مما يجب معه حظر عملهن فيها أو تقييده بشروط خاصة».

ومن الملاحظ أن المهن الخطرة والتي من شأنها تعريض النساء للعوامل للخطر ترك أمر تحديدها للوزير المختص من خلال بعض القرارات الوزارية^(١٣)، ورغم أن هذه النصوص لم تأتي بصفة خاصة لحماية المرأة الحامل وحماية جنينها إلا أنه يمكننا القول بأنها قد تنفع لمعالجة الأمر وفقاً للمعايير الدولية سائلة الذكر.

(١٢) راجع الاتفاقية على هذا الرابط الإلكتروني <http://www1.umn.edu/humanrts/arabic/ilo-c183.pdf>

(١٣) د. يوسف الياس، المرجع السابق.

حق المرأة في إجازة الحمل والوضع وفقاً للاتفاقية رقم (١٨٣)

نصت المادة الرابعة من الاتفاقية على أنه «١- من حق أي امرأة تنطبق عليها هذه الاتفاقية الحصول على إجازة أمومة لا تقل مدتها عن أربعة عشر أسبوعاً، عند تقديمها شهادة طبية تبين التاريخ المفترض لولادتها، ٤- مع المراعاة الواجبة لحماية صحة الأم وصحة الطفل، تشمل إجازة الأمومة فترة إجازة إلزامية بعد ولادة الطفل مدتها ستة أسابيع..... ٥- تمدد فترة إجازة ما قبل الولادة وتاريخها الفعلي دون تخفيض فترة أي إجازة إلزامية بعد الولادة».

ويبدو من خلال قراءة هذا النص حرص الاتفاقيات الدولية على توفير أكبر قدر ممكن من الراحة للمرأة أثناء فترة الحمل والوضع، ففي الوقت الذي نجد فيه أن المعايير الدولية تتجه لزيادة مدة إجازة الحمل والوضع بالنسبة للمرأة، وهي كما وردت في النص السابق حددت بما لا يقل عن أربعة عشر أسبوعاً، نجد أن التوجه في دولنا العربية نحو تقليص هذه المدة إلى عشرة أسابيع^(١٤) كما هو الحال في التشريع الأردني، ومنها إلى ٩٠ يوم^(١٥) أي ما يعادل إثني عشر أسبوعاً كما هو الحال في التشريع المصري، ومنها إلى عشرة أسابيع مع جعل الأسابيع الستة التي تلي الوضع هي فقط الإلزامية بينما الأربعة أسابيع التي تسبق الوضع اختيارية للمرأة لها أن تحصل عليها ولها أن تعرض عنها كما هو الحال في التشريع السعودي.

أجر المرأة أثناء إجازة الحمل والوضع وفقاً للاتفاقية رقم (١٨٣)

تضمنت الاتفاقية المذكورة العديد من الضمانات الدولية التي تضمن للمرأة حياة كريمة خلال إجازة الحمل والولادة ومن تلك الضمانات كما تناولتها المادة السادسة من الاتفاقية رقم (١٨٣).

١- تقديم إعانات نقدية وفقاً للقوانين واللوائح الوطنية أو لأي طريقة أخرى تتفق مع الممارسة الوطنية، للنساء المتغيرات عن عملهن بسبب إجازة الحمل والوضع.

٢- يجب أن تبلغ الإعانات النقدية مستوى يسمح للمرأة بإعالة نفسها وطفلها في ظل ظروف صحية مناسبة ووفقاً لمستوى معيشة لائق.

(١٤) د. يوسف الياس، المرجع السابق.

(١٥) محمد لبيب شنب، المرجع السابق.

٣- لا يجوز ان يقل مقدار الإعانات التي تدفع للمرأة أثناء إجازة الحمل والوضع عن ثلثي كسبها السابق، أو عن ثلثي المبلغ الذي يؤخذ في الاعتبار لحساب الإعانات.

٤- يجب أن تضمن كل دولة عضو إمكانية استيفاء أغلبية النساء اللاتي تنطبق عليهن هذه الاتفاقية للشروط المؤهلة للحصول على الإعانات النقدية، وهذا بالطبع يتطلب عدم تقييد حصول المرأة على إجازة الوضع أو أجرها خلاله بقيود وشروط معينة.

٥- في الحالات التي لا تستوفي فيها المرأة الشروط المؤهلة للإعانات النقدية وفقاً للقوانين واللوائح الوطنية، أو لأية طريقة أخرى تتفق مع الممارسة الوطنية، يكون من حقها الحصول على إعانات من صناديق المساعدة الاجتماعية، شريطة قيامها بتقديم ما يثبت حاجتها للحصول على هذه المساعدة.

٦- لا بد من تقديم الإعانات الطبية للمرأة أثناء هذه الفترة وتشمل الإعانات الطبية الرعاية قبل الولادة وإثناءها وبعدها. وكذلك الرعاية في المستشفيات عند الحاجة.

٧- ضرورة مساهمة الدول في توفير الإعانات النقدية والطبية للمرأة خلال هذه الفترة وذلك من خلال التأمين الاجتماعي الإلزامي، أو من الأموال العامة أو بأي طريقة أخرى تراها الدولة مناسبة، بحيث لا يكون صاحب العمل مسؤولاً مسؤولية فردية عن تلك الإعانات التي تدفع للمرأة، كل ذلك ما لم ينص العقد المبرم بين المرأة وصاحب العمل على تحمله تلك التكلفة.

ومن خلال قراءتنا لتلك الضمانات الدولية التي أوردتها الاتفاقية رقم (١٨٢) ومقارنتها بالتشريع السعودي بصفة خاصة والتشريع المصري كقانون عربي مقارن، فإننا نشعر بكم الفجوة والفروقات الجوهرية بين تشريعاتنا العربية وتلك الضمانات الدولية التي وضعتها اتفاقية الأمم المتحدة، وربما يتجلى الاختلاف بين ضمانات تشريعاتنا العربية والضمانات الدولية في النقاط التالية:

١- في الوقت الذي حرصت فيه الاتفاقية الدولية رقم (١٨٢) على وجوب تقديم إعانات نقدية وطبية للمرأة خلال إجازة الحمل والوضع بحد يسمح لها ولوليدها بالعيش الكريم وجعلت الحد الأدنى من تلك الإعانات بما لا يقل عن ثلثي أجرها أو كسبها السابق) دون ربط استحقاقها لتلك المعونات بأي مدد زمنية قضتها لدى صاحب العمل، فإننا نجد أن المشرع السعودي من خلال نص المادة ١٥٢ من نظام العمل السعودي قد ربط استحقاق

المرأة خلال هذه الفترة لنصف أجرها أو أجرها كاملاً بالمدة الزمنية التي قضتها لدى صاحب العمل، كما بينا ذلك سابقاً، في حين أن المرأة التي لم يمض على عملها لدى صاحب العمل سنة واحدة فإنها لا تستحق أي جزء من الأجر خلال هذه الفترة، بينما نجد أن المشرع المصري من خلال نص المادة ٩١ من قانون العمل المصري قد منحها الحق في الحصول على أجرها كاملاً خلال إجازة الحمل والوضع^(١٦) ولكن شريطة أن يكون قد مضى على التحاقها بالعمل لدى صاحب العمل أو غيره عشرة أشهر.

ولا شك في أن مذهب التشريعين المصري والسعودي يحتاجان إلى تعديل أحكامهما بما يتماشى مع المعايير الدولية.

٢- وفي الوقت الذي أكدت فيه المعايير الدولية والاتفاقية رقم (١٨٢) على ضرورة حصول المرأة على إجازة الحمل والوضع بصرف النظر عن مدة خدمتها لدى صاحب العمل، نجد أن المشرع المصري قد خالف ذلك من خلال اشتراطه لاستحقاق المرأة العاملة تلك الإجازة أن يكون قد مضى على عملها لدى صاحب العمل أو غيره عشرة أشهر على الأقل^(١٧)، ومن ثم إذا كان لم يمض على عملها تلك المدة الزمنية سواء لدى صاحب العمل أو غيره فإنها لا تستحق الإجازة، وهذا في حد ذاته حكم قاس وغريب، غير أنه يمكننا القول بأن حدة هذا النص ربما أصبحت أقل شدة عندما لم يشترط المشرع المصري مكوث المرأة لدى صاحب عمل واحد تلك المدة كحد أدنى لاستحقاق الإجازة، وإنما اعتبرها قد قضتها حتى ولو كان ذلك لدى أكثر من صاحب عمل، في المقابل نجد أن المشرع السعودي لم يربط استحقاق المرأة لإجازة الحمل والوضع بمدة زمنية، وإنما أعطاهما الحق في الحصول على تلك الإجازة بصرف النظر عن المدة الزمنية التي قضتها لدى صاحب العمل الواحد.

ولا شك في أن ما ذهب إليه القانون السعودي أفضل من ما أخذ به المشرع المصري في هذا الشأن.

(١٦) محمد لبيب شنب. مرجع سابق.

(١٧) الخولي أكثم. دروس في قانون العمل.

٣- في الوقت الذي حرصت فيه المعايير الدولية على إعطاء المرأة حقها في الحصول على إجازة وضع مدفوعة الأجر بما يكفل لها حماية صحتها وصحة وليدها، وتوفير الحد الأدنى من العيش الكريم، دون أن يترتب على حصولها عليها حرمانها من أي حقوق أخرى، فإننا نجد أن المشرع السعودي قد انفرد دون غيره من التشريعات الأخرى بحرمان المرأة التي تحصل على إجازة وضع مدفوعة الأجر كاملاً، من الحصول على أجرها كاملاً خلال فترة الإجازة السنوية العادية ونصف الأجر في حال حصولها على إجازة وضع مدفوعة نصف الأجر، وبهذا يكون المشرع السعودي قد ربط بين أنواع الإجازات التي نصت عليها المعايير الدولية وجعلت كلاً منها مستقلاً عن الآخر، فكان ينبغي ألا يترتب على استحقاق المرأة لإجازتها سواء بأجر كامل أو بنصف أجر حرمانها من حقها في الحصول على أجرها كاملاً في الإجازة السنوية العادية لانفصالهما عن بعضهما البعض.

٤- في الحين الذي أعطت فيه المعايير الدولية للمرأة الحق في الحصول على إجازة الوضع وأجرها خلال هذه الفترة، دون أن تقيد بعدد محدد من الولادات، نجد أن المشرع المصري من خلال نص المادة (٩١) قد حدد عدد الولادات التي تستحق فيها المرأة هذه الإجازة، وقد قصرها على مرتين فقط^(١٨)، طوال مدة خدمتها كاملة، وبالرغم من أن إدراج مثل هذا القيد يتناسب وسياسة جمهورية مصر العربية في الحد من الإنجاب، إلا أننا نراه قيداً غريباً، ونتساءل وبحق عن الحالات التي تنجب فيها المرأة أكثر من مرتين، فما هو الحال بالنسبة لها في ضوء هذا القيد، في حين أننا لم نجد المشرع السعودي قد تطرق لمثل هذا القيد أو النص مما يجعله أكثر اقتراباً من المعايير الدولية في هذا الشأن.

الخاتمة

في ختام هذا البحث وجدنا أن المرأة حظيت بالكثير من العناية من قبل التشريعات العربية والاتفاقيات الدولية، ورغم اختلاف تلك التشريعات وقربها تارة وبعدها تارة أخرى عن الاتفاقيات والمعايير الدولية إلا أنه يمكننا القول بأن ثمة حماية للمرأة خلال فترتي الحمل والولادة.

(١٨) محمد لبيب شنب. مرجع سابق.

النتائج

- ١- منح المشرع السعودي المرأة الحق في الحصول على إجازة الحمل والوضع دون أن يشترط في ذلك بقائها مدة زمنية معينة في العمل لدى صاحب العمل، في حين اشترط المشرع المصري لذلك مرور عشرة أشهر على التحاقها بالعمل لدى صاحب عمل أو أكثر.
- ٢- اشترط المشرع السعودي لحصول المرأة على أجرها كاملاً خلال فترة إجازة الحمل والوضع مرور أكثر من ثلاث سنوات على التحاقها بصاحب العمل، في حين اشترط لاستحقاقها نصف الأجر مرور أكثر من سنة على ذلك، بينما اشترط المشرع المصري مرور عشرة أشهر على التحاقها بصاحب عمل أو أكثر لاستحقاق أجرها كاملاً خلال إجازة الوضع.
- ٣- حرم المشرع السعودي المرأة التي حصلت على إجازة وضع مدفوعة الأجر بالكامل من الحصول على أجرها كاملاً خلال الإجازة السنوية العادية، وحرمانها من نصف في حال حصلت على إجازة وضع بنصف الأجر، في حين التشريع المصري من النص على ذلك، بما يعزز مبدأ استقلال الإجازات عن بعضها البعض وعدم ارتباطها ببعضها البعض.
- ٤- انفرد المشرع المصري بتحديد عدد الولادات التي تستحق عليها المرأة إجازة وضع مدفوعة الأجر، حيث جعلها لا تستحق إجازة الوضع أكثر من مرتين طوال مدة خدمتها، بينما خلا التشريع السعودي من النص على مثل ذلك القيد.
- ٥- اهتمت الاتفاقيات والمعايير الدولية بصحة المرأة في فترتي الحمل والولادة، وحرصت كل الحرص على توفير أكبر قدر ممكن من الرعاية المادية والصحية لها في هذه الفترات الصعبة وقد لاحظنا كيف أن التشريعات العربية التي أخذناها كنماذج كانت قد اقتربت في بعض الأحكام من تلك المعايير الدولية بينما ابتعدت كثيراً في أحكام أخرى، وفي بعض الأحيان وصلت إلى حد مخالفتها كلية.

التوصيات

- ١- أوصي المشرع السعودي برفع مدة إجازة الحمل والوضع لجعلها تتوافق مع المعايير الدولية بحيث لا تقل عن أربعة عشر أسبوعاً.
- ٢- أوصي المشرع السعودي بضرورة النص على جعل إجازة الحمل والوضع مدفوعة الأجر بالكامل أو على الأقل ثلثي الأجر المستحق تماشياً مع المعايير الدولية.

٣- أوصي المشرع المصري بعدم تقييد استحقاق المرأة لإجازة الحمل والوضع بضرورة مرور مدة معينة على التحاقها بالعمل لدى صاحب عمل أو أكثر، وإنما النص على استحقاقها لتلك الإجازة بصرف النظر عن مدة التحاقها بصاحب العمل.

٤- أوصي المشرع السعودي بعدم تقييد استحقاق المرأة لأجرها خلال مدة إجازة الحمل والوضع بمرور مدة زمنية معينة على التحاقها بالعمل، وإنما النص على استحقاقها للأجر كاملاً بصرف النظر عن مدة التحاقها بالعمل.

٥- أوصي المشرعين السعودي والمصري بضرورة مراعاة المعايير الدولية من خلال المساهمة في توفير الرعاية المادية والطبية للمرأة العاملة خلال إجازة الحمل والولادة وعدم إلقاء الحمل كاملاً على عاتق صاحب العمل.

تحت شعار
البحث العلمي ركيزة لحل المشكلات
المؤتمر الدولي الثالث
مركز البحوث والاستشارات الاجتماعية (لندن)
حول موضوعات العلوم الاجتماعية والإنسانية

أبحاث إنسانية
(دولي)

معهد الكويت للأبحاث العلمية

١٠ - ١٢ فبراير ٢٠١٤

INTERNATIONAL COMMISSION
ON THE
SCIENTIFIC RECORD OF LONDON

دراسة تقييمية لتصميم دور رعاية المسنين بمدينة جدة

د. نهى بنت سعيد أسعد نقيطي*

الملخص

دورة حياتهم. وتتمثل مشكلة الدراسة في التساؤل التالي: ما مدى تطابق التصميم الداخلي لدور الرعاية للمسنين للمعايير والمقاييس التصميمية العالمية؟

استهدف البحث بصفة عامة دراسة المعايير التصميمية لدار رعاية المسنين، والتعرف على الاحتياجات التصميمية اللازمة لفئة المسنين في دور الرعاية. واعتمد البحث منهج دراسة الحالة، وتمثلت حدود البحث في دراسة دار نزل الضيافة التابع لجمعية البرّ لرعاية المسنين بمنطقة مكة المكرمة، وذلك بتحليل تصاميم منطقة المدخل والممرات والسلالم والمصاعد

يمر الإنسان بمراحل عمرية مختلفة ومتتالية، وينتج عن ذلك مجموعة من التغيرات الفكرية والجسدية. وتعد مرحلة الشيخوخة من المراحل العمرية التي تحتاج لتخطيط مسبق وإعادة هيكلة لنمط الحياة بما يتناسب مع الاحتياجات الجسدية والفكرية والاجتماعية والصحية لهذه المرحلة. وأن تحديد المعايير التصميمية التي تراعي احتياجات المسنين في دور الرعاية، وأخذها في الاعتبار عند وضع المواصفات التصميمية يمكن أن يساهم في تحقيق احتياجات المسن التصميمية، لتصبح متاحة لجميع المسنين مع تطور

* أستاذ مساعد، كلية التصميم والفنون، جامعة الملك عبد العزيز/السعودية.

فريق العمل: بشائر الغفيف-رزان الغامدي-سجى الغامدي- سندس باعظيم- مرام مطهر-هنادي الغامدي.

mrs_saber@hotmail.com

في مبنى دار الرعاية، وتحليل ثلاث نماذج لحجرات المسنات اللاتي يقطن الدار. وتم استخلاص النتائج، ومن أهمها أن تطابق المعايير والمقاييس الدولية في تصميم منطقة المدخل والمساعد والحجرات ومنطقة دورات المياه لعينة منخفض. وأن تطابق المعايير والمقاييس الدولية في تصميم الممرات لدار الرعاية لعينة الدراسة متوسط.

وقامت الدراسة بوضع العديد من التوصيات والمقترحات ومن أهمها دعوة الجهات المختصة إلى الاهتمام بتطبيق المعايير والمقاييس الدولية التصميمية لفئة المسنين لتصبح من المواصفات والاشتراطات القياسية عند الترخيص لإنشاء دور الرعاية، والتأكيد على تفعيل دور المصمم الداخلي في إيجاد البيئة السكنية الملائمة لفئات المجتمع. وعلى ضوء المعايير والمقاييس الدولية اقترحت الدراسة إعادة تصميم حجرات المسنات، لتصبح أكثر ملاءمة لاحتياجات عينة الدراسة.

المقدمة والمشكلة البحثية

تعد مرحلة الشيخوخة من المراحل العمرية التي تحتاج لتخطيط مسبق وإعادة هيكلة لنمط الحياة بما يتناسب مع متطلباتها واحتياجاتها الجسدية والفكرية والاجتماعية والصحية لهذه المرحلة. وقد أدرجت القضايا المتعلقة بحقوق كبار السن في صياغة مبادئ الأمم المتحدة، والتي تضمنت توجيهات بالمجالات المتصلة باستقلال كبار السن ومشاركتهم ورعايتهم وكفالة تحقيق الذات والكرامة لهم. بالإضافة إلى تحقيق الشيخوخة المأمونة، وتمكين كبار السن من المشاركة بصورة كاملة وفعالة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. (تقرير الجمعية العالمية الثانية للشيخوخة، ٢٠٠٢م)

إن المكان الذي يقيم به المسن أثراً كبيراً على نوعية الحياة، فهو أحد أركان الحياة الاجتماعية بل أهمها؛ فالعديد من المسنين في دور الرعاية لا تأخذ بالحسبان ملائمة تصميمها الداخلي لاحتياجاتهم المستقبلية ولما يطرأ للمسنين من تغيرات بيولوجية وفسيولوجية مع تقدم السن حيث يصبحون ذي حركة مقيدة أو يعانون من نواحي عجز أخرى، فيواجهون مصاعب تمنعهم من مواصلة الحياة في المسكن الحالي بسبب العقبات والحواجز المحيطة، حيث أشارت دراسة (حافظ، ٢٠٠٠م) إلى وجود مشاكل للمسنين المقيمين في دور الرعاية. كما أكدت دراسة (القباني، ١٩٩٧م) عن وجود قصور في دور الرعاية للمسنين من النواحي المتعلقة في المواقع، التصميم، المساحات، التشطيبات، والتجهيزات.

لذا ينبغي النظر إلى دور الرعاية على أنها أكثر من مجرد مأوى عند وضع معايير والمواصفات التصميمية لجميع المبنى حتى تصبح متاحة لجميع المسنين مع تطور دورة حياتهم. من هنا يمكن صياغة المشكلة في السؤال التالي: ما مدى ملائمة التصميم الداخلي لدور الرعاية للمسنين للمعايير والمقاييس العالمية؟

أهداف الدراسة: استهدفت الدراسة بصفة عامة دراسة المعايير التصميمية ومدى ملاءمتها لاحتياجات المسنين، وذلك من خلال دراسة ما يلي:

- ١- التعرف على الاحتياجات التصميمية اللازمة لفئة المسنين في دور الرعاية.
- ٢- التعرف على مدى ملائمة التصميم الحالي في دور الرعاية مع احتياجاتهم التصميمية.
- ٣- وضع بعض المقترحات والتوصيات، لتعديل دار الرعاية الحالي ليتلاءم مع احتياجات المسنين.

أهمية الدراسة: جاءت أهمية هذا البحث من منطلق اهتمامنا بدور الرعاية، وأهمية المعايير التصميمية وتلاؤمها مع احتياجات المسنين، وذلك من خلال مايلي:

- ١- وعي المجتمع بضرورة ملائمة دور الرعاية والتخطيط المسبق لها لتكون ملائمة لاحتياجات المسنين مع تقدمهم في السن لتهيئة حياة مريحة للتوافق مع قدراتهم.
- ٢- يمكن استفادة المهندس المعماري والمصمم الداخلي من نتائج هذه الدراسة في التعرف على احتياجات المسنين لوضعها في الاعتبار عند تصميم دار الرعاية للمسنين.

فروض الدراسة

- ١- لا يوجد تصميم جيد لوسائل الاتصال الأفقية والرأسية (المدخل، المصاعد، السلالم، والممرات) بمبنى دور الرعاية للمسنين.
- ٢- لا يوجد علاقة بين المعايير التصميمية بدور الرعاية للمسنين وملاءمتها للاحتياجات.

مصطلحات البحث

- ١- المسن: هو الشخص الذي تجاوز (٦٠) عاماً، وهو الذي بحاجة إلى رعاية ومساعدة الآخرين. (السدحان، ٢٠٠٠م) (المكتب التنفيذي ١٩٩٩م).

- ٢- دار الرعاية (الأربطة): هي دار اجتماعية معدة ومجهزة لإقامة المسنين.
- ٣- معايير التصميمية لمسكن المسن: هي المقاييس العالمية الواجب مراعاتها عند تنفيذ أي مبنى لجعله يلبي احتياجات المسنين. (الشيباني، ١٩٩٤م)
- ٤- احتياجات المسن: هي كل متطلبات المسن من حيث التصميم المعماري والداخلي.
- ٥- الأنشطة اليومية: هي كل ما يقوم به الفرد، من أعمال أساسية مثل «الأكل والنوم» وأعمال فرعية مثل «الترفيه والهوايات».. وغيره.

البحوث والدراسات السابقة

أشارت العديد من الدراسات التي تناولت مشكلات المسنين واحتياجاتهم ومتطلباتهم النفسية والصحية والاجتماعية. وسنستعرض بعضها فيما يلي:

١- دراسة «نهي سعيد نقيطي» المساكن الحديثة ومدى ملاءمتها للمسنين، كلية الاقتصاد المنزلي والتربية الفنية، كليات البنات، ٢٠٠٣م. حيث هدف الدراسة إلى تصميم المساكن ومدى ملاءمتها لمتطلبات المسنين، وبلغ حجم العينة ٢٠٠ أسرة. ومن أهم النتائج عدم وجود علاقة بين تصميم المساكن ومتطلبات المسنين.

٢- دراسة د. نيفين حافظ «تقييم مشاكل كبار السن المقيمين في دور الرعاية المسنين بمدينة الإسكندرية»، كلية الزراعة، جامعة الإسكندرية، ٢٠٠٠م. تضمنت الدراسة كبار السن المقيمين في دور الرعاية بمدينة الإسكندرية وبلغ حجم العينة ٧٢ مسن. ومن أهم النتائج أن نسبة (٢٨, ٤٠٪) من المسنين التحقوا بالدار لاحتياجاتهم إلى الرعاية التي يفقدونها خارج دور رعاية المسنين.

٣- دراسة نيفين حافظ، يسرياً أنور «دراسة اتجاهات كبار السن نحو الإقامة بدور رعاية المسنين»، كلية الزراعة، جامعة الإسكندرية، ٢٠٠٠م. وأجريت الدراسة على كبار السن الذين تراوحت أعمارهم من ٥٠-٧٠ سنة في أسر العاملين بكلية الزراعة بجامعة الإسكندرية حيث بلغ عددهم ١٢٠ مسن. ومن أهم أهداف الدراسة معرفة مدى قدرة كبار السن في الاعتماد على أنفسهم ومن أهم النتائج أن نسبة ٢٨, ٥٪ غير قادرين على الحركة والتنقل.

٤- دراسة «California Berkeley, Robyn Iston»، الرعاية طويلة الأجل للمسنين ذوي الإعاقة، ١٩٩٩م: السياسة الحالية والاتجاهات الحديثة. وهدفت

الدراسة وصف الوضع الحالي للرعاية طويلة الأجل للمسنين. وذلك من خلال التعرف على الرعاية طويلة الأجل من حيث الخدمات، وركزت عينة الدراسة على الأفراد الذين تتراوح أعمارهم بين ٦٥ سنة وأكثر. ومن أهم النتائج على نظام الرعاية طويلة الأجل أن يلبي الاحتياجات السكنية للأفراد بالإضافة إلى الرعاية الاجتماعية والصحية. ويجب أن تكون دور الرعاية أو المساكن الخاصة للمسنين الذين يحتاجون إلى رعاية طويلة الأمد وفقاً لاحتياجاتهم ونواحي العجز الصحي والبدني لديهم.

٥-دراسة "Eva liv Elyssa WONG"، هونج كونج، ١٩٩٩ (الرعاية الصحية للمسنين) هدفت الدراسة استعراض السياسات الحكومية في تقديم خدمات الرعاية الصحية للمسنين ومدى كفاءة تلك الخدمات ومن أهم النتائج أن توفير المساكن الملائمة للمسنين والتي تلبي احتياجاتهم قد تقلل من حاجة المسن إلى الرعاية الصحية والأسرية. يرتبط تدهور الحالة الصحية للمسن بالمسكن حيث أن أغلب المسنين الذين يحتاجون إلى رعاية صحية بالمراكز والمستشفيات، لا توفر لهم مساكنهم متطلباتهم واحتياجاتهم.

٦-دراسة سوني شرمان ريدين كامبوس (Soni sh. & Raedene) «الخصائص المتعلقة بالمسنين وتكيفهم مع صعوبة البقاء في منازلهم الحالية» قسم التعليم وإعادة التأهيل، جامعة نبراسكا، لنكون، ١٩٩٧م. وشملت العينة ١٢٩ مسنً ومسنّة. من أهم النتائج أن العديد من المسنّين يعانون من مشكلات في مزاولة الأنشطة اليومية داخل المسكن، اقترحت الباحثات توفير جميع احتياجات المسنّين في المسكن، وكذلك الأدوات المساعدة، ليشعر المسنّ بالاستقلالية وعدم الحاجة إلى مساعدة الآخرين.

٧-دراسة «جيلان صلاح الدين القباني عن تصميم وتأثير دور المسنّين في محافظة القاهرة الكبرى»، كلية الاقتصاد المنزلي، جامعة حلوان، ١٩٩٧م. واعتمدت الدراسة على عينة من ١٠٠ مسنً منهم ٥٠ مسنً يقيمون في دور المسنين والباقي يعيشون في مساكنهم الخاصة. ومن أهم النتائج قصور كبير في دور المسنّين وذلك في النواحي المتعلقة في الموقع، التصميم، المساحات، النشاطات والتجهيزات، كما تقتصر هذه الدور إلى وجود الأجهزة الحديثة وصيانتها. عدد دور المسنين الموجودة، لا يتناسب مع الأعداد المتزايدة من المسنين، كما أن الخدمات ليست على المستوى المطلوب.

الاستعراض المرجعي والإطار النظري

أولاً: المعايير التصميمية للأربطة ودور الإيواء للمسنين

تعرف المعايير التصميمية لدور رعاية المسنين «بأنها المقاسات القياسية للكراسي المتحركة والعكازين والمشايات المستخدمة من قبل المسنين، وكذلك فراغات الحركة المطلوب توافرها ليتمكن المسن من الحركة بسهولة في الفراغات الداخلية والخارجية بالمسكن دون أن يتعرض إلى عراقيل أو عوائق تحد من حركته وتكيفه».

- ويمكن تلخيص الأسس العامة لتصميم الفراغات الداخلية لدور الإيواء:
- الالتزام بالمقاييس العالمية الإنسانية ووضع بعض الاعتبار لإعاقة المسنّ.
- ملاءمة المسافات بين الفراغات الداخلية لسهولة الأداء الوظيفي للفراغ المناسب.
- اختيار المواد الإنشائية المناسبة والوسائل الكفيلة بمنع انتشار الحرائق في حال حدوثها. وتوفير عناصر الأمن والسلامة في جميع الفراغات.
- أن يحقق مسكن المسنّ نوعاً ما من التواصل الاجتماعي وشعوره بالألفة والانتماء.
- تسهيل مزاوله الأنشطة المعيشية اليومية لتوفير الأدوات الميسرة لحركة المسن داخل المسكن.
- مناسبة أبعاد وارتفاعات العناصر الإنشائية من أبواب وممرات ومنحدرات ومفاتيح الإضاءة والكهرباء، ومناسبة ارتفاعات العناصر الداخلية من قطع الأثاث.

المعايير التصميمية الخاصة بالعناصر المعمارية والفراغات الداخلية

المدخل: أن تتميز بسطح خشن وغير زلق، ومن المفضل عمل مساحة مستوية عند المدخل بحيث تتكون أقل مساحة ١٠٥ سم عرضاً و١٠٥ طولاً. ولا بد أن يؤدي المدخل إلى منحدر مائل بالإضافة إلى السلالم.

الممرات: هناك معايير متعدّدة منها: أقل مساحة تسمح بمرور مسن على كرسي متحرك هي ٨١,٥ سم. عرض ممرات تسمح بمرور شخصين مسنين على كرسي متحرك هو ١٥٢,٥ سم. عرض ممرات التي تسمح بمرور شخصين، أحدهما على كرسي متحرك هو ١٢٢ سم. أقل فراغ ممكن للحركة في ممر على شكل زاوية قائمة، هو أن يكون عرض الممر ٩١,٥ سم كحد أدنى. ممر على شكل حرف (U) بدون وجود مسافة للمناورة يكون عرض الممر ١٠٦,٥ سم على الأقل.

السلام والمصاعد: يراعى عند تصميم السلالم وضع بسطه بين كل مسافة من السلالم ليرتاح المسنّ بحيث لا تتجاوز ارتفاع قلبه السلم الخارجي عن ١٨٣ سم وفي السلم الداخلي لا يتجاوز ١٢٢ سم. (مختار الشيباني. ١٩٩٤م). وضع ارتفاعات مناسبة تكون مريحة للحركة بين المستويات بحيث تتراوح القائمة ما بين ١٤-١٦ سم، والنائمة ما بين ٢٨-٣٠ سم. استمرارية الدرابزين على جانبي الدّرج بحيث يكون ارتفاع ممسك الدرابزين ما بين ٦٨-٩١ سم. توفير إضاءة كافية بمقدار ١٠٨ لوكس كحد أدنى. أمّا بالنسبة للمصاعد المناسبة لحجم حركة الكرسي المتحرك فتكون المصاعد ذاتية الحركة مجهزة بأبواب آلية وأن تكون حركة أبعاد المصعد تسهل استخدام الكرسي المتحرك بمرونة. ووضع مفاتيح المصعد في ارتفاع مستوى يد المسنّ ولا نفعل عن وجود جرس إنذار في حالة الطوارئ.

غرفة النوم: وتشكل حجرات النوم أهمية كبيرة للمسّن، حيث أنّها مقر إقامته، لذلك يجب أن تتوفر فيها كل ما يحتاجه، وأن يشعر بالخصوصيّة والاستقلال والحرية الشخصية (النقيطي ٢٠٠٢م). وهناك العديد من المواصفات التي يجب مراعاتها في حجرات النوم ومنها: الاهتمام بمساحة مناسبة لحركة دوران الكرسي المتحرك بحيث يبلغ قطر المنطقه المخصصة للدوران ١٥٢ سم. التّوسع في منطقة ما حول السرير بقدر ٩١,٥ سم ليتمكن المسنّ من النهوض من سريريه بمفرده بلا مساعدة. ينبغي الحرص على مستوى ارتفاع النوافذ بحيث يكون مناسب وفي مستوى النظر وجود مسافات كافية بمقدار ١٢٢ سم أمام الأدرج. وجود خزائن ملابس ذات أبواب واسعة لتسهيل تخزين الملابس. أن يكون مستوى ارتفاع الأرف والعلاقات لا يزيد عن ١٣٧ سم، ولا يقل ٢٨ سم بحيث يكون في متناول يد المسن.

الحمامات: كبار السن بحكم ظروفهم يحتاجون المساعدة، لذلك لا بد أن تكون حماماتهم كبيرة ورحبة وأكثر أمان وفي حال استخدام الكرسي المتحرك تكون مساحه هناك مساحة للمنتورة وإدارة الكرسي في كل الاتجاهات. كما يجب أن تكون مساحة الحمام ما بين ٥٠-٦٠ قدم وفتحة الباب لا تزيد عن ٣٠ قدم. وأن يكون ارتفاع المرحاض عن الأرض ما بين ٤٣-٤٨,٥ سم. ووجود فراغ مريح وكاف للركبتين تحت المغسلة يتراوح ما بين ١٨,٥ - ٨٣,٥ سم. توفير مروش يدوي متحرك، أيضاً صمّام الصنبور يفتح في اتجاهين. وللاّمان يكون حول البانيو والمرحاض مقبض يرتفع عن الأرض ٨٤-٩١ سم، لتسهيل عملية الحركة. توفير دكة بجوار البانيو لتسهيل عملية الانتقال من وإلى الكرسي. وعند استخدام الكرسي المتحرك، تطبق نفس المعايير السابقه بأبعاد مختلفة حيث

يتراوح المروش بين ٥, ٩١ × ٥, ٩١ سم، مع وجود القضبان. كما يجب الانتباه لأن لا تكون الأرضيات ملساء قابلة للانزلاق.

الأرضيات: حركة المسن المستخدم للكرسي المتحرك أو العكازات أو المشايات يأخذ جهداً كبيراً منه للحفاظ على سلامته من الانزلاق ولتسهيل حركته لا بد من توفر معايير في الأرضيات منها: خلو الأرضيات من تفاوت المستويات، واستخدام التباين في اللون لتوضح بين المستويات. ويفضل استخدام الأرضيات غير الصلبة، وألا تكون الأسطح ملساء منزلقة. ويجب تغطية الأرضيات بمواد خاصة للأرضيات مثل السجاد قصير الوبر، أو الموكيت الممتد من الجدار والمواد الفيلينية. وإزالة مايعوق حركة المسن مثل العتبات والفواصل العالية.

الأبواب: يختلف اتساع الأبواب من نوع لآخر فالأبواب ذات المفصلات الجانبية تسهل عملية المناورة بالكرسي المتحرك، ويجب تجنب الأبواب التي تفتح للخارج أو المساحات المستخدمه لدوران حركة الكرسي المتحرك، وأيضاً يجدوا مستخدميه صعوبة في استخدام الأبواب التي تغلق ذاتياً.

الإضاءة: من العناصر المهمة في التصميم لا يمكن الاستغناء عنها ويحتاجها المسن حيث أثبتت دراسة أن كبير السن البالغ من العمر ٨٠ عام يحتاج ثلاثة أضعاف الإضاءة التي يحتاجها الشاب دون العشرين للقراءة. (نقيطي، ٢٠٠٣م). لذلك لا بد مراعاة أن يكون عدد المفاتيح اثنين كحد أعلى، وتكون ذات شكل متأرجح وحجم كبير وبارز، إدارة المفاتيح تكون قريبة من المدخل وباب الحمام وأيضاً بجانب السرير ويعمل على نظام الإشعال المتبادل. التنوع في مصادر الإضاءة (مباشر وغير مباشر) حيث تكون شدتها متساوية وفي نصف مسافه الفراغ. تسهيل عملية التحكم بالوحدة المضاءة عن طريق وجود ريموت تحكم.

ثانياً: دور رعاية المسنين في المملكة العربية السعودية

«اهتم التشريع الإسلامي بأمر كبار السن وجعل لهم مكانة مرموقة في المجتمع وضمن لهم من خلال التشريعات؛ فحث على احترامهم وتقديرهم مما يكفل لهم حياة محترمة آمنة. وأولت المملكة العربية السعودية برامج رعاية المسنين اهتماماً خاصاً فبدأت خدمات رعايتهم، حيث تتعدد مظاهر رعاية كبار السن في المملكة العربية السعودية ومنها: الرعاية الاقتصادية، الرعاية الاجتماعية الصحية المفتوحة للمسنين، الرعاية الإيوائية الشاملة للمسنين، تنقسم إلى قسمين وهي: الرعاية الإيوائية الحكومية:

تهدف إلى إيواء وتقديم الرعاية المتكاملة لكل مواطن ذكر أم أنثى بلغ الستين فأكثر ولا يتوفر لدى أسرته أو أقاربه الإمكانية لرعايته ومن هذه الدور. (الشؤون الاجتماعية ١٩٩٣م). والرعاية الإيوائية الأهلية: لقد كان هناك رعاية أهلية للمسنين من أزمنا بعيدة وتعرف فيما يسمى بالأربطة وفي الوقت الحاضر تنتشر العشرات من الجمعيات الخيرية على أرض المملكة. حيث يوجد أكثر من (١٦٠) جمعية خيرية متنوعة الأنشطة. وتقوم الدولة بدعم هذه الجمعيات ومساعدتها على تحقيق أهدافها (السدحان، ٢٠٠٠م)

إجراءات وأدوات الدراسة

منهج البحث: اعتمدت الدراسة منهج دراسة الحالة، الذي يركز على تشخيصها من خلال المعلومات التي تمّ جمعها وتتبع مصادر للحصول على الحقائق المسببة لها.

حدود الدراسة: الحدود النوعية: دراسة أحد دور الرعاية المسنين بمنطقة مكة المكرمة. وتمثلت الحدود الجغرافية: يغطي البحث دار نزل الضيافة التابع لجمعية البر الموجودة بمدينة جدة وهي المدينة التي تقطن الباحثات مما يسهل عليهن جمع المعلومات. والحدود الزمنية: تمت الزيارة الميدانية لتطبيق أدوات الدراسة في يوم الإثنين الموافق ١٢/٢٧/١٤٣٣هـ. الحدود البشرية: تمّ دراسة ثلاث حالات من المسنّات اللاتي يقطنّ الدار التي تمّت بها الدراسة ودراسة المدخل والممرات والسلالم والمصاعد (وسائل الاتصال في المبنى).

إجراءات وأدوات البحث

أولاً: إعداد الإطار النظري واستعراض أهم البحوث والدراسات السابقة المرتبطة بموضوع الدراسة.

ثانياً: إعداد وبناء أدوات الدراسة والمتمثلة في إعداد استمارة بالمعايير الدولية التصميمية لدور الرعاية الاجتماعية للمسنين بدراسة منطقة المدخل، والسلالم والمصاعد والممرات.

ثالثاً: إعداد بيانات تشمل حجرة المسن والمرافق التابعة لها (حجرة النوم، ودورة المياه).

رابعاً: إجراء التحليلات المناسبة وفقاً للمعايير الدولية التصميمية لدور رعاية المسنين واستخلاص النتائج.

خامساً: مناقشة وتفسير النتائج وتصميم نموذج مقترح باستخدام الحاسب الآلي واستخلاص التوصيات.

نتائج الدراسة: يمكن تلخيص نتائج الدراسة فيما يلي:

١- تدني تطابق تصميم منطقة المدخل مع المعايير والمقاييس الدولية من حيث (عرض باب المدخل، ونوع ولون الأرضيات، الدرابزين، الإضاءة المناسبة، عرض فتحات الأبواب، وتوفر المنحدر يسمح لمستخدمي الكرسي المتحرك من استخدام المدخل بيسر)، الأمر الذي قد يؤدي إلى صعوبة الدخول والخروج من الدار، نتيجة للمشكلات الصحية والفسولوجية التي قد يتعرض لها المسنين، ومن ثم صعوبة التفاعل والتكيف والتواصل مع البيئة الخارجية، وقد ينعكس ذلك على الجانب النفسي والاجتماعي لدى كبار السن، وهذا ما أشار إليه (القرني، ٢٠١٢م) من ظهور العديد من المشكلات الاجتماعية والنفسية نتيجة لذلك.

٢- تدني تطابق تصميم منطقة المصاعد دار الرعاية لعينة الدراسة، حيث توفر في الدار مصعدين لم تراعى فيهما المساحة الكافية لمستخدمي الكراسي المتحركة، كما أن ارتفاع مفاتيح طلب المصعد غير مناسبة لمستخدمي الكراسي المتحركة بالإضافة إلى عدم توفر التهوية والإضاءة الجيدة. كما أن الباب من النوع الذي يتطلب السحب الأمر الذي يعد عائق لاستخدامه من قبل مستخدمي الكرسي المتحرك دون مساعدة الآخرين.

٣- تدني تطابق المعايير التصميمية للسلالم (الدرج) لعينة الدراسة ضعيف حيث تمت مراعاة معيارين فقط وهما ارتفاع القائمة حيث كان ١٤ سم وعمق النائمة والذي بلغ ٣٠ سم، بالإضافة إلى توفر فرق الملمس على حواف الدرجات وذلك بتخشينها. إلا أنه لم تتم مراعاة تباين اللون لكل من القائمة والنائمة والحائط والأرضية الأمر الذي يعد من الأمور الهامة في تصميم الدرج والسلالم لفئة المسنين، بالإضافة إلى عدم تطابق باقي المعايير من توفر العرض المناسب للسلم بحيث يمكن لشخصين من استخدام السلم (الدرج) في الوقت نفسه وتوفر الدرابزين (المقابض) على جهتي السلم (الدرج) الأمر الذي قد يتسبب في صعوبة الصعود على السلالم، وهذا ما أشارت إليه دراسة (Sherman & raedenc, 1997) أن نسبة ٤٠٪ من المسنين يعانون من صعوبات في صعود السلالم، وعدم تطابق معايير توفر الإضاءة الجيدة لمنطقة السلالم الأمر الذي قد يزيد تعرض المستخدمين إلى الحوادث.

٤- إن تطابق المعايير والمقاييس الدولية في تصميم الممرات لدار الرعاية لعينة الدراسة متوسط، حيث تم مراعاة عرض الممرات حيث تراوح ما بين ٨١,٥ - ١٥٢ سم مما يسمح لشخصين استخدام الكرسي المتحرك في الممرات، بالإضافة إلى وجود الدريزينات (القضبان) على طول الممر مما يساعد المسنين من الارتكاز عليها أثناء الاستخدام. كما توفرت الإضاءة المناسبة من حيث شدتها في إنارة الممرات، الأمر الذي

يحقق الرؤية الواضحة لديهم. ومن حيث نوع الأرضية (رخام) وقابلية الانزلاق ودرجة انصقالها وانعكاس الضوء عليها نجد أنها غير منطبقة مع المعايير. ومن الملاحظ تشابه الألوان التي استخدمت في الحائط والأرضية مما قد يسبب بعض الحوادث نتيجة لعدم معرفة النهايات والبدايات للحوائط والأرضية وهذا ما أكدت عليه دراسة (Abraham Monk & Lenard Kaye, 1992). ومن هنا تثبت صحة الفرض الأول والذي ينص على: «لا يوجد تصميم جيد لوسائل الاتصال الأفقية والرأسية (المداخل، المصاعد، السلالم، والممرات) بمبنى دور الرعاية للمسنين».

٥- إن فراغ حجرة النوم لا يطابق المعايير التصميمية الدولية، حيث تواجه عينة الدراسة العديد من العقبات والصعوبات في تصميم وتأثير حجرة النوم، بالإضافة إلى زيادة احتمالية تعرضه للأخطار من حيث الأرضيات المصقولة (السيراميك) التي قد تسبب الانزلاق لنعومتها بالإضافة إلى عكسها للضوء. وخطر الارتطام والتعثر في المشي في الظلام للوصول إلى السرير، عدم مناسبة شدة الإضاءة للمسنين والتي تقدر بثلاثة أضعاف شدة الإضاءة للشخص العادي، بالإضافة إلى عدم التباين اللوني للحائط والأرضية لتوضيح النهايات والبدايات لكل منهما، مما يزيد احتمالية خطر الارتطام في الحائط، ويرجع ذلك للتغيرات الفسيولوجية وانخفاض درجة الإدراك الحسي للمسنين مع تقدمهم بالعمر، الأمر الذي يتطلب عند تصميم مساكن المسنين رفع مقدرتهم وتعويض نواحي القصور لديهم عند طريق استخدام موضعات الحواس لديهم بطرق مدروسة وأساليب علمية، كاستخدام التباين في الألوان والملامس. وهذا ما أكدت عليه دراسة (Abraham Monk & Lenard Kaye, 1992). هذا بالإضافة إلى عدم توفر مساحات الكافية لتيسير الاستعمال للأدراج والخزانات داخل حجرة العينة بالإضافة إلى صغر حجم حجرة المسن حيث تراوحت الأبعاد القياسية للحجرة ١٥ م^٢. الأمر الذي يشكل صعوبة على المسن في ممارسة الأنشطة داخل حجرة باستخدام الكرسي المتحرك، نظراً لوجود المرافق له ضمن هذه المساحة الصغيرة. بالإضافة إلى استخدام الألوان الشاحبة (الأبيض والرمادي) والتي تبعث على الإحساس بالملل والرتابة والكآبة لدى عينة الدراسة، وذلك لأن كبار السن أكثر عرضة إلى التغيرات والمشكلات النفسية كما أشار (السدحان، ١٩٩٨م). الأمر الذي يثبت صحة الفرض الثاني والذي ينص «لا يوجد علاقة بين المعايير التصميمية بدور الرعاية للمسنين وملاءمتها للاحتياجات».

٦- يتضح درجة تطابق المعايير الدولية في تصميم الحمام ضعيفة في معظم النقاط حيث لم تتم مراعاة المساحة الكافية في الحمام ونوع الأرضية حيث بلغت

مساحة الحمام ٤م^٢، وهي أقل بكثير من المساحة التي يفترض توفرها للمسن ليتمكن من استخدام الكرسي المتحرك داخل الحمام بسهولة ويسر إلى المساعدة، بالإضافة إلى عدم توفر جميع المعايير في منطقة المروش كتوفر المقابض حوله ووجود الدركة أو كرسي مثبت يمكن المسن الجلوس أثناء الاستحمام، ولم تتوفر الخشونة النسبية لأرضية منطقة المروش وذلك حماية المسن من خطر الانزلاق، كما لم تتوفر المقابض بجانب المرحاض الأمر الذي يهمل عملية الانتقال من وإلى الكرسي المتحرك. هذا ولم يتوفر الفراغ الكافي أسفل المغسلة للركبتين، وتم توفر مصدر للإضاءة في منطقة المغسلة والتي كانت تعتمد عليها عينة الدراسة في إنارة الحمام الأمر الذي قد يسبب البريق والإبهار لنظر المسن، وذلك لأن الإضاءة العامة للحمام كانت ضعيفة جداً. ومن الملاحظ أن ما تمت مراعاته من المعايير اقتصر على ارتفاع المرحاض المناسب حيث بلغ ٨٥,٤ سم، بالإضافة إلى مناسبة عرض الباب إلا أن عينة الدراسة استخدمت خلف الباب لوضع قطع الأثاث والخزانات الصغيرة مما تسبب في صعوبة الدخول والخروج من الحمام. ومما سبق ثبتت صحة الفرض الثاني للدراسة والذي ينص: (لا يوجد علاقة بين المعايير التصميمية بدور الرعاية للمسنين وملاءمتها للاحتياجات).

التوصيات والمقترحات

من خلال دراسة المشكلة البحثية ولتحقيق أهداف الدراسة وعلى ضوء النتائج السابقة توصي الدراسة مايلي:

- ١- دعوة الجهات المختصة إلى الاهتمام بتطبيق المعايير والمقاييس الدولية التصميمية لفئة المسنين ولتصبح من المواصفات والاشتراطات القياسية عند الترخيص لإنشاء دور الرعاية.
- ٢- تفعيل دور المصممين في إيجاد البيئة السكنية الملائمة لفئات المجتمع عامة، وفئة المسنين والمعاقين خاصة.
- ٣- التأكيد على أهمية العمل المشترك بين الجهات المختصة والمصممين لرفع جودة الحياة لفئة المسنين وتلبية احتياجاتهم التصميمية.
- ٤- العمل على الاستفادة من التطبيقات التكنولوجية الذكية عند تصميم دور الرعاية لفئة المسنين الأمر الذي يساهم في رفع جودة الحياة لهذه الفئة.
- ٥- العمل على مراعاة الناحية الجمالية - الألوان والملابس والتأثيث - في تصميم دور الرعاية الأمر الذي يزيد من الشعور بالراحة النفسية لدى المسنين.

المراجع العربية

- ١- الأمم المتحدة (٢٠٠٢م). «تقرير لجنة التنمية الاجتماعية»، الجمعية العالمية الثانية للشيخوخة، مدريد.
- ٢- التنبكجي، عماد (١٩٨٥م). «أبنية سكنية خاصة»، دار دمشق، الطبعة ١، الجزء الحادي عشر/دمشق.
- ٣- حافظ، نيفين مصطفى (٢٠٠٠م). «تقييم مشاكل كبار السن المقيمين في دور رعاية المسنين بالإسكندرية». مجلة بحوث الاقتصاد المنزلي. (العدد ٢ - يناير ٢٠٠٠م).
- ٤- حافظ، نيفين مصطفى. أنور، سيرة رجب (٢٠٠٠م). «دراسة اتجاهات كبار السن نحو الإقامة دور رعاية المسنين». مجلة بحوث الاقتصاد المنزلي. جامعة المنوفية. مجلد (١٠) (العدد ٢/١ يناير ٢٠٠٠م).
- ٥- السدحان، عبدالله بن ناصر (٢٠٠٠م). «رعاية المسنين في المملكة العربية السعودية». مطابع الجمعة. الرياض.
- ٦- السدحان، عبدالله ناصر (١٩٩٨م). «رعاية المسنين في الإسلام»، الطبعة ١، العبيكان، الرياض.
- ٧- الشيباني، مختار (١٩٩٤م). «المعايير التصميمية للمعوقين حركيا في البيئة العمرانية»، مطبعة المحمودية، الرياض.
- ٨- القباني، جيلان صلاح (١٩٩٧م). «دراسة عن تصميم دور المسنين في محافظة القاهرة الكبرى»، المؤتمر العلمي الرابع لكلية الاقتصاد المنزلي، جامعة حلوان، كلية الاقتصاد المنزلي.
- ٩- القرني، محمد مسفر (٢٠١٢م). «رعاية المسنين ودور الخدمة الاجتماعية في المجتمع السعودي»، مجلة العلوم الاجتماعية. جامعة أم القرى. ١٣ نوفمبر.
- ١٠- المؤسسة العامة للتأمينات الاجتماعية (١٩٩٦م). «تقرير الإحصائي السنوي الثامن عشر»، الرياض.
- ١١- النقيطي، نهى سعيد (٢٠٠٢م). «المساكن الحديثة ومدى ملائمتها للمسنين بمدينة جدة»، رسالة ماجستير، كلية الاقتصاد المنزلي والتربية الفنية، جدة، ٢٠٠٣م.
- ١٢- وزارة العمل والشؤون الاجتماعية (١٩٩٩م). «نشوء وتطور الخدمات الاجتماعية والعمالية في المملكة العربية السعودية»، الرياض.

المراجع الأجنبية

- 1- Donoghue, Edward, A (2000). "ADA & Building Transportation". Salem, New York: Elevator World, Inc.
- 2- Eva Liu & Elyssa Wong(1997). "health care for Eldery People". Hong kong.
- 3- International Code Council(2000). Code Requirements for Housing Accessibility. California: ICBO.
- 4- hunt. Michael, E (1992) "The Design of Supportive Environments for Older People". Congregate Housing for the Elderly Journal. New York.
- 5- Monk. Abraham, & Kaye. Lenard, W (1992). "Congregate Housing for Elderly: It's Need, Function and Perspectives". Congregate housing for the Elderly Journal. New York.
- 6- Sherman. Sonia (1997). "characteristics related to elderly persons' perceived difficulty of remaining in their current homes" family and consumer sciences research Journal (vol. 26, No. 1-September).
- 7- Sookyoung Lee, Alan Dilani, Agneta Morelli and Hearyung Byun(2007). "Health Supportive Design in Elderly Care Homes". ARCHITECTURAL RESEARCH. Vol. 9, No. 1(June)
- 8- Robyn I. Stone(1999). "Long-Term Care for the Elderly with Disabilities: Current Policy, Emerging Trends, and Implications for the Twenty-First Century". New York.

Evaluation study for the design of nursing homes For the elderly in Jeddah

Noha Saeed Nagaiti

Abstract

Generally speaking, this study focused on the design Standards for Nursing Homes through many angles. Firstly, the convenience of the Nursing House for the elderly needs. Secondly, Are they well-qualified according to the design standards to suit the elderly demands? Finally, standing on the rate of response of the Nursing staff for structural and age needs. The issue lied in the answer of the following question: To what extent the Nursing Homes were convenient to the elderly needs? Were they compliant with the design standards of their current demands? The search depended on a survey approach that was applied on one of Nursing Homes in Makkah region. It shed the light on the House Inn of hospitality that was related to “Albir Association” in Jeddah. The study also examined three cases of old women living in the House-place of the research. On the same level, the research analyzed the correspondence of the international design standards with the entrance, corridors, stairs, lifts, (communication media), besides the chambers and bathrooms of the elderly. The search reached to serious results. One of the most important was the lack of good design for Nursing Homes. There was also an absence of connection between the design standards and their correspondence to the needs. Moreover, standing on the design needs of the Nursing Homes was too difficult. Consequently, the research recommended to activate the role of the designers in finding the appropriate residential environment to the society in general, and the elderly in particular. The research called the authorities to grant certification to establish Nursing Homes only to those whose design standards and terms of Nursing Homes are of international design criteria. If they did the preceding advice, the level of elderly lives would be sublime.

الضغط النفسي المدرك والتوافق الزوجي للنساء

د. يمينة هديبل (مقبال)



Perceived stress and marital adjustment for women

Yamina Hedibel (Mekbal)

Summary of the subject

The repeated exposure to stress's situations which are the internals and externals stimulis to which the individual is exposed to on an ongoing basis and with a degree of intensity that is more than its personnel sources, potential and harmonic capacity will cause negative effects in his life which could make him incapable to make decisions and interaction with others as a luck of marital adjustment for the housewife due to a continuous collision with stress's situations imposed by everyday life starting from her various responsibilities at home as insuring the comfort of the spouse and children, and her duties towards her original family and her husband's family, and the responsibilities and duties outside the house imposed by her career in case of a working women, all of these conditions may make these women lose a part or all of her happiness in case she lose her adjustment and adaptation to the marital statue, the marital adjustment represent the degree of intellectual,

• أستاذة محاضرة بالمدرسة الوطنية التحضيرية لدراسات مهندس بالروبية/الجزائر.
mekbalm2001@gmail.com

sensitive, emotional and sexual communication between spouses that make them able to have a normal adjustment's methods, that help them to overcome the obstacles that object their marital statue, and achieve maximum happiness and satisfaction. This make us attempt to make a study on two groups of wives, a working group and a housewives group, for this we will try to find the extent of the relationship between the stress perceived and the degree of marital adjustment, on one hand, as we will try to find, in the other hand, how some other variables apart from stress intervene in determining this adjustment as the work of the woman, choosing the partner and duration of marriage and difference of age between the spouses.

مقدمة

اهتم الإسلام بالأسرة لأن الأسرة السوية هي أساس المجتمع السوي لهذا يعتبر الإسلام وعلم النفس الحديث الزواج ركيزة الصحة النفسية للزوجين ففيه يعيشان وينموان ويتآلفان معاً وبه يغدو كل واحد منهما مصدر تنمية الصحة النفسية للآخر.

وقد برز اهتمام القرآن الكريم بالعلاقة الزوجية وذلك من خلال قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (الروم: ٢١). وحتى تحقق هذه الحياة الزوجية ما شرعت له كان لا بد أن يتحقق الانسجام والتوافق بين الزوجين والذي يعبر عنه بالتفاعل الاجتماعي الإيجابي بين الزوجين.

رغم هذا لا توجد حياة زوجية خالية من المشاكل نظراً لتعدد الحياة في كل النواحي والذي أدى بدوره إلى تفاقم مشكل الضغوط النفسية والتي يتعايش معها الإنسان باستمرار وتتدخل في تحديد درجة توافقه الذاتي والاجتماعي والزواحي وتمس براحته وسعادته. كما أن هناك مجموعة أخرى من العوامل تتدخل في تحديد انسجام وتوافق الزوجين والمتمثلة في كيفية اختيار شريك الحياة حيث لا تزال العديد من الأسر خاصة في المجتمع الجزائري تقوم بهذا الدور، وكذا عدد سنوات الزواج باعتبار أن العديد من الزوجات يصرّحن أن علاقتهم بالأزواج تتغير مع تقدم السن ويصبح يسيرها العشرة والأبناء وليس الإشباع العاطفي الاجتماعي والجنسي، انطلاقاً من كل ما سبق سنحاول في الدراسة الحالية دراسة التوافق الزوجي في ضوء مجموعة من المتغيرات ذات علاقة مباشرة به والمتمثلة في الضغط النفسي، وكيفية اختيار الشريك، ومدة الزواج والتي قد تمكنا من اقتراح تدخل علاجي فعال لمشكل الانفصال والطلاق الزوجي الذي يعتبر نتيجة حتمية لغياب الانسجام والتوافق بين الزوجين.

١ - مشكلة الدراسة

أصبحت الضغوط النفسية من المواضيع المنتشرة والهامة في مختلف الأوساط التربوية والمهنية والاجتماعية، إذ يتعرض الأفراد في جميع مراحل حياتهم إلى مواقف ضاغطة ومؤثرات شديدة من مصادر عديدة كالبيت والعمل والمجتمع، حتى أطلق البعض على هذا العصر عصر القلق والضغوط النفسية، ويعود ذلك إلى تعقيد أساليب الحياة، والمواقف الأسرية الضاغطة وبيئة العمل، وطبيعة الحياة الاجتماعية.

إنّ التعرض المتكرر للمواقف الضاغطة والتي تتمثل في المثيرات الداخلية والخارجية التي يتعرض لها الفرد بصورة مستمرة وبدرجة من الشدة تفوق مصادره وإمكاناته الخاصة وقدرته التوافقية يترتب عنها تأثيرات سلبية في حياته قد تجعله عاجزاً عن اتخاذ القرارات وعن التفاعل مع الآخرين كظهور عدم التوافق الزوجي لدى الزوجة نتيجة اصطدامها المستمر بالمواقف الضاغطة التي تفرضها عليها الحياة اليومية، وهذا انطلاقاً من مسؤولياتها المتعددة داخل البيت، كالسهر على راحة الزوج والأبناء وواجباتها اتجاه أسرتها الأصلية وأسرة زوجها، ومسؤولياتها وواجباتها خارج البيت والتي تفرضها عليها حياتها المهنية، كل هذه الظروف قد تجعل هذه المرأة تفقد جانب من سعادتها كما قد تفقدها كلها إن فقدت توافقها وتكيفها مع الحياة الزوجية، إذ يمثل التوافق الزوجي درجة التواصل الفكري، الوجداني، العاطفي والجنسي بين الزوجين بما يحقق لهما اتخاذ أساليب توافقية سوية، تساعد في تخطي ما يعترض حياتهما الزوجية من عقبات، وتحقيق أقصى قدر من السعادة والرضا.

يشير فيشر (Fisher) أنّ ٧٥٪ من المشاكل التي تعامل معها في ممارسته الإكلينيكية هي عبارة عن مشاكل مرتبطة بالضغوط وأنّ أغلبها تتسبب في اضطرابات الزواج. (in Olson & al, 1994, p 460)

كما يشير هادي رضا إلى أنّ أعباء المرأة العاملة زاد من احتمال تعرّض الأسرة لعدم الاستقرار الأسري، وأنّ عدد سنوات الزواج لا دخل له في ذلك. (هادي رضا، ١٩٩٨)

توصلت أيضاً دراسة منى رشاد على وجود فروق ذات دلالة إحصائية في التوافق الزوجي بين النساء العاملات وغير العاملات لصالح السيدات غير العاملات. (منى رشاد، ١٩٩٤)

وقد أشارت بدورها مسعودة كسال في دراسة أجرتها على المجتمع الجزائري أنّ عدم الاختيار الموفق للشريك والفرق في العمر من أهم أسباب الطلاق. (مسعودة كسال، ١٩٨٦)

بيّنت فوزية الجمالية إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية في التوافق الزوجي حسب متغير الفارق العمري بين الزوجين وكان هذا لصالح المجموعة ذات الفارق الأكبر. (فوزية الجمالية، ٢٠٠٨)

وهناك دراسة عبد الرؤوف الجرداوي وعبدالله صالح التي توصلت إلى أنه كلما زاد فارق السن بين الزوجين تزيد نسبة احتمال الطلاق، وإنه كلما كانت فترة الزواج كبيرة قلّ الطلاق، وأن الزواج التقليدي المرتب أفضل للتماسك الأسري من الزواج القائم على علاقة شخصية وتعارف بين الطرفين. (عبد الرؤوف الجرداوي وعبدالله صالح، ١٩٩٦)

ومن كل ما سبق يمكن تلخيص إشكاليتنا في التساؤلات التالية:

١. هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية في الضغط النفسي المدرك بين النساء العاملات والماكثات بالبيت؟
٢. هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية في التوافق الزوجي بين النساء العاملات والماكثات بالبيت؟
٣. هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية في التوافق الزوجي حسب متغيرات مدّة الزواج، الفارق العمري بين الزوجين وطريقة اختيار الشريك.
٤. هل هناك علاقة بين الضغط النفسي المدرك والتوافق الزوجي للمرأة؟

٢- الفرضيات

١. هناك فروق ذات دلالة إحصائية في الضغط النفسي المدرك بين النساء العاملات والماكثات بالبيت.
٢. هناك فروق ذات دلالة إحصائية في التوافق الزوجي بين النساء العاملات والماكثات بالبيت.
٣. هناك فروق ذات دلالة إحصائية في التوافق الزوجي متغيرات مدّة الزواج، الفارق العمري بين الزوجين وطريقة اختيار الشريك.
٤. هناك علاقة بين الضغط النفسي المدرك والتوافق الزوجي للمرأة.

٣- تحديد المفاهيم

• **التوافق الزوجي:** يعرفه خليل بأنه درجة التواصل الفكري والوجداني والعاطفي والجنسي بين الزوجين بما يحقق لهما اتخاذ أساليب توافقية سوية تساعدتهما في تخطي ما يعترضهما في حياتهما الزوجية. (خليل، ١٩٩٩، ص ١٧)

أما في دراستنا هذه فيعرف بالدرجة الكلية التي تحصل عليها المفحوصة في مقياس التوافق الزواجي للباحث محمود إبراهيم قمر فلاته.

• **الضغط النفسي المدرك:** عرّفه لازاروس بأنه عبارة عن علاقة خاصة بين الفرد ومحيطه، أين تقيّم من قبله على أنها تفوق مصادره وتهدد راحته». (Lazarus & Folkman, 1984, p. 19)

أما في دراستنا هذه فيعرف بالدرجة الكلية التي تحصل عليها المفحوصة في مقياس الضغط المدرك لكوهن.

• **اختيار الشريك (أو الاختيار الزواجي):** هو عبارة عن انتقاء فرد من بين عدة أفراد يكون صالحاً للزواج والارتباط معه. (علياء العمري، ٢٠٠٣، ص ٤٣)

أما إجرائياً فقد حصرنا اختيار الشريك في الطريقة التقليدية أي تقدم أسرة لخطبة فتاة لتصبح زوجة لابنهم دون سابق معرفة بين الفردين، أو قيام الخطبة بعد فترة تعارف بين الفردين (الرجل والمرأة) والتواصل والاتفاق على إقامة حياة مشتركة.

٤- منهجية الدراسة وإجراءاتها

مجموعة الدراسة: تتكون مجموعة الدراسة من ٨٤ زوجة ٤٢ منها عاملة و ٤٢ مأكثة بالبيت من نفس المنطقة السكنية، إذ تم العمل مع معلمات التعليم الابتدائي وأمهات أطفال نفس المدارس، والذين ينتمون إلى مستوى اقتصادي متوسط من حيث الدخل والسكن، ومستوى ثقافي جامعي أو ثانوي، مع تكوين متواصل لسنتين على الأقل، وهذا حتى نتمكن من التحكم في هذه المتغيرات إلى درجة معينة وسوف نقدم مجموعة الدراسة في جداول حسب متغيرات الدراسة.

جدول رقم (٢)

يوضح توزيع مجموعة الدراسة حسب متغيرات مدة الزواج والفارق العمري بين الزوجين

المتغيرات		مدة الزواج		الفارق العمري بين الزوجين	
العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية
٢٢	٢٦,١٩	٢٠	٢٣,٨٠	أقل من ٤ سنوات	
٣٢	٣٨,١	٥٠	٥٩,٥٣		
٣٠	٣٥,٧١	١٤	١٦,٦٧		
٨٤	١٠٠	٨٤	١٠٠	المجموع	

جدول رقم (٥)

يوضح توزيع مجموعة الدراسة حسب متغير اختيار الشريك

المتغيرات	العدد	النسبة المئوية
الطريقة التقليدية	٣٤	٤٠,٤٨
بعد التعارف	٥٠	٥٩,٥٢
المجموع	٨٤	١٠٠

أدوات الدراسة

- مقياس التوافق الزوجي: اعتمدت في دراستي هذه على مقياس أعدّه الباحث محمود إبراهيم قمر فلاتة سنة ٢٠٠٨، وقد تمّ التحقق من ثبات الاختبار على المجتمع الجزائري وهذا بالاعتماد على إعادة التطبيق حيث بلغ ٠,٦٥ وكان دالاً عند مستوى ٠,٠٥.

- مقياس الضغط النفسي المدرك: اعتمدت في دراسة على مقياس الضغط المدرك لكوهن (Cohen) وآخرون وقد تمّ التحقق من ثباته على مجتمع الدراسة باللجوء إلى طريقة إعادة التطبيق والذي تحصلنا من خلالها على قيمة ثبات تساوي ٠,٧٢ وظهرت دالة عند مستوى دلالة ٠,٠١.

٥- عرض وتحليل ومناقشة النتائج

سوف نقوم بعرض وتحليل ومناقشة النتائج حسب تسلسل الفرضيات.

• الفروق في الضغط النفسي المدرك بين النساء العاملات والماكات بالبيت للإجابة عن التساؤل المتعلق بوجود فروق في الضغط النفسي المدرك بين النساء العاملات والنساء الماكات بالبيت لجأنا إلى حساب اختبار «ت» للكشف عن دلالة هذه الفروق وهذا حسب ما هو موضح في الجدول رقم (٧).

جدول رقم (٧)

قيم (ت) لدلالة فروق متوسطات الضغط النفسي المدرك بين النساء العاملات والنساء الماكات بالبيت

المجموعات	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الفرق بين المتوسطين	قيمة ت	مستوى الدلالة
العاملات	٤٢	٥٩,٦٣	٦,٧٩	١٤,٦٩	٤,١٤	دال إحصائياً عند ٠,٠١
غير عاملات	٤٢	٤٤,٩٤	٥,٥٦			

إن الفرضية التي تنص على وجود فروق في الضغط النفسي المدرك بين النساء العاملات والنساء الماكات بالبيت قد تحققت وقد يرجع هذا الفرق الواضح إلى كثرة

الضغوط التي تتعرض لها الزوجة العاملة في المجال المهني بحكم أنّ المهنة التي تمارسها هي مهنة التعليم الابتدائي والتي تتطلب منها استثمار مادي كبير يظهر هذا في عدد ساعات التدريس واستثمار نفسي أيضا يتمثل في التكفل بعدد كبير من التلاميذ.

• **الفروق في التوافق الزوجي بين النساء العاملات والنساء الماكثات بالبيت:**
للإجابة عن التساؤل المتعلق بالفروق في التوافق الزوجي بين النساء العاملات والنساء الماكثات بالبيت لجأنا إلى حساب اختبار «ت» للكشف عن دلالة هذه الفروق وهذا حسب ما هو موضح في الجدول رقم (٨).

جدول رقم (٨)

قيم (ت) لدلالة فروق متوسطات التوافق الزوجي بين النساء العاملات والنساء الماكثات بالبيت

المجموعات	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الفرق بين المتوسطين	قيمة ت	مستوى الدلالة
العاملات	٤٢	٥١,٨٣	٤,٧٩	٠,٩١	٠,٦٣	غير دال
غير عاملات	٤٢	٥٢,٧٤	٥,٥٦			إحصائياً

جاءت النتيجة التي تحصلنا عليها مخالفة لنتيجة الباحث هادي رضا الذي يشير إلى أنّ أعباء دور المرأة العاملة زاد من احتمال تعرّض الأسرة لعدم الاستقرار مما قد يؤدي إلى ظهور عدم التوافق الزوجي، وأيضاً نتيجة التي توصلت إليها منى رشاد والمتمثلة في وجود فروق ذات دلالة إحصائية في التوافق الزوجي بين النساء العاملات وغير العاملات لصالح السيدات غير العاملات، وبالتالي قد يرجع التوافق الزوجي أو سؤته إلى عوامل أخرى غير عمل المرأة كالضغوط النفسية المتراكمة وتربية الأبناء ومدة الزواج والفارق العمري بين الزوجين وغيرها.

• **الفروق في التوافق الزوجي حسب متغيرات مدة الزواج، الفارق العمري بين الزوجين واختيار الشريك:** للإجابة عن التساؤل المتعلق بالفروق في التوافق الزوجي حسب متغيرات مدة الزواج، الفارق العمري بين الزوجين واختيار الشريك تم استخدام تحليل التباين الأحادي وهذا حسب ما هو موضح في الجدول رقم (٩).

جدول رقم (٩)

تحليل التباين الأحادي للكشف عن دلالة الفروق في التوافق الزوجي

حسب متغيرات مدة الزواج والفارق العمري بين الزوجين

المتغيرات	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	«ف»	الدلالة
مدة الزواج	بين المجموعات	٧٢٥,٨٢	٢	١١٢,٩١١	٣,٦٦	دال عند ٠,٠٥
	داخل المجموعات	١٧٠٢,٠٨	٨١	٤٣,٦٤		
	المجموع	٢٤٢٧,٩٠	٨٣			
الفارق العمري بين الزوجين	بين المجموعات	١٤,٧١	٢	١٦,٣٤٥	٠,٨٤	غير دال
	داخل المجموعات	١١٥٦,١٢	٨١	٣٣,٦٤		
	المجموع	١١٧٠,٨٣	٨٣			

• تحققت الفرضية القائلة بوجود فروق في التوافق الزوجي حسب متغير مدة الزواج: وقد جاءت هذه النتيجة مماثلة للنتيجة التي تحصلنا عليها في الدراسة السابقة التي أقمناها على مدرسات التعليم العالي والتي توصلنا من خلالها أن المدة الزمنية للزواج لها دخل في التوافق الزوجي، كما توصلنا كل من عبد الرؤوف الجرداوي وعبد الله صالح إلى أن فترة الزواج الكبيرة تقلل من الطلاق، لكن دراسة هادي رضا جاءت مخالفة لهذه النتيجة إذ توصل إلى أن عدد سنوات الزواج لم يكن له تأثير في عدم الاستقرار الأسري.

• لم تتحقق الفرضية القائلة بوجود فروق في التوافق الزوجي حسب متغير الفارق العمري بين الزوجين: وقد جاءت هذه النتيجة مماثلة للنتائج التي توصلنا إليها في الدراسة السابقة حول التوافق الزوجي لأستاذات التعليم الجامعي ولكن جاءت مخالفة للنتيجة التي توصل إليها كل من عبد الرؤوف الجرداوي وعبد الله صالح عن أهمية الفارق العمري بين الزوجين إذ توصلنا إلى أنه كلما زاد فارق السن بين الزوجين تزيد نسبة احتمال الطلاق، وضحت الباحثة مسعودة كسال التي أجرتها في المجتمع الجزائري والتي ترى أن الفارق العمري قد يكون من الأسباب المؤدية للطلاق وبالتالي معناها سوء التوافق الزوجي، قد يرجع هذا الاختلاف في النتيجة للاختلاف في فترة قيام الدراستين بفارق زمني يفوق ٢٠ سنة وقد يكون هذا إحدى نتائج التغير الاجتماعي الذي وقع في مجتمعنا.

• الفروق في التوافق الزوجي حسب متغير اختيار الشريك: وللإجابة عن الفروق في التوافق الزوجي حسب متغير كيفية اختيار الشريك لجأنا إلى حساب اختبار «ت» للكشف عن دلالة هذه الفروق وهذا حسب ما هو موضح في الجدول رقم (١٠).

جدول رقم (١٠)

قيم (ت) لدلالة فروق المتوسطات في التوافق الزوجي حسب متغير اختيار الشريك

المجموعات	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الفارق بين المتوسطين	قيمة ت	مستوى الدلالة
الطريقة التقليدية	٣٨	٣٧,٦٣	٨,٧٦	١٦,٣١	٨,٤٢	دال عند ٠,٠١
بعد تعارف	٤٦	٥٣,٩٤	١٤,٥٩			

تحققت الفرضية التي تنص على وجود فروق في التوافق الزوجي حسب متغير اختيار الشريك لصالح النساء اللواتي تمّ زواجهنّ بعد فترة تعارف. جاءت هذه النتيجة مماثلة للنتيجة التي توصلنا إليها في الدراسة التي أقمناها على مدرّسات التعليم العالي، كما جاءت مماثلة للنتيجة التي توصلت إليها مسعودة كسال حول أنّ الاختيار غير موفق للشريك أحد أسباب الطلاق، وأيضاً عبد الرؤوف الجرّداوي وعبدالله صالح حيث توصلا إلى أنّ الزواج التقليدي المرتب أفضل للتماسك الأسري من الزواج القائم على علاقة شخصية وتعارف بين الطرفين.

• **العلاقة بين الضغط النفسي المدرك والتوافق الزوجي:** للإجابة عن التساؤل المتعلق بوجود علاقة بين الضغط النفسي المدرك التي تعاني منه المرأة والتوافق الزوجي، لجأنا إلى حساب معامل ارتباط بيرسون كما هو موضح في الجدول رقم (٦).

جدول رقم (٦): معامل الارتباط بين الضغط النفسي المدرك والتوافق الزوجي

المتغيرات	معامل الارتباط	الدلالة
الضغط النفسي المدرك/التوافق الزوجي	٠,٥٧ -	دال إحصائياً عند ٠,٠١

يظهر لنا من الجدول رقم (٦) أنّ هناك علاقة ارتباطية سالبة دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة ٠,٠١ بين الضغط النفسي المدرك والتوافق الزوجي، وهذا راجع إلى أنّ الإنسان قد يواجه مواقف تفوق قدرته على التكيف والتعامل معها وبالتالي يكون تأثيرها سلبياً على كل جوانب حياته بما فيها الحياة الزوجية للمرأة العاملة.

وقد جاءت نتائج بعض الدراسات مماثلة لهذه النتيجة منها دراسة فيشر (Fisher) الذي أكدّ أنّ ٧٥٪ من المشاكل التي تعامل معها في ممارسته الإكلينيكية هي عبارة عن مشاكل مرتبطة بالضغط وأنّ أغلبها يتسبب في اضطرابات الزواج. (in Olson & al, 1994, p 460)

خاتمة الدراسة

توصلنا في خاتمة دراستنا إلى ظهور فروق في الضغط النفسي المدرك بين النساء العاملات والنساء الماكثات بالبيت، أما بالنسبة للتوافق الزوجي يعود الفرق فيه إلى متغير مدّة الزواج (سنوات الزواج) وكيفية اختيار شريك العمر، بينما لم تظهر الفروق بين النساء العاملات والماكثات في البيت كما لم يتدخل الفارق العمري بين الزوجين في تحديد توافقهما.

كما ظهر الدخل المباشر للضغوط النفسية المدركة التي تعاني منها المرأة عاملة كانت أو ماكثة بالبيت في تحديد توافقها الزوجي.

تبقى إشكالية الانسجام والتوافق الزوجي إشكالية الزوج والزوجة معا وبحثنا هذا اهتم بالمرأة بالدرجة الأولى لأن خصوصية المجتمع الجزائري تنظر إليها على أنها أساس هذه العملية لكن هذا لا يمنعنا من توسيع البحث للأزواج، وبالتالي يمكننا اعتبار هذه النتائج التي توصلنا إليها نقطة انطلاق في مشروع أكبر سنعمل على تحقيقه والذي يهدف لدراسة التوافق الزوجي عند الجنسين ولكل فئات المجتمع والذي بدوره يفتح الآفاق لبناء برامج إرشادية تهدف إلى تدريب المقبلين على الزواج على معايير اختيار الشريك، والمتزوجين على تجاوز الضغوط والبحث عن التوافق الذاتي والزوجي عن طريق تنمية التفكير الإيجابي، وبالتالي التقليل من المشاكل الأسرية كمشاكل الطلاق والتي يصل إليها الطرفان أمام ظهور سوء التوافق الزوجي وبالتالي استحالة المعاشرة ومواصلة الحياة الزوجية والذي بدوره له عواقب وخيمة على الأبناء خاصة وعلى المجتمع عامة.

وفي النهاية يمكن للأزواج الاستعانة بالإرشاد الأسري للابتعاد عن الوقوع في الانفصال النفسي والجسدي وفقدان التوافق والسعادة.

المراجع

أولاً: المراجع باللغة العربية

١. إبراهيم قمرقلاته (٢٠٠٨): التوافق الزوجي بين الوالدين وعلاقته بمفهوم الذات لدى الأبناء المراهقين بمكة المكرمة، رسالة دكتوراة، جامعة طيبة/ المملكة العربية السعودية.
٢. خليل محمد (١٩٩٩): سيكولوجية العلاقات الزوجية/ القاهرة.
٣. الرشدي، هارون توفيق (١٩٩٩): الضغوط النفسية وطبيعتها ونظرياتها، برنامج لمساعدة الذات في علاجها، الأنجلو المصرية/ القاهرة.
٤. فوزية الجمالية (٢٠٠٨): التوافق الزوجي لدى الأزواج العمانيين في ضوء بعض المتغيرات، مجلة الدراسات التربوية والنفسية، جامعة السلطان قابوس، العدد ١، ص ٧٦ - ٩٧/ عُمان.
٥. مسعودة كسال (١٩٨٦): مشكلة الطلاق في المجتمع الجزائري، ديوان المطبوعات الجزائرية/ الجزائر.
٦. هادي مختار رضا (١٩٩٨): عدم الاستقرار الأسري دراسة مقارنة بين الزوجات المتفرغات والعاملات في المجتمع الكويتي، حويلات كلية الآداب، العدد ١٩، جامعة الكويت/ الكويت.

ثانياً: المراجع باللغة الاجنبية

7. Olson, J & Defrain, J. (1994): marriage and the family diversity and strengths, May Fields publishing Company, U. S. A, California.
8. Sinha. S & Mukerjee. N (1990): martial adjustment and space orientation, the journal of social psychology, Vol 5, pp 633 – 639.
9. Lazarus RS., Folkman S. (1984): Stress. appraisal and coping. New York: Springer.

واقع المسنين بمراكز العجزة

دراسة ميدانية بمركز رعاية المسنين - سيدي موسى

أ.ة. ذهبية أوموسي
أ.ة. سميرة بداوي

أولاً: أسباب اختيار الموضوع الأسباب الذاتية

التعاطف مع كل القضايا التي تمس
الشيوخ والمسنين بسبب التهميش الذي
تعاني منه فئة العمر الثالث.

الأسباب الموضوعية

١- اهتمام المجتمع بدراسة
الثقافة الفرعية للشباب من شتى النواحي
في حين تبقى مرحلة العمر المتقدم
لا يعرف الكثير عنها من حيث العوامل
النفسية والاجتماعية.

إن مرحلة الشيخوخة بالرغم ما
تتميز به من إيجابيات كحكمة الحياة
وثمرات خبراتها والقدرة على العطاء،
إلا أنها في كثير من المواقف فهي لا تعني
فرصة للمتعة والاسترواح بقدر ما تعنيه
من انحدار في القدرات الوظيفية والبدنية
والعقلية والذي يؤثر بشكل ملموس على
مُجمل الوظائف الحيوية ويتسبب في
مظاهر الضعف والوهن، ونظر لما يعانيه
المسنون من عجز جسمي وعقلي واغتراب
نفسى واجتماعي فإنهم غالباً ما يتطلبون
حماية ورعاية من الآخرين خاصة أولئك
المقيمين في مراكز الرعاية الخاصة
بهذه الفئة، ولقد ارتأينا من خلال هذه
الدراسة تسليط الضوء على وضعية هؤلاء
المسنين في مراكز الرعاية الاجتماعية
والى أي مدى وصل التكفل بهم سواء
نفسياً أو اجتماعياً.

• أ.ة. ذهبية أوموسي: أستاذ محاضر في قسم علم الاجتماع بجامعة سعد دحلب البليدة/الجزائر.

dahbia.oumoussa@gmail.com

•• أ.ة. سميرة بداوي: طالبة سنة أولى دكتوراة علم الاجتماع بجامعة سعد دحلب البليدة/الجزائر.

Mirimiri2014@gmail.com

- ٢- محاولة التعرّف على ظروف إيواء ورعاية المسنين من الذكور والإناث داخل المركز وما يعانون منه من مشكلات ومعوقات وكيف يتقضون أوقات فراغهم.
- ٣- التعرف على العادات المرتبطة بالترفيه والغذاء والنظافة للمسنين والعوامل المؤثرة فيها.
- ٤- التعرف على طبيعة العلاقات السائدة بين المقيمين من جهة ونوع الصلات الموجودة بين المسنين.

ثانياً: أهداف الدراسة

- الأهداف العلمية

- تسعى هذه الدراسة إلى محاولة إثراء المعرفة في الخدمة الاجتماعية بصفة عامة وفي علم اجتماع الشيخوخة بصفة خاصة.
- البحث في الواقع المعيشي والصحي والاجتماعي للمسنين في مراكز العجزة وتبيان حاجاتهم الأساسية والتركيز على وصف الواقع وتحليله بغاية تحديد نمط حياة المقيمين في هذه المؤسسات.
 - توضيح سلبيات وإيجابيات مراكز العجزة بقصد إعطاء رؤية عن واقع الخبرة الميدانية ورفع مستوى رعاية المقيمين من جميع النواحي.
 - إلقاء الضوء على العقبات التي تحول دون تقديم مختلف الرعاية للمقيمين بالضرورة المرضية.
 - التأكد من التكوين العلمي والميداني للعاملين في هذا المجال بما يتناسب والعمل مع المسنين.

ومن خلال ما سبق قمنا بطرح مجموعة من التساؤلات والتي كانت كالآتي:

- ١- ما هي أهم المشكلات الصحية والنفسية والاجتماعية التي يواجهها المسنين المقيمين بمراكز العجزة؟ وهل خدمات الرعاية الاجتماعية والبرامج الترفيهية أكثر استجابة واستمرارية لحاجياتهم وكفيلة بمواجهة ما يعانون من مشكلات في حياتهم؟
- ٢- ما هي طبيعة العلاقات الاجتماعية السائدة بالمركز؟ وهل هناك صلات واتصال بين المقيمين وأسرهم؟
- ٣- هل المشتغلين بالمركز لهم الكفاءات العلمية اللازمة باعتبارهم ممارسين ومنظمين للخدمة الاجتماعية ومسؤولين عن الخدمات المقدمة لمواجهة الحاجات الفعلية للمسنين؟

ثالثاً، الفرضيات

وبناءً على التساؤلات المطروحة في الإشكالية توصلنا إلى صياغة الفرضيات الآتية:

١- الالتزام بتطبيق برامج الرعاية الاجتماعية الفعالة ميدانياً ورفع مستوى الخدمات المقدمة في مركز العجزة يساعد على تكييف المسنين اجتماعياً وتوافقهم نفسياً وصحياً.

٢- البرامج الترفيهية المتنوعة والمتعددة المجالات تزيد من حركة ونشاط وسعادة المسنين وتسمح لهم بالدخول في علاقات اجتماعية مع بعضهم البعض مما يساعد على خلق جو من الألفة والاستقرار النفسي والاجتماعي.

٣- العمل على تفاعل المسنين مع بعضهم البعض وإبقاء الصلة بين المقيمين بالمركز وأسرتهم يساهم في تكييف المسنين اجتماعياً وتوافقهم نفسياً مع طبيعة الحياة في المركز.

٤- الإعداد العلمي والميداني للعاملين في المركز يوفر الرؤية الموضوعية لديهم عن كيفية التعامل مع فئة المسنين، متطلباتها واحتياجاتها وطبيعة مشاعرها وأحاسيسها.

٥- لقد اعتمدنا في الدراسة هذه على مجموعة من المناهج البحثية وذلك بغاية الوصول إلى نتائج تتميز بالدقة والموضوعية ومن المناهج المستخدمة في هذه الدراسة نذكر: المنهج التقويمي، المنهج الوصفي والمنهج الإحصائي.

أما فيما يخص جمع المعطيات فقد اعتمدنا على مجموعة من الوسائل والأساليب المستخدمة في البحوث الاجتماعية من ملاحظة، واستمارة بالمقابلة وسبب اختيارنا لهذه التقنيات يعود إلى تباين المستوى التعليمي للمسنين.

أما مجالات الدراسة فتناولت المجال الزمني

لقد اعتمدنا في الدراسة على أسلوب الحصر الشامل ونلجأ إلى هذا الأسلوب عندما يكون مجتمع البحث صغيراً.

ولقد استعملنا هذا النوع من العينية كون أن المجتمع الأصلي محدود ومنه إمكانية أخذ جميع وحداته دفعة واحدة وهذا نظراً لقلتها والشروط الوحيدة في هذا النوع من العينية هو ضرورة توفر الشروط اللازمة في عناصر مجتمع البحث للقيام بالدراسة، أي أن لها صلة بموضوع البحث وهذا ما عملنا به حيث أن المبحوثين من المسنين الذي يتجاوز عمرهم ٦٠ سنة وهم مقيمون بصفة دائمة في مركز العجزة وهم سالمين من العاهات العقلية وقادرين على التجاوب مع الأسئلة ولقد بلغ عدد المبحوثين ١٦٣ مبحوث (١٤٤ ذكور، ١٩ إناث).

رابعاً: نتائج الدراسة

لقد أجرينا الدراسة بمركز رعاية المسنين ببلدية سيدي موسى ولاية الجزائر والذي أنشئ سنة ١٩٦٦ والذي تبلغ طاقة إستيعابه ٤٠٠ سرير، أما عدد المقيمين به بلغ ٢١٠ (١٤٧ ذكور، و٦٣ إناث).

ومن خلال الدراسة التي قمنا بها ومن خلال مقابلتنا واستجوابنا للمقيمين داخل المركز واجتابة على التساؤلات والفرضيات التي كنا بصدد اختبارها توصلنا إلى النتائج التالية:

كما جاءت في البيانات الخاصة بخصائص أفراد العينة فإن مبحثي هذه الدراسة كلهم مقيمين بمركز العجزة لسبب، حيث بلغت نسبة المقيمين من أكثر من ١٠ سنوات ٨٨,٢٢٪، أغلب المبحوثين بنسبة ٨٨,٣٤٪ ينتمون إلى جنس الذكور، أغلب المبحوثين يتراوح عمرهم ما بين ٦٠ - ٦٤ سنة بنسبة ٦٣,٧٣٪ وبلغت نسبة المبحوثين الأميين ٧٨,٥٢٪ وقدرت نسبة القادمين من الريف ٦٣,٨٠٪ ومن خلال الدراسة استخلصنا أن المرض، وتفاقم المشاكل العائلية، والفقر، وانخفاض الدخل، ومشكلة السكن، كانت مصدر للضغط والتعاسة في الحياة الأسرية للمسنين مما تسبب في التحاقهم بالمركز. حيث وصلت نسبة المسنين الذين أجبروا على الالتحاق بالمركز ٦٧,٤٨٪ من مجموع عينة الدراسة.

كما توصلنا إلى أن عدم التزام المركز بتطبيق شروط القبول على كثير من حالات المقيمين وذلك في ظل غياب المبادئ العامة واللوائح المنظمة للرعاية وغياب تحديد النظم والقوانين المتعلقة بمثل هذه المؤسسات وشروط القبول والعاملين بها.

كما وقد توضح من خلال الفرضية الأولى عدم التزام المركز بتطبيق برامج الرعاية الاجتماعية الفعالة ميدانياً وتدني مستوى الخدمات المقدمة حيث بدأ المركز ببيع إنساني لكنه أخذ في الانحراف عن أهدافه الأصلية بهبوط من حيث مستوى الخدمة بالانحراف عن الأهداف والمبادئ التي يجب مراعاتها في رعاية المسنين.

ولقد توصلنا إلى أن الخدمات النفسية والاجتماعية لم تتعدى نطاق الرعاية الإيوائية لأن المركز قصر في خلق وتطوير البرامج في ضوء الخبرة الميدانية واحتياجات المسنين أنفسهم حيث وجدنا حالات كثيرة من المسنين الذين يتمتعون بصحة جيدة إلا أنهم لا يغادرون غرفهم حيث وصلت نسبة هؤلاء إلى ٥٤,٦٠٪ مسن ومسنة.

أما فيما يخص علاقة وجود البرامج الترفيهية المتنوعة بتزايد حركة ونشاط وسعادة المسنين ودخولهم في علاقات اجتماعية ببعضهم البعض، فلقد لاحظنا أن المركز يعاني من حيث التزويد بوسائل التسلية والتدقيق ولمسنا ذلك بشعور المسنين بالوحدة والانعزال والتمركز حول ذاتهم حيث وجدنا ما نسبته ٦٠,٥٪ من المسنين لا يغادرون غرفهم.

لقد توصلنا في دراستنا هذه إلى أن الترويج من الميادين المهيمنة في المركز ونفس الشيء يقال عن الأنشطة الرياضية وألعاب التسلية والحفلات أو أي نشاط آخر من قبيل توسيع وتوطيد شبكة العلاقات فيما بين المسنين.

إنّ دعم وجود مجالات الترقية وخلاء المركز من العناصر والمقومات العقلية بأن تقضي بالمسنين إلى حياة خصبة ومفعمة بالحيوية جعل الوقت في المركز طويل والأيام كلها واحدة وليس فيها حياة بحيث ترى الموت في الحالات القابعة في الأسرة منتظرة الموت سواء الحالات أو تلك التي أقعدها عدم النشاط وعدم الحركة والكسل أنه ومن خلال الدراسة وجدنا أن هناك ١١,٠٤٪ من المبحوثين يقضون نهارهم في المقهى و ١,٨٪ يقضون نهارهم في التسول.

وفيما يخص عدم تكيف المسنين اجتماعياً وتوافقهم نفسياً مع طبيعة الحياة في المركز ببقاء الصلة بينهم وبين أسرهم تبين أن المركز لم يضع أي نظام ولم يأخذ أي تعهد من الأسر وأهل المسنين وأقاربهم على المداومة في زيارة المقيمين واستضافتهم فهم مفقرين في العلاقات الاجتماعية بحيث قطعوا بهم الصلة أغلب الذين كانت تربطهم بهم صلة الود والقرب حيث صرح لنا أغلب المبحوثين ونسبة ٨٤,٦٦٪ أنهم لا تربطهم أي صلة بأقاربهم وأسرهم.

كما أن المركز لا يتيح للقادرين على الحركة والنشاط أعمالاً تتناسب مع مهاراتهم حتم المانع من خلق أعمال بسيطة تخدم المسنين أنفسهم.

كما توصلنا إلى أنّ المختصين في المركز وعلى رأسهم المديرية لم يتكونوا في مجال العمل مع الشيخوخة ولم يتدربوا يوماً فهم غير ملمين بالجوانب المتصلة بخصائص التقدم في العمر وأنواع النشاط الذي تثبت جدواه بالنسبة لكبار السن.

فالتعامل مع المسنين صعب وبحاجة إلى تدريب معين لا يتوفر بغير توجيه ونوعية مستمرين.

كما يستدعي العمل مع المسنين التكوين والتدريب للتمييز بين السمات الثابتة عند المسنين وبين الحالات العارضة الناجمة عن سوء الرعاية والوقوف على الخصائص النفسية للمسنين حتماً يمكن معاملتهم معاملة ملائمة لتلك الخصائص وتوفير الجو المناسب لهم عن طريق النشاطات التي تبعث فيهم السعادة وتشيع لهم الرضا.

كان من الأجدر إخضاع إدارة المركز كل المختصين بما فيهم طبيب المركز إلى تكوين في طب الشيخوخة وعلم نفس الشيخوخة وعلم اجتماع الشيخوخة لأن رعاية الشيخوخة متعددة الجوانب وتستلزم وعياً بحال ونفسية المسنين.

ومنه نجد أن كل فروضنا التي قد سبق طرحها قد تحققت من خلال هذه الدراسة وفي الأخير وجدنا أنه مهما قدم للمسنين من صنوف المحبة والمودة والرعاية والعناية فإنه لا يستغني بأي حال من الأحوال عن مودة وحنان وتعاطف أبناء وبناته وأحفاده والأسرة أكفل للمسنين من حيث الراحة والسعادة والاستقرار النفسي بحيث لا يعرف الإنطواء والعزلة والانسحاب من الحياة إلا بالموت وتفاعله مستمر مع الحياة ومع الأجيال من مختلف الأعمار ويحس بقيمة وجوده وأهمية دوره وقدرته على اتخاذ القرار وأن له مركز يشغله ومكانة متميزة يحتلها ووضع يحافظ عليه.

قائمة المراجع

- ١- سيد سلامة إبراهيم. رعاية المسنين، الجزء الثاني، المكتب العالمي للكمبيوتر للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ١٩٩٧.
- ٢- دويجة أمين، شباب في الشيخوخة، دار القلم، بيروت، ١٩٨٢.
- ٣- عبد الحميد عبد المحسن. الخدمة الاجتماعية في مجال رعاية المسنين في الوطن العربي، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٨٤.
- ٤- عبد العال سيد الفرسان حسن. تقويم خدمة المسنين، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨٦.
- ٥- محمد سيد فهمي، قواعد البحث في الخدمة الاجتماعية، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٠.
- 6- Memin (charlot), projet de vie avec les personnes âgées et dependantes en institution, boyard, France, 1992.
- 7- Pichod (climent), vivre une relation. chronique social, lyon, France; 2001.
- 8- charazac (Pierre), Comprendra la crise de la vieillesse, ed, dunod, Paris, 2005.
- 9- amyot (Jean Jacques), travailler auprès des personnes âgées, prevat, France, 1994.
- 10- Bour (Hélène), Le troisième âge, PUF, paris, 1969.

النضج المهني لدى طلبة الجامعة Professional maturity among university students

د. رغد إبراهيم عباس الموسوي*



ملخص البحث

النضج المهني The vocational maturity
يعد مفهوم النضج المهني مفهوماً غير واضح ويختلف باختلاف الخلفية النظرية لعلماء الإرشاد والتوجيه المهني ورواده، وربما يعود عدم الوضوح هذا إلى أنه مفهوم افتراضي يستدل عليه من مظاهره ونتائجه، ويعتبر أصحاب الاتجاه التطوري في الإرشاد المهني من أبرز الرواد الذين أعطوا تصوراً واضحاً للنضج المهني. (الشرعة، ١٩٩٨، ص ١١-٢٣). فقد أكد سوبر (super) أن النضج المهني يعني استعداد الفرد للتعامل مع المهمات المهنية النمائية المناسبة لمرحلته العمرية أو لأبناء عمره، ويرى أن المفتاح الرئيسي للاختيارات المهنية هو النضج المهني. (Super, 1988, p. 357-391).

ويرى هولاند (Holland) هو من أصحاب الاتجاه الشخصي أن النضج المهني يشير إلى مدى قدرة الفرد على معرفة ذاته، وتوفير المعلومات الصحيحة عن عالم المهن وسوق العمل، وأنه امتداد شخصية الفرد إلى عالم العمل يتبعه تطابق لاحق مع أنماط مهنية وأهم محددات الاختيار المهني هو مقارنة الذات مع أدراك الفرد للمهنة، وهذا بالتالي يقود إلى نتائج تقود إلى اتخاذ القرار المهني السليم. (Osipow, 1999, p. 147-154)

* أستاذة جامعية، علوم نفسية وتربوية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، الجامعة المستنصرية، كلية التربية/العراق. raghadraghad77@gmail.com

يستهدف البحث الحالي التعرف على:

- ١- قياس النضج المهني لدى العينة ككل.
- ٢- قياس النضج المهني لدى العينة وحسب متغير الجنس (ذكور وإناث).
- ٣- قياس النضج المهني لدى العينة ككل وحسب متغير التخصص (علمي إنساني).
- ٤- قياس النضج المهني لدى العينة ككل وحسب متغير تحصيل الأب (إبتدائية، إعدادية، كلية).
- ٥- قياس النضج المهني لدى العينة وحسب متغير تحصيل الأم (إبتدائية، إعدادية، كلية).
- ٦- قياس النضج المهني لدى العينة وحسب متغير المستوى الاقتصادي للأسرة (ضعيف، متوسط، جيد).

ولتحقيق الأهداف أعلاه تم اختيار عينة البحث من طلبة الجامعة إذ بلغ عدد أفرادها (١٥٠) طالباً وطالبة تم اختيارهم عشوائياً من طلبة كلية التربية - الجامعة المستنصرية من قسم الجغرافية والرياضيات، وقسم العلوم التربوية والنفسية المرحلة الأولى، وتم تطبيق مقياس النضج المهني ويتكون المقياس من (٢٩) فقرة تكون الإجابة عليها (بنعم) أو (لا) حيث يتراوح مجموع الأداء للمستجيب من (صفر - ٢٩).

وبعد الانتهاء من جمع البيانات حُسبت المتوسطات والانحرافات المعيارية لأداء أفراد العينة واستخدمت الوسائل الإحصائية المناسبة لاستخراج النتائج، وبعدها قدمت الباحثة مجموعة من التوصيات والمقترحات.

الفصل الأول

النضج المهني (Career Maturity)

مشكلة الدراسة

نظراً للتطور السريع في مختلف مجالات الحياة العامة والعملية والاجتماعية والنمو الكبير في مجال تكنولوجيا المعلومات والتغير الذي يتعده سوق العمل وعالم المهن فإن الطلبة يعانون من عدم القدرة على اتخاذ القرارات فيما يتعلق باختيار نوع المهنة التي تناسب مع قدراتهم وميولهم، وهذا يتفق ما أشار إليه بكر (٢٠٠٤)، الذي أكد على أن موضوع اختيار نوع المهنة غير محدد وغير واضح بالنسبة لكثير من الطلبة حتى ينهوا مرحلة التعليم الجامعي فيجدوا أنفسهم مرغمين على دخول مهن أو مهنة معنية دون إرادتهم ودون أن يعدوا أنفسهم للانخراط في ذلك العمل أو تلك المهنة فيكون اختبارهم في ضوء بريق ومغريات المهنة ومكانتها في ذلك المجتمع أو على أساس عائدها الاقتصادي بغض النظر عن الميول والاستعداد لها أو نتيجة إجبار من الأسرة على الدخول في تلك المهنة قد تكون مهنة الأسرة أو مهنة فشل الأب في الانخراط بها فدفن ابنه إليها فيعيش الفرد أو الطالب في خوف وقلق من الإخفاق بها أو عدم الرضا المهني عن مكانة الوظيفي وموردها. (بكر، ٢٠٠٤، ص ٢٨١)

وهذا ما يتفق مع ما ذكر عاقل (١٩٨٩) عندما أشار إلى الدراسة التي أجريت في ولاية أيلينوي الأمريكية عن مشكلات الطلبة وتناولت سبعة آلاف طالب من طلبة الكلية المرحلة الأولى في (٥٧) كلية وحاجاتهم وكانت الحاجة إلى اتخاذ القرار حول مهنة المستقبل من بين المشاكل الرئيسة لدى أفراد العينة. (عاقل، ١٩٨٩، ص ١١٩). وفي غيبة النضج المهني نجد أشخاص غير مناسبين لبعض المهن أو مهن غير مناسبة لبعض الأشخاص وهؤلاء لو أُتيح لهم فرصة إعادة الاختيار المهني لاختاروا مهن غير مهنهم، وهذا بدوره يؤثر في الإنتاج وإلى الخسارة الشخصية والاجتماعية، من هنا يبرز الجانب الأول من مشكلة الدراسة الحالية متمثلاً في أهمية وخطورة الموضوع الذي تناولته الدراسة الحالية وما يترتب عليه من آثار سلبية على الفرد والمجتمع، أما الجانب الثاني من مشكلة الدراسة متمثلاً في واجب عدد من الجهات المهنية في الدولة الاطلاع بدورها أمام هذه التحديات فمثلاً تشكيل لجان التوجيه والإرشاد المهني في المدارس والجامعات والتي بدورها تقوم بتقديم لهؤلاء الشباب ما يفيدهم في التصدي لمثل هذه الصعوبات التي تواجههم، ويمكن بلورة مشكلة الدراسة الحالية من خلال السؤال الآتي:

- هل يوجد نقص واضح لدى طلبة الجامعة في مستوى النضج المهني أم لا ؟

أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة الحالية في أهمية الموضوع الذي تتصدى لدراسته حيث أنها تسعى لمعرفة مستوى النضج المهني لدى الطلبة فإن موضوع الدراسة ينطوي على أهمية كبيرة سواء من الناحية النظرية أو من الناحية التطبيقية، فمن الناحية النظرية تشكل الدراسة الحالية إضافة معرفة لموضوع النضج المهني لاتجاه إرشادي لم يلق من الاهتمام والدراسة ما يستحقه وبالتالي فإن هذه الدراسة ستدعم حاجة البحث العلمي إلى هذا الجانب وبالتالي تقديم الخدمات والمساعدات لفئة من طلابنا هم في أمس الحاجة لمثل هذه الخدمات، أما من الناحية التطبيقية فإنها تتمثل في معرفة مستوى النضج المهني لدى طلبة الجامعة وهل يعاني أفراد العينة من نقص واضح في النضج المهني وبالتالي العمل على تشكيل لجان إرشادية مهنية متخصصة تعمل على تقديم المعلومات المناسبة للطلبة حول قدراتهم وإمكاناتهم وسوق العمل وليتمكنوا من المواءمة بين قدراتهم ومتطلبات المهن كما تأتي أهمية هذه الدراسة في الوقت الذي يقف فيه المجتمع على أبواب تغير في طبيعة المهن السائدة لديه وفي الوقت الذي يتعاون فيه بعض الوزارات كوزارة التربية والتعليم ووزارة العمل وبعض الجهات غير الحكومية في إيجاد بنية تحتية للتوجيه المهني، وتأمل الباحثة أن تحقق الدراسة أهدافها التي من أهمها المواءمة بين مخرجات التعليم ومتطلبات سوق العمل حيث يعد ميدان المهنة ذو أهمية كبيرة بالنسبة للفرد والمجتمع.

أهداف الدراسة: تستهدف الدراسة الحالية:

- قياس النضج المهني لدى العينة ككل.
- التعرف على الدلالة الإحصائية في النضج المهني لدى طلبة الجامعة وحسب متغير الجنس (ذكور وإناث).
- التعرف على الدلالة الإحصائية في النضج المهني لدى طلبة الجامعة وحسب متغير التخصص (علمي - إنساني).
- التعرف على الدلالة الإحصائية في النضج المهني لدى طلبة الجامعة وحسب متغير المستوى الاقتصادي للأسرة (ضعيف، متوسط، جيد).
- التعرف على الدلالة الإحصائية في النضج المهني لدى طلبة الجامعة وحسب متغير المستوى التحصيلي للأب (ابتدائية، متوسطة، إعدادية، كلية).
- التعرف على الدلالة الإحصائية في النضج المهني لدى طلبة الجامعة وحسب متغير المستوى التحصيلي للأم (ابتدائية، متوسطة، إعدادية، كلية).

حدود الدراسة

يقتصر البحث الحالي على طلبة كلية التربية، الجامعة المستنصرية الدراسة الصباحية، ولكلا الجنسين (ذكور وإناث)، والتخصص (العلمي-الإنساني) للعام الدراسي الحالي (٢٠١٢ - ٢٠١٤).

تحديد المصطلحات

النضج المهني Maturity Carrer عرفه كلاً من:

كرايتس Crites (١٩٧٤): بأنه متى تمكن الفرد من مهام الارتقاء الملائمة لمرحلته المهنية وتشمل المعرفة والاتجاهات ويتمثل البعد المعرفي في مهارات اتخاذ القرار المهني بينما يتجسد البعد الوجداني في الاتجاهات نحو عملية صنع القرار المهني. (Crites, 1977, P. 44)

هولاند Holland: يشير إلى مدى قدرة الفرد على معرفة ذاته وتوفر المعلومات الصحيحة عن عالم المهن وسوق العمل وإنه امتداد شخصية الفرد إلى عالم العمل يتبعه تطابق لاحق مع أنماط مهنية وأهم محددات النضج المهني هي مقارنة الذات مع إدراك الفرد للمهنة وهذا بالتالي يعود إلى اتخاذ القرار المهني السليم. (Osipow & Samula, 1983, P. 42)

سوبر Super (١٩٨٨): أن النضج المهني يعين استعداد الفرد للتعامل مع المهمات المهنية النمائية المناسبة لمرحلته العمرية أو لأبناء عمره، ويرى أن المفتاح الرئيسي للاختيارات المهنية هو النضج المهني. (Super, 1988, P. 357-391)

سافيكاس Savickas: إنه استعداد الفرد للتكيف مع مهام النضج المهني واتخاذ قرارات مهنية واقعية وملائمة للعمر ومعتمدة على المعلومات. (Kawai & Yamazaki, 2006, P. 23)

التعريف النظري للنضج المهني ستعرف الباحثة النضج المهني تعريف نظرياً وحسب تعريف سوبر (1988) Supper المشار إليه أعلاه.

أما التعريف الإجرائي للنضج المهني (إنه الدرجة التي يحصل عليها الطالب على مقياس النضج المهني) مع المهمات المهنية النمائية المناسبة لمرحلته العمرية ولأبناء عمره، ويرى أن المفتاح الرئيسي للاختيارات المهنية هو النضج المهني. (Super, 1988, P. 357-391)

الفصل الثاني

الإطار النظري ودراسات سابقة

أولاً: الإطار النظري

نظراً لأهمية موضوع النضج المهني فقد ظهرت اتجاهات نظرية تتناول هذا المفهوم ومن أهمها:

- الاتجاه التطوري.
- الاتجاه الشخصي.
- اتجاه التعلم الاجتماعي.

سوف تتناول الباحثة الاتجاه التطوري لأنه الأقرب إلى الدراسة الحالية وإلى دراسة مفهوم النضج المهني.

الاتجاه التطوري

يعتبر من أقدم الاتجاهات النظرية التي تناولت عملية النضج المهني ويشير السفساسفة (١٩٩٣) إلى أن هذا الاتجاه قام على مبادئ النمو والتطور إذ تعتبر عملية النضج المهني عملية نمائية. وليست آنية ومن أشهر الكتب في هذا المجال سوبر super وجينزبيرغ Ginsberg وربما يكون سوبر هو الشخصية الرئيسية التي تناولت موضوع النضج وقد بنى نظريته على أساسين هما الفروق الفردية والتي تشير إلى التمايز القائم بين الأفراد نتيجة النمو والتطور ومفهوم الذات المهنية لدى الفرد أي الصورة التي يكونها الفرد عن ذاته على اعتبار أن مفهوم الذات يتطور بناءً على ملاحظات الأطفال والافتداء بالكبار المنخرطين بالعمل، وقد قدم سوبر عدة اعتبارات رئيسية يتضمنها منهج مفهوم الذات:

- إن كل فرد يختلف من حيث قدراته واهتماماته
- إن كل فرد مؤهل حسب صفاته وخواصه لعدد من المهن وأن يمتلك القدرة على النجاح في عدد من المهن.
- لدى كل مهنة نموذج مميزاً من القدرات الاهتمامات والمميزات الذاتية
- إن النمو والخبرة لهما دوراً أساسياً في تحديد مفهوم الذات وبالتالي تحديد المهنة ودرجة الكفاءة والنجاح، فمفهوم الذات يتغير مع الوقت والخبرة ويبدأ اكتمال الذات بدرجة كبيرة بنهاية المرحلة المراهقة المتأخرة.

- إن المستوى والاستقرار المهني الذي يحققه الفرد، تحدد من خلال المستوى الاجتماعي والاقتصادي للأسرة وقدرة الفرد العقلية وخصائصه الشخصية بالخبرات أو الفرص التي يتعرض لها.
- إن النمو عبر مراحل الحياة يمكن توجيهه جزئياً من خلال تسهيل عملية نضج القدرات والميول ومن خلال المساعدة في فحص الواقع.
- إن عملية النمو المهني هي تشكيل أساسي عملية تطوير وتحقيق لمفهوم الذات حيث يكون مفهوم الذات نتيجة لتفاعل القدرات الموروثة وممارسة الأدوار المتعددة في الحياة بإيجابية واستحسان المحيطين به.
- الرضا عن العمل والرضا عن الحياة يعتمد على مدى إيجاد الفرد منافذ كافية لقدراته أو ميوله وسماته الشخصية وهي تعتمد على الاستقرار ضمن مهمة معينة. (جابر ١٩٩٣، ص٥٤)

يرى سوبر أن عملية النمو المهني تمر بمراحل هي:

مرحلة النمو (growth): وتبدأ من سن الولادة إلى ١٤ سنة وتتصف هذه المرحلة بأن مفهوم الذات ينمو من خلال التعرف على الأشخاص المهمين في الأسرة والمدرسة وهنا تشير الحاجات والخيارات والميول وتصبح القدرات ذات أهمية مع زيادة المشاركة الاجتماعية واختبار الواقع.

مرحلة الاكتشاف (exploratory): وتبدأ من (١٥-٢٤) سنة وهنا تصبح الاختيارات المهنية أكثر تحديداً ولكنها لا تكون نهائية وتتميز هذه المرحلة باختبار الذات ومحاولة لعب دور الاكتشاف المهني في المدرسة.

مرحلة التأسيس (establishment-stage): وتبدأ من (٢٥-٤٤) سنة وتتصف بحصول الفرد على عمل مناسب ويتم خلال هذه المرحلة اكتساب الفرد خبرات ومهارات أساسية وتحسين الواقع المهني.

مرحلة الاحتفاظ (maintenance-stage): وتبدأ من (٤٥-٦٥) سنة وهنا يحاول الفرد المحافظة على ما حققه أو اكتسبه من المهنة ويميل نحو عدم تغيير المهنة لأنه حقق مكانة في العمل.

مرحلة الانحدار (decline-stage): وهي مرحلة ما بعد ٦٥ سنة وهنا تضعف القدرات العقلية والجسمية وتتغير نشاطات العمل وبالنهاية يتوقف النشاط وتنتهي بالتقاعد. (السواط، ٢٠٠٨، ص٥٦٦)

العوامل المؤثرة على النضج المهني

أشار كلاً من عاقل (١٩٨٩) والصمادي (١٩٨٨) والشرعة (١٩٩٨) والحوارنة (٢٠٠٥) إلى أن سوبر (Suuper) قد أكد على أن هناك عدداً من العوامل التي تؤثر على النضج المهني هي:

١- **العوامل البيو اجتماعية كالذكاء والعمر**، حيث أشار إلى أن الشخص الأكثر ذكاءً أقدر على التخطيط المهني وأن النضج المهني يرتبط ارتباطاً بالذكاء.

٢- **العوامل الشخصية**، كمفهوم الذات ووضوح الهوية النفسية ومستوى الطموح يوجد ارتباط إيجابي بين هذه المتغيرات والنضج المهني.

٣- **التحصيل**، حيث وجد سوبر (Super) أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين النضج المهني والتحصيل سواء كان التحصيل مدرسي أم لا.

٤- **العوامل الأسرية**، ومنها توجيهات الوالدين أو نمط تربيتهما لأبنائهما كما ناقشتهم في القرارات أو فرض القرارات على الأبناء والمستوى التعليمي للوالدين، ومقدار دخلهما، وأشار سوبر (Super) أن مستوى الوالدين المهني ودخلهما يرتبطان ارتباطاً وثيقاً بالنضج المهني للأبناء. (السواط، ٢٠٠٨، ص ٦٤)

ثانياً: الدراسات السابقة

- الدراسات العربية

أجرى جروان (١٩٨٦) حول النضج المهني، وتوصلت نتائج الدراسة التي لا توجد فروق على الاختبار البعدي بالنسبة للنضج المهني بين المجموعة التجريبية والضابطة. (جروان، ١٩٨٦، ص ٥). أما دراسة جرادات (١٩٩١)، وأظهرت النتائج أن البرنامج كان فعالاً في تزويد الطالبات بمهارات اتخاذ القرار وتحسين مستوى النضج المهني وزيادة المعلومات المهنية لدى العينة. (جرادات، ١٩٩١، ص ١٨٧)، وفي دراسة لمبارك (٢٠٠٢)، وكانت النتائج تشير إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية لصالح المجموعة التجريبية في مقياس النضج المهني، وأيضاً أشارت النتائج لا توجد فروق ذات دلالة على مقياس النضج المهني تتبعاً لمتغير الجنس ولكن توجد فروق على مقياس النضج المهني لصالح طلبة القرية ودخل الأسرة المرتفع ولصالح الطلبة ذوي التحصيل العلمي. (مبارك، ٢٠٠٢، ص ٧). أما دراسة السواط (٢٠٠٨)، ولقد أظهرت النتائج بوجود فروق ذات دلالة بين أفراد المجموعة التجريبية والضابطة على مقياس النضج المهني لصالح المجموعة التجريبية،

وأيضاً أشارت أنه لا توجد فروق ذات دلالة بين درجات أفراد المجموعة التجريبية على مقياس النضج المهني في المقاييس الفعلي والبعدي. (السواط، ٢٠٠٨، ص ٥)

– الدراسات الأجنبية

لدراسة لفلويد Floyd (١٩٨٤) وقد أظهرت النتائج فروقاً ذات دلالة لصالح المجموعة التجريبية على مقياس النضج المهني كما أظهرت فروقاً لصالح الإناث على متغير الجنس والعرق ولصالح البيض. (السواط، ٢٠٠٨، ص ١٣٩). وفي دراسة لستوريفانت وجون برناديت Sturievant & john (١٩٩٤) أظهرت نتائج الدراسة استفادة من البرنامج وأيضاً أظهرت النتائج أن واقعية الاختيار المهني للطلبة السود لم يتأثر بمستوى النضج المهني، وأشارت النتائج تأثير الوالدين والتنميط الجنسي والعرق له أثر على النضج المهني. (Sturierant & John, 1994, p. 98-99)

أما دراسة سوتا وباتريسيا Soto & Patricia ١٩٩١ أظهرت النتائج لا توجد أثر للبرنامج على النضج المهني ولا توجد فروق دالة في الأداء على مقياس النضج المهني تبعاً لمتغير الجنس (ذكور- إناث). (Soto & Patricia, 1997, P. 25). وفي دراسة لكاربنتر وماثويز Carpenter & Mathews (١٩٩٣) أظهرت النتائج، أن نتائج الطلبة البيض كانت أعلى على مقياس النضج المهني البعدي، في حين أظهرت النتائج لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية لكل من الوضع الاقتصادي والاجتماعي على مقياس النضج المهني البعدي. (Carpenter & Mathews, 1993, p. 221- 222)

الفصل الثالث

منهجية الدراسة وإجراءاته

أولاً: مجتمع الدراسة

يتكون مجتمع الدراسة الحالية من كلية التربية الجامعة المستنصرية للعام (٢٠١٢-٢٠١٣) الدراسة الصباحية والبالغ عددهم (٣٩٤١) ألف طالب بواقع (١٨٤١) ألف طالب و(٢١٠٠) ألف طالبة موزعين على (٣) أقسام علمية و(٦) أقسام إنسانية – الجدول (١) يوضح ذلك.

جدول (١)

أفراد مجتمع البحث موزعين حسب القسم والجنس

ت	القسم	الجنس		المجموع
		ذكور	إناث	
١	الحاسبات	٢٢٩	٣٤٤	٥٧٣
٢	الرياضيات	٢٢٦	٣٦١	٥٩٧
٣	الفيزياء	١٠١	٢٤٣	٣٤٤
٤	التاريخ	٢٥٩	٢٥٩	٥١٨
٥	اللغة العربية	٢٦٠	٣٢٧	٥٨٧
٦	الجغرافية	١٩٤	٢١٠	٤٠٤
٧	العلوم التربوية والنفسية	١٠٩	٧١	١٨٠
٨	الإرشاد النفسي	٢٠٢	١٣٠	٣٣٢
٩	علوم القرآن	٢٥١	١٥٥	٤٠٦
	المجموع	١٨٤١	٢١٠٠	٣٩٤١

ثانياً: عينة الدراسة

تم اختيار عينة الدراسة بالطريقة العشوائية الطبقية النسبية حيث بلغت (١٥٠) طالباً وطالبة تم اختيارهم عشوائياً من قسم الجغرافية والرياضيات المرحلة الأولى وقسم العلوم التربوية والنفسية المرحلة الأولى أيضاً وتم اختيار مفردات العينة بشكل متناسب مع حجم كل طبقة لتشكل في مجموعها حجم العينة المطلوب وبنسبة (٢١٪) وعلى النحو الآتي، تم اختيار (١٧) طالباً و(١٢) طالبةً من قسم الجغرافية المرحلة الأولى و(٤٣) طالباً و(٥٩) طالبةً من قسم الرياضيات المرحلة الأولى أيضاً، و(١٢) طالباً و(٧) طالبات المرحلة الأولى من قسم العلوم التربوية والنفسية الجدول (٢) يوضح ذلك.

جدول (٢)

عينة البحث حسب القسم والمرحلة والجنس

المجموع	الأولى		المرحلة القسم
	إناث	ذكور	
١٠٢	٥٩	٤٣	الرياضيات
٢٩	١٢	١٧	الجغرافية
١٩	٧	١٢	علوم تربوية ونفسية
١٥٠	٧٨	٧٢	مجموع

ثالثاً: أداة الدراسة

لتحقيق أهداف الدراسة تم بناء أداة مقياس النضج المهني لدى طلبة الجامعة وفق الخطوات الآتية:

الاطلاع على الدراسات السابقة المتعلقة بالنضج المهني كدراسة جروان (١٩٨٦) ودراسة جرادات (١٩٩١) ودراسة كاربنتر وماثويز carpenter & Mathews (١٩٩٣) ودراسة مبارك (٢٠٠٢) ودراسة السواط (٢٠٠٨) ودراسة سميث وايفانز Smith & Evans (١٩٧٣) ودراسة لفلويد Floyd (١٩٨٤) ودراسة لستوربفانت وجون برناديت sturievant & John (١٩٩٤) ودراسة لسوتا وباتريسيا Soto & Patricia (١٩٩٧)، وأيضاً الاطلاع على النظريات التي تناولت مفهوم النضج المهني كنظرية هولاند Holland ونظرية آن رو annroe ونظرية جينزبيرج Ginz birg ونظرية كرومبولتس Krumblotk ونظرية سوبر Super. وأيضاً الاستناد إلى الأساس النظري، تم تحديد خمس مجالات فرعية لمفهوم النضج المهني، وتم قياس كل مجال عن طريق مجموعة من الفقرات، وتكون المقياس بصورته النهائية ملحق (٢) من (٢٩) فقرة، يتبع كل فقرة من فقرات الاختيار بدليين هما (نعم) (لا) وذلك حسب انطباق أو عدم انطباق مضمون الفقرة على المستجيب وكانت الأوزان للبدل نعم (١) وللبدل لا (صفر)، حيث يتراوح مجموع الأداء للمستجيب بين (صفر- ٢٩) درجة، أما الأبعاد الفرعية للمقياس فهي:

١- التأكد من اتخاذ القرار المهني وهو مدى تأكد الفرد في اختباره المهني وتقيسه الفقرات (١، ٣، ٥، ١٢، ١٣، ١٥، ١٦، ٢١، ٢٧، ٢٨).

٢- الاهتمام في اتخاذ القرار المهني، وهو مدى اهتمام الفرد في المشاركة في اختياره المهني، وتقيسه الفقرات (١٧، ١٩، ٣٢).

٣- الاستقلال في اتخاذ القرار المهني، وهو مدى استقلال الفرد في اختياره المهني أو اعتماد الآخرين وتقيسه الفقرات (٢، ٦، ٨، ١٠، ١٨).

٤- توفير المعلومات في اتخاذ القرار المهني، وهو مدى توفر المعلومات اللازمة أو الخاصة بالاختبار المهني، وتقيسه الفقرات (٤، ٧، ٩، ١١، ٢٠، ٢٥، ٣٣).

٥- التوفيق في اتخاذ القرار المهني، وهو مدى رغبة الفرد في التوفيق بين حاجاته والواقع وتقيسه الفقرات (١٤، ٢٢، ٢٣، ٢٦، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٤، ٣٥).

رابعاً: استطلاع آراء الخبراء

لقد تم التحقق من الصدق الظاهري من خلال عرض فقرات المقياس بصورته الأولية والذي يكون من (٣٥) فقرة، ملحق (١) على مجموعة من المحكمين^(١) في مجال التربية وعلم النفس والإرشاد النفسي والقياس والتقويم، لإصدار حكمهم على صلاحية فقرات المقياس وملائمة المقياس لطلبة الجامعة، وقد اعتمدت الباحثة نسبة اتفاق (٨٠٪) فما فوق للحكم على صلاحية فقرات المقياس، وبعد الأخذ برأي الخبراء، تم تعديل بعض الفقرات وليس حذفها كما موضح في ملحق (٢).

خامساً: تحليل الفقرات الإحصائي

تم تطبيق مقياس النضج المهني بصورته الأولية ملحق (١) والذي تكون من (٣٥) فقرة على عينة الدراسة البالغة (١٥٠) طالباً وطالبة اختيروا بطريقة العينة العشوائية الطبقيّة النسبية ولغرض حساب القوة التمييزية للفقرات رتبت الاجابات تنازلياً من أعلى درجة إلى أقل درجة، ثم أخذت ٢٧٪ العليا من العينة فبلغ مجموع استجابات المجموعة العليا (٤١) استمارة ومثلها أوطأ ٢٧٪ من العينة فبلغ مجموعها (٤١)، ملحق (٢) بدرجة حرية (١) وبمستوى دلالة (٠,٠٥) وباستخدام اختبار مربع كاي (Chi- Square- test) وبمقارنة القيمة الجدولية وبالبالغة (٣,٨٤) مع القيمة المحسوبة بدرجة حرية (١) وبمستوى دلالة (٠,٠٥) أظهر أن هناك ست فقرات غير مميزة وهي الفقرات التي تحمل الأرقام (٢, ٣, ٦, ٧, ١٧, ٢٣) وكانت بقية الفقرات مميزة، والجدول (٣) يوضح ذلك.

(١) أسماء السادة الخبراء المحكمين على صلاحية فقرات النضج المهني.

أ. د. قبيل كودي حسين. كلية التربية، الجامعة المستنصرية، قسم علم النفس التربوي.

أ. م. د. إسماء حسين. كلية التربية الأساسية، الجامعة المستنصرية، قسم الإرشاد النفسي.

أ. م. د. حنان جمعة عبد الله. كلية التربية الأساسية، الجامعة المستنصرية، قسم الإرشاد النفسي.

أ. م. د. علي عودة. كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، قسم علم النفس التربوي.

أ. م. د. سعدية عبد الكريم درويش. كلية التربية الأساسية، الجامعة المستنصرية، قسم الإرشاد النفسي.

د. محمود شاكر عبد الرزاق. كلية التربية، الجامعة المستنصرية، قسم الإرشاد النفسي.

جدول (٣)

قيمة كاي المحسوبة والقوة التمييزية لفقرات قياس النضج المهني

رقم الفقرة	Chi- square - test المحسوبة	القيمة التمييزية	رقم الفقرة	Chi- square - test المحسوبة	القيمة التمييزية
١	٢٤,٣١	مميزة	٩	١١,٥٤	مميزة
٢	٢,٥٤	غير مميزة	١٠	١٢,١٧	مميزة
٣	١,٩٥	غير مميزة	١١	٢٦,٣٧	مميزة
٤	٢١,٧١	مميزة	١٢	١٥,٨١	مميزة
٥	١٢,١٧	مميزة	١٣	٨,٢٤	مميزة
٦	٠,٦١	غير مميزة	١٤	١٢,٨٦	مميزة
٧	١٣,٤٥	غير مميزة	١٥	٥,٨٩	مميزة
٨	١١,٥٤	مميزة	١٦	٥,٠٢	مميزة
١٧	٠,٥٤	غير مميزة	٢٧	٩,٦١	مميزة
١٨	١٣,٥٩	مميزة	٢٨	٢٨,١١	مميزة
١٩	٤,٤٧	مميزة	٢٩	٩,٣٣	مميزة
٢٠	٢٥,٨٦	مميزة	٣٠	٢٢,٨٧	مميزة
٢١	٩,٠١	مميزة	٣١	١٨,٣٠	مميزة
٢٢	٣,٩٧	مميزة	٣٢	٥,٩١	مميزة
٢٣	٣,٦٣	غير مميزة	٣٣	٢١,٥٦	مميزة
٢٤	٢١,٥١	مميزة	٣٤	١٣,١٩	مميزة
٢٥	٩,٥٦	مميزة	٣٥	١٧,٧٧	مميزة
٢٦	٨,٢٤	مميزة			

قيمة مربع كاي الجدولية عند مستوى (٠,٠٥) وبدرجة حرية (١) تساوي (٣,٨٤).

ومن خلال النتائج أعلاه أصبح المقياس يتكون من (٢٩) فقرة بصورته النهائية ملحق (٢).

صدق الفقرات

وللتحقق من صدق المقياس الحالي، تم أخذ عينة الدراسة الحالية البالغة (١٥٠) طالباً وطالبة لإيجاد معامل الارتباط بين كل فقرة والدرجة الكلية للمقياس، وباستخدام معامل الارتباط بايسيريل (Biserial-correlation) وبمقارنة قيمة معامل الارتباط الجدولية والبالغة (٠,١٥٩) بالمحسوبة عند مستوى دلالة (٠,٠٥) ودرجة حرية (١٤٨) ظهر أن هناك (٥) فقرات غير دالة وهي الفقرات ذات الأرقام (٢, ٣, ٦, ٧, ١٧) الجدول (٤) يوضح ذلك.

جدول (٤)

من حالات ارتباط درجة كل فقرة من فقرات مقياس النضج المهني بالدرجة الكلية للمقياس

رقم الفقرة	معامل ارتباط الفقرة بالدرجة الكلية	الدالة	رقم الفقرة	معامل ارتباط الفقرة بالدرجة الكلية	الدالة
١	٠,٤٣٣	دالة	١٩	٠,١٨٤	دالة
٢	٠,١٩٦	غير دالة	٢٠	٠,٤٣٧	دالة
٣	٠,١٥٤	دالة	٢١	٠,٢١٥	دالة
٤	٠,٤٨٢	دالة	٢٢	٠,٣٠٠	دالة
٥	٠,٣٩٣	دالة	٢٣	٠,٢٣٤	دالة
٦	٠,١٣١	غير دالة	٢٤	٠,٣٧٣	دالة
٧	٠,١٥٦	غير دالة	٢٥	٠,٢٨٤	دالة
٨	٠,٢٩٢	دالة	٢٦	٠,٣١٨	دالة
٩	٠,٢٩٦	دالة	٢٧	٠,٣١٣	دالة
١٠	٠,٣١٠	دالة	٢٨	٠,٤٦٣	دالة
١١	٠,٤٥١	دالة	٢٩	٠,٢٣٤	دالة
١٢	٠,٣٤٢	دالة	٣٠	٠,٤٣٣	دالة
١٣	٠,٣٠٢	دالة	٣١	٠,٣٨١	دالة
١٤	٠,٣٠١	دالة	٣٢	٠,٢٣٠	دالة
١٥	٠,٣١٥	دالة	٣٣	٠,٤٠٢	دالة
١٦	٠,٢٦٤	دالة	٣٤	٠,٤٥٣	دالة
١٧	٠,١٣٦	غير دالة	٣٥	٠,٣٦٤	دالة
١٨	٠,٣٢٦	دالة			

قيمة معامل ارتباط بايسريل الجدولية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) ودرجة حرية (١٤٨) تساوي (٠,١٥٩)

لاستخراج صدق الفقرات، حيث تم تطبيق المقياس على عينة البحث الحالي البالغة (١٥٠) طالب وطالبة لإيجاد معامل ارتباط درجة الفقرة بالدرجة الكلية للمجال الذي تنتمي إليه، وباستعمال معامل ارتباط بايسريل (Biserial-Correlation) وبمقارنة قيم معامل الارتباط المحسوبة مع قيمة معامل الارتباط الجدولية والبالغة (٠,١٦) عند مستوى دلالة (٠,٠٥) وبدرجة حرية (١٤٨) ظهر أن جميع الفقرات دالة وأن الفقرات ترتبط ارتباط عال بالمجال الذي تقيسه والجدول (٦) يوضح ذلك.

جدول (٦)

معاملات ارتباط درجة كل فقرة من فقرات مقياس النضج المهني
بالدرجة الكلية للمجال الذي تنتمي إليه

رقم المجال	اسم المجال	عدد الفقرات	أرقام الفقرات	قسم معامل ارتباط الفقرات بالدرجة الكلية للمجال الذي تنتمي إليه	الدالة
١	اتخاذ القرار المهني	١٠	١	٠,٤٥	دالة
			٣	٠,٢٢	
			٥	٠,٤٧	
			١٢	٠,٣٢	
			١٣	٠,٤٢	
			١٥	٠,٣٧	
			١٦	٠,٤٠	
			٢١	٠,٣١	
			٢٧	٠,٣١	
٣	الاستقلال في اتخاذ القرار	٥	٢	٠,٥١	دالة
			٦	٠,٤٢	
			٨	٠,٥١	
			١٠	٠,٥٢	
			١٨	٠,٤٥	
٢	الاهتمام في اتخاذ القرار	٣	١٧	٠,٤٨	دالة
			١٩	٠,٥٧	
			٣٢	٠,٦٤	
٤	توفر المعلومات	٧	٤	٠,٦١	دالة
			٧	٠,٣٠	
			٩	٠,٣٢	
			١١	٠,٥٢	
			٢٠	٠,٥٦	
			٢٥	٠,٤٢	
			٣٣	٠,٥٢	
٥	التوفيق	١٠	٢٤	٠,٤١	دالة
			١٤	٠,٣١	
			٢٢	٠,٤٠	
			٢٣	٠,٣٩	
			٢٦	٠,٤٦	
			٢٩	٠,٤٦	
			٣٠	٠,٥٣	
			٣١	٠,٤٣	
			٣٤	٠,٥٥	
			٣٥	٠,٥٤	

ومن خلال استعراض النتائج أعلاه أن المقياس النضج المهني المستخدم في الدراسة الحالية يتكون بصورته النهائية من (٢٩) فقرة ملحق (٢).

ثبات المقياس

وقد تم استخراج الثبات في الدراسة الحالية بطريقتين هما:

١- طريقة إعادة الاختبار

تم إعادة تطبيق المقياس على عينة البالغة (٢٠) طالباً وطالبة وكانت الفترة بين التطبيقين (١٤) يوم وهي مدة مناسبة (الزويبي والغنام، ١٩٨١، ص١٠٢) بعد ذلك حسب معامل ارتباط بيرسون بين التطبيقين فبلغ (٠,٧٨) وهذا يدل على استقرار استجابات الطلبة على فقرات المقياس.

٢- طريقة الفاكرونباخ Alpha- coefficient

وبعد تطبيق معادلة كرونباخ ألفا كانت درجة الثبات (٠,٧٥) وهو معامل ثبات مقبول.

العينة الاستطلاعية

تم تطبيق مقياس النضج المهني على عينة استطلاعية والبالغة (٤٠) طالب وطالبة بهدف الكشف عن مدى وضوح التعليمات ووضوح الفقرات وحساب متوسط الزمن الذي يستغرقه تطبيق المقياس.

التطبيق الأساسي

بعد اكتمال خطوات بناء مقياس النضج المهني والذي أصبح يتمتع بفقرات ذات قوة تمييزية وصادقة وثابتة ملحق (٢) تم تطبيقه على عينة الدراسة الأساسية والبالغة (١٥٠) طالباً وطالبة من كلية التربية الجامعة المستنصرية.

الوسائل الإحصائية المستخدمة

١- اختبار مربع كاي chi- square-tests استخدمت هذه الوسيلة الإحصائية من أجل التعرف على القوة التمييزية لفقرات مقياس النضج المهني.

٢- معامل ارتباط بويرنل Baseriall point - لاستخراج صدق البناء (علاقة درجة الفقرة بالدرجة الكلية) وعلاقة درجة الفقرة بالمجال.

٣- معامل الفاكرونباخ alpha-coefficient لاستخراج ثبات المقياس.

٤- معامل ارتباط بيرسون person correlation coefficient لاستخراج الثبات بطريقة الاختبار وإعادة الاختبار.

٥- الاختبار التائي (t-test) لعينة واحدة لمعرفة دلالة الفرق بين متوسط العينة ومتوسط المجتمع.

٦- تحليل التباين الأحادي (ANOVA) لمعرفة الفروق في النضج المهني حسب متغير تحصيل (الأب والأم).

٧- تحليل التباين الأحادي (ANOVA) لمعرفة الفروق في النضج المهني حسب متغير المستوى الاقتصادي للأسرة.

٨- قانون شيفية (scheffe) لمعرفة الفروق في النضج المهني حسب متغير المستوى الاقتصادي للأسرة (المقارنات المتعددة) (Multiple- comparisonsl).

٩- الاختبار التائي لعينتين مستقلتين Independent samples test لمعرفة دلالة الفروق الإحصائية في مقياس النضج المهني حسب متغير الجنس (ذكور- إناث) والتخصص (علمي- إنساني).

الفصل الرابع

أولاً: عرض النتائج ومناقشتها

سيتم عرض النتائج وفقاً لأهداف الدراسة وكالاتي:

١- **الهدف الأول:** مقياس النضج المهني لدى العينة ككل وللتحقق من الهدف الأول تم إيجاد المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لأداء أفراد العينة ككل على مقياس النضج المهني، ولمعرفة فيما إذا كانت هناك فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) في متوسط أداء افراد العينة والمتوسط النظري البالغ (١٤,٤٧) درجة باستعمال الاختبار التائي (t-test) لعينة واحدة، حيث بلغت القيمة التائية المحسوبة (٠,٠٦٧) عند مستوى دلالة (٠,٠٥) وبدرجة حرية (١٤٩) وهي أصغر من الجدولية البالغة (١,٩٦) والجدول (٧) يوضح ذلك.

جدول (٧)

القيمة التائية المحسوبة (لافراد العينة ككل) على مقياس النضج المهني

المتغير	العدد	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوسط الافتراضي	t-test		الدلالة
					المحسوبة	الجدولية	
التفقيح المهني	١٥٠	١٤,٤٧	٤,٨٩	١٤,٥	٠,٠٦٧	١,٩٦	غير دالة

من الجدول أعلاه يتضح أن أفراد العينة ككل ليس لها نضج مهني وأن العينة لا تختلف في وسطها الحسابي عن وسط المجتمع الفرضي، وأن طلبة الجامعة الذين سحبت منه هذه العينة لا يملكون نضج مهني ويمكن أن تعزو نتيجة الهدف الأول إلى أن العينة تكون ضمن مرحلة الاكتشاف التي أشار إليها سوبر (Super) والتي تبدأ من (١٥ - ٢٤) سنة وفي هذه المرحلة تصبح الاختيارات المهنية أكثر تحديداً ولكنها لا تكون نهائية، وتتميز هذه المرحلة باختبار الذات ومحاولة لعب دور الاكتشاف المهني في الحياة الدراسية (السواط، ٢٠٠٨، ص ٥٦٦)، وهذه النتيجة تتفق مع دراسة بكر (٢٠٠٤) عندما أشار إلى أن موضوع اختيار نوع المهنة غير محدد وغير واضح بالنسبة لكثير من طلبة الكلية حتى ينهوا مرحلة التعليم الجامعي فيجدوا أنفسهم مرغمين على دخول مهن أو مهنة معينة دون إرادتهم وهم مرغمين على دخول مهن أو مهنة معينة دون إرادتهم ودون أن يعدوا أنفسهم للانخراط في ذلك العمل أو تلك المهنة أو نتيجة إجبار من الأسرة على الدخول إلى تلك المهنة (بكر، ٢٠٠٤، ص ٢٨١). وأيضاً جاءت هذه النتيجة متفقة مع نتائج دراسة عاقل (١٩٨٩) عندما أشار إلى مشكلات طلبة الكلية كانت الحاجة إلى اتخاذ القرار حول مهنة المستقبل من بين المشاكل الرئيسية لدى أفراد العينة، (عاقل، ١٩٨٩، ص ١١٩)

٢- الهدف الثاني: التعرف على دلالة الفروق الإحصائية في النضج المهني لدى طلبة الجامعة وحسب متغير الجنس (ذكور- إناث). ولغرض تحقيق هذا الهدف تم حساب المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لدرجات جميع أفراد العينة والبالغ عددهم (١٥٠) طالباً وطالبة، وباستخدام الاختبار التائي لعينتين مستقلتين ولمعرفة دلالة الفروق بين الذكور والإناث في النضج المهني، حيث بلغت القيمة التائية المحسوبة (٠,٤٣٨) وهي أصغر من القيمة الجدولية البالغة (١,٩٦) عند مستوى دلالة (٠,٠٥) ودرجة حرية (١٤٨) والجدول (٨) يوضح ذلك.

جدول (٨)

القيمة التائية المحسوبة والجدولية لدلالة الفروق بين (الذكور والإناث) في النضج المهني

المتغير	الجنس	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	t-test		الدلالة
					المحسوبة	الجدولية	
التفريق المهني	ذكور	٨٠	١٤,٦٣٧	٥,٢٧٠	٠,٤٣٨	١,٩٦	غير دلالة
	إناث	٧٠	١٤,٢٨٥	٤,٤٤٦			

من الجدول أعلاه يتضح أنه لا توجد فروق بين الذكور والإناث في النضج المهني، ويمكن تفسير هذه النتيجة بعدة أسباب منها التحول السريع من الاقتصاد الصناعي إلى الاقتصاد المعتمد على المعرفة إلى هذا التغير لم يحقق النظام التعليمي نوعاً من التكامل

بين مخرجاته من جهة ومدخلات سوق العمل من جهة أخرى أدى إلى حالة من الغموض في الطموحات المهنية لدى الشباب الذكور والإناث على حد سواء، وهذا يتفق مع نتائج دراسة النجار (٢٠٠٤) في دراسته التي أجراها على الطلبة عن وجود مشكلات شائعة تتعلق بالنضج المهني والاختيار المهني لدى عينة الدراسة (النجار، ٢٠٠٤، ص ٩) وأيضاً اتفقت نتيجة الدراسة الحالية مع نتائج دراسة النوباني (١٩٩٥) التي أكدت في نتائجها إلى أن سوء توجيه الطلبة إلى نوع الدراسة من أهم الأسباب التي تؤدي إلى زيادة نسبة الفاقد وعدم تحقيق العملية التعليمية لأهدافها (النوباني، ١٩٩٥، ص ٢٥)، وأيضاً جاءت نتيجة الدراسة الحالية متفقة مع نتيجة دراسة لمبارك (٢٠٠٢) ودراسة لسوتا وباتريسيا Soto & Patricia (١٩٩٧) ودراسة ايفانز وسميث Smith & Evans (١٩٧٣).

أشارت نتائج الدراسات السابقة بأنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الأداء على مقياس النضج حسب متغير الجنس (ذكور- إناث) في حين جاءت نتيجة الدراسة الحالية متعارضة مع نتائج الدراسات السابقة مثل دراسة لفلويد Floyod (١٩٨٤) دراسة لستوريفانت وجون برناديت sturievant & John (١٩٩٤) حيث أشارت نتائج الدراسات السابقة بأنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الأداء على مقياس النضج المهني وحسب متغير الجنس. (soto & patricia, 1997, P. 25) (السواط، ٢٠٠٨، ص ١٣٩). ولقد أشار عبد الحميد (٢٠٠٧) إلى أن النضج المهني لا ينمو تلقائياً نتيجة الخبرة أو بمجرد المحاولة والخطأ أو عن طريق التحصيل الدراسي في المدارس والجامعات بل أن الأمر يحتاج إلى تعليم وتدريب منظم وصريح، (الحميد، ٢٠٠٧، ص ٤)

٣- الهدف الثالث: التعرف على دلالة الفروق الإحصائية في النضج المهني لدى طلبة الجامعة حسب متغير التخصص (العملي- الإنساني) ولغرض تحقيق هذا الهدف تم حساب المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لدرجات جميع أفراد العينة والبالغ عددهم (١٥٠) طالباً وطالبة وباستخدام الاختبار التائي (t- test) لعينتين مستقلتين لمعرفة دلالة الفروق بين (العلمي والإنساني) في مقياس النضج المهني، حيث بلغت القيمة التائية المحسوبة (٢,٠٠٧) وهي أكبر من الجدولة البالغة (١,٩٦) عند مستوى دلالة (٠,٠٥) وبدرجة حرية (١٤٨) والجدول (٩) يوضح ذلك.

جدول (٩)

القيمة التائية المحسوبة والجدولية لدلالة الفروق بين (العلمي-الإنساني) في النضج المهني

المتغير	التخصص	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	t-test		الدلالة
					المحسوبة	الجدولية	
التفريق المهني	علمي	٧٥	١٣,٦٨	٤,٤٣	٢,٠٠٧	١,٩٦	دالة
	إنساني	٧٥	١٥,٢٦	٥,٢١			

من الجدول أعلاه تتضح أنه هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين (العلمي والإنساني) ولصالح التخصص الإنساني ويمكن تفسير هذه النتيجة إلى دور الدوافع اللاشعورية التي تكونت في الطفولة المبكرة وتأثيرها العام على اختيار الفرد لمهنته يذكر جالينسكي أن طفولة علماء الطبيعة تميزت بالجمود والطاعة والخضوع لنظام معين ثابت يمكن التنبؤ به، بينما تميزت طفولة المتخصصين في علم النفس وعلم النفس الإكلينيكي بالمرونة والعاطفية والحنو ونقص وجود نظام ثابت يمكن التنبؤ به، وبالتالي تركز على العوامل الداخلية. (المشعان، ١٩٩٣، ص٤٢)

٤- الهدف الرابع: التعرف على دلالة الفروق الإحصائية في النضج المهني لدى طلبة الجامعة وحسب متغير التحصيل الأب الدراسي (إبتدائية، متوسطة، إعدادية، كلية) ولتحقيق الهدف تم استخدام تحليل التباين الاحادي (ANOVA) لاختبار دلالة الفروق في متغير تحصيل الأب في مقياس النضج المهني وإشارت النتائج لا توجد فروقاً دالة إحصائية في درجات الأفراد على مقياس النضج المهني حسب متغير التحصيل الدراسي للأب حيث بلغت النسبة الفائية المحسوبة (١,٧٨) وهي أصغر من الجدولية البالغة (٢,٦٠) بدرجة حرية (٣-١٤٦) عند مستوى دلالة (٠,٠٥) جدول (١٠) يوضح ذلك.

جدول (١٠)

يوضح المتوسطات والانحرافات المعيارية وتحليل التباين الأحادي لدرجات أفراد العينة على مقياس النضج المهني وحسب متغير تحصيل الأب الدراسي

المستويات	العدد	تحصيل الـاب الدراسي		مقياس التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	القيمة الفائية	
		المتوسط	الانحراف					المحسوبة	الجدولية
إبتدائية	٣٥	١٥,٠٢	٥,٨٢	بين المجموعات	١٢٦,٣٨	٣	٤٢,١٢	١,٧٨	٢,٦٠
متوسطة	٢٣	١٦,٢٦	٥,٠٨	داخل المجموعات	٣٤٣٧,٠١	١٤٦	٢٣,٥٤		
إعدادية	٣٣	١٣,٦٠	٤,٣٣	الكلية	٣٥٦٣,٣٩	١٤٩			
كلية	٥٩	١٣,٩٣	٤,٣٧						
المجموع	١٥٠	١٤,٤٧	٤,٨٩						

يتضح من الجدول السابق لا توجد فروق في أداء أفراد العينة على مقياس النضج المهني حسب متغير تحصيل الأب الدراسي (إبتدائية - متوسطة - إعدادية - كلية).

٥- الهدف الخامس: التعرف على دلالة الفروق الاحصائية في النضج المهني لدى طلبة الجامعة حسب متغير تحصيل الأم الدراسي (إبتدائية - متوسطة - إعدادية - كلية) ولتحقيق الهدف تم استخدام تحليل التباين الأحادي (ANOVA) لاختبار دلالة الفروق في متغير تحصيل الأم في مقياس النضج المهني وأشارت النتائج لا توجد فروقاً دالة إحصائية في درجات الافراد على مقياس النضج المهني حسب متغير التحصيل الدراسي للأم حيث بلغت النسبة الفائية المحسوبة (١٥, ١) وهي أصغر من الجدولية البالغة (٢٠, ٦) بدرجة حرية (٣-١٤٦) عند مستوى دلالة (٠, ٠٥) جدول (١١) يوضح ذلك.

جدول (١١)

يوضح المتوسطات والانحرافات المعيارية وتحليل التباين الأحادي لدرجات أفراد العينة على

مقياس النضج المهني وحسب متغير تحصيل الأم الدراسي

المستويات	العدد	تحصيل الأم الدراسي		مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	القيمة الفائية	
		المتوسط	الانحراف					المحسوبة	الجدولية
إبتدائية	٤٨	١٥,٢٥	٥,٦٩	بين المجموعات	٨٢,٦٣	٣	٢٠٧,٥٤	١,١٥	٢,٦٠
متوسطة	٤٥	١٤,٥١	٤,٦٣	داخل المجموعات	٣٤٨٠,٧٥	١٤٦	٢٣,٨٤		
إعدادية	٣١	١٤,١٤	٤,١٣						
كلية	٢٦	١٣,٠٣	٤,٤٤	الكلية	٣٥٦٣,٣٩	١٤٩			
المجموع	١٥٠	١٤,٤٧	٤,٨٩						

يتضح من الجدول أعلاه لا توجد فروق في أداء أفراد العينة على مقياس النضج المهني حسب متغير تحصيل الأم الدراسي (إبتدائية - متوسطة - إعدادية - كلية) وجاءت هذه النتيجة متطابقة مع نتيجة الهدف الرابع، ويمكن تفسير نتيجة الهدف الرابع والخامس على ضوء ما طرحه عثمان، (٢٠٠١) حول النضج المهني عندما أشار إلى أن الطالب يتأثر بوجهات النظر والمفاهيم التي يراها ضمن الأسرة. (عثمان، ٢٠٠١، ص ٧٦)

٦- الهدف السادس: التعرف على دلالة الفروق الاحصائية في النضج المهني لدى طلبة الجامعة حسب متغير المستوى الاقتصادي للأسرة (ضعيف، متوسط، جيد) ولتحقيق الهدف تم استخدام تحليل التباين الأحادي (ANOVA) لاختبار دلالة الفروق في متغير المستوى الاقتصادي للأسرة في مقياس النضج المهني وأشارت النتائج بوجود فروق ذات دلالة احصائية في درجات الافراد على مقياس النضج المهني حسب متغير المستوى

الاقتصادي للأسرة حيث بلغت النسبة الفأئية المحسوبة (١٥,٧٦) وهي أصغر من الجدولية البالغة (٣) بدرجة حرية (٢-١٤٧) عند مستوى دلالة (٠,٠٥) جدول (١٢) يوضح ذلك.

جدول (١٢)

يوضح المتوسطات والانحرافات المعيارية وتحليل التباين الأحادي لدرجات أفراد العينة على مقياس النضج المهني وحسب متغير تحصيل الأم الدراسي

المستويات	العدد	المستوى الاقتصادي للأسرة		مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	القيمة الفأئية	
		المتوسط	الانحراف					المحسوبة	الجدولية
ضعيف	٢٢	١٣,٣١	٣,٣١	بين المجموعات	٦٢٩,٣١	٢	٣١٤,٦٦	١٥,٧٦	٣
متوسط	٥٤	١٢,١٤	٢,١٤	داخل المجموعات	٢٩٣٤,٠٧	١٤٧	١٩,٩٦		
جيد	٧٤	١٦,٥١	٥,٨٠						
الكلية	١٥٠	١٤,٤٧	٤,٨٩	الكلية	٣٥٦٣,٣٩	١٤٩			

ومن الجدول أعلاه يتضح وجود فروق دالة إحصائياً في درجات أفراد العينة على مقياس النضج المهني حسب متغير المستوى الاقتصادي للأسرة، ولمعرفة مصدر الفروق في مستويات المستوى الاقتصادي للأسرة، وللتعرف لأي مستوى يعود الفرق تم تطبيق طريقة شيفية scheff للمقارنات المتعددة، وقد تم التوصل إلى أن هناك فروقاً دالة إحصائياً بين المستويات ولصالح المستوى الاقتصادي الجيد للأسرة، جدول (١٣) يوضح ذلك.

جدول (١٣)

يوضح اختبار شيفية للمقارنات المتعددة بين كل وسطين من الأوساط الحسابية لمتغير (المستوى الاقتصادي للأسرة)

الدالة	قيم شيفية عند مستوى (٠,٠٥) المحسوبة	الفرق بين المتوسطات	المستوى الاقتصادي للأسرة
			المستويات
غير دال	٢,٧٧	١,١٧	ضعيف - متوسط
غير دال	٢,٦٦	٣,١٩-	ضعيف - جيد
دال	١,٩٩	٤,٣٦-	متوسط - جيد

يظهر من الجدول (١٣) أن الفرق بين المستوى (ضعيف - متوسط) (ضعيف - جيد) غير دال والفرق بين المستوى (متوسط - جيد) دال ولصالح المستوى الاقتصادي الجيد

للأسرة ويمكن أن نعزو نتيجة الهدف السادس إلى ما أشار إليه (Super) في نظريته بأن مستوى الوالدين المهني ودخلهما يرتبطان ارتباطاً وثيقاً بالنضج المهني للأبناء (السواط، ٢٠٠٨، ص ٦٤). وجاءت نتيجة الهدف السادس متعارضة مع نتيجة دراسة كاربنتر وماتيويز Carpenter & Mathews (1993) (Carpenter & Mathews, 1993, P. 221-222)

ثانياً: التوصيات

تقدم الباحثة بعض التوصيات لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي في ضوء نتائج الدراسة الحالية التي توصلت إليها:

١- اعتماد مقياس النضج المهني المستخدم في الدراسة الحالية من قبل المرشد الطلابي في المدرسة والكلية من أجل تحسين مستوى النضج المهني لدى طلبة الكلية.

٢- إدخال موضوع النضج المهني في المناهج الدراسية وفي جميع المراحل التعليمية بما يتناسب مع كل مرحلة من مراحل التعلم من خلال إدخال مادة التربية المهنية ضمن مقررات الدراسة.

٣- الاهتمام بالأنشطة اللاصفية في مجال التوجيه والإرشاد وخاصة ما يتعلق بالمجال المهني كالزيارات الميدانية وتنفيذ المشروعات المهنية ومساعدة الطلاب على اكتشاف ميولهم وقدراتهم.

٤- ضرورة وجود تعاون مستمر بين الوزارات المعنية كوزارة التربية والتعليم والتعليم العالي والتخطيط والعمل ووزارة الصناعة والتجارة ووزارة الشباب والمعاهد الفنية والمهنية للمساهمة في تحديد حاجة سوق العمل المحلي من المهن والوظائف.

٥- تقديم البرامج الموجهة للأسرة عن طريق وسائل الإعلام المختلفة مما ينعكس إيجابياً على النضج المهني ومهارات اتخاذ القرار المهني لدى الأبناء.

٦- العمل على تحسين مستوى الطالب في مختلف النواحي المعلوماتية والثقافية والاقتصادية المهنية.

٧- توفير مرشد طلابي بكل مدرسة يكون مدرب على تقديم خدمات الإرشاد المهني، وتطبيق الاختبارات النفسية والمهنية المقننة لمعرفة ميول وقدرات الطلبة لتسهيل عملية الإرشاد المهني ومساعدتهم على اتخاذ القرارات المناسبة.

ثالثاً: المقترحات

تقترح الباحثة إجراء بعض الدراسات منها:

- ١- إجراء المزيد من الدراسات في مجال النضج المهني لدى عينات أخرى من الطلبة وعلاقة ذلك بمتغيرات أخرى (أنماط الشخصية، أساليب التنشئة الأسرية مثل أسلوب التركيز العاطفي، (الدافئ والبارد).
- ٢- دور المدرسة التربوي والمهني في بناء اتجاهات مهنية نحو اختيار مهنة المستقبل لدى طلبة المرحلة المتوسطة والثانوية.
- ٣- أنماط الميول المهنية لدى الطلبة وعلاقتها بمهن الآباء.
- ٤- العلاقة بين اتجاهات الوالدين المهنية والنضج المهني عند الأبناء.
- ٥- صورة الذات وعلاقتها بالنضج المهني لدى طلبة الجامعة.

المصادر العربية والأجنبية

المصادر العربية

- ١- بكر، محمد عبد الله (٢٠٠٤). أثر البطالة في البناء الاجتماعي وأثرها في المملكة العربية السعودية، دراسة تحليلية. مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، المجلد (٢٢)، العدد (٢).
- ٢- جابر، أمل (١٩٩٣). تقييم فاعلية برنامج (أنا ومهنتي، الجزء الأول) في تطوير مفهوم الذات لدى طالبات المرحلة الأساسية في تطوير مفهوم الذات لدى طالبات المرحلة الأساسية في الأردن. رسالة ماجستير غير منشورة، عمان، الجامعة الأردنية.
- ٣- جرادات، حنان (١٩٩١). فاعلية برنامج التوجيه التربوي والمهني في زيادة مستوى النضج المهني ومهارة اتخاذ القرار وزيادة المعلومات المهنية والتربوية لطالبات الصف العاشر. رسالة ماجستير غير منشورة، الأردن- عمان، الجامعة الأردنية.
- ٤- جروان، فتحي (١٩٨٦). فاعلية برنامج إرشادي مهني في النضج المهني وفي اتخاذ القرار المهني. رسالة ماجستير غير منشورة، الأردن- عمان، الجامعة الأردنية.
- ٥- الزوبعي، عبد الجليل، وآخرون (١٩٨١). التحليل الإحصائي في التربية وعلم النفس. ترجمة: هناء العكيلي، بغداد، دار الحكمة للطباعة والنشر.
- ٦- السواط، وصل الله بن عبد الله (٢٠٠٨). فاعلية برنامج إرشادي معرفي سلوكي في تحسين مستوى النضج المهني وتنمية مهارة اتخاذ القرار المهني لدى طلاب الصف الأول الثانوي بمحافظة الطائف لدراسة شبه تجريبية. دراسة دكتوراة، كلية التربية، جامعة أم القرى.
- ٧- عاقل، فاخر (١٩٨٩). دور الإرشاد والتوجيه المهنيين في توجيه الطلاب نحو العمل. المجلة العربية للتربية، المجلد التاسع، العدد (١).
- ٨- عثمان (٢٠٠١).
- ٩- مبارك، خضير ذيب (٢٠٠٢). أثر برنامج تدريب في الإرشاد والتوجيه الجمعي المهني على النضج

- المهني واتخاذ القرار المهني لدى طلبة الصف العاشر في مدارس الخليل. رسالة ماجستير غير منشورة، فلسطين، جامعة القدس.
- ١٠- المشعان، عويد سلطان (١٩٩٣). التوجيه المهني، الكويت، مكتبة الفلاح.
- ١١- النجار، يحيى محمود حويطي (٢٠٠٤). فعالية برنامج مقترح في التوجيه المهني لتخفيف مستوى مشكلات الاختيار المهني لطلاب الصف العاشر الأساسي، رسالة ماجستير غير منشورة بين جامعتي عين شمس بالقاهرة وجامعة الأقصى بغزة.
- ١٢- النوياني، مصطفى طه مصطفى (١٩٩٥). العوامل المؤثرة في اختيار التخصص لدى طلبة البكلوريوس في الجامعة الأردنية، رسالة ماجستير غير منشورة، عمان، الجامعة الأردنية.

المصادر الأجنبية

- 13- Carpenter, B. M. (1993). Influence of a unit of career studies on early Adolescent career maturity and indecision. EPD, Dissertation University of Georgia ProQuest- Dissertation Abstracts, SS(1), 9416237-A.
- 14- Crites, J. (1978). Career Maturity inventory. (2nd ed), New York: McGraw-Hill.
- 15- Evans, J. R. and Cody, J. J. (1969). Transfer of Decision Making skills learned in a counseling like setting to similar Dissimilar situation. Journal of counseling psychology. (16).
- 16- Osipow & Samula. (1983). Theories of career development. New Jersey Prentice-Hall.
- 17- Sato and Patricia, W. (1997). The relationship of curriculum program and to career maturity among older adolescents. Career choice, academic achievement. dissertation abstracts international, (53) (6), 973563 Ia A.
- 18- Sturevant and John, B. (1994). The effects of career maturity parental influences. Sexual and Racial Stereotyping, unit on the neakistic career choices of minority students. Dissertation.
- 19- Super (1988).

ملحق (١) بصورته الأولية

استبانة آراء الخبراء حول صلاحية مقياس النضج المهني لدى طلبة الجامعة

الأستاذ/ة:..... المحترم

تحية وتقدير:

تروم الباحثة إجراء الدراسة الموسومة (النضج المهني لدى طلبة الجامعة) وقد قامت الباحثة ببناء مقياس النضج المهني لدى طلبة الجامعة، وعرفت النضج المهني حسب تعريف سوبر Super (١٩٥٥) بأنه رصيد الفرد من السلوكيات التي تمكنه من استكشاف واختيار وتخطيط وتحقيق أهداف معينة وأن يكون في مستوى متوسط من الارتقاء المهني مقارنة بأقرانه. (السواط، ٢٠٠٨، ص ٤٩)

ونظراً لما تتمتعون به من خبرة علمية ودراية واسعة في هذا المجال يرجى التفضل بقراءة فقرات المقياس وإبداء رأيكم العلمي في:

- ١- صلاحية فقرات المقياس لقياس المفهوم
- ٢- تعديل ما ترونه مناسباً إلى الفقرات أو إضافة فقرات جديدة
- ٣- ملائمة البدائل المعتمدة لكل فقرة من فقرات المقياس، علماً أن بدائل الإجابة هي (نعم) (لا).

مع التقدير

الباحثة

ت	الفقرة	صالحة	غير صالحة	التعديل
	غالباً ما أحلم بالمهنة التي سوف أعملها ولكنني في الحقيقة لم أختَر مجالاً مهنيًا لحد الآن			
	أخطط لاتباع المهنة التي يقترحها على الأهل			
	عند اختيار مهنة ما يجب أن أفكر في مهن عديدة			
	لا أعرف ما أفعل كي ألتحق في المهنة التي ألتحق بها			
	لا يهم أي مهنة أختار طالما دخلها المالي جيد			
	علي أن أقرر بنفسني أي نوع من المهن أريد			
	أعرف قليلاً عن متطلبات المهن			
	غالباً ما أشعر بوجود اختلاف حقيقي في إمكانياتي وتطلعاتي المهنية			
	من الصعب أن اتخذ قرار مهني وذلك لكثرة الأمور التي يجب أن تأخذ بعين الاعتبار عند اختيار المهنة			
	من المحتمل أن والداي يعرفان أكثر من أي شخص آخر أي مهنة يجب الالتحاق بها			
	لا أعرف ما هي المهنة التي يجب أن أمارسها بعد تخرجي من الجامعة			
	الأفضل أن أمارس عدد من المهن ثم أختار بعد ذلك المهنة التي أحبها			
	لكل شخص يجب أن تكون مهنة واحدة فقط			
	لا أستطيع أن أفهم كيف يكون بعض الناس متأكدين مما يريدون عمله			
	أقوم بتغيير اختياري المهني باستمرار			
	نادراً ما أفكر في المهنة التي أريد أن أمارسها مستقبلاً			
	لن يكون خطأً جسيماً إذا اتبعت رأي الأهل باختيار المهنة			
	أتساءل باستمرار كيف أستطيع أن أوفق بين نمط شخصيتي ونمط الشخصية التي أريد أن أكونها في مستقبلي المهني			
	إن اختياري للمهنة أمر يجب أن أقوم به بنفسني			
	لدي فكرة بسيطة أو حتى ليس لدي فكرة عن طبيعة أجواء العمل			
	لن أتخلّى عن شيء في سبيل الوصول إلى المهنة التي أريدها			
	أفضل اللهو أكثر من العمل			
	لا أدري فيما إذا كان مستقبلي المهني سيتيح لي أن أكون الشخص الذي أريده			

			من الصعوبة علي أن أتخيل نفسي في أي مهنة
			الدخول في مهنة ما لا يختلف في الدخول في مهنة أخرى
			لدي اهتمامات مهنية كثيرة لذلك من الصعب اختيار مهنة واحدة فقط
			إن اتخاذ قرار مهني يربكني لأنني لا أعرف ما قيمة الكفاية عن نفسي ولا عن عالم العمل
			لست متأكد من خططي المهني واقعية
			علي اختيار مهنة تجعلني في يوم ما مشهوراً وغنياً
			أشعر أن أهدافي المهنية فوق مستوي ولن أكون قادراً على تحقيقها أبداً
			أجد من الصعب علي تهيئة نفسي للعمل الذي علي الالتحاق به
			لا أريد من والدي أن يخبراني عن المهنة التي علي اختيارها
			المهم في المهنة أن تعرف الأشخاص الذين يعملون معك وليس ما تعرفه أنت عن هذه المهنة
			أمارس عملاً أعرف أنني لا أستطيع إنجازه أبداً
			لا أفلق ولا أفكر كثيراً باختيار المهنة لأنه ليس بيدي ما أفعله بهذا الصدد على أي حال

-

الجامعة المستنصرية

كلية التربية

قسم العلوم التربوية والنفسية

٢٠١٢ / ٢٠١٣

ملحق (٢)

بصورته النهائية

عزيزي الطالب.....

عزيزتي الطالبة.....

تسعى الباحثة إلى إجراء دراسة تتعلق باختيارك مجال العمل الذي تنوي الالتحاق به بعد الانتهاء من دراستك الجامعية، لذا نرجو منك قراءة فقرات المقياس بدقة والإجابة عنها بموضوعية بحيث تعكس فعلاً اتجاهاتك ومشاعرك نحو اختيارك المهني ودخول عالم العمل.

لذا نرجو الباحثة الإجابة على المقياس بدقة واهتمام، مع العلم أن هذه المعلومات سرية ولغاية البحث العلمي.

مثال على طريقة الإجابة:

ت	الفقرة	الإجابة
	علي أن أقرر بنفسني أي نوع من المهن أريد	نعم لا

إذا كانت الفقرة تطابق عليك أكتب كلمة (نعم) وإذا كانت لا تطابق عليك أكتب كلمة (لا).

الباحثة

ت	الفقرة	الإجابة
١.	غالباً ما أحلم بالمهنة التي سوف أعملها ولكنني في الحقيقة لم اختر مجالاً مهنيًا لحد الآن	
٢.	لا أعرف ما أفعل كي ألتحق في المهنة التي ألتحق بها	
٣.	لا يهم أي مهنة أختار طالما دخلها المالي جيد	
٤.	غالباً ما أشعر بوجود اختلاف حقيقي في إمكانياتي وتطلعاتي المهنية	
٥.	من الصعب أن أتخذ قرار مهني وذلك لكثرة الأمور التي يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار عند اختيار المهنة	
٦.	من المحتمل أن والداي يعرفان أكثر من أي شخص آخر أي مهنة يجب الالتحاق بها	
٧.	لا أعرف ما هي المهنة التي يجب أن أمارسها بعد تخرجي من الجامعة	
٨.	الأفضل أن أمارس عدد من المهن ثم أختار بعد ذلك المهنة التي أحبها	
٩.	لكل شخص يجب أن تكون مهنة واحدة فقط	
١٠.	لا أستطيع أن أفهم كيف يكون بعض الناس متأكدين مما يريدون عمله	
١١.	أقوم بتغيير اختياري المهني باستمرار	
١٢.	نادراً ما أفكر في المهنة التي أريد أمارسها مستقبلاً	
١٣.	أتساءل باستمرار كيف أستطيع أن أوفق بين نمط شخصيتي ونمط الشخصية التي أريد أن أكونها في مستقبلي المهني	
١٤.	إن اختياري للمهنة أمر يجب أن أقوم به بنفسي	
١٥.	لدي فكرة بسيطة أو حتى ليس لدي فكرة عن طبيعة أجواء العمل	
١٦.	لن أتخلى عن شيء في سبيل الوصول إلى المهنة التي أريدها	
١٧.	أفضل اللجوء أكثر من العمل	
١٨.	من الصعوبة علي أن أتخيل نفسي في أي مهنة	
١٩.	الدخول في مهنة ما لا يختلف في الدخول في مهنة أخرى	
٢٠.	لدي اهتمامات مهنية كثيرة لذلك من الصعب اختيار مهنة واحدة فقط	
٢١.	إن اتخاذ قرار مهني يربكني لأنني لا أعرف ما قيمة الكفاية عن نفسي ولا عن عالم العمل	
٢٢.	لست متأكداً من خططي المهني واقعية	
٢٣.	علي اختيار مهنة تجعلني في يوم ما مشهوراً وغنياً	
٢٤.	أشعر أن أهدافي المهنية فوق مستواي ولن أكون قادراً على تحقيقها أبداً	
٢٥.	أجد من الصعب علي تهيئة نفسي للعمل الذي علي الالتحاق به	
٢٦.	لا أريد من والداي أن يخبراني عن المهنة التي علي اختيارها	
٢٧.	المهم في المهنة أن تعرف الأشخاص الذين يعملون معك وليس ما تعرفه أنت عن هذه المهنة	
٢٨.	أمارس عملاً أعرف أنني لا أستطيع إنجازه أبداً	
٢٩.	لا أقلق ولا أفكر كثيراً باختيار المهنة لأنه ليس بيدي ما أفعله بهذا الصدد على أي حال	

ملحق (٣)

يوضح عدد الأفراد الذين أجابوا بـ (نعم) و (لا) في المجموعة العليا والدنيا

الفئات	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨
المجموعة	نعم	لا	نعم	لا	نعم	لا	نعم	لا	نعم	لا	نعم	لا	نعم	لا	نعم	لا	نعم	لا
العليا	٢٥	١٩	٢١	٢٠	١١	٢٣	٨	٣٢	٥	٣٧	٤	٢٩	١٢	٢٩	١٤	٩	١٧	٢٤
الدنيا	١٣	٢٨	١٢	٢٩	١٧	١٢	٢٤	٣٦	٥	٣٠	١١	١٨	١١	٢٣	١٤	١٦	٢٥	١٩

الفئات	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠	٣١	٣٢	٣٣	٣٤	٣٥
المجموعة	نعم	لا	نعم	لا	نعم	لا	نعم	لا	نعم	لا	نعم	لا	نعم	لا	نعم	لا	نعم
العليا	٣٨	٣	٣٣	٨	٢٣	١٥	٢٦	١٤	٢٧	١٣	٢٨	١٠	٣١	٥	٣٩	١٤	٩
الدنيا	٣١	١٠	٣١	٢١	٢٩	٣٤	٧	١٤	٢٧	١٤	٢٧	١٢	٢٩	١٠	٣١	٢	٢٨

Professional maturity among university students

Abstract

The professional maturity is an ambiguous term which differs according to the theoretical background of the scientists and leaders of counseling and professional guidance. This ambiguity might be related to the fact that the term is hypothetical that can be identified by its phenomena and results. The propormentes of the developmental attitude in professional counseling are considered among the most prominent leaders who have offered distinguished picturing of professional maturation (AL-Shiraa, 1998: 11-33).

Super (1988: 357-391) emphasizes that professional maturation means the ability of an individual to deal with suitable, professional and developmental tasks for his age or the age of his peers. He sees that the major key of professional test as the professional maturation.

Its for Holland, who backs personal attitude, sees that professional maturation refers to the extent of personal ability of an individual to know his individuality and it offers correct information about the world of business and work market. professional maturation is considered as the extensor of the individual toward a world of business following correspondence with types of profession and the professional determinants of the test which is a comparison between the self and the recognition of the individual to the profession. This will go up with results that lead to sound professional decision (Osipow, 1999: 147-154).

The present research aims to measure the professional maturation of:

- The sample as a whole.
- The sample as a whole according to sex variable (male, female).
- The sample as a whole according to the specialization variable (scientific and humanities).

To fulfill the above aims a sample of 150 male and female students have been chosen randomly from College of Education AL-Mustansiriyah University Departments of Geography and Mathematics for first year and the Departments of Educational and psychological studies for first-Year. The measures of professional maturation have been applied. The scale of measurement contains 29 items of yes/no answers. Therefore the performance of each student ranges from zero-29.

After collecting the data, it was treated statistically using the medians and the standard deviation of the performance of the sample. Then study. At the end, the researcher has put toward some recommendations and suggestions.

رد الاعتبار للإنسان العامل من خلال تبني استراتيجية التمكين الإداري

الملخص

د. الجودي صاطوري* - أ. شوقي جدي**



تهتم هذه الورقة البحثية بدراسة موضوع حديث ومهم يتمثل في التمكين الإداري، حيث تبحث هذه الورقة في كيفية الارتقاء بالإنسان العامل من ما يسمى العامل الكلاسيكي إلى العامل الممكن، من خلال السماح له بالمشاركة في صنع القرارات وتفويض جزء من السلطة والقدرة، من خلال تبني استراتيجية تمكين العاملين، وهذا ما يساهم في تحرير العامل الإنسان من القيود التaylorية التي تجعل منه آلة فقط آلة وتجرده من إنسانيته.

الكلمات المفتاحية: تمكين العاملين، العامل الممكن، المنظمات الممكنة.

The rehabilitation of the human worker by adopting Empowerment strategy

Improve worker from classic employee to empowered employee

Abstract

Interested this paper study subject empowerment theory, as This paper examines how improve humans worker of the so-called Classic workers to empowered workers, by allowing him to participate in decision-making and delegating part of the power and ability, and its liberation from the Taylorians constraints that make it machine and only machine and impartiality of his humanity.

Keywords: Empowerment Employees, empowered employee, empowered organizations.

- د. الجودي صاطوري: أستاذ محاضر، رئيس المجلس العلمي، قسم الإدارة، جامعة تبسة/الجزائر.
- أ. شوقي جدي: أستاذ مساعد وباحث في تمكين العاملين، قسم الإدارة، جامعة تبسة/الجزائر.
chawkidjeddi@gmail.com

تمهيد

يعد الجانب الإنساني وإدارة الموارد البشرية موضوعاً هاماً، لأن الإنسان هو المسؤول الأول والأخير عن الفشل والنجاح لأي منظمة من المنظمات أو مؤسسة من المؤسسات أو دولة من الدول؛ لذلك كان الاهتمام به وإدارته وبتوجيهه وتحفيزه، من أهم الأمور التي تكاد تفوق أهميتها كل القضايا الأخرى المتعلقة بالمال والتكنولوجيا والهيكل والتصميم، وغيرها من الأمور الملموسة، وتكمن في الإنسان معالم غير ملموسة كثيرة، فيصعب معرفة خباياه وعوالمه وأعماقه، وهو بحر من المواقف والانطباعات والغرائز والدوافع التي لا ترى، وتصعب ملاحظتها وتحتاج إلى من يسبر أغوارها، وقبل ذلك تحتاج إلى من يقف ويقدر أهمية التعامل معها، كما إن القضايا المتعلقة بالبعد الإنساني كثيرة جداً، وإدارة الموارد البشرية موضوع معروف ومطروق في كتب الإدارة بأشكال كثيرة متعددة، تُجمع في مجملها على أهمية الاختيار والانتقاء ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب، وتطوير الإمكانات والتدريب والمحافظة على الموظفين وإعطائهم الحوافز والمكافآت المادية والمعنوية، إلى غير ذلك من أساليب التحفيز وتطوير الأداء والعلاقات العمالية؛ لكنه يبرز من بين هذه القضايا موضوع ما زالت الإدارات العالمية في شركات العالم غرباً وشرقاً تتناوله بحذر مرات وبشكوك مرات أخرى وريبة أحياناً وباهتمام ورعاية أحياناً ثانية، وهو موضوع التمكين في الإدارة^(١)، وقد تبلور مفهوم التمكين في أدبيات الإدارة خلال التسعينات من القرن العشرين، بعد أن شهدت بيئة العمل الإداري تطورات عديدة سواء على مستوى العمل الحكومي العام، أو مستوى العمل الخاص، وذلك نتيجة ضغوط ومحفزات عديدة منها العولمة وظهور دور المجتمع المدني، وثورة المعلومات إضافة إلى تطور الفكر الإداري بشكل عام^(٢)، وجاءت هذه الورقة لتبحث في كيفية الارتقاء بالعامل من الموظف الكلاسيكي المنفذ للأوامر إلى الموظف الممكن المشارك في صنع القرار. من خلال تبني المحاور التالية: -

١. منهجية البحث؛

٢. مفهوم تمكين العاملين؛

٣. نتائج التمكين بالنسبة للفرد وبالنسبة للمنظمة.

١ - منهجية البحث

١-١: إشكالية البحث: أصبحت عملية التمكين مهمة في ظل وجود المدخل الغير ممرکز في الإدارة الحديثة، حيث صار المدير الذكي هو الذي يمكن العاملين في منظمته، أما المدير الغبي هو المدير الذي ما زال يتفرد بالقرارات ويرى في العاملين عبارة عن آلة

أو مورد إنتاجي ما عليه إلى التنفيذ والتزام الصمت، وقد اعتمدت هذه الورقة البحثية على السؤال الرئيسي التالي: كيف يمكن أن نصل إلى العامل الممكن باستخدام استراتيجية التمكين الإداري؟

٢-١: أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى معرفة كيف يمكن تحرير الإنسان العامل من القيود، وتشجيعه، وتحفيزه، ومكافأته على ممارسة روح المبادرة، والإبداع من خلال تمكينه.

٣-١: أهمية البحث: هذا الموضوع ليس موضوعاً يكتب به لترفه المدير أو إثراء معلومات القارئ أو الباحث أو لترف فكري، وإنما هو موضوع في غاية الجدية في زمن العولمة وثورة المعلومات والثورة الرقمية والثورة المعرفية، وغيرها من المستجدات المتسارعة التي لا تنتظر الإنسان الذي يفكر ببطء ولا ذلك المدير المتردد^(٢)، حيث يعد التمكين من أحد أبرز العوامل التي تساهم؛ وبشكل كبير، في رفع معنويات ورضا العاملين، حيث يشعرون بإتاحة الفرصة لاستغلال إمكانياتهم وقدراتهم، إضافة إلى إحساسهم بتقدير الإدارة وثقتهم بها، كما أنا لهذه الدراسة أهمية عملية متوقعة حيث تلتفت القائمين على إدارة المنظمات، إلى ضرورة استخدام أسلوب تمكين العاملين في علاقات العمل، لما له من أثر كبير في تطوير الإنسان العامل.

٢ - تمكين العاملين

١-٢: مفهوم تمكين العاملين: قبل مناقشة تعريف مصطلح التمكين، لا بد من الاعتراف بأن هنالك آراء مختلفة حول التعريف إلا أنها تجمع في أغلبها على أن التمكين يتمحور حول إعطاء الموظفين صلاحية، وحرية أكبر، في مجال الوظيفة المحددة التي يقوم بها الموظف حسب الوصف الخاص بتلك الوظيفة من ناحية، ومن ناحية أخرى منحه حرية المشاركة وإبداء الرأي في أمور في سياق الوظيفة^(٤)، يعرف تمكين العاملين بأنه عملية إعطاء العاملين سلطة أوسع وممارسة الرقابة وتحمل المسؤولية واستخدام مقدراتهم من خلال تشجيع على استخدام القرار^(٥)، ويوجد ثلاث أنواع لتمكين العاملين، أولها: التمكين الظاهري الذي يشير إلى قدرة الفرد على إبداء رأيه وتوضيح وجهة نظره في الأعمال والأنشطة التي يقوم بها حيث تعتبر المشاركة في اتخاذ القرارات هي المكون الجوهرية لعملية التمكين الظاهري؛ أما النوع الثاني؛ للتمكين يسمى التمكين السلوكي الذي يشير إلى قدرة الفرد على العمل في مجموعة من أجل حل المشكلات وتعريفها وتحديدتها وكذلك تجميع البيانات عن مشاكل العمل ومقترحات حلها وبالتالي تعليم الفرد

لمهارات جديدة يمكن أن تستخدم في أداء العمل؛ ويعتبر تمكين العمل المتعلق بالنتائج هو النوع الثالث للتمكين ويشمل قدرة الفرد على تحديد أسباب المشكلات وحلها وكذلك قدرته على إجراء التحسين والتغيير في طرق أداء العمل بالشكل الذي يؤدي إلى زيادة فعالية المنظمة. وكثيراً ما يشار للتمكين إلى أنه فلسفة إدارية جديدة في حين يشير إليه بعض بالاستراتيجية الإدارية والآخرين بكونه إيديولوجية إدارية، ولغرض فك التداخل بين هذه المفاهيم سيتم التقديم لها كما يلي: ^(٧) التمكين كفلسفة إدارية جديدة حيث تلجأ المنظمات التي تعتمد على التمكين كفلسفة إلى تهيئة الأجواء المناسبة لكي يطلق العاملين طاقاتهم وإبداعاتهم دون التشديد على الإجراءات والأنظمة المقيدة للإبداع، حيث يقوم المديرون الموجهين بالتمكين باللجوء إلى مراقبة النتائج بدلاً من مراقبة السلوك الفردي وذلك بإقامة نظام مراقبة النتائج ويكون دورهم إزالة كل ما يعيق الانجاز مع ضمان توفير الموارد لغرض الأداء الفعال، لذا تعد فلسفة ضمان النجاح الأفضل لخلق البيئة التنظيمية الملائمة للتمكين، التمكين كإيديولوجية إدارية: الإيديولوجية الإدارية هي مجموعة من الأفكار والمعتقدات التي يعتنقها الإداريون الذين يمارسون الإدارة والسلطة في المنظمات، ويعتبر التمكين كمركب من مركبات الإيديولوجيا الإدارية التي اعتمدها المنظمات في فرض واقع جديد يعطي الأفراد مكانة جديدة لم تكن متوفرة لهم، التمكين كاستراتيجية إدارية: وصف نيكسون التمكين بكونه استراتيجية إدارية تستخدم لحث الأفراد العاملين، وتشجيعهم بما فيهم المدراء لغرض توفير مهاراتهم الخاصة وخبراتهم على نحو أفضل، وذلك عن طريق منحهم المزيد من القوة والحرية في التصرف لأداء أعمالهم إلى جانب الموارد والامتيازات الأخرى ليكونوا قادرين على العمل بفاعلية وذلك لخدمة أهداف المنظمة وغاياتها.

٢-٢: أهمية التمكين العاملين، مبرراته وفوائده

- أهمية التمكين الإداري: ^(٨) يعتبر التمكين عملية مهمة حيث يدعم تغيير الوضع القائم في هرم السلطة والقوة في المنظمة كما يعتبر ممارسة لتوسيع دائرة الإيفاء بالتزامات الأدوار ويوفر تمكين العاملين ممارسة أوسع لنطاق السلطة.

- مبررات تمكين العاملين: ^(٩) من مبررات التمكين تفويض السلطة بسبب التحول الكبير في مهام المنظمات والانتقال من الدور التقليدي إلى الحديث في مجتمع معاصر لأنه أدى إلى جعل ممارسة السلطة معقدة جداً لا سيما وأنها تنحصر في أيدي أشخاص يمارسونها في اتخاذ القرارات، كما يعتبر اتساع نطاق الخدمات وتشعبها وسع نطاق توزيع السلطة على عدد أكبر من الأشخاص لتلبية الاحتياجات المتجددة مبررات التمكين، كما

إن التمكين يساهم بتحقيق إنجاز الأعمال بصورة أكثر فعالية من خلال استعمال أفضل الجوانب المتعلقة باستثمار الموارد البشرية، كما يؤدي التمكين إلى جعل الأداء المراد إنجازه من قبل الأشخاص أكثر معنى وحرية وواقعية.

- فوائد تمكين العاملين: على الرغم من ما كتب حول موضوع التمكين في المنظمات الخدمية والصناعية وفي منظمات الأعمال بشكل عام إلا أن نتائج وأثار التمكين تتطلب مزيداً من الدراسة والبحث، لتحديد طبيعة العلاقة بين التمكين من جهة وبين نتائج وأثار التمكين من جهة ثانية. لذلك يتطلب من الباحثين والممارسين محاولة استكشاف نتائج وأثار التمكين للتعرف على فاعلية تطبيقه وأهمية تبنيه في المنظمات وخاصة منظمات الأعمال^(١٠). يساهم التمكين في تحسين نوعية الخدمات المراد تقديمها للزبائن من خلال تصميم المنتجات والعمليات على وفق متطلباتهم وحاجاتهم وتعزيز سرعة الاستجابة لحاجات الزبائن، السماح للأشخاص بحرية التصرف واستقلالية التفكير مما يترتب عليه بذل الجهود المضاعفة في العمل وبكفاءة أكبر تخدم أهداف المنظمة وتوجهاتها، تعزيز الفاعلية المنظمة جراء تحمل جميع الأشخاص من العاملين المسؤولية في تحقيق ذلك والتأكد من فاعلية الأداء المنجز، إيجاد مواقع عمل تمتاز بتوافر الممارسات الديمقراطية فيها وإزالة القيود البيروقراطية في الأداء من جراء انتقال سلطة صنع القرارات واتخاذها من مواقعها التقليدية إلى مواقع أدنى وذلك من شأنه أن يساهم بتسريع الإنجاز الكفؤ والفاعل، تطبيق التمكين يؤدي إلى تعزيز المواقف السلوكية الإيجابية للعاملين كالرضا والولاء والالتزام ودافعيتهم للإنجاز وبذلك يعطي للعمليات المنجزة بعداً أشمل في التطوير والتحسين، تعزيز الثقة بالقدرات الذاتية للأشخاص وتقليل الأخطاء الناتجة عن العمل وتخفيض الكلف ويكون القرار المتخذ من قبل العاملين أكثر تأثيراً على الزبائن وسيما أن التصاقهم بالمستهلكين وحاجاتهم المتنامية أكبر من الأداء^(١١).

٣- نتائج التمكين

٣-١: نتائج خاصة بالموظف: ^(١٢) يحقق التمكين نتائج في غالبيتها إيجابية للموظف المناسب لمفهوم التمكين، وهنالك عدد من المزايا والتبعات التي تنجم عن تمكين الموظفين نذكر منها:

- تحقيق الانتماء: يساهم التمكين في زيادة الانتماء الداخلي بالنسبة للموظف كما يساهم في زيادة انتمائه للمهام التي يقوم بها وزيادة انتمائه للمؤسسة ولفريق العمل الذي ينتمي له. وتبين الكثير من أدبيات التمكين أن من أهم فوائد التمكين بالنسبة للموظف

شعوره بالانتماء للعمل وزيادة الانتماء هي محصلة لرغبته بالعمل ومناخ العمل. وينتج عن الانتماء تحسن في مستوى الإنتاجية وتدني في التغيب عن العمل وتناقص في معدل دوران العمل.

- **المشاركة الفاعلة:** تمكين العاملين يساهم في رفع مستوى مشاركتهم. والمشاركة الناجمة عن التمكين تتميز بمستوى عالي من الفاعلية والمشاركة الإيجابية التي تتبع من واقع انتماء الفرد وشعوره بالمسؤولية تجاه أهداف المنظمة وغاياتها. إذن المشاركة الناجمة عن التمكين هي المشاركة الفاعلة والهادفة وليست أي نوع آخر من أنواع المشاركة مثل المشاركة السلبية أو المشاركة دون هدف.

- **تطوير مستوى أداء العاملين:** فتحسين مستوى أداء الموظف ورفع مستوى الرضا لدى الموظف من الأمور الأساسية التي تتمخض عن تطبيق مفهوم التمكين في الإدارة ففكرة تحسين أداء الموظفين هي فكرة ذات أهمية كقوة دافعة ومحصلة هامة تقف خلف برامج التمكين. فتحسين نوعية الأداء وخاصة في مؤسسات الخدمات بواسطة برامج التمكين تعدّ عاملاً من عوامل النجاح. فالموظف هو المستفيد الأول من برامج التمكين لأن المؤسسة التي تحاول تمكين موظفيها تحاول أيضاً أن تمنحهم ثقمتها وسلطتها وصلاحياتها ومكافآتها وتحاول أن تمنحهم استقلالية وحرية في التصرف.

- **اكتساب المعرفة والمهارة:** إن نجاح برامج التمكين تتوقف على توافر المعرفة والمهارة والقدرة لدى العامل أو الموظف. والمعرفة والمهارة لا يمكن أن تتحقق دون تنمية وتدريب. وهذا يتطلب في الكثير من الحالات انخراط الموظف بدورات تدريبية وندوات وورش عمل ومؤتمرات يكتسب من خلالها معرفة ثمينة تصبح ثروة يمتلكها أينما حل وأينما ارتحل وحتى بعد مغادرته للمنظمة التي كان يعمل بها سابقاً.

- **المحافظة على الموظف من قبل المنظمة:** بناء على ما ذكر في النقطة السابقة فإن المنظمات الناجحة هي تلك التي لا تفرط بموظفيها الممكّنين بسهولة فزيادة معرفة ومهارة الموظف وتطوير كفاءته وقدراته يحتم عليها زيادة التمسك به والمحافظة عليه لأطول فترة ممكنة؛ لأنها قدمت كل ما تم ذكره من مقدمات تدل على حرص المنظمة على هذا الموظف وخطورة التخلص منه أو فقدانه لصالح منظمات منافسة سيكون حتماً من أكبر الأخطاء.

- **شعور الموظف «بمعنى الوظيفة»:** الموظف الممكن يدرك قيمة العمل بشكل أكبر من غيره، وخاصة عندما يستشعر سيطرته على مهام العمل ويدرك قيمة نفسه ودوره في التأثير على النتائج ويشعر بأنه عنصر هام له دوره وله مساهمته التي تصب في مصلحة

المنظمة، ويرى الأمور بنظرة شاملة وليس فقط من زاوية ما يقوم به من عمل منفصل، وإنما يرى ما يقوم به حلقة ضمن حلقات أخرى تصب جميعها في تحقيق أهداف مشتركة. فيتغير بالنسبة له معنى العمل من معنى محدود في إطار ضيق إلى معنى أوسع وأشمل مما يساهم في تحقيق الذات وتحقيق التميز في العمل وإشباع الحاجات العليا المعنوية بدلاً من العمل فقط لإشباع الحاجات المادية البحتة.

- تحقيق الرضا الوظيفي: هو أحد أهم المزايا المحققة من نتائج التمكين. فالشعور بحرية التصرف والمشاركة والاستقلالية في العمل من العوامل التي تؤدي إلى زيادة رضا العاملين وشعورهم بالسعادة.

٢-٣: نتائج خاصة بالنسبة للمنظمة: ومما سبق يتبين لنا أن التمكين له نتائج هامة تنعكس على المنظمات تتمثل فيما يأتي: (١٣)

- زيادة ولاء العاملين للمنظمة: فالعامل الذي يشعر بالتمكين وحرية التصرف في العمل يعلم بأن هذه الحرية جزء من علاقة إيجابية وصحية بين الإدارة والعاملين، وهذا بدوره يساهم في تحسين مستوى ولاء العاملين للعمل وانخراطهم فيه.

- تحسين في مستوى إنتاجية العامل كمّاً ونوعاً.

- زيادة فرص الإبداع والابتكار نتيجة لحرية التصرف وتشجيع العاملين على روح المبادرة والتفكير الخلاق وتقديم أفكار خلاقة.

- مساعدة المنظمة في برامج التطوير والتجديد: الموظف الممكن أكثر رغبة في التغيير وتجده أقل مقاومة للتغيير. هذا ومن أصعب الأمور التي تؤدي إلى فشل مشاريع التغيير هي في مقاومة التغيير من قبل الموظفين خوفاً من التغيير، ولأسباب كثيرة لا توجد لدى الأفراد الذين يتمتعون بالتمكين وحب التغيير والتجديد.

- تحقيق نتائج أداء جيدة من حيث جودة الأداء ومن حيث الربحية والحصة السوقية وسمعة المنظمة وتحقيق مؤشرات مالية أفضل بشكل عام.

تحسين العلاقة بين العاملين من خلال مفهوم التسويق الداخلي (Internal Marketing) الذي يعّد من المفاهيم المنسجمة مع مفهوم التمكين من حيث جودة العلاقة بين أعضاء الفريق أو بين العاملين فيما بينهم بشكل يؤدي إلى تغيير جذري في نظرة العامل لزميله في العمل.

خاتمة

إن فشل الإدارات في تطبيق هذا المفهوم يعود في أغلب الأحيان إلى سوء تنفيذ التمكين ومتطلباته الأساسية، مثل: المناخ التنظيمي المناسب، وإيجاد الثقة والتعاون بين الموظفين والإدارة، وإيجاد سبل العلم والمعرفة والمؤسسة المتعلمة، وإيجاد قنوات الاتصال الصحيحة وما تحمله من معلومات، وإيجاد الحوافز التي تدفع من يتحمل المسؤولية إلى مزيد من الفاعلية والنتائج الجيدة، لذلك فالتمكن ليس حلاً سحرياً ولا علاجاً سريع الأثر، ولكنه برنامج تغيير وتجديد يسبقه برامج متعددة لتهيئة المناخ المناسب لتطبيق هذه الرؤية، والتي إن نجحت أدت إلى نتائج نهائية باهرة على مستوى الفرد وعلى مستوى المؤسسة وعلى مستوى الزبائن، فجميع هؤلاء يمكنهم أن يستفيدوا من تطبيق هذا البرنامج ومن فوائده المتعددة. من الجدير ذكره هنا أن هناك العديد من المنظمات التي نجحت في تطبيق مفهوم التمكين. وسيبين الفصل الثامن من هذا الكتاب نماذج واقعية لمنظمات نجحت في تطبيق مفهوم التمكين.^(١٤) إن الملاحظ للتطورات الاجتماعية والإنسانية والإدارية، يجد أن الإنسان العامل الغربي والمنظمات الغربية وحتى الشعوب الغربية قد تجاوزت أشواط كثيرة من حيث تبني استراتيجيات التمكين، حيث يشارك العمال وحتى الشعوب في صنع القرارات ويتحملون المسؤوليات المنبثقة عن صناعة هذه القرارات، لكن على العكس من ذلك ففي الوطن العربي ما زال هذا المفهوم غير متداول وغريب عن الفكر الإداري الاجتماعي والإنساني، وقد حان الوقت لتبني فكرة التمكين في كل المستويات خاصة في ظل الظروف الراهنة التي يعيشها الوطن العربي.

المراجع المعتمدة

- ١- ملحم يحي سليم، التمكين كمفهوم إداري معاصر، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ٢٨.
- ٢- نفس المرجع السابق، ص ٢٨.
- ٣- نفس المرجع السابق، ص ١٧.
- ٤- نفس المرجع السابق، ص ١٧.
- ٥- أفندي عطية حسين، تمكين العاملين: مدخل للتحسين والتطوير المستمر، بحوث ودراسات، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، القاهرة، ص ١٢.
- ٦- اللوزي موسى سلامة، حمود خضير كاظم، مبادئ إدارة الأعمال، الطبعة الأولى، إثراء للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٨، ص ٢٥٣.
- ٧- الدوري زكريا مطلق، صالح أحمد علي، مرجع سابق، ص ٦٧-٧٠.
- ٨- عباس ياسمين خضير، دور تمكين العاملين في الأداء المنظمي في إطار عناصر إدارة الجودة الشاملة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة بغداد، العراق، ٢٠٠٩، ص ٧٧.
- ٩- اللوزي موسى سلامة، حمود خضير كاظم، مرجع سابق، ص ٢٦٠.
- ١٠- ملحم يحي سليم، مرجع سابق، ص ١١٠.
- ١١- ياسمين خضير عباس، مرجع سابق، ص ٧٩.
- ١٢- ملحم يحي سليم، مرجع سابق، ص ١١١، ١١٠.
- ١٣- نفس المرجع السابق، ص ١١٤.
- ١٤- نفس المرجع السابق، ص ٤٣.

دواعي تعاطي المخدرات لدى الطلبة الجامعيين (دراسة ميدانية بجامعة مولود معمري - تيزي وزو)

د. فاطيمة الزهراء أغلال



بصفة عامة، والوسط الجامعي بصفة خاصة، وهو ما أصبح يلفت الانتباه، خاصة أنه أصبح يترافق مع سلوكات تدخل ضمن الانحراف والسلوك الجانح. لهذا قامت هذه الدراسة لمحاولة التعرف على دواعي تعاطي المخدرات لدى طلبة الجامعة (ذكوراً وإناثاً) وهل هناك فرق في هذه الدواعي بين الذكور والإناث، وكيف يمكن ترتيب هذه الدواعي وفقاً لمتغير الجنس.

الملخص

يعد مشكل تعاطي المخدرات من الظواهر الاجتماعية التي تشكو منها كل دول العالم ومن بينها الجزائر، وهذا لكونها تمثل الحد الذي تفسد معه الحياة الاجتماعية، الدراسية والمهنية للمتعاطي نتيجة الاستعمال المتكرر للمخدر، سواء كان ذو أصل نباتي أو صناعي يتم استنشاقه أو شربه أو حقنه. ولقد بينت العديد من الدراسات والنظريات أن لهذه الظاهرة دواعي عدة منها النفسي، والأسري والاجتماعي وحتى الدراسي.

ولعل الواقع الجزائري لم يكن أبداً بمنأى عن مشكل التعاطي والإدمان، بل هناك إشارات لتزايد عدد المقبلين على هذا السلوك وفي الأوساط المختلفة

• دكتورة في علوم التربية، أستاذ محاضر جامعة تيزي وزو جامعة سعد دحلب، البلدية/الجزائر.

fatimazohra15@yahoo.fr

١ - مقدمة وإشكالية الدراسة

تعاطي المخدرات ظاهرة اجتماعية تعاني منها كل الدول المتقدمة والسائرة في طور النمو مع الاختلاف في درجة حدتها من مجتمع لآخر، وذلك تبعاً للظروف التاريخية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ولتنمو الحضاري والغزو التكنولوجي الذي ساعد في ظهور عدة أسباب (اجتماعية، أسرية، دراسية، نفسية...) تسهم بشكل أو بآخر في استفحالها، حيث أصبح الفرد يتخذها كحافز للتعاطي أو الإدمان. وما أصبح مثيراً للانتباه هو انتشار هذه الظاهرة واستفحالها في مختلف الأوساط الاجتماعية وكذا توغلها في الوسط الجامعي.

وتبين أدبيات الموضوع أنه يوجد فرق كبير بين مصطلح التناول، والتعاطي، والإدمان. حيث يستعمل مصطلح تعاطي المخدرات من حيث الرؤية القانونية أو الشرعية للإشارة إلى استعمال مادة نفسية بصورة متكررة دون الاستشارة الطبية، قد تلحق الضرر بمتعاطي ما مقارنة مع الآخرين، ولا يشترط توفر التبعية عند متعاطي المخدر. فعندما نقول فلان يتعاطى المخدرات، فهذا لا يعني أنه بالضرورة مدمن عليها، لكن استمراره في التعاطي يؤدي إلى الإدمان (يوسف مصطفى، ١٩٩٩: ص١٦). أما تعاطي المخدرات حسب الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات العقلية DSM VI فهو يعبر عن «نمط الاستعمال غير الملائم لمادة نفسية تؤدي إلى إتلاف وظائف الجسم، وتولد اضطرابات إكلينيكية واضحة تتميز بوجود مظهر الاستعمال المتكرر للمادة النفسية الذي يؤدي إلى عدم القدرة على القيام بالالتزامات والأشغال الكبرى، سواء كان ذلك في العمل، أو المدرسة أو في البيت، مثل الغياب المتكرر أو المؤقت عن العمل والمدرسة.. مشاكل متكررة مع الأفراد المحيطين به وفي علاقته الاجتماعية» (Geau Bergeret, 1981, P36). فتعاطي المخدرات إذاً، هي رغبة غير طبيعية يظهرها بعض الأشخاص نحو مخدرات، أو مواد سامة تعرف آثارها المسكنة أو المخدرة أو المنبهة أو النشطة وتسبب حالة من الإدمان تضر بالفرد والمجتمع جسدياً، نفسياً واجتماعياً (حسن مصطفى عبد المعطي، ٢٠٠١، ص١٥-١٦). أما طرق التعاطي للمخدر، فهي تتم عن طريق الفم، الحقن، الشم أو التدخين (إجلال محمد سري، ٢٠٠٢، ص٦٥).

أما الإدمان على المخدرات، فهو سلوك يتمثل في الاعتماد على تناول العقاقير المخدرة التي تساهم في تغيير الحالة النفسية والواعية للمدمن. ذلك لغرض الهروب من الواقع، أي المشاكل والضغطات الاجتماعية التي يعيشها الفرد يومياً (Dumart, Encyclopédie Larousse, 1980, P1411). فهو إذاً، دورية مزمنة محطمة

للشخص والمجتمع، وينتج عن الاستعمال المتكرر للمخدرات سواءً طبيعيةً كانت أم كيميائية، وهو سلوك قهري اندفاعي تعويدي، كما يعتبر الإدمان حلقة نهائية في سلسلة متصلة، تبدأ بمرحلة الاحتكاك بالعقار المخدر والعلم بوجوده ثم التجريب، ثم الإفراط في استخدامه (حسن فايد، ١٩٩٧). فهو حالة من التسمم المزمن الناتجة عن الاستعمال المتكرر للمخدر، سواء كان ذا أصل نباتي مثل الأفيون والكوكايين، أو صناعي يتم استنشاقه أو شربه أو حقنه مثل المورفين (دردار فتحي، ٢٠٠١، ص ٠٦). فالشخص المدمن، تفسد حياته الاجتماعية والمهنية، بحيث يصل إلى صورة مركبة معقدة تتميز ببعض السمات مثل: الرغبة الملحة في تكرار التعاطي، الاتجاه نحو زيادة الكمية. (عبد اللطيف رشاد أحمد، ١٩٩٢، ص ٢٧)

وفيما يتعلق بواقع تعاطي المخدرات في الجزائر، يبدو أن السلطات انتبهت إلى أن الجزائر كبداية يتمتع بطاقة شبانية تقدر بحوالي ٧٠ بالمائة من عدد السكان، وللحفاظ على هذه الفئة تم انتهاز سياسات ترمي إلى الوقاية من الاتجار غير المشروع بالمخدرات وقمع مستهلكيها. في ذات الوقت تطرح هذه المهمة نفسها كتحد وكرهانات أمام السلطات العمومية العازمة على حماية الصحة العقلية والجسدية للمواطنين، والمحافظة عليها وضمان الانسجام بين السكان.

حالياً لم تعد مخاطر المخدرات اليوم في حاجة لإثبات، ذلك أن الأضرار التي تحدثها في أوساط السكان، وبصفة خاصة الشباب منهم، أصبحت تشكل مجزرة حقيقية. (عن عيسى قاسمي مدير التعاون الدولي بالديوان الوطني لمكافحة المخدرات وإدمانها، ٢٠٠٨) وتشير نتائج كمية المخدرات المحجوزة خلال السنوات المختلفة لوجود أرقام مهولة تعبر على أن الجزائر أصبحت فعلاً سوقاً للاستهلاك. ما يفسر تزايد حجم جرائم المخدرات الذي أصبح يهدد المجتمع رغم تعدد وسائل المكافحة. وتظهر الكميات المحجوزة خلال مجموعة من السنوات أن هناك تعاظماً واضحاً في نسبة الاستهلاك بالنظر في الكميات المحجوزة، حيث عام ١٩٩٩ تم حجز ٤,٤٥٢ طن، لترتفع سنة ٢٠٠٠ لـ ٦,٢٦٢ طن، لتعود للانخفاض عام ٢٠٠١ حيث تم حجز كمية ٤,٨٢٦ طن، لتعود للارتفاع مجدداً بكمية ٦,١١٠ طن عام ٢٠٠٢، وظهر تعاظم ملحوظ سنة ٢٠٠٣، حيث بلغت الكميات المحجوزة ٨,٠٦٨ طن، و٢٢,٣٧٣ طن سنة ٢٠٠٤، ثم ٩,٦٤٤ طن سنة ٢٠٠٥، ثم عادت الكميات المحجوزة للارتفاع من جديد ووصلت ١٠,٠٤٦ طن عام ٢٠٠٦، ثم ١٦,٥٩٥ طن عام ٢٠٠٧ و٢٨,٠٣٧ طن عام ٢٠٠٨. كل هذه إغلكميات تؤكد وجود تسويق واضح للمخدرات في المجتمع الجزائري رغم وجود سياسات واستراتيجيات للحد منها.

زيادة على ذلك تظهر مصالح مكافحة المخدرات في تقاريرها سلسلة من الجرائم والمخالفات المرتكبة تحت تأثير المخدرات كما تطلعنا الصحف والجرائد يومياً عن

جسامة وخطورة الظاهرة على المجتمع، ويتعلق الأمر أساساً بالقتل والسرقة والضرب والجرح العمديين وهتك العرض وحالات الانتحار ومحاولات الانتحار. حيث كشف المدير العام للديوان الوطني لمكافحة المخدرات وإدائها أن السلطات الجزائرية بصدد البحث عن ٢١٠ مهرب للمخدرات في عام ٢٠٠٥. والمثير أن المهربين يملكون وسائل تكنولوجية جد متطورة تفوق وسائل البحث التي تجندها الدولة لمحاربتهم. وبخصوص عدد القضايا المتعلقة بحيازة المخدرات بغرض الاستهلاك المحلي، بلغت ٤٨٢ قضية، بينما بلغ عدد القضايا المتعلقة بحيازة واستهلاك القنب الهندي في سنة ٢٠٠٥ ما يعادل ٣٢٩ قضية، وهذا باعتبار أن القنب الهندي هو أكثر المخدرات استهلاكاً في الجزائر. إن أخطر مؤشرات استفحال هذه الظاهرة هو انتشار استهلاكها في الوسط المدرسي. مبرزاً أن عائدات المخدرات تفوق ٥٠٠ مليار دولار سنوياً وهي تشكل ثاني سوق اقتصادي من حيث المدخول في الترتيب الدولي بعد تجارة الأسلحة وأن مردودها يفوق مردود النفط بكثير في السوق. (تصريح المدير العام للديوان الوطني لمكافحة المخدرات، ٢٠٠٥). مما يستوجب إعادة النظر في طرق مكافحة والبحث عن البدائل الناجعة ورسم سياسة وقائية فعالة تبرز دواعي تعاطي المخدرات في المجتمع.

ومن خلال التعرف على واقع التعاطي في الجزائر وملاحظة مدى انتشاره، نكتشف واقعاً يجعلنا نستفهم عن دواعي التعاطي وأسبابه، خاصة في الحياة الجامعية، حيث يتضح لنا من استقراء ما استحدث واستجد في مجال الإدمان والتعاطي جملة من الأسباب تنحصر في الدواعي النفسية، حيث يتضح من خلال استعراض التراث السيكلولوجي أن هناك عدة عوامل نفسية يمكنها أن تكون من دواعي تعاطي المخدرات ومن أهمها دافع الشعور باللذة الذي يلعب دوراً هاماً في تعاطي المخدرات، حيث يتجه الفرد تلقائياً أو فطرياً أو بوعي أو تحت ضغوط معينة أو في ظروف خاصة نحو بعض المواد التي تساعده على تحقيق اللذة النفسية المتمثلة في الشعور بالإحساس بالسعادة والاسترخاء والأمان والإحساس بالثقة، وكذا زوال الألم. كما أن لعامل الضغوطات دور كبير في تعاطي المخدرات، حيث يمر الفرد بعدد كبير من الضغوط التي تشمل الخسارة، والأمراض، والصدمات النفسية. فإذا ما كان الفرد غير قادر على التكيف، يمر بعامل توتر أو إجهاد فيصبح فرداً مضغوطاً فاقداً القدرة على التكيف، فسرعان ما يلجأ إلى تعاطي مادة تعويضية تنسيه ما كان يشعر به من ألم.

كما يضع الاغتراب عن القيم الاجتماعية والدينية التقليدية الشباب في مخاطرة تعاطي المخدرات، بحيث من المحتمل أن ينجذب في تيار جماعة الرفاق التي تكون متورطة بدرجة كبيرة في تعاطي المخدرات، خاصة إذا ما كانوا يعيشون في أسر تتعاطاها.

كما يعتبر تقدير الذات من المحكات الأساسية حيث يرتفع أو ينخفض تقدير الذات كوظيفة للنجاح مقابل الفشل في سلسلة المواقف الجسمية والاجتماعية والذهنية، كما يعتمد القبول مقابل الرفض من الوالدين أو جماعة الرفاق. وبناء على ذلك، فإن عملية تقدير الذات لها علاقة وطيدة بتعاطي المواد المخدرة، كما يعتبر انخفاض تقدير الذات دافعاً قوياً لتعاطي المواد المخدرة باعتبارها مواد تعويضية لكل من: الاضطرابات الشخصية وخاصة الاضطرابات العاطفية، التوتر المستمر وعدم الاستقرار النفسي، القلق الشديد، الاكتئاب المزمن، سوء التوافق أو عدم الارتواء أو الضعف الجنسي والصدمات النفسية العنيفة (حسين علي فايد، ٢٠٠١، ص ١٩٩ - ٢٠٠). إلى جانب هذا توجد الدواعي الأسرية، حيث تبين الدراسات المختلفة التي اهتمت بالموضوع أن ٩٧٪ من الشباب المدمنين على المخدرات ينتمون إلى أسر مفككة (دردار فتحي، ٢٠٠١، ص ١٥)، كما أن الحياة العائلية تؤثر في تعاطي المخدرات، وأن الذكور المتعاطين ينحدرون من أسر مفككة يستعمل أحد أفرادها العقاقير المخدرة، أو يعيشون في مناطق تتوفر فيها هذه العقاقير. (حسن مصطفى عبد المعطي، ٢٠٠١: ص ٣٦)

كما أن ضعف الرقابة والتوجيه والإشراف الوالدي يؤدي إلى انحراف الأحداث، حيث يرتبط تعاطي المخدرات بشكل وثيق بانعدام الرقابة الوالدية وعدم سؤال الوالدين عن أبنائهم، بل لا يعلمان حتى مكان تواجدهم في أغلب الأمسيات (حسن مصطفى عبد المعطي، ٢٠٠١: ص ٢٧) وتبين سيكولوجيا متعاطي الأفيون أن طفولة المدمن قاسية تقوم على العقاب البدني، القسوة، الإهمال، الخوف وخيبة الأمل (المعاملة السيئة)، مما ينشئ الصراع بين العدوان والخوف من الأب، حيث ينتهي الأمر إلى تعاطي المخدرات والإدمان عليها. كما أن إدمان الوالدين، وتعاطي أفراد أو أقارب العائلة للمخدرات تعد من العوامل المرتبطة بتعاطي الشباب لها، حيث تزداد احتمالية التعاطي في حالة إدمان أحد الوالدين عليها. إن معظم الذين يتعاطون المخدرات كان لهم أب مدمن. (فؤاد شاهي، ٢٠٠٢، ص ٧١)

إضافة للدواعي النفسية والأسرية يمكن تسجيل الدواعي الاجتماعية، حيث يرجع تعاطي المخدرات من قبل الشباب، إلى توفرها وسهولة الحصول عليها في المجتمع، أي على مستوى الأحياء السكنية والمدارس وحتى في البيت وإضافة إلى جماعة الرفاق. كما تعتبر وفرة المخدر في الوسط الاجتماعي من الأسباب الرئيسية التي تساعد الأفراد في الإقبال على تجربة تعاطيها أو التعامل معها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من باب الفضول. من الأسباب الاجتماعية أيضاً، الوضع المهني كالبطالة المتفشية في المجتمع التي تجعل الفرد في فراغ اجتماعي في المحيط الذي يصعب فيه سيادة النظام. بمعنى

صعوبة فعالية المدرسين وكثرة الدارسين الفوضويين، عدم تحفيزهم على التنافس العلمي والرياضي الذي من شأنه أن يشغل وقت الفراغ فكل هذه الفراغات والنقائص تؤدي إلى التشجيع على تعاطي المخدرات. إن للمجتمع إذاً تأثيراً كبيراً في تعاطي الفرد للمخدرات كجماعات الرفاق. فالأفراد الذين تعاطوا المخدرات من نوع الماريخوانا غالبيتهم تعاطوا هذا النوع من المخدر للمرة الأولى، عن طريق الرفاق. (عبد المعطي حسن مصطفى، ٢٠٠١، ص٤٢)

إلى جانب هذا نضيف الدواعي الدراسية، التي يمكن أن ننظر إليها من خلال هدف المؤسسات التعليمية، الذي يتركز حول نجاح الفرد وفق التخطيط المستقبلي المهني، أي بعيداً عن أي انحراف يمكنه أن يؤدي إلى اتجاه سلبي إلا أن الواقع المعاش في الوسط الدراسي، يبرز أن ظاهرة تعاطي المخدرات في تزايد يوماً بعد يوم في المستويات الدراسية المختلفة من الابتدائي إلى الجامعة بالنسبة للمجتمع الجزائري، ما يجعل هذه الشريحة من المجتمع تسلك مع الوقت سلوك انحرافي، هذا ما تؤكدته نتائج الدراسة التي قام بها المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بمصر، حيث توصل إلى أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين حياة المتعاطي في المدرسة وجميع الانحرافات السلوكية، حيث تتمثل هذه الانحرافات في الهروب من المدرسة، الشجار مع المدرسين، والسرققة من زملاء. وتؤكد دراسة أخرى لنفس المركز على أن النجاح في الدراسة وفي العمل أو التخطيط لهما، يحتاج إلى إمكانيات يفتقدها أغلب أفراد العينة (المدمنين على المخدرات) التي أجريت عليهم الدراسة. وقد يكون هذا بسبب الدخول في مجال التعاطي والاتجار وارتفاع مستوى القلق والخوف. (المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، ٢٠٠٠: ص٢٢٢-٢٢٣)

بناءً على ما سبق تسعى الدراسة الحالية للكشف عن دواعي تعاطي المخدرات لدى طلبة جامعة مولود معمري ذكوراً وإناثاً، مما أدى إلى قيامه أسئلة ناصبة مفادها:

- هل توجد دواعي مختلفة تدفع بالطلبة والطالبات إلى تعاطي المخدرات في الحرم الجامعي؟

- هل يرجع تعاطي الطلبة والطالبات للمخدرات في الحرم الجامعي إلى الدواعي النفسية؟

- هل يرجع تعاطي الطلبة والطالبات للمخدرات في الحرم الجامعي إلى الدواعي الدراسية؟

- هل يرجع تعاطي الطلبة والطالبات للمخدرات في الحرم الجامعي إلى الدواعي الأسرية؟

- هل يرجع تعاطي الطلبة والطالبات للمخدرات في الحرم الجامعي إلى الدواعي الاجتماعية؟

بناءً على ذلك صيغت فرضيات البحث على النحو التالي:

- لا توجد فروق بين الطلاب والطالبات الجامعيين، فيما يخص دواعي تعاطي المخدرات (النفسية، الاجتماعية، الأسرية والدراسية) في الحرم الجامعي.
- لا توجد فروق بين الطلاب والطالبات الجامعيين، فيما يخص الدواعي النفسية لتعاطي المخدرات في الحرم الجامعي.
- لا توجد فروق بين الطلاب والطالبات الجامعيين، فيما يخص الدواعي الاجتماعية لتعاطي المخدرات في الحرم الجامعي.
- لا توجد فروق بين الطلاب والطالبات الجامعيين، فيما يخص الدواعي الأسرية لتعاطي المخدرات في الحرم الجامعي.
- لا توجد فروق بين الطلاب والطالبات الجامعيين، فيما يخص الدواعي الدراسية لتعاطي المخدرات في الحرم الجامعي.

٢- التحديد الإجرائي لمتغيرات الدراسة

- تعاطي المخدرات: يقصد به سلوك يقوم به الطالب الجامعي، يتمثل في تناول أي مادة نفسية مخدرة مهما كان مصدرها بطريقة دائمة أو بالتناوب، قصد الوصول إلى النشوة، والشعور باللذة، أو تهرباً من الفشل الذي يصادفه.
- الدواعي النفسية: تمثل كل الأسباب النفسية التي تؤثر في نفسية الفرد إلى تعاطي المخدرات.
- الدواعي الدراسية: يقصد بها كل الأسباب التي تصادف الفرد خلال الفترة الدراسية، يمكن أن تكون شخصية أو غير شخصية تسببها الهيئات المختلفة للجامعة.
- الدواعي الأسرية: كل الأسباب التي يكون مصدرها أفراد الأسرة دون استثناء.
- الدواعي الاجتماعية: كل الأسباب التي يكون المجتمع مسؤولاً عنها اتجاه الطلبة الجامعيين.

٣- أهداف الدراسة وأهميتها

تهدف الدراسة الحالية إلى رصد دواعي تعاطي المخدرات لدى بعض طلبة جامعة مولود معمري بتيزي وزو وذلك من خلال التعرف على: الدواعي النفسية، الدواعي الدراسية، الدواعي الأسرية والدواعي الاجتماعية التي ساهمت في تعاطي المخدرات لدى الطالب الجامعي. أما فيما يخص أهمية الدراسة، فهي ترجع إلى أنها تلفت الانتباه إلى الدواعي المختلفة التي تدفع طلبة الجامعة نحو التعاطي أو الإدمان، الأمر الذي يترتب عليه الاهتمام بهذه العينة.

٤- إجراءات الدراسة

- منهج الدراسة: نظراً لطبيعة الموضوع نرى أن المنهج الوصفي هو المنهج الملائم لمعالجته.
- عينة البحث وخصائصها: تتكون عينة البحث من ٢٨ طالباً وطالبة كلهم يتعاطون المخدرات وقد تم اختيارهم بطريقة قصدية بمساعدة زملائهم من بين طلبة الجامعة نظراً لصعوبة الاتصال بهم، تتراوح أعمارهم من ١٨ إلى ٢٠ سنة، كما تتكون عينة البحث من ٢٢ ذكر، أي ما يمثل ٨٩,٥٧٪ و ١٦ أنثى وهو ما يقابل ٩٩,٤٢٪. أما فيما يخص خصائص العينة فنلخصها في الجداول التالية:

الجدول (١) توزيع أفراد العينة حسب الحالة العائلية والنسب المئوية

الحالة العائلية	التكرار	%
تعيش مع الوالدين	٢٧	٧١,٠٥
مع الأم فقط	٠٧	١٨,٤٢
مع الأب فقط	٠٢	٥,٢٦
بدون إجابة	٠٢	١٨,٤٢
المجموع	٣٨	

الجدول رقم (٢) عينة البحث حسب النسب المئوية للعلاقة بالوالدين

علاقتك بالوالدين	جيدة	حسنة	سيئة
التكرار	٢١	١٠	٠٧
%	٥٥,٢٦	٢٦,٣١	١٨,٤٢

الجدول رقم (٣) عينة البحث حسب النسب المئوية للمستوى الاقتصادي

المستوى الاقتصادي	جيدة	متوسط	منخفض
التكرار	٢٠	١١	٠٧
%	٥٢,٦٣	٢٨,٩٤	١٨,٤٢

الجدول (٤) البحث حسب النسب المئوية الخاصة بوجود الأصدقاء

لديك أصدقاء	نعم	لا
التكرار	٣٥	٠٣
%	٩٢,١٠	٧,٨٩

الجدول (٥) عينة البحث حسب النسب المئوية للصادقة مع الجنس الآخر

لديك أصدقاء من الجنس الآخر	نعم	لا	بدون إجابة
التكرار	٢٣	١٠	٠٥
%	٦٠,٥٢	٢٦,٣١	١٣,١٥

- **البعد الزمني والمكاني للبحث:** فيما يخص البعد الزمني فهو يتراوح من أول شهر نوفمبر إلى منتصف كانون الثاني سنة ٢٠١٠، أما في ما يخص البعد المكاني، تم إجراء الدراسة بجامعة مولود معمري بولاية تيزي وزو (الجزائر).
- **أداة الدراسة:** تم إعداد أداة الدراسة، انطلاقاً من أدبيات موضوع. تتضمن الأداة أسئلة مختلفة تتبعها اقتراحات يجيب عليها المفحوص بنعم أو لا. عدد محاورها خمسة وكل محور يتضمن عدد من البيانات:

الجدول رقم (٦) محاور أداة البحث

المحاور	العنوان	عدد البنود
الأول	بيانات شخصية	٠٧
الثاني	الأسباب النفسية للإدمان على المخدرات	٠٧
الثالث	الأسباب الدراسية للإدمان على المخدرات	٠٧
الرابع	الأسباب الأسرية للإدمان على المخدرات	٠٨
الخامس	الأسباب الاجتماعية للإدمان على المخدرات	٠٨

- **صدق الأداة:** تم استخدام الصدق الظاهري، أي صدق المحكمين (مختصين في التربية وعلم النفس) بهدف التأكد من وضوح المفردات والأسئلة والعبارات وحسن صياغتها وارتباطها بما وضعت من أجله. ذلك قصد معرفة ما إذا كانت العبارات تخدم الموضوع.
- **المعالجة الإحصائية:** استخدمت الدراسة النسب المئوية في حساب وتقدير المعالجات المرتبطة ببيانات وأسئلة الأداة للتعرف على النسب الخاصة بالدواعي المختلفة التي تؤدي إلى تعاطي المخدرات، كما استخدمت اختبار كا^٢ بمستوى الدلالة قدره ٠,٠٥، كمحك لقبول أو رفض الفرضية الصفرية لفرضية البحث.

٥- عرض النتائج

فيما يخص عرض نتائج الدراسة، سنهتم فقط بالتكرارات الخاصة بالاقتراحات الموافقة عليها من طرف أفراد العينة ذكوراً وإناثاً.

١- عرض نتائج الفرضية الأولى الخاصة بالدواعي النفسية لتعاطي الطلبة والطالبات للمخدرات في الحرم الجامعي

- الفرضية الصفرية: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الطلاب والطالبات الجامعيين، فيما يخص الدواعي النفسية لتعاطي المخدرات في الحرم الجامعي.

- الفرضية البديلة: توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الطلاب والطالبات الجامعيين، فيما يخص الدواعي النفسية لتعاطي المخدرات في الحرم الجامعي.

الجدول رقم (٧) توزيع أفراد العينة حسب الجنس والدواعي النفسية لتعاطي المخدرات

الرقم	الدواعي النفسية لتعاطي المخدرات	عدد الذكور ٢٢		عدد الإناث ١٦		٢١
		ال تكرار	%	ال تكرار	%	
١	حب الاستطلاع والمغامرة	٢١	٩٥,٤٥	١٦	١٠٠	٠,٦٨
٢	انخفاض تقدير ك لذاتك	١٦	٧٢,٧٣	١٣	٨١,٢٥	٠,٠١
٣	الإحباط نتيجة الفشل الدراسي	١٣	٥٩,٠٩	١٤	٨٧,٥٠	٠,٠٤
٤	صعوبة الاتصال مع الجنس الآخر	١٦	٧٢,٧٣	١٣	٨١,٢٥	٠,٣١
٥	صعوبة اتخاذ القرارات التي تخص حياتك	١٦	٧٢,٧٣	١٥	٩٣,٧٥	٠,٠٣
٦	الهروب من المشاكل المختلفة	١٨	٨١,٨٢	١٤	٨٧,٥٠	١,١٤
٧	الشعور باللذة (الاسترخاء، وزوال الألم)	٢٠	٩٠,٩١	١٣	٨١,٢٥	١,٥٠

تبين نتائج الجدول (٧) أن للطلبة والطالبات نفس الدواعي النفسية لتعاطي المخدرات لكن بنسب مختلفة، وما يلفت الانتباه فيما يخص الدواعي النفسية، هو أن النسب المئوية تتراوح بين ١٠٠ ٪ أكبر نسبة تخص حب الاستطلاع والمغامرة لدى الإناث، و٥٩,٠٩ ٪ أصغر نسبة تخص الإحباط نتيجة الفشل الدراسي لدى الذكور. أما عند حساب ٢١ ك دلالة الفروق بين الطلاب والطالبات فيما يخص الدواعي النفسية لتعاطي المخدرات، تبين نتائج الجدول أن كل القيم المحسوبة أقل من المجدولة عند مستوى الخطأ ٠,٠٥ والتي تقدر ب ٣,٨٤ وبدرجة حرية ١ بالنسبة لكل بند، وبالتالي نقبل الفرضية الصفرية التي مفادها: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الطلاب والطالبات الجامعيين، فيما يخص الدواعي النفسية لتعاطي المخدرات في الحرم الجامعي.

٢- عرض نتائج الفرضية الثانية الخاصة بالدواعي الدراسية لتعاطي المخدرات في الحرم الجامعي

- الفرضية الصفرية: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الطلاب والطالبات الجامعيين فيما يخص الدواعي الدراسية لتعاطي المخدرات في الحرم الجامعي.

- الفرضية البديلة: توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الطلاب والطالبات الجامعيين، فيما يخص الدواعي الدراسية لتعاطي المخدرات في الحرم الجامعي.

الجدول رقم (٨) توزيع أفراد العينة حسب الجنس والدواعي الدراسية لتعاطي المخدرات

الرقم	الدواعي الدراسية لتعاطي المخدرات	عدد الذكور ٢٢		عدد الإناث ١٦		كا
		التركرار	%	التركرار	%	
١	الصراعات مع زملاء في الحرم الجامعي	٠٨	٣٦,٣٦	١٥	٩٣,٧٥	٢,١٣
٢	صعوبة الحصول على العلامة المرغوبة في الوحدات الصعبة ذات المعامل الأكبر	٠٦	٢٧,٢٧	٠٨	٥٠	٠,٢٩
٣	بائع المخدرات يوجد داخل الحرم الجامعي، وعدم وجود رقابة صارمة تمنع ذلك	٢٢	١٠٠	١٢	٧٥	٢,٩٤
٤	الفشل المتكرر نتيجة التوجيه الدراسي للتخصص الغير المرغوب فيه	٠٣	١٣,٦٤	٠٧	٤٣,٧٥	١,٦
٥	إلحاح زملاء الدراسة على تعاطي للمخدرات	٢٢	١٠٠	١٤	٨٧,٥	١,٧٨
٦	مساومة بعض الأساتذة للعلامات الخاصة بالوحدة المسؤولين عنها	١٧	٧٧,٢٧	١٤	٨٧,٥	٠,٢٩
٧	تحرش بعض الأساتذة بك جنسياً للحصول على العلامة	٠١	٠٤,٥٥	٠٤	٢٥	١,٨

تبين نتائج الجدول (٨) أن ١٠٠٪ من الذكور (عينة البحث) يتعاطون المخدرات بسبب وجود بائع المخدرات داخل الحرم الجامعي، و ١٠٠٪ من الذكور يتفق على أن تعاطيهم للمخدرات يرجع إلى إلحاح زملاء الدراسة على ذلك، في حين ٨٧,٥٪ من الإناث يتفقن على أن تعاطيهم للمخدرات يرجع إلى مساومة بعض الأساتذة للعلامات الخاصة بالوحدة المسؤولين عنها، كما أن ٢٥٪ من الإناث يرجع تعاطيهم للمخدرات إلى تحرش بعض الأساتذة بهن جنسياً للحصول على العلامة. وبالرجوع إلى حساب كا لدلالة الفروق بين الطلاب والطالبات فيما يخص الدواعي الدراسية لتعاطي المخدرات، تبين نتائج الجدول أن كل القيم كا المحسوبة أقل من المجدولة عند مستوى الخطأ ٠,٠٥، وبالتالي نقبل الفرضية الصفرية التي مفادها: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الطلاب والطالبات الجامعيين، فيما يخص الدواعي المدرسية لتعاطي المخدرات في الحرم الجامعي.

٣- عرض نتائج الفرضية الثالثة الخاصة بالدواعي الأسرية لتعاطي المخدرات في الحرم الجامعي

- الفرضية الصفرية: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الطلاب والطالبات الجامعيين، فيما يخص الدواعي الأسرية لتعاطي المخدرات في الحرم الجامعي.

- الفرضية البديلة: توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الطلاب والطالبات الجامعيين، فيما يخص الدواعي الأسرية لتعاطي المخدرات في الحرم الجامعي.

الجدول رقم (٩) توزيع أفراد العينة حسب الجنس والدواعي الأسرية

الرقم	الدواعي الأسرية لتعاطي المخدرات	عدد الذكور ٢٢		عدد الإناث ١٦		٢١
		ال تكرار	%	ال تكرار	%	
١	سوء معاملة الوالدية	١١	٥٠	١٣	٨١,٢٥	٠,١٧
٢	تناول أحد أفراد العائلة للمخدرات	٠٦	٢٧,٢٧	٠٨	٥٠,٠٠	٠,٢٩
٣	وفرة المصروف اليومي لديك	٢١	٩٥,٤٥	١٦	١٠٠	٠,٦٨
٤	تفضيل الأهل لأحد الأخوة عليك	٠٧	٣١,٨٢	٠٧	٤٣,٧٥	٠,٠٠
٥	تفكيك الأسرة (الشجار المستمر، الطلاق)	٠١	٠٤,٥٥	٠٤	٢٥	١,٨
٦	ضعف الرقابة الأسرية	١٩	٨٦,٣٦	١٦	١٠٠	٠,٢٦
٧	تحرش أحد أفراد العائلة بك جنسياً	٠٢	٩,٠٩	٠٦	٣٧,٥٠	٠,٢
٨	فقدان أحد الأبوين	٠٩	٤٠,٩١	٠٥	٣١,٢٥	١,١٤

تبين نتائج الجدول رقم (٩) أن ٩٥,٤٥٪ من الذكور مقابل ١٠٠٪ من الإناث تعاطوا المخدرات نتيجة وفرة المصروف اليومي لديهم، و ١٠٠٪ من الإناث يرجعون سلوك التعاطي إلى ضعف الرقابة الأسرية. كما تبين النتائج أن تعاطي أحد أفراد الأسرة للمخدرات من أحد العوامل التي تدعو إلى تعاطي المخدرات، حيث نجد ٥٠٪ من الإناث يوافقن على ذلك. أما الفروق بين الطلاب والطالبات فيما يخص الدواعي الأسرية لتعاطي المخدرات، تبين النتائج أن ٢١ المحسوبة أقل من المجدولة عند مستوى الخطأ ٠,٠٥، ما يجعلنا نقبل الفرضية الصفرية التي مفادها: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الطلاب والطالبات الجامعيين، فيما يخص الدواعي الأسرية لتعاطي المخدرات في الحرم الجامعي.

٤- عرض نتائج الفرضية الرابعة الخاصة بالدواعي الاجتماعية لتعاطي المخدرات في الحرم الجامعي

- الفرضية الصفرية: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الطلاب والطالبات الجامعيين، فيما يخص الدواعي الاجتماعية لتعاطي المخدرات في الحرم الجامعي.
- الفرضية البديلة: توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الطلاب والطالبات الجامعيين، فيما يخص الدواعي الاجتماعية لتعاطي المخدرات في الحرم الجامعي.

الجدول رقم (١٠) توزيع أفراد العينة حسب الجنس والدواعي الاجتماعية

الرقم	الأسباب الاجتماعية لتعاطي المخدرات	عدد الذكور ٢٢		عدد الإناث ١٦		كا
		ت	%	ت	%	
١	جماعة الرفاق (صعوبة تجنب تقليد الآخرين)	٢١	٩٤,٤٥	١٥	٩٣,٧٥	١,٠٠
٢	سهولة الحصول على المخدرات في الحي السكني	١٤	٦٣,٦٤	١١	٦٨,٧٥	٠,٣٦
٣	فقدان الأمل لوجود عمل في المستقبل	١٧	٧٧,٢٧	١٥	٩٣,٧٥	٠,١٣
٤	الشعور بالاعترا ب عن القيم الاجتماعية	١٣	٥٩,٠٩	١٠	٦٢,٥٠	٠,٣٩
٥	تفشي المدمين والمخدرات في جميع المستويات	١٥	٦٨,١٨	١١	٦٨,٧٥	٠,٦٢
٦	التورط في تجارة المخدرات قصد الربح السريع	١٣	٥٩,٠٩	١٠	٦٢,٥٠	٠,٣٩
٧	تهاون المسؤولين في مكافحة هذه الآفة	٢١	٩٤,٤٥	١٥	٩٣,٧٥	١,٢٨
٨	للانتقام من المجتمع	١٠	٤٥,٤٥	١٢	٧٥,٠٠	٠,١٨

تبين نتائج الجدول رقم (١٠) أن ٩٤,٤٥ % من الذكور يتعاطون المخدرات بسبب جماعة الرفاق وصعوبة تجنب تقليدهم. و ٩٥,٤٥ % من الذكور مقابل ٩٣,٧٥ % من الإناث يرجعون تعاطي المخدرات فيما يخص الدواعي الاجتماعية إلى تهاون المجتمع في مكافحة هذه الآفة. في حين ٧٥,٠٠ % من الإناث يتعاطين المخدرات انتقاماً من المجتمع. وعند حساب كا ٢ لدلالة الفروق بين الطلاب والطلبات فيما يخص الدواعي الاجتماعية لتعاطي المخدرات، تبين نتائج الجدول أن قيم كا المحسوبة أقل من الجدولة عند مستوى الخطأ ٠,٠٥. لذا، نقبل الفرضية الصفرية التي مفادها: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الطلاب والطلبات الجامعيين، فيما يخص الدواعي الاجتماعية لتعاطي المخدرات في الحرم الجامعي.

٦- مناقشة النتائج

استهدف البحث الحالي، رصد دواعي تعاطي المخدرات لدى بعض طلبة جامعة مولود معمري بولاية تيزي وزو. وذلك من خلال معرفة الدواعي النفسية والأسرية والدراسية والاجتماعية. كما حاولت هذه الدراسة الكشف على شيوع سلوك التعاطي لدى الذكور والإناث على حد سواء، ولكلاهما نفس الدواعي. كما أكدت النتائج المتوصل إليها، أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الطلاب والطلبات الجامعيين، فيما يخص دواعي تعاطي المخدرات في الحرم الجامعي، حيث يبدو من خلال نتائج الجدول رقم (٧) أن للذكور والإناث دواعي نفسية لتعاطي المخدرات تتمثل بالدرجة الأولى في حب الاستطلاع، انخفاض تقدير الذات وصعوبة الشعور باللذة، والإحباط نتيجة الفشل.. وهذا

ما يؤكد الباحث حسين علي فايد حين يشير إلى أن الفرد يتجه في ظروف خاصة نحو بعض المواد التي تساعد على تحقيق اللذة النفسية - إن الاغتراب عن القيم الاجتماعية والدينية يضع الشباب في مخاطرة تعاطي المخدرات - كما يعتبر انخفاض تقدير الذات، الإحباط نتيجة فشل عاطفي، دافعاً قوياً لتعاطي المواد المخدرة باعتبارها مواد تعويضية (حسين علي فايد، ٢٠٠١: ص ١٩٩-٢٠٠). وقد ترجع النتائج الخاصة بالدواعي النفسية إلى أن أفراد العينة يعيشون صراعات نفسية التي يعيشها الطالب والتي لها علاقة بالمحيط الجامعي الذي فيه نوع من الحرية وقلة الرقابة الوالدية، التي يمكنها أن تضعف من عزيمتهم لمقاومة المخدرات، وقد ترجع أيضاً إلى فضول الشباب بغية جلب انتباه الآخر والانتماء إلى الجماعة الجديدة.

وبينت نتائج الجدول رقم (٨) أن لكل من الذكور والإناث دواعي دراسية تجعلهم يتعاطون المخدرات، ونجد في صدارتها: وجود بائع المخدرات داخل الحرم الجامعي، غياب الرقابة الصارمة من طرف الهيئات المعنية، والصراعات بين الزملاء في الحرم الجامعي، إلحاح زملاء الدراسة على تعاطي المخدرات، التحرش الجنسي من بعض الأساتذة.. وقد ترجع هذه النتائج إلى التربية الهشة (عدم تهيئة الأبناء خاصة الإناث للمخاطر والصعوبات التي تنتظرهم خارج البيت) التي تلقاها الشاب أو الشابة في البيت، وقد ترجع إلى أن الشاب أو الشابة يجدون أنفسهم لأول مرة مسؤولين عن أنفسهم وسط عدد هائل من الطلبة الغرباء في الإقامة الجامعية وفي مقاعد الدراسة. كما يمكن أن ترجع هذه النتائج إلى افتقار، إن لم نقل غياب قانون داخلي واضح للجامعة يأخذ بعين الاعتبار الصرامة الأخلاقية التي تخص سلوك بعض الطلبة أو الأساتذة داخل الحرم الجامعي.

وبينت النتائج الجدول (٩) أن لكل من الذكور والإناث دواعي أسرية تجعلهم يتعاطون المخدرات. وفي مقدمة النتائج تبرز وفرة المصروف، وعدم الرقابة الوالدية، وسوء المعاملة الوالدية خاصة بالنسبة للإناث، وكذا تناول أحد أفراد العائلة للمخدرات.. وهذا ما توصل إليه ولسن ١٩٨٠، حيث يرى هذا أن تعاطي المخدرات يرتبط بشكل وثيق بانعدام الرقابة الوالدية (حسن مصطفى عبد المعطي، ٢٠٠١: ص ٢٥)، كما يذهب عبد المعطي إلى أن العقاب البدني، القسوة، الإهمال، والخوف من الأب، ينهي الأمر إلى تعاطي المخدرات والإدمان عليها (حسن مصطفى عبد المعطي، ٢٠٠١: ص ٣٠)، ويؤكد فؤاد شاهي أن تعاطي أفراد أو أقارب العائلة للمخدرات، من أحد العوامل المرتبطة بتعاطي الشباب لها (فؤاد شاهي، ٢٠٠٣: ص ٧١). وقد ترجع هذه النتائج إلى المشاكل التي تعيشها

الأسرة وليست لها القدرة على التغيير فيها، أو إلى التحولات التي طرأت على الأسرة الحديثة التي أصبح عندها جلب المال وتوفيره يحتل الصدارة ويأخذ المرتبة الأولى ما يجعلهم في استقالة تامة عن الأولاد، أو إلى غياب أحد الأبوين من البيت بحكم العمل، أو إلى الشخصية الضعيفة لبعض الأولياء أمام الشباب.

كما أسفرت نتائج الجدول رقم (١٠) عن أن لكل من الذكور والإناث دواعي اجتماعية تدفعهم إلى تعاطي المخدرات. وقد ترجع هذه النتائج إلى جماعة الرفاق، وتهاون المسؤولين في مكافحة هذه الآفة، وكذا إلى فقدان الأمل في المستقبل، وإلى الشعور بالاغتراب... وهذا ما يؤكد عبد المعطي حسن مصطفى حين يشير أن للمجتمع تأثيراً كبيراً في تعاطي المخدرات كجماعة الرفاق... (عبد المعطي حسن مصطفى، ٢٠٠١: ص٤٣)، وقد ترجع النتائج المتوصل إليها إلى توفر المخدر وسهولة الحصول عليه في المجتمع، أو إلى الفراغ الاجتماعي الإنشائي (قلة البرامج التي تتكفل بالشباب) وإلى التراجع الاقتصادي، وكثرة البطالة عند الشباب، كما يمكن أن ترجع النتائج إلى سعي الشباب في الآونة الأخيرة إلى الربح السريع للمال.

استنتاج وتوصيات

تبين نتائج الدراسة أن تعاطي المخدرات منتشر بين الجنسين وتحديداً عند الفئة الجامعية والطبقة المثقفة. فمن وجهة نظرنا، سيكون لا محال لهذا السلوك عواقب سلبية على النتائج الدراسية للمتعاطين أو المدمنين على المخدرات ذكوراً وإناثاً. كما يمكن لهؤلاء، أن يؤثروا في عدد آخر من الطلبة الجدد بصفة خاصة، وهذا بنشر المواد المخدرة وتسهيل انتشارها وتسويقها والعمل على تفعيل سلوك التعاطي أو الإدمان. وهذا ما يجعل من الجامعة مقراً لتناول وتجارة المخدرات، بدلاً من أن تكون مقراً للعلم والثقافة والتقدم، الأمر الذي يتطلب من ذوي العلم والمعرفة، وأصحاب القرار إعادة النظر في الدواعي المختلفة مهما كان مصدرها، وبصفة خاصة الدواعي الدراسية على مستوى الجامعة، خاصة ونحن نواجه تحديات عصر يقوم على التفتح والعولمة، والربح السريع. دون أن ننسى الأخلاق والقيم الاجتماعية التي من المفروض أن تكون الجامعة عنوانها.

أما فيما يخص التوصيات نلخصها في ما يلي:

- يقع على الأسرة، المجتمع والجامعة بصفة خاصة في إطار هذه الجهود المتكاملة دوراً كبيراً وهاماً في استجابتهم لهذه الجهود وتعزيزها بجيل واع يتقهم مسؤولياته ويعي واجباته اتجاه مجتمعه.

- مواصلة الجهود المجتمعية لتوعية الدارسين من الابتدائي إلى الجامعة فيما يخص آفة المخدرات.

- وضع سياسات من شأنها أن تسعى إلى الكشف المبكر لمتعاطي المخدرات.
- التأكيد على وظيفة التنشئة الاجتماعية التي تتطلع لها الأسرة والمجتمع.
- القيام بفترات دورية تحسيسية لتوعية الطلاب ثقافياً، وسياسياً، واقتصادياً وصحياً.
- تبادل الخبرات المتعلقة بحماية الطلاب من الانحراف مع الهيئات والمنظمات المتخصصة.
- اتخاذ التدابير الكفيلة بتعزيز تماسك المجتمع الجامعي والانسجام بين أفراد.
- إقامة مراقبة مستمرة داخل الحرم الجامعي لمتابعة مسارات توفير المخدرات داخل الجامعة.

المراجع

- ١- الديدي رشا عبد الفتاح (٢٠٠١). المرأة والإدمان، دراسة نفسية اجتماعية من منظور التحليل النفسي، مكتبة الأنجلو المصرية
- ٢- المجلس القومي لمكافحة وعلاج الإدمان (١٩٩٩). (المخدرات، أوهام، أخطار، حقائق)، الطبعة الثانية، القاهرة،
- ٣- المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية (٢٠٠٠). تاجر المخدرات والمجموعات المستهدفة للتعاطي، الطبعة الثانية، القاهرة.
- ٤- إجلال محمد سري (٢٠٠٣). الأمراض النفسية الاجتماعية، دار الأزهر، القاهرة
- ٥- تصريح المدير العام للديوان الوطني لمكافحة المخدرات (٢٠٠٥)، حصة حول الجمارك بمناسبة اليوم العالمي للجمارك، التلفزة الجزائرية.
- ٦- دردار فتحي (٢٠٠١)، الإدمان، دار الطباعة، القاهرة
- ٧- صندوق مكافحة وعلاج الإدمان والتعاطي (٢٠٠٠)، ظاهرة المخدرات، دراسة توثيقية للبحوث والدراسات الاجتماعية، التقرير الأول، الطبعة الثانية، القاهرة
- ٨- عبد المعطي حسن مصطفى (٢٠٠١). الأسرة ومواجهة الإدمان، دار قباء للنشر والتوزيع، لبنان
- ٩- عبد اللطيف رشاد أحمد (١٩٩٢). الآثار الاجتماعية لتعاطي المخدرات، دار النشر، الرياض، عمان.
- ١٠- فايد حسين علي (٢٠٠٣). سيكولوجية الإدمان، المكتب العلمي للكمبيوتر، القاهرة، الكتاب الحديث، الكويت.
- 11- BERGERET Jean (1981) Le psychanalyste à l'écoute du toxicomane, Paris.
- 12- KHIATI. N, (2003) la Drogue, un problème politique aux implications économique sanitaire, sociale et culturelles, revue santé Plus. N°72.

اتجاهات الطالبات نحو العمل التطوعي بالمجتمع السعودي

دراسة على عينة من الطالبات الجامعيات بالمجتمع السعودي

د. فاطمة محمد عثمان*



وقد ظهر العمل التطوعي بالمجتمع السعودي في مراحله المبكرة بجهود فردية تمثلت بصناديق البر والمبرات والأربطة وغيرها من الأنشطة التطوعية الغير منظمة. وفي مرحلة لاحقة ظهرت الحاجة إلى إخضاع العمل التطوعي وإعادة هيكلته بالشكل الذي يجعله أكثر تنظيماً وفعالية وإخضاعه إلى التخطيط والتنظيم الرسمي من خلال مؤسسات رسمية عملت على تقنيته وتوظيفه بالشكل الذي يساعد على إشباع احتياجات المجتمع وأفراده.

مقدمة الدراسة ومنهجيتها

يسهم العمل التطوعي في تنمية المجتمع وإشباع احتياجاته من خلال مساندته للجهود الغير تطوعية التي تقدمها المؤسسات الرسمية وغير الرسمية في المجتمع. إذ أن العمل التطوعي يساعد في نشر القيم الاجتماعية التي تدعو إلى إشاعة روح التعاون والمحبة والتكافل بين أفراد المجتمع. ولذا تسعى المؤسسات الأكاديمية إلى نشر ثقافة التطوع بين أفراد المجتمع ومؤسساته. والعمل التطوعي بدأ يأخذ في كثير من الدول المتقدمة صناعياً الشكل المؤسساتي المنظم والقائم على برامج علمية تطبيقية تساعد في تحقيق الأهداف التي أنشئ من أجلها.

• دكتورة علم الاجتماع، أستاذ مساعد بقسم علم الاجتماع، كلية الآداب للبنات، جامعة الملك فيصل، السعودية/مصر. fatmaothman64@yahoo.com

وتشير بعض الدراسات العلمية والإحصاءات المنشورة إلى ضعف مشاركة وإسهام بعض فئات المجتمع في العمل التطوعي وخاصةً بين طلاب المؤسسات التعليمية. فقد توصلت إحدى الدراسات إلى ضعف مشاركة الطلاب في الأعمال التطوعية حيث بلغت ٢٨٪ في استراليا و١٩٪ في السويد ٢٣٪ في روسيا و٥١٪ في الولايات المتحدة الأمريكية.

وقد استشعرت بعض المجتمعات الغربية أهمية مشاركة الفئات السنية الشابة من الجنسين في الأعمال التطوعية. ولذا فقد عمدت إلى وضع خطط تطويرية للعمل التطوعي بين طلاب الجامعات. فقد أظهرت الإحصاءات التي نشرتها Corporation for national and community services (٢٠٠٦م) إلى ارتفاع معدلات مشاركة طلاب الجامعات الأمريكية ما بين عامي ٢٠٠٢م وإلى عام ٢٠٠٥م بزيادة بلغت حوالي ٢٠٪. وكان من بين العوامل المشجعة لزيادة إسهام طلاب الجامعات إدراج العمل التطوعي والخدمة العامة ضمن المواد الإجبارية التي يتحتم على الطلاب اجتيازها للتخرج.

وفي بلدان العالم العربي ومنها المجتمع السعودي تظهر الدراسات التي قامت بها الشبكة العربية للمنظمات الأهلية (٢٠٠٢م) أن الشباب الذين تتراوح أعمارهم ما بين الخامسة عشر والثلاثين هم أقل فئات المجتمع اهتماماً في العمل التطوعي مرجعين ذلك إلى العديد من العوامل منها الأسرية والتربوية والتي لا تهتم بتعليم الأبناء وتدريبهم على الأنشطة التطوعية مشيرةً إلى أن مناهج التعليم والأنشطة اللاصفية في المدارس والجامعات تكاد تخلو من الموضوعات والقضايا التي تناقش العمل التطوعي. وتتضح هذه المشكلة بشكل أكبر بين الفتيات في المراحل الدراسية العامة والمراحل الجامعية والتي تكاد مشاركة الطالبات فيها في الأنشطة التطوعية شبه معدوم لعوامل ثقافية واجتماعية ونظامية مختلفة.

ولذا تهتم الدراسة الحالية بالتعرف على اتجاهات الطالبات نحو العمل التطوعي بالمجتمع السعودي من أجل تطوير وتحفيز مشاركة المرأة بالعمل التطوعي مما يسهم في تفعيل مشاركة الطالبات الجامعيات في التنمية المجتمعية وإشباع احتياجات المجتمع ومتطلباته.

أهمية الدراسة

تتلخص أهمية هذه الدراسة في قلة ومحدودية الدراسات العلمية التي تهتم بمساهمة العنصر النسائي بالعمل التطوعي. يمكن أن تساعد هذه الدراسة في تسليط الضوء على مفهوم التطوع واتجاهاته ومعوقاته بين الطالبات الجامعيات بالمجتمع السعودي مما يسهم في التعرف على أهم المجالات والدوافع والمعوقات التي تحد من المشاركة بالعمل التطوعي وتطوير الأساليب لمواجهتها ومعالجتها بالطرق العلمية المناسبة.

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى التعرف على اتجاهات الطالبات نحو مجالات العمل التطوعي للمرأة بالمجتمع السعودي.

تساؤلات الدراسة: تسعى الدراسة الحالية للإجابة على التساؤل الرئيسي التالي:

١- ما اتجاهات الطالبات نحو مجالات العمل التطوعي للمرأة بالمجتمع السعودي؟
ويقتصر من هذا التساؤل مجموعة من الأسئلة الفرعية؟

أ- ما اتجاهات الطالبات نحو ممارستهم للعمل التطوعي في المجتمع السعودي؟
ب- ما دوافع التحاق الطالبات بالعمل التطوعي في المجتمع السعودي؟
ج- ما مجالات العمل التطوعي المتاحة للطالبات في المجتمع السعودي؟

٢- ما المعوقات التي تواجه التحاق الطالبات بالعمل التطوعي في المجتمع السعودي؟

مفاهيم الدراسة

مفهوم العمل التطوعي: هو التبرع، يقال تطوع بالشيء أي تبرع به من ذات نفسه مما لا يلزمه فرضه، وتطوع الرجل تطوعاً تكلف الطاعة، وبالشيء تبرع به وتنقل، ولقد ورد لفظ التطوع في القرآن ثلاث مرات في سورة البقرة والتوبة ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾^(٥)، ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾^(٦)، ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾^(٧).

تعرف موسوعة الخدمة الاجتماعية الأمريكية (١٩٩٥م) التطوع بأنه الجهود التي يقوم بها الإنسان بشكل اختياري وبدون مقابل للمشاركة في برامج أو تقديم خدمة بإحدى الجمعيات التطوعية أو المؤسسات الحكومية.

ويرتبط مفهوم التطوع بمفهوم آخر وهو مفهوم العمل التطوعي والذي يقصد به: «نشاط اجتماعي يقوم به الأفراد، بشكل فردي أو جماعي، من خلال إحدى الجمعيات أو المؤسسات دون انتظار عائد، وذلك بهدف إشباع حاجات ومشكلات المجتمع والمساهمة في تدعيم مسيرة التنمية». (أبو النصر، ٢٠٠٧م، ص ٢٠٥)

ونحن هنا نقصد بالعمل التطوعي تقديم العون والنفع إلى فرد أو مجموعة أفراد يحتاجون إليه دون مقابل مادي أو معنوي إلا احتساب الأجر من عند الله سبحانه وتعالى. ويمكن أن يكون العمل التطوعي بشكل تبرع مادي أو تقديم مشورة أو القيام ببعض الأعمال أو تمويل عمل خيري في سبيل تلبية احتياجات المجتمع.

الإجراءات المنهجية للدراسة

تعتبر الدراسة الحالية من نوع الدراسات الوصفية التحليلية والتي تستهدف وصف وتحليل اتجاهات طالبات الجامعة نحو المشاركة في العمل التطوعي والمعوقات التي تواجهها بالمجتمع السعودي.

مجتمع وعينة الدراسة

يتكون مجتمع البحث من الطالبات الملتحقات بالمرحلة الجامعية في بعض الجامعات السعودية خلال العام الجامعي ١٤٣٣/١٤٣٤هـ، وذلك بسحب عينة عشوائية من الطالبات وبحسب الطرق العلمية المتبعة في ذلك.

أداة الدراسة: اعتمدت هذه الدراسة على الاستبيان لجمع البيانات، وتم اختبار الصدق الظاهري والداخلي للاستمارة. وقياس الثبات من خلال معامل الفا كرونباخ وقد بلغ معامل الثبات العام (٠,٩١) وهذا يدل على أن الاستبانة تتمتع بدرجة عالية من الثبات يمكن الاعتماد عليها في التطبيق الميداني للدراسة.

مجالات الدراسة

المجال المكاني: جامعه الأميرة نورة بالرياض، جامعة الملك عبدالعزيز بجدة، جامعة الإحساء بالمنطقة الشرقية.

المجال البشري: تم تحديد المجال البشري لهذه الدراسة بعينة من الطالبات الملتحقات بالجامعات المحددة بالدراسة خلال فترة إجراء الدراسة وبلغ حجم العينة (١٧٠) طالبة.

المجال الزمني: وهي الفترة التي من ١/٣/١٤٣٤هـ إلى ١/٦/١٤٣٤هـ.

أساليب المعالجة الإحصائية: لتحقيق أهداف الدراسة وتحليل البيانات التي تم تجميعها، فقد تم استخدام العديد من الأساليب الإحصائية المناسبة التكرارات والمتوسط الحسابي والانحراف المعياري.

نتائج الدراسة

في هذا الجزء نستعرض أهم نتائج الدراسة الميدانية التي تم جمعها وتحليلها والتي سوف تسهم في تحقيق أهداف البحث والإجابة على تساؤلاته. وسنعرض للنتائج المتعلقة بالبيانات الأولية للمبحوثات، يليها عرض النتائج المتعلقة باتجاهات المبحوثات نحو العمل التطوعي بالمجتمع السعودي.

أولاً: النتائج المتعلقة بوصف عينة الدراسة

- بالنسبة للبيانات الأولية لعينة الدراسة اتضح أن غالبية المبحوثات تبلغ أعمارهم من ٢٠ عاماً إلى أقل من ٢٥ عاماً، وبالنسبة للحالة الاجتماعية اتضح، أن غالبيتهم من غير المتزوجات وتبلغ نسبتهم ٨, ٥٨٪، يليه المتزوجات بنسبة ١, ٢٧٪، ثم المطلقات بنسبة ٥, ٢٪ وكانت النسبة الأقل للأرامل بنسبة بلغت ٦, ٠٪.

- وبالنسبة لوجود أبناء كانت النسبة الأكبر لمن ليس لديهم أبناء بنسبة ١, ٦٤٪ من حديثات الزواج، وبلغت نسبة ٢, ٣٥٪ لمن لديهم أبناء.

- وبالنسبة للدخل الشهري لأسر المبحوثات كانت النسبة الأعلى لمن كان دخلهن الشهري أقل من ٣٠٠٠ ريال بنسبة بلغت ١, ٤٧٪، ثم من كان دخلهن الشهري من ٧٠٠٠ إلى أقل من ٩٠٠٠ ريال بنسبة تبلغ ٥, ١٣٪، يليها من يبلغ دخلهن الشهري أكثر من ٩٠٠٠ ريال بنسبة تبلغ ٤, ١٢٪، وكانت النسبة الأقل لمن يبلغ دخلهن الشهري من ٣٠٠٠ إلى أقل من ٥٠٠٠ بنسبة تبلغ ٨, ١١٪.

- وبالنسبة لمشاركة المبحوثات بالعمل التطوعي اتضح أن ٥٠, ٠٪ سبق لهم المشاركة بالعمل التطوعي ٥٠, ٠٪ لم يسبق لهم المشاركة بالعمل التطوعي.

ثانياً: النتائج المتعلقة باتجاهات عينة الدراسة نحو العمل التطوعي

- بالنسبة لاتجاهات الطالبات نحو العمل التطوعي اتضح من أن أعلى نسبة تمثلت في أن العمل التطوعي يساعد في خدمه المجتمع بمتوسط ٨٨, ٢٪، ثم أن العمل التطوعي ينبع عن رغبة ذاتية لدى المتطوعة بمتوسط ٨٥, ٢٪، يليها أن العمل التطوعي مطلب ديني يحث عليه ديننا الحنيف بمتوسط ٧٩, ٢٪، وأن الاهتمام بالعمل التطوعي يأتي من إدراك الشخص لدوره في المجتمع ٦٩, ٢٪، يساعد العمل التطوعي في تهذيب السلوك وترويض النفس ٦٨, ٢٪، تزداد الحاجة للعمل التطوعي في الوقت الحاضر بمتوسط ٦١, ٢٪، ينجح العمل التطوعي كلما كان المتطوع متفرغاً له ٥١, ٢٪، العمل التطوعي حق من حقوق الوطن على أبنائه بمتوسط ٤٢, ٢٪، العمل التطوعي مطلوب في أغلب مجالات الحياة بمتوسط ٣٢, ٢٪، يعتبر العمل التطوعي مكملاً للعمل الحكومي بمتوسط ٣٢, ٢٪، العمل التطوعي له أثر في تغير المجتمع أكبر من العمل الرسمي بمتوسط ١٢, ٢٪ أسرة المتطوعة أحق بوقتها المبذول في العمل التطوعي تمثل بنسبة ٩٤, ١٪، للعمل التطوعي آثار أسرية سلبية على المتطوعة بمتوسط ٥٥, ١٪، للعمل التطوعي آثار مادية سلبية على المتطوعة بمتوسط ٤٨, ١٪، العمل التطوعي الذي لا يعود على المتطوعة بمردود مادي غير ضروري بمتوسط ٤٥, ١٪، العمل التطوعي مضيعة للوقت والجهد بمتوسط ١٤, ١٪.

- أما فيما يتعلق برؤية الطالبات نحو مجالات العمل التطوعي المتاحة في المجتمع السعودي كانت أعلى نسبة للمشاركة في إعداد وتقديم المحاضرات الدينية بمتوسط ٢,٦٥، المشاركة بالجمعيات الخيرية بمتوسط ٢,٥٤ ثم المساهمة في مجال رعاية الطفولة بمتوسط ٢,٤٨، إقامة وتنظيم الندوات الثقافية النسائية بمتوسط ٢,٤٥، المشاركة في رعاية المسنين بمتوسط ٢,٤٤، المشاركة في الحفلات والأنشطة الصيفية النسائية بمتوسط ٢,٤٢، إقامة معارض الكتب النسائية ٢,٤٢ بمتوسط، رعاية الأراميل مادياً ومعنوياً ٢,٤٢ بمتوسط، المساهمة في فصول محو الأمية بمتوسط ٢,٤٢، المشاركة في رعاية المعوقين بمتوسط ٢,٤١، المشاركة في إعداد وتقديم الدورات التدريبية النسائية ٢,٤١ بمتوسط، إقامة الندوات الإرشادية في مجال التوعية الصحية ٢,٤١ بمتوسط المشاركة في إقامة الأسواق الخيرية النسائية بمتوسط ٢,٤٠، المشاركة في إعداد وتقديم الندوات العلمية بمتوسط ٢,٤٠، رعاية المطلقات مادياً ومعنوياً بمتوسط ٢,٣٠، رعاية المدمنين بمتوسط ٢,٢٢، مجالات محدودة ولا تستحق التفكير فيها بمتوسط ١,٨٨.

- وبالنسبة لأهم العوامل التي تدفع الطالبات للعمل التطوعي من وجهة نظر العينة اتضح أن اكتساب الخبرات بمتوسط ٢,٨٧ ثم يفيد في اكتساب المهارات الجديدة بمتوسط ٢,٨٤، يزيد قدرة الإنسان على التفاعل والتواصل مع الآخرين بمتوسط ٢,٨٤، ينبع من الرغبة في تقديم المساعدة للآخرين بمتوسط ٢,٨٢، يساعد في تنمية الثقة بالنفس بمتوسط ٢,٧٦، يساعد العمل التطوعي في تعزيز الشعور بالانتماء بمتوسط ٢,٦٦، يشعر الفرد بمسؤوليته اتجاه المجتمع بمتوسط ٢,٦٦، يتيح الفرصة أمام الفرد لتحقيق رغبته في الإنجاز ٢,٦٥ بمتوسط، يساعد في اكتساب الرفقة ٢,٦٤ بمتوسط، يشعر الفرد بأهميته في المجتمع بمتوسط ٢,٦٣، استغلال وقت الفراغ بمتوسط ٢,٥٦، من أهم الوسائل التي تحرك الناس لتحقيق أهدافهم بمتوسط ٢,٤١، يتيح الفرصة أمام المتطوعة لاكتساب مكانة اجتماعية بمتوسط ٢,٣٢، يمارس للتخلص من روتين العمل بمتوسط ٢,١٩، يمارس بتشجيع وترغيب من الأهل بمتوسط ٢,١٦، يستغل من قبل البعض لفرض سلطتهم بمتوسط ١,٧٢.

- وفيما يتعلق بالمعوقات التي تواجه العمل التطوعي في المجتمع السعودي من وجهة نظر العينة كانت أعلى نسبة لعدم توافر المواصلات التي تنقل المرأة لميدان العمل بمتوسط ٢,٦٨، عدم وجود إدارات خاصة للمتطوعات تهتم بشؤونهن بمتوسط ٢,٦٢، قلة التوعية الإعلامية بأهمية العمل التطوعي بمتوسط ٢,٥٦، ندرة البرامج التدريبية

المقدمة للمتطوعات قبل تكليفهن بالمهام بمتوسط ٥١, ٢، الانهماك في الأعمال الرسمية لتوفير لقمة العيش بمتوسط ٥٠, ٢، غياب للتقدير المجتمعي لإسهامات العمل التطوعي بمتوسط ٤٣, ٢، عدم قناعة ولي الأمر بأهمية العمل التطوعي بمتوسط ٤١, ٢، سرية أعمال الجمعيات وعدم مناقشتها مع المتطوعين بمتوسط ٤٠, ٢، قلة تقدير المسؤوليات للجهود التي تبذلها المتطوعة بمتوسط ٢٨, ٢، إرهاق المتطوعة بالكثير من الأعمال بمتوسط ٢٢, ٢، تضيق الفرصة أمام المتطوعة لاختيار ما يناسبها من أعمال بمتوسط ٢١, ٢، ضعف الموارد المادية بمتوسط ٢٩, ٢، استغلال المتطوعة في الكثير من الأعمال بمتوسط ٢٩, ٢، ضبابية الأدوار المنوطة بالمتطوعة بمتوسط ٢٢, ٢، الخوف من الالتزام بمتوسط ١٩, ٢، معوقات بسبب الأعراف والتقاليد بمتوسط ١١, ٢، استغلال مرونة العمل التطوعي لحد التسبب بمتوسط ٠٩, ٢.

التوصيات

وفي ضوء نتائج الدراسة تم وضع التوصيات التالية:

- يجب على المؤسسات المتمثلة في المدارس والجامعات والمؤسسات الدينيةحث الطالبات على المشاركة بالعمل التطوعي خاصة في العطلة الصيفية، والإجازات، والمناسبات الوطنية المختلفة ونحوها.
- تشجيع العمل التطوعي بين الطالبات، وإيجاد فرص حقيقية لمشاركتهن وابتكار وفتح أنشطة تطوعية ومجالات جديدة في المجال الجامعي.
- إنشاء وحدة خاصة للطالبات المتطوعات داخل المؤسسات الاجتماعية والجمعيات الخيرية يشرف على تدريبهن وتوزيع المهام عليهن وينظم طاقاتهم، ويحسبهم بالشعور بالمسؤولية.
- محاولة فهم وتقبل احتياجات الجيل الجديد من المتطوعات وتطوير البرامج التطوعية الموجودة بحيث تلائم الاحتياج المجتمعي مع إمكانياتهم، وقدراتهن، وبما يتناسب مع الإمكانيات التعليمية للمؤسسات.
- ضرورة دعم وتبني الجامعات العمل التطوعي مادياً ومعنوياً على المستوى الاجتماعي لأنه جزء لا يتجزأ من عقيدتنا الإسلامية.

- تشجيع الطالبات في مختلف المراحل الدراسية على العمل التطوعي في المجتمع والحث عليه حتى يصبح سلوكاً اجتماعياً بل ظاهرة اجتماعية.

- ضرورة تكثيف الجهود الإعلامية وإبراز أهمية العمل التطوعي من الناحية الدينية والإنسانية والاجتماعية.

- دعوه وسائل الإعلام المختلفة إلى نشر أدبيات وثقافة العمل التطوعي للمجتمع والتعرف على أهم النشاطات التطوعية التي يقوم بها الشباب في المؤسسات الاجتماعية.

- أهمية التنشئة الأسرية وتركيز الأهل على تربية أبنائهم على مساعدة الآخرين، لأن العمل الخيري يبدأ بالمنزل أولاً. مع العمل على غرس قيم العمل الخيري وتعليم الأطفال إدارة المال والعطاء وتنمية تراث العطاء، وتشجيعهم على بذل الجهد والوقت في عمل مفيد.

- يجب أن تضم البرامج الدراسية للمؤسسات التعليمية المختلفة بعض المقررات الدراسية التي تركز على مفاهيم العمل الاجتماعي التطوعي وأهميته ودوره التنموي شرط أن يقرن ببعض البرامج التطبيقية كنشاط مما يثبت هذه القيمة في نفوس الأطفال.

- ضرورة معالجة المعوقات التي تواجه الطالبات الملتحقات بالعمل التطوعي.

المراجع العربية

- ١- التركي، ماجد بن عبد العزيز، الإعلام والعمل التطوعي «دراسة لدور الاعلام في التعريف بالعمل التطوعي وتفعيله»، الرياض، ١٤٢٢.
- ٢- الجهيني، مانع حماد، دراسة دور المؤسسات في الخدمات التطوعية بالمملكة العربية السعودية، أبحاث وأوراق عمل المؤتمر العلمي الأول للخدمات التطوعية بالمملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى مكة المكرمة، ١٤١٨.
- ٢- الحجي، سعد أحمد، الجمعيات النسائية الاجتماعية بدول مجلس التعاون لدول الخليج دراسة توثيقية، الكويت، ٢٠٠١ م.
- ٤- الحجيل، سليمان بن عبد الرحمن، نظام وسياسة التعليم في المملكة العربية السعودية، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط١٥، الرياض، ٢٠٠٢ م.
- ٥- الزهراني، علي بن إبراهيم، مجالات العمل التطوعي في الميدان التربوي، سلسلة مركز الدراسات والبحوث (٣)، ط (١)، مؤسسه الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية، ١٤٢٦.
- ٦- عامر، طارق عبد الرؤوف محمد، تصور مقترح لتطوير دور الجامعة في خدمه المجتمع في ضوء الاتجاهات العالمية الحديثة، ٢٠٠٧ م.
- ٧- عبد السلام، مصطفى محمود، تفعيل دور العمل التطوعي في تنمية المجتمع، مقترحات لتطوير العمل الاجتماعي، المجلة العربية، ع (٣٤٣)، ٢٠٠٥ م.
- ٨- عثمان، صالح محمد، وآخرون، المرأة المسلمة ودورها التطوعي والخيري «ملف العدد»، الشقائق مجلة شهرية شاملة، ع ٥٤، ٢٠٠٢ م.
- ٩- عرفة، محمد، تقرير حول المؤتمر الدولي (العمل التطوعي والأمن في الوطن العربي)، مجلة التعاون، ع ٥٣، ١٤٢٢.
- ١٠- العمري، علي أحمد، دخیل الله حمد الصريري، مفهوم الخدمة التطوعية ومجالاتها، أبحاث وأوراق عمل المؤتمر العلمي الأول للخدمات التطوعية بالمملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى مكة المكرمة ١٤١٨.
- ١١- القثمي، حسن عمر، التطوع في المنظمات الخيرية، كتاب المنال الثالث، مدينة الشارقة للخدمات، ط١، ٢٠٠٢ م.
- ١٢- القطري، منصور، إدارة العمل التطوعي ومعوقاته، أنماط المجتمع الأهلي، كتاب الكلمة ٢، دار الصفاة، بيروت، لبنان، ١٩٩٦ م.
- ١٢- محمد، محمد عبد الفتاح، الجمعيات الأهلية النسائية وتنمية المجتمع، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ٢٠٠٦ م.
- ١٤- المنيف، حصة بنت محمد عبد الله، الجهود التربوية للجمعيات الخيرية النسائية السعودية، دار الملك عبد العزيز، الرياض، ٢٠٠٥ م.
- ١٥- النعيم، عبد الله العلي، العمل الاجتماعي التطوعي مع التركيز على العمل التطوعي في المملكة العربية السعودية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ٢٠٠٥ م.
- ١٦- ورقة عمل: تفعيل دور المنظمات التطوعية في المملكة العربية السعودية، مقدمة إلى المؤتمر السعودي الثاني للتطوع، إعداد مركز البحوث والدراسات، الرياض، ١٤٢٩.
- ١٧- أبو النصر، مدحت (٢٠٠٧): إدارة منظمات المجتمع المدني، القاهرة، ايتراك للنشر والتوزيع، ط١.

References:

- Wenocur, Stanly (1987): Social Planning In The Voluntary Sector, In Encyclopaedia of social work, 18th edition. vol; 2, n. a. s. w, Washington, d. c.
- Clark, Chris (1991): Theory and Practice In Voluntary Social Action, N. Y, Grower Publishing Company.
- Gill M. Land Mawby, R. (1990): Volunteers in the Criminal Justice System, Milton Keynes, Open University Press.
- Healy, Lynne (1995): International Social Welfare Organizations and Activities, In Encyclopedia of Social Work, Edition, N. A. S. W, Washington, D. C.
- Pablo, Eisenberg(2000): Non-Profit and Voluntary Sector Quarterly, The Non-Profit Sector In A Changing World, U. S. A, Sage Publications, June.
- Rodger, John (2000): From Welfare State to Welfare Society, London, Mac Millan.
- Allmendinger, Philip (2000): Introduction to Planning Practice, New York, John Wiley, Sons, LTD.
- Barker, Robert (1995): The Social Work Dictionary, 3rd Ed., Washington, D. C, N. A. S. W, Press.

تشخيص وعلاج اضطراب عجز الانتباه المصحوب بالنشاط الحركي المفرط لدى الأطفال

د. مسعودة مفتاح أحمد عبد الرحمن



programmers through training courses. 3) encourage doctors and psychiatric professionals to be open to everything new in the domain of developed countries, through the specialized scientific conferences. 4) Awareness among the community of parents, teachers and others about the symptoms and causes of attention deficit hyperactivity disorder (ADHD), excess through different communication media.

Keywords: diagnostic, therapeutic strategies, attention deficit, hyperactivity.

Diagnosis and treatment of Attention deficit hyperactivity Disorder in children (ADHD)

Abstract

The aim of current research to identify methods and strategies for the diagnosis and treatment of attention deficit hyperactivity disorder (ADHD), may the researcher used descriptive analytical diagnosis steps reviewed and treatment strategies used by doctors, psychologists and recommended some of the recommendations of: 1) Encourage researchers and help them to design educational and treatment programs as well as conduct more studies on the reasons behind this problem. 2) Train teachers to implement treatment

• دكتورة في علم النفس التربوي، عضو هيئة التدريس، قسم التربية وعلم النفس، جامعة طرابلس/ ليبيا.

mmm69_2005@hotmail.com

ملخص البحث

هدف البحث الحالي إلى التعرف على أساليب واستراتيجيات تشخيص وعلاج اضطراب عجز الانتباه المصحوب بفرط الحركة الزائدة وقد استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي واستعرضت خطوات التشخيص المتبعة واستراتيجيات العلاج المستخدمة من قبل الأطباء والمتخصصين النفسيين وأوصت ببعض التوصيات منها: (١) تشجيع الباحثين ومساعدتهم من أجل تصميم البرامج العلاجية التربوية وكذلك إجراء المزيد من الدراسات حول الأسباب التي تقف وراء هذه المشكلة. (٢) الاهتمام بتدريب المعلمين على تطبيق البرامج العلاجية من خلال دورات تأهيلية. (٣) تشجيع الأطباء والمختصين النفسيين على الانفتاح على كل ما هو جديد في المجال في الدول المتقدمة، وذلك من خلال حضور المؤتمرات العلمية المتخصصة. (٤) نشر الوعي بين أفراد المجتمع من أولياء الأمور والمعلمين وغيرهم، وتعريفهم بأعراض وأسباب حالة اضطراب عجز الانتباه وفرط الحركة الزائدة من خلال وسائل الإعلام والاتصال المختلفة.

مصطلحات البحث: التشخيص، الاستراتيجيات العلاجية، اضطراب الانتباه، فرط النشاط.

مقدمة

الانتباه من أهم العمليات العقلية التي لها دور هام وفعال للنمو المعرفي، به ينتقي الطفل المنبهات الحسية التي تساعده على اكتساب مختلف المهارات والمعارف والعادات السلوكية الإيجابية، وهو عنصر فعال في كافة الأنشطة الأكاديمية والمعرفية، وقد يعاني بعض الأطفال من اضطراب الانتباه الذي يظهر في عدم قدرتهم على التركيز على المنبهات، وعادةً ما يكون مصحوب بالنشاط الحركي المفرط والاندفاعية والتعجل في تصرفاته وذلك يجعله يتصرف قبل أن يفكر، مما يؤدي إلى صعوبات تعليمية ويؤخره دراسياً، إن هذا الاضطراب يترك أثره السلبي على الطفل وأسرته من نواح متعددة، ويجعل حياتهم صعبة للغاية في كثير من الأحيان، وتذكر أفضل التقديرات عن مدى انتشار اضطراب عجز الانتباه والنشاط الحركي الزائد بأنها «بين ٣-٧٪ في فئة سن دخول المدرسة، ويزيد عدد الذكور الذين لديهم هذا الاضطراب عن الفتيات» (جروان والعميرة وآخرون، ٢٠١٣) وتشير دراسة «مقاطعة انتاريو بكندا أن معدل الانتشار هو بين ٥،٤-١٤٪ كما أن نسبة انتشارها بين الذكور تفوق الإناث إذ بلغت ٣،٢٪، وأما في بريطانيا فتشير الدراسات إلى أن معدل الانتشار في المدارس البريطانية هو ٨،١٪ وهم يشكلون ٥٪ من طلاب المدارس، أما دراسة القرعان (٢٠٠٦) في مصر على عينة بلغت أربعمئة وسبعون طفل في ثلاث مدارس لأطفال تتراوح أعمارهم ما بين ٧-٩ سنوات أشار إلى أن معدل الانتشار هو ٦،٢٪» (خصاونة، ٢٠١٣). وكون هذه الحالة اضطراباً، فمن الممكن مساعدة

الطفل على اجتيازها والتغلب عليها من خلال إجراءات التشخيص العلمي الدقيقة، وبطرق علاجية أو تدريبية متعددة.

لذا فإن مشكلة البحث الحالي تتمثل في الإجابة على التساؤلات التالية :

١. ماهي أساليب تشخيص اضطراب الانتباه المصحوب بالنشاط الحركي المفرط لدى الأطفال؟
٢. ماهي استراتيجيات العلاج المتبعة لعلاج اضطراب الانتباه المصحوب بالنشاط الحركي المفرط لدى الأطفال؟

أهداف البحث

- ١- الكشف عن أساليب تشخيص اضطراب الانتباه المصحوب بالنشاط الحركي المفرط لدى الأطفال.
- ٢- التعرف على استراتيجيات العلاج المتبعة لاضطراب الانتباه المصحوب بالنشاط الحركي المفرط لدى الأطفال.

منهج البحث

سوف تستخدم الباحثة المنهج الوصفي التحليلي لمناسبته لموضوع البحث، وهو دراسة نظرية وتحليل تربوي لأدبيات المجال.

أهمية البحث

١. لفت انتباه الوالدين والمربين إلى ضرورة تفهم حالة الطفل المصاب والتعاون من أجل إعداد خطط العلاج الفردية التي تتمشى وحالة الطفل.
٢. تنبيه الجهات المسؤولة عن تقديم الخدمات للفتات الخاصة إلى ضرورة تقديم المساعدة للطفل وأسرته وعدم إهمال الحالات حتي لا تزداد نسبة الفاقد من الطاقات البشرية في المجتمع.
٣. تنبيه الأخصائيين النفسيين العرب إلى ضرورة العمل على تصميم البرامج العلاجية والخطط الجماعية والفردية وتقنين ما تم تصميمه مقاييس وأدوات تشخيصية في البيئات الأجنبية ليتلائم وطبيعة البلدان العربية.

المحور الأول: الإطار المفاهيمي

اضطراب الانتباه وفرط النشاط

«يعرف اضطراب عجز الانتباه المصاحب بالنشاط الحركي الزائد على أنه المشاكل المحددة في معالجة المعلومات والذي له علاقة بعدم قدرة الفرد على اتمام أو التركيز على المهمة المعطاة له». (محمود، ٢٠١٣، ص ١٧٧). وتعرفه منظمة الأطفال والراشدين ذوي ضعف الانتباه المصحوب بالنشاط المفرط The Organizatio for Children and Adults with Attention-Deficit Hyperactivity disorder - CHADD، بأنه «اضطراب ضعف الانتباه المصحوب بالنشاط المفرط (ADHD) هو عبارة عن حالة تؤثر على الأطفال والراشدين والتي تظهر لديهم على شكل مشاكل في الانتباه، الاندفاعية Impulsivity، والنشاط المفرط overactivity. (محمود، ص ١٧٨). هذا وقد صنف باركلي (Barkley, 1998) ذوي اضطراب عجز الانتباه المصحوب بفرط النشاط الزائد في ثلاثة معايير تشخيصية متمثلة في: ضعف الانتباه، النشاط الزائد، الاندفاعية، وأنهم يظهرون خصائص نمائية في مراحل مبكرة لا تناسب عمرهم الزمني ومستواهم النمائي، وتؤثر على قدرتهم على الانتباه وعلى سلوكهم الحركي، وضبط السلوك الاندفاعي لديهم وفقاً للمعايير الاجتماعية ولا تعود أسباب الاضطراب إلى أسباب حسية أو لغوية أو إلى الإعاقة الحركية، أو الاضطرابات الانفعالية الشديدة.

وصنف (Wiener 2003) اضطراب فرط الحركة ونقص الانتباه بأنه «اضطراب سلوكي فوضوي يصاحبه اضطراب المعارضة والعصيان، واضطراب السلوك إلى جانب اضطراب الشخصية المعادية للمجتمع».

التشخيص: «هو الفهم المتكامل الذي تكون لدى المرشد حول المشكلة أو الاضطراب الذي يعاني منه المسترشد عن طريق المعلومات المختلفة (المقابلة، الملاحظة، دراسة الحالة، الاختبارات النفسية والسيكومترية والإسقاطية، وينقل المرشد هذا الفهم في العادة إلى لغة تقرير متكامل حول الحالة التي يعاني منها المسترشد يعتمد المرشد أساساً في رسم خطة للإرشاد أو العلاج». (الرفاعي، ١٩٨٢، ص ٦٧)

الاستراتيجيات العلاجية: هي تلك الوسائل والطرق والأدوات والبرامج التي يستخدمها الأطباء النفسيون والمختصون في التربية الخاصة من أجل تعديل السلوك وعلاج الحالة التي يعاني منها المريض.

المحور الثاني: أساليب تشخيص اضطراب الانتباه المصحوب بالنشاط الحركي الزائد

أولاً: أعراض اضطراب الانتباه المصحوب بالنشاط الحركي الزائد

إن التقييم خطوة ضرورية قبل اتخاذ قرارات حول أحقية الخدمات العلاجية، إن تشخيص اضطراب عجز الانتباه المصحوب بالنشاط الحركي الزائد يعتمد على ملاحظة السلوكيات، ومعيار هذه السلوكيات موضح في دليل التشخيص والإحصاء للاضطرابات العقلية، الطبعة الرابعة المنقحة (DSM-IV-TR). (الحسن، ٢٠١٣). وقد أكد هذا الدليل على أن هذه الأعراض يجب أن تظهر على الطفل قبل التشخيص بستة أشهر متتالية على الأقل، كما يجب أن تظهر قبل عمر سبع سنوات على أن يكون ظهورها في كل من البيئة المنزلية والمدرسية معا وهي كما يلي: (١) يجد الطفل صعوبة في الانتباه لشكل المنبه ومكوناته، ولذلك فإنه يخطئ كثيراً في واجباته الدراسية والأعمال التي يقوم بها، والأنشطة التي يمارسها. (٢) لا يستطيع التركيز لمدة طويلة على منبه واحد، ويجد صعوبة في عملية الإنصات، كما أنه لا يستطيع متابعة التعليمات ويفشل في إنهاء الأعمال. (٣) أعماله دائماً تخلو من النظام والترتيب، وابتعد عن الأعمال التي تتطلب منه مجهوداً عقلياً كما أنه ينسى الأشياء الضرورية التي يحتاجها سواء كانت خاصة بالناحية الدراسية مثل الكتب والأقلام والواجبات المنزلية، أو خاصة بالأنشطة مثل الملابس واللعب. (أحمد وبدر، ١٩٩٩). (٤) غالباً ما يتمللمل أو يبدي حركات عصبية بيديه أو رجليه، أو يتلوى في مقعده يترك في الفصل. (٥) غالباً ما يجري في المكان، أو يتسلق بشكل مفرط في المواقف غير المناسبة لذلك. (٦) غالباً ما يجد صعوبة في اللعب بهدوء أو الانغماس في أنشطة وقت الفراغ. (٧) غالباً ما يندفع في إعطاء الإجابات قبل أن يتم استكمال الأسئلة ويتحدث بشكل مفرط. (٨) غالباً ما يجد صعوبة في انتظار دوره، ويقاطع الآخرين أو يضايقهم.^(١)

ويعتمد التشخيص الأولي لاضطرابات قصور الانتباه أو قصور الانتباه المصحوب بالحركة المفرطة على ثلاثة مصادر رئيسية: (١) المعلومات التي يتم الحصول عليها من أولياء الأمور. (٢) السجلات الطبية والنفسية التي تحتوي على تاريخ نمو الطفل العضوي والنفسي. (٣) الملاحظات التي يتم تسجيلها عن الخصائص السلوكية للطفل. (سيسالم، ٢٠٠٦، ص ٦٧). في نفس السياق نادى باركلي (Barkley, 1998) بأهمية أن تتضمن إجراءات التشخيص الفحص الطبي والمقابلة الإكلينيكية واستخدام المقاييس من قبل الأطباء والأخصائيين النفسيين.

(1) Used with permission of American Psychiatric Association, from Diagnostic and Statistical Manual of Mental Disorders 4th ed., TR; Permission Conceyed Through Copyright Clearance Center, Inc.

ثانياً: أدوات قياس وتشخيص اضطراب الانتباه المصحوب بالنشاط الحركي الزائد

يستخدم المتخصصون من أطباء نفسيين، اختصاصيو التربية الخاصة، المؤهلون في مجال التشخيص والتقييم عدة أساليب وأدوات نذكر منها:

١. مقياس ضعف الانتباه والنشاط الزائد - Attention Deficit Hyperactivity Disorder Test ADHDT. يستخدم للأعمار من ثلاثة إلى ثلاثة وعشرين سنة وشكلت فقراته بناءً على معايير التشخيص المعتمدة في الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات العقلية ويقوم بتعبئة المقياس كل من المعلمين أو الوالدين أو المختصين المؤهلين ويتضمن ٣٦ فقرة. (Gilliam, 1995)

٢. قائمة تقدير السلوك لاضطراب ضعف الانتباه والنشاط الزائد ADHD Rating Scale_IV: صممت لاستخدامها مع الأطفال والمراهقين الذين تتراوح أعمارهم ما بين خمس إلى سبع عشرة سنة، ويمكن استخدامها من قبل المعلمين أو الوالدين أو المختصين النفسيين.

٣. مقياس تقييم سلوك الأطفال The Behavioral Assessment System for children: يشترك في أدائه المعلمون وأولياء أمور الطلبة ويهدف إلى قياس الاضطرابات السلوكية والانفعالية التي يظهرها الأطفال الذين يعانون من الاضطرابات. (خصاونة، ٢٠١٢)

٤. مقياس المدرس Teacher's Scale: يستخدم للحصول على معلومات مرتبطة بالسلوك التكيفي للطفل داخل الفصل، ويشتمل على عدة عناصر أهمها: عدم القدرة على تكوين علاقات مع الزملاء، عدم تركيز الانتباه، العصبية والنشاط الحركي المفرط، القلق، الانسحاب الاجتماعي، القابلية للإلهاء وشروذ الذهن، الاستحواذ والعدوانية. (سياسم، ٢٠٠٦، ص ٨٦)

من خلال هذا الطرح نستنتج تنوع الأساليب والاختبارات والمقاييس المستخدمة في تقييم حالات الأطفال الذين يعانون من اضطراب عجز الانتباه والنشاط الحركي المفرط، وبناءً على الأعراض التي يبدونها هؤلاء الأطفال يمكننا القول بأن تطبيق هذه المقاييس من قبل الطبيب النفسي والاختصاصي النفسي على من يعانون من تشتت الانتباه وفطرت النشاط ليس بالمهمة السهلة، لذا فإنه من المجدي الاستعانة بالاختبارات التقييمية التي يتم توجيهها للأفراد القائمين على رعايتهم وتربيتهم من الوالدين والمعلمين فهم أكثر قرباً منهم وعلى اتصال مباشر بهم وملاحظون مستمرين لسلوكياتهم.

المحور الثالث: استراتيجيات العلاج المتبعة لاضطراب الانتباه المصحوب بالنشاط الحركي

قبل أن نتطرق لاستراتيجيات العلاج المقترحة من قبل المختصين في المجال نود أن نعرض الخطوط الرئيسية لأكاديمية طب الأطفال الأمريكية حيث قامت بوضع هذه الخطوط في عام (٢٠٠١) لعلاج اضطراب عجز الانتباه المصحوب بالنشاط الحركي وهي كما يلي: (١) يجب أن تضع عيادات الرعاية الأساسية برنامجاً علاجياً يعترف باضطراب عجز الانتباه المصاحب بالنشاط الزائد كحالة مزمنة. (٢) يجب على كل من الأطباء والآباء والطفل التعاون مع كادر المدرسة لتحديد المخرجات المستهدفة للملائمة لتوجيه العلاج. (٣) يجب على الأطباء التوصية بعلاجات محفزة أو/وعلاج سلوكي بشكل ملائم؛ لتحسين النتائج المستهدفة للأطفال ذوي اضطراب عجز الانتباه المصاحب بالنشاط الزائد. (٤) عندما لا يلائم العلاج المختار للطفل ذو اضطراب عجز الانتباه المصاحب بالنشاط الزائد المخرجات المستهدفة، يجب على الأطباء تقييم التشخيص الأصلي، واستخدام العلاجات الملائمة، والالتزام بخطة العلاج ووجود حالات متزامنة. (الحسن، ٢٠١٣، ص ٢٣٥)

استراتيجية العلاج الطبي: يشير الأطباء إلى أن الاضطراب قد يرجع لاختلال التوازن في القواعد الكيميائية الموجودة في الناقلات العصبية بالمخ، أو في نظام النشاط الشبكي لوظائف المخ، ولذلك فإن العلاج الكيميائي الذي يستخدم في هذه الحالة من خلال العقاقير الطبية يهدف إلى إعادة التوازن الكيميائي لهذه القواعد ورفع الكفاءة الانتباهية لدى الطفل وزيادة التركيز وتقليل مستوى الاندفاعية. (أحمد وبدر، ١٩٩٩). يوصف الدواء للعديد من الأطفال المصابون بالاضطراب ولكن الدواء المثالي هو الذي يسيطر على النشاط الزائد دون أن تكون له آثار جانبية أو تأثيرات سامة وهذا ليس بالمهمة السهلة ويتطلب جهداً كبيراً من الأطباء.

استراتيجية تنظيم البيئة الصفية وتقليل المشتتات: قام كروشاك (Cruikshank) بتصميم برنامج يؤكد على خفض أو تقليل المثيرات غير الضرورية وتدعيم المثيرات الضرورية أو اللازمة لحدوث التعلم، وأوصى بوضع الطلاب الذين يتشتت انتباههم في حجرة دراسية تخلو من المثيرات الخارجية. وقد تضمنت التغيرات المقترحة في الفصل وجود حوائط وأسقف عازلة للصوت وخزانات كتب، والاستخدام المحدود للوحات الإعلانات أو النشرات الملونة، وأشار إلى أن البرنامج التربوي الذي يتم تقديمه لهم يجب أن يتسم بدرجة عالية من التنظيم ويؤكد كروشاك على ضرورة أن يقوم المعلم بتحديد جدول زمني دقيق يصف خلاله تقديم الأنشطة التربوية المختلفة، وأدائها مما لا يتيح أمامهم في الواقع سوى فرص قليلة للغاية للإشراك في سلوكيات غير منتجة من جانبهم. (هالاها، ولويد، ٢٠٠٥)

استراتيجية الإدارة المشروطة للذات: أشاد المختصون بالدور الذي يلعبه التعزيز كشرط في الإدارة المشروطة للذات، والتعزيز يمكن أن يكون مادياً أو معنوياً كالثناء أو المدح الاجتماعي الذي يؤدي بدوره بالإدارة الذاتية أو إدارة الذات إلى أن تصبح أكثر فعالية. (جروان والعمامرة وآخرون، ٢٠١٣)

استراتيجية العلاج الأسري: هدفه تعديل البيئة المنزلية للطفل المصاب لكي تصبح ملائمة للعلاج وتدريب الوالدين على كيفية تعديل السلوك المشكل لدى طفلهم في بيئته الطبيعية. (الأحرش والزبيدي، ٢٠٠٨)

التوصيات والمقترحات

١. تشجيع الباحثين ومساعدتهم مادياً ومعنوياً من أجل تصميم البرامج العلاجية التربوية وكذلك إجراء المزيد من الدراسات حول الأسباب التي تقف وراء هذه المشكلة.
٢. الاهتمام بتدريب المعلمين على تطبيق البرامج العلاجية من خلال دورات تأهيلية.
٣. تشجيع الأطباء والمختصين النفسيين على الانفتاح على كل ما هو جديد في المجال في الدول المتقدمة وذلك من خلال حضور المؤتمرات العلمية المتخصصة.
٤. نشر الوعي بين أفراد المجتمع من أولياء الأمور والمعلمين وغيرهم وتعريفهم بأعراض وأسباب حالة اضطراب عجز الانتباه وفرط الحركة الزائدة من خلال وسائل الإعلام والاتصال المختلفة.

المراجع

أولاً: المراجع العربية

- أحمد، السيد علي السيد، ويدر، فائقة محمد. (١٩٩٩). اضطراب الانتباه لدى الأطفال، أسبابه وتشخيصه وعلاجه. ط ١، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
- جروان، فتحي، والعمامرة، موسى وآخرون. (٢٠١٣). الطلبة ذوي الحاجات الخاصة، مقدمة في التربية الخاصة. ط ١، عمان: دار الفكر.
- الحسن، سهي محمد هاشم. (٢٠١٣). صعوبات التعلم والإعاقات البسيطة ذات العلاقة خصائص واستراتيجيات تدريس وتوجهات حديثة. ط ١، عمان: دار الفكر.
- خصاونة، محمد احمد. (٢٠١٣). صعوبات التعلم النمائية. ط ١، عمان: دار الفكر.
- الرفاعي، نعيم. (١٩٨٢). العيادة النفسية. الجزء الأول. دمشق: منشورات جامعة دمشق.
- سيسالم، كمال سالم. (٢٠٠٦). اضطراب قصور الانتباه والحركة المفرطة، خصائصها وأسبابها-أساليب علاجها. العين: دار الكتاب الجامعي.
- محمود، أماني. (٢٠١٣). تعليم الأطفال ذوي الحاجات الخاصة. عمان: دار الفكر.
- هالاهان، دانيال، ولويد، جون. (٢٠٠٥). صعوبات التعلم، مفهومها-طبيعتها- التعليم العلاجي. ترجمة عادل عبد الله أحمد (٢٠٠٧). ط ١. مصر: دار الفكر.

ثانياً: المراجع الأجنبية

- Barkley, R. A. (1998). Attention Deficit hyperactivity disorder. A Scientific American, 279 (3), 66_72.
- Wiener, Jerry M. (2003). Textbook of Child & Adolescent Psychiatry. Washington, DC: American Psychiatric Association. ISBN 2-057-58562-1.

السلوك الوسطي لدى طلبة الدراسات الاجتماعية بكلّيات العلوم التطبيقية في سلطنة عُمان وعلاقته ببعض المتغيرات

Median Behavior of social studies students at college of applied
Sciences in the Sultanate of Oman and its relation to some variables

د. سعود بن سليمان بن مطر النبهاني



الاقتصادية والسياسية لدى الشعوب، كما
تعتمد على دعم المغرضين تحت دعاوى
مأجورة، وشعارات براقة رخيصة، غير
أن هذه التوجهات الخبيثة - وللأسف -
سرعان ما نمت وترعرعت، فأثمرت ثماراً
سيئة كانت نتيجتها بروز تيارات متطرفة
في مختلف المجالات الحياتية.

وها هو عالمنا اليوم يضح
بالتناقضات المختلفة، والاختلافات
المتناقضة التي تؤكد حالة اللا وعي التي
تعيشها شعوب العالم بأسره، ولكن مع

يشهد العالم في العصر الحالي
تقدماً علمياً ومعرفياً كبيراً، أسهم في
تشكيل أنماط فكرية وسلوكية جديدة،
كانت نتاجاً حتمياً لما عرف بانفجار
المعرفة وتأثيرها على المجتمعات
البشرية، فأصبحت المجتمعات تزخر
بالبطاقات الهائلة، والابتكارات المذهلة،
والإبداعات المبهرة، مما جعل الإنسان -
وهو صانع هذه الحضارة - هائماً في آفاق
غير محدودة، وعاجزاً عن إدراك أبعادها
الحسية والمعنوية، فطغت الحضارة على
صانعها بدعوى المدنية، وتفوقت عليه
بدلالة التقدم والعصرية.

وقد ساعد كل هذا في تكوين
وتأهيل بيئات بشرية ملائمة لنمو
توجهات فكرية خبيثة متسلقة، تعتمد في
بقائها على قشور الحضارة ومخلفاتها،
وعلى ضحالة الفكر، وتردي الأوضاع

• دكتورة الفلسفة في التربية، مساعد عميد كلية العلوم التطبيقية بنزوى للشؤون الأكاديمية المساندة، وأستاذ
مشارك في المناهج والتدريس، قسم المتطلبات العامة. saud_nebhani.niz@cas.edu.om

هذا كله، وفي ظل هذا التردّي المقيت يتأكد لنا وجود تيار عقلاني منطقي، يُحكّم العقل، ويُعَمِّلُ الفكر في تناوله لأي ظاهرة كانت طبيعية أم بشرية، هذا التيار كثيراً ما عبر عنه المنظرون بأنه تيار وسطي، بدلالة أنه يتماشى في أفكاره وتوجهاته مع الدعوة الفطرية التي جبل الإنسان عليها، وهذا يدل دلالة واضحة على أن الوسطية هي الأصل في خلق الكون، وما عداها توجهات بشرية تصادم الفطرة في أغلب أحوالها.

لقد أصبحت الوسطية مطلباً أساسياً تنشده جميع دول العالم، في فترة يغلب عليها النزوع نحو التكتل القائم على المصلحة الذاتية، غير أن هذا الرابط الذي يوحد العالم ما لبث أن انبرى ليكشف عن خطر حقيقي يحرق بالأمن العالمي، ويسعى للقضاء عليه، فتآلف الفرقاء، وتوحد المختلفون، ولكن المثير للدافع لذلك متأرجح بين مد وجزر، وقوة ويأس، ومع هذا فالخطر المخالف للفطرة البشرية ما زال في نمو وانتشار، ولكن هل إلى الحل من سبيل؟

إن عالمنا اليوم يعيش مرحلة تاريخية مهمة، تشهد ميلاد مصطلحات جديدة - على الأقل في أهدافها ومدلولاتها العصرية - تتناسب مع التوجهات المصادمة للسلوكيات الفطرية، المدعومة من قبل بعض التيارات المغرضة في المجتمع، فظهر الإرهاب، والتعصب، التشدد، والتزمت، وغيرها من المصطلحات التي حملت أكثر مما تحمله مدلولاتها اللغوية في أكثر أحوالها تعقيداً، لتقف بذلك موقف الند أمام الوسطية بمدلولاتها الإيجابية في منطق الميزان العالمي.

وهنا ليس من المنطق إنكار حقيقة مهمة يقرها المنطق البشري، ويؤكدها العقل الإنساني، حقيقة تعايشها مجتمعاتنا الإنسانية في أسنى مراتب رقيها، وتشهدها المجتمعات في أدنى مراحل تخلفها، وهي حقيقة أن البشرية واقعة بين الوسطية في أبهى حللها، والتشدد والمغالاة في أقبح صورها، كما أنه ليس من المنطق إطلاق المصطلحات هكذا جزافاً على أعنتها، دون تحديد لمعانيها واتفاق على مضامينها، وعلى هذا فالواقع يفرض علينا تحديد مدلولات المصطلحات، حتى نتمكن من تحقيق مبدأ العالمية في التعامل مع القضايا والمتغيرات العصرية.

إن ما سبق يدفع بالقول بأن الوسطية مصطلح يشمل مختلف مجالات الحياة، غير أنه أصبح مصطلحاً فضفاضاً لدرجة كبيرة، ولهذا لم يعد كافياً أن يعلن أي فرد أو جماعة عن التزامه بالوسطية وحسب، بل عليه أن يحدد أي نوع من الوسيطة، وما هو موقفها من القضايا الحيوية المثارة في المجتمع، كما أن مصطلح الوسطية أصبح واسع الاتساع،

فبات يشمل مختلف العناوين من الإسلامية إلى الليبرالية والعلمانية والتعددية وغيرها، وهذا يؤكد على ضرورة ضبط المصطلح والاتفاق على تحديد تعريف مناسب له، حتى تتمكن من وضع المصطلح في موضعه المناسب في سياق التفاعلات الحياتية^(١).

ويرى الراوي^(٢) أن الوسطية كمفهوم يمكن أن يكون بديلاً عن منزلق الإفراط وهواية التفريط، وهذا يعني أنها دلالة على طابع التوازن والتكامل والانسجام في مختلف الأمور، بمعنى أن الوسطية تقدم خيار الحوار على خيار الصدام والصراع الذي لا يمكن أن يكون في مصلحة أحد.

وعلى هذا يجد الباحث أنه من الضروري تعريف مفهوم الوسطية كمدخل تبسيطي يتم من خلاله فهم الوسطية وفق المنهجية التربوية التي يقوم عليها البحث الحالي، من أجل الوصول إلى الفهم السليم للسلوك الوسطي الذي تستهدفه هذه الدراسة.

إن الوسطية كما يراها عبد الرضا^(٣) هي حالة خطائية أو سلوكية محمودة، تصمم الفرد من الميل إلى جانب الإفراط والتفريط، مشيراً إلى أن لفظ الاعتدال لفظ معبر عن مفهوم الوسطية بشكل دقيق.

أما الزحيلي^(٤) فيرى أنها الاعتدال في الاعتقاد والمواقف والسلوك والنظام والمعاملة والأخلاق، وهذا يعني أن الوسطية تتضمن الاعتراف بالحرية للآخرين لا سيما الحرية الدينية، وهو ما شرعه الإسلام في قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (البقرة: ٢٥٦). وبهذا فالوسطية وفق هذا التعريف تجمع بين الماديات والروحانيات، وهي أمور تميز بها الدين الإسلامي الحنيف.

ويذهب الماجد^(٥) إلى أن الوسطية تعني الخيرية دائماً، مؤكداً على ضرورة عدم التطرف في تعريفها، حتى لا تذوب في عالم التنظير، فتصبح عملية صعبة الممارسة، بسبب التعنت في وضع حدود لها، ولهذا فهو يرى أن الوسطية تختلف باختلاف المجتمعات وتنوعها.

والوسطية هي طريقة في التفكير والتعامل والنظر، لأنها ترسم معالم الاعتدال في القراءة والطرح والتناول، مما يجعلها منهجاً معتدلاً في قراءة الأشياء^(٦).

أما القرضاوي فيعرفها بأنها التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين أو متضادين، بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير ويطرده الطرف المقابل، ولا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه ويطفئ على مقابله ويحييف عليه^(٧).

وعلى هذا فإن الباحث يستخلص من التعريفات السابقة التي تناولت تعريف مفهوم الوسطية جملة من الاستنتاجات يحددها فيما يلي:

- إن الوسطية ظاهرة اجتماعية، لكونها تنشأ في مجتمعات بشرية، غير أنها تأخذ أشكالاً مختلفة منها دينية، أو مذهبية، أو فكرية، أو اقتصادية، أو غيرها، وهي جميعها أشكال لا يمكن ظهورها إلا في وسط اجتماعي.

- إن الوسطية ظاهرة لها ثلاثة مكونات أساسية تقوم عليها هي: المكون المعرفي المتمثل في مجموعة المعارف والمعلومات المتصلة بظاهرة معينة ومحددة، ثم المكون المهاري والمتمثل في مجموعة الأداءات التي تعكس درجة التمكن من توظيف المعرفة النظرية، وهي ما يعرف بالجانب التطبيقي أو التوظيفي، وأخيراً المكون الوجداني وهو جملة السلوكيات الداخلية المتكونة في النفس البشرية جراء اعتقاد يقيني بظاهرة محددة.

- إن الوسطية كما أشارت التعريفات السابقة لا تتجاوز في مدلولها بعض المرادفات اللغوية كالانزان والاعتدال والتوسط بين الإفراط والتفريط، وغيرها، وكأن الوسطية مؤشر حساس واقع بين كفتين تمثل أحدهما قمة الإيجابية والأخرى نهاية السلبية.

وفي ضوء ما سبق يعرف الباحث مفهوم الوسطية بأنه: نهج فكري معتدل، يتبناه الفرد كمنهج حياة متكامل، يظهر على شكل سلوكيات وأداءات مختلفة، تفرضها مواقف الحياة المتعددة، يتم من خلالها تقبل الآخر كما هو.

وبالاعتماد على التعريف السابق للوسطية، نستخلص أن السلوكيات الممثلة للجانب العملي للوسطية هي أهم مؤشر يمكن من خلاله إصدار الأحكام القاطعة على وجود الفكر الوسطي في المجتمع من عدمه، ولذلك جاء هذا البحث ليتبنى فكرة السلوك الوسطي كمتغير تقوم عليه الدراسة الحالية.

إن السلوك الوسطي ظاهرة تلازم الإنسان نتيجة قناعته الأكيدة بأمر معين، فتتحول القناعة إلى سلوك أدائي يمارسه الفرد بشكل إيجابي، وهذا يدفع بالقول إلى أن السلوك الوسطي هو الحالة التطبيقية لمفهوم الوسطية، ودليل وجودها من عدمه، لأنه يخرجها من بوتقة الفكر النظري المؤطر بحدود العقل، إلى سعة الممارسة والتوظيف الفعلي.

وقد تمكن الباحث من تعريف السلوك الوسطي بأنه: كل ما يصدر عن الفرد من استجابة أدائية؛ فعلية أو قولية أو تقريرية تدل على قدرته على الضبط والتوازن والاعتدال تجاه القضايا المختلفة دون إفراط أو تفريط، وبموجبها يتم تقبل الآخر كما هو، دون

تعصب أو تشدد أو تحيد أو إقصاء. وقد تبني الباحث في هذه الدراسة خمسة مجالات مختلفة للسلوك الواسطي هي: السلوك الواسطي في المجال الديني، والسلوك الواسطي في المجال المذهبي، والسلوك الواسطي في المجال الفكري، والسلوك الواسطي في المجال السياسي، والسلوك الواسطي في المجال الاقتصادي.

مشكلة البحث وأسئلته

لما كانت الواسطية مطلباً مجتمعيّاً تشدّه مختلف دول العالم، وتحت مختلف الظروف والمتغيرات، ولما كانت الواسطية هدفاً تصنعه المجتمعات الإنسانية وفق منهجيات تكاملية تُعنى ببناء الظواهر السوية في المجتمع، كانت المجتمعات ريادة في تحديد القنوات المثلى لصناعة الواسطية في المجتمع الإنساني، تحقيقاً لرؤية فكرية تقوم على منطق سوي يؤمن بالتعددية وقبول الآخر كما هو.

ولكون التربية وسيلةً مثالية في بناء مجتمع واسطي تتحقق عن طريقه تنشئة أفراد المجتمع من خلال قنوات رسمية، ووفق إجراءات علمية سليمة، ترتقي بالمتعلم، جاءت الحاجة إلى تحويل الواسطية من فكرة مجردة وقناعة نظرية، إلى سلوك توظيفي ممارس يتضح على شكل سلوك واسطي يمثل أرقى مراحل التطبيق العملي للواسطية، يترسخ في الذات الإنسانية بكامل مكوناتها. عليه، جاء هذا البحث ليكشف عن واقع تمثل طلبة الدراسات الاجتماعية بكميات العلوم التطبيقية في سلطنة عمان للسلوك الواسطي، باعتبار أنهم صناع الواسطية، ومرسخي السلوك الواسطي في الأجيال القادمة، وبهذا استهدف هذا البحث التعرف إلى درجة امتلاك طلبة الدراسات الاجتماعية (الجغرافية والتاريخ) بكميات العلوم التطبيقية في سلطنة عمان للسلوك الواسطي كما يراه الطلبة أنفسهم وعلاقته ببعض المتغيرات، لهذا فقد تحددت مشكلة البحث في محاولة الإجابة عن السؤالين الآتيين:

س١: ما درجة امتلاك طلبة الدراسات الاجتماعية بكميات العلوم التطبيقية في سلطنة عمان للسلوك الواسطي كما يراه الطلبة أنفسهم؟

س٢: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha=0,05$) في متوسطات تقديرات أفراد عينة الدراسة حول درجة امتلاك طلبة الدراسات الاجتماعية بكميات العلوم التطبيقية في سلطنة عمان للسلوك الواسطي كما يراه الطلبة أنفسهم وفقاً لمتغير (الجنس، والاختصاص، والسنة الدراسية)؟

أهمية البحث: تتبع أهمية البحث من الأمور الآتية:

- يأتي استجابة لما نادى به المربون والعاملون في قطاع التعليم من ضرورة غرس المبادئ والقيم والسلوكيات الوسطية لدى المعلمين في مختلف المراحل والمستويات الدراسية.
- التأكيد على التوجيهات السياسية العمانية الرامية إلى تنمية وتعزيز السلوك الوسطي لدى الطالب العماني في مختلف المجالات الدينية والسياسية والاقتصادية والفكرية وغيرها.
- ندرة البحوث والدراسات التي تناولت السلوك الوسطي في السلطنة، وبناء على ذلك يعد هذا البحث - على حد علم الباحث - الأول من نوعه في سلطنة عمان.

أهداف البحث: يسعى البحث إلى تحقيق الهدفين الآتيين:

- التعرف إلى درجة امتلاك طلبة الدراسات الاجتماعية بكليات العلوم التطبيقية للسلوك الوسطي.
- الكشف عن أثر كل من متغيرات الجنس والاختصاص والسنة الدراسية على السلوك الوسطي لدى الطلبة عينة البحث.

محددات البحث

يمكن تعميم نتائج البحث الحالي في ضوء المحددات الآتية:

- اقتصر هذا البحث على التعرف إلى درجة امتلاك طلبة الدراسات الاجتماعية بكليات العلوم التطبيقية للسلوك الوسطي من وجهة نظر الطلبة أنفسهم.
- طبق البحث الحالي على طلبة الدراسات الاجتماعية بكليات العلوم التطبيقية في سلطنة عمان.
- تم تطبيق هذه الدراسة في الفصل الأول من العام الأكاديمي ٢٠٠٨/٢٠٠٩م.

مصطلحات البحث

- **السلوك الوسطي:** يعرفه الباحث بأنه كل ما يصدر عن الفرد من استجابة أدائية؛ فعلية أو قولية أو تقريرية تدل على قدرته على الضبط والتوازن والاعتدال تجاه القضايا الدينية والمذهبية والفكرية والسياسية والاقتصادية دون إفراط أو تفريط.
- **كليات العلوم التطبيقية:** هي مؤسسات تعليمية جامعية تشرف عليها وزارة التعليم العالي في سلطنة عمان، وتضم من بين اختصاصاتها اختصاص التربية، الذي يتم من خلاله إعداد المعلمين المؤهلين تربوياً وفق النظام التكاملي في الإعداد، حيث يمنح خريجها درجة البكالوريوس في التربية، بعد دراسة منتظمة لـ (١٢٢) ساعة معتمدة.

- طلبة الدراسات الاجتماعية: وهم جميع الطلاب المنتظمين للدراسة في تخصصي الجغرافية والتاريخ بكليات العلوم التطبيقية في سلطنة عمان في مستوى السنة الثانية والثالثة والرابعة.

- مستوى امتلاك السلوك الوسطي: هو الدرجة التي يحصل عليها طلبة الدراسات الاجتماعية عينة الدراسة من خلال استجاباتهم على مقياس السلوك الوسطي الذي تتبناه الدراسة.

مجتمع البحث

اشتمل مجتمع البحث على جميع طلبة الدراسات الاجتماعية (الجغرافية والتاريخ) المنتظمين للدراسة في كليات العلوم التطبيقية، في مستوى السنة الثانية والثالثة والرابعة والبالغ عددهم (١٩٤) طالباً وطالبة.

عينة البحث

تكونت عينة البحث من جميع طلبة الدراسات الاجتماعية الذين اشتمل عليهم مجتمع البحث، والبالغ عددهم (١٩٤) طالباً وطالبة، موزعين وفقاً لثلاثة متغيرات هي: الجنس والاختصاص والسنة الدراسية، والجدول رقم (١) توضح ذلك.

جدول (١): توزيع أفراد عينة الدراسة حسب متغيراتها

المتغير	المستوى/الفئة	العدد	النسبة المئوية
الجنس	ذكر	٦٣	٣٢,٥
	أنثى	١٣١	٦٧,٥
الاختصاص	جغرافيا	٩٨	٥٠,٥
	تاريخ	٩٦	٤٩,٥
السنة الدراسية	ثانية	٧١	٣٦,٦
	ثالثة	٦٠	٣٠,٩
	رابعة	٦٣	٣٢,٥
المجموع		١٩٤	١٠٠

أداة البحث

لتحقيق أهداف الدراسة الحالية استخدم الباحث مقياساً خاصة للكشف عن درجة امتلاك الطلبة عينة الدراسة للسلوك الوسطي، تم بناؤه على شكل مجموعة من العبارات التقريرية، بلغ عددها (٤٠) فقرة، موزعة على خمسة مجالات مختلفة، كل مجال منها تمثله (٨) فقرات، يقابلها خمس استجابات وفق التدرج الخماسي (موافق بشدة، موافق، محايد، غير موافق، غير موافق بشدة).

صدق الأداة

قام الباحث بعرض المقياس في صورته الأولية على مجموعة من المختصين من أجل التعرف إلى صدق المحكمين، حيث أشار جميع المحكمين إلى أن المقياس يتناسب مع الهدف الذي أعد من أجله، كما أنه يتناسب مع المستوى العمري والعقلي للطلبة عينة البحث.

ثبات الأداة

طبق الباحث أداة البحث على (٣٠) طالبة من طلبته من أجل حساب ثباتها باستخدام طريقة الاتساق الداخلي وفق معادلة كرونباخ ألفا حيث بلغت قيمة معامل الثبات (٠,٨١)، وهي مؤشر مشجع على استخدام الأداة للهدف الذي أعدت من أجله.

تصميم البحث ومنهجيته

صمم البحث الحالي وفق المنهج الوصفي، القائم على دراسة الواقع وتشخيصه كما هو. وعليه فإن المتغير التابع في هذا البحث هو: معرفة مستوى امتلاك الطلبة عينة البحث للسلوك الوسطي. أما المتغيرات المستقلة فهي: الجنس وله فئتان هما: (ذكور - إناث)، الاختصاص وله مستويان: (جغرافية - تاريخ)، السنة الدراسية ولها ثلاث فئات هي: (السنة الثانية - السنة الثالثة - السنة الرابعة).

المعالجات الإحصائية

للإجابة عن أسئلة البحث تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، واختبار «ت» (t-test) وتحليل التباين الثلاثي (Three Way ANOVA) وتحليل التباين المتعدد (MANOVA)، وذلك بهدف التعرف إلى دلالة الفروق بين المتوسطات الحسابية لأداء الطلبة عينة البحث. كما استخدم الباحث اختبار شيفيه للمقارنات البعدية.

عرض نتائج البحث

تتضمن هذه الجزئية عرض النتائج التي أسفرت عنها هذه الدراسة، والتي هدفت التعرف إلى درجة امتلاك طلبة الدراسات الاجتماعية بكليات العلوم التطبيقية في سلطنة عمان للسلوك الوسطي كما يراه الطلبة أنفسهم. وتسهيلاً لذلك قام الباحث بعرض النتائج التي تم التوصل إليها حسب أسئلة الدراسة كما هو مبين على النحو الآتي:

المعيار الإحصائي: لتفسير تقديرات أفراد عينة الدراسة تم استخدام المعيار الإحصائي الآتي للفقرات الموجبة، وعكس ذلك للفقرات السالبة.

جدول (٢): المعيار الإحصائي لتفسير تقديرات أفراد العينة

درجة قليلة جداً	٠,٩٩ - ٠,٠٠
درجة قليلة	١,٩٩ - ١,٠٠
درجة متوسطة	٢,٩٩ - ٢,٠٠
درجة كبيرة	٣,٩٩ - ٣,٠٠
درجة كبيرة جداً	٥,٠٠ - ٤,٠٠

أولاً: النتائج المتعلقة بالإجابة عن السؤال الأول، والذي ينص على: «ما درجة امتلاك طلبة الدراسات الاجتماعية بكليات العلوم التطبيقية في سلطنة عمان للسلوك الواسطي كما يراه الطلبة أنفسهم؟»

للإجابة عن هذا السؤال تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد عينة الدراسة على كل مجال من مجالات أداة امتلاك طلبة الدراسات الاجتماعية بكليات العلوم التطبيقية في سلطنة عمان للسلوك الواسطي كما يراه الطلبة أنفسهم وعلى الأداة ككل، والجدول (٣) يبين ذلك.

جدول (٣): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات المبحوثين على كل مجال من المجالات والأداة ككل مرتبة تنازلياً وفقاً للمتوسط

الرتبة	الرقم	المجال	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة التقدير
١	٢	السلوك الواسطي في المجال المذهبي	٢,٨٧	٠,٤١	كبيرة
٢	١	السلوك الواسطي في المجال الديني	٢,٨٠	٠,٤٨	كبيرة
٣	٤	السلوك الواسطي في المجال السياسي	٢,٥١	٠,٤٧	كبيرة
٤	٥	السلوك الواسطي في المجال الاقتصادي	٢,٤٩	٠,٣٠	متوسطة
٥	٣	السلوك الواسطي في المجال الفكري	٢,٤٥	٠,٤٤	متوسطة
		الأداة ككل	٢,٦٢	٠,١٩	متوسطة

يتبين من الجدول (٣) أن المتوسطات الحسابية تراوحت بين (٢,٨٧ - ٢,٤٥) بانحرافات معيارية تراوحت بين (٠,٣٠ - ٠,٤٨) وبدرجة تقدير تراوحت بين (الكبيرة والمتوسطة)، حيث جاء المجال الثاني (السلوك الواسطي في المجال المذهبي) في المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (٢,٨٧) وبانحراف معياري (٠,٤١) وبدرجة تقدير كبيرة، تلاه المجال الأول (السلوك الواسطي في المجال الديني) في المرتبة الثانية بمتوسط حسابي (٢,٨٠)، وبانحراف معياري (٠,٤٨)، وبدرجة تقدير كبيرة، أما المجال الثالث (السلوك الواسطي في المجال الفكري) فقد جاء في المرتبة الأخيرة بمتوسط حسابي (٢,٤٥)

وبانحراف معياري (٠,٤٤) وبدرجة تقدير متوسطة، أما المتوسط للفقرات ككل فكان (٢,٦٢) وبانحراف معياري (٠,١٩) وبدرجة تقدير متوسطة.

ويتبين مما سبق أن ثلاثة مجالات من أصل خمسة جاءت بدرجة تقدير كبيرة وبنسبة مئوية (٦٠ ٪)، وأن مجالين من أصل خمسة مجالات جاءت بدرجة تقدير متوسطة وبنسبة مئوية (٤٠ ٪).

كما تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد عينة الدراسة على كل فقرة من فقرات كل مجال من مجالات الأداة كما يراه الطلبة أنفسهم، وفيما يلي عرضٌ مفصل لذلك.

أولاً: السلوك الوسطي في المجال الديني

جدول (٤): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد العينة حول المجال الأول (السلوك الوسطي في المجال الديني)

الرتبة	الرقم	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة التقدير
٨	١	أحترم جميع الأديان - السماوية والوضعية - دون استثناء	٤,٤٠	٠,٠٨	كبيرة جداً
٧	٢	أؤمن بحرية اختيار الفرد لمعتقده الديني الذي يراه مناسباً	٤,٣٠	٠,٣٥	كبيرة جداً
٦	٣	التعصب الديني سلوك يمجته معتقدي الديني	٤,٢٦	٠,٤٣	كبيرة جداً
٥	٤	إيماني بمعتقد الديني نابع عن قناعتي بأفضليته وتميزه	٤,١٢	٠,٣٩	كبيرة جداً
٤	٥	أرى ضرورة احترام المتدينين مهما كان نوع ديانتهم	١,٨٦	٠,٣٥	قليلة جداً
٣	٦	أؤمن بأن التعدد الديني يحول دون تحقيق الوحدة بين الشعوب	١,٤٣	٠,١٠	قليلة جداً
٢	٧	أعتقد أن من خالفني في الدين شخص لا يمكنني التعامل معه	١,٠٥	٠,٢٦	قليلة جداً
١	٨	أؤمن بصراع الأديان وبقاء الأصلح منها	١,٠٣	٠,١٤	قليلة جداً

يتبين من الجدول (٤) أن المتوسطات الحسابية تراوحت بين (١,٠٣ - ٤,٤٠) بانحرافات معيارية تراوحت بين (٠,١٤ - ٠,٨٠) وبدرجة تقدير كانت إما كبيرة جداً وقليلة جداً، حيث جاءت الفقرة (١) والتي تنص على «احترام جميع الأديان - السماوية والوضعية - دون استثناء» في المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (٤,٤٠) وبانحراف معياري (٠,٠٨) وبدرجة تقدير كبيرة جداً، تلتها الفقرة (٢) والتي تنص على «أؤمن بحرية اختيار الفرد لمعتقده الديني الذي يراه مناسباً» في المرتبة الثانية بمتوسط حسابي (٤,٣٠) وبانحراف معياري (٠,٣٥) وبدرجة تقدير كبيرة جداً، أما الفقرة (٨) والتي تنص على «أؤمن بصراع الأديان وبقاء الأصلح منها» فقد جاءت في المرتبة الأخيرة بمتوسط حسابي (١,٠٣) وبانحراف معياري (٠,١٤) وبدرجة تقدير قليلة جداً.

ثانياً: السلوك الوسطي في المجال المذهبي

جدول (٥): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد العينة حول المجال الثاني

(السلوك الوسطي في المجال المذهبي)

الرتبة	الرقم	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة التقدير
١	١١	أؤمن بالأخوة بين المسلمين على اختلاف مذاهبهم	٣,٦٤	٠,١٣	كبيرة
٢	٩	التعددية المذهبية ظاهرة صحية وإيجابية في المجتمع الإسلامي	٣,٢١	٠,٥٣	كبيرة
٣	١٢	أعتقد أن اختلاف المسلمين في مذاهبهم عامل يمزق وحدتهم	٣,١٤	٠,٣٧	كبيرة
٤	١٤	أؤمن بأن الخلاف المذهبي هو تنوع فقهي وثراء فكري	٢,٩٣	٠,٥٣	متوسطة
٥	١٥	أرى أن انتمائي المذهبي سلوك فطري لا دخل لي في اختياره	٢,٧٦	٠,٤٥	متوسطة
٦	١٣	أؤيد حرية اختيار المسلم للمذهب الذي يراه مناسباً له	٢,٦٧	٠,١٤	متوسطة
٧	١٦	أعتقد أن انتمائي المذهبي يتفوق على انتمائي الديني دائماً	٢,٦٠	٠,٨٤	متوسطة
٨	١٠	كوني أنتمي إلى مذهب معين فلائنه هو الصواب وما عداه لا	٢,٠٣	٠,٢١	متوسطة

يتبين من الجدول (٥) أن المتوسطات الحسابية تراوحت بين (٢,٠٣-٣,٦٤) بانحرافات معيارية تراوحت بين (٠,٨٤-٠,٥٣) وبدرجة تقدير تراوحت بين الكبيرة والمتوسطة، حيث جاءت الفقرة (١١) والتي تنص على «أؤمن بالأخوة بين المسلمين على اختلاف مذاهبهم» في المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (٣,٦٤) وبانحراف معياري (٠,١٣) وبدرجة تقدير كبيرة، تلتها الفقرة (٩) والتي تنص على «التعددية المذهبية ظاهرة صحية وإيجابية في المجتمع الإسلامي» في المرتبة الثانية بمتوسط حسابي (٣,٢١) وبانحراف معياري (٠,٥٣) وبدرجة تقدير كبيرة، أما الفقرة (١٠) والتي تنص على «كوني أنتمي إلى مذهب معين فلائنه هو الصواب وما عداه خلاف ذلك» فقد جاءت في المرتبة الأخيرة بمتوسط حسابي (٢,٠٣) وبانحراف معياري (٠,٢١) وبدرجة تقدير متوسطة.

ثالثاً: السلوك الوسطي في المجال الفكري

جدول (٦): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد العينة حول المجال الثالث (السلوك الوسطي في المجال الفكري)

الرتبة	الرقم	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة التقدير
١	٢٤	أتعامل مع التوجهات الفكرية للغير وفق المنطق والدليل القائم...	٣,٦١	٠,٥٧	كبيرة
٢	١٩	أقبل آراء الآخرين مهما كان نوعها أو مصدرها.	٢,٩٨	٠,٩٤	متوسطة
٣	٢٠	آرائي ومبادئ الفكرية على صواب دائماً ولذلك فهي غير قابلة...	٢,٥٧	٠,٦٧	متوسطة
٤	٢١	أرى أن الوسطية الفكرية هي تنازل عن المبادئ إرضاء لآراء الغير.	٢,٤٢	٠,٦٣	متوسطة
٥	١٨	أؤمن بأن الاختلاف الفكري سمة تتميز بها المجتمعات الراقية فكرياً.	٢,٣٩	٠,٥٥	متوسطة
٦	٢٣	أفكار غيري على صواب دائماً ما لم تخالف أفكار المجتمع أو تشذ...	٢,١٩	٠,٥٣	متوسطة
٧	٢٢	إن لم توافقني فكرياً فأنت تعارضني منطقياً.	١,٨١	٠,٣٦	قليلة
٨	١٧	تمسكي بمبادئ الفكرية دليل على تعصبي تجاهها.	١,٦٣	٠,٢٩	قليلة

يتبين من الجدول (٦) إن المتوسطات الحسابية تراوحت بين (١,٦٣-٣,٦١) بانحرافات معيارية تراوحت بين (١,٢٩-١,٩٤) وبدرجة تقدير تراوحت بين الكبيرة والمتوسطة، حيث جاءت الفقرة (٢٤) والتي تنص على «أتعامل مع التوجهات الفكرية للغير وفق المنطق والدليل القائم على الحجة» في المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (٣,٦١) وبانحراف معياري (١,٥٧) وبدرجة تقدير كبيرة، تلتها الفقرة (١٩) والتي تنص على «أقبل آراء الآخرين مهما كان نوعها أو مصدرها» في المرتبة الثانية بمتوسط حسابي (٢,٩٨) وبانحراف معياري (١,٩٤) وبدرجة تقدير متوسطة، أما الفقرة (١٧) والتي تنص على «تمسكي بمبادئ الفكرية دليل على تعصبي تجاهها» فقد جاءت في المرتبة الأخيرة بمتوسط حسابي (١,٦٣) وبانحراف معياري (١,٢٩) وبدرجة تقدير قليلة.

رابعاً : السلوك الوسطي في المجال السياسي

جدول (٧): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد العينة حول المجال الرابع (السلوك الوسطي في المجال السياسي)

الرتبة	الرقم	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة التقدير
١	٢٦	الفكر السياسي المعتدل يهدف في جميع الأحوال إلى تحقيق الأهداف...	٣,٦٦	٠,٦١	كبيرة
٢	٣٠	لست ملزماً باعتراف المبادئ السياسية للغير ولكنني ملزماً باحترامها	٢,٧٣	٠,٥٩	متوسطة
٣	٢٩	أؤمن بأن التعددية السياسية تحقق وحدة الوطن وسلامته	٢,٦٩	٠,٦٩	متوسطة
٤	٣٢	سلوكي السياسي هو محصلة فعلية للسلوك السائد في المجتمع الذي.....	٢,٦٢	٠,٥٤	متوسطة
٥	٢٨	اختلاف في السياسي مع الغير تفرضه مبادئ وتوجهاتي السياسية	٢,٥٧	٠,٨٤	متوسطة
٦	٣١	أعتقد أن السياسي الناجح هو المتعصب لرأيه ومبادئه التي يؤمن بها	٢,١٣	٠,٥٠	متوسطة
٧	٢٥	أؤيد جميع الأشكال السياسية في الدولة مهما كانت توجهاتها و.....	١,٩٠	٠,٢٣	قليلة
٨	٢٧	توجهاتي السياسية مكمل لتوجهات المجتمع وليست منافسة له	١,٧٣	٠,٢٨	قليلة

يتبين من الجدول (٧) أن المتوسطات الحسابية تراوحت بين (١,٧٣ - ٣,٦٦) بانحرافات معيارية تراوحت بين (١,٢٣ - ١,٨٤) وبدرجة تقدير تراوحت بين الكبيرة والقليلة، حيث جاءت الفقرة (٢٦) والتي تنص على «الفكر السياسي المعتدل يهدف في جميع الأحوال إلى تحقيق الأهداف السامية للمجتمع» في المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (٣,٦٦) وبانحراف معياري (١,٦١) وبدرجة تقدير كبيرة، تلتها الفقرة (٣٠) والتي تنص على «لست ملزماً باعتراف المبادئ السياسية للغير ولكنني ملزماً باحترامها» في المرتبة الثانية بمتوسط حسابي (٢,٧٣) وبانحراف معياري (٠,٥٩) وبدرجة تقدير متوسطة، أما الفقرة (٢٧) والتي تنص على «توجهاتي السياسية مكمل لتوجهات المجتمع وليست منافسة له» فقد جاءت في المرتبة الأخيرة بمتوسط حسابي (١,٧٣) وبانحراف معياري (٠,٢٨) وبدرجة تقدير قليلة.

خامساً: السلوك الوسطي في المجال الاقتصادي

جدول (٨): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد عينة الدراسة على كل فقرة من فقرات المجال الخامس (السلوك الوسطي في المجال الاقتصادي) مرتبة ترتيباً تنازلياً حسب المتوسط الحسابي

الرتبة	الرقم	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة التقدير
١	٣٦	التوازن في الإنفاق هو أنجح طريقة لتحقيق طموحاتي الاقتصادية....	٤,٠٩	٠,٢٦	كبيرة جداً
٢	٤٠	لا أؤمن بأن الثراء المادي هو أفضل وسيلة لتحقيق أرقى المكاسب...	٣,٩٧	٠,٦١	كبيرة
٣	٣٧	نجاحي الاقتصادي هو أساس جميع نجاحاتي في الحياة.	٣,٣٧	٠,٧٥	كبيرة
٤	٣٩	أؤمن بالتوسع في الإنفاق لأن مالي ما أنفقت لا ما ادخرت.	٢,٦١	٠,٦٥	متوسطة
٥	٣٨	يزداد غروري وكبريائي بزيادة دخلي وتنوع مصادره.	١,٧١	٠,٢٥	قليلة
٦	٣٥	أعتقد أن مستوى إنفاقي دليل فعلي على مكانتي الاقتصادية في ال....	١,٥٤	٠,٩٥	قليلة
٧	٣٤	أقتر على نفسي من أجل تأمين مستقبلي الاقتصادي.	١,٣٢	٠,٩٨	قليلة
٨	٣٣	أؤمن بأن الإسراف ظاهرة طبيعية تتميز بها الفئات الراقية في المجتمع.	١,٢٧	٠,٨٧	قليلة

يتبين من الجدول (٨) أن المتوسطات الحسابية تراوحت بين (١,٢٧ - ٤,٠٩) وانحرافات معيارية تراوحت بين (٠,٨٧ - ١,٧٥) وبدرجة تقدير تراوحت بين كبيرة جداً، حيث جاءت الفقرة (٣٦) والتي تنص على «التوازن في الإنفاق هو أنجح طريقة لتحقيق طموحاتي الاقتصادية مستقبلاً» في المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (٤,٠٩) وانحراف معياري (٠,٢٦) وبدرجة تقدير كبيرة، تلتها الفقرة (٤٠) والتي تنص على «لا أؤمن بأن الثراء المادي هو أفضل وسيلة لتحقيق أرقى المكاسب الاجتماعية.» في المرتبة الثانية بمتوسط حسابي (٣,٩٧) وانحراف معياري (٠,٦١) وبدرجة تقدير كبيرة، أما الفقرة (٣٣) والتي تنص على «أؤمن بأن الإسراف ظاهرة طبيعية تتميز بها الفئات الراقية في المجتمع» فقد جاءت في المرتبة الأخيرة بمتوسط حسابي (١,٢٧) وانحراف معياري (٠,٨٧) وبدرجة تقدير قليلة.

ثانياً: النتائج المتعلقة بالإجابة عن السؤال الثاني، والذي ينص على: «هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند درجة الدلالة ($\alpha = 0,05$) في متوسطات تقديرات أفراد عينة الدراسة حول مستوى امتلاك طلبة الدراسات الاجتماعية بكليات العلوم التطبيقية في سلطنة عمان للسلوك الوسطي كما يراه الطلبة أنفسهم حسب متغير (الجنس، والاختصاص، والسنة الدراسية)؟»

للإجابة عن هذا السؤال تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد عينة البحث على فقرات أداة امتلاك طلبة الدراسات الاجتماعية بكليات العلوم التطبيقية في سلطنة عمان للسلوك الوسطي كما يراه الطلبة أنفسهم ككل وفقاً لمتغير (الجنس، والاختصاص، والسنة الدراسية)، والجدول (٩) يبين ذلك.

جدول (٩): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد عينة وفقاً لمتغيرات البحث

المتغير	الفئة/المستوى	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
الجنس	ذكر	٢,٥٨	٠,١٩
	أنثى	٢,٦٥	٠,١٩
الاختصاص	جغرافيا	٢,٦١	٠,١٨
	تاريخ	٢,٦٣	٠,٢٠
السنة الدراسية	ثانية	٢,٥٨	٠,١٨
	ثالثة	٢,٥٩	٠,٢١
	رابعة	٢,٧٠	٠,١٧

يتبين من الجدول (٩) وجود فروق ظاهرية بين متوسطات تقديرات أفراد عينة الدراسة على فقرات أداة امتلاك طلبة الدراسات الاجتماعية بكليات العلوم التطبيقية في سلطنة عمان للسلوك الوسطي كما يراه الطلبة أنفسهم ككل وحسب متغير (الجنس، والاختصاص، والسنة الدراسية)، ولمعرفة الدلالة الإحصائية لتلك الفروق، تم استخدام تحليل التباين الثلاثي (Three Way ANOVA)، والجدول (١٠) يبين ذلك.

جدول (١٠): نتائج تحليل التباين الثلاثي لتقديرات أفراد العينة على فقرات الأداة وفق متغيرات البحث

الدلالة الإحصائية	قيمة ف	متوسط المربعات	درجات الحرية	مجموع المربعات	مصدر التباين
*٠,٠٠٣	٨,٩٧٤	٠,٣٠٥	١	٠,٣٠٥	الجنس
٠,٧٤٩	١,٠٥٧	٠,٠٣٦	١	٠,٠٣٦	الاختصاص
*٠,٠٠٣	٦,٥١٩	٠,٢٢٢	٢	٠,٤٤٣	السنة الدراسية
		٠,٠٣٤	١٨٩	٦,٤٢٨	الخطأ
			١٩٣	٧,٢١٢	المجموع

* ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha = ٠,٠٥$)

يتبين من الجدول (١٠) ما يلي:

- وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha = ٠,٠٥$) في متوسطات تقديرات أفراد عينة الدراسة على فقرات مقياس مستوى امتلاك طلبة الدراسات الاجتماعية بكليات العلوم التطبيقية في سلطنة عمان للسلوك الوسطي كما يراه الطلبة أنفسهم ككل تعزى لمتغير الجنس، ولصالح الإناث، بمتوسط حسابي (٢,٦٥) مقابل متوسط حسابي (٢,٥٨) للذكور، حيث بلغت قيمة (ف = ٨,٩٧٤) وبدلالة إحصائية (٠,٠٠٣).

- عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha = ٠,٠٥$) في متوسطات تقديرات أفراد عينة الدراسة على فقرات أداة امتلاك طلبة الدراسات الاجتماعية بكليات العلوم التطبيقية في سلطنة عمان للسلوك الوسطي كما يراه الطلبة أنفسهم ككل تعزى لمتغير الاختصاص، حيث بلغت قيمة (ف = ١,٠٥٧) وبدلالة إحصائية (٠,٧٤٩).

- وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha = ٠,٠٥$) في متوسطات تقديرات أفراد عينة الدراسة على فقرات أداة امتلاك طلبة الدراسات الاجتماعية بكليات العلوم التطبيقية في سلطنة عمان للسلوك الوسطي كما يراه الطلبة أنفسهم ككل تعزى لمتغير السنة الدراسية، حيث بلغت قيمة (ف = ٦,٥١٩) وبدلالة إحصائية (٠,٠٠٣). ولمعرفة الدلالة الإحصائية لتلك الفروق تم استخدام اختبار شيفيه (Scheffe) للمقارنات البعدية، والجدول (١١) يبين ذلك.

جدول (١١): نتائج اختبار شيفيه للمقارنات البعدية لمتوسطات تقديرات أفراد العينة وفقاً لمتغير السنة الدراسية

السنة الدراسية	المتوسط الحسابي		
	الارابعة	الثالثة	الثانية
الارابعة	٢,٧٠	٢,٥٩	٢,٥٨
الثالثة	*٠,١٢	٠,٠١	
الثانية			

* ذو دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة الإحصائية ($\alpha = 0,05$)

يبين الجدول (١١) وجود فرق بين المتوسط الحسابي لتقديرات ذوي السنة الدراسية (الرابعة) من جهة وذوي السنة الدراسية (الثانية، والثالثة) من جهة أخرى ولصالح ذوي السنة الدراسية (الرابعة).

كما تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد عينة الدراسة على كل مجال من مجالات أداة امتلاك طلبة الدراسات الاجتماعية بكميات العلوم التطبيقية في سلطنة عمان للسلوك الوسطي كما يراه الطلبة أنفسهم وحسب متغير (الجنس، والاختصاص، والسنة الدراسية)، والجدول (١٢) يبين ذلك.

جدول (١٢): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد العينة وفقاً لمتغيرات البحث

المتغير	الفئة / المستوى	السلوك الوسطي في المجال			
		الاقتصادي	السياسي	الفكري	الديني
الجنس	ذكر	٢,٥١	٢,٣٠	٢,٤٨	٢,٨٦
		٠,٣٤	٠,٤٧	٠,٤١	٠,٣٨
	أنثى	٢,٤٧	٢,٦٠	٢,٤٤	٢,٨٨
		٠,٢٧	٠,٤٤	٠,٤٦	٠,٤٣
الاختصاص	جغرافيا	٢,٥٠	٢,٣٨	٢,٥٧	٢,٩٠
		٠,٣٣	٠,٤٧	٠,٤٣	٠,٣٨
	تاريخ	٢,٤٨	٢,٦٣	٢,٣٣	٢,٨٥
		٠,٢٧	٠,٤٤	٠,٤٢	٠,٤٤
السنة الدراسية	ثانية	٢,٤٦	٢,٥٣	٢,٥٢	٢,٨٢
		٠,٢٨	٠,٤٦	٠,٤٤	٠,٥٦
	ثالثة	٢,٤٩	٢,٣٦	٢,٣٨	٢,٩٤
		٠,٣٧	٠,٣٩	٠,٥١	٠,٣٥
	رابعة	٢,٥١	٢,٧١	٢,٤٥	٢,٨٧
		٠,٢٤	٠,٤٥	٠,٣٦	٠,٤٢

يتبين الجدول (١٢) وجود فروق ظاهرية بين متوسطات تقديرات أفراد عينة الدراسة على كل مجال من مجالات أداة امتلاك طلبة الدراسات الاجتماعية بكليات العلوم التطبيقية في سلطنة عمان للسلوك الوسطي كما يراه الطلبة أنفسهم وحسب متغير (الجنس، والاختصاص، والسنة الدراسية)، ولمعرفة الدلالة الإحصائية لتلك الفروق، تم استخدام تحليل التباين المتعدد (MANOVA)، والجدول (١٤) يبين ذلك.

جدول (١٤): نتائج تحليل التباين المتعدد لتقديرات أفراد العينة

على كل مجال من مجالات أداة البحث وفقاً لمتغيراتها

الدلالة الإحصائية	قيمة ف	متوسط المربعات	درجات الحرية	مجموع المربعات	المجال	مصدر التباين
٠,٢٠٣	١,٦٢١	٠,٣٥٧	١	٠,٣٥٧	الديني	الجنس Hotelling's Trace=٠,٠٧٣ الدالة الإحصائية *٠,٠٢٣=
٠,٠٧١	٣,٢٩٨	٠,٥٤٦	١	٠,٥٤٦	المذهبي	
*٠,٠٠٧	٧,٤١٠	١,٢٧٨	١	١,٢٧٨	الفكري	
٠,٢٥٥	١,٣٠٢	٠,٢٢٩	١	٠,٢٢٩	السياسي	
٠,٥٤٤	٠,٣٧٠	٠,٠٣٣	١	٠,٠٣٣	الاقتصادي	الاختصاص Hotelling's Trace=٠,١٩٨ الدالة الإحصائية *٠,٠٠٠=
٠,٨١١	٠,٠٥٨	٠,٠١٣	١	٠,٠١٣	الديني	
٠,٠٥١	٣,٨٤٢	٠,٦٣٦	١	٠,٦٣٦	المذهبي	
*٠,٠٠٠	٢٣,٥٥١	٤,٠٦١	١	٤,٠٦١	الفكري	
*٠,٠٢٣	٥,٢٤١	٠,٩٢١	١	٠,٩٢١	السياسي	السنة الدراسية Wilks' Lambda=٠,٧٤٢ الدالة الإحصائية *٠,٠٠٠=
٠,٩٢٧	٠,٠٠٨	٠,٠٠١	١	٠,٠٠١	الاقتصادي	
*٠,٠٠٠	٨,٢٧٠	١,٨٠٩	٢	٣,٦١٨	الديني	
٠,١٠٨	٢,٢٥٢	٠,٣٧٣	٢	٠,٧٤٥	المذهبي	
٠,٥٠٣	٠,٦٨٩	٠,١١٩	٢	٠,٢٣٨	الفكري	الخطأ
*٠,٠٠٠	١٥,٧٩١	٢,٧٧٦	٢	٥,٥٥٢	السياسي	
٠,٦٤٦	٠,٤٣٧	٠,٠٣٩	٢	٠,٠٧٨	الاقتصادي	
		٠,٢١٩	١٨٩	٤١,٣٣٩	الديني	
		٠,١٦٥	١٨٩	٣١,٢٦٥	المذهبي	المجموع
		٠,١٧٢	١٨٩	٣٢,٥٩٠	الفكري	
		٠,١٧٦	١٨٩	٣٣,٢٢٤	السياسي	
		٠,٠٩٠	١٨٩	١٦,٩٥٣	الاقتصادي	
			١٩٣	٤٥,٣٠٢	الديني	
			١٩٣	٣٢,٤٢٦	المذهبي	
			١٩٣	٣٧,٤٤١	الفكري	
			١٩٣	٤٢,٩٣٢	السياسي	
			١٩٣	١٧,٠٨٦	الاقتصادي	

* ذو دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة الإحصائية ($\alpha = ٠,٠٥$)

يتبين من الجدول (١٢) وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha=0,05$) في متوسطات تقديرات أفراد عينة الدراسة على المجال (الفكري) يعزى لمتغير الجنس، ولصالح الذكور.

كما يتبين من الجدول (١٣) وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha=0,05$) في متوسطات تقديرات أفراد عينة الدراسة على المجال (الفكري) يعزى لمتغير الاختصاص، ولصالح ذوي الاختصاص الجغرافي، وعلى المجال (السياسي) ولصالح ذوي الاختصاص التاريخي.

وكما يتبين وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha=0,05$) في متوسطات تقديرات أفراد عينة الدراسة على فقرات أداة امتلاك طلبة الدراسات الاجتماعية بكميات العلوم التطبيقية في سلطنة عمان للسلوك الوسطي كما يراه الطلبة أنفسهم ككل تعزى لمتغير السنة الدراسية، على المجال (الديني، والسياسي). ولمعرفة الدلالة الإحصائية لتلك الفروق تم استخدام اختبار شيفيه (Scheffe) للمقارنات البعدية، والجدول (١٤) يبين ذلك.

جدول (١٤): نتائج اختبار شيفيه للمقارنات البعدية لمتوسطات تقديرات

أفراد العينة على المجال (الديني، والسياسي) وفقاً لمتغير السنة الدراسية

المجال	السنة الدراسية	المتوسط الحسابي	السنة الدراسية		
			الثانية	الثالثة	الرابعة
الديني	الثانية	٢,٨٥		٢,٦٤	٢,٩٥
	الثالثة	٢,٦٤			٠,١٠
	الرابعة	٢,٩٥			
	المتوسط الحسابي		٢,٨٥	٢,٦٤	٢,٩٥
السياسي	الثانية	٢,٥٣		٢,٢٦	٢,٧١
	الثالثة	٢,٢٦			٠,٢٧
	الرابعة	٢,٧١			٠,٤٥
	المتوسط الحسابي		٢,٥٣	٢,٢٦	٢,٧١

* ذو دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة الإحصائية ($\alpha=0,05$)

يبين الجدول (١٤) وجود فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة الإحصائية ($\alpha=0,05$) على المجال (الديني) بين المتوسط الحسابي لتقديرات ذوي السنة الدراسية

(الثانية، والثالثة) من جهة وذوي السنة الدراسية (الرابعة) من جهة أخرى ولصالح ذوي السنة الدراسية (الرابعة). وعلى المجال (السياسي) بين المتوسط الحسابي لتقديرات ذوي السنة الدراسية (الثانية، والثالثة) من جهة وذوي السنة الدراسية (الرابعة) من جهة أخرى ولصالح ذوي السنة الدراسية (الرابعة)، وبين المتوسط الحسابي لتقديرات ذوي السنة الدراسية (الثانية) وذوي السنة الدراسية (الثالثة) ولصالح ذوي السنة الدراسية (الثالثة).

توصيات البحث

- ضرورة الاهتمام بتدريس الوسطية ومبادئها في العملية التعليمية، عن طريق تضمينها في المناهج الدراسية المختلفة، أو تدريسها وفق منهج دراسي مستقل.
- عقد دورات تدريبية وورش عمل للمعلمين حول الوسطية والسلوك الوسطي والتعريف به.
- تزويد المعلمين في الميدان التربوي بالطرق والأساليب التدريسية المعينة على تدريس التربية الوسطية لدى الطلبة.
- تفعيل دور وسائل الإعلام بمختلف أشكالها في تنمية السلوكيات الوسطية، والوعي الوسطي في مختلف التعاملات الحياتية.
- إتاحة الفرص الحقيقية أمام طلبة المدارس والجامعات للمشاركة الفاعلة في المشروعات الوسطية، وحملات التوعية بها.
- تزويد مراكز مصادر التعلم في المدارس بالكتب والنشرات والدوريات والمجلات الحديثة التي تطرح وتناقش موضوعات الوسطية.
- التأكيد على أهمية الأنشطة التربوية في العملية التعليمية التي تعمل على تنمية السلوك الوسطي لدى الطلبة.
- تشكيل بيئات تربوية تعليمية بمختلف المراحل الدراسية، تشجع الطلبة على تنمية السلوك الوسطي وإدراك ماهيته وأهميته.

المراجع

(١) هويدي، فهمي. (٢٠٠٥). إعلام وثقافة الوسط. ورقة عمل مقدمة إلى مؤتمر الوسطية منهج حياة، الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، الكويت، ٢١ - ٢٣ مايو ٢٠٠٥، المسترجع بتاريخ ٢٢ ديسمبر ٢٠٠٨، من الموقع:

<http://www.iico.net/home-page-eng/news05/june-05/moderation-confer.htm>.

(٢) الراوي، أحمد. (٢٠٠٥). الوسطية والبعد الحضاري. ورقة عمل مقدمة إلى مؤتمر الوسطية منهج حياة، الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، الكويت، ٢١ - ٢٣ مايو ٢٠٠٥، المسترجع بتاريخ ٢٢ ديسمبر ٢٠٠٨، من الموقع:

<http://www.iico.net/home-page-eng/news05/june-05/moderation-confer.htm>.

(٣) عبد الرضا، علي. (١٩٩٩) الوسطية المرتكزات والمجالات. المسترجع بتاريخ ٢٢ سبتمبر ٢٠٠٨، من الموقع) <http://www.annabaa.org/nba39-40/alwasateya.htm>.

(٤) الزحيلي، وهبة. (٢٠٠٥). الوسطية مطلباً شرعياً وحضارياً. ورقة عمل مقدمة إلى مؤتمر الوسطية منهج حياة، الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، الكويت، ٢١ - ٢٣ مايو ٢٠٠٥، المسترجع بتاريخ ٢٢ ديسمبر ٢٠٠٨، من الموقع:

<http://www.iico.net/home-page-eng/news05/june-05/moderation-confer.htm>.

(٥) الماجد، عادل. (٢٠٠٥). الإعلام وثقافة الوسطية. ورقة عمل مقدمة إلى مؤتمر الوسطية منهج حياة، الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، الكويت، ٢١ - ٢٣ مايو ٢٠٠٥، المسترجع بتاريخ ٢٢ ديسمبر ٢٠٠٨، من الموقع:

<http://www.iico.net/home-page-eng/news05/june-05/moderation-confer.htm>.

(٦) العودة، سليمان بن فهد. (٢٠٠٧). الوسطية. المسترجع بتاريخ ٢٢ سبتمبر ٢٠٠٨ من الموقع: http://www.islamtoday.net/pen/show_articles_content_cfm?id=64&artid=38&artid=8.

(٧) أبو زيد، وصفي عاشور. (٢٠٠٧). كلمات في الوسطية الإسلامية ومعالمها. المسترجع بتاريخ ١٥ أكتوبر ٢٠٠٨ من الموقع: <http://www.aljazeera.net>

(٨) شاهين، عمر. (٢٠٠٧). الوسطية بين السياسة والفقه. المسترجع بتاريخ ١٥ أكتوبر ٢٠٠٨، من الموقع: <http://www.alghad.jo/?news=200350>

(٩) الصاوي، عبد الحافظ. (٢٠٠٨). دور الوسطية الاقتصادية في التنمية. المركز العالمي للوسطية ارتباط بالأصل واتصال بالعصر. المسترجع بتاريخ ١٥ أكتوبر ٢٠٠٨ من الموقع:

http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1221720124559&pagename=Zone-Arabic-Shariah%2FSRALayout.

(١٠) الشلول، عبد المعطي أحمد. (١٩٩٦). مدى شيوع المفاهيم السياسية في كتب التربية الاجتماعية والوطنية للمرحلة الأساسية العليا في الأردن من خلال تحليل محتواها ووجهة نظر معلمها. رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة اليرموك، الأردن.

(١١) لاغا، علي. (٢٠٠٥). الوسطية والبعد الحضاري. ورقة عمل مقدمة إلى مؤتمر الوسطية منهج حياة، الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، الكويت، ٢١ - ٢٣ مايو ٢٠٠٥، المسترجع بتاريخ ٢٢ ديسمبر ٢٠٠٨، من الموقع:

<http://www.iico.net/home-page-eng/news05/june-05/moderation-confer.htm>.

(١٢) بن بيه، عبدالله بن الشيخ المحفوظ. (٢٠٠٥). معايير الوسطية في الفتوى. ورقة عمل مقدمة إلى مؤتمر الوسطية منهج حياة، الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، الكويت، ٢١ - ٢٣ مايو ٢٠٠٥، المسترجع بتاريخ ٢٢ ديسمبر ٢٠٠٨ من الموقع:

<http://www.iico.net/home-page-eng/news05/june-05/moderation-confer.htm>.

(١٣) الشريف، محمد عبد الغفار. (٢٠٠٥). التعددية الفكرية والحوار في المجتمع المسلم. ورقة عمل مقدمة إلى مؤتمر الوسطية منهج حياة، الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، الكويت، ٢١ - ٢٣ مايو ٢٠٠٥، المسترجع بتاريخ ٢٢ ديسمبر ٢٠٠٨ من الموقع:

<http://www.iico.net/home-page-eng/news05/june-05/moderation-confer.htm>.

(١٤) عاكف، محمود عبدالله. (٢٠٠٥). الحضارة الوسط الوظيفية والمنطلقات. ورقة عمل مقدمة إلى مؤتمر الوسطية منهج حياة، الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، الكويت، ٢٣ - ٢١ مايو ٢٠٠٥، المسترجع بتاريخ ٢٢ ديسمبر ٢٠٠٨، من الموقع:

<http://www.iico.net/home-page-eng/news05/june-05/moderation-confer.htm>.

(١٥) محافظة، حسين. (٢٠٠٥). التسامح والاعتدال في الفكر السياسي - الفكر العربي القومي نموذجاً. المسترجع بتاريخ ١٥ أكتوبر ٢٠٠٨ من الموقع: <http://www.alghad.jo/?newspqt00350>

٨-١ - اتجاهات القارئ العربي نحو الكتب الإلكترونية

تجربة دار ناشري للنشر الإلكتروني

www.nashiri.net

أ. حياة الياقوت*



ملخص

تتناول هذه الدراسة تجربة دار ناشري للنشر الإلكتروني في نشر الكتب الإلكترونية، وذلك من خلال بعدين:

- تحليل إحصائي للكتب الإلكترونية المتوفرة في الدار.
- استقصاء لاتجاهات زوار الدار نحو الكتب الإلكترونية من حيث تفضيلاتهم، المميزات التي تجذبهم إليها، والمعوقات التي تقف حائلاً بينهم وبينها، وذلك خلال استبيان إلكتروني.

المقدمة

عرفت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (يونسكو) الكتاب على أنه «مطبوع غير دوري يتكون مما لا يقل عن ٤٩ صفحة بخلاف صفحات الغلاف».

(Recommendation concerning the International Standardization of Statistics Relating to Book Production and Periodicals, 1964).

• مدرس مساعد، قسم علوم المكتبات والمعلومات، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، ورئيسة تحرير دار ناشري للنشر الإلكتروني/ الكويت. <http://www.hayatt.net> - hayat@nashiri.net

أما الكتاب الإلكتروني، فإننا نجد النسخة الأكاديمية من الموسوعة البريطانية (٢٠١٣) تعرفه على أنه: «ملف رقمي يحتوى على نصوص وصور صالحة يمكن توزيعها إلكترونياً وعرضها على الشاشات، بطريقة مشابهة للكتب المطبوعة. ويمكن إنشاء الكتب الإلكترونية من خلال تحويل ملفات المصدر المستخدمة في الطباعة إلى صيغ يمكن تنزيلها وقراءتها على الشاشة، كما يمكن أن تُنشأ الكتب الإلكترونية من قاعدة بيانات أو مجموعة ملفات نصية غير معدة للطباعة فقط.»

بات الاعتماد على الكتب الإلكترونية يتصاعد يوماً بعد يوم. فوفقاً لـ Malik (٢٠١٢)، فإن متجر الكتب «أمازون» ومقابل كل ١٠٠ كتاب ورقي يُشترى من الموقع في المملكة المتحدة، فإنه يتم شراء ١١٤ كتاباً إلكترونياً.

ووفقاً لـ Fowler & Baca (٢٠١٠) فإن مسحاً أجرته جمعية الناشرين الأمريكيين Association of American Publishers أفاد بأن مبيعات الكتب الإلكترونية في عام ٢٠٠٩ ارتفعت بنسبة ١٧٦٪. في حين بين مسح أجرته «جماعة دراسة صناعة الكتب» Book Industry Study Group بأن ٥١٪ ممن يملكون أجهزة قراءة إلكترونية ازدادت معدلات شرائهم للكتب الإلكترونية، في حين أن ٩٪ فقط من المستهلكين ازداد معدل شرائهم للكتب ذات الأغلفة الصلبة في عام ٢٠٠٩. ويقرأ الذين يملكون أجهزة قراءة إلكترونية ما معدله ٦, ٢ كتاباً في الشهر، في حين نجد أن النسبة منخفضة لمن يقرؤون ورقياً وتصل إلى ٩, ١ كتاباً في الشهر. ويقرأ ٥١٪ من مالكي أجهزة القراءة الإلكترونية يومياً باستخدام هذه الأجهزة.

وفي مايو ٢٠١٣ أجرى BookStats (وهو مشروع لجمع البيانات حول صناعة النشر يقوم عليه اتحاد الناشرين الأمريكيين وجماعة دراسة صناعة الكتب) مسح حول هذا الأمر. ووفقاً لـ Schwartz (٢٠١٣) الذي نقل نتائج المسح في مقالته، فإن الناشرين خسروا ٧٪ من عوائد الكتب الورقية، لكنهم ربحوا ٢١٪ نتيجة عوائد الكتب الإلكترونية. كما أن الكتب الإلكترونية تشكل خمس السوق، وقد كانت عاملاً رئيساً في النمو، حيث نمت بمقدار ٤٤٪ (ما يعادل ٣ بلايين دولار من الأرباح الصافية) و ٤٢, ٨٪ من حيث عدد العناوين المباعة.

وحيثما ننظر إلى الوضع على الساحة العربية، فإننا لا نجد أية محاولات إحصائية جادة لقياس ميل القارئ العربي للقراءة الإلكترونية، سواءً أكانت الكتب المعنية كتباً مجانية متوفرة على الشبكة، أو تلك التي تباع. كما أننا نجد نقصاً آخر في تقصي سلوكيات القارئ تجاه الكتب الإلكترونية ورؤيته تجاهها؛ هل يفضلها على الورقية أم لا، ولماذا؟

ومن هنا، تأتي هذه الدراسة محاولة سد جزء من هذه الثغرة، وذلك بتقديم تجربة دار ناشري في الكتب الإلكترونية من ناحية، واستقصاء توجهات قرائها تجاه الكتب الإلكترونية من ناحية أخرى.

الجزء الأول: تحليل إحصائي للكتب الإلكترونية المتوفرة في الدار

نبذة عن دار ناشري

تأسس موقع دار ناشري للنشر الإلكتروني في يوليو/تموز ٢٠٠٣ ليكون مكتبة ودار نشر إلكترونيتين. المشروع غير ربحي، وجميع المنشورات تتوفر لزائري الموقع مجاناً. يدار الموقع من قبل فريق من المتطوعين المنتمين إلى دول عربية مختلفة. وتشمل منشورات الدار المشاركات النصية (مثل المقالات والقصائد والتقارير وغيرها)، والكتب الإلكترونية بصيغ مختلفة، بالإضافة إلى بعض المجلات الإلكترونية، والكتب الصوتية.

نظرة إحصائية

وبالنظر إلى معدل الزيارات بشكل عام خلال الأعوام السبعة الماضية، نجد اضطراراً ملحوظاً في عدد الزوار. ففي عام ٢٠٠٦، نجد أن عدد الزيارات المفردة (Unique Visits) هو ٧٢٤، ٦٨، في حين أن عدد مشاهدات الصفحات (Page Views) وصل إلى ١٥٨، ٠٦٣. أما في عام ٢٠١٢، فإن عدد الزيارات بلغ ٣٦٣، ٩٦٥، في حين بلغ عدد مشاهدات الصفحات ٨١٠، ٣٨٣. ولم نستعرض في هذا البحث إحصائيات عام ٢٠١٢، نظراً لعدم اكتمال العام وثبات الإحصائيات وقت كتابة هذه الدراسة.

جدول ١: إحصائيات زيارات ومشاهدات صفحات موقع دار ناشري (٢٠١٢-٢٠٠٦)

الزيارات المفردة	مشاهدات الصفحات	العام
٦٨,٧٢٤	١٥٨,٠٦٣	٢٠٠٦
١١٨,٢٩٨	٢٠٨,٥٥٧	٢٠٠٧
١٤٠,١١٨	٢٦٠,٢٢٥	٢٠٠٨
١٦٧,٣٤٤	٣٨٩,١٢١	٢٠٠٩
٢٠١,٢٨٥	٤٩٩,٦٣٧	٢٠١٠
٢٠٨,٢٠١	٤٩٥,٠٣٥	٢٠١١
٣٦٣,٩٦٥	٨١٠,٣٨٣	٢٠١٢

وحتى السادس من نوفمبر ٢٠١٣، يوجد في الموقع ٣٧٥٠ مشاركة نصية، كتبها ٢٢٥ مؤلفاً، وبلغ عدد الأعضاء المسجلين عضوية عادية تتيح لهم التعليق ٧٤١٦ شخصاً، وبلغ عدد مشتركى القائمة البريدية ١٣٢٩٧ مشتركاً.

وبالنظر إلى المشاركات النصية، نجد أن بعضها تم قراءته أكثر من أربعين الف مرة. لكن، وبأخذ المتوسط الحسابي لمرات قراءة المقالات، نجد أن متوسط عدد مرات قراءة مقالات الموقع هو ٣٣١٨ تقريباً.

الكتب الإلكترونية في دار ناشري: تتوفر الكتب الإلكترونية في دار ناشري بأربع صيغ:

- ١- كتب بصيغة PDF وهي الأغلب. وهي قابلة للقراءة على الحواسيب، وعلى القارئات الإلكترونية، وعلى الهواتف النقالة.
- ٢- كتب بصيغة epub ومن الشائع قراءتها على القارئات الإلكترونية والهواتف النقالة، وإن كان يمكن أيضاً قراءتها على الحواسيب.
- ٣- كتب بصيغة نصية text وهي قابلة للقراءة عبر المتصفح.
- ٤- كتب صوتية.

علماً بأن الصيغة الأصلية لنشر الكتب الإلكترونية هي صيغة PDF، وجميع الكتب المنشورة بالصيغ الأخرى نشرت أولاً بصيغة PDF ثم نشرت نسخ عنها بصيغ أخرى. ولا تزال الصيغ الثلاث الأخيرة في طور التجريب والتقييم. وتركيزنا في هذا البحث سيكون على الكتب الإلكترونية المنشورة بصيغة PDF.

جدول ٢: أنواع الكتب الإلكترونية في موقع دار ناشري وعددها (إحصائيات يوم ٦ نوفمبر ٢٠١٣)

نوع الكتب الإلكتروني	عدد الكتب المنشورة
PDF	١٧٥
epub	٦
نصي	٧
صوتي	٤

وبالنظر إلى الكتب الإلكترونية بصيغة PDF، نجد أن أقل كتاب حظي بـ ١٠١٤ مرة تنزيل، في حين أن أكثر كتاب حظي بـ ٥٨٧٦٢ مرة تنزيل.

جدول ٣: الكتب الخمسة الأكثر تنزيلاً في موقع دار ناشري. (إحصائيات يوم ٦ نوفمبر ٢٠١٣)

الترتيب	عنوان الكتاب	عدد مرات التنزيل
١	معجم المصطلحات الآثارية المصوّر - د. زياد السلامين	٥٨٧٦٢
٢	أصول التاريخ الأوربي الحديث - أشرف صالح	٥٣٩٩٠
٣	من ذا الذي قدد البيان؟ أخطاء وخطايا لغوية مصوّرة - حياة الياقوت	٥١٥٧٣
٤	السبيل إلى السعادة - ترجمة أمل الرفاعي	٤١٧٣٩
٥	معجم المصطلحات الدبلوماسية والسياسية - أمل الرفاعي	٣٤٣٨٨

ويجمع مرات تنزيل كل الكتب الإلكترونية المنشورة بصيغة PDF وعددها ١٧٥ كتاباً، نجد أن مجموع مرات التنزيل هو ١٧٦٦١٤٥، مما يجعل متوسط تنزيل كل كتاب هو ١٠٠٢٩ مرة تقريباً.

الجزء الثاني: استبيان لاستقصاء اتجاهات زوار الدار نحو الكتب الإلكترونية

ومن أجل استقصاء آراء زوار موقع دار ناشري نحو الكتب الإلكترونية، أُجري استبيان إلكتروني، وبلغ عدد الاستبيانات المجاب عليها ٧٤٨.

وجاءت الأسئلة والإجابات كما يلي:

١- بشكل عام كم تشكل نسبة قراءة تلك للكتب الإلكترونية في الوقت الحالي مقارنة بالورقية؟ وكانت الإجابات:

العدد	النسبة التي حصلت عليها الإجابة	خيارات الإجابة
١٥٠	٢٠,٥%	١-٢٠%
١١٨	١٦,١%	٢٠-٤٠%
١٥٧	٢١,٤%	٤٠-٦٠%
١٦٨	٢٢,٩%	٦٠-٨٠%
١١١	١٥,١%	٨٠-١٠٠%
٢٩	٤,٠%	لا شيء

٢- بسبب توفر الكتب الإلكترونية:

العدد	النسبة التي حصلت عليها الإجابة	خيارات الإجابة
٤٥٧	٦٢,٣%	صرت أقرأ عدد كتب أكبر
٥٩	٨,٠%	صرت أقرأ عدد كتب أقل
٢١٧	٢٩,٦%	لم يتغير عدد الكتب التي أقرأها

٣- بشكل عام، وإذا كان عليك اختيار أحدها فقط، أيها تفضل أكثر:

العدد	النسبة التي حصلت عليها الإجابة	خيارات الإجابة
٤٨٦	٦٦,٣%	الكتب الورقية
٢٤٧	٣٣,٧%	الكتب الإلكترونية

٤- ماذا تفضل الكتب الإلكترونية على الورقية ؟ (اختر جميع الإجابات التي تنطبق)

العدد	النسبة التي حصلت عليها الإجابة	خيارات الإجابة
٥٢٩	٪٧٣,٥	لتوفرها مجاناً في الغالب، أو لأن سعرها أرخص من الورقية
٢٨٦	٪٣٩,٠	عدم وجود حاجة لمكان لتخزينها
٣٠٧	٪٤١,٩	سهولة البحث عن كلمة أو جملة في الكتاب
٢٩٠	٪٣٩,٦	سهولة نسخ بعض نصوص الكتاب ونشرها أو مشاركتها
٢٠٤	٪٢٧,٨	سهولة تشارك الملف مع أصدقائي
٥٠٣	٪٦٨,٦	سهولة الوصول إلى مجموعة من الكتب أياً كان مكان وجودي دون الحاجة لحملها

٥- لماذا تفضل الكتب الورقية على الإلكترونية ؟ (اختر جميع الإجابات التي تنطبق)

العدد	النسبة التي حصلت عليها الإجابة	خيارات الإجابة
٢٩٣	٪٤٠,٠	لتعودي على القراءة من كتاب ورقي
٥١٧	٪٧٠,٥	القراءة من كتاب ورقي مريحة للعين أكثر
٣٩٩	٪٥٤,٤	لشعوري بامتلاك الكتاب
٣٣١	٪٤٥,٢	سهولة كتابة الملاحظات أو طي أطراف الصفحات، أو تقليب الصفحات والوصول إلى ما أريد
١٢٢	٪١٦,٦	يمكنني إعارة الكتاب لأصدقائي
٢٠٦	٪٢٨,١	أشعر بأن المعلومات في الكتاب الورقي موثوقة أكثر

٦- في آخر ٣ سنوات، هل ارتفعت نسبة قراءتك للكتب الإلكترونية مقارنة بالورقية؟

العدد	النسبة التي حصلت عليها الإجابة	خيارات الإجابة
٥٤٨	٪٧٤,٨	نعم، ارتفعت
٣٢	٪٤,٤	لا، قلت
١٥٣	٪٢٠,٩	لم تتغير

٧. كيف تفضل قراءة الكتب الإلكترونية المنشورة في موقع دار ناشري؟

العدد	النسبة التي حصلت عليها الإجابة	خيارات الإجابة
٣١٨	٪٤٧,٢	من شاشة الحاسوب
٢١٧	٪٣٢,٢	على جهاز لوحي (آيباد، جالكسي نوت، كندل... الخ)
٧٥	٪١١,١	من الهاتف النقال
٦٤	٪٩,٥	أطبعها وأقرأها على الورق

٨. كم في المئة من الكتب الإلكترونية التي تقرأها إلكترونياً تأتي من موقع دار ناشري؟

العدد	النسبة التي حصلت عليها الإجابة	خيارات الإجابة
٢٧٨	٤١,٢ %	٢٠-١ %
١٣٣	١٩,٧ %	٤٠-٢٠ %
٦٣	٩,٣ %	٦٠-٤٠ %
٢٦	٣,٩ %	٨٠-٦٠ %
١٤	٢,١ %	١٠٠-٨٠ %
١٦٠	٢٣,٧ %	لا شيء

تحليل النتائج

على الرغم من أن الاستبيان أجرى إلكترونياً، وكان موجهاً بالدرجة الأولى لزوار موقع متخصص بتوفير المنشورات الإلكترونية، وبالتالي نفترض أن من شارك فيه لديه إمكانية الوصول إلى الإنترنت والقراءة منها، إلا أننا نجد أن ٦٦,٣ % من العينة يفضلون الكتب الورقية.

تم البحث عن أسباب هذا التفضيل من خلال سؤال أتاح ٦ خيارات للإجابة، ثلاثة منها متعلقة بالقارئ نفسه ومشاعره وتعوده، في حين أن الثلاثة الباقية متعلقة بإمكانات الكتاب الإلكتروني.

وبالنظر إلى الأسباب الستة المتوفرة، فإن ترتيب أسباب تفضيل الكتاب الورقي على الإلكتروني كان كما يلي:

الترتيب	السبب مرتباً وفقاً لإجابات المستبئين	نوعية السبب
١	القراءة من كتاب ورقي مريحة للعين أكثر	متعلق بإمكانات الكتاب
٢	لشعوري بامتلاك الكتاب	متعلق بالقارئ نفسه
٣	لسهولة كتابة الملاحظات أو طي أطراف الصفحات، أو تقليد الصفحات والوصول إلى ما أريد	متعلق بإمكانات الكتاب
٤	لتعودي على القراءة من كتاب ورقي	متعلق بالقارئ نفسه
٥	أشعر بأن المعلومات في الكتاب الورقي موثوقة أكثر	متعلق بالقارئ نفسه
٦	يمكنني إعارة الكتاب لأصدقائي	متعلق بإمكانات الكتاب

ويمكننا النظر إلى الأسباب المتعلقة بإمكانات الكتاب نفسه على اعتبار أنها فرص ومجالات تتطلب التطوير، ليكون الكتاب الإلكتروني مناسباً للقارئ، في حين أن الأسباب المتعلقة بالقارئ نفسه، عائدة لنظريته أو شعوره تجاه الكتاب وهي أمور قد تزول مع مرور الزمن ووجود التشجيع والتدريب.

أما عن أسباب تفضيل الزوار للكتاب الإلكتروني على الكتاب الورقي، فقد كان توفرها مجاناً أو انخفاض سعرها هو السبب الأكبر. في حين كانت سهولة الوصول في المركز الثاني، تلتها سهولة البحث عن الكلمات في ملف الكتاب. وجاءت سهولة نسخ النصوص، وعدم الحاجة لمكان للتخزين، وسهولة تشارك الملف في المراكز الثلاثة الأخيرة. ونلاحظ أن ثمة خياراً للإجابة كُرّر في كلا السؤالين المتعلقين بالكتاب الورقي والإلكتروني، وهو:

يمكنني إعارة الكتاب لأصدقائي. (الكتاب الورقي) ١٦,٦٪.
سهولة تشارك الملف مع أصدقائي. (الكتاب الإلكتروني) ٢٧,٨٪.

وهنا نجد أنه يمكن للميزة الواحدة أن تتوفر في كلا الصيغتين، إذ من الممكن للشخص إعارة الكتاب الورقي لأصدقائه، لكن ويمكن بذات السهولة أن يرسل ملف الكتب الإلكترونية لأصدقائه، بل لأكثر من صديق، إلا في حال كان الملف محمياً، وهذا بشكل عام ليس من الأمور التي يُحرص عليها في الكتب الإلكترونية العربية.

وبإجراء مقارنة بطريقة الـ Cross Tabulation، نجد أنه من قالوا أنهم يفضلون الكتب الإلكترونية لأنه يمكن تشاركه، فإن ١٠, ٢٠٪ منهم فقط أقرروا بنفس الميزة للكتاب الورقي، وكان ١٢, ٤٤٪ ممن اختاروا هذه الإجابة يفضلون الكتاب الإلكتروني على الورقي. ومن رأوا أن الكتاب الورقي فيه هذه الميزة، فإن ٦١, ٢٣٪ فقط منهم أقرروا بوجود هذه الميزة في الكتب الإلكترونية، وكان ٥٩, ٧٤٪ ممن اختاروا هذه الإجابة يفضلون الكتاب الورقي على الإلكتروني في السؤال المعني بذلك.

نستنتج من هذا، أن أنماط تفكير الإنسان وتعوداته قد يؤثران على موضوعيته وعلى رؤيته للمزايا، فمن تعود على الكتاب الورقي ويفضله، سيحكم بأن سهولة الإعارة سبب في ذلك، ولا ينتبه إلى أن الميزة نفسها موجودة أيضاً في الكتاب الإلكتروني، ولكن بشكل آخر.

وحين سؤال العينة عن نسبة قراءتهم للكتب الإلكترونية في الوقت الحالي مقارنة بالورقية، جاءت النتائج متقاربة لمعظم الإجابات المتاحة:



كما رأى ٢, ٦٢٪ من العينة أنهم صاروا يقرؤون كتباً أكثر بفضل الكتب الإلكترونية، وقال ٨, ٧٤٪ من العينة أنه، وفي آخر ثلاث سنوات، ارتفعت نسبة قراءتهم للكتب الإلكترونية مقارنة بالورقية.

وحين سؤلهم عن الكيفية التي يفضلون قراءة الكتب المتوفرة على دار ناشري، أفاد الأغلبية (٤٧, ٢٪) أنهم يفضلون قراءتها من شاشة الحاسوب، في حين فضل ٢٢, ٢٪ الأجهزة اللوحية، وفضل ١, ١١٪ القراءة من الهاتف النقال، في حين كان ٥, ٩٪ من العينة يطبعون الكتب على ورق لقراءتها.

وحين سؤلهم عن النسبة التي تشكلها كتب ناشري إلى مجموع الكتب الإلكترونية التي يقرؤونها، قالت الغالبية العظمى (٦٤, ٩٪) أن كتب ناشري تشكل نسبة لا تزيد عن ٢٠٪ من مصادر الكتب الإلكترونية التي يقرؤونها.

الخاتمة والتوصيات

نجد من الدراسة أن أفراد العينة المستبينة ازدادت نسبة قراءتهم للكتب الإلكترونية في آخر ثلاث سنوات، كما أنهم صاروا يقرؤون كتباً أكثر بفضل الكتب الإلكترونية، لكننا وعلى المقابل نجد أن الغالبية لا يزالون يفضلون الكتب الورقية لأسباب متعلقة بتعوداتهم، وأيضاً لأسباب متعلقة بمزايا لا تتوفر في الكتب الإلكترونية، وهذا أمر يجب الالتفات إليه، فيجب النظر إلى مسألة توفير تقنيات مريحة للعين أثناء القراءة كتقنية الحبر الإلكتروني e-ink، وأشهر الأجهزة التي تستخدم هذه التقنية هي بعض أجهزة «كندل»، لكن هذه الأجهزة لا تدعم

النص العربي إلا إذا كان محفوظاً في ملف PDF على شكل صورة لا نص، وهذا يقيد قراءة النص العربي عليها. كما يجب البحث عن آليات لتطوير صيغ الكتب الإلكترونية الحالية بحيث تسمح بمرونة أكبر في التعامل تساعد في «هجرة» القراء إلى الكتب الإلكترونية، مثل إتاحة طي أطراف الصفحات Dog-earing، وصحيح أن معظم الصيغ تتيح إمكانية تعليم الصفحات Bookmarking، لكنها ليست بالمرونة التي تجعلها أمراً يحدث بحركة واحدة كمن يطوي طرف صفحة كتاب ورقي. كما أن تقليب الصفحات بسرعة لأخذ فكرة عن الكتاب، والتحرك داخل الكتاب من الأمور التي لا يزال الكتاب الورقي يتفوق فيها على الكتاب الإلكتروني، وهذه من الأمور التي يجب أن توضع على قائمة مهام مطوري الكتب الإلكترونية.

وبالنظر إلى أن غالبية العينة تشكل دار ناشري ٢٠٪ أول أقل من مصادره للكتب الإلكترونية، فإن المجال متاح للباحثين للبحث عن مواقع الكتب الإلكترونية الأخرى التي تستقطب القراء، وإجراء مقارنة بينها. وهل هي مواقع لمتاجر كتاب أو لمكتبات إلكترونية، أم هي مواقع استضافة توفر نسخاً مقرصنة من الكتب، وهذا موضوع سيكون البحث فيه إغناءً وتطويراً كبيرين لفهمنا لواقع الكتب الإلكترونية العربية.

قائمة المصادر

1. E-book. (2013). In Encyclopædia Britannica. Retrieved 1 November, 2013 from <http://www.britannica.com/EBchecked/topic/1235205/e-book>.
2. Fowler, G. A., & Baca, M. C. (2010, August 25). The ABCs of E-reading --- new devices are changing habits; people are reading more, even while in a kayak. Retrieved 4 October, 2013 from <http://online.wsj.com/news/articles/SB10001424052748703846604575448093175758872>.
3. Malik, S. (2012, August 6). Kindle ebook sales have overtaken Amazon print sales, says book seller. The Guardian. Retrieved 1 November, 2013 from. <http://www.theguardian.com/books/2012/aug/06/amazon-kindle-ebook-sales-overtake-print>.
4. Recommendation concerning the International Standardization of Statistics Relating to Book Production and Periodicals. (1964, November 19). Retrieved 15 November, 2013 from http://portal.unesco.org/en/ev.php-URL_ID=13068&URL_DO=DO_TOPIC&URL_SECTION=201.html.
5. Schwartz, M. (2013). Research: Ebooks, online drive sales growth. Library Journal, 138(11), 28. Retrieved 6 November, 2013 from <http://search.proquest.com/docview/1364817344?accountid=27846>.

الأمل وعلاقته بالألم النفسي الناتج عن انخفاض مشاعر المواطنة لدى عينة من طلاب وطالبات جامعة الإسكندرية

أ. جيهان محمد شفيق عبد الغني خالد



مشاعر المواطنة؟ هل توجد فروق بين
الجنسين في متغيرات الدراسة ترجع إلى
عاطلي الجنس والتخصص العلمي؟

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة
الفروق بين طلاب وطالبات جامعة
الإسكندرية في كل من الأمل والألم
النفسي وانخفاض مشاعر المواطنة، وما
إذا كانت تلك الفروق ترجع إلى الجنس
والتخصص العلمي.

مقدمة

الأمل عملية تفكير إيجابية
موجهة نحو الهدف، تجعلنا نتحمل
المعاناة والألم النفسي في عصر غابت
فيه الحقوق والعدالة، والمساواة، مما
أدى إلى انخفاض مشاعر المواطنة
والانتماء (عبيد، ٢٠٠٦، ص ٦). والحياة
قد تستمر بجسد يتألم أو عاجز ولكنها
لا تستمر بنفس، حطمها الفشل والهزيمة
وهدها الحزن وأنهكتها الصراعات
(صادق، ١٩٨٦، ص ٤١).

مشكلة الدراسة

تكمّن مشكلة الدراسة في
أننا نواجه عصر تفكك أبناء الوطن
الواحد نتيجة الألم النفسي الناتج عن
الظلم مما أدى إلى انخفاض مشاعر
المواطنة. ويمكننا حصر مشكلة البحث
في التساؤلات الآتية: ما طبيعة العلاقة
بين الأول والأمل النفسي وانخفاض

• مدرسة قسم/مصر. gihane_sh@yahoo.com

أهمية الدراسة

تجمع هذه الدراسة بين ثلاثة فروع هامة وهى علم النفس الإيجابي والمرضي والسياسي وهو أمر نادر، فضلاً عن توفير مقياس لانخفاض مشاعر المواطنة .

مفاهيم الدراسة

(١) الأمل: عملية توقّع تتضمن تفاعلاً بين كل من التفكير والمشاعر الموجهة نحو إنجاز الفرد في المستقبل والتي تكون ذات مغزى وأهمية بالنسبة له (Stephenson, 1991). ويرتبط الأمل بالهناء والقدرة على حل المشكلات ومواجهتها. Mahon, Yarcheski, Scolveno & (1994) وهو عامل مهم في التقييم الإيجابي للأحداث السيئة (عبد الخالق، ٢٠٠٤) والعلاج النفسي.

(٢) الألم النفسي: يشيع مصطلح «الألم في المجال الطبي والرعاية الصحية. ويعرف الألم بأنه إحساس تصاحبه استجابات غير مستحبة بفعل مؤثر، والمؤثر هو الباعث أو السبب، والاستجابة هي الخبرة التي يعيشها الإنسان، وما يعنى الإنسان هو الخبرة التي يعيشها، وخبرة الألم هي خبرة معاناة، والمعاناة هي حالة نفسية، أي أن الألم هو خبرة نفسية (صادق، ١٩٨٦، ص ١٥). ومن أهم العوامل النفسية المؤثرة على إدراك الألم: الخوف والانتباه واليقظة للألم والقلق والتفكير الكارثي في الألم والتجنب (McCracken, 1997; Sullivan, Bishop & Pivik, 1995) وينتهي الألم المزمن المستمر بالاكْتئاب (Turk; Okifuji & Scharff, 1995) أو بالفهم الجيد و«التكيف» لإزالة الضغوط وتخفيف الإجهاد (Morley; Eccleston & Williams, 1999) ويعد التفكير الإيجابي أحد سبل السيطرة على مشاعر الألم (Adams, 2005).

(٣) انخفاض مشاعر المواطنة: المواطنة هي العواطف والمشاعر القوية التي يحس بها المواطن اتجاه وطنه (الحقيل، ١٤١٧، ص ٢٠). وتتأثر مشاعر المواطنة بالعوامل والظروف المتعلقة بالمواطن أو الوطن وبناء عليه قد تكون المواطنة إيجابية وهنا يشعر الفرد بقوة انتمائه الوطني، وقد تكون المواطنة سلبية بمعنى انتماء الفرد للوطن ولكنه لا يرى منه إلا السلبيات ولا يقوم بأى عمل إيجابي، وقد تكون المواطنة زائفة وفيها يظهر الفرد حاملاً شعارات ظاهرية فقط، بينما في الواقع لا يعتز بوطنه، وأخيراً قد تكون المواطنة مطلقة وفيها يجمع المواطن بين دوره الإيجابي والسلبي اتجاه المجتمع وفقاً للظروف التي يعيش فيها، ووفقاً لدوره فيها (السويدي، ٢٠٠١، ص ١٨). وتعرف الباحثة انخفاض مشاعر المواطنة (المواطنة السلبية) بأنها شعور المواطن بالعجز والقلق والألم النفسي نتيجة ضياع الحقوق والحريات ومن ثم انخفاض مشاعر المواطنة والانتماء.

الدراسات السابقة

هدفت دراسة هيبرك وفريتش (Huprich & Fricsh, 2004) إلى فحص العلاقة بين قائمة اضطراب الشخصية الإكتئابية وكل من الأمل، والتفاؤل، ونوعية الحياة، على عينة قوامها (٢٣٢) طالباً وطالبة جامعيين. وقد أسفرت الدراسة عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية في متغير الأمل والتوجه نحو الحياة في اتجاه الذكور.

وهدف دراسة (Scott; Duangado, Vaughn, Aldridge & Villoas, 2010) إلى فحص قدرة مكونا الأمل (السبل والإرادة) في مواجهة مشقة الحياة اليومية، على عينة قوامها (١٢٦) طالباً وطالبة جامعيين ذوي المستوى الاجتماعي والاقتصادي المنخفض وأسفرت النتائج عن أهمية الأمل في مواجهة المشقة، حيث ظهر ارتباط جوهري بين الأمل وحل المشكلات. ودلت نتائج التحليل الارتباطي لإحدى الدراسات أن هناك علاقة بين قبول الألم والتفاؤل مع الضغط النفسي والعجز من الألم والأمل والضيق النفسي، حيث يساعد الأمل والتفاؤل في خفض المعاناة من الألم. (Wright, Wren, 2011; Somersault, Goetz, Fras, Hulth, et al., 2011)

هدفت دراسة الخليفة (١٩٩٨) إلى معرفة أثر الخبرات النفسية المؤلمة في الطفولة على المشكلات السلوكية التي يعاني منها المراهق والناجحة عن العدوان العراقي على الكويت، وقد أسفرت النتائج أن المراهقين الذين تعرض أحد أفراد أسرهم للتعذيب أو الاعتقالات أو فقدان المسكن أو الوقوع تحت التهديد والخوف هم أكثر معاناةً وألماً، وأن الإناث أكثر تأثراً بالضغط النفسي. وتؤكد أحدث الدراسات أن التفاؤل له تأثير إيجابي على مسار تجربة الألم (Goodin & bulls, 2013) وإن التفكير المتفائل والتصور الأفضل للذات في المستقبل يساعد على تنمية التوقعات المستقبلية الإيجابية. (Peters Linton, 2010; Flink & Boersma, 2010).

هدفت دراسة جلبي (٢٠١٣) إلى معرفة العلاقة بين الاندماج الاجتماعي والمواطنة لدى المصريين بعد ثورة ٢٥ يناير وذلك من خلال تحليل الأوضاع في مصر قبل وبعد الثورة. وقد توصل الباحث إلى عدة نتائج مفادها أن الأوضاع المزرية قبل الثورة من تفاوت فرص التعليم وتدني الرعاية الصحية وانخفاض مستوى الرفاهية الاجتماعية واتساع دوائر الفقر وضعف الإحساس بالهوية والمواطنة وتحمل المرأة لعبء رعاية الأسرة عوامل أدت إلى تفجير بركان الثورة، وأن الفترة القادمة تحتاج منا تعزيز الاندماج الاجتماعي المبني على المواطنة وتوسيع مجال الحقوق، ذلك لأن ضياع الحقوق وانتشار الفقر وعدم المساواة بين أفراد الشعب قبل الثورة أدى إلى انتشار مصطلح أزمة المواطنة. (عبيد، ٢٠٠٦)

فروض الدراسة

- ١- توجد علاقة ارتباطية سالبة ودالة إحصائياً بين الأمل والألم النفسي.
 - ٢- توجد علاقة ارتباطية سالبة ودالة إحصائياً بين الأمل النفسي وانخفاض مستوى المواطنة.
 - ٣- توجد علاقة ارتباطية سالبة ودالة إحصائياً بين الأمل وانخفاض مشاعر المواطنة.
 - ٤- يوجد فروق دالة إحصائياً في متغيرات الدراسة ترجع إلى عامل الجنس.
 - ٥- يوجد فروق دالة إحصائياً في متغيرات الدراسة ترجع إلى التخصص العلمي.
- (الطب - الحقوق)

المنهج والإجراءات

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي الارتباطي، وتم استخدام الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) في جميع العمليات الإحصائية.

عينة الدراسة

تكونت عينة الدراسة الكلية من (٢٥٠) طالباً وطالبة من جامعة الإسكندرية تراوحت أعمارهم بين (١٨-٢٦) عام والجدول (١) يوضح تقسيم العينة.

جدول (١): تقسيم عينة الدراسة الكلية (ن = ٢٥٠)

النوع	الذكور ن = ١٣٥	الإناث ن = ١١٥	الإجمالي ن = ٢٥٠
التخصص العلمي			
الطب البشري	٩٧	٦٤	١٦١
الحقوق	٣٨	٥١	٨٩

أدوات الدراسة

- مقياس سنايدر للأمل، ترجمه إلى العربية (عبد الخالق، ٢٠٠٤) ويتكون من (١٢) بنداً، بينهم (٤) بنود تحذف درجتهم عند التصحيح، ويتم الإجابة عليه من خلال أربع بدائل، وتتراوح الدرجة عليه بين (٨-٣٢). ويتمتع المقياس بثبات وصدق مرتفعان. قامت الباحثة بحساب معامل الثبات «الفا» كرونباخ للمقياس وبلغ (٠,٨٩٩).

- مقياس الألم النفسي (الحمداني، ٢٠٠٨)، ويتكون من (٣٠) بنداً ويتم الإجابة عليه من خلال مقياس «ليكرت» الخماسي، وتتراوح الدرجة عليه بين (٣٠-١٥٠)، ويتمتع المقياس بثبات عالي قدره (٠,٨٨) وقد قامت الباحثة بحساب معامل الثبات ألفا وبلغ (٠,٩١).

• مقياس انخفاض مشاعر المواطنة، قامت الباحثة بتصميم هذا المقياس وذلك بعد الإطلاع على الأطر النظرية والقياسية للمواطنة، وصاغت خمسة عشر بنداً تتمحور حول الحزن والأسى وضيق الحقوق وانخفاض مشاعر الانتماء والمواطنة. تم إيجاد معامل ثابت ألفا كرونباخ على عينة قوامها (٢٥٠) من طلاب جامعة الإسكندرية وبلغ (٠,٨٨٧). وعرض المقياس على خمس من أساتذة علم النفس بمصر لتحكيمه ولم يتم حذف أي بند، كما حُسب الصدق العاملي لبنود المقياس بطريقة المكونات العالمية، وحُسب الارتباط بين البند والدرجة الكلية على المقياس بعد استبعاد هذا البند (Guilford, 1994). ولم يتم حذف أي بند حيث كانت الارتباطات قوية ودالة وأسفرت نتائج التحليل العاملي بعد التدوير المائل عن أربعة عوامل سميت على التوالي وفقاً لأقوى التشبعات: الكرامة، والخوف من المستقبل، وضيق الحريات، والتباعد الاجتماعي. ويتم الإجابة على المقياس من خلال خمسة بدائل، وتتراوح الدرجة بين (١٥-٧٥). وقد بلغ معامل ثبات ألفا الإجمالي لمقاييس الدراسة الثلاثة (٠,٨٩٧).^(١)

النتائج: ينص الفرض الأول على أنه: توجد علاقة ارتباطية سالبة ودالة إحصائياً بين الأمل والألم النفسي.

جدول (٢) مصفوفة معاملات الارتباط
بين الأمل والألم النفسي وانخفاض مشاعر المواطنة (ن = ٢٥٠)

المتغيرات	الأمل	الألم النفسي	انخفاض المشاعر
الأمل	١		
الألم النفسي	-٠,٤٥٣**	١	
انخفاض مشاعر المواطنة	-٠,١٠٤	-٠,٢١١**	١

** دالة عند ٠,٠١

يتضح من الجدول رقم (١) وجود علاقة ارتباطية سالبة ودالة عند مستوى ٠,٠١ بين الأمل والألم النفسي، وبهذا تحقق الفرض الأول. فالأمل ينتمي إلى الانفعالات الموجبة وهو قوة دافعة تساعد على حل المشكلات ومواجهتها بمهارة (Yarcheski et al, 1994) والتقييم الإيجابي للأحداث السلبية (عبد الخالق، ٢٠٠٤؛ Synder et al, 1991) وبالتالي كلما زاد الأمل قلت مشاعر الألم النفسي.

ينص الفرض الثاني على أنه: توجد علاقة ارتباطية سالبة ودالة إحصائياً بين الألم النفسي وانخفاض مشاعر المواطنة. يتضح من جدول رقم (٢) وجود علاقة

(١) كافة المعاملات الإحصائية متوفرة لدى الباحثة لمن يرغب الإطلاع عليها.

ارتباطية سالبة ودالة وبهذا تحقق الفرض الثاني. وهذه النتيجة تعني أن الأفراد الذين يعانون من انخفاض مشاعر المواطنة تزداد لديهم مشاعر الألم النفسي نتيجة غياب الحقوق وتدني مستوى الرعاية الصحية والتعليمية.

ينص الفرض الثالث على أنه: يوجد علاقة ارتباطية سالبة بين الأمل وانخفاض مشاعر المواطنة. ويتضح من جدول (٢) أن العلاقة بين الأمل وانخفاض مشاعر المواطنة سالبة ولكنها غير دالة إحصائياً.

ينص الفرض الرابع على أنه: يوجد فروق دالة إحصائية في متغيرات الدراسة ترجع إلى عامل الجنس.

جدول (٣) اختبار (ت) لدرجات أفراد العينة (ن = ٢٥٠)

في مقياس الأمل والألم النفسي وانخفاض مشاعر المواطنة تبعاً لمتغير النوع

المتغيرات	العينة	ذكور (ن = ١٣٥)		إناث (ن = ١١٥)		قيمة «ت»	مستوى الدلالة
		م	ع	م	ع		
الأمل	٢٩,١١١	٣,٦٩٨	٢٨,٢٦١	٢,٧٥٠	٢,١٣٠	٠,٠٤٣*	
الألم النفسي	٧٢,٥٧٨	٢٠,٦٦٠	٨٤,٩١٣	١٧,٠٩٣	٢٥,٨٩٢	٠,٠٠١**	
انخفاض مشاعر المواطنة	٥٧,٩٧٠	٧,٤٠٧	٥٥,٥٩١	٦,٧٠٨	٦,٩٨٤	٠,٠٠٩*	

* دالة عند ٠,٠٥ - ** دالة عند ٠,٠١

يتضح من جدول رقم (٣) وجود فروق دالة إحصائية ترجع إلى تأثير نوع الجنس، حيث حصل الذكور على متوسطات درجات أعلى في متغيري الأمل وانخفاض مشاعر المواطنة، وهذه النتيجة تشير إلى دور الأمل في تخطي الأحداث السيئة وإلى طبيعة الرجل التي تتميز بالمثابرة والإقدام ومواجهة الأزمات بشجاعة واطزان رغم الألم (Huprich & Fricsh, 2004). هذا بالإضافة إلى الطبيعة المصرية التي تتسم بالصبر وروح الفكاهة عند الأزمات.

ينص الفرض الرابع على أنه: يوجد فروق دالة إحصائية في متغيرات الدراسة ترجع إلى عامل التخصص العلمي.

جدول (٤) اختبار «ت» لدرجات أفراد العينة (ن = ٢٥٠) في مقياس الأمل والألم النفسي وانخفاض مشاعر المواطنة تبعاً لمتغير التخصص العلمي

المتغيرات	التخصص العلمي	كلية الطب البشري (ن = ١٦١)		كلية الحقوق (ن = ٨٩)		قيمة «ت»	مستوى الدلالة
		م	ع	م	ع		
الأمل	٢٧,٦٢٩	٣,٠٠٩	٢٩,٣٢٣	٣,٣٣٤	١٥,٨٣١	٠,٠٠١*	
الألم النفسي	٧٥,١٦٨	١٧,٣٣١	٧٩,٩٥٦	٢١,٢٤٣	٣,٣٠٤	٠,٠٤٠**	
انخفاض مشاعر المواطنة	٥٧,٧٣٠	٥,٢٨٠	٥٦,٤٠٣	٨,٠١٥	١,٠٦٥	٠,١٦٢	

يتضح من جدول رقم (٤) وجود فروق دالة إحصائية ترجع إلى تأثير نوع التخصص

العلمي، حيث حصلت عينة كلية الحقوق على متوسطات أعلى في متغيري الأمل والألم النفسي، وقد يرجع السبب إلى أن طلاب الكليات النظرية لديهم فراغ فطبيعة الدراسة لا تحتاج مجهود. كما حصلت عينة كلية الطب على متوسط أعلى في متغير انخفاض مشاعر المواطنة؛ وقد يكون السبب أن طلاب الكليات العملية يعتمدون في دراستهم على التحليل والنقد ووضع الحلول؛ والأوضاع الحالية للبلاد يصعب معها إيجاد حل سريع ومُرضي. إن نتائج هذه الدراسة تبرز مدى خطورة انخفاض مشاعر المواطنة والألم النفسي الكامن وما يتمتع به الشباب المصري من نظرة إيجابية للحياة رغم الضغوط الناجمة من ضياع الحقوق والحريات.

التوصيات

توصي الباحثة بضرورة تفعيل العدالة الاجتماعية والمساواة وأن تشمل البحوث المستقبلية آفاق جديدة تهتم بعلم النفس السياسي وأضرار الألم النفسي.

المراجع

- ١- جليبي، على عبد الرازق (مارس ٢٠١٢). الاندماج الاجتماعي والمواطنة النشطة: مصر بعد ثورة ٢٥ يناير نموذجاً. المؤتمر السنوي الثاني للعلوم الاجتماعية والإنسانية، المركز العربي للأبحاث والدراسات.
- ٢- الحقي، سلمان عبد الرحمن (١٤١٧هـ). الوطنية ومتطلباتها في ضوء تعاليم الإسلام، الرياض، مطابع التقنية للأؤفست.
- ٣- الخليفي، محمد أحمد (١٩٩٨). الفروق بين المراهقين الكويتيين ذوي المشكلات السلوكية والمراهقين العاديين من حيث الضغوط النفسية في مرحلة الطفولة أثناء العدوان العراقي، مجلة الإرشاد النفسي، جامعة عين شمس، ٨، ٦٥-١١٨.
- ٤- السويدي، جمال سند (٢٠٠١). نحو استراتيجية وطنية لتنمية قيم المواطنة والانتماء، دراسة مقدمة إلى ندوة التربية وبناء المواطنة، جامعة البحرية، كلية التربية.
- ٥- صادق، عادل (١٩٨٦). الألم النفسي والعضوي. القاهرة، توزيع الأهرام.
- ٦- عبد الخالق، أحمد محمد (٢٠٠٤). الصيغة العربية لمقياس «سنايدر للأمل»، مجلة دراسات نفسية، ٢، ١٤-١٩٢.
- ٧- عبيد، منى مكرم (٢٠٠٦). المواطنة، مفاهيم الأسس العلمية للمعرفة، القاهرة، المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية، عدد ١٥.
- 8- Adams, M. (2005). *Positive thinking can overcome pain, study suggests* the Health ranger. Editor of Natural News. com.
- 9- Goodin, BR & Bulls, HW. (2013). Optimism and the experience of pain: benefits of seeing the glass as half full. *cur Pain Headache*, 5, 329.
- 10- Guilford, J. (1954). *Psychometric Methods*. New York: McGraw-Hill.
- 11- Huprich, S. K. & Frisch, M. B. (2004). The depressive personality disorder

- inventory and its relationship to quality life, Hopefulness, and optimism. *Journal of Personality assessment*, 83, 22-28.
- 12- McCracken, L.M. (1997). Attention to pain in persons with chronic pain: behavioural approach. *Behavior Therapy*, 28, 271, 284.
 - 13- Morly, S. ; Eccleston, C & Williams, A. (1999). Systematic review and meta-analysis of randomized controlled trials of cognitive behaviour therapy and behaviour therapy for chronic pain in adults, excluding headache. *Pain*, 80, 1-13.
 - 14-Peters, ML; Flink, IK, Boersma, K. & Linton, ST. (2010). Manipulating optimism can imagining a best possible self be used to increase positive future expectancies? *The journal of Positive Psychology*, 3, 204-211.
 - 15- Scott, R. ; Duangado, K.; Vaughn, A.; Albridge, A. & Villosas, F. (2010). Dispositional Hope and the personality to cope: A daily diary assessment of minority adolescents. *Cultural diversity and Ethnic minority Psychology*, 16, 191-198.
 - 16- Snyder, C. R.; Irving, L. & Anderson, J. R. (1991). *Hope and Health: Measuring the will and the ways*. In C. R. Snyder & D. R. Forsyth (Eds.), *Handbook of social and Clinical Psychology: The health perspective*, 285-305, Elinsford, NY: Pergamon.
 - 17- Stephenson, C. (1991). The concept of hope revisited for nursing. *Journal of advanced Nursing*, 16, 1456-1461.
 - 18- Sullivan, MJL; Bishop, SR & Pivik, J. (1995). The pain catastrophizing scale; development and validation. *Psychology Assessment*, 7, 524-32.
 - 19- Truck, DC; Okifuji, A. & Scharff, L. (1995). Chronic pain and depression-role of perceived impact and perceived control in different age cohorts. *Journal of Pain* 61, 93-101.
 - 20- Wright, MA; Wren, AA; Somers, TJ; Goets, MC; Fras, AM; Huh, BK; Rogers, LL & Keefe, FJ. (2011). Pain acceptance, Hope, And optimism: relationships to pain adjustment in patients with chronic musculasketal pain. *journal of pain*, 11, 1155-1162.
 - 21- Yarcheski, A; Scoloveno, M. & Mahon, N. (1994). Social support and Well-being in adolescents: the mediating role of hopefulness. *Nursing research*, 43, 288-292.

(١) مقياس الأمل

م	العبارة	خطأً تماماً	خطأً غالباً	صحيح غالباً	صحيح تماماً
	أستطيع أن أفكر في عدة طرق للتخلص من مأزق				
	أسعى بكل همة لتحقيق أهدافي				
	أشعر بالتعب في معظم الوقت				
	لكل مشكلة أكثر من طريقة لحلها				
	أنهزم بسهولة في أي جدال				
	هناك أكثر من طريقة عندي للحصول على الأشياء المهمة لي في الحياة				
	أشعر بالقلق على صحتي				
	أعرف أنه بإمكانني أن أجد وسيلة لحل المشاكل حتى عندما تثبط عزيمتي الآخرين				
	لقد أحسنت تجاربي السابقة إعدادي للمستقبل				
	أنا ناجح جداً في حياتي				
	عادة يصيبني القلق حول شيء أو آخر				
	عادة أحقق الأهداف التي وضعتها لنفسي				

العبارات المظلة تحذف عند التصحيح

(٢) مقياس الألم النفسي

م	العبارات	تعرضت لذلك بدرجة			
		كبيرة جداً	كبيرة	متوسطة	قليلة
	نظرت إلى عالمي الخاص ورأيت حزيناً				
	مرت بي مواقف صعبة جعلتني أتمنى الموت				
	شعرت بأن الحياة لم تعد لها معنى				
	راودتني لحظات رغبة فيها بالصراخ بأعلى صوتي				
	تعرضت لمواقف محرجة ففكرت بالانتحار والتخلص من الحياة				
	تراودني كوابيس ليلية وأحلام مزعجة				
	تتناوبني مخاوف بصورة مستمرة				
	بدأت أميل إلى الانطواء والانعزال				
	تتناوبني نوبات انفعالية				
	بكيت كثيراً حتى أصبت بالصداع				
	أحسست باحتباس الكلام				
	لم أستطع الوقوف على قدمي من شدة الألم				
	بدأت أتففس بصعوبة				
	بدأت أشعر بضعف شهيتي للطعام				
	أشعر بألم حاد في جميع مفاصل جسدي				
	أشعر باضطراب في مستوى نبضات قلبي				
	أشعر برعشة باضطراب في جسدي من شدة ما أعانيه من إجهاد				
	أحس بالتلعثم عند الحديث				
	شعوري بالضيق وقلة الراحة جعلني أشعر بالغثيان				
	أحاول كسب محبة الآخرين				
	أشعر بالعجز لتحقيق أهدافي				
	لا أحب الأجواء المرحية				
	لا أستطيع إقامة علاقات عاطفية مع الآخرين				
	ابتعدت عن ممارسة الطقوس الدينية				
	أشعر بأن قيمتي الاجتماعية بدأت تضعف				
	أعاني من التردد في اتخاذ القرار				
	أشعر بالوحدة والابتعاد عن المجتمع				
	أشعر أن الروابط والعلاقات الاجتماعية بدأت تضعف بيني وبين الآخرين				
	بدأ يتكون لدى إحساس بأنني لست جزءاً من المجتمع				
	بدأت أشعر بوجود معيار قيم يربطني بالآخرين.				

(١) مقياس انخفاض مشاعر المواطنة

م	العبارة	أعترض	أعترض بشدة	محايد	أوافق	أوافق بشدة
	يؤلني ضياع الحريات في وطني					
	أشعر بالخوف من المستقبل					
	أخفتي الأمل من حياتي					
	تتناوني أفكار مزعجة نتيجة الأحداث الحالية					
	أمارس حقي في حرية التعبير عن شؤون الوطن					
	أشعر باختناق من عدم الأمان في الشارع					
	غياب العدالة الاجتماعية يسبب لي ألم يصعب شرحه					
	أشعر بالأسى من انقسام الشعب المصري					
	أفتقد مشاعر الانتماء للوطن					
	أعاني من الإحباط بسبب عدم استقرار الوطن					
	أشعر بحزن لغياب المساواة والعدالة في وطني					
	حان وقت أن يحيا المواطن بكرامة على أرض مصر					
	أساهم في أعمال تطوعية من أجل الوطن					
	ضاعت العلاقات الإيجابية بين المواطن والوطن					
	أعشق تراب مصر					

الملخص

هدفت هذه الدراسة إلى كشف نوع العلاقة بين الأمل والألم النفسي وانخفاض مشاعر المواطنة، ومعرفة الفروق بين هذه المتغيرات والتي يمكن أن تعزى إلى متغير النوع، والتخصص العلمي. بلغت عينة الدراسة (٢٥٠) طالباً وطالبة من جامعة الإسكندرية. استخدمت الباحثة مقياس الأمل ومقياس الألم النفسي، وقامت بتصميم مقياس انخفاض مشاعر المواطنة، وبلغ معامل ثبات ألفا للثلاثة مقاييس (٠,٨٩٧). أسفرت نتائج الدراسة عن وجود علاقة ارتباطية سالبة بين الأمل والألم النفسي، وكذلك بين الألم النفسي وانخفاض مشاعر المواطنة، وكان متوسط درجات الطلاب أعلى على متغير الأمل وانخفاض مشاعر المواطنة، وقد حصل طلاب وطالبات كلية الطب البشري على متوسط أعلى في متغير انخفاض مشاعر المواطنة.

الشباب والمفارقة التنشئية

د. فتيحة حرات*



في هذه الحالة أكثر من يتأثر هم الشباب الذين يجدون أنفسهم أمام صراع ثقافي وحضاري وأزمة هوية في ظل سيطرة ثقافة العولمة. وهذا يدل على أن وضعية التغيرات الثقافية يعيشها شباب المجتمعات الإسلامية بتوتر أكبر، فيسود الغموض أكثر في الرؤى المستقبلية.

في هذا الإطار، قمنا بدراسة ميدانية على عينة من الشباب الجزائري، أظهرت لنا صلب المفارقة التنشئية والثقافية التي يعيشها المجتمع.

تنشئة الشباب في المجتمعات الإسلامية مختلطة، تقوم على مقومات شخصية تجمع بين قيم تقليدية ودينية لم تستطع التصدي للقيم العصرية انعكاسا لبنية ثقافية مفارقة في زمن العولمة، لأن هذه المجتمعات لم تصل بعد لأن تحدث تركيباً بين مقوماتها لتتمكن من الاستقلالية في تسيير سياساتها، اقتصادها، وأمورها الاجتماعية والمرتبطة كلها بنسقتها الفكري.

في كل مجتمع إسلامي، خاصة المجتمعات العربية، تتعايش اتجاهات من الليبرالية إلى التعصب الديني، ومن الأفكار التحريرية إلى الأفكار المتطرفة، وسلوكيات من أعلى درجات العصرية إلى السلوكيات التقليدية، وتتحد لدى الفرد الواحد الأفكار التحريرية مع الأفكار التقليدية مع المحافظة على الشعائر الدينية. ظاهرياً يبدو تناقضاً بارزاً.

• دكتورة في علم الاجتماع أستاذة محاضرة في قسم العلوم الاجتماعية والانسانية، بجامعة بجاية/ الجزائر.

fati_harrat@yahoo.fr

Summary of a communication entiteled: youths and paradoxical socialization

Dr. Fatiha Harrat

lecturer in departement of socials sciences,
University of Bejaia (Algeria)

In Islamic societies, youths socialization is blend, it makes personality's constituents, jointing between traditional and religious values which are not able to challenge modern ones. That is a reflection of a paradoxical culture's pattern in globalization era, because they haven't arrive yet, to realize a synthesis of their braces, in order to be completely independents in the management of their politics, economics, and social affairs, depending of their intellectual systems.

In all Islamic societies, especially Arabs, live together at the same time, different tendencies, from liberal ones to religious radicalism, from liberal ideas to the extremists, and from modern behaviors to the traditional ones. The same person can closely relate between liberal and traditional ideas, and can be conservative of religion too.

In this context, youths are more exposed to the impact of culture and civilization's conflicts, especially front of an identity crisis, under the globalization's culture domination. This case of culture's evolution is lived by the Muslims youths with a large stress and a confuse vision. In this work, an empirical study of a sample of Algerian youths, explain this paradoxical socialization.

مقدمة

تشكّل الشباب في المجتمعات الإسلامية مختلطة، تقوم على مقومات شخصية تجمع بين قيم تقليدية ودينية لم تستطع التصدي للقيم العصرية انعكاساً لبنية ثقافية مفارقة في زمن العولمة، لأن هذه المجتمعات لم تحدث تركيباً بعد، بين مقوماتها قصد الاستقلالية في تسيير سياساتها، اقتصادها، وأمورها الاجتماعية والمرتبطة كلها بنسقتها الفكري.

تعريف التنشئة

إن عملية التنشئة الاجتماعية من أول العمليات الاجتماعية في حياة الفرد لأنها الدعامة الأولى التي تركز عليها مقومات شخصيته وتبدأ هذه العملية منذ ولادة الطفل ثم تتولاها الأسرة بالترويض على أن يكون كائناً اجتماعياً^(١)، وهي العملية الثقافية التي يتحول بها كل طفل حديث الولادة إلى عضو كامل في مجتمع معين.^(٢) وتعتبر كنتاج للتفاعل الذي يتم بين الطبيعة الأصلية للإنسان (الوراثة)، وبين بيئته الاجتماعية، حتى يكاد يكون من المستحيل فصل أثر الوراثة على أثر البيئة فيما يخص نمو الشخصية^(٣). يدخل في ذلك ما يلقيه الآباء والمدرسة والمجتمع للأفراد، من لغة ودين وتقاليده وقيم ومعلومات ومهارات.. إلخ^(٤)

وعليه تتفق التعريفات المذكورة على أن عملية الاندماج في المجتمع هي اندماج ثقافي. وإذا كانت هذه التعريفات مقبولة وعملية في الفترة التي دخلت فيها كلمة تنشئة حيز الاستعمال، فالأمر لم يعد كذلك اليوم، أين أصبحت نماذج السلوك، المعايير والقيم الاجتماعية غير ثابتة، فالتنشئة حسب ممارسات ثابتة وقيم جامدة، لا تكون الوسيلة الأنجع لتسليح الشباب كي يواجهوا المستقبل.^(٥)

الاختلاف بين التعريفات، يظهر لنا الاختلاف في نظريات التنشئة. في وقت تؤكد مجموعة من منظري التيار الثقافي وبعض الوظيفيين (بارسنز) وكذا بعض النفسانيين مثل (بياجي) على استيعاب المعايير والقيم الثقافية من طرف الأفراد الذين يندمجون مع ثقافتهم ويصبحون فاعلون معيدون لإنتاج الثقافة، نجد من الجهة الأخرى، مجموعة تؤكد على عدم التأثير الثقافي، والفاعل الاجتماعي الذي له دوراً يمكنه من الاختلاف والتغيير، (ميرتون، لوكمان، توماس وفيبير).

(١) القاضي مصطفى (يوسف)، زيدان مصطفى (محمد)، السلوك الاجتماعي للفرد، شركة مكتبة عكاظ للنشر والتوزيع، المجمع، المملكة العربية السعودية، ١٩٨١، ص ١٢٩.

(٢) الساعاتي حسن (سامية) الثقافة والشخصية، بحث في علم الاجتماع الثقافي. دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٣ ص ١٢٧.

(٣) مختار (محي الدين)، محاضرات في علم النفس الاجتماعي. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر بدون تاريخ. ص ١٢٨-١٣٢.

(٤) زكي بدوي (أحمد)، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، إنجليزي-فرنسي-عربي. مكتبة لبنان. بيروت ١٩٩٣ ص ٤٠٠.

(5) Ben Hamida (Kmais), "point de vue sur la socialisation des jeunes en Tunisie" in, sous la direction de Mongi Chemli, Les jeunes et la famille Tunisienne, INSE. Unité de recherche sociologique de l'éducation, Cahier N°3 2ème ed. Tunis 1977.

في الأخير، يمكننا القول أن التنشئة الاجتماعية هي مسيرة تشكيل الشخصية الاجتماعية لأفراد المجتمع عن طريق ممارسة الأفراد للأفعال بصفة مستقلة من أجل ضمان ادماجهم في المجتمع ضمن ثقافة ما، وكذا للاندماج عن طريق التمايز والاستقلالية.

قيم تنشئة الشباب في المجتمعات الغربية

تتفق المجتمعات الغربية على تبني قيم الفردانية والتحرر والتي انعكست على علاقات التنشئة. ويظهر ذلك جلياً في تحرر الشباب من سلطة الأولياء، ومن سلطة المربين والمعلمين من خلال فرض أنفسهم. وعليه، يمكننا القول أن هناك اعتراف اجتماعي بشرعية هذا التحرر^(٦).

أما واقع التنشئة في هذه المجتمعات، فتطبعه ميزات خاصة: حرص قانوني للحماية والحفاظ على حقوق الأطفال في إطار الفردانية والتحرر. والبحوث الاجتماعية في هذا المجال، تعزز مسار حماية الحقوق^(٧). فالصورة التي تعكسها المجتمعات الغربية مع اختلافها، وهي في موقع قوة ثقافية ذات تأثير واسع، تجعلنا نتساءل عن مدى تأثير هذا الواقع على تنشئة الشباب في المجتمعات الإسلامية، خاصة وأن الكثير منها يطبعها الفقر وعدم الاستقرار السياسي والأمني.

لمحة عن تطور نموذج التنشئة في المجتمعات الإسلامية

تشتق خصائص نموذج التنشئة لدى المسلمين من الدين، لأن آداب التعامل مع الأفراد يعد نفسه احتراماً للعبادة. فلبناء الأخلاقي للطفل أهمية عظيمة، حيث قال الرسول ﷺ: «لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع»^(٨). وبناءً على ذلك، ساد مثل هذا النموذج لقرون مضت في المجتمعات الإسلامية، لكنها بدأت بالتلاشي بفعل التغيرات التي شهدتها.

(6) Fize (Michel), La Démocratie familiale, évolution des relations parents- adolescents, Chronique sociale de France, Lyon, 1960. p. 290.

(7) De Singly (François), Sociologie de la famille contemporaine, Nathan, Paris, 1993.

(٨) بن عبد الحفيظ سويد (محمد نور)، منهج التربية النبوية للطفل، مع نماذج تطبيقية من حياة السلف الصالح، دار بن كثير، دمشق، بيروت، ٢٠٠٧، ص، ١٥٩.

فالمجتمعات الإسلامية ككل، تعرضت إلى تغييرات مستها في بنيتها وإن كانت متفاوتة في الدرجة والعمق. فكان البعض منها إجبارياً والبعض الآخر اختيارياً. فتأثرت بذلك السلوكيات والممارسات في حالة الإكبار كنتيجة لتأثير الإدارة الاستعمارية وتشريعها القانوني الذي لا يتوافق والقوانين الإسلامية.

فمن المغرب إلى الخليج، نجد العلمانية في تركيا والارتباط بالتشريع الإسلامي في السعودية وإيران. وبين العلمانية والتشريع الإسلامي، أثرت معظم الدول الإسلامية التناوب الوسطي. أما العلمانية، فكثيراً ما نجدها مطبقة وبخاصة في ميدان التعليم والعدل^(٩). ومن ثم، هناك تعايش جنباً إلى جنب لكل من اتجاهات الليبرالية مع التعصب الديني والأفكار التحررية مع الأفكار المتطرفة. لنجد لدى الفرد الواحد كل من الأفكار التحررية العصرية مع الأفكار التقليدية، والمحافظة على الشعائر الدينية. فالأدوار والوظائف الاجتماعية المعبرة عن التناقض، تشكل وضعا ثقافياً فريداً. وما يطبع هذه المجتمعات، من عدم التجانس في بنيتها الاقتصادية، الاجتماعية وكذا السياسية، ينعكس على مؤسسات التنشئة الاجتماعية. إن الجمع بين الباطن القديم والظاهر الحديث عند الإنسان الواحد، جعله مصاباً بازدواجية الشخصية.^(١٠)

«لقد كانت تنشئة الطفل على قيم مجتمعه تتم من خلال قنوات ومؤسسات وطنية، ترسم له معالم حياته ومستقبله بشكل منسق من الأعراف والمعايير الأخلاقية والدينية والاجتماعية، أما اليوم وبفعل الكم الهائل من وسائل الاتصال والإعلام أصبح الأطفال يواجهون عدة جهات وقنوات للتنشئة، يصارعون من خلالها مجموعة من التحديات الثقافية، مما دفع بالآباء والأمهات إلى استصراخ ضمير العلماء والمصلحين ورجال القانون والدين لمساعدتهم على مواجهة آثار فشلهم وتخوفهم مما يعانيه أبناءهم من قلق وضياع ورفض وتمرد».^(١١)

النموذج التربوي الذي تعلمه الوالدين لم يعد صالحاً، بحيث أصبحت الأسرة في المجتمعات الإسلامية في مواجهات تربوية: «... فالأسرة التي كانت فيما مضى تسطر خطوط الثقافة عن طريق التنشئة والثقافة التي تعطيها، بما في ذلك، قيم الجماعة، تركت

(9) Behnam (Djamchid) et Bouraoui (Soukaina) et coordinateurs, Familles musulmanes et Modernité, Le Défi des traditions, Publisud, Paris, 1986, p. 56.

(١٠) محمد الحسن (إحسان)، العائلة، القرابة، والزواج، الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٠، ص ٢٦٤.

(١١) حسنين العجمي (محمد)، التربية وقضايا العصر، الدار العالمية للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٧، ص ٢٧١.

نفسها اليوم لتأثيرات النماذج التي تقدمها وسائل الإعلام، وهي نفسها تتلقى التنشئة بسبب هشاشتها»^(١٢) إذ «أصبحت الأسرة لا تجمع، لا تربط ولا تحمي، وبعبارة أخرى، لا تدمج الطفل في الوسط الملائم. إنها بالتأكيد تحاول أن تفعل ذلك، لكنها فاقدة للثقة والتأكد. فنسق التنشئة بكامله قد جرح، فهل نستعجب إذا فسرنا ذلك باضطراب في النسق المرجعي ذاته للكثير من الشباب؟»^(١٣) في هذه الحالة أكثر من يتأثر هو المراهق بحيث يجد: «... نفسه في أتون صراع ثقافي وحضاري، يأخذ فيه طرف الثقافة الأخرى، والحضارة الأخرى المناقضة لثقافة أسرته ولحضارة مجتمعه، وهذا ما يأخذ بعده الخطير في ظل سيطرة ثقافة العولمة»^(١٤)

ومن ثم، يجد الشباب أنفسهم أمام مشاكل هوية، وهذا يدل على أن وضعية التغيرات الثقافية يعيشها شباب المجتمعات الإسلامية بتوتر أكبر، لأن الأحوال المادية وحدها قادرة على جعل الصراعات تشتد وتحتدم، فيسود الغموض أكثر في الرؤى المستقبلية.

البحث الميداني

تشهد التنشئة الاجتماعية لدى الشباب العربي التذبذب والازدواجية بسبب استمرار ثقافة تستمد قيمها من التقاليد والدين التي تتمسك بها غالبية الأسر، وأخرى عالمية ذات صبغة علمية، نفعية وذات انتشار واسع النطاق باعتبارها ثقافة العصر. وفي هذا الصدد، قمنا ببحث ميداني على عينة من الشباب بالجزائر بالاعتماد على تقنية الاستمارة قصد كشف مدى إقبالهم على هذه الثقافة ومدى تمسكهم بثوابت ثقافتهم الأصلية، فكانت النتائج كما يلي:

مدى تمسك الشباب بالتقاليد

نسبة ٨٢,٠٥٪، تمثل فئة المحافظين ولاحظنا أن محافظة المبحوثين على التقاليد، تتوزع على جميع فئات العمر بنسب كبيرة، لكنها مرتفعة أكثر مع المبحوثين الذين تتراوح أعمارهم ما بين ٢٧ و ٣١ سنة، والمستوى التعليمي، لا تأثير له.

(12) Behnam (Jamchid) Bouraoui (Soukaina), Op. Cit, p. 51.

(13) Bouhdiba, Quêtes sociologiques, continuité et rupture au Maghreb, CERES, Tunis, 1995, p. 136.

(١٤) محمود مكي (عباس)، ديناميكية الأسرة في عصر العولمة، من مجالات الكائن الحي إلى تكنولوجيا

صناعة الجينات، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٧.

من خلال بحثنا، توصلنا إلى أن هدف الشباب من المحافظة على التقاليد هو عدم جراءة بعض المبحوثين على التميز والاختلاف عن باقي الأفراد، باعتبار الثقافة التقليدية منتشرة في المجتمع. أما التصريحات التي أدلوا بها فهي دليل قاطع على كونهم يسيرون في طريق التماثل: «مثل كل فرد أحافظ على التقاليد»، لدرجة أنها أصبحت مفروضة: «هي مفروضة»، فأصبح الكثير يفعلون مثلاً يفرض المجتمع: «نفعل ما يظنه المجتمع جيداً». هذا يؤكد على الخضوع، وكل محاولة للاختلاف تعتبر مواجهة للمجتمع. وتؤكد الوحدات ضمن فئة أخرى، عن تمسك واع وإرادي بالتقاليد على اعتبار أنها: «ثقافتنا»، «تاريخنا»، «شخصيتنا»، «قاعدة ثقافية»، «أسس المجتمع»، «استمرارية». إذن تبقى هذه الفئة، محافظة على التقاليد لوعيها بأهمية الانتماء الثقافي.

أما الفئة الثالثة، فتعمل اتجاهها نحو المحافظة بدافع التنشئة، التي تعد المفسر الأساسي والمباشر للسيرورة الثقافية التقليدية التي ذكرتها الفئة الأولى: «المحافظة مرتبطة بتربيتي»، «والدي علماني هذا». مثل هذه الأجوبة، تبين لنا الوسط الاجتماعي للمبحوث وبالأخص الأسرة التي نشأ فيها، مبنية على أساس القيم التقليدية: «أولياؤنا ولدوا على هذه التقاليد، ونحن نتبعهم دون وعي منا».

إن استيعاب التقاليد يبلغ التحكم في أفعال الفرد لدرجة اللاوعي. فإذا كان الأولياء على وعي ربما بالقيم التي ينشؤون أبناءهم عليها، فإن الأبناء يستوعبونها بطريقة غير واعية، خاصة في مراحل العمر الأولى، لتصبح القيم الموجهة لأفعالهم.

كما نجد ضمن فئة غير المحافظين الممثلة بنسبة ٥,٣٢٪، من يرفضها بتاتا لقناعته الدينية التي لا تتفق معها، ومن ترفضها كذلك لكونها متأثرة بالقيم العصرية، وهناك من لا يقبل بها بسبب مساوئها، ومن اعتبرها لا تتوافق واحتياجات العصر: «أحافظ على سنة الرسول وكتاب الله المقدس، ودون ذلك لا أحافظ على شيء»، «لا أعترف بالرموز الاجتماعية، أجد فيها مغالاة وتبذير ومضيعة للوقت»، «أحب العصرية»، «والدي لا يحافظان وأنا مثلهما».

في حين، يمثل مبحوثوا الفئة الأخيرة، فئات مختلفة، فمنهم المحافظون والمحافظون جزئياً على التقاليد، وغير المحافظين. فهؤلاء المبحوثين لا يعلمون بالضبط ما هي دوافعهم من المحافظة أو عدمها، بحيث أنهم لم يتساءلوا يوماً عن واقعهم الثقافي والقيمي الذي يعيشونه.

طبيعة التقاليد المحافظ عليها

«تراث الأجداد»، «تراثا الثقافي»، «أصالتنا»، «تواصل الجماعات»، «العلاقات الأسرية».

فوحداث التحليل المذكورة، تدل على مسار موحد، ألا وهو التمسك الشديد بالتقاليد لهذه الفئة الشابة. وهذا ما يجعلنا نتنبأ بدوام الثقافة التقليدية لفترة أطول.

تنشئة الشباب على القيم الدينية

حسب النتائج المتحصل عليها، يبدو أن معظم المبحوثين مطبقين للدين، لكن يتفوق الإناث بـ ٨٧,٢٢٪ على الذكور الذين تبلغ نسبتهم ٧٣,٩١٪. فالمبحوثين يعترفون بتمسكهم بالاعتقادات الدينية، وهذا ما يدل على ترسخ البعد الديني في المجتمع وتجذره فيه، بحيث نجد لدى فئة واسعة من الشباب أن التطلع على الحصص الدينية المحلية أو عبر القنوات الفضائية له صدى لدى الكثير، ونلتمس هذا الاهتمام من خلال اتصالاتهم المتعددة للاستفسار عن القضايا الدينية. هذا، فضلاً عن الإقبال الكبير على الكتب الدينية الذي نلاحظه في التظاهرات الثقافية ومن أبرزها معرض الجزائر الدولي للكتاب.

وكنتيجة لما سبق، يتبين لنا مدى تأثير الجنس، بحيث نجد الإناث أكثر اهتماماً بتطبيق الواجبات الدينية مقارنة بالذكور، فتعودهن على تطبيق أوامر ونواهي الأولياء وخضوعهن لما يمليه المجتمع، جعلهن أكثر استعداداً للقيام بالواجبات الدينية أكثر من الذكور الذين عودهم التحرر الاجتماعي من الانفلات من الضغوط في كل المجالات بما في ذلك الأمور الدينية.

معظم المبحوثين صرحوا أنهم مطبقين للدين وأكدوا على تطبيقهم للعبادات والشعائر والمتمثلة أساساً في الصلاة والصوم. وقد تم التأكيد بصفة بارزة على الصلاة دون غيرها. فالأركان الخمسة التي ذكرها البعض هي طبعاً القواعد الأساسية للإسلام، وتطبيق المسلم لها يعد أولياً وأساسياً في هرم العبادات باعتبار الصلاة والصوم والزكاة والحج، أركان تعطي طاقة إيمانية قوية للفرد، حتى يتمكن من التحكم في نفسه، وبالتالي، يستقيم مع غيره، لأن تأسيس العلاقات الاجتماعية والتفاعل مع الغير هو المقصود. لكن معظم المبحوثين ركزوا على الصلاة التي تعتبر من بين الواجبات التي يؤديها الكثير من الشباب بصفة منتظمة. لذا، ذكرها مؤديها، والذين تعد نسبتهم معتبرة في عينتنا ٤٨,٢١٪. وفي الكثير من الأحيان دون إضافات أخرى.

نستخلص أن المعرفة الدينية تبقى سطحية لدى معظم المبحوثين الشباب، بما أنها تركز في أغليبيتها فقط على القيام بطقوس العبادات (الصلاة، الصوم) والتي من المفروض أن تبدأ بها لتصل لغيرها من الواجبات. أما المعرفة الناضجة كالتأكيد على الامتناع عن المحرمات والقيام بباقي التكليف بالواجبات الأخلاقية، والحرص على حسن التعامل الاجتماعي فيبقى سطحياً حسب تكرار ذكرها. لكن هذا لا ينفي الانتشار الكبير للبعد الديني في حياة الأفراد، الذي لا يمكن عزله عن تنشئة الشباب، فهو قيمة بارزة ضمن القيم الثقافية، لكن أبعاده الروحية والفكرية هي التي تبقى بعيدة عن الاكتشاف من طرف هذه الفئة وليست في متناولها.

المطالبة بالعصرنة لدى الشباب

نسبة المطالبين بالعصرنة تقدر بـ ٦٩, ٥٧٪ دون تمييز للجنس وهم بذلك متأثرين بها ويعلمون رغبتهم إياها. لكن النسبة تظهر أنها غير معتبرة على الرغم من أن المبحوثين أجابوا على أسئلة تصف نمط معيشتهم، نشاطاتهم، علاقاتهم وتصوراتهم أكثر ما يطفئ عليها طابع العصرنة.

وبالمقابل، هناك نسب متباينة من المبحوثين الذين يرفضونها قطعاً، أو من يرفضون جزء منها. ويبقى المجيبون بلا أدري غير عالمين بما يريدونه فعلاً من قيم، ويبين ذلك، أنهم لم يطرحوا على أنفسهم مثل هذا السؤال، وكذلك الشأن بالنسبة للذين لم يجيبوا.

ولما حاولنا تبيان مدى تأثير متغير العمر والمستوى التعليمي على الاجابة، اتضح لنا أن كلاهما، لم يظهر التأثير سوى لدى فئة ١٥-٢٠ سنة، التي لم تدرك بعد الاتجاه الثقافي الواجب اتخاذه.

أما سبب رفض العصرنة لدى باقي المبحوثين، فيمكن ايعازه للتمسك بالتقاليد، «أحب التقاليد وهذا يكفي». فنجد البعض يكتفون بها حيث تمثل لهم: «المبادئ الثقافية والدينية» التي يجدون فيها «العقلنة»، وهم متيقنون بأنها متناقضة والعصرنة: «لا تتماشى مع قيمنا»، وراضين ببساطة نموذجهم: «أنا بسيطة». نستنتج بأن للمبحوثين قيماً ترفض قيم الغرب، وبالتالي، يريدون المحافظة عليها. كما أنهم أكثر ما ينتقدون في العصرنة هي محاولة إعادة امتلاكها في مجتمعنا. في هذا الصدد، يعتبر مبحوثان أن مجتمعنا «لم يتوصل للمعنى الحقيقي لها»، فهما لا يرفضان العصرنة في حد ذاتها، بقدر ما يرفضان تلك التي تخص مجتمعنا، لأنها حسب رأيهما فهي عصرنة غير حقيقية. وفي نفس السياق، تقول أخرى «إني أرى العصري في الحضارة الفكرية»، فالمجتمع لم يتوصل بعد لهذا المستوى، وبما أن الأمر كذلك، فعصرنة مجتمعنا تعتبر مرفوضة لدى فئة من المبحوثين.

الهدف من تأييد العصرية

مواقف العصرية، جاءت متكاملة، لكنها ذات خصائص جعلتها تتباين عن بعضها البعض، إذ نجد موقفاً يؤكد المبحوثين ضمنه، على أن مطالبتهم بالعصرية هي توافقاً مع التغيير الذي يفرضه العصر: «الزمن والعالم يتغيران»، «أريد أن أكون عصرياً حتى لا أبدو أمام الآخرين متأخراً». «فالعصرية، فرضها عليهم الزمن المتغير وعياً بالتغيير الاجتماعي. واعتبر البعض الآخر إلزامية التغيير تطابقاً مع العالم، ليس المجتمع فحسب: «نحن ملزمون بالعيش وفق العالم المتغير»، «العالم يتغير».

فهؤلاء يعلمون التفاعل بين المجتمعات ويعلمون أن المجتمع لا يمكن أن يعيش في عزلة عن العالم المتغير. ومن بين هؤلاء، من يعتبر المجتمعات المتطورة مرجعاً له. وعليه، يكون التغيير في كل الحالات مفروضاً، «لنعيش مثل العالم»، والسبب في ذلك هو اجتناب التأخر، لأن تأخر الأفراد أو المجتمعات، يعرضهم لعدم احترام الآخرين لهم، والشعور بعقدة النقص: «كي يحترمنا الناس». لذا، نجدهم يعتبرون التغيير فرضاً وإلزاماً.

أما الوعي، فنجد له لدى فئة من الذين ركزوا على ضرورة ووجوب المطالبة بالعصرية من أجل تحقيق التطور الذي وصلت إليه المجتمعات القوية، قصد التمكن من مواجعتها: «العصرية تمكن من التطور لمواجهة الدول المتطورة»، وتمكن من الحصول على العلم، محرك التطور، «للحصول على العلم». فتتبع العصرية حسب اعتقادهم، يعني اكتساب ما يجري من اكتشافات علمية من أجل تطوير المجتمع.

تطالب فئة أخرى بالعصرية، لاعتبارها تسهّل الحياة: «إنها تسهل الحياة»، فالتطور العلمي والتكنولوجي الهدف منه تسهيل الحياة اليومية للأفراد، بتوفير الوسائل، وتلك هي أكبر إيجابيات العصرية.

أما غير المبررين لاتجاههم، فنجدهم يمثلون نسبة عالية ٩٨,٥٥٪، وارتفاعهم هذا ملفت للانتباه. أما عدم التبرير، فيظهر جلياً لدى فئة المبحوثين الذين تتراوح أعمارهم ما بين ١٥ و ٢٠ سنة، والذين هم في مرحلة تكوين القيم واختيارهم لها. لكن هذا لا ينفي وجود مبحوثين من باقي فئات العمر عجزوا تماماً عن التبرير، كونهم يجهلون حقيقة انتمائهم الثقافي العنصري.

فيم يعتبر المبحوثون أنفسهم عصريين؟

معظم المبحوثين يعتبرون أنفسهم عصريين في طريقة تفكيرهم وهذا ما نستشفه من خلال التصريحات التالية: في «أفكاري»، «أن لا أكون متخلفاً»، لأن من لا يكون عصرياً يعتبره الأفراد متخلفاً.

يبدو أن المبحوثين ابتعدوا عن القيم التقليدية بمحض إرادتهم بتفتحهم على القيم العصرية: «في انفتاح تفكيري»، وانفتاح التفكير حسب مفهومهم يتم بطرق مختلفة أهمها الخوض في المواضيع التي تحرمها الثقافة التقليدية: «أنا منفتحة في بعض المواضيع»، وبالاعتماد على المنطق: «تفكيري منطقي»، والتفكير المنطقي والمتفتح يعتبره أحد المبحوثين تفكيراً متحضرأ أي متوازٍ مع حضارة العصر: «تحضر أفكارتي». وكأمثلة على ذلك التفكير المنطقي المتفتح والمتحضر، ما جاء به مبحوثين آخرين: «قبول الصداقة مع الجنسين»، «المساواة بين الرجال والنساء»، «تدعيم خروج المرأة للعمل واستقلاليتها المادية»، «قبول الاختلاط»، «حريتي في التفكير».

نلاحظ أن هذه الأمثلة كلها تنطبق فعلاً وقيم الثقافة العصرية، وتحدث كنتيجة لذلك قطيعة مع الثقافة التقليدية الراضة لها. فالتضاد القائم بين القيم، يبدو واضحاً على المستوى الفكري.

فالعصرنة كنموذج، طريق موصل للدراسة والتعلم: «بالتعلم»، «في الدراسة»، «البحث العلمي»، «يكون التقدم في العلوم». فالمبحوثين، على دراية وعلم أنه أفضل وأنجع وسيلة يجب الأخذ بها واتباعها حتى يكونوا عصريين، وذلك الذي تعتمد عليه المجتمعات النموذجية لتطورها عبر العلم.

مع نفس تسلسل الأفكار، وفي اتجاه أوسع، جاءت تصريحات مبحوثين آخرين: «بالتثقف»، «أن أكون مثقفاً»، «ثقافتي عصرية»، مجال الثقافة الأكثر شمولية، يخوضه بعض المبحوثين حتى يكونوا أكثر معرفة في مختلف المجالات الحضارية، بالثقافة العصرية، عن طريق الاستعلام: «أستعلم عن كل ما هو جديد»، «أستعلم عن التكنولوجيا»، «أن أكون عالماً بالجديد والتكنولوجيا».

هذه الأخيرة، كانت محوراً ركز عليه الذين يعتبرون أنفسهم عصريين كونهم متمكنين من التحكم في بعض التقنيات بما في ذلك: «بأن أقود سيارة»، «استعمالي لوسائل الاتصال»، «استعمال الإعلام الآلي»، «استعمال الإنترنت». عامة قال مبحوث: «استعمالي للوسائل اليومية»، وقال آخر «استعمالي وتمكني من التكنولوجيا». فهؤلاء المبحوثين يعلمون أنهم بتمكنهم من استعمال تكنولوجيا العصر، فإنهم قد اكتسبوا قيم الثقافة العصرية. أما مبحوثين آخرين يعتبرون أنفسهم عصريين في هيتهم، إذ أنهم يعتمدون طريقة عصرية في لباسهم: «أنا عصرية في اللباس»، «أن ألبس جيداً». وفي تسريحة الشعر والتزين: «في طريقة تزييني وتسريحة شعري»، «باتباع الغرب في اللباس».

واعتمد آخرون على الفعل: «في سلوكي مع الآخرين»، «في تعاملتي مع الناس وتفهّمهم»، «في حسن المعاملة والاحترام»، «في تواصلتي مع الآخرين»، «في تفهّمنا الأسري»، «حرّيتي في اتخاذ قراراتتي».

بهذه الصفة الأعمق، عن طريق السلوك والتعامل مع الآخرين، يعتبر أولئك المبحوثين أنهم منتّمون إلى الثقافة العصرية، بحيث تؤكد هذه الأخيرة عن طريقة حضريّة في التعامل.

يبدو أن الفئة المصرّحة بانتمائها للعصرنة، تعتبر نفسها كذلك وفي ميادين شتى، وقد ذكر العديد من المبحوثين أكثر من ميدان. رأينا أن أكثر ما أكدوا عليه هو تغيير طريقة التفكير والاستعلام عم هو جديد والمعرفة والهيئة. والتغيير يبقى هو القاسم المشترك في كل مرة، فالمبحوثين واعين تمام الوعي أن طريقة تفكيرهم قد تغيرت وكذلك سلوكهم وهيئتهم. ووعيتهم يبيّن إدراكهم التام لرغبتهم في الانتماء لهذه الثقافة، لكن يبقى التعامل وكذا النموذج المعيش للعصريين أقل تمثيلاً علماً أنهما أساس العصرنة.

أما الفئة التي لم تقدم تعريفاً خاصاً بالعصرنة، فتبقى عالية بنسبة ٤٤, ٤٤٪. وقد حذفنا من تلك الفئة صغار السن الذين لم يبلغوا سن العشرين سنة، والذين لم تتبلور في أذهانهم بعد، المفاهيم المجردة التي تتطلب تركيباً مثل هذا. لكن هذا لا يمنعنا من القول أن النتائج التي أفرزها البحث تؤكد على أن نسبة معتبرة لم تتوصل ولم تهتد إلى التعبير على ما تعيشه من ظواهر العصرنة دون وعي منها. فعدم الإدراك بها والعيش وفقها يبقى سمة بارزة بوعيهم بثقافتهم.

المبحوثين توصلوا إلى أجزاء مختلفة من واقع العصرنة، ابتداءً من نقد مساوئها، ونقد طريقة استيعابها السطحية في مجتمعنا، إلى الحديث عن إيجابياتها من زوايا مختلفة، وباعتبارها علم متطور وحضارة وثقافة ورخاء وترف، وقطيعة مع التفكير اللامنطقي، والتغيير المادي والفكري نحو الأفضل. وهذا هو المفهوم الفعلي للعصرنة بشقيه السلبي والإيجابي. فتركيز فئة على جانب ما، ليس إلا دليل على إدراك جوانب معينة دون أخرى لدى الفئة الضئيلة التي ذكرت نموذج معيشي معين لأن المفهوم في حد ذاته أكثر شمولية. فالمفهوم بهذه الصفة، لم تكتمل جوانبه بعد لدى جميع المبحوثين.

النتائج

بعد تحليل المعطيات، توصلنا إلى النتائج التالية باعتبار أن التأثير الثقافي ذا الاتجاهين، الأصلي والمستورد يتم عفوياً، تحدده العادة أكثر مما يحدده الوعي والإدراك والمنطق. وعليه، يمكننا الحديث عن الانتقال النسبي لمرحلة التغيير عبر التنشئة، إلى تقدم نحو الإقبال على الثقافة العصرية. لكن، هناك إشارة إلى أن ذلك التقدم يعد بطيئاً، فعلى الرغم من إثبات الشباب لعصريتهم، أثبتوا أيضاً ومن جهة أخرى اقتناعهم بمحافظتهم على القيم التقليدية وكذلك الدينية، كونها معبرة على الاعتقاد، الهوية والانتماء، الشيء الذي ينبئ بوتيرة سير بطيئة نحو العصرية، التي تخضع قيمها لانتقاء حسب الاقتناع التقليدي أو الديني. ويبدو أن هذه المرحلة الانتقالية الطويلة عرفت استقراراً لدى المبحوثين على هذا النحو، أي التمسك بالثقافتين معاً وفي آن واحد، لأن الضرورة تبدو ملحة عند الأغلبية، رغم التناقض. وإن كان الوضع قد استقر وفق اختيار إرادي لدى البعض، فإنه ليس كذلك بحيث استقر لدى البعض الآخر بطريقة عفوية، بحيث أثبتت النسب عامة عدم إدراك الواقع الثقافي المعاش بطريقة واعية.

خاتمة

إن التذبذب في التمسك بالثقافتين التقليدية والعصرية دون تركيب بين القيم المتناقضة، يترك الشباب أكثر عرضة للتأثر، سواءً بالإفراط في الإقبال على العصرية والتجرد من القيم الأخلاقية التي تنظم التعاملات بين الناس، لدرجة وقوع الشاب في الرذائل أو الشذوذ. أو التأثر بالقيم التقليدية التي تجعل الشاب يتأثر من كثرة الظواهر العصرية، فيلجأ إلى التطرف الديني ولا سيما وأن التطلع على الدين لديه يعد سطحيًا ولم يدرك بعد الفهم العميق والشامل الذي يتجاوز مجرد التمسك بالطقوس والشعائر الدينية.

المراجع

- ١- الساعاتي حسن (سامية) *الثقافة والشخصية*، بحث في علم الاجتماع الثقافي. دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٣.
- ٢- القاضي مصطفى (يوسف)، زيدان مصطفى (محمد)، *السلوك الاجتماعي للفرد*، شركة مكتبة عكاظ للنشر والتوزيع، المجمع، المملكة العربية السعودية، ١٩٨١.
- ٣- بن عبد الحفيظ سويد (محمد نور)، *منهج التربية النبوية للطفل*، مع نماذج تطبيقية من حياة السلف الصالح، دار بن كثير، دمشق، ٢٠٠٧، بيروت.
- ٤- حسنين العجمي (محمد)، *التربية وقضايا العصر*، الدار العالمية للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٧.
- ٥- زكي بدوي (أحمد)، *معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية*، انجليزي-فرنسي-عربي. مكتبة لبنان. بيروت ١٩٩٣.
- ٦- كامل أحمد (سهير)، *أسس تربية الطفل بين النظرية والتطبيق*، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٠.
- ٧- محمد الحسن (إحسان)، *العائلة، القرابة، والزواج*، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٠.
- ٨- مختار (محي الدين)، *محاضرات في علم النفس الاجتماعي*. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر بدون تاريخ.
- ٩- محمود مكي (عباس)، *ديناميكية الأسرة في عصر العولمة، من مجالات الكائن الحي إلى تكنولوجيا صناعة الجينات*، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٧.
- 10- Behnam (Djamchid) et Bouraoui (Soukaina) et coordinateurs, *Familles musulmanes et Modernité. Le Défi des traditions*. Publisud, Paris, 1986.
- 11- Bouhdiba, *Quêtes sociologiques. continuité et rupture au Maghreb*. CE-RES, Tunis, 1995.
- 12- Ben Hamida (Kmais)، *Point de vue sur la socialisation des jeunes en Tunisie*، in, sous la direction de Mongi Chemli, *Les Jeunes et la famille tunisienne*, INSE, Unité de recherche sociologique de l'éducation, Cahier n°3, 2ème éd, Tunis, 1977.
- 13- De Singly (François), *Sociologie de la famille contemporaine*, Nathan, Paris, 1993. 13.
- 14- Fize (Michel), *La Démocratie familiale. évolution des relations parents- adolescents*. Chronique sociale de France, Lyon, 1960.

فاعلية استخدام بعض أساليب التدريس في تعلم مهارتي البدء والدوران لسباحة الزحف على البطن للمبتدئين في دولة الكويت

أ. طالب حبيب الشريف



جميع جوانب شخصية المتعلم بالتغيير والتنمية عن طريق خلق مواقف تعليمية فيتعرض المتعلم لخبرات متنوعة تتفاعل فيها جوانب الأداء والإدراك والوجدان بشكل كامل ومتوازن. فإذا أردنا أن نواكب التطور الرياضي الذي سبقونا فيه الدول المتقدمة يجب علينا أن نبحث ونكتشف الطرق والأساليب العلمية الجديدة والحديثة والذكية في التدريس والتي

المقدمة

تسعى المؤسسات التعليمية إلى تحقيق الأهداف الموضوعة للعملية التعليمية بدرجة من الكفاءة والإتقان والاهتمام بالفرد المتعلم، ولا تتحقق تلك الأهداف إلا عن طريق التطوير في أساليب التدريس المستخدمة بهدف الوصول بالمتعلم إلى القدرة العالية وتحقيق الأهداف المنشودة. حيث تمثل المؤسسات التعليمية والتربوية الدعامة الأولى في إعداد جيل الحاضر والمستقبل والذي يقوم على أكتافه نهضة المجتمع ورقية، وذلك عن طريق التعلم المبني على أسس علمية، كما أن الفترة الحالية تشهد محاولات جادة لتطوير التعلم بشكل جاد في جميع مراحله واحتلت العملية التعليمية مكاناً بارزاً ضمن أولويات هذا التطوير باعتبارها عملية شاملة تتناول

• رئيس قسم التربية البدنية، مدرسة عيسى عبد الله الهولي الثانوية بنين، في الإدارة العامة لمنطقة الأحمدية التعليمية، وزارة التربية/ الكويت. T.alsharif75@hotmail.com

تتناسب مع البيئة والمجتمع الذي نعيش فيه لكي نستطيع أن نطور العملية التعليمية بالشكل السريع والمجدي على جميع الأصعدة سواءً في الجانب المعرفي أو المهاري كما هو في حصص التربية البدنية.

هدف الدراسة

يهدف هذا البحث إلى التعرف على فعالية استخدام بعض أساليب التدريس في تعلم مهارتي البدء والدوران لسباحة الزحف على البطن للمبتدئين بدولة الكويت، وذلك من خلال:

- ١- التعرف على تأثير استخدام [أسلوب الأوامر] على تعلم مهارتي البدء والدوران لسباحة الزحف على البطن للمبتدئين بدولة الكويت.
- ٢- التعرف على تأثير استخدام أسلوب [العمل التبادلي] على تعلم مهارتي البدء والدوران لسباحة الزحف على البطن للمبتدئين بدولة الكويت.
- ٣- التعرف على تأثير استخدام أسلوب [التعلم الذاتي متعدد المستويات] على تعلم مهارتي البدء والدوران لسباحة الزحف على البطن للمبتدئين بدولة الكويت.
- ٤- التعرف على أفضل الأساليب الثلاثة في تعلم مهارتي البدء والدوران لسباحة الزحف على البطن للمبتدئين بدولة الكويت.

فروض البحث

في ضوء أهداف البحث يفترض الباحث ما يلي:

- ١- توجد فروق دالة إحصائية بين القياسين القبلي والبعدي للمجموعة الضابطة التي تتبع (أسلوب الأوامر) في تعلم مهارتي البدء والدوران لسباحة الزحف على البطن للمبتدئين بدولة الكويت.
- ٢- توجد فروق دالة إحصائية بين القياسين القبلي والبعدي للمجموعة التجريبية التي تتبع (أسلوب العمل التبادلي) في تعلم مهارتي البدء والدوران لسباحة الزحف على البطن للمبتدئين بدولة الكويت.
- ٣- توجد فروق دالة إحصائية بين القياسين القبلي والبعدي للمجموعة التجريبية التي تتبع (أسلوب التعلم الذاتي متعدد المستويات) في تعلم مهارتي البدء والدوران لسباحة الزحف على البطن للمبتدئين بدولة الكويت.
- ٤- توجد فروق دالة إحصائية بين مجموعات البحث الثلاث (الأوامر - العمل التبادلي - التعلم الذاتي متعدد المستويات) في القياس البعدي لصالح المجموعة التجريبية التي تتبع أسلوب التعلم الذاتي متعدد المستويات.

مشكلة البحث وأهميته

يشير ياسر العريان ١٩٩٩م إلى أنه في السنوات الأخيرة بدأت السياسات التعليمية الحديثة تتجه إلى التخطيط الجيد للمناهج الدراسية وأيضاً الاهتمام بالرياضة المدرسية، وفي حالة وصول التلاميذ إلى المستويات العالية في الألعاب المختلفة، فإن الدول تشجعهم على تحقيق المزيد، والاتجاهات التربوية الحديثة تدعو إلى الاهتمام بالمتعلم ليصبح جزءاً أساسياً في العملية التعليمية حيث أنه لا بد أن يقوم بدور جديد فعال وأن يعبر عن ذاته في عملية التدريس.

كما يشير علي راشد ١٩٩٣م أن أسلوب العمل التبادلي يؤدي إلى زيادة الأداء الفعلي لدرس التربية الرياضية، كما أنه يعتمد على عاملين مهمين هما:

- ١- زيادة وقت تطبيق زمن الأداء الفعلي لدرس التربية الرياضية.
- ٢- تقديم المعلومات وتصحيح الأخطاء.

وقد يكون هناك بعض المعلمون يدخلون خطوات تعليمية غير ضرورية لا تساهم في تقريب المتعلم إلى إنجاز المهارة المراد تعلمها على حساب الخطوات التعليمية الضرورية لاعتقادهم بأنها قد تقيّد في سرعة اكتساب المهارة الجديدة مما يؤدي إلى ظهور بعض جوانب القصور في أداء السباح، أو تأخره في اكتساب المهارة، وذلك يتسبب في ضياع الجهد والوقت. ومن خلال ما تم عرضه نجد أننا في حاجة إلى وجود أسلوب علمي مقنن يتيح للمعلم اختيار الخطوات التعليمية الصحيحة والتي تمكنه من تحقيق متطلبات الأداء الحركي الجيد وقد أكد العديد من الباحثين أن لكل مهارة متطلبات أداء بدنية وحركية يجب السعي لتحقيقها حتى يمكن أداء الواجب الحركي على أدق وجه وبصورة مباشرة. وقد أشار أحمد القاضي (١٩٨٦) إلى أن «هناك علاقة بين زاوية الانطلاق والمسافة المقطوعة من مكعب البدء حتى لحظة لمس كف اليد لسطح الماء» حيث تعتبر زاوية الانطلاق متطلب حركي هام يؤثر على المسافة المقطوعة السابق ذكرها. وتكمن أهمية الدراسة الحالية في كونها من الممكن أن تعطي تصور دقيق للمبتدئين عن أهمية أداء البدء والدوران بدقة في تحسين مستوى الأداء مما يثير حسهم على الاهتمام بها خلال عملية التعليم والتدريب وخاصة للمبتدئين. وهذا الأمر الذي دعا الباحث إلى ضرورة البحث عن إمكانية استخدام أسلوب آخر تعليمي إلى جانب أسلوب العمل التبادلي لتنفيذ بعض أجزاء محتوى الدرس بالشكل الذي يظهر فاعلية التلميذ وقدراته الخاصة الإبداعية ويوفر في نفس الوقت من جهد وطاقة المدرس وعدم تشتيتها بين ما هو تنظيمي وإشرافي

وما هو تعليمي وتربوي وقد وقع الاختيار على الأسلوب الآخر وهو (أسلوب التعلم متعدد المستويات) نظراً لمناسبة استخدامه وفهمه بالنسبة للتلاميذ وخاصةً المرحلة الأساسية من التعليم ونظراً لسهولة تنفيذه وتطبيقه انطلاقاً من واقع وظروف وإمكانات الرياضة المدرسية بشكل خاص وكذلك ظروف وواقع المدرسة الكويتية بشكل عام.

الدراسات السابقة

أذكر لكم بعض الدراسات السابقة التي استمدت منها العلوم والنتائج التي خدمتني في البحث:

اهتم الباحث بالدراسات والبحوث ذات العلاقة بالدراسة الحالية وذلك من خلال الاطلاع على العديد من الأبحاث والمراجع العلمية والاستعانة بشبكة المعلومات الدولية (الإنترنت Internet) للاستفادة من الدراسات التي أجريت في المجالات الرياضية الأخرى عامة، والسباحة خاصة، وفيما يلي عرض لهذه الدراسات:

أولاً: الدراسات العربية

• الدراسة الأولى: قام «عبد العزيز محمد» (٢٠٠٢ م) بدراسة استهدفت التعرف على «تأثير برنامج تعليمي بالرسوم المتحركة على تعلم سباحتي الزحف على البطن والظهر لدى المبتدئين بمحافظة المنيا». وبلغ حجم العينة ستة تلاميذ من تلاميذ المدرسة العسكرية الرياضية بالمنيا للمرحلة الابتدائية، واستخدم الباحث المنهج التجريبي بتصميم المجموعة الواحدة مستخدماً القياس القبلي والبعدي، وقد أشارت أهم النتائج الإحصائية ويؤثر التعلم بالرسوم المتحركة تأثيراً إيجابياً على تعلم سباحتي الزحف على البطن والظهر وتطور في مستوى التحصيل المعرفي أيضاً له فاعلية عالية على آراء وانطباعات أفراد عينة البحث مما ساعد على تحقيق الجانب الوجداني.

• الدراسة الثالثة: قامت «هالة مالك» و«عليه زهران» (٢٠١١ م) بدراسة استهدفت التعرف على «أثر استخدام الوسائل التكنولوجية على المستوى المهاري لسباحة الزحف على البطن والظهر». وبلغ حجم العينة (٤٠) أربعون طالبة من طالبات الفرقة الثانية بكلية التربية الرياضية ببورسعيد، واستخدمت الباحثتان المنهج التجريبي بتصميم المجموعة الواحدة مستخدماً القياس القبلي والبعدي وقد أشارت أهم النتائج الإحصائية إلى: أن هناك فروق دالة إحصائية بين القياسين القبلي والبعدي ولصالح القياس البعدي في مستوى أداء سباحة الزحف على البطن، وعزت الباحثتان هذا التحسن إلى استخدام الوسائل التكنولوجية التي تم استخدامها والتي ساعدت على تصحيح الأخطاء للطلبات مما أدى إلى تحسين مستوى الأداء المهاري للطلبات.

• **الدراسة السابعة:** قام «عصام الدين عزمي» (١٩٩٨ م) بدراسة استهدفت التعرف على «فعالية استخدام أسلوب التعلم الذاتي متعدد المستويات في تحقيق بعض أهداف التربية الرياضية بالحلقة الثانية من التعليم الأساسي بمدينة المنيا» وقد استخدم الباحث المنهج التجريبي باستخدام مجموعتين، وقد بلغ حجم العينة (٨٠) تلميذاً من تلاميذ الصف الأول وتم اختيارهم بطريقة عشوائية، وقد أشارت أهم النتائج الإحصائية إلى أن أسلوب التعلم الذاتي متعدد المستويات له تأثيراً إيجابياً على تحسين وتطوير مستوى الأداء المهاري وسرعة تعلم المهارة الحركية وأيضاً له تأثيراً إيجابياً في تحقيق الكفاية النفسية للتلاميذ كالثقة بالنفس وكفاية الذات وتحقيقها.

• **الدراسة الثانية عشر:** قام «ماهر سيد» (١٩٩٢ م) بدراسة استهدفت التعرف على «أثر التعلم الذاتي بدرس التربية الرياضية على تعديل اتجاهات طلبة المرحلة الثانوية نحو التربية الرياضية» واستخدم الباحث المنهج التجريبي، وقد بلغ حجم العينة (٧٠) سبعون طالباً من طلاب الصف الثاني بمدرسة ملوى الثانوية، تم اختيارهم بالطريقة العشوائية، وقد أشارت أهم النتائج الإحصائية إلى أن التعلم الذاتي له تأثيراً إيجابياً على تعديل اتجاهات طلبة المرحلة الثانوية نحو التربية الرياضية.

ثانياً: الدراسات الأجنبية

• **الدراسة السادسة عشر:** قام «أوسوزن وجريسيل Oslhuzen & Griesel» (١٩٩٢م) بدراسة استهدفت التعرف على «تأثير استخدام بعض أساليب التدريس على تحقيق أهداف التربية الرياضية لتلاميذ المدارس العليا» واستخدم الباحثان المنهج التجريبي، وقد بلغ حجم العينة سبعة وتسعون طالباً من المدارس العليا، تم اختيارهم بالطريقة العشوائية، وقد أشارت أهم النتائج الإحصائية إلى أن أسلوب توجيه الأقران يؤثر في المجال الحركي (بدني - مهاري) وأن أسلوب التطبيق الذاتي متعدد المستويات ذات تأثير في المجال الانفعالي، أما طريقة التعلم بأسلوب الأوامر لم يحقق أي مستوى.

• **الدراسة السابعة عشر:** قام «كاول هوليس Holliss A. c» (١٩٩٠م) بدراسة استهدفت التعرف على «أثر استخدام برنامج تعلم ذاتي في تعلم مهارة العجلة في الجمباز» واستخدم الباحث المنهج التجريبي، وقد بلغ حجم العينة (٣٤) طالبة من طالبات الجامعة، تم اختيارهم بالطريقة العشوائية، وقد أشارت أهم النتائج الإحصائية إلى عدم وجود فروق فردية بين المجموعتين.

إجراءات ومنهجية البحث

استخدم الباحث المنهج التجريبي باستخدام التصميم التجريبي لثلاث مجموعات مجموعتين تجريبيتين والثالثة ضابطة مستخدماً القياس القبلي والبعدي لكل مجموعة لمناسبتها لطبيعة هذه الدراسة وبما يحقق هدف البحث.

مجتمع وعينة البحث

اشتمل مجتمع البحث على تلاميذ المدارس الخاصة بمنطقة الفراوانية التعليمية بدولة الكويت وعددهم أربع مدارس خاصة وعددهم (٢١٤) تلميذ بالصف الرابع الابتدائي، ثم قام الباحث باختيار عينة البحث بالطريقة العمدية من تلاميذ المرحلة الابتدائية بالصف الرابع بمدرسة الفراوانية الحديثة الخاصة، حيث تم تطبيق تجربة البحث على عينة عمدية عددها ٣٠ تلميذ من المجتمع الأصلي للبحث، كما تم إجراء الدراسات الاستطلاعية على ٢٠ تلميذ من المجتمع الأصلي للبحث ومن خارج عينة البحث الأساسية، وقد راعى الباحث في اختيار العينة الشروط الآتية:

- ١- أن يجيد الطلاب سباحة الزحف على البطن (السباحة الحرة - freestyle)
- ٢- أن يكون الطلاب ممارسين لرياضة السباحة ولا تقل سنوات الخبرة لأفراد العينة عن ٣ سنوات.

- ٣- انتظام الطلاب في حضور الدروس العملية أثناء فترة الدراسة.
- ٤- استخدام نفس طريقة الأداء الفني البدء العادي والدوران العادي.

البرنامج التعليمي المستخدم

أولاً: الهدف من البرنامج التعليمي: التعرف على تأثير كل من فاعلية بعض أساليب التدريس في تعلم مهارتي البدء والدوران في سباحة الزحف على البطن للمبتدئين بدولة الكويت.

ثانياً: أسس وضع البرنامج التعليمي: قام الباحث بتصميم استمارة لمهارتي البدء والدوران في السباحة باستخدام أسلوب التعليم التبادلي، وأسلوب التعلم الذاتي متعدد المستويات وذلك لعرضها على السادة الخبراء، لمعرفة مايلي:

- ١- مدى ملائمة محتوى البرنامج لمستوى وقدرات أفراد عينة البحث.
- ٢- مرونة البرنامج مما يتيح فرصة أكبر للتطبيق العملي.
- ٣- تدرج الخطوات التعليمية للمهارات المستخدمة قيد البحث.
- ٤- مراعاة التكرارات المناسبة حسب كل مهارة من المهارات قيد البحث.
- ٥- مراعاة التعليمات والإرشادات التي توضح النواحي الفنية الصحيحة لكل خطوة لتلافي الأخطاء وتصحيحها.

ثالثاً: المحتوى الكلي للبرنامج التعليمي

- يتيح المنهج المطور للتربية الرياضية حرية للمعلم في اختيار أنواع الإحماء حسب الإمكانيات المتاحة والظروف المناخية وعدد التلاميذ.
- كما أن المنهج المطور يحتوي على العديد من التمرينات البدنية التي تستخدم لتنمية عناصر اللياقة البدنية مما ينعكس على تعليم المهارات المختلفة قيد البحث من (سرعة - قوة - رشاقة - مرونة - دقة - تحمل) والتي يقوم الباحث بتطبيقها في جزء الإعداد البدني بالدرس.
- يتضمن البرنامج التعليمي بعض المهارات الأساسية للسباحة والتي يشتمل عليها المنهج المطور والمقرر على تلاميذ الصف الخامس الابتدائي للعام الدراسي ٢٠١٢م / ٢٠١٣م.

• هناك العديد من الأساليب التعليمية التي تستخدم في تدريس التربية الرياضية

- ١- أسلوب التعلم بالأوامر The Command style
- ٢- أسلوب التعلم بالممارسة The Practicing style
- ٣- أسلوب توجيه الأقران The Reciprocal style
- ٤- أسلوب التطبيق الذاتي The Self cheek style
- ٥- أسلوب الشمول (التعلم الذاتي متعدد المستويات) Style The Inclusion
- ٦- أسلوب الاكتشاف الموجه The Guided discovery style
- ٧- الأسلوب المتنوع (التفكير المتشعب) The Divergent style
- ٨- أسلوب البرنامج الفردي The Individual program style
- ٩- أسلوب تلقين المتعلم (المبادأة من المتعلم) The Learner's initiated style
- ١٠- أسلوب التعلم الذاتي The self teaching style
- ١١- أسلوب المنافسات الجماعية The competitive Education style

فقد قام الباحث بتحديد أسس وضع البرنامج التعليمي والخطوات التعليمية لمهارتي البدء والدوران في سباحة الزحف على البطن والتي تناسب مع مستوى التلاميذ، والتكرارات وفترات الراحة لكل خطوة تعليمية مستعيناً في ذلك بالمراجع العلمية المتخصصة في السباحة، والدراسات العلمية المرتبطة والتي تناولت أساليب عديدة في التدريس واختار الباحث منها أسلوب التعلم الذاتي متعدد المستويات والعمل التبادلي وأهمها:

١- أسلوب التعليم التبادلي: وذلك عن طريق تلميذ يؤدي والآخر يلاحظ الأداء ويقوم بتصحيح أخطاء زميله ثم يتبادلان الأداء.

٢- أسلوب التعلم الذاتي متعدد المستويات (الواجبات الحركية): ويهدف بالدرجة الأولى إلى اعتماد التلميذ على نفسه في تعلم وتثبيت المهارات الحركية، حيث تقدم هذه الواجبات للتلميذ في أشكال حركية دون تدخل أو مشاركة من الغير وتكون هذه الأشكال متدرجة في الصعوبة، ثم تقدم هذه الواجبات للتلميذ لينتقى منها ما يتناسب مع قدراته كخطوة أولية ينتقل بعد أدائها إلى الواجب الحركي التالي حتى يصل إلى تحقيق متطلبات الواجب الحركي الأخير.

٣- أسلوب الأوامر: وذلك باستخدام التلقين من قبل المعلم للتلميذ عن طريق الشرح اللفظي وإعطاء النموذج العملي للمهارة وهو الأسلوب التقليدي القديم.

• الدراسة الاستطلاعية الأولى: تم تطبيق الدراسة الاستطلاعية على عينة قوامها ١٠ تلاميذ من خارج نطاق عينة البحث الأصلية وذلك بحوض السباحة الخاص بالمدرسة وصالة الإعداد البدني والتدريب بالمدرسة (الجيمازيوم).

هدف الدراسة

- ١- التعرف على مدى صلاحية الأجهزة ومدى إمكانية تحقيقها للغرض التي استخدمت من أجله في الدراسة من حيث المتغيرات البدنية والمهارية.
- ٢- تحديد الوقت المناسب لأخذ القياسات.

أهم نتائج الدراسة

- ١- صلاحية الأجهزة المستخدمة في تحقيق أغراض الدراسة.
- ٢- التعرف على طريقة القياس الصحيحة ووحدة القياس المستخدمة.
- ٣- تم تحديد أنسب مسافة بين كاميرة الفيديو ومكعب البدء حيث أن هذه المسافة تسمح بتصوير مهارة البدء من وضع الاستعداد على مكعب البدء حتى الدخول في الماء.
- ٤- تم تحديد التوقيت المناسب لإجراء القياسات البدنية.
- ٥- تعريف المساعدين على طرق القياس السليمة.

• الدراسة الاستطلاعية الثانية: تم تطبيق الدراسة على عينة قوامها ١٠ تلاميذ من خارج نطاق عينة البحث الأصلية بواقع ٥ تلاميذ للبرنامج التعليمي بأسلوب التعلم التبادلي، ٥ تلاميذ لأسلوب التعلم متعدد المستويات وذلك بحوض السباحة وصالة الإعداد البدني والتدريب.

هدف الدراسة

- ١- التعرف على الشكل الأمثل للبرامج التعليمية المستخدمة للمجموعتين التجريبتين.
- ٢- التعرف على مدى مناسبة القدرات لتلاميذ المجموعة التجريبية (التبادلي والتعلم المتعدد المستويات) من حيث عدد الوحدات التعليمية وزمن الوحدة التعليمية الواحدة.
- ٣- تطبيق وحدة تعليمية واحدة من كل أسلوب للتأكد من مدى ملائمة الوحدات لعينة هذا البرنامج.

أهم نتائج الدراسة

- ١- ملائمة البرامج التعليمية (العمل التبادلي - التعلم متعدد المستويات) لأفراد عينة المجموعتين.

خطوات تنفيذ البحث

- قام الباحث باختيار نموذج يعرض على المبتدئين في أداء البدء والدوران، حيث قام الباحث باختيار أحد سباحي منتخب الكويت الكبار.
- وقام الباحث بإجراء التصوير السينمائي للسباح النموذج.
- ثم أجرى الباحث التحليل الحركي للشريط المصور وذلك للاستفادة منه عند وضع البرنامج التعليمي المقترح.
- وقام الباحث بتصوير عينة البحث وتم التركيز على أداء البدء والدوران لسباحة الزحف على البطن.
- ثم عرض الشريط المصور للسباح النموذج على الثلاث مجموعات ليشاهدوا كيفية أداء البدء والدوران في سباحة الزحف على البطن والغرض من هذا قياس السرعة بعد أداء الدوران.
- وقد تم الاتفاق بأداء البدء والدوران وفقاً لخطة الوزارة التي يستخدمها الباحث خلال نفس الفترة الزمنية التي يقوم بها بإجراء البحث بأداء البدء والدوران باستخدام البرنامج التعليمي المقترح.
- قام الباحث بعرض الشريط على المجموعات الثلاث لمشاهدة كل مبتدئ لأدائه في البدء والدوران في سباحة الزحف على البطن ومناقشة كل تلميذ في أدائه ثم يشاهد كل تلميذ من المجموعات الثلاث عرض لشريط السباح النموذج وذلك لمقارنة أدائه مع أداء النموذج لتحديد الفروق والأخطاء ثم قام الباحث ببناء البرنامج التعليمي المقترح على الأسس التالية:

١- نتيجة التحليل الحركي السينمائي للسباح النموذج لاستخدامه في بناء البرنامج ممثلة في النقاط التالية:

- أ- معدل التغير في زاوية الدفع على الحائط أو من نقطة البداية.
- ب- زوايا الدفع من الحائط وقيمه.
- ت- الزمن المستغرق في أداء الدوران.
- ث- الفرق بين السرعة قبل الدوران وبعده.
- ج- تحليل أداء كل سباح في البدء والدوران لسباحة الزحف على البطن لتحديد القصور في الأداء.

٢- استخدام الباحث إعادة العرض التلفزيوني للشريط كوسيلة معينة على تعلم البدء والدوران الصحيحين وذلك بمشاهدة كل مبتدئ لنفسه قبل الوحدة التعليمية مع الشرح اللفظي لمتطلبات الأداء الحركي للمهارة التي سيتم تعليمها في الوحدة ثم التدريب الأرضي يعقبه التدريب الأساسي مع التركيز على أداء مهارة البدء في سباحة الزحف على البطن وتم تعليم البدء الخاطف.

قام الباحث بتعليم الدوران بالشقلبة الأمامية لسباحة الزحف على البطن مستخدماً الوسيلة معينة أيضاً للمجموعتين التجريبيتين في نفس الوقت الذي تتدرب فيه المجموعة الضابطة مع الباحث على الدوران في سباحة الزحف على البطن.

تم استخدام التمرينات التي يحتويها البرنامج التعليمي المقترح خارج الماء من خلال التدريب الأرضي ثم داخل الماء مع أداء السباحة وعمل الدوران في الوحدة التعليمية.

ثم أخذ قياسات تتبعه للتأكد من أن البرنامج يحقق الهدف منه وهو إجابة تعلم البدء والدوران لسباحة الزحف على البطن ومقارنة القياسات التتبعية بالقياس القبلي باعتبار أن الزمن هو المعيار الذي يحكم إجابة التعلم للسباح وللتأكد من مدى تأثير البرنامج التعليمي المقترح على تعلم الأداء الجيد والصحيح للبدء والدوران لسباحة الزحف على البطن.

أسس وضع البرنامج: راعى الباحث عند وضع البرنامج المقترح النقاط التالية:

١- مناسبة البرنامج للأهداف الموضوعية لتعليم الناشئين البدء والدوران في سباحة الزحف على البطن.

٢- أن يلائم البرنامج الإمكانيات الموجودة بالمدرسة.

* الإطار العام والتوزيع الزمني للبرنامج المقترح

اعتمد الباحث على المراجع العلمية والدراسات والأبحاث المرتبطة في تحديد أفضل السبل والمبادئ لتخطيط وإعداد البرنامج التعليمي وفق الأسس التالية كما قام الباحث:

- تحديد الأسابيع المكونة لفترة الإعداد (١٠ أسبوع).
- تقسيم الأسبوع الواحد إلى ٢ وحدات تعليمية وفقاً لخطة وزارة التربية.
- تحديد موعد ساعات التعليم.
- تحديد زمن التعليم الكلي.
- تقسيم زمن التعليم على تعلم وإتقان كل مهارة حسب خطة البحث.
- توزيع زمن الإعداد المهاري الكلي خلال فترة الإعداد على المهارات الأساسية الخاصة بمهارتي البدء والدوران.

تطبيق البرنامج التعليمي: تم تطبيق البرنامج التعليمي على كل من المجموعتين التجريبيتين والمجموعة الضابطة بحيث يقوم الباحث بتطبيق البرنامج على الأساليب الثلاثة لمدة ٢٠ دقيقة للدرس الواحد.

* الزمن الكلي للبرنامج هو ١٠ أسابيع بواقع (٢٠) عشرين وحدة تعليمية حيث يحتوي كل أسبوع على حصتين ومدة كل حصة ٤٥ دقيقة.

القياسات البعدية: تم القياس البعدي بعد نهاية الأسبوع العاشر لكل من المجموعتين التجريبيتين والضابطة معا وتم استخدام نفس القياسات التي استخدمت في القياس القبلي ومراعاة نفس الظروف.

المعاملات الإحصائية المستخدمة :

- المتوسط الحسابي.
- الانحراف المعياري.
- الوسيط.
- المنوال.
- معامل الالتواء.
- تحليل التباين أحادي الاتجاه.
- اختبار «ت» الفروق.
- نسبة التحسن.
- اختبار أقل فرق معنوي L. S. D.

الاستخلاصات والتوصيات

الاستخلاصات

- في ضوء إجراءات وطبيعة البحث والعينة والمنهج المستخدم وأهداف وفروض البحث والنتائج التي تم التوصل إليها أمكن للباحث استخلاص ما يلي:
- ١- أسلوب العمل التبادلي وأسلوب التعلم متعدد المستويات أثر بشكل فعال وإيجابي في أداء التلاميذ لمهارتي البدء والدوران لسباحة الزحف على البطن للمبتدئين بدولة الكويت من خلال النتائج التي تم التوصل إليها.
 - ٢- التعلم متعدد المستويات كأسلوب تعليمي يظهر الفروق الفردية بين التلاميذ ويؤكد عليها ويعطي المدرس شكلاً متميزاً أثناء التنفيذ ويوفر من وقته وجهده ويساعده على تقييم مستوى أداء تلاميذه بصورة أكثر موضوعية.
 - ٣- التعلم متعدد المستويات كأسلوب تعليمي يتميز بالسهولة والبساطة ويتناسب مع ظروف وإمكانات التربية الرياضية في المدارس الكويتية.
 - ٤- تأثير أسلوب الأوامر على مستوى أداء التلاميذ لمهارتي البدء والدوران كان بسيطاً مقارنةً بأسلوب العمل التبادلي والتعلم متعدد المستويات.
 - ٥- تفوقت المجموعة التجريبية التي تتبع أسلوب التعلم متعدد المستويات عن المجموعة التجريبية التي تتبع أسلوب العمل التبادلي في تعلم مهارتي البدء والدوران لسباحة الزحف على البطن.
 - ٦- استخدام أسلوب التعلم الذاتي متعدد المستويات يزيد من نسب التحسن في مستوى أداء مهارتي البدء والدوران في سباحة الزحف على البطن للمبتدئين يليه أسلوب العمل التبادلي.

التوصيات

- في حدود نتائج الدراسة وما تم التوصل إليه من استخلاصات يوصي الباحث بما يلي:
- ١- أهمية استخدام أسلوب التعلم الذاتي متعدد المستويات عند تدريس المهارات الأساسية للألعاب والأنشطة الرياضية المختلفة وخاصة السباحة.
 - ٢- أهمية تجريب استخدام أسلوب التعلم الذاتي متعدد المستويات في أجزاء أخرى من الدرس للوقوف على مدى مناسبته كأسلوب تعليمي في إنجاح عملية التعلم في هذه الأجزاء.
 - ٣- استخدام أسلوب التعلم الذاتي متعدد المستويات لما له من مميزات عديدة في تعليم بعض المهارات الأساسية في السباحة.
 - ٤- تشجيع مدرسي التربية الرياضية بأهمية استخدام أساليب أخرى مختلفة لتدريس التربية الرياضية المدرسية بما يتماشى مع الإمكانيات المتاحة والإقلال إلى حد كبير من استخدام أسلوب الأوامر أثناء عملية التدريس.

بعض سمات الشخصية والأعراض الإكلينيكية لدى الزوجات المتعرضات لعنف الأزواج

د. وفاء جاسم العرادي*



مدخل مشكلة البحث

هدف البحث

يهدف هذا البحث إلى فحص العنف الأسري الذي يقع على الزوجات من الأزواج بأشكاله المختلفة من خلال بحث سمات شخصية الزوجة المتعرضة للعنف، باعتبار أن وقوع العنف يرتبط أساساً بسمات شخصية الضحية، كما يرتبط في الوقت نفسه بالسمات الشخصية للمعتدي، ولأن الضحية أو الزوجة التي تتعرض للعنف تلعب دوراً أساسياً في تهيئة ظروف العنف من خلال سماتها الشخصية التي قد تتضمن سلبيتها أو عدم استقلاليتها، أو عدم قدرتها على المقاومة، أو غير ذلك من السمات التي قد يكون من بينها أيضاً

سمات إيجابية، تجعلها ترفض الخضوع للعنف وتقوم بشكل من أشكال المقاومة بصورة أو بأخرى.

لذا يجب البحث عن بعض السمات الشخصية المهيئة لتعرض الزوجة للعنف، كالعصابية، والانطوائية، والاعتمادية، وكذلك فحص الاختلالات النفسية المصاحبة والناجمة عن التعرض

- دكتورة تخصص علم النفس الإكلينيكي، استشاري ومعالج نفسي، مدرب في التنمية البشرية والتربية الإيجابية، مدير إدارة شؤون الإرشاد النفسي والاجتماعي، مكتب الإنماء الاجتماعي/ الكويت.

Wafaa_03@hotmail.com

له، كالاكتئاب، والقلق، ومفهوم الذات السلبي، وانخفاض تأكيد الذات، إضافةً إلى الكشف عن أكثر أنواع العنف شيوعاً بين الزوجات المتعرضات له في الثقافات المحلية. والعنف الذي سيعنى به هذا البحث هو الذي يأخذ الأشكال الآتية:

أ- العنف النفسي والاجتماعي (اللفظي والسلوكي)

- ١- تقييد حرية الحركة والتنقل (في الإطار الاجتماعي الذي تسمح به العادات والتقاليد).
- ٢- تقييد حرية الإنفاق (مع اليسر المادي).
- ٣- التحكم في ارتداء ملابس بعينها.
- ٤- عدم إعطاء الزوجة الحرية في إدارة شؤون المنزل.
- ٥- الإهانة والتجريح.
- ٦- الخشونة في المعاملة.
- ٧- عدم الاحترام.

ب- العنف البدني:

- ١- الضرب.
- ٢- الصفع.
- ٣- العض.
- ٤- الجرح.
- ٥- العنف الإجرامي (ككسر عضو من أعضائها).

ج- العنف الجنسي:

- ١- الإكراه على ممارسة الجنس.
- ٢- عدم مراعاة رغبة الطرف الآخر.
- ٣- تحويل العلاقة الجنسية إلى موقف عدواني.
- ٤- عدم الممارسة الشرعية للجنس.

أهمية البحث

- تتبدى أهمية البحث في عدد من المؤشرات أهمها الآتي:
- ١- إثراء الثقافة المحلية بهذا البحث والنتائج المحققة منه.
 - ٢- اختبار إمكانية الاستفادة من النتائج في مجال التطبيق العملي.
 - ٣- تصميم أداة لقياس وتقييم العنف الموجه ضد الزوجة، تعتمد على تعريف مقبول لها، مع مراعاة الشروط السيكومترية الأساسية.

- ٤- محاولة التوصل إلى معلومات تصلح أساساً لتصميم برامج تدخل تناسب هذه النوعية من الحالات، بالإضافة إلى الاستخدام المكثف لمثل هذه البرامج وتدعيمها وتدريب العاملين عليها
- ٥- الاهتمام بدراسة العنف الأزواج الموجه ضد الزوجات من قبل العديد من الباحثين في مجالات مختلفة، يرجع إلى أن الوصول إلى سعادة الأسرة وتماسكها، أمر غاية في الأهمية سواء للزوجين أم للمجتمع.
- ٦- توفير بيانات علمية؛ لتقديم المشورة الإرشادية، والتدخل العلاجي، لمن يعانون من العنف الأزواج، وتعد هذه الرسالة وأمثاله في المجتمع الكويتي خطوة في هذا الاتجاه.
- ٧- تشجيع الزوجات اللاتي يمارسُ العنف ضدهن، على استشارة الاختصاصيين النفسيين، وعدم الخجل من مثل تلك المشكلات، حيث لا تزال هذه المواضيع يشوبها بعض الحرج من إثارتها، حتى مع اختصاصي المشكلات الزوجية وعلم النفس الإرشادي.
- ٨- اكتشاف الحالات المستهدفة لعنف الأزواج لوقايتها، ومن ثم تقليل الحالات التي تعاني بالفعل من هذا العنف.
- ٩- التعرف على أكثر الفئات المجتمعية التي ينتشر فيها هذا النوع من العنف مقارنةً بغيرها من الفئات الأخرى؛ وذلك لكي يتم الاهتمام بها وتبسيط الأضواء عليها.
- ١٠- إمكانية نقل العنف ضد المرأة من دائرة الشأن الخاص إلى دائرة الشأن العام، خصوصاً في المجتمعات الخليجية.
- ١١- نشر الوعي والمعرفة بظاهرة العنف قبل أسبابها وأشكالها وآثارها وبيئاتها، والحقوق الواجب ضمان احترامها والحماية الواجب توافرها للنساء في مواجهة العنف.

مبررات إجراء البحث

- ١- ندرة وجود دراسات تناولت هذا الموضوع في البيئة العربية، وخصوصاً في المجتمع الكويتي.
- ٢- لم تكن هناك دراسات كافية تناولت كل أشكال العنف؛ فبعضها تناول العنف الجسدي، وبعضها تناول العنف النفسي وبعضها الآخر تناول العنف الجنسي.
- ٣- لا توجد دراسات تناولت سمات الشخصية المهيئة لتعرض الزوجات لعنف الأزواج.
- ٤- كذلك لم تُدرس الأعراض الإكلينيكية المصاحبة لدى الزوجات المتعرضات

لعنف الأزواج، على النحو الذي تناوله الدراسة الحالية؛ حيث اقتصر بعض الدراسات السابقة على تناول الاكتئاب، كما اقتصر بعضها الآخر على تناول القلق والخوف في حدود علم الباحثة.

٥- الحاجة إلى دراسة هذه الظاهرة في المجتمع الكويتي بصفة خاصة، وهو الذي يفترض تباین خصاله عن المجتمعات الغربية، فخصوصية الإطار الثقافي الكويتي؛ تحتم علينا التعامل معه بأدوات مناسبة له.

٦- افتقار المجال إلى أدوات ملائمة للقياس الموضوعي للعنف ضد الزوجة؛ لأن ما هو موجود منها الآن إما مترجم عن ثقافات غربية، أو تتأثر الاستجابة عليه تأثيراً كبيراً بعامل المجازاة الاجتماعية، أو ينقصه التقنين الملائم.

٧- إلقاء الضوء على بعض متغيرات البحث، وخصوصاً متغيري الاعتمادية وانخفاض توكيد الذات اللذين لم يحظيا بالاهتمام الكافي في البيئة المحلية والعربية، وذلك في علاقتهما بالعنف ضد الزوجة.

٨- تعد الاختلالات النفسية والاجتماعية الناتجة عن العنف مصدراً رئيساً لمعاناة الأسرة والزوجة على وجه الخصوص، ولا شك أن دراسة هذه الاختلالات ومعرفة أسبابها وعواقبها، قد تؤدي إلى معرفة طرق الوقاية منها؛ وبالتالي تجنبها.

٩- كما أن العواقب السيئة على الأطفال من جراء العنف الواقع على أمهاتهم، سواء أكانت هذه العواقب نفسية أم جسمية أم اجتماعية أم دراسية؛ تحتم ضرورة دراسة هذه الظاهرة بجدية.

١٠- اهتمام الدراسات والبحوث السابقة في هذا المجال، منصب على دراسة الزوجات المتعرضات لعنف الأزواج مع الزوجات غير المتعرضات له فقط، ومن ثم شملت الدراسة الراهنة هاتين الفئتين، إضافةً إلى فئة ثالثة، تتضمن الزوجات المتعرضات لعنف الأزواج ممن فصمن العلاقة الزوجية؛ لكي يتم التعرف عليهن جميعاً والمقارنة بينهن.

مشكلة البحث

بناء على ما تقدم، وفي ضوء موضوع البحث، وأهميته، ومبررات إجرائه؛ يتبين أن العنف ضد المرأة ظاهرة سلوكية خطيرة، منتشرة في كثير من دول العالم، وقد حظيت هذه الظاهرة باهتمام متزايد من قبل الباحثين في العلوم السلوكية على وجه خاص؛ لما يترتب عليها من آثار سلبية، تنعكس على صحة المرأة الجسمية والنفسية، كما تنعكس على أسرتها وعلى المجتمع بأسره؛ فهي ظاهرة متعددة الجوانب، ذات علاقة بالنواحي

الصحية والاجتماعية والقانونية والحضارية، فضلاً عن كونها ظاهرة نفسية، تتطلب دراسات متعددة؛ لفحص ارتباطها بسمات شخصية المرأة المستهدفة للعنف بأي من أشكاله، والمتربّات النفسية الناتجة عن التعرض له.

لذلك تصيغ الباحثة مشكلة البحث في التساؤلات التالية:

١- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين مجموعات البحث الثلاث (الزوجات المتعرضات لعنف الأزواج المستمرات في العلاقة الزوجية، والزوجات المتعرضات لهذا العنف ممن فصمن^(١) العلاقة الزوجية، والزوجات غير المتعرضات لهذا العنف^(٢)) في السمات الشخصية السلبية^(٣) التالية: العصائية، والانطوائية، والاعتمادية؟

٢- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين مجموعات البحث الثلاث (محل اهتمام البحث الحالي) في الأعراض الإكلينيكية التالية: الاكتئاب، والقلق، ومفهوم الذات السلبي، وانخفاض تأكيد الذات؟

٣- هل تختلف السمات الشخصية السلبية والأعراض الإكلينيكية (محل اهتمام البحث الحالي) لدى الزوجات المتعرضات لعنف الأزواج باختلاف المدة الزمنية للزواج؟

وتبلور من هذا التساؤل عدد من الأسئلة الفرعية هي:

- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية، في السمات الشخصية السلبية والأعراض الإكلينيكية (محل اهتمام البحث الحالي) بين الزوجات المتعرضات لعنف الأزواج المستمرات في العلاقة الزوجية اللاتي مضى على زواجهن ٥ سنوات فأقل، وبين المتعرضات لهذا العنف المستمرات في العلاقة الزوجية اللاتي مضى على زواجهن ١٠ سنوات فأكثر؟

- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في السمات الشخصية السلبية والأعراض الإكلينيكية (محل اهتمام البحث الحالي) بين الزوجات المتعرضات لعنف الأزواج، ممن فصمن العلاقة الزوجية اللاتي مضى على زواجهن ٥ سنوات

(١) سوف تستخدم الباحثة مصطلح المنفصمات للدلالة على الزوجات المطلقات والزوجات المنفصلات.

(٢) غير المتعرضات: ويقصد به الزوجات المستمرات في العلاقة الزوجية، وكذلك الزوجات ممن فصمن هذه العلاقة، واللاتي لم يتعرضن لعنف الأزواج.

(٣) نظراً لانقسام السمات الشخصية إلى سمات إيجابية وسلبية، إلا أن الباحثة سوف تسلط الضوء في البحث الراهن على السمات الشخصية السلبية فقط.

فأقل، وبين المتعرضات لهذا العنف ممن فصمن العلاقة الزوجية، اللاتي مضى على زواجهن ١٠ سنوات فأكثر؟

- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في السمات الشخصية السلبية والأعراض الإكلينيكية (محل اهتمام البحث الحالي)، بين الزوجات المتعرضات لعنف الأزواج، المستمرات في العلاقة الزوجية، اللاتي مضى على زواجهن ٥ سنوات فأقل، وبين المتعرضات لهذا العنف، ممن فصمن العلاقة الزوجية اللاتي مضى على زواجهن ٥ سنوات فأقل؟

- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في السمات الشخصية السلبية والأعراض الإكلينيكية (محل اهتمام البحث الحالي)، بين الزوجات المتعرضات لعنف الأزواج، المستمرات في العلاقة الزوجية، اللاتي مضى على زواجهن ١٠ سنوات فأكثر، وبين المتعرضات لهذا العنف، ممن فصمن العلاقة الزوجية اللاتي مضى على زواجهن ١٠ سنوات فأكثر؟

٤- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية، بين الزوجات المتعرضات لعنف الأزواج، المستمرات في العلاقة الزوجية، وبين المتعرضات لهذا العنف ممن فصمن العلاقة الزوجية في إدراكهن للعنف النفسي والبدني والجنسي؟

٥- هل يختلف إدراك أنواع العنف الممارس ضد الزوجات باختلاف المدة الزمنية للزواج؟

وتبلور من هذا التساؤل عدد من الأسئلة الفرعية هي:

- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في إدراك العنف النفسي والبدني والجنسي، بين الزوجات المتعرضات لعنف الأزواج، المستمرات في العلاقة الزوجية، اللاتي مضى على زواجهن ٥ سنوات فأقل، وبين المتعرضات لهذا العنف، المستمرات في العلاقة الزوجية، اللاتي مضى على زواجهن ١٠ سنوات فأكثر؟

- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في إدراك العنف النفسي والبدني والجنسي، بين الزوجات المتعرضات لعنف الأزواج، ممن فصمن العلاقة الزوجية، اللاتي مضى على زواجهن ٥ سنوات فأقل، وبين المتعرضات لهذا العنف ممن فصمن العلاقة الزوجية اللاتي مضى على زواجهن ١٠ سنوات فأكثر؟

- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية، في إدراك العنف النفسي والبدني والجنسي، بين الزوجات المتعرضات لعنف الأزواج، المستمرات في العلاقة الزوجية، اللاتي مضى على زواجهن ٥ سنوات فأقل، وبين المتعرضات لهذا العنف، ممن فصمن العلاقة الزوجية، اللاتي مضى على زواجهن ٥ سنوات فأقل؟

- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في إدراك العنف النفسي والبدني والجنسي بين الزوجات المتعرضات لعنف الأزواج المستمرات في العلاقة الزوجية اللاتي مضى على زواجهن ١٠ سنوات فأكثر، وبين المتعرضات لهذا العنف ممن فصمن العلاقة الزوجية اللاتي مضى على زواجهن ١٠ سنوات فأكثر؟

٦- هل تسهم سمات الشخصية السلبية والأعراض الإكلينيكية لدى الزوجات المتعرضات للعنف في التنبؤ بعنف الأزواج ضد الزوجات؟

منهج البحث

يعتمد البحث الراهن على المنهج الوصفي المقارن، وذلك للكشف عن الفروق بين الزوجات المتعرضات لعنف الأزواج بأشكاله المختلفة، والزوجات غير المتعرضات لهذا العنف، من خلال دراسة بعض السمات الشخصية المهيئة لتعرض الزوجة للعنف كالعصبانية، والانطوائية، والاعتمادية، والأعراض الإكلينيكية المصاحبة والنتيجة عن التعرض له كالاكتئاب، والقلق، ومفهوم الذات السلبي، وانخفاض تأكيد الذات.

أدوات البحث

في ضوء استعراض عدد كبير من الدراسات التي اهتمت بالسمات الشخصية والأعراض الإكلينيكية لدى الزوجات المتعرضات لعنف الأزواج والإطلاع على ما هو متاح من استخبارات، وبناءً على صياغة مشكلة البحث، تقرر استخدام مجموعة من الاختبارات لقياس متغيرات البحث وهي من الاختبارات المتوفرة والمتاحة في المجتمع الكويتي، والتي تتمتع بقدر وافر من الكفاءة السيكمترية، إضافة لإعداد بعض من الاستخبارات الخاصة بذلك، وفيما يلي عرض لهذه الاستخبارات.

تكونت أدوات البحث من:

- أداة لجمع البيانات الأولية: وذلك للحصول على المعلومات الخاصة بالزوجين كالعمر، والمستوى الاجتماعي، والتعليمي، والاقتصادي، والوظيفي، ومكان السكن، والحالة الصحية.
- بطارية الاستخبارات: تكونت بطارية الاستخبارات المستخدمة في البحث الحالي من قسمين هما:

القسم الأول: خمسة استخبارات من إعداد مؤلفين مختلفين (أخذت كما هي).

القسم الثاني: استخبارتين من إعداد الباحثة، حيث تم إعداد هذا الاستخبار

من خلال استخدام بنود - على ما هي عليه أو بعد ترجمتها أو بعد تعديلها أو إضافة بنود أخرى مخصصة أساساً لقياس المتغيرات الخاصة بالبحث وتغطي جميع المجالات التي يهدف البحث لقياسها، ومن هذا الوعاء للبنود تشكل مقياس جديد.

عينة البحث

اعتمدت الباحثة في اختيارها لعينة البحث الفعلية على مقياس العنف ضد الزوجة باعتباره المحك الذي استخدم لتصنيف عينات البحث الثلاث.

وبعد الانتهاء من تطبيق مقياس العنف ضد الزوجة على العينة الكلية (ن= ٥٨٥)، جاء متوسط درجات الأفراد على المقياس ٩٧,٨٠ بانحراف معياري ١٩,٥٧.

تم تقسيم عينة البحث إلى ثلاث مجموعات وذلك للتحقق من فروض البحث الراهن، وهي كالتالي:

- المجموعة الأولى: الزوجات المتعرضات لعنف الأزواج المستمرات في العلاقة الزوجية (اللاتي لم يصلن إلى المحاكم)، وتم تقسيم هذه المجموعة إلى فئتين:
أ- متعرضات حديثات الزواج اللاتي مضى على زواجهن ٥ سنوات فأقل.
ب- متعرضات قديمات الزواج اللاتي مضى على زواجهن ١٠ سنوات فأكثر.

- المجموعة الثانية: الزوجات المتعرضات لعنف الأزواج ممن فصمن العلاقة الزوجية (مسحوبة من سجلات المحاكم)، وتم تقسيم هذه المجموعة إلى فئتين:
أ. متعرضات حديثات الزواج اللاتي مضى على زواجهن ٥ سنوات فأقل.
ب. متعرضات قديمات الزواج اللاتي مضى على زواجهن ١٠ سنوات فأكثر.

- المجموعة الثالثة: الزوجات غير المتعرضات لعنف الأزواج (عينة ضابطة^(٤)).

واعتمدت الباحثة في تقسيم عينة البحث الكلية (إلى متعرضات وغير متعرضات^(٥)) إلى ربيعات، وهي عبارة عن ثلاث نقاط تقسم عدد الحالات إلى أربعة أقسام متساوية،

(٤) لم يتم تقسيم هذه المجموعة حسب الاستمرار في العلاقة الزوجية أو انفصامها وكذلك المدة الزمنية للزواج، وذلك باعتبارها مجموعة ضابطة لم تتعرض للعنف.

(٥) سوف يتم التعامل مع النساء اللاتي حصلن على درجات منخفضة على مقياس العنف ضد الزوجة كعينة غير متعرضات، علماً بأن هؤلاء النسوة من المحتمل أن يكن قد تعرضن للعنف أو للإساءة ولكن بدرجة منخفضة أو طفيفة لم تصل إلى درجة اعتبارهن من المتعرضات ولذلك سوف تستخدم الباحثة تعبير غير المتعرضات.

وذلك لتحديد الربيع الأعلى (مرتفعي التعرض لعنف الزوج)، وهو النقطة التي تميز ثلاثة أرباع التكرار، أي التي يقع أدناها ٧٥٪ من الحالات، والربيع الأدنى (منخفضي التعرض لعنف الزوج)، وهو النقطة التي يقع أعلاها ٧٥٪ من الحالات. ويعد هذا هو الأساس العلمي الإحصائي لحساب الربيعات (فؤاد أبو حطب وآمال صادق، ١٩٩١، ص ٧٠٣).

ومن هذا المنطلق قامت الباحثة بسحب عينة البحث الفعلية وفقاً للإرباعي الأعلى وكان عددهن ١٤٤ امرأة (باعتبارهن متعرضات لعنف الأزواج^(٦))، ووفقاً للإرباعي الأدنى وكان عددهن ١٤٦ امرأة (باعتبارهن غير متعرضات لعنف الأزواج) وبذلك بلغت عينة البحث الفعلية ٢٩٠ فرداً.

الأساليب الإحصائية المستخدمة في البحث

١. حساب المتوسطات والانحرافات المعيارية لدرجات الأفراد على المقاييس المختلفة.
٢. تحليل التباين بين العينات المختلفة.
٣. حساب الفروق باستخدام اختبار (ت) بين كل من المجموعة الأولى والمجموعة الثانية والمجموعة الثالثة على متغيرات البحث.
٤. تم استخدام تحليل الانحدار المتعدد لمعرفة المتغيرات المنبئة على ظهور متغيرات البحث الرئيسية كعنف الأزواج ضد الزوجات وسماتهن الشخصية السلبية والأعراض الإكلينيكية من جراء العنف الواقع عليهن.
٥. التحليل العاملي.

عرض النتائج

تعرض الباحثة في هذا الفصل لنتائج البحث، التي تم تصنيفها وفقاً لأهدافها وفروض البحث، وذلك كما يلي:

أولاً: نتائج الفرض الأول الذي ينص على: «توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين مجموعات البحث الثلاث (الزوجات المتعرضات لعنف الأزواج المستمرات في العلاقة الزوجية، والزوجات المتعرضات لهذا العنف ممن فصمن العلاقة الزوجية، والزوجات غير المتعرضات لهذا العنف) في السمات الشخصية السلبية: العصائية، والانطوائية، والاعتمادية».

(٦) تم تقسيم عينة المتعرضات لعنف الأزواج إلى عيّنتين فرعيتين وفقاً لاستمرارهن وانفصامهن عن العلاقة الزوجية وكذلك وفقاً للمدة الزمنية للزواج.

ثانياً: نتائج الفرض الثاني: الذي ينص على: «توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين مجموعات البحث الثلاث (الزوجات المتعرضات لعنف الأزواج المستمرات في العلاقة الزوجية، والزوجات المتعرضات لهذا العنف، ممن فصمن العلاقة الزوجية، والزوجات غير المتعرضات لهذا العنف) في الأعراض الإكلينيكية: الاكتئاب، والقلق، ومفهوم الذات السلبي، وانخفاض تأكيد الذات».

ثالثاً: نتائج الفرض الثالث: الذي ينص على: «تختلف السمات الشخصية السلبية والأعراض الإكلينيكية (موضوع البحث الحالي) لدى الزوجات المتعرضات لعنف الأزواج باختلاف المدة الزمنية للزواج».

انبتق من هذا الفرض عدد من الفروض الفرعية، وللتحقق من صحتها؛ استخدم اختبار(ت)؛ للكشف عن الفروق بين المتوسطات؛ وفيما يلي تعرض الباحثة لهذه الفروض، والنتائج التي تم التوصل إليها:

- **الفرض الفرعي الأول:** توجد فروق ذات دلالة إحصائية في السمات الشخصية السلبية والأعراض الإكلينيكية (موضوع البحث الحالي) بين الزوجات المتعرضات لعنف الأزواج المستمرات في العلاقة الزوجية، اللاتي مضى على زواجهن ٥ سنوات فأقل، والمتعرضات لهذا العنف المستمرات في العلاقة الزوجية اللاتي مضى على زواجهن ١٠ سنوات فأكثر.

- **الفرض الفرعي الثاني:** توجد فروق ذات دلالة إحصائية في السمات الشخصية السلبية، والأعراض الإكلينيكية (موضوع البحث الحالي)، بين الزوجات المتعرضات لعنف الأزواج، ممن فصمن العلاقة الزوجية اللاتي مضى على زواجهن ٥ سنوات فأقل، والمتعرضات لهذا العنف ممن فصمن العلاقة الزوجية اللاتي مضى على زواجهن ١٠ سنوات فأكثر.

- **الفرض الفرعي الثالث:** توجد فروق ذات دلالة إحصائية في السمات الشخصية السلبية والأعراض الإكلينيكية (موضوع البحث الحالي)، بين الزوجات المتعرضات لعنف الأزواج المستمرات في العلاقة الزوجية، اللاتي مضى على زواجهن ٥ سنوات فأقل، والمتعرضات لهذا العنف، ممن فصمن العلاقة الزوجية، اللاتي مضى على زواجهن ٥ سنوات فأقل.

- **الفرض الفرعي الرابع:** توجد فروق ذات دلالة إحصائية في السمات الشخصية السلبية والأعراض الإكلينيكية (موضوع البحث الحالي)، بين الزوجات المتعرضات

لعنف الأزواج، المستمرات في العلاقة الزوجية، اللاتي مضى على زواجهن ١٠ سنوات فأكثر، والمتعرضات لهذا العنف، ممن فصمن العلاقة الزوجية، اللاتي مضى على زواجهن ١٠ سنوات فأكثر.

رابعاً: نتائج الفرض الرابع: الذي ينص على: «توجد فروق ذات دلالة إحصائية، بين الزوجات المتعرضات لعنف الأزواج، المستمرات في العلاقة الزوجية، وبين المتعرضات لهذا العنف، ممن فصمن العلاقة الزوجية في إدراكهن للعنف النفسي والبدني والجنسي».

خامساً: نتائج الفرض الخامس: الذي ينص على: «يختلف إدراك أنواع العنف الممارس ضد الزوجات باختلاف المدة الزمنية للزواج».

انبتق من هذا الفرض عدد من الفروض الفرعية، وللتحقق من صحتها؛ استخدم اختبار(ت)؛ للكشف عن الفروق بين المتوسطات؛ وفيما يلي تعرض الباحثة لهذه الفروض، والنتائج التي تم التوصل إليها:

الفرض الفرعي الأول: توجد فروق ذات دلالة إحصائية في إدراك العنف النفسي والبدني والجنسي، بين الزوجات المتعرضات لعنف الأزواج، المستمرات في العلاقة الزوجية، اللاتي مضى على زواجهن ٥ سنوات فأقل، والمتعرضات لهذا العنف، المستمرات في العلاقة الزوجية اللاتي مضى على زواجهن ١٠ سنوات فأكثر.

الفرض الفرعي الثاني: توجد فروق ذات دلالة إحصائية في إدراك العنف النفسي والبدني والجنسي، بين الزوجات المتعرضات لعنف الأزواج، ممن فصمن العلاقة الزوجية، اللاتي مضى على زواجهن ٥ سنوات فأقل، والمتعرضات لهذا العنف، ممن فصمن العلاقة الزوجية، اللاتي مضى على زواجهن ١٠ سنوات فأكثر.

الفرض الفرعي الثالث: توجد فروق ذات دلالة إحصائية في إدراك العنف النفسي والبدني والجنسي، بين الزوجات المتعرضات لعنف الأزواج، المستمرات في العلاقة الزوجية، اللاتي مضى على زواجهن ٥ سنوات فأقل، والمتعرضات لهذا العنف ممن فصمن العلاقة الزوجية، اللاتي مضى على زواجهن ٥ سنوات فأقل.

الفرض الفرعي الرابع: توجد فروق ذات دلالة إحصائية في إدراك العنف النفسي والبدني والجنسي، بين الزوجات المتعرضات لعنف الأزواج، المستمرات في العلاقة الزوجية، اللاتي مضى على زواجهن ١٠ سنوات فأكثر، والمتعرضات لهذا العنف ممن فصمن العلاقة الزوجية، اللاتي مضى على زواجهن ١٠ سنوات فأكثر.

سادساً: نتائج الفرض السادس: الذي ينص على: «تسهم سمات الشخصية السلبية والأعراض الإكلينيكية لدى الزوجات المتعرضات للعنف في التنبؤ بعنف الأزواج ضد الزوجات».

وللتحقق من صحة هذا الفرض، تم إجراء تحليل الانحدار الخطي؛ باعتبار أن معادلة الانحدار يمكن أن تنبئ بأكثر المتغيرات احتمالية، في التأثير على المتغير التابع (Kurtz&Mayo, 1979, p. 278).

وتم استخدام هذا الإجراء في البحث الحالي، على أفراد العينة المتعرضة للعنف (ن=١٤٤) في عنف الأزواج ضد الزوجات، وذلك باعتبار السمات الشخصية السلبية والأعراض الإكلينيكية لدى الزوجات المتعرضات للعنف متغيرات تنبئية (مستقلة) تنبئ بعنف الأزواج ضد الزوجات؛ باعتباره متغيراً تابعاً. وقد وضحت النتائج ما يلي:

(١) أظهر متغير العصابية، والانطوائية، والقلق، ومفهوم الذات السلبي، وانخفاض توكيد الذات - باعتبارها متغيرات مستقلة - وجود تنبؤ بظهور عنف الأزواج ضد الزوجات بمستوى دلالة بين ٠,٠٠٥ - ٠,٠٠١.

(٢) لم يظهر متغير الاعتمادية والاكتئاب - باعتبارهما متغيرين مستقلين - وجود أي تنبؤ بظهور عنف الأزواج ضد الزوجات.

(٣) عند ترتيب هذه المتغيرات المنبئية على عنف الأزواج ضد الزوجات ترتيباً تنازلياً من أعلاها تنبؤاً إلى أدناها وفقاً لمعامل الانحدار المعياري؛ نجدها كما يلي: العصابية بدرجة ١,٥١٩، يليه القلق بدرجة ١,٣١٢، ثم مفهوم الذات السلبي بدرجة ١,٠٨٧، ثم انخفاض توكيد الذات بدرجة ٠,٦٨١، وأخيراً الانطوائية بدرجة ٠,٥٨٢.

مما يعني أن أكثر الأعراض إنباء للعنف العصابية، ثم القلق، يليهما مفهوم الذات السلبي، ثم انخفاض توكيد الذات، وأخيراً الانطوائي؛ بذلك تحقق الفرض السادس جزئياً.

المراجع العربية

- ١- أبو الوفا أبو الوفا (٢٠٠٠). العنف داخل الأسرة بين الوقاية والتجريم والعقاب: في الفقه الإسلامي والقانون الجنائي. الإسكندرية: دار الجامعة الجديدة للنشر.
- ٢- أبي زكريا النووي (١٩٨٢). رياض الصالحين. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- ٣- أحمد أبو العزائم (١٩٩٧). الإدمان والعنف ضد الأسر. ورقة أقيمت في المؤتمر السنوي الثاني وقاية المرأة والطفل من العنف. القاهرة: الجمعية المصرية لحل الصراعات الأسرية والاجتماعية، ٢-٣ إبريل.
- ٤- أحمد عبد الخالق (١٩٩١). استخبار أيزنك للشخصية (دليل تعليمات الصيغة العربية). الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- ٥- أحمد عبد الخالق (١٩٩٢). الأبعاد الأساسية للشخصية. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- ٦- أحمد عبد الخالق (١٩٩٣). استخبارات الشخصية. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- ٧- أحمد عبد الخالق، تأليف سبيلبرجر (١٩٩٢). قائمة القلق - الحالة والسمة - دليل التعليمات، الطبعة الثانية. الإسكندرية: دار الثقافة للنشر.
- ٨- أسامة أبو سريع (١٩٨٦). اضطراب المهارات الاجتماعية لدى المرضى النفسيين. رسالة ماجستير. كلية الآداب: جامعة القاهرة.
- ٩- أسامة أبو سريع (١٩٩٣). الصداقة من منظور علم النفس. الكويت: عالم المعرفة.
- ١٠- إيمان شريف قائد (٢٠٠٣). التغيير الاجتماعي والعنف الأسري. المؤتمر السنوي الخامس «التغيير الاجتماعي في المجتمع المصري خلال خمسين عاماً». المجلد الثاني، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية. ص ص. ٧٢٥-٧٦١، ٢٠-٢٣ إبريل.
- ١١- بدر الأنصاري (٢٠٠٢). المرجع في مقاييس الشخصية. الكويت: دار الكتاب الحديث.
- ١٢- بشير الرشيد، طلعت منصور؛ محمد النابلسي؛ إبراهيم الخلفي؛ فهد الناصر؛ بدر بورسلي؛ حمود القشعان (٢٠٠١). سلسلة تشخيص الاضطرابات النفسية. (اضطرابات القلق) المجلد ٩، الكويت: مكتب الإنماء الاجتماعي.
- ١٣- بنه بوزبون (٢٠٠٤). العنف الأسري وخصوصية الظاهرة البحرينية. المنامة: المركز الوطني للدراسات. بيروت: دار الكنوز الأدبية.
- ١٤- ثريا صالح (١٩٩٧). المضايقات في العمل. ورقة أقيمت في المؤتمر السنوي الثاني وقاية المرأة والطفل من العنف. القاهرة: الجمعية المصرية لحل الصراعات الأسرية والاجتماعية، ٢-٣ إبريل.
- ١٥- جبر محمد جبر (٢٠٠٠). بناء مقياس زنج للاكتئاب. مجلة الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة المنيا، ٣٥ (٣): ٣٠٣-٣٢٣.
- ١٦- حامد زهران (١٩٨٥). علم نفس النمو. القاهرة: عالم الكتب.
- ١٧- حسن عبد المعطي وراوية دسوقي (١٩٩٣). التوافق الزواجي وعلاقته بتقدير الذات والقلق والاكتئاب. مجلة علم النفس، ٧ (٢٨): ٦-٣٢.
- ١٨- حصة الناصر (٢٠٠٥). العنف ضد المرأة. ورقة أقيمت في ورشة صحة المرأة. الكويت: ٢-٤ مايو.
- ١٩- خديجة الهيصمي (٢٠٠١). العنف الموجه ضد المرأة: دراسة عن المجتمع اليمني. ورقة أقيمت في المؤتمر العالمي الثاني حول دور المرأة في التنمية الثقافية والاجتماعية والاقتصادية. الكويت: ٢-٤ إبريل.
- ٢٠- سامية الساعاتي (١٩٩٧). العنف ضد المرأة: أرقام وإحصائيات. ورقة أقيمت في المؤتمر السنوي الثاني وقاية المرأة والطفل من العنف. القاهرة: الجمعية المصرية لحل الصراعات الأسرية والاجتماعية، ٢-٣ إبريل.
- ٢١- سعيد دبب (١٩٩٣). دراسة لبعض العوامل المرتبطة بمفهوم الذات لدى المشلولين. دراسات نفسية، ٣ (٢): ٢٠٩ - ٢٣٥.

- ٢٢- سيجموند فرويد (١٩٨٩). ثلاث رسائل في نظرية الجنس. ترجمة محمد عثمان نجاتي. القاهرة: دار الشروق.
- ٢٣- سيجموند فرويد (١٩٩٨). الموجز في التحليل النفسي. ترجمة سامي علي وعبد السلام القفاش. القاهرة: دار المعارف.
- ٢٤- سيد غنيم (١٩٨٧). سيكولوجية الشخصية. القاهرة: دار النهضة العربية، ط٢.
- ٢٥- صفوت فرج (١٩٨٠). التحليل العاملي في العلوم السلوكية. القاهرة: دار الفكر العربي.
- ٢٦- صفوت فرج (١٩٨٩). المقياس النفسي. القاهرة: الأنجلو المصرية.
- ٢٧- صفوت فرج وحصة الناصر (١٩٩٩). العنف ضد المرأة وعلاقته ببعض سمات الشخصية. دراسات نفسية، ٩ (٣): ٣٢١ - ٣٥٤.
- ٢٨- صفوت فرج وحصة الناصر (٢٠٠١). إدراك أشكال العنف ضد المرأة لدى عينات مختلفة من المجتمع الكويتي. ورقة أقيمت في الملتقى العربي للعلوم الاجتماعية والصحة. لبنان: مدينة زحلة، ٨ - ١٠ نوفمبر.
- ٢٩- صفوت فرج وعبد الفتاح القرشي (١٩٩٩). الخصائص السيكومترية للصورة المختصرة لمقياس تنسي لمفهوم الذات. المجلة المصرية للدراسات النفسية، ٩ (٢٣): ٢٢ - ٤٦.
- ٣٠- طريف شوقي (١٩٩٨). تأكيد الذات: مدخل لتنمية الكفاءة الشخصية. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
- ٣١- طريف شوقي (٢٠٠٢). العنف في الأسرة المصرية: دراسة نفسية استكشافية - الخلاصات والدلالات والظروحات المستقبلية. ورقة أقيمت في مؤتمر الأبعاد الاجتماعية والجنائية للعنف في المجتمع المصري. القاهرة: المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، ٢٠ - ٢٤ إبريل.
- ٣٢- طريف شوقي ومحمد حسن (١٩٩٩). تأكيد الذات والتوافق الزوجي: دراسة ميدانية على عينه من الأزواج المصريين. المجلة العربية للعلوم الإنسانية، ١٧ (٦٧): ١٧٨ - ٢١٢.
- ٣٣- عبد الستار إبراهيم (١٩٩٨). الاكتئاب اضطراب العصر الحديث، فهمه وأساليب علاجه. الكويت: عالم المعرفة.
- ٣٤- عزة حجازي وفؤاده علي (١٩٩٧). أشد الحوادث عنفاً كما تدركها عينه من الفتيات المراهقات. ورقة أقيمت في المؤتمر السنوي الثاني وقاية المرأة والطفل من العنف. القاهرة: الجمعية المصرية لحل الصراعات الأسرية والاجتماعية، ٢ - ٣ إبريل.
- ٣٥- عزة عبد الكريم (٢٠٠١). استخدام المساندة النفسية الاجتماعية لتحسين التوافق النفسي والاجتماعي والصحي لدى المسنين: دراسة تجريبية. رسالة دكتوراة غير منشورة. كلية الآداب: جامعة القاهرة.
- ٣٦- غريب عبد الفتاح (١٩٩٠). مقياس الاكتئاب: التعليمات ودراسات الثبات والصدق. القاهرة: النهضة المصرية.
- ٣٧- فؤاد أبو حطب، سيد أحمد عثمان، آمال صادق (١٩٩٣). التقويم النفسي. القاهرة: الأنجلو المصرية.
- ٣٨- فؤاد أبو حطب وآمال صادق (١٩٩١). مناهج البحث وطرق التحليل الإحصائي في العلوم النفسية والتربوية والاجتماعية. القاهرة: الأنجلو المصرية.
- ٣٩- فهد الثاقب (١٩٩٦). الطلاق في المجتمع الكويتي: دراسة ميدانية. مجلة العلوم الاجتماعية - جامعة الكويت، ٢٤: ٥٨.
- ٤٠- فيوليت إبراهيم (١٩٨٦). الإعاقة البصرية والجسمية وعلاقتها بمفهوم الذات والتوافق الشخصي والاجتماعي. المؤتمر السنوي الثاني لعلم النفس. المجلد الخامس، القاهرة: الأنجلو المصرية.
- ٤١- كمال دسوقي (١٩٨٨). ذخيرة علوم النفس. القاهرة: الدار الدولية للنشر والتوزيع.
- ٤٢- كمال مرسي (١٩٨٥). سيكولوجية العدوان. مجلة العلوم الاجتماعية - جامعة الكويت، ١٢ (٢): ٦٤ - ٤٥.
- ٤٣- لفتية السبع (١٩٩٧). العنف والجنس وصحة الأنثى. ورقة أقيمت في المؤتمر السنوي الثاني وقاية المرأة والطفل من العنف. القاهرة: الجمعية المصرية لحل الصراعات الأسرية والاجتماعية، ٢ - ٣ إبريل.

- ٤٤- ليلي عبد الوهاب (١٩٩٤). العنف الأسري: الجريمة والعنف الأسري. بيروت، دار المدى للثقافة والنشر.
- ٤٥- مایسة شکري (١٩٩٦). العلاقة بين درجة الزوج على المكونات الفرعية لنمط السلوك (أ) وبين درجة عدم الرضا الزوجي لكل من الزوج والزوجة، مجلة الآداب، جامعة المنوفية، ٢٧: ٢١٥-٢٣٦.
- ٤٦- محمد الشناوي (٢٠٠٠). نظريات الإرشاد والعلاج النفسي. القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
- ٤٧- محمد فرج (١٩٩٧). الأسرة والعنف في مصر استجابات لاختبار (TAT)، ورقة أُلقيت في المؤتمر السنوي الثاني وقاية المرأة والطفل من العنف، القاهرة، الجمعية المصرية لحل الصراعات الأسرية والاجتماعية، ٢-٣ إبريل.
- ٤٨- معن قاسم (٢٠٠١). العنف الأسري (المنزلي) في اليمن (مدينة عدن). المجلة المصرية للدراسات النفسية، ١١ (٣٠): ٢٣ - ٤٠.
- ٤٩- ملك زعلوك (١٩٨٩)، العنف في الأسرة: ظاهرة ضرب الزوجة في مصر (منشورة باللغة الإنجليزية). المجلة القومية الاجتماعية، ٢٦ (١)، ٢٠٥-٢٣٨.
- ٥٠- مها غنام (١٩٩٨). أنماط ومظاهر العنف في المجتمع الكويتي المعاصر: دراسة تحليلية لفترة ما بعد الاحتلال العراقي. رسالة دكتوراة غير منشورة. كلية الآداب، جامعة عين شمس.
- ٥١- موسوعة علم النفس الشاملة، (١٩٩٩)، الجزء التاسع.
- ٥٢- ناصر الشيخ (٢٠٠١). الفروق بين المتعرضات للعنف وغير المتعرضات له في عدد من المتغيرات للشخصية والإكلينيكية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت.
- ٥٣- ناهد رمزي وعادل سلطان (٢٠٠٠)، العنف ضد المرأة: دراسة عاملية مقارنة، المجلة الاجتماعية القومية.
- ٥٤- يحي الحداد (٢٠٠١)، إيذاء الإناث في الأسرة «حالات من مجتمع البحرين»، ورقة أُلقيت في المؤتمر العالمي الثاني حول دور المرأة في التنمية الثقافية والاجتماعية والاقتصادية. الكويت: ٢ - ٤ إبريل.

References

- 1- Abbott, J., Johnson, R., Koziol-Melain, J. & Lowenstein, K. (1995). Domestic violence against women: Incidence and prevalence in an emergency room population. *Journal of the American Medical Association*, 273 (22): 1763-1767.
- 2- Aguilar, R. J. & Nightingale, N. N. (1994). The impact of specific battering experiences on the self-esteem of abused women. *Journal of Family Violence*, 9: 35-45.
- 3- Aldorando, E. & Kaufman-Kantor, G. (1995). Social predictor of wife assault. *Paper Presented at the 4th International Family Violence Research Conference*, Durham, NH.
- 4- Alexander, C. S. (1980). The responsible victim: Nurses perceptions of victims of rape. *Journal of Health and Social Behavior*, 2 (1): 23-33.
- 5- Allotey, P. (1998). Traveling with "excess baggage": Health problems of refugee women in western Australia. *Women and Health*, 28 (1): 63-81.
- 6- Alloy, L. B., Jacobson, N. S. & Acocella, J. (1999). *Abnormal Psychology*. New York: MCG Raw Hillcolege.
- 7- American psychiatric Association. (1987). *Diagnostic and Statistical Manual of Mental Disorders*. (3rd ed. revised). Washington, D. C.: Author.
- 8- American psychiatric association. (1994). *Diagnostic and Statistical Manual of Mental Disorder*. (4th ed.). Washington, D. C.: Author.
- 9- American psychiatric association. (2000). *Diagnostic and Statistical Manual of Mental Disorder*. (5th ed.). Washington, D. C.: Author.

- 10- American Psychological association. (1996). *APA Presidential Task Force on Violence and Family Report*. Washington, DC.: Author.
- 11- Andersen, S. M., Boulette, T. R. & Schwartz, A. H. (1991). Psychological maltreatment of spouses. In R. T. Ammerman & M. Hersen (Eds.), *Case Studies in Family Violence*. New York: Plenum Press.
- 12- Andrews, B. & Brown, G. W. (1988). Marital violence in the community: A biographical approach. *British Journal of Psychiatry*, 153: 305-312.
- 13- Archavanitkui, K. & Pramualratana, A. (1990). Factors Affecting women's Health in Thailand. *Paper Presented at the Population Council Work Shop on Women's Health in South East Asia*, October, Jakarta.
- 14- Arias, I. & Pape, K. T. (1999). Psychological abuse: implications for adjustment and commitment to leave violent partners. *Violence Victim*, 14 (1): 55-67.
- 15- Astin, M. C., Lawrence, K. J. & Foy, D. W. (1993). Post Traumatic Stress Disorder among battered women: Risk and resiliency factors. *Violence and Victims*, 8: 17-28.
- 16- Astin, M. C., Ogald-Hand, S. M., Coleman, E. M. & Foy, D. W. (1995). Posttraumatic Stress Disorder and childhood abuse in Battered women: comparisons with martially distressed women. *Journal of Consulting and Clinical Psychology*, 63 (2): 308-312.
- 17- Avakame, E. (1999). Females' labor force participation and intimate femicide: an empirical assessment of the backlash. *Violence and Victims*, 14 (3): 277-291.
- 18- Bachman, R. & Pillemer, K. A. (1992). Epidemiology and family violence involving adults. In R. T. Ammerman & M. Hersen (Eds.), *Assessment of Family Violence: A clinical and legal Source Book*. New York: John Wiley & Sons, INC.
- 19- Bachman, R. & Saltzman, L. E. (1995). *Violence Against Women: Estimates from the Redesigned Survey*. Washington, D. C.: Bureau of justice statistics, U. S. department of justice.

الضغوط النفسية لدى طلبة المدرسة العليا للأساتذة دراسة ميدانية على عينة من طلبة التخرج السنة الرابعة والخامسة

د. نصيرة بن نابي



المخلص

هدفت الدراسة الحالية إلى الكشف عن الضغوط النفسية لدى طلبة المدارس العليا للأساتذة، لسنة الدراسية (٢٠١٢/٢٠١٣)، وعلاقتها ببعض المتغيرات: متغير الإقامة (داخلية وخارجية)، ومتغير الجنس.

تكونت عينة الدراسة من (١٠٠) طالب(ة).

لتحقيق أهداف الدراسة تم تطبيق مقياس الضغوط النفسية.

تساؤلات الدراسة تتمثل فيما يلي:

- ما مدى انتشار الضغط النفسي لدى طلاب المدرسة العليا للأساتذة بالقبة؟

- هل توجد فروق دالة إحصائية في الضغوط النفسية لدى طلاب المدرسة العليا للأساتذة بالقبة حسب متغير نوع الإقامة؟

- هل توجد فروق دالة إحصائية في الضغوط النفسية لدى طلاب المدرسة العليا للأساتذة بالقبة تعزى لمتغير الجنس؟

• دكتورة في علوم التربية، وأستاذة محاضرة، قسم علم النفس، جامعة الجزائر. benabi_67@hotmail.fr

Psychological stress at the high school teaching graduate students

“It is a ground study which concerned a sample of forth and fifth year students”

Abstract

The purpose of the present study is the revelation of stress at the high school teaching graduate students.

The research concerned 2012/2013 session students. For this a 100 students were concerned inegrating variables such as the internship or day school and distribution by sex.

To accomplish the study we used the measurement of the psychological stress level.

The questions wère as follows:

- What is the extent of stress at the high school teaching graduate students of Kouba?
- Arethere any statiscal significant difference in stress level between the internship students and the day scool students?
- Are there any statiscal significant difference in stress level between male and female students?

مدخل

أصبح يحتل الحديث عن الضغوط النفسية مساحة كبيرة لدى الدارسين والباحثين، إذ مست هذه الدراسات مختلف فئات المجتمع «عمال، طلاب، تلاميذ، أساتذة.. إلخ» وبينت نتائجها معانات مختلف هذه الفئات من شدة الضغوط النفسية.

لهذا نبه المختصون في الإرشاد والصحة النفسية على مدى خطورة الضغوط النفسية على حياة الأفراد، لذا لا بد من المتابعة النفسية للفرد الذي يعاني من الضغط النفسي (الفرد المضغوط) حتى يعود إلى حياته المتزنة ويبتعد عن الآثار الفسيولوجية والنفسية الناتجة عن الضغوط كالإكتئاب، القلق، التوتر، اضطراب الإدراك، تشتت الانتباه.. إلخ

الإشكالية

مع ازدياد سرعة نمط الحياة الحديثة، أصبح أفراد المجتمع يتعرضون في حياتهم إلى القلق، التوتر والضغط النفسي، وغالباً ما يرتبط الضغط النفسي بالحالات المزعجة أو غير المرغوب فيها. ويعتبر طلاب الجامعة من أفراد هذا المجتمع فهم ليسوا ببعدين عن الظروف الحياتية الضاغطة وعن الصراعات المختلفة.

كما تعتبر الحياة الجامعية بجوانبها المختلفة الاجتماعية الأكاديمية الانفعالية والسلوكية تمثل مصادر للضغوط يتعرض لها الطلبة.

فكل مرحلة عمرية لها خصائصها المميزة ومواقف ضاغطة كما بينها (Kisker, 1977) «فطلاب الجامعة يعانون من مواقف وأزمات عديدة تتمثل في مواجهة الامتحانات والعلاقات مع الزملاء والأساتذة، والمنافسة من أجل النجاح والمشكلات العاطفية والتعامل مع مقتضيات البيئة الجامعية وأنظمتها وقوانينها». (إبراهيم عبد الستار، ١٩٩٨: ٢٦)

كما قد يتعرض الطالب لعوامل ضاغطة أخرى مثلاً الصراع مع الأولياء أو ما يسمى بصراع الأجيال، سوء التكيف مع الأساتذة ومع الطلاب وهذا لتوافدهم من بيئات مختلفة الخوف من المستقبل...إلخ

ولا شك أن هذه الضغوط التي يواجهها طالب الجامعة سواء في أسرته أو جامعته أو مجتمعه تمثل مؤثرات لا يمكن تجاهلها أو إنكارها، فإن لم يستطيع الفرد مواجهتها والتكيف معها كانت بداية لكثير من الاضطرابات النفسية كالقلق والاكتئاب. (رثيفة عوض، ٢٠٠٠: ١٥)

هذه الضغوط لا تنعكس على الجانب النفسي فقط وإنما يتجاوز تأثيرها الجانب الجسمي «الأمراض» وقد توصل (كوهن ووليمسون 1991، Wiliamsons & Cohen) إلى أن هناك دليلاً مقنعاً على وجود ارتباط بين الضغوط النفسية وزيادة السلوك المرضي، كما أن التعرض المستمر للضغوط ولا سيما في مستواها الشديد «يمكن أن يؤدي إلى الارتباك في الحياة والعجز عن اتخاذ القرار، ونقص التفاعل مع الآخرين، وتقشي أعراض الأمراض الجسمية». (Cohen & Wills 1995)

تساؤلات الدراسة تتمثل فيما يلي:

- ما مدى انتشار الضغوط النفسية لدى طلاب المدرسة العليا للأساتذة بالقبعة؟
- هل توجد فروق دالة إحصائية في الضغوط النفسية لدى طلاب المدرسة العليا للأساتذة بالقبعة حسب متغير نوع الإقامة؟

- هل توجد فروق دالة إحصائية في الضغوط النفسية لدى طلاب المدرسة العليا للأساتذة بالقبة تعزى لمتغير الجنس؟

الفرضيات

- يعاني طلاب المدرسة العليا للأساتذة بالقبة من الضغط النفسي.
- توجد فروق دالة إحصائية في الضغوط النفسية لدى طلاب المدرسة العليا للأساتذة بالقبة حسب متغير نوع الإقامة.
- توجد فروق دالة إحصائية في الضغوط النفسية لدى طلاب المدرسة العليا للأساتذة بالقبة تعزى لمتغير الجنس.

تحديد المفاهيم

مفهوم الضغط النفسي

الضغط النفسي لغة: مفهوم كلمة ضغط (الضغط والضغط، عصر شيء إلى شيء، يضغطه ضغطاً: زحمة إلى حائطه ونحوه، «الضغط» الضيق والإكراه، «الضغط» الشدة والمشقة). (ابن منظور، ٢٠٠٦: ٦٢)

الضغط النفسي: تم تعريف الضغط النفسي من طرف (فولكمان Folkman) على أنه «العلاقة التي تربط بين الفرد والبيئة التي يقيمها الفرد على أنها تهدد ذاته وتتجاوز مصادره وإمكاناته». (Folkman, 1984 : 845)

كما عرف فاروق السيد عثمان الضغوط بأنها تلك الظروف المرتبطة بالضغط والتوتر والشدة الناتجة عن المتطلبات التي تستلزم نوعاً من إعادة التوافق عند الفرد وما ينتج عن ذلك من آثار جسمية ونفسية، وقد تنتج الضغوط كذلك من الصراع والإحباط والحرمان والقلق، وتفرض الضغوط على الفرد متطلبات قد تكون فسيولوجية أو اجتماعية أو نفسية، أو تجمع بين هذه المتغيرات الثلاثة، ورغم أن الضغوط جزء من حياتنا، إلا أن مصادره تختلف من شخص إلى آخر. (السيد عثمان فاروق، ٢٠٠١: ٩٦)

أما (حسن مصطفى عبد المعطي) عرف الضغوط النفسية بأنها «تلك المثيرات الداخلية أو البيئية، والتي تكون على درجة من الشدة والدوام بما يثقل القدرة التوافقية للفرد، والتي تؤدي في ظروف معينة إلى الاختلال الوظيفي والسلوكي». (حسن مصطفى عبد المعطي، ٢٠٠٦: ٢٣)

في حين عرفها (Selye) بأنها أي الضغوط النفسية «الفعل غير اللائق للجسم عند كل طلب». (Selye, 1974 : 150)

كما عرف معجم علم النفس والتحليل النفسي أن الضغوط النفسية «تعني وجود عوامل خارجية ضاغطة على الفرد ب كليته أو على جزء منه، وبدرجة توجد لديه إحساساً بالتوتر أو تشويهاً في تكامل في تكامل شخصيته وحينما تزداد شدة هذه الضغوط فإن ذلك قد يفقد الفرد قدرته على التوازن ويغير نمط سلوكه عما هو عليه إلى نمط جديد». (طه فرج عبد القادر وآخرون: ٢٥٧)

أما الجمعية الأمريكية للطب النفسي عرفت الضغط على أنه «أي حرمان يثقل كاهل الفرد نتيجةً لمروره بخبرة غير مريحة، كالمرض المزمن، وفقدان مهنة والصراع الزواجي». (عربيات، ٢٠٠٥: ٢٥٥)

أهداف الدراسة: تهدف هذه الدراسة إلى:

- الكشف عن مدى انتشار الضغوط النفسية لدى عينة من طلبة المدرسة العليا للأساتذة بالقبّة، الجزائر.
- التعرف على اختلاف الضغوط النفسية لدى عينة من طلبة المدرسة العليا للأساتذة بالقبّة، الجزائر، باختلاف بعض المتغيرات (نوع الإقامة «داخلية وخارجية»، والجنس).

الخلفية النظرية للضغط النفسي

النظريات المفسرة للضغط النفسي

لقد اختلفت النظريات في تفسير الضغوط النفسية وذلك باختلاف الأطر النظرية المنبثقة منها، فهناك نظريات ذات أسس فسيولوجية وأخرى نفسية أو اجتماعية والتي نوجزها فيما يأتي:

نظرية كانون Cannon

(كانون Cannon) عالم فزيولوجي، يعتبر من الرواد الأوائل في البحوث الخاصة بالضغط، وعرف الضغط على أنه رد فعل الجسم في حالة الطوارئ، كما أشار إلى مفهوم استجابة المواجهة أو الهروب التي قد يسلكها الفرد حيال تعرضه للمواقف المؤلمة في البيئة وتعتبر هذه الاستجابة تكيفية لأنها تمكن الفرد من الاستجابة بسرعة للتهديد، «وذلك بجعل الكائن يواجه الموقف الضاغط أو يهرب منه أو يتجنبه» (علي حسن وهبان، ٢٠٠٨: ١٢٩). ويرى (كانون Cannon) أن جسم الإنسان مزود بميكانيزم يساهم في الاحتفاظ بحالة من الاتزان، أي قدرة الجسم على مواجهة التغيرات التي تحدث وكذلك ميله إلى العودة إلى الوضع الفسيولوجي الذي كان عليه قبل الضغط، (وبالتالي فإن أي

متطلب بيئي إذا فشل الجسم في التعامل معه فإنه يخل بهذا الاتزان ومن ثم ينتج المرض)
(أوهام نعمان، ٢٠٠٩: ٣٢)

نظرية ريتشارد لازاروس Lazarus

يؤكد (لازاروس Lazarus) أن نموذجيه يوضح العلاقة التفاعلية بين الفرد والمحيط ويرى أن التقدير المعرفي هو مفهوم أساسي يعتمد على طبيعة الفرد حيث أن تقدير كم التهديد ليست مجرد إدراك منشط لعناصر المكونة للموقف، ولكنه رابطة بين البيئة المحيطة بالفرد وخبراته الشخصية مع الضغوط وبذلك يستطيع الفرد تفسير الموقف ويعتمد تقييم الفرد للموقف على عدة عوامل منها العوامل الشخصية، العوامل الخارجية الخاصة بالبيئة الاجتماعية، العوامل المتصلة بالموقف نفسه. (السيد عثمان فاروق، ٢٠٠١: ١٠٠). فالضواغط النفسية تولد استجابات للضغط فقط، بعد أن تقيم كمهددة أو خطيرة من قبل الفرد فالضغط يتوقف على نوعية التفاعل بين الفرد والبيئة، ولا يمكن أن تختله لصالح أحد هذه العناصر.

نظرية هانز سيلبي Hans Selye, 1946

أشار سيلبي إلى أن كثيراً من العوامل البيئية تحول الإنسان عن حالة التوازن، كالحرارة، البرودة، الألم، السموم والفيروسات.. وتتطلب من الجسم الاستجابة لها، هذه العوامل تسمى الضواغط أو مثيرات الضغط وتتضمن أي شيء يتطلب من الجسم أن يعي استجاباته لمواجهتها، والجسم يستجيب للضواغط بجهاز منظم من التغيرات الجسمية والكيميائية التي تعد الفرد للقتال، أو التفادي «التجنب». (عبد المعطي مصطفى حسن، ٢٠٠٦: ٢٥). ولقد حدد سيلبي ثلاث مراحل للدفاع ضد الضغط وأطلق عليها «أعراض التكيف العام».

- **الفرز:** وفيه يظهر الجسم تغيرات واستجابات تتميز بها درجة التعرض المبدئي للضاغط ونتيجة لهذه التغيرات تقل مقاومة الجسم.
- **المقاومة:** وفيها يحاول الفرد مقاومة مصدر التهديد بكل ما يملك من طاقة نفسية وجسمية ليعود الجسم إلى حالة الاتزان.

- **الإجهاد:** وفيها تستنزف طاقة الفرد ويصبح عرضة للإصابة بالأمراض. (خليفة

السيد وآخرون، ٢٠٠٨: ١٥٢)

نظرية هنري موراي Murray

يعتبر (موراي Murray) أن مفهوم الحاجة ومفهوم الضغط مفهومان أساسيان على اعتبار أن مفهوم الحاجة يمثل المحددات الجوهرية للسلوك ومفهوم الضغط يمثل المحددات المؤثرة والجوهرية للسلوك في البيئة. ويميز بين نوعين من الضغوط:

- ضغط ألفا: يشير إلى الخصائص والموضوعات ودلالاتها كما هي، ويؤكد على أن الفرد بخبرته يصل إلى ربط موضوعات معينة بحاجة يعينها ويطلق على هذا تكامل الحاجة، أما عندما يحدث التفاعل بين الموقف الحافز والضغط والحاجة الناشطة فهذا يعبر عنه بمفهوم «ألفا».
- ضغط بيتا: يشير إلى دلالة الموضوعات البيئية والأشخاص كما يدركها الفرد.

(السيد عثمان فاروق، ٢٠٠١: ١٠٠)

• الجانب الميداني

منهج الدراسة

استخدمنا المنهج الوصفي، وهو المنهج الملائم للبحث، الذي يهدف إلى جمع معلومات دقيقة لوصف ظاهرة موجودة، أو للتعريف بمشكلة معينة، أو إجراء مقارنة أو تقويم... إلخ. ويعرف «المنهج الوصفي» على أنه دراسة الواقع أو الظاهرة كما توجد ويهتم بوصفها وصفاً دقيقاً ويعبر عنها تعبيراً كيفياً أو تعبيراً كمياً» (عبيدات، ١٩٩٢: ١٨٧). كما يعنى المنهج الوصفي «تحديد الظروف والعلاقات التي توجد بين الوقائع، كما يهتم بتحديد الممارسات الشائعة والاتجاهات عند الأفراد». (نبيل نوفل وآخرون، ١٩٩٧: ٢٣١)

عينة الدراسة: تكونت من (١٠٠) طالب وطالبة تم اختيارهم بطريقة عشوائية من المدرسة العليا للأساتذة بالقبة، الجزائر.

الجدول رقم (١) خصائص أفراد العينة

نوع الإقامة		الجنس	
داخلية	خارجية	ذكور	إناث
٧٠	٣٠	٣٥	٦٥

أدوات الدراسة: مقياس الضغوط النفسية المعد من طرف ليفنستين (1993) Levenstein يشمل ٣٠ عبارة تتضمن نوعين من البنود المباشرة وغير المباشرة، نوضحها في الجدول الموالي:

الجدول رقم (٢) توزيع بنود مقياس ليفنستين (Levenstein)

رقم ونوع البنود	نوع البنود	
	بنود مباشرة	بنود غير مباشرة
	١٤، ١٢، ١١، ٩، ٨، ٦، ٥، ٤، ٣، ٢، ٢٣، ٢٢، ٢٠، ١٩، ١٨، ١٦، ١٥ ٣٠، ٢٨، ٢٧، ٢٦، ٢٤	٢٩، ٢٥، ٢١، ١٧، ١٣، ١٠، ٧، ١
المجموع	٢٢	٠٨

يهدف المقياس إلى قياس درجة الضغوط النفسية التي يعاني منها طلاب المدرسة العليا للأساتذة بالقبة، الجزائر.

تعليمات التصحيح: البنود المباشرة تدل على وجود مؤشر إدراك ضغط مرتفع عندما يجيب المفحوص بالقبول اتجاه الموقف، وإلى مؤشر إدراك ضغط منخفض عندما يجيب بالرفض. وتشمل البنود غير المباشرة عبارات تدل على وجود مؤشر إدراك ضغط مرتفع عندما يجيب المفحوص بالرفض وإلى مؤشر منخفض عندما يجيب بالقبول.

كيفية تنقيط المقياس: تنقط بنود المقياس وفقاً لـ أربع درجات من ١ إلى ٤ كما يلي: تقريباً (نقطة واحدة)، أحياناً (نقطتين)، كثيراً (ثلاث نقاط) وعادةً (أربع نقاط).

الأساليب الإحصائية: النسب المئوية - المتوسط الحسابي - الانحراف المعياري.

- اختبار (ت، test T) واختبار (كا)

نتائج الدراسة

أولاً: نتائج الفرضية الأولى: تنص الفرضية الأولى على «أن طلاب المدرسة العليا للأساتذة بالقبة، الجزائر، يعانون من الضغط النفسي».

الجدول رقم (٣) يوضح نسبة الضغط النفسي المحصل عليها

من طرف طلبة المدرسة العليا للأساتذة بالقبة، كما يبين نتائج اختبار (كا)

النتائج المتغيرات	عدد الأفراد	النسبة المئوية	قيمة المحسوبة
نسبة الضغط مرتفعة	٥٠ ٦٧	٦٧ %	١١,٥٦
نسبة الضغط منخفضة	٥٠ ٣٣	٣٣ %	

توضح نتائج الجدول رقم (٢) أن عدد الطلاب الذين يعانون من الضغط النفسي مرتفع قدر بـ (٦٧) أي ما يعادل نسبة (٦٧٪) في حين قدر عدد الطلاب الذين يعانون من ضغط نفسي منخفض بـ (٣٣) طالب (٤) أي ما يعادل نسبة (٣٣٪)، أي ٣٣٪ فقط من الطلاب حصلوا على درجات تحت المتوسط المقدر بـ (٤٨) في نسبة الضغط النفسي.

ما يستنتج من خلال هذه النتائج أن النسبة الكبيرة من الطلاب يعانون من الضغط النفسي المرتفع.

كما بينت نتائج اختبار أن القيمة المحسوبة المقدرة بـ ١١,٥٦ أكبر من القيمة المجدولة عند مستوى الدلالة ٠,٠١ وهذا يدل على أن الفرق بين النسبتين له دلالة إحصائية لصالح الذين يعانون من الضغط النفسي المرتفع.

وعليه نقبل الفرضية الأولى، ونقول أن الفرضية الأولى تحققت أي يعاني طلاب المدرسة العليا للأساتذة بالقبلة، الجزائر. من الضغط النفسي.

ثانياً: نتائج الفرضية الثانية

تنص الفرضية الثانية على «وجود فروق دالة إحصائية في الضغوط النفسية لدى طلاب المدرسة العليا للأساتذة بالقبلة حسب متغير نوع الإقامة».

الجدول رقم (٤) دلالة الفروق في الضغوط النفسية حسب نوع الإقامة

القيمة المحسوبة T	الإقامة				النتائج
	خارجية		داخلية		
	ن=٣٠		ن = ٧٠		
	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	
٣,٩٣	٣,٧٩	٤٩,٣٩	٤,٠٢	٥٢,٥٠	الضغط النفسي

يتضح من خلال النتائج الموضحة في الجدول رقم (٤) أنه يوجد فرق دال إحصائياً بين متوسطات درجات الضغط النفسي حسب نوع الإقامة، لأن القيمة المحسوبة لـ (T = ٣,٩٣) وهي أكبر من القيمة المجدولة لـ (T = ٢,٦٢٧) فالطلاب ذوي الإقامة الداخلية أكثر تعرضاً للضغط النفسي إذ قدر المتوسط الحسابي لديهم بـ ٥٢,٥٠ مقارنة بالطلاب ذوي الإقامة الخارجية قدر المتوسط الحسابي لديهم بـ ٤٩,٣٩.

وعليه نقبل الفرضية الثانية، ونقول أن الفرضية الثانية تحققت أي توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الضغوط النفسية لدى طلاب المدرسة العليا للأساتذة بالقبعة حسب متغير نوع الإقامة.

ثالثاً: نتائج الفرضية الثالثة: تنص الفرضية الثالثة على «وجود فروق دالة إحصائية في الضغوط النفسية لدى طلاب المدرسة العليا للأساتذة بالقبعة تعزى لمتغير الجنس»

الجدول رقم (٥) دلالة الفروق في الضغوط النفسية حسب متغير الجنس

قيمة T	نوع الجنس				النتائج
	إناث		ذكور		
	ن=٦٥		ن = ٣٥		
	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	
٨,٥٢	٦,٣٤	٥٥,٧٢	٣,٨٦	٤٦,١٧	الضغط النفسي

يتضح من خلال نتائج الجدول رقم (٥) أنه يوجد فرق دال إحصائياً في الضغط النفسي بين الذكور والإناث حيث بلغت قيمة "T" المحسوبة (٨,٥٢) وهي أكبر من قيمة "T" المجدولة المقدره بـ (٢,٦٢٧) عند مستوى الدلالة ٠,٠١ وذلك لصالح الإناث إذ قدر المتوسط الحسابي لديهم بـ ٥٥,٧٢ فالإناث أكثر تعرضاً لضغط النفسي من الذكور. وعليه نقبل الفرضية الثالثة، ونقول أن الفرضية الثالثة تحققت أي توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الضغوط النفسية بين الذكور والإناث.

تفسير النتائج

تفسير نتائج الفرضية الأولى

تنص الفرضية الأولى على «أن طلاب المدرسة العليا للأساتذة بالقبعة، الجزائر، يعانون من الضغط النفسي».

من خلال تقديم النتائج المحصل عليها بينت الانتشار الواسع للضغط النفسي في وسط الطلاب، وهذا ما أكدّه (عبد القادر مسيوم، ٢٠٠٣) فالتعب الجسدي والنفسي الذي يشعر به التلميذ والطالب على حد سواء من كثافة التحضير للامتحانات، تجعله يشعر بالضغط النفسي، كما يرى البعض أن الامتحانات بشكلها الحالي تمثل نوعاً من الرهاب الفكري.

كما أكدت عدة دراسات أن الضغط النفسي يسبب اضطرابات في الجهاز الهضمي الإسهال، الإمساك المزمن، واضطراب الجهاز التنفسي، ارتفاع ضغط الدم، انتشار

الأمراض الجلدية الصراع النفسي، التهاب المفاصل الروماتزم، تضخم الغدة الدرقية، التشنج العضلي، اضطراب الغذاء كفقْدان الشهية أو الشره والبدانة (Hass, 1979) كما قد يسبب الضغط النفسي حسب (Hilgard et al, 1979) النوبات القلبية، قرحة المعدة، ارتفاع نسبة الكولسترول.

تفسير نتائج الفرضية الثانية

تنص الفرضية الثانية على «وجود فروق دالة إحصائية في الضغوط النفسية لدى طلاب المدرسة العليا للأساتذة بالقبّة حسب متغير نوع الإقامة».

بينت النتائج المحصل عليها على وجود فرق في درجات الضغط النفسي لدى طلاب الجامعة باختلاف نوع الإقامة (داخلية - خارجية)، وهذه النتائج تتفق مع ما توصلت إليه نتائج دراسة (Kisker كيسكر) على أن هناك عدة عوامل تسبب الضغوط نذكر منها الامتحانات، المنافسة من أجل النجاح، وكذلك الإقامة في السكنات الجامعية التي تسبب لهم الكثير من المشكلات النفسية والاجتماعية دون وجود مساندة اجتماعية وعاطفية من أسرهم كل هذا يؤدي إلى ارتفاع الضغوط لديهم (إبراهيم عبد الستار، ١٩٨٨: ٢٦)

تفسير نتائج الفرضية الثالثة

تنص الفرضية الثالثة على «وجود فروق دالة إحصائية في الضغوط النفسية لدى طلاب المدرسة العليا للأساتذة بالقبّة تعزى لمتغير الجنس».

من خلال تقديم النتائج المحصل عليها بينت على وجود فرق في درجات الضغط النفسي لدى طلاب الجامعة باختلاف نوع الجنس (ذكور - إناث)، وهذه النتائج تتفق مع ما توصلت إليه نتائج دراسة (Robbins & Tanek 1979) التي أجريت على طلاب الجامعات وبيّنت نتائجها أن الإناث أكثر تعرضاً للضغط النفسي من الذكور. (جمعة سيد يوسف، ٢٠٠١: ٤٠٢)

المراجع

المراجع باللغة العربية

- إبراهيم عبد الستار (١٩٩٨) **الاكتئاب**، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٣٩، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت.
- ابن منظور، جمال الدين بن مكرم الأنصاري (٢٠٠٦) **لسان العرب**، ج ٨، ط ١، دار صبح ودار اديسوفت، لبنان.
- السيد عثمان فاروق (٢٠٠١) **القلق، إدارة الضغوط**، ط ١، دار الفكر العربية، مصر.
- القرشي عبد الفتاح (١٩٩٣) **الضغوط التي تعرض لها الأطفال الكويتيون خلال العدوان العراقي وعلاقتها بالتوافق النفسي الاجتماعي**، عالم الفكر، المجلد ٢٢، العدد الأول.
- أوهم نعمان ثابت الثابت (٢٠٠٩) **الضغوط النفسية وعلاقتها بالتوافق النفسي والاجتماعي والزواجي لدى المصابات بسرطان الثدي المبكر في الأردن**، رسالة دكتوراة غير منشورة.
- جمعة سيد يوسف (٢٠٠١)، **دراسات في علم النفس الأكلينيكي**، دار غربية للطباعة والنشر، القاهرة، مصر.
- خليفة السيد وليد وعيسى علي مراد (٢٠٠٨)، **الضغوط النفسية والتخلف العقلي في ضوء علم النفس المعرفي، المفاهيم، النظريات، البرامج**، دار الوفاء الإسكندرية، مصر.
- طه فرج عبد القادر (بدون سنة)، **معجم علم النفس والتحليل النفسي**، ط ١، دار النهضة العربية، لبنان.
- عبد القادر ميسوم (٢٠٠٣) **دليل التعليم الجيد**، منشورات بغداد.
- عبد المعطي مصطفى حسن (٢٠٠٦)، **ضغوط الحياة وأساليب مواجهتها**، ط ١، مكتبة الزهراء، مصر.
- عبيدات (١٩٩٢)، **البحث العلمي**، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان الأردن.
- عربيات أحمد عبد الحليم (٢٠٠٥)، **فعالية برنامج علاجي إرشادي**، يستند إلى استراتيجية حل المشكلات في التخفيف من الضغوط النفسية، مجلة أم القرى للعلوم التربوية، المجلد ١٧ العدد ٠٢.
- علي حسن وهبان (٢٠٠٨)، **ضغوط الحياة وعلاقتها بالاضطرابات السيكوسوماتية لدى طلبة الجامعة في البيئة العربية الجزائرية واليمن**، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة الجزائر.
- عوض رثيفة (٢٠٠٠)، **ضغوط المراهقين ومهارات المواجهة «التشخيص والعلاج»**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر.

المراجع باللغة الأجنبية

- Folkman, S. (1984) person control and stress and coping.
- Hass, K. (1979) Abnormal psychology. New York: Northland co.
- Hilgard, E. R., et al (1979) Introduction to psychology: New York: Har Court Brace. Jovanovich. Inc.
- Selye, H. (1974) stress sans distress, Montereal. Press.
- Williamson, G, M. & Cohen, D (1991) stress and infectious disease in humans.: psychological bulletin, 109: (1) 2.

المشكلات النفسية والاجتماعية لمجهولي الأبوين Social and psychological problems of unknown family

مقدمة

د. عبدالله بن حمود الجميل*



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام
على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:
فإن من محاسن ديننا ومزاياه ما جاء
به من الحث والتأكيد على التكافل بين أفراد،
والاهتمام بشأن بعضهم فالمؤمنون إخوة
متحابون ورباط الإيمان بين أهله كرباط النسب
والقربة ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ
بَعْضٍ﴾ (التوبة: ٧١).

ويوضح نبينا عليه الصلاة والسلام حال أهل
الإيمان فيقول: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ
وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ
سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى) متفق عليه.

ومن مظاهر هذا التكافل بين أفراد المجتمع
اهتمامه برعاية الأيتام وتأکید ذلك بما بين من فضل
هذا العمل فقد بين الله تعالى من صفات الأبرار: ﴿وَأَتَى
الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى﴾ (البقرة: ١٧).
وقال فيهم ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا
وَأَسِيرًا﴾ (الإنسان: ٨).



• أستاذ مساعد في قسم الإدارة التربوية، كلية التربية، جامعة حائل/ المملكة العربية السعودية.

ahhham@hotmail.com

وعاب الله تعالى من لا يكرم اليتيم فقال ﴿كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ﴾ (الفجر: ١٧). وقال: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ*فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ (الماعون: ١-٢). وقد قال النبي ﷺ: (أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا، وأشار بالسبابة والوسطى) متفق عليه، وقال: (من مسح رأس يتيم لم يمسحه إلا لله كان له بكل شعرة مرت عليها يده حسنات). رواه أحمد بسند صحيح.

من أجل كل هذا فقد عنى الإسلام بمجهولي الأبوين، فأوجب التقاطه وحرّم إهماله، وكذلك قد ألحق مجهول الأبوين باليتيم فإن المعيبة عليه أعظم فهو بلا هوية لا أهل أو أقرباء، وبالتالي لا حقوق نسب ولا نفقة ولا ميراث.

ولذلك قرر العلماء أن اليتيم ليس من فقد أباه فقط لكنه أيضاً كل لقيط وكل من فقد العلم بنسبه، بل أن مجهولي الأبوين هم أشد حاجة للعناية والرعاية من معروف النسب لعدم معرفة قريب لهم يلجأون له عند الضرورة.

وإن دل ذلك على شيء فإنه يدل على عدم الاهتمام من قبل هذه دور الحضانة والرعاية أو الجمعيات الأهلية بفئة الأطفال مجهولي الأبوين، بالإضافة إلى تجاهل العديد من دور الإيواء لأهمية أخصائي التغذية وتقوم بتقديم وجبات موحدة حسب نظام الدار لا حسب ما يحتاجه الطفل من غذاء، وكذلك غياب المشرفين والمشرفات المتخصصات والحاصلين على شهادة عليا من أجل التمكن في أداء واجباتهم تجاه هذه الفئة على أتم وجه، أيضاً الحاجة الحقيقية للحب والحنان والعطف وليس الشفقة من أجل الشفقة، والقصد هو التعامل مع مجهولي الأبوين بكرامة واحترام والاحتواء من أجل تعزيز المشاعر الإيجابية لديهم ومساعدتهم على التغلب على المشاكل النفسية والاجتماعية والاندماج في المجتمع بالشكل الطبيعي.

وهذه الورقة تحاول إظهار هذه المشكلة على السطح وتناولها بشكل علمي من أجل أخذها بعين الاعتبار وإجراء المزيد من الدراسات والبحوث العلمية لمواجهة التهميش والإقصاء الذي يعاني منه كثير من مجهولي الأبوين في البلدان العربية.

راجياً من الله أن أكون قد وفقت في طرق باب من الأبواب الإنسانية التي قلما تطرق في عالمنا العربي.

والله ولي التوفيق،،،

الباحث

إشكالية الورقة

أوضح الدكتور المحرزي أن موضوع مجهولي الأبوين في المجتمع العربي موضوعاً حساساً من النادر أن تتناوله وسائل الإعلام والندوات والأنشطة الاجتماعية بصورة إيجابية أو إنسانية، وعلى هذا الأساس تحاول هذه الورقة أن تفتح آفاق جديدة في هذا الموضوع الإنساني من خلال المحاور الآتية:

- ١- وجود أطفال قد حرموا من الأسرة، مما يعني حرمانهم من الحب والحنان والعواطف والمشاعر الإيجابية.
- ٢- أن المجتمعات العربية لا تزال تنظر لفئة مجهولي الأبوين نظرةً دونيةً مقارنةً بالمجتمعات الغربية.
- ٣- تعقيد بعض الإجراءات الروتينية في دمج مجهول الأبوين في الشهور الأولى مع الأسر البديلة.
- ٤- عدم تخصص بعض المشرفين أو المشرفات في دور الحضانة ودور التربية الاجتماعية.
- ٥- غياب الحرية لمشاكل مجهولي الأبوين في وزارات الشؤون الاجتماعية بالبلدان العربية.

مصطلحات الورقة

مجهول الأبوين: هو المولود الذي لا يعرف نسبه، طرحه أهله خوفاً من العيلة أو فراراً من مهمة التربية.

المشكلات الاجتماعية: هي حالة قصور من عدم انتظام وتوافق الانفعالات الشخصية للفرد نتيجة للإحباطات التي يواجهها أثناء محاولاته لتحقيق أهدافه. **المشكلات الاجتماعية:** هي خلل في علاقة الفرد مع مجتمعه تحول دون أداء أدواره الاجتماعية وفق الإطار العام والمتفق عليه.

المؤسسات الاجتماعية الإيوائية

أولاً: مراحل دار الحضانة: تعد أول مرحلة لرعاية الأطفال مجهولي الأبوين من مرحلة الرضاع بعد الولادة حتى سن ٦ سنوات.

ثانياً: مراحل دار التربية الاجتماعية: توفير أسباب الرعاية الكاملة للأطفال من سن ٦ سنوات حتى ١٨ سنة.

ثالثاً: مؤسسات التربية النموذجية: تكوين جو أسري قريب لجو الأسرة الطبيعية من خلال محاكاة النظام الأسري بوجود الأم البديلة والخالة والأخت الكبرى والعمة، ويمكن أن يستقل خارج دور التربية بعد سن ١٨ سنة، وتحت إشراف وزارة الشؤون الاجتماعية.

رابعاً: الأسر البديلة: تقدم الرعاية للطفل الذي يتناول حقوقه الأسرية المكفولة من حضانة ورعاية ونفقة وتنشئة، رغبة في الأجر من عند الله.

خامساً: الجمعيات الخيرية الأهلية: جمعيات أهلية بدأت على يد مجموعة من أهل الخير تقدم خدماتها لمجهولي الأبوين من حضانة ورعاية ونفقة وبرامج خدمية وتربوية وتعليمية.

بعض الأمثلة لعدد مجهولي الأبوين في البلدان العربية حسب المصدر

م	الدولة	عدد مجهولي الأبوين	المصدر	السنة
١	السعودية	١١٥٧ طفل	وزارة الشؤون الاجتماعية بالسعودية	٢٠١٠
٢	الإمارات	٧٣٣ طفل	الإمارات اليوم	٢٠١٣
٣	مصر	٢٧٠ ألف طفل	جريدة القدس اللندنية	٢٠٠٨
٤	السودان	١١٠٠ طفل	آفاق العروبة منتدى عالم المجتمع والأسرة	٢٠٠٩
٥	الجزائر	من ١٩٩٩ إلى ٢٠٠٧ بحوالي ٢٧٤٠٠ طفل	صحيفة الخبر الجزائرية	٢٠١٣

المشكلات النفسية لمجهولي الأبوين

١. مشكلة القلق.
٢. مشكلة الاكتئاب.
٣. مشكلة العناد.
٤. مشكلة تطرف الانفعالات النفسية:

 - انفعال الخوف المرضي.
 - انفعال الغضب.
 - انفعال الغيرة.
 - الجوع العاطفي.

المشكلات الاجتماعية لمجهولي الأبوين

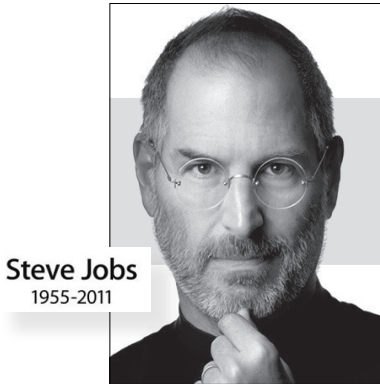
- ١- مشكلة العزلة الاجتماعية.
- ٢- مشكلة العدوان والعنف الاجتماعي.
- ٣- المشكلات السلوكية التي تؤثر على علاقة هؤلاء الأطفال بالمجتمع:

 - مشكلة السرقة.
 - مشكلة الكذب.
 - مشكلة التأخر الدراسي.

دور المؤسسات المجتمعية في وقاية مجهولي الأبوين من المشكلات النفسية والاجتماعية

١. دمج الأطفال مجهولي الأبوين بالمجتمع، من خلال الأسرة البديلة التي تعتبر البيئة الأمثل والأفضل لتنشئة الطفل، منذ الشهور الأولى.
٢. احترام واحتواء مشاعر وكرامة مجهولي الأبوين بعيداً عن النظرة الدونية والطبقية والعنصرية والعمل على إشباع حاجاتهم النفسية من حب وحنان وعطف وانتماء.
٣. التوعية الإعلامية المكثفة للمجتمع بحقوق مجهولي الأبوين، وأنهم مثل الأيتام في فضل كفالتهم ورعايتهم، وتفقد أحوالهم وإشراكهم في مختلف المناسبات الخاصة والعامة بما فيها المناسبات العائلية.
٤. إعداد المشرفين والمراقبين (من الرجال أو النساء) المتخصصين في المؤسسات الاجتماعية الإيوائية إعداداً دينياً وعلمياً وتربوياً، بما يساعدهم على حسن التعامل معهم.

نماذج لمجهولي الأبوين مبدعين في العالم



ستيف جوبز، مخترع وأحد أقطاب الأعمال
في الولايات المتحدة: إبداع في الصمود

سمير محمد
صاحب كتاب: إبداع في قيادة الذات

البحوث والدراسات المستقبلية المقترحة

- إجراء بحوث علمية تقف على حقوق مجهولي الأبوين التي يستحقونها من المجتمع بجميع مؤسساته الاجتماعية.
- إجراء بحوث علمية لتحديد الاحتياجات التدريبية من أجل إكساب مجهولي الأبوين، مهارات التواصل الاجتماعي والتغلب على العديد من المشكلات النفسية والاجتماعية.
- إجراء بحوث علمية عن سبب عزوف بعض الأسر عن احتضان مجهول الأبوين كأسر بديلة، واقتراح الحلول التربوية والاجتماعية.
- عمل دراسات مسحية وتحديد الأعداد الحقيقية لمجهولي الأبوين، وإنشاء مراكز معلومات في العالم العربي، يكون له الأثر في علاج المؤثرات السلبية.
- إجراء بحوث علمية تحدد العلاقة بين المشرفين والمشرفات ومجهولي الأبوين، من حيث التعامل، والتوجيه والإرشاد، تكون عينة الدراسة من نفس الفئة.

المراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- السنة النبوية الشريفة.
- ٣- الشنقيطي، محمد حبيب: مشكلات الأطفال ذوي الظروف الخاصة من وجهة نظر المشرفين والمشرفات عليهم في المملكة العربية السعودية وعلاجها من منظور التربية الإسلامية، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، قسم التربية، المملكة العربية السعودية، المدينة المنورة، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.
- ٤- السدحان، عبدالله بن ناصر: رعاية الأيتام في المملكة العربية السعودية، الرياض، الأمانة العامة للأطفال للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.
- ٥- الجبير، هاني عبدالله: دخول اللقيط في اسم اليتيم، الإسلام اليوم، بحوث ودراسات، ١٨ مايو ٢٠٠٩ م.
- ٦- جمل الليل، محمد جعفر: المساعدة الإرشادية النفسية، الطبعة الثانية، المملكة العربية السعودية، جدة، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
- ٧- عبدالله، منى محمود وآخرون: مجهولي النسب في الأسر البديلة والمؤسسات الإيوائية، دراسة في أهم المشكلات النفسية والاجتماعية لدى الأطفال، أبحاث وأوراق عمل منشورة، جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية، مكة المكرمة، ٢٠٠٨ م.
- ٨- محمد، سمير: رواية سعودي، ولكن لقيط، الطبعة الأولى، دار مدارك للنشر، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١٢ م.
- ٩- المحرز، خليفة: عدم تقبل مجهولي النسب، موقع المؤسسة القطرية لرعاية الأيتام: دريمة.. هي بيتي <http://www.q-orphans.org/arabic/Ournews/2013/May/Article3.html>
- ١٠- موقع القدس اللندنية، ٢٠٠٨ م: <http://www.inbaa.com>
- ١١- موقع وزارة الشؤون الاجتماعية في المملكة العربية السعودية، التقارير الإحصائية. <http://mosa.gov.sa/portal/modules/smartsection/item.php?itemid=40>
- ١٢- موقع صحيفة الإمارات اليوم: <http://www.emaratalyoum.com>
- ١٣- موقع آفاق العروبة منتدى عالم المجتمع والأسرة: تقرير مركز الدراسات الاستراتيجية الأمنية ومقره بالأردن. <http://alorobanews.com/vb/showthread.php?t=19558>

علاقة بعض الوسائل الإعلامية على السلوك العنيف عند الطفل في المجتمع الكويتي: دراسة ميدانية

د. سهير حسين البيلي*
أ.د. يعقوب يوسف الكندري**



الإعلامية وبالتحديد جهازى التلفاز، وألعاب الفيديو. فتهدف هذه الدراسة إلى التعرف على علاقة السلوك العنيف عند الأبناء ببعض المتغيرات التي تتعلق باستخدام ألعاب الفيديو للأطفال، والسلوك المتعلق بمشاهدة ومتابعة البرامج التلفزيونية المتعددة والأفلام عندهم. فتسلط الدراسة الضوء على هذه العلاقة وبين بعض الوسائل الإعلامية

ملخص

اهتمت الدراسات الاجتماعية والسلوكية والتربوية بالطفل وسلوكه بشكل عام. وقد أفردت العديد من هذه الدراسات أهمية خاصة للسلوك العنيف أو العدوان تحديداً عند الطفل وأثر وعلاقة بعض المتغيرات الاجتماعية والثقافية على هذا السلوك. وقد ركزت دراسات عديدة على عملية التنشئة الاجتماعية في تحديد هذا السلوك الذي من الممكن أن يتم اكتسابه من مؤسسة اجتماعية متعددة أهمها مؤسسة الأسرة. ولقد كشفت مجموعة من الدراسات عن تأثير ودور المؤسسات الإعلامية على سلوك الطفل بشكل عام. وتحاول هذه الدراسة التركيز على علاقة السلوك العنيف عند الطفل ببعض الأجهزة

* د. سهير حسين البيلي: دكتورة في فلسفة التربية، مستشار تربوي بمكتب الإنماء الاجتماعي، ديوان سمو رئيس مجلس الوزراء (إدارة البحوث والتخطيط)، الكويت/مصر. selbially_soso@hotmail.com

** أ.د. يعقوب يوسف الكندري: أستاذ الاجتماع والأنثروبولوجيا، قسم الاجتماع الخدمة الاجتماعية، مدير مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية/ الكويت. alkandari66@hotmail.com

بالسلوك العنيف للطفل. تم تطبيق الدراسة على عينة قدرها ٦٤٠ شاب تتراوح أعمارهم بين ١٧ إلى ٢٤ عاماً وطلب منهم استرجاع بعض المعلومات الخاصة بمشاهدة التلفاز وألعاب الفيديو عندما كانوا في مراحل الطفولة الأولى، وهو منهج متبع في العديد من الدراسات. ولقد تم الاعتماد على الاستبيان كأداة رئيسة للدراسة والتي تضمنت العديد من المعلومات الديموجرافية والاجتماعية الخاصة بالمستجيب. ولقد تم تطوير مقياس خاص بسوء استخدام التلفاز بواسطة الباحثين، وكذلك تم تطوير مقياس آخر عن سوء استخدام ألعاب الفيديو. هذا بالإضافة إلى الاعتماد على مقياس خاص للسلوك العدواني الذي تم تطبيقه في العديد من الدراسات المحلية. ولقد تم إدخال وتحليل البيانات باستخدام البرنامج الإحصائي SPSS وتم استخدام اختبار (ت) للكشف عن الفروق، ومعامل الارتباط بيرسون للكشف عن قوة ودرجة العلاقة. ولقد كشفت نتائج الدراسة عن وجود علاقة دالة إحصائية بين السلوك العنيف للمستجيب، وسوء استخدامه لجهازي التلفاز وألعاب الفيديو في مرحلة الطفولة والعديد من المتغيرات ذات الصلة. هذا بالإضافة إلى أن الدراسة كشفت عن وجود فروق دالة إحصائية في مشاهدة بعض الأفلام في مرحلة الطفولة والسلوك العنيف. فتشير نتائج الدراسة إلى أن مرحلة الطفولة والأجهزة الإعلامية المرتبطة بها كان لها تأثيراً مهماً على حياة الشاب، وعلى سلوكه العدواني.

مقدمة

تعد ظاهرة العنف من الظواهر التي تعاني منها المجتمعات سواءً القديمة أو الحديثة، النامية أو المتقدمة، ولا يخلو مجتمع من المجتمعات من ثقافة العنف ولكنها تختلف من مجتمع لآخر وفق متغيراته الثقافية، والاجتماعية والسياسية. ويمثل العنف عند الأطفال خاصة ظاهرة عالمية تجاوزت الحدود الجغرافية، والفوارق الطبقيّة والخصوصيات الثقافية، والحضارية، وقد مثل هذا تحدياً هاماً، وزاد من اهتمام الباحثين لتناول هذه المشكلة من جوانب عدة، ومن مختلف التخصصات وذلك لما لمرحلة الطفولة من أهمية حيث أنها تمثل أهم المراحل في حياة الفرد ففيها توضع اللبنة الأولى لبناء الشخصية السوية من جميع النواحي الجسمية، والنفسية، والسلوكية. وكلما كانت مرحلة الطفولة يسودها علاقات سوية كلما أثر ذلك على السلوك النفسي والاجتماعي للطفل وكذلك في مراحل عمره المختلفة من المراهقة والشباب، أما إذا اتسم الجو المحيط بالطفل بالاضطراب والعنف أثر ذلك عليه وظهرت لديه سلوكيات العنف وما يتمخض عنها من مشكلات سلوكية عديدة تتم على عدم التمتع بمناخ أسري سوي.

فمن الطبيعي في حياة الطفل أن يغضب أو يثور أو يتشاجر مع أطفال آخرين وهو سلوك طبيعي لدى الطفل، إلا أن العنف غير المبرر الذي يتجاوز السلوكيات الطبيعية يعد مؤشر يدل على اضطرابات كامنة يعاني منها الطفل (بركو، مزوز ٥: ٢٠١٠). فما هي الأسباب وراء ممارسة الطفل للعنف؟ هل هي رد فعل يمارس لعنف يمارس عليه أم أنه تقليد لعنف يشاهده كثيراً ويتعاش معه على أنه أمراً طبيعياً مقبولاً من قبل الآخرين.

وقد أفردت العديد من هذه الدراسات أهمية خاصة للسلوك العنيف أو العدوان تحديداً عند الطفل وأثر وعلاقة بعض المتغيرات الاجتماعية والثقافية على هذا السلوك. وقد ركزت دراسات عديدة على عملية التنشئة الاجتماعية في تحديد هذا السلوك الذي من الممكن أن يتم اكتسابه من مؤسسات اجتماعية متعددة أهمها مؤسسة الأسرة وما تتبعه الكثير من الأسر من أساليب غير تربوية مباشرة كالإيذاء البدني والإهمال، وغير مباشرة تتمثل في مشاهدة العنف داخل الأسرة. كما كشفت مجموعة أخرى من الدراسات عن تأثير ودور المؤسسات الإعلامية على سلوك الطفل العنيف.

وفي دراستنا الحالية سوف يتم التركيز على علاقة السلوك العنيف عند الطفل ببعض الأجهزة الإعلامية وبالتحديد جهاز التلفاز، وألعاب الفيديو، حيث أنهما يعتبران من أهم وأخطر مؤسسات التنشئة الاجتماعية للطفل وذلك من خلال ما تقدمه من برامج تحمل في طياتها مشاهد عنف وجريمة موجهة في إطار جذاب أو فكاهي وله تأثيراته الخطيرة فيما بعد على سلوك الطفل.

ومن هنا تأتي أهمية البحث الحالي من خلال الآتي:

يلعب التلفزيون دوراً مهماً في عملية التنشئة الاجتماعية للطفل باعتباره يقدم رسالة جاذبة للمعلومات ومعرضاً قوياً على أنواع السلوك.

يؤثر كل من التلفزيون والألعاب الإلكترونية على الطفل تأثيراً كبيراً حيث يرتبط تأثير التلفزيون بالصورة والقصة، والانفعال الذهني والحركي بالنسبة للألعاب الإلكترونية.

يبدأ الأطفال مشاهدة التلفزيون وممارسة الألعاب الإلكترونية قبل التحاقهم بالمدرسة ودون الحاجة لمعرفة القراءة والكتابة، ويقضي الأطفال ساعات طويلة في متابعة تلك البرامج والألعاب وذلك له تأثيراته الخطيرة على سلوكيات الأطفال.

تساهم وسيلة التلفزيون والألعاب الإلكترونية كذلك في دعم سلوك اللامبالاة تجاه العديد من القيم والسلوكيات التي يتقمصها الطفل من خلال مشاهدته للبرامج أو ممارسته للألعاب والتي يعتبرها الطفل من الأشياء العادية.

تمثل تلك الأجهزة للعديد من الأطفال البديل للأسرة في تلقي المعلومات دون توجيه وضبط لما تبثه تلك البرامج أو الألعاب التي يمارسها الطفل.

تهدف الدراسة الحالية إلى:

- التعرف على علاقة السلوك العنيف عند الأطفال بمشاهدة ومتابعة البرامج التلفزيونية والأفلام المتنوعة التي تبث العنف لديهم.
- التعرف على علاقة السلوك العنيف عند الأبناء ببعض المتغيرات التي تتعلق باستخدام ألعاب الفيديو للأطفال.
- رصد العلاقة بين مشاهدة التلفزيون واستخدام الألعاب الإلكترونية عند الأطفال بالسلوك العنيف لديهم في الطفولة ومرحلة الشباب.

أسئلة الدراسة

تحاول الدراسة الإجابة على مجموعة من الأسئلة والتي تتمثل بالآتي:

- ١- هل هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين مقياس السلوك العدواني للأبناء ومقياسي سوء استخدام جهاز التلفاز، وألعاب الفيديو؟
- ٢- هل هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين مقياس السلوك العدواني للأبناء وبعض المتغيرات المرتبطة بمشاهدة التلفاز، وألعاب الفيديو؟
- ٣- هل هناك فروقاً ذات دلالة إحصائية في معدلات السلوك العدواني للطفل ومدى الحرص من عدمه على متابعة بعض الأنواع من الأفلام؟
- ٤- هل هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين مقياس السلوك العدواني عند الأبناء وبين بعض المتغيرات المتعلقة بسلوك الطفل مع جهاز التلفاز؟
- ٥- هل هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين مقياس السلوك العدواني عند الأبناء وبين بعض المتغيرات المتعلقة بسلوك الطفل مع ألعاب الفيديو؟
- ٦- هل هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين إذا ما كان الوالدين (الأب والأم) يشاهدان التلفاز مع الأبناء وبين بعض المتغيرات المتعلقة بسلوك الأبناء مع جهاز التلفاز؟
- ٧- هل هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين إذا ما كان كلا الوالدين (الأب والأم) أو أحدهما يشتركان مع المستجيب في شراء واختيار ألعاب الفيديو وبين بعض المتغيرات المتعلقة بسلوك الأبناء مع ألعاب الفيديو؟

مصطلحات الدراسة

العنف: «العنف لغوياً؛ في القواميس والمعاجم العربية له معان عدة منها الشدة، والقسوة، وهى ضد اللين وتعني، الخرق بالأمر وقلة الرفق به وهو ضد الرفق» (ابن منظور نقلًا عن عبدالله، معتز ٢٠٠٥: ٢٢). «وعنفٌ أي أخذُه بشدة وقسوة» (المعجم الوسيط: ١٩٨٥، ٦١٢). وفي قاموس اللغة الإنجليزية (Webst, 1979: 20-40) يعرف العنف على أنه ممارسة القوة البدنية بقصد الضرر والإيذاء، وأن العنف هو قوة تدميرية كبيرة تسبب كثيراً من الخوف كما أنه يضعف الأفراد ويجعلهم أقل فاعلية في المجتمع.

ويعرف العنف أيضاً بأنه «استخدام القوة المادية لإلحاق الأذى والضرر بأشخاص أو ممتلكات». (العتيبي فهد ١٤٢٧: ١٢)

«وحسب التقرير الدولي؛ فإن العنف هو الاستخدام المعتمد للقوة أو الطاقة البدنية المهدد بها أو الفعلية ضد أي فرد من قبل فرد أو جماعة تؤدي إلى ضرر فعلي أو محتمل لصحته أو بقاءه على قيد الحياة أو نحو كرامته» (ماجد داوي، ٢٠٠٨: ٥) وفي تعريف آخر «أن العنف هو فعل أو إيذاء معنوي، أو مادي، أو لساني، أو يدوي ويمارس فردياً أو جماعياً، ومنظماً في كل حالة». (العتيبي فهد ١٤٢٧: ١٢)

السلوك العنيف عند الطفل: هو العنف الذي يمارسه الطفل في سلوكه ضد الآخرين سواءً كان ذلك بوعي أو بعدم وعيه لأبعاد ذلك العنف، ويحدث هذا نتيجة ضغوط نفسية يتعرض لها الطفل من قبل الأسرة أو نتيجة تقمصه للأفعال العنيفة من خلال ما يشاهده من برامج وأفلام العنف، أو ممارسته للألعاب الإلكترونية التي تحمل في طياتها عنفاً موجهاً.

وسائل الإعلام: «هو مصطلح يطلق على أي وسيلة أو تقنية أو منظمة أو مؤسسة تجارية أو أخرى غير ربحية عامة أو خاصة رسمية أو غير رسمية مهمتها نشر الأخبار ونقل المعلومات» (المطيري، معصومة ٢٠١٠: ٢). «إلا أن الإعلام يتناول مهاماً متنوعة أخرى، تتعدى موضوع نشر الأخبار إلى الترفيه والتسلية خصوصاً بعد الثورة التلفزيونية وانتشارها الواسع، ويطلق على التكنولوجيا التي تقوم بمهمة الإعلام والمؤسسات التي تديرها اسم وسائل الإعلام» (رضوان، ٢٠٠٩). «كما يقصد بوسائل الإعلام أيضاً المؤسسات الأهلية، الحكومية والرسمية وغير الرسمية التي تنشر الثقافة وتعرف الأفراد بالتراث قديمه وحديثه، وتعنى بالنواحي التربوية كهدف لتكيف الفرد مع الجماعة المحلية إذ تعتبر عنصر أساس من عناصر التنشئة، ومن هذه المؤسسات: الإذاعة والتلفزيون والصحف ودور السينما والمسارح». (موسى، ٢٠١١)

وقد عرف «محمد خضر» الإعلام بأنه «الوسيلة الرئيسة التي تقوم بالاتصال بين البشر من خلال أهداف محددة توضع عن طريق تخطيط متقن بغرض التعريف عما يجري داخل الوطن الواحد بواسطة الأخبار والأنباء المختلفة الأنواع والتعليم والترفيه وإشباعاً لرغباتهم في فهم ما يحيط بهم من ظواهر». (المنظمة المهنية والقانونية للإعلام الإلكتروني في العالم UNIEM).

التلفاز: «هو وسيلة إلكترونية لاقطة للبت الفضائي ويمارس مشاهدته الأطفال والكبار لشغل أوقات الفراغ وكذلك لاكتساب المعلومات والقيم الثقافية من خلاله». (المطيري، معصومة ٤: ٢٠١٠)

الألعاب الإلكترونية: يعرفها (سالمين وزيمرمان، ٨٦: ٢٠٠٤) بأنها «عبارة عن الألعاب المتوفرة على هيئة إلكترونية». كما تعرف إجرائياً بأنها جميع أنواع الألعاب المتوفرة على هياكل إلكترونية، وتشمل ألعاب الحاسب، وألعاب الإنترنت، وألعاب الفيديو Playstation وألعاب الهواتف النقالة، وألعاب الأجهزة الكفية. (المحمولة palm devices). (نقلاً عن الهدلق، عبد الله ١٤٣٢)

أسباب السلوك العنيف عند الأطفال: أشار العديد من الباحثين على أن هناك الكثير من العوامل المسببة للعنف عند الأطفال وهي عوامل متداخلة ومرتبطة ومن أهمها: المعاملة الوالدية ومشاهدة الأطفال العنف والتي تنقسم إلى:

أولاً- مشاهدة العنف داخل الأسرة بين الآباء.

ثانياً- مشاهدة العنف في البرامج التلفزيونية واستخدام الألعاب الإلكترونية. ويأتي مشاهدة الأطفال للبرامج التلفزيونية المتضمنة لبرامج وأفلام مشبعة بعنف سواء كان هذا العنف لفظي أو سلوكي ولأوقات طويلة، وكذلك أيضاً استخدام الألعاب الإلكترونية المتضمنة عنف لها أهم وأخطر المؤثرات على السلوك العنيف لدى الطفل وأيضاً يمتد ليشمل مرحلتى المراهقة والشباب.

وفي ظل ما يعيشه العالم من نواتج العولمة على الثقافة العربية وتعاظم ثورة المعلومات والاتصالات التي تمثلت في شبكات الإنترنت والفضائيات والألعاب الإلكترونية التي تحول العالم بفضلها إلى قرية صغيرة ووجدت الثقافة الغربية (الأمريكية تحديداً) انتشاراً كبيراً على كافة المستويات فكانت بمثابة غزواً جديداً اختلف عن النمط القديم من الاستعمار العسكري. وكان من نتائج هذه العولمة أنها صبغت الثقافة العربية بثقافتها الاستهلاكية، وثقافة العنف والجنس وذلك عبر ما تبثه الفضائيات وشبكات الإنترنت وألعاب الأطفال الإلكترونية.

«كما ظهر لدينا صناعة ثقافية موجهة للأطفال، وذلك من خلال برامج الكارتون، ومسابقات وأغاني تحمل الفكر والقيم الغربية، بل أن الكثير منها تمت ترجمته ودبلجته بشكل علمي مدروس على أيدي خبراء في الإعلام والثقافة والتكنولوجيا المتقدمة، فجاءت تلك البرامج مدمرة للقيم الإنسانية ولقدرة الطفل على أعمال العقل، بل عملت على تسطيح فكره ومن ناحية أخرى حولتهم إلى طاقة استهلاكية عبثية مدمرة» (محمد الزيد، ٢٠١٠: ٦). وانسحب ذلك أيضاً على الألعاب الإلكترونية بما تحمله من عنف.

وصاحب ذلك تراجع دور الأسرة وشهدت تفككاً في بنيتها، وأصبحت لا تمثل مرجعية أخلاقية وقيمية للأبناء وذلك نتيجة غياب الأب والأم عن الأسرة وتخليهم عن قيامهم بأدوارهم الأساسية سعياً وراء المادة من أجل الوصول إلى مجتمع الرفاه، واحتلت وسائل الإعلام التلفزيوني والفضائيات وشبكات الإنترنت والألعاب الإلكترونية مكانة الوالدين داخل الأسرة في التوجيه القيمي الأخلاقي. وعلى الرغم من حق الطفل في التمتع بمنجزات عصره من وسائل التقنيات الحديثة والتكنولوجية وألعاب شيقة ومبهرة إلا أن ذلك لا بد أن يكون في صورة مقننة وموجهة من الأسرة.

فقد أشارت بعض الدراسات أن أطفال ما قبل المدرسة يقضون ساعات طويلة في مشاهدة برامج التلفزيون تتراوح ما بين ٤٥ دقيقة في المتوسط يومياً عند طفل الثالثة ويزداد هذا الرقم إلى ساعتين يومياً عند طفل الخامسة ثم يرتفع إلى ثلاث ساعات يومياً لطفل الحادية عشر (قتاوي، هدى ٢٠٠٨: ٦٢). وأشارت المطيري، معصومة (٢٠١٠: ٦) أن العديد من الدراسات أوضحت أن نسبة كبيرة من الأطفال في الوطن العربي في المرحلة الابتدائية يقضون حوالي ١٠٠ ساعة سنوياً أمام وسائل الإعلام (تلفاز وألعاب إلكترونية) أي ما يعادل ضعف ما يجلسونه في حجرة الدراسة وهذا مؤشر خطير خاصة في تلك المرحلة. «وتظهر خطورة التلفزيون كمصدر للمعلومات الموثوق به ونظراً لاستخدامه أكثر من حاسة في تلقيها تضيف الألوان لها مزيداً من الواقعية كما تزيد فاعليتها واستيعاب الطفل وفهمه لمعلوماتها» (شتا، راوية ٢٠٠٦: ٦٠). أما خطورة الألعاب الإلكترونية بالإضافة إلى ما تثيره من واقعية مثلها في ذلك مثل التلفزيون فإنه يضاف إلى ذلك التفاعل الحركي والانفعالي والذهني في أعلى مستوياته من الاندماج والمعايشة الحقيقية لمشاهد الإثارة والعنف.

وقد أحصى المركز الدولي للطفولة أربعة عوامل تمثل دور التلفزيون في نقل العنف عند الأطفال (إيزابيل نورديل ١٩٩٤: ١٥١-١٥٢):

١- التقليد؛ حيث يتقمص الطفل الشخصية التي يقلد تصرفاتها أو التي يتبنى آراءها، وهنا تكون عملية المحاكاة إرادية.

٢- التشبع؛ وتكون فيه عملية التمثيل والتقليد غير واعية (فلا يختار الطفل بطله)

٣- تبديد التثبيط؛ وتتمثل في تشجيع صور تليفزيونية معينة انتقال الطفل إلى مرحلة الفعل.

٤- تبديد التحسيس؛ وتعني مرحلة ما بعد تكيف الطفل مع أحداث العنف نتيجة تكرارها فإنه لم يعد يتأثر بها بل ينظر إليها على أنها أمور طبيعية وعادية.

وقد أشار كل من المعهد الوطني للصحة العقلية، وأكاديمية طب الأطفال الأمريكية، وجمعية علماء النفس الأمريكيين، بشكل صريح أن العنف التلفازي يرتبط بالعوانية عند الأطفال.

في حين تناولت العديد من الدراسات أثر وسائل الإعلام في انتشار العنف عند الأطفال ففي دراسة سلوتسيف وزملاءه (2008) Slotsveetal. أشار الباحثون أن مشاهدة العنف التلفزيوني كان له الأثر في تشجيع وتطوير السلوكيات والاتجاهات العدوانية والعنيفة عند الأطفال وقد أجريت الدراسة على ١٢٠ طالب من جامعة تكساس لمعرفة رؤيتهم ومدى إدراكهم للعنف التلفزيوني وتأثيره على سلوكهم منذ أن كانوا أطفالاً حتى الوقت الراهن وهم بالجامعة. وبينت النتائج إلى أن هناك علاقة بين مشاهدة العنف التلفزيوني في مرحلة الطفولة وتأثيرها على العنف عند الأطفال واستمرارها في شخصياتهم عند الكبر.

وفي دراسة ويرنر وزملاءه (2008) Werner. et تناولت أثر الإعلام بشكل عام على عنف الشباب وهذه الدراسة من الدراسات التتابعية التي تابعت نمو العينة منذ نهاية مرحلة الطفولة إلى مرحلة المراهقة من عمر ١٢ إلى ١٤ سنة. وبينت الدراسة أن مشاهدة الأطفال للتلفزيون خاصة أفلام القتل والرعب وأيضاً الألعاب الإلكترونية العنيفة لها أثرها على ظاهرة العنف والجنوح لديهم بدرجة عالية خاصة مع وصولهم لمرحلة المراهقة عمر ١٤ سنة، كما أظهرت نتائج الدراسة أن هناك مجموعة من المتغيرات الأخرى والتي أسهمت بدورها في ارتفاع مستوى العنف عند الأطفال والمراهقين منها: عوامل اقتصادية مثل الفقر، وعوامل اجتماعية مثل العنف عند الآباء ومستواهم التعليمي وقبول الآباء، والمناخ الدراسي عموماً وأيضاً داخل الصف الدراسي، ورغم أثر كل هذه المتغيرات إلا أن مشاهدة التلفزيونية وأفلام العنف والألعاب الإلكترونية كان لها الأثر الأكبر في نمو العنف لدى عينة الدراسة.

وفي نشرة حول العنف في التلفزيون ناقش سزافلك (2011) دور التلفزيون وما يمكن أن تؤثر مشاهدة العنف في هذا الجهاز في ارتكاب الجرائم، وأوضح الباحث أن التلفزيون له من القوة والتأثير خاصة على الأطفال ومشاهدتهم للعنف حيث يجد الأطفال فيها واقعية نتيجة تكرارها فيقبلون على تقليدها خاصة إذا لم يكن في تلك البرامج أو الأفلام ما يعطي قيمة العقاب لفعل هذا العنف. وقد أشار الباحث أنه رغم أن التلفزيون له دوره الكبير في عنف الأطفال إلا أن العامل الرئيس هو غياب الآباء وعدم وجودهم في حياة أبنائهم فأصبح التلفزيون يقوم بدور جليس الأطفال الإلكتروني ولذلك فإنهم يتعلمون السلوك من التلفزيون وليس من آبائهم.

وتشير دراسة أعدها مدير الإعلام بالمجلس العربي للتنمية والطفولة، (نقلًا عن: خالد الحليبي ١٤٣٠: ١٤) «أن البرامج التلفزيونية المخصصة للأطفال التي يصدرها الغرب إلى العالم العربي تحمل في ثناياها كل ألوان التطرف والعنصرية وذلك يزيد من احتمال حدوث العنف لدى أكثر من ٧٠٪ من الأطفال، كما أشار إلى أن البرامج الأميركية التي تعد المصدر الأول لاستيراد برامج الأطفال حصلت فيها برامج العنف على حوالي ٩٩,٩٪ وفقاً لإحصاءات حديثة».

وفي دراسة فهد العتيبي (١٤٢٧: ٣) حول مشاهدة العنف في الرسوم المتحركة وانعكاساتها على رسوم الأطفال خلال الفترة من ٩ إلى ١١ سنة وجد الباحث أن مشاهدة العنف في برامج الرسوم المتحركة له دور كبير في ظهور مشاهد العنف في رسوم الأطفال في تلك الفترة. فقد احتوت رسوم الأطفال على ٢٢٥ رمزاً للعنف من أصل ٢٧٣ رمزاً أي ما نسبته ٨٢,٤٪ من مجموع رموز العنف في رسوم الأطفال.

وفي دراسة عبدالله الهدلق (١٤٣٢-١٤٣١) هدفت إلى التعرف على إيجابيات وسلبيات الألعاب الإلكترونية ودوافع ممارستها من وجهة نظر طلاب التعليم العام بمدينة الرياض وطبق الباحث استبانة على عدد العينة التي بلغت ٣٥٩ طالباً وتوصل الباحث إلى أن هناك أثر إيجابية وسلبية لممارسة تلك الألعاب ولكن مثلت الآثار السلبية بصورة أكبر وتبوعت الأضرار إلى أضرار سلوكية وأمنية ودينية وصحية وأكاديمية واجتماعية وأضرار عامة وكل منها يندرج تحته العديد من الآثار السلبية.

«وقد أشارت جمعية أطباء الأطفال الأمريكية إلى أن التعرض لوسائل الإعلام ومنها التلفزيون وأفلام الفيديو وألعاب الكمبيوتر والإنترنت يحمل معه إيجابيات وسلبيات ومن

أهم تلك الإيجابيات اختيار البرامج التلفزيونية ذات المغزى التعليمي، وإنماء التفكير العلمي، أما على الجانب السلبي فجاء على رأس تلك السلبيات تبني العنف، وتعلم أساليب الانحراف والجريمة، قلة الحركة والنشاط، واعتلال الصحة العامة، ضعف التحصيل الدراسي، تدخين السجائر، وتعاطي المسكرات والمخدرات، وعلى مستوى العلاقات الاجتماعية الانعزال عن الآخرين من الأسرة والأصدقاء» (المطيري، معصومة ٢٠١٠: ٤-٥). وأشارت العديد من الدراسات أن الكثير من الأطفال بالإضافة أنهم يكتسبون العنف عن هذه الألعاب إلا أن الكثير يصابون بأمراض عصبية وصرع دماغي نتيجة تركيزهم لفترات طويلة على تلك الألعاب.

منهجية الدراسة

ينتهج البحث الحالي المنهج الوصفي التحليلي القائم على تحليل الظاهرة وذلك من خلال الدراسات التي تناولت أثر الإعلام خاصة التلفزيون والألعاب الإلكترونية في انتشار العنف عند الأطفال.

أولاً- العينة: شملت عينة الدراسة فئة الشباب البالغين من الجنسين والتي تراوحت أعمارهم بين (١٧ عاماً إلى سن ٢٥ عاماً). وقد بلغ حجم العينة ٦٤٢ شاب من الجنسين. ولقد كان هدف اختيار هذه الشريحة العمرية لاستذكار بعض الأحداث الخاصة التي مروا فيها خلال عملية التنشئة الاجتماعية في مراحلهم العمرية أثناء فترة الطفولة. وهي فترة استرجاع يمكن أن تحقق الهدف المطلوب. وهو إجراء قامت به العديد من الدراسات الاجتماعية والسلوكية التي أشارت إلى عملية استرجاع المعلومات وتحقيقها لهدف الدراسة. ولقد حرص الباحثين على أن تكون عينة الدراسة موزعة على كافة محافظات الكويت الستة. ولقد تم الاعتماد على العينة المتاحة، وقد حرص الباحثين على أن يكون التطوع في الإجابة عن بنود وأداة الدراسة، وذلك لأهمية التطوع في مصداقية الإجابات خاصة لدى هذه الشريحة العمرية. وقد تم توزيع الاستمارة على أفراد العينة من الفئات الشبابية المختلفة أينما وجدوا سواء في الجامعة أو الهيئة العامة للتعليم التطبيقي أو في التجمعات الشبابية المختلفة والمتعددة.

ثانياً- أداة الدراسة ومتغيراتها: لقد كان الاستبيان الأداة الرئيسة للدراسة، وقد شملت استمارة البحث على مجموعة المتغيرات الخاصة والتي تعتبر أكبر دراسة قام بها الباحثين. ولعل المتغيرات الأساسية التي تم الاعتماد عليها بالدراسة بالإضافة إلى عمر المستجيب، والجنس تمثلت ببعض المقاييس الآتية:

١- مقياس السلوك العدواني: وهو مقياس من إعداد (باص وييري 1992 Buss & Perry) وتم تعريبه وتطبيقه على دراسات محلية متعددة (هدى جعفر 2004 Al-Husaini، يعقوب الكندري، دراسة غير منشورة)، ويتكون المقياس من (٢٩ عبارة) موزعة على أبعاد أربعة تتمثل في العدوان البدني، والعدوان اللفظي، والغضب، والحدة، ومن أمثلة عبارات هذا المقياس: «في بعض الأحيان لا أستطيع السيطرة على رغبة قوية في ضرب شخص آخر»، و«أجأ إلى العنف لحفظ حقوق إذا دعت الضرورة إلى ذلك»، و«حطمت بعض الأشياء عندما كنت في نوبة غضب»، و«أستطيع أن أمنع نفسي من الدخول في جدال حين يختلف الآخرون معي»، و«أشعر أحياناً كأني قنبلة على وشك الانفجار» و«يصعب علي التحكم في انفعالاتي».. إلخ، وهناك أربعة مقاييس خاصة للإجابة عن بنود العبارات تبدأ بأعراض بشدة = (صفر)، وتنتهي بأوافق بشدة = (٣).

٢- مقياس سوء استخدام التلفاز: وهو من تصميم الباحثين، ويحدد سوء استخدام المستجيب لجهاز التلفاز، والذي يعتبر من الأجهزة الإعلامية المهمة والملتصقة بالطفل. والذي يتكون من (١٤) عبارة. ومن أمثلة هذا المقياس: «كنت أشاهد برامج التلفزيون بعد الساعة ٨ مساءً»، و«كان والدي يشاهد التلفزيون معي»، و«كانت والدتي تشاهد التلفزيون معي»، و«احتوت الرسوم المتحركة التي كنت أشاهدها على شخصيات أبطال (مثل سوبرمان، بات مان، سبايدر مان...)» و«تحتوي البرامج التي كنت أشاهدها على مشاهد قتالية (مثل حرب، قتل، ضرب...)»، و«أشاهد برامج وأفلام تستخدم فيها الأسلحة»، و«أقوم بتقليد بعض شخصيات الأبطال بعد مشاهدتها بالتلفاز»، و«أشاهد برامج وأفلام تعرض فيها صور من الدماء»، و«أشاهد برامج وأفلام قتال وصراع»...

٣- مقياس سوء استخدام ألعاب الفيديو: وهو أيضاً من تصميم الباحثين، ويحدد سوء استخدام المستجيب لألعاب الفيديو، والذي يعتبر من الألعاب التي انتشرت بشكل كبير في المجتمع المحلي بين الأبناء. ومن أمثلة المقياس: «أستخدم ألعاب الفيديو التي تحتوي على إطلاق النار»، و«أستخدم ألعاب الفيديو التي فيها أسلحة (سكين، عصي، بنادق...)» و«أستخدم ألعاب الفيديو التي تحتوي على أفعال عنيفة»، و«ألعب بألعاب الفيديو الخاصة بالمصارعة»، و«ألعب بألعاب الفيديو ذات الطبيعة القتالية باليد»...

لقد مرت المقاييس بالطرق المعتادة من اختبارات الصدق والثبات. ولقد تم الاعتماد على الصدق الظاهري للمقياسين الثاني والثالث، من خلال القيام بمراجعته من قبل ستة أعضاء هيئة تدريس في كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الكويت، وقد تم الأخذ

بما قدموه من تعديلات، وأكدوا على أن العبارات الواردة تقيس ما وضعت له. أما ثبات الأداة، فقد تم الاعتماد على قياس ألفا كرونباخ والتي أشارت النتائج على درجة عالية من الثبات لهذه المقاييس الثلاثة والتي تمثلت بـ (٩١، ٩٠، و ٨٩ على التوالي)

هذا بالإضافة على أن الاستمارة قد احتوت على بعض الأسئلة الخاصة بمعدلات استخدام التلفاز وألعاب الفيديو مثل: معدل عدد الساعات مشاهدة التلفاز في الأيام العادية، وفي أيام العطل والإجازات، ومعدل عدد الساعات التي يلعب بها المستجيب ألعاب الفيديو (فيديو قيم) في الأيام العادية، وفي أيام العطل والإجازات، ومعدل عدد الساعات لمتابعة الرسوم المتحركة، بالإضافة إلى أفضل الأفلام الأجنبية التي يحرص المستجيب على متابعتها باستمرار مثل أفلام الجريمة، والدراما، والكوميديا، والرعب، والرومانسي، وأفلام الأطفال، والمغامرة، والخيالية، والحروب، والإثارة..

ثالثاً - الوسائل الإحصائية

- سوف يتم إدخال البيانات في برامج SPSS النسخة ١٩ وسوف يتم استخدام الإحصاء الوصفي والاستدلالي، وسوف يتم الاعتماد على:
- ١- المتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية.
 - ٢- اختيار (ت) لقياس الفروق بين المتغيرات.
 - ٣- اختيار العلاقة Pearson Correlation لقياس درجة وقوة الارتباط بين المتغيرات.

النتائج: اتجهت الدراسة لقياس أحد العوامل المهمة والمؤثرة على سلوك الطفل والأبناء، والمتمثلة في التعرض إلى الوسائل الإعلامية وتأثيرها. وقد حاولت الدراسة بالكشف عن قوة ودرجة العلاقة بين السلوك العنيف للأبناء وبعض المتغيرات المرتبطة بمُشاهدة التلفاز وألعاب الفيديو تحديداً. وكذلك حاولت الدراسة بالكشف عن هذا السلوك العدواني وعلاقته مع مقياس سوء استخدام جهاز التلفاز، وسوء استخدام ألعاب الفيديو. والجدول (١) يوضح هذه العلاقة.

جدول (١) يوضح قوة ودرجة العلاقة بين مقياس السلوك العدواني للأبناء وبعض المتغيرات المرتبطة بمشاهدة التلفاز وألعاب الفيديو

المتغير	قوة ودرجة العلاقة
مقياس سوء استخدام التلفاز	.٢٨٩**
مقياس سوء استخدام ألعاب الفيديو	.٢٠٩**
معدل مشاهدة التلفاز في الأيام العادية	.١٠٨**
معدل مشاهدة التلفاز في العطل ونهاية الأسبوع	.١٠٤**
معدل اللعب بألعاب الفيديو في الأيام العادية	.٠٥٥
معدل اللعب بألعاب الفيديو في العطل ونهاية الأسبوع	.٠٧٣
معدل مشاهدة أفلام الرسوم المتحركة	.١٤٣
معدل التعلق بالأفلام الأجنبية	-.٠٦٧
مدى التعلق بالرسوم المتحركة	-.٠٧٦
مدى التعلق بألعاب الفيديو	-.٠٩٥*

تشير النتائج إلى أن هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين السلوك العنيف للأبناء، وبين سوء استخدام جهاز التلفاز وألعاب الفيديو الخاصة بالطفل. والعلاقة هنا إيجابية ودالة عند مستوى (٠,٠١)، بمعنى أنه كلما زاد من سوء استخدام جهاز التلفاز وألعاب الفيديو، زاد معه معدلات السلوك العنيف للأبناء.

وقد أشارت النتائج أيضاً فيما يتعلق بالسلوكيات المرتبطة بمُشاهدة التلفاز وألعاب الفيديو إلى أن هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين السلوك العدواني للأبناء وبين معدل مُشاهدة التلفاز في الأيام العادية، ومعدل مُشاهدة التلفاز في عطلة نهاية الأسبوع، والعلاقة هنا إيجابية ودالة إحصائية عند مستوى (٠,٠١) فكلما زادت معدلات مُشاهدة التلفاز في الأيام العادية وعطلة نهاية الأسبوع زاد معه السلوك العدواني للأبناء. ولم تكشف الدراسة عن وجود علاقة بين معدل اللعب بألعاب الفيديو في الأيام العادية وعطلة نهاية الأسبوع وبين السلوك العدواني للأبناء. وقد كشفت النتائج علاقة عكسية بين السلوك العدواني وألعاب الفيديو، بمعنى أن الانخفاض في معدلات السلوك العدواني للأبناء يرتبط بزيادة في معدلات مدى تعلق الأبناء بألعاب الفيديو، والعلاقة هنا دالة عند المستوى (٠,٠٥). وفي المقابل، لم تكشف نتائج الدراسة على وجود علاقة دالة إحصائية بين السلوك العدواني للأبناء في معدل مُشاهدة أفلام الرسوم المتحركة، ومدى التعلق بالأفلام الأجنبية، وكذلك مدى التعلق بالرسوم المتحركة.

ولقد حاولت الدراسة التركيز على نوعية الأفلام التي يحرص الأبناء على مُشاهدتها،

وما هي أفضلها التي يحرص على متابعتها، وتم تحديد أكثر من خيار من أفلام متعددة شملت أفلام الجريمة، والدراما، والكوميديا، والرعب، والرومانسية، وأفلام الأطفال، والمغامرة، والأفلام الخيالية، وأفلام الحرب، والإثارة، وكذلك إن كان يتابع من عدمه. ولاختبار إذا كانت هناك فروقاً دالة إحصائية في معدلات السلوك العدواني للأبناء في مدى الحرص من عدمه لمشاهدة أو متابعة أنواع الأفلام المذكورة، فقد تم استخدام اختبار (ت). والجدول (٢) يوضح هذه الفروق.

جدول (٢) يوضح الفروق في معدلات السلوك العدواني للطفل

في مدى الحرص من عدمه بمتابعة أنواع الأفلام

ت	أفلام الجريمة		مدى المتابعة للأفلام
	ع	م	
-١,٧٩**	١٤,٣٥	٥٨,٥٨	لا يتابع يتابع
	١٢,٩٢	٦٠,٨٦	
ت	أفلام الدراما		مدى المتابعة للأفلام
	ع	م	
٧١٨	١٤,٣٤	٥٩,٤٣	لا يتابع يتابع
	١٢,٦٦	٥٨,٤٣	
ت	أفلام الكوميديا		مدى المتابعة للأفلام
	ع	م	
٢.١	١٣,٢١	٥٩,٧٦	لا يتابع يتابع
	١٤,٨٥	٥٨,٥٩	
ت	أفلام الرعب		مدى المتابعة للأفلام
	ع	م	
-٩٦٣	١٤,٤٥	٥٨,٧٦	لا يتابع يتابع
	١٣,٣١	٥٩,٨٨	
ت	أفلام الرومانسية		مدى المتابعة للأفلام
	ع	م	
١,٢٤	١٤,٥٦	٥٩,٧٠	لا يتابع يتابع
	١٢,٦٤	٥٨,١٧	
ت	أفلام الأطفال		مدى المتابعة للأفلام
	ع	م	
١,٢٨	١٣,٨٨	٥٩,٥٦	لا يتابع يتابع
	١٤,٦٠	٥٧,٦٧	
ت	أفلام المغامرة		مدى المتابعة للأفلام
	ع	م	
١,٤٥	١٤,٤٦	٥٩,٨٧	لا يتابع يتابع
	١٣,١٦	٥٨,١٦	
ت	أفلام الخيال		مدى المتابعة للأفلام
	ع	م	
-٢,٦١**	١٤,٠٨	٥٨,٥٢	لا يتابع يتابع
	١٣,٢٠	٦٢,٤٠	
ت	أفلام الحروب		مدى المتابعة للأفلام
	ع	م	
-١,١٦	١٤,٣٧	٥٨,٨٢	لا يتابع يتابع
	١٢,٨٣	٦٠,٣٥	
ت	أفلام الإثارة		مدى المتابعة للأفلام
	ع	م	
-٣٩٣	١٤,٣٧	٥٩,٠٨	لا يتابع يتابع
	١٢,٩٣	٥٩,٥٩	
ت	يتابع أم لا		مدى المتابعة للأفلام
	ع	م	
-١,٢١	١٣,٨٦	٥٩,٠٨	لا يتابع يتابع
	١٧,٣٧	٦٢,٨٦	

* P<0.05 ** P<0.01

كشفت نتائج الدراسة كما هو موضح في جدول (٢) إلى أن هناك فروقاً دالة إحصائياً بين المتابعين وغير المتابعين لأفلام الجريمة والأفلام الخيالية في معدلات السلوك العدواني لصالح المتابعين. بمعنى أن المتابعين من الأبناء لأفلام الجريمة، وأفلام الخيال سجلوا معدلات أعلى في معدل السلوك العدواني من غير الحريصين على المتابعة بدالة إحصائية تبلغ (٠,٠٥) لأفلام الجريمة، و(٠,٠١) لأفلام الخيال. ولم تكشف نتائج الدراسة بعدم وجود فروق دالة إحصائياً بين المتابعين وغير المتابعين لأفلام الدراما، والكوميديا، وأفلام الرعب، والرومانسية، وأفلام الأطفال، والمغامرة، وأفلام الحروب، والإثارة، أو المتابع من عدمه لكافة الأفلام في معدل السلوك العدواني.

ولجهازي التلفاز وألعاب الفيديو بعض الأثر على سلوك الطفل، وقد جاءت الدراسة محاولة للكشف عن علاقة السلوك العدواني للأبناء ببعض المتغيرات المرتبطة بالسلوك المرتبط باستخدام هذين الجهازين. والجدول (٣) و(٤) يوضحان العلاقة وقوتها ودرجتها بين مقياس العدوان، والممارسات السلوكية باستخدام معامل الارتباط بيرسون.

جدول (٣) يوضح درجة وقوة العلاقة بين مقياس العدوان عند الطفل

وبين المتغيرات المتعلقة بسلوك الطفل مع جهاز التلفاز

العبارة	درجة وقوة العلاقة
١ كنت أشاهد برامج التلفزيون بعد الساعة ٨ مساءً	١٥٢**
٢ كان والدي يشاهد التلفزيون معي	٠٩٥*
٣ كانت والدتي تشاهد التلفزيون معي	٠٥٧
٤ احتوت الرسوم المتحركة التي كنت أشاهدها على شخصيات أبطال (مثل سوبرمان، بات مان، سبايدر مان...)	١٥٠**
٥ تحتوي البرامج التي كنت أشاهدها على مشاهد قتالية (مثل حرب، قتل، ضرب...)	١٦٧**
٦ أشاهد برامج وأفلام تستخدم فيها الأسلحة	١٤٦**
٧ أقوم بتقليد بعض شخصيات الأبطال بعد مشاهدتها بالتلفاز	١١٠**
٨ أشاهد برامج وأفلام تعرض فيها صور من الدماء	١٧٦**
٩ أشاهد برامج وأفلام قتال وصراع	١٨٥**
١٠ أشاهد أفلام أجنبية	١٠٣*
١١ أشاهد المصارعة الحرة	١٤٧**
١٢ أشاهد برامج غير مخصصة للأطفال	٢١٨**
١٣ أسهر على التلفاز أثناء العطلة الصيفية والإجازات	٢٠١**
١٤ أسهر على جهاز التلفاز بالأيام العادية	١٣٢**

* P<0.05 ** P<0.01

يكشف الجدول (٣) عن وجود علاقة إيجابية بين السلوك العدواني للأطفال وكافة المتغيرات المرتبطة بسلوك الطفل المرتبطة بجهاز التلفاز عدا مدى مشاهدة الأم للتلفاز مع الأبناء. فقد أشارت النتائج إلى أن زيادة معدلات السلوك العدواني للأطفال ارتبطت مع زيادة معدلات مشاهدة الأبناء لبرامج التلفاز بعد الساعة الثامنة مساءً، وقلة مشاهدة الأب التلفاز مع الأبناء (عبارة سلبية تم عكسها في التحليل)، وزيادة في احتواء الرسوم المتحركة التي كان يشاهدها على شخصيات أبطال مثل سوبرمان، وبات مان، وسبايدرمان، وكذلك ارتبطت زيادة العدوان مع زيادة في معدلات احتواء البرامج التي كان يشاهدها الطفل على مشاهد قتالية مثل حروب، وقتل، وتدمير، وضرب، وكذلك مع الزيادة في القيام بتقليد بعض الشخصيات الأبطال بعد مشاهدتها بالتلفاز، ومشاهدة برامج وأفلام تُعرض فيها صور من الدماء، وأفلام وبرامج قتال وصراع، وكذلك الارتباط مع مشاهدة الأفلام الأجنبية، والمصارعة الحرة، والبرامج غير المخصصة للأطفال، بالإضافة إلى زيادة في معدلات السهر على التلفاز أثناء العطلة الصيفية والإجازات، وكذلك في الأيام العادية. فقد ارتبط السلوك العدواني للأطفال بهذه السلوكيات. فالزيادة في معدلات السلوك العدواني ارتبطت بالزيادة في هذه السلوكيات.

أما فيما يتعلق بالسلوكيات المرتبطة بألعاب الفيديو وعلاقتها بالسلوك العدواني، فالجدول (٤) يوضح هذه العلاقة.

جدول (٤) يوضح درجة وقوة العلاقة بين مقياس العدوان عند الطفل وبين المتغيرات المتعلقة بسلوك الطفل مع ألعاب الفيديو

العبارة	درجة وقوة العلاقة
١ استخدم ألعاب الفيديو التي تحتوي على إطلاق النار	.١٣٠**
٢ استخدم ألعاب الفيديو التي فيها أسلحة (سكين، عصي، بنادق...)	.١٥٥**
٣ استخدم ألعاب الفيديو التي تحتوي على أفعال عنيفة	.١٨٢**
٤ ألعب بألعاب الفيديو الخاصة بالمصارعة	.١٨٨**
٥ ألعب بألعاب الفيديو ذات الطبيعة القتالية باليد	.١٦٩**
٦ كان والديّ (أو أحدهما) يشتركان معي في شراء واختيار ألعاب الفيديو	.٠٧٢
٧ كان والديّ (أو أحدهما) يلعبان معي	.٠٢٨
٨ أنتحل شخصية قتالية في ألعاب الفيديو	.١٩٥**

* $P < 0.05$ ** $P < 0.01$

لقد كشفت النتائج من خلال الجدول (٤) إلى أن هناك علاقة دالة إحصائياً بين معدلات السلوك العدواني للأطفال. وبين بعض معدلات استخدام ألعاب الفيديو. وجاءت هذه العلاقة علاقة إيجابية. فالزيادة في معدلات السلوك العدواني للأطفال قابلة لزيادة في معدلات استخدام ألعاب الفيديو التي تحتوي على إطلاق نار، والتي تُستخدم فيها الأسلحة

مثل السكاكين، والعصي، والبنادق وغيرها، وكذلك ارتبط مع زيادة استخدام ألعاب الفيديو التي تحتوي على أعمال عنيفة، أيضاً الزيادة في اللعب بألعاب الفيديو الخاصة بالمصارعة، والألعاب ذات الطبيعة القتالية، بالإضافة إلى الزيادة في درجة انتحال الابن للشخصيات القتالية في ألعاب الفيديو. ولقد جاءت هذه العلاقة دالة إحصائياً في كافة هذه البنود عند المستوى (٠,٠١). ولم تكشف النتائج عن وجود علاقة دالة إحصائياً بين معدلات السلوك العدواني. وبين إن كان أحد الوالدين أو أحدهما يشتركان مع الابن في شراء واختيار ألعاب الفيديو، وكذلك إذا كان أحدهما أو كليهما يلعبان مع الابن.

وللكشف عن سلوك الوالدين إن كانا يُشاهدان التلفاز مع الأبناء من عدمه، وقيامهما باللعب مع الابن ومُشاركته ألعاب الفيديو من عدمه، فإن الجداول (٥)، و(٦)، و(٧)، و(٨) توضح هذه العلاقة. فالجدول (٥) يوضح درجة وقوة العلاقة بين إذا كان الأب يُشاهد التلفزيون مع الابن وبين المتغيرات المتعلقة بسلوك الطفل مع جهاز التلفاز والمذكورة سابقاً.

جدول (٥) يوضح درجة وقوة العلاقة بين إذا كان الأب يشاهد التلفزيون مع الطفل

وبين المتغيرات المتعلقة بسلوك الطفل مع جهاز التلفاز

العبارة	درجة وقوة العلاقة
١ كنت أشاهد برامج التلفزيون بعد الساعة ٨ مساءً	٠.١٢*
٢ احتوت الرسوم المتحركة التي كنت أشاهدها على شخصيات أبطال (مثل سوبرمان، بات مان، سبايدرمان...)	٠.٠١
٣ تحتوي البرامج التي كنت أشاهدها على مشاهد قتالية (مثل حرب، قتل، ضرب...)	٠.٠٥٤
٤ أشاهد برامج وأفلام تستخدم فيها الأسلحة	٠.٠٧٠
٥ أقوم بتقليد بعض شخصيات الأبطال بعد مشاهدتها بالتلفاز	-٠.٠٦٥
٦ أشاهد برامج وأفلام تعرض فيها صور من الدماء	٠.٠٦١
٧ أشاهد برامج وأفلام قتال وصراع	٠.٠٣٨
٨ أشاهد أفلام أجنبية	٠.٠٣١
٩ أشاهد المصارعة الحرة	٠.٠٠٤
١٠ أشاهد برامج غير مخصصة للأطفال	٠.٠٠٤
١١ أسهر على التلفاز أثناء العطلة الصيفية والإجازات	-٠.٠٠٣
١٢ أسهر على جهاز التلفاز بالأيام العادية	٠.٠٦٨

* $P < 0.05$ ** $P < 0.01$

يوضح الجدول (٥) إلى أنه توجد علاقة إيجابية بين درجة مشاهدة الأب للتلفاز مع الابن، وبين درجة مشاهدة الابن للتلفاز وبرامجه بعد الساعة الثامنة مساءً، والعلاقة دالة إحصائياً عند مستوى (٠,٠٥). ولم تكشف نتائج الدراسة عن وجود علاقة دالة إحصائياً بين إن كان الأب يُشاهد التلفاز مع الابن وبقية المتغيرات المرتبطة بالسلوكيات الخاصة بمُشاهدة الابن للتلفاز. أما على مستوى الأم، فقد كشفت نتائج الدراسة الشيء نفسه، وهو ما يُبينه الجدول (٦).

جدول (٦) يوضح درجة وقوة العلاقة بين إذا كانت الأم تشاهد التلفزيون مع الطفل وبين المتغيرات المتعلقة بسلوك الطفل مع جهاز التلفاز

العبارة	درجة وقوة العلاقة
١ كنت أشاهد برامج التلفزيون بعد الساعة ٨ مساءً	.١١١ ^{xx}
٢ احتوت الرسوم المتحركة التي كنت أشاهدها على شخصيات أبطال (مثل سوبرمان، بات مان، سبايدر مان...)	-٠.٠٠٥
٣ تحتوي البرامج التي كنت أشاهدها على مشاهد قتالية (مثل حرب، قتل، ضرب...)	.٠٣٧
٤ أشاهد برامج وأفلام تستخدم فيها الأسلحة	.٠٦٩
٥ أقوم بتقليد بعض شخصيات الأبطال بعد مشاهدتها بالتلفاز	.٠٦١
٦ أشاهد برامج وأفلام تعرض فيها صور من الدماء	.٠٧٠
٧ أشاهد برامج وأفلام قتال وصراع	.٠٨٦
٨ أشاهد أفلام أجنبية	.٠٧٩
٩ أشاهد المصارعة الحرة	-٠.٠٢٧
١٠ أشاهد برامج غير مخصصة للأطفال	.٠١٨
١١ أسهر على التلفاز أثناء العطلة الصيفية والإجازات	-٠.٤١
١٢ أسهر على جهاز التلفاز بالأيام العادية	-٠.٢١

* $P < 0.05$ ** $P < 0.01$

يُشير الجدول (٦) إلى أنه توجد علاقة إيجابية أيضاً بين مشاهدة الأم للتلفاز مع الابن، وبين درجة مشاهدة الابن للتلفاز بعد الساعة الثامنة مساءً، والعلاقة دالة إحصائياً عند مستوى (٠,٠١)، ولم تكشف نتائج الدراسة عن وجود علاقة دالة بين إن كانت الأم تشاهد التلفاز مع الابن وبقية المتغيرات المرتبطة بالسلوكيات الخاصة بمُشاهدة الابن للتلفاز.

وفيما يتعلق بألعاب الفيديو، فالجدول (٧) يوضح درجة وقوة العلاقة بين إن كان أحد الوالدين أو كليهما يشتركان مع الابن في شراء واختيار ألعاب الفيديو، وبين بعض المتغيرات المتعلقة بسلوك الابن مع ألعاب الفيديو.

جدول (٧) يوضح درجة وقوة العلاقة بين كان أحد الوالدين أو كلاهما يشتركان مع المستجيب في شراء واختيار ألعاب الفيديو وبين المتغيرات المتعلقة بسلوك الطفل مع ألعاب الفيديو

العبارة	درجة وقوة العلاقة
١ استخدم ألعاب الفيديو التي تحتوي على إطلاق النار	.٠١١
٢ استخدم ألعاب الفيديو التي فيها أسلحة (سكين، عصي، بنادق...)	.٠٢٠
٣ استخدم ألعاب الفيديو التي تحتوي على أفعال عنيفة	-٠.٠١٦
٤ ألعب بألعاب الفيديو الخاصة بالمصارعة	.١١٨ ^{**}
٥ ألعب بألعاب الفيديو ذات الطبيعة القتالية باليد	-٠.٠٧٨ [*]
٦ أنتحل شخصية قتالية في ألعاب الفيديو	.١٨٦ ^{**}

* $P < 0.05$ ** $P < 0.01$

يوضح جدول (٧) إلى أن هناك علاقة بين درجة السلوك الوالدي بقيام أحدهما أو كلاهما بالاشتراك مع الابن في شراء واختيار ألعاب الفيديو وبين درجة قيام الأبناء

باللعب بألعاب الفيديو الخاصة بالمصارعة، وألعاب الفيديو ذات الطبيعة القتالية باليد، وكذلك انتحال شخصية قتالية في ألعاب الفيديو. والعلاقة هنا علاقة عكسية، بمعنى أنه كلما قلت مشاركة الأبوين أو أحدهما في شراء واختيار ألعاب الفيديو، كلما زادت معه استخدامات الابن للألعاب الخاصة بالمصارعة، وألعاب الفيديو ذات الطبيعة القتالية، وقيام الابن بانتحال شخصية قتالية في ألعاب الفيديو. والعلاقة تراوحت بين مستوى (٠,٠١ و ٠,٠٥)، ولم تكشف نتائج الدراسة عن وجود العلاقة بين السلوك الوالدي والمتغيرات الأخرى. بمعنى أن الأبوين شاركا الأبناء في اختيار بعض الألعاب المتعلقة بالمصارعة وذات الطبيعة القتالية، وانتحال أبنائهم لشخصيات قتالية بألعاب الفيديو.

ويوضح الجدول (٨) درجة قوة العلاقة بين أحد الوالدين أو كليهما إن كانا يلعبان مع الابن بألعاب الفيديو وبين بعض المتغيرات المتعلقة بسلوك الطفل مع ألعاب الفيديو. جدول (٨) يوضح درجة وقوة العلاقة بين أحد الوالدين أو كليهما يلعبان مع المستجيب بألعاب الفيديو وبين المتغيرات المتعلقة بسلوك الطفل مع ألعاب الفيديو

العبارة	درجة وقوة العلاقة	
١	أستخدم ألعاب الفيديو التي تحتوي على إطلاق النار	-٠,١٠
٢	أستخدم ألعاب الفيديو التي فيها أسلحة (سكين، عصي، بنادق..)	-٠,١٠
٣	أستخدم ألعاب الفيديو التي تحتوي على أفعال عنيفة	-٠,١٥
٤	ألعب بألعاب الفيديو الخاصة بالمصارعة	-٠,٢١
٥	ألعب بألعاب الفيديو ذات الطبيعة القتالية باليد	٠,٢٩
٦	أنتحل شخصية قتالية في ألعاب الفيديو	-٠,٢٠**

* $P < 0.05$ ** $P < 0.01$

يكشف الجدول (٨) عن وجود علاقة ذات دلالة إحصائية عكسية بين درجة قيام أحد الوالدين أو كليهما في الاشتراك مع الابن في شراء واختيار ألعاب الفيديو وبين متغير انتحال الابن لشخصية قتالية في هذه الألعاب. بمعنى أن الأبوين أو أحدهما يشتركان مع الابن في مدى انتحالهم لشخصيات قتالية في ألعاب الفيديو.

خاتمة

كشفت نتائج الدراسة أثر الإعلام بأجهزته المختلفة وبالتحديد مشاهدة التلفاز وبشكل غير مُناسب، وكذلك الاعتماد واستخدام ألعاب الفيديو للصغار على السلوك العدواني للابن. فهي مؤثرات يكتسبها الطفل في مراحلهُ العُمرية الأولى، ومن ثم تنعكس على سلوكه عندما يكبر. وهذا ما استعرضته نتائج الدراسة من تكوين الشخصية العدائية في المراحل الأولى من عُمر الأبناء، والتي تترسخ بعض من هذه العمليات التربوية التي اكتسبها الطفل في هذه المرحلة، وتنعكس على سلوكه، وعلى حياته الاجتماعية عندما يكبر. فقد كشفت نتائج الدراسة عن هذا التأثير لهذه الوسائل الإعلامية.

فقد كشفت نتائج الدراسة إلى أن زيادة في مُعدلات السلوك العدواني للأبناء من أفراد العينة، يُقابله زيادة في مُعدلات مشاهدة التلفاز في الأيام العادية، وفي عطلة نهاية الأسبوع، وكشفت الدراسة أيضاً أنه كلما زاد سوء استخدام التلفاز، كلما زاد معه السلوك العدواني. فجهاز التلفاز من الأجهزة الإعلامية التي أحدثت ولازالت تُحدث تأثيرات مُتعددة على السلوك الإنساني. فهناك العديد من الدراسات التي أشارت إلى تأثير هذا الجهاز على السلوك الإنساني بشكل عام. فقد أشارت بعض الدراسات على أثر هذا الجهاز على سبيل المثال على العزلة الاجتماعية وقضاء ساعات طويلة بانعزال اجتماعي عن الآخر، وأشارت دراسات أخرى إلى ارتباطها بمُعدلات السمنة وزيادة حجم الجسم، وبالتحديد لدى الأطفال، وذلك بحُكم قضاء ساعات طويلة أمام التلفاز. وقد يكون التأثير عندما لا يكون هناك مجموعة من الضوابط والقيود التي يضعها الوالدين على مشاهدة أبنائهم للتلفاز، وتحديد ساعات ومواعيد مُحددة. وهي التي يُمكن أن تفقد دور الأبوين في السيطرة على أبنائهم نظراً لما يتمتع به جهاز التلفاز من إغراءات تسهم بشكل كبير في جذب الطفل لساعات طويلة، وقد تمتد إلى ساعات متأخرة من الليل، وقد تؤثر على جوانب عديدة من حياتهم، وبالتحديد تحصيلهم العلمي. فهناك تأثير بالغ الأهمية لهذا الجهاز على سلوك الطفل، وأيضاً سلوكه المُستقبلي كما كشفت عنه نتائج الدراسة.

وقد لا يختلف الأمر كثيراً عن الحديث عن ألعاب الفيديو التي يُمارسها الأطفال، وحتى المُراهقين، وفي بعض الأحيان الكبار أيضاً. ولعل القيام بمُمارسة هذه الألعاب

بعد ذاته لا يُعتبر فيه إشكالية. وخاصةً وأن العديد من هذه الألعاب تُعتبر ألعاباً تعليمية، وترفيهية، وتربوية، وهذا الذي كشفته نتائج الدراسة التي بينت أنه لا علاقة دالة إحصائياً بين السلوك العدواني بشكل عام، وبين مُعدل اللعب بالألعاب الفيديو بالأيام العادية، وفي عطلة نهاية الأسبوع، وكذلك زيادة مُعدلات السلوك العدواني بين الأبناء الذي قابله انخفاض في مدى تعلق الابن في ألعاب الفيديو. ولعل يُمكن تبرير ذلك بعدة جوانب: أولها كما تمت الإشارة إلى أن العديد من هذه الألعاب، هي ألعاب تعليمية، وترفيهية، وتربوية، وقد يتم الاستفادة منها على هذا الجانب، أما الأمر الآخر، وهو أن الدراسة لم تكشف عن الفروق بين الجنسين في هذا الجانب، وهو كما يعتقد الباحثان مبحث مُهم، وهدف آخر لدراسة أخرى يُفترض أن يتم تطبيقها. فقد يكون أكثر استخدامات الأبناء الذكور هي الاستخدامات الخاصة بالألعاب العنيفة التي من المُمكن أن يكون لها تأثيراً سلبياً على السلوك عند هذه الشريحة تحديداً باختلاف شريحة الإناث التي يُمكن أن يكون لها استخدامات مُتعددة ذات أهداف أخرى. فاستخدامات ألعاب الفيديو بين الجنسين مُختلفة بلا شك. فطبيعة الاستخدام تختلف بين الجنسين كما هو مُتوقع، وكما يحتاج إلى دراسات أخرى للتحقق من ذلك. وفي المُقابل لهذا كله، فإن الاستخدام السيئ، والتي تم فحصه واختباره من خلال مقياس ثم الاعتماد عليه لأغراض هذه الدراسة، كشف عن أن هناك علاقة بين سوء استخدام هذه الألعاب، مع السلوك العنيف للابن. فكلما زاد سوء استخدام هذه الوسائل أو الألعاب، قابله زيادة في مُعدلات السلوك العنيف للابن. وهو أيضاً ما أشارت إليه الدراسة بنتائجها عن ما تم قياس المُتغيرات الخاصة بسلوك الابن مع ألعاب الفيديو. فقد أشارت النتائج إلى أن استخدام ألعاب الفيديو التي تحتوي على إطلاق نار، وعلى استخدام أسلحة مثل السكين، والعصي، والبنادق، وكذلك التي تحوي على أعمال عنيفة، وكذلك ألعاب المُصارعة، وألعاب ذات الطبيعة القتالية باليد، وانتحال الابن لشخصيات قتالية ارتبطت جميعها بمُعدل ارتفاع السلوك العنيف عند الأبناء. فزيادة استخدام ألعاب الفيديو بهذه الوسائل، يُقابله زيادة في مُعدلات السلوك العدواني. وهذا يؤكد على ما تمت الإشارة إليه إلى أن ألعاب الفيديو بحد ذاتها لم تكشف نتائج الدراسة ارتباطها السلبي على السلوك العدواني للابن، إنما طبيعة الاستخدام، وما يحويه الاستخدام من مادة هو كفيلاً بإحداث تأثير على سلوك الابن العنيف.

وهو أمرٌ مختلفٌ تماماً عن جهاز التلفاز الذي ارتبط فقط بسوء الاستخدام لهذا الجهاز بمُعدلات السلوك العدواني، ولعل أبرزها كما تمت الإشارة إليه هو قضاء ساعات طويلة أمامه في الأيام العادية، وفي عطلة نهاية الأسبوع وكذلك الإفراط في مُشاهدته إلى ما بعد الساعة الثامنة مساءً في الوقت الذي لا يُفترض أن يكون مُخصصاً لمُشاهدة الأطفال. فهذه المُتغيرات ارتبطت بالسلوك العدواني، وهي مُتغيرات ارتبطت بما يُسمى بالعُزلة الاجتماعية، والتي تُعتبر بُعداً رئيسياً من أبعاد الاغتراب الاجتماعي، والتي بينت بعض الدراسات إلى ارتباطها أي العُزلة بالسلوك العدواني (يعقوب يوسف الكندري، غ. م).

أما قضية المُتغيرات الخاصة بالتلفاز، مثل مُشاهدة أفلام الرسوم المُتحركة، والأفلام بشكل عام، وبرامج قتل وصراع، وأفلام فيها صور من الدماء، والمُصارعة الحرة وغيرها من المُتغيرات المذكورة، فلم تكشف نتائج الدراسة عن وجود علاقة دالة إحصائياً. وهي كما تمت الإشارة قد لا تحدث إلا من خلال عُزلة اجتماعية، واستخدام الابن لهذا الجهاز بمفرده، وليست بمُشاركة الآخرين، وإن كان هناك حاجة ماسة لدراسات أخرى ترتبط بهذا الموضوع. مع التأكيد على أن الدراسة شملت الذكور والإناث، ولم يكن من أهدافها التركيز على الفروق بين الجنسين، والذي من المُمكن جداً أن تكشف عن بعض الفروق في بعض من المُتغيرات.

ولعل ذلك أيضاً على نوعية الأفلام التي يُشاهدها الأبناء وارتباطها بالسلوك العدواني. وبدون التمييز أو التفريق بين الذكور والإناث في هذه الدراسة، فقد كشفت النتائج عن وجود علاقة دالة إحصائياً بين أفلام الجريمة تحديداً، وأفلام الخيال مع السلوك العدواني للابن. ولم تكشف الدراسة عن وجود تلك العلاقة مع بقية الأنواع الأخرى من الأفلام. فأفلام الجريمة، والخيال من يُشاهدها هو الأكثر في سلوكه العدواني. فأفلام الجريمة والخيال من المُمكن أن تُعلم الابن الطُرق التي من خلالها يسلك سلوكاً عدوانياً يُحقق من خلاله إيذاء الآخر. فالجريمة تكشف عن السلوكيات العدوانية، والخيال تطلق عنان الابن للتفكير إلى ما وراء الواقع، وهو أمر علمي يُركز عليه الباحثون في تشجيع الأبناء على هذا النوع من الخيال، إلا أنه إذا انعكس تأثيره على الواقع السلبي، فقد يكون ذو تأثير أكبر. ولم تكشف الدراسة عن وجود فروق مع الأفلام الأخرى على الرغم من الحاجة الماسة إلى الكشف عن الفروق بين الجنسين هنا، والتي بدون شك سيكون لها أثر.

ولعل من الواضح من خلال نتائج الدراسة أنه لا تأثير على الوالدين إذا كان الأب أو الأم يُشاهد التلفاز مع الطفل وبين المتغيرات المتعلقة بسلوك الطفل مع الجهاز. فلم تكشف نتائج الدراسة عن علاقة دالة إحصائية إلا عند مشاهدة البرامج التلفزيونية بعد الساعة الثامنة. وهذا يوضح دور الأسرة السلبى تجاه استخدام التلفاز مع الأبناء. فعدم وجود العلاقة يكشف عن أن هناك غياب لدور الأسرة في عملية المراقبة والتوجيه، وهو الأمر الذي يكون مختلفاً نوعاً ما إن كان أحد الوالدين أو كلاهما يشتركان مع المُستجيب في شراء واختيار ألعاب الفيديو، تكشف الدراسة عن وجود علاقة عكسية بين قيام الأبوين أو أحدهما بمشاركة الابن في شراء واختيار ألعاب الفيديو، وبين قيام الابن باللعب بألعاب الفيديو الخاصة بالمصارعة، وألعاب الفيديو ذات الطبيعة القتالية باليد، وانتحال الابن لشخصية قتالية في ألعاب الفيديو. فكلما زادت مشاركة الأبوين في شراء واختيار ألعاب الفيديو، كلما قل اعتمادهم على استخدام مثل هذه الألعاب، وهو الأمر الذي يُظهر نوعاً ما دورهم في هذا الجانب بعكس دورهم في جهاز التلفاز. وقد يرجع ذلك إلى أن جهاز التلفاز جهاز عام لكافة أفراد الأسرة ويتم مشاهدته بشكل روتيني اعتيادي بعكس جهاز الألعاب الإلكترونية المُخصصة للابن. ولكن أيضاً يُظهر الدور السلبى للوالدين في عدم كشف النتائج عن علاقة دالة إحصائية بين قيام أحد الوالدين أو كليهما بالقيام باللعب مع المُستجيب وبين بعض المتغيرات المتعلقة بسلوك الطفل السلبى مع ألعاب الطفل باستثناء ما كشفت عنه نتائج الدراسة عن تلك العلاقة العكسية بين لعب الوالدين مع الأبناء، وانتحال شخصية قتالية في ألعاب الفيديو. وهي مؤشر يدل على أن هناك مشاركة غير فعّالة بالنسبة للوالدين مع الأبناء عند استخدام اللعب بالألعاب الإلكترونية.

لا شك أن للألعاب الإلكترونية فعالية مهمة، وتأثير كبير على سلوك الطفل، ولاشك أيضاً أن جهاز التلفاز الذي تعددت فيه الدراسات، والتي تُشير إلى ذلك يجعل من الأهمية القيام بالتركيز على الأسرة ودورها في مواجهة هذا المتغير الإعلامي. إن غياب الدور الرقابي والتوجيهي للأسرة وللوالدين يُعطي مؤشراً لسوء استخدام هذه الوسائل الإعلامية، والتي لا يُمكن في العصر الحديث السيطرة عليها، وعلى إغراءاتها إلا من خلال التركيز على الأسرة، والقيام بأدوارها الرقابية والتوجيهية. ولاشك أيضاً أن هناك العديد من المتغيرات التي يُفترض أن يتم التركيز عليها لدراسات قادمة وخاصة تلك التي تتعلق بالفروق بين الجنسين، وأثر وعلاقة هذه الأجهزة الإعلامية عليها.

التوصيات

- وفي محاولة لوضع حد لظاهرة السلوك العنيف عن الأطفال فإنه يمكن التوصية بالآتي:
- مشاركة الآباء آبائهم فيما يشاهدونه على شاشة التلفاز وفي اختيارهم أنواع الألعاب التي يمارسونها على أجهزة الألعاب الإلكترونية.
- خلق مناخ من الحوار الهادئ والبناء بين الطفل والأسرة لمناقشة ما يشاهدونه في وسائل الإعلام.
- تحديد الوقت المخصص لاستخدام الطفل وسائل الإعلام ما بين التلفاز والألعاب الإلكترونية وتبني أنشطة بديلة اجتماعية ورياضية وترفيهية.
- تجنب الأطفال أقل من عامين عن متابعة وإدمان برامج التلفاز والألعاب الإلكترونية خاصة المتوفرة على أجهزة المحمول.
- تنمية المفاهيم الأساسية لدى أطفالنا التي تحفظ لهم هوياتهم وسط آليات العولمة العنيفة التي تحاول طمس هويات الشعوب، من هذه المفاهيم؛ الأسرة ومسؤوليات أفرادها وطبيعة العلاقات بينهم، والآداب الاجتماعية، والعرف، العادات والتقاليد الاجتماعية، وأيضاً تنمية المفاهيم الوطنية التي تتضمن مفهوم الدين واللغة والتاريخ والوحدة العربية، وذلك لمواجهة فكر العولمة لتأكيد الذات والهوية.
- تنمية مفهوم العولمة لدى أطفالنا فأطفالنا يمارسون المفهوم ولا يدركون معناه فهم يمارسون آليات العولمة من إنترنت ويشاهدون القنوات الفضائية، ويعيشون ثورة المعلومات في اقتنائهم الأجهزة الحديثة من ألعاب وغيرها ويمارسون ثقافة الاستهلاك في الملبس والمأكّل دون إدراك للمفهوم وما وراءه من خطر يحرق بهم وبمستقبلهم. ولذلك فنحن نعول على دور كل من الأسرة والمدرسة، ووسائل الإعلام طرح ومناقشة تلك المفاهيم بصورة تنمي العقلية الناقدة لأبنائنا وتجعلهم يدركون سلبيات وإيجابيات تلك المفاهيم.
- زرع الوازع الديني لدى الأطفال فالدين له من الأهمية الكبرى في تنمية المفاهيم والآداب والقيم الاجتماعية لدى الأطفال والكبار.

قائمة المراجع

- إيزابيل بورديل (١٩٩٤)، ترجمة، غصون عمار: تأثير العنف التلفزيوني في الأطفال - الثقافة العالمية - العدد ٦٦ السنة الحادية عشر، سبتمبر ١٩٩٤ م المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب / الكويت.
- المنظمة المهنية والقانونية للإعلام الإلكتروني في العالم UNIEM، دراسة حول الإعلام الإلكتروني الجزائر www.uniem.org/index
- خالد الحليبي (١٤٢٠) العنف الأسري أسبابه ومظاهره وآثاره وعلاجه / الإحصاء. www.alukah.net
- خالص مسور: العولمة والغزو الثقافي وتأثيره على الشباب. www.alnoor.se/article
- راوية هلال شتا (٢٠٠٦). حاجات المراهقين الثقافية والإعلامية، مركز الإسكندرية للكتاب.
- رضوان (٢٠٠٩). تعريف بوسائل الإعلام وأنواع وسائل الإعلام، منتدى علوم الإعلام والاتصال اختصاص علوم إنسانية / الجزائر.
- صمويل هنتجتون (١٩٩٨). صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة طلعت الشايب، دار سطور / القاهرة.
- عبد الله بن عبد العزيز الهدلق (١٤٢٢-١٤٢١) اتجاهات وسلبات الألعاب الإلكترونية ودوافع ممارستها من وجهة نظر طلاب التعليم العام بمدينة الرياض. www.alukah.net
- فهد بن غزالي العتيبي (١٤٢٧). مشاهدة العنف في الرسوم المتحركة وانعكاساتها على رسوم الأطفال خلال الفترة من (١١-٩ سنة)، دراسة وصفية، القاهرة كلية التربية، القاهرة جامعة الملك سعود.
- ماجد يوسف داوي: العنف ضد الأطفال وانعكاسه على مفهوم الذات - <http://www.gemyakurda.net> - 2008 majeddawe@hotmail.com
- محمد عابد الجابري (١٩٩٧). قضايا في الفكر المعاصر، القاهرة مركز دراسات الوحدة العربية، القاهرة ١٩٩٧ م.
- مزور بركو (٢٠١٠). العنف عند الأطفال وأشكال العقاب الممارس على الطفل العنيف - الطبعة الأولى الكتبة العصرية للنشر والتوزيع.
- معتز سيد عبد الله (٢٠٠٥). العنف في الحياة الجامعية أسبابه ومظاهره والحلول المقترحة، مركز البحوث والدراسات النفسية، كلية الآداب جامعة القاهرة.
- معصومة المطيري (٢٠١٠). أثر الإعلام العربي على نشأة الطفل وعلاقته بالأسرة - ورقة عمل مقدمة لمؤتمر «الأسرة والإعلام العربي: نحو أدوار جديدة للإعلام الأسري»، ٢٠١٠/٣-٢، الدوحة، قطر، المجلس العربي للطفولة والتنمية.
- موسى (٢٠١١). وسائل الإعلام والتنشئة الاجتماعية، الجزائر جامعة زين عاشور، الجلفة، كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية، منتدى علوم الإعلام والاتصال.
- هانس بيتر مارتين، هارالد شومان (١٩٩٨). ترجمة عدنان عباس علي: فخ العولمة الاعتراف على الديمقراطية والرفاهي، عالم المعرفة، عدد ٢٣٨ / الكويت.
- هدى محمد قناوي (٢٠٠٨) الطفل تنشئته وحاجاته، الأنجلو المصرية / القاهرة.
- يحيى اليحياوي (٢٠٠١) في العنف العولمة / الرباط. elyahyaow.org/violence
- Al-Husaini, Meshari (2004). An Investigation Into Factors That May Contribute to School Violence in Male High Schools in Kuwait. Ph. D. Dissertation. Virginia Polytechnic Institute and State University.

- Buss, A. H., & Perry, M. (1992). The Aggression Questionnaire. *Journal of Personality and Social Psychology*, 63, 452-459.
- Maker, A. H, Kemmel. M & Peterson, C. (1998). Long-Term Psychological Consequences in woman witnessing parental physical conflict and experiencing abuse in childhood. *Journal of Interperantal Violence*.
- Szflick, K. (2011). Violence on T V: The Desensitizing Of America. March, 10, 2011.
- Tiffany slotsve, Alex del Carmen, Mary Sarver & Rita J. Villareal-Watkins (2008) Television Violence and Aggression, A Retrospective Study, University of Texas at Arlington.
- Webster, Learner' s Dictionary. Merriam 1997. Merriam Webster. com/Dictionary/Violence.
- Werner H. Hopf, Gunter L. Huber, and Rudolf H. Wel (2008). Media Violence and Youth Violence A. 2 year Longitudinal Study. *Journal of Media Psychology*. -VOL. 20 (3).

نشوز الزوجة: الظاهرة والعلاج

د. مسعود يخلف*

مقدمة

الخطط والبرامج لنمو الأسرة وامتدادها، لأنها سبيل السكينة النفسية التي بها سعادة الفرد، والرحمة والمودة التي تشكل الأسس النفسية لشبكة العلاقات الاجتماعية.

والتفكير في الأسرة وحمايتها إنما يتطلب الكثير من التأمل والتخطيط لجميع وسائل وأدوات التشكيل الثقافي والتربوي حتى لا تتحول البيوت إلى حلقات للصراع والعنف.

العلاقات الأسرية، تشكل أساساً للعلاقات الاجتماعية الأوسع مدى، وركائز أساسية في العلاقات الإنسانية عامة، على اعتبار أن الإنسانية بعمومها منحدره من أسرة واحدة.

وما الاختلاف بين أفرادها إلا آية اجتماعية، أو إن شئت فقل: سنة كبرى من سنن الاجتماع، تدعو للكثير من التأمل والتفكير في كيفية استيعابها والإفادة منها وبناء شبكة العلاقات الاجتماعية في ضوئها، وحسن التعامل معها، ووضع

* دكتورة علوم إسلامية، كلية الحقوق جامعة سعد دحلب - بالبليدة/ الجزائر. mikhlef65@gmail.com

ومن هنا كان الرباط بين ركني الأسرة رباطاً قوياً ومقدساً، لأن الأسرة مؤسسة محترمة لا يجوز حل رباطها، ولا التعرض لها بأذى، ولا مد اليد إليها بالهدم لأول بادرة خلاف، ومن هذا المبدأ وضع الإسلام ضمانات واحتياطات تقلل من وقوع الطلاق، وتحمي للأسرة صفاءها وكيانها وتهيئ لها القيام بدورها وأداء وظيفتها^(١).

لقد وضع الإسلام للعلاقة الزوجية دستوراً ثابتاً نلحظه في قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾^(٣)

ولقد بين النبي ﷺ أن المودة هي عماد هذه الحياة فيجب أن تظل هي الرباط الوثيق بين الزوجين فقال (لا يفرك^(٤) مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقاً رضي منها خلقاً آخر)^(٥).

الإشكالية

غير أنه إذا وقع ما يؤثر على هذه المودة ويعكر صفاء العشرة الحسنة بين الزوجين فنشزت الزوجة فهل العلاج أن يسارع الزوج بالطلاق، أم نقلد غير المسلمين بأن ينفصلا انفصالاً جسمانياً ويرتبط الرجل عاطفياً وكذلك المرأة ويظل رباط الزوجية شكلياً؟

ولتناول هذا الموضوع اعتمدت المنهج التحليلي المقارن، وذلك لتحليل وبيان الأبعاد المقصودة من خلال النصوص الشرعية والواقع الاجتماعي مع مقارنة ذلك بواقع حال المرأة في بعض البلدان الغربية، فموضوع الضرب الذي تمارسه بعض شعوب هذه الدول ثم هي تكيل التهم للإسلام والمسلمين؟

وقد قسمت هذه الدراسة إلى جزأين تناولت في الجزء الأول منهما: نشوز الزوجة وطرق إصلاحه، أما الجزء الثاني فقد خصصته للضرب كوسيلة للعلاج بين المفهوم الشرعي والواقع الاجتماعي، ثم جعلت للبحث خاتمة ضمنتها النتائج التي توصلت إليها.

لقد عالج الإسلام هذا النشوز في قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيرًا﴾^(٦)

فالحياة الزوجية لا تقوم إلا على الحب والتراحم وهذه الآيات والأحاديث وغيرها كثيراً مما تحث على إكرام الزوجة والإحسان إليها، وأنه لا تعاقب لمجرد أول خطأ تقع فيه بل يجب النصح والوعظ والتذكير مرة بعد مرة، وإن بدا منها الإصرار فتهجر في المضجع، فإذا بلغ الأمر حداً لا تفلح معه كل هذه الوسائل فقد هدد الإسلام باستخدام الضرب «.. وَأَضْرِبُوهُنَّ» والضرب في الآية ضرب الأدب غير المبرح.

وقبل أن نذكر الحالات التي أباح الإسلام فيها الضرب، يلزم أن نبين حقيقة هامة وهي أن هذا الضرب كان سائداً في العالم كله وكان ضحيته العبيد والنساء، فكتب التاريخ ومنها كتاب (غاران لولو هيران) تروي أن الضرب كان سائداً في أوروبا وأن الملك - شارلمان - انقض على أخته أثناء نقاش معها وضربها ضرباً شديداً وكسر بقفازه الحديدي ثلاثة من أسنانها وهذا ما سجله (غوستاف لوبون - في كتابه حضارة العرب)، ولم يكن الضرب القاسي شيئاً غريباً على المجتمعات الأوربية، فالفيلسوف - فردريك نيتشه - قد أثر عنه (لا تذهب إلى المرأة إلا والسوط في يدك)، وما زال هذا الضرب للزوجات قائماً حتى اليوم حتى تكونت جمعية في بريطانيا تسعى لإصدار قانون يمنع ضرب الزوجات.^(٧)

فالدنمارك مثلاً عقد فيها أول مؤتمر عالمي للمرأة سنة ١٩٧٥ نشرت فيها إحصائية سنة ١٩٨٠ عن المستشفى المركزي لمدينة - أوهس - وهي ثان مدينة بعد - كوبنهاجن - العاصمة جاء في هذه الإحصائية أن ما يزيد عن مئتين وسبعين امرأة قد دخلوا المستشفى بحالة خطيرة خلال ستة أشهر وخرجن بعاهة مؤقتة أو مستديمة والسبب هو اعتداء أزواجهن عليهن بالضرب القاسي.^(٨)

إن ضرب الزوجة ظاهرة مست حتى المجتمعات الغربية ففي بريطانيا مثلاً أعدت جماعة - مساعدة المرأة المعتدى عليها - تقريراً عن موضوع ضرب الزوجات جاء فيه: إن بعض الزوجات استمرت عمليات ضربهن سنوات دون أن تتقدم إحداهن بالشكوى وذلك إما خجلاً أو خوفاً. وقال التقرير: إن كثيراً من الزوجات أصبن بكسور وصدمات والطريف في الأمر أن عدداً كبيراً من الزوجات يرفضن طلب الطلاق من أزواجهن رغم تكرار الاعتداء عليهن بالضرب ويفضلن البقاء تحت سقف الزوجية رغم الآلام التي يعانينها وهذه ذروة الحضارة الغربية!

إن أسلوب الضرب الذي ورثته الأمم، قد وضع له الإسلام نظاماً ليصبح علاجاً لا انتقاماً، فليس المقصود بالضرب إلحاق الأذى بالزوجة كأن يكسر أسنانها أو

يشوه وجهها أو يدخلها المستشفى، وإنما المقصود بالضرب هو إصلاح حال المرأة، لذا يكون الضرب غير المبرح، ولا يجوز الضرب على الوجه والمواضع الحساسة في الجسد.

فهو ضرب الوالد لولده يضربه لأنه يحبه ويريد إصلاح أمره واستقامة حاله، لا لأنه يبغيضه أو عدو يريد التخلص منه، بل الفطرة تأبى كل هذه المعاني السلبية من ضرب الأب لابنه أو المربي لتلميذه، أو الزوج لزوجته، ومن هنا فإن الضرب يأتي في آخر مراحل العلاج مقيداً بأمور عدة:

• الآية نفسها ختمت بقوله تعالى: ﴿... فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ فإذا تحققت الغاية توقفت الوسيلة. مما يدل على أن الغاية - غاية الطاعة - هي المقصودة، وهي طاعة الاستجابة لا طاعة الإرغام، فهذه ليست طاعة تصلح لقيام مؤسسة الأسرة نواة المجتمع وقاعدته الأساسية.

بل إن الآية تشير إلى أن المضي في هذه الإجراءات بعد تحقق الطاعة بغي وظلم وتحكم وتجاوز. إذا لم تجد الزوجة من يحميها ويدافع عنها فإنه هناك - العلي الكبير سبحانه وتعالى - وهنا تتبخر مشاعر البغي والاستعلاء إن طافت ببعض النفوس.

• ورود نصوص في الكتاب والسنة توصي الرجال بزوجاتهم خيراً وتدعوهم بالمحافظة عليهن وعدم إيذائهن، من هذه النصوص قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾^(٩)، فجعل الزوجة من نفس زوجها فمن بغى على زوجته بغى على نفسه، والعاقل لا يظلم نفسه. وقوله تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً..﴾^(١٠) فالحياة الزوجية قائمة على المودة والرحمة والتعاون والتكامل وقوله ﷺ: (اتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن فاضربوهن ضرباً غير مبرح).^(١١)

وقوله ﷺ في خطبة الوداع (استوصوا بالنساء خيراً، فإنهن عوان عندكم، ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً، ألا إن لكم على نسائكم حقاً، ولنسائكم عليكم حقاً فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن).^(١٢)

فالمراة أمانة عند زوجها، مسؤول عنها يوم القيامة، ومن هنا فهو مطالب بأداء حق الله تعالى فيها، لا يجوز له الاعتداء عليها ما لم تأت ما يسوؤها ويسوء زوجها.

قال الإمام الشوكاني يستدل بهذا الحديث على أنه (لا يجوز الهجر ولا الضرب إلا إذا أتت بفاحشة مبينة لا بسبب غير ذلك).^(١٣)

إن رواية الإمام مسلم وغيره من كتب السنة أجازت الضرب إذا أدخلت الزوجة شخصاً في بيت الزوجية بغير إذن زوجها وقد أوضح بعض الفقهاء أنه إذا سمحت الزوجة للضيوف الدخول في مكان خاص بذلك - أي باستقبالهم في دار الضيافة - فلا يحتاج هذا إلى إذن الزوج ولا يعد تصرفها هذا نشوزاً^(١٤)، فما المراد بالفاحشة التي قد تأتيتها المرأة فتستحق بذلك الهجر في المضجع والضرب غير المبرح؟

إن الفاحشة هي مؤنث كلمة الفاحش وهو الأمر القبيح من قول أو فعل، وهي كل شيء جاوز الحد^(١٥).

وقد ورد في القرآن الكريم وصف للزنا كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾^(١٦).

وعقاب هذه الجريمة هو الرجم^(١٧) وبالتالي فليست هي المقصودة بالحديث النبوي كما وردت - الفاحشة - في أمر الزواج من المحرمات في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكَحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾^(١٨).

وهذه ليست هي المقصودة من الحديث النبوي لأنها خاصة هنا بالعقد على زوجة الأب التي نهينا شرعاً عن الزواج بها، كما وردت - الفاحشة - كسبب لخروج المطلقة من بيت الزوجية فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾^(١٩). وهذه وإن كانت الأقرب إلى ما جاء في الحديث النبوي، فقليل إن الخروج فيها للمحاكمة على الفاحشة وهي الزنا^(٢٠)، وهذا لا يتفق مع سياق الألفاظ لأن المحاكمة وتنفيذ العقوبة يكون الإخراج فيها جبراً ولكن الآية تنص على الخروج الإرادي والاختياري من المطلقات كما تنص على إخراج أهل الزوج لها.

- وقيل أن الفاحشة هنا هي النشوز على الزوج ولكن الأمر هنا خاص بالمطلقات، والنشوز هو الخروج على طاعة الزوج، والمطلقة لم يأمرها الشارع بطاعة مطلقها إلا في شيء واحد وهو الرجوع عن الطلاق وإعادة الحياة الزوجية وهذا إذا كان الطلاق دون الثلاث.

وعليه فلم يبق أمامنا إلا أن تكون الفاحشة التي سببها تُهجر الزوجة وتُضرب هي إيذاء الزوج أو أهله بالقول أو الفعل ولهذا قال الإمام الطبري: **الفاحشة هي كل معصية^(٢١)**.

ومن هذا يتضح أن الفاحشة تشمل الأقوال القبيحة وكذلك الأفعال القبيحة، إن الحالات التي يباح فيها ضرب الزوجة هي الحالات المنافية للأخلاق ومنها هذه الفاحشة القبيحة أي السماح للرجال بدخول البيت بغير إذن زوجها، لأن في ذلك شبهة الخيانة الزوجية، عندما توجد الزوجة مع أجنبي ولكن لا يوجد دليل شرعي على الزنا، فهنا إما أن يطلقها الزوج أو يقبل استمرار الحياة الزوجية، فإن قبل الأمر الأخير، فله أن يضربها على مثل هذا العمل وهو أمر هين أمام طلاقها وحل عقد الزوجية بعد العشرة، ولا يعترض على ذلك إلا المفسدين والمفسدات الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، تقليداً للحضارة الغربية اللا أخلاقية.

يقول أحد المفكرين الغربيين: إن بيان القرآن الذي يبيح للرجل ضرب الزوجة الناشز، والذي يُصر كثيرون على فهمه فهماً خاطئاً في معظم الحالات، إنما يهدف إلى صيانة الحياة الزوجية، وحمايتها وتقويتها، وألا يتسرع الزوج الغاضب لنشوز زوجته في تطليقها، ذلك أن أبغض الحلال عند الله الطلاق.

• **الضرب غير المبرح:** وهو الذي لا يكسر عظماً ولا يشين جارحه ولا يسيل دماً ولا يترك أثراً مادياً وعلى أن لا يكون هذا الضرب على الوجه ولا يقترن به تقبيح الزوج لزوجته شكلاً لأن ذلك يكون أشد عليها من الضرب وربما أحدث في نفسها كسراً لا يجبر بعد ذلك، وهو مع كل هذا ليس على إطلاقه بل مقيداً بأن يغلب على ظن الزوج أنه يُفيد في تأديبها، فإن ظن عدم إفادته فلا يجوز له ضربها.

بل جاء عن ابن العربي^(٢٢) قوله: قال عطاء من فقهاء التابعين لا يضربها وإن أمرها ونهاها فلم تطعه، ولكن يغضب عليها، قال القاضي هذا من فقه عطاء فإنه من فهمه بالشريعة ووقوفه على مظان الاجتهاد علم أن الأمر بالضرب هاهنا أمر إباحة ووقف على الكراهية من طريق أخرى في قوله النبي ﷺ في حديث عبد الله بن زمعة (إني لأكره للرجل يضرب أمته عند غضبه، ولعله أن يضاجعها من يومه)^(٢٣).

وروي عن مالك عن يحيى بن سعيد أن رسول الله ﷺ استأذن في ضرب النساء، فقال: (اضربوا، ولن يضرب خياركم)^(٢٤).

فأباح وندب إلى الترك، وإن في الهجر لغاية الأدب والذي عندي أن الرجال والنساء لا يستوون في ذلك، فإن العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الإشارة، ومن النساء بل من الرجال من لا يقيمه إلا الأدب فإذا علم ذلك الرجل فله أن يؤدب، وإن ترك فهو أفضل.

إن بعض النسوة اقترنت صورة الرجولة في أذهانهن وترسبت في اللاشعور مقتربة بشيء من العنف مع الإناث كمظهر مكمل لمعنى الرجولة.. هكذا كان أبوها وأخوها وعمها وخالها، فإذا ما تزوجت إحداهن من رجل مهذب يحسن معاملة النساء ويحنو عليهن، ولا يعرف أو يمارس شيئاً من الشدة أو العنف في معاملتهن، فقد يدفعها ذلك إلى شيء من النشوز على الزوج واستفزازه بطرق متعددة^(٢٥)، فإذا ما أظهر شيئاً من الشدة أو العنف البدني، اكتمل في شعورها صورة الرجل واستقامت أمورهما معه بعد شيء من العوج، فهذه هي التي تضرب ضرباً غير مبرح إذا هو أقرب إلى العلاج النفسي لها^(٢٦) أي أن تكوينها النفسي والثقافي كثيراً ما يكون في صورة يؤدي الضرب الخفيف معها إلى الإصلاح والحمل على الطاعة بل ترى ذلك من صفات الرجولة في زوجها.

والضرب المبرح منهى عنه لما جاء في حاشية الدسوقي لابن عرفة المالكي قوله: (ولا يجوز الضرب المبرح ولو علم الزوج أنها لا تترك النشوز إلا به، فإن وقع فلها التلطيق عليه والقصاص)^(٢٧).

وذهب ابن عباس رضي الله عنه إلى أن الزوجة إذا أطاعت زوجها في المضجع فليس له ضربها.

• الضرب غير المبرح عند السلف كعطاء وغيره يكون بالسواك ونحوه، ويقاس عليه اليوم أن يكون بمنشفة أو مروحة من الورق ونحو ذلك مما لا يشين الزوجة ولا يظهر له أثر على بدنهما يعني من جرح أو كسر.

قال الدكتور عبد الرحمان الصابوني: قال بعضهم إن الضرب في القرآن نسخ في السنة لكثرة ما نهى عنه النبي ﷺ^(٢٨). من ذلك ما أخبر به خادمه أنس رضي الله عنه قال: (ما ضرب رسول الله ﷺ امرأة له ولا خادماً قط ولا ضرب بيده شيئاً قط إلا في سبيل الله أو تشتهك محارم الله فينتقم لله)^(٢٩).

وأخيراً فالحياة الزوجية هي سكن للزوجين ولا تستقيم إلا بالمودة والرحمة، ولكن الحياة بما فيها من تبعات وهموم لا تخلو من كدر فإذا هبت ريح الحياة بما يعكر صفو

الحياة الزوجية فعلى كل من الزوجين أن يلين مع صاحبه حتى يصلا إلى شاطئ النجاة، وبالمحبة والرحمة والحوار القائم على الاحترام المتبادل من الطرفين تكون السعادة الحقيقية ولن يكون هناك ما يدعو إلى الشقاق، وما أجمل ما علمنا رسول الله ﷺ بقوله: (إن الله يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على سواه).^(٣٠)

وفي الحديث أيضاً: (إذا أراد الله بأهل بيت خيراً أدخل عليهم الرفق)^(٣١) فعاثوا حياة فيها سكونية وطمأنينة وعافية وهي السعادة الحقيقية التي ينشدها الناس جميعاً.

غير أنه يجب أن نعترف أن الفجوة ما تزال تتسع بين هذه القيم الإسلامية والضوابط الشرعية وما أراد الله لجو الأسرة، من شيوع السكينة، والتمتع بالمودة والرحمة، وبين الواقع المحزن الذي صار إليه حال الأسرة المسلمة اليوم. مما يدعونا أفراداً ومؤسسات إلى ضرورة مراجعة الذات والمساهمة بشكل إيجابي في المحافظة على الأسرة لأنها الحصن الباقي، أو البقية الاجتماعية الباقية، في ضوء التحديات المعاصرة، وتحديد هذه التحديات ووضع الخطط المدروسة للتعامل معها ومواجهتها خصوصاً بعد أن انتهت الأسرة في الحضارات الأخرى.

الخاتمة

- في نهاية هذا البحث هذه جملة النتائج التي توصلت إليها:
- الأصل في الأسرة أنها سكن ومودة ورحمة.
 - الخلاف الأسري ظاهرة طبيعية إن أحسننا التعامل معها.
 - شرع الاسلام ما يحفظ للأسرة بقاءها واستمرارها خصوصاً عند حدوث الشقاق والنزاع بين الزوجين وذلك بسلوك منهج الحوار في فض النزاعات، عبر مراحل الإصلاح التالية:
 - أ- الموعظة الحسنة باللين والرفق.
 - ب- الهجر في المضجع داخل البيت.
 - ج- الضرب غير المبرح الذي لا يكسر عظماً ولا يسهل دماً ولا يكون على الوجه والأماكن الحساسة.
 - د- التحكيم بإرسال حكماً من أهله وحكماً من أهلها بغية الإصلاح.

- الضرب وسيلة تأديب وعلاج وإصلاح في حالات استثنائية ولست وسيلة عقوبة وزجر والواقع غير المراد.
- ومن هنا فقد مارسه الشعوب منذ القدم كطريقة للتأديب ولا زالت، وواقع المجتمعات الغربية من خلال الإحصائيات التي يعلنون عنها هم بأنفسهم خير شاهد ودليل.
- الشريعة الإسلامية حينما أقرت الضرب كطريقة من طرق الإصلاح وضعت له ضوابط ومحددات ليبقى وسيلة تأديبية تقي الأسرة شر الطلاق فهو من باب ارتكاب أخف الضررين وأهون الشرين وبالله التوفيق.

المراجع

- (١) د. محمد شيخ عبد الله، الأسرة المسلمة والتحديات الغربية المعاصرة، مؤسسة الريان، لبنان، مكتبة عباد الرحمان، مصر، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧ م. ص ١٣٩.
- (٢) سورة النساء الآية ١٩.
- (٣) سورة البقرة الآية ٢٨٨.
- (٤) يفرك: يبغض، الشوكاني، نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار، شرح منتقى الأخبار، دار القلم، بيروت، د. ت. ط (٢٠٥/٦).
- (٥) رواه مسلم، كتاب الرضاع باب الوصية بالنساء، رقم (٢٧٦١)، (١٧٨/٤).
- (٦) سورة النساء الآية ٣٤.
- (٧) نشر ذلك في جريدة السياسة الصادرة في الكويت بتاريخ ١٩٧٥/٠٦/٠١.
- (٨) سالم البهنساوي، مكانة المرأة بين الإسلام والقوانين العالمية، دار الإرشاد، د. ت. ط، ص ٢٤٦.
- (٩) سورة النحل الآية ٧٢.
- (١٠) سورة الروم الآية ٢١.
- (١١) أخرجه مسلم كتاب الحج. باب حجة النبي ﷺ رقم: (٢٠٠٩)، (٣٩/٤).
- (١٢) مسلم كتاب الوصية بالنساء رقم (٢٦٧١)، (٤٠١/٧).
- (١٣) انظر الشوكاني - نيل الأوطار - (٢١١/٦).
- (١٤) نفس المرجع ٣٦٥/٦.
- (١٥) انظر الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، دار القلم، بيروت، د. ت. ط، ص ٦٣٢.
- (١٦) سورة الإسراء الآية ٣٢.
- (١٧) الرجم هو عقوبة الزاني المحصن - المتزوج - فإن فعلها وهو بالغ عاقل حر مسلم وجب رميه بالحجارة حتى الموت. المراغي، تفسير المراغي دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت. ط (٦٨/١٨).
- (١٨) سورة النساء، الآية ٢٢.

- (١٩) سورة الطلاق، الآية ١.
- (٢٠) انظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي، د. ت. ط (١٥٦/٩).
- (٢١) نفس المرجع السابق.
- (٢٢) أحكام القرآن، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٩٨٧ (٤٢٠/١).
- (٢٣) البخاري، كتاب التفسير باب تفسير سورة الشمس، رقم (٤٦٥٨)، (١٨٨٨/٤).
- (٢٤) سبق تخريجه (ص ١٢).
- (٢٥) ربما كان منها أن توطئ فراشه من يكرهه الزوج دون رغبة كما ورد في حجة الوداع.
- (٢٦) د. محمد بلتاجي، مكانة المرأة في القرآن الكريم والسنة الصحيحة، ص ٣٩٩.
- (٢٧) حاشية الدسوقي.
- (٢٨) النسخ: هو تغيير الحكم والمقصود أن الرسول ﷺ لما خوله الله قد عدل حكم الضرب الوارد في القرآن أو قيده في حالات الفاحشة المبينة كما ورد في حجة الوداع.
- (٢٩) رشيد رضا، حقوق النساء في الإسلام، المكتبة الإسلامية، بيروت (١٠٧/١).
- (٣٠) الدارقطني المعجم الأوسط مسند من أسمه حبوش رقم (٣٥٣٥)، (٢١/٤).
- (٣١) الألباني صحيح الجامع، المكتب الإسلامي، بيروت د. ت. ط، (٢٠٣/١).

الضغوط النفسية المرتبطة ببعض سمات الشخصية لدى طلاب كليات التربية بجامعة الزاوية (كلية التربية بالعجيلات نموذجاً)

د. سميرة محمد ميلاد بريك



مقدمة البحث

تعتبر الجامعة ميداناً رحباً ينطوي على الكثير من الأزمات والضغوط النفسية التي على الطلاب اجتيازها أو مواجهتها أو التوافق معها، فالطلاب يتعرضون إلى تغيرات نمائية نفسية واجتماعية وفسولوجية ينتج عنها العديد من المطالب والحاجات والطموحات والأهداف التي يسعى لتحقيقها بالإضافة إلى ما تعرضه الحياة الجامعية بجوانبها الأكاديمية والنفسية والسلوكية من متطلبات وتحديات، وقد أشارت العديد من الدراسات والأبحاث إلى ارتفاع الضغوط النفسية لدى طلاب

الجامعة، وإلى أنها تشكل ظاهرة واضحة للمجتمعات المعاصرة المليئة بالمتغيرات والتي تؤدي تفاعلاتها الاقتصادية والاجتماعية والصحية والبيئية إلى نتائج قد تنعكس سلباً على سلوكيات الطلاب، إضافة إلى ما يعانيه من مواقف ضاغطة في الجامعة متمثلة في المشكلات العاطفية،

• دكتورة فلسفة التربية، عضوية تدريس بكلية التربية بالعجيلات، جامعة الزاوية/ليبيا.
maab2_2005@yahoo.com

ومواجهة الامتحانات، والعلاقات مع الزملاء والأساتذة والموظفين والتي إذا لم يستطيعوا مواجهتها والتكيف معها كانت بداية لكثير من الاضطرابات النفسية.

إن الصحة النفسية للطلاب الجامعي ركيزة أساسية في الإنتاج وتحقيق الطموح في الحياة، وإن أية إعاقة أو ضغوط حياتية يتعرض لها الطالب أثناء حياته الجامعية ستترك آثارها السلبية على صحته النفسية والجسمية بصورة مباشرة وغير مباشرة وبالتالي سوف تؤثر على حاجته وتقدمه في حياته الدراسية الجامعية والاجتماعية.

مشكلة البحث

من خلال الاطلاع على العديد من الدراسات السابقة المتعلقة بالضغوط النفسية وعلاقتها ببعض سمات الشخصية لدى طلاب الجامعات، فقد وجدت الباحثة أن هناك عدم اتفاق بين نتائج تلك الدراسات، فقد أشارت بعض الدراسات كدراسة المبدل (٢٠٠١) إلى وجود تلك العلاقة والبعض الآخر من الدراسات أشارت إلى عدم وجود تلك العلاقة مثل دراسة عدنان (٢٠٠٩)، كما لاحظت الباحثة أثناء التواصل العملي مع الطلاب خلال عملها بالتدريس الجامعي أن الطلاب يعيشون من وجهة نظرهم إحباطات ومشكلات وضغوطات يومية في جميع مظاهر الحياة، مما دعا الباحثة إلى محاولة دراسة مثل هذه الظاهرة والتي تتبلور مشكلتها من خلال طرح التساؤل الرئيس التالي:

- ما هي الضغوط النفسية المرتبطة ببعض سمات الشخصية لدى طلاب كلية التربية بالمعجلات؟

أهمية البحث: تتمثل أهمية البحث في الاستجابة المتزايدة التي طرأت على ميدان الإرشاد النفسي من حيث الأساليب والطرق الإرشادية المستخدمة من قبل المرشدين في تعاملهم مع مشكلات وضغوط الطلاب النفسية، كذلك يفيد هذا البحث في دراسة شخصية الطالب كمحاولة لفهم سلوكه والتعرف على توافقه النفسي والاجتماعي، واستثمار نتائج البحث في وضع برامج إرشادية وإقامة دورات تدريبية تساعد الطلاب في مواجهة الأحداث الضاغطة وحسن التعامل معها.

أهداف البحث

- ١- التعرف على الضغوط النفسية لدى طلاب كلية التربية بالمعجلات.
- ٢- التعرف على الضغوط النفسية لدى طلاب كلية التربية بالمعجلات تبعاً لمتغير التخصص الدراسي (علوم تطبيقية - علوم إنسانية).

٢- التعرف على علاقة الضغوط النفسية ببعض سمات الشخصية لدى طلاب كلية التربية بالعجيلات.

٤- معرفة هل هناك ارتفاعاً في نسبة الضغوط النفسية بين طلاب كلية التربية بالعجيلات.

فروض البحث

- ١- لا توجد ضغوط نفسية لدى طلاب كلية التربية بالعجيلات.
- ٢- لا توجد فروق بين الطلبة تبعاً لمتغير التخصص الدراسي (علمي - أدبي) في الضغوط النفسية لدى طلاب كلية التربية بالعجيلات.
- ٣- لا توجد علاقة ارتباط بين الضغوط النفسية وبعض سمات الشخصية لدى طلاب كلية التربية بالعجيلات
- ٤- تسود الضغوط النفسية بين طلاب كلية التربية بالعجيلات بدرجة مرتفعة.

حدود البحث

يتحدد البحث الحالي ببحث علاقة بعض الضغوط النفسية ببعض سمات الشخصية لدى طلاب كلية التربية بالعجيلات بجامعة الزاوية خلال العام الدراسي الجامعي ٢٠١٢-٢٠١٣م.

مصطلحات البحث

الضغوط النفسية: تعرف بأنها «رد فعل شخصي ذاتي لمواقف حياتية معينة، سواء حقيقية أم متوقعة أم تصورية بدرجة تعرض الفرد للتوتر والضييق والتغيرات الفسيولوجية». (لجنة التعريب والترجمة، ٧٩، ٢٠٠٧)

وتعرفها الباحثة إجرائياً بأنها درجة انزعاج الفرد خلال تعرضه لموقف معين، ويعبر عنها بالدرجة الكلية التي يتحصل عليها الطالب على فقرات مقياس الضغوط النفسية.

السمة: تعرف بأنها «نظام نفسي عصبي مركزي عام يختص بالفرد ويعمل على جعل المثيرات المتعددة متساوية وظيفياً، كما تعمل على إصدار وتوجيه أشكال متساوية من السلوك التكييفي والتعبيري». (أحمد، ٢٠٠٧، ٢١)

وتعرفها الباحثة إجرائياً بأنها ردود الأفعال ويعبر عنها بالدرجة الكلية التي يحصل عليها الطالب على مقياس السمات الشخصية.

سمات الشخصية: تعرف بأنها «مجموعة ردود الأفعال أو الاستجابات التي يربطها نوع من الوحدة التي تسمح لهذه الاستجابات أن توضع تحت اسم واحد ومعالجتها بالطريقة لذاتها في معظم الأحوال ويعبر عنها بالدرجة التي يتحصل عليها المستجيب للى بنود مقياس التحليل الإكلينيكي الخاص بالسمات السوية والمعد من قبل كاتل (-Cat tell, 1988)» (صالح، ٢٠١٢، ٨)

كلية التربية بالعجيلات: تعرفها الباحثة بأنها إحدى مؤسسات التعليم العالي بجامعة الزاوية بليبيا الواقعة في مدينة العجيلات بالمنطقة الغربية وتضم عدة تخصصات علمية.

منهج وإجراءات البحث

منهج البحث: استخدمت الباحثة المنهج الوصفي لكونه المنهج المناسب لطبيعة البحث والمتعلق بالضغوط النفسية المرتبطة ببعض سمات الشخصية لدى طلاب كلية التربية بالعجيلات.

مجتمع البحث: اقتصر مجتمع البحث في الطلاب الدارسين بكلية التربية بالعجيلات السنة الرابعة، حيث شمل السنة الرابعة جميع الأقسام العلمية (الرياضيات - الفيزياء - الكيمياء) والبالغ عددهم (٣٦) طالباً والسنة الرابعة قسم اللغة العربية والبالغ عددهم (١٢٧) طالباً وبالتالي يكون مجموع مجتمع البحث (١٦٣) طالباً

عينة البحث: تكونت عينة البحث من طلبة السنة الرابعة (قسم العلوم وقسم اللغة العربية) الدارسين بالكلية، وتم اختيارها عشوائياً من مجتمع البحث، حيث تم اختيار (٣٦) طالباً من طلاب قسم العلوم، و(٣٦) طالباً من طلبة قسم اللغة العربية وبالتالي بلغ مجموع عينة البحث (٧٢) طالباً.

أداة البحث: لتحقيق أهداف البحث استخدام الباحثة أدوات البحث التالية:

أ- مقياس الضغوط النفسية (إعداد الباحثة) يتكون مقياس الضغوط النفسية من (٢٤) فقرة موزعة على (٤) أبعاد كما موضح بالجدول التالي:

جدول (١) يوضح أبعاد وتوزيع فقرات مقياس الضغوط النفسية

ت	أبعاد المقياس	عدد الفقرات	توزيع الفقرات على الأبعاد
١	الضغوط المرتبطة بالفرد نفسه	٦	٦،٥،٤،٣،٢،١
٢	الضغوط المرتبطة بالدراسة	٦	١٢،١١،١٠،٩،٨،٧
٣	الضغوط المرتبطة بالآخرين	٦	١٨،١٧،١٦،١٥،١٤،١٣
٤	الضغوط المرتبطة بالأسرة	٦	٢٤،٢٣،٢٢،٢١،٢٠،١٩

حيث تكون المقياس في مجمله من جزأين، أوضحت الباحثة في الجزء الأول عنوان البحث والبيانات المتعلقة بالطلبة الذين سيجرى عليهم البحث، وفي الجزء الثاني وضعت فقرات المقياس، وبدائل الإجابة، (درجة الشعور بالضيق والانزعاج)، حيث كانت بدائل الإجابة خماسية وفق مقياس ليكرت الخماسي (لا أشعر - قليلة - متوسطة - كبيرة - كبيرة جداً).

ب- مقياس سمات الشخصية: يكون مقياس سمات الشخصية من (٦) سمات تمثل (السمات السوية للشخصية) وكل سمة لها تعريفها وبها (٢) بنود يجاب عنها إجابة ثلاثية الاختيار تحمل الرموز (أ- ب - ج)، وعلى الطالب أن يختار إجابة واحدة منها والسمات هي:

١- سمة التألف: ويقصد بها القدرة على تكوين علاقات اجتماعية مع الآخرين تتسم بالود والمشاركة، ويعبر عنها إجرائياً بالدرجة التي يحصل عليها الطالب في استجابته لبنود هذه السمة.

٢- سمة الاندفاعية: ويقصد بها اتسام الفرد بالحيوية والنشاط والحماس وحب التغيير والتنوع والسفر، ويعبر عنها إجرائياً بالدرجة التي يحصل عليها الطالب في استجابته لبنود هذه السمة.

٣- سمة السيطرة: ويقصد بها اتسام الفرد بالرغبة في فرض السلطان والنفوذ على الآخرين وإخضاعهم لسلطوته بالإقناع أو القوة والميل للتنافس، ويعبر عنها إجرائياً بالدرجة التي يحصل عليها الطالب في استجابته لبنود هذه السمة.

٤- سمة الذكاء: ويقصد بها اتصاف الفرد بالقدرة على التركيز والتفكير الإيجابي ومواجهة عقبات الحياة، ويعبر عنها إجرائياً بالدرجة التي يحصل عليها الطالب في استجابته لبنود هذه السمة.

٥- سمة المغامرة: ويقصد بها اتسام الفرد بالجرأة والنشاط والانفعالية، ويعبر عنها إجرائياً بالدرجة التي يحصل عليها الطالب في استجابته لبنود هذه السمة.

٦- سمة التنظيم الذاتي: يقصد به القدرة على التحكم في القلق وضبط النفس والسلوكيات في المواقف الانفعالية، ويعبر عنها إجرائياً بالدرجة التي يحصل عليها الطالب في استجابته لبنود هذه السمة.

ويكون المقياس في مجمله من جزأين، أوضحت الباحثة في الجزء الأول طريقة الإجابة، وفي الجزء الثاني فقرات المقياس، وبدائل الإجابة.

صدق الأداة: تم عرض المقاييس (مقياس الضغوط النفسية ومقياس سمات الشخصية) بصورتها الأولية على مجموعة من الأساتذة من ذوي الاختصاص في مجال البحوث التربوية والنفسية واللغة العربية وذلك لتحديد ما إذا كانت فقرات المقاييس تقيس الأهداف التي وضعت من أجلها إلى جانب ذلك التأكد من سلامة الفقرات لغوياً ووضوحها ومدى مناسبتها لمستوى فهم الطلاب. ولقد أبدى الأساتذة المحكمون جملة من الملاحظات والمقترحات اتجه بعض الفقرات والتي وضعتها الباحثة بعين الاعتبار.

تطبيق الأداة: بعد وضع الصورة النهائية للمقياسين تم تطبيقهما على عينة البحث بإشراف الباحثة على عملية التطبيق بعد توضيح لعينة البحث الهدف من الأداة وطريقة الإجابة عليها، وقد أبدى الطلاب (عينة البحث) تعاونهم، وتم استرجاع جميع استمارات الأداة الموزعة على أفراد العينة كاملة ودون فاقد، مما أشعر الباحثة بوعي واهتمام عينة البحث بأهمية الموضوع المدروس.

المعالجة الإحصائية: تم تفريغ البيانات في جداول تكرارية وتم استخراج النسب المئوية لها.

عرض النتائج ومناقشتها

١- الإجابة عن الفرض الأول والذي ينص على أنه (لا توجد ضغوط نفسية لدى طلاب كلية التربية بالعجيلات). وللإجابة عن هذا الفرض قامت الباحثة بإيجاد التكرارات والنسب المئوية لبدائل الإجابة على مقياس الضغوط النفسية لعينة البحث والمتمثلة في العلوم الإنسانية والعلوم التطبيقية.

جدول (٢) يوضح درجة التكرار والنسب المئوية

لبدائل الإجابة لمقياس الضغوط النفسية لإجابات عينة البحث قسم (العلوم الإنسانية)

ت	البدائل	التكرار	النسبة المئوية
١	لا أشعر	٢١٨	٪ ٢٥,٧٠
٢	قليلة	٢٤٢	٪ ٢٨,٥
٣	متوسطة	١٤٠	٪ ١٦,٥
٤	كبيرة	١٠٥	٪ ١٢,٣
٥	كبيرة جداً	١٤٣	٪ ١٦,٨
المجموع		٨٤٨	

من خلال بيانات الجدول الموضح أعلاه لاحظ بأنه توجد ضغوط نفسية لدى عينة البحث (القسم علوم إنسانية) وبدرجات متفاوتة، حيث كانت نسبة مما أجابوا على البديل بدرجة قليلة (٢٨٪) أي (٢٤٢) طالباً وطالبة، وكانت نسبة من أجابوا على البديل بدرجة متوسطة (١٦٪) أي (١٤٠) طالباً وطالبة، وكانت نسبة من أجابوا على البديل بدرجة كبيرة (١٢٪) أي (١٠٥) طالباً وطالبة وكانت نسبة من أجابوا على البديل بدرجة كبيرة جداً (١٦٪) أي (١٤٣) طالباً وطالبة، وهذا ما يدل على وجود ضغوط نفسية بين الطلاب ولكن بدرجات متفاوتة.

جدول (٣) يوضح درجة التكرار والنسب المئوية لبدائل الإجابة

لمقياس الضغوط النفسية لإجابات عينة البحث قسم (العلوم التطبيقية)

ت	درجة الشعور	التكرار	النسبة المئوية
١	لا أشعر	٢١٥	٪ ٢٥,٣
٢	قليلة	٢٤١	٪ ٢٨,٤
٣	متوسطة	٢٤١	٪ ١٦,٦
٤	كبيرة	١٠٨	٪ ١٢,٧
٥	كبيرة جداً	١٤٣	٪ ١٦,٨
المجموع		٨٤٨	

من خلال بيانات الجدول الموضح أعلاه لاحظ بأنه توجد ضغوط نفسية لدى عينة البحث (القسم علوم تطبيقية) أيضاً وبدرجات متفاوتة، حيث كانت نسبة مما أجابوا على البديل بدرجة قليلة (١٢٪) أي (٢٤١) طالباً وطالبة، وكانت نسبة من أجابوا على البديل بدرجة متوسطة (١٦٪) أي (١٤١) طالباً وطالبة، وكانت نسبة من أجابوا على

البديل بدرجة كبيرة (١٢٪) أي (١٠٨) طالباً وطالبة وكانت نسبة من أجابوا على البديل بدرجة كبيرة جداً (١٦٪) أي (١٤٣) طالباً وطالبة، وهذا ما يدل على وجود ضغوط نفسية بين أفراد عينة البحث القسم (علوم تطبيقية) ولكن بدرجات متفاوتة وبناءً على النتائج المتعلقة بالفرض الأول، فإن الفرض يرفض ويقبل الفرض البديل الذي ينص على أنه توجد ضغوط نفسية لدى طلاب كلية التربية بالعجيلات.

٢- الإجابة عن الفرض الثاني والذي ينص على أنه: (لا توجد فروق بين الطلاب تبعاً لمتغير التخصص الدراسي «علوم تطبيقية - علوم إنسانية» في الضغوط النفسية لدى طلاب كلية التربية بالعجيلات).

من خلال إيجاد النسب المئوية لأبعاد مقياس الضغوط النفسية المطبق على عينة البحث، حيث كانت النسب المئوية للضغوط النفسية لطلبة العلوم التطبيقية هي (٨٦, ٩٩٪)، بينما كانت النسبة المئوية للضغوط النفسية لطلبة العلوم الإنسانية (٩٨, ٩٩٪) لاحظ الباحثون أن النسب متقاربة جداً، أي أنه لا توجد فروق بين طلبة العلوم التطبيقية وطلبة العلوم الإنسانية في الضغوط النفسية، مما يؤكد صحة الفرض.

٣- الإجابة عن الفرض الثالث والذي ينص على أنه: (لا يوجد ارتباط بين الضغوط النفسية وبعض سمات الشخصية لدى طلاب كلية التربية بالعجيلات). للإجابة على هذا الفرض قامت الباحثة من خلال البيانات المتعلقة بمقياس الضغوط النفسية ومقياس سمات الشخصية المطبق على عينة البحث تم حساب معامل الارتباط بينهم، حيث تم إيجاد معامل ارتباط الدرجة الكلية للضغوط النفسية مع كل سمة من سمات الشخصية الموضحة بالمقياس.

جدول (٤) يوضح سمات الشخصية وتكرارها

والنسب المئوية لإجابات عينة البحث (القسم العلمي)

ت	السمة	التكرار	النسبة المئوية
١	التألف	١٠٧	١٦,٥ ٪
٢	الاندفاعية	١٠٨	١٦,٦ ٪
٣	السيطرة	١٠٨	١٦,٦ ٪
٤	الذكاء	١٠٨	١٦,٦ ٪
٥	المغامرة	١٠٩	١٦,٨ ٪
٦	التنظيم	١٠٨	١٦,٦ ٪
المجموع		٦٤٨	

جدول (٥) يوضح سمات الشخصية وتكرارها

والنسب المئوية لها لإجابات عينة البحث (القسم الأدبي)

ت	السمة	التكرار	النسبة المئوية
١	التألف	١٠٨	١٦,٦ ٪
٢	الاندفاعية	١٠٦	١٦,٣ ٪
٣	السيطرة	١٠٩	١٦,٨ ٪
٤	الذكاء	١٠٦	١٦,٣ ٪
٥	المغامرة	١١١	١٧,١ ٪
٦	التنظيم	١٠٨	١٦,٦ ٪
	المجموع	٦٤٨	

جدول (٦) يوضح العلاقة بين الدرجة الكلية للضغوط النفسية

مع كل سمة من سمات الشخصية

ت	سمات الشخصية	معامل الارتباط مع الدرجة الكلية للضغوط النفسية	الاستنتاج
١	التألف	٠,٣٥ -	عدم وجود علاقة
٢	الاندفاعية	٠,٧٣ -	وجود علاقة عكسية
٣	السيطرة	٠,٠٥٩ -	وجود علاقة عكسية
٤	الذكاء	٠,٠٧٤	وجود علاقة طردية
٥	المغامرة	٠,٠٣٣	عدم وجود علاقة
٦	التنظيم	٠,٠٤١	عدم وجود علاقة

من خلال الجدول السابق (٦) لاحظ عدم وجود علاقة ارتباط بين الدرجة الكلية لمقياس الضغوط النفسية مع بعض سمات الشخصية مثل سمة (التألف، المغامرة، التنظيم) كذلك وجود علاقة ارتباط عكسية بين الدرجة الكلية لمقياس الضغوط النفسية وبعض سمات الشخصية مثل سمة (الاندفاعية - السيطرة) كذلك لاحظ وجود علاقة ارتباط بين الدرجة الكلية لمقياس الضغوط النفسية وبين سمة الذكاء.

تفسر الباحثة وجود علاقة عكسية بين الضغوط النفسية وسمة الاندفاعية بأنه كلما ارتفعت درجة شعور الطالب الجامعي بالضغوط النفسية كلما انخفضت درجة شعوره بالحيوية والنشاط والحماس فما يجده الطالب نتيجة تفاعله مع الآخرين أو مع مشاكله الفردية أو مع الأسرة أو بدراسته وتعرضه لهذه الضغوط يشعره بالفشل والإحباط مما يقلل من نشاطه وحيويته وبالتالي يشعره بالعجز في مواجهة تلك الضغوط. أيضاً وجود علاقة عكسية بين الضغوط النفسية وسمة السيطرة يدل على أنه كلما ارتفعت درجة شعور

الطالب الجامعي بالضغوط النفسية كلما انخفضت درجة شعوره بالرغبة في فرض النفوذ على الآخرين والميل للتنافس. كذلك لاحظ وجود علاقة ارتباط بين الضغوط النفسية وسمة الذكاء، أي أنه كلما ارتفعت الضغوط النفسية كلما ارتفعت درجة شعوره بالذكاء في مواجهة تلك الضغوطات أي أنه زاد درجة شعوره باعتماده على نفسه باستخدام تفكيره والحلول الممكنة للتغلب على تلك الضغوطات، وبالتالي قدرته على تعديل سلوكه وصقل شخصيته، فالشخصية ما هي إلا انعكاس للصورة الذاتية للفرد.

٤- الإجابة عن الفرض الرابع: والذي ينص على أنه (تسود الضغوط النفسية بين طلاب كلية التربية بالعجيلات بدرجة مرتفعة).

للإجابة عن هذا الفرض وبالنظر إلى بيانات الجدولين رقم (٤) ورقم (٥) والمتعلقة بالضغوط النفسية تم إيجاد النسبة المئوية للضغوط المرتفعة من خلال الجدول الآتي:

جدول رقم (٧) يوضح النسب المئوية للضغوط النفسية المرتفعة لعينة البحث

العلوم الإنسانية		العلوم التطبيقية		درجة الشعور
ك	النسبة المئوية	ك	النسبة المئوية	
٢٤٢	٣٨,٤٤٪	٢٤١	٣٨,٠٪	قليلة
١٤٠	٢٢,٢٢٪	١٤١	٢٢,٢٧٪	متوسطة
١٠٥	١٦,٦٦٪	١٠٨	١٧,٠٪	كبيرة
١٤٣	٢٢,٦٩٪	١٤٣	٢٢,٥٩٪	كبيرة جداً
٦٣٠		٦٣٣		المجموع

تلاحظ الباحثة ومن خلال بيانات الجدول الموضح أعلاه أنه تسود الضغوط النفسية بدرجة مرتفعة بين أفراد عينة البحث حيث وجدوا نسبة السيادة المرتفعة في قسم العلوم الإنسانية (٣٩, ٢٥)، ونسبة السيادة المرتفعة للضغوط النفسية في قسم العلوم التطبيقية (٢٩, ٥٩) مما يدل على وجود ضغوط نفسية مرتفعة بين طلاب كلية التربية العجيلات.

أولاً: النتائج

- ١- وجود ضغوط نفسية لدى طلاب كلية التربية العجيلات.
- ٢- لا توجد فروق بين طلاب كلية التربية بالمعجيلات تبعاً لمتغير التخصص الدراسي (علوم تطبيقية - علوم إنسانية) في الضغوط النفسية.
- ٣- توجد علاقة ارتباط عكسية بين بعض سمات الشخصية مثل (سمة الاندفاعية - السيطرة) والضغوط النفسية لعينة البحث بينما لا توجد علاقة بين سمة (التآلف - المغامرة - التنظيم) والضغوط النفسية لعينة البحث، أيضاً توجد علاقة طردية بين سمة (الذكاء) والضغوط النفسية لعينة البحث.
- ٤- تسود الضغوط النفسية بين طلاب كلية التربية بالمعجيلات وبنسب مختلفة بينهم.

ثانياً: التوصيات

- إنشاء مركز للإرشاد النفسي بكلية التربية بالمعجيلات وذلك لإرشاد الطلاب إلى دخول التخصصات المناسبة لقدراتهم وإمكانياتهم مع مراعاة سماتهم الشخصية - كذلك التعامل مع مشكلات الطلاب بصورة دورية واقتراح البرامج الإرشادية المناسبة لهم أيضاً تدريب الطلاب على المهارات اللازمة لهم في الحياة «المهارات الحياتية» للنجاح في الحياة والتخلص من الضغوط النفسية.
- الاهتمام بمقررات التوجيه والإرشاد النفسي التي تدرس بالكلية، وتدريبها في جميع الأقسام المختلفة التطبيقية والإنسانية والعمل على تطويرها.
- تدريس مناهج المهارات وخاصة المهارات الحياتية في مختلف التخصصات بالكلية، والعمل على الاستفادة منها في تنمية مهارات الطالب المختلفة للتقليل من الضغوط النفسية والتخلص منها، والتفاعل بإيجابية مع الحياة.

ثالثاً: المقترحات

- إجراء أبحاث تتعلق بالضغوط النفسية لدى الجامعات والكليات المختلفة من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس بها.
- إجراء أبحاث عن الضغوط النفسية وعلاقتها بالصحة النفسية لدى طلاب كليات التربية.
- إجراء أبحاث تتعلق بالضغوط النفسية لدى طلاب كليات التربية وفق متغير الجنس (ذكر - أنثى).

قائمة المراجع

- ١- أحمد، صلاح (٢٠٠٧): الشخصية والطموح، بيروت: مكتبة الهلال، ط٣.
- ٢- المبدل، منيرة (٢٠٠١): إدراك الضغوط النفسية وعلاقتها ببعض سمات الشخصية لدى عينة من طالبات جامعة الملك سعود بمدينة الرياض، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية: جامعة الملك سعود.
- ٣- صالح، فتحية (٢٠١٢): الضغوط النفسية وعلاقتها بسمات الشخصية لدى طلاب جامعة سبها بليبيا، رسالة دكتوراه - غير منشورة، كلية التربية، جامعة الخرطوم.
- ٤- عدنان، أحمد (٢٠٠٩): الضغوط النفسية لدى طلاب جامعة وعلاقتها ببعض السمات الشخصية، رسالة ماجستير - غير منشورة، كلية الآداب: جامعة قاريونس.
- ٥- لجنة التعريب والترجمة (٢٠٠٧): أساليب الاضطرابات السلوكية، غزة: دار الكتاب الجامعي.

علاقة العلاقات الإنسانية بالدوافع

د. أحمد المسعودي*



منهجية المقال

يتبع الباحث في هذا المقال وصف العلاقات الإنسانية بتناولها بعدد من الجوانب خاصة التي تشمل عنصر الدافعية، ثم يصف الباحث الدوافع، ويذكر عدد من النظريات التي تهتم بقيمة الفرد، والعلاقات الإنسانية، والدافعية. مستنبطاً من ما سبق علاقة العلاقات الإنسانية بالدوافع ومتوصلاً قدر الإمكان بعدد من النتائج والتوصيات.

مقدمة

إن الحديث عن علاقة الدوافع بالعلاقات الإنسانية يتسم بالأهمية، وذلك لأن هذا الموضوع يحتاج من الباحثين في مجال الإدارة عامة والإدارة التربوية خاصة المزيد من الاهتمام والبحث نظراً لأنه عامل أساسي في رفع الإنتاجية في المؤسسات العامة والتعليمية من جهة ومن جهة أخرى في رفع الروح المعنوية لدى العاملين، وسوف يتناول الباحث في هذا المقال كل من العلاقات الإنسانية والدوافع مع تركيزه لإظهار علاقة العلاقات الإنسانية بالدوافع.

* دكتورة علم نفس تربوي، وأستاذ مساعد القسم التربوية وعلم نفس عضو هيئة تدريس بقسم التربية وعلم النفس
كلية التربية في جامعة تبوك/ السعودية. Unm3030@yahoo.com - aelmasoudy@ut.edu.sa

العلاقات الإنسانية

تعريف العلاقات الإنسانية

تعريف العلاقات الإنسانية قد تناولها الأخصائيون وعلماء الاجتماع وكثير من الباحثين، تناولوها من جوانب مختلفة حسب رؤيتهم للعلاقات الإنسانية وحسب أهداف دراستهم.

- فيعرفها KEITH DAVIS: بأنها تقوم على التفاعلات بين الناس، حيث يجتمعون في تشكيلات لتحقيق أهداف محددة، فالعلاقات الإنسانية هي فن وعلم تطبيقي يهتم بجعل الأشياء تعمل، وهي أيضاً تكامل الناس في موقف عمل يدفعهم إلى العمل معاً بشكل منتج ومتعاون، فيه رضا اقتصادي ونفسي واجتماعي. (الدويك، ١٩٩٨، ص ٤٢)

- أما (صالح الشبكشي) فيعرفها: بأنها الوسيلة للوصول إلى جهود جماعية مثمرة ومشبعة، تعمل على إيجاد التماسك بين الأفراد في مجال العمل بطريقة تضمن تحريك دوافعهم كفريق واحد. (شبكشي، ١٩٨٠، ص ٢٠)

- أما (النمر) فيعرفها: بأنها ذلك النوع من علاقات العمل الذي يهتم بالجوانب الإنسانية والاجتماعية في المنظمة. وهي بذلك تستهدف الوصول بالعاملين إلى أفضل إنتاج في ظل أفضل ما يمكن أن يؤثر على الفرد من عوامل نفسية ومعنوية باعتباره إنساناً وجدانياً وانفعالياً، أكثر منه رشيداً ومنطقياً. (النمر وآخرون، ١٩٩١، ص ٥٦)

يرى الباحث أن من خلال ما سبق يتبين أن التعريف الأول لـ (DAVIS) الذي يعتبر فيه أن العلاقات الإنسانية هي التكامل بين الناس في موقف العمل والذي يؤدي بهم عن طريق إثارة دوافعهم بالانكباب نحو العمل لرفع وتطوير الإنتاج، والتعاون فيما بينهم يحقق إشاعاتهم المختلفة، فهو يتشابه ويقترّب من تعريف (صالح الشبكشي) الذي يعتبر العلاقات الإنسانية كوسيلة هامة لتحفيز العمال وتشجيعهم على التعاون والتقارب فيما بينهم عن طريق بذل المجهودات لتحقيق حاجاتهم المشتركة وتحقيق أهداف الوحدة أو المؤسسة للعاملين فيها، وهذا يؤيد ما جاء به النمر في رفع الإنتاجية إلى أفضل وضع مراعيًا العوامل النفسية والمعنوية للإنسان الوجداني والانفعالي.

ومن خلال التعريفات السابقة للعلاقات الإنسانية يمكن تلخيص مفهومها في النقاط التالية:

١- إثارة دوافع الأفراد يعتبر أحد العوامل الأساسية في العلاقات الإنسانية.

٢- تحفز العلاقات الإنسانية الأفراد في مجموعات على الإنتاج.

- ٣- تعمل على تنمية روح التعاون بين الأفراد في محيط العمل.
- ٤- تمكن العلاقات الإنسانية الأفراد من إشباع حاجاتهم الاقتصادية والنفسية والاجتماعية.
- ٥- تركز العلاقات الإنسانية على العنصر البشري أكثر من التركيز على الجوانب المادية.

أهمية العلاقات الإنسانية

أعطى ديفيز توضيحاً شاملاً لأهمية العلاقات الإنسانية من خلال تحليله لأبعاد مفهومها، فكانت أهميتها تتحدد فيما يلي:

١. إن العلاقات الإنسانية يسعى من خلالها عمل الفريق أو العمل الجماعي إلى إشباع الحاجات وتحقيق الأهداف التنظيمية، بدلاً من الاستناد إلى أحدهما دون الآخر.
٢. نشاط العلاقات الإنسانية يمثل إثارة دافعية الإنسان، فالإنسان وحده هو الذي يستطيع أن ينتج من خلال الدافعية عائدًا يفوق أضعاف الجهد المستثمر.
٣. إن الدافعية تسير في اتجاه العمل الجماعي، أو عمل الفريق الذي يستلزم تعاوناً وتنسيقاً بين القائمين بالعمل، ويشير ذلك إلى رغبتهم في العمل نحو تحقيق الهدف.
٤. إن العلاقات الإنسانية تسعى لأن تكون المنظمة والشخص، يسيران نحو تحقيق أهداف مشتركة بأقل جهد وأكثر إنتاجية.
٥. تسعى العلاقات الإنسانية إلى التكلفة بنفسها اقتصادياً ونفسياً من خلال تحقيق أنماط السلوك وازدياد مستوى الفعل المرغوب فيه.
٦. إن العلاقات الإنسانية تركز على الفرد أكثر من تركيزها على الجوانب الاقتصادية أو الميكانيكية.
٧. إن البيئة التي يكون فيها الأفراد في بيئة منتظمة يوجد بينهم اتصال اجتماعي. (الدوسري، ٢٠٠٥، ص ٨٦)

وأيضاً في الأهمية وضحت دراسة قام بها «كورنل» حول التنظيم الاجتماعي للمدرسة فقد أولى «كورنل» اهتماماً كبيراً لجانب العلاقات الإنسانية في التنظيم، وقد وجد من دراسته أن المناخ أو الجو العام لتنظيم المدرسة أهم من الجانب الإداري والبحث، وأن شعور المعلم وإحساسه نحو المدرسة ربما كان من مجال اتساع سلطانه. (الدوسري، ٢٠٠٥، ص ٩٠)

أهداف العلاقات الإنسانية

يرى الشنواني أن هناك ثلاثة أهداف رئيسية للعلاقات الإنسانية وهي:

- ١- تنمية روح التعاون بين الأفراد العاملين داخل مؤسسة العمل.
- ٢- تحفيز الأفراد العاملين في المؤسسة على الإنتاج.
- ٣- إشباع حاجات الأفراد الاقتصادية والنفسية والاجتماعية. (الشنواني، ١٩٩٩، ص ٤٩٨)

أسس للعلاقات الإنسانية

تقوم العلاقات الإنسانية في الفكر الإداري المعاصر على أسس معينة فأذكر ما ذكرها (الشنواني) وهي كالتالي:

- ١- المصلحة المشتركة: وتعني أن هناك مصلحة مشتركة بين العامل والمؤسسة، فكلهما يسعى لتحقيق أهداف لا يمكن تحقيقها بدون الطرف الآخر.
- ٢- تباين الأفراد: هذا يعني أن كل فرد يختلف عن الآخر، ولا بد من مراعاة حالة كل فرد وإشباع حاجاته والابتعاد عن إشباع الحاجات والرغبات بطريقة نمطية.
- ٣- الدوافع: تعني الوسيلة التي يمكن بواسطتها للقائد الإداري أن يزيد من رغبة العاملين في العمل، وذلك من أجل تحقيق أهداف معينة سعياً وراء إشباع حاجاتهم ورغباتهم.
- ٤- الكرامة الإنسانية: تعني الرغبة في أن يعامل الفرد باحترام وتقدير، بغض النظر عن اعتبارات الدين واللغة واللون. (الشنواني، ١٩٩٩م، ص ٥١٣)

الأسس التي تعتمد على العلاقات الإنسانية

- ١- الاهتمام بقيمة الفرد.
- ٢- المشاركة والتعاون.
- ٣- العدالة في توزيع العمل.
- ٤- التحديث والتجديد والتطوير. (محاضرات أ.د. أحمد غنيم)

بينما حدد الحقييل أسس العلاقات الإنسانية في المجال التربوي فيما يلي:

- ١- العمل على إيجاد تفاهم بين الإدارة المدرسية وجميع العاملين بها، وبالتالي تماسك الجمهور الداخلي وتدعيم الجماعة داخل المدرسة.
- ٢- مراعاة الصدق والأمانة في شرح كل ما يصدر من قرارات حرصاً على كسب ثقة العاملين ورضاهم، حتى تنجح المدرسة في تأدية رسالتها.

٣. التمسك بأهداف العمل وإتقان القول والعمل واتباع المبادئ والقيم السامية التي أرساها الإسلام في جميع التصرفات.
 ٤. الابتعاد عن اتخاذ مواقف سلبية وعن تغطية المساوئ وأوجه الخطأ، لأن ذلك يضرب ستاراً يحجب الحقيقة ويعرقل وضوح الرؤية.
 ٥. إظهار الحقائق في صراحة ووضوح حرصاً على كسب ثقة العاملين؛ لأن إخفاء الحقائق يفقد الثقة بالمدرسة.
 ٦. المساهمة في رفاهية المجتمع الداخلي بالمدرسة وتقويم أفرادها.
 ٧. اتباع مناهج البحث العلمي المبنية على المنطق والتحليل الموضوعي في حل أي مشكلة، حتى يمكن الوصول إلى قرار سليم مبني على الوقائع.
- (الحقيل، ١٩٩٧، ص ١٨٧)

عناصر العلاقات الإنسانية

هناك ثلاث عناصر هامة تؤثر على العلاقات الإنسانية الصحيحة وهي:

١. القيادة: وهي القدرة على التأثير في الآخرين؛ كي يعملوا من أجل تحقيق هدف معين، ويتحدد نمط وأسلوب القائد حسب متطلبات الموقف وكذلك طبقاً لحاجات موظفيه ومحددات شخصيتهم، وأيضاً وفقاً للثقافة التنظيمية مما يجعله يؤثر في العلاقات الإنسانية الموجودة في المؤسسة.
٢. الاتصالات: لا تكون من خلال التكلم والاستماع والكتابة والقراءة بين المديرين والموظفين المتعلقة بالعمل فقط، ولكن تكون أيضاً ببناء شبكات من العلاقات الشخصية وأنماط من التفاعلات فيما بينهم.
٣. الدافعية: وهي القوة التي تدفع الأفراد للقيام بعمل ما، وفي بعض الحالات نجد أن الخوف من الإدارة أو من فقد الوظيفة قد يدفع شخص ما للتصرف بشكل ما ولكن ذلك يكون أقل فاعلية عن تشجيع الفرد للتحرك من تلقاء نفسه، وإظهار ملكاته الابتكارية واعتداده بنفسه لقيامه بعمل جيد، فعلى المدير اعتباره الحاجات الشخصية للموظف. (راتشمان وآخرون مترجم، ٢٠٠١، ص ٢٤٩-٢٥٠)

خطوات بناء العلاقات الإنسانية

يستطيع المدير الناجح أن يبني علاقات طيبة مع العاملين، ويحدد القحطاني أهم الخطوات التي لا بد من مراعاتها عند بناء علاقات إنسانية وهي:

١. المحافظة على كرامة الفرد: عندما يشعر الفرد بأن كرامته مصونة ومعتبرة يسارع إلى التفاني في عمله وبذل أقصى مجهوده. (القحطاني، ١٩٨٧، ص ٢٣) وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ...﴾ (سورة الإسراء).

٢. معرفة ومراعاة الحقوق والواجبات الإنسانية: مثل كفالة الحرية الدينية واحترام آراء الغير وأفكارهم والتخاطب بالكلام الحسن والصدق في المعاملة والعدل والمساواة والقضاء على العنصريات القبلية.

٣. تنفيذ إجراءات التأديب والحوافز: حيث يكون هدف التأديب الإصلاح والتقويم ورفع الكفاءة عند الفرد، أما الحوافز فهي تهییء عند الفرد إنساناً يشعر بمكانته وأهميته وتقدير الآخرين له.

٤. الثقة في كل الأفراد: أي منح الجميع الثقة كل حسب قدراته وعدم تخصيص هذه الثقة لفرد أو أفراد وإهمال البقية. (القحطاني، ١٩٨٧، ص ٢٤)

العوامل التي تؤثر على تكوين العلاقات الإنسانية

- ١- احترام شخصية العاملين من خلال الاهتمام بهم وبمشاكلهم والأخذ بأرائهم وتشجيع ما يساعد على زيادة علاقة المحبة والمودة.
- ٢- الدافعية.
- ٣- العمل مع جماعة.
- ٤- دينامية الجماعة. (محاضرات أ. د. أحمد غنيم)

العوامل والمبادئ التي تسهم في بناء العلاقات الإنسانية

- حددها الضحيان مجموعة من المبادئ التي تسهم في العلاقات الإنسانية فيما يلي:
- تحديد المسؤولية، والتحقق حتى لا يظلم البريء، استشعار الأخوة، حسن الظن بالموظف، عدم الغش، الصلح بين الموظفين، العدل بين الموظفين، حسن التعامل، العفو، التعاون بين المجتمع، الصدق قولاً وعملاً، حسن التقدير والمكافأة. (الضحیان، ١٩٩١، ص ١٦١-١٦٣)

- كما حددت الطويرقي العوامل والمبادئ التي تسهم في بناء وتوثيق العلاقات الإنسانية في ضوء السيرة النبوية وهي كما يلي:

صفات القائد المثالي

- | | |
|-------------------------|------------------------------|
| (١) مبدأ الحلم | (٢) مبدأ التواضع ولين الجانب |
| (٣) مبدأ حسن الظن | (٤) مبدأ الوضوح في التعامل |
| (٥) مبدأ العفو والتسامح | (٦) مبدأ الصبر |

- (٧) مبدأ الحزم
(٨) مبدأ العدل
(٩) مبدأ مراعاة المصلحة العامة
(١٠) مبدأ الوفاء بالوعد
(١١) مبدأ إعطاء الحق لأهله
(١٢) مبدأ الوضوح في إعطاء التعليمات
(١٣) مبدأ مخاطبة الناس على قدر عقولهم
(١٤) مبدأ إنزال الناس منازلهم

تنمية روح الفريق الواحد

١. مبدأ الأخوة
٢. مبدأ التناصح
٣. مبدأ المشاركة
٤. مبدأ تشجيع روح المبادرة
٥. مبدأ المحبة
٦. مبدأ الطاعة
٧. مبدأ إكرام الفرد
٨. مبدأ التعاون
٩. مبدأ الاحترام والتقدير

الشعور الإنساني

١. مبدأ الرحمة
٢. مبدأ، التبشير بالخير
٣. مبدأ الإحسان
٤. مبدأ مراعاة الآخرين:

اكتشاف المواهب وحسن التوجيه

١. مبدأ اكتشاف القدرات
٢. مبدأ اختيار الشخص المناسب
٣. مبدأ تقدير الإمكانات والقدرات
٤. مبدأ تولية الأصلح

تصويب الأخطاء

- ١- مبدأ معاتبة المخطئ
٢- مبدأ قبول العذر
٣- مبدأ العفو عن المخطئ

أساليب التحفيز الإداري الفعال

١. الحوافز المادية
٢. مبدأ الحوافز المعنوية
٣. مبدأ القول الحسن
٤. مبدأ مكافأة المحسن

صنع القرار

- ١- مبدأ الشورى:
٢- مبدأ تشجيع المبادرة في إبداء الرأي
٣- مبدأ الحرية في الموافقة على رأي الرئيس
٤- مبدأ توخي الحكمة في التصرف واتخاذ القرار. (الطويرقي، ٢٠٠٢، ص ٦٩-٢٥٩)

مدرسة العلاقات الإنسانية

من روادها التون مايو ولقد جاءت كرد فعل لنظرية الإدارة العلمية. تفترض مدرسة العلاقات الانسانية بأن الإنسان مخلوق اجتماعي يسعى إلى علاقات أفضل مع الآخرين، وأن أفضل سمة إنسانية جماعية هي التعاون وليس التنافس. وبناء عليه انعكس ذلك على كيفية تفسير السلوك الإنساني التنبؤ به والتحكم فيه، فالفرد في المنظمة يتفاعل مع المجموعة التي يعمل معها ويتأثر في سلوكه بأرائها ومعتقداتها. وإن شعور الفرد بانتمائه للمجموعة هو الذي يحفزه للبذل والعطاء وأن إشباع حاجاته الاجتماعية قبل المادية هو الأساس في تحفيزه للعمل. فأصبح اهتمام دعائها يتركز على دراسة الحاجات الاجتماعية والنفسية للفرد العامل، وتزايد الاهتمام بمشاعر الأفراد وزاد التركيز على الحوافز الجماعية باعتبارها المحرك الأساسي لقدرات العاملين لزيادة الإنتاج في المنظمة، ولكن هذه الدراسة واجهت انتقادات عديدة أهمها:

١. على الرغم من اهتمام دعاة هذه المدرسة بالعوامل الإنسانية والحوافز الجماعية للفرد العامل إلا أن فلسفتهم لم تأت بجديد. فقد ظلت مشاكل الإنتاجية هي المحور الذي تدور فيه نظرية العلاقات الإنسانية.
٢. اهتمت هذه المدرسة بالجانب الاجتماعي والمعاملة الحسنة للعامل واعتبرت ذلك هو المتغير الأساسي لزيادة الإنتاجية، وأهملت التنظيم الرسمي للمنظمة والجوانب الفنية كعوامل هامة في العملية الإدارية.
٣. أهملت المؤثرات البيئية على المنظمة ولم تستطيع تصور حقيقة التنظيم كاملة كنظام فرعي يتأثر بالبيئة الاجتماعية ويؤثر فيها، بل ظل اهتمامها بالفرد العامل داخل المنظمة ولم تناقش أثر البيئة الاجتماعية على المنظمة، فظلت نظرية جزئية في نظرتها. (العيان، ٢٠٠٥، ص ٤٤-٤٧) فاهتمت ببيئة العمل الاجتماعية والعاملين ومشاعرهم الإنسانية، ومن الذين تبنوا هذه المدرسة، ويعتبروا رواداً لها هم:

(١) لدوجلاس ماجرجور

(٢) ماري بركر فوليت.

(٣) التون مايو.

(٤) شستر بارنارد واينر. (الدوسري، ٢٠٠٥، ص ٢٢٥)

الدوافع

تعريف الدوافع

الدافع (Motive): هو حالة من التوتر الجسمي النفسي تثير السلوك وتوصله حتى يخف هذا التوتر أو يزول فيستعيد الفرد توازنه. (راجع، ١٩٩٩، ص ٧٩)

الدافع (Motive): هي إحدى خصائص السلوك الإنساني وأنها أقوى الطاقات النفسية الداخلية توجه وتنسق بين تصرفات الفرد وسلوكه أثناء استجابته مع المواقف والمؤثرات البيئية المحيطة به وتتمثل هذه الطاقات بالرغبات والحاجات والتوقعات التي يسعى إلى إشباعها. (العديلي، ١٩٨٣، ص ٣٩)

الدافعية (Motivation): هي القوة التي تحرك سلوك الفرد، وتستثيره لأداء العمل، ويعتمد هذا الأداء على درجة هذه القوة. (القريوتي، ١٩٨٩، ص ٣٣)

أشار خليفة إلى مجموعة من التعريفات التي قدمها الباحثون لمفهوم الدافع أو الدافعية وهي على النحو التالي:

- تعريف يونغ للدافعية: هي عبارة عن حالة استثارة وتوتر داخلي تثير السلوك وتدفعه إلى تحقيق هدف معين.
- تعريف ماسلو: هي خاصية ثابتة ومستمرة ومتغيرة ومركبة وعامة تمارس تأثير الكائن الحي.
- تعريف بك الدافعية: هو التوجه والمثابرة وقوة السلوك الموجه نحو الهدف.

- وأوضح كاتل وكلين أن للدافعية ثلاثة جوانب تتمثل في الآتي:

- الأول: الميل بشكل تلقائي لبعض الأشياء دون البعض الآخر.
- الثاني: إظهار حالة انفعالية خاصة بالحافز ومدى تأثيره.
- الثالث: الاندفاع إلى مجموعة من الأفعال ذات هدف وغاية. (خليفة د. ت، ٦٩-٧٠).

ويرى الباحث أن مفهوم الدافع يرادف مفهوم الدافعية حيث أنه لا يوجد ما يبرر التفريق بينهم وأن الدافعية هي المفهوم الأكثر عمومية.

تصنيف الدوافع وأهميتها

تعدد تسمية الدافع بين العلماء كالحاجة والحافز والباعث والغاية ولكن درج العلماء، بغض النظر عن التسمية التي يطلقونها على الدوافع، إلى تقسيمها لقسمين رئيسيين هما: الدوافع البيولوجية والدوافع النفسية الاجتماعية. فالدوافع البيولوجية

واضحة كالجوع والعطش وغيرها، والدوافع النفسية والاجتماعية هي التي لا تعرف لها أساس بيولوجي واضح كالتملك والاحترام والتفوق والسيطرة وغيرها ويكون للبيئة دور فيها. (قطامي وآخرون، ٢٠٠٢، ص ٢٠٧)

وأهميتها تساعد الإنسان على الحياة فتمكنه من التكيف مع البيئة الطبيعية والاجتماعية وتحقق له الاستمرار والدوام بإذن الله والحياة الناجحة. (زيدان، ١٩٩٤، ص ٤٤)

وظائف الدوافع في التربية

١. إمداد السلوك بالطاقة وإثارة النشاط: فالتعلم يحدث عن طريق النشاط الذي يقوم به الفرد ويحدث هذا النشاط عن ظهور دافع أو حاجة تسعى إلى الإشباع، ويزداد بزيادة شدة الدافع.

٢. اختيار النشاط وتحديده: الدوافع تجعل الفرد يستجيب لبعض المواقف ويهمل البعض الآخر حسب مايدفعه.

٣. توحيد السلوك: يرتبط بإثارة النشاط وتحديده ارتباطاً وثيقاً، فلا يكفي أن نثير في نفس الشخص القانع شعوراً بعدم الرضا عن حاله الراهنة لنحقق ما نريد له من نمو وتقدم ورفعة، وإنما ينبغي أن نوجهه صوب أهداف محددة يسيرة التحقيق. (زيدان، ١٩٩٤، ص ٦٣-٦٤)

خصائص الدوافع

إن لهذه الدوافع خصائص تتميز بها ويتوجب على أي إدارة مؤسسة تفهمها وهي كالآتي:

١. تعقد حاجات الإنسان، وتداخله، بحيث أن بعضها يؤثر في بعض.
٢. تشكيل حاجات الفرد، وتغيراتها ناجم عن تركيب شخصيته، ودرجة نضوجها والتغيرات التي تحدث فيها.
٣. قد يحرك دافع واحد أو دوافع متنوعة سلوك الفرد في آن واحد.
٤. إن الدوافع التي تحرك سلوك الفرد، قد تكون معروفة له، وقد تكون مجهولة.
٥. تأثر الدوافع بالظروف الاقتصادية، وجماعة العمل، والبيئة الوظيفية.
٦. قد تتمكن الإدارة من خلال التدريب، والقيادة، والقودة من توجيه دوافع العاملين، وتطويرها، وإعادة ترتيبها. (عبدالوهاب، ١٩٨٤، ص ١٥٠)

فمن توضيح كاتل وكلين للدافعية أشارا إلى الحافز فهذا يلزمنا التعرف على الفرق بين الحافز والدافع.

الفرق بين الدافع والحافز

الدافع استعداد ذو وجهين وجه داخلي محرك، ووجه خارجي هو غاية أو هدف يتجه السلوك الصادر عن الدافع كالأكل والشرب أو الظفر بمركز اجتماعي مرموق. فيسمى الوجه الداخلي للدافع بالحافز. والحافز لا يعدو أن يكون حالة من التوتر تولد نزوعاً إلى النشاط العام المنتشر وتجعل الفرد حساساً لبعض جوانب البيئة كرائحة الطعام أو سلوك الجنس الآخر، لكن الحافز وحده لا يوجه السلوك توجيهاً مناسباً لذا يكون السلوك الصادر عنه وحده سلوكاً أعمى، في حين أن السلوك الصادر عن الدافع يكون سلوكاً موجهاً إلى هدف معين. وبعبارة أخرى فالحافز مجرد «دفعه من الداخل» في حين أن الدافع «دفعه في اتجاه معين موجز». (راجع، ١٩٩٩، ص ٨٠)

ويقول شبكشي في الفرق بينهم أن الدافع هو رغبة ذاتية من الداخل الفرد تدفعه نحو عمل معين، فقد ينجح أو يفشل في هذا العمل، أما الحافز فهو مثير يؤثر في الفرد فيدفعه إلى عمل شيء معين، كالمكافأة المالية التي تمنح له إذا هواقم بعمل معين أو زاد من كمية العمل والإنتاج، إذا الدافع يعبر عن الرغبة الحقيقية الخالصة التي تصدر من نفس الفرد. ويكون الحافز قوياً إذا هو حرك دوافع في نفس الفرد من شأنها أن تحقق رغبات يميل لها الفرد، فكلما توافق الدافع والحافز كان ناتج الأداء أعلى وأفضل. (الشبشكي، ١٩٨٣، ص ٢)

وهذا الفرق بين الدافع والحافز يقودنا للتعرف على الفروق بين (الدافع- الباعث- الحاجة - الرغبة - الغاية أو الهدف- الغرض) وذلك من خلال تعريف بسيط لكل منها وهي كالآتي:

الدافع: هو قوة تثير سلوك الفرد إلى غاية أو هدف يرضيه.

الباعث: موقف خارجي مادي أو اجتماعي، يستجيب له الدافع.

الحاجة: حالة من النقص والافتقار أو الاضطراب، الجسمي أو النفسي، إن لم تلق إشباعاً أثارت لدى الفرد نوعاً من التوتر والضيق لا يلبث أن يزول متى قضيت الحاجة.

الرغبة: هي الشعور بالميل نحو أشخاص أو أشياء.

الغاية أو الهدف: هو النهاية التي يقف عندها السلوك المتواصل.

الغرض: هو ما يتصوره الفرد في ذهنه من غايات يقصد إلى بلوغها أو يعزم على تجنبها. (راجع، ١٩٩٩، ص ٨١-٨٢)

تعريفات للحوافز

تعريف الشيخ وآخرون للحفز: على أنه قوة أو شعور داخلي يحرك وينشط سلوك الفرد لإشباع حاجات ورغبات معينة من أجل تخفيف حالات التوتر لنقص في إشباع تلك الرغبات والحاجات، وبشكل أكثر تحديداً فقد وصف الحفز بأنه متغير وسيط لا يمكن ملاحظته بطريقة مباشرة ويؤثر على سلوك الفرد وعلى هذا الأساس فإن الحفز متغير وسيط لا يمكن رؤيته أو سماعه أو الشعور به لكن يمكننا استنتاجه من السلوك فعن طريق ملاحظة سلوك الفرد أثناء قيامه بعمل ما يمكن الاستنتاج فيما إذا كان محفوزاً أم لا وذلك بملاحظة الجهد الذي يبذله في أداء ذلك العمل وهنا تقاس مؤشرات عرضية للحفز وليس الحفز نفسه. (الشيخ وآخرون، ١٩٩٤، ص ٢٠٣-٢٠٤)

تعريف زكي للحافز: هو إحدى الوسائل الفعالة التي تتبعها الإدارة لرفع الكفاية الإنتاجية لدى العاملين بما يكفل تحقيق أهداف المشروع بكفاءة وفاعلية واقتصاد. (هاشم، ١٩٨١، ص ٢٢٨)

- تعريف برسلون وستاير للتحفيز: إنه شعور داخلي لدى الفرد يولد فيه الرغبة لاتخاذ نشاط أو سلوك معين يهدف منه الوصول إلى تحقيق أهداف معينة. وهكذا نجد أن كل سلوك يمارسه الفرد إنما هو في حقيقة الأمر نتيجة دوافع داخلية تتبع من داخل الفرد وإحساسه نحو إشباع احتياجاته غير المشبعة. (الجودة، ١٩٨٧، ص ١٣)

إن الهدف الأساسي للحفز هو زيادة الإنجاز عند الأفراد وهذا الإنجاز يتحقق عن طريق التفاعل ما بين الحفز وقدرات الفرد حيث يمكن التعبير عن ذلك بالمعادلة التالية:

$$\text{إنجاز الفرد} = \text{الحفز} \times \text{قدرات الفرد}$$

وعليه يمكن الاستنتاج بأن اختيار الأفراد وذوي القدرات العالية في العمل لا يكفي لوحده لضمان الإنجاز بالشكل المرغوب وإنما يحتاج إلى عامل آخر يعتبر من واجبات المؤسسة ألا وهو الحفز الكافي لديهم حتى يمكن تحقيق ذلك الإنجاز (الشيخ وآخرون، ١٩٩٤، ص ٢٠٣)

أهمية الحوافز

يرى الهيتمي أهمية الحوافز تتبع من كونها تحقق النتائج التالية:

١. الزيادة في أرباح المنظمة من خلال زيادة الإنتاجية.
٢. زيادة مخولات العاملين وتهيئة الشعور بالاستقرار.
٣. تخفيض كلف العمل في المنظمة من خلال زيادة الاهتمام بنوعيته والحرص على تقليل الهدر.

٤. تلافي الكثير من مشكلات العمل. (هيتي، ٢٠٠٢، ص ٢٨٢)
- ومن جهة أخرى يذكر الأسمرى عدة نقاط تظهر أهمية الحوافز وهي كما يلي:
 ١. توفر الجو المناسب للإنسان لكي يفجر قدراته التي منحها الله ويوظفها في سبيل إنجاح العمل بالشكر المطلوب، كما أنها تهيئ لديه القدرة على الإبداع والابتكار في مجالات عمله المختلفة.
 ٢. تتمشى الحوافز مع الفروق الفردية، فهي وسيلة عادلة لمكافأة المجد ومحاسبة المقصر.
 ٣. توفر للمنظمات في العصر الحالي المناخ الملائم تستطيع أن تبلغ الهدف الذي تسعى إليه. (الأسمرى، ١٩٩٨، ص ٢٤)

شروط فاعلية الحوافز

١. ارتباطها المباشر والواضح مع الأداء.
٢. ارتباطها المباشر مع حاجات الأفراد.
٣. سرعة الحصول عليها بعد الأداء مباشرة.
٤. وضوح أسس وقواعد الحصول عليها. (العميان، ٢٠٠٥، ص ٢٨٢)

أنواع الحوافز الإدارية

١. الحوافز الإيجابية (تأثيرية): وهي المتغيرات التي تسهم في زيادة إنتاج الفرد، حيث تحثه على القيام بالسلوك المطلوب ويزيد هنا اهتمامه بالعمل وتحقيق رضاه، ومن ثم رفع مستوى أدائه كماً وكيفياً.
٢. الحوافز السلبية (تأثيرية): هي المتغيرات أو الوسائل التي تخدم اهتمام الفرد بالعمل أو الامتناع عن سلوك معين ويؤثر سلباً على درجة رضائه، وبالتالي انخفاض في أدائه مثل لائحة الجزاءات.
٣. الحوافز الفردية: قد تكون الحوافز إيجابية أو سلبية فقد تكون إيجابية تمنح للفرد في شكل مادي أو معنوي.
٤. الحوافز الجماعية: تستخدم لحث فريق جماعي على الترابط والتعاون لتحقيق أداء جماعي فعال.
٥. الحوافز المادية: تعتمد الحوافز الإيجابية المادية على المكافآت المالية مثل منح المكافآت المالية والترقية والحوافز السلبية المادية تعتمد على العقاب المادي مثل الخصم من الراتب.

٦. الحوافز المعنوية: قد تكون الحوافز ايجابية أو سلبية، وتتمثل الحوافز الايجابية المعنوية في تقديم الشكر للفرد أمام زملائه مثلاً والحوافز المعنوية السلبية تتمثل في استخدام وسائل الإهانة واللوم والنفور للفرد أمام زملائه. (حسان، ٢٠٠٧، ص ٣٦٠-٣٦٢)

ويرى الباحث هذا الاختلاف لأنواع الحوافز قد يكون حسب تأثيرها أو عدد من يحصل عليها أو من حيث مادتها ولكن ذلك لا يمنع اشتراك كذا نوع في حافز واحد مثلاً كأن يعطى شخص حافز إيجابي فردي مادي.

ومهما يكن من اختلاف بين الحافز والدافع فإن الباحث يرى أن الاثنين مرتبطين، لأنه لا يوجد هناك دافع مالم يكن هناك حافز، فمثلاً الموظف في عمله دافعه في عمله قد يكون مرتبط بحافز المادة أو التقدير والثناء أو تجنب اللوم، ومما يدل على ارتباطهم أن معظم الباحثين تناولهم بنفس النظريات وسوف نتناولهم في هذا المقال بمسمى نظريات الدافعية.

نظريات في العلاقات الإنسانية وفي الدافعية

حتى يتسنى للباحث إيجاد علاقة العلاقات الإنسانية بالدوافع فلا بد من إلقاء الضوء على النظريات التي تتناول قيمة الفرد والعلاقات الإنسانية، ونظريات الدافعية مع توضيح المشترك بينهم.

نظريات التي تتعلق العلاقات الإنسانية وبقية الفرد

١- نظرية العلاقات الإنسانية: يذكر الدوسري عن النظرية ما ذكره كلاً من (Hersey and Blanchard) في ١٩٦٩ أن نظرية العلاقات الإنسانية تعتمد في تحليلها للإدارة على أن العلاقات الإنسانية بين العاملين في التنظيم هي الأساس الذي يجب أن تركز عليه دراسة الإدارة. وتبنى نظرتها للتنظيم من خلال اهتمامها بسلوك المرؤوسين واتجاهاتهم النفسية كبشر، وإدراكها لأهمية إشباع حاجاتهم النفسية والاجتماعية، مما يحفزهم على تقديم إنتاجية عالية، ولذلك فهي تؤكد على أن الاهتمام بالعلاقات الإنسانية في مجال الإدارة يمثل أحد المقومات الأساسية لنجاح القيادة الإدارية. ومن هنا ارتبطت العلاقات الإنسانية بالقيادة الإدارية. (الدوسري، ٢٠٠٥، ص ٢٢٨-٢٢٩)

٢- نظرية السمات تتعلق توفر العلاقات الإنسانية: أورد الباحث هذه النظرية لأنه يرى اهتمامها في العلاقات الإنسانية للقائد مع مرؤوسيه ظهرت نتيجة تأثير المدرسة السلوكية

التي أكدت أهمية التعلم والخبرة والتجربة في القيادة، فتدور فلسفة هذه النظرية حول انفراد القادة بسمات تميزهم عن سواهم ومن أهم هذه السمات:

سمات جسمية: مثل الطول، حسن المظهر الصحة، الحيوية والنشاط.

سمات اجتماعية: مثل النضوج الاجتماعي، الاهتمام بالعلاقات الإنسانية، القدرة على التداخل وإقامة علاقة مع الغير، الرغبة في التعاون مع الآخرين.

سمات شخصية: مثل التسامح والتحمل، الشجاعة والحسم، الثقة بالنفس.

سمات ذهنية: مثل الذكاء، الفهم والتفكير، الإدراك، بعد النظر، القدرة على التنبؤ والتخطيط.

سمات وظيفية: مثل الاهتمام بالإنجاز، المبادرة والابتكار، المثابرة.

لكن هذه النظرية واجهت انتقادات لصعوبة توفر جميع السمات المذكورة في شخص واحد، بالإضافة لم تبين الأهمية النسبية للسمات المختلفة في التأثير على القائد. (العميان، ٢٠٠٥، ص ٢٦٤)

٣- نظرية الإدارة كعملية اجتماعية تتعلق بقيمة الفرد: ليعقوب جيتزلز تعد نظرية الإدارة على أنها عملية اجتماعية أحدث النظريات الإدارية في الوقت الحاضر وهي تعتمد على معالجة السلوك الاجتماعي للمؤسسة في إطار منظم إذا اعتبرت الإدارة نظاماً اجتماعياً يضم صنفين من الظواهر المستقلة من حيث المظهر والمتداخلة من حيث المضمون وهما:

١- المؤسسات وما تتطلبه من أدوار وتوقعات وما تحقق من أهداف (البعد التنظيمي)

٢- الأفراد وما يمتلكون من حاجات ورغبات وطموحات (البعد الشخصي). (حسان وآخرون، ٢٠٠٧، ص ٥٢)

٤- نظرية البعدين تتعلق بقيمة الفرد: أورد الباحث هذه النظرية لأنه يرى اهتمامها بقيمة الفرد من قبل القائد فتدور فلسفة هذه النظرية في تحديد بعدين لسلوك القيادة هما:

- هيكلية المهام: ويقصد به تحديد الأدوار بين القائد والمرؤوسين.

- الاهتمام بمشاعر الآخرين: يأخذ القائد في الاعتبار آراء وأفكار ومشاعر المرؤوسين، وينمي جواً من الصداقة والثقة، والانفتاح عليهم وإقامة اتصال ذي اتجاهين: هابط وصاعد. (العميان، ٢٠٠٥، ص ٢٦٩-٢٧٠)

٥- نظرية المسار والهدف تتعلق بقيمة الفرد: أورد الباحث هذه النظرية لأنه يرى اهتمامها بقيمة الفرد من قبل القائد والاهتمام باحتياجاته فهي لروبرت هاوس تدور فلسفة

هذه النظرية في أن القائد الفعال هو الذي يقوم بمساعدة مرؤوسيه في تحديد أهدافهم ورسم المسارات لتحقيق هذه الأهداف، وإزالة العقبات التي تعترض طريقهم وتدريبهم ومكافأتهم على إنجازهم، والسلوك القيادي في هذه النظرية هو: سلوك مساند-سلوك مشارك-سلوك توجيهي-سلوك إنجازي. (العميان، ٢٠٠٥، ص ٢٧٢)

٦- نظرية ليكرت تتعلق بقيمة الفرد: يعتبر رنسيس ليكرت أن القيادة تمثل محور العملية الإدارية، وأن فعالية المنظمات تعتمد بشكل رئيسي على الأسلوب الذي يتبعه الإداريون في قيادة مرؤوسيههم. ويرى أن أكثر الأساليب القيادية نجاحاً يكمن في اشتراك المرؤوسين في عملية اتخاذ القرار، وإقامة نظام اتصال فعال معهم، وتهيئة بيئة تنظيمية تمنحهم فرص إشباع حاجاتهم والشعور بأهميتهم وتحقيق الرضى الوظيفي لهم. (العميان، ٢٠٠٥، ص ٢٦٧)

نظريات في الدافعية

١- نظرية الغرائز: ومن دعاة هذه النظرية (ماكوجل وكاتل وماسلو) وفروض النظرية الأساسية كما يلي:

- ١- الدوافع التي توجه سلوك الفرد وسلوك الجماعة تتصف بالعمومية في النوع والفطرية أي تظهر دون سابق تعلم بالغرائز أو الميل الفطري عند (ماكوجل) والدوافع الفطرية الثانوية عند (كاتل) والدوافع اليولوجية عند (ماسلو).
- ٢- لكل غريزة نوعاً خاصاً من الانفعال تتميز به عن غيرها.

٢- نظرية الفعل المنعكس: وصاحبها (جاثري) والفروض الأساسية لهذه النظرية:

- ١- يولد الكائن الحي وهو مزود بردود أفعال فطرية يمكن استثارها إذا وجد المثير المناسب وهي آلية ليس للإنسان إرادة فيها.
- ٢- تقوم الأفعال المنعكسة باستقبال الحواس للمثير ثم يوصل التيار العصبي الناتج إلى عضلة أو غدة فتقوم بالرد المناسب للمثير عن طريق تقلص أو تمدد للعضلة أو زيادة لإفرازات الغدة.

٣- السلوك المعقد هو مجموعة من ردود الأفعال البسيطة. (زيدان، ١٩٨٤، ص ٢٥-٢٦)

٣- نظرية المجال: وصاحبها (ليفين) وفروض هذه النظرية:

- ١- سلوك الفرد = عوامل تتعلق بالفرد نفسه X عوامل توجد في البيئة الخارجية التي يوجد فيها الفرد = مجال حياة الفرد.
- ٢- البيئة في مجال حياة الفرد هي البيئة النفسية أي البيئة الموضوعية الطبيعية كما يدركها الفرد ويفهما ويراهها من وجهة نظره هو وفي وقت معين.

٣- تختلف البيئة النفسية من فرد إلى آخر كما أنها تختلف في الفرد نفسه من وقت إلى آخر.

٤- لا يمكن فهم سلوك الإنسان ودوافعه مالم ينظر إلى المجال الكلي الذي يعيش فيه الفرد والذي يؤثر فيه ويتأثر به.

٥- الدافع طبقاً لنظرية المجال لا يخرج عن كونه حالة توتر تثير السلوك. (زيدان، ١٩٨٤، ص٧)

النظريات الدافعية والحفز الإنساني

١- نظرية ماسلو وسلم الحاجات: صاحب النظرية إبراهيم ماسلو يتطلب فهم السلوك الإنساني معرفة الدوافع الأساسية للسلوك فالإنسان لا يتحرك ولا يسكن إلا بدافع. وتختلف الدوافع باختلاف الحاجة وتأثيرها. وقد رتب ماسلو حاجات الإنسان مرتبة هرمياً حسب الأهمية والأولية كما يلي:

- الحاجات الفسيولوجية للإنسان: وهي حاجات للبقاء كالماء، الطعام، الجنس، الهواء.
- حاجات الأمن والحماية: حاجات الأمن المادية والأمن النفسي كالاستقرار والأمن، توفير المسكن والملبس، والترقية، والمساواة في المعاملة.
- الحاجات الاجتماعية: الوجود والتعامل مع الآخرين، القبول في المجتمع، والحب والانتماء.
- الحاجة إلى التقدير والاحترام: احترام وتقدير الآخرين، الثقة بالنفس، مركز اجتماعي، القوة، الشهرة، التميز.
- تحقيق الذات: تحقيق الأهداف، استغلال الطاقات، الإبداع، الابتكار. (العميان، ٢٠٠٥، ص٢٨٢)

٢- نظرية ذات العاملين لهرزبرج: لقد قسم هرزبرج العوامل في بيئة العمل إلى قسمين:

١. عوامل صيانة أو وقاية (خارجية): و تنتمي عوامل الوقاية إلى بيئة العمل ومحتواه، فهي تساعد العامل وتحافظ عليه من عدم الرضا عن عمله وتكون مثل سياسة المنظمة، أسلوب الإشراف، العلاقة بين المشرف والمرؤوسين، العلاقات بين المرؤوسين، العلاقة بين زملاء في العمل، الأجور والرواتب، الأمن الوظيفي.

٢. عوامل حافزة (داخلية): قد أطلق عليها هرزبرج بالدوافع المرتبطة بالعمل وتعمل على التحفيز مثل الإنجاز في العمل، طبيعة العمل، التقدم والترقي، المسؤولية لإنجاز العمل. وبالمقارنة مع نظرية ماسلو نجد الحاجات الثلاث

لماسلو هي عوامل الصيانة عند هرزبرج والحاجات الرابعة والخامسة لماسلو هي العوامل الحافزة عند هرزبرج. (العميان، ٢٠٠٥، ص ٢٨٦-٢٨٧)

٣- نظرية مكيلاند في الحاجات والإنجاز: حدد مكيلاند ثلاثة أنواع من الحاجات الأساسية التي تؤثر على الحفز (الدافع) وهي:

١- الحاجة لسلطة: النمط من الأفراد يسعون دائماً للحصول على السلطة ويميلون دائماً لممارسة التأثير والرقابة القوية وعادةً يسعى مثل هؤلاء الأشخاص للحصول على مناصب قيادية.

٢- الحاجة للانتماء: هذه الفئة من الناس تشعر بالسرور والبهجة عندما يكونون محبوبين من قبل الآخرين وإذا شعروا بالعزلة فإنهم يشعرون بالأم كبير ويميل هؤلاء الأشخاص إلى بناء علاقات اجتماعية مع الآخرين.

٣- الحاجة للإنجاز: إن الأفراد الذين يظهرون حاجاتهم القوية للإنجاز تتوفر لديهم أيضاً الرغبة في تحقيق النجاح ولكنهم يخافون الفشل وعادةً ما يختارون ويسلكون الطرق الصعبة ويرغبون في التحدي لقناعتهم في الوصول إلى الهدف. (حسان وآخرون، ٢٠٠٧، ص ٣٩١)

٤- نظرية التوقع: طور هذه النظرية فكتور فروم وتفسر سبب قيام الفرد باختيار سلوك معين دون غيره، وترى أن دافعية الفرد للقيام بسلوك معين تتحدد باعتقاد الفرد بأن لديه القدرة على القيام بذلك السلوك، وإن القيام بذلك السلوك سيؤدي إلى نتيجة معينة، وأن هذه النتيجة ذات أهمية للفرد، وهذا يعني أن حفز الفرد يعتمد على توقعات الفرد كما يلي:

التوقع الأول: إن الجهد المبذول سيؤدي إلى الإنجاز المطلوب.

التوقع الثاني: إن الإنجاز المطلوب سيحقق المكافأة المرغوبة من قبل الفرد والتي بدورها تشبع حاجاته وبالتالي تحقق الرضى.

ويعني ذلك أن الفرد لن يسلك سلوكاً يتوقع أن نتيجته ستكون منخفضة، وكذلك لن يختار سلوكاً يحقق مكافأة لا تشبع حاجاته. لهذا فإن حفز الفرد للقيام بعمل ما يعتمد على قوة الرغبة فالمعادلة في ذلك: الدافعية = قوة رغبة الفرد × التوقع. (العميان، ٢٠٠٥، ص ٢٩٢)

٥- نظرية بورتر في الحاجات: أصبح تنظيم بورتر يشمل للحاجات التالية:

١- الحاجة إلى الأمن: مثل العدالة، تأمين، تقاعد.

٢- الحاجات إلى الانتساب: مثل الانتساب إلى جماعة عمل رسمية أو غير رسمية أو

إلى جماعات مهنية، وصدقة.

- ٣- الحاجة إلى تقدير الذات: مثل مكانة، ومركز، ولقب.
- ٤- الحاجة إلى الاستقلال: تشمل على أمور كثيرة مثل ضبط الفرد لموقف عمله، وتأثيره في النظام ومشاركته في القرارات الهامة التي تعنيه.
- ٥- الحاجة إلى تحقيق الذات: وتشمل على أمور مثل عمل الفرد ضمن أقصى طاقته وإمكاناته.

فترتيب بورتر مثل ماسلو مع فارق حذف الحاجات الفسيولوجية وإضافة (الحاجة إلى الاستقلالية). (الطويل، ٢٠٠٦، ص١٨٦)

٦- نظرية الدرفر: قام الدرفر بتقليص الحاجات إلى ثلاث مجموعات تتماثل في المحصلة النهائية مع تلك التي جاء بها ماسلو وهذه الحاجات:

١- حاجة الوجود: يتم إشباعها بوساطة الماء، الغذاء، الأجور، ظروف العمل. وهذه تماثل الحاجات الفسيولوجية والأمن عند ماسلو.

٢- حاجة الارتباط: ويتم إشباعها بواسطة العلاقات الاجتماعية التبادلية مع الآخرين، وتشبه الحاجات الاجتماعية عند ماسلو.

٣- حاجات النمو: تركز على تطوير قدرات وإمكانات الفرد والرغبة في النمو الشخصي. ويتم إشباعها من خلال قيام الفرد بعمل منتج أو إبداعي، وهذه تماثل حاجات التقدير والاحترام وتحقيق الذات عند ماسلو. (العميان، ٢٠٠٥، ص٢٩٦)

٧- نظرية التعزيز: محور هذه النظرية العلاقة بين المثير والاستجابة. وترى أن سلوك الإنسان على نحو معين هو استجابة لمثير خارجي، والفرد يستجيب للعوائد. والسلوك الذي يعزز بالمكافأة يستمر ويتكرر، بينما السلوك الذي لا يعزز سيتوقف ولا يتكرر، فيركز سكرن على المبادئ التالية في نظريته وهي:

- ١- إن الأفراد يسلكون الطرق التي يرون أنها تؤدي بهم إلى تحقيق مكاسب شخصية.
- ٢- إن السلوك الانساني يمكن تشكيله وتحديد من خلال التحكم بالمكاسب والعوائد. (العميان، ٢٠٠٥، ص٢٩٨)

٧- نظرية العدالة: الذي وضعها ستاسي آدمز وتطور هذه النظرية حول العلاقة بين الرضى الوظيفي للفرد والعدالة. وتفرض أن درجة شعور العامل بعدالة ما يحصل عليه من مكافأة وحوافز من عمله تحدد بدرجة كبيرة شعوره بالرضا مما يؤثر في مستوى أدائه وإنتاجيته. تشمل نظرية العدالة على ثلاث خطوات أساسية هي (التقييم، والمقارن، والسلوك) وتقتترح النظرية الطرق التالية لإعادة الشعور بالمساواة:

١. تقليل الجهد المبذول في العمل.
٢. المطالبة بزيادة في الأجر.
٣. تغيير في عوائد الشخص الآخر الذي تمت المقارنة به.
٤. الانتقال إلى عمل آخر في المنظمة.
٥. ترك العمل. (العميان، ٢٠٠٥، ص ٢٩٩)

نظريات لرواد مدرسة العلاقات الإنسانية في الدافعية

١. نظرية X و Y لدوجلاس ماجروجور:

نظرية X تعتمد:

١. أغلب الأفراد لا يرغبون في العمل ولا يحبونه.
٢. يجب استخدام نوع من القهر والقوة مع الآخرين حتى يمكننا التأكد من أن أدائهم للعمل المكلفين به.
٣. أن الإنسان منغلق داخليا ولا يهتم أهداف المنظمة ولا يهتمه إلا نفسه
٤. أن الأفراد غير قابلين للتغيير والتطور.
٥. تنظر إلى الفرد أنه كائن غبي.

أما نظرية Y تعتمد:

١. تفترض هذه النظرية أنه لا يمكن التأكيد بأن الأفراد لا يحبون العمل بطبيعتهم بل ميولهم تجاه عملهم تتكون نتيجة خبراتهم السابقة.
٢. أن الطرق التسلطية ليست الطرق الوحيدة لأداء العمل حتى ولو كانت إحداها.
٣. في ظل الظروف الطبيعية نجد أن الأفراد لا يهربون من المسؤولية بل ويسعون إليها.
٤. للإنسان مجموعة من الحاجات يسعى لإشباعها بالأولوية.

مما سبق يتضح أن نظرية Y هي تعبير عن مفهوم (الإدارة بالأهداف) بينما نظرية X تعتم كليا على الرقابة الداخلية لسلوك الأفراد في حين تفصل نظرية Y الأخذ بالرقابة والتوجه الذاتي. (حسان وآخرون، ٢٠٠٧، ص ٣٩٢)

٢- نظرية العزو السببي: صاغ برنارد واينر نظرية العزو واتي تهدف إلى توضيح تأثير الدوافع على خبرات النجاح والفشل وشرح السلوك والتنبؤ في مجالات الإنجاز حيث تتجه النظرية بالدرجة الأولى إلى فهم كيف يعلل الأفراد أسباب نجاحهم وفشلهم وكيف يؤثر تعليلهم هذا على دافعهم للإنجاز فيما بعد، وبمعنى آخر فإن نظرية العزو لا تهتم بطبيعة

الفعل أو الحدث في حد ذاته وهذه العوامل السببية إذا ما اتسمت بالثبات النسبي في مواقف متكررة من النجاح أو الفشل فإنها تؤثر على الاحتمالية الذاتية للنجاح في مواقف مستقبلية مشابهة. (باهي وآخرون، ١٩٩٩، ص ٤١/١/٤٢)

- يرى الباحث أنه يوجد نظريات مشتركة بين العلاقات الإنسانية والدافعية:
- ١- نظرية العاملين لهرزبرج (ذكرت سابقاً جانب العلاقات والدافعية)
 - ٢- نظرية ماسلو وسلم الحاجات (ذكرت سابقاً جانب العلاقات والدافعية)
 - ٣- نظرية الدرر (ذكرت سابقاً جانب العلاقات والدافعية)
- والنظريات التي اهتمت بالفرد من نظريات الدافعية هي نظريات (ماسلو - هرزبرج - دجلال).

علاقة العلاقات الإنسانية بالدوافع

وجود العلاقة في كل من:

- التعريف: من خلال التعريفات السابقة للعلاقات الإنسانية اعتبرت الدوافع والحوافز من النقاط الهامة في تعريف العلاقات الإنسانية:

١. إثارة دوافع الأفراد يعتبر أحد العوامل الأساسية في العلاقات الإنسانية.
 ٢. تحفز العلاقات الإنسانية الأفراد في مجموعات على الإنتاج.
- الأهمية: من خلال عرضنا لأهمية العلاقات الإنسانية فيما سبق وجدنا ثلاث نقاط تشير إلى ارتباط العلاقات الإنسانية بالدافعية وهي كما يلي:
١. إن العلاقات الإنسانية يسعى من خلالها عمل الفريق أو العمل الجماعي إلى إشباع الحاجات وتحقيق الأهداف التنظيمية، بدلاً من الاستناد إلى أحدهما دون الآخر.
 ٢. نشاط العلاقات الإنسانية يمثل إثارة دافعية الإنسان، فالإنسان وحده هو الذي يستطيع أن ينتج من خلال الدافعية عائداً يفوق أضعاف الجهد المستثمر.
 ٣. إن الدافعية تسير في اتجاه العمل الجماعي، أو عمل الفريق الذي يستلزم تعاوناً وتنسيقاً بين القائمين بالعمل، ويشير ذلك إلى رغبتهم في العمل نحو تحقيق الهدف.

أهداف العلاقات الإنسانية

من خلال عرضنا للأهداف التي ذكرها النشواني ذكر ما يشمل تحفيز الأفراد وإشباع حاجاتهم:

١. تحفيز الأفراد العاملين في المؤسسة على الإنتاج.
٢. إشباع حاجات الأفراد الاقتصادية والنفسية والاجتماعية

أسس للعلاقات الإنسانية

ومن خلال عرضنا لأسس العلاقات الإنسانية وجدنا أحد الأسس الهامة في العلاقات الإنسانية هي الدوافع والتي تم الإشارة لها كما يلي:

الدوافع وهي تعني الوسيلة التي يمكن بواسطتها للقائد الإداري أن يزيد من رغبة العاملين في العمل، وذلك من أجل تحقيق أهداف معينة سعياً وراء إشباع حاجاتهم ورغباتهم. وأن العلاقات الإنسانية هي أساس تعطى لقيمة الفرد.

عناصر العلاقات الإنسانية

أيضاً من خلال تتبعنا للعناصر العلاقات الإنسانية التي ذكرت سابقاً وجد عنصر يشير إلى الدافعية وهو كما يلي:

الدافعية هي القوة التي تدفع الأفراد للقيام بعمل ما، وفي بعض الحالات نجد أن الخوف من الإدارة أو من فقد الوظيفة قد يدفع شخص ما للتصرف بشكل ما ولكن ذلك يكون أقل فاعلية عن تشجيع الفرد للتحرك من تلقاء نفسه، وإظهار ملكاته الابتكارية واعتداده بنفسه لقيامه بعمل جيد، فعلى المدير اعتباره الحاجات الشخصية للموظف.

خطوات بناء العلاقات الإنسانية

تم الإشارة إلى الحوافز المرتبطة بالدوافع في خطوات بناء العلاقات الإنسانية ووردت كما يلي:

تنفيذ إجراءات التأديب والحوافز: حيث يكون هدف التأديب الإصلاح والتقويم ورفع الكفاءة عند الفرد، أما الحوافز فهي تهيئ عند الفرد إنساناً يشعر بمكانته وأهميته وتقدير الآخرين له.

العوامل التي تؤثر على تكوين العلاقات الإنسانية: تم ذكر الدافعية كأساس في تكوين العلاقات الإنسانية كما ذكره أ.د. غنيم في محاضراته وهي: احترام شخصية العاملين، الدافعية، العمل مع جماعة، دينامية الجماعة.

العوامل والمبادئ التي تسهم في بناء العلاقات الإنسانية: ذكرت الطويرقي كثيراً من المبادئ التي تسهم في بناء العلاقات الإنسانية كما ذكرناه سابقاً حيث وضحت مبدأ التحفيز المرتبط وجوده بإثارة الدوافع وأشير إليهما كما يلي:

أساليب التحفيز الإداري الفعال: مبدأ الحوافز المادية، مبدأ الحوافز المعنوية، مبدأ القول الحسن، مبدأ مكافأة المحسن.

مدرسة العلاقات الإنسانية: اهتمت مدرسة العلاقات الإنسانية بالدوافع وأشارت لذلك بقولها: «إن شعور الفرد بانتمائه للجماعة هو الذي يحفزه للبذل والعطاء وأن إشباع حاجاته الاجتماعية قبل المادية هو الأساس في تحفيزه للعمل. فأصبح اهتمام دعايتها يتركز على دراسة الحاجات الاجتماعية والنفسية للفرد العامل، وتزايد الاهتمام بمشاعر الأفراد وزاد التركيز على الحوافز الجماعية باعتبارها المحرك الأساسي لقدرات العاملين لزيادة الإنتاج في المنظمة».

في النظريات

نظرية العلاقات الإنسانية: التي تعتمد في تحليلها للإدارة على أن العلاقات الإنسانية بين العاملين في التنظيم هي الأساس الذي يجب أن يركز عليها دراسة الإدارة، وتبنى نظرتها للتنظيم من خلال اهتمامها بسلوك المرؤوسين واتجاهاتهم النفسية كبشر، وإدراكها لأهمية إشباع حاجاتهم النفسية والاجتماعية، مما يحفزهم على تقديم إنتاجية عالية ولها ارتباط كبير بالقيادة، لذلك فإن الدوافع لها دور كبير في انتشار العلاقات الإنسانية بين الأفراد وخاصة عندما تكون موجهة بحوافز.

نظريات تتعلق بقيمة الفرد والعلاقات الإنسانية: كثيراً من المنظرين في القيادة التربوية جعلوها أساساً في اختيار القائد فهاهي النظريات التي تهتم بقيمة الفرد وتلزم وجود علاقة تتحدث على إشباع حاجات الفرد ودوافعه المتعلقة بالقيادة الإدارية فمن أشهرها: نظرية السمات - نظرية الإدارة كعملية اجتماعية - نظرية البعدين - نظرية المسار والهدف - نظرية ليكرت.

النظريات التي اهتمت بوجود العلاقة الصريحة بين العلاقات الإنسانية والدوافع:

١- نظرية العاملين لهرزبرج التي ذكرت العوامل الخارجية التي تشمل العلاقات والعوامل الداخلية التي تشمل الدوافع والحوافز.

٢- نظرية ماسلو وسلم الحاجات التي وضحت أن العلاقات الإنسانية من الحاجات الخمس وهي تدخل في الحاجات الاجتماعية.

٣- نظرية الدرغر والتي بينت بالحاجات الإرتباطية

ومما سبق يرى الباحث وجود العلاقة القوية بين العلاقات الإنسانية والدوافع، حيث تم رؤية الدوافع أن لها أساس في التعريفات والأهمية والأسس والعناصر والخطوات لبناء العلاقات الإنسانية، كما أنها تعتبر من العوامل والمبادئ التي تكون وتساعد في نمو

العلاقات الإنسانية، وأيضاً نادى مدرسة العلاقات الإنسانية لإشباع الحاجات المثيرة للدوافع لتساعد في نمو العلاقات الإنسانية، ويكون هذا الإشباع على شكل سلوك يصدر من الفرد يوجهه وينمي علاقته الإنسانية مع الآخرين. فمن واقع النظريات التي تم ذكرها اتضح لنا ارتباط العلاقات الإنسانية بالدافعية واهتمام القيادة التربوية بقيمة الفرد، وتواجد العلاقات الإنسانية تؤثر في الدافعية التي من أهم وظائفها للفرد كما ذكرنا سابقاً إمداد سلوك الفرد بالطاقة وإثارة النشاط واختيار النشاط المناسب وتحديد كمالها دوراً في توحيد سلوك الأفراد صوب أهداف محددة.

النتائج

من خلال العرض السابق للعلاقات الإنسانية والدوافع والعلاقة بينهم نتوصل الى مجموعة من النتائج نلخصها فيما يلي:

١. إن من أهمية وجود العلاقات الإنسانية في أي منظمة وجود الدوافع.
٢. إن من خطوات بناء العلاقات الإنسانية بين الأفراد في أي منظمة وجود الدوافع لديهم.
٣. إن الدوافع شرط أساسي لوجود علاقات إنسانية بين الأفراد.
٤. استخدام جانب الدوافع في نمو العلاقات الإنسانية يحقق هدف المنظمة وخاصةً باستخدام الحوافز للأفراد.
٥. إن من عوامل رفع الإنتاج في المؤسسة وجود العلاقات الإنسانية فيها التي تلزم إشباع حاجات ودوافع أفراد المؤسسة فيدل ذلك على أهمية الدوافع في الإنتاج.
٦. إن من العوامل التي تؤثر على الروح المعنوية هي العلاقة الإنسانية بين العاملين ونظراً لتعلق الدوافع بالعلاقات الإنسانية فيدل ذلك على أهمية الدوافع للروح المعنوية.
٧. إن من عوامل ارتفاع المناخ المنظمي في أي مؤسسة وجود العلاقات الإنسانية التي يلزمها تواجد الدافعية عند الأفراد في التعامل ويدل ذلك أن الدوافع لها أهمية في المناخ المنظمي.
٨. بوجود العلاقات الإنسانية تسهل عملية الاتصال وبحكم العلاقة بين العلاقات الإنسانية والدوافع فإن دوافع الأفراد لها دور في الاتصال.
٩. بوجود العلاقات الإنسانية يسهل اتخاذ عملية القرار وبحكم العلاقة بين العلاقات الإنسانية والدوافع فإن دوافع الأفراد لها دور في عملية اتخاذ القرار.
١٠. دور توفر العلاقات الإنسانية من صفات القائد الإداري الجيد وبحكم علاقة الدوافع بالعلاقات الإنسانية ذلك يدل على ضرورة اهتمام القائد الإداري لدوافع العاملين لديه.

التوصيات

١. ضرورة زيادة الاهتمام بإشباع دوافع وحاجات العاملين في المنظمة وذلك لمراعاة توفر العلاقات الإنسانية مما يزيد في رفع الروح المعنوية والإنتاجية في المنظمة.
٢. عقد ندوات ومؤتمرات لتوضيح أهمية العلاقة بين العلاقات الإنسانية والدوافع ويشترك أصحاب الخبرة العملية والعلمية من أساتذة الجامعات والمتخصصين في الإدارة.
٣. إجراء دراسات وأبحاث مرتبطة بعلاقة دوافع الأفراد مع كل من: إنتاجية المنظمة - المناخ المنظمي - الاتصال - القيادة - الروح المعنوية - اتخاذ القرار.

وختاماً: نسأل الله العلي العظيم أن ينفعنا بما علمنا وأن ينير دربنا في حياتنا العلمية والعملية وأن يمن علينا بتطبيق ما تعلمناه وأن يجمعنا وإياكم دوماً على المحبة والعمل الصالح ونشر العلم إنه سميع الدعاء.

المراجع

- الدوسري، محمد عايد. (٢٠٠٥). العلاقات الإنسانية في الفكر الإداري الإسلامي والمعاصر، جامعة الأمير نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض/ السعودية.
- الدويك، تيسير، وآخرون. (١٩٩٨). أسس الإدارة التربوية والمدرسية والإشراف الفني، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان/ الأردن.
- شبشكي، صالح. (١٩٨٠). العلاقات الإنسانية في الإدارة، مكتبة الأنجلو، القاهرة/ مصر.
- النمر، سعود محمد، وآخرون. (١٩٩١). الإدارة العامة الأسس والوظائف، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض/ السعودية.
- الشنواني، صلاح. (١٩٩٩). إدارة الأفراد والعلاقات الإنسانية، مؤسسة الجامعة، الإسكندرية/ مصر.
- الحقي، سليمان عبد الرحمن. (١٩٩٧). الإدارة المدرسية وتعبئة قواها البشرية في المملكة العربية السعودية، مطابع التقنية للأوفست، الرياض/ السعودية.
- راتشمان، ديفيد وآخرون. (٢٠٠١). الإدارة المعاصرة، ترجمة ومراجعة محمد الرفاعي، ومحمد سيد، دار المريخ للنشر والتوزيع، الرياض/ السعودية.
- القحطاني، محمد أحمد. (١٩٨٧). العلاقات الإنسانية في الإدارة، دار جرش للنشر، خميس مشيط، السعودية.
- الضحيان، عبد الحمين ابراهيم. (١٩٩١). الإدارة في الإسلام الفكر والتطبيق، دار الشروق، جدة/ السعودية.
- الطويرقي، نوال سعد، (٢٠٠٢). العلاقات الإنسانية في السيرة النبوية وتطبيقاتها في الإدارة المدرسية، دار الأندلس الخضراء، جدة/ السعودية.
- العميان، محمود سلمان، السلوك التنظيمي في منظمات الأعمال، دار وائل للنشر، عمان/ الأردن.
- راجح، احمد عزت. (١٩٩٩). أصول علم النفس، دار المعارف، القاهرة/ مصر.

- القريوتي، محمد قاسم. (١٩٨٩). السلوك التنظيمي، دار المستقبل للنشر والتوزيع، عمان/الأردن.
- العديلي، ناصر محمد. (١٩٨٣). الدوافع والحوافز والرضا الوظيفي في الأجهزة الحكومية في المملكة العربية السعودية «بحث ميداني»، مجلة الإدارة العامة، العدد ٣٦، معهد الإدارة، الرياض/السعودية.
- خليفة، عبدا للطيف محمد. (د.ت). الدافعية والإنجاز، دار غريب للطباعة والتوزيع.
- قطامي، محي الدين وآخرون. (٢٠٠٣). علم النفس التربوي، دار الفكر للنشر، عمان/الأردن.
- زيدان، محمد مصطفى. (١٩٩٤). النمو النفسي للطفل والمراهق، دار الشروق، جدة/السعودية.
- عبد الوهاب، علي محمد. (١٩٨٤). الحوافز نظرة متكاملة، المجلة العربية للإدارة المنظمة العربية للعلوم الإدارية، مجلد ٣، عمان/الأردن.
- الشيخ، فؤاد سالم وآخرون. (١٩٩٤). المفاهيم الإدارية الحديثة، مركز الكتب الأردني، عمان/الأردن.
- هاشم، زكي محمود. (١٩٨١). الإدارة العلمية، وكالة المطبوعات/الكويت.
- حسان، محمد إبراهيم وآخرون. (٢٠٠٧). الإدارة التربوية، دار المسيرة، عمان/الأردن.
- الجودة، عادل. (١٩٨٧). المنظمة العربية للعلوم الإدارية، جامعة الدول العربية.
- الهيتي، خالد عبد الرحيم. (١٩٩٩). إدارة الموارد البشرية، دار ومكتبة حامد، عمان/الأردن.
- زيدان، محمد مصطفى. (١٩٨٤). الدوافع والانفعالات، عكاظ للنشر والتوزيع.
- الأسمر، فراج محمد. (١٩٩٨). الحوافز في الفكر الإداري وبعض النظريات الحديثة «دراسة مقارنة»، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاقتصاد والإدارة، جامعة الملك عبدالعزيز، جدة/السعودية.
- الطويل، هاني عبد الحمين. (٢٠٠٦). الإدارة التربوية والسلوك التنظيمي، دار وائل، عمان/الأردن.
- باهي، مصطفى حسين وآخرون. (١٩٩٩). الدافعية نظريات وتطبيقات، مركز الكتاب للنشر، القاهرة/مصر.

بعض الحاجات الاجتماعية والنفسية لأطفال ما قبل المدرسة

Some of social and psychological needs of pre-school children

د. ربيعة محمد أحمد الشاوش*



المقدمة

يعد الطفل ثروة المستقبل وتعتبر عملية استثماره مؤشراً حضارياً بتقدم الأمم، لأن الاستثمار الناجح يعتمد على مجموعة عوامل من أهمها الإنسان الذي هو القاعدة الأساسية والركيزة الصلبة لتقدم كل مجتمع.^(١)

والفرد باعتباره كائناً اجتماعياً يحتاج إلى إشباع حاجاته الاجتماعية والنفسية الأساسية وهذه الحاجات ضرورية لسعادة الفرد وتوافقه الاجتماعي والنفسي وحرمان الفرد من هذه الحاجات يؤدي إلى كثير من الاضطرابات الشخصية وحيث أن الطفل هو عماد المستقبل لذا وجب الاهتمام به ورعايته وفهم حاجاته وطرق إشباعها حتى يصل الطفل إلى أفضل مستوى للنمو الاجتماعي والنفسي.^(٢)

• دكتورة خدمة اجتماعية، عضو هيئة تدريس بجامعة طرابلس، قسم الخدمة الاجتماعية/ليبيا.
almurasel_center@yahoo.com

(١) السيد عبد القادر، عاطف عدلي أساليب تربية طفل ما قبل المدرسة، جامعة القاهرة، كلية رياض الأطفال، ٢٠٠٢ ف، ص ٩.

(٢) فوزية النجاشي، دراسة للحاجات النفسية والاجتماعية لدى أطفال الروضة، المؤتمر السنوي طفل الغد، معهد الدراسات العليا، جامعة عين شمس، ١٩٩٨، ص ١٤١.

كما وجد أنه إذا ما لبيت حاجات ورغبات الطفل في الأشهر الأولى إلى الطعام والراحة والمحبة وغير ذلك يكون حظه في حياة مستقبلية سعيدة أكبر بكثير مما لو لم تلب تلك الحاجات الأساسية.^(٢)

حيث تتوقف كثير من خصائص الشخصية على حاجات الفرد ومدى إشباع هذه الحاجات ولا شك أن فهم حاجات الفرد وطرق إشباعها يضيف إلى قدرتنا على مساعدته للوصول إلى أفضل مستوى للنمو النفسي والتوافق والصحة النفسية.^(٤)

ويبدو واضحاً أن التربية تهدف إلى تحقيق أقصى نمو للطفل جسدياً وعقلياً ونفسياً واجتماعياً بصورة متكاملة ولكي تحقق الروضة ذلك فإنها تعمل على إكساب الطفل المفاهيم والاتجاهات والقيم والعادات والميول والمهارات الحركية والتكيف الاجتماعي مع الآخرين وإكساب المعارف المبسطة والمرتبطة ببيئة الطفل وذلك من خلال مواقف منظمة وأنشطة مخططة حرة وموجهة تتميز بالإثارة والمتعة والتشويق ومناسبة لخصائص الأطفال العمرية.^(٥)

كما تعتبر الروضة المؤسسة الاجتماعية الوحيدة التي تستطيع أن تحقق للطفل الكثير من حاجاته التي يمكن أن يحققها له أسرته والتي لا يمكن أن يحققها له حيث تسهم الروضة في تعويض الطفل عما يحرم منه في بيئته الأسرية حيث تسير الأمور وفقاً لرغبة الكبار وليس وفق سرعته الخاصة أو رغبته هو، بل تسير وفق ميولهم هم وضغطهم عليه وكل هذا بدوره يعرقل شغف الطفل بالتعلم والاستطلاع وولعه بالانطلاق والحرية في نشاطه ولعبه.

مشكلة الدراسة

الطفولة من أهم المراحل التي يمر بها الإنسان في حياته، فقد أوصى المؤتمر الدولي للتربية بوجود العناية بالأطفال في مرحلة ما قبل المدرسة وتطبيق برنامج مرن يعتمد على نشاط الطفل وتكيفه طبقاً للاحتياجات الفسيولوجية والعقلية وذلك من خلال إنشاء مؤسسات ما قبل المدرسة وهي رياض الأطفال.

(٢) سهير كامل أحمد، أساليب تربية الطفل بين النظرية والتطبيق، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٩٨ ف، ص ٥٥.

(٤) سهير كامل أحمد وشحاته سليمان محمد، تنشئة الطفل بين النظرية والتطبيق، القاهرة، دار النهضة العربية، ٢٠٠١ ف، ص ١٣٥.

(٥) هدى محمد الناشف، رياض الأطفال، القاهرة، دار الفكر العربي، ٢٠٠٢ ف، ص ٥٧.

وتختلف اليوم درجة الاهتمام برياض الأطفال من دراسة إلى أخرى ومن مجتمع إلى آخر بسبب عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية؛ ويعتبر المجتمع الليبي كغيره من المجتمعات التي أولت الطفولة أهمية كبيرة حيث اعتبرت رياض الأطفال مؤسسة تربوية تهتم برعاية الطفل اجتماعياً وبدنياً ونفسياً أثناء انشغال المرأة بالعمل خارج المنزل، وأصبحت مرحلة رياض الأطفال في ليبيا ضمن السلم التعليمي ومدة الدراسة بها سنتان يلتحق بها الأطفال من سن الرابعة وتقوم الدراسة بها على اللعب.

وقد ازداد الإقبال على الرياض في الآونة الأخيرة، وأصبح الاهتمام بطفل ما قبل الخامسة يحظى باهتمام المربين والآباء على حد سواء، وإن اختلفت بواث هذا الاهتمام.^(٦)

وإن هذا الاهتمام بالطفل وتغير النظرة إليه، واعتبار الروضة كضرورة من ضروريات الحياة الجديدة في المجتمع لم يحدث فجأة وإنما جاء نتيجة للتطور فهي نظام منبثق عن التفرغ الوظيفي لنظام الأسرة أوجده التغير الجذري الذي حدث في محيطها فأثر في بنائها ووظائفها، وتختلف اليوم درجة الاهتمام برياض الأطفال من دراسة إلى أخرى ومن مجتمع إلى آخر بسبب عوامل كثيرة سياسية واقتصادية واجتماعية.

ففي الوطن العربي بدأ يظهر الاهتمام برياض الأطفال وإن كان دون المستوى المطلوب إذا ما قورن بالدول المتقدمة في هذا المجال وذلك من جهة الإشراف على مرحلة الرياض وإعداد البرامج والأنشطة وتوفير الإمكانيات من أجهزة وأدوات لازمة لها، وتوفير الأماكن الملائمة حتى سنة ١٩٨٠ ف، خارج السلم التعليمي الرسمي في أغلب الدول العربية.

وقد ترتب على التغيرات السياسية والاجتماعية والثقافية التي حدثت في السنوات الأخيرة خروج المرأة إلى العمل مما أعطى أهمية كبيرة للدور الذي تقوم به دور الحضانه كبديل للأم خلال فترة عملها، فضلاً عما تسهم به في عملية النمو الاجتماعي والنفسي للأطفال، كما أن لها دوراً في عملية التنشئة الاجتماعية.^(٧)

وهذا يجعلنا نؤكد على أهمية الحضانه ورياض الأطفال كمؤسسة تربوية يمكن أن تهتم برعاية الطفل وتنشئته أثناء انشغال المرأة بالعمل خارج المنزل.

(٦) محمد عبد الحليم، عدنان عارف مصلح، رياض الأطفال، عمان، دار الفكر، ١٩٩٠ ف، ص ١٣.

(٧) حسين عبد الحميد أحمد رشوان، الطفل دراسة في علم الاجتماع النفسي، الإسكندرية، المكتب

الجامعي الحديث، ١٩٩٨ ف، ص ٩٥.

وبهذا تحدد الباحثة مشكلة الدراسة في التعرف على بعض الحاجات الاجتماعية والنفسية والتمثلة في الحاجة إلى (الكفاءة، الاستقلالية، الانتماء) للأطفال الملحقين برياض الأطفال وغير الملحقين بها في طرابلس.

أهداف الدراسة

سعت هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

- ١- التعرف على بعض الحاجات الاجتماعية والنفسية والتمثلة في الحاجة إلى (الكفاءة الاستقلالية، الانتماء) للأطفال الملحقين برياض الأطفال وغير الملحقين بها بطرابلس.
- ٢- التعرف على بعض الحاجات الاجتماعية والنفسية والتمثلة في الحاجة إلى (الكفاءة الاستقلالية، الانتماء) وفقاً للجنس للأطفال الملحقين برياض الأطفال وغير الملحقين بها بطرابلس.
- ٣- التعرف على الحاجات الاجتماعية والنفسية والتمثلة في الحاجة إلى (الكفاءة، الاستقلالية الانتماء) «وفقاً للجنس» الأطفال الملحقين برياض الأطفال عن الأطفال غير الملحقين بها بطرابلس؟
- ٤- التعرف على الفروق الجوهرية في بعض الحاجات الاجتماعية والنفسية والتمثلة في الحاجة إلى (الكفاءة، الاستقلالية، الانتماء) «وفقاً للجنس» للأطفال الملحقين برياض الأطفال عن الأطفال غير الملحقين بها بطرابلس؟

تساؤلات الدراسة

- ١- ما الحاجات الاجتماعية والنفسية والتمثلة في الحاجة إلى (الكفاءة، الاستقلالية الانتماء) للأطفال الملحقين برياض الأطفال وغير الملحقين بها بطرابلس؟
- ٢- ما الفروق الجوهرية في بعض الحاجات الاجتماعية والنفسية والتمثلة في الحاجة إلى (الكفاءة، الاستقلالية، الانتماء) للأطفال الملحقين برياض الأطفال عن الأطفال غير الملحقين بها بطرابلس؟
- ٣- ما الحاجات الاجتماعية والنفسية والتمثلة في الحاجة إلى (الكفاءة، الاستقلالية الانتماء) «وفقاً للجنس» الأطفال الملحقين برياض الأطفال عن الأطفال غير الملحقين بها بطرابلس؟
- ٤- ما الفروق الجوهرية في بعض الحاجات الاجتماعية والنفسية والتمثلة في الحاجة إلى (الكفاءة، الاستقلالية، الانتماء) «وفقاً للجنس» للأطفال الملحقين برياض الأطفال عن الأطفال غير الملحقين بها بطرابلس؟

منهج الدراسة: رأت الباحثة أن المنهج (الوصفي التحليلي) هو المنهج المناسب لدراساتها، وهو الذي يعتمد على وصف الظاهرة المراد دراستها، حيث يعرفه محمد حمدان: بأنه توضيح واقع الحوادث والأشياء عادةً ولا يتوقف توضيح أو وصف الواقع على تقدير حقائقه الحاضرة كما هي، بل يتناولها بالتحليل والتفسير، لغرض اجترار الاستنتاجات المفيدة لتصحيح هذا الواقع أو تحديثه أو استكمالها أو استحداث معرفة جديدة به.^(٨)

كما ترى الباحثة أن هذا المنهج يمكنها من إجراء دراستها التي تعتمد على جمع الحقائق وتنظيمها ومحاولة تحديد درجة إشباع رياض الأطفال للحاجات الاجتماعية والنفسية وذلك من خلال كل بعد من أبعادها الثلاث (الكفاءة، الاستقلالية، الانتماء)، للأطفال الملتحقين بها ومقارنتها مع درجة إشباع الأطفال غير الملتحقين برياض الأطفال ولكلا الجنسين في طرابلس وبفئة عمرية من (٤-٦) سنوات.

مجتمع الدراسة: ويشمل جميع الأطفال الملتحقين وغير الملتحقين برياض الأطفال في طرابلس والتي تتراوح أعمارهم ما بين (٤-٦) سنوات وهو مجتمع غير محدود.

عينة الدراسة: مجتمع الدراسة سيكون مجتمعاً غير محدود، ولذلك لجأت الباحثة إلى اختيار العينة العمدية.^(٩)

في تمثيل مجتمع الدراسة أفضل تمثيل وبحجم (٣٠٠) طفل وطفلة، وفقاً للتقدير الذاتي للباحثة. وتكونت العينة العمدية من مجموعتين متجانستين هما:

أ- المجموعة الأولى: وتشمل اختيار (١٥٠) طفلاً وطفلة (٧٥) منهم ذكوراً، و(٧٥) منهم إناثاً، وبفئة عمرية من (٤-٦) سنوات، وذلك من الأطفال الملتحقين بجميع رياض الأطفال الموجودة في طرابلس وهي: (الزهور، النوفلين، محمد الدرة، المسيرة الكبرى، الأندلس، زهور المستقبل، جيل الغضب، معيتيقة، الجلاء، تاقرفت، نسور الفاتح، القادسية، الأمل المشرق)، وعددها (١٣) روضة أطفال حكومية موزعة توزيعاً جغرافياً في شعبية طرابلس.

(٨) محمد حمدان، محمد زياد، البحث العلمي كنظام، عمان، دار التربية الحديثة، (١٩٨٩)، ص ٦٦.

(٩) عبد الستار جبار الفهد، «البحث العلمي وتطبيقات الإحصاء الرياضي»، بنغازي، دار الكتب الوطنية، ٢٠٠٢ ف، ص ٤٠.

ب- المجموعة الثانية: وتشمل اختيار (١٥٠) طفلاً وطفلة، (٧٥) منهم ذكوراً، (٧٥) إناثاً وبنفس الفئة العمرية من (٤-٦) سنوات وذلك من الأطفال غير الملحقين برياض الأطفال في طرابلس.

للعلم «أن الاختيار تم من قبل الباحثة على أن تكون المجموعتان متجانستان في المستوى الاجتماعي والاقتصادي».

حدود الدراسة

حدود الموضوع: يشمل موضوع الدراسة الحاجات الاجتماعية والنفسية للأطفال والمتمثلة في (الكفاءة، الاستقلالية، الانتماء)، ولكون المرحلة العمرية مقسمة إلى عدة مراحل باحتياجاتها المتعددة والمتنوعة فقد اختارت الباحثة دراستها للحاجات الاجتماعية والنفسية لأطفال ما قبل المدرسة، وبأعمار تتراوح ما بين (٤-٦) سنوات، وسوف تكون هذه الدراسة، دراسة مقارنة بين الأطفال الملحقين بالرياض وغير الملحقين بها في طرابلس.

نتائج الدراسة

من خلال الدراسة النظرية والميدانية لبعض للحاجات الاجتماعية والنفسية والمتمثلة في الحاجة إلى (الكفاءة، الاستقلالية، الانتماء) لأطفال ما قبل المدرسة بعمر (٤-٦) سنوات (الملحقين بالرياض الأطفال وغير الملحقين بها) في طرابلس توصلت الباحثة إلى النتائج التالية:

١- بينت الدراسة أن درجة إشباع الحاجات الاجتماعية والنفسية من خلال الكفاءة لأطفال ما قبل المدرسة وبعمر (٤-٦) سنوات والملحقين بالرياض الأطفال في طرابلس كانت عالية وبوسط حسابي يساوي (٧٢, ٢).

٢- أسفرت الدراسة على أن درجة إشباع بعض الحاجات الاجتماعية والنفسية من خلال الكفاءة لأطفال ما قبل المدرسة وبعمر (٤-٦) سنوات وغير الملحقين بالرياض الأطفال في طرابلس كانت عالية وبوسط حسابي يساوي (٦٢, ٢).

٣- أظهرت الدراسة أن درجة إشباع بعض الحاجات الاجتماعية والنفسية من خلال الاستقلالية لأطفال ما قبل المدرسة وبعمر (٤-٦) سنوات والملحقين بالرياض الأطفال في طرابلس كانت عالية وبوسط حسابي يساوي (٧٦, ٢).

٤- اتضح من الدراسة أن درجة إشباع بعض الحاجات الاجتماعية والنفسية من خلال الاستقلالية لأطفال ما قبل المدرسة وبعمر (٤-٦) سنوات وغير

الملتحقين برياض الأطفال في طرابلس كانت عالية وبوسط حسابي يساوي (٢,٦٦).

٥- بينت الدراسة أن درجة إشباع بعض الحاجات الاجتماعية والنفسية من خلال الانتماء لأطفال ما قبل المدرسة وبعمر (٤-٦) سنوات والملتحقين برياض الأطفال في شعبية طرابلس كانت عالية وبوسط حسابي يساوي (٢,٨٩).

٦- أظهرت الدراسة أن درجة إشباع بعض الحاجات الاجتماعية والنفسية من خلال الانتماء لأطفال ما قبل المدرسة وبعمر (٤-٦) سنوات وغير الملتحقين برياض الأطفال في طرابلس كانت عالية وبوسط حسابي يساوي (٢,٨٨).

٧- أسفرت الدراسة على أن درجة إشباع بعض الحاجات الاجتماعية والنفسية بشكل عام لأطفال ما قبل المدرسة وبعمر (٤-٦) سنوات والملتحقين برياض الأطفال في طرابلس كانت عالية وبوسط حسابي يساوي (٢,٨٨).

٨- اتضح من الدراسة أن درجة إشباع بعض الحاجات الاجتماعية والنفسية بشكل عام لأطفال ما قبل المدرسة وبعمر (٤-٦) سنوات وغير الملتحقين برياض الأطفال في طرابلس كانت عالية وبوسط حسابي يساوي (٢,٨٧).

٩- بينت الدراسة أنه ليس هناك فروق معنوية ذات دلالة إحصائية في متوسطات درجات إشباع بعض الحاجات الاجتماعية والنفسية من خلال الكفاءة للأطفال الملتحقين برياض الأطفال وغير الملتحقين بها في طرابلس تحت مستوى معنوية ($\alpha=0,05$) ألفا وذلك من خلال إجراء اختبار (t).

١٠- أسفرت الدراسة على أنه لا توجد فروق معنوية ذات دلالة إحصائية في متوسطات درجات إشباع بعض الحاجات الاجتماعية والنفسية من خلال الاستقلالية للأطفال الملتحقين برياض الأطفال وغير الملتحقين بها في طرابلس تحت مستوى معنوية ($\alpha=0,05$) وذلك من خلال إجراء اختبار (t).

١١- أظهرت الدراسة أنه لا توجد فروق معنوية ذات دلالة إحصائية في متوسطات درجات إشباع بعض الحاجات الاجتماعية والنفسية من خلال الانتماء للأطفال الملتحقين برياض الأطفال وغير الملتحقين بها في طرابلس تحت مستوى معنوية ($\alpha=0,05$) وذلك من خلال إجراء اختبار (t).

١٢- اتضح من الدراسة بأنه لا توجد فروق معنوية ذات دلالة إحصائية في متوسطات درجات إشباع بعض الحاجات الاجتماعية والنفسية بشكل عام للأطفال الملتحقين برياض الأطفال وغير الملتحقين بها في طرابلس تحت مستوى معنوية ($\alpha=0,05$) وذلك من خلال إجراء اختبار (t).

١٣- بينت الدراسة أن درجة إشباع بعض الحاجات الاجتماعية والنفسية من خلال (الكفاءة، الاستقلالية، الانتماء) وبشكل عام للأطفال ما قبل المدرسة وبعمر (٦-٤) سنوات الذكور والملتحقين برياض الأطفال في طرابلس كانت (عالية) وبأوساط حسابية تساوي (٧١، ٧٧-٢، ٨٨-٢، ٨٥-٢) على التوالي.

١٤- أظهرت الدراسة أن درجة إشباع بعض الحاجات الاجتماعية والنفسية من خلال (الكفاءة، الاستقلالية، الانتماء) وبشكل عام للأطفال ما قبل المدرسة وبعمر (٦-٤) سنوات الإناث والملتحقات برياض الأطفال في طرابلس كانت عالية وبأوساط حسابية تساوي (٧٣، ٧٦-٢، ٩١-٢، ٩١-٢) على التوالي.

١٥- اتضح من الدراسة أن درجة إشباع بعض الحاجات الاجتماعية والنفسية من خلال (الكفاءة، الاستقلالية، الانتماء) وبشكل عام للأطفال ما قبل المدرسة وبعمر (٦-٤) سنوات الذكور غير الملحقين برياض الأطفال في طرابلس كانت (عالية) وبأوساط حسابية تساوي (٦٨، ٦٩-٢، ٩١-٢، ٩١-٢) على التوالي.

١٦- أظهرت الدراسة أن درجة إشباع بعض الحاجات الاجتماعية والنفسية من خلال (الكفاءة، الاستقلالية، الانتماء) وبشكل عام للأطفال ما قبل المدرسة وبعمر (٦-٤) سنوات الإناث غير الملحقات برياض الأطفال في طرابلس كانت (عالية) وبأوساط حسابية تساوي (٥٦، ٦٣-٢، ٨٥-٢، ٨٤-٢) على التوالي.

١٧- بينت الدراسة أنه لا توجد فروق معنوية ذات دلالة إحصائية في متوسطات درجات إشباع بعض الحاجات الاجتماعية والنفسية من خلال (الكفاءة، الاستقلالية، الانتماء) وبشكل عام للأطفال الملحقين برياض الأطفال في طرابلس تبعاً للجنس وتحت مستوى معنوية ($\alpha=0,05$) وذلك من خلال إجراء اختبار (t).

١٨- أسفرت الدراسة على وجود فروق معنوية ذات دلالة إحصائية في متوسطات درجات إشباع بعض الحاجات الاجتماعية والنفسية من خلال الكفاءة للأطفال غير الملحقين برياض الأطفال في طرابلس تبعاً للجنس ولصالح الذكور وتحت مستوى معنوية ($\alpha=0,05$) وذلك من خلال إجراء اختبار (t).

١٩- أتضح من الدراسة بأنه لا توجد فروق معنوية ذات دلالة إحصائية في متوسطات درجات إشباع بعض الحاجات الاجتماعية والنفسية من خلال (الاستقلالية، الانتماء) وبشكل عام للأطفال غير الملحقين برياض الأطفال في طرابلس تبعاً للجنس ولصالح وتحت مستوى معنوية ($\alpha=0,05$) وذلك من خلال إجراء اختبار (t).

التوصيات

بناءً على النتائج التي توصلت إليها الدراسة فإن الباحثة توصي بما يلي:

١- التوسع في إنشاء رياض الأطفال في ليبيا (العامة منها أو الخاصة) بإعتبارها المكان الذي يصل فيه الطفل إلى درجة كبيرة من النمو الاجتماعي والنفسي بالإضافة إلى أنها المكان الملائم لاستثمار قدرات الطفل في التوافق مع البيئة لإشباع حاجاته بما يتفق وسنه.

٢- التوسع في زيادة إعداد المتخصصات في الخدمة الاجتماعية والتربية في مجال الطفولة والعمل على رفع مستوى التأهيل العلمي والعملي لها، وعقد دورات تدريبية متواصلة للتعرف على كل ما يستجد في نطاق عملهم، وبما يحقق أهداف رياض الأطفال في ليبيا.

٣- إيجاد نظام حوافز للمتخصصات في الخدمة الاجتماعية في مجال الطفولة والحاصلات على مؤهلات عليا بمجال تخصصهم لتشجيعهم للعمل في مجال الإشراف على رياض الأطفال في ليبيا.

٤- العمل على نشر الوعي لأفراد المجتمع وخاصة الآباء والأمهات تجاه دور رياض الأطفال وما تتحمله من مسؤولية كبيرة تجاه المجتمع من خلال تنشئة الأطفال الأصحاء نفسياً واجتماعياً وبالتالي إشباع حاجاتهم وتعليمهم مهارات اجتماعية في إطار تربية تراعي خصائص ومتطلبات نموهم.

٥- الاستمرار في إجراء البحوث والدراسات المتعلقة برياض الأطفال في ليبيا والتي تعمل على تطوير وتحسين عملها بما يحقق الأهداف التي أنشأت من أجلها.

٦- إشعار المعلمات والاختصاصيات الاجتماعيات بقيمة عملهم الإنساني النبيل من خلال إكسابهم المزيد من الخبرات المساعدة في تطوير العمل وتحسينه بصورة دائمة ومن خلال توفير العديد من المزايا والخدمات المجانية والمخفضة لهم.

المراجع

- ١- السيد عبد القادر، عاطف عدلي. أساليب تربية طفل ما قبل المدرسة، جامعة القاهرة، كلية رياض الأطفال، ٢٠٠٢م.
- ٢- فوزية النجاشي، دراسة للحاجات النفسية والاجتماعية لدى أطفال الروضة، المؤتمر السنوي لطفل الغد، معهد الدراسات العليا، جامعة عين شمس، ١٩٩٨م.
- ٣- سهير كامل أحمد، أساليب تربية الطفل بين النظرية والتطبيق، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٩٨م.
- ٤- سهير كامل أحمد وشحاته سليمان محمد، تنشئة الطفل بين النظرية والتطبيق، القاهرة، دار النهضة العربية، ٢٠٠١م.
- ٥- هدى محمد الناشف، رياض الأطفال، القاهرة، دار الفكر العربي، ٢٠٠٢م.
- ٦- محمد عبد الحليم، عدنان عارف مصلح، رياض الأطفال، عمان، دار الفكر، ١٩٩٠م.
- ٧- حسين عبد الحميد أحمد رشوان، الطفل دراسة في علم الاجتماع النفسي، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٩٨م.
- ٨- محمد حمدان، محمد زياد، البحث العلمي كنظام، عمان، دار التربية الحديثة، ١٩٨٩م.
- ٩- عبد الستار جبار الفهد، «البحث العلمي وتطبيقات الإحصاء الرياضي»، بنغازي، دار الكتب الوطنية، ٢٠٠٢م.

الكفايات التدريبية اللازمة لمعلمات الأشخاص ذوي الإعاقة الذهنية في مراكز التربية الخاصة بمدينة طرابلس- ليبيا

ملخص الدراسة

د. عيسى حسن غلام - دة. نجاة أحمد القاضي



هدفت الدراسة الحالية إلى التعرف على:

١- الكفايات التربوية اللازمة لمعلمي ومعلمات الأطفال المتخلفين ذهنياً كما يراها أفراد عينة الدراسة.

٢- الترتيب النسبي لأبعاد الكفايات اللازمة لمعلمي ومعلمات الأطفال المتخلفين ذهنياً.

٣- الفروق في الكفايات التربوية اللازمة لمعلم الاحتياجات الخاصة باختلاف المؤهل العلمي، ومدة الخبرة.

وقد توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

١- لا تمتلك معلمات الأشخاص ذوي الإعاقة أي كفايات تدريبية تؤهلهم للقيام بأعمالهن.

٢- يتضح من الترتيب التنازلي لأبعاد

الكفايات التدريبية للمعلمات عدم معرفتهن بالتعامل مع الأشخاص ذوي الإعاقات الذهنية.

٣- يتضح من خلال نتائج الدراسة أن جميع المعلمات غير متخصصات وغير متحصلات على مؤهلات علمية بمجال ذوي الاحتياجات الخاصة.

• دكتورة أصول التربية، عضوية تدريس بقسم التربية وعلم النفس، الجامعة المفتوحة/ليبيا.

eisa.ghlam@yahoo.com

• دكتوراه علم النفس التربوي، عضوية تدريس كلية التربية جامعة طرابلس/ ليبيا. dr_nagat@hotmail.com

Training Requirements (Competencies') Needed for Handicapped People's Trainers Handicap Care Centre of Tripoli (Libya)

Abstract

This study aimed to explain the requirements that's important and necessary for handicap trainers in addition to the proportional organisation of these

The sample of study obtained from 26 trainers (women) of two centres are; (AL-TALEAA CENTRE & AL-ANDALUS CENTRE), SO this study reached to important results as follow:-

- 1- decreasing in the level of trainer's requirements.
 - 2- Difference proportional organisation of the requirements in orders as follow:-
 - **First order:** evaluation&diagnosing requirements.
 - **Second order:** programs carry out requirements.
 - **Third order:** dealing requirements with handicapped people and their families.
 - **Fourth order:** requirements of teaching content program's planning.
- All that indicate the deficiency in the understanding of trainers in how to care handicapped people.

المقدمة

شهدت مهنة التربية الخاصة تطورات مذهلة نتيجة إلى التطور الذي حصل في العقود الأخيرة لمهنة التعليم بصفة عامة، الأمر الذي انعكس بشكل كبير على الأفراد من ذوي الفئات الخاصة إذ أصبح الاهتمام بهذه الفئة واجباً أساسياً من واجبات الدولة باعتباره أحد الحقوق التي ينبغي أن يتمتع بها المواطن بغض النظر عن حالته الصحية وجنسه وانتمائه، وتعتبر مشكلة الإعاقة الذهنية من المشكلات التي تواجه المجتمع في مجال خدمة ورعاية المعاقين بتفاوت واختلاف درجة الإعاقة، حيث تعرف بأنها الحالة التي تشير إلى جوانب قصور ملموسة في الأداء الوظيفي الحالي للفرد، وتتصف الحالة بأداء عقلي دون المتوسط بشكل واضح يوجد متلازماً مع جوانب قصور ذات صلة في مجالين أو أكثر من مجالات المهارات التكيفية التالية: التواصل، العناية بالذات، المهارات الاجتماعية، استخدام المصادر المجتمعية، التوجيه الذاتي، الصحة والسلامة، المهارات الأكاديمية، وقت الفراغ، ومهارات العمل. (فرج، ٢٠٠٦: ١٠٥)

وتعرف التربية الخاصة: بأنها تصميم تدريسي خاص لتلبية الاحتياجات غير العادية للطلبة ذوي الحاجات الخاصة. (جروان وآخرون، ٤٠، ٢٠١٣)

وتعددت قضايا ومشكلات التربية الخاصة نتيجة للتطور الذي حدث في ميدانها في الوقت الحاضر ومن هذه القضايا قضية الكوادر اللازمة والمؤهلة. (الروسان، ١٩٩٨: ١٨٧)

ونتيجة للتطور الذي حصل في ميدان التربية الخاصة فقد حظي اختيار المعلمين والعاملين في هذا المجال وتأهيلهم وتدريبهم باهتمام القائمين على هذه البرامج الخاصة، وتم التأكيد على فاعليتهم بسبب المهمة الأصعب التي تنتظرهم مقارنة مع زملائهم المعلمين العاديين، إذ يتوقع منهم التعامل مع أطفال يظهرون مدى واسعاً من الانحرافات النمائية والاضطرابات السلوكية. (wison&sqpir 1982, p.III)

ويختلف دور معلم التربية الخاصة عن دور المعلم العادي؛ فعلى معلم التربية الخاصة أن يتعامل مع فئة من الطلاب على أساس فهم تام لخصائصهم النفسية وسلوكياتهم واحتياجاتهم وميولهم واهتماماتهم، كما عليه أن يسعى إلى تقديم ما يناسبهم من الأساليب والطرق والأنشطة التي تتماشى معهم وتتناسب مع مستوياتهم وتناسب ظروفهم المختلفة. (شكري، ١٩٨٩: ٤٣)

وينطوي تعليم الأطفال المتخلفين ذهنياً على تحديات وصعوبات كبيرة، لذلك فإن مواجهة الاحتياجات التعليمية والانفعالية الخاصة بالأطفال المتخلفين ذهنياً يومياً يحتم على المعلم الإلمام بعدد من الكفايات والمهارات اللازمة للتعامل معهم.

مشكلة الدراسة

إن مؤسسات ومراكز تأهيل الأطفال المتخلفين ذهنياً تنقصها العديد من الإمكانيات، وكذلك الكفاءات العلمية المتمثلة في عدم وجود معلم ذو إعداد وتدريب وتأهيل خاص، وكفايات تعينه على تعليم الطلاب من ذوي التخلف الذهني، وهذه الدراسة هي محاولة للتعرف على الكفايات والمهارات التدريبية اللازمة لمعلمي ومعلمات الأطفال ذوي التخلف الذهني.

أهداف الدراسة : تهدف الدراسة إلى التعرف على:

- ١- الكفايات التربوية اللازمة لمعلمي ومعلمات الأطفال المتخلفين ذهنياً كما يراها أفراد عينة الدراسة.
- ٢- الترتيب النسبي لأبعاد الكفايات اللازمة لمعلمي ومعلمات الأطفال المتخلفين ذهنياً.

تساؤلات الدراسة

- ما الكفايات التربوية اللازمة لمعلمي ومعلمات الأطفال المتخلفين ذهنياً التي يراها أفراد عينة البحث؟
- ما الترتيب النسبي لأبعاد الكفايات اللازمة لمعلمي ومعلمات الأطفال المتخلفين ذهنياً؟

أهمية الدراسة

١. تستمد هذه الدراسة أهميتها من أهمية الموضوع الذي تتناوله؛ وهو الكفايات والمهارات التربوية التي يحتاجها معلمي ومعلمات الأطفال المتخلفين ذهنياً على اعتبار أن فئة المتخلفين عقلياً، هم شريحة من شرائح المجتمع لها حقوقها واحتياجاتها المختلفة مثلها مثل غيرها من الفئات، وبنجاح المعلمين في تقديم أفضل الخدمات لهذه الفئة تحقيق لمبدأ تكافؤ الفرص، وتخفيف معاناة فئة ذوي القدرات العقلية المحدودة، ومساعدة لأسرهم على تخطي المحنة التي يمرون بها.
٢. تنبيه الجهات المسؤولة على العملية التربوية التعليمية، وأصحاب القرار إلى أهمية تدريب وتأهيل معلمي ذوي القدرات العقلية المحدودة على أفضل الأساليب والإستراتيجيات التعليمية الحديثة، للرفع من قدرات ومهارات المتخلفين عقلياً.
٣. تنبيه المسؤولين في مجالس إدارة كليات التربية ولجانها العلمية إلى ضرورة الاهتمام بأقسام التربية الخاصة، والعمل على تطويرها للرفع من مستوى مخرجاتها من معلمي التربية الخاصة، والعمل على تطوير برنامج الدراسة الحالي، والإعداد لتطبيق نظام المسارات المحددة التي تضمن التخصص الدقيق للخريج، وهو ما يضمن جودة مخرجات هذا القسم.

مجالات الدراسة

المجال الموضوعي: الكفايات اللازمة لمعلمي ومعلمات الأطفال المتخلفين ذهنياً.
المجال البشري: معلمات الأشخاص ذوي الإعاقة الذهنية.
المجال المكاني: مركز طليطلة لتأهيل المعاقين ذهنياً ومركز الأندلس في مدينة طرابلس.

مصطلحات الدراسة

الكفايات: تعني مختلف أشكال الأداء التي تمثل الحد الأدنى الذي يلزم لتحقيق هدف ما؛ أي هي مجموع الاتجاهات، وأشكال الفهم، والمهارات التي من شأنها أن تيسر للعملية التعليمية تحقيق أهدافها العقلية والوجدانية والنفوس حركية. (طعيمة، ١٩٨٧: ٤٧)
إعاقة المقعد: المقعد هو الفرد الذي يختلف عن يطلق عليه لفظ (سوي) أو (عادي) في النواحي الجسمية، أو العقلية، أو المزاجية، أو الاجتماعية إلى الدرجة التي تستوجب عمليات التأهيل الخاصة، حتى يصل إلى استخدام أقصى ما تسمح به قدراته ومواهبه. (بدوي، ١٩٨٢: ١٩٠)

الإعاقة: هي عدم قدرة الشخص على تأدية عمل يستطيع غيره من الناس تأديته، وقد تكون الإعاقة بدنية أو نفسية. (إبراهيم، وفرحات، ١٩٩٨: ٣٨)

الإعاقة الذهنية: تعرف الإعاقة العقلية (الذهنية) بأنها جانباً من جوانب القصور في أداء الفرد، والتي تظهر قبل سن (١٨) الثامنة عشر، وتتمثل في التدني الواضح في القدرة العقلية عن متوسط الذكاء، يصاحبها قصور واضح في اثنين أو أكثر من مظاهر السلوك التكيفي. (النوايسة، ٢٠١٣: ٤٨)

معلم الإعاقة الذهنية: هو كل من يقوم بتأهيل وتدريب وتعليم مهارات للأطفال المتخلفين ذهنياً في مراكز الإعاقة الذهنية في مدينة طرابلس.

الدراسات السابقة

تعددت الدراسات السابقة المهمة بإعداد معلمي ومعلمات التربية الخاصة بصفة عامة، والتي أكدت على ضرورة حصول المعلمين على كفايات ومهارات تؤهلهم للتعامل مع الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، ولعل من بين هذه الدراسات دراسة (رينولدس ١٩٧٢) (وبلاكيرت ١٩٨١) حول موضوع برامج التربية الخاصة، هل هي عامة أو متخصصة؟ إذ يقترح رينولدس البرنامج الشامل، في حين يقترح بلاكيرت برنامج إعداد معلم التربية الخاصة في كل فئة من فئات التربية الخاصة. أما دراسة ملني ١٩٧٩، فقد أشار إلى الكفايات اللازمة لمعلم التربية الخاصة أهمها كفايات التفاعل مع المعاق في المواقف

التعليمية، وكفاية المرونة في المواقف التعليمية، وكفاية ضبط السلوك الاجتماعي، وكفاية تحليل المهارات التعليمية، وكفاية تدريس المهارات الأساسية، والأكاديمي، وكفاية استخدام أدوات القياس والتشخيص، وكفاية توظيف أساليب تعديل السلوك. (الروسان، ١٩٩٨: ١٧٦)

وأجرى الغرير (١٩٩١) دراسة هدفت إلى التعرف إلى الكفايات التربوية لمعلمي الأطفال المعاقين ذهنياً في الأردن، وقد أجابت الدراسة على ثلاث أسئلة رئيسية هي هل تختلف تصورات معلمي الطلبة المعاقين ذهنياً للكفايات الأساسية اللازمة للمعلم الناجح باختلاف المؤهل التعليمي، وهل توجد فروق بين المعلمين والمعلمات في تصورهم لتلك الكفايات، وهل تختلف تصورات معلمي المعاقين عن تصورات مديرة المراكز لتلك الكفايات، وتكونت العينة من (١٧٠) معلم ومعلمة من العاملين في مراكز التربية الخاصة للإعاقة العقلية و(١٩) مديراً من مديري ومديرات تلك المراكز، وأشارت النتائج إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية لمتغير الجنس، والوظيفة، والمؤهل العلمي، لتصورهم لتلك الكفايات الأساسية اللازمة لمعلمي الإعاقة العقلية. (الروسان، ١٩٩٨: ١٧٩)

وبين (raumond 1986) في دراسته إلى أن الكفايات والمهارات التي ينبغي أن تتوفر في معلمي التربية الخاصة هي: قدرات ملموسة في مجال التوجيه والإرشاد، التحلي بروح مسؤولة عالية، إتقان عمليات الاتصال اللفظي وغير اللفظي، التمتع بصفات قيادية مميزة، ويكون قدوة حسنة للآخرين، التمتع بقدرات إدارية مميزة.

بينما حدد (biackhnrst 1987 kedden/) مجموعة من الكفايات التي يجب أن تتوفر لمعلم المعاقين ذهنياً الذي يوصف بالفاعلية ومنها:

أولاً: قياس الحاجات وتحديد الأهداف وتشمل:

- جمع المعلومات اللازمة لتحديد الحاجات التربوية لكل طفل.
- تقييم مستوى الأداء الحالي للطفل.
- تحديد الأهداف الملائمة والقابلة للقياس
- إشراك الوالدين في تحديد الأهداف الخاصة بطفلهم.

ثانياً: تخطيط الاستراتيجية التدريسية وتتطلب:

- وضع نظام تعليمي يراعي الفروق الفردية بين الأطفال.
- تحديد النشاطات المطلوبة، وتنويعها، وتوزيعها على الأطفال.
- تحديد الاستراتيجية البديلة.
- التخطيط لاستخدام المصادر الإنسانية والمواد المتاحة.

- تحديد جدول زمني يتفق مع حاجات الطلبة التربوية، والنفسية، والجسمية.
- تهيئة المناخ المناسب في الصف حسب متطلبات الأطفال وظروف تعلمهم.

ثالثاً: تنفيذ الاستراتيجية التدريسية ويشمل:

- استخدام طرق التدريس القائمة على فردية التعلم.
- تحديد واستخدام وتنظيم عدداً من النشاطات المتنوعة لتحقيق الأهداف المنشودة.
- تحديد طرق ضبط السلوك داخل الفصل وخارجه.
- التعرف على الأنماط السلوكية الجيدة وتعزيزها.

رابعاً: تقييم التعلم ويشمل:

- استخدام نظام جمع وتسجيل بيانات تقدم الطفل.
- استخدام التغذية الراجعة.
- استخدام بيانات التقويم المناسبة لتقدير مدى تحقق الأهداف التعليمية من خلال قياس نواتج التعلم النهائية. (ص ٧)

وفي دراسة قام بها (اجو يلي ٢٠١٢) حول الكفايات التربوية لمعلمي الأطفال المتخلفين ذهنياً، والتي هدفت إلى التعرف على الكفايات التربوية اللازمة للأطفال المتخلفين ذهنياً، وتكونت عينة الدراسة من (١١٥) معلم ومعلمة من مراكز الإعاقة العقلية بالمنطقة الشرقية، وتوصلت الدراسة إلى: أن معلمي الأطفال المعاقين ذهنياً تنقصهم جميع الكفايات اللازمة للتعامل مع هذه الفئة، ويحتاجون إلى التدريب الفعال للتعامل مع مثل هؤلاء الأطفال، فهم بحاجة إلى كفاية التخطيط، والتشخيص، والتقييم، والتعامل مع المعاق وأسرتهم، ولا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في استجابات أفراد عينة البحث في الكفايات اللازمة لمعلمي الأطفال المتخلفين ذهنياً ترجع إلى نوعهم، والمؤهل العلمي، والتخصص، ومدة الخدمة.

الإجراءات المنهجية للدراسة

مجتمع الدراسة: تكون مجتمع الدراسة من جميع معلمات مركزي طليطة لتأهيل المعاقين ذهنياً، ومركز الأندلس لتأهيل المعاقين التابعين لفرع الهيئة العامة لصندوق التضامن الاجتماعي فرع طرابلس ليبيا، والبالغ عددهن (٢١) منهن (٢٠) بمركز طليطة و(١١) بمركز الأندلس.

عينة الدراسة: بعد توزيع الاستبانات على أفراد مجتمع الدراسة حصل الباحثان على

(٢٦) (استبانة منهم) (١٦) معلمة من مركز طليطلة، و(١٠) معلمات من مركز الأندلس وعدها الباحثان عينة الدراسة.

أداة الدراسة: تم الاعتماد على الأداة التي قام بإعدادها الدكتور عبد الكريم اجوي في دراسته والتي تتكون من (٢٩) فقرة وإزاء كل فقرة ثلاثة بدائل هي (ضرورية، ضرورية لحد ما، غير ضرورية، وقام بالتأكد من ثباته وصدقه على النحو التالي:

ثبات الأداة: اعتمد معامل الثبات ألفا كرو نباخ، حيث بلغت قيمته (٠,٨٩٦٦)، ولصدق الأداة عمد إلى إيجاد الجذر التربيعي للثبات والبالغة قيمته (٠,٩٤٦٨٨)

عرض النتائج وتحليلها

الهدف الأول: الكفايات التدريبية اللازمة لمعلمات الأشخاص المتخلفين ذهنياً من وجهة نظر عينة الدراسة.

للتحقق من الهدف الأول قام الباحثان بحساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لفقرات الأداة، بالإضافة إلى المتوسط العام وذلك على النحو التالي:

ت	الفقرات	المتوسطات الحسابية	الانحرافات المعيارية
	أن يتقبل الأطفال المعاقين ذهنياً	١,٨٨٤٦	٠,٩٥١٩٢
	الرغبة في العمل مع الأطفال المعاقين ذهنياً	١,٢٣٠٨	٠,٥١٤٤١
	أن يتحمل تصرفات الأطفال المعاقين ذهنياً	١,٠٧٦٩	٠,٢٧١٧٥
	أن يكون فاهماً لمجال ذوي الحاجات الخاصة	١,٤٢٣١	٠,٥٧٧٧٩
	أن يكون على معرفة بالاختبارات والمقاييس المستخدمة مع الأطفال المعاقين ذهنياً	١,٤٢٣١	٠,٦٤٣٣١
	أن يكون قادراً على تطبيق الاختبارات والمقاييس الخاصة بالأطفال المعاقين ذهنياً	١,٥٠٠٠	٠,٧٠٧١١
	أن يكون قادراً على تفسير نتائج الاختبارات المطبقة على الأطفال المعاقين ذهنياً	١,٥٣٨٥	٠,٦٤٦٨٩
	أن يكون قادراً على ملاحظة سلوك الأطفال المعاقين ذهنياً وتسجيله	١,٤٢٣١	٠,٦٤٣٣١
	أن يكون قادراً على قياس الأداء الحالي للطفل المعاق ذهنياً	١,٤٢٣١	٠,٥٧٧٧٩
	أن يكون قادراً على تقييم تطور الطفل المعاق ذهنياً	١,٤٢٣١	٠,٦٤٣٣١
	القدرة على تشخيص وتصنيف التخلف العقلي	١,٥٠٠٠	٠,٦٤٨٠٧
	القدرة على تقييم الخطة التعليمية	١,٣٨٤٦	٠,٥٧١١٠

ت	الفقرات	المتوسطات الحسابية	الانحرافات المعيارية
	المعرفة بمبادئ تصميم مناهج المتخلفين ذهنياً	١,٥٧٦٩	٠.٧٠٢٢٤
	المعرفة بمبادئ التعلم الخاصة بالمتخلفين ذهنياً	١,٥٠٠٠	٠.٧٠٧١١
	أن يعرف مكونات الخطة التعليمية الفردية	١,٣٠٧٧	٠.٤٧٠٦٨
	القدرة على وضع وتنفيذ الخطة التعليمية الفردية	١,٢٦٩٢	٠.٤٥٢٣٤
	القدرة على تعليم الأطفال المعاقين ذهنياً مهارات القراءة والكتابة	١,١٩٢٣	٠.٤٠١٩٢
	القدرة على تعليم الأطفال المعاقين ذهنياً مهارات العناية بالذات	١,٧٦٩٢	٠.٩٠٨٠٨
	القدرة على تعليم الأطفال المعاقين ذهنياً مهارات الحركية والرياضية	١,١٥٣٨	٠.٤٦٤١٠
	القدرة على تعليم الأطفال المعاقين ذهنياً التمييز بين الألوان والأشكال والروائح	١,١٥٣٨	٠.٣٦٧٩٥
	القدرة على مراعاة الفروق الفردية	١,١٥٣٨	٠.٤٦٤١٠
	أن تستخدم أساليب متنوعة في تعليم الأطفال المتخلفين ذهنياً	١,٢٣٠٨	٠.٤٢٩٦٧
	أن تستخدم أساليب التعزيز المناسبة	١,١٥٣٨	٠.٣٦٧٩٥
	أن تستخدم الوسائل التعليمية المناسبة	١,١٥٣٨	٠.٣٦٧٩٥
	تهيئة البيئة الصفية	١,١٩٢٣	٠.٥٦٧٠٤
	القدرة على شرح الإعاقة العقلية لأسرة الطفل المعاق	١,٢٦٩٢	٠.٥٢٣٤٩
	مساعدة الأسرة على تقبل الطفل المعاق	١,٢٦٩٢	٠.٥٢٣٤٩
	تقديم تقارير للأسرة حول تقدم الطفل المعاق	١,١١٥٤	٠.٣٢٥٨١
	القدرة على وضع خطة لكيفية التعامل مع الطفل المعاق	١,١٩٢٣	٠.٤٠١٩٢

يتضح من الجدول السابق إن المتوسطات الحسابية لفقرات الاستبيان توزعت بين (١,٨٨٤٦) و (١,٠٧٦٩)، وهي جميعها أقل من المتوسط العام حيث كانت متوسطات الفقرات (١, ٦, ٧, ١١, ١٣, ١٤, ١٨) أكثر من (١,٥٠٠٠)، وهي متوسطات قريبة من المتوسط، وجاء في الترتيب الثاني من حيث المتوسطات الفقرات (٢, ٤, ٥, ٨, ٩, ١٠, ١٢, ١٥, ١٦, ١٧, ١٩, ٢٠, ٢١, ٢٢, ٢٣, ٢٤, ٢٥, ٢٦, ٢٧, ٢٨)، أما الفقرة (٣) حصلت على متوسط حسابي (١,٠٧٦٤)، وهذا يبين لنا بأن معلمات المراكز الذهنية لا يمتلك أي من الكفايات التدريبية التي تؤهلهم للعمل مع فئات الإعاقة الذهنية، وأغلبهم غير متدربين على الرعاية والتأهيل لمثل هذه الأعمال، وبالرجوع إلى مؤهلاتهم العلمية يتضح بأن مؤهلاتهم بعيدة كل البعد عن مؤهلات التربية الخاصة، وأغلبهم يشغلون بهدف الحصول على المردود المادي فقط.

الهدف الثاني: الترتيب النسبي لأبعاد أداة الاستبانة

للتحقق من الهدف الثاني قام الباحثان بإيجاد المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وتم ترتيبها تنازلياً وذلك على النحو التالي:

الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	البعد
٣,٥١٥٤٦	١٣,٠٣٨٥	كفايات التشخيص والتقييم
٢,٠١٣٨٠	١١,١٥٣٨	كفايات تنفيذ البرامج
١,٧٤٤٠٠	٨,١٩٢٣	كفايات التعامل مع الأسرة والأشخاص ذوي الإعاقة المعاق
١,٨٧٤٩٤	٥,٦٥٣٨	كفايات تخطيط برنامج المحتوى التعليمي

يتبين من الجدول السابق أن البعد الثالث كان في الترتيب الأول بمتوسط حسابي (١٣,٠٣٨٥) وجاء في الترتيب الثاني بُعد كفايات تنفيذ البرامج بمتوسط حسابي (١١,١٥٣٨)، أما بُعد كفايات التعامل مع الأسرة والأشخاص ذوي الإعاقة جاء في الترتيب الثالث بمتوسط حسابي (٨,١٩٢٣)، أما في الترتيب الرابع كان بُعد تنفيذ كفايات تخطيط برنامج المحتوى التعليمي بمتوسط (٥,٦٥٣٨) وهذا يدل على أن المعلمات اللواتي يقمن بالتدريب على غير دراية بما ينبغي أن يقوم به معلم التربية الخاصة وأن جلهن غير متحصلات على مؤهلات في التربية الخاصة، وفي الغالب يقمن بأعمالهن بشكل روتيني غير متقن.

أهم النتائج

لقد توصلت الدراسة الحالية إلى النتائج التالية:

- ١- لا تمتلك معلمات الأشخاص ذوي الإعاقة أي كفايات تدريبية تؤهلن للقيام بأعمالهن.
- ٢- يتضح من الترتيب التنازلي لأبعاد الكفايات التدريبية للمعلمات عدم معرفتهن بالتعامل مع الأشخاص ذوي الإعاقات الذهنية.
- ٣- يتضح من خلال نتائج الدراسة أن جميع المعلمات غير متخصصات، وغير متحصلات على مؤهلات علمية بمجال ذوي الاحتياجات الخاصة.

التوصيات

- في ختام هذا البحث صاغ الباحثان عدد من التوصيات نجملها في الآتي:
- ١- إعداد معلمين متخصصين في مجال الإعاقة الذهنية وإقامة دورات تأهيلية متخصصة في هذا المجال للرفع من مستوى معلمي هذه الفئة.
 - ٢- تطوير أقسام التربية الخاصة بكليات التربية بالجامعات الليبية حتى تساهم في تخريج كوادر مؤهلة في التربية الخاصة.
 - ٣- ضرورة العمل على تقديم برامج علاجية من أجل مساعدة هذه الفئة على حل مشاكلهم والتغلب عليها.
 - ٤- الاستفادة من التقنيات التربوية الحديثة، واستخدام آخر ما توصلت إليه التكنولوجيا الحديثة في التخفيف من حدة هذه المشكلة.
 - ٥- إقامة برامج تثقيفية توعوية لأولياء الأمور تنبهم إلى خطورة هذه المشكلة وضرورة الانتباه إليها والمساعدة في تقديم برامج علاجية تعليمية.

المراجع والمصادر

- إبراهيم، حلمي؛ السيد فرحات، ليلي. (١٩٩٨). التربية الرياضية والترويح للمعاقين، دار الفكر العربي، القاهرة.
- أجويلي، عبد الكريم. (٢٠١١). الكفايات التربوية اللازمة لمعلمي التربية الخاصة. بحث غير منشور: جامعة بنغازي
- أحمد طعيمة، رشدي. (١٩٨٧). الكفايات التربوية اللازمة لمعلم العربية بالمستوى الجامعي. الكتاب السنوي في التربية وعلم النفس، التعليم الجامعي في الوطن العربي. المجلد الثالث عشر، القاهرة: دار الفكر العربي.
- جروان، فتحي؛ وآخرون. (٢٠١٣). الطلبة ذوي الحاجات الخاصة «مقدمة في التربية الخاصة» الأردن: دار الفكر ناشرون وموزعون.
- حسين فرج، عبد اللطيف. (٢٠٠٧). الإعاقة العقلية والذهنية، الأردن: دار الحامد للنشر والتوزيع.
- الروسان، فاروق. (١٩٩٨). قضايا ومشكلات في التربية الخاصة. الأردن: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- زكي بدوي، أحمد. (١٩٨٢). معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، إنجليزي، فرنسي، عربي، ط٢ بيروت: مكتبة لبنان.
- عبدالرحيم النوايسة، فاطمة. (٢٠١٣). ذوو الاحتياجات الخاصة، الأردن: دار المناهج للنشر والتوزيع.
- محمد القذافي، رمضان. (١٩٩٤). سيكولوجية الإعاقة. منشورات الجامعة المفتوحة.

دراسة مقارنة بين مرضى السرطان والأسوياء في درجة الشعور بالاكئاب وقلق الموت دراسة في ضوء نظريتي التعلم الاجتماعي، والنظرية المعرفية

أجري هذا البحث بدعم من جامعة البلقاء التطبيقية خلال إجازة التفرغ العلمي
المنوحة للباحث (علاء زهير الرواشدة) خلال العام الدراسي ٢٠١٣ - ٢٠١٤

الملخص

د.علاء زهير الرواشدة*



($\alpha=0,05$) تعزى لأثر المتغيرات
المستقلة على درجة الشعور بقلق الموت
والاكئاب، باستثناء متغير الوضع
الاقتصادي.

- وجود فروق ذات دلالة إحصائية
($\alpha=0,05$) في درجة الشعور
بقلق والموت والاكئاب بين مرضى
السرطان والأسوياء. وجاءت الفروق
لصالح مرضى السرطان.

الكلمات المفتاحية: السرطان، قلق الموت، الاكئاب،
النظرية المعرفية، نظرية التعلم الاجتماعي.

هدفت الدراسة إلى معرفة
الاختلاف في درجة الشعور بالسماط
الانفعالية (قلق الموت والاكئاب) بين
مرضى السرطان والأسوياء. واحتوت أداة
البحث على سبع وثلاثين فقرة، وتمثلت
عينة الدراسة بالنسبة للمرضى: من
مرضى السرطان المقيمين في مستشفى
الملك عبد الله المؤسس، أما الأسوياء
فتمثلت بأبناء المجتمع الأردني واستخدم
المنهج الوصفي الذي يصف الظاهرة
وصفا نوعيا وكما، فيما يلي عرض لأهم
النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

- بالنسبة لدرجة الشعور بقلق الموت
جاءت أربع فقرات بدرجة كبيرة من
أصل ١٥ فقرة وباقي الفقرات جاءت
بدرجة متوسطة.
- بالنسبة لدرجة الشعور بالاكئاب جاءت
سبع فقرات بدرجة كبيرة من أصل ٢٢ فقرة
وباقي الفقرات جاءت بدرجة متوسطة.
- عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية

* دكتورة علم اجتماع، رئيس قسم العلوم الاجتماعية جامعة البلقاء التطبيقية/الأردن.
alaa_rwashdeh@yahoo.com

Acomparative Study of the feeling s of depression and Death – Fear among cancer patient and healthy individual acagni- tive theory and Social education perspectives

Dr. Alaa Zuheir Rawashdeh

Social sciences Dpt.

Abstract

Acomparative Study of the feeling s of depression and Death – Fear among cancer patient and healthy individual acognitive theory and Social education perspectives

The Study aime of having knowledge of the varried emotional responses: especially those of Death – fear and depression. among cancer – patient and healthy individuals. the Study consiste of 37 items. The sample consists of two types: the cancer patiente who were chosen from patients who were admitted in king Abdullah hospital, and healthy individual who were selected from randomly from the jordanian Society. The results of the study can be summed up as:

- According to feath – fear, four answers reveal agreat degree of fear out of 15, while the other exprees amoderate degrea.
- According to depression, 7 responseo answer agreat degrea out of 22 itemes, while the others express amoderate degree.
- There are the no significant variant differences ($\alpha=0, 05$) due to the effects of the independent changes with regard to the issue of death – fear and depression with an exception of death – fear and depression with an exception the economic situation.
- There are – variant differences of a static significance. ($\alpha= 0, 05$) in the feeling of death – fear and depression among cancer paitients and healty individuals. The differences were in advantage for the cancer patient.

Key words: cancer, Death, fear. Depression, congntive theory, Sociological. theory of learning.

المقدمة

حتى النصف الثاني من القرن الماضي كان الاعتقاد السائد بأن مرض السرطان يعني الموت والهلاك، فكان الأطباء يخفون التشخيص عن المصابين، ويبلغون به أسرهم فقط، وبالرغم من مرور الوقت والتقدم العلمي المذهل، ما زال التأثير النفسي للسرطان على المريض ربما يكون مدمراً، فلا تزال كلمة السرطان تستحضر مخاوف الموت، والعذاب والتشوه، والاعتماد على الغير، والعجز عن حماية أولئك الذين نعتبرهم أعزاء علينا وعادة ما تكون ردة الفعل الفورية عند الشخص المريض ما هي إلا عدم التصديق والإصابة بالصدمة، ثم تأتي مرحلة الضيق الحاد والهاج الشديد والاكتئاب الذي قد ينطوي على الانهماك في التفكير بالمرض، والموت، والقلق، وفقدان الشهية، والأرق، وضعف التذكر والتركيز، والعجز عن القيام بالأعمال اليومية الحياتية. (بركات، ٢٠٠٩)

إحصائياً وجد أن رقم ضحايا السرطان في مختلف البلدان يتراوح بين ١٠-٥ بالمئة من مجموع الوفيات العام الماضي (أبو غنيمة، ٢٠١٠). وفي الإحصائية التي أصدرتها منظمة الصحة العالمية عن مرضى السرطان على مستوى العالم، وجد أن سرطان الرئة، وسرطان الثدي أكثر أنواع السرطانات انتشاراً على مستوى العالم، وأشارت المنظمة إلى أن عدد الحالات الجديدة لمرض سرطان الرئة التي يتم تسجيلها على مستوى العالم وصل إلى ١,١٦ مليون شخص حسب الإحصائية التي استندت إلى بيانات عام ٢٠٠٨. وحل سرطان الثدي في المرتبة الثانية بعد سرطان الرئة حيث بلغ عدد الإصابات الجديدة بهذا المرض ١,٢٨ مليون شخص، ثم سرطان الأمعاء ١,٢٣ مليون شخص، وأشارت الإحصائية إلى أن إجمالي عدد الحالات الجديدة للإصابة بمرض السرطان عام ٢٠٠٨ وصل إلى نحو ٧,١٢ مليون حالة، فيما بلغت حالات الوفيات نتيجة الإصابة بالسرطان نحو ٦,٧ مليون.

وأوضحت الإحصائيات أن مرض السرطان يعد أكثر انتشاراً في الدول الأكثر فقراً، وحسب الإحصائيات كان عدد الوفيات بمرض سرطان المعدة ٧٤٠ ألف شخص، تلاه عدد الوفيات نتيجة الإصابة بمرض سرطان الكبد ٦٩٠ ألف شخص، وتشير التوقعات إلى أن إجمالي عدد الإصابة بمرض السرطان على مستوى العالم سيرتفع بحلول نهاية عام ٢٠٣٠ ليصل إلى نحو ٢١,٤ مليون شخص. (وكالة عمون الإخبارية، ٩/٢٠١٠).

وفي الأردن تضاعف عدد المصابين بمرض السرطان، والتوقعات أن يزيد المعدل خلال عشرين سنة، ولربما يصل إلى الضعف أو الضعفين للنسبة الموجودة حالياً، حيث أشارت إحصائية للمصابين بالمرض في الأردن أن حالات الإصابة بالمرض بلغت ٤٦٥٠ من الأردنيين و١٦٥٠ من غير الأردنيين للعام ٢٠٠٨، وسجلت ٤٤٠٠ حالة من الأردنيين و١٥٠٠ غير أردنيين للعام ٢٠٠٧. (net 2). وفي آخر إحصائية أجراها مركز الحسين للسرطان عام ٢٠١٠ عدد حالات الإصابة بالسرطان في الأردن بلغت ٤٨٠٠ (net 3).

مشكلة الدراسة

تحاول هذه الدراسة المقارنة في درجة الشعور بين المصابين بمرض السرطان والأسوياء في عدد من السمات مثل (قلق الموت والاكتئاب)، وتحليل ذلك في ضوء نظريتي التعلم الاجتماعي والمعرفية، خاصة وأن مرض السرطان من أكثر الأمراض انتشاراً بالعالم، وأعظمها فتكاً بحياة الإنسان. وما يزال هذا المرض يحظى باهتمام الباحثين لما له من آثار جسدية جسيمة على مستوى الأفراد، والجماعات وما يصاحب هذا الأثر من مشقة نفسية كبيرة وعلى ضوء ذلك فإن الدراسة تهدف لمعرفة تلك الفروق المختلفة في الدرجة لا بالنوع بين المصابين والأسوياء.

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى الإجابة عن التساؤلات:

س١: ما درجة الشعور بقلق الموت لدى عينة الدراسة؟

س٢: ما درجة الشعور بالاكتئاب لدى عينة الدراسة؟

س٣: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية ($a = 0,05$) في درجة الشعور بقلق الموت لدى عينة الدراسة تعزى لمتغيرات (الجنس، العمر، المستوى التعليمي، الوضع الاقتصادي، مكان السكن، عدد أفراد الأسرة، الحالة العملية، الحالة الاجتماعية، مكان الإصابة)؟

س٤: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية ($a = 0,05$) في درجة الشعور بالاكتئاب لدى عينة الدراسة تعزى لمتغيرات (الجنس، العمر، المستوى التعليمي، الوضع الاقتصادي، مكان السكن، عدد أفراد الأسرة، الحالة العملية، الحالة الاجتماعية، مكان الإصابة)؟

س٥: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($a = 0,05$) بين مرضى السرطان والأسوياء في درجة الشعور بقلق الموت والاكتئاب؟

أهمية الدراسة ومبرراتها

تتبع أهمية الدراسة من الاعتبارات النظرية والعملية الآتية:

- إن معرفة أسباب الاختلاف بين مرضى السرطان والأسوياء في الاستجابة يساعد على إيجاد الحلول، ومحاولة إيجاد نوع من التكيف بين المريض والمواقف المختلفة. وذلك لأن بقاء المشكلة دون دراسة قد يؤدي إلى زيادة الانعكاسات، والآثار السلبية المتمثلة بالمشقة الجسمية، والنفسية التي يواجهها المريض منذ تشخيص المرض إلى مرحلة العلاج.

- ومن الممكن أن تستفيد المؤسسات الاجتماعية، والصحية من نتائج هذه الدراسة في بناء برامجها وخططها المستقبلية.

- إن موضوع هذه الدراسة يعتبر، واحد من أهم موضوعات البحث في علم الاجتماع الطبي، والتطبيقي، والمشكلات الاجتماعية، والخدمة الاجتماعية الطبية. إذ أنها تعتبر المريض فرداً من ضمن أفراد المجتمع يجب أن تمتد إليه يد العون والمساعدة، إلى أن نصل به إلى مرحلة الشفاء ويعود إلى الحياة الطبيعية ليساهم مساهمة إيجابية في أداء دوره في المجتمع. وتهتم هذه العلوم أيضاً في المجال الطبي في أي مجتمع من المجتمعات، أساساً بالمريض كإنسان له حاجاته الجسمية، والنفسية، والاجتماعية التي تتفاعل معه وتؤثر فيه، فالأخصائي الاجتماعي الطبي يساعد المرضى بمختلف الوسائل التي تمكنهم من استرداد صحتهم، والتغلب على المشكلات والصعوبات التي تعترضهم أثناء مرضهم، وإدخال الطمأنينة إلى قلوبهم خلال فترة العلاج حتى يتم شفاؤهم.

- ترتبط هذه الدراسة بشكل مباشر في علم الاجتماع الطبي، والخدمة الاجتماعية: حيث تهدف إلى مساعدة المريض على الاستفادة الكاملة من العلاج، ثم مساعدته على التكيف في بيئته الاجتماعية. كما ترتبط أيضاً بالجانب التنموي وذلك من خلال العمل مع الأسوياء، لذا يتم البحث في هذا المجال تبعاً للنظام الاجتماعي الاقتصادي الذي ينشأ ويتطور وتعمل في ظله العلوم الاجتماعية، فتعمل في هذا المجال مع المرضى بغية مساعدتهم على التعامل بشكل فعال مع مشكلاتهم الاجتماعية، والانفعالية والعوائق التي تؤثر في المرض، أو تكون سبباً فيه بهدف النهوض بالمجتمع. فمن المعروف أن المرض أصبح يشكل مشكلة اجتماعية، ومشكلات عامة على مستوى المجتمع لا بد من وجود فرق تواجهه، كما أن الاهتمام بالصحة له دور في زيادة الإنتاج وتحقيق الرفاهية، إضافة إلى أن المحافظة على صحة الإنسان هو مقياس على تطور وتقدم المجتمع وتنمية الإنسان لا تتأتى بتشريعات سياسية، أو تشريعية، أو تكنولوجية لأن تنمية المستوى الاجتماعي والاقتصادي مرتبطان بالتغير والأحداث، حيث يقع ما لم يكن بالحسبان من سلبيات تنعكس عاجلاً أو آجلاً على المجتمع. حيث أن مريض السرطان يعتبر من فئة ذوي الحاجات الخاصة فهو يعاني من صعوبات نفسية، وجسمية، ومصطلح الأسى المرتبط بالتوقعات (anticipatory, grief) والمستخدم للإشارة إلى ردود الأفعال العاطفية التي تحدث قبل فقدان شيء عزيز كما هو الحال في المريض المصاب بمرض خطير، فهو لاء يشعرون بالأسى المرتبط وبالأسى الحقيقي في الوقت نفسه. (الخطيب، ١٩٩٨)

- وتبع أهميتها أيضاً من أنها ستلقي الضوء على العوامل المختلفة التي لم تكشفها الدراسات السابقة والمسؤولة عن المشكلة، خاصة وأن الدراسات في هذا الموضوع نادرة على مستوى العالم على الرغم من تزايد نسب الإصابة بمرض السرطان.

الإطار النظري والدراسات السابقة ويتضمن:

- مفهوم السرطان
- عوامل السرطان وأسبابه
- أدوار الأخصائي الاجتماعي الطبي مع مرضى السرطان وأسرههم والمجتمع
- الصحة Health:
- الاكتئاب Depression:
- نظريات فسرت الاكتئاب وأسبابه:
- مفهوم القلق Anxiety، مظاهره وأسبابه
- النظريات التي فسرت القلق
- العلاقة بين القلق والاكتئاب

الدراسات السابقة

منهجية الدراسة وإجراءاتها

منهجية الدراسة: تنتمي هذه الدراسة إلى نمط الدراسات الوصفية التي تستهدف تحليل ودراسة الحقائق الراهنة المتعلقة بطبيعة مشكلة البحث وذلك بهدف الحصول على معلومات كافية ودقيقة عنها. ومن هنا تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي الذي يعبر عن الظاهرة موضع الدراسة تعبيراً كمياً إضافة إلى منهج المسح الاجتماعي بالعينة.

مجتمع الدراسة: يتكون مجتمع الدراسة من جميع مرضى السرطان متلقي العلاج في مستشفى الملك عبد الله المؤسس، والأسوياء في المجتمع الأردني.

عينة الدراسة: تكونت عينة الدراسة من (١٠٠) مبحوث بواقع، (٥٠) مصاب، و(٥٠) غير مصاب موزعين الى (٢٥) ذكر و(٢٥) أنثى وعلى (الريف، والحضر) بما يتناسب وطبيعة المنطقة الجغرافية، وتم الاختيار بطريقة العينة القصدية.

أدوات الدراسة: للتعرف على درجة الشعور بالاكتئاب وقلق الموت بين مرضى السرطان والأسوياء. في المجتمع الأردني تم تطوير استبانة ولقد اعتمد في الإعداد على:

١. مراجعة الكتب والمراجع العلمية الحديثة والمرتبطة بالموضوع.
٢. مراجعة الأدوات العلمية المستخدمة في جمع البيانات للدراسات العلمية السابقة.
٣. الاستعانة بمقياس بيك للاكتئاب.
٤. الاستعانة بمقياس زونج للاكتئاب.
٥. تصميم استبيان من قبل الباحث.

وتم تحديد فقرات الاستبانة وتعبير كل منها عن قيمة فرعية وذلك بهدف التعرف على توافر هذه الدرجة من وجهة نظر عينة الدراسة ومعرفة إذا كان هناك فروقاً بين المرضى والأسياء في الاستجابة لمواقف الحياة وإلى أي درجة وتكون فقرات الاستبانة من (٤٥) فقرة وتم عرض الاستبانة بصورتها الأولية على مجموعة من المحكمين من أجل إبداء ملاحظاتهم وتقديم المقترحات وبذلك تم إجراء التعديلات النهائية، واشتملت الاستبانة بصورتها النهائية على (٣٧) فقرة وتقاس كل فقرة في الاستبانة بخمسة مستويات (دائماً، غالباً، أحياناً، نادراً، أبداً).

صدق أداة الدراسة: - صدق المحكمين: تم عرض الاستبيان في صورته الأولية على المحكمين وذلك للتأكد من صلاحية ودقة ووضوح كل عبارة من عباراته وتحديد مدى ارتباطها بأهداف الدراسة وفرضياتها. وقد تم حذف العبارات التي قلت نسبة اتفاق المحكمين عليها عن ٩٠٪ كما تم تعديل الصياغة بعض العبارات الأخرى، ومن ثم فقد أصبح عدد عبارات المقياس (٣٧) فقرة، وبعد ذلك تم استخراج الاستبيان بصورته النهائية.

- ثبات أداة الدراسة: للتأكد من ثبات الأداة تم حساب الاتساق الداخلي على عينة استطلاعية من خارج عينة الدراسة عددها (١٠) أفراد حسب معادلة كرونباخ ألفا، إذ بلغ ٨٩,٠ لكل من الاكتئاب وقلق الموت، والجدول (١) يبين هذه المعاملات، واعتبرت هذه النسب مناسبة لغايات هذه الدراسة.

إجراءات الدراسة: بعد التأكد من صدق أداة الدراسة وتحديد العينة المراد تطبيق الاستبانة عليها، تم توزيع الاستبانة على عينة الدراسة وذلك بعد شرح أهدافها والطلب من العينة تعبئتها بدقة وموضوعية.

الأساليب الإحصائية المستخدمة في الدراسة: لقد تم جمع البيانات الخاصة بالدراسة من العينة المستهدفة، ومن ثم تم ترميز هذه البيانات وإدخالها إلى الحاسوب وتمت معالجتها باستخدام البرنامج الإحصائي (spss) للعلوم الاجتماعية وللإجابة عن

أسئلة الدراسة تم ما يلي:

١. استخدام الإحصاء الوصفي والتحليلي في تحليل نتائج الدراسة لاستخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لكل فقرة.
٢. واستخراج ثبات الأداة تم استخدام معامل ارتباط بيرسون عن طريق الاختبار وإعادة الاختبار
٣. تم استخراج التكرارات والنسب المئوية لأغراض حصر العينة.
٤. للإجابة على أسئلة الدراسة تم استخراج المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والدلالة الإحصائية T-Test.

تصنيف المتوسطات: وتم تصنيف المتوسطات وفقاً للمعيار الآتي

- أقل من ٢٣ , ٢ موافق بدرجة قليلة

- من ٢٣ , ٢-٣٠ موافق بدرجة متوسطة

- أكثر من ٣٠ , ٢ موافق بدرجة كبيرة

(عرض النتائج ومناقشتها)

ملخص النتائج

فيما يلي وصف لأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

- بالنسبة لدرجة الشعور بقلق الموت جاءت أربع فقرات بدرجة كبيرة من أصل ١٥ فقرة وباقي الفقرات جاءت بدرجة متوسطة
- بالنسبة لدرجة الشعور بالاكئاب جاءت سبع فقرات بدرجة كبيرة من أصل ٢٢ وباقي الفقرات جاءت بدرجة متوسطة.
- عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية ($\alpha=0,05$) تعزى لأثر المتغيرات المستقلة على درجة الشعور بقلق الموت، باستثناء متغير الوضع الاقتصادي.
- عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية ($\alpha=0,05$) تعزى لأثر المتغيرات المستقلة على درجة الشعور بالاكئاب، باستثناء متغير الوضع الاقتصادي.
- وجود فروق ذات دلالة إحصائية ($\alpha=0,05$) في درجة الشعور بقلق والموت بين مرضى السرطان والأسوياء. وجاءت الفروق لصالح مرضى السرطان.
- وجود فروق ذات دلالة إحصائية ($\alpha=0,05$) في درجة الشعور بالاكئاب بين مرضى السرطان والأسوياء. وجاءت الفروق لصالح مرضى السرطان.

مناقشة النتائج

للإجابة عن تساؤلات الدراسة تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لكل فقرة من فقرات الاستبيان وكانت النتائج على التساؤلات كالآتية:

- تبين لنا أن أفراد عينة الدراسة كانوا يعانون من قلق الموت بدرجة متوسطة بمتوسط حسابي بلغ (٤٨, ٢) وانحراف معياري بلغ (٠,٨٨). وبينت النتائج السابقة درجة اليقين والإيمان عند أفراد العينة بأن مشكلة الموت مشكلة عامة في المجتمعات يمكن أن تزداد مع تقدم العمر أو في حالات الأمراض المستعصية أو المزمنة ويؤكد ذلك نتائج الفقرة التي تنص على «أؤمن أن الموت حق وأنه قادم عاجلاً أو آجلاً والتي جاءت بمتوسط حسابي بلغ (٥٢, ٤) وانحراف معياري بلغ (٠,٨٢).

- بالنسبة للفقرة التي تنص على «أشعر أنني سأفارق الحياة قريباً جاءت بدرجة كبيرة وبمتوسط حسابي بلغ (٧٣, ٢) وانحراف معياري بلغ (١, ٢٣) يمكن تفسير هذه النتائج من خلال التأثير الناتج عن المشقة النفسية لمرضى السرطان بالإضافة إلى المشقة الجسدية وما ينتج عنها من ضعف الأمل في الحياة وتبين هذه النتائج من جهة أخرى مدى وجود اتجاهات سلبية نحو الحياة نتيجة لهذه الإصابة وما يمكن أن يصاحبها من أعراض عضوية للمريض. ويؤكد ما سبق تفسير إدلر للقلق، إذ يرى إدلر أن القلق ناتج عن إحساس الفرد بالنقص البدني أو النفسي أو الاجتماعي ثم يحاول الفرد التغلب على هذا النقص بالتعويض وإذا ما فشلت محاولاته فإنه يسقط في القلق. وأن إحساس الفرد بالنقص يؤثر دائماً في حياته النفسية لأنه يحتقر في نظر نفسه ويزيد شعوره بعدم الأمان. ويقول بيرلز: إن القلق ينشأ عن التقدير المعرفي لموقف على أنه خطير أو مهدد للفرد وتبدأ هذه العملية بضغط نفسي خارجي أو نتيجة متغيرات داخلية تجعل الفرد يفكر في موقف مخيف أو يتوقعه (بسيسو، ٢٠٠٦) وهذا الموقف عند مرضى السرطان هو الموت مما يؤدي بدوره إلى حدوث قلق الموت عندهم.

- يؤكد ما سبق رأي بعض الدراسات السابقة التي ربطت قلق الموت بمرض السرطان مثل دراسة جيليلاند وتيمبلر (Gilliland&Templer, 1986) وتوصلت الدراسة إلى أن القلق من الموت متعلم وأن أفضل علاج للقلق هو العلاج السلوكي والمعاملة اللطيفة لتقليل الخوف وأن لدى المرضى درجات أعلى في القلق من الأشخاص العاديين.

- وبالنسبة لدرجة اليقين والإيمان فيؤكد ذلك ما جاء في دراسة جريسون (GreyKson, 1983) والتي أكدت على أهمية الإرشاد الديني في تحقيق خفض القلق من الموت ودلائل الراحة والتكيف.

- أما بخصوص النتيجة الثانية تبين لنا أن أفراد عينة الدراسة كانوا يعانون من الاكتئاب بدرجة متوسطة بمتوسط حسابي بلغ (٣,٤٩) و بانحراف معياري بلغ (٠,٧١). يتضح من النتائج السابقة إن السمة الانفعالية (الاكتئاب) أكثر شيوعاً بين الأفراد المصابين بمرض السرطان مقارنة مع الأسوياء ويرى الباحث أن السبب في ذلك عائد إلى الحالة الانفعالية السلبية وإلى تضاعف الشعور بالألم لدى المصابين بمرض السرطان وهذا ما أثبتته النتائج المتعلقة بالفقرة التي تنص على «أبكي لفترة من الزمن أو أشعر بذلك» حيث جاءت بمتوسط حسابي بلغ (٣,٨٦) بينما جاءت الفقرة «أنا مكتئب طوال الوقت ولا أستطيع أن أخرج نفسي من هذه الحالة» بمتوسط حسابي بلغ (٣,٠٨) إن دل ذلك على شيء فإنما يدل على مدى المعاناة النفسية التي يخلفها مرض السرطان لدى المرضى نتيجة المرور بفترات الحزن وبفترات التراجع في المزاج هبوطاً وصعوداً للعمل على مواجهة ما يصادفونه من عقبات في حياتهم وما يسيطر عليهم من أفكار سوداوية وأوهام مرضية نتيجة للمرض الذي يعانون منه ومن الأمور التي يمكن أن تؤدي إلى حدوث الاكتئاب عند المرضى تناول الأدوية والعقاقير والمسكنات وهذا ما أكدته النظرية الكيميائية. يؤكد ذلك ما جاء في بعض النظريات مثل نظرية التعلم الاجتماعي حيث أشار سيلجمان إلى أن الاكتئاب استجابة نتعلمها عندما نجد أنفسنا نتعامل مع موقف مهدد للطمأنينة والآمال ولا مهرب منها أي نراها ميوؤوس منها ويرى فرويد المؤسس لمدرسة التحليل النفسي أن الاكتئاب ما هو إلا ضيق وغضب يسبب الإحباط وخيبة الأمل في إشباع الحاجة فيتحول الغضب بفعل آليات الدفاع اللاشعورية التي يقوم بها الفرد للدفاع عن الذات عند وجود تهديد لها (بسيسو، ٢٠٠٦).

بالنسبة للنظرية المعرفية فقد أشار آرون بيك إلى أن الشخص المصاب بالاكتئاب هو ضحية قوى ومؤثرات لا يملك التحكم فيها. ويقول أن الوعي هو مصدر الاضطراب ويوضح ذلك من خلال نظريته المعرفية في أن الفرد يقوم بتحريف الواقع بناء على مقدمات مغلوطة وافتراسات خاطئة (بسيسو، ٢٠٠٦).

وهذا ما يحدث مع مرضى السرطان نتيجة الأمل الداخلي بالشفاء حتى إذا ما عادوا إلى الواقع وجدوا أن هناك فجوة كبيرة بين ما هو كائن وما يجب له أن يكون. وهذا يتفق مع ما جاء في دراسة إبراهيم (٢٠٠٣) حيث وجد أن مرضى السرطان أكثر اكتئاباً وقلقاً وخوفاً ووسواساً قهرياً وعداوة من الأصحاء، كما وجد فروقاً بين أنواع السرطان المختلفة، مما يدل على أن نوع السرطان يؤثر على الحالة النفسية، ودراسة عوض والخطيب والصالح في مركز الحسين للسرطان (Awad, khatib, Salhi, 2003) حيث أشارت النتائج إلى أن (٧٠٪) من المرضى يشكون من الاكتئاب الظاهر أعلى من خمسة على المقياس حدد مستوى (٥) فأعلى من ذلك حتى (١٠) أنها تشير إلى اكتئاب عال.

التوصيات: في ضوء ما تقدم من نتائج، توصي الدراسة بما يلي:

• توصيات نظرية:

- إجراء دراسات تهتم بدور الجانب الروحي والديني في خفض الأعراض النفسية لدى المرضى بالسرطان وخصوصاً في البيئات الإسلامية.
- إجراء دراسة مماثلة يتم التركيز فيها على نمط الشخصية المهيأ للإصابة بالأورام السرطانية.
- تشجيع الطلبة في أقسام علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية على القيام بمزيد من الدراسات والأبحاث حول هذا الجانب.
- إجراء دراسة حول وسائل العلاج التي اتبعت مع المريض في المستشفيات ومؤسسات العلاج المختلفة.

• توصيات عملية:

- تفعيل دور الخدمة الاجتماعية وتأهيل وتدريب الأخصائيين الاجتماعيين والعاملين في المجال الطبي على كيفية التعامل مع مريض السرطان وكذلك فهم دورهم الهام في الوقاية والعلاج من الأمراض السرطانية.
- تفعيل دور الأخصائيين الاجتماعيين لما لهم من دور مهم في مساعدة الأفراد على التغلب على ضغوط الحياة ومشاكلها وتقديم الخدمات لهم والعمل على توسيع مجال الخدمة الاجتماعية وعلم الاجتماع التطبيقي والطبي في إطار علاج هذه الأمراض إكلينيكية وإعطائه درجة من الأهمية تضاهي أهمية العلاج الجسدي.
- مخاطبة المستشفيات ووزارة الصحة لتعيين الأخصائيين الاجتماعيين والباحثين في المجال الطبي، بما ينعكس إيجاباً على صحة المريض، من خلال الأدوار العلاجية، والوقائية، والتنمية، التي يقومون بها.

المراجع العربية

أولاً: الكتب

- القرآن الكريم.
- أبو غنيمة، محمد صبيح، (٢٠١٠)، نظرة في أعماق الإنسان على ضوء تفكير جديد في الطب، وزارة الثقافة، الأردن.
- البحيري، عبد الرقيب، (١٩٨٢)، اختبار القلق، (الحالة والسمة للأطفال)، دار المعارف، القاهرة.
- لخالدي، أديب محمد، (٢٠٠٦)، مرجع في علم النفس الإكلينيكي (المرضي) للفحص والعلاج، ط١، دار وائل للنشر، العراق.
- الخطيب، جمال، (١٩٩٨)، مقدمة في الإعاقات الجسمية والصحية -، دار الشروق. عملن.
- خضير، محمد توفيق، (٢٠٠١)، مبادئ الصحة والسلامة العامة، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان.
- زهران، حامد عبد السلام، (١٩٧٨)، التوجيه والإرشاد النفسي، ط١، عالم الكتب، القاهرة.
- سالمى، عبد المجيد، خالد، نور الدين (١٩٩٨)، معجم مصطلحات علم النفس، ط١، دار المعارف، القاهرة.
- سرحان، وليد، (٢٠٠٥)، مشاكل الناس، ط١، مكتبة الدلتا للقرطاسية، الأردن.
- سوين، ريتشارد، (١٩٨٨)، ترجمة أحمد عبد العزيز سلامة، علم الأمراض النفسية والعقلية، دار النهضة للنشر والتوزيع، الكويت.
- عباس، ميادة، (٢٠٠٢)، كيف نحمي أنفسنا من الأورام، دار البشير، عمان، الأردن.
- عبد الخالق، أحمد محمد، (١٩٨٧)، قلق الموت، عالم المعرفة، (سلسلة رقم ١١١)، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- عبد الستار، إبراهيم (١٩٩٨)، الاكتئاب اضطراب العصر الحديث فهمه وأساليب علاجه، عالم المعرفة، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. - علي، سيد فهمي، (٢٠٠٩)، علم نفس الصحة الخصائص النفسية الإيجابية والسلبية للمرضى والأسوياء، دار الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية.
- العمري، خير الدين شريف، (١٩٨٦)، القلق بلباس العصر الحاضر، بغداد.
- غباري، محمد سلامة، (٢٠٠٣)، أدوار الأخصائي الاجتماعي في المجال الطبي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.
- كرم، (١٩٩٠)، ميشال، السرطان، معهد الإنماء العربي، بيروت.
- كفاي، علاء الدين، (١٩٩٠)، الصحة النفسية، ط٢، هجر للطباعة والنشر، القاهرة.
- لينزري، هول، (١٩٧١)، نظرية الشخصية، ترجمة فرج احمد وآخرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- مصطفى عادل، (٢٠٠٠)، العلاج المعرفي والاضطرابات الانفعالية، ط١، دار النهضة العربية، بيروت.
- يحيى، خولة أحمد، عبد الله، أيمن يحيى، (٢٠١٠)، التربية الخاصة وأطفال مرضى السرطان، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان العبدلي.

ثانياً: الدوريات

- إبراهيم، علي حسن، (٢٠٠٣)، دراسة إكلينيكية سيكومترية للأعراض النفسية المصاحبة للأمراض المهددة للحياة، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية التربية - جامعة عين شمس.
- إسحاق، نجية وعبد الفتاح، رأفت السيد (١٩٩٥). دراسة في أحداث الحياة والشخصية لدى مرضى

- السرطان، مجلة علم النفس، الهيئة المصرية للكتاب، العدد (٢٣)، ١٤٠ - ١٥٩.
- الخواجة، جاسم محمد، (٢٠٠٢)، دراسة العلاقة بين الضغوط النفسية والإصابة بالسرطان، دراسات نفسية، مجلد ١٠، العدد ٢، ٢١٥ - ٢٤٤.
- الشقمانى، مصطفى مفتاح، الفقى، محمد احمد، (٢٠٠٦)، احداث الحياة والضغوط النفسية ودورها في الاصابة الاورام السرطانية (دراسة ميدانية)، مجلة الساتل.
- بركات زياد، (٢٠٠٦)، سمات الشخصية المستهدفة بالسرطان (دراسة مقارنة بين الأفراد المصابين وغير المصابين بالمرض)، مجلة جامعة النجاح للأبحاث للعلوم الإنسانية، المجلد ٢٠، جامعة القدس المفتوحة.
- جبر، جبر محمد، (٢٠٠٤)، تقدير الذات وعلاقته بالوجود الأفضل لدى مرضى السرطان مقارنة بالأصحاء، دراسات عربية في علم النفس، مجلد ٣، عدد ٢، ١١ - ٨٩.
- علاوي، محمد حسن، (١٩٧٨)، القلق لدى الرياضيين، القاهرة، صحيفة التربية الرياضية.

ثالثاً: الرسائل الجامعية

- الفرخ، كاملة، ١٩٨٩، مدى فاعلية برنامج إرشادي للتوافق النفسي لمرضى القلب والسرطان، رسالة دكتوراة غير منشورة، الأردن.
- شكري، مایسة محمد، (١٩٨٨)، السمات الشخصية والانفعالية لدى بعض فئات مرضى السرطان في الريف والحضر، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية.
- عشاوي، فيفيان أحمد، (٢٠٠١)، العلاقة بين التعرض لمثيرات الشفقة والإصابة بسرطان الثدي مع إشارة خاصة إلى التأثير المعدل لبعض السمات الشخصية، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب - جامعة القاهرة.

المواقع الإلكترونية

- ١- الموقع الإخباري عمون، (2010). www.ammonnews.net
- 2- <http://al-liwa.com/news.aspx>.
- 3- <http://assaqifa.com>.
- 4- <http://ar.wikipedia.org/wiki>.
- 5- http://www.admcs.org/pedia_cancer.htm.

المراجع الأجنبية

- Bonnama, J., Van Wersch, Van Geel (1998). **Medical and Psychological effects of Early discharge after surgery for breast Cancer**: randomized trail, Clinical Research ED (NLM-Medline), 316(7150); 1267-1271.
- Gilliland, C, Jand Templer I. D. (1986). **Relation ship of death anxiety Scale factors to subjective states**. california Schod of professional psychology.omega. 16 (21).
- Greyson B. (1983). **Near death experiences and personal values**, ANIJ.Psychiatry,

19, 5-14.

- koosher, Greald. (1980), **Psychological Adjustment among pediatric cancer Survivots. journal of Psychology and psychiarry**, 21, 165-175.
- Limbos, M., Joyce, D., Chan, C. & Kesten, S (2000). **Psychological functioning and quality of life in lung transplant candidates and recipients**. Chest (NLM-Medline). (118. 2: 408).
- Medonald, T. r. (1986). **Death imagery and death anxiety. journal of clinical psychology**. 42, (1), 87-91.
- Miller(1999) “**School based psychosocial into nation for childhood depression acceptability of treatment among school psych ologe ist**”. Doctorial Dissertation, le high University in 1999 Dissertatone Abstract inter nafional 60 (6) 923 – A.

الإساءة للأطفال عبر شبكات الإنترنت في دولة الإمارات العربية المتحدة وكيفية حمايتهم (دراسة ميدانية)

أ.ة. عائشة سعيد المسافري*

الملخص

طالبة، والثانية وشملت العينة (٢١٠) من الأسر التي يستخدم أطفالها شبكات الإنترنت في دولة الإمارات العربية المتحدة، وتم استخدام الإحصاء الوصفي من خلال الأشكال البيانية والنسب المئوية لاستخراج التكرارات.

وقد أشارت نتائج الدراسة حول استخدام الأطفال لشبكات الإنترنت إلى ارتفاع نسبة استخدام الإناث لخدمات الإنترنت بالنسبة لذكور، أما المواقع التي يزورها الأطفال على الإنترنت فبينت نتائج الدراسة ارتفاع نسبة الذكور عن الإناث في زيارة توتير والمواقع الإيحابية واليوتيوب، بينما شكلت نسبة الإناث ارتفاع عن الذكور في زيارة موقع كيك، وانستغرام.

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على الأسباب التي تعرض الأطفال للإساءة عبر شبكات الإنترنت وأهم سبلات استخدام شبكات الإنترنت من وجهة نظر الأسر التي يستخدم أطفالها شبكات الإنترنت في مجتمع الإمارات ومدى الرقابة المنزلية على الأطفال أثناء استخدامهم لشبكات الإنترنت ووضع الحلول الأمنية والاجتماعية التي يمكن الاعتماد عليها للتغلب على الأسباب التي تعرض الأطفال للإساءة عبر شبكات الإنترنت في المجتمع الإماراتي، ولأغراض ذلك صممت استبانتان خاصتان بموضوع الدراسة، الأولى طبقت على (٤٢٠) وشملت العينة (٢١٠) طالباً وطالبة، منهم (١٠٥) طالباً و(١٠٥)

* ماجستير علم اجتماع تطبيقي، اختصاصية اجتماعية. وزارة التربية والتعليم/الإمارات.
ajmal_e7sas.00@hotmail.com

وقد كشفت نتائج الدراسة إلى أن الأسباب المساهمة لتعرض الأطفال للإساءة عبر شبكات الإنترنت كانت نتيجة تكوين الأطفال لصدقات وعلاقات دون علم الأسرة واستخدام الإنترنت بشكل متكرر وبأوقات متأخرة دون علم الأسرة، ومشاهدة كل ما يريده الأطفال دون رقابة من الأسرة، واستخدام الإنترنت في غرف الأطفال لساعات طويلة وفي عزلة، واستخدام غرفة الدردشة والمراسلات الفورية لأنها تعطي نوع من السرية، وحب الاستكشاف والاستطلاع والغوص في خفايا الشبكة لدى الأطفال.

أما نتائج الدراسة الخاصة بسليبيات استخدام شبكات الإنترنت من وجهة نظر الأسر التي يستخدم أطفالها شبكات الإنترنت في مجتمع الإمارات كانت كالتالي: التأثير السلبي على مستخدمي الإنترنت والعزوف عن الدراسة وأيضاً المساهمة في ترويج المواد الإباحية وترويج الثقافة الغربية، كما أنه يؤدي إلى ظهور مشكلات نفسية مثل الانطواء والاكتئاب والعزلة عن المحيط الاجتماعي.

كذلك كشفت نتائج الدراسة حول الرقابة المنزلية على الأطفال أثناء استخدامهم لشبكات الإنترنت بأنها أخذت إتجاه سلبي حول الرقابة في المنزل وذلك اتضح من خلال: عدم استئذان الأطفال قبل استخدام الإنترنت، وعدم وضع ساعات معينة لاستخدام الأطفال للإنترنت، وكذلك عدم مراجعة الاهل للمواقع التي يستخدمها الطفل، وعدم حرص الأسرة على مراقبة الألعاب التي يستخدمها الطفل من الإنترنت، وأيضاً عدم استخدامهم لبرامج الحماية والحظر للمواقع الخطرة، وعدم حرص الأسرة على تواجد وصلات الاتصال بشبكة الإنترنت في أماكن تواجد العائلة، وعدم التعرف على من يتواصل ويتصل مع أطفالهم.

وكشفت نتائج الدراسة حول الأسباب التي تعرض الأطفال للإساءة وقد تمثلت في قلة اهتمام البرامج الإعلامية والمؤسسات المجتمعية بتوعية الأطفال حول الاستخدام الآمن لشبكات الإنترنت، كما وضحت نتائج الدراسة كثرة استخدام الأطفال لشبكات الإنترنت دون رقابة مما أدى إلى تفضيل الأطفال الجلوس على الأجهزة الإلكترونية كبديل عن الأسرة، واتضح من النتائج عدم وجود وسيلة لرفع درجة الرقابة لاستخدام الطفل للإنترنت، وعدم قيام شركة الاتصالات بدورها في حماية الأطفال، وأيضاً أشارت نتائج الدراسة إلى تأثير المواقع الإباحية بشكل سلبي على الأطفال من خلال استغلال البعض الإنترنت ضد الأطفال بعبارات مضللة، وكما أن النتائج أشارت إلى تغير سلوك ونمط حياة الطفل نتيجة تأثره بالإنترنت، ولقد أدت جميع نتائج الدراسة الحالية إلى وضع الحلول المقترحة للحد من ظاهرة الإساءة عبر شبكات الإنترنت.

وخلصت الدراسة إلى عدة توصيات من أهمها تأكيد دور المجتمع والأسرة في مواجهة خطورة الإساءة للأطفال عبر شبكات الإنترنت، وأيضاً التأكيد على أهمية الدور التربوي للمؤسسة التعليمية في تثقيف الأطفال حول الطرق الآمنة لاستخدام شبكة الإنترنت والاستفادة من إيجابياتها وتجنب مخاطرها.

كما أوصت الدراسة بإجراء المزيد من الدراسات المستقبلية التي تركز على خطورة الإساءة للأطفال عبر شبكات الإنترنت والتي باتت تؤرق العالم بأسرة، حيث أن الدراسات التي تتناول هذه الدراسة محدودة جداً في مجتمعنا.

المفردات الأساسية: الإساءة للأطفال، شبكات الإنترنت، دولة الإمارات العربية المتحدة، الأطفال، الإساءة، الأسرة

المقدمة

تعتبر ظاهرة الإساءة للأطفال، ليست ظاهرة حديثة في المجتمعات بل كانت موجودة منذ القدم ولكنها لم تكن في العلق وتعد الإساءة للأطفال من الظواهر التي انتشرت في الآونة الأخيرة بل تتزايد يوماً بعد يوم وللأطفال فيها نصيب ليس كمرتكب للإساءة أو العنف بل كضحية لها، وقد تأخذ الإساءة ضد الأطفال أشكالاً متعددة قد يكون نفسياً يهدد أمن الطفل النفسي، وقد يكون معنوياً يمتعن كرامة وإنسانية الأطفال وقد يكون اعتداء على أمنه وحقوقه ومتطلباته. (أمل كاظم، العدد ١٩)

لقد أدخلت شبكة الإنترنت، كوسيلة اتصال متطورة جداً، معها جملة من التفاعلات السلوكية الثقافية المرتبطة بها، والتي كان لها انعكاساتها وآثارها الواسعة على الصعيد الفردي والأسري والمجتمعي، وقد أدى هذا إلى شيوع أنماط جديدة ومتزايدة من السلوكيات والقيم الاجتماعية التي أثرت وبشكل واسع في عملية التفاعل الاجتماعي سواء على المستوى الفردي أو الجماعي، وتأثيرات الإنترنت واسعة جداً من خلال انتشارها الواسع في مجالات التجارة والترفيه والتعليم، والأمن والديمقراطية في ظل الإنترنت. (المجالي، ٢٠٠٧)

شهد العقد الماضي تطوراً سريعاً ونمواً هائلاً في استخدام الاتصالات الإلكترونية التي تعتمد على الكمبيوتر، وتبادل المعلومات عن طريق «الإنترنت». ويعرف بأنه «سلسلة اللا مركزية الذاتي صيانة والروابط بين الشبكات الحاسوبية»، وشبكة الإنترنت تعمل في أنحاء كثيرة من العالم، وخاصة العالم الغربي. (بر، ٢٠٠١)

تحدث الإساءة لطفل عبر الإنترنت ليس فقط في المدارس والشوارع ولكن في بحثي هذا أخص موضوع شبكات الإنترنت وتأثيرها السلبي على الأطفال، فالأطفال فضوليون حيث نجد أن الأطفال يقومون بزيارة المواقع المثيرة ولا يستغرق الأمر طويلاً بالمستخدمين الصغار السن للوصول إلى الصفحات والمواقع ذات المحتوى الإباحي والعنيف وتلعب التفاعلية مع المواقع دوراً مهماً في سهولة إغراءهم لارتكاب أي سلوك منحرف فيصبح مستقبلاً مجرماً محترفاً بسهولة ومن أهم النتائج السلبية الناتجة عن سوء استخدام الإنترنت هو سهولة ارتكاب الطفل لأي سلوك منحرف وغير سوي فضلاً عن فقدان الحس الاجتماعي للطفل داخل الأسرة بسبب تحطم القيم والمبادئ المثلث من خلال غرف المحادثة والمواقع الإباحية أو الصور الإباحية التي تظهر في مواقع الترفيه واللعب مما يؤدي إلى أمراض اجتماعية ونفسية تجعل الباب مفتوحاً لأنواع السلوك المنحرف المجرم، وبالمقابل أثبت علماء النفس أن الخبرات المؤلمة في الطفولة تكتسب مواقف يدرك فيها الطفل عدم تقبله مما يشعره بعدم الطمأنينة والتعاسة وكلها خبرات تنمي فيه الاستعداد للقلق وتكوين المفهوم السلبي عن الذات وبالتالي يؤثر على توافقه النفسي والاجتماعي في مراحل حياته المختلفة. (أمل كاظم، العدد ١٩)

قد يصل الطفل إلى مرحلة الإدمان الأمر الذي يجعله يجلس أمام الكمبيوتر والإنترنت لساعات طويلة، مما قد يجعله انطوائياً في حياته الاجتماعية ويبعده عن رفاق اللعب وربما عن أسرته أيضاً، بينما يكون اجتماعياً على الإنترنت وخلف شاشة الكمبيوتر فقط. (العبيدي، ٢٠١٣) وهو الأمر الذي أرجعه خبراء الأمن المعلوماتي إلى أن الطفل في بعض الأحيان يكون في حاجة إلى مشاركة أفكاره وآرائه التي فقدتها على أرض الواقع، مما يدفعه للبحث عنها في عالم الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي وبذلك تتولد لديه الرغبة في أن يكون له عدد لا حصر له من الأصدقاء حتى وإن كانوا أصدقاء افتراضيين.

إن شبكة الإنترنت لا تعرف عبارة للكبار فقط فالمواقع المتاحة للكبار يمكن للصغار كذلك الدخول إليها وأن هذه اللافتة التي توضع على أبواب السينما لمنع الصغار من مشاهدة الأفلام التي لا تناسبهم لا تنطبق حتى الآن على مواقع الإنترنت، وإن التطور الهائل لشبكة الإنترنت وانتشار المواقع الضارة وتحاليل أصحاب هذه المواقع المستمر لتخطي أنظمة الوقاية والحماية يجعل من تقوية مناعة الأطفال وتعزيز رفضهم الذاتي للمخاطر التي تتضمنها الشبكة هو الوسيلة المثلى والفعالة لحماية ووقاية الأبناء من الأضرار.

ومما لا شك فيه بأن العديد من الأطفال الذين تعرضوا لهذه الظاهرة عانوا من أشكال متعددة من الإساءة والعنف الذي سبب لهم مشاكل نفسية وجسدية بصور مختلفة

قد تعرضهم لتطبيق العنف على الآخرين لذلك على المجتمع أن يدرك أهمية لفت النظر لخطورتها والوصول لقرارات حاسمة لحلها.

فمع تزايد الصور المأساوية التي يتناقلها الناس والصحافة من تعرض الأطفال للتحرش الجنسي إلا أنه لا توجد نصوص وتشريعات قانونية لمواجهة انتشارها عبر شبكات الإنترنت كما أدى عدم محاسبة مرتكبي هذه الظاهرة وإلى تزايد أعداد الضحايا بظاهرة التحرش الجنسي للأطفال والتي تطورت في المجتمع وأصبحت مصدر للربح في بعض الدول التي تحوي العديد من العصابات التي تستثمر الآخرين في جني الأرباح فقد أظهرت الإحصائيات أن الربح السنوي من استغلال الأطفال جنسياً تزايد سنوياً بمعدلات ملحوظة. (الذباحي، ٢٠١٢)

ويجب أن نعي مسألة مهمة أن ظاهرة الإساءة بالأطفال عبر شبكات الإنترنت تحتاج إلى حل وعلاج ووقاية تربوية وعلمية ومؤسسية ومنابر جادة وجراًة في العلاج فكثير من الأطفال ذهبوا ضحايا إهمال الأسرة أو جهلها فانتهى مستقبلهم الدراسي والخلقي والمجتمعي بسبب ذلك وبسبب ذئاب يبعثون عن ضحايا وإن كانوا أطفالاً أبرياء فعدم مراقبة الطفل وهو ينخرط على شبكات الإنترنت من دون رقابة يعزز من ضياعه وبداية لسقوطه في شرك مراهق أو مفترس كبير يعاني من أزمات خلقية فالعنف الذي يمارس ضدهم يمارس بصفة خفية وراء الأبواب الموصدة. (الذباحي، ٢٠١٢)

النظريات الاجتماعية المفسرة للإساءة للأطفال عبر شبكات الإنترنت

من المنطلقات النظرية التي تجرم الإساءة للأطفال عبر شبكات الإنترنت وتعتبرها انحرافات اجتماعية؛ مبادئ الإسلام في حماية الضرورات الخمس: الدين والنفس والعقل والمال والعرض وفي تجريم العدوان بكل أشكاله، ومن باب أولى التعدي على أئمن ما يمتلكه الفرد روحه وعرضه وهو الإتجاه التكاملي في تفسير السلوك الإجرامي الذي يرى أن معظم أشكال الجريمة يحتوي على صورة أو أخرى من صور العدوان والعنف والتعدي على الأطفال عبر شبكات الإنترنت فيه هتك لحرمان وقداست مقررّة في كل الشرائع وكل الدساتير والقوانين وهتكها أكثر ضرراً من الكثير من مظاهر الإخلال بالقوانين والمعايير الاجتماعية، وخطورتها إذا تركت تصبح ثقافة تؤصل للإجرام وتحل الحرام. ومن أهم النظريات الاجتماعية التي يمكن على ضوءها تفسير ظاهرة الإساءة للأطفال عبر شبكات الإنترنت ما يلي:

نظرية النشاط الروتيني Routine activity theory

بدأت هذه النظرية بمقالة عام ١٩٧٩ بعنوان (التغير الاجتماعي واتجاهات معدلات الجرائم مدخل النشاط الرتيب the routine activity approach) حيث تقوم على ثلاث أجزاء رئيسية هي: المجرم ذو الرغبة، والهدف المناسب، بالإضافة إلى غياب الرقابة القادرة، فقد جاء بها كل من فيلسون وكوهن (١٩٧٩) في بحث مشترك لهما في مجلة العلوم الاجتماعية الأمريكية، تنص النظرية على أن الجريمة تمثل جزءاً هاماً من الحياة اليومية للأفراد وذلك بسبب التفاعلات الاجتماعية social interaction وعند حدوث تغير في أنماط التفاعلات الاجتماعية فإن معدلات الجريمة ستزداد، ويفسر الباحثان بأن الفرد في المجتمع المعاصر يقوم بأدوار روتينية تسهل على المجرم ارتكاب جريمته. (طالب، ٢٠٠١)

ويعني ذلك أن مدخل (الأنشطة الرتيبة) يجمع بين الجاني والمجني عليه في الزمان والمكان حيث يوجد مجرم لديه رغبة في ارتكاب جريمة بحق مجني عليه، بتوافر شرطين آخرين هما الهدف المناسب وغياب الرقابة، فإذا ما اجتمعت هذه المكونات الثلاثة ازدادت احتمالية حدوث الجريمة.

وتؤكد نظرية النشاط الروتيني أن الجريمة ترتبط أكثر بطبيعة الحياة «نمط الحياة» في المجتمعات المعاصرة الذي انبثق عن التغير الاجتماعي في مجتمعات اليوم حيث انبثق عنه نمط حياة جديد يتميز بالروتينية يتبعها الفرد في حياته اليومية بشكل روتيني، دون الأخذ في الاعتبار نتائجها على النواحي الوقائية أو الإجرامية، حيث يصبح هذا النوع من الحياة من عوامل الدفع نحو الأفعال الإجرامية، وبخاصة الجرائم النفسية، ومنها جرائم التحرش الجنسي.

حدد فيلسون وكوهين الشروط الرئيسية لحدوث الجريمة ولخصاها في توافر الإرادة الإجرامية وجود الضحية المناسبة وعدم وجود حراسة قادرة.

تفترض هذه النظرية أن أنماط الحياة الروتينية اليومية تبعد الكثير من الناس عن منازلهم وممتلكاتهم وأسرهم، لذلك يجد صاحب الإرادة الإجرامية فرصة مؤاتية للقيام بجريمة الإساءة للأطفال عبر شبكات الإنترنت مثلاً.

ويمكن توظيف هذه النظرية من خلال الوقاية الأساسية عندما يتخذ أفراد المجتمع إجراءات تحرز أطفالهم وعدم تركهم مع الأجهزة الموصولة بالشبكات، وتقلل من فرصة

تعرضهم للخطر الذي يدهمهم من الشبكات وكذلك عندما تتخذ المؤسسات المجتمعية والتربوية والأسرة من الإجراءات ما يوحي بيقظتها التامة في أثناء غياب الوالدين في أعمالهم سواء داخل المنزل أو خارجه، وعندما يهتم الوالدين بالتعرف على كل من يتصل بالطفل عبر شبكة الإنترنت والتعرف كذلك على المصادر التي يصل إلى الطفل منها صور ورسائل غير عادية، فمن شأن ذلك كله أن يثبط كثيراً من فرص تشكل الإرادة الإجرامية أولاً ويقلل من الفرصة والمقدرة الإجرامية إلى حد كبير.

والدراسة الحالية تتطرق من محاولة معرفة ما إذا كانت هذه النظرية تفسر الوضع الحالي في المجتمع الإماراتي وتحديداً ظاهرة الإساءة للأطفال عبر شبكات الإنترنت متمثلة في التحرش الإلكتروني نحو الأطفال، فالدراسات التي أجريت في الإمارات دلت على أن على هذا المجتمع شهد تغيرات اجتماعية واقتصادية هائلة، وصاحب هذا التغير زيادة في معدل التحرش الإلكتروني، مما يدعو إلى ضرورة دراسة هذه النمط من الجريمة في ضوء نظرية النشاط الروتيني لمناسبتها لهذا النمط من جرائم شبكات الإنترنت أو التمر الإلكتروني تجاه الأطفال.

ماهية الإساءة للأطفال عبر شبكات الإنترنت

إن استخدام وسائل الاتصال الحديثة عبر شبكة المعلومات (الإنترنت) بدأ يأخذ منحنيًا خاصاً، وبدأ يتجه في طريقه للتأثير على البناء الاجتماعي في المجتمعات الإنسانية بشكل عام.

لقد مرت تكنولوجيا المعلومات بمراحل تاريخية متعددة، ففي البداية استخدمت في النطاق العسكري وفي البنتاغون الأمريكي بالتحديد في عام ١٩٦٩، ثم انتقلت إلى الحقل الأكاديمي في الجامعات والمؤسسات العلمية إلى أن امتدت إلى بداية التسعينيات والتي تضمنت تزايداً في أعداد غير الأكاديميين من الشباب والمراهقين والهواة، الأمر الذي دعا البعض بأن يسمى سنة ١٩٩٥ بعام الإنترنت نتيجة للأعداد الكبيرة التي دخلت هذا المجال لأغراض متعددة فمستخدمي الإنترنت في الوضع الحالي يمكن تقسيمهم إلى فئتين أساسيتين: مستخدمي الشبكة لأغراض ولأهداف واضحة ومحددة سواء أكانت هذه الأهداف أكاديمية أو علمية أو تجارية أو إدارية أو غيرها، ومستخدمي الشبكة لأغراض ترفيهية ولشغل وقت الفراغ، وهنا يكمن موضوع المشكلة فهم في الغالب من الفئات السنية الصغيرة والمراهقين وفئات الشباب والذين يجدون في الإنترنت متعة وفائدة ترفيهية ولقضاء وقت الفراغ أكثر من أي شيء آخر وبالتالي من الممكن جداً بأن

يرتبط سوء الاستخدام ببعض من الآثار الاجتماعية والنفسية، فهناك أمور مغرية بالنسبة لهذه الفئة لقضاء الساعات الطويلة أمام جهاز الحاسب الآلي مستخدمة الإنترنت والذي من الممكن أن يؤثر على العلاقات الاجتماعية الحقيقية ولذلك فهذه الفئة العمرية (الأطفال) هي الفئة المعنية التي تتعرض في الغالب للإساءة عبر شبكة الإنترنت. (الذباحي، ٢٠١٢)

ظاهرة الإساءة للأطفال عبر شبكات الإنترنت «التحرش الإلكتروني» من الظواهر التي برزت بشكل لافت في الآونة الأخيرة ضمن عصر ارتكز على القوة الافتراضية وخدماتها المختلفة، حيث صاحب هذا الانتشار ظهور ضعاف النفوس الذين تعهدوا بنشر السلوكيات السلبية عبر الوسائط الإلكترونية والتقنية المختلفة، لإيذاء وإزعاج الآخرين سواء من أجل التسلية والعبث أو لتحقيق أغراضهم الخاصة في عالم الانحراف والجريمة.

ومع تزايد استخدام القوة الافتراضية فالعالم فإن الأطفال يتجهون إليه كما كبار السن بل أكثر منهم، لأنهم يجدون فيه المتعة والترفيهية ويقضون أوقات فراغهم بصحبة الأجهزة الموصولة بالإنترنت، بل الأخطر من ذلك أصبح الأطفال يمتلكون مختلف الأجهزة باختلاف أعدادها، في مجتمعنا الخليجي وخصوصاً المجتمع الإماراتي، حيث ينظر للأعداد الكثيرة من الأجهزة الموصولة بشبكات الإنترنت التي يمتلكها الطفل من باب المظاهر الاجتماعية دون إدراك خطورت كثرتها وإساءة استخدامها دون رقابة من الوالدين، وبالتالي إن سوء استخدام شبكات الإنترنت يؤدي إلى آثار اجتماعية ونفسية وإن جلوس هذه الفئة لفترات طويلة في استخدام القوة الافتراضية من الممكن أن يصاب الطفل بعزلة اجتماعية نتيجة ذلك، وبالتالي تتأثر العلاقات الاجتماعية سواء في نطاق الأسرة أو المجتمع، ولذلك فهذه الفئة العمرية (الأطفال) هي الفريسة السهلة لدى مستغلي الشبكات لإشباع غرائزهم اللا إنسانية، وبالتالي فإن فلذات أكبادنا هم في الغالب أكثر عرضة للإساءة عبر شبكة الإنترنت، ولذلك فإننا مقبلون على مخاطر جمة إن لم نستعد لمواجهة مبركاً ومن الآن، فالدراسات تشير إلى أن الإساءة للأطفال عبر شبكات الإنترنت ستصبح ظاهرة خطيرة في كل العالم، ومأزق الدول التي تورطت بهذه القضية أنهم بدأوا العمل بعد أن أصبحت ظاهرة، فيما يمكن لنا وقبل أن تصبح ظاهرة العمل على عدم تفشيها، إن تعاظم تأثير شبكات الإنترنت خاصة مع تطور أدواتها ووسائلها الاتصالية وما نجم عن ذلك من تأثيرات بالغة الخطورة في تشكيل شخصية الأطفال ومواقفهم وأنماطهم السلوكية. (مؤتمر القوة الافتراضية، ٢٠١٢)

حجم ظاهرة الإساءة للأطفال عبر شبكات الإنترنت وعوامل انتشارها

إذا نظرنا بعين الاعتبار لحجم ظاهرة الإساءة عبر تلك الشبكة لم تعد ظاهرة بالمعنى المتعارف عليه من أنها مجرد فقاعة هواء لا تلبث أن تظهر ثم تختفي بعد وقت قصير، وإنما ما نواجه هنا قد تخطى حجم الظاهرة وصار واقعاً حتمياً يحتم علينا التعامل معه بجدية دون هزل أو استخفاف، وأن نعمل جميعاً على المستوى العالمي لا المحلي في التصدي لهذا الواقع المريع ونسعى لتضافر جهودنا للقضاء على تلك الآفة التي نطلق عليها مجازاً اسم «ظاهرة» فقد تخطى حجمها اللا معقول، وهذا ما تثبته الدراسات والبيانات والإحصاءات على المستويين المحلي والعالمي ولعل إبحار هذه الدراسة في الموضوع قد يكون بمثابة لفنة في جدار الصد والحماية.

أولاً: حجم ظاهرة الإساءة للأطفال عبر شبكات الإنترنت عالمياً

على الرغم من صعوبة إحصاء أرقام دقيقة لظاهرة الإساءة والاستغلال الجنسي للأطفال عبر شبكات «الإنترنت» إلا أن منظمة الأمم المتحدة للطفولة «اليونيسيف» تقدر أن أكثر من ثلاثة ملايين طفل يتورطون في مثل هذا النوع من الدعارة في جميع أنحاء العالم، وأن ثلث هذا الرقم موجود في القارة الآسيوية، كما أظهرت الإحصائيات أن الربح السنوي من استغلال الأطفال جنسياً عبر «الإنترنت» يتجاوز ٣ مليارات دولار، وأن هناك أكثر من ١٠٠ ألف موقع إباحي للأطفال، وأن متوسط عمر الأطفال الذين يتعرضون لمواقع إباحية هو ١١ عاماً وأن الفئة الأكثر ارتياداً لهذه المواقع هم من ١٥ إلى ١٧ سنة، وأن ٣٤٪ من الأطفال الذين تبلغ أعمارهم ما بين ١١ و١٢ عاماً لديهم حسابات شخصية بهم على مواقع التواصل الاجتماعي المختلفة، وأن هناك طفلاً واحداً من بين كل خمسة أطفال دون سن العاشرة ممن يستخدمون الإنترنت ويضع معلومات خاصة به على الإنترنت من ضمنها عمره وصوره والمدينة التي يعيش فيها، ويتم التقرب منهم لأغراض جنسية.

وتقدر زيادة الإساءة باستخدام صور الأطفال بنسبة ١,٥٪ في حين يوجد ٢٦ شخصية كرتونية محببة للأطفال تُستغل لاستدراجهم لمواقع إباحية، وأن ٢٨٪ من الأطفال تعرضوا للتحرش ومحاولات الإغراء من شواذ يكبرونهم في العمر في غرف الدردشة الإلكترونية، منهم ما يقدر بنسبة ٤٪ كانوا ضحايا للابتزاز والضغط الجنسية المختلفة وتلقوا إغراءات جنسية قوية، كأن يطلب شخص ما منهم مقابلتهم في مكان ما أو يدعوهم للحديث عبر الهاتف أو يرسل إليهم رسائل بريد إلكتروني في الوقت الذي لا يكونون موجودين فيه على الشبكة أو يرسل إليهم نقوداً عينية أو هدايا وأن ٤٠٪ من الأطفال

يمكنهم أن يفصحون ببراءة عن كل بياناتهم الشخصية والعائلية، فيما يفضل الباقون عدم الإفصاح عما يتعرضون له من تحرش وإساءة وابتزاز لأسباب مختلف.

كما تنخفض نسبة الأطفال الذين يخبرون ذويهم بالكثير أو بكل شيء يقومون به على الإنترنت مع ازدياد العمر، إذ بلغت نسبة مثل هؤلاء الأطفال الذي يخبرون ذويهم وممن تتراوح أعمارهم بين ١١ و١٢ عاماً نحو ٦٩٪ في حين أن نسبة الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ٨ و١٠ بلغت ٨٦٪ في حين تشير الإحصاءات إلى أن ٩٠٪ من الأطفال الذين يستجيبون للإغراءات الجنسية عبر الإنترنت استخدموا تلك الشبكة وهم في سن التاسعة من العمر.

الإيقاع بالضحايا والقارئ لتفاصيل الجرائم اليومية التي ترتكب بحق الطفولة، لا يغيب عنه طرق وأساليب الجناة من أجل الإيقاع بالضحايا، وتنوع صور التحايل والإغواء والإلحاح وتقديم المحفزات والهدايا والمغريات المادية، وسوق الأكاذيب والمبررات في سبيل تحقيق هدف واحد، يتمثل في انصياع الضحية والاستسلام لرغبات شاذة ومريضة.

إن سوء معاملة الأطفال بشتى أنواعها «العاطفي والجسدي والجنسي والإهمال»، من أهم الآفات الآخذة في الانتشار والازدياد في جميع أنحاء العالم في ظل ثورة الاتصالات الإلكترونية التي تم استغلالها أسوأ استغلال، وأصبحت مشكلة سوء معاملة الأطفال وإهمالهم، واستغلالهم جسدياً ونفسياً ومادياً، والتحرش بهم، والاعتداء الجنسي عليهم، من المواد التي تتصدر نشرات الأخبار اليومية في وسائل الإعلام العالمية المختلفة، وباتت الجهود الرامية لحماية الطفولة ضرورة إنسانية ومجتمعية وأخلاقية، وقضية عالمية لا ترتبط بحدود جغرافية أو عرقية، ولا ترتبط بمتغيرات تعليمية أو اقتصادية معينة هناك دراسات علمية عالمية عديدة تؤكد أن وسائل الاتصال الحديثة الإنترنت والفضائيات وأجهزة المحمول، قد تنامي دورها وتأثيرها إيجاباً وسلباً على الأطفال والمراهقين بما يفوق نسبة ٦٥٪ مما كان عليه الحال قبل عشرين عاماً، على حساب تأثير الأسرة والمدرسة وأنساق القرابة أو الصداقة أو المؤسسات الاجتماعية الأخرى.

هناك تزايد مضطرد للجرائم الإلكترونية التي ترتكب بحق الأطفال، كجرائم الإساءة والاستغلال والابتزاز وإنتهاك حرمة وخصوصية الطفل بشتى أنواع الصور والأساليب، وأصبحت شكوى عالمية تؤثر المجتمع الإنساني بأسره، كواحدة من أخطر القضايا الشائكة التي تحتاج ثقافة مجتمعية خاصة لمقاومتها والحد منها، ولا سيما أن هناك عدداً كبيراً من الآباء والأمهات لا يزالون غير مدركين تماماً لهذه المخاطر أو لا يدركون عملياً كيف يحققون لأطفالهم الحماية اللازمة.

يتزايد حجم ظاهرة الإساءة للأطفال عبر شبكات الإنترنت عاماً تلو عام وتعددت أسبابه وعوامل انتشاره ولكنها في النهاية أسباب تنطبق على جميع الدول التي يحدث فيها إساءات للأطفال عبر شبكات الإنترنت، ففي الولايات المتحدة مثلاً كشفت دراسة أن أكثر من ٤ من كل ٥ من المراهقين في الولايات المتحدة يمتلك اليوم جهازاً إلكترونيًا واحدًا على الأقل، مثل الهاتف الجوال أو الهاتف الذكي أو المساعد الرقمي الشخصي أو الكمبيوتر.

ويستخدم الكثير منهم هذه الأجهزة لممارسة الألعاب عبر الشبكة الإلكترونية، إرسال البريد الإلكتروني أو الرسائل الفورية، تصفح الإنترنت، تأسيس مدوناتهم الشخصية، أو زيارة مواقع الشبكات الاجتماعية (العصيمي، ٢٠٠٤)

وفي جميع أنحاء أوروبا وخارجها، الأطفال والشباب تستخدم الإنترنت بأعداد كبيرة عن السابق، في ٢٠٠٥-٢٠٠٦ نحو ٧٠٪ من ٦-١٧ سنة من العمر في ٢٥ EU يستخدمون الإنترنت حسب تقديرات والديهم (يوروباروميتر، ٢٠٠٦) بحلول عام ٢٠٠٨، ارتفع العدد إلى ٧٥٪ (٢٧ EU؛ يوروباروميتر، ٢٠٠٨) ويبين ذلك اختلافات كبيرة في استخدام الأطفال للإنترنت في البلدان وحسب العمر.

ثانياً: حجم ظاهرة الإساءة للأطفال عبر شبكات الإنترنت عربياً

هنالك صعوبات بالغة للحصول على إحصائيات دقيقة حول هذا الموضوع وهذا يمثل مشكلة حقيقية لأن معظم الدول لا تحتفظ بمعلومات إحصائية بهذا الشأن أو قد تكون سرية. (العبيدي، ٢٠١٢)

عوامل انتشار الإساءة للأطفال عبر شبكات الإنترنت

لقد خلقت الشبكة العنكبوتية عالماً ساحراً ومثيراً وجديداً من المعلومات والاتصالات لكل من يتعامل معها، وعلى الرغم من خدماتها التي تقدمها للإنسان والتي لا تضاهى ولا يمكن حصرها إلا أنها تركت بصمة سيئة فيما يخص الواقع الخاص بالإساءة إلى الأطفال وقد ساعد على حدوث ذلك مجموعة من العوامل التي نجلها تلخيصاً في :

- ١- الانتشار الواسع لوسائل التكنولوجيا والاتصال.
- ٢- عجز القوانين القائمة عن مواكبة ومواجهة الجرائم التي تكمن معروفة من قبل والتي ظهرت بظهور وتطور تلك الشبكة، إن القوانين التقليدية التي كانت سائدة قبل ظهور شبكة الإنترنت وانتشارها لم تعد قادرة على مواكبة

هذه السرعة الهائلة في التكنولوجيا التي أدت إلى تطور الجريمة من خلالها وظهور جرائم لم تكن في السابق وباتت القوانين التقليدية القائمة عاجزة عن مواجهة هذه الجرائم مما لزم هذا الأمر إلى تدخل المشرع في بعض الدول إلى سن تشريعات حديثة لمواجهة الجرائم الناشئة عن استخدام شبكة الإنترنت للمحافظة على مبدأ الشرعية الجنائية لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص حيث أن منتجين الصور والأفلام الأباحية يستفيدون من نظرية تنازع القوانين في الإطار القانون الدولي الخاص مما يزيد المشكلة تعقيدا فهناك تشريعات تسمح للأطفال بأن يرحلوا صور إباحية قبل بلوغ سن الـ ١٨ وهناك تشريعات أخرى لا تسمح بهذا العمل. (درويش، ٢٠٠٠)

٣. عدم القدرة على تعقب مرتكبي الجرائم الإلكترونية.

٤. ضعف رقابة الأهل.

٥. تنامي ظاهرة الفضول الذي لدى الأطفال مع محدودية ثقافتهم وحبهم للاطلاع مما يجعلهم فريسة سهلة لمروجي المتعة والإباحية، حيث إن الطفل بطبعه يمتلك حب الفضول حين يتصفح الشبكة وهو ما يصادف قبولا لدى الأشخاص الراغبين في تعريض الطفل للانحراف فمن خلال الشبكة يمكن الاطلاع على المطبوعات الممنوعة سواء كانت مقيدة من قبل الرقابة أو كان مسموحا لكبار السن فقط للاطلاع عليها ومشاهدتها وعلى شبكة الإنترنت كذلك يوجد ما يزيد عن مليون صورة ورواية تشجع الطفل على الانحراف فالكثير منهم عند استخدامهم لمواقع الألعاب يكتشفون أن فيها انحرافات بطريقة كاريكاتورية قد تمهد لهم الفضول للدخول إلى المواقع الإباحية. (الذباحي، ٢٠١٢)

أشكال ظاهرة الإساءة للأطفال عبر شبكات الإنترنت ومدى تأثيرها على سلوكيات الأطفال

أولاً: أشكال ظاهرة الإساءة للأطفال عبر شبكات الإنترنت

تنوع أشكال الإساءة للأطفال عبر شبكات الإنترنت منها إرسال أو نشر مادة مؤذية باستخدام الجوال أو الإنترنت، وقد يكون الاستمرار في إرسال رسالة إلكترونية أو نصية لمضايقة شخص وقد يتضمن أيضاً السلوكيات العامة مثل تهديدات متكررة وملاحظات جنسية وإطلاق أسماء للتحقير وخطابات الكراهية أو اتهامات باطلة للتشهير والتحالف ضد ضحية بوضع الشخص موضع سخرية في المنتديات الإلكترونية واختراق أو تخريب مواقع حول شخص ما، ونشر أقوال كاذبة تستهدف إهانة الطفل المستهدف إضافة إلى نشر صور إباحية. (حلمي ساري، ٢٠٠٨)

وأيضاً إنشاء حسابات وهمية وتعليقات خادشة وغير أخلاقية تجاه الطفل، وقد يرسل أيضاً بعض المتحرشين رسائل إلكترونية للتهديد والمضايقة ورسائل فورية أو نصية للضحايا ينشر الآخرون شائعات لتحريض الآخرين على التجمع ضد الطفل المستهدف وكرهه، وقد تصل الإساءة والتحرش إلى حد أن يصبح الأطفال عرضة لارتكاب جريمة في حقهم.

إن الكثير منا يتعامل عبر الإنترنت مع غرف المحادثة والبريد الإلكتروني والمواقع التي تسهل عملية الاتصال بين الناس ببعضها مثل الفيس بوك ويترتب عند التعارف ألفة تتطور بسرعة إلى ثقة قد يترتب عليها الوقوع في فخ الاحتيال، والأطفال هم أكثر الناس عرضة إلى مخاطر المحتالين لأننا نتكلم عن محتالين ليس مهمهم جمع المال فقط أو النصب ولكن هناك محتالين يستغلون براءة الأطفال في أعمال مخالفة للاداب العامه لذا وجب الحرص على الأطفال عند دخولهم على الإنترنت ويجب أن يكون تحت إشراف الأب أو الأم وأن يتابعون ما يقومون به على الإنترنت وما هي الأشياء التي تستهوي الأطفال فهناك أطفال تحب برامج المحادثة وهي أخطر ما في الموضوع هناك أطفال تحب مواقع المعرفة والمعلومات لا بد من الاطلاع على هويات الأطفال عبر الإنترنت. (الذباحي، ٢٠١٢)

يستدرج المحتال الطفل بكل الحب والمودة في بداية الأمر حتى يثق الطفل بالمحتال من الممكن أن يقدم الهدايا للطفل وأن يخبره عن الأشياء التي يحبها مثل الموسيقى وآخر الألعاب ومن الممكن أن يصغى إلى مشاكل الأطفال ويعمل على حلها ويحاولون أيضاً إزالة الكبت لدى الأطفال بالدخول رويداً في المسائل الجنسية أو يعرضون صور تتعلق بالجنس أو ما شابه ذلك ولكن هناك بعض المحتالين الذين يدخل في الموضوع مباشرة دون الحاجة إلى مقدمات فإن رفض الطفل فإنه يعلم أن هناك أطفال كثيرة موجودة على الإنترنت ومن الممكن في المستقبل أن يتطور الأمر بمقابلة الطفل للمحتال في أي مكان ويلتهم فريسته وكم من محتالين موجودين على برامج المحادثة. (الذباحي، ٢٠١٢)

فقد برزت في الآونة الأخيرة جرائم الاستغلال الجنسي للأطفال عبر شبكات الإنترنت وتعتبر من أهم فروع الإساءة للأطفال عبر هذه الشبكة والتي أدت إلى انتشار العديد من ضحاياها بل أصبحت ظاهرة عالمية يعاني منها ملايين الأطفال في مختلف العالم مما أثار حفيظة منظمات حقوق الإنسان وخاصة المختصين بحقوق الأطفال وفرض ضرورة التصدي لهذه الظاهرة والانتهاكات الواقعة على الأطفال وخاصة الاتجار بالأطفال عبر صفحات الإنترنت من خلال الحوارات التي تجري بين هؤلاء الأطفال وأشخاص بالغين يدخلون بأسماء لأفراد مجهولين وعلى الرغم من أن هذه التكنولوجيا تقدم فرصاً

لا تضاهي الصغار والكبار للاطلاع على العالم إلا أنها تركت أثراً هائلاً على الواقع الخاص باستغلال الأطفال جنسياً وذلك بتوزيع صور إباحية في مواقع الترفيه الخاصة بالألعاب الأطفال أو خلال المواقع التعليمية، ومنهم من يضع فيديوهات في مواقع مشاهدة الرسوم المتحركة، ونشهد حالياً زيادة كبيرة في عدد المتحرشين بالأطفال جنسياً الذين يعتمدون على تكنولوجيا الإنترنت لتنظيم حجم مجموعاتهم الخاصة بالمواد الإباحية المتعلقة بالأطفال ويقومون بنشرها على شبكة الإنترنت وعند الإبلاغ عن هذه الصور لا يمكن سحبها أو حذفها لذا يظل الطفل ضحيتها كلما تم الإطلاع عليها من الآخرين ومما لا شك فيه أن ضحايا هذه الجريمة من الأطفال يتعرضون بشكل متزايد وإلى أشكال متعددة من الإساءة والعنف ويؤدي ذلك الاستغلال إلى فقد الطفل لبراءة الطفولة كما يفقد إحساسه بإنسانيته وكرامته وهو ما يجعله يصاب بالإحباط والاكتئاب وقد يقوده إلى ممارسة العنف والجريمة أو ممارسة الشئ ذاته مع الآخرين. (حلمي، المجلد ٢٤ - ٢٠٠٨)

وبالرغم من وجود الكثير من الاتفاقيات الدولية وتوصياتها لحماية الطفل من أي نوع من الاستغلال عبر شبكة الإنترنت إلا أنها في نمو وتزايد إلى الحد الذي يثير قلق المجتمع الدولي ورغم خطورة جريمة الاستغلال الجنسي للأطفال إلا أنها لم تلق من تشريعات كثير من الدول تناسب الخطورة وبعضها سن بعض القوانين لحماية الطفل من الإساءة والاستغلال عبر شبكة الإنترنت في حين أن دول أخرى لم تحرك ساكناً في هذا الخصوص، وبالتالي ظهور هذه الإباحية في المواقع الخاصة بالأطفال والبريد الإلكتروني وعدم كفاية النصوص التشريعية القائمة لمواجهتها وقد أشارت نتائج بحث تطبيقي على مجموعة أطفال (٧٠ طفلاً) في بريطانيا ترواحت أعمارهم من ١٠ إلى ١٤ وأشارت الدراسة أن ٢٥٪ من تلك الفئة تفتح المواقع الإباحية وأن ٦٥٪ أطلعت عليها لاقتحامها الشاشة أثناء متابعة الطفل لألعابه على الشاشة وترجع أهمية تلك الدراسة إلى العلاقة المباشرة بين اقتحام عالم الإباحية ومحدودية ثقافة الطفل التي تؤهله ليكون صيداً سهلاً فيما بعد في مجال الاستغلال الجنسي. (الذباحي، ٢٠١٢)

ومع تنامي الإعلام الإلكتروني، فقد تزايدت أعداد الشكاوى من المضايقات الإلكترونية، أو ما يسمى «التخويف الإلكتروني» إضافة إلى مضايقات التحرش الجنسي وأنواع أخرى من حوادث الإيقاع بالضحايا.

ورغم أن شتى الدراسات تعتمد على تعريفات مختلفة، وعلى طرق متنوعة للقياسات الخاصة في هذا المضمار، إلا أنها تشير إلى أن ما بين ٩ و ٢٤ في المائة من المراهقين والمراهقات في الولايات المتحدة يقعون ضحية للمضايقات الإلكترونية التي تعرف بأنها نوع من التهديد أو التخويف أو القذف، لكنها ليست مضايقات جنسية.

كما تشير إلى أن ما بين ٢١ و٤٢ في المائة من الأشخاص يقفون وراء هذه المضايقات، وأظهر استطلاع أميركي أجري عبر الهاتف للأطفال والمراهقين بين أعمار ١٠ و١٧ سنة، أن ١٢ في المائة منهم قد تسلموا نوعاً ما من رسائل التحرش الجنسي الإلكتروني خلال السنة المنصرمة، منهم ٤ في المائة تسلموا رسائل ملحة للالتقاء بهم في الخارج.

لذلك، فإن مما لا يثير الدهشة أن يتوجه أطباء الصحة النفسية والمدرسون والآباء إلى طلب النصائح والمشورة حول كيفية حماية الأطفال والمراهقين من هذا الأذى الإلكتروني.

وكان مركز مكافحة الأمراض ومراقبتها قد جمع عدداً من الخبراء عام ٢٠٠٦ لمناقشة سبل حماية المراهقين من التخويف والابتزاز الإلكتروني والمضايقات الإلكترونية الأخرى وكشف مركز أبحاث الجريمة ضد الأطفال في عام ٢٠٠٥ أن ٢٪ من الشباب تعرضوا لشكل من أشكال التحرش، الاستييان كان عن طريق الهاتف وقد شمل ١٥٠٠ شاب يمثلون الولايات المتحدة الأمريكية وكانوا ما بين الأعمار ١٠ إلى ١٧ ذكر ثلث من الشباب شعورهم بالتضايق جراء الحادث، وكان الشباب الأصغر أكثر قابلية للتضايق من غيرهم وكذلك الذين كانوا ضحية الإيذاء العدواني (بما في ذلك من مكالمات هاتفية، إرسال الهدايا أو الزيارة بالبيت من قبل المتحرش) بالمقارنة بالشباب الذين لا يتلقون تحرشاً عبر الإنترنت فإن الضحايا هم أكثر عرضة لمشاكل اجتماعية ومن الناحية الأخرى، فالشباب الذين يقومون بالتحرش والمضايقات أكثر قابلية لأن يعانون من مشاكل العدوان وخرق القوانين فالشباب الذين تعرضوا لمضايقة من قبل يكونوا أكثر عرضة لأن يضايقوا غيرهم (الذباحي، ٢٠١٢).

توصلت دراسة (Crossetal, 2009) إلى أن حالات التنمر والمضايقات للآخرين انخفضت ولكنها أيضاً ازدادت مع ازدياد العمر (القوة الافتراضية، ٢٠١٢)

ثانياً: مدى تأثير ظاهرة الإساءة للأطفال عبر شبكات الإنترنت على سلوكيات الأطفال

من المخاطر التي تنطوي عليها عمليات الإساءة على الشبكات الاجتماعية وخاصة بالنسبة للأطفال أن يعتمد البعض إلى الإساءة من خلال رسائل فورية يكون فحواها مثلاً (الجميع يكرهك) أو (أنت فاشل/ فاشلة) وما يشبه ذلك من رسائل ذات عواقب نفسية سلبية ويعتمد البعض إلى إنشاء مواقع إلكترونية تهدف إلى إذلال الأطفال وإحراجهم مثل الاقتراع على الإنترنت حول مواضيع مثل (صوّت لأقبح عشر فتيات في المدرسة) وقد

أشارت الأبحاث إلى أن الإساءة الإلكترونية تؤدي في معظم الحالات إلى اضطرابات نفسية منها تدني احترام الذات والاكتئاب والقلق وانخفاض الدرجات المدرسية.

• المشاكل والأضرار المحتملة لبرامج ومواقع الترفيه. (حلمي، ٢٠٠٥)

١. تنمية السلوك العدواني والعنف بين الأبناء.

٢. التأثير بشخصيات خرافية وهمية مما يبعد عن واقع الحياة.

٣. ربط الأطفال بمفاهيم غريبة تحمل قيماً دخيلة على مجتمعهم.

٤. الكسل والخمول من جراء الجلوس ساعات طويلة أمام الشاشة.

٥. تعود الابن على التلقي خاصة المادة غير الهادفة.

٦. إشاعة القيم المادية بدل الروحية.

٧. الإقلال من الإحساس بروح الجماعة وذلك لتعود الطفل الاكتفاء بنفسه والاعتماد على أصدقاء الإنترنت.

٨. تشويه صورة المثل العليا التي تتمثل في قيمنا وتاريخنا واستبدالها بصور ونماذج خرافية أو معارضة لقيم مجتمعنا.

- يرى بعض الخبراء أن انتشار الألعاب والبرامج التي تمثل شخصيات وهمية أو أجنبية جعلت أبناءنا لا يعرفون رموز أمتنا حيث أن ٦٨٪ من أطفال العرب أقل من ١٠ سنوات لا يعرفون صحابياً مثل خالد بن الوليد رضي الله عنه مع معرفتهم برموز الألعاب والبرامج الأجنبية. (عويس، ١٤٢٤ هـ)

- إمكانية التغيير بالأطفال لعمل شيء مشين، ومن أراد الإطلاع على ما يمكن تغيير الأطفال به فليطلع على مجلة (النيويورك تايمز) عن الطفل جستن (Justin) بتاريخ ١٩ ديسمبر ٢٠٠٥ م. (حلمي، ٢٠٠٥)

- من مآسي شبكة الإنترنت ماتزخر به من مواقع تروج للعقائد الباطلة والأفكار الهدامة والدعوات الخبيثة، ونتيجة لما يسود مرحلة الشباب من فضول وعدم استقرار نفسي وفكري، وقع كثير من الشباب العربي في حبال جماعات مشبوهة تُعادي الدين وتناوئ الإيمان. (القشعان، ٢٠١١)

-أفرز الاستخدام المكثف للإنترنت ظاهرة أصبحت توصف بأنها ظاهرة مرضية وهي إدمان الإنترنت الذي يُعرف بأنه: (حالة من الاستخدام المرضي وغير التوافقي للإنترنت يؤدي إلى اضطرابات إكلينيكية) وهذه الظاهرة هي نوع من الإدمان النفسي التي وصفت بأنها قريبة في طبيعتها من إدمان المخدرات والكحول حيث يترتب على إدمان الإنترنت ظواهر قريبة من إدمان المخدرات ومن هذه الظواهر. (العصيمي، ٢٠٠٤)

استراتيجيات الحماية والوقاية من الإساءة للأطفال عبر شبكات الإنترنت عالمياً وفي دولة الإمارات العربية المتحدة

بناء على حضوري للمؤتمر القوة العالمية الافتراضية الخامس في إمارة أبوظبي في الفترة (١١-١٢) ديسمبر تم طرح بعض المحاور من قبل المشاركين في المؤتمر، ولقد قمت بإقتباس بعض هذه المحاور للاستفادة منها في هذه الدراسة.

أولاً: استراتيجيات الحماية والوقاية من الإساءة للأطفال عبر شبكات الإنترنت عالمياً

تعتبر الإساءة للأطفال عبر شبكات الإنترنت من الظواهر المتنامية عالمياً، وإن التطورات المتسارعة في التقنيات الحديثة ساهم في تسهيل الإساءة للأطفال في العالم أجمع.

ومع تزايد شبكات الإنترنت تزايدت أيضاً محتوياتها من شبكات تواصل إجتماعي ومقاطع الفيديو والرسائل الفورية والمواقع المختلفة التي أتاحت فرص الخطورة تجاه الأطفال والشباب، وإن الأطفال بمختلف أجناسهم وأعمارهم وثقافتهم وأصولهم فهم ضحايا الإستغلال عبر شبكات الإنترنت.

تعددت مظاهر استغلال الأطفال عبر شبكات الإنترنت، فتعددت وتزايدت الصور الإباحية للأطفال على شبكات الإنترنت، مما أدى أيضاً إلى تزايدها عبر شبكات التواصل الاجتماعي، وتعد الدردشات من أهم الوسائل المستخدمة لاستغلال الأطفال.

تعتبر الإساءة للأطفال عبر شبكات الإنترنت ظاهرة متعددة الأبعاد ومتطورة، حيث تعددت أبعادها من الناحية الوطنية والدولية، ويرجع تفسير ذلك بأن الأطفال يعيشون في مكان ما على الكرة الأرضية، بينما يكون المسيئين في مكان آخر، ويرجع ذلك إلى أن الإساءة والاستغلال للأطفال متاح للجميع وفي جميع أنحاء العالم.

إن التطورات السريعة في الاتصالات المعلوماتية أدى إلى التقارب التقني بين الهواتف الجواله وشبكة الإنترنت، مما أثر على الأمن على شبكات الإنترنت، كما ساهم ذلك في إغفال الهوية على الشبكات وبذلك فإن المواقع الإلكترونية والشبكات الإجرامية تسير جنباً إلى جنب وباستمرار، مما شكل صعوبة في ضبط وملاحقة المعتدين.

لحماية الأطفال من الإساءة عبر شبكات الإنترنت عالمياً، استخدمت بعض الدول استراتيجيات لتحقيق ذلك منها:

١. قامت بعض الدول بعدد من المصادقات على اتفاقيات دولية وإقليمية حول حقوق الأطفال التي تحميهم من الاستغلال الجنسي والعنف وذلك بسبب التزايد الملموس للظواهر الإساءة للأطفال.

٢. مشاركة أصحاب المصلحة في منع ومكافحة الإساءة للأطفال عبر شبكات الإنترنت (دول، مجتمع دولي، منظمات غير حكومية، قطاع خاص، وكالات دولية وغيرها).

٣. وضعت عدة دول خطط ومعايير وإجراءات وطنية لحماية الأطفال من جميع أشكال العنف وشملت أيضاً هذه الاستراتيجيات، الجريمة المنظمة خاصة في مجال الإجرام الإلكتروني عبر شبكات الإنترنت.

٤. تأسيس عدد من الخطوط الساخنة في المستويات الوطنية والدولية وتطبيق نظام الفلترة و«وأضرار متعلقة بالإساءة» على المواقع الإلكترونية التي يزورها الأطفال، وتم تنفيذ برامج توعوية لنشر الوعي.

٥. صممت بعض شركات مزودي خدمات الإنترنت وشركاء الهواتف الجواله والبطاقات الائتمانية تبني مدونات تهتم بقواعد السلوك.

٦. تأسيس عدد من التحالفات الدولية بين عدد من وكالات تنفيذ القانون والشركات والمؤسسات المالية وقطاع الإنترنت مثل: القوة الافتراضية العالمية، التحالف المالي ضد الصورة الإباحي للأطفال، ومؤسسة مراقبة الإنترنت والمركز الدولي للأطفال المفقودين والمستقلين.

٧. الشرطة الدولية المتمثلة في (الإنتربول) قامت بتطوير قواعد بيانات على مستوى عالي من الأداء يسمح بتحديد المئات من الأطفال في عدد من الدول.

على الرغم من هذه الجهود المبذولة فلا يزال عدد من الأطفال عبر شبكات الإنترنت في تزايد مستمر بسبب بعض المعوقات بين الدول، ولذلك نجد بعض الصعوبات التي تواجهها استراتيجيات حماية الطفل من الإساءة عبر شبكات الإنترنت.

١. بعض الدول لا تحظر أشكال الإساءة للأطفال عبر شبكات الإنترنت، ولا تسلط الضوء على معايير حماية الأطفال، ولا تضع شروط ملزمة لمزودي خدمات الإنترنت.
٢. إن قياس هذه الظاهرة يواجه صعوبة بسبب غياب نظام قياسي لجمع ومعالجة المعلومات، وعدم كفاية تبادل المعلومات بين الدول، والخوف من الإبلاغ عن الإساءة خوفاً من نظرة المجتمع أو خوفاً من الانتقام، وأيضاً لحساسية هذه الظاهرة.
٣. جهل الكثير من الأطفال مخاطر الشبكة العنكبوتية، ومحدودية مشاركة الأطفال في تطوير وتطبيق الاستراتيجيات وبرامج الحماية.
٤. عدم مساهمة القطاعات الخاصة في بعض الدول في تعزيز حماية وسلامة الأطفال في ظل بيئة الإنترنت، وافتقار التنسيق بين الدول.

كيفية تحقيق الوقاية الفعالة ومكافحة الإساءة للأطفال عبر شبكات الإنترنت من خلال هذه الاستراتيجيات عالمياً

١. أن تقوم جميع الدول بالمصادقة على البروتوكولات الدولية والإقليمية، وتبني أنظمة وطنية لحماية الأطفال بشكل شامل نابع من حقوق الطفل، ضمن خطة تنسيق بين القوانين والسياسات والقواعد الاجتماعية، والتشريعات والخدمات والمراقبات، والإشراف على أنشطة جميع القطاعات وذلك لتحقيق الاستجابة من حماية الطفل من المخاطر التي قد يتعرض لها.
٢. أن تشارك كل القطاعات الخاصة (الإنترنت، الهواتف الجوال، الخدمات المالية) في حماية الطفولة وأن تكون أكثر مسؤولية وخاصة في الدول النامية.
٣. تبني استراتيجية شاملة للوقاية وحماية الأطفال من الإساءة عبر شبكات الإنترنت وذلك لتحقيق الانسجام بين الممارسات والإجراءات وتبادل الخبرات وتقديم الدعم المستدام للدول النامية.

ثانياً: استراتيجيات الحماية والوقاية من الإساءة للأطفال عبر شبكات الإنترنت وفي دولة الإمارات العربية المتحدة

تعد شبكة الإنترنت في ظل التنامي السريع في تقنياتها مصدراً للمعلومات والتواصل الاجتماعي والأعمال التجارية، في ظل هذا التوسع المتنامي واللامحدود

لشبكات الإنترنت ظهرت تحديات وقضايا منها الجرائم الإلكترونية والمحتوى الغير القانوني، تختلف التحديات التي ظهرت نتيجة التوسع السريع لشبكة الإنترنت والتقدم والتعقيدات فيها من بلد لآخر، كما هو الاختلاف في تعريف ونطاق هذه القضايا الناجمة عنها، ويعتمد الاختلاف في ذلك على التشريعات الوطنية والمعتقدات الثقافية والقدرات التقنية والمبادرات المحلية في كل بلد والتي تستهدف مكافحة هذه القضايا.

تتمثل هذه القضايا في دولة الإمارات العربية المتحدة في (توزيع المحتوى الإباحي، مواد التعري، والمقاومة عبر شبكة الإنترنت وتوزيع الأدوية والمخدرات، نشر الفيروسات والرموز الإرهابية والإحتيال عبر شبكة الإنترنت، وإستخدمت دولة الإمارات العربية المتحدة طريقتين للحد من هذه القضايا، حجب المواقع الإلكترونية، حجب الوصول إلى المحتوى، لذلك إتبعته دولة الإمارات نظام الفترة لشبكة عام ١٩٩٧م لحماية الجمهور بعد إدراكهم الجانب السلبي للإنترنت، كما اتبعت عام ٢٠٠٦م سياسة إدارة الدخول للإنترنت من قبل هيئة الاتصالات للحد من المحتوى الضار، وفي عام ٢٠٠٨م تم إدخال قانون السوق ومنح الرخص، وذلك لتنظيم الفئات ذات المحتويات المحظورة وبهدف تحقيق رفاهية مجتمع الإمارات وحمايتهم من الأفكار السلبية، لهذا أنشأت شركة الاتصالات نوعين من الفترة، الفترة المحلية لحجب وإزالة الحجب اليدوي أما الفترة الآلية فهي تعتبر فترة ذكية تقوم بتصنيف عناوين الإنترنت إلى فئات رياضة، وألعاب، وغيرها.

هدفت دولة الإمارات العربية المتحدة من سياسات واستراتيجياتها مع شركة الاتصالات هو الاسهام الفعال في تطور الرفاهية للمجتمع الإماراتي وحماية أفراد من الأفكار الهدامة التي قد تؤثر في ترابط المجتمع الإماراتي، وبالتالي عندما تتحقق الحماية لأفراد الأسرة فإن ذلك يؤثر بالإيجاب على المجتمع الذي سيحظى بأسرة فاعلة ومبادرة وقادرة على أن تشارك في بناء هذا الوطن.

ورد في مدونة العلم والمعرفة الإلكترونية لهذا العام، أن ١٨٪ من الأطفال العرب المعرضين للتحرش الجنسي، تعرضوا له عبر الإنترنت، منهم ٦٦٪ تعرضوا للتحرش عن غير قصد أي دون درايتهم بأن ما يحدث معهم تحرش، و٤٢٪ عن قصد (أطفال زهرة، الإنترنت. التحرش الجنسي، ٢٠١٣)

وبحسب آراء بعض المعنيين بالموضوع، ما زالت دولة الإمارات تعاني حالات فردية بسيطة، لكن لا بد من تدابير وقائية تحمي الأطفال من هذه الجريمة مستقبلاً، في حين هناك من يرى عكس ذلك مرجعاً قلة الإحصاءات والحالات المعلنة إلى عدم الإبلاغ

والتستر خوفاً من الفضيحة الاجتماعية، أو لعدم المعرفة بماهية وأشكال التحرش عبر الإنترنت.

دولة الإمارات العربية المتحدة أنضمت ممثلة بوزارة الداخلية في مارس ٢٠١٠م أول دولة عربية إلى المنظمة الدولية لحماية الأطفال من الاستغلال عبر الإنترنت بأمر من صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي، رعاه الله، تم إعداد قانون إتحادي خاص بحماية الطفل، سيمكّن من تطبيق إجراءات رادعة وسيدعم تنفيذ برامج وقائية وتوعية. (جريدة الاتحاد، ٢٠١٢م)

تسعى دولة الإمارات العربية المتحدة متمثلة في وزارة الداخلية إلى التعريف بالالتزامات والواجبات والحماية من المخاطر المترتبة على الانتشار الواسع للعالم الافتراضي وتزايد استخدام التقنيات الحديثة وإرتباطها بمختلف جوانب الحياة، وهذا جزء من المفهوم المتشعب والواسع لـ «المواطنة الإلكترونية» (جريدة الاتحاد، ٢٠١٢م).

عملت وزارة الداخلية بالتعاون مع جميع الوزارات والجهات المعنية بحماية الطفل اتحادياً أو محلياً على تحقيق أهدافها وتطلعات قيادتنا في إطار اللجنة العليا لحماية الطفل من حيث الالتزام الكامل بالمحافظة على سلامة الأطفال في الإمارات من خلال منظور متعدد الأبعاد وذي محاور أساسية تركز على التشريعات والإنترنت ومراقبة ومتابعة أولئك الذين يشكلون خطراً على الأطفال والعمل على زيادة وعي المجتمع بمجالات حماية الطفل من المخاطر من خلال:

١. التنسيق الأمني والشراكة الفعالة في تبادل المعلومات وجهود الدوريات الإلكترونية في تحقيق جانبي الوقاية والاستجابة لمواجهة هذا النوع من الجريمة.

٢. الإجراءات والتشريعات الخاصة للحيلولة دون تحولها لظاهرة مجتمعية، وأن نشر ملفات إساءة واستغلال الأطفال إلكترونياً تضاعف آلاف المرات في السنوات القليلة الماضية على المستوى العالمي.

٣. فقد تم برعاية وتوجيهات القيادة الشرطية عقد ورشة تشريعية لحماية الطفل بالتعاون مع فريق عمل مشروع «الحماية» بجامعة جونز هوبكنز والمركز الدولي للأطفال المفقودين والمستغلين جنسياً العام الماضي، وتمارين لرصد وتتبع الأشخاص الذين يقومون بحيازة وتداول ونشر ملفات إباحية واستغلال الأطفال عبر تقنيات «الند للند» P2P في أبوظبي ودبي (ورشة عمل التشريع وحماية الطفل، ٢٠١١م).

٤. ستطلق الإمارات في الأول من شهر أكتوبر/ تشرين الأول المقبل موقعاً إلكترونياً خاصاً بالأطفال chi.ae، ستنشر عليه برامج ومواد توعية حول حقوق الطفل وآليات حمايتها.

دور الأسرة والمؤسسات التربوية والاجتماعية في الوقاية من الإساءة للأطفال عبر شبكات الإنترنت

أولاً: دور الأسرة في الوقاية من الإساءة للأطفال عبر شبكات الإنترنت

الأسرة هي النواة الأولى للمجتمع وتمثل الأساس الاجتماعي الأول في تشكيل وبناء شخصيات الأطفال وتوجيه سلوكهم ورعايتهم وعليه يكون للأسرة دور هام في تعليم الأبناء الإدراك الصحيح للتكنولوجيا وفلسفة وجودها في المجتمع ومدى تأثيرها الإيجابي إذ أحسن استخدامها وماهي الأخطار والسلبيات التي تنتج عن استخدام هذه التكنولوجيا استخداماً سليماً على حياتهم، وبإنتشار «الخلوة الافتراضية» بين الأطفال، وهي بقاء الطفل لساعات لوحده أمام شاشة الكمبيوتر أو الموبايل من دون معرفة الأبوين ماذا يعمل وبماذا يلهي نفسه، فلا بد من رقابة حقيقية من قبل الأبوين وتنظيم ساعات استخدام الإنترنت لأطفالهم مع معرفة المواقع التي يزورونها، وبالتالي فإنه يجب على الأسرة تعليم الأبناء السلوكيات السليمة لاستخدام التكنولوجيا والبيانات والبعد عن أخطار استخدامها ووضع ضوابط لها وذلك من خلال. (درويش، ٢٠٠٠)

١. القيام بوضع جهاز الآلي في مكان واضح في المنزل لكي يسهل معرفة من يستخدمه.

٢. تزويد جهاز الحاسب الآلي ببرامج خاصة تمنع المواقع المسيئة وغير المرغوب فيها.

٣. غرس القيم والسلوكيات الأخلاقية داخل الأسرة.

٤. غرس القيم الدينية ومراقبة الله في السر والعلانية.

٥. عدم الإسراف في استخدام التكنولوجيا وتعديل سلوكهم في ترشيد استخدامها.

٦. أشرح لطفلك أن ليس كل المعلومات على الإنترنت أمر جيد، صحيح أو مفيد، وليس المقصود أن بعض المناطق هي للكبار فقط وللأطفال لنرى.

٧. استخدام خدمة الإنترنت للعائلات مزود (ISP) الذي يوفر ثبات بروتوكولات الأمان عبر الإنترنت أو تطلب من ISP كيفية تثبيت المصدر والأنواع المناسبة من المنتجات الأمنية للإنترنت لك ولعائلتك.

٨. تقييد صلاحيات الأطفال في التعامل علي الكمبيوتر عبر منحهم إسم مستخدم بصلاحيات مقيدة.

٩. عدم السماح للأطفال باستخدام بريد إلكتروني منفصل والأفضل أن يتبادلوا رسائلهم عبر بريد الأب أو الأم.

ثانياً: دور المؤسسات التربوية والاجتماعية في الوقاية من الإساءة للأطفال عبر شبكات الإنترنت

يجب العلم أن شبكة الإنترنت لاتعرف عبارة للكبار فقط فالمواقع المتاحة للكبار يمكن للصغار كذلك الدخول إليها وأن هذه اللافتة التي توضع على أبواب السينما لمنع الصغار من مشاهدة الأفلام التي لا تناسبهم لا تنطبق حتى الآن على مواقع الإنترنت وأن التطور الهائل لشبكة الإنترنت وانتشار المواقع الضارة وتحايل أصحاب هذه المواقع المستمر لتخطي أنظمة الوقاية والحماية يجعل من تقوية مناعة الأطفال وتعزيز رفضهم الذاتي للمخاطر التي تتضمنها الشبكة هو الوسيلة المثلى والفعالة لحماية ووقاية الأبناء من الأضرار.

ولذلك فإن نشر ثقافة الإنترنت يتطلب من الجهات التعليمية التي تملك الخبرة المعلوماتية المتقدمة ونظم أمن المعلومات أن تعد العدة لمواجهة المخاطر المترتبة على المعلوماتية ويتعين تضافر الجهود بين شرائح وفئات المجتمع مع التعاون مع كل من الوزارت المعنية مثل التربية والتعليم والتعليم العالي وغيرها.

ويجب أن ترتكز عملية نشر ثقافة الإنترنت على المحاور التالية :

١. المناقشة و تبادل الآراء و المعلومات مع الأطفال حول ما يجدونه على الإنترنت.
٢. توجيه الأطفال إلى المخاطر المتوقعة من خلال التعامل بالإنترنت وكيفية الوقاية منها.

الخلاصة

في هذا الفصل سنعالج محتوى الدراسة، ودلالاتها، وأهم نتائجها المستخلصة من المعطيات الميدانية، والمدخل النظري، والدراسات السابقة، ونستخلص في النهاية أهم التوصيات ذات العلاقة.

أولاً : نتائج الدراسة

تعالج هذه الدراسة موضوع الإساءة للأطفال عبر شبكات الإنترنت، ولقد توصلت الدراسة الحالية إلى مجموعة من النتائج انطلاقاً من المعطيات الميدانية.

١ : النتائج المتعلقة الاستبانة الموجهة للأطفال في مدارس دولة الإمارات

فيما يتعلق بمدي استخدام الأطفال لشبكات الإنترنت

إن نسبة استخدام الأطفال لشبكات الإنترنت نسبة عالية بلغت ٩٩,٥ وي عكس ذلك زيادة أقبال الأطفال على استخدام اشبكات الإنترنت، كما تبين البيانات ان نسبة استخدام الأطفال لخدمات الإنترنت (Web & E-Mail & Chat) بلغت ٧٣,٨ من الأطفال الذين يستخدمون هذه المواقع معاً، ويعكس ذلك مدى إقبال أفراد العينة على الخدمات المختلفة في شبكات الإنترنت، وهذا ما أكدت عليه دراسة سابقة (سونيا لينفجستون، ٢٠٠٤)

كما اتضح من البيانات حول المواقع التي يزورها الأطفال إلى ارتفاع نسبة زيارة موقع اليوتيوب حيث بلغت ٢٧، أما باقي النسبة توزعت على المواقع الأخرى ويفسر ذلك، وأيضاً أشارت البيانات أن الإناث أكثر من الذكور في استخدام شبكات الإنترنت، وهذه النتائج كانت تفسير لنظرية النشاط الروتين، حيث أسهم خروج الوالدين للعمل، والقيام بأنشطة روتينية خلال اليوم أدى إلى ولوج الأطفال إلى استخدام هذه الشبكات وخاصة الإناث، بحكم تواجد الإناث في المنزل أكثر من الذكور. كما أشارت البيانات إلى أن الذكور أكثر ارتفاع في زيارة مواقع التوتير والمواقع الإباحية واليوتيوب من الإناث، بينما الإناث شكلت نسبة الارتفاع عن الذكور في زيارة مواقع الانستغرام والكيك، وأيضاً تشير البيانات التي كشفت عنها النتائج في الدراسة الحالية الأسباب التي تدفع الأطفال إلى استخدام شبكات الإنترنت، إن الأطفال يستخدمون شبكات الإنترنت دون رقابة من الأهل، وهذا يدل على أن غياب الرقابة بسبب انشغال الأهل وجهلهم بخطورة ترك الأطفال دون رقابة (نظرية النشاط الروتيني) يعطي المجال أمام الأطفال لاكتساب عادات وسلوكيات سلبية عبر شبكات الإنترنت، وأيضاً الفرصة أمام مستغلي الشبكات للإساءة للأطفال، (الفرصة) وتعزي نظرية النشاط الروتيني ذلك من خلال الأنشطة الروتينية التي تطفئ على مجتمع الإمارات نتيجة التغيرات التي طرأت على مجتمع بعد ظهور النفط، والتي تمثلت في خروج امرأة إلى العمل، وكثرة الاعتماد على الخدم، وزيادة الرفاهية وغيرها مما أعطى الأطفال فرصة للولوج إلى شبكات الإنترنت.

كما بينت نتائج الدراسة أن الأطفال يفضلون تصفح الإنترنت عن الجلوس مع والديهم، وأيضاً يفضلون تصفح الإنترنت عن اللعب مع الأصدقاء، وهذا يدل على أن تعمق الأطفال في الإنترنت واستخدامه دون رقابة أدى إلى اللجوء إلى الإنترنت وتفضيلها على الجلوس مع أهل والأصدقاء وعدم التفاعل معهم. وهنا يتضح تفسير ذلك من خلال النظرية المفسرة لدراسة، حيث تبين أن التغيرات وتحولات في المجتمع الإماراتي أدى إلى اضطراب في الأدوار والنظام والقيم التي هي مقترنة بالتغير الاجتماعي، مما أثر سلباً على عملية الضبط داخل الأسرة وخارجها، وأثر على العلاقات داخل الأسرة وأيضاً على العلاقات مع الأصدقاء، وأدى إلى حب الفردية، وفي هذه الدراسة يتضح ذلك من خلال تفضيل الجلوس على شبكات الإنترنت بدلاً من الجلوس مع أهل أو الأصدقاء، وهذه النتيجة مطابقة لدراسة (Sanderset.al, 2000)، التي أكدت انخفاض في التفاعل مع الوالدين. وأيضاً أكدت دراسة (Krautet.al, 1998) انخفاض الاتصال بين أفراد الأسرة مرتبط بزيادة استخدام الإنترنت.

وحول استخدام الأطفال لشبكات الإنترنت في عزلة ودون انقطاع في غرفهم، بينت الدراسة أن آراء العينة من الموافقين، وهذا يدل على أن استخدام الأطفال المتزايد للإنترنت، وانفتاحهم على العالم من خلال هذه الشبكة، وتواصلهم مع أشخاص عبر المواقع المختلفة ولساعات متواصلة، أدى إلى خلق حالة من العزلة لديهم مما أثر على تفاعلهم الاجتماعي مع أسرهم، وإن التفسير النظري لذلك يعتمد على التغيرات والتحولات في المجتمع التي أدت إلى حدوث خلل فالمجتمع وبالتالي إحداث تغيرات في العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع أو الأسرة على حد سواء، وبالتالي أدى ذلك إلى غياب الضبط الاسري، الذي أتاح الفرصة لدى أفراد العينة باستخدام الإنترنت لساعات طويلة وبعزلة، وجاءت هذه النتيجة لتؤكد ما جاء في دراسة سابقة، (سونيا لينفجستون، ٢٠٠٤)

حول حب الاستطلاع لدى الأطفال كان دافع لديهم للبحث في المواقع الإلكترونية، وهذا يوضح الرغبة في التعرف على ما هو جديد أو ممنوع يدفع بالأطفال إلى حب استطلاع كل ما هو خافي لديهم، دون الاهتمام ما إذا كان لذلك تأثير إيجابي أو سلبي عليهم، وفي ظل التغيرات التي حدثت في مجتمع الإمارات والتي أثرت في بناء الأسرة، بحيث انشغال أهل عن الأبناء، وغياب الرقابة، أتاح الفرصة أمام الأطفال للغوص في ما هو خفي في المواقع الإلكترونية بهدف الاكتشاف، وهذا يرجع إلى غياب الضبط الاجتماعي في الأسرة، هذا ما تعكسه نظرية النشاط الروتيني.

أشارت البيانات في الدراسة إلى أن الأطفال يلجؤون إلى شبكات الإنترنت للحصول على المعلومات لحل الواجبات المدرسية، وهذا يدل على أن الأطفال يتجهون إلى استخدام الإنترنت في التزود بالمعرفة، وحل الواجبات المدرسية، ومن خلال هذه الدراسة الحالية يتضح أن هذه العبارة شكلت الاتجاه الإيجابي الأول لاستخدام الأطفال شبكة الإنترنت، وهذا يتطابق مع دراسة الخلفي (٢٠٠٢).

أوضحت نتائج الدراسة الحالية أن الأطفال يحبون استخدام غرف الدردشة والمراسلة الفورية لأنها تعطيهم السرية، يدل ذلك أن شعور الأطفال بالضغط الاجتماعي عليهم إلى التوجه إلى غرفة الدردشة والمراسلة الفورية، لما توفره لهم من فرص الحصول على سرية فاستخدام هذه الخدمات ومناقشة كل ما يريدون دون علم الأهل بذلك، وذلك في ظل غياب الأهل في أنشطتهم اليومية، مما أعطى الفرصة للمجرمين باستدراج ضحاياهم من الأطفال عبر شبكات الإنترنت.

اتضح من خلال النتائج أن عينة الدراسة المتمثلة في الأطفال تحب تكوين صداقات على شبكات الإنترنت، لا يقتصر استخدام الإنترنت على التزود بالمعرفة فقط، بل اتضح من خلال آراء الأطفال بأن الإنترنت أتاح الفرصة لتكوين علاقات اجتماعية من خلال تكوين صداقات مختلفة عن طريق شبكات الإنترنت خاصة في ظل سهولة الاتصال وتحقيق هذا التواصل في ظل غياب الرقابة، وانشغالها بالأعمال اليومية، أدى ذلك إلى توفر الفرصة.

تشير نتائج البيانات إلى أن نسبة الأطفال الذين يستخدمون موقع اليوتيوب لمشاهدة الأفلام والمسلسلات كانت مرتفعة ويدل ذلك على اتجاه أفراد العينة إلى موقع اليوتيوب لمتابعة الأفلام والمسلسلات، في ظل هذه الثورة الاتصالية، وسرعة تحديثها والوصول إليها، إلى جانب غياب الرقابة، وأن التغيرات في المجتمع الإماراتي والنظرة إلى تحقيق الرفاهية السلبية للأبناء من خلال توفير وسائل الإتصال بالإنترنت من خلال الأجهزة التي بين أيدي هؤلاء الأطفال.

فيما يتعلق بالإساءة للأطفال عبر شبكات الانترنت، ما الأسباب التي من الممكن أن تعرضك للإساءة عبر شبكات الانترنت

تشير نتائج البيانات إلى أن نسبة تكوين الأطفال لصداقات دون علم من الأسرة، بأنها نسبة عالية ويعكس هذا اتجاه الأطفال إلى اتباع السرية في تكوين العلاقات، كما تبين البيانات أن نسبة استخدام الأطفال للإنترنت وبشكل متكرر وبأوقات متأخرة وذلك

للحصول على السرية وعدم رؤية الأسرة لما يفعل الطفل، كانت مرتفعة، ويعكس ذلك مدى إقبال أفراد العينة على التخفي عن مراقبة الأسرة لهم واستغلال الأوقات المتأخرة لتستر على ذلك، كما اتضح من البيانات حول رفض الأطفال مناقشة أسرهم حول ما يشاهدونه على شبكات الإنترنت، إلى ارتفاع نسبة ذلك، وهذا يعزى إلى خوف الطفل من إخبار أسرته بما يشاهد خوفاً من رد الفعل، كما وضح من نتائج الدراسة أن نسبة لا يوافقون على إخبار والديهم في حال صادفوا بما يشعرون بعدم الراحة، نسبة مرتفعة، ويفسر ذلك من خلال نظرية النشاط الروتيني، إن التغيرات التي حدثت في مجتمع الإمارات أدى إلى اضطرابات في البناء الاجتماعي للمجتمع مما أدى إلى تأثير على القيم الاجتماعية والتحرر النسبي من هذه الضوابط، ويتضح ذلك إلى لجوء الأطفال إلى عدم اطلاع الأسرة على تصرفاتهم، وغياب الرقابة وانشغال الأهل أدى إلى تكوين صداقات على الإنترنت بسرية، وأيضاً استخدام الإنترنت في أوقات متأخرة ليلاً لضمان السرية لطفل، ذلك أتاح الفرصة أمام المجرمين لاستدراج الأطفال.

تتوضح نتائج الدراسة الحالية إلى أن الأطفال الذين لا يردون على الرسائل التي تحمل معاني سيئة وتشعرون بعدم الراحة كانت مرتفعة، ويبين هذا اتجاه الأطفال الإيجابي إلى عدم الرد على مثل هذه الرسائل، كما تبين البيانات نتائج الدراسة الأطفال الذين يرفضون إرسال صورهم لأي شخص في الإنترنت أيضاً كانت مرتفعة، ويعكس ذلك مدى الإيجابية لدى أفراد العينة، كما اتضح من البيانات حول إعطاء الأطفال معلومات شخصية عنهم لأشخاص أو مواقع على شبكات الإنترنت، نسبة مرتفعة وهذا يفسر أن الأطفال حريصين على عدم معلومات عنهم لأي شخص أو موقع، يفسر ذلك إلى وجود جوانب إيجابية لدى الأطفال لدى استخدامهم لشبكات الإنترنت من خلال نتائج هذه العبارات.

أوضحت نتائج الدراسة الحالية أن الأطفال يفضلون مناقشة أصدقائهم حول ما يشاهدونه على شبكات الإنترنت، كانت مرتفعة، ويدل ذلك على توجه الأطفال إلى الحديث مع الأصدقاء على الأهل، وذلك لتحرر الطفل من الخوف من ردة الفعل الأهل والأقارب.

تشير نتائج البيانات إلى أن نسبة الأطفال الذين تعرضوا للإساءة من أحد الأشخاص خلال تصفحهم الإنترنت، كانت نسبة المحايدين لآراء المبحوثين مرتفعة بالنسبة لي للموافقة، وأيضاً اتضح من خلال المضايقات التي تعرض لها المبحوثون من خلال استخدامهم لشبكات الإنترنت، وبرهن على ذلك نسبة الموافقين على ذلك، ويدل ذلك على وجود تعرض الأطفال للإساءة عبر شبكات الإنترنت، حيث أدى وجود اتجاهات

نحوى قلة الوعي بمخاطر وسلبات الإنترنت، أتاح الفرصة لتعرض الأطفال ذلك، وأيضاً غياب الرقابة، وإن التغيرات في المجتمع الإماراتي في ظل التحولات الحضارية والحراك الاجتماعي في المجتمع وظهور ثورة الإنترنت بسرعة، مما أثر على توجهات الأسر في المجتمع نحو استخدام الإنترنت، وبالتالي تأثر سلوك الفرد بذلك وانعكس ذلك على سلوكه الاجتماعي داخل الأسرة والمجتمع وهذا كان مؤكداً لنظرية النشاط الروتيني.

ومن أهم ما كشفت عنه نتائج الدراسة الحالية وخصوصاً نتائج الاستبانة الموجه للأطفال، وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين المتغيرات، العمر، والدخل الشهري للأسرة، الإقامة، المستوى التعليمي للأب، والمستوى التعليمي للأم، وأسباب استخدام الأطفال لشبكات الإنترنت، وهذا يفسر أثر هذه المتغيرات على استخدام الأطفال لشبكات الإنترنت، وهذه النتيجة تتسجم مع ما جاء في نتائج دراسة كروات وزملائه، ودراسة الكندري والقشعان، (٢٠٠١م)، ودراسة المجالي، (٢٠٠٧م)، ودراسة اليوسف (٢٠٠٦م)، إن هذه المتغيرات تؤثر في استخدام الأطفال لشبكات الإنترنت في مجتمع الإمارات غير مرتبط بعمر معين، لأن الأجهزة الإلكترونية الموصلة بالإنترنت أصبحت متوفرة بسهولة لدى جميع الفئات العمرية في مجتمع الإمارات، وذلك بسبب التطورات السريعة فالمجتمع، والتي تحكم استخدامه في كل مكان بغض النظر عن العمر، وأيضاً غير مرتبط بالدخل في مجتمع الإمارات، فلا يكاد يخلو بيت من الأجهزة الإلكترونية الموصولة بشبكات الإنترنت

وأيضاً أوضحت النتائج أثر المستوى التعليمي باستخدام الأطفال لشبكات الإنترنت، أي أنه كلما انخفض المستوى التعليمي للأب، كلما زاد استخدام الأطفال لشبكات الإنترنت، والعكس صحيح. وكذلك بالنسبة للمستوى التعليمي للأم، أي أنه كلما انخفض المستوى التعليمي للأم زاد استخدام الطفل للإنترنت، وذلك بسبب جهل الأم بما يقوم به الطفل على اعتقاد من الأم أنه يقوم بحل واجباته المدرسية، أو استخدامه للاستذكار، وكلما زاد المستوى التعليمي للأم أثر ذلك في استخدام الطفل للإنترنت.

كما تشير البيانات أن مكان الإقامة يحدد كثرة استخدام الأطفال للإنترنت، فالأطفال الذين يعيشون فالمدينة أكثر استخدام من أطفال الريف، بحكم التطورات ومواكبة التنمية التكنولوجية والانفتاح على العالم، وأيضاً بحكم الترف.

٢- النتائج المتعلقة بالاستبانة الموجهة للأسر التي يستخدم أطفالها شبكات الإنترنت في دولة الإمارات العربية المتحدة..

فيما يتعلق بمدى استخدام طفلك لشبكات الإنترنت

تشير نتائج الدراسة إلى ارتفاع نسبة استخدام الأطفال لشبكات الإنترنت مباشرة دون الاستئذان من الأهل أو الرجوع إليهم، كما تبين البيانات أن نسبة الأطفال الذين يمتلكون حساب خاص بهم على مواقع التصفح الاجتماعي، (تويتر، انستغرام، كيك، فيس بوك) نسبة مرتفعة بالنسبة لآراء المبحوثين الذين يوافقون على ذلك ويعكس ذلك مدى إقبال أطفال أفراد العينة على المواقع التصفح الاجتماعي المختلفة في شبكات الإنترنت، كما اتضح من النتائج حول مشاهدة أطفال المبحوثين للأفلام والمسلسلات على موقع اليوتيوب، إن نسبة الموافقة لدى المبحوثين كانت مرتفعة، وهذا يدل على ارتباط هذه النتيجة مع نتيجة استخدام الأطفال لموقع اليوتيوب بنسبة عالية في العينة الأولى، كما اتضح أن أطفال المبحوثين يستخدمون الإنترنت من أجل الحديث على الشات، وهذا يدل على انفتاح أطفال المبحوثين للحديث مع الآخرين على chat، دون قيود أو حدود من قبل الأهل مما قد يعرضهم إلى التأثير بأفكار الآخرين، وأيضاً يساعد على قلة تفاعل الطفل مع المحيطين به، وعزلته عنهم بالحديث مع الآخرين على الإنترنت، كل ذلك كان من نتائج ثورة الاتصالات التي أفرزتها التغيرات التي طرأت على مجتمع الإمارات، نتيجة ظهور النفط، وما ترتب على ذلك من وفرة الدخل، وأيضاً وجود أوقات فراغ، كل ذلك أدى إلى نوع من الحراك الاجتماعي، وأيضاً انشغال الأهل بالأنشطة اليومية التي يمارسونها، وهذا ما تفسره نظرية النشاط الروتيني، وهذا ينطبق على الدراسة الحالية من أن ظهور النفط أدى إلى تحولات في مجتمع الإماراتي وبنيته مما أدى التأثير على النشاط الروتيني المتبع في مجتمع الإمارات.

أشارت نتائج الدراسة إلى أن الأطفال أفراد العينة يلجؤون إلى شبكات الإنترنت للحصول على المعلومات واكتساب المعرفة، كانت مرتفعة، وهذا يدل على ارتباط نتيجة هذا السؤال مع سؤال العينة الأولى حول استخدام الإنترنت للمعرفة. وهذا يدل على أن الأطفال المبحوثين في العينة الأولى، وأيضاً أطفال الأسر التي يستخدمون الإنترنت وهم مبحوثين العينة الثانية يتجهون إلى استخدام الإنترنت في التزود بالمعرفة واكتساب المعلومات، ولذلك يتضح أن هذه العبارة شكلت الاتجاه الإيجابي ومرتبطة بين العينتين.

سليبات استخدام الأطفال لشبكات الإنترنت

تشير نتائج الدراسة إلى أن نسبة الموافقين على أن استخدام الإنترنت يؤثر سلباً على مستخدميه كانت مرتفعة حيث يتضح أن الاستخدام المتزايد لشبكات الإنترنت يؤثر بالسلب عليهم من خلال التأثير على معدلات التفاعل داخل الأسرة والمجتمع، حيث أنه يؤدي إلى العزلة والوحدة والبقاء دون أصدقاء، ويؤثر أيضاً على الحالة الصحية لمستخدميه، مما يسبب لهم بعض الأعراض النفسية كالإكتئاب والقلق، كل هذه التأثير لها تأثير على السلوك الإنساني لمستخدمي شبكات الإنترنت، وهذا يتفق مع دراسات السابقة، مثل دراسة الخليفي (٢٠٠٢)، ودراسة القشعان والكندري (٢٠٠١) ودراسة ليري وحاجي (١٩٩٨)، دراسة ساندرن وزملائه (٢٠٠١) وغيرها من الدراسات السابقة التي تم ذكرها. كما أوضحت نتائج الدراسة الحالية أن من سليات الإنترنت أنه يؤدي إلى العزوف عن الدراسة وجاء ذلك من ارتفاع نسبة الموافقين على ذلك، ويعكس ذلك أن كثرة وإدمان شبكات الإنترنت يؤدي إلى التركيز على متابعة ما هو جديد علة الشبكة، وإهمال الدراسة والعزوف عنها.

وأشارت نتائج بيانات الدراسة إلى ارتفاع استخدام الإنترنت يساهم في ترويج المواد الإباحية وبالتالي يؤثر على مستخدميه حيث أن مروجي هذه المواد يستغلون مستخدمي الإنترنت بالترويج للمواقع اللاأخلاقية التي تتكاثر وتنتشر لمحاولة اجتذاب الأطفال والمراهقين والشباب إلى سلوكيات منحرفة ومنافية للأخلاق، بهدف التأثير على قيم وضوابط المجتمعات، وأكدت على ذلك الدراسات المستخدمة في الدراسة الحالية. أما حول ترويج الثقافات الغربية فإن إجابات المبحوثين كانت مرتفعة لدى الموافقين بنسبة ٦١،١٪، وهذا يدل على الغزو الفكري والثقافي المستخدم من خلال ما يتاح من تعزيز الثقافات الغربية من خلال ما يبث في المواقع الإلكترونية لزعة الأفكار المنافية لقيم مجتمعات العربية. كما بينت النتائج الخاصة بالدراسة الحالية أن مستخدمي الإنترنت بشكل كبير هم عرضة للمشكلات النفسية مثل الإنطواء والاكتئاب، وهذا ظاهر من ارتفاع نسبة الموافقين على ذلك، وذلك تأكد من خلال بعض الدراسات مثل دراسات ليري وحاجي (١٩٩٨) حيث أن المشكلات النفسية تزداد والتفكير المفرط في الشبكة وما يحدث فيها، يؤدي إلى الإصابة بالقلق والحزن والاكتئاب حيال ذلك.

كما أشارت بيانات الدراسة الحالية إلى أن استخدام الكمبيوتر يؤدي إلى العزلة والإنطواء وظهر ذلك من خلال موافقة المبحوثين على ذلك، وكانت هذه النسبة متساوية مع الموافقة على نسبة الإصابة بمشكلات نفسية، ويدل ذلك أن استخدام الإنترنت يؤدي

بمستخدميه بالعزلة والانطواء عن العالم المحيط بهم وقد يكون أحياناً هروب من واقع حياتهم، وكل هذه الأسباب مجتمعة أدت إلى خفض التواصل الاجتماعي سواء على مستوى الأسرة أو المجتمع، وهذه النتيجة تتسجم مع ما جاء في نتائج دراسة كروات وزملائه، ودراسة الكندري والقشعان، (٢٠٠١م)، ودراسة الشوريجي، (٢٠٠٥م)، ودراسة اليوسف (٢٠٠٦م)، دراسة أعدتها اللجنة العليا لاستكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية (١٩٩٧) في الكويت.

الرقابة المنزلية على الأطفال أثناء استخدامهم للإنترنت

تشير نتائج الدراسة بأن إجابة المبحوثين حول أستاذان الأطفال من الأهل قبل استخدام الإنترنت، جاءت سلبية حيث شكلت نسبة أن الأطفال لا يستندون أعلى نسبة، وهذا يوضح على أن الأطفال في مجتمع الإمارات لديهم مطلق الحرية في استخدام شبكات الإنترنت دون الرجوع إلى الأهل، ويفسر ذلك من خلال نظرية النشاط الروتيني، أنه في ظل النقلة النوعية لمجتمع الإمارات بعد ظهور النفط الذي أدى إلى تغيرات طرات على بنية مجتمع الإمارات في مختلف المجالات، مما أدى إلى تغيرات في الأدوار وعمليات الضبط في المجتمع وكذلك في الأسرة، وأدى إلى التحرر النسبي من الضوابط المجتمعية، كل ذلك ساهم في تعزيز ثقة الأطفال وسلوكهم لسلوكيات دون الرجوع إلى الأهل (الفرصة)، أيضاً كانت نتائج الدراسة حول وضع ساعات معينة لاستخدام الطفل لشبكات الإنترنت تشير إلى السلبية وذلك من خلال ما أشار إليه الباحثين حول عدد ووضوح ساعات معينة وترك المجال مفتوح أمام الأطفال لاستخدام الإنترنت في أي وقت وساعة يشاؤون دون رقيب (دون حراسة)، حيث بلغت أعلى نسبة، وأيضاً عدم مراجعة ما قام بفتحه الطفل من قبل جاءت سلبية كانت مرتفعة، وكذلك الحال في إجابة المبحوثين على أنهم لا يقومون بمراقبة الألعاب التي يستخدمها الأطفال على الإنترنت، حيث أشارت النسبة إلى سلبية الباحثين تجاه ذلك، وذلك من خلال إجاباتهم بعدم مراقبة ذلك، وكذلك إجاباتهم بعدم تحميل برامج حماية وحظر على الأجهزة التي يستخدمها الأطفال، كانت سلبية حيث أنه عدم اهتمامهم بذلك يعرض الأطفال إلى الخطورة جراء هذه الثورة الاتصالية الكبيرة.

كما أن النتائج التي تشير إليها الدراسة الحالية خصوصاً حول الرقابة المنزلية أشارت بسلبية حول تساؤلات هذا المحاور، أكد على هذه السلبية عدم الحفاظ على وصلات الإنترنت في أماكن تجمع العائلة، حيث أنه في مجتمعنا يتوفر للأطفال لاستخدام الشبكة فايما دون رقابة في ظل تزايد استخدام الواي فاي التي تتيح الاتصال بالشبكة في كل مكان، وظهر ذلك من خلال نسبة إجابة المبحوثين في عدم الحفاظ على تواجد

وصلة الإنترنت في أماكن تواجدهم، أيضاً عدم حرص المبحوثين على التعرف على من يتبادل معهم أطفالهم الاتصال كانت سلبية وذلك من خلال إجاباتهم بعدم التعرف على من يتواصل معهم أطفالهم، وهذا يدل على عدم حرص واهتمام الأهل بمتابعة وفرض رقابة على الأطفال وذلك يساعد في تعرض الأطفال للإساءة..، أما نتائج الدراسة حول إعطاء الأبناء للإرشادات والتوعية جاءت إيجابية وذلك من خلال إجابتهم بالموافقة على ذلك. وكانت النتائج مطابقة لنظرية النشاط الروتيني. التي تؤكد توفر الفرصة أمام المجرمين وعدم توفر حراسة.

الأسباب التي تعرض الأطفال للإساءة عبر شبكات الإنترنت

ومن أهم ما كشفت عنه نتائج الدراسة حول الأسباب التي تعرض الأطفال للإساءة عبر شبكات الإنترنت، أن البرامج الإعلامية في الدولة لا تهتم بتوجيه استخدام شبكات الإنترنت، كما أن شركات الاتصالات لا تقوم بدورها في حماية الأطفال، وأيضاً قلة مساهمة المؤسسات المجتمعية في توعية الأطفال بمخاطر الإنترنت، وأيضاً أن الأطفال يتأثرون بطبيعة الرسائل التي يصادفونها أثناء تصفحهم لشبكات الإنترنت، حيث تعتبر وسائل الإعلام من البرامج الفعالة لتصدي لهذه الظاهرة، وإن عدم اهتمامها بأساليب التوجيه حول الإساءة عن طريق الإنترنت، يساعد في فرصة المجرمين في التعرض للأطفال، كما أن شركات الاتصالات لا تقوم بتقديم برامج حماية وتوعية من المواقع المسيئة للأطفال، وكذلك المؤسسات المجتمعية التي لا تراعى نتائج الدراسة حول المواقع للأخلاقية الكز على الجانب التوعوي للاخطار الإنترنت. وبالتالي غياب كل ذلك، ينطبق على النظرية المفسرة للدراسة مما أتاح الفرصة للإساءة للأطفال، بعدم وجود رقابة وتوعية (الفرصة) وأيضاً كان تأثير الرسائل وكل ما يصادف الأطفال في الإنترنت أتاح للمتربصين للإساءة بالأطفال القيام بفعاليتهم عبر شبكات الإنترنت.

تشير بيانات الدراسة إن استخدام شبكات الإنترنت له تأثير على عادات الأطفال، ونمط حياتهم، حيث تقل تفاعلاتهم بالمجتمع، ومع أسرهم، وفي ظل غياب الإشراف الأبوي، فإن ذلك يتيح الفرصة للتغيير والتأثير على سلوكيات الأطفال، وبالتالي أصبحت شبكات الإنترنت بديلة للطفل عن الجلوس مع أهله، وهذا ما أكدته الدراسة، وكذلك استخدام الأطفال للإنترنت دون رقابة، وهذا ما أكدته نظرية النشاط الروتيني.

أيضاً أوضحت نتائج الدراسة أن المواقع الأخلاقية التي تكثر في الإنترنت ودسها بطرق وأساليب لتأثر عليهم، يسهم ذلك للإساءة للأطفال، كما أن البعض يستغل ذلك

للإساءة للأطفال بعبارات مضللة، يتأثر بها الطفل وفي ظل غياب الإشراف الأبوي وتوفر الفرصة لدى المستغلين، وفي غياب الوسيلة لرفع الامان لاستخدام الإنترنت بالنسبة للأطفال، ساهم في تعرض الطفل للإساءة وهذا ما تفسره نظرية النشاط الروتيني.

ومن أهم ما كشفت عنه نتائج الدراسة وخصوصاً نتائج الاستبانة الموجه للأسر التي يستخدم أطفالها شبكات الإنترنت، وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين المتغيرات الحالة الاجتماعية، والدخل الشهري للأسرة، الإقامة، المستوى التعليمي، وأسباب استخدام أطفالك لشبكات الإنترنت، وهذا يفسر أثر هذه المتغيرات على استخدام أطفال العينة لشبكات الإنترنت، أي أن هذه المتغيرات تؤثر في استخدام الأطفال لشبكات الإنترنت.

تشير نتائج الدراسة أن الدخل الشهري يؤثر في استخدام الأطفال لشبكة مما يدل على أنه كلما ارتفع الدخل الشهري لأسر الأطفال زاد استخدام الأطفال لشبكات الإنترنت، وهذا يدل على وجود علاقة تربط بين دخل الأسرة واستخدام الأطفال لشبكات الإنترنت.

أما الحالة الاجتماعية فتشير نتائج الدراسة أنه يؤثر في استخدام أطفال العينة للإنترنت، أي أنه كلما تغيرت الحالة الاجتماعية أدى إلى تغيرات في استخدام شبكات الإنترنت لدى أطفال العينة.

تشير نتائج الدراسة أن مكان الإقامة يؤثر في استخدام أطفال العينة للإنترنت، أي أنه كلما تغير مكان الإقامة أدى إلى تغيرات في استخدام شبكات الإنترنت لدى أطفال العينة، حين نجد الإمارات الأكثر تطوراً وانفتاح وأكثر من حيث مستوى الرفاهية، ذات استخدام عالي لشبكات من قبل الأطفال، عكس الإمارات الأخرى،

وكذلك اوضحت نتائج الدراسة ان المستوى التعليمي يؤثر في استخدام أطفال العينة للإنترنت، أي أنه كلما قل المستوى التعليمي قل تقدير خطورة استخدام الأطفال لشبكات الإنترنت، حيث نجد أن الفرد المتعلم أكثر قدرة على معرفة سلبيات استخدام الأطفال للإنترنت بكثرة. أما الحالة العملية تؤثر في استخدام أطفال العينة للإنترنت.

كما كشفت نتائج الدراسة، وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين المتغيرات الحالة الاجتماعية، والدخل، المستوى التعليمي، الإقامة، المستوى التعليمي، وسلبيات استخدام الأطفال لشبكات الإنترنت، وهذا يفسر أثر هذه المتغيرات على سلبيات استخدام الإنترنت، أي أن هذه المتغيرات تؤثر في تأثير الأطفال بسلبيات الإنترنت.

تشير نتائج الدراسة أن الحالة الاجتماعية تؤثر في استخدام أطفال العينة للإنترنت، أي أنه كلما تغيرت الحالة الاجتماعية أدى إلى تغيرات في التأثير على استخدام الأطفال لشبكات الإنترنت وظهور سلبيات.

كما توضح نتائج الدراسة أن مكان الإقامة له تأثير في ظهور سلبيات لدى استخدام أطفال العينة للإنترنت، أي أنه كلما كان مكان الإقامة في الإمارات المتمدنة والمتطور أثر في بروز سلبيات للاستخدام الأطفال للإنترنت.

بينما أشارت نتائج الدراسة إلى أنه كلما كان مكان الإقامة في الإمارات الأقل تطوراً كلما كانت السلبيات أقل. وأيضاً المستوى التعليمي يؤثر في ظهور سلبيات الشبكات، كلما كان الفرد متعلم كلما كان مدرك لسلبيات وخطورة الشبكات وكلما انخفض تعليمه كلما قل إدراك خطورة الإنترنت. وهذه النتيجة تتسجم مع ما جاء في نتائج دراسة كروات وزملائه، ودراسة الكندري والقشعان، (٢٠٠١م)، ودراسة الخليفي، (٢٠٠٧م)، ودراسة اليوسف (٢٠٠٦م).

كما أظهر نتائج الدراسة الحالية وجود علاقة ذات دلالة إحصائية، بين الرقابة المنزلية على الأطفال أثناء استخدامهم لشبكات الإنترنت، مكان الإقامة والمستوى التعليمي والحالة العملية والحالة الاجتماعية، والدخل الشهري لأفراد العينة، حيث أن الدخل الشهري يؤثر على الرقابة المنزلية، مما يدل على أنه كلما ارتفع الدخل الشهري لأسر الاطفال زاد استخدام الأطفال لشبكات الإنترنت. أي أن الدخل يؤثر في الرقابة المنزلية للأطفال، وأيضاً الحالة الاجتماعية تؤثر في مدى الرقابة المنزلية أثناء استخدام الأطفال لشبكات الإنترنت، أي أنه كلما تغيرت الحالة الاجتماعية أدى إلى تغيرات في التأثير على الرقابة المنزلية، كما أن مكان الإقامة يؤثر في استخدام أطفال العينة للإنترنت، أي أنه كلما تغير مكان الإقامة أدى إلى تغيرات في مدى الرقابة المنزلية أثناء استخدام الأطفال لشبكات الإنترنت، حين نجد الإمارات الأكثر تطوراً وانفتاح وأكثر من حيث مستوى الرفاهية، يكون مستوى الرقابة على الأطفال لديها يقل، عكس الإمارات الأخرى، وأيضاً المستوى التعليمي يؤثر في الوعي بأهمية المراقبة المنزلية على الأطفال أثناء استخدامهم لشبكات الإنترنت، كلما كان الفرد متعلم كلما كان مدرك بأهمية المراقبة المنزلية وكلما انخفض تعليمه كلما قل اهتمامه بالرقابة المنزلية. أي أن الحالة العملية تؤثر في الرقابة المنزلية.

كما أظهر نتائج الدراسة الحالية وجود علاقة ذات دلالة إحصائية، بين الرقابة المنزلية على الأطفال أثناء استخدامهم لشبكات الإنترنت، مكان الإقامة والمستوى التعليمي والحالة العملية والحالة الاجتماعية، والدخل الشهري لأفراد العينة، حيث أن الدخل الشهري يؤثر على الرقابة المنزلية.

تشير نتائج الدراسة الحالية إلى أنه كلما ارتفع الدخل الشهري لأسر الأطفال زاد استخدام الأطفال لشبكات الإنترنت. أي أن الدخل يؤثر في الرقابة المنزلية للأطفال، وأيضاً الحالة الاجتماعية تؤثر في مدى الرقابة المنزلية أثناء استخدام الأطفال لشبكات الإنترنت،

كما توضح نتائج الدراسة أنه كلما تغيرت الحالة الاجتماعية أدى إلى تغيرات في التأثير على الرقابة المنزلية، كما أن مكان الإقامة تؤثر في استخدام أطفال العينة للإنترنت.

تشير نتائج العينات أنه كلما تغير مكان الإقامة أدى إلى تغيرات في مدى الرقابة المنزلية أثناء استخدام الأطفال لشبكات الإنترنت، حين نجد الإمارات الأكثر تطوراً وانفتاح وأكثر من حيث مستوى الرفاهية، يكون مستوى الرقابة على الأطفال لديها يقل، عكس الإمارات الأخرى.

كما بينت نتائج الدراسة أن المستوى التعليمي يؤثر في الوعي بأهمية المراقبة المنزلية على الأطفال أثناء استخدامهم لشبكات الإنترنت، كلما كان الفرد متعلم كلما كان مدرك بأهمية المراقبة المنزلية وكلما انخفض تعليمه كلما قل اهتمامه بالرقابة المنزلية. أي أن الحالة العملية تؤثر في الرقابة المنزلية.

تظهر نتائج بيانات الدراسة التالية حول الأسباب التي تعرض الأطفال للإساءة عبر شبكات الإنترنت، حسب مكان الإقامة والمستوى التعليمي، والحالة الاجتماعية والحالة العملية لأفراد العينة.

توضح البيانات أن مكان الإقامة يؤثر في الأسباب التي تعرض الأطفال للإساءة، أي أنه كلما تغير مكان الإقامة أدى إلى التأثير على الأسباب تعرض الأطفال للإساءة عبر شبكات الإنترنت، حيث نجد الإمارات الأكثر تطوراً وانفتاح وأكثر من حيث مستوى الرفاهية، يكون التأثير على الأسباب تعرض الأطفال للإساءة عبر شبكات الإنترنت أقل، عكس الإمارات الأخرى.

تشير البيانات حسب المستوى التعليمي يؤثر في الوعي الأسباب التي تعرض الأطفال للإساءة أثناء استخدامهم لشبكات الإنترنت، كلما كان الفرد متعلم كلما كان مدرك بالأسباب المؤدية إلى تعرض الطفل للإساءة من خلال شبكات الإنترنت. وكلما انخفض تعليمه كلما قل وعيه نحو الأسباب التي تعرض الطفل للإساءة.

تشير البيانات أن الحالة العملية تؤثر في مدى تعرض الطفل للإساءة عبر شبكات الإنترنت.

وأخيراً، يمكننا القول إن استخدام الإنترنت كوسيلة اتصال متطورة جداً أصبحت تغطي كافة شرائح المجتمع، وإن هذه التكنولوجيا المادية رغم إيجابياتها إلا أن سلبياتها وأثرها على الأفراد بدأ يتفاقم وخصوصاً الأطفال أوضحت نتائج هذه الدراسة.

التوصيات

إن المزايا التي جلبتها ثورة الاتصال اللا محدودة قد جلبت إلى جانبها مخاطر عدة ناجمة عن إساءة استخدام شبكة الإنترنت ولا سيما تلك الموجهة إلى الأطفال بأن يكون عرضة لهذه المواد الإباحية أو أن يكون محلاً لها، كل تلك التداعيات ساهمت في إصدار بعض الدول قوانين تهدف إلى توفير الحماية القانونية للطفل.

١- تنمية دور المجتمع والأسرة في مواجهة خطورة الإساءة للأطفال عبر شبكات الإنترنت، نتيجة الاستخدام السلبي لشبكة والإفراط في امتلاك الأطفال لأجهزة تمكنهم من الاتصال بالإنترنت في وقت.

٢- ضرورة توفير سبل الحماية لمستخدمي شبكة الإنترنت وحمايتهم من إمكانية التعرض للإساءة عبر شبكات الإنترنت، وضرورة ضلوع الأسرة بأهمية الحماية المنزلية.

٣- تقديم برامج علمية من قبل المؤسسات التربوية والإعلامية والتثقيفية في الدولة، تستهدف توفير الشراكة بين الإعلاميين والمعلمين وأسر الأطفال، حول ماهية اختيار المحتوى المناسب الذي يمكن لطفل مشاهدته عبر الإنترنت.

٤- تركيز المؤسسة التعليمية في الدولة على تثقيف الأطفال حول الطرق الآمنة لاستخدام شبكة الإنترنت والاستفادة من إيجابياتها وتجنب مخاطرها.

٥- ضرورة زيادة التوعية بأهمية الرقابة المنزلية من قبل الوالدين، ومتابعة أطفالهم خلال تواجدهم على شبكات الإنترنت.

٦- إجراء دراسات مستقبلية تركز على خطورة الإساءة للأطفال عبر شبكات الإنترنت، التي باتت تؤرق العالم بأسره، حيث أن الدراسات التي تتناول هذه الدراسة محدودة جداً في مجتمعنا.

٧- تركيز وسائل الإعلام المقرؤ أو المسموع أو المرئي، على تقديم النصائح والتوعية للأسر في ما يتعلق بكيفية الحفاظ على الأمان في الإنترنت، وضرورة عدم إفصاح المجال أمام الأطفال لاستخدام الإنترنت بلا حدود.

قائمة المصادر والمراجع

المراجع العربية

١. الخليفي، محمد بن صالح (٢٠٠٢م). «تأثير الإنترنت في المجتمع: دراسة ميدانية»، عالم الكتب، المجلد ٢٢، العددان ٥ و ٦.
٢. الشوربجي، نبيلة عباس صالح، (٢٠٠٠) - العزلة الاجتماعية، على عينة من أطفال من (من ٨ - ١٣ سنة)، العدد ٤٨، يوليو ٢٠٠٥م
٣. العبيدي، أسامة بن غانم. (٢٠١٣) - جريمة الاستغلال الجنسي للأطفال عبر شبكة الإنترنت، العدد ٥٢ يناير (٢٠١٣)
٤. عبيدات، ذوقان. (٢٠٠٣م). الفضائيات والإنترنت معالجة السلبيات لدى الناشئة تعزيزاً للإيجابيات. مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض.
٥. عريقات، فاتن طلال (٢٠٠٣م). اتجاهات الطلبة نحو استخدام الإنترنت في التعليم: دراسة ميدانية على طلبة الدراسات العليا في الجامعة الأردنية، رسالة ماجستير غير منشورة.
٦. العصيمي، عبدالمحسن. (٢٠٠٤م). الآثار الاجتماعية للإنترنت، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الرياض.
٧. اليوسف، شعاع. (٢٠٠٦م). التقنيات الحديثة فوائده وأضرار دراسة للتأثيرات السلبية على صحة الفرد. كتاب الأمة، قطر، العدد ١١٢، السنة السادسة والعشرون، الطبعة الأولى.
٨. القشعان، حمود فهد (٢٠١١) ورقة بعنوان مدى تلبية التكنولوجيا الإلكترونية لحاجة المراهقين مقدمة إلى ندوة مستجدات الفكر الإسلامي التاسعة: تحت عنوان الإعلام القيمي بين الفكر والتجربة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
٩. الكندري، يعقوب وحمود القشعان. (٢٠٠١م). «علاقة استخدام شبكة الإنترنت بالعزلة الاجتماعية لدى طلاب جامعة الكويت». مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد ١٧، عدد ١، إبريل. ص ٤٥-٤٥.
١٠. ساري، حلمي -تأثير الاتصال عبر الإنترنت في العلاقات الاجتماعية دراسة ميدانية في المجتمع القطري، المجلد ٢٤ (٢٠٠٨).
١١. ساري، حلمي -ثقافة الإنترنت دراسة في التواصل الاجتماعي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.
١٢. ادمان، أمل كاظم حمد -الأطفال والمراهقين على الإنترنت وعلاقته بالانحراف، جامعة بغداد، العدد ١٩.

١٣. الذباحي، عبدالله (٢٠١٢) -مكافحة جرائم الاستغلال الجنسي للأطفال المرتكبة عبر شبكة الإنترنت -جامعة الشارقة.
١٤. ليري، صالح ومحمد حاجي (١٩٩٨). أثر المشكلات الاجتماعية والنفسية المصاحبة لمستخدمي مقاهي الإنترنت: في مؤتمر الكويت حول الطرق السريعة للمعلومات: التقنية في خدمة المجتمع. ج ١. ١٦ - ١٨ مارس. صص ٢٠٥-٢١٨.
١٥. درويش، شريف. (٢٠٠٠) تكنولوجيا الاتصال المخاطر والتحديات والتأثيرات الاجتماعية، الدار المصرية اللبنانية، ط١.
١٦. قديسات، سمير يوسف. (٢٠٠٠) -الآثار السلبية لاستخدام التكنولوجيا والإنترنت.
١٧. الديوان الأميري. (١٩٩٧) - اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية. شبكة الإنترنت: الفوائد وضوابط الاستخدام: الدراسة التحليلية. الكويت: مركز المعلومات والتوثيق.
١٨. جريدة الاتحاد - دنيا - أبوظبي - خورشيد حروفش - ٢٥/٢/٢٠٠٣م - العدد ٤٢٥ - (٢-٤ص).
١٩. جريدة الاتحاد - الإمارات - أبوظبي - خورشيد حروفش - ١٦/١٢/٢٠٠٥م.
٢٠. مدونة العلم والمعرفة الإلكترونية - مروج الزهور إلى حقل الأنعام الجزء ٢ - أطفال زهرة، الإنترنت، تحرش جنسي، في ٢/٥/٢٠١٣م، ١١:٢٨.
٢١. الموسوعة الحرة. (ويكيبيديا) <http://en.wikipedia.org>
٢٢. طايح، سامي عبدالرؤوف. (٢٠٠٠م). الإنترنت في العالم العربي: دراسة ميدانية على عينة من الشباب العربي، المجلة المصرية لبحوث الرأي العام، عدد ٤، ص ٣٥.
٢٣. المجالي، فايز. (٢٠٠٧) -استخدام الإنترنت وتأثيره على العلاقات الاجتماعية لدى الشباب الجامعي، مجلد ١٢/٢٠٠٧.
٢٤. الغامدي، محمد (١٤٣٠) المملكة العربية السعودية - نص لمحاضرة في محافظة الجموم، حول الإنترنت.
٢٥. السيد، مصطفى. (٢٠٠٥) دليلك الشامل إلى شبكة الإنترنت ميدانية - دارالكتب العلمية للنشر والتوزيع القاهرة، ط٣.
٢٦. ريشة (M، ١٩٩٩) الإنترنت والطفل الإيذاء، ورقة عمل في الأطفال والجريمة: ضحايا ومؤتمر المجرمين، المعهد الأسترالي لعلم الإجرام، وبريسبان، ١٧-١٨ يونيو ١٩٩٩.
٢٧. June ١٨-١٧، ١٩٩٩. الدندراوي، سامية صابر (٢٠٠٥) -الإفراط في استخدام الإنترنت وعلاقته ببعض المشكلات لدى المراهقين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة قناة السويس.
٢٨. مؤتمر القوة العالمية الافتراضية الخامس ٢٠١٢، ١١-١٢ ديسمبر ٢٠١٢، أبوظبي، دولة الإمارات العربية المتحدة.
٢٩. أبوظبي في ٣٠ أكتوبر / وام / شرطة أبوظبي ورشة عمل «التشريع وحماية الطفل» - ٢٠١٠م - ٢٠:٤٥:١٧ وام/مد/مص.

المراجع الأجنبية

30. MICHELE L. YBARRA , M.P.H., Ph.D.-Linkages between Depressive Symptomatology and Internet Harassment among Young Regular Internet Users CYBERPSYCHOLOGY & BEHAVIOR 2004.
31. Kraut, Robert ET at (1998). Internet Paradox: A Social Technology that Reduces Social Involvement and Psychological Well-Being. American Psychologist. V. 53, No. 9, 1017 – 1031.
32. Kraut, Robert, et al.; (2004). “The Internet and Social Participation Contrasting Cross-Sectional and Longitudinal Analysis”. [Web page]. Retrieved July 24, 2006, from world wide web: <http://jcmc.Indiana.edu/vollo/issue1/shklovshi-kraut.html>.
33. A., fromken of, L. (2013). Cyberbullying experiences in the field of movement: How long can become painful social media Cyberpsychology: Journal of psychological and social research on cyberspace, 7 (1), Article 1. DOI: 10.5817/CP2013-1-4.
34. Fournier de Saint Maura, A. (2001), “International cooperation in law enforcement”. In CA Arnaldo (Eds), Child abuse on the Internet: Ending the silence, Berghahn Books and UNESCO, Paris, pp.119—24. Freeh, LJ (undated), “A parents guide to Internet safety”, available through NAPCAN.
35. Leiner, Barry et al (1999). A Brief History of the Internet. (on-line) A Available: <http://www.isoc.org/internet-history/brief.htm>.
36. Nie, Norman and Erbing, Lutz (2000). Internet and Society: A Preliminary Report. Stanford Institute for the Quantitative Study of Society. Intersurvey Inc., and McKinsey and Co.
37. Sanders, CE; Field, TM. Diego, M; and Kaplan (2000). The Relationship of Internet Use to Depression and Social Isolation among Adolescents. Adolescence. 35(138):237-42.
38. Niemz, Katie, Mark Griffiths and Phil Barnyard, (2005). “Prevalence of Pathological Internet Use among University Students and Correlations with Self-Esteem, the General Health Questionnaire, and Disinhibition”. Cyber Psychology of Behavior, vol. 8, No.6. P. 562-570.
39. Steward, Julian (1988). The Concept and Method of Cultural Ecology. In: High Points in Anthropology. Pual Bohannon and Mark Glazer (Eds.). New York: McGraw-Hill, Inc. 322-332.

40. Livingstone, S., Haddon, L., and Gorzig, A. (2012) Children, risk and safety Internet: Children in Comparative Perspective. Bristol: Press politics.
41. Livingstone, S., and Bober, M. (2004) to seize the opportunities? Children use the Internet for education, communication and participation. *E-learning*, and 1 (3) 0.395 to 419. Available on <http://www.words.co.uk/ELEA>.



تحت شعار
البحث العلمي ركيزة لحل المشكلات
المؤتمر الدولي الثالث
ومؤتمر الرابطة الأكاديمية الأول للبحث العلمي
لمركز البحوث والاستشارات الاجتماعية (لندن)
حول موضوعات العلوم الاجتماعية والإنسانية

أبحاث إنسانية
(رابطة)

معهد الكويت للأبحاث العلمية

١٠ - ١٢ فبراير ٢٠١٤

التواصل الاجتماعي وضعف العلاقات الأسرية

دراسة ميدانية مطبقة بالمجتمع السعودي

د. بدرية بنت محمد العتيبي

المقدمة

وشكل الإعلام الحديث، وخلقت نوعاً من التواصل بين أصحابها ومستخدميها من جهة، وبين المستخدمين أنفسهم من جهة أخرى. وهذه المواقع هي عبارة عن صفحات ويب على شبكة الإنترنت، وكذلك مواقع للمحادثة (الدردشة)، وهناك المدونات الشخصية التي يجعلها أصحابها كمحفظة خاصة يدونون فيها يومياتهم، ويضعون صورهم ويسجلون فيها خواطرهم واهتماماتهم. (زاهر، ٢٠٠٣م)

أحدثت التطورات التكنولوجية الحديثة في منتصف عقد التسعينات من القرن الماضي، نقلة نوعية وثورة حقيقية في عالم الاتصال، حيث انتشرت شبكة الإنترنت في كافة أرجاء المعمورة، وربطت أجزاء هذا العالم المترامية بفنائها الواسع، ومهدت الطريق لكافة المجتمعات للتقارب والتعارف وتبادل الآراء والأفكار والرغبات، واستفاد كل متصفح لهذه الشبكة من الوسائط المتعددة المتاحة فيها، وأصبحت أفضل وسيلة لتحقيق التواصل بين الأفراد والجماعات، ثم ظهرت المواقع الإلكترونية والمدونات الشخصية وشبكات المحادثة، التي غيرت مضمون

• أستاذ مساعد في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، قسم الاجتماع والخدمة الاجتماعية.

dr.bmbm@hotmail.com

تعتبر مواقع التواصل الاجتماعية هي الأكثر انتشاراً على شبكة الإنترنت، لما تمتلكه من خصائص تميزها عن المواقع الإلكترونية، مما شجع متصفح الإنترنت من كافة أنحاء العالم على الإقبال المتزايد عليها، في الوقت الذي تراجع فيه الإقبال على المواقع الإلكترونية، وبالرغم من الانتقادات الشديدة التي تتعرض لها الشبكات الاجتماعية على الدوام وخصوصاً موقع (الفايس بوك)، والتي تتهمه تلك الانتقادات بالتأثير السلبي والمباشر على المجتمع الأسري، والمساهمة في انفرط عقده وانهيائه، فإن هناك من يرى فيه وسيلة مهمة للتنامي والالتحام بين المجتمعات، وتقريب المفاهيم والرؤى مع الآخر، والاطلاع والتعرف على ثقافات الشعوب المختلفة، إضافة لدوره الفاعل والمتميز كوسيلة اتصال ناجعة في الهبات والانتفاضات الجماهيرية. (عامر، ٢٠١١م)

ترى الباحثة أن شبكات التواصل الاجتماعي تعتبر في الوقت الحالي أحد أكبر الأسباب في إحداث المشكلات الأسرية وحالات الطلاق والانفصال الكثيرة في المجتمع السعودي والعربي أو على مستوى العالم، نظراً لما تحدثه من انجذاب إلى عالم خيالي شبكي من اختراع الإنسان يجد فيه المتعة الزائفة مع أشخاص غير مرئيين، لذلك وجب على الباحثة أن تناقش تلك المشكلة إيماناً منها أن تعالج القضية.

مشكلة الدراسة

إن الإنترنت أحدث ضجة كبيرة في العلاقات بين الأفراد والعلاقات الأسرية والعلاقات بين الأزواج ووجود خطورة للمواقع الاجتماعية على الإنترنت مثل الفايس بوك وماي سبيس على التواصل الحقيقي بين الأفراد واتساع دائرة الخطورة هذه على العلاقة بين الأزواج.

حيث تبدأ العلاقة الزوجية بفقدان التواصل الطبيعي بين الزوج والزوجة بسبب إدمان واحداً منهم أو كلاهما الجلوس بالساعات على مواقع التواصل الاجتماعي، الأمر الذي أحدث نوعاً من الإدمان الشبكي والهروب والعزلة عن الناس وعن الأسرة وعن الزوج، كما قد يصل الأمر إلى عدم الاهتمام بأمور المنزل وتربية الأبناء بالنسبة للمرأة، أو إهمال الرجل تربية أبنائه والعمل من جانب آخر.

لذلك فالانهيار الحقيقي في العصر الحالي الذي نعيشه نجده في إدمان الإنترنت بصفة عامة وبصفة خاصة مواقع التواصل الاجتماعي بين الأزواج حيث أن الاستخدام الفردي للحاسوب والإنترنت يعزز الرغبة والميل للوحدة والعزلة بين الأزواج في البيت الواحد مما

يقلل من فرص التفاعل والنمو الاجتماعي والانفعالي الصحي الذي لا يقل أهمية عن النمو المعرفي وحب الاستطلاع والاستكشاف. كما إن دخول الإنترنت مجالات الحياة الواسعة أصبح عاملاً مساعداً في تقوية الفجوة بين أفراد الأسرة فيما يتعلق بثقافة الحوسبة والاتصال مع العالم الخارجي.

وتذكر دراسة إحدى المجالات العربية أن الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي بالنسبة للرجل والمرأة قامت مجلة «إنترنت العالم العربي» بدراسة ميدانية حول واقع استخدام شبكة الإنترنت في العالم العربي شملت (٢٠٧) من المشتركين في الإنترنت بالبلاد العربية، وأظهرت نتائج الدراسة أن مجالات التواصل على الإنترنت والمحادثة أكبر عند الرجل من المرأة، وبينت الدراسة أن أكثر الأهداف أهمية بالنسبة للمشاركين لدى استخدامهم للإنترنت كانت على التوالي: الاتصال والمحادثة الجماعية والبريد الإلكتروني وتقوم فيها الرجال عن السيدات في استخدام الإنترنت بنسبة ٦٧٪. (إنترنت العالم العربي، ١٩٩٨).

وعلى الصعيد المحلي السعودي في تقرير حول مدى انتشار وسائل التواصل الاجتماعي في المجتمع السعودي، بأن المملكة العربية السعودية سجلت قفزة كبيرة في هذا المجال حيث أسهمت في نمو استخدام اللغة العربية في هذه المواقع مما جعلها حالياً اللغة الأكثر نمواً (من حيث الاستخدام) على شبكة الإنترنت في العالم، حيث تشير الإحصائيات إلى أن مستخدمي الإنترنت في المملكة يشاهدون حوالي ٩٠ مليون فيديو يومياً، إلى جانب نمو معدل انتشار استخدام موقع تويتر بها بنسبة ٣ آلاف ٪ ما بين (٢٠١١ و ٢٠١٢) (معدل النمو العالمي ٣٠٪) كما أن مستخدمي تويتر في المملكة يرسلون حوالي ٥٠ مليون تغريدة شهرياً. هذا ويظل موقع فيسبوك في المقدمة كونه الأكثر استخداماً في السعودية بـ ٦ ملايين مشترك نشط، كما أن لموقع لينكد إن المهني ٨٤٠ ألف مشترك من السعودية من إجمالي ٤ ملايين مشترك عربي، وهو ما يجعلها في مقدمة الدول العربية في ذلك، الأمر الذي ينبأ بالكارثة الحقيقة التي ظهرت في مجتمعنا السعودي. (صحيفة المستشار، ٢٠١٢م)

لذلك فالمشكلة هنا ينصب التركيز الأساسي عليها في الأسرة والبيت فإن قدوم أحد الأزواج على القيام بالجلوس لساعات طويلة على مواقع التواصل الاجتماعي يفقد الحياة الأسرية الجميلة لذاتها وتظل المشكلات قائمة بين الزوج والزوجة بسبب تزايد حلقات البعد الاجتماعي العاطفي الأسري والذي يؤثر أيضاً بالضرورة على الأبناء.

لذلك تطرح الدراسة سؤالاً جوهرياً:

ما تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على العلاقة الزوجية بين الرجل والمرأة؟

أولاً: أهمية الدراسة

تأتي أهمية الدراسة في مجالين:

أ- الأهمية النظرية

١. ضرورة النظر بواقعية علمية شديدة إلى اتجاهات الأزواج في المكوث بالساعات أمام التواصل الاجتماعي ودراسة الأسباب النفسية والاجتماعية والعقلية التي تؤدي إلى المكوث على شبكات التواصل.
٢. الرغبة في وضع تفسيرات محددة حول دواعي خلق المشكلات الأسرية بين الزوج والزوجة نحو عملية التعلم وعدم قدرتهم على تفادي وقوع تلك المشكلات بسبب إدمان مواقع التواصل الاجتماعي.
٣. الرغبة في معرفة الأسباب الحقيقية الكامنة وراء استخدام شبكات التواصل الاجتماعي والتي بسببها تحدث الكثير من المشكلات بين الأزواج والتي تنتهي بتشتت الأسرة أو بالطلاق.

ب- الأهمية العملية

١. ضرورة التعرف على الواقع العملي لاستخدام شبكات التواصل الاجتماعي في المملكة العربية السعودية بين الأزواج ومعرفة وبيان أثر تلك المواقع على التواصل بين الأزواج.
٢. ضرورة النظر إلى خبرات ومهارات الأزواج في التعامل مع بعضهم والمستوى العقلي والثقافي والاجتماعي وغيره في التعامل، لأنه يحدد مناهج المشكلة والذي قد يؤدي إلى افتعال المشكلة بين الأزواج نتيجة التفاعل على شبكات التواصل الاجتماعي والذي يؤثر بطبيعة الحال على استقرار المجتمع.
٣. ضرورة ربط العادات والتقاليد السعودية المؤثرة على قيم الأسرة فيما يخص الأب والأم، على كيفية التفاعل فيما بينهما وتأثير ذلك على كيفية إدارتهم للمشكلات الأسرية وتأثير العادات والتقاليد على جلوسهم على مواقع التواصل الاجتماعي.

ثانياً: أهداف الدراسة

١. التعرف على طبيعة شبكات التواصل الاجتماعي.
٢. التعرف على أثر شبكات التواصل الاجتماعي على ضعف العلاقات الزوجية.
٣. الكشف عن العوامل الثقافية والاجتماعية التي تؤدي إلى ميل الزوج أو الزوجة إلى المكوث بالساعات أمام شبكات التواصل الاجتماعي في المجتمع السعودي.
٤. التوصل إلى الحلول المقترحة لحل مشكلة ضعف العلاقات الزوجية بين الزوج والزوجة.

ثالثاً: تساؤلات الدراسة

١. ما طبيعة شبكات التواصل الاجتماعي؟
٢. ما أثر شبكات التواصل الاجتماعي على ضعف العلاقات الزوجية ما هي العوامل الثقافية والاجتماعية التي تؤدي إلى ميل الزوج أو الزوجة إلى المكوث بالساعات أمام شبكات التواصل الاجتماعي في المجتمع السعودي؟
٣. ما الحلول المقترحة لحل مشكلة ضعف العلاقات الزوجية بين الزوج والزوجة؟

مصطلحات الدراسة

١- مواقع التواصل الاجتماعي

هي منظومة من الشبكات الإلكترونية التي تسمح للمستخدم فيها بإنشاء موقع خاص به، ومن ثم ربطه عن طريق نظام اجتماعي إلكتروني مع أعضاء آخرين لديهم الاهتمامات والهوايات نفسها وتستخدم في مجالات عدة كالدردشة وغرف الحوار والترفيه والتواصل مع الآخرين والأخبار وغيرها. (زاهر، ٢٠٠٣)

وتقصد الباحثة أن مواقع التواصل الاجتماعي هي المواقع الاجتماعية التي يستخدمها الأفراد كالفيس بوك وتويتر واليوتيوب من أجل عدة أغراض كالدردشة والتواصل وتبادل الخبرات والترفيه والبعد عن المشكلات الأسرية في المنزل.

٢- ضعف العلاقة الزوجية

هي انطفاء جذوة المحبة القلبية، وبرود المشاعر بين الزوجين وعدم الحرص على الاتصال وإظهار التملل من الحياة الزوجية. (نومار، ٢٠١٢)

وتقصد الباحثة بضعف العلاقات الزوجية لدى عينة الدراسة في المجتمع السعودي بمدينة الرياض والتي تصاب بالفشل وانطفاء المحبة والمشاعر بين الزوجين بسبب كثرة استخدام شبكات التواصل الاجتماعي كالفيس بوك وتويتر.

نظرية الاستخدامات والإشباعات

ظهرت هذه النظرية لأول مرة بطريقة كاملة في كتاب «استخدام وسائل الاتصال الجماهيري» تأليف كاتز وبلوملر عام ١٩٧٤، ودار هذا الكتاب حول فكرة أساسية مؤداها تصور الوظائف التي تقوم بها وسائل الاتصال وجوانبها، ودوافع الفرد من التعرض إليها من جانب آخر.

كما تسعى نظرية الاستخدامات والإشباعات إلى تحقيق ثلاث أهداف رئيسية هي:

١. التعرف على كيفية استخدام الأفراد لوسائل الاتصال، وذلك بالنظر إلى الجمهور النشط الذي يستخدم الوسيلة التي تشبع حاجاته وأهدافه وثقافته.

٢. توضيح دوافع استخدام وسيلة بعينها من وسائل الإعلام، والتفاعل مع نتيجة هذا الاستخدام.

٣. التركيز على أن فهم عملية الاتصال الجماهيري يأتي نتيجة لاستخدام وسائل الاتصال الجماهيري.

وفقاً لهذه النظرية، فإن الأفراد يستخدمون وسائل الإعلام من أجل الحصول على نتائج معينة تتفوق مع توقعاتهم، وهذه النتائج هي التي تلبي حاجاتهم ورغباتهم، وهو ما يسمى بالإشباعات، وهناك مجموعة إشباعات تتحقق بالفعل من خلال التعرض لوسائل الاتصال المختلفة ومجموعة أخرى يبحث عنها الجمهور من خلال التعرض لوسائل الإعلام. واتفق الباحثون على تصنيف دوافع الاستخدام إلى دوافع نفعية، وهي التي تؤدي إلى اختيار الجمهور لوسائل معينة ومضمون معين لإشباع حاجات معينة ودوافع طقوسية، وهي التي يعتاد الفرد على ممارستها دون تخطيط، وتهدف إلى التفاعل مع الوسيلة نفسها بغض النظر عن المضمون. وقد ركزت تلك النظرية على دراسة الاتصال الجماهيري وخاصة الشبابي كوظيفة منتظمة، حيث كان الظهور الفعلي لتلك النظرية أدى أدراك عواقب الفروق الفردية والتباين الاجتماعي في المجتمع السعودي على إدراك السلوك المرتبط بوسائل الاتصال، ثم بدأت علاقات جديدة من هذا المنظور وكانت هذه العلاقة بين الشباب في السعودية وعلاقتهم بشبكات التواصل الاجتماعي وذلك لفت النظر بأن تحولت رؤية الجماهير إلى استخدام شبكات التواصل الاجتماعي في إنشاء العلاقات الاجتماعية، وبالرغم من ذلك فإنها عنصر سلبي غير فعال يؤثر على العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأسرة وعلى العلاقات الزوجية إذ تؤدي شبكات التواصل الاجتماعي إلى حال من العزل الاجتماعي والإبحار عليها مع أشخاص آخرين غير معروفين الأمر الذي يحدث العديد من المشكلات الزوجية والتي قد تنتهي بتفكك الأسرة والطلاق. (مكاوي، ٢٠٠٤م)

منهج الدراسة

اعتمد في هذه الدراسة الدراسة الوصفية بطريقة المسح الاجتماعي وهذه الدراسة لا يقتصر على الوصف بل يتعداه للوصول إلى استنتاجات تسهم في التطوير والتغيير. وتأخذ هذه الدراسة نمط المنهج الوصفي لجمع البيانات والذي يستخدم في: «البحوث التي تستهدف وصف سمات أو آراء أو اتجاهات أو سلوكيات عينات من الأفراد ممثلة لمجتمع ما، بما يسمح بتعميم نتيجة المسح على المجتمع الذي سحبت منه العينة، ولكن على الرغم من أن منهج الوصف يلعب دوراً وصفيّاً، إلا أنه يمكن أن يلعب دوراً تفسيرياً بشرح الأحداث أو الظواهر التي تدرس.. ويستخدم أيضاً في الدراسات التجريبية وشبه التجريبية، عندما نسأل عينة من الافراد سؤالاً مصاغاً صياغة تجريبية، ونسأل عينة مشابهة سؤالاً مصاغاً بطريقة غير تجريبية.. ويستخدم منهج المسح علاوة على ذلك في اختبار متغيرات شديدة التعقيد». وتستخدم الباحثة المنهج الوصفي، لاقترب هذا المنهج من دراسة البحث الحالية. (٥-الجمال ص ١٤٣-١٤٤).

مجتمع الدراسة

مجتمع الدراسة مكون مجموعة من موظفات وعضوات وزائرات في مركز الأمير سلمان الاجتماعي بمدينة الرياض والبالغ عددهم ١٠٠ سيدة.

ملخص النتائج المتعلقة بخصائص أفراد عينة الدراسة:

- ١- أن (٥٧%) من أفراد عينة الدراسة عمرهم من ٣٥ سنة فأكثر.
- ٢- أن (٥٦%) من أفراد عينة الدراسة دخلهم المادي ٩٠٠٠ ريال.
- ٣- أن (٧٨%) من أفراد عينة الدراسة يسكنون في منزل خاص.

ملخص نتائج الدراسة وتوصياتها

ملخص النتائج المتعلقة بأسئلة الدراسة:

السؤال الأول: ما هو واقع استخدام شبكات التواصل الاجتماعي بين الرجل والمرأة؟

- ١- أن (٥٢%) من أفراد عينة الدراسة يستخدمون التواصل الاجتماعي منذ أكثر من ٣ سنوات.

- ٢- أن (٣١٪) من أفراد عينة الدراسة يقضون من ساعة إلى ساعتين.
- ٣- أن (٩٦٪) من أفراد عينة الدراسة يدخلون علي شبكات التواصل الاجتماعي من المنزل. وترى الباحثة أن هذه النتيجة تتفق مع نتيجة دراسة (نومار، ٢٠١٢) ودراسة (المنصور، ٢٠١٢) في كثرة الدخول على الإنترنت وإنه لم يعد بإمكان متصفح الإنترنت الاستغناء عنها.

السؤال الثاني: ما مدى مساهمة العوامل الأسرية في ضعف العلاقة الزوجية؟
يتضح أن استجابات أفراد الدراسة على مدى مساهمة العوامل الأسرية في ضعف العلاقة الزوجية بشدة كالتالي:

- ١- ضرب الزوج لزوجته.
- ٢- الخيانة الزوجية.
- ٣- عدم التفاهم أو سوء المعاملة بين الزوجين.
- ٤- عدم توافق الزوجين.

وترى الباحثة أن هذه النتيجة تتفق مع نتيجة العويضي (٢٠٠٤) في تأثير استخدام الإنترنت على العلاقة بينهما، حيث إرتفعت نسبة الزوجات اللاتي يعتقدن أن استخدام أزواجهن للإنترنت أثر على العلاقة بينهم وذلك مقارنة بالأزواج. وترى الباحثة أن هذه النتيجة تتفق مع نتيجة دراسة (حسن، ٢٠٠٩) ودراسة (الساري، ٢٠٠٩) في وجود علاقة ارتباطية ايجابية بين زيادة معدل الاستخدام واتجاه المبحوثين نحو تكوين علاقات اجتماعية ثابتة ومستقرة وليست عابرة.

السؤال الثالث: ما مدى مساهمة مواقع التواصل الاجتماعي في ضعف العلاقة الزوجية؟
يتضح أن استجابات أفراد الدراسة على مدى مساهمة مواقع التواصل الاجتماعي في ضعف العلاقة الزوجية كالتالي:

- ١- يشعرك استخدام مواقع التواصل الاجتماعي بالوحدة والعزلة عن محيطك الاجتماعي.
- ٢- ضعف الوازع الديني سبب لدخولك المواقع الإباحية وإقامة علاقات محرمة عبر شبكات التواصل الاجتماعي.
- ٣- تقضين وقتاً طويلاً في التحادث مع معارفك عبر مواقع التواصل الاجتماعي.
- ٤- تشعرين أن العلاقات التي تكونيها عبر مواقع التواصل الاجتماعي تسمح لك بالتحدث بحرية وصراحة أكثر مما يحدث داخل أسرتك.

٥- جاء تشعيرين بالألفة والانتماء الاجتماعي مع جماعة الرفاق أكثر من الوقت الذي تقضينه مع أسرته.

٦- ويتضح أن استجابات أفراد عينة الدراسة على مدى مساهمة مواقع التواصل الاجتماعي في ضعف العلاقة الزوجية.

٧- الوقت الذي تقضينه على مواقع التواصل الاجتماعي أكثر من الوقت الذي تقضينه مع أسرته.

٨- إحساسك بحميمية العلاقات التي تكونت عبر مواقع التواصل الاجتماعي يبعدك أكثر عن أسرته.

ترى الباحثة أن هذه النتيجة تتفق مع نتيجة دراسة (حسن، ٢٠٠٩) ودراسة (الساري، ٢٠٠٩) في أنه كلما شعر الأفراد بالخصوصية باستخدام جهاز الكمبيوتر زاد انعزالهم عن الواقع وانخفض مستوى تفاعلهم الاجتماعي.

آثار ضعف العلاقة الزوجية؟

ويتضح أن استجابات أفراد عينة الدراسة على آثار ضعف العلاقة الزوجية (موافق) في العبارات الآتية:

١- حزن الزوجين.

٢- قضاء أوقات طويلة خارج المنزل (الاستراحات، المقاهي).

٣- وحدة الزوج أو الزوجة.

٤- الطلاق.

٥- تعاطي المخدرات.

٦- انحراف الأطفال.

٧- تدني المستوى الدراسي للأبناء.

وترى الباحثة أن هذه النتيجة قد إتفقت مع نتيجة دراسة (نجادات، ٢٠١٢) في الإتصال مع الأصدقاء القدامى والجدد، والاستمتاع والتسلية وشغل أوقات الفراغ. وكذلك أن هذه النتيجة تتفق مع نتيجة دراسة مركز بيبو (٢٠١١) في أنها الميل إلى التحدث إلى الغرباء على الفيس بوك أكثر من الأسرة وزيادة الثقة فيهم.

السؤال الرابع: ما مدى مساهمة العوامل الثقافية في ضعف العلاقة الزوجية؟

يتضح أن استجابات أفراد الدراسة على مدى مساهمة العوامل الثقافية في ضعف العلاقة الزوجية (موافق بشدة) كالتالي:

١- عدم الاحترام بين الزوجين.

٢- انعدام الحوار بين الزوجين.

ويتضح أن استجابات أفراد عينة الدراسة على مدى مساهمة العوامل الثقافية في ضعف العلاقة الزوجية (موافق) في العبارات الآتية:

١- عدم الاهتمام بالمظهر الخارجي.

٢- عدم وجود توعية من الأهل.

٣- عدم الشعور بالمسؤولية واللامبالاة في تدبير الشؤون المنزلية.

٤- أسلوب التنشئة في المجتمع السعودي.

٥- فروق المستوى الثقافي بين الزوجين.

بعض العادات والتقاليد في المجتمع السعودي

وترى الباحثة أن ذلك يتفق مع نتيجة دراسة (ميشيل فانسون، ٢٠١٠) حيث اعترفوا أنهم لديهم علاقات قوية على مواقع التواصل الاجتماعي ويقضون وقتاً أطول على شبكة الإنترنت من ذلك الوقت الذي يقضونه مع أصدقائهم الحقيقيين أو مع أفراد أسرهم

توصيات الدراسة

بناءً على نتائج الدراسة توصي الباحثة بما يلي:

١- التوعية عبر وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة عن العلاقة الزوجية السوية والسعادة بين الأزواج.

٢- تنظيم المزيد من البرامج التدريبية التربوية والدعوية للأزواج الذين يدخلون كثيراً على شبكات التواصل الاجتماعي.

٣- إجراء العديد من الدراسات والبحوث العلمية على أثر شبكات التواصل الاجتماعي على ضعف العلاقات الزوجية.

٤- إقامة لقاءات وندوات لدراسة سبل الحد من المشاكل الزوجية الناتجة عن شبكات التواصل الاجتماعي.

- ٥- يفترض على غرار إلزامية الفحص الطبي قبل الزواج إقامة دورات تثقيفية في العلاقات الزوجية للراغبين في الزواج.
- ٦- توعية النشء عن أهمية اتباع سنة رسول الله في تعاملاته الزوجية.
- ٧- تثقيف الأزواج على كيفية التعامل مع بعضهما البعض في وجود شبكات التواصل الاجتماعي حتى لا تتأثر العلاقات الزوجية بينهما.
- ٨- البعد عن الرتابة في العلاقة الزوجية والتجديد بالخروج معاً وتغيير الروتين اليومي حتى لا تُصاب العلاقات الزوجية بالضعف.
- ٩- أن تتولى وزارة الثقافة والإعلام وهيئة الاتصالات بوضع ضوابط وحملات تثقيفية عن الأسلوب الأمثل لاستخدام قنوات التواصل وتوظيفها للاستخدامات الإيجابية.
- ١٠- اهتمام وزارة الشؤون الاجتماعية بفتح قنوات اتصال لحل الخلافات الزوجية وإتاحة الفرصة لإنشاء جمعيات تطوعية لمعالجة القضايا الأسرية.

المراجع

قائمة المراجع والمصادر

- أبو جادو، صالح محمد علي (٢٠٠٧)، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، ط٦، ص٢١٧-٢١٩، دار الميسرة، عمان.
- إسماعيل، محمود، مبادئ علم الاتصال ونظريات التأثير، الدار العالمية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣، ط١، ص ٢٤٦-٢٥٥.
- إنترنت العالم العربي. (١٩٩٨)، واقع استخدام إنترنت في العالم العربي، إنترنت العالم العربي، ع (٦)، ص٢٤-٣٦.
- أولجا جوديس بيلي، بيلي كاميرتس، نيكوكاربنتيير، «فهم الإعلام البديل»، ترجمة: علا أحمد إصلاح، القاهرة، مجموعة النيل العربية، ٢٠٠٩، ص٢٤.
- التويجري، محمد عبد المحسين، (٢٠٠١)، الأسرة والتنشئة الاجتماعية في المجتمع العربي السعودي، ط١، الرياض، مكتبة العبيكان.
- الجمال، راسم محمد، مناهج البحث في الدراسات الإعلامية، الفصل السادس، القاهرة، كلية الإعلام - جامعة القاهرة، ١٩٩٩، ص١٤٣-١٤٤.
- جرار، ليلي أحمد. (٢٠١١)، المشاركة بموقع الفيسبوك وعلاقته باتجاهات طلبة الجامعات الأردنية نحو العلاقات الأسرية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاعلام، جامعة الشرق الأوسط، عمان.
- حسن، أشرف جلال. (٢٠٠٩)، أثر شبكات العلاقات الاجتماعية والتفاعلية بالإنترنت ورسائل الفضائيات على العلاقات الاجتماعية والاتصالية للأسرة المصرية والقبطية: دراسة تشخيصية مقارنة على الشباب وأولياء الأمور في ضوء مدخل الإعلام البديل. مقدمة إلى أعمال مؤتمر كلية الإعلام، جامعة القاهرة وهو بعنوان: «الأسرة والإعلام وتحديات العصر»، والذي عقد في الفترة ما بين ١٥-١٧ فبراير ٢٠٠٩.
- حكيم، تامر. (٢٠٠٠)، الآثار الإيجابية والسلبية للشبكة العنكبوتية، جامعة الملك عبد العزيز، كلية الآداب، قسم الاجتماع، جدة، ص٢٨-٤١.
- الحيدري، عبد الله زين. (دت)، الإعلام الجديد: النظام والفضوى، وقائع المؤتمر، مصدر سبق ذكره، ص١٢٨.
- خالد، محمود سعد. (٢٠٠١)، نمو استخدامات الإنترنت في المملكة العربية السعودية، مركز الترجمة والإعلام.
- خالد، سليم. (٢٠٠٨)، ثقافة مواقع التواصل الاجتماعي والمجتمعات المحلية، دار المتنبى للنشر والتوزيع، قطر.
- الخطيب، إبراهيم ياسين، وعيد، زهدي محمد، والنتشة، نعمان خالد. (٢٠٠٣)، التنشئة الاجتماعية للطفل، ط١، ص١٧٠، دار الثقافة، عمان.
- خليل، محمد محمد بيومي. (٢٠٠٠)، سيكولوجية العلاقات الأسرية، القاهرة، ط١. دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.
- الدناني، عبد الملك ردمان، (٢٠٠١)، الوظيفة الإعلامية لشبكة الإنترنت، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، قسم الإعلام، بغداد أملاًمل.
- زاهر راضي، (٢٠٠٣)، استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في العالم العربي، مجلة التربية، ع١٥، جامعة عمان الأهلية، عمان، ص٢٣.
- الساري، حلمي خضر. (٢٠٠٩)، ثقافة الإنترنت... دراسة في التواصل الاجتماعي، منشورات وزارة الثقافة، عمان، الأردن.
- شلبي، رضوان محمد، (١٩٩٨)، المرأة في القطاع الاقتصادي، ط٢، دار الفجر، القاهرة.
- صادق، عباس مصطفى. (٢٠١١م)، الإعلام الجديد: دراسة في مداخله النظرية وخصائصه العامة، البوابة العربية لعلوم الإعلام والاتصال، ٢٠١١.

- صادق، عباس مصطفى. (٢٠٠٨)، الإعلام الجديد: المفاهيم والوسائل والتطبيقات، عمان، دار الشروق، ٢٠٠٨، ص ١٧.
- عامر، فتحي حسين، وسائل الاتصال الحديثة من الجريدة إلى الفيس بوك، القاهرة، العربي للنشر والتوزيع، ٢٠١١، ص ١٨٧.
- العبد الله، مي. ٢٠٠٥، الاتصال والديمقراطية، بيروت، دار النهضة العربية، ٢٠٠٥.
- عوض، حسني. (٢٠١٢)، أثر مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية المسؤولية المجتمعية لدى الشباب، تجربة مجلس شبابي علار أنموذجا، جامعة القدس المفتوحة.
- العويضي، الهام بنت فريج. (٢٠٠٤م)، أثر استخدام الإنترنت على العلاقات الأسرية بين أفراد الأسرة السعودية في محافظة جدة، كلية التربية للاقتصاد المنزلي والتربية الفنية بجدة، جامعة جدة.
- العياضي، نصر الدين. (٢٠٠٩)، «الرهانات الاستمولوجية والفلسفية للمنهج الكيفي/نحو آفاق جديدة لبحوث الإعلام والاتصال في المنطقة العربية»، أبحاث المؤتمر الدولي، «الإعلام الجديد: تكنولوجيا جديدة... لعالم جديد»، جامعة البحرين، من ٧-٩ إبريل.
- الكتاني، فاطمة المنتصر، (٢٠٠٠)، الاتجاهات الوالدية في التنشئة الاجتماعية وعلاقتها بمخاوف الذات لدى الأطفال، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط١، عمان، الأردن.
- منصور، عبد المجيد والشرييني، زكريا أحمد، (٢٠٠٠)، الأسرة على مشارف القرن ٢١، ط١، ص ١٥/٢١، دار الفكر العربي، القاهرة، جمهورية مصر العربية.
- منصور، محمد، (٢٠١٢)، تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على جمهور المتلقين، دراسة مقارنة للمواقع الاجتماعية والمواقع الإلكترونية، رسالة ماجستير منشورة، في الإعلام والاتصال، الأكاديمية العربية في الدنمارك.
- مكاي، حسن عماد. (٢٠٠٤)، الاتصال ونظرياته المعاصرة، ط٥، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ص ٢٣٩.
- نجادات، على عقل. (٢٠١٢)، استخدام المتزوجات العاملات في الجامعات الأردنية للفيسبوك والاشباكات المتحققة منه، دراسة مسح على عينة من جامعة اليرموك، الأردن.
- نومار، مريم نريمان. (٢٠١٢)، استخدام مواقع الشبكات الاجتماعية وتأثيره في العلاقات الاجتماعية دراسة عينة من مستخدمي موقع الفيسبوك في الجزائر، رسالة ماجستير منشورة، جامعة الحاج لخضر، الجزائر.

ثانياً: مصادر ومواقع الإنترنت

- صحيفة المستشار الإلكترونية، ٢٠١٢، انتشار استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في السعودية.
<http://www.naltqi.com/index/news-action-show-id-33718.htm>.
- موقع الإمارات اليوم، (المصدر: رويترز)، دراسة: فيس بوك يساعد في تكوين صداقات أفضل، في ١٧ يونيو ٢٠١١. متاح (On Line).
<http://www.emaratalyoum.com/life/four-sides/2011-06-17-1.403971>.
- تيدوز (التقنية بالعربية)، أيمن فكري، الفيس بوك وتويتر خلال ٢٠١٠، في ٢٧ ١٢ ٢٠١٠. متاح (On Line).
<http://www.teedoz.com/2010/%D8%AA%D8%AD%D9%84%D9%8A%D9%84->.
- موقع (CNN) العربية، غالبية العرب يستخدمون الإنترنت للدردشة، في ٠٢ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١١. متاح (On Line).
<http://arabic.cnn.com/2011/scitech/9/18/internet.arab/index.html>.
- العربية. نت، عالمياً يأتي فيسبوك ثالثاً بعد غوغل ومايكروسوفت دراسة جديدة: فيسبوك يتقدم على غوغل كرم في الولايات المتحدة، السبت ١ يناير ٢٠١١. متاح (On Line).

<http://www.alarabiya.net/articles/2011/01/01/131758.html>.

- الجديدة (علوم وتقنية)، دراسة جديدة أجريت في ألمانيا حول الفيس بوك وحماية الخصوصية الفردية، في
October ٢٢، ٢٠١١. متاح (On Line).

<http://aljadidah.com/2011/10/%d8%af%d8%b1%d8%a7%d8%b3%d8%a9->

- هيئة الاتصالات وتقنية المعلومات (٢٠١٢م).

<http://www.arabiyat.com/content/technology/1874.html>.

References

- Mecheel, Vansoon, (2010) Facebook and the invasion of technological communities, N. Y, Newyurk.
- Muise, Amy. Christofides, Emily & Desmarais, Serge. (2009). More Information than you Ever Wanted: Does Facebook Bring out the Green-Eyed Monster of Jealousy? Cyber-
psychology & Behavior. Vol. 12, No. 4, 2009, pp. 441-444.
- Al-Saggaf, yeslam. (2011). Saudi Females on Facebook: An Ethnographic Study. Inter-
national Journal of Emerging Technologies & Society. Vol. 9, No. 1, 2011, pp 1-19.

التواصل طريق للتوافق الزوجي

د. يمينة هديبل مولودة مقبال*



ملخص

أو شرح ما نريد قوله، معتبرين أنه على الطرف الآخر أن تكون له القدرة على فهم إشاراتنا الداخلية وغير اللفظية، إذا كان فعلاً يحبنا، وأحياناً أخرى نعتقد أننا نعرف في ماذا يفكر الطرف الآخر ونقفز إلى نتائج خاطئة. لهذا سنحاول اكتشاف إلى أي مدى يمكن للتواصل بين الزوجين أن يوفر التفاهم المتبادل بينهما وبالتالي يحقق لهما درجة من التوافق الذي يساهم في دوره بتحقيق السعادة الزوجية والسعادة الأسرية.

تشير العديد من الدراسات إلى أن التواصل أساس الاستقرار الأسري والسعادة الزوجية وغيابه قد يحدث العكس، ويبدأ التواصل بين الزوجين ليتمكننا من نقله إلى الأبناء في المستقبل، لأن الاتصال هو العلاج الفعال والبناء لعدم الرضا. فقد بينت عدة بحوث أن الأزواج غير السعداء يرون أن مشاكل الاتصال هي من أهم العوامل التي ساهمت في تحطيم علاقاتهم إذ نفشل أحياناً في التعبير عن مشاعرنا

* أستاذة محاضرة، جامعة سعد دحلب/البليدة، منتدبة بالمدرسة الوطنية التحضيرية لدراسات مهندس بالروبية الجزائر. mekbalm2001@yahoo.fr

مقدمة

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾
(الروم: ٢١).

من هنا يظهر أن تكوين الأسرة والمحافظة على ترابطها من الأمور التي أمرنا بها الخالق عز وجل، واندثار الرابطة الأسرية أو غياب الأسرة هو أمر خطير يؤثر على توازن الفرد والمجتمع وباب واسع لظهور الأمراض النفسية وزوال النوع (الإنسان) الذي كرمه الخالق.

يحتل الزواج في شريعتنا مكانة خاصة، ولن يتحقق ما شرّعت له هذه الحياة إلا إذا تحقق التوافق بين الزوجين والذي يتحدد من خلاله نجاح الحياة الزوجية أو فشلها.

إن غياب التوافق بين الزوجين يفتح الباب لغياب الترابط الأسري والذي يخلف آثاراً نفسية على الزوجين من جهة وعلى الأبناء من جهة أخرى والذين قد تتسبب لهم هذه الوضعية في سلوكات منحرفة كالسرقة، الإدمان والجريمة.

خلق الله عز وجل الرجل والمرأة مختلفان من حيث الجنس والوظائف والتفكير وكيفية الاتصال والتعبير عن المشاعر وفهم الأحداث والعلاقات والحاجة للحب والعطف.

قد يقدم أحد الطرفين (الزوج/ الزوجة) للآخر كل ما يحتاج إليه وما يطمح له وما يتمناه من منظوره هو دون أن يعي أنه أمام فرد من جنس آخر بمطالب وحاجات وطموح مختلفة قد يفشل في الوصول إلى إرضائه وبالتالي قد يؤدي هذا إلى ظهور عدم التوافق بين الزوجين وإذا لم يعي سبب ذلك سوف تتسبب هذه الوضعية في التعاسة الزوجية، لهذا من المهم أن تبنى علاقة أي زوجين على أساس التواصل والحوار حتى يتوصل كل طرف إلى فهم الطرف الآخر والتمكن من إرضائه والمساهمة في سعادته.

إن الواقع يوضح لنا أنه لا يوجد زواج يخلو من أزمات تتوتر فيها العلاقات بين الزوجين وتتأزم حياتهما ويتخلخل توافقهما الزوجي فكيف نحافظ على علاقة زوجية دائمة؟ هناك ثلاث عوامل رئيسية لجعل العلاقة متينة:

١: الالتزام

الالتزام بالعلاقة يؤدي إلى الثقة والأمان والاستقرار في العلاقات الحميمة، وأهم شكل متعارف عليه من طرف المجتمع للجمع بين الأزواج، هو الزواج الذي هو إعلان عن التزام بين الأزواج.

٢: التوافق

- على الأزواج أن يتكيفوا مع بعضهم البعض في العادات والحاجات والأهداف والمزاج وما يحبونه وما يكرهونه.
- كلما تطورت العلاقات يصبح الاحتفاظ بالمساواة مصدراً لتوافق مستمر وتكيف متبادل.

٣: الاتصال

لقي موضوع التواصل اهتمام العديد من الباحثين في العلوم الاجتماعية والإنسانية نظراً لأهميته في بناء العلاقات ما بين الأفراد في الأسرة وفي المجتمع بمختلف مؤسساته. فالتواصل عبارة عن نقل رسالة من مكان إلى آخر (T. M. NEWCOMB, R. H. TURNER, P. E.). ويتمثل أيضاً في نقل معلومة من ناقل إلى مستقبل (M. A. ROBERT).

تشير كلمة اتصال إلى التفاعل بواسطة العلامات والرموز. وقد تكون الرموز لغة، أو غير ذلك، تعمل كمنبه للسلوك ويقصد به في مجال العلاقة الزوجية بذل الجهد للاتصال ومعالجة المشاكل. فالاتصال هو العلاج الفعال والبناء لعدم الرضا.

وحول هذه المعاني تقول أخصائية العلاج الشهيرة فرجينيا ساتر: أن الاتصال هو عملية أخذ وعطاء للمعاني بين شخصين وتقول أيضاً: إن الاتصال باختصار هو إقامة علاقة مع الشخص الآخر.

يعتبر التواصل والحوار ركيزة العلاقة بين الزوجين الذين يجتمعان تحت سقف واحد عن طريق الزواج الذي يعتبره ديننا ومجتمعنا مقدس إذ اهتم به ووضعه في منزلة رفيعة، تشير العديد من الدراسات إلى أن التواصل أساس الاستقرار الأسري والسعادة الزوجية وبغيا به قد يحدث العكس، ويبدأ التواصل بين الزوجين ليتمكن من نقله إلى الأبناء في المستقبل، كما يعتبر العلاج الفعال والبناء لعدم الرضا. فقد بينت عدة بحوث أن الأزواج غير السعداء يرون أن مشاكل الاتصال هي من أهم العوامل التي ساهمت في تحطيم علاقاتهم إذ نفشل أحياناً في التعبير عن مشاعرنا أو شرح ما نريد قوله، معتبرين أنه على الطرف الآخر أن تكون له القدرة على فهم إشاراتنا الداخلية وغير اللفظية، إذا كان فعلاً يحبنا، وأحياناً أخرى نعتقد أننا نعرف في ماذا يفكر الطرف الآخر ونقفز إلى نتائج خاطئة.

لهذا سنحاول اكتشاف إلى أي مدى يمكن للتواصل بين الزوجين أن يوفر التفاهم المتبادل بينهما وبالتالي يحقق لهما درجة من التوافق الذي يساهم بدوره في تحقيق السعادة الزوجية والسعادة الأسرية.

٣-١: معنى التواصل بين الزوجين

التواصل بين الزوجين عبارة عن لغة التفاهم التي تنقل أفكار كل منهما ومشاعره ورغباته واتجاهاته للشخص الآخر.

تحمل لغة التفاهم معاني صريحة وغير صريحة تحدد شكل التفاعل وتوجهه وجهة إيجابية إذا كانت أساليب التواصل جيدة وبالتالي يظهر ما يسمى بالتواصل الإيجابي الذي يميزه التفاهم بين الزوجين وانجذاب كل طرف للطرف الآخر، كما قد توجهه وجهة سلبية إذا كانت أساليب التواصل رديئة وسيئة وبالتالي يظهر التواصل السلبي الذي يميزه سوء التفاهم والنفور وقد يوصلهما إلى الانفصال فالطلاق (Raske, 1981).

يعتبر التواصل قاعدة أساسية لأي علاقة، ودونه لا يمكننا التوصل إلى فهم صحيح ومعرفة دقيقة لشريك حياتنا، والذي من شأنه أن يؤدي إلى فشل العلاقة.

والتواصل هو الصلة بين طرفين عن طريق الحوار يتميز فيه الحوار بسهولة التعبير، وحسن الإصغاء، وفهم كل طرف للآخر مهما كانت طريقة الحوار سواء كانت بنبرات الصوت، أو الإيماءات، أو حتى بلغة الجسد، بحيث يتم في النهاية التواصل بين الطرفين فيتولد التوافق والصلة بين المرسل والمستقبل.

ولنصل إلى طريقة سهلة وميسرة للتواصل مع الآخر وبالتالي نصل معه إلى ما يسمى بالتوافق فلا بد لنصل إلى غايتنا من الحوار. إذن فما هي متطلبات التواصل؟

٣-٢: متطلبات التواصل

تحتوي على مطلبين أساسيين هما المرسل والمستقبل.

٣-٢-١: المرسل (وهو المتكلم)

على المرسل أن يكون جيد التعبير عن الرسالة التي يريد توصيلها سواء كانت بالكلام أو بالإشارات، إذ يحسن اختيار الكلمات جيداً ويظهر امتنانه لسماع المستقبل له وإعطائه من وقته دون المبالغة في ذلك، (إن كان المتكلم هو الزوجة تعمل على الابتعاد عن التفاصيل فمعظم الرجال لا يهتمون بالتفاصيل مع المحاولة أن تكون مباشرة ومرنة). كما يجب اختيار الوقت المناسب للحوار فلا يكون مثلاً وقت الرجوع من العمل أو وقت النوم، أو وقت خلوة. وعلى المتكلم أن يحسن التعبير عما بداخله دون خجل ودون إفراط ولا مبالغة، وبصدق.

٣-٢: المستقبل (وهو المستمع)

على المستقبل أن يمتاز بالإنصات الجيد ودقة الملاحظة، والانتباه للمتكلم ورسائله وما تحويه من تعبيرات صريحة وغير صريحة، تظهر في نبرات الصوت، ووضع الجسم وحركاته، وتعابير الوجه، حتى يفهم ما تحمله الرسالة من معان مباشرة ومعان ضمنية، وهذا لا يتم إلا عن طريق الاهتمام بما يقال له فلا يقاطع ولا يسخر ولا يغضب مهما قيل له، ولا يرد أو يناقش إلا في نهاية الحديث مع التذكر أنه يحاور شريك حياته وليس عدوه.

لا سبيل للسعادة إلا بالمودة والتراحم بينكما، فلا يسعى كل واحد منكما في إثبات أنه على صواب والآخر على خطأ فمهما اختلفتما فتذكر دائماً أنكما تشتركان في نفس الغاية وهي السعادة في حياتكما والوثام بينكما، لهذا يجب البحث عن تواصل إيجابي والابتعاد عن التواصل السلبي قدر المستطاع فهو الطريق للتوافق الزوجي وبالتالي للسعادة التي يسعى لها كل زوج وزوجة، فكيف يمكن تحقيق ذلك؟

٣-٣: التواصل الإيجابي بين الزوجين معرفة الآخر

إن التواصل الجيد والإيجابي مفتاح سحري لكل علاقة زوجية إيجابية، لأن من خلاله نستطيع التعارف والتفاهم بشكل سليم فهو يمهّد إلى تطوير هذه العلاقة إلى علاقة حب. يتطلب التواصل الجيد أن يكون أحد الطرفين يمتاز بمهارة التعبير والثاني يمتاز بمهارة الإنصات.

ولكي نكون على مستوى تواصلي جيد وإيجابي، على المرء أن يضع في اعتباره بعض العناصر المهمة التي تساهم في مد سبل هذا التواصل والمتمثلة في:

- معرفة ما يعجب الشريك، ما يفكر فيه وما يحس به، فلكي تحب شخصاً لا بد لك أن تعرفه المعرفة الصحيحة.
- حرص كل طرف على وضع مستوى من المرونة في التواصل.
- اختيار الكلام الطيب، وقد حرص الإسلام على التواصل بين الزوجين بالكلام الطيب والجيد وجعل من الكلمة الطيبة بين الناس صدقة فما بالك بمكانتها بين الزوجين.
- وصف الشريك بصفات حسنة وهذا عن طريق التعبير له بها سواء تعلقت بالجانب الجمالي أو الأخلاقي حتى لو كان بالكذب وهذا لربط وتمتين التواصل بين الزوجين، وللوقوع الجيد لهذه الكلمات على كل طرف وهي من المواقف التي رخص الرسول صلى الله عليه وسلم الكذب فيها.

- انتقاء الألفاظ التي تبعث الفرح والسرور لدى الشريك بإبداء الإعجاب به وبأعماله والاعتراف بفضله وبجهدہ والتماس الأعذار له إن أخطأ.
 - السعي إلى تشجيعه عن التعبير عما يغضبه ويزعجه مع التأكيد له في هذه اللحظات عن حيك ومساندتك له.
 - الاهتمام بالتعبيرات غير اللفظية كالنظرة أو الحركة أو الابتسامة أو الإيماءة.. إلخ، لما لها من أهمية قصوى في إيصال رسائل قد تكون أكثر تعبيراً وصدقاً من الكلمات ذاتها.
 - الوعي بأن الحوار والتواصل عبارة على تبادل الأفكار والأحاسيس والآراء، وبالتالي تمتين أسباب القرب والتآزر.
 - التفتح على الحوار والتعاطي بحماس مع الشريك، بإبداء الاهتمام اللازم له والانشغال بكل ما يفرحه ويحزنه.
 - السعي للحصول على لحظات من الخصوصية وتخصيص قسطاً من الوقت للحديث مع شريك الحياة والاهتمام بشؤونه، رغم التعب ورغم الشعور بالملل.
 - إيصال الأحاسيس الإيجابية والأحاسيس السلبية للزوج، إذ لا يجب أن نشعر بالخوف من التعبير عن الأحاسيس مهما كانت سلبية، فإذا شعرنا مثلاً بالغضب أو بالحزن، علينا إظهار ذلك دون الانسياق وراء أعصابنا بل يجب التحكم في كل العواطف ومن أهمها الغضب، لأن الرسالة التي سنوصلها بذلك ستكون سلبية للغاية. لهذا يجب أن يكون النقاش باحترام متبادل من الطرفين.
- إن معظم المشاكل التي تنشأ بين الزوجين تكون متعلقة بجانب التواصل بينهما، إما لغياب هذا التواصل، أو لطريقتهم غير المناسبة للتعاطي معه. فحوار إيجابي وفعال، سنتفادى سوء الفهم والكثير من المشاكل، فإذا لم تساعدنا الظروف، علينا بذل مجهود من أجل إيجاد مساحة زمنية للتواصل والتحاور بشكل يومي إذ لا يكفي مجرد الاستماع فعلى المرء أن يصغي ويظهر الاهتمام لما يقوله الشريك، لا يمكننا فقط سماع الكلمات بل علينا فهم رسالة تلك الكلمات. إنَّ التواصل الإيجابي يجعل شريك حياتنا يشعر بسعادة أكبر معنا، فأكثر شيء هدام لأية علاقة زواج هو غياب التواصل أو ظهور التواصل السيء والسلبى، فما هي العوامل التي تجعل التواصل بين الزوجين سلبي؟

٣-٤: التواصل السلبي بين الزوجين

التواصل السلبي أو غير الموجود واحد من المشاكل الأساسية التي قد تنشأ بين الأزواج، بل قد يصير الأمر أكثر من مجرد مشكل فيدمر أفضل علاقة بين الزوجين. ولكي يصبح الزوجان على درجة كبيرة من التوحد، لا بد من وجود خيط من التواصل لا ينقطع بينهما، يجب الكفاح من أجل الحفاظ على تلك اللحظات الحميمة الحقيقية، التي تندفق أثناءها المشاعر، وحيث يمكن التحدث عن أي شيء وفي كل شيء، دون أن يقطع هذا الحديث أي شيء وأي فرد حتى ولو كان الابن، وهناك مجموعة من العوامل والأسباب التي تجعل الحوار بينهما سلبي يمكن تلخيصها في النقاط المتمثلة في:

- الاعتقاد بأن الشريك على دراية بمشاعر ومزاج شريكه، فلا تنتظر من شريكك أن يتوقع ما تفكر فيه أو ما تحس به أو ما يحصل لك، أخبر شريكك عما تنتظر منه، عما تتمناه منه، ولا تحكم عليه أو تنتقده إن لم يستطع معرفة ذلك من تلقاء ذاته.
 - الابتعاد عن الثرثرة والكلام الساخط، بينت بعض الدراسات أنه من أهم أسباب الطلاق التي ترجع إلى الزوجة كثرة الشكوى من المرض والبذاءة في الكلام (Rascke, 1986).
 - الابتعاد عن اختصار الحوار أو تفاديه بدعوى الإرهاق الشديد أو الوقت الضيق، فعليك أن تبذل جهداً مضاعفاً للتغلب على التعب وعلى الوقت الضيق لتكون إلى جانب شريكك، لتقاسمه النشاطات المنزلية أو الخارجية، أو لمجرد مبادلة الحديث معه. فلا تكن سبباً للوصول بالعلاقة بينكما للفتور والتباعد الذي سيمتد يوماً بعد يوم.
 - عليك الانتباه والتركيز مع حوار الشريك وفهم المعنى منه وليس إظهار فقط أنك مهتماً دون حدوث ذلك، فهذا سيشعره بما تقوم به وسيمتنع عن مقاسمتك حياته.
- وترجع مشكلة عدم التواصل بين الزوجين، إلى افتقاد التقدير المتبادل وإلى اعتبارات بيولوجية خارجة عن إرادة كل من الرجل والمرأة تجعل فروقاً تظهر بينهما في عملية الحوار.

٣-٥ مشكلات التواصل بين الزوجين

الاتصال هو العلاج الفعال والبناء لعدم الرضا. فقد بينت البحوث منها دراسة «كيرديك» (kurdeck 1991) أن الأزواج غير سعداء يرون أن مشاكل الاتصال هي من أهم العوامل التي ساهمت في تحطيم علاقاتهم.

حدد «بك» (Beck 1988)، في كتابه «الحب وحده لا يكفي»، عدداً كبيراً من مشكلات الاتصال مثلاً: أحياناً نفشل في التعبير عن مشاعرنا أو شرح ما نريد قوله، معتبرين أنه على الطرف الآخر أن تكون له القدرة على فهم إشاراتنا الداخلية والغير لفظية، إذا كان فعلاً يحبنا، وأحياناً أخرى نعتقد أننا نعرف في ماذا يفكر الطرف الآخر ونقفز إلى نتائج خاطئة.

كما تحدثت تانن (Tannen 1990). عن الاختلاف بين الجنسين في الاتصال والذي يؤدي إلى مشكلات في العلاقات، خصوصاً بالنسبة للنساء والرجال الذين نشأوا في بيئة تقليدية تحدد الأدوار حسب الجنس.

مثلاً النساء يردن التحدث عن مشاعرهن بينما الرجال يريدون حل المشاكل. كذلك يكون الرجال أقل ميلاً لطرح أسئلة شخصية والتعليق أثناء النقاش، بينما تستعمل النساء هذه الأمور وبعض الأساليب «هم...هم» للحفاظ على استمرارية الحديث. فهذا الاختلاف في الأساليب حسب الجنس، يجعل المرأة تشعر بأن الرجل لا يهتم لما تقوله ولا يستمع لها.

لخص بيك (Beck 1988) الاختلاف بين الجنسين في الاتصال فيما يلي:

- تعتبر المرأة الأسئلة طريقة لاستمرار الحديث، بينما يعتبرها الرجل طلباً للمعلومات.
- تحاول المرأة الربط بين ما قاله الرجل وما ستقوله.
- يبدو الرجل عموماً جاهلاً بالتعليق السابق لزوجته فلا يحاول الربط بين ما قالته وما سيقوله.
- تعتبر المرأة العدوانية من الزوج، هجوماً يؤدي إلى اضطراب العلاقة، بينما يعتبرها الرجل شكلاً من أشكال الحديث.
- تميل المرأة إلى التحدث عن المشاعر والأسرار، بينما يفضل الرجل مناقشة أشياء أقل خصوصية كالرياضة والسياسة.
- تميل المرأة إلى مناقشة المشكلات، تقاسم تجاربها، ومنح الشعور بالأمان، بينما يميل الرجل إلى سماع المرأة كأى رجل يناقش مشاكل للبحث عن حلول لها بدلاً من إظهار الاستماع الودّي فقط.

خاتمة

بالإمكان تطوير مهارات الاتصال بين الأزواج بحيث يصبح الحديث بين الزوجين أكثر ودية وغنى وتعاطف وبالنتيجة وثام للحياة الأسرية.

إن ضعف الاتصال هو جذر معظم المشاكل الزوجية وخاصة المشاكل التي أصبحت صعبة الحل بسبب قدم جذورها والتي قد تعود إلى بداية العلاقة الزوجية. فالاتصال الأمثل هو محاولة إدراك وجهة نظر الطرف الآخر ومحاولة تفسير ما يحاول قوله من وجهة نظره هو وليس من وجهة نظرك أنت، وأيضاً التوقف عن لوم الطرف الآخر ومحاولة إدراك حجم مساهمتك أنت في المشكلة. بهذه الطريقة سيتغير رد فعل الشخص المقابل لأنه سوف يبدأ بالإدراك إنك تسعى لإيجاد حل حقيقي للمشكلة وليس التركيز فقط على أخطائه.

هكذا سيصبح الحوار مع الطرف الآخر أكثر سلامة وأقل حدة مما يعكس جو أكثر ودية للوصول إلى حل للمشاكل الزوجية بطريقة حضارية.

الحوار جسراً للتواصل بين كل زوجين، فلا يقطعاً هذا الجسر أو يهجره فيتصدع وينهار وينقطع السبيل بذلك لإرواء شجرة الحياة بينهما فيسرعان بظهور ما يسمى بفقدان التوافق الزوجي وبالتالي سيساهمان في ظهور ما يسمى بالتصدع الأسري.

المراجع

مراجع اللغة العربية

١. خليل، محمد محمد بيومي. (٢٠٠٠)، سيكولوجية العلاقات الزوجية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة.
٢. سكفاقي، علاء الدين. (١٩٩٩)، الإرشاد والعلاج النفسي الأسري.
٣. مرسى، كمال إبراهيم. (١٩٩١)، العلاقات الزوجية والصحة النفسية في الإسلام وعلم النفس، ط١، دار القلم- الكويت.

مراجع اللغة الأجنبية

4. Beck A)1988(; Love is never enough. Haper & Raw. New York. U. S. A.
5. Kurdeck Lawrence A. (1991): Predictors of increases in marital distress in newlywed couples a3 year prospective longtidunal study. Developmental psychology. Vol. 27. n°4, 627-636.
6. NEWCOMB. T. M., TURNER R. H., CONVERSE P. E (1970): *Manuel de psychologie sociale*. PUF, Paris.
7. Rascke, H. G. (1986): divorce. In M. B. Sussman & S. K. steinrntz. Handbook of marriage and family. New York: Pienum Press.
8. ROBERT. M. A (1969): *Psychologie du groupe*. Ed. Vie Ouvrière, Bruxelles.
9. Tannen Daborah, (1998): You just don't understand. Virago press. UK.

- Shavit, Yoshi, Richard Arum & Adam Gamoran, eds 2007, **Stratification in Higher Education: A Comparative Study**, Palo Alto, CA: Stanford University Press.
- Shavit, Yossi & Hans-Peter Blossfeld, Eds 1993, **Persistent Inequality: Changing Educational Attainment in Thirteen Countries**, Boulder (Colorado): Westview Press.
- Shavit, Yossi & Walter Muller 1998, **From School to Work**, Oxford: Clarendon Press.
- The Arab Investment & Export Credit Guarantee Corporation 2009, 'Higher Education in Arab Coun-tries: Data and Facts, Challenges and Opportunities', **In Investment Climate in Arab Countries2008 Annual Report**, Assafa, Kuwait: AIECGC.
- Thoma, C, Bartholomew, CC & Scott, LA 2009, **Universal design for transition**, Baltimore: Paul H. Brookes Publishing Co.
- Treiman, Donald, J & Harry BG, Ganzeboom 2000, 'The Fourth Generation of Comparative Stratification Research', **In The International Handbook of Sociology**, edited by S. P. Quah and A. Sales. Thousand Oakes: Sage Publications, pp. 123-150.
- Zeff, R 2007, **Universal design across the curriculum**, New Directions for Higher Education, Wiley Periodicals, Inc, pp. 137.

References

- Arum, R, Gamoran, A & Shavit, Y 2007, 'More inclusion than diversion: Expansion, differentiation, and market structure in higher education', **In Stratification in higher education: - A comparative study**, ed. Y. Shavit, R. Arum, and A. Gamoran, Palo Alto, CA: Stanford University Press, pp. 1–35.
- Dasher-Alston, RM & Patton, GW 1998, 'Evaluation criteria for distance learning', **Planning for Higher Education**, vol. 27, no. 1, pp. 11-17.
- Giroux, HA 2002, 'Democracy, freedom, and justice after September 11th: Rethinking the role of educators and the politics of schooling', **Teachers College Record**, vol. 104, no. 6, pp. 1138- 1162.
- Green, KC 2002, **Campus Computing 2002: The 13th national survey of computing and information technology in American higher education**. Encino, CA: Campus Computing.
- Hart, M & Grigal, M 2010, 'The spectrum of options: Current practice', In M. Grigal & D. Hart, **Think college: Postsecondary education options for students with intellectual disabilities**, Baltimore: Paul H. Brookes Publishing Co, pp 49-86.
- Kerckhoff, Alan 1995, 'Institutional Arrangements and Stratification Processes in Industrial Societies', **Annual Review of Sociology**, vol. 15, pp. 323-347.
- Miller, GE 2001, 'General education and distance education: Two channels in the new mainstream', **The Journal of General Education**, vol. 50, no. 4, pp. 314-322.
- Morely, L, Leach, F & Lugg, R 2009, 'Democratising higher education in Ghana and Tanzania: Opportunity structures and social inequalities', **International Journal of Educational Development**, vol. 29, pp. 56–64.
- Paulson, K 2002, 'Reconfiguring Faculty Roles in Virtual Settings', **Journal of Higher Education**, vol. 73, no. 1, pp. 123–131.
- Rosenbaum, James, E & Takehiko Kariya 1989, 'From High School to Work: Market and Institutional Mechanisms in Japan', **The American Journal of Sociology**, vol. 94, pp. 1334-1365.
- Rosenbaum, James, Takehiko Kariya, Rick Settersen & Tony Maier 1990, 'Market and Network Theories of the Transition From High School to Work: Their Application to Industrialized Societies', **Annual Review of Sociology**, vol. 16, pp. 263-299.'

- Transitional program related strategies: For academically challenged students who enter the university there should be promotion of transitional programs. These programs will ensure that the students do not feel out of place at universities. This should be presented in a social and academically integrated manner (Zeff, 2007). It should also be done by providing students with possible choice of enrollment in classes which are organized at time which enables them to work. The presence of possible methods like presentation of educational support by including universal course design, academic and social mentoring and peer tutoring will help in facilitation of student retention and advancement (Thoma et al., 2009).

Conclusion

Hence from the discussion one can arrive at the conclusion that there is a need for greater autonomy and independence among institutions to react more rapidly and effectively to demands of the market and enhance new and strategic thinking that are important to high quality institutions. Limited public policies and management practices suppress autonomous thinking and limit the significant involvement of higher education to the public. Systematic factors involve public policy and governance issues. When these are considered together with assessment, accreditation and regulation, and facilitation of quality and access to higher education reform efforts can be increased or obstructed by how governments support policies to present better access.

Campus strategies

The following strategies can be adopted to promote better access to higher education:

- **Academic/Instructional strategies:** A number of academic strategies can be promoted by using measures promoting peer tutoring and mentoring. Apart from this the colleges can make an effort to present educational coaching by promoting implementation of universal design for learning. It is also important to provide support in the form of advisory functions related to the product. It is also vital to present measures to share information using databases which would help promote better professional development (Hart & Grigal, 2010).
- **Employment/Career strategies:** This is an important strategic maneuver to be adopted. When students are aware that practicum and internships are available it would raise awareness of available career options and will also ensure that students are willing to present better efforts towards improving their grades. There should be a system maintained which presents access and roles for employers, business leaders and others in the business arena (Hart & Grigal, 2010).
- **Social Strategies:** This revolves around identification of measures to inform existing students and potential students about information on campus clubs and social activities. This will motivate students to join universities to gain the experience (Rose & Meyer, 2002). There should also be promotion of students to serve in leadership positions in clubs and organizations. These students can then make academic outreach programs and arrive at possible measures to invite diverse range of students to participate in academic programs.

technologists, graphic and media artists, and other faculty (Miller, 2001). Hence the professors should be able to adapt to a more industrialized, educational model. If this happens there is availability of greater number of qualified personnel to teach making it easier for universities to increase the number of seats available.

The need for faculty development, support, and training is growing

In order to promote access to higher education there is a need for faculty development, support and training. The adaptation from a traditional to a modernized instructional method would definitely promote ease of access. Therefore it is vital for faculty to identify and develop new competencies. This can be carried out by ensuring that there is extensive and continuous training. One effective measure in this regard would be the integration of technology with the instructions presented. Green (2002) identified that the promotion of strategic education access to students is strongly dependent on the integration of technology into instructional design. He further adds that this is the largest disadvantage which is currently faced by different universities.

Another study by the Educause Current Issues Committee (2003) identified that to improve the degree of education and the accessibility of students faculty support is vital. The support and training of faculty in IT related issues was found to be one of the highest strategic concerns for universities. There has been reluctance among faculty in a number of regions across the world with regards to use of these modern tools. Dasher-Alston and Patton (1998) identified that most faculty in developing and developed regions across the world preferred methods of teaching involving traditional face to face measures. This has made a number of them feel distance education training is unnecessary. This is not true. Today if better access needs to be provided to more number of students for higher education modern day tools and technologies need to promote in order to reach students in remote corners of the country.

Another problem associated with implementing better access to higher education is related to lack of measures to implement changes. The government run bureaucracies are in control of instructional and curriculum design, increasing the availability of seats, teacher certification, examination patterns and approving new degrees.

Opportunities in the job market:

Perhaps the biggest challenge any country faces identifies with possible outcomes of the higher education. It is well established that the linkage between higher education access and the subsequent availability of possible employment in the local employment market is very important. Despite the growing attention given in Arab higher education system on importance of relevance of education in improving real life skills and knowledge and research to be implemented in labour market, there is still a gap. If this challenge is addressed then it becomes possible to ensure access to more students who are willing to wait to get into better jobs.

Strategies to improve access to higher education:

Strategies to improve faculty:

Traditional faculty roles are shifting or “unbundling”

There is huge variation in the task completed by the faculty of modern world and professors of past years. Instead of assigning the task to particular person or employee, the universities are attempting to segment the task to certain specialized groups or team (Paulson, 2002). The process of segmentation of employees or labor makes use of non tenure track in order to determine the positions in different methods. Generally graduates are determined to occupy the position and in some cases undergraduate assistants enabling the highly trained faculty to increase their focus on areas of research (Paulson, 2002). In order to satisfy the responsibility of their roles, distance education faculty are considered to be involved with instructional designers, assistants,

There is a great deal of need for better information with regards to the actual process which happens in education. This involves identifying possible methods of data collection by which information from different institutions across the country is collected. This involves starting and identifying possible profiles of students who are graduating in a manner that progress can be assessed. There should also be measures implemented in order to benchmark the results which are arrived at. These results should be taken into account when future education strategies are implemented and arrived while promoting higher education.

The second aspect which needs to be concentrated on is identifying strategic measures to improve the method of evaluation among universities. When higher education is considered it can be seen that monitoring and evaluation of higher education should be presented in a manner that outcome measures can be identified. It is important for faculty to be evaluated by peers as well as students.

The most important challenge which institutions would face is to identify the possible impact quality would have on cost. If the higher education providing institutions are public institutions then governmental funding becomes vital to promote internal quality assurance.

Governance

One challenge which prevents access to higher education is related to structures of governance. The higher education institutions in this country are run as extensions of governmental organizations. There is lack of autonomy and transparency in educational institutions in the country. The governance measures associated with regulation of public sector institutions is found to highly rigid in nature. This makes it difficult for universities to present measures which respond to the needs of students, faculties as well as those desiring access to higher education.

education institutes are running out of money. There is a relationship between the inadequate facilities in the higher education institutes of Saudi Arabia and restricted expenditures of government. As the country is found to have one of the largest youth population and because of the enduring technical rebellion around the globe the problems in higher education are becoming worse. As the number of youngsters is high, the necessity to focus on higher studies is also high.

Challenges faced in identifying access to higher education Quality

Over the years it is observed that a large number of students who have identified the need to enter the higher education system have faced a large amount of pressure. This is because the system is absorbing a large number of students into their folds when compared to the previous decade. This has therefore resulted in increasing pressure across all universities across the country to focus on improving the number of seats available. However this had strained the availability of resources for focusing on measures related to promotion of quality. There has been effort made which help in improving the overall rates of higher education enrollment there is a big gap in the development of life skills among personnel. Hence one big challenge which needs to be acknowledged and dealt with in terms of promotion of strategies is to identify measures which help in increasing the quality of education which when compared to standards at an international level are not up to the mark.

The large number of students who have sought entry into the tertiary system in the last decade has put incredible pressure on higher education systems across the region. Efforts to absorb these students and to widen overall access have strained government resources and led to a focus on expanding quantity rather than quality. Despite successful efforts to increase higher education enrollment, enrollment ratios are still low in Saudi, and the regional average is still low by international standards.

based on occupational outcomes based on countries. The variation is detailed by the characteristics features of educational system. For instance, the magnitude of educational effects on occupational outcomes is influenced by stratification and vocational specificity of educational system in Arab countries. At the same time these effects are overcome by the number of students in tertiary education. Shavit and Blossfeld (1993) made an analysis in 13 different countries in order to determine if the expansion of educational system reduces the gap in educational achievement of students from different socioeconomic context. The study of Shavit, Arum and Gamoran (2007) analyzed the impact of characteristics of educational system on higher education entrance and particular types of institutions in it. By analyzing 15 countries Arum, Gamoran and Shavit (2007) concluded variation in distinct educational structures based on access to higher education that is determined as binary, stratified and unitary. The study also emphasizes the importance of differentiation and privatization in structuring access to higher education. Thus it can be established that there is a definitive gap in access to higher education. The following sections detail the main challenges which Saudi Arabia currently face in order to implement strategies which improve access to higher education.

Relevance of the study

Education has been represented as a drive to speed up the alterations, improvement and advancement and it is responsible for “a radical revision of education systems in Arab countries” (United Nations Development Program’s Arab Human Development Report, 2002). This report represents the deprived value as “the Achilles heel of education in the Arab world”. This article also insists to implement the remedies like “enhancing human capabilities, creating strong synergy between education and the socio-economic system, and formulating a programme for education reform at the pan-Arab level.” Though there is an elevated proportion of spending on education, many of the higher

be a key aspect for the knowledge based development in the country. Saudi Arabia has been estimated to be investing rapidly on higher education for past few years under the control of King Abdullah. From the yearly budget one fourth of the investment are made for education and training. In 2010 the investment was estimated to be increased to 36.5 billion USD which represents a 12.4% increase when compared to that of 2009. Under the influence of King Abdullah Scholarship Program, more than 90,000 Saudis were presented with opportunities to pursue their graduate studies abroad.

The main objective of the development plan is to increase the number of university students from 860,000 to 1.7 million within 2014. The king and his fellowmen provide high importance to the higher education to be provided to the students of Saudi Arabia. Most of the students of Saudi universities pursue their graduate studies in various fields like social studies, religious, history, and literature regardless of the labor market being saturated with social science and humanities majors.

Importance Of Identifying Strategies For Higher Education

In recent years, the stratification researchers are attracted towards understanding the impact of structural characteristics of educational system on outcomes and results of students (Kerckhoff, 1995; Treiman & Ganzeboom, 2000). Most of the studies and research consider for the cross-national studies that deals with relation between educational system and labor market. There are studies that compare the educational system of Japan and America that reveals that students' job attainment and obtaining features are influenced by separate relationship with respect to labor market (Rosenbaum & Kariya, 1989; Rosenbaum, Kariya, Settersten, & Maier, 1990).

From the comparative research conducted by Shavit and Muller (1998) it is evident that there is variation in educational qualification

There is an article related to the enhancement of higher studies in the 24th Report of the Investment Climate in Arab Countries (2008), which explains the significance of higher studies of Arab citizens. It identifies that there were only two hundred and thirty three universities in 2003 which have been raised to three hundred eighty five in 2008. This figure includes one hundred and fifteen private universities which is 4.4 times greater than the number of private institutions in 1993. It is understood that the private institutions have been developed and their figure is equivalent to that of government institutions. But this growth can't represent their facilities, as most of these institutions have low facilities. The report suggested that the enhancement of employment in the private institutions will increase the number of pupil in the private higher institutions equivalent to that of government institutes. This decision is based on the idea of many Arab countries, which would like to reduce the expenditure on higher studies and to reduce the number of pupil enrolled in government institutes.

This paper delves into aspects which identify possible measures associated with provision of strategic access to higher education in Arab countries in general and Saudi Arabia in particular.

Need for better strategies in Saudi Arabia

Saudi Arabia is a nation which was established in 1932 by King Abdul Aziz. It has an area of 900,000 square miles. The country is inhabited by 26 million people and is today sending more than 80,000 students to different countries like Australia, Europe and United States in order to pursue their higher education. They are investing more than 50 billion in order to completely revamp their higher education system and their currently existing 25 universities.

Saudi Arabia has invested more than one fourth of its budget during 2009 for education and training. This was done in order to highlight the investment made on the human resource development to

Different Strategies for Increasing Higher education Access

**Dr. Mohammed A. Al Saleh*



Introduction

Morley, Leach and Lugg (2009) argued that value to the society is added by higher education as they both serve as “both a public and private good – public because it contributes to society and private because it has potential to benefit the individual.” The importance of higher education with respect to the society cannot be assumed as it acts as an economically developed feature for the community and provides the individual with person-

al benefits. Higher education is needed in order to generate and produce productive citizens (Giroux, 2002). Higher education enables individual and communal development and provides an individual awareness of social issues and is considered to be an effective source in order to address the related issues of nation-states.

الاستراتيجيات المختلفة لزيادة التحصيل في التعليم العالي

Asst. Professor Department of Higher Education & President of the Department of Curriculum & Teaching Methods, College of Education Al Jouf University, KSA.

Box3085@gmail.com

- Carter, R & Long, M 1991, Teaching Literature, Longman.
- Collie, J & Slater, S 1987, Literature in the language classroom, Avon: Cambridge University Press.
- Crystal, D 1997, English as a global language, Cambridge: Cambridge University Press.
- Çubukçu, F 2001, Use of Poetry for EFL Purposes, izmir: Dokuz Eylül University.
- Du, RQ 1990, 'Literature in English: an integral part of EFL curriculum', ELT in China: Papers presented at the international symposium on teaching English in the Chinese context (ISTEC), Guangzhou, China, Beijing: Foreign Language Teaching and Research Press, pp. 199-209.
- Erturul, G 1995, 'The importance of literature in English language teaching', Dokuz Eylül Üniversitesi Eğitim Fakültesi Eğitim Bilimleri Dergisi, vol. 7, pp. 1-19.
- Fishman, J 1996, 'Summary and interpretation: Post imperial English 1940-1990', in: Fishman et al, Post imperial English, Berlin: Mouton de Gruyter, pp. 623-641.
- Graddol, D 1997, The future of English, London: The British Council.
- Graddol, D 2006, English Next: Why Global English May Mean the End of 'English as a Foreign Language, London: The British Council.
- Himanolu, M 2005, Teaching English through literature, Journal of Language and Linguistic Studies, vol. 1, no. 1, pp. 53-66
- Kartal, E & Arikan, A 2010, 'A recommendation for a new Internet-based environment for studying literature', US-China Education Review, vol. 7, no. 7, pp. 93-100.
- Lazar & Gillian 1993, Literature and Language Teaching, Cambridge.
- Mullane, W 1984, Teaching literature. In R. F. Price, Ed, English for China, Committee for America-China Relations: Melbourne, pp. 81-90.
- Osburne, AG 1987, Chinese students and methodology courses, ED287296.
- Paul Iles 1995, 'Learning to work with difference', **Personnel Review**, vol. 24, no. 6, pp. 44 – 60, this is the article written for British council.
- Spack, R. 1985, 'Literature, Reading, Writing, and ESL: Bridging the Gaps', in TESOL Quarterly, vol 19, no. 4, pp: 703-721.
- Türker, F 1998, 'Using short fiction in ELT in prep classes', The second INGEGAZI International ELT: Meeting Conference the Challenges of Skills Teaching: Classroom Applications, Ankara: afak, pp. 102- 130.
- Ünlü, A 2002, 'Ksa öykü öğretiminde psikanalitik yaklam, A rose for Emily', Dil Dergisi, vol. 123, pp. 72-86.
- Widdowson, H 1975, Stylistics and the Teaching of Literature, Longman.

ticipating in the conferences would get to know recent developments. Internet, distance education, e-learning and air-class would provide broad and different learning. Self learning increases our knowledge and skills anywhere anytime and is a productive life-long learning method.

Conclusion

Literature is very important for English programs conducted in most of the non-English speaking countries. But teachers over those countries face problem in literature based teaching of English. A very few well prepared curricula with supporting materials is the first problem with teachers in language classroom. Inadequate preparation for literature teaching in TESL / TEFL programs is the second problem. The third issue is that the role of literature ESL / EFL is not defined with precise objectives. Many instructors implement literature in the classroom with no knowledge or training in that area. The teacher plays a crucial role in literature based teaching of English. When choosing literary contents for classroom teaching, many factors such as language skill of the students, interests, age, sex, etc have to be considered to supply with right materials to avoid students getting bored.

References

- Akyel, A & Yalcin, E 1990, 'Literature in the EFL class: A study of goal achievement in congruence', *ELT Journal*, vol. 44, no. 3, pp. 174-180.
- Akyel, A 1995, 'Stylistic Analysis of Poetry: A perspective from an initial training course in TEFL'. *TESL Canada Journal*, vol. 13, no. 1, pp. 63-73.
- Arikan, A 2005, 'An evaluation of literature component of Hacettepe University English language teaching department', *Hacettepe University Journal of Education*, vol. 29, pp. 40-49.
- Arikan, A 2008, 'Using Internet groups in the learning of literature', *Hacettepe University Journal of Education*, vol. 34, pp. 19-26.
- Ashcroft, B, Griffiths, G & Tiffin, H 1989, *The Empire Writes Back -Theory and Practice in Post-colonial Literatures*, London and New York: Routledge.
- Brumfit, C 1985, 'Reading skills and the study of literature in a foreign language', In C. Brumfit Ed, *Language and literature teaching: From practice to principle* Oxford: Pergamon Press, pp. 105-110.
- Cai Mingshui 2002, *Multicultural Literature for Children and Young Adults*, London: Green wood Press.

of literature with a practical output in mind. Learning and applying informational technology and new applications through English applicable skills brings better convenient openings for advancement in the world. Work place demands English speaking programs and skills. So, we have to enhance the reading skills of students through encouraging them to read more English classical and modern literature which would improve their vocabulary and spoken English skills. Words and phrases used in daily life can be improved by communicating with English speakers in native language. English drama and poetry reading would help improving listening skills. Writing short paragraphs on their own and then lengthy articles with the use of reading materials aid for writing skills. Translation of vernacular literature into English can also be practiced to improve command over the English language

Combination of professional knowledge

Apart from providing basic training, students have to be trained to use foreign language to implement in professional skills, teaching and other applications. This could be achieved by teaching students in the real time environment like asking them to take part in poetry reading competitions, organize plays in order to practice their language skills. By this, students would gain technical knowledge on English language. Following this hands-on training for their job and understanding professional knowledge as well can be made possible if technology students are asked to go work in their industry. In addition, they would be aware of the working environment, problem solving methods, interactions with elder and senior students and team work. Professional knowledge with English teaching gets more importance in Asian students' education and is appreciated by industries.

Training ability of self-learning

Learning is a continuous process in life to update our knowledge to understand the advanced technologies and meet the age related demands. We would be able to train students to be imaginative and for continuous growth. Self-learning and long-life learning skills are important for both teachers and students. People who do not updated their skills and knowledge would be out of date and lose their jobs. So, we have to learn new skills and knowledge to keep us updated. Learning should continue after leaving classroom also. We have various resources to read such as professional magazines, journals, papers, internet, and in-service training programs. Joining to the organizations and par-

The language model was meant to be highly learner-centric. While going through the content, learners tend to give importance to the pattern of language usage and the meaning through which they understand English. This model lets the teacher focus on general grammar and vocabulary (for example as given in the course books) or go for stylistic analysis in which the students would be able to elucidate the content with the knowledge on linguistic characteristics of the content. This improves the reading and studying ability of the learners.

The personal growth model is a process-based method and tends to be learner-centric. In this model, learners can portray their own views, thoughts and experiences. It tries to provide the content and the reader interactions to build the language thereby making it unforgettable. Learners are promoted to “make the text their own”. This model identifies the strength of literature which can make the learners implement their learning in the classroom.

Requirements of Asian students’ education for English teaching

Global Technology Excellence states three major points as follows. First, students play a significant role to resolve international issues like constant growth and safety, etc. Second, students have to collaborate in the various sectors in the world because of globalization of technology. Third, Government, industry, academy and other technology based associations need to work as a team to provide training to global students. Training given by the industry would be more useful to the students. Global study has to be conducted on existing technology education system, which would insist the importance of English in education and future careers of the students and increase the needs of English teaching in Asia. It is also understood that any further improvement in technical education in English is dependent on the student command over the English language. Such a command over the language is possible only when there is command over English literature.

Improvement of English applicable skills

In the current scenario, English teaching should develop the ability of the students in listening, speaking, reading, writing and translating. Asian students’ education offers different new opportunities and styles to teachers and students. Developing skills, which need English proficiency, would be beneficial for students particularly in multi-national companies. These skills can be promoted while encouraging teaching

the learning of rhythm and sound system among students (Çubukçu, 2001a; Himanolu, 2005) and encourages them to be learners (Erturul, 1995). Though some studies in 1990s encouraged literature usage in EFL classrooms, new curricula reduced the weekly literature courses, which was reinforced by Turker (1998) as to be followed in all levels of instruction. Akyl (1995) commented that the teachers may not like to teach poetry in classrooms due to their lack of knowledge in poetry although poetry provides precious language for EFL students. EFL teachers should be able to differentiate each genre as each genre has its own practical usage. Erturul (1995) reports that while the short stories are short and time saving with less words and imaginations, poetry on the contrary, have in-depth of imaginations, accent and rhythm. She also describes that drama contains dialogues, which would be very useful as they are a part of regular communication. She claims that novels are not applicable in classroom teaching as they are lengthy but they are recommended for reading outside the classroom and called as “breath reading” or “extensive reading” for the overall improvement of skills of the student

A study conducted with fourth year prospective teachers of English language revealed that most of the prospective teachers believe that literature courses are important for their English language education curriculum (Arikan, 2005). Novel methods of teaching and learning by using literature are valuable resources of improving language learning in Asia. As an example, literature theory can replace language-based methods for teaching literature (Çubukçu 2001b; Ünlü, 2002; Arikan, 2008). Additionally, computer technology like internet has to be included with traditional classroom-based activities for teaching literature (Kartal and Arikan, 2010; Arikan, 2008). Students have interests to work with tools given in the virtual world for learning American and British literature (Arikan, 2008).

Different models of teaching literature in class

There are various models proposed for teaching literature to students in Asian Countries (Carter & Long, Lazar). The teacher can take literature content according to the type of model they select.

Cultural model takes literary content as a product, i. e., input information of the culture focused. It is the classical method, usually applied in university courses about literature. The cultural model looks for the social, political and historical background of a content, literary movements and genres. But content specific language work has not been done so far. This method would be completely teacher-centric.

nial criticism when they deal with Eurocentric inclinations. Inadequate knowledge on theoretical contexts between English teachers' leads their students to study the ambiguous depictions of cultural groups carelessly while they read. So, deciphering multicultural literature with postcolonial literary theory will support the students to consider the problems in Eurocentric illustrations of development. According to Mingshui Cai (2002), we have to take multicultural literature to make the experts in that topic instead of merely conveying information. He indicates that "when using multicultural literature in the curriculum, it is imperative to move from informing to empowering students. To empower students is to help them develop the ability to identify, critically analyze, and even take action to solve problems related to cultural differences. " (p. xviii)

Students could actively react to the problems of multicultural literature due to transformation from informing to qualifying the students. Students can understand the concepts by appropriate explanations. For example, postcolonial literary theory can be taught by explaining the association between postcolonial and multicultural literatures, which are closely related though they are the same completely. Multicultural literature includes world literatures (translated to or originally in English) like immigrant literature, ethnic (or minority) literature, and Native literature, whereas postcolonial literature is defined precisely as "writing by those peoples formerly colonized by Britain, though much of what it deals with is of interest and relevance to countries colonized by other European powers, such as France, Portugal, and Spain" (Ashcroft et al., 1989. p. 1).

Teaching Mechanisms

In 1990s, research started to delineate literature teaching in foreign language classrooms. But those studies were position-based instead of data-based studies, which determine the result of literature teaching on learning a foreign language. Advancer learners of English appreciate good literature even if they are not able to perceive the entire contents (Erturul, 1995). She also pointed out that the students have to improve their literary proficiency, which would help them understand symbolic meanings in the literature. On the other hand, poetry brings

Rationale

Employment of Asian students has been defined by the growth of the economy through various ways like technology, guidance, testing and standard. It has been suggested that in order to preserve the standard of human resource in professional courses like technological education there is a need for a lot of concentration. This would in turn result in education system for technological studies reaching newer heights.

In the developing world, English has emerged as an essential language to learn and been a common tool to communicate in the world. English is a prime language for expression one's own feelings and technological usage. The use of literature in this regard may help build up the overall command over the language which may be reflected in technical use.

Teaching of English is a growing field in the training education of Asian students. The vitality of English teaching for Asian students with regards to achievement of goals set by organizational as well as licensed credentials has been discussed and is often linked to the learning outcome of the students. In developing countries like China and India, national level recognized organizations struggle to implement common, open and accurate accreditation models, which has been a problem of English teaching for bright students. Finding the chances of bilateral acceptance and migration of students would assist for international recognition. So, English teachers and researchers should meet with new orientations and teach English differently. Technology students trained well with professional usage of English in schools can be a specialist in technology.

Teaching Multicultural Literature in English Language

Teachers need abundant proficiency on literary theories in addition to the reading techniques when they give lecture about multicultural literature in English language classes. Though they follow classical, new criticism, mythological and archetypal, the formalist, feminist or reader-response methods of literary analysis in their multicultural literature reading, they should have knowledge, for example, on postcolo-

On one side Block, (2010) noted it as a product, as quoted by examination results that helped provide employment in the job market. From this view, it is not an issue if the examination results included competence in communicative skills and all that the result shows is a certificate of having passed the examination. On the other side it is noted that for those Asian nationals who are in touch with other non Asian nationals, their English skills are more pronounced, compared to the Asian nationals who have no means of communication with non Asian nationals. Hence it is very crucial to note that English becomes a key language for Asians if they wish to play their life in a global scale, especially since the whole world is moving at a global level.

At the upper intermediate and higher levels, students are expected to have a good grip over the language. Similar to the situations in other parts of the world, English literature is taught in Asian countries for many reasons. The most common ones are that literature provides easy access to motivating content material and cultural background, encourages language acquisition, expands students' language awareness, develops students' interpretative abilities and educates the whole person (Widdowson, 1975; Mullane, 1984; Brumfit, 1985; Spack, 1985; Akyel & Yalcin, 1990; Carter & Long, 1991; Lazar, 1993). Collie and Slater (1987) say that literature can provide valuable authentic material, cultural enrichment, language enrichment and personal involvement. According to Osburne's (1987) survey of master's level English language teacher trainees in a Chinese university, the trainees have more interest in literature than linguistics and methodology. Du (1990) also reported that, in his survey of Chinese students' attitudes towards the courses offered by a university, 42 out of 58 students (84%) indicated a "strong liking" for and a "great interest" in literature. He claimed that in general there is a great potential in all the Asian countries for the use of English, and thus for literature in English.

year 1995 (Paul Iles, 1995). Of the 1,398 respondents who undertook the survey almost 96. 3% of them suggested that they either strongly consented or moderately consent that English was and will stay put in the upcoming years as the most prevailing language of the world communication systems.

Apart from this 79. 2% responded that they neither consented nor strongly consented for the idea of having another language contesting the role of English as the major language of the world. Fishman (1996, p. 628) suggested that the present world is governed by massive trade, technology and banking systems apart from human sciences and other qualifications, and all these applications predominantly use English for communication so as to ensure participation from the whole world. This is despite how well founded and guarded by the local traditions, languages and cultural identities may be. Crystal, (1997) and Graddol, (1997, 2006) noted that this change has resulted in English becoming the global language. After the proclamation given by Fishman, it has been noted more obviously how the belief has been made more evident all across the globe.

The observed significance of English and also the need to be able to communicate in English language has unfortunately not been reflected on the educational system in the countries of Asia. When students were asked about the teaching and learning methodology of English in classrooms, members of the group disclosed many intricate patterns of the issue. Even though English skills are regarded as extremely beneficial, many people in Asian countries view education only based on examinations point of view. The 400 L. Pan, D. Block / System 39 (2011) 391e402 suggested that the highly ingrained nature of the Asian culture to be examination centric making it hard to make use of the CLT method of educational system which was meant to be followed by the teachers. Hence the general issue was that the Asian educational system viewed their education as examinations instead of seeing it as learning approaches. In these situations, English has been quoted as a unique and integrated system that contained two ideologies which served two different, but interconnected operations in the modern Asian countries.

From Local Culture into Globalization: Applicable Theories In the Process of transference

Abstract

Teaching English has become a major necessity for developing areas in Asian countries due to globalization. The general purpose of this paper is to discuss the problems related with the novel tendency of teaching English for Asian educational system. This paper discusses the requirements of educational system in Asia for teaching English as well as on the mode of training English applicable skills. It also discusses the qualification and improvement of teachers' ability to teach literature which helps them change the educational system ensuring that studies are more enjoyable. The current study presents various trends in English literature that could be employed by both the teachers and the students.

**Dr Norah Hadi Q. Alsaeed*

Introduction

English as a global language was not completely perceived in the early 1950s to the 1970s, but the prominence of English language as a global one came to be known only in the 1980s. There was a growing perception of the language becoming a universal language which resulted in famous authors making daring proclamations like "English is the global language" (Crystal, 1997, p. 1). A questionnaire was presented to various people from all over the world by the British Council in the

* Assistant Professor, Department of English Vice Dean College of Administrative & Humanities, Al Jouf University Sakaka (Kingdom of Saudi Arabia).

norapoetry74@hotmail.com

- Bhuian, S.N. (1997) "Saudi consumers' attitudes towards European, US and Japanese products and marketing practices" *European Journal of Marketing*, 31(7) pp 467-486.
- Bow, J. and Ford, M. (1993), "Indonesia & China: the retail of two cities", *Asian Business*, 29(10), pp. 12-14.
- Chasin, J.B., Holzmuller, H., and Jaffe, E.D. (1988), "Stereotyping, buyer familiarity and ethnocentrism: a cross-cultural analysis", *Journal of International Consumer Marketing*, 1(2): 9-29.
- De Mooij, M. 2000. The future is predictable for international marketers: Converging incomes lead to diverging consumer behavior. *International Marketing Review* 17 (2): 103–113.
- Donovan, R. J. and Rossiter, J. R. (1982), *Store Atmosphere: An Environmental Psychology Approach*, *Journal of Retailing*, 58, 34-57.
- Gupta, A., Su, B. and Walter, Z. (2003), Risk Profile and Consumer Shopping Behavior in Electronic and Traditional Channels, *Decision Support Systems*, 38, 347-367.
- Haynes, J. L., Pipkin, A. L, Black, W. C. and Cloud, R. M. (1994), Application of a Choice Sets Model to Assess Patronage Decision Styles of High Involvement Consumers, *Clothing and Textiles Research Journal*, 12, 23-32.
- Han, C.M. (1988), "The role of consumer patriotism in the choice of domestic versus foreign products", *Journal of Advertising Research*, June-July: 25-32.
- Hawkins, D.I., Best, R.J., and Coney, K.A. (2004) *Consumer Behavior: Building-Marketing Strategy*, 9th edition, Boston: McGraw Hill.
- Hofstede, G. (2014) <http://geert-hofstede.com/kuwait.html>
- Lindquist, J.D. and Sirgy, M. J. (2003), *Shopper, Buyer, and Consumer Behavior: Theory, Marketing Applications, and Public Policy Implications*, 2nd Edition, Atomic Dog Publishing: Cincinnati, OH.
- Lumpkin, J. R., Hite, R. E. (1988), Retailers' Offerings and Elderly Consumed Needs: Do Retailers Understand the Elderly? *Journal of Business Research*, 16, 313-326.
- Malhotra, N.K. (1983), A Threshold Model of Store Choice, *Journal of Retailing*, 59, 3-21.
- Manrai, L. A., and A. K. Manrai. 2001. Cultural issues in the cross-cultural and cross-national consumer research in the new millennium. *Journal of East-West Business* 7 (1): 1–10.
- Martineau, P. (1958), The Personality of the Retail Store, *Harvard Business Review*, 36, 47-55.
- McSweeney, B. (2002), Hofstede's Model of National Cultural Differences and their Consequences: A Triumph of Faith - a Failure of Analysis, *Human Relations Sage Journals*, vol. 55 no. 1, 89-118.
- Schutte, H., and D. Ciarlante. 1998. *Consumer behavior in Asia*. New York: NYU Press.
- Willis, G. 1991. The single market and national marketing thinking. *European Journal of Marketing* 25 (4):148–156.
- Westfall, R. (1962), "Psychological factors in predicting product choice", *Journal of Marketing*, April, pp. 34-40.
- Wikipedia (2007) http://en.wikipedia.org/wiki/Arab_states_of_the_Persian_Gulf.

Long term versus short term orientation

Locals were perceived to have a short term orientation than expatriates who attach more importance to the future and show a strong propensity to save and invest for the future. Locals enjoy more income and social security benefits which lower relatively their long term orientation. Consumers in GC countries enjoy a higher income than many other countries. Citizens tend to give preference for indulgence over restraint way of life contrary to many expatriates who tend to make savings (long term orientation) and purchase less expensive products (restrained way of life).

Directions For Future Research

This is an exploratory research based on qualitative analysis of focus group output. It gives directions for further research in this area particularly the national cultures of the gulf countries. These countries are distinguished from other Middle Eastern countries by many important aspects such as the feminine conservative culture where the population is a mix between local citizens and expatriates.

A quantitative approach based on statistical analysis of questionnaires filled by shoppers in gulf countries will generate more interesting causal relationships between the Hofstede dimensions of national culture and several behavioral aspects of the consumers in these countries.

References

- Al-Jeraisy, K. (2008) “ Consumer behavior: an analytical study of saudi family’s purchase decision” King Fahad National Library. KSA.
- Al-Khatib, J.A., Vitell, S.J., Rexeisen, R., and Rawwas, M. (2005) “Inter-country. differences of consumer ethics in Arab countries” International Business Review, 14(4), pp. 495-516.
- Al-Weqaiyan, A. (2005) “A cross-national study of repurchase intentions of fast-food meals” Journal of International Food & Agribusiness Marketing, 17(1) pp. 95-116.
- Black, N. J., Lockett, A., Ennew, C., Winklhofer, H. and McKechnie, S. (2002), Modeling Consumer Choice of Distribution Channel: An Illustration from Financial Services, International Journal of Bank Marketing, 20, 161-173.
- Buzzel, R. 1968. Can you standardize multinational marketing? Harvard Business Review 46 (6): 102–113.

them (particularly the seller) does not accept the higher level of power distance exercised by the consumer. Exercising a low power distance can be viewed as lacking respect and requiring discipline in cultures demanding high power distance with hierarchical order in which everybody has a place which needs no further justification.

Indulgence versus restraint

Finally, results of the focus groups indicate that locals have higher level of indulgence versus restraint in comparison to expatriates. Locals live in wealthy tax free countries and enjoy a higher income in comparison to other countries. This creates an environment that allows relatively free gratification (fulfillment) of basic and natural human desires. These desires are related to life enjoyment, higher consumption rates of relatively expensive and luxurious products. The indulgence dimension of national culture was discussed with subjects from GCC countries. Many focus group members raised concerns of taking the indulgence dimension out of its context. They view this dimension of national culture as related to or associated with overspending, over consumption which are potential precursors for many unfavorable behaviors and consequences such as wasting, obesity and related diseases.

In order to address this problem, cross cultural communication, and training programs were suggested. Interaction with other national cultures could be substantiated through travel and interaction with people in countries of medium to low indulgence orientation.

Another aspect of indulgence is the allowance of free gratification of basic desires such as fun. Although this is viewed as desirable in countries of high indulgence score such as the Anglo world, Latin America and parts of Africa and Nordic Europe, focus groups criticized the unregulated style of life that relies on high indulgence which could be positively associated with unfavorable behaviors.

On the other hand, the national culture of GCC is viewed as a feminine culture which demonstrates a preference for cooperation, modesty, caring for the weak, building relations and aspiration for quality of life.

Uncertainty avoidance

Also, the national culture of GCC is described as low in uncertainty avoidance due to fact that locals have strong social ties due to familial and tribal structure of the society. Locals visit each other frequently in reception halls commonly called Diwaniya or Majlis.

On the other hand, uncertainty avoidance was described to be higher for consumers shopping in GC markets. Members of focus groups referred this higher level to two factors, firstly most sales people in GC countries are expatriates that come from different cultures which could be subject to stereotyping in some cases. Secondly, the market relies mainly on imported goods from different parts of the world. Not all these products are from known or international brands, the matter that requires insurances for good performance such as warranties and testimonials.

Power distance

Although the respondents of the focus groups indicated that the national culture in GC countries tend to reflect medium to high power distance, the focus group about Kuwait described the citizens of Kuwait as having lower level of power distance among each others. That was explained by the higher level of self-efficacy referred to strong familial and tribal influence. As a result a large portion of the society do not accept the unequal distribution of power and show a lower power distance.

In relation to the purchase process, people in the gulf countries prefer a higher power distance between the buyer and the sales person. However, in a collectivist society, families tend to be more consultative and show less power distance among each others.

When buyers exercise a high level of power distance towards a salesperson, this could cause communicational and behavioral problems between the buyer and the seller. This could happen when one of

Sample

Six focus groups each consists of six members where used as a preliminary research method. Each focus group consists of three local citizens of a GCC country and three expatriates who lived in a particular GCC country for minimum of ten years. Each focus group was oriented for one country of the six GCC countries. GCC countries are Saudi Arabia, Kuwait, Bahrain, Qatar, UAE and Oman. The focus groups aimed to picture the dimensions of Hofstede national culture in Arab gulf countries in the Middle East. In addition, the discussions with the members in the focus groups aimed for defining the influence of various Hofstede dimension on the consumer behavior in GCC countries. The average time of each focus group was 90 minutes.

Data Analysis

The qualitative data enabled a dynamic handling of the research where data collection and analysis took place concurrently and the ideas were refined and revised in the light of the gathered information. A checklist was used to guide the progress of the focus group and insure that all relevant points are covered. The conducted focus group interviews were transcribed and analyzed. The text in each paragraph with flagged with keywords. Key words were defined and grouped into different themes.

The frequencies of occurrence of key words were recorded. The obtained qualitative data from in-depth interviews were analyzed by simple content analysis (Miles and Huberman, 1984). Data was categorized in a systematic way to uncover patterns or themes and to extract meanings from the collected mass information.

Results

Members of focus groups agree that the national culture of GCC countries is collectivist and feminine. First of all it embraces a tightly-knit framework in which individuals can expect their relatives or members of a particular in-group to look after them in exchange for unquestioning loyalty.

Consumer behavior in GCC countries

Gulf council countries (GCC) are Saudi Arabia, Kuwait, Bahrain, Qatar, UAE and Oman. They are oil producing countries in the Middle East which attract a large number of expatriates from all over the world to work and live in a tax free environment. A large percentage of expatriates are from the Middle East who share some cultural and religious aspects with the citizens of GCC countries.

Cultural differences are more often a source of conflict than of synergy. Not all people can accommodate cultural differences. understanding these differences facilitates cross cultural communication and helps solve many behavioral problems.

Although some researchers studied some aspects of consumer behavior in Gulf Council countries, there is little work written about the Hofstede cultural dimensions in these countries. The study conducted by Alhemoud (2008) explains that the merchandise image was the most salient in determining the frequency of supermarket shopping in Kuwait but it does not cover the potential dimension of national culture that could influence the intention for frequent shopping. In other study conducted by Al-Jeraisy (2008) on the consumer behavior of Saudi families, the female gender was found positively associated to the purchase decision process in a collectivist society that is perceived to have a higher power distance between the male and female genders. Therefore, in order to explore more relations between the national culture dimensions and the consumer behavior, this study requires an exploratory qualitative approach to find the link between the national culture and consumer behavior in GC countries.

Method

The study is an initiative exploratory investigation of the influence of Hofstede dimensions of national culture on consumer behavior in GCC countries. Therefore, a qualitative approach based on focus groups and semi-structured interviews was adopted. In-depth interviews will help probe more deeply than it is possible with other research methods. Also, they will help understand and compare interviewee's opinions, feelings and personal experiences.

National culture and consumer behavior

Hofstede dimensions of national culture have very important implications on the consumer behavior and social interactions in a society. For example, consumers in countries with high level of uncertainty avoidance would require more guarantees on the performance of a particular product before buying it. Companies which are selling cars in a country of high UAI need to focus their marketing communications and promotional campaigns on safety and warranties for main parts or the car.

Also, selling cars to consumers in countries with national culture of long term orientation require focusing on values related to capacity for adaptation and savings based on longer service life and higher cash for reselling the car.

Therefore, it is plausible to say that companies selling cars in countries with high indulgence dimension need to focus on the luxury of the car, its shape and design as well as offering more features in order to allow customers reach the maximum joy and fulfillment.

China is a high collectivist country. Promoting cars in china requires showing a collective experience of driving the car. Ads and commercials should show friends or a group of people driving the car with a collective experience of satisfaction and happiness. Whereas promoting cars in individualistic societies require showing personal benefits and satisfaction on the individual level.

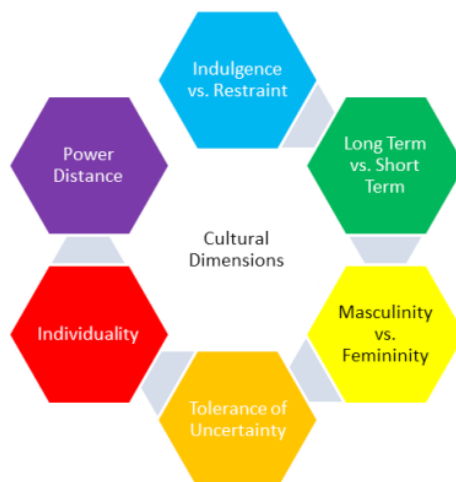


Table 1: Hofstede national culture dimensions as viewed by international studies

National Culture Dimension	High	Medium	Low
PDI	Latin and Asian countries, African areas and the Arab world	USA	Anglo and Germanic countries –Most Europe In Europe, power distance tends to be lower in northern countries and higher in southern and eastern parts: for example, 68 in Poland and 57 for Spain vs. 31 for Sweden and 35 for the United Kingdom.
IND	North America and Europe	Japan and the Arab world	Asia, Africa and Latin America
UAI	Latin American countries, Southern and Eastern Europe countries including German speaking countries, and Japan	Middle East	Anglo, Nordic, and Chinese culture countries as well as Scandinavian countries such as Sweden and Denmark
MAS	Japan, Europe, Venezuela		Scandinavian / Nordic countries: Norway scores 8 and Sweden, Most Latin American countries
LTO	East Asia and Japan	Europe	Anglo countries, the Muslim world, Africa and in Latin America
IVR	Latin America, parts of Africa, the Anglo world and Nordic Europe		East Asia, Eastern Europe and the Muslim world.

as few rules as possible. People in these cultures tend to be more pragmatic, they are more tolerant of change. Countries exhibiting strong UAI maintain rigid codes of belief and behavior. Weak UAI societies maintain a more relaxed attitude in which practice counts more than principles (McSweeney, 2002).

Long term vs. short term orientation (LTO) is the fifth dimension that describes societies time horizon. Long term oriented societies attach more importance to the future. They foster pragmatic values oriented towards rewards, including persistence, saving and capacity for adaptation. In societies with a long-term orientation, people believe that truth depends very much on situation, context and time. They show an ability to adapt traditions to changed conditions, a strong propensity to save and invest, thriftiness, and perseverance in achieving results.

In short term oriented societies, values promoted are related to the past and the present, including steadiness, respect for tradition, preservation of one's face, reciprocation and fulfilling social obligations. A relatively small propensity to save for the future, and a focus on achieving quick results.

Indulgence versus restraint dimension (IVR) describes the extent to which members in a society try to control their desires and impulses. Whereas indulgent societies have a tendency to allow relatively free gratification (fulfillment) of basic and natural human desires related to enjoying life and having fun, restrained societies have a conviction that such gratification needs to be curbed and regulated by strict norms.

The country scores on the Hofstede dimensions can also be found to correlate with other data about the countries in question. Some examples: power distance is correlated with income inequality in a country. Individualism is correlated with national wealth. Masculinity is correlated negatively with the percent of women in democratically elected governments. Uncertainty avoidance is associated with the legal obligation in developed countries for citizens to carry identity cards. Long-term orientation is correlated with school results.

In individualistic societies, the stress is put on personal achievements and individual rights. People are expected to stand up for themselves and their immediate family, and to choose their own affiliations. It is a preference for a loosely-knit social framework in which individuals are expected to take care of themselves and their immediate families only.

In contrast, in collectivist societies, individuals act predominantly as members of a lifelong and cohesive group or organization it represents a preference for a tightly-knit framework in society in which individuals can expect their relatives or members of a particular in-group to look after them in exchange for unquestioning loyalty.

Masculinity vs. femininity (MAS) dimension describes the distribution of emotional roles between genders. The masculinity side of this dimension represents a preference in society for achievement, heroism, competitiveness, assertiveness and material reward for success. People in the society at large are more in competition. Its opposite, femininity, stands for a preference for cooperation, modesty, caring for the weak, building relations and quality of life. Society at large is more consensus-oriented.

In masculine cultures, the differences between gender roles are more dramatic and less fluid than in feminine cultures where men and women have the same values emphasizing modesty and caring.

The uncertainty avoidance dimension (UAI) expresses the degree to which the members of a society feel uncomfortable with uncertainty and ambiguity. It reflects the extent to which members of a society attempt to cope with anxiety by minimizing uncertainty particularly in relation to future events. Do people need to control future or let it happen. To what extent can deal with unclear and unstructured situations.

People in cultures with high uncertainty avoidance tend to be more emotional. They try to minimize the occurrence of unknown and unusual circumstances and to proceed with careful changes step by step planning and by implementing rules, laws and regulations. In contrast, low uncertainty avoidance cultures accept and feel comfortable in unstructured situations or changeable environments and try to have

avoidance. The potential problems associated to these dimensions were highlighted and solutions were proposed.

Keywords: National culture, power distance, uncertainty avoidance, individualism versus collectivism, masculinity versus femininity, consumer behavior, decision making process, low involvement and high involvement purchase process.

Introduction

Hofstede (1973) defined culture as the collective programming of the mind distinguishing the members of one group or category of people from others. He described the national culture of a country with four dimensions, Power Distance (PDI), Individualism versus Collectivism (IDV), Masculinity versus Femininity (MAS) and Uncertainty Avoidance (UAI). In 1991, he added the fifth dimension of national cultures which is “long-term versus short-term orientation” in order to cover aspects of values not discussed in the original paradigm. In 2010 he added a sixth dimension which is “indulgence versus self-restraint” as a result of co-author Michael Minkov’s analysis of data from the World Values Survey. In the following few pages the dimension of national culture are reviewed with a focus on the Gulf Council Countries (GCC). In addition the relationship and influence of national culture on consumer behavior is investigated.

Power distance (PDI) expresses the degree to which the less powerful members of a society accept and expect that power is distributed unequally. The fundamental issue here is how a society handles inequalities among people. People in societies exhibiting a large degree of power distance accept a hierarchical order in which everybody has a place and which needs no further justification. In societies with low power distance, people strive to equalise the distribution of power and demand justification for inequalities of power. Cultures that endorse low power distance expect and accept power relations that are more consultative or democratic.

Individualism versus collectivism dimension (IDV) describes the degree to which individuals are integrated into groups. It reflects people’s self-image in terms of “I” or “we.”

The influence of Hofstede dimensions of national culture on consumer behavior in Gulf countries

*Sam Toglaw, PhD**



We examined qualitatively the influence of Hofstede dimensions of national culture on consumer behavior in Gulf countries in the Middle East. Focus groups were formed and the outcomes were analyzed. Results indicated that the national culture in the gulf countries is collectivist and feminine. However, it has a high indulgence and short term orientation contrary to the majority of expatriates who live in gulf countries with long term orientation and restrained style of living. On the other hand. High indulgence is perceived by members of the focus groups as a social problem because it is related to overspending, over consumption and higher tendency to purchase luxury products. Cross communication and educational programs were

suggested to elevate the level of awareness of the consumers in gulf council countries (GCC) in relation to the negative consequences of high indulgence.

On the other hand, power distance and uncertainty avoidance were reviewed. Citizens of gulf countries were described to share a lower power distance and uncertainty avoidance among each other but the national culture of these countries tend to reflect a medium to high levels of power distance and uncertainty

* Head of Marketing Degree, The Australian College of Kuwait.
samtoglaw@gmail.com

INDEX

Social Sciences

- 1- Different Strategies for Increasing Higher education Access.**

Dr. Mohammed A. Al Saleh

- 2- From Local Culture into Globalization: Applicable Theories in the Process of transference.**

Dr. Norah Hadi Q. Alsaeed

Humanities

- 3- The influence of Hofstede dimensions of national culture on consumer behavior in Gulf countries.**

Sam Toglaw, PhD



**Under the Auspices of Minister of Education and
Minister of Higher Education in Kuwait**

**Under the Motto of
Scientific Research as a Foundation for Solving Problems
Kuwait Institute for Scientific Research Hosts**

**The Third International Conference of the London
Centre for Research and Consultancy
The First Academic Association Conference**

Social Consultancy & Research London

10-12 February 2014

Conference Objectives:

- Provide an opportunity for researchers from around the world to interact with each other and submit their research to strengthen the relationship between scientific research and the Islamic world.
- Exchange ideas and experiences to achieve effective intellectual partnership that unites the visions and goals in the areas of scientific research to serve the researchers.
- Reinforce the role of graduate students in enriching the scientific research.
- Identify the significant areas of scientific research and fill the gaps, particularly in the digital aspect, which separates us from the advanced innovations in the research area.
- Present scientific and training programs that are globally competitive.
- Contribute in developing comprehensive and strategic frameworks for scientific research plans at the Arab Universities level in the Islamic world.

Social Consultancy & Research LTD.

London, United Kingdom

[Http://scrlondon.com](http://scrlondon.com)

Emails: info@scrlondon.com

Website of the Centre:

scrlondon.com

lcrsharijah.com

المؤتمر الدولي الثالث ومؤتمر الرابطة الأكاديمية الأول للبحث العلمي

لمركز البحوث والاستشارات الاجتماعية (لندن)

حول موضوعات العلوم الاجتماعية والإنسانية

(أبحاث مُحكمة)

الكويت: ١٠ - ١٢ فبراير ٢٠١٤ p معهد الكويت للأبحاث العلمية

Social Consultancy & Research LTD.
London, United Kingdom

[Http://scrondon.com](http://scrondon.com)

E-mails: info@scrondon.com



دار النشر والتوزيع

عنوان: ساحة الجامع الجديد، سوق البكره - عمارة الخخيز
للفاكس ٤٦٥٢٤٣٧ - ص.ب ٩٢٦٩١ عتقان ١١١٩٢ الأردن

